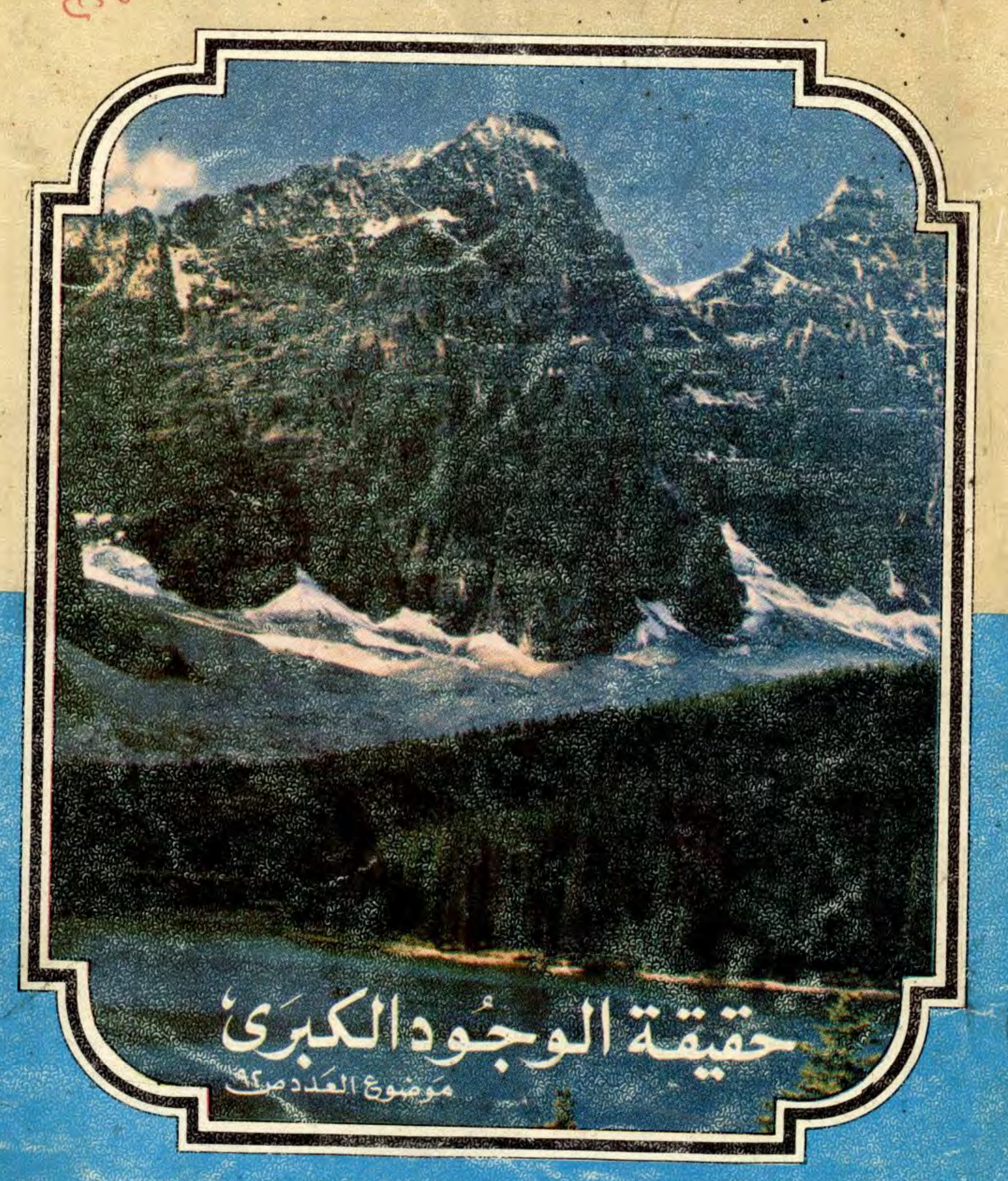
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية





AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٥ ● محرم ١٤٠٢ هـ ● نوفمبر ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

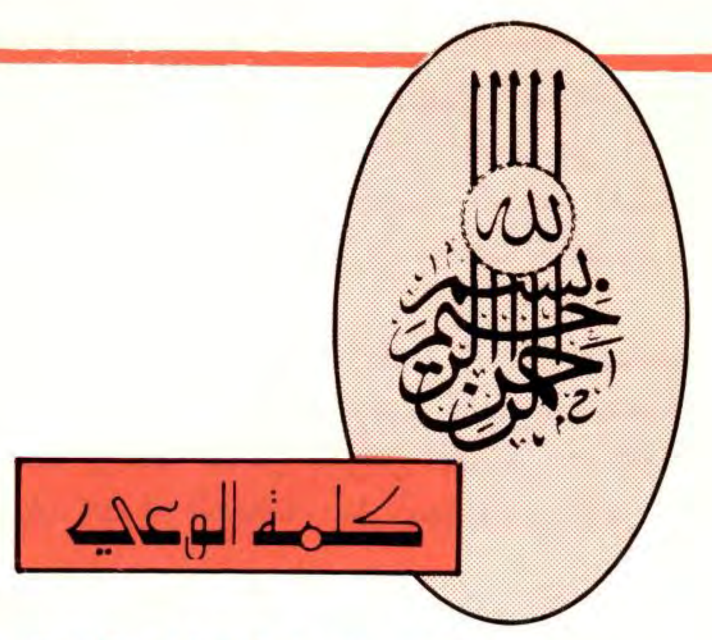
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



جمعية العفو الدولية تهاجم تطبيق الشريعة الاسلامية

كنا نحسن الظن « بهيئة العفو الدولية » ونرجح ان لها رسالة تتفق مع اسمها ، فتقف مدافعة عن المظلومين الذين تصب عليهم الحكومات الطاغية الأذى والنكال ، والمذلة والهوان ، بلا ذنب ولا جريرة ، كشعب فلسطين الذي سلب الطغاة وطنه . وأقاموا دولة لهم على انقاضه ، وكالنساء والاطفال والشباب والشيوخ من ابناء فلسطين ولبنان الذين تحصدهم الغارات الوحشية الاسرائيلية آنا بعد آن ، وكمسلمي الفلبين الذين يذوقون الويلات على يد الطغاة ، وكشعب افغانستان الذي ترميه الشيوعية في كل لحظة بأسباب الدمار والهلاك ، وغير هؤلاء في انحاء العالم كثير .

نعم كنا نحسن الظن بهيئة العفو الدولية ونرجح ان اسمها مأخوذ من رسالتها الى ان وقعت في يدنا صورة رسالة موجهة من جمعية العفو الدولية - المجموعة الطبية - ومقرها الدنمارك الى عميد كلية الطب بجامعة طنطا بمصر بتاريخ ١٩/٢/١٩٨١ موقعة باسم « **أنجي كيمب جينفكه** » رئيسة المجلس الاستشاري الطبي . تقول فيها :

السيد الدكتور

سبق ان كتبت لكم في شهر اكتوبر سنة ١٩٧٩ باسم المجلس الطبي لهيئة العفو الدولية والتي تضم ٤٠٠٠ طبيب في ٢٦ دولة . والآن فانني ألفت انتباهكم الى امر خطير للغاية ، فقد قررت حكومة الجنرال ضياء الحق تطبيق احكام الشريعة الاسلامية في باكستان والتي تعاقب مرتكب جريمة السرقة « بقطع يده ثم القدم » ويتم بترتلك الأجزاء بواسطة أطباء جراحيين . والمطلوب منكم الآن الاعتراض بكل قوة ممكنة ضد مشاركة الاطباء في هذا العمل المشين . وارسل لكم مع هذا بعض الأوراق الخاصة بما هو اقظع وأشنع ، فقد حكمت محكمة اسلامية في مدينة (نواكشوط)

عاصمة موريتانيا على ثلاثة أشخاص ثبتت عليهم تهمة السرقة بقطع اليد ، وتم بتر الأيدي بواسطة أطباء جراحيين من المستشفى الاهلي بعاصمة موريتانيا (نواكشوط) . وطبقا لاعلان طوكيو الخاص بمنظمة الطب العالمية الفقرة رقم ١ أن الأطباء لا يشاركون في عمليات التعذيب أو تنفيذ أعمال التعذيب .

وهنا نبين لكم أن رأي « العفو الدولية » أن الأطباء لا بد أن يمتنعوا عن أعمال بتر أجزاء من جسم الانسان ، لأن ذلك يكون تشويها للجسم ، بل يسيء الى سمعة المهنة ، كما أن هذا العمل يعرض الانسان الى الخطر الكبير والمضاعفات الكثيرة بعد اجراء العملية ، بل ربما يؤدي الأمر بعد ذلك الى وفاة الشخص .

ونحن نرى أنه من الضروري والعاجل أن يقوم الأطباء في كل مكان بمعارضة ذلك الأمر الذي ترفضه تقاليد مهنتنا ، ونقترح عليكم ارسال خطابات احتجاج مليئة بالغضب الى :

م . بادالي ولد شيخ وزير العدل والشئون الاسلامية/ نواكشوط
م . يوسف دياجانا وزير الشئون الاجتماعية والعمل/ نواكشوط
دكتور ضياء الحسين/ المستشفى الأهلي/ نواكشوط
يرجى كتابة الخطابات بصفة فردية لاستنكار هذا العمل ومعارضته .

توقيع : أنجي كيمب جينفكه/ رئيسة المجلس الطبي الاستشاري

هذه هي الرسالة وهي كما يرى القارىء تشتمل على ما يأتي :-

أولا : بها هجوم مباشر وطعن شديد في الشريعة الاسلامية الغراء .

ثانيا : تبين الرسالة وجود تنظيم طبي عالمي داخل تلك الجمعية يقوم بمهمة الهجوم على الشريعة الاسلامية والطعن في أحكامها تحت شعار ما يسمى بالعفو الدولي وهذا التنظيم ـ كما جاء بالرسالة ـ يضم ٤٠٠٠ طبيب ، ولا بد أن يكون فيهم عمداء ومديرو خدمات طبية في كثير من بلاد المسلمين ، وبهذه الوسيلة يستطيعون ان يدبروا هجوما شرسا لتشويه الشريعة الاسلامية .

ثالثا : تستعين الجمعية بالأطباء المسلمين الذين تعرف عنهم الاندراج في سلك الروتاري وغيره من التنظيمات الماسونية للحصول على إدانة كتابية من الأطباء المسلمين ضد الشريعة الاسلامية .

رابعا : تبين الرسالة حقيقة منظمة العفو الدولية وأنها تعادي الاسلام ، كما تكشف جانبا من جوانب حملة عالمية ضد البلاد التي تطبق الشريعة الاسلامية أو تنوي أن تطبقها .

خامسا : في هامش الصفحة الأولى من الرسالة تأشيرة تطلب من رؤساء الأقسام نشر الرسالة بين الأساتذة وذلك بالنسبة للمرسل اليه أمر غني عن التعليق والبيان .

سادسا : تركز الرسالة على الطعن في عقوبة قطع يد السارق وتصفها بأنها عمل مشين وتعذيب وقسوة الخ .

وبعد

فليست جمعية العفو الدولية أول ولا آخر من يسوقهم التعصب الأعمى الى الطعن في الشريعة الاسلامية ، والصد عن سبيل الله ، ولسوف يتساقط أعداء الاسلام بباطلهم أمام صولة الحق بحجته وبرهانه (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) .

ومهما بذلت جمعية العفو الدولية من جهود في محاربة الاسلام ومهما أنفقت من أموال في تضليل الناس عن طريق الهدى فلن تجني من ذلك سوى الفشل والهزيمة (**ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**

وبمناسبة هذا الهجوم من جمعية العفو الدولية على الشريعة الاسلامية نحب ان نقول لها ولمن يسيرون في ركبها : « ان الذين يستنكرون تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ويقولون بعدم صلاحيتها وأنها عمل مشين فريقان من الناس : فريق لم يدرس الشريعة ولا القانون الوضعي ، وفريق درس القانون الوضعي دون الشريعة ، وكلا الفريقين ليس أهلا للحكم على الشريعة لأنه يجهل أحكامها جهلا مطبقا ، ومن جهل شيئا لا يصلح للحكم عليه .. والذي يعرف قدر الشريعة الاسلامية هو من درسها دراسة علمية ومنطقية ، فان هذه الدراسة تكشف له فضلها ، وتفوقها على القوانين الوضعية ، وصلاحيتها للتطبيق في كل العصور والأزمان .

ومن يدري فربما كان في محيط جمعية العفو الدولية من درس الشريعة الاسلامية دراسة دقيقة وعرف قدرها وفضلها ولكنه يكتم الحق جحودا بآيات الله وتعصبا للباطل كأولئك الذين قال الله فيهم لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أو الذين عناهم بقوله : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .

وفي الصفحات التالية بيان للأساس الذي وضعت عليه العقوبات في الشريعة الاسلامية وخاصة « عقوبة السرقة » والغاية التي شرعت من أجلها . نرجو ان يكون له أثره في إنارة الطريق أمام كل مسلم حتى لا تتفرق به السبل عن سبيل الله المستقيم (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) كما نرجو أن يجد فيه القارىء ما يروي ظمأه الى معرفة الحق فيما أثير ضد عقوبة السارق في الشريعة الاسلامية بعيدا عن زيف الباطل وضلال الهوى ومن الله وحده التوفيق وعليه التوكل ومنه الانابة .

رئيس التحرير : محمد الأباصيري



العقوبات في الشريعة الإسلامية

للشيخ : محمد الاباصيري خليفة
رئيس تحرير المجلة

الشريعة الاسلامية أنزلها الله نظاما شاملا لجميع ما يتطلبه المجتمع الاسلامي في كل مجالات الحياة ، كي ينعم بالعدل والأمن ، والطهر والنظافة . والعزة والكرامة ، والتقدم والنهوض .

وعقوبات الشريعة الاسلامية وضعت على اساس علم الله بالنفس البشرية ، وتقدير دقيق للغرائز والميول ، وشرعت لمحاربة الجريمة والحفاظ على مصلحة المجتمع .

وقد حرصت الشريعة الاسلامية على ان تسبق العقوبة بأمرين اصلاح نفسية المجرم ، وكفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته .

فبالنسبة لاصلاح نفسية المجرم وضعت الأسس التالية :ـ

أولا ـ مقاومة الجريمة قبل وقوعها : وذلك بتوجيه الناس الى الايمان الكامل الذي يحقق الخوف من الله ، وتقويم الأخلاق وترويض النفس على حب الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتأليف القلوب بالتعاون والتناصح .

ثانيا ـ تشريع العقوبة : فان مجرد تشريع العقوبة يمنع الكثيرين من الاقتراب من الجريمة . ذلك أن العقوبة جزاء وضعه الشارع للردع عن ارتكاب ما نهى عنه أو ترك ما أمر به . فهي قبل الفعل موانع وبعده زواجر .

ثالثا ـ فتح باب التوبة أمام كل مذنب مهما كثرت جرائمه (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) .

رابعا ـ الاعلام العملي من الشريعة

الاسلامية بأن العقوبات الواردة فيها لا يقصد بها تعذيب المجرم وإنما يقصد بها كفه عن الجريمة ، وحماية المجتمع من الأذى . وذلك بما أخذت به من التشدد في وسائل إثبات الجريمة ، ودرء الحدود بالشبهات امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إدرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم » وقوله « لأن يخطىء الامام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة » وقد منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطع يد السارق عام المجاعة .

اما بالنسبة لكفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته ، فيتبين ذلك من أن الشريعة الاسلامية تفرض على المجتمع المسلم أن يوفر لأهل دار الاسلام ـ على اختلاف عقائدهم ـ جميع حقوقهم ، فيوفر لكل فرد حقه في الحياة وحقه في الحرية وحقه في كل الوسائل الضرورية لحفظ الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ، كما يوفر له ضمانات التربية والتعليم وضمانات الوقاية والعلاج وضمانات الأمن والاستقرار . والفرد يحصل على كل ذلك عن طريق العمل مادام قادرا عليه ، وعلى الدولة أن تيسر له العمل وأداته ، فإذا تعطل لعدم وجود العمل ، أو لعدم وجود أداته ، أو لعدم قدرته على العمل ، أو إذا كان كسبه من عمله لا يفي بضرورياته فله الحق في الحصول على تلك الضروريات أو استكمالها من عدة وجوه :

اولا ـ من النفقة التي تفرض له شرعا على القادرين في اسرته .

ثانيا ـ من النفقة التي تفرض له شرعا على القادرين من أهل محلته .

ثالثا ـ من بيت مال المسلمين من حقه المفروض له في الزكاة ، فإذا لم تكف الزكاة فرضت الدولة ما يحقق الكفاية للمحرومين من مال الواجدين ، بحيث لا تتجاوز في ذلك حدود الضرورة .

وإذا نظرنا إلى السارق الذي يعيش في تلك العدالة الاجتماعية التي تصونه وتكفله على هذا النحو الفريد من الصيانة والكفالة ، ونظرنا في ظل تلك العدالة إلى ما قدمته الشريعة الاسلامية من وسائل فعالة لاصلاح نفسيته ، وتساءلنا لماذا يسرق السارق في ظل هذا النظام ؟ ما رأيناه يسرق إلا طمعا في الثراء من غير طريق العمل ، فيروع المجتمع ويسلبه الطمأنينة ويزعزع أمنه واستقراره ، بلا عذر له في السرقة .

ومن ثم فلا يجوز لعاقل أن يرأف به متى ثبتت عليه الجريمة ، بل يجب أن يعاقب بالعقوبة التي شرعها الله ، فتقطع يده اليمنى ، فإذا عاد كان القطع في الرجل اليسرى إلى الكعب .

وهذه العقوبة هي العقوبة الوحيدة التي تلائم الجريمة كل الملاءمة ، لأن السارق حينما يفكر في السرقة إنما يدفعه إلى ذلك رغبته في أن يزيد كسبه بكسب غيره ، فكانت العقوبة حربا لهذا الدافع ، لأن قطع اليد يؤدي إلى نقص الكسب ، فالشريعة الاسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية الداعية لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرفه عن الجريمة ، فإذا تغلبت العوامل

النفسية الداعية لارتكاب الجريمة ، وارتكب انسان الجريمة مرة كان في العقوبة ما يغلب العوامل النفسية الصارفة فلا يعود للجريمة ثانية ، وكان في تنفيذها صرف لسواه ممن تحدثه نفسه باقترافها .

ذلك هو الأساس الذي قامت عليه عقوبة السرقة في الشريعة الاسلامية ، وهو خير أساس من يوم نشأة العالم وإلى أن ينتهي . وقد ثبت أنه على مر العصور لم تفلح أية عقوبة أخرى في تحقيق أمن الناس على أموالهم .

والعجب ممن يقولون إن عقوبة قطع يد السارق لا تتفق مع ما وصلت إليه الانسانية والمدنية في عصرنا الحاضر . كأن الانسانية والمدنية في أن نقابل السارق بالمكافأة على جريمته التي يزعزع بها أمن المجتمع ، فنحكم عليه بالحبس مدة نطعمه فيها ونسقيه ، ونتيح له أن يتزود بفن أوسع في الاجرام من نزلاء السجن الذين هم أطول باعا في الاجرام منه .. وكأن الانسانية والمدنية في أن يكد العاملون في تحصيل المال من حلال ليستولي عليه اللصوص ، فيعيش المجتمع مزلزل الأوضاع محروما من الأمن والاستقرار .

إن عقوبة قطع يد السارق هي العقوبة الملائمة للجريمة لأن الله تعالى بناها على علمه المحيط بنفسية الانسان وعقليته ، وهي في الوقت ذاته تؤدي إلى أمن المجتمع وتقليل الجرائم إلى حد الندرة .

وما رأى هيئة العفو الدولية وتنظيمها الطبي في شخص يصاب في عضو من أعضائه بمرض غير قابل للشفاء ومن طبيعته السريان في الأعضاء المجاورة للعضو الذي أصيب به هل نبقى على العضو المصاب حتى يسري منه المرض إلى بقية الأعضاء ويقضي على حياة صاحبه أم نبتره طلبا لسلامة صاحبه ؟؟

لقد رأينا وقرأنا عن حالات من هذا النوع أجمع أهل الاختصاص من الأطباء على ضرورة استئصال ذلك العضو إبقاء على حياة صاحبه .. فكيف لا تستأصل يد السارق الذي عالجت الشريعة نفسيته وأعطته كل ضمانات الحياة ومع ذلك هدد أمن المجتمع وحرمه من نعمة الاستقرار ، ومعلوم أن حياة المجتمع أهم من حياة الفرد .

والذين يصفون قطع يد السارق بأنه عقوبة قاسية فاتهم ان اسم العقوبة مشتق من العقاب ولا يكون العقاب عقابا إذا كان فيه رخاوة وضعف . والله سبحانه وهو أرحم الراحمين وضع العقوبة متناسبة مع الجريمة فقال جل شأنه : (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**) فهي تنكيل رادع من الله ، والردع عن ارتكاب الجريمة رحمة بمن تحدثه نفسه بها لأنه يكفه عنها ، ورحمة بالمجتمع كله لأنه يوفر له الطمأنينة . ولن يزعم أحد أنه أرحم بالناس من خالقهم إلا وفي قلبه عمى ، وفي روحه انطماس .

وقد جرب قطع يد السارق قديما وحديثا فنجح نجاحا تاما في تحقيق الأمن والاستقرار .. لقد أثبت الواقع أن قطع يد السارق لم يطبق في خلال نحو قرن من الزمان في صدر الاسلام إلا في (آحاد) لأن المجتمع الاسلامي بعدالته وكفالته ، والعقوبة بشدتها لم ينتج عنهما إلا هذه الآحاد . ويقول الاستاذ « عبدالقادر عودة » في كتابه (التشريع الجنائي في الاسلام الجزء الأول ص ٧١٢ط دار الكتاب العربي بيروت) . « إن التجربة وحدها هي التي تبين قيمة الأنظمة الجنائية » . وقد قال علماء القوانين الوضعية مجتمعين في اتحاد القانون الدولي : « إن أحسن نظام جنائي هو الذي يؤدي عملا إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة ، وإن التجارب هي وحدها الكفيلة بابراز هذا النظام المنشود » .

ولقد أبرزت التجارب الحديثة أحسن الأنظمة الجنائية ، وتبين أن هذا النظام المنشود هو الشريعة الاسلامية وكانت التجارب التي امتحنت فيها عقوبات الشريعة على نوعين : كلية ، وجزئية .

فأما التجربة الكلية فقد بدىء بها في مملكة الحجاز حيث طبقت الشريعة الاسلامية تطبيقا تاما ، ونجحت نجاحا منقطع النظير في القضاء على الاجرام وحفظ الأمن والنظام ، ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلا في الحجاز بل كيف كان الحجاز مضرب الأمثال في كثرة الجرائم وشناعة الاجرام . فقد كان المسافر فيه كالمقيم لا يأمن على ماله ولا على نفسه في بدو أو حضر في ليل أو نهار ، وكانت الدول ترسل مع رعاياها الحجاج قوات مسلحة لتأمين سلامتهم ورد الاعتداء عنهم ، وما كانت هذه القوات الخاصة ولا القوات الحجازية بقادرة على تحقيق الأمن وكبح جماح العصابات ومنعها من سلب الحجاج أو الرعايا الحجازيين وخطفهم والتمثيل بهم ، وظل حماة الأمن في الحجاز عاجزين عن حماية الجمهور حتى طبقت الشريعة الاسلامية ، فانقلبت الحال بين يوم وليلة ، وساد الأمن بلاد الحجاز وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين ، وانتهى عهد الخطف والنهب وقطع الطريق ، وأصبحت الجرائم القديمة أخبارا تروى فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها أو يشهدها ، وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع أخبار الاجرام عن الحجاز أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام ، فهذا يفقد كيس نقوده في الطريق العام فلا يكاد يذهب إلى دار الشرطة ليبلغ حتى يجد كيسه كما فقد منه معروضا للتعرف عليه ، وهذا يفقد أمتعته وييأس من ردها ولا يبلغ عنها ولكنه يجد رجال الشرطة يبحثون عنه ليردوا إليه ما فقد منه ، وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه قوات عسكرية عظيمة من الداخل وقوات عسكرية كبيرة من الخارج أصبح الأمن محفوظا بحفنة من الشرطة المحليين .

تلك هي التجربة الكلية ، وكفى بها دليلا على أن النظام الجنائي في

الشريعة الاسلامية يؤدي عملا إلى قطع دابر الجريمة ، وأنه النظام الذي يبحث عنه ويتمناه اتحاد القانون الدولي .

أما التجربة الجزئية فقد قامت بها أولا انجلترا وامريكا ومصر وبعض الدول الأخرى ثم قامت بها أخيرا كل دول العالم تقريبا وقد نجحت هذه التجربة الجزئية أيضا نجاحا منقطع النظير . وقد سمينا هذه التجربة بالتجربة الجزئية لأنها جاءت قاصرة على عقوبة واحدة من عقوبات الشريعة الاسلامية وهي « عقوبة الجلد » فانجلترا تعترف بالجلد عقوبة أساسية في قوانينها الجنائية والعسكرية ، ومصر تعترف بها في قوانينها العسكرية ، وامريكا وبعض الدول تجعل الجلد عقوبة اساسية في الجرائم التي يرتكبها المسجون ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فقررت كل الدول تقريبا « عقوبة الجلد » على جرائم التموين والتسعير وبعض الجرائم الأخرى الماسة بالنظام أو الأمن العام ، وهذا اعتراف عام عالمي بأن عقوبة الجلد أفعل من أية عقوبة أخرى ، وانها الوحيدة التي تكفل حمل الجماهير على طاعة القانون وحفظ النظام ، وأن كل عقوبات القوانين الوضعية لا تغني عن عقوبة الجلد شيئا في هذا الباب ، وهذا الاعتراف العالمي هو في الوقت نفسه اعتراف بنجاح الشريعة الاسلامية في محاربة الجريمة ، لأن عقوبة الجلد هي إحدى العقوبات الأساسية في الشريعة .

هذه التجارب قاطعة في أن عقوبات الشريعة الاسلامية تؤدي عملا إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة ، وأن أي نظام جنائي وضعي يعجز عن الوصول إلى بعض النتائج التي يصل إليها نظام الشريعة الجنائي ، ولعل السر في نجاح الشريعة أن عقوباتها وضعها العليم الخبير على أساس طبيعة الانسان ، ففي طبيعة الانسان أن يخشى ويرجو ، وهو لا يأتي أي عمل إلا بقدر ما ينتظر من منافعه ، ولا ينتهي عن عمل إلا بقدر ما يخشى من مضاره ، فلا يرتكب الجريمة إلا لما ينتظره منها من منفعة ، ولا ينتهي عن الجريمة إلا لما يخشاه من مضارها ، فكلما اشتدت العقوبة كلما ابتعد الناس عن الجريمة وكلما خفت العقوبة كلما استهانوا وازداد إقبالهم على الجريمة ، وقد تمشت الشريعة الاسلامية مع طبيعة الانسان فوضعت على أساسها عقوبات الجرائم عامة وعقوبات جرائم الحدود والقصاص خاصة ، ونظرت في الجرائم الأخيرة إلى الجريمة دون المجرم حتى لا يكون لدى المجرم أمل في استعمال الرأفة ، لأن هذه الجرائم من الخطورة بمكان ، ولأنها تمس كيان الجماعة ونظامها ، فالتساهل فيها يؤدي إلى أسوأ النتائج ، والتشدد فيها يؤدي إلى قلة وقوع هذه الجرائم . فعلى العقلاء أن يدركوا حكمة الله فيما شرع لعباده حتى لا يكونوا فريسة لتضليل المضللين وخداع المخادعين .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ..



للدكتور / وهبه الزحيلي

كانت هجرة المصطفى صلى الله · من مكة الى المدينة مثلا بارزا عاليا من
عليه وسلم وأصحابه البررة الاوفياء أمثلة القوة والحركية الاسلامية

والنشاط ، وانتجاع الوسط الأفضل والبيئة الخصبة الدافئة المترعة بالغنى والخير والعطاء ، والبناء والتجديد والتفاني في سبيل المبدأ ، والسعي والتحرك لاقامة أرسخ البنى لدين الله تعالى في الأرض ، ونشر الرسالة الالهية ، وتوسيع رقعة امتدادها ، وتكثير انصارها ودعاتها والمؤمنين بها ، الذين بذلوا من أجلها الدم والمال والنفس والنفيس ، وضحوا براحتهم ووطنهم وعلاقاتهم التي يصعب عادة التخلي عنها الا طلباً لمغنم مادي أو رفاه معيشي موقوت .

واهداف سامية كهذه تجعلنا نجزم أن الهجرة لم تكن انهزاماً في مواجهة عدو ، ولا هروباً من مقابلة الأحداث ، ولا فناء ونوباناً الى الأبد ، بدليل أن الهجرة لم تكن آنية سريعة عقب البعثة ، وانما كانت بعد ثلاثة عشر عاماً بذل فيها نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في مكة اقصى جهده ، واشد طاقته في الدعوة الى عقيدة التوحيد والحق والخير والعدل والتحرر الانساني والكرامة الشخصية ، وتصحيح مفاهيم الناس والحياة العامة والخاصة ، وارساء معالم الفضيلة والاخلاق السوية المتزنة الثابتة المتفاعلة في ميزان التعامل الداخلي والخارجي ، واقتلاع جذور الوثنية والشرك ، سواء منه القديم البسيط المتمثل في الخضوع والتقرب الى مظاهر واشكال المادة الصماء من حجر او معدن ، او الشرك الحديث المعقد او الخفي المتمثل في تنوع الوان الرياء والتملق والنفاق والتزلف وابتغاء الخير من شخص متنفذ او حاكم مستبد ، ونسيان جانب الله مصدر كل نفع ونعمة وفضل .

لم يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحبه ضعفاً ولا خوراً ، ولا خوفاً ولا يأساً ، لأن الله تعالى مؤيد عباده المخلصين ، وناصرهم ومعزهم وهاديهم الى الخير والرشاد ، وانما هاجروا بعد ان اوذوا وعذبوا ، وواجهوا كل صغيرة وكبيرة في جيوب وعقول وسلوك المجتمع الوثني ، غير انهم وجدوا ان الاسلام يعتز وتقوى شوكته في بقاع اخرى من الأرض هي مدينة الأنصار منطلق الحياة والقيم الخيرة ، ومصدر الاشعاع الحضاري ، ومركز القيادة للانقضاض على أوكار وعشش ومهاد الجاهلية الفاسدة في أي مكان ، لا في مكة وحدها ، وانما في ارض الله الواسعة : **(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً)** النساء /٩٧ : **(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفوراً رحيما)** النساء / ١٠٠
فاذا كانت مكة عقيما فالمدينة ولود : **(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً)**

الأعراف / ٥٨ .

كان لهذه الهجرة التي يحتفل العالم الاسلامي الآن بالقرن الخامس عشر لحدوثها آثار بعيدة المدى في تاريخ الانسان ، تمخضت عنها بجلاء ، ومن اهمها ما يأتي :

١ ـ تغير المفاهيم الشخصية والاجتماعية :

لقد انتهت السيادات والزعامات الفردية الى شورى الجماعة ورأي الأكثرية ، وزال الظلم والطغيان والتحكم الطبقي ، واصبحت ناصية القيادة بيد الفئة القليلة التي كانت مستضعفة ، ولكنها استنارت بنور الهدى الالهي ، وتحول الصراع القبلي العنيف الى وحدة ومحبة وإخاء عام شامل شمل ابناء العقيدة الحقة الخالدة ، وتغيرت نظرة العربي وغير العربي من تمجيد وتقديس الرموز والأشباح والأصنام والأوثان ، والجماد والحيوان ، الى تفكير واع في ملكوت السموات والأرض ، وانتهت عبادة الأشخاص واستؤصلت وهاد الخرافة والاوهام والسطحية في التفكير ، وأحس المرء بخطورة دوره في هذه الحياة ، وضرورة الافادة من نتاج الكون ، وما يختبئ فيه من خيرات تستثمر وتنفع كل إنسان ، لأن المآل والمصير في النهاية الى محاسب دقيق على كل عمل الا وهو خالق الكون الذي ابدع كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ،

وارتقت مشاعر واحاسيس الفرد ، فبعد ان كان همه طلب القوت وتحصيل اسباب المعيشة عن طريق النهب والسلب والغارات ، اصبح يقدر قيمة العمل والكسب الشريف الحر ، والعمل اسمى قيمة حضارية يفخر بها الانسان ، بل هو ميزان الشعور بالمسئولية ، وسبيل تحقيق الوجود الذاتي ، وطريق القضاء على الفراغ ، وتحطيم عوامل اليأس والسأم والفتور والكسل ، وتحقيق التقدم والتحضر والتمدن .

وبرز مفهوم جديد هو العمل لخيري الدنيا والآخرة ، والاهتمام بالصالح العام ، ودعم عزة الامة ، والحفاظ على كرامة الجماعة . وتلاشت اعراف الجاهلية الفاسدة القائمة على الوثنية في الدين ، والفوضى في نظام المجتمع ، فحل القصاص المنظم محل عادة الأخذ بالثأر الفوضوية ، وشاع العفاف ليستأصل أوكار الفاحشة ، وبدا بوضوح ضرورة احترام المرأة ليحل محل المتاجرة بعرضها أو وأدها حية . واصبح الاحسان والحب بديلا عن التقاطع والتدابر وحب الذات ، وظهرت قيم جديدة انجبتها الهجرة : هي الحرية والعدالة الشاملة ، وتنشيط سبل العلم والمعرفة والثقافة ، وتوجيه القوة والجهاد نحو عدو أخطر يهدد وجود العرب كلهم ، لأن الاسلام الحقيقي لا يتم بدون التخلص من افكار بالية وعقائد فاسدة وطقوس جوفاء .

٢ ـ اقامة نظام الدولة :

تزدوج السلطة المدنية والدينية في تعاليم الاسلام ، فلا تنفصل احداهما عن الأخرى ، لأن الاسلام

دولة ودين ، ونظام حياة ، وعقيدة ودستور ، وعبادة ومنهج ؛ اذ لا أمل في انجاح المبادئ بدون سلطة .

وقد اثمرت الهجرة هذه المعاني الدقيقة ، فعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم ذو صفتين : كونه رسولا مبلغاً لوحي ربه ، وكونه حاكماً صاحب سلطة مدنية سياسية ، يفصل الخصومات ويقيم الحدود ، ويوفر الأمن ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقود الجيوش ، ويعقد المعاهدات ، ويحمي المسلمين ، ويوحد المواطنين ، فبعد ان كان مشركو مكة يعتقدون أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم دعوة دينية روحية خلقية ، فوجئوا بأنها أصبحت روحاً ومادة ، وقوة ومدنية ، واجتماعاً وحكومة وسياسة .

اقيمت الدولة على نفس الصورة او القاعدة التي تقوم عليها الدولة الحديثة بأركانها او عناصرها الثلاثة : وهي الشعب والوطن او الاقليم ، والسلطة السياسية او السيادة .

وفي المجال الشعبي حقق الرسول صلى الله عليه وسلم الوحدة الوطنية بين فئات المدينة ، فأزال الاحقاد والاحن الجاهلية ، وسوى المنازعات الحادة بين الأوس والخزرج اهل يثرب ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وعقد معاهدة امن وسلام ودفاع وتعاون بين المسلمين ويهود المدينة ، كل ذلك لتقوى القاعدة الداخلية لممارسة سلطان الدولة .

واصبحت المدينة مقر الهجرة ومبعث القوة ودار الاسلام ، وموطن المسلمين الجديد ، يدافعون عنه ، ويذودون عن حياضه ، بعد تشريع الجهاد للدفاع عن النفس : **(اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)** الحج / ٣٩ .

ومارست الدولة مظهر سيادتها الخارجي ، فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بارسال الكتب والسفراء ، وبعث البعوث الى ملوك وأمراء العالم ، وزعماء القبائل العربية يدعوهم فيها الى الاسلام خاتم الاديان والنبوات عقيدة ونظام حياة ، مما لا يصدر مثله الا عن قائد وصاحب دولة .

وكانت معاهدة الحديبية مع مشركي مكة في السنة السادسة من الهجرة نموذجا بينا لوجود المسلمين الدولي ، ومثلا يحتذى للمعاهدات السياسية التي تعقدها الدول المعاصرة ، شكلاً وموضوعا .

غير ان الفارق الوحيد : هو ان مصدر جميع السلطات التشريعية في دولة الاسلام هو الشرع ، وامر التنظيم متروك للحكام ومستشاريهم ، اما مصدر السلطات في الدولة العصرية فهو قانوناً للشعب : **(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)** المائدة / ٥٠ .

٣ ـ استقرار الحياة التشريعية :

عني التشريع المكي باصلاح العقيدة والاخلاق والسلوك ؛ لأنه الأساس الذي يبنى عليه غيره ،

ولاصلاح شأن العرب الذين اختارهم الله انصارا لدينه ودعاة اليه ، وذلك في مدى ثلاث عشرة سنة ، حتى برزت نواة العقيدة الصحيحة في نفوس الناس ، وتلاشت ضلالة الشرك .

ثم اتجه التشريع في المدينة نحو تنظيم حياة الفرد والجماعة في كل النواحي : في العبادات والمعاملات والجنايات والجهاد ، والقضاء والمواريث والوصايا ، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق ، والقربات الدينية من كفارات الأيمان ، ووفاء النذور وغير ذلك من كل ما تتطلبه الدولة من قوانين دستورية ودولية ومدنية وجنائية وشخصية ، لتحقيق الاستقرار والاطمئنان وتنظيم حياة الناس الاجتماعية والفردية . واصبح الكمال التشريعي في الأصول والمبادئ والقواعد العامة مع بعض التفصيلات الجزئية هو شعار الاسلام ومفخرة المسلمين : **(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)** المائدة / ٣ ، وكان يواكب نزول القرآن بيان السنة النبوية والتي لا يشك امرؤ عاقل في ضرورتها ووجودها وكونها تشريعاً ملزماً ، الا ان يكون جاحدا معانداً ، او هداماً منافقاً ، او حاقداً كافراً ، لقوله تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول)** النساء / ٥٩ : **(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)** النحل / ٤٤ ، وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم على من رد سنة صحيحة بذل العلماء في تحقيقها جهوداً جبارة ، فأثبتوا الصحيح ، وردوا الضعيف ، ونخلوا الآثار نخلا دقيقاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يوشك رجل منكم متكئاً على اريكته يحدث بحديث عني ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، الا وان ما حرمه رسول الله مثل الذي حرم الله » رواه ابو داود والترمذي ، وبدا حينئذ ان تاريخ وجودنا كأمة بالمعنى الصحيح . بدأ بالهجرة ؛ حيث انتقل المسلمون من الموقف السلبي الى الموقف الايجابي ، ومن مرحلة الصبر الى مرحلة الجهاد ، ومن بناء العقيدة الى تنظيم الحياة ، ومن الاضطراب والقلق الى الامن والاستقرار ؛ لأن الايمان والثقة بالله يمكن بهما التغلب على الكفر والتردد ، والخوف والتمزق .

والهجرة أقامت دولة ، وأنشأت أمة ، وكونت جماعة وانجبت نظاماً وقانوناً : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً)** النور / ٥٥ .

وقد امتن الله سبحانه على المؤمنين ، اذ يذكرهم بضعفهم وخوفهم السابق بقوله تعالى : **(واذكروا اذ انتم قليل**

مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايـدكم بنصره) الانفال / ٢٦ .

٤ ـ توفير مناخ التقدم وارسـاء دعائم الحضارة :

الاستقرار شرط ضروري للنهضة والتقدم وبناء الحضارة ، وهذا قد تحقق بالهجرة ، فبعد ان كان العرب يعيشون في ظلال كثيفة من الجهل والحيرة والتـردد ، وفي وسـط من الضلالة والظلمة والفساد اصبحوا بالهجرة ينعمون بنور العلم والمعرفة ، ويسيرون في فلك الهداية الربانيـة والنور الالهي ، وإرشاد القرآن .

وتقوم حضارة الاسلام على أساس الجمع بين مطالب الروح والمادة ، والقيم الخلقية والعمل ، ونحو ذلك مما أنجزته الهجرة في الواقع العملي ، من ضرورة الربط بين الخلق والعلم ، والعمـل والايمـان ، لأن الايمـان اساس العمل .

وانتشر الاسلام بفضل الهجرة في المشارق والمغارب ، وكان المسلمون الأوائل مثلا طيباً عالياً لكل فضيلة وتضحيـة وإخـلاص ، وترجمـوا بسلوكهم صورة الاسـلام النقيـة الصافية ، كما ارادها الاله في قرآنه العظيم لأن الهجرة كانت الرمز العملي للتضحيـة والايثـار والاخـلاص والتنـافس في الخـير ، وتجميـع الجماعـات ، وتـوحيـد الصـف ، والاستماتة في سبيل المبدأ . وكان بناء المسجد في قباء اول اعمال النبي بعد الهجرة ليصبح منبراً ومـركزاً وقاعدة للجماعة ولاعلام المسلمـين أحكام دينهم وقضايا امتهم .

فلولا الهجرة لم يكن هناك اسلام يذكر ، ولما كان للحضارة الانسانية نصيب من الاسلام ، وأوفى نصيب هو تعمير القلوب بالايمان ، والاندفاع نحو القيام بالواجب بالدوافع الذاتية التي لا رقابة لأحد عليها سوى رقابة الله في السر والعلن .

٥ ـ انتاج الكفاءات العالية :

كانت الهجرة محكاً قوياً لاختبار إيمـان الصحابـة ، ومعرفـة مدى صدقهم ، وتفانيهم في سبيل ارضاء الله ، فضحوا بأغلى ما لديهم من نفس ومال ، ورقد علي بن ابي طالب الفتى الشجاع في فراش النبي صلى الله عليه وسلم معرضاً نفسه لسيوف القتلة الذين بلغوا مائة ، انتدبوا من كل قبيلة ، ليتوزع دم رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبائل ، فلا يستطيع بنو عبد منـاف على حرب قومهـم جميعاً ، ويرضوا بالدية ، فيعطوها لهم . وتصبح اسرة ابي بكر كلها من رجال ونساء وخدم جنودا أوفيـاء لانجاح خطة الهجرة ، ومصاحبـة النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء السفر والمكوث في غار ثور ثلاثـة ايام ، بعد ان دخل ابو بكر الغار اولا ، باحثا وناظرا أفيه سبع او حية ، يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه . وترك مسلمـو مكة بلادهم وأموالهم واهلهم ، وهرعوا الى الهجرة الى المدينة ، فاستحقوا ثناء الحق تبارك وتعـالى عليهـم :

(للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) الحشر /٨ .

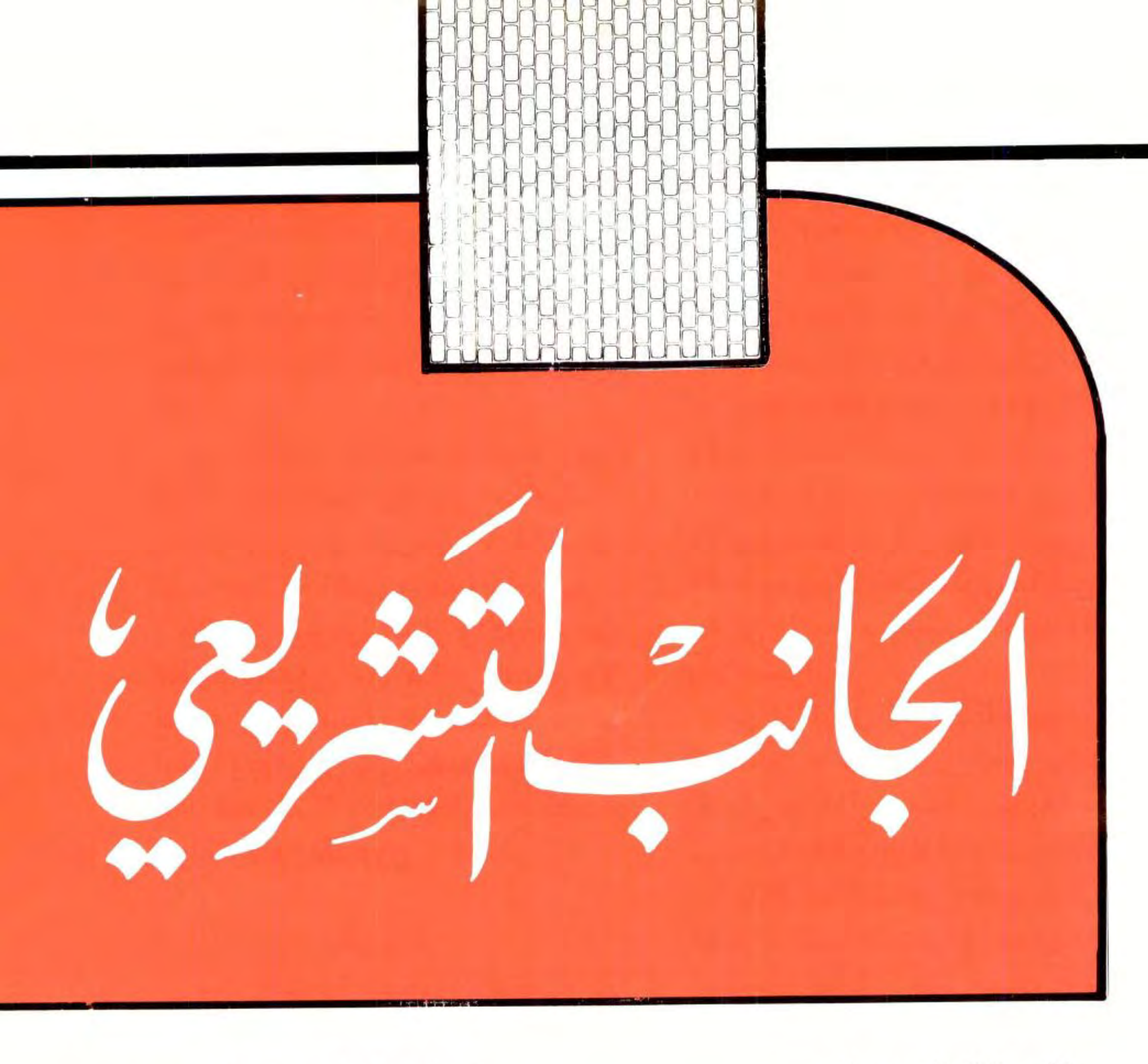
ويستقبلهم الانصار بالمدينة بروح عالية من الحب والايثار والفداء ، ويشاركونهم في ثرواتهم ، فكانوا أيضاً موضع تقدير ورضا من ربهم : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر /٩ .

٦ ـ التأريخ بالهجرة :

تمت الهجرة بدخول المدينة في الثاني عشر من ربيع الأول بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة سنة ٦٣٢ م ـ ٣٠ ايلول (سبتمبر) ، ونظرا لما حققته الهجرة من آثار عميقة بعيدة المدى في الحياة الانسانية ، ولما تجسد بها من قيم عالية ، جعلها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مبدأ التاريخ الاسلامي ، ووافقه الصحابة ، وأجمع المسلمون على رأيه . وهذا حق وصواب ؛ لأن الاسلام يخلد الأحداث العامة التي تحقق آثاراً كبرى وصريحة بين المسلمين ، ولأن التأريخ بالهجرة تجسيد للمعاني والقيم العالية التي اشرنا الى اهمها ، ولا يصح لمبتدع بعدئذ او مدع التجديد ان يغير ما اجمع عليه المسلمون ، او يربط تاريخ الاسلام بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قياساً على ربط التاريخ الغربي بميلاد المسيح عليه السلام مثلا ، لأن القضية في ميزان الاسلام لا ترتبط بالأشخاص ، فهم زائلون ، ولأن الذات التي تستحق وحدها التقديس والتمجيد والخلود هي الذات الالهية فقط ، ولأن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تعني طوي ما أتى به ، مع ان الاسلام يتسم بالخلود والبقاء والاستمرار .

بل ان نزول القرآن الكريم دستور المسلمين ، قد يكون احق بالتأريخ به ، لو لم ينزل منجماً ـ مفرقاً ـ على حسب الوقائع والمناسبات ، ولكنه بدأ ينزل ـ كما هو معلوم ـ في ليلة القدر ، ثم اكتمل في مدى ثلاثة وعشرين عاماً ، فلم يعد عنواناً صالحاً للتأريخ ببدء نزوله مثلا .

والهجرة اخيراً ليست مجرد تاريخ ، او حادث عابر يمر ، فنتذكره في لحظة زمنية محددة ، وانما هو امر حي في النفوس المؤمنة ورمز لأي نصر الهي يمكن ان يتحقق ويتجدد في كل زمن بتجدد صدق المؤمن ، وتجدد الايمان والعطاء ، وتنفيذ العهد مع الله في اي زمان ومكان : **(الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)** التوبة / ٤٠ .



ـ الرسالة المحمدية : ـ

أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، يقول تبارك وتعالى : **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)** سبأ/٢٨ . وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله ، فموسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل خاصة ، لقد اقتصرت دعوته على بني إسرائيل لدرجة انه حينما ذهب هو وهارون عليهما السلام الى فرعون قالا له : **(انا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل)** طه/٤٧ إن « موسى » ذهب إلى فرعون ليرسل معه بني اسرائيل ، ولم يكافح موسى عليه السلام الشعوب أو الأمم في سبيل دعوته .

و « عيسى » عليه السلام إنما أرسل إلى « خراف بني إسرائيل الضالة » على حد تعبيرهم القديم ، ولم يحاول عليه السلام أن يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها .

اما رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسله الله إلى الناس جميعا من حيث المكان ومن حيث الزمان : **(قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)** الأعراف/١٥٨ وقد تكفل الله تعالى بحفظ الكتاب الذي



للاستاذ/ محمد ابراهيم الخطيب

أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ضمانا لهذا العموم في الزمان والمكان وتحقيقا له : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ ومن أجل هذا الوعد بحفظ الوحي كاملا غير منقوص ، صحيحا غير مزيف ، كانت الحكمة الالهية في أن الانسانية لا تحتاج إلى رسول بعد الرسول ولا إلى نبي بعد النبي ، إنه صلوات الله وسلامه عليه خاتم الرسل وخاتم الانبياء ولقد امتزج صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة فكان هو هي ، شرحا وتفصيلا ، وكانت هي هو ، بيانا لمعدنه وجوهره وخلافة له ونيابة عنه .

ـ حديث عن سنة رسول الله : ـ

واذا جئنا الى الحديث عن سنة رسول الله وجدناها تتناول ما صدر عن رسول الله من أقوال وأفعال وتقريرات إن سنته القولية مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » رواه أحمد وابن ماجة .

كما قال فيما رواه البخاري ومسلم « إنما الاعمال بالنيات ... »

وسنته الفعلية : مثل إقامته الصلاة وأدائه الزكاة وصومه وحجه وتوضئه .

وسنته التقريرية : مثل إقراره

بعض ما صدر من أصحابه من قول أو عمل روي انه صلى الله عليه وسلم أقر ما تصرف به أحدهم عندما لم يجد وقودا في صباح يوم بارد فتيمم رغم وجود الماء ، ولقد أمرنا القرآن الكريم بأن نأخذ ما أتى به صلى الله عليه وسلم ، ونتجنب ما ينهى عنه إذا رآه من غيره ولم يقره ، وذلك بمثل النص الكريم : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**) الحشر/ ٧ وينبغي أن نعرف أن سنن رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حجة على المسلمين وقانون واجب عليهم أن يرجعوا إليه وأن يتبعوا أحكامه ، ذلك لأن القرآن الكريم هو القسم الاول من القانون الدستوري الاسلامي وقد تحدثت عن ذلك في العدد ١٨٨ من الوعي الاسلامي الصادر في شعبان عام ١٤٠٠ هـ .

والسنة هي القسم الثاني ، وقد استدل جمهور المسلمين على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى كما أمر بطاعته أمر بطاعة رسوله حيث يقول جل جلاله : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) النساء/ ٥٩ . ويقول : (**يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**) الانفال/ ٢٤ ، وكما حرم سبحانه على المؤمن أن يعصيه حرم عليه أن يعصى رسوله فقال : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) الاحزاب/ ٣٦ وفي القرآن الكريم ايات عديدة تنفي الايمان عمن لا يطمئن إلى أحكام الرسول ولا يسلم لها يقول سبحانه : (**قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين**) آل عمران/ ٣٢ . وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن الاعراض عن طاعة الله أو عن طاعة الرسول كفر ، وما من شك في أنه كفر ، ذلك أن من أركان الايمان ، الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأن كل ما أتى به صدق ، فالتولي عنه استخفافا أو جحودا وإنكارا أو عنادا ومماراة كفر يخرج به المعرض عن دائرة الاسلام .

ويقول الله تعالى في طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام حينما يفرده بالحديث : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**) النساء/ ٦٥ ويقول : (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) النور/ ٦٣ ، ويقول عليه الصلاة والسلام . فيما رواه أبو داودوالترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب قال : قال صلى الله عليه وسلم :

« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله ... » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبيه : ـ

« لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » .

وأحكام الرسول هي ما صدرت عنه قولا أو فعلا أو تقريرا ، وهي قانون واجب اتباعه في حياته وبعد مماته وقد كان الصحابة في حياة الرسول وبعد موته إذا عرض لهم حادث وأرادوا معرفة حكمه رجعوا الى كتاب الله فإن وجدوا حكم ما عرض لهم اتبعوه ، وان لم يجدوا في القرآن حكم ما عرض لهم رجعوا إلى الرسول في حياته وسنته بعد مماته . روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه الى اليمن فقال له « كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ » قال : أقضي بكتاب الله . قال : « فإن لم يكن في كتاب الله ؟ » قال : فبسنة رسول الله . قال : « فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ » قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله » .

وجاء فيما رواه أصحاب السنن : عن قبيصة بن ذؤيب رضي الله عنه قال : جاءت الجدة إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها . فقال : مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا فارجعي حتى أسأل الناس . فسأل فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل قوله : فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه قال : ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر رضي الله عنه فسألته ميراثها فقال : ما لك في كتاب الله شيء وما كان القضاء الذي قضى به الا لغيرك ، وما أنا بزائد في الفرائض ولكن هو ذلك السدس فان اجتمعتما فيه فهو بينكما وأيكما خلت به فهو لها .

وأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالته المشهورة إلى أبي موسي الاشعري يقول فيها : « سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة » ويقول له « الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة » .

ـ تساؤل عن موقف سنة الرسول من القرآن : ـ

وإذا تساءلنا ما موقف سنة الرسول بالنسبة إلى القرآن وجدناها لا تخرج عن حالات ثلاث :

١ ـ إما أن تكون سنة مبينة ومفصلة لنص جاء مجملا في القرآن . وذلك مثل سنته العملية في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت فانها تبيين وتفسير لقول الله تعالى : **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** البقرة/٤٣ ولقوله : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** البقرة/١٨٥

ولقوله : (**ولله على الناس حج البيت**) آل عمران/٩٧ فلولا تبيين الرسول لهذه النصوص المجملة ما أمكن تنفيذها ، وهذا التبيين جعله الله لرسوله لأن وظيفة الرسول أمران : تبليغ ما أوحى إليه من ربه ، وتبيين ما يحتاج الى التبيين من مجمله ، يقول الله تعالى : (**يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**) المائدة/٦٧ ويقول : (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**) النحل/٤٤ ويقول : (**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة**) البقرة/١٥١ .

٢ ـ وأما أن تكون سنة مؤكدة ومقررة لما جاء في القرآن وذلك مثل السنن التي أمرت بما أمر به القرآن من التوحيد وبر الوالدين والعدل والاحسان وأداء الأمانات ، والتي نهت عما نهى عنه القرآن من الزنا وشهادة الزور وقتل النفس التي حرم الله قتلها .

٣ ـ واما ان تكون سنة منشئة وشارعة حكما في واقعة لم يذكر حكمها في القرآن ، وذلك مثل ما جاء في السنن من أنه لا يجمع في الزواج بين البنت وعمتها والبنت وخالتها ومن أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، ومن تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ومن أن ما بقي من الارث بعد ذوي الفرض لأقرب عاصب ، ونحو هذا . ومن الواجب أن نذكر أن سنن الرسول عليه الصلاة والسلام لا تعارض حكما جاء في القرآن لأن رسول الله مأمور بأن يبلغ الناس ما أنزل اليهم ليتبعوه ولينفذوه ، فلا يصدر عنه ما يخالف الوحي الذي أمر باتباعه .

ـ هل السنن كلها تشريع عام ؟!

ونتساءل بعد ذلك : هل السنن التي صدرت عن رسول الله كانت كلها تشريعا عاما حجة على المسلمين في كل زمان ومكان ؟ ونجيب بأنها لم تكن كلها تشريعا عاما وحجة على المسلمين في كل زمان ومكان ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم له صفتان : صفة أنه بشر مثل أفراد الناس في بشريتهم وإنسانيتهم ، وصفة أنه رسول اصطفاه الله تعالى ليوحي إليه ، وليبلغ للناس ما أنزل إليه من ربه ، فمن ناحية أنه بشر صدرت عنه أقوال وأفعال ، والحجة على المسلمين هو ما صدر عنه بصفته رسولا يشرع للمسلمين أحكاما ليأتسوا بها وليتبعوها ، وما صدر عنه بصفته بشرا مثل سائر البشر فليست حجة على المسلمين ولا هي قانون عام ويترتب على ذلك ما يأتي : ـ

١ ـ أن السنن القولية أو الفعلية التي رويت في أكله صلى الله عليه وسلم وشربه ومشيه ولبسه ونومه وركوبه وقعوده ونحو هذا مما صدر عنه بمقتضى طبيعته الانسانية وحاجته البشرية ، ليست تشريعا عاما ولا قانونا يجب اتباعه ، فما روي عن الرسول من أنه كان أحب الثياب اليه ثوب يماني مخطط من قطن أو كتان ،

وكان أحب الطعام إليه الدباء ، وأنه كره لحم الضب ونحو هذا لا يعد تشريعا عاما ولا يوجب على المسلم حب ما أحبه ولا كره ما كرهه لأن مرجع هذا إلى المزاج الانساني لا إلى الحكم الديني . ولذلك وجدنا أئمتنا وعلماءنا الحريصين على اتباع السنة لا يتقيدون بشكل ولا بجنس ما كان يلبسه الرسول ، ويختلف بعضهم عن بعض فيما يلبسون جنسا وهيئة ، ولا يتقيدون بنوع ما كان يأكل ولا بهيئة طبخه ولا يتقيدون كذلك بأن يمشوا كما كان يمشي أو يركبوا ما كان يركب .

٢ ـ السنن القولية أو الفعلية التي صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تدبير مسألة دنيوية أو واقعة حربية بناء على تقديره وتفكيره وتجاربه كتعيينه مكانا لينزل الجنود فيه ، ووصفه دواء لمرض ومشورته في زراعة أو تجارة أو مضاربة ونحو هذا مما يظهر فيه أنه وليد الرأي لظرف خاص ، وليس صادرا عن الوحي ، لا تعد تشريعا عاما ولا قانونا واجبا اتباعه ..

عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخي استطلق بطنه يريد الاسهال ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسقه عسلا » فسقاه ثم جاء فقال : سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال له « ثلاث مرات » ثم جاء الرابعة فقال « اسقه عسلا » فقال : لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذب بطن أخيك » . فسقاه فبرأ . « متفق عليه » . لا يدل هذا الحديث على أن شراب العسل دواء من أي مرض باطني لأي مريض ، لأن هذا صدر عنه صلى الله عليه وسلم بناء عن تجاربه بوصف أنه إنسان لا عن وحي إلهي . وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم مر على نفر يقومون بتأبير النخل (أي تلقيحه) بنقل المذكر منه إلى المؤنث فقال لهم « لو لم تفعلوا لصلح » أي انه لا داعي لهذا العمل وأنهم لو تركوه بدون تلقيح لأتى بالثمر ، واستمع القوم الى قول رسول الله ، ولم يقوموا بتلقيح النخل كما اعتادوا فلم يثمر النخل ، وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقصوا عليه أمر نخلهم فقال لهم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » . يعني أنتم في حل من التقيد بقولي .. والغريب أن بعض الناس يسيئون فهم هذا الحديث ويريدون أن يتخذوا منه مبررا لكي يشرعوا لأنفسهم بحجة أنهم أبصر بشؤون دنياهم ، ونسوا أو تناسوا أن هناك فرقا بين الأمر التجريبي العملي الذي يكون الفيصل فيه للتجربة التي لا تخضع للهوى الشخصي ، ولا تختلف فيه الآراء ، وبين الأمر النظري الذي تختلف فيه الأهواء والمذاهب فنحن أبصر بشؤون دنيانا فيما يختص بالأمور المادية والعلمية الناتجة من التجارب المعملية الصماء التي لا تحتمل التأويل والاختلاف ، وتلك الامور لا نستمع فيها لرأي ولا مشورة أما بالنسبة للأمور النظرية

والفكرية التي يدخل فيها الهوى الشخصي وتحتمل تعدد الآراء فان التشريع قد جاء ليحمينا من تلك الأهواء التي تدعو إلى الاختلاف والمصلحة الشخصية ، ولقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء فيما يختص بهذا التشريع الذي تختلف فيه الأهواء فقط .

٣ ـ السنن القولية أو الفعلية التي صدرت عن الرسول ودلت القرائن على أنها صدرت منه بناء على ظرف خاص أو عرف خاص ، أو مراعاة لمصلحة خاصة لا تعد تشريعا عاما لكل بيئة في أي زمن ، روى مسلم والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « خالفوا المشركين ، وأحفوا الشوارب وفروا اللحى » .

وفي عبارة الحديث ما يدل على أنه تشريع قومي زمني ، وليس إلزاما بشعار ثابت دائم ، ولو كان من عادة المشركين في عهد الرسول توفير اللحي وإعفاء الشوارب لقال الرسول وفروا الشوارب وأحفوا اللحي .

في مواجهة أعداء السنة :

أخي القارىء : إن أعداء الاسلام بدءا من غلاة المستشرقين والملحدين وانتهاء بكل ضال أو مضل في الشرق أو في الغرب يحاولون النيل من الحديث النبوي والسنة المشرفة بالتشكيك فيها والزعم بأنها من نسيج روايات الرواة حتى أنهم تطاولوا على أصدق كتاب بعد كتاب الله باتفاق علماء الاسلام وهو « صحيح البخاري » وشككوا في رواة البخاري كما فعل المستشرق المجري (جولد زيهر) حينما طعن في أبي هريرة وفي كل ما يتصل بالسنة ، والواقع أن أمثال هؤلاء حينما يحاولون تحطيم السنة النبوية إنما يهدفون إلى هدم التشريع الاسلامي كله ، فلا يمكن تصور البناء الاسلامي بغير أقوال وأفعال وتقريرات نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام الذي وصفه رب العزة في قرآنه الكريم بقوله : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى**) النجم/٣ و ٤ . وإن مجرد النظرة إلى دور السنة النبوية في تشريع كل ما يتصل بالدين يجعل المرء يدرك أن السنة هي الأساس الثاني للتشريع وفيما يلي أمثلة سريعة سيجد الناس فيها أي جناية ترتكب ضد الاسلام إن هم استمعوا إلى هؤلاء الحاقدين والجاهلين : ـ

أ ـ في العبادات : شرعت السنة الطهارة والتيمم والمسح على الخفين وبينت عدد ركعات الصلاة ومواقيتها ، وانه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وبينت أيضا كيفية صلاة الجمعة وصلاة العيدين وصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء والجنازة وأحكام الأذان ومبطلات الصلاة وأحكام السهو والجمع بين صلاتين في السفر وأحكام صلاة القصر .

ـ وفي الزكاة حدد النصاب والمقدار الواجب إخراجه وأحكام صدقة الفطر وما يجب في الركاز .

ـ وفي الصيام شرعت كفارة الفطر

المتعمد في رمضان وأحكام الحامل والمرضع والأعمال الشاقة .
- وفي الحج جاء الحديث الشريف « خذوا عني مناسككم » رواه مسلم والترمذي .
ب - في المعاملات : - حرم الرسول بيع الخمر والميتة والأصنام وبيع الغرر والمرأة ، وحرم النجش وبيع الثمرة قبل بدو صلاحها وبيع ما لا يملك .. الخ .

وشرع خيار البيع وبين أحكام الشفعة والسلم والرهن وحرم الاحتكار وبين أحكام الشركات والقراض والهبة والوقف والاجارة والاعارة والربا ..الخ .
جـ - في حقوق الأسرة : بين الرسول أن الثيب أحق بنفسها ، وأن البكر يستأمرها أبوها ، وأوجب الزواج على الشاب المستطيع ، وحرم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها قياسا على تحريم الجمع بين الأختين ، ونهى عن نكاح المتعة وبين أحكام الطلاق وبين أن الوصية تكون في الثلث .. الخ .
د - في الحدود : بين حكم الردة والزنا وشرب الخمر والديات .
هـ - في الحلي والثياب : حرم الحرير والذهب على الرجال والأكل في صحاف الذهب والفضة والشرب في أوانيها ، وحرم الحمر الأهلية وما له مخلب من الطير وناب من الوحوش وحرم قليل الخمر قياسا على كثيره ، كما حرم كل مسكر ومخدر ومؤثر في العقل قياسا على الخمر .
و - في الجهاد : بين أحكام شهيد الدنيا والآخرة وشهيد الدنيا فقط والآخرة فقط ، وحرم التمثيل بالقتلى وشرع للفارس سهمين وللراجل سهما ... الخ .
ز - في الثروة الأخلاقية هناك بحر من المثل العليا فمن أحب الله اتبع رسوله واقتدى به .
(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران/ ٣١ .

وبقيت كلمة لا بد منها وهي أن أئمة الحديث خدموا أحاديث الرسول الكريم أعظم خدمة ، وكتب الصحاح والمسانيد تزخر بها المكتبات ، والأحاديث الموضوعة لا تخفي على الأذكياء والعلماء وبخاصة أن موضوعها يدل عليها . إنه لا يمكن الدعوة إلى ترك النقد الجيد لوجود نقد زائف ولا إلى ترك الورود والرياحين لوجود أعشاب في الطين ، ولا يمكن للمسلمين أن يتركوا الأحاديث الواضحة مثل الشمس والمجمع عليها والتي بدونها يصبح القرآن الكريم بلا مضمون بدعوى الأحاديث اللاغية التي تفضح نفسها ، ورحم الله العلامة « **الشاطبي** » الذي ذكر في كتابه (**الموافقات**) أن الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم خارجين على السنة إذ عولوا على أن الكتاب فيه بيان كل شيء فاطرحوا أحكام السنة ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله ، ورحم الله الامام الشافعي - الذي قال عن المنكرين للسنة « إن هؤلاء ليسوا من الاسلام في شيء » وصلى الله على صاحب السنة الشريفة أفضل صلاة وأزكى سلام .



للدكتور محمد محمد الشرقاوي

حكمة مشروعية البيع بصفة عامة أعرف من أن تعرف ، وأوضح من الشمس في رابعة النهار والبدر في ليلة التم والازدهار .. لأن كل انسان له حاجة إلى ما في يد الآخر غالبا ، وقد لا يبذل العطاء ، ولا يرفد الصحاب .. فمست الحاجة الى تبادل ما في الأيدي ، وتناول ما عند الآخرين ، بمقابل مدفوع ، باذن مشروع .. فكان لا بد من البيوع التي عرفتها اللغة : بأنها تمليك مال بمال وزاد فيها الشرع بالتراضي لاعلى وجه التبرع .. أخرج ابن ماجة وابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم (انما البيع عن تراض) والحديث الشريف تفسير لقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم**) النساء / ٢٩ . لان الحديث عبر عن التراضي بأداة الحصر وهي انما ونتيجة ذلك ان كل بيع خلا من الرضا فهو بيع باطل عند الله تعالى لا يحل تعاطيه .

وقد أحاطت الشريعة البيع الصحيح بضوابط وشروط لا بد من مراعاتها حتى لا يدخل تحت طائلة

النهي والحظر الشرعي منها : عقل البائع وتمييزه ، والمال المتقوم المقدور التسليم ، والملك والولاية على كل من الثمن والمثمن .. وفي الحديث الشريف (ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل : « أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور ») رواه البزار وصححه الحاكم .. قال الحافظ ابن حجر : « وفوق ذلك ما يكسبه الرجل من أموال الكفار بالجهاد وهو مكسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى » ومعلوم أن كسب الجهاد نوع من عمل الرجل بيده .. فهو داخل في عموم كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم .

ومن أهم شروط البيع المصححة له شرعا ، وجود المبيع فعلا وواقعا . حتى ينتفي الغرر والجهالة المفضية الى النزاع .. فنهى عن بيع حبل الحبلة كما في الحديث المتفق عليه ومعناه أن يشتري الرجل حمل ولد الناقة من دون اشتراط الولادة ، وعلة النهي كما اشار اليه البخاري حيث صدر الباب ببيع الغرر : هو كونه بيع معدوم ومجهول وغير مقدور على تسليمه .. وكان بيعا شائعا في الجاهلية ، فأبطله الشرع وعن ابي هريرة عند مسلم « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر) وبيع الحصاة يشبه القمار .. لأنه بيع ما تقع عليه الحصاة التي يقذفها البائع على مجموعة من السلع المرصوصة بثمن واحد ولفظ الغرر يشملها .. وانما خصت بالذكر لشيوعها في زمان صدور الحديث ، والغرر معناه الخداع .. ويتحقق في صور منها : عدم القدرة على التسليم حالا .. اما لكون المبيع غائبا غيبة بعيدة او معدوما ، او مجهولا في قدره ونوعه ، وقد يعفى عن بعض الجهالات التي لا تفضي الى ضخامة حجم الجهالة .. ولا تؤدي الى نزاع عادة ويجري بها العرف ، مثل الاجارةشهرا مثلا مع انه قد يكون ثلاثين يوما او تسعة وعشرين وبيع ثوب مبطن لا ترى بطانته ، ودخول حمام لا يدري كمية الماء المستهلك فيه ونحو ذلك .. واجمعوا على بطلان بيع الاجنة في بطون امهاتها ، والطيور في اجوائهاوالاسماك في امواهها .. وعن بيع الثمار في البساتين قبل ظهورها اذا تعينت اشجارها ومن صور الجهالة والغرر استثنيت وبرزت في افق الفقه صورة فريدة في بابها .. كثيرة في تداولها ، وهي بيع المحاصيل الزراعية وقيس عليها غيرها كما سنبين ـ وذلك قبل زراعتها وقبل حرث الارض لها .. واتخاذ الاهبة لانتاجها .. أي إنه يجوز شرعا بيعها بأي مقدار معلوم في كمه وجنسه ونوعه مما تنتجه الأرض ويدخل فيها ثمار النخيل وغيرها ، وهي لما تزل شائعة في ضمير الغيب .. على ان يسلم ثمنها في مجلس العقد او قريبا منه بيوم او بيومين ـ كما يرى المالكية ـ وذلك نظرا للحاجة الاجتماعية الماسة الى شرعية هذا اللون من التعامل .. فان الناس .. بين غنى بماله .. فقير بخبرته .. وبين خبير

بزراعته .. مقل في امكانياته .. فكان لا بد من التعاون المثمر بين طرفي المجتمع حتى لا تتعطل الأعمال ، ويقع الناس في الحرج . فشرع ما سمى ببيع (السلم) وحقيقته شرعا : بيع موصوف في الذمة ببدل مالي يدفع عاجلا ، ولم يخالف في شرعيته الا ابن المسيب .. وهو بهذا مخالف لاجماع الفقهاء فلا عبرة بخلافه واتفقوا على انه يشترط فيه ما يشترط في البيع المطلق من شروط الصحة والنفاذ ، وعلى ضرورة تسليم البدل النقدي في نفس مجلس العقد .. ومالك رحمة الله تسامح في تأخيره يوما او يومين ، ولا بد من تقديره بكيل معلوم او وزن معلوم .. فان لم يكن مما يكال ويوزن .. ذكر عدد معين ، ووصف يزيل الجهالة ، ويرفع النزاع .. والسلم من هذه الزاوية مخالف للقياس لأنه بيع المعدوم وعقد على الغرر .. ولكن القياس ترك اعتباره لما ورد فيه من احاديث خاصة منها .. ما أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فقال : من أسلف في ثمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم » وفي لفظ البخاري : « من اسلف في شيء » وهو اعم من الثمر ، وروى البخاري عن عبدالرحمن بن ابزي ، وعبدالله بن ابي اوفى قال : (كنا نصيب المغانم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأتينا انباط الشام - أي زراع من الشام - فنسلفهم في الحنطة والشعير والزبيب .. وفي رواية والزيت الى أجل مسمى قيل : أكان لهم زرع .. قالا : ما كنا نسألهم عن ذلك » وقد استدل جمهور الفقهاء بالاحاديث السالفة الذكر على شرعية السلم وعلى انه على خلاف القياس لانه بيع المعدوم لان المقصود الأصلي في البيع هو المثمن لا الثمن وهذا اولى من قياسه على البيع بالثمن المؤجل .. ولكن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهو ترجمان القرآن .. قد رأى ان السلم قد ثبتت شرعيته بالكتاب العزيز فضلا عن السنة الصحيحة فقد أخرج الحاكم في المستدرك بسنده وصححه على شرط الشيخين عن قتادة عن ابي حسان الأعرج عن ابن عباس قال : « اشهد ان السلف المضمون إلى أجل مسمى - وهو السلم - قد أحله الله في الكتاب وأذن فيه وأنزل فيه أطول آية في كتابه .. وتلا قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين إلى اجل مسمى فاكتبوه**) البقرة / ٢٨٢ .. والجمهور على ان هذه الآية الكريمة في عموم الديون كلها سواء كانت سلما ام غيره والمقصود بها الارشاد الى الاستيثاق بكتابة الديون التي تحل في الذمة خوفا من النسيان او الجحود ودفعا للنزاع والشغب ، وفي كتاب الهداية جـ ٥ ٣٢٤ (والسلم جائز في المكيلات والموزونات والمراد بالموزونات ما عدا الدراهم والدنانير لانها اثمان ، والمسلم فيه لا بد ان يكون مثمنا لا ثمنا ويصح كذلك في المذروعات - اي ما يمكن

ضبطه بالاذرع كالثياب مع ذكر صفتها وطريقة صناعتها ، ويصح كذلك في المعدودات المتقاربة الآحاد كالبيض الحاقا بالمكيلات والموزونات ، والكبير والصغير سواء لاصطلاح الناس على اهدار التفاوت في ذلك بخلاف البطيخ والرمان لتفاوت آحاده تفاوتا فاحشا .. ولا يجوز في الحيوان لتفاوته في المعاني والأوصاف تفاوتا فاحشا ، ولا بأس بالسلم في الطوب وكل ما امكن ضبط صفته ومعرفة مقداره .. ولما كان كثير من أصحاب رؤوس الأموال يلجأ الى الابتزاز والحاق الضرر بالمزارعين الفقراء .. فيشتري منهم الى أجل .. بثمن بخس يلحق بهم الاذى مستغلا فيهم ضعف الامكانيات ، وقلة ذات اليد .. فيضطرون اضطرارا الى قبول الاثمان الزهيدة ، وبذل المبيعات القيمة .. كان لا بد من التنبيه الى ضرورة تحقيق العدل في التقدير ، وتقوى الله في معاملة المحتاجين .. وان نضع في الاعتبار القاعدة العامة لتنظيم التبادل بين الناس في اي قطاع من قطاعات البيوع ، وهي قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« انه لا يحل مال امرىء الا بطيب من نفسه » رواه احمد .. وطيب النفس في هذا الحديث هو المعادل للتراضي المشروط في كل عمل تجاري يجري فيه التعامل بين الناس .. والتراضي عمل من اعمال القلوب وهو خفي لا يمكن الاطلاع عليه الا بدليل ظاهر .. وليس يكفي فيه مجرد النطق بالايجاب والقبول ، فقد يكون ذلك تحت ضغوط مختلفة .. وانما المهم فيه توفير الضمانات الكافية لتحقيق الانصاف بين البائع والمشتري ولا سيما في جانب السلم ، وذلك بمراعاة الاسعار السارية بين الغالبية من المتعاملين ، والتي ينتفي فيها الجشع والاضرار بالناس ، وفي الحديث الشريف « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد وابن ماجة وهي قاعدة عامة تنطوي فيها كل انواع التصرفات وبعد فقد تبين لنا من خلال هذه العجالة :

١ ـ ان شرط صحة البيع انتفاء الجهالة والغرر بصفة عامة سواء الثمن في جانب الثمن أم في جانب المثمن ليقوم التعامل بين الناس على اساس من الصراحة والوضوح والبعد عن الخداع والغش والتدليس .

٢ ـ انه استثنى من هذا الشرط بيع السلم الذي هو بيع أي أصناف يمكن وصفها وتحديدها في الذمة وصفا ، وكما ، ونوعا ، وعددا ، وكيفية حتى تزول الجهالة المفضية الى التنازع والخصومة بشرط دفع الثمن حالا .

٣ ـ ان بيع السلم على خلاف القياس اصلا ، ولكن ترك هذا الاعتبار وابيح التعامل فيه مراعاة لمصلحة ارجح وهي الحاجة الداعية الى انتفاع الغني بخبرة الفقير ، والفقير بمال الغني فشرع بالسنة ..

٤ ـ انه لا بد حين تسعير الاصناف من مراعاة التقوى والرحمة بحيث يكون السعر مما ينتفي به الجشع ومما يدخل تحت تقويم المقومين بلاابتزاز ولا استغلال ولا قسوة

ثبوت النسخ في القرآن الكريم

للاستاذ / مصطفى عبد الله العريس

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عالمين بأحكام الدين الناسخة منها والمنسوخة في معظمهم لمعاصرتهم من الابتداء لنزول تلك الاحكام ، وحضورهم في غالبهم اوقات نزول الوحي والاحكام والتشريع من قرآن وأحاديث . وقد حرصوا على نقل كل ما علموه من امور الدين الى من بعدهم من التابعين ومن جملتها كل ما يتعلق بالنسخ في الكتاب والسنة . رغبة في ان يؤدوا ما اؤتمنوا عليه من الدين وفي ان يكون لهم نصيب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المرغب في نشر العلم وتعليمه القائل : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له » رواه البخاري .

لقد سمعت ان بعض العلماء المعاصرين انكروا وقوع النسخ في بعض احكام الشريعة الاسلامية ولم يسلموا بما أتي به المتقدمون من الادلة على وقوع النسخ في القرآن والحديث ، وراحوا يفسرون الآيات والأحاديث الدالة على وقوع النسخ تفسيرا خاطئا بعيدا عن الصواب والحقيقة ، فاستغربت ما سمعت عنهم ، ورغبت في الرد عليهم بايراد ما اثبته العلماء الاعلام في حقيقة وقوع النسخ في الشريعة الاسلامية وفي الشرائع قبلها ، لأن نسخ بعض الأحكام هو من سنة الله في شرائعه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، لذلك اقول :

ان العلماء الذين يقرون بوقوع النسخ يرون ان نسخ بعض الاحكام

في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من الحكمة الدقيقة في تدرج التشريع تبعا لتطور الفطرة ومتطلبات الحياة ، للانتقال بالمكلف من حسن الى أحسن ومن قويم الى اقوم ، ومن واجب فرض الى اباحة مستحبة ، ومن اباحة الى تحريم ، ومن تحريم محدد الى تحريم مطلق ، وهكذا .. وان النسخ في القرآن كان بالقرآن ، وفي السنة بالسنة ، وفيما بينهما ايضا لوحدة علاقة الوحي فيهما مع التفاوت بينهما . والله سبحانه وتعالى يقول : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**) البقرة ١٠٦ .

لقد كان القرآن يوحي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى جميعا ، فوجبت المحافظة عليه لفظا وترتيبا وترتيلا . والسنة كان يوحى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بالمعنى واللفظ تارة كما في بعض الاحاديث القدسية ، وتارة بالمعنى فقط دون اللفظ كما في باقي الاحاديث النبوية التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغها للناس بما أوتي من جوامع الكلم وحسن الاختيار عليه الصلاة والسلام . والقرآن والسنة كلاهما جميعا وحي من الله تعالى ، عليهما تقوم أسس الشريعة الاسلامية ، يقول الله جل جلاله في ذلك : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى**) النجم ٣ و ٤ . ويلزمنا الله سبحانه بهما بقوله : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**) الحشر/٧ . والآيات بهذا المعنى في القرآن كثيرة .

ولما كانت احكام الشريعة الاسلامية نزلت في القرآن الكريم مجملة غالبا وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مفصلة واضحة . ولما كان في هذه الاحكام ما هو ناسخ وما هو منسوخ ، فانه لن يتوصل احد الى معرفة الاحكام المقررة الثابتة في الشريعة إلا اذا كان له معرفة وإلمام بالناسخ والمنسوخ .

لقد كان الصحابة الكرام عالمين باحكام الدين ناسخه ومنسوخه لانهم عاصروا الوحي من ابتدائه ، ومن تأخر اسلامه منهم أخذ هذا العلم عن السابقين في الاسلام ، فكانوا يسألون بعضهم بعضا ويتلقون عن بعضهم البعض فيما غاب عنهم أخذ ه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن هذا حال المتأخرين في الاسلام بل كان هذا شأن الذين يتعاطون الصفق في الاسواق ايضا عندما يفوتهم امر حكم من الاحكام لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان كل واحد منهم مدرسة او استاذا للآخر .

الشافعي واضع اسس النسخ :

والعلماء الأوائل بعد الصحابة رضوان الله عليهم عنوا بالتحقيق التام والبحث للوصول الى معرفة الاحكام الثابتة ، فكان لا بد لهم من الالمام بعلم الناسخ والمنسوخ فألفوا في ذلك الكتب القيمة فسهلوا الكثير على المتأخرين .

وان اول من اهتم من هؤلاء العلماء وكتب في النسخ في الشريعة الاسلامية هو الامام محمد بن ادريس الشافعي صاحب المذهب رضي الله عنه . فاثبت ذلك في كتابه : الرسالة ، وان كان الامام الزهري قد سبقه بشيء من هذا ولكن الشافعي لخصه وامعن فيه .

جاء في كتاب الاعتبار للهمداني ص ٣ ما يثبت ذلك بما يأتي :

لا نعلم احدا جاء بعد الزهري تصدى لفن الناسخ والمنسوخ ولخصه وأمعن فيه وخصصه الا ما يوجد من بعض الايماء والاشارة في عرض الكلام عن احد الأئمة ، حتى جاء ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ، فانه خاض تياره وكشف اسراره ، واستنبط معينه واستخرج دفينه واستفتح بابه ورتب ابوابه .

الامام احمد بن حنبل يشهد بذلك أيضا للشافعي رضي الله عنهما .

اخبرنا الامام ابو عبد الله الحسن ابن العباس الفقيه في كتابه عن ابي مسعود الحافظ انا احمد بن عبد الله ثنا محمد بن حميد بن سهل ثنا عبد الله بن محمد بن ناجية قال : سمعت محمد بن مسلم بن وارة قال قدمت من مصر فأتيت ابا عبد الله احمد بن حنبل اسلم عليه فقال لي : كتبت كتب الشافعي رضي الله عنه ؟ قلت لا . قال : فرطت . ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه حتى جالسنا الشافعي رضي الله عنه .

ان لعلم الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة كبرى في التشريع الاسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة الشريفة فهما مصدر الاحكام ومنشؤها . ولا يستطيع احد ان يعلم الاحكام ويتثبت منها ان لم يحط بهذا العلم ، وهو فن مستصعب كتب فيه الكثيرون فأعياهم ، لذلك انكره من انكره لصعوبته عليهم ففضلوا انكار وجوده على التمرس والالمام به .

شهادة الامام الهمداني بصعوبة علم النسخ .

يقول ابو بكر الهمداني في كتابه الاعتبار : ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنسوخه علم جليل ذو غور وغموض ، دارت فيه الرؤوس وتاهت في الكشف عن مكنونه النفوس ، وقد توهم بعض من لم يحظ من الآثار الا بأثار ، ولم يحصل من طريق الاخيار الا الاخبار ، ان الخطب فيه جلل يسير غير كثير ، ومن أمعن النظر في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في الاحكام المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، اتضح له ما قلناه . ويشهد لصحة ما رسمناه ، ما اخبر به ابو موسى محمد بن عمر الحافظ انا ابو علي الحسن بن احمد انا ابو نعيم ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحق ثنا عبدالله بن سعد ثنا هارون بن معروف ثنا عمر بن رجاء ابن ابي سلمة عن ابن رزين قال : سمعت الزهري يقول : أعيى الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من

منسوخه .

الله يأمر بالأخذ عن رسوله القرآن والسنة جميعا .

اوضح الله سبحانه وتعالى للناس احكام الاسلام على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن تارة وبالحديث تارة اخرى ، فانه سبحانه جل شأنه انزل القرآن هداية للناس ومعجزة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة باقية خالدة ، ثم اعطاه السنة وهي الحكمة التي ذكرها في كتابه العزيز بقوله :(**كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة**) البقرة/ ١٥١ .

اعطى الله رسوله السنة مفصلة ومفسرة وشارحة للكتاب واثبت ذلك بقوله جل جلاله : (**وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون**) النحل/ ٤٤ .

وتمم تعالى شريعته بالقرآن والسنة بعد ان بدل جل وعلا بعض هذه الاحكام ومحا واثبت منها ما فيه مصلحة عباده ، من غير سهو منه ولا جهل ولا نسيان ، بل لحكمة أرادها ومنفعة لهم ساقها ، وأمرهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في الاخذ والترك ، في العمل بالناسخ وترك المنسوخ من احكام شريعته لأن الرسول هو وحده المكلف بتبليغهم اوامر الله في جميع الاحوال ، فيقول تعالى : (**من يطع الرسول فقد اطاع الله**) النساء/ ٨٠ . ويقول : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) ويقول كذلك :(**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**) آل عمران/ ٣١ .

لذلك كله يتحتم علينا ان نعتمد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشريع الاحكام وتثبيتها ومعرفة ناسخها من منسوخها ، كما نعتمد القرآن الكريم في اصول هذه الاحكام ومنشئها . لأن الاصول في القرآن والتفصيل في السنة . فالله تعالى اعطى نبيه من السنة مثل ما اعطاه من القرآن وخوله تفهيم الناس احكام شريعته بما أوتي من الحكمة وحسن البيان وجوامع الكلام .

لقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم للناس مثبتا لهم ان الله سبحانه وتعالى آتاه من العلم بالوحي ما جاء في القرآن الكريم ، ومثل ما في القرآن في حديثه عليه الصلاة والسلام ، صرح بذلك بقوله : « يوشك رجل متكئا على اريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدناه فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ؛ الا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » وفي رواية « الا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ثلاثا .. ألا يوشك رجل شبعان على اريكته ....» رواه ابو داود والترمذي وغيرهما .

لقد بين عليه الصلاة والسلام بحديثه هذا انه لا عذر لمن يريد ان يرجع في الاحكام من تحليل وتحريم فيها الى ما في القرآن فقط ، وكذلك يبين ان ما ثبت من تحليل او تحريم في حديثه له نفس المكانة والمنزلة للذي ورد في كتاب الله تعالى وان كلا من

الكتاب والسنة مرجع للاحكام جميعا ، بل ان ما اجمل من الاحكام في القرآن الكريم ، لا يعلم تفصيله إلا من سنته عليه الصلاة والسلام ، إذ أن كلا من القرآن والسنة متمم للآخر خصوصا في ناسخ الاحكام ومنسوخها .

تعريف النسخ والناسخ والمنسوخ

يطلق النسخ في اللغة على معان كثيرة :

١ ـ إزالة الشيء واعدامه من غير حلول آخر محله نحو قولهم : نسخت الريح آثار الاقدام . اي اتت عليها ومحتها ومنه قوله تعالى : (**فينسخ الله ما يلقي الشيطان**) الحج/ ٥٢ .

٢ ـ إزالة الشيء وابداله بآخر ومنه قوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) . ومنه نسخ الشيب الشباب .

٣ ـ نقل الشيء من مكان الى مكان مع بقائه في نفسه . ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم الى قوم والميراث قائم . ومنه نسخ الكتاب .

والمعول عليه هو ان النسخ : حقيقة في الازالة مجاز في النقل .

يثبت ذلك ان الله تعالى لما خاطب عباده في القرآن الكريم خاطبهم بما يفهمون من لغتهم العربية . فلما اراد ان يبين لهم ان النسخ جائز وواقع بقدرته قال جل وعلا لهم :(**ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) وننسخ معناها نزيل . كما عبر سبحانه عن النسخ بالتبديل في قوله (**واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل**) . النحل/ ١٠١ والتبديل انما يكون برفع الآية والاتيان بغيرها بدلا عنها او رفع الحكم والاتيان بغيره . ولا معنى للازالة الا هذا لأنه لا يجمع بين البدل والمبدل عنه .

واذا استعمل القرآن هذه المادة في غير معناها الحقيقي فلأن الاجماع قائم على ان القرآن جاء بما تعرفه العرب من لغتهم واتى باعلى المراتب في فنون القول ، وتنقل بين الحقيقة والمجاز والأطناب والايجاز . وعلى هذا فالنسخ معناه : رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر .

وبالنسبة لله تعالى وهو المشرع فالنسخ بيان منه لانتهاء امد الحكم واظهار ذلك للمكلفين . والناسخ حقيقة هو الله تعالى . فيقال : نسخ الله فهو ناسخ (لجواز تسميته بما يشتق من اسمائه عند البعض اذا لم يوهم نقصا) ومنه قوله تعالى :(**فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته**)

والناسخ مجازا قد يطلق على الآية فيقال مثلا : آية السيف نسخت آية الصبر والمرابطة وكذلك يطلق على كل طريق يعرف به نسخ الحكم من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره . وقد يطلق النسخ مجازا على الحكم فيقال : وجوب صوم رمضان نسخ وجوب صوم عاشوراء فهو ناسخ .

تعريف المنسوخ والناسخ :

المنسوخ هو الحكم المرتفع طلب

فعله عن الأمة بالقرآن أو السنة . فما كان ارتفاع حكمه بالقرآن : كارتفاع وجوب تقديم الصدقة بين يدي مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وارتفاع وجوب ثبات المقاتل الواحد امام العشرة في القتال بقوله تعالى :(**الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين**) الانفال/٦٦ . وغير ذلك كثير .

وما كان ارتفاعه بالحديث : كارتفاع وجوب الوضوء مما مست النار . روى جابر قال : آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترك الوضوء مما مست النار » وغير ذلك كثير أيضا .

فكل ذلك (الأوامر الأولى) نسخ برفع وجوبه عن الأمة فهو منسوخ اما بايجاب بديل ، واما من شدة الى سهولة ، او من سهولة الى شدة وذلك لمنفعة عاجلة او آجلة ولحكمة يعلمها الله تعالى . فالاوامر المبدلة هي المنسوخة ، والاوامر الاخيرة الثابتة هي الاحكام الناسخة .

وقوع النسخ في الشرائع السابقة .

ان ادلة القرآن وشواهده ليست دليلا على وقوع النسخ في الشرع الاسلامي فقط بل هي دليل وشاهد على وقوعه ايضا في الشرائع التي سنها الله تعالى لعباده منذ انزل الشرائع للناس يقول تعالى : (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) المائدة/٤٨ فالشرائع السابقة كانت متعبدا للأمم السالفة والشرائع آيات في كتب او صحف وهذه الأيات قابلة للنسخ ، يدلنا على ذلك قوله تعالى :(**ما ننسخ من آية**) وليس في هذه الآية القرآنية تخصيص النسخ بشريعة الاسلام فقط بل هي عامة .

ودليلنا قصة الذبيح اسماعيل مع ابيه ابراهيم عليهما السلام فالآية صريحة في قوله تعالى :(**وفديناه بذبح عظيم**) الصافات/١٠٧ فقد كان الحكم اولا : الأمر بالذبح ثم نسخ حكم الذبح بالفداء فكان الفداء ناسخا للذبح .

وعصا موسى عليه السلام كانت آية لابطال سحر السحرة ولاخافة فرعون بانقلابها ثعبانا عظيما . فلما بطل السحر وانتهى بايمان السحرة ، وقتل فرعون لهم ، اصبحت العصا آية لشق الطريق في البحر ، ليجوز بنو اسرائيل من مصر الى سيناء تخلصا من حكم فرعون ، ثم اصبحت ايضا اداة لانباع الماء بضرب الحجر بها وغير ذلك من الآيات الواردة في القرآن الكريم عن الأمم السابقة وفيها النسخ في أحكامها .

نسخ شريعة الاسلام لما سبقها من الشرائع :

ان الأدلة على نسخ شريعة الاسلام للشرائع المتقدمة عليها كثيرة واضحة نذكر بعض ما جاء منها في القرآن الكريم . يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (**وما أرسلناك الا كافة للناس**

بشيرا ونذيرا) سبأ/٢٨ .

فارسال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا بشيرا ونذيرا للناس كافة هو كف لرسالة من قبله من الرسل وانهاء لنظمهم وشرائعهم المنزلة للناس من عند الله ، وهذا الخبر بطبيعته نسخ لما سبقه من اخبار واوامر وتثبيت لما حمله الرسول الجديد من أوامر وأحكام . فشريعة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأخيرة في النزول للناس وهي المنهية لما سبقها من شرائع وأحكام .

ويقول الله تعالى : **(ان الدين عند الله الاسلام)** آل عمران/١٦ ، ويقول جل وعلا : **(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)** آل عمران/٨٥ .

هذا كلام من الله تعالى صريح واضح وأمر جازم للناس ، بأنه يجب عليهم أن ينصرفوا عن الأديان السابقة عن جميع الأديان السماوية منها والوضعية المرفوضة ، ويدخلوا في دين الاسلام لأنه لا دين مقبول عند الله الا الاسلام وان من يتجه الى غيره من الأديان فسيكون من الخاسرين في الآخرة والنادمين أشد الندم . ويقول الله تعالى : **(ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)** يذكر الله سبحانه وتعالى هذا الكلام في القرآن الكريم عن لسان نبيه ورسوله وخليله ابراهيم عليه السلام ولسان حفيده نبي الله يعقوب ، وهم يوصون أولادهم بالاسلام يقول الله تعالى : **(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون)** البقرة/١٢٧ - ١٣٣ . أوردنا هذه الآيات بمضمونها لنبين ان الله سبحانه وتعالى كان يدعو رسله للاسلام منذ ابراهيم عليه السلام . فالاسلام لم يكن غريبا عن رسل الله تعالى ولا عن أممهم ، وكان مجيئه منتظرا حتى ان الله سبحانه وتعالى كان يأخذ العهد على كل من يرسله قبل محمد صلى الله عليه وسلم بان يكون من أتباع محمد وأنصاره اذا ارسل في أيامه . يقول الله تعالى **(واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على**

ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران/ ٨١ .

ويقول الله تعالى كذلك : (**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة/ ٣ .

لقد كانت الشرائع للأمم السابقة مقتصرة على نوع من أنواع الأحكام والعبادات ولم تكن شاملة كل الشمول لجميع الأحكام فأتت شريعة الاسلام بجميع ما اشتملت عليه الشرائع السابقة وكتبها وصحفها وفي زيادة عليها كذلك . لذلك وجب أن تكون عامة لجميع الناس ناسخة لشرائعهم ، لأنها ليس فيها نقص ولا تفريط يقول الله تعالى : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) الأنعام/ ٣٨ . ومما يقوله الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (**قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**) الأعراف/ ١٥٨ .

النسخ في شريعة الاسلام

لقد ثبت لنا أن شريعة الاسلام قد نسخت الشرائع السابقة وأحكامها . وهي أيضا قد وقع فيها النسخ . وقد كان النسخ فيها أنواعا ثلاثة بالنسبة للقرآن الكريم والسنة الشريفة ، لذلك كان نزول القرآن الكريم على قلب محمد عليه الصلاة والسلام منجما ولم ينزل دفعة واحدة ، فكانت الأحكام تنزل من عند الله تدريجيا لينسخ ما ينسخ ويثبت ما يثبت .

أنواع النسخ الثلاثة في القرآن الكريم :

النوع الأول : نسخ الحكم والتلاوة .
النوع الثاني : نسخ التلاوة مع بقاء الحكم .
النوع الثالث : نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .

فالحكم الذي نسخ وبقيت تلاوته يعرف نسخه بتلاوة الحكم الجديد . والآيات التي نسخ حكمها وبقيت في القرآن الكريم . تبقى تلاوتها عبادة وفيها الأجر . مثالا لذلك قوله تعالى : (**يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين**) الأنفال/ ٦٥و٦٦ .

لقد كان الحكم الأول بوجوب صمود العشرة أمام المائة والمائة أمام الألف ثم خفف الحكم وأصبح وجوب الصمود للمائة أمام المائتين وللألف

أمام الألفين فقط ورغم أن الحكم نسخ فقد بقيت تلاوة الحكم الأول وثبتت في القرآن . وفي تلاوتها أجر كتلاوة غيرها من القرآن .

نسخ الحكم والتلاوة

ان مما نسخ حكمه وتلاوته لفظ الحكم بالاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس في ابتداء الأمر . فان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا يتجهون في صلاتهم الى بيت المقدس ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في صلاته في مكة المكرمة جاعلا الكعبة بينه وبين جهة بيت المقدس ، ولما هاجر للمدينة صار يتجه لبيت المقدس وهو يطمع في أن يتغير هذا الاتجاه الى الكعبة الشريفة يوما ما ، ويطيل نظره الى السماء راجيا أن ينزل عليه الوحي بما يطمع ويرجو . والله تعالى يقول له في ذلك : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها**) البقرة/ ١٤٤ .

ولما لم ينقل الينا لفظ حكم الاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس ، ولما كان اتجاه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في صلاتهم الى بيت المقدس لا يكون الا عن أمر من الله سبحانه وتعالى ، ولما كان الله تعالى يشهد لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه فيما يبلغه للناس ـ لا ينطق عن الهوى ، بل هو وحي من الله يوحى في قوله تعالى : (**وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى**) النجم/٣و٤ . لكل هذه الأسباب نقول : انه لا بد من أن يكون هناك وحي وقرآن من الله تعالى في وجوب الاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس ، ولكنه نسخ ذلك من القرآن ونسخ معه كذلك حكم الاتجاه ، وجاء الناسخ بوجوب الاتجاه في الصلاة الى الكعبة الشريفة وهذا ما كان يتمناه النبي عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**) البقرة/ ١٤٤ .

نسخ التلاوة مع بقاء الحكم

ان مما يتناقله الرواة أن حكم الزناة كان معلوما بلفظ : (الشيخ والشيخة اذا زنيا فاجلدوهما البتة نكالا من الله) . وان مثل هذا المعنى وهذا الحكم موجود في القرآن الكريم بغير هذا اللفظ . ففي القرآن قوله تعالى : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**) النور/ ٢ ، فالتلاوة الأولى نسخت ولم تعد قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها ، وبقى الحكم الذي يدل على لفظها ثم نسخ وتطور الى أشد في بعض الحالات .

ومن الأحكام ما اشترك القرآن والحديث في نسخها وتطورها ، مثال ذلك حد الزنا : فان أول ما نزل في الزناة في القرآن الكريم قوله تعالى : (**واللاتي يأتين الفاحشة من**

نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما) النساء/ ١٥و١٦ .

فاذا زنت المرأة بكرا كانت أم ثيبا كان حدها أن ثبت عليها الفعل بشهادة أربعة شهداء ان تمسك في بيتها وتحبس فيه حتى يأتي أجلها فتموت فيه ، أو يجعل الله لها من دون ذلك فرجا بأن ينسخ هذا الحكم بغيره . وأما الزاني ان كان بكرا أي لم يتزوج بعد ، أو كان ثيبا أي تزوج زواجا شرعيا ، فان حده كان الايذاء بالتعنيف والتوبيخ والتعيير حتى يظهر توبته فان تاب تاب الله عليه وخلص من الايذاء .

نسخ القرآن بالقرآن

بعد أن ثبت حكم حد الزناة كما مر تفصيله في الزانية والزاني نزل قوله تعالى فيهما مغيرا الحكم فقال جل جلاله : **(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)** . تغير حد الزنا الى أشد بالنسبة للزاني فان الجلد أمام طائفة من الناس فيه ايلام وتعزير . وأما بالنسبة للزانية فجاء أخف لأن جلدها مائة جلدة أمام الناس وخلوصها من الحبس حتى الموت لا يستويان بالنسبة لها فكان الحكم الجديد فيه تسوية الحد على الاثنين بجلدهما مائة جلدة أمام الناس .

نسخ السنة للقرآن

عندما نزل حكم حد الزنا أول مرة في القرآن الكريم ثم نزل تعديله مرة ثانية فنسخ الحكم الأول بالحكم الثاني صار عند الناس أمل في تكرار التعديل وتجديد النسخ وأخيرا صدر تعديل هذا الحكم وتبديله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نصه : « خذوا عني خذوا عني خذوا عني : قد جعل الله لهن سبيلا (جوابا لقوله تعالى : **(أو يجعل الله لهن سبيلا)** » : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » سنن الدارمي ٢/ ١٨١ . ثم نسخ الجلد للثيب وبقي الرجم فقط ، ثبت ذلك أيضا بالحديث لا بالقرآن . فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث التالي : حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد « رضى الله عنهما » أنهما أخبراه أن رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : اقض بيننا بكتاب الله وقال الآخر وهو أفقههما : أجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن اتكلم . قال « تكلم » قال : ان ابني كان عسيفا على هذا (خادما في أهل

بيتـه) ـ (قـال مـالـك والعسيف الأجير) فزنى بامرأته ، فأخبرني ان على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وجارية لي ، ثم سألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني : جلد مائة وتغريب عام وانما الرجم على امرأته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، أما غنمك وجاريتك فرد عليك ، وجلد ابنه مائة وغربه عاما . وأمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخـر فان اعتـرفت فـارجمهـا » فاعترفت فرجمها . رواه البخـاري وروى مثله أحمد ومسلم .

والنســخ كمـا ثبت وجــوده في القرآن ، أي نسخ القرآن بالقرآن ، كذلك ورد النسخ وثبت في السنة أي نسخ السنة بالسنة .

أنواع النسخ في السنة ثلاثة

أولا : نسخ الحكم واللفظ .
ثانيا : نسخ اللفظ مع بقاء الحكم .
ثالثا : نسخ الحكم مع بقاء اللفظ .

نسخ الحكم واللفظ

ان ما نسخ حكمـه ولفظه من الحديث ، منه ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه ليلة الاسراء والمعراج فرضت عليه الصلاة على المسلمين خمسين صلاة ثم تدنت خمسا فخمسا حتى أصبحت خمس صلوات في اليوم والليلة فالحكم الزائد عن الخمس نسخ مع لفظه .

نسخ اللفظ مع بقاء الحكم :

مثال ما نسخ لفظه وبقي حكمه ، قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالشاهد واليمين فلا بد وأن يكون له لفظ دال عليه ، ولكنه لم ينقل الينا بل ألقى ونقل الينا الحكم فقط . فانه وان كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتمل فيما يشتمل عليه يشتمل على قوله وفعله ، ولكن موضوعنا هنا يدور حول بقاء اللفظ ونسخه .

نسخ الحكم مع بقاء اللفظ

ان هذا النوع من النسخ في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير . منها قوله عليه الصلاة والسلام : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة » أخـرجه مسلم وغيره وفي رواية للنسائي : « ... فمن أراد أن يـزور فليزر ولا تقـولـوا هجرا » .

وفي رواية لابن ماجه : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر بالآخرة » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد نهى عن ادخار لحـوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ونهى عن الأشربة في الأوعية التي كانت مظنة التخمر ثم أباح ذلك كله في حديث له فقال عليه الصلاة والسلام : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ونهيتكم عن

النبيذ الا في سقاء ، فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرا » رواه مسلم .

فهذه الأحاديث وأمثالها كثير قد نسخت فيها أحكام وثبتت فيها أحكام جديدة نسخت الأحكام القديمة ، وبقى لفظ الأحكام القديمة موجودا ولكن لا يعمل به لانتساخه .

متعة النساء

ان من الأحكام التي كانت مباحة ونسخها رسول الله صلى الله عليه وسلم متعة النساء ، والذي في حكم متعة النساء زيادة عن غيرها من الأحكام ، ان هذا الحكم كان مباحا ثم حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أباحه ثم حرمه . أباحه مرارا وحرمه مرارا ثم كان آخر الأمرين منه التحريم .

عن علي رضي الله عنه ، كما رواه مالك في الموطأ : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نهى عن المتعة يوم خيبر » . أي يوم فتح خيبر . ونهيه صلى الله عليه وسلم كان ولا شك بعد اباحة .

وروى سبرة الجهني قال : « أذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة فلم نخرج من مكة حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري ومسلم .

فيكون هذا الحديث دالا على أن رسول الله صلى اله عليه وسلم بعد أن حرم المتعة يوم خيبر ، أباحها ثانية ثم حرمها بعد اباحتها .

تحريم متعة النساء نهائيا :

روى الدارمي في سننه : قال أخبرنا جعفر بن عون عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز عن الربيعة بن سبرة أن أباه حدثه أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال : « استمتعوا من هذه النساء » . والاستمتاع عندنا التزويج فعرضنا ذلك على النساء فأبين ألا يضرب بيننا وبينهن أجل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « « افعلوا » (وفي قوله افعلوا إباحة للمتعة بعد أن كانت محرمة) فخرجت أنا وابن عم لي معه برد ومعي برد وبرده أجود من بردي وأنا أشب منه ، فأتينا على امرأة فأعجبها شبابي وأعجبها برده فقالت : برد كبرده . وكان الأجل بيني وبينها عشرا فبت عندها تلك الليلة ثم غدوت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بين الركن والباب « أي عند الكعبة » فقال : « يا أيها الناس اني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ألا وان الله قد حرمها الى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا » وروى شبيهه البخاري ومسلم .

هذا غيض من فيض في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناسخ والمنسوخ في الأحكام . فأرجو أن أكون قد نفعت ووفيت بعض الشيء من حق هذا الموضوع الهام والحمد لله أولا وآخرا .

إلى كلِّ كافرٍ بالقدر

كفيف البصيرة فيم الضجر ... وأنت الأثير بلطف القدر ؟
تأمل حياتك من مبتداك ... وحتى يجيء تمام الخبر
وأنت الجنين بحرز مكين ... حفيظ يوقيك مس القذر
وأول خلقك ماء مهين ... رماه القضاء به فاستقر !
يطوره اللطف أطواره ... ويضفي عليه البهاء الأغر !
وينفخ فيه الحياة القدير ... ويرزقه من لذيذ الثمر
غذاء تحول بالمعجزات إلى ... جسمه ما درى كيف مر ؟
فلا فك يمضغ قوتاً يقات ... ولا كف تجلب رزقا فتر !
ولا عين تبصر لون الغذاء ... ولا عقل يحمي اغتماض البصر !
إلى أن خرجت لنور الحياة ... عزيز اللقاء بدنيا البشر
بعين ترى ، وبأذن تصيخ ، ... ولمس أعان ، وعقل سبر
وذوق به تستسيغ الطعوم ، ... وشم به تستطيب الزهر !

★ ★ ★

تباركت يا أحسن الخالقين ! ... وهبت ابن آدم أبهى الصور !
وآتيته منذ بدء الحياة ... على الأرض مفتاح كنز العبر
نوافذ حس تمد الفؤاد ... بعلم عليه سما للقمر
فما اهتز شكراً بحمد الوهوب ... ولا بالخطوب ارعوى وازدجر
إذا مسه الخير زاد ابتهاجاً ... وقال بعلمي أنال الظفر



وإن مسه الشر سب الزمان ... وألقى العنان كوحش عقر !

عجبت لصنعك يا بن التراب ! ... عجبت لكل عنيد كفر !

ولو أنت حين استفز الغرور ... شعورك يرديك بين الحفر

وعيت نداء اللطيف الخبير ... يحذر منه شديد الحذر

فعذت به .. لاستنار الفؤاد ، ... وفر اللعين ، وزال الخطر

ولكن قلبك كهف الظلام ... فعنه الهدى بالظلام استتر

يرى كل شيء بعين الجحود : ... بفكر تولى وعقل سدر

وتقنص من كونك المشتهى ... ولو كان شراً عظيم الضرر

وتسخر من ورع المتقين ... وقد عظموا الله فيما أمر

وملء القلوب عفاف الضمير ، ... وخوف تهددهم من سقر !

وحب حداهم لدار السلام ... اعدت لساع سعى فاصطبر !

على الغيب آمن ملء الفؤاد ... فحث الخطى هانئاً بالسفر

فليست له الأرض دار المقام ، ... وليس بها العيش كل الوطر

ولكنها لبسة المستعير ، ... وظل إذا العود نام اندثر !

فأسهر ليلا كثير النيام ... فطال السجود ، وطاب السهر

وصام نهاراً شديد اللهيب ... ليوم اشد رمى بالشرر !

وفي كل طرفة عين له ... بتلك الحياة نذير هدر

وآيات ربك للموقنين ... تجلت لكل حليم نظر

بأكبر جرم كتلك السماء ، ... وأصغر جرم كبذر الثمر

وأصغر منه كذر الهباء ... على جنبات النسيم انتشر !

بصوت يجلجل في سمعه ، ... برؤيا فؤاد لرب ظهر
على كل شيء بهذا الوجود ... يناديه : عبدي ، إليّ المفر
تدبر صنيعي ، فاني القدير ... ودع في ضلال الهوى من فجر
أدبر ملكي بـ (كن) لا انام ... وأرزق خلقي بجوف الحجر !
واعلم سرا طواه الضمير ، ... ووهما اطاف ، وغيبا وقر
وأحيي بماء السماء الجديب ... وإن شئت أمسكت عنه المطر
ولو شئت أهلكت هذا الأنام ... وأنشأت خلقاً لأرضي عمر
يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ... تقياً كريماً حميد الأثر
ولكن وصفي الحليم الكريم ... الرؤوف الرحيم عليكم ستر
فان آب جان على نفسه ... فعبد أناب ورب غفر !
وإن لج في الكفر حق الوعيد ... فعبد طغى وإله قهر !

★ ★ ★

فيا ابن التراب رويداً على ... تراب الجدود إذا ما انتشر !
فكم من قبور عداها البلى ... رماداً وما عندنا من خبر
عليها بعنف نقيم الديار ، ... ونجري الخيول ، ونقني البقر !
تقول لنا باللسان الفصيح : ... أناة أناة غزاة المدر !
غداً في ثراكم تبول الكلاب ... فكف البلى أقسمت لن تذر !
تركنا الحياة وكنا الأباة ... حماة السروح بعهد غبر
يخيف الأسود فتانا الغرير ... إذا ثار في وجهها أو زأر !
وملء الحياة مني حالمات ... عليها نما حلمنا وازدهر !
فرحنا وراحت بمر السنين ... كأن لم تكن .. وعدتنا الفكر !
فلم تذكروا أنكم تحرثون ... ونحن السمادلهذا الشجر !
رويداً رويداً جناة الأنام ... قساة القلوب فما من وزر ..
من الموت يسلب تلك القوى ، ... ويجري عليكم كؤوس الكدر !
سفكتم دماء زكت في السماء ... ولم ترهبوا من دعاء السحر
مجاباً لدى الله من أرمل ، ... وطفل له وجهكم قد بسر !
ومن زهرات كزهر الرياض ... طوى حسنهن الأسى واعتصر !
ولا ذنب إلا التقى والعفاف ... قلوب أنابت وصدر زفر
من الحزن مقتا لكفر الكفور ... إلى الله مما جناه اعتذر !
وأنتم ضحايا الطغاة البغاة ... سلام على مؤمن قد صبر !
قريباً ترون عجيب القضاء ... يبل القلوب .. وثأر القدر !



للاستاذ/محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

ان سياسة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في أمته ومع الأمم الأخرى تعد منهجا فريدا في الحياة السياسية ، لأنها قائمة على أسس ربانية يراد منها التقارب لا التباعد ، والاتحاد لا التفرق بين

الأمم ، على اختلاف أجناسها وألوانها وشرائعها وقوانينها ، كما يراد من هذه السياسة الحرص على تطبيق مبدأ المساواة بين البشر جميعهم في الحقوق والواجبات ،

واعتبار المجتمع الانساني مسئولا مسئولية كاملة عن المحافظة على أرواح الناس وأموالهم وممتلكاتهم وأعراضهم وأوطانهم ، في حدود العدل الالهي ، والتشريع السماوي الرحيم .

ولن تستطيع أي دولة أن تبني حضارتها وتعلي مجدها وكيانها بين الأمم الا اذا كان دستورها وقوانينها المعمول بها وأعمالها قائمة على أسس رحيمة صالحة لأن تسع بعدلها ورحمتها كل حاجات أفرادها ، مهما تطورت الحياة واختلفت الأماكن .

ولقد كان نظام الدولة التي أنشأها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من نوع جديد ، يختلف اختلافاً كلياً عن جميع النظم ، فقد كان هذا النظام مزيجا من الشورى والاستقلال بالحكم يقول الحق عز وجل : **(وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله)**آل عمران/ ١٥٩ .

وكان هذا النظام في اطاره العام دينيا ، يعتمد على الأحكام الشرعية وتعاليم السماء ، ولكنه في تفاصيله وتطبيق أحكامه شورى .

وقد أقرت الدولة الاسلامية مبدأين على جانب كبير من الأهمية ،

وهما :**الأول : حرية العقيدة :**

وبموجب هذه الحرية تكفل الدولة لأصحاب العقائد المختلفة الحق في الحياة ، وتضمن لهم الاستقرار ،

وتيسر لهم سبل الأمن والأمان ووسائل الطمأنينة ، وتتكفل بحمايتهم ورعايتهم ماداموا يعيشون مسالمين لا يحدثون فتنة داخل « المدينة » ، ولا يتآمرون على الدولة ومصالحها العليا ، فالاسلام لا يرغم أحدا على الدخول فيه ، وليس لأحد أن يجبر أي انسان بأية وسيلة من الوسائل على الايمان بشيء لم يصل اليه بقلبه وعقله ، فحرية العقيدة مكفولة مضمونة على الدوام ، ولا يستطيع أحد أن ينال منها ، أو يتعرض لها بالمحو أو الاثبات ، لأنها تتعلق بضمير الانسان ووجدانه ، ومن المستحيل التحكم فيها ، والنصوص القرآنية صريحة في ذلك ،

يقول الحق جل وعلا : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)**البقرة/ ٢٥٦ ، ويقول مخاطبا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :**(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)**يونس/ ٩٩

الثاني : المساواة :

إن جميع الرعايا في الدولة متساوون في الحقوق والواجبات مساواة تامة ، بلا اي فرق بين طائفة وأخرى ، فالكل أمام عدالة القرآن الكريم وعدالة الاسلام سواء .

وقد قرر الاسلام مبدأه الأساسي وهو المساواة بين الناس في أكمل صوره وأمثل أوضاعه ، واتخذه دعامة لجميع ما سنه من نظم لعلاقات الأفراد بعضهم ببعض ، وطبقه في جميع النواحي التي تقتضي العدالة الاجتماعية ، وتقتضي كرامة الانسان أن يطبق في شئونها .

سياسة الرسول الداخلية :

وقد برزت عبقرية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وتجلت مقدرته العظيمة في تدبير شئون المسلمين والدولة والاستعداد للمستقبل ، فلم تكن مهمته قاصرة على تبليغ رسالة السماء التي نزلت عليه ، بل كانت أكثر من ذلك ، فشملت تنظيم « المدينة » ، وكان صلى الله عليه وسلم يقدر هذه المسئولية من أول الأمر ، فـ« الأوس » و« الخزرج »وهم سكان « المدينة » الأصليون ، وكانت تحدث بينهم مشاحنات ومنازعات كثيرة ، وكان اليهود يجاورونهم ولهم تاريخهم الحافل بكل مظاهر الغدر والخيانة والقتل ، ونسج خيوط الفتن ، وتدبير المؤامرات واشعال نار الحرب ، والى جانب هؤلاء كان هناك المنافقون الذين يضمرون للاسلام والمسلمين كل غدر وشر ، وان بدوا في الظاهر من رجال الصفوف الأولى أحيانا عند الصلاة وعند توزيع الغنائم .

وأصبحت هاتان القبيلتان من « الأوس » و« الخزرج » في أمس الحاجة الى من يوفق بينهما ويوحد صفوفهما ، كي يتمكن الفريقان من العيش في هدوء وانسجام ، وقد انضم إليهم المهاجرون ، مع أن المهاجرين قد استقبلوا في المدينة أستقبالا حسنا ، وعوملوا من اخوانهم الأنصار معاملة ممتازة ، الا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه رأى أن يحتاط لاقامتهم في « المدينة » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك من خلفه « قريشا » وهي على درجة كبيرة من العداوة للمسلمين لا يمكن تصورها ، ويعلم مدى قدرتها على الاعتداء على المسلمين والتحرش بهم ،وأنها لن تدخر وسعا في سبيل إلحاق الضرر بهم ، فلا بد اذن والحالة على هذا النحومن الوقوف على أهبة الاستعداد ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة كافة الاحتمالات ، ومجابهة خطر العدوان المتوقع من جانب « قريش » ، وهذا لن يكون الا بتقوية الجبهة الداخلية والعمل على تماسكها ووحدتها ، لأن وحدة الأمة أهم أسس بنائها ، هو الحفاظ على كيانها وقوتها .

وقد واجه المصطفى صلوات الله

وسلامه عليه هذا الموقف منذ البداية مواجهة تدل على سعة تفكيره وقوة ادراكه للأمور ، وأبدى من بعد النظر ودقة التنظيم ما جعل سكان « المدينة » يعيشون في استقرار تام وترابط قوي ، وقدرة على النمو ، وجعلهم يعيشون ظروف احتمالات الغزو الخارجي بجدارة أكسبتهم النجاح والنصر في كل عمل يقومون به ، فاستطاعوا أن يقيموا الدولة الاسلامية العظيمة .

ولقد اجتمعت في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية أمة بأكملها ، فهو الداعية الحكيم ، والمربي الحنون الرحيم ، والقائد المظفر ، والسياسي الملهم ، والاجتماعي الممتاز ، والاقتصادي الرائع ، والمشرع العبقري .

وقد وضع صلى الله عليه وسلم دستورا ينظم شئون الحياة في « المدينة » ، ويحدد العلاقات بينها وبين ما جاورها من البلاد ، وهذا الدستور دليل على مقدرة عظيمة في التشريع ، وعلى الخبرة الواسعة بأحوال الناس ، ومعرفة ظروفهم المعيشية ، وقد عرف هذا الدستور باسم « الصحيفة » .

وقسمت « الصحيفة » سكان « المدينة » الى ثلاثة أقسام :

١ ـ المهاجرون .
٢ ـ الأنصار .
٣ ـ اليهود المقيمون بـ « المدينة » .

وتعتبر هذه « الصحيفة » ذات أهمية كبيرة ، لأنها حددت شكل الدولة الاسلامية ، ولها أهمية ـ أيضا ـ في مفهوم الأحداث التي جدت بعدها .

ونصوص هذه « الصحيفة » متفقة في مبادئها العامة مع القرآن الكريم ، من ناحية توحيد الصفوف ، وجعل المسلمين أمة واحدة لها كيانها بين الأمم ، ومن ناحية التعاطف والتراحم والتضامن بينهم ، والمحافظة على رابطة الولاء التي تربط بينهم برباط قوي لا ينفصم ، وحقوق الولاء المترتبة عليها ، ومن ناحية القرابة والصحبة والجوار وتحديد المسئولية الشخصية ، والبعد عن الحزازات الجاهلية وعصبيتها ، ومساواة الجميع أمام القوانين الخاصة بالدولة ، ورد أي أمر من الأمور الى الدولة لتتصرف فيه ، وتعاون الرعايا في المحافظة على النظام واقرار الاستقرار ، والضرب بشدة على يد كل من تسول له نفسه تعريض أمن الدولة وسلامتها للخطر .

وكانت المهمة السياسية للرسول صلى الله عليه وسلم بعد كل هذا تقتصر على الدفاع عن الدولة ، وتأمين حدودها وحمايتها وضمان الأمن لها ، ولم تتجاوز تصرفاته هذا الغرض طوال مدة العهد المدني والى أن لحق بالرفيق الأعلى .

ولتقوية جبهة « المدينة » اعتبر كل من هاجر اليها مستحقا لرعاية الدولة الجديدة ، فعلى أي انسان يرغب في أن يكون من بين مواطني « المدينة » بعد اسلامه ، فعليه أن يهاجر اليها ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك نصا

صريحا ، يقول الحق جل شأنه : (**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**) الأنفال/ ٧٢ .

وكما حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايجاد أداة للحكم في « المدينة » وتنظيم أمورها الداخلية ، حرص كذلك على ضم القبائل والريف المحيط بها اليها ، عن طريق السرايا التي بعثها ، وحرص – أيضا – على تخطيط مجالها وتقرير حدودها ، وعقد الأحلاف مع القبائل النازلة فيما حولها ، حيث إن « المدينة » لا تستطيع العيش بمفردها ، ولا غنى لها عن الريف الذي يمدها بكل ما تحتاج اليه ، لهذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعدة سرايا ابتدأت من « المدينة » وسارت الى كل الجهات ، فأمنت الريف ، وتم في نفس الوقت عقد أحلاف مع القبائل المجاورة ، لأن المدن التي تكون مقامة في وسط البادية لا بد لها من أن تكون على حذر شديد ، ولا سبيل لها الى ذلك الا عن طريق عقد المعاهدات مع من هم حولها ومهادنتهم ، ثم صد غاراتهم واستعمال الشدة معهم اذا اقتضى الأمر ذلك ، ليشعروا بأن « المدينة » على جانب كبير من القوة ، وأنها قادرة على توجيه الضربات في الوقت المناسب ضد أي عدو ، وأن في استطاعتها أن تقوم بصد أي عدوان يقع عليها .

وقد سالم الرسول صلوات الله وسلامه عليه اليهود ، وعاهدهم على المناصرة والمساعدة ، ولولا أن اليهود غدروا وخانوا ونقضوا العهود والمواثيق بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام لما وقف منهم موقف العداء ، ولظلت « المدينة » يغمرها الود والصفاء ، ولكنهم جوزوا بما جنته أيديهم واقترفوه بحماقتهم ، فأجلى صلوات الله وسلامه عليه يهود « بني قينقاع » ، ويهود « بني النضير » وقضى على يهود « بني قريظة » ، وترك يهود « خيبر » بعد انتصاره عليهم زراعا في أرضهم ، على أن يكون لهم نصف ما يخرج منها .

وأخيرا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى بتطهير « الجزيرة العربية » من أي دين من الأديان غير الاسلام ، وقد نفذ هذه الوصية عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه – في خلافته ، لأن خلافة أبي بكر الصديق – رضى الله تعالى عنه – لم تتسع لمثل هذا العمل ، حيث كانت حروب « الردة » بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام هي شغله الشاغل .

سياسته الخارجية :

وكانت سياسته صلى الله عليه وسلم الخارجية لا تقل في براعتها وروعتها عن سياسته الداخلية ، فقد كان لنجاحه في الداخل أثر كبير في نجاحه بالخارج ، اذ أنه خطا خطواته الخارجية وهو مطمئن الى أن القلة

المؤمنة معه تعدل في ميزان الأمم أكبر دولة عالمية حينئذ ، بل وتزيد ، لأنها تسلحت بايمانها ووحدتها وعملها الصالح فوق تسلحها بسلاح عصرها وتفوقها ، ويكفيه فضلا من الله عز وجل عليه وعلى أمته أننا لا نجد نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ترك في أمته مثل ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد بدأ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه منذ أول يوم وصل فيه الى « المدينة » يؤسس الدولة الاسلامية الكبرى ، التي أذن لها الله جل شأنه فيما بعد أن تمتد في كل اتجاه ، وأن تضم بين ذراعيها وتبسط سلطانها على أقوى دولتين كانتا تتحكمان في العالم في ذلك الوقت ، وهما دولة « الفرس » ودولة « الروم » ، وتقف ثابتة كالطود أمام أعاصير الالحاد وبراكين الفتن ، وكتب لها المولى تبارك وتعالى الخلود الى أن تنفطر السماوات ، وتنكدر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض ، والسموات غير السماوات ، ويرث الله جل شأنه الأرض ومن عليها .

ان البناء الضخم الشامخ الذي أقامه وأرسى أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في « المدينة » ، لم يسبق له نظير أو مثيل في المجتمعات أو الدول التي سبقت أو عاصرت الدولة الاسلامية ، كما أن أسس هذا البناء ستظل على الدوام في كل عصر وفي كل وقت جديدة ومثالية ، حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، والذي تعددت فيه المشاكل وتنوعت وتشعبت .

وستظل أسس المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « المدينة » تضع الأمة الاسلامية في الموضع الذي اختاره لها الله عز وجل ، في قوله جل شأنه : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)**البقرة/١٤٣ .

والأمة الوسط تظل كذلك في كل عصر من العصور ، وفي كل زمن من الازمان ، تنمو نموا مطردا ، كما أن شهادتها على الناس تدعوها بأن تكون على الدوام محيطة بكل ما في الناس ، وبكل ما لدى الناس ، وفي أي وقت من الأوقات ، حتى تستطيع أن تقوم بما ألقى على عاتقها من مهام على الوجه الأكمل .

وشهادة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، يجعلها على الدوام تقيم ميزانا وضميرا حيا ، ورقابة ذاتية ، ومقياسا صحيحا على جميع تصرفاتها ، وعلى كل حالاتها ، قربا أو بعدا من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقربا أو بعدا من دين الحق جل وعلا ، وقربا أو بعدا من وضعيتها ومهمتها بين الأمم الأخرى .

بداية الدولة الاسلامية :

العمل في بناء المسجد والمساكن

استقر رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأصحابه المهاجرون بـ « المدينة » بين ظهراني الأنصار ، وصارت الدعوة الاسلامية في مأمن ، وأصبح الدين الاسلامي حقيقة واقعة يشعر بها العرب ، وأخذ المسلمون يشعرون بقوتهم وكيانهم كجماعة واحدة وكوحدة واحدة ، فبدأوا يقيمون شعائر دينهم للمرة الأولى علنا وبلا أدنى خوف ، وبلا أي تصد من أي أحد كان .

واستسلمت « المدينة » عن بكرة أبيها ، وبكل ما فيها من مشركين ويهود الى الوضع الجديد الذي جد فيها ، وبدأت حالة من الاستقرار النسبي تتطلب وتقتضي تنظيما دقيقا لشئون المسلمين ، وتستدعي النظر في مختلف الأحوال والملابسات التي تكتنف هذه الدولة الناشئة ، وذلك حتى تستقر الأوضاع فيها استقرارا تاما ، وعلى أساس قوي ، ودعائم ثابتة متينة .

وكان من الطبيعي بعد أن التأم شمل هذه الدولة الناشئة وانتظم عقدها ، أن يتجه تفكير قائدها ومؤسسها صلوات الله وسلامه عليه أول ما يتجه الى بناء دار للعبادة ، يجتمع فيها المسلمون لاقامة شعائر دينهم ، وأول هذه الشعائر الصلاة ، التي تعد أكبر أركان الاسلام الخمسة .

ومن هنا كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بناء المسجد ، فبناه في مكان « الجرن » الذي لم يقبل أن يوهب له ودفع ثمنه ، حيث كان يمتلك هذا « الجرن » فتيان يتيمان هما : سهل وسهيل ابنا عمرو .

وقد أصبح عمل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بمثابة تشريع منه ، ولقد حدث نفس الشيء من عمر بن الخطاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ ، وذلك عندما أراد بناء مسجده بـ « القدس » ، فقد أصر على شراء قطعة الأرض التي بنى عليها المسجد .

ثم أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه والمسلمون في البناء ، وقد استغرق بناء المسجد أحد عشر شهرا ، وقد استدعى البناء كل ذلك الوقت لأن « الجرن » كانت فيه قبور للمشركين ، وحفر ونخل ، فلا بد من تسويته ، وازالة الحفر والقبور والنخيل ، وبنى المسجد « بالطوب النيىء » ، أما جانبي المسجد أي : الأبواب فكانا من الحجارة ، والسقف من الجريد ، وعمده من جذوع النخل .

وعلى هذا النحو ظل البناء المادي والتعمير دأب المسلمين منذ أن أقام الرسول صلى الله عليه وسلم البناء ، سواء في « قباء » ببناء مسجدها ، أو بـ « المدينة » بشروعه ببناء مسجده ومساكنه منذ اللحظة الأولى ، فاذا أحصينا المدن والقرى التي أقامها المسلمون في مختلف العهود ، أو التي عمروها بعد أن كادت تزول وتفنى ، لوجدنا آلاف المدن والقرى ، الأمر الذي لم يتوفر في أي دول أخرى غير دول الاسلام .

ولا غرابة في ذلك ، فقد كان في مقدمة التعليمات التي توجه الى القوات الاسلامية : هي ألا يهدموا بناء ، وألا يقطعوا شجرا ، وألا يقتلوا الا المحاربين ، وألا يحرقوا أي شيء ، فضلاً عن العناية بالسوائم والبهائم .

وكان في مقدمة العاملين في البناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أشعل ذلك الحماس في قلوب المسلمين ، من مهاجرين وأنصار ، ودأبوا في العمل بهمة ونشاط زائدين ،

وكان بناء المسجد النبوي والمساكن بمثابة تدريب عملي على العمل المشترك ، وحثا على العمل ، وذلك بتقديم الرسول صلوات الله وسلامه عليه المثل لهم ، لدرجة أن قال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وكانت مساكن الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة عن عدة حجرات حول المسجد ، وكانت بسيطة ، قصيرة البناء ، قريبة ، على غرار المسجد ، ولم يكن لأبوابه حلق ، بل كان يقرعها الطارق بالأظافر ، وقد أضيفت الحجرات كلها الى المسجد بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ووفاة أزواجه .

الأخوة بين المهاجرين والأنصار :

كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين بعد أن تركوا وطنهم وخرجوا من ديارهم وصودرت أموالهم وممتلكاتهم موقفا دقيقا يتطلب الاخلاص والتضامن ، ويقتضي أن يسود بينهم وبين اخوانهم الانصار التعاون .

وكان الأنصار وهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ اي : فقر ـ .

ولا غرو ، فقد شعروا بحاجة اخوانهم المهاجرين ، وقدروا ظروفهم العصيبة ، فآووهم ، ونصروهم ، وضربوا في الاخلاص لهم والتفاني في خدمتهم أروع الأمثال ، حتى لقد وصفهم المولى تبارك وتعالى بذلك الوصف الرائع حيث يقول : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/٩ ،أي : يفضلون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم مهما كان فقرهم ، ومهما اشتدت حاجتهم .

وكانت سياسة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في هذه الظروف القاسية سياسة القائد المحنك الرشيد ، فقد عمل على تنظيم صفوف المسلمين ، وتوكيد وحدتهم ، فربط بينهم برباط قوي متين ، وذلك أنه عقد تلك الأخوة النادرة المثال بين المهاجرين والأنصار ، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب ، فكان أبو بكر الصديق أخا لخارجة بن زهير « الأنصاري » ، وكان عمر بن الخطاب أخا لعتبان بن

مالم « الانصاري » ، وكان أبو عبيدة بن الجراح أخا لسعد بن معاذ « الأنصاري » ، وكان عبدالرحمن ابن عوف أخا لسعد بن الربيع « الأنصاري » ، وكان عثمان بن عفان أخا لأوس بن ثابت « الأنصاري » ، وهكذا أصبح المهاجرون والأنصار بنعمة الله عز وجل اخوانا .

ولقد كان يترتب على هذه الأخوة أن يتوارث الأخوان كما يتوارث الأخوان من النسب ، وظل الأمر على هذا الشكل الى أن نزل قول المولى تبارك وتعالى :(**وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم) الأنفال/ ٧٥** ، فنفت هذه الآية الكريمه سنة التوريث بالمؤاخاة ، ولكن نفى التوريث لا ينفى عاطفة الاخاء نفسها ، لأن هذه العاطفة قويت بمرافقة الجهاد في سبيل الله عز وجل وفي سبيل اعلاء دينه .

وقد أظهر الأنصار من الكرم والتسامح مع اخوانهم المهاجرين ما خفف عنهم آلام الغربة ، وعوضهم عن فراق الأهل والعشيرة .

دستور المدينة « الصحيفة » :

لقد أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ينشيء دولة اسلامية تجمع بين الجميع ، بصرف النظر عن الأجناس والديانات ، وبذلك بدأت الدعوة الاسلامية تدخل في دورها السياسي ، وبدأ المظهر السياسي يبدو في شخصية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه مع المظهر الديني .

ولقد كانت « المدينة » عند مقدم المصطفى صلى الله عليه وسلم خليطاً من عقائد مختلفة ، ومن عناصر لا يربطها نظام ولا وحدة ولا وفاق ، فعمل صلى الله عليه وسلم على أن ينظمها ويوحد بينها ، ويجمعها تحت جامعة الانسانية العامة ، ويقيم التعاون بينها على أساس من الاخاء العام الذي يربط بين الانسان وأخيه الانسان ، فكتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ـ وهو ما يسمى بالوثيقة أو الصحيفة ـ ، بين فيه ما يجب على المؤمنين والمسلمين ـ بعضهم لبعض ـ من التعاون والتكافل والتناصر والأخذ عل يد الباغي ، ووادع فيه اليهود وعاهدهم ، فشرط لهم أن يكونوا آمنين على دمائهم وأموالهم ومواليهم ، وأن يكونوا أحراراً في عقائدهم ، فمن تبع المسلمين منهم فله ما للمسلمين من النصر والأسوة ، واشترط عليهم أن يكونوا مع المسلمين يدا واحدة على من دهم « يثرب » أو حارب أهلها ، وأن ينفقوا مع المسلمين ماداموا محاربين ، على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم .

كما اشترط على المشركين من العرب ألا يجير مشرك مالا أو نفسا لـ « قريش » ، ولا يحول دونه على المؤمن ، وألا تجار « قريش » ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم « يثرب » ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

وكما تضمن الكتاب ـ الوثيقة أو الصحيفة ـ حرية العقيدة وحرية الرأي وحرية الهجرة والاقامة ، تضمن ـ أيضا ـ حرمة النفس وحرمة المال وحرمة الجوار وحرمة الوطن ، وكفل نصرة المظلوم ومقاومة المعتدي واعانة من أثقله الدين ، وشدد في تحريم البغي والفساد وايواء الباغين والمفسدين ، وفتح باب الصلح لمن أراده من المسلمين وغير المسلمين ، ودعا الجميع الى التعاون على البر دون الاثم ، وجعل الاحتكام فيما يكون بين أهل هذا الكتاب من خلاف الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان الهدف الذي يرمي اليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن يعيش الجميع في وطنهم آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وأهليهم ، وأن يكونوا أحرارا في عقائدهم وآرائهم ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان .

وهكذا أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يضع قواعد المجتمع المثالي الصالح ، الذي يسوده الوئام والحب ، ويعد له الفرد المثالي الصالح ، الذي يقيم صلته بالمولى تبارك وتعالى على الاخلاص في عبادته والعمل على مرضاته ، ويقيم صلته بالناس على التعاون الصادق في سبيل الخير ، ويعاملهم جميعا على أنهم اخوة ، فمن وافقه في عقيدة الاسلام فهو أخوه في الله عز وجل ، ومن خالفه فيها فهو أخوه في الانسانية .

ونصوص هذه « الصحيفة » هي :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

١ ـ هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

٢ ـ أنهم أمة واحدة من دون الناس .

٣ ـ المهاجرون من قريش على ربعتهم ـ أي : على أمرهم الذي كانوا عليه ـ يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم ـ أي : الأسير ـ بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٤ ـ وبنو عوف على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ـ وبنو الحارث ـ من الخزرج ـ على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٦ ـ وبنو ساعدة على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ ـ وبنو جشم على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ ـ وبنو النجار على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ ـ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم ،

يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ ــ وبنو النبيت على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ ــ وبنو الأوس على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ ــ وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا ــ وهو من أثقله الدين والغرم فأزال فرحه ــ بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ ــ وأن المؤمنين المتقين ــ أيديهم ــ على كل من بغى منهم ، أو ابتغى دسيعة ظلم ــ أي : طلب دفعا على سبيل الظلم ، أو ابتغى عطية على سبيل الظلم ــ ، أو اثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم .

١٤ ــ ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن .

١٥ ــ وأن ذمة الله واحدة : يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

١٦ ــ وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

١٧ ــ وأن سلم المؤمنين واحدة : لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على عدل وسواء بينهم .

١٨ ــ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ــ أي : يكون الغزو على التناوب بينهم يعقب بعضهم بعضا فيه .

١٩ ــ وأن المؤمنين يبيىء ــ من أبأت القاتل بالمقتول اذا قتلته به ــ بعضهم عن بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله .

٢٠ ــ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا دونه على مؤمن .

٢١ ــ وأنه من اعتبط ــ أي : قتل ــ مؤمنا قتلا عن بينة فانه يقاد به ، أي : أن القاتل يقاد به ويقتل ــ ، الا أن يرضى ولي المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم قيام عليه .

٢٢ ــ وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ــ أي : جانيا ــ ، أو يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

٢٣ ــ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فان مرده الى الله والى محمد رسول الله .

٢٤ ــ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

٢٥ ــ وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين :لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم الا من ظلم أو أثم فانه لا يوتغ ــ أي : يهلك ــ الا نفسه وأهل بيته .

٢٦ ــ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧ ــ وأن ليهود بني الحارث مثل ما

ليهود بني عوف .
٢٨ ـ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .
٢٩ ـ وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .
٣٠ ـ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .
٣١ ـ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، الا من ظلم أو أثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهله .
٣٢ ـ وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .
٣٣ ـ وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ، وأن البر دون الاثم .
٣٤ ـ وأن موالي ثعلبة كأنفسهم .
٣٥ ـ وأن بطانة يهود كأنفسهم .
٣٦ ـ وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد ، وأنه لا يتحجر على ثأر جرح ـ أي : لا يلتئم جرح على ثأر ـ ، وأنه من فتك فبنفسه ، وأهل بيته الا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا .
٣٧ ـ وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم .
٣٨ ـ وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .
٣٩ ـ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .
٤٠ ـ وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها .
٤١ ـ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده الى الله والى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .
٤٢ ـ وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .
٤٣ ـ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .
٤٤ ـ واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه ،وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .
٤٥ ـ وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب الا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .
٤٦ ـ وأنه هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله . اهـ .

هذا هو نص الوثيقة الدستورية التي وضعها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وهي التي نقلها الامام ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » ، في الجزء الثالث ، في الصفحة ٢٢٤ ، نقلا عن محمد بن اسحاق .

وهذه الوثيقة تعد بحق فتحا في الحياة السياسية والحياة المدنية في

ذلك الوقت ، واذا كان ذكر يهود « بني قينقاع » ، ويهود « بني النضير » ، ويهود « بني قريظة » لم يرد في هذه الصحيفة ، فقد ثبت أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد عقد مع كل فريق منهم معاهدة على حدة ، ولقد وفى المسلمون بما جاء في هذه الصحيفة وبما التزموا به ، ولكن اليهود نقضوا العهود على مألوف عاداتهم ، فهم أناس لا أمان لهم ، فكان عملهم هذا مصدر تعاسة وشقاء لهم .

ولا شك في أن تلك المعاهدات التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت متفقة في نصوصها الأساسية ، لأن معاملته عليه الصلاة والسلام لجميع طوائف اليهود كانت واحدة ، وكان ظاهر هذه الصحيفة التي كتبت للبطون الصغيرة أنها كانت تخصهم ، ولكن أسسها ونصوصها العامة كانت تشمل كل من تحالف مع اليهود ، فلما اتضحت هذه النصوص من هذه الصحيفة سارع يهود « بني قينقاع » و « بني النضير » و « بني قريظة » الى عقد معاهدات شبيهة بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي معاهدات واحدة بالنسبة لمن عقدت لهم ، وإن اختلفت باختلاف من عقدت لهم .

ويجدر بنا أن نقف عند بعض نصوص هذه الصحيفة وقفة تأمل وتفحص لنحلل بدقة ما فيها من النقاط الهامة ، رغبة في ايضاح سياسة الدولة الاسلامية في بداية نشأتها ، فهذه الصحيفة قد تضمنت الكثير من المبادىء السامية ، والأسس التي يجب أن تقوم عليها العلاقات بين الأمم ، ومن أهم المبادىء التي تضمنتها الصحيفة ما يأتي :

تكوين الأمة :

لقد ورد في الصحيفة : « أن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس » ، فلم يجعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الانتماء الى هذه الأمة قاصراً على أوائل المسلمين في عهده ، بل جعله عاما يشمل كل فرد يدخل في هذا الدين الى يوم القيامة ، بشرط أن يكون من المجاهين في سبيل الله عز وجل ، لا من الخاملين المتقاعدين الذين يكتفون باقامة الشعائر الدينية ، من غير أن يكون لهم دور ايجابي في حياتهم ، فمن أراد أن ينال شرف عضوية الأمة فعليه بالجهاد .

واننا اذا تصفحنا التاريخ لوجدناه شاهدا بوجوب هذا الشرط الذي اشترطه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيمن يرغب في الانضمام الى الجماعة الاسلامية ، لأن كل الدعوات لم تقم لها قائمة بغير الجهاد .

ولم يشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم صفات معينة فيمن يريد أن يتبع المهاجرين والأنصار ، ويلحق بهم ويجاهد معهم ، ليكون ذلك من حق كل انسان مهما كان دينه أو وطنه

أو جنسه ، وهو يقصد بقوله : « أمة واحدة من دون الناس » استقلال هذه الأمة وقيامها بذاتها ، واعتمادها على نفسها دون غيرها .

وقد اعترفت الصحيفة مع ذلك بالمجموعات القبلية القائمة ، وأشارت الى المهاجرين بصفتهم وحدة ، أي : أمة واحدة من دون الناس ، كما أشارت الى قبائل من « الأوس » ومن « الخزرج » ، بيد أنها مع اعترافها هذا لم تترك لهذه الوحدات ما يشعرها بالتكتل الا عند دفع الدية أو الفدية ، وما الى غير ذلك مما لا يتعارض بأي شكل من الأشكال مع وحدة الجماعة الاسلامية .

وحدة الأمة :

ورد في الصحيفة : « وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على عدل وسواء بينهم » .

ولعل في هذا اشارة من المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الى أن المسلمين متحدون في كل أمورهم ، فلا يليق أن تكون هناك وحدة في السلم ، ويكون هناك انقسام في الحرب أو في غيرها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأن أيديهم عليهم جميعا » ، فالمقصود بهذه العبارة هو من يسعى بالافساد بين المؤمنين ، وقال أيضا : « وأن المؤمنين عليه كافة » ، ويعني بذلك من يقتل مؤمنا بغير حق ، فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه حين يعبر بكلمتي : « جميع » و « كافة » في حديثه عن قيام المؤمنين بالقصاص من الذي يقتل أحدهم أو يسعى بينهم بالفساد ، فانه بهذا التعبير يقرر وحدة المسلمين وحدة تامة ، وهذا هو أساس فوزها وانتصارها في مختلف الحروب التي خاضتها .

حرية العقيدة :

جاء في « الصحيفة » : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » ، وفي هذا خير برهان وأكبر دليل على أن الاسلام بريء مما ادعاه أعداؤه من أنه قد انتشر بقوة السلاح ، فلو كان هذا الادعاء صحيحا لما وجدنا الاسلام يقر المغلوبين من أهل الأديان الأخرى على دياناتهم مقابل دفع الجزية ، على أنه قد أعفى منها الفقير المعدم ، والضعيف العاجز عن العمل ، والشيخ الفاني ، والمرأة ، والصبي ، والرقيق ، لئلا يدعي أحد أن العاجزين عن دفع الجزية ليس أمامهم الا الحرب ان كانوا أقوياء ، أو الاسلام قهرا ان كانوا ضعفاء .

ولم يرغم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أحدا على الدخول في الاسلام أو اعتناقه ، وأوضح دليل على ما نقول أنه ترك لليهود الحرية في دينهم ، كما ورد النص على ذلك في الصحيفة ، وقد قال المولى تبارك وتعالى مشيرا الى مبدأ حرية العقيدة : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** البقرة/٢٥٦ ، وقال عز

شأنه :(**قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين**) سورة الكافرون .

وهكذا يأمر المولى تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الاسلام عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، وبانذار الكافرين بالعذاب الأليم ان هم أصروا على كفرهم ، بدون أن يرغمهم على الدخول في الاسلام أو اعتناقه ، والناس بعد ذلك مخيرون بين الايمان والعمل الصالح وهما طريقا الفوز والفلاح ، وبين الاستمرار على الكفر والضلال وهما المؤديان الى الخسران والهلاك ، يقول الحق جل وعلا : (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا**) الكهف/ ٢٩ ، وبذلك يكون الاسلام قد قرر مبدأ حرية العقيدة ، ونادى به منذ بدأت دعوته ، بينما يصفق العالم اليوم لمن يظنهم سباقين الى هذا المبدأ .

وقد عمى عن ذلك أعداء الاسلام ونسوا أو تناسوا سماحته ، وأنه هو السابق الى مبدأ حرية العقيدة ، وهم لا ينظرون الى الاسلام الا بمنظار أسود يحول بين أعينهم وبين رؤية ما فيه من العدالة والكمال ، فلا يرون فيه الا ظلاما وهميا من نسج خيالهم .

التعاون الاجتماعي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : « وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل » ، والمفرح هو الانسان الكثير الأولاد ، والذي كثرت ديونه ، فاذا كان من أقارب الأسير ساعده المؤمنون ليستطيع المساهمة في الفداء ، واذا كان من عاقلة شخص جنى خطأ عقلوا عنه ، حتى لا تزيد ديونه بسبب عجزه عن دفع ما عليه من الفداء أو الدية ، ولئلا يعجز عن الانفاق على أولاده اذا دفع ما معه في الفداء أو الدية ، وهذا يحقق مبدأ التعاون الاجتماعي الذي تفخر به الانسانية .

والمسلمون اذ يعطون المفرح في الفداء أو الدية انما يحاربون الموت والرق في وقت واحد ، فقد كان العرب في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر ، ويقدمون على هذا العمل ولا يبالون بما يفعلون ، وكان المدين عندما يعجز عن دفع ما عليه من دين في الأجل المحدد له تضاعف دينه ، وصار كالخادم عند الدائن ، يأتمر بأمره ، ويمتنع عما ينهاه عنه .

لقد حارب الاسلام كل ذلك ، وقضى على كل الأسباب المؤدية اليه ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه باعانة المفرح ومساعدته ، فكانوا يقومون بسداد دينه ، أو اعطائه المال عند الشدة ، وهذا مبدأ من مبادىء الاسلام السامية التي

تسعد البشرية ، والتي جاءت بها الشريعة الاسلامية السمحة الغراء .

نظام الحكم :

جاء في صحيفة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله » .

وبهذا يقرر الاسلام مبدأ عاما وقضية طبيعية ، وذلك لأن كل الجماعات والأمم ينشب بينها النزاع ، ولكن شتان ما بين نزاع يزيد وينمو على مر الأيام ويتحول الى أحقاد تتوارثها الأجيال ، وبين نزاع سريع الزوال ليحل محله الود والصفاء ، وهذا الأخير هو الذي يقصده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فهو لا يريد لأمته نزاعا جاهليا تتسع هوته على مر الأيام ، ولكنه يريد النزاع الاسلامي الذي لا يلبث أن يزول وتنقشع سحبه .

وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه للفصل في هذا النزاع ، لأنه يريد تأليف القلوب وإزالة أسباب الفرقة والخلاف ، فحبه واحترامه يغمر القلوب ، قلوب المسلمين جميعا ، فلا يخالفون له أمرا ، ولا يتخلف واحد منهم عن تلبية دعوته في أي أمر من الأمور ، ولن يتوانى صاحب الحق في التنازل عن حقه والعفو عمن ظلمه اذا ما سمع من الرسول عليه الصلاة والسلام كلمة تدعوه الى ذلك .

ويدل نص الصحيفة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يقضي في خصومات أهل الكتاب والمشركين من أهل الصحيفة ، كما يقضي في خصومات المسلمين ، ولعله قد اختار نفسه للقضاء بين الناس ليؤكد لهم أنه هو رئيس الحكومة الجديدة في « المدينة » بعد هجرته اليها .

ومن الطبيعي أن تفويض السلطات التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية للرسول صلى الله عليه وسلم يستند الى آيات قرآنية كريمة ، فقد قال المولى عز وجل : **(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)** النساء/ ٥٩ ، وقال جل شأنه : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** النساء/ ٦٥ ، وقال تبارك وتعالى : **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)** الأحزاب/ ٣٦ ، وقال سبحانه وتعالى : **(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا)** النساء/ ٨٠ .

اذا فالمصطفى صلوات الله

وسلامه عليه كان يمارس هذه السلطات مهتديا بأحكام القرآن الكريم ، وأن دستور الحكم في الأمة الاسلامية هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وليس للعرف أو التقاليد القبلية .

مراعاة حق الجار :

لم يحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة من هو المقصود بالجار ، ليدل بذلك على أن هذه الكلمة تشمل كل من جاور المسلم .

ولا شك في أن الجار هو أقرب الناس الى الانسان بعد أهله ، فمن الممكن أن يعرف أخلاقه وطباعه ، فلو رأى رجل من أهل الكتاب لينا ولطفا وحسن معاملة من المسلم لتألف قلبه للاسلام وفهمه على حقيقته ، وعلى العكس لو رأى غلظة وقسوة منه لنفر قلبه من الاسلام ، وأساء فهمه وزاد بعدا عنه ، وقد تحدث بينهما مناقشات قد تؤدي الى منازعات لا تعود على الاسلام بفائدة ، فلا يليق بالمسلم أن يسيء معاملة جاره إن كان على غير دينه ، وانما يجدر به أن يعامله باللين ، ويخاطبه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن تنعكس شخصية المسلم على تعامله معه .

واذا عرفنا أن كلمة « الجار » في الاسلام تشمل من يسكن الأربعين بيتا المحيطة بالمسلم لعلمنا أن جميع الأمة جيران ، وأنها حلقات متصلة في ظل المحبة والاخاء ، والتعاطف والبر والتراحم .

موادعة اليهود .

لقد أقر الرسول صلوات الله وسلامه عليه اليهود على دينهم ، وقد اوضحنا ذلك عند الحديث عن حرية العقيدة ، وقد جعلهم عليه الصلاة والسلام هم والمسلمون أمة واحدة بقوله في الصحيفة : « وأن يهود بن عوف أمة مع المؤمنين » ، ثم أورد كل قبيلة من القبائل اليهودية أو البطون اليهودية وجعل لها مثل ما ليهود « بني عوف » .

وقد ورد في الصحيفة : « ولا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه » ، فالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه حين يحدد وصف المؤمن بقوله : « آمن بالله واليوم الآخر » انما يريد بذلك التقريب بين اليهود والمسلمين من جهة العقيدة ، بحيث لو رغبوا في اعتناق الاسلام والدخول فيه لوجدوا تقاربا بينهم وبين دينهم .

وأغلب الظن أن الحرص على ضم اليهود الى صفوف المسلمين يتضح في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » فيه من الاغراء والترغيب ما فيه .

إيقاف الموادعة اذا ما ظلم اليهود :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : « الا من ظلم

وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه » ، ويقصد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالظلم والاثم ما يقع من اليهود من محاولات الغدر المقصود بها اشعال نار الفتن والحروب ، ومقاومة الاسلام ومحاربة الدعوة ، وصد الناس عنها ، مما يوقع الضرر بالمسلمين والاسلام ، ويحول دون انتشار الدعوة وتقدمها ، واظهارا لقوة المسلمين وتهديدا لليهود بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من ظلم منهم فلن يكون ظالما الا لنفسه .

ولعل المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشعر بأنه لن يكون هناك وفاق بين المسلمين واليهود ، ولذا كرر هذا المعنى في الصحيفة ، وذكر هذا التحذير عدة مرات ، لأن اليهود سينقضون هذا العهد وسيغدرون بما ركب في نفوسهم الدنيئة من الخسة والنذالة ، والميل الى الدس والنفاق والشقاق والكيد ، فأراد صلوات الله وسلامه عليه أن يقيم عليهم الحجة ، ويبين سلامة موقفه أمام المولى تبارك وتعالى ، والضمير ، والانسانية ، اذا عاقبهم على ظلمهم ونقضهم للعهد ، ولذا كرر انذاره لهم ، وقديما قيل في الأمثال : « قد أعذر من أنذر » .

وأغلب الظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقصد من هذا الانذار منع الصراع الداخلي في « المدينة » بين اليهود والمسلمين ، لئلا تنتهز « قريش » الفرصة وتهاجم المسلمين ، وتشغل الرسول عليه الصلاة والسلام عن نشر الاسلام خارج « المدينة » .

وبعد هذا الانذار أورد الرسول صلى الله عليه وسلم ترغيبا ، اذ أمر بألا يقوم المسلمون بأي شيء تجاه اليهود الا في حالة عدائهم للاسلام ، فما دام اليهود مسالمين فالمسلمون موادعون لهم .

تحريم خروج اليهود من المدينة بغير إذن الرسول الكريم :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واثق من اخلاص اليهود له ، وكان يتوقع منهم دائما الغدر ، فهم قد جبلوا عليه وطبيعتهم مركبة منه ، ولا يعرفون الى الوفاء سبيلا ، ولذلك فقد حرم عليهم الخروج من « المدينة » بدون اذنه ، ليكون في مأمن من شرهم ، وليكون على علم تام بأمرهم وكل تحركاتهم ، اذ ليس من المستبعد أن يعرف البعض منهم أخبار المسلمين ثم يقوم بتوصيلها الى « قريش » التي تتربص بهم الدوائر ، في الوقت الذي يريد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام كتمان الأخبار عنها ، ومن المحتمل أن يخرج البعض من اليهود لتأليب « قريش » على المسلمين ، واشعال نار الحرب .

محالفة اليهود :

كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدى قوة « قريش » ، ويتوقع هجومها على « المدينة » في أي وقت من الأوقات ، وكان يدرك أن المسلمين في بداية

عهدهم في « المدينة » وليست لديهم القوة التي يستطيعون بها أن يقفوا وحدهم أمام « قريش » ، فعقد معاهدة الدفاع المشترك عن « المدينة » بهذه العبارة من الصحيفة التي تقول : « وأن بينهم النصر على من دهم يثرب » ، ليتخذ أنصارا يقفون معه ضد كل من يعاديه من « قريش » وغيرها ، ولم يعين صلوات الله وسلامه عليه المقصود بكلمة « النصر » هذه لتشمل المساعدة الحربية والمساعدة المادية معا .

وقد نصت الصحيفة كذلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلب من اليهود مصالحة حليف للمسلمين فانهم يصالحونه ، وأن اليهود اذا طلبوا من المسلمين مثل هذا فعلى المسلمين أن يجيبوهم اليه ، وقد فعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ذلك تأكيدا للتضامن الحربي بين اليهود والمسلمين ، وتقوية لوحدة الأمة اليثربية التي أرادها .

هذا باستثناء من حارب الاسلام ، فيحرم على المسلمين مصالحة من حارب دينهم ، وليس من حق اليهود أن يصالحوا أعداء الاسلام ، ثم يطلبوا من المسلمين مصالحة هؤلاء الأعداء .

اشتراك اليهود في النفقة مع المسلمين وقت الحرب :

جاء في الصحيفة : « وأن اليهود ينفقون مع المسلمين ماداموا محاربين » ، فاذا كان في الجيش معسكر لليهود ومعسكر للمسلمين التزم كل معسكر بنفقاته ، فيطعم الجنود ويشتري السلاح من ماله الخاص .

وقد نفى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بهذا النص أن ينفق المسلمون على اليهود اذا خرجوا معهم للقتال ، أو يظن اليهود وجوب نفقتهم على المسلمين لخروجهم معهم لقتال أعدائهم .

يقول أبو عبيد في هذا الشأن : فهذه النفقة في الحرب خاصة ، شرط عليهم المعاونة له على عدوه ، وانما كان يسهم لليهود اذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط الذي شرط عليهم من النفقة ، ولولا هذا لم يكن لهم في غنائم المسلمين سهم ، وانما كان هذا الكتاب قبل أن يظهر الاسلام ويقوى ، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب .

صيانة الأمن وتحريم الجريمة :

ورد في الصحيفة : « وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل » .

والمحدث هو : المجرم أو الجاني . فلا يحل لأحد أيا كان أن يمنع من اقامة الحد عليه ، حيث جاء في الأثر : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في

أمره » .

وقد روى عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن امرأة مخزومية سرقت ، فقالوا : من يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها ؟ .. فلم يستطع أحد أن يكلمه غير أسامة بن زيد ، وكانت شفاعته مقبولة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « أتشفع في حد من حدود الله » ثم قام فاختطب ، ثم قال « إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه مسلم .

حق الحياة :

جاء في الصحيفة : « وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به ، الا أن يرضى ولى المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم قيام عليه » .

واعتباط المؤمن قتله بغير حق ، وجزاؤه القتل الا اذا قبل ولى المقتول الدية ، ونحن نجد في القرآن الكريم ما يؤكد هذا الحق الانساني ، فقد جعل المولى تبارك وتعالى قتل النفس ظلما كقتل الناس جميعا ، وذلك لينفر من جريمة القتل ويقرر حق الحياة ، فقد قال عز وجل بعد قتل قابيل لأخيه هابيل :(**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة /٣٢ .

إن الله عز وجل لم يخلق الحياة عبثا ، بل خلقها لحكمة جليلة وغاية عظيمة ، تتمثل في اختيار كل انسان لمعرفة مدى قيامه بواجباته أو تقصيره فيها طيلة فترة عمره ، يقول الحق جل وعلا : (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) الملك/١ و ٢ .

وقد جعل الله جل شأنه الحياة حقا من الحقوق وواجبا من الواجبات في نفس الوقت ، ولذلك فمن حق كل انسان ومن واجبه أن يعمل على حفظ حياته وصيانتها له ولاخوانه بقدر ما يستطيع ، ولا يحق لأي انسان أن يعتدي على حياة غيره ، لأنه بذلك يكون قد ارتكب جرما واغتصب حقا من أهم حقوق اخوانه ، ومن قتل نفسا بغير حق فقد باء بغضب من الله عز وجل الذي تفرد بصفة الاحياء والاماتة ، ومن المجتمع الذي ينكر عليه التعدي على أهم حقوق غيره .

إن حياة الناس سواء في مشارق الأرض ومغاربها ، والاعتداء على بعض الناس يعتبر اعتداء عليهم جميعا ، والاسلام يدعو جميع الناس لعمل كل خير ودفع كل شر ، وبالتالي يدعوهم لجمع الصفوف وتوحيد الكلمة .

وعلى الدولة بصفتها ممثلة للمجتمع أن تمنع اعتداء الانسان على حياة أخيه الانسان ، وتطبق في سبيل ذلك الأحكام الشرعية الرادعة ، وتبحث عن أسباب الجريمة قبل

وقوعها لتلافي حدوث هذا الأمر .

حرمة المدينة :

ورد في الصحيفة : « وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة » ، واننا لنجد في هذا النص تأكيداً لناحيتين :
الأولى : وجوب مسالمة اليهود للمسلمين وعدم الكيد لهم .
الثانية : تأمين اليهود على أنفسهم وممتلكاتهم .
ولعل الحكمة في جعل بعض الأماكن حرماً كـ « مكة » و« المدينة » هي عين الحكمة في جعل بعض الأشهر حراما لا يحل فيها القتال ، فالمقصود بهذا أن يعتاد الناس حياة الأمن التي لا يعكر صفوها نزاع أو جريمة ، ولحرمة « المدينة » قال أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ : « لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها » .
وأغلب الظن أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لو كان يملك زمام الأمر في « جزيرة العرب » كلها وقت كتابة الصحيفة لجعلها كلها حراما ، وما جعل الحرمة قاصرة على « المدينة » فقط .

عدم جوار قريش :

لقد جاء في الصحيفة : « وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها » ، وقد كان من مظاهرالمروءة والشرف عند العرب في الجاهلية عادة الجوار ، وقد رأى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بثاقب رأيه وعظيم حكمته أن هذه العادة لو بقيت لكانت مصدر خسران وبلاء للاسلام ، فلو اشتد أحد من « قريش » في عداوته للمسلمين واضطهاده لهم ، ثم طلبه المسلمون بعد ذلك لينال جزاءه فاستجار برجل من أهل « المدينة » لم يتمكن المسلمون من أن يتخلصوا منه ومن عداوته لهم ، فلا غرابة اذن في أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بألا تجار « قريش » ولا من يناصرها .
ولم يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة المجير في أمره بعدم اجازه « قريش » ليشمل المشرك واليهودي بجوار المسام .

تنظيم الحياة العامة في الدولة الاسلامية :

لقد نصت الصحيفة على الأسس التي تنظم الحياة العامة في الدولة الاسلامية ، ويتبين من هذه الصحيفة الى أي حد تغيرت الأحوال والأوضاع القديمة التي كانت سائدة قبل ظهور الاسلام .
وأول هذه الأسس أن الصحيفة جعلت للجماعة الاسلامية كيانا ، فقد نصت على أن كل المسلمين من « قريش » و « المدينة » ومن انضم اليهم وقاتل معهم في سبيل تعزيز الدولة الاسلامية أمة واحدة من دون الناس وبهذا اصبح الاسلام ملكا لمن دخل فيه واعتنقه ، وبناء على هذا

الاساس دخل في الاسلام شعوب كثيرة ، بدون أن يضع الرسول صلى الله عليه وسلم أمامها أية حواجز تمنعها من المشاركة في حياة العالم الاسلامي ، ذلك لأن الحدود القبلية أصبحت غير معترف بها رسميا في الدولة .

وهذه الأمة تجمع بين رعاياها رابطة الاتحاد النابع من الايمان ، والمؤمنون هم أول من يتمثل معنى الاتحاد ، وهم أول من يلتزم بالوفاء له ، وهم كذلك أول من يتمتع بالحقوق التي يمنحها لهم .

والأمة الاسلامية لها منطقة من الأرض ، هي منطقة « المدينة » ، وكل ما في هذه المنطقة يجب أن يكون مقدسا ودار سلام ، لا يحدث فيها اعتداء من أحد على أحد ، وعلى هذا الأساس فالأمة الاسلامية لا تتألف من المسلمين وحدهم ، بل هي تتألف من كل من يحالف المسلمين ويجاهد معهم ، وبذلك يدخل في الأمة الاسلامية من لم يعتنق الاسلام ، كبعض الأنصار الذين لم يسلموا وظلوا على ما هم عليه من ديانة ، وأدمجوا في الدولة الاسلامية ولم يستبعدوا عنها .

كما شملت الأمة الاسلامية ـ أيضا ـ اليهود في « المدينة » ، بيد أن اندماجهم في الامة الاسلامية لم يكن كاندماج المهاجرين والأنصار ، ولذلك لم يكونوا مكلفين بنفس الواجبات ولا يتمتعون بنفس الحقوق ، وقد ألحق بعضهم بالدولة بنص صريح في الصحيفة ، وهؤلاء هم الذين كانت بينهم وبين الانصار روابط تحالف ، ووضع بند خاص لكل من يتبع الدولة منهم بعد ذلك ، وعلى هذا فلم يكن الجميع ينتمون للدولة بدرجة واحدة ، بل أصبح هناك فرق وتمايز بين أصحاب الحق الكامل ، وبين غيرهم ممن يتبعونهم أو ينزلون بهم .

وعلى الرغم من انضمام كل الطوائف تحت لواء الأمة الاسلامية فانها لم تكن أمة أفراد ، بل أمة جماعات ، فانتماء الفرد الى الأمة انما يكون عن طريق القبيلة أو العشيرة ، وقد نصت الصحيفة على بقاء القبائل كما هي ، ودخولها في الأمة الاسلامية على ما هي عليه ، فظل تشكيل القبيلة الاجتماعي كما هو ، ومع أن نظام العصبية والقبلية الذي كان سائدا في العصر الجاهلي لم يعد له أدنى اعتبار ، فان النظام القبلي باعتباره عاملا من عوامل قوة القبيلة في داخلها وبطريقته في معاملة الغرباء ظهرت فائدته ، فلم يستطع نبذه أو الاستغناء عنه ، فظل رؤساء القبائل كما هم ، ولم يقم غيرهم مقامهم .

أما فيما يختص بعلاقة الأمة بالقبائل ، وتحديد سلطة كل منهما ، وما لكل منهما من حقوق وواجبات ، فقد ظلت القبائل ملزمة بالنفقات التي لا تأخذ طابعا خاصا ، وخاصة فيما يتعلق بفداء الأسرى ودفع الديات ، لأن نظام خزانة الدولة لم يكن قد عرف أو وجد بعد ، وبقي للقبيلة حق الاحتفاظ بنظام الولاء ، فلا يصح

لأي انسان أن يتحالف مع مولى غير مولاه ، وكذلك ظل حق الاجارة من غير قيد ، فيجوز لأي شخص أن يجير الغريب ، وهو باجارته ملزم للجماعة كلها ، ولكن اجارة « قريش » ومن نصرها محرمة على كل من اشترك في هذه الصحيفة .

ومقتضى ذلك أصبح لزاما على القبائل أن تتناسى مسألة الأخذ بالثأر فيما بينها ، لأن أول هدف للأمة الاسلامية هو منع نشوب حرب أهلية داخلية ، فاذا قام نزاع وجب أن يعرض على القضاء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نص في الصحيفة على أن يتولى هو بنفسه القضاء بين الناس دون سواه .

والهدف الثاني الذي بينته الصحيفة هو تضامن القبائل لصد أي عدوان يتهددهم من الخارج ، والمؤمنون ملزمون بالتناصر والتآزر والتعاقل فيما بينهم ، وهم يد واحدة على من سواهم ، وهم جميعا على من بغى منهم ، ولا يقع واجب الثأر على عاتق أهل المقتول بحكم رابطة القرابة ، وانما يقع على كاهل المؤمن ليأخذ بثأر المؤمن ، وبذلك أصبحت الحرب حربا ليس إلا ، وأصبح السلام مع قوم أجانب أمرا يشمل المؤمنين جميعا كما هو الشأن في الحروب .

لقد أوضحت الصحيفة التخطيط الشامل لكل الأمور ، واذا كانت هناك بعض الثغرات التي تتمثل في حق المجني عليه ، في الأخذ بالثأر أو العفو ، وفي حق الاجارة التي يجب أن تكون حقا من حقوق سيادة الدولة ورئيسها ، إلا أن نظام الأمة الاسلامية أخذ يكتمل بعد ذلك بالتدريج .

إن الهدف الذي كان يرمي اليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هو أن يعيش الجميع في وطنهم آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم ، وأن يكونوا أحرارا في عقائدهم وآرائهم ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، ولقد كان فيما وضع الاسلام من مبادىء وأصول ، كفاية وضمان لدوام المحبة والتراحم بين الناس .

وهكذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع قواعد المجتمع المثالي الصالح ، الذي يسوده الاطمئنان والاستقرار ، والمودة والوئام ، ويعد له الفرد المثالي الصالح ، الذي يقيم صلته بالله عز وجل على الصدق والاخلاص في عبادته ، والعمل على مرضاته ، ويقيم صلته بالناس على التعاون الصادق في سبيل الخير ، ويعاملهم جميعا على أنهم اخوة ، فمن وافقه في عقيدة الاسلام فهو أخوه في الله عز وجل ، ومن خالفه فيها فهو أخوه في الانسانية .

لقد كان المؤمنون وعلى رأسهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هم الروح التي تحيا بها الأمة الاسلامية ، وعنصرها الذي به تنهض وتصدر عنه الحركة ، وكلما كانت الدعوة الاسلامية تنتشر كانت الأمة الاسلامية آخذة في طريق التماسك والبناء .



لم يخلق الله سبحانه وتعالى الانسان في هذا الكون ليعبث ويلهو ويلعب .

ولم يخلق الله الانسان ليطغى بقوته وجبروته وصلفه وغروره ، ولم يخلق الله الانسان ليعيش في احضان الجهل .

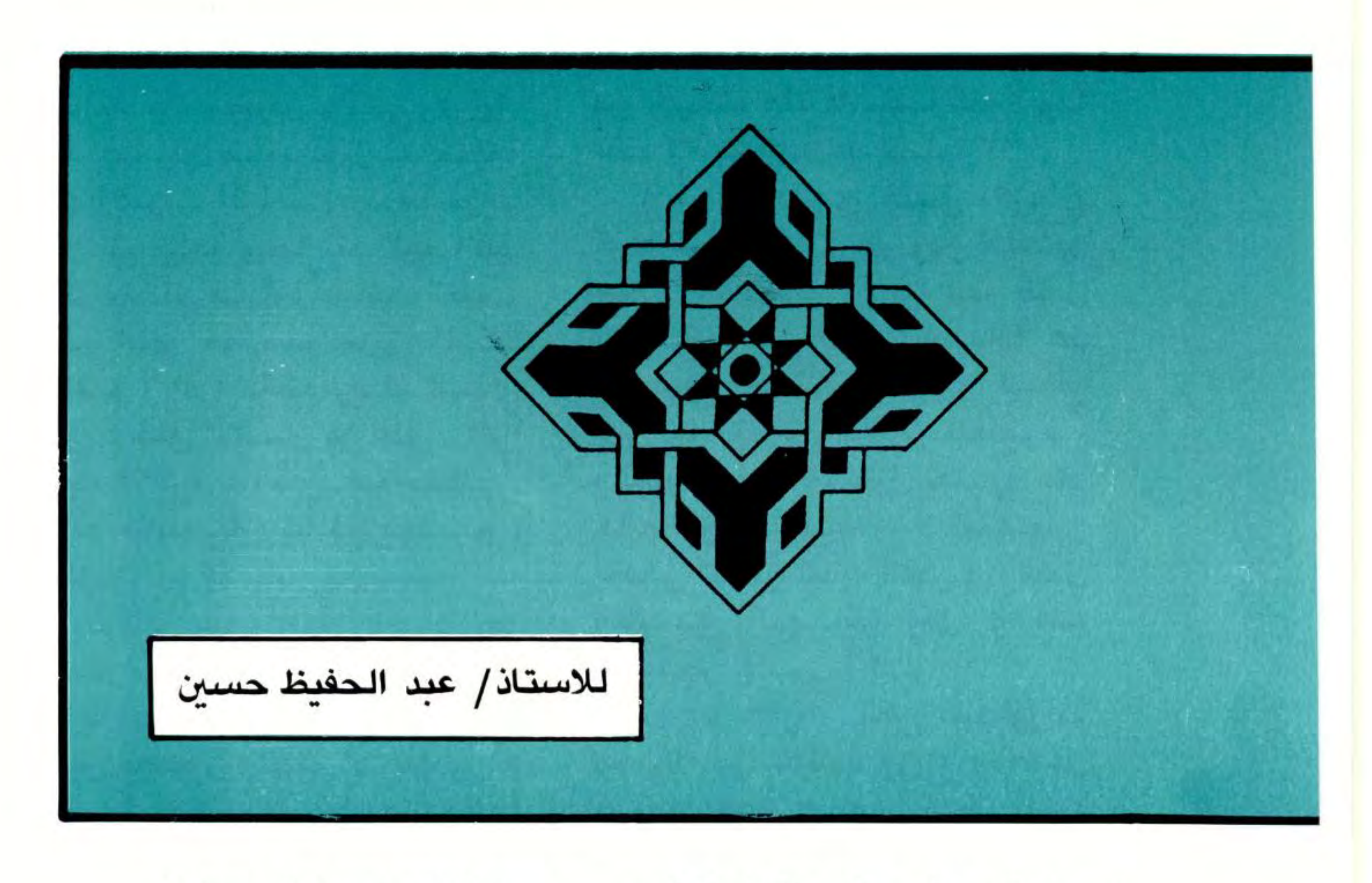
(افحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) المؤمنون/ ١١٥ .

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) الملك/ ١ و٢ .

فالانسان خلق وركب فيه ما ركب من قوى الادراك والعلم والعمل ليكون خليفة في الارض يعمل على اصلاحها واتساع عمرانها واظهار اسرار خالق الكون فيها وتدعيم اوامر الخير فيها واقرار السعادة والخير في جميع اصقاعها .

وقد ارشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى في سورة البقرة وهو يحدث عن مبدأ خلق الانسان :

(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا



آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) البقرة/ ٢٩ ـ ٣٣ .

فهذه الآيات توحي بأن العلم أساس للدنيا والدين . فالخلافة في الأرض والسيطرة عليها وتسخير ما فيها واستغلال خيراتها وثمراتها وطيباتها بل تسخير السموات وما فيها . أساس ذلك كله العلم لا غيره .

ومن ذلك قوله تعالى : **(هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم)** الأنعام/ ١٦٥ .

ومن ذلك قوله تعالى : **(آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** الحديد/ ٧

وقوله تعالى : **(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)** ص/ ٢٦ .

وإذا كانت هذه هي مهمة الانسان في الحياة وهي حكمة خلقه . وحكمة الانعام عليه بقوى العلم والعمل وحكمة تسخير الكون وإخضاعه له في التفكير والتصريف فانه لا سبيل إلى قيام الانسان بهذه المهمة وتحقيق تلك الحكم إلا إذا تحصن بالعلم .

وإذا كانت الخلافة الانسانية في الأرض أساسها العلم فان رسالة الاسلام أساسها العلم أيضا لأن محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والرسل ولأن رسالته مكملة حلقات الرسالات السماوية .

ولهذا يأتيه جبريل بالوحي وفي أول لقاء بينه وبين محمد يقول له بصيغة فعل الأمر ــ اقرأ ــ ويرددها مرات ثلاث ثم يبلغه وحيا يتلى فيه الأمر بالقراءة التي هي أولى مفاتيح العلم ، العلم الذي هو سلم طريق المجد والتقدم **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** العلق/١ ــ ٥ .

وتوالت آيات القرآن تحث على الاستزادة من العلم والاغتراف من رحيقه فقال تعالى : **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/٩ وقال تعالى : **(وما يعقلها إلا العالمون)** العنكبوت/٤٣ وقال تعالى : **(وقل رب زدني علما)** طه/١١٤ .

ولم يكتف الاسلام بهذا بل فتح مجال العلم للعقل الانساني وتعدى به أسرار الطبيعة وتغلغل به في أسوار الحياة .

فقال تعالى : **(فلينظر الانسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم)** عبس/٢٤ ــ ٣٢ .

(فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) الطارق/٥ ــ ٧ .

(وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر/٢٢ .

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس/٣٦ ــ ٤٠ .

(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد/٤ .

(ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت/١١ و ١٢ .

(أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون . وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)

الانبياء/ ٣٠ ـ ٣٢ .

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) الحج/ ٥ .

هذه الآيات وما جرى مجراها فتحت للعقل الانساني آفاق الكون ووصلت به إلى خير ما قدر له من الانتفاع والرقي والتقدم .

وفي آيات القرآن الكريم دعوة إلى التأمل والمشاهدة والتفكير في ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق وما يفيد المجتمع .

(أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠ .

دعوة صريحة إلى المشاهدة والتأمل واستنباط الحقائق العلمية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وعودة صادقة إلى اتباع الأسلوب العلمي في مناحي الحياة .

وكل ما جاء به القرآن في الحث على التفكر والتفكير دليل على مكانة العقل والعلم في نظر الاسلام : إذ العقل آلة التفكير والعلم ثمرة التفكير .

فكل ما ورد في القرآن حثا على التفكير هو إعلان عن فضل العقل وايحاء بالعمل على تربيته وتقويته وهو في الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم وايحاء بتحصيله . حتى يتمكن الانسان من الحقائق وتزول عنه غشاوة الجهل . ويتحرر من رق الأوهام والخرافات التي لا صلة لها بواقع الحياة وبهذا كان الاسلام دين الفكر والعقل والعلم .

وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير . وجعله ميزة للانسان استحق بها الخلافة في الأرض وبها احتمل الأمانة التي عجزت عن حملها الجبال والأرض والسموات . **(فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان)** الأحزاب/ ٧٢ .

وأشار القرآن إلى العقل ومشتقاته ومترادفاته في نحو أكثر من ثلاثمائة آية فسماء العقل والفكر والرأي والنظر والفقه والرشد والذكر واللب والحجر والنهى والقلب والفؤاد والحكمة والهدى والبينة والبرهان .

ولم يكتف الاسلام بهذا فحسب بل جعل طلب العلم فريضة .

وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث عدة تدعو إلى النظر والدراسة في هذا الكون الفسيح ونظمه وقوانينه :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت / ٢٠

(قل انظروا ماذا في السموات والأرض) يونس / ١٠١

(او لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) الأعراف / ١٨٥ .

(قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) سبأ/ ٤٦ .

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان

يسمعون بها) الحج/٤٦ .

فالقرآن يأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداما أساسه المشاهدة فالعين يجب ان ترى والأذن يجب أن تسمع والعقل يجب أن ينظر ويفكر .

وهذا هو منطق الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسي والتفكير المنظم المبني على الواقع .

وبناء على التوجيهات القرآنية للناس بالنظر والدراسة وعلى جعل طلب العلم فريضة انطلق المسلمون يدرسون ويبحثون ويترجمون ويقارنون ويغربلون ويقعدون ويؤصلون .

وكان للحديث النبوي وللأسس العلمية التي سار عليها علماء الحديث في تحري الأحاديث النبوية أثر كبير في إيجاد روح الدقة في البحوث العلمية وأساليبها .

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية على أصول ومبادىء عامة صلحت لأن تكون منهجا فكريا سليما حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة .

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين من الاستفادة من تلك القدرة الالهية التي منحها الله للانسان وهي العقل فنمته وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التي خلق من أجلها حتى كانت للمسلمين حضارة وعلوم ومخترعات وكانت هناك تشريعات وفلسفة وقوانين وطب وفلك ورياضيات وأدب واجتماع وتاريخ وجغرافيا وفنون جمالية ومسيقى وآداب للسلوك والاجتماع وكان لكل هذه العلوم والفلسفات اساتذة عباقرة كأئمة الفقه ورجال الحديث الذين ضبطوا أساليب النقد وقعدوا قواعد التشريع .

وعلماء التاريخ والاجتماع والجغرافيا من أمثال : المسعودي وابن حيان وابن بطوطة والبيروني وابن خلدون والزرقاني وابن سعد .

وعلماء الفلك من أمثال : يحيى بن ابي منصور والطوسي وابن جابر والبستاني وأبناء موسى ابن شاكر .

وعلماء الرياضيات من أمثال : الخوارزمي الذي أسس علم الجبر والهندسة التحليلية والميكانيكا والبتاني الذي وضع أسس حساب المثلثات .

حتى الموسيقى كان لها علماء وضعوا أصولها وقواعدها والتاريخ يذكر لنا عشرات العلماء الذين أسهموا في هذا الميدان أمثال اسحاق الموصلي والفارابي وابن محرز والكندي والخوارزمي والغزالي وهيئة علماء إخوان الصفاء « وكثير غير هؤلاء » .

وجاء في رسائل إخوان الصفاء الدستور الذي وضعه العرب للبحث العلمي والفلسفي وهذا الدستور ينحصر في تسعة أحكام وها هي كما جاءت في الرسالة السابقة .

السؤال الأول : هل هو : يبحث عن وجدان الشيء أو عن عدمه والجواب نعم او لا .

السؤال الثاني : ما هو : يبحث عن حقيقة الشيء .

السؤال الثالث : كم هو : يبحث مقدار الشيء .
السؤال الرابع : كيف هو : يبحث عن صفة الشيء .
السؤال الخامس : أي شيء هو : يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .
السؤال السادس : أين هو : يبحث عن مكان الشيء أو عن رتبته .
السؤال السابع : متى هو : يبحث عن زمان كون الشيء .
السؤال الثامن : لم هو : يبحث عن علة الشيء المعلول .
السؤال التاسع : من هو : يبحث عن التعريف للشيء .

وتدل هذه الأسئلة على الاتجاه العلمي الذي كان بعض العلماء يسير عليه . وفوق هذا وذاك فقد كان المسلمون هم واضعي طريق البحث العلمي التجريبي الذي كان أساسا للحضارة الأوروبية الحديثة ويكفي أن نستشهد في هذا باعتراف العلامة « بريفولت » .

في كتابه :

العرب وطريق البحث العلمي التجريبي وأنه لم يسبقهم إليها باحث ومفكر .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصلية واستقرت دعائمها في أعماق نفوسهم وانطوت عليها أفئدتهم وجوانحهم .

فكانت الرائد الأمين لعقولهم وأفهامهم . والغذاء الروحي لغرائزهم ومواهبهم وهذه الينابيع الاسلامية طبعتهم على استقلال الارادة وحرية الفكر .

وكرهت إليهم التقليد والتبعية العمياء ووجهت قولهم للبحث والانتاج .

وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون ، فاقبلوا عليها سراعا ودخلوها من كل باب وبهذه النهضة العلمية الجبارة والثورة الفكرية المتحررة . استطاع المسلمون في سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . أن ينتقلوا إلى القيادة الفكرية العالمية ويصبحوا أساتذة الدنيا وعباقرة الفنون ورواد الحقيقة .

وكان واصبح هناك قادة وحكام لم يعرف التاريخ لهم مثيلا أمثال أبي بكر وعمر وخالد بن الوليد والمقداد وصلاح الدين الأيوبي وطارق بن زياد وموسى بن نصير ومحمد الفاتح .

وكانت هناك مدن لم يشهد العالم لها مثيلا مثل القاهرة وقرطبة وغرناطة وأشبيلية وبغداد . مدن تزخر بكل ألوان الحضارة .

وكانت هناك دول وممالك في الشرق والغرب بسطت نفوذها وقيادتها وفلسفتها وعبقريتها وشرقت وغربت حتى شملت معظم الرقعة المعمورة من الأرض آنذاك .

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية الكامنة في الانسان المسلم ففتحت أمامه آفاقا للتحرر من ربقة ما كان عليه الآباء ...

فبحث ودرس وأضاف وجدد وابتكر فكان ذلك النتاج الحضاري الاسلامي الأصيل في سائر المعارف الأنسانية .



للواء محمد جمال الدين محفوظ

ينطوي بناء جيش الاسلام الاول ، الذي كونه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وبنى رجاله وأعد قادته ، وقاده في معارك الدفاع عن الدين ورد العدوان ، على كل مقومات الجيش الذي لا يقهر .

وقد سجل التاريخ لهذا الجيش ـ فوق آيات البطولة والشجاعة وحسن القيادة ـ أنه حقق أعظم الأهداف وهو تأمين الدعوة وحماية بناء الدولة الاسلامية حتى تمت كلمة ربك في الجزيرة العربية .. وكان هذا الجيش مدرسة عسكرية كبرى لها نظرياتها وتعاليمها ، وقد تخرج من هذه المدرسة قادة ومقاتلون حققوا بعد عصر النبوة فتوحات امتدت في أقل من مائة عام من سيبريا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ، ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، كما سجلوا على صفحات

التاريخ الحربي ما أذهل خبراء الحرب من آيات العبقرية الحربية .
وليس من شك في أن تعاليم المدرسة العسكرية الاسلامية ما زالت من القوة والصحة بحيث اذا اتبعتها الأمة العربية والاسلامية لأصبحت جيوشها جيوشا لا تقهر .. فلقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الاسلامية أمة مجاهدة عزيزة الجانب ، ولم يرد لها أن تخضع ولا أن ترضى بالذلة ، ولا تستكين الى هوان ،

● فأمرها باعداد القوة التى ترهب الأعداء كما يفهم من قوله سبحانه : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/ ٦٠

● وفرض عليها الجهاد في سبيله ، وجعله الوظيفة الشريفة التى اختارها لأدائها كما يفهم من قوله تعالى : **(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم)** الحج/ ٧٨ – (اجتباكم يعني اختاركم) .
فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التى جعلها الله في خير منزلة بين الأمم في قوله تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/ ١١٠ ، وفي قوله سبحانه : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** البقرة/ ١٤٣ (وأمة وسطا يعني خيارا معتدلين – وشهداء على الناس أي في مقام عال ، فان الشهيد – لغويا – هو الذي ينظر من عل) .
والتكليف باعداد القوة وبالجهاد ، تكليف قائم وباق حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ومقتضى ذلك ألا تفتر عزائم الأمة عن إعداد القوة بعناصرها المتعددة العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها ، ثم ان ورود لفظ القوة مطلقا دون تقييده بشكل معين ، يقضي منطقيا أن تتطور القوة في شكلها ونوعها وتركيبها وأسلوب استخدامها لتناسب روح العصر الذي يحتويها ، والأمة الاسلامية ان لم تفعل ذلك ، ولم تأخذ بأسباب التطور العلمي و (التكنولوجي) ، وتخلفت عن مقتضيات عصرها ، فان قوتها التى أمرها الله باعدادها تفقد قيمتها وفاعليتها ، وتعجز عن إرهاب الأعداء ، فتتعرض الأمة للخطر والهلاك .

ان أخطر ما تتعرض له الأمم هو الغفلة عن الخطر المحدق بها من أعدائها ، والأمة العربية والاسلامية في أشد الحاجة الى اليقظة والحذر ، وهي في صراعها لتحقيق نهضتها الحضارية الشاملة في عصر ساد فيه منطق القوة ، في أشد الحاجة الى « القوة » و التى تتكافأ مع قدرها ومكانتها ، والتى تحمي كيانها وتصون وجودها ، وترهب أعداءها وتمنعهم من التفكير في العدوان عليها . ولا يوجد سبب على الاطلاق يبرر الزعم بأن العرب والمسلمين قد فقدوا الصفات التى مكنت اجدادهم من أن يبنوا قوتهم ويقيموا حضارتهم ، فما يزال الانسان العربي يملك صفات الرجولة والمروءة ، والاستطلاع العقلي الحاد ، والخيال المبدع ..

فلا مراء في أن لدى العرب والمسلمين القدرة على قيادة النهضة الحضارية الشاملة ، وعلى بناء القوة التى تحميها وتدفع عنها العدوان ما استمسكوا بدينهم ، وأقاموا وحدتهم ، وساروا على هدى دينهم في البحث والتطوير ، وعملوا لمستقبلهم بالايمان والعلم ، والصبر والمصابرة .

ويكفي أن نقارن حال العرب قبل الاسلام بحالهم بعد الاسلام ، لكي نكتشف سر ذلك التحول العظيم الذي حدث للعرب بعد الاسلام .. فلقد كانت للعرب قبل الاسلام خبرة طويلة بالحروب ، وكانوا شجعانا لا يهابون الموت ، بل كانوا يعتبرونه في ساحة المعركة شرفا يتباهون به ، ويعدونه في غيرها عارا يأنفون منه ، ومن ذلك قول شاعرهم :

وما مات منا سيد حتف أنفه	ولا طل منا حيث كان فتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا	وليس على غير الظبات تسيل

(الظبات جمع ظبة بضم الظاء والمراد بها السيف)

لكن العرب لم يحققوا ما حققوه من فتوحات وحضارة إلا بعد الاسلام ، ثم نتأمل في سر آخر ، فالرسول القائد صلى الله عليه وسلم كان يحارب في معاركه دفاعا عن الدين عربا بعرب ، بل وقرشيين بقرشيين ، فكان المسلمون ينتصرون على الرغم من تفوق عدوهم عددا وعدة !

فماذا تعلم العرب في المدرسة الاسلامية حتى اصبحوا قوة لا تقهر ؟ وحتى أصبح العربي مضرب الأمثال في الشجاعة والبطولة والعبقرية الحربية ؟

ان الاسلام عقيدة وعملا ، قد أوجد في قلب العرب التربة الصالحة ، وخلق الاستعداد النفسي للغرس والتربية ، يقول الله تعالى : **(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)** فصلت/ ٤٤ .

كما أن الاسلام قد وجه العرب الى غاية عظمى رفعت أقدارهم وهي إعلاء كلمة الله ، واعزاز راية دينه ، وما يدخل في مفهوم كلمة « سبيل الله » من قيم فاضلة وقضايا عادلة ، وأهداف نبيلة .

فلنتاول الأن أهم الأسس التى تستوحي من تعاليم المدرسة العسكرية الاسلامية في بناء الجيوش بروح العصر الذي نعيش فيه .

أولا : القيادة العلمية

يجمع القادة العسكريون وعلماء الاستراتيجية العسكرية على أنه لا يمكن حل مشكلة واحدة من مشاكل البناء العسكري بدون السيطرة على الطرق العلمية للعمل في الجيوش وقيادتها ، وأن جوهر القيادة العلمية للجيوش في هذا العصر ، بكل خصائصه المعروفة ، يحتم على القيادات العسكرية أن تكون على مستوى

عال من المعرفة ليس في المجال العسكري الخالص فحسب ، بل في مجالات كثيرة للعلوم الطبيعية مثل الرياضيات والفيزياء والاحصاء ، وللعلوم الاجتماعية مثل علم النفس وعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ وعلم الادارة وغيرها .

والاسلام اهتم بالعلم اهتماما بالغا ، فحث عليه ووجه اليه وجعله من أسس الدين نفسه ، ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم تتضمن « **القراءة** » التى هي مفتاح العلم ، و « **القلم** » الذي هو آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة ، وأن الله هو الذي علم الانسان كل شيء : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ٥ ، والآيات والاحاديث التى وجهت الأمة الاسلامية الى العلم كثيرة مستفيضة ، واذا كان العلماء يشهدون التوحيد ، فان منزلتهم بالمكان السامي ، ودرجاتهم في الرفعة والسمو : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة/ ١١ .

ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء امر الله سبحانه وتعالى رسوله ــ وهو قدوة المسلمين وأسوتهم ــ أن يقول (**رب زدني علما**) طه/ ١١٤ ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع » الترمذي والنسائي وابن ماجه ، ويقول أيضا : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » رواه مسلم .

وقد اهتمت الجيوش ــ وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى ــ بتنمية التفكير العلمي المنظم في عقول رجالها ، فقد انقضى العهد الذي كانت فيه الشجاعة والقوة البدنية تشكلان المقومات الاساسية للنجاح في المعركة ، وأصبح التفكير العلمي المنظم هو المطلب الحيوي الأول للنجاح في القيادة والقتال معا .

من أجل ذلك أنشأت كل الجيوش معاهد عسكرية خاصة لتدريب ضباطها وقادتها على فن التفكير واصدار القرارات على أساس علمي ، وتسمى هذه المعاهد بكليات الأركان ، ويروي أن القائد العام في احدى الدول الكبرى توجه لافتتاح كلية الأركان عند انشائها لأول مرة عقب الحرب الأولى ، فلم يزد في خطابه الذي وجهه الى المجموعة الأولى من الضباط الدارسين على قول كلمتين هما : « تعلموا التفكير » ، ويقول المشير « مونتجمري » معبرا عن تجربته الطويلة في مجالات القيادة : « لقد اقتنعت بأنه لا يمكن لأي قائد في القرن العشرين أن يصبح قائدا عظيما وممارسا ممتازا لفن الحرب ، اذا لم يقم قبل كل شيء بالدراسة والتفكير العلمي المنظم للحرب ، وينبغي أن يكون القائد مفكرا صافي الذهن تماما ، وقادرا على استخلاص العناصر الجوهرية من وسط أكداس العوامل والظواهر الأقل أهمية والتى تتصل بكل مشكلة ، وهذه القدرة على استنباط العناصر الجوهرية يجب الا يصاحبها فقدان الرؤية ، وسوف يفشل القائد ــ في الأغلب ــ إذا لم يكن ذهنه في صفاء الثلج ، واذا لم يكن تفكيره منظما » .

وجملة القول ان « القدرة على اتخاذ قرار سليم في الوقت المناسب » من أول مطالب الحرب الحديثة في الرجل العسكري قائدا كان أو جنديا ، والتفكير العلمي المنظم هو المدخل الصحيح الى القرار السليم ، وعملية التفكير لاتخاذ القرار أو لحل المشكلة يجب ان تسير على المنهج العلمي الذي يقوم على العناصر التالية :

- تحديد المشكلة تحديدا صحيحا .
- دراسة المعطيات والبيانات وتحليلها أو وضع الفروض عن العوامل المسببة او المحددة للمشكلة واختبار كل فرض منها .
- استعراض البدائل التى تسهم في حل المشكلة على ضوء المعطيات أو الفروض الصحيحة .
- اختيار البديل الأفضل .

هذا المنهج العلمي هو أحد الأسس الرئيسية التى قامت عليها أحدث النظريات العلمية التى تستهدف حل المشكلات ومعاونة القائد في عمليات اتخاذ القرارات وتسمى بحوث العمليات Operations Research ، وهي مجموعة من الأساليب الرياضية المستخدمة في تحليل المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها ، ويعرفها علماء الادارة بأنها هي « استخدام الطريقة العلمية في تحليل المشكلات الادارية » . وقد أصبحت لبحوث العمليات أجهزة متخصصة في كل تنظيم حديث في الحياة المدنية والعسكرية على السواء .

والواقع والمدهش أيضا ، أن المنهج العلمي الذي لم يشعر بأهميته الناس الا حديثا ، منهج اسلامي ، سبق به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا .

فليس من شك في أن الاسلام هو دين الفكر والعقل والعلم ، وأنه حث على التفكير والتفكر والمشاهدة والتأمل والنظر في ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق العلمية والوصول الى معرفة نواميس الكون ، وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

- **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** العنكبوت/ ٢٠
- **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** يونس/ ١٠١
- **(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها)** الحج/ ٤٦

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يأمر باتباع المنهج العلمي في مناصي الحياة ويأمر باستخدام الحواس استخداما أساسه المشاهدة ، فالعين يجب أن ترى ، والأذن يجب أن تسمع ، والعقل يجب أن ينظر ويفكر . وهذا هو منهج الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسي والتفكير المنظم المبني على الواقع ، وهو المنهج الذي قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب مثل « جوستاف لوبون » الذي قال : « قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، وسارت أوروبا في القرون الوسطى على درس الكتب والاقتصار على

تكرار رأي المعلم ، ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم الى اكتشافات مهمة » ومثل الأستاذ بريفولت الذي قال : « ان الأوروبيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

ولو قيض الله سبحانه للحضارة الاسلامية أن تسير في طريقها دون عوائق ، لكان المسلمون هم الذين غزوا الفضاء ، وكانوا هم الذين وصلوا الى القمر والى غيره مما سخره الله للانسان من كواكب .

فعلى الأمة العربية والاسلامية أن تحرص على توفير القيادة العلمية لجيوشها :

● عن طريق تزويد قادتها بأعلى مستويات المعرفة في علوم الحرب والعلوم الطبيعية والاجتماعية وعلوم الادارة التى أصبحت من الضرورات الحيوية للقيادة العصرية .

● وعن طريق انشاء أجهزة بحوث العمليات وتزويدها بكل ما يلزمها من علماء ومتخصصين وأموال ومعدات .

ثانيا ـ نظريات عسكرية عربية

لكل دولة راقية نظرياتها الخاصة في كل ما يتعلق بشئون الحرب ، مثل بناء الجيوش وتدريبها وتسليحها ، واعداد القادة وأساليب القتال والحرب النفسية وغيرها مما يطلق عليه « العقيدة العسكرية » و « الاستراتيجية العسكرية » .

ويتولى وضع العقيدة والاستراتيجية العسكرية كبار القادة والخبراء العسكريين الذين يجمعون بين العلم والتجربة العملية في قيادة وادارة الحرب ، وتتحول النظريات التى يضعونها الى مناهج للدراسة في كلياتهم العسكرية يتلقاها الضباط والقادة ، ثم تطبق هذه النظريات عمليا في ميدان القتال عندما تشترك الدولة في الحرب .

ومن الحقائق المعروفة أن النظريات العسكرية تختلف من دولة لأخرى ، لأن لكل دولة ظروفها الاستراتيجية والاقتصادية والبشرية ، ووجهات نظرها التى تحكم تصورها للأهداف والوسائل التى تحصل بها على النصر في الحرب ضد أعدائها .

وتعتبر نظريات كل دولة في شئون الحرب سرا من أسرارها ، لأنها تتصل مباشرة بسلامتها وأمنها ، ولذلك نراها اذا أعطت شيئا للدارسين من غير أبنائها ، تحرص كل الحرص ـ وهذا أمر طبيعي لا يخفي على الفطن ـ على ألا تقدم لهم من العلم والخبرة والسلاح الا ما يكون العلم به أو العمل به لا يضر بمصالحها الاستراتيجية ، أوما يكون قد تقادم به العهد ، فأصبحت تملك ما هو أفضل منه ، أو أصبح متخلفا عن مقتضيات العصر .

ولقد عاشت دول عربية واسلامية كثيرة زمنا طويلا تعتمد على الدول الأجنبية في مجال العلوم العسكرية والصناعة الحربية ، فأصبح رجال العسكرية فيها

يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية وأعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكري للدول الاجنبية وكأنه ليس للعرب ولا للمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكري يستحق الدراسة .. كما أصبحت هذه الدول تعتمد في تسليح جيوشها أساسا على استيراد السلاح ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين قدرة على صناعة السلاح !

ولقد آن الأوان لكي تكون للأمة العربية والاسلامية نظرياتها العسكرية الخاصة بها كما هو الحال لدى الدول العظمى ، وآن الأوان لكي تمتلك القدرة على صناعة السلاح الذي يناسب مقتضيات العصر .

فكيف يكون للأمة العربية والاسلامية نظرياتها العسكرية الخاصة بها كما هو الحال لدى الدول الكبرى ، وكيف تتملك القدرة على صناعة السلاح المناسب لمقتضيات العصر ؟

ان الأمر لا يقتضي أن تذهب الأمة بعيدا ، فكتاب الله وسنة رسوله ، خير مرشد لها على الطريق ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « إني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه » (رواه الحاكم) فالواقع أن الاسلام حضارة كاملة ، فالقرآن الكريم ليس كتاب دين يحث على اخلاص العبادة لله ، والتقرب اليه فحسب ، وانما هو الى جانب ذلك وما يتصل به من عقائد وعبادات وأوامر ونواه ، دستور من أعظم الدساتير التى عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل ، وذلك بما تضمنه من القواعد القوية الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم كما يقول الله تعالى : **(ما فرطنا في الكتاب من شيء)** الانعام/٣٨ وكما يقول تعالى : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)** المائدة ١٥ ، ١٦ .

وكما نظم الاسلام كافة امور الحياة دينا ودينا ، فقد عالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع خير المناهج والمباديء لكل ما يتصل بها من حيث أهدافها وأساليب ادارتها وقوانينها وآدابها .

« والعسكرية الاسلامية » تمثل جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية ، ومن الحضارة الانسانية بالتالي ، فلولا جهاد المسلمين الأوائل واسترخاصهم المال والنفس والولد في سبيل الله ، لتغير وجه التاريخ ، ولتخلفت مواكب الحضارة الحديثة عن الظهور ، لقد كان لأجدادنا المسلمين الأوائل فضل تأسيس هذه الحضارة وشق الطريق لهذه الفتوحات العبقرية في ميادين العلوم الطبيعية والانسانية وكان فضلهم هذا ، من بعض ثمرات الجهاد في الاسلام .

والباحث العسكري المدقق ، لا يجد في الاسلام كل ما تحتويه المدارس العسكرية للدول العظمى في الشرق والغرب من نظريات فحسب ، بل انه يخرج من الدراسة المقارنة بأن نظريات الاسلام تتجاوز نظريات تلك الدول وتتفوق عليها ، سواء من الناحية الفنية والعسكرية البحتة ، أو من حيث نبل المقاصد

والأهداف ، ولنضرب مثلا :ـ أصبحت « نظرية الردع » مفتاح الاستراتيجية العسكرية في القرن العشرين وخاصة بعد أن تحقق ما يسمى « بالتوازن الذري » بين الكتلتين المتنافستين الشرقية والغربية ، ومعنى التوازن الذري امتلاك كل من الكتلتين لأسلحة الدمار النووية كالقنابل الذرية والهيدروجينية بقدر متكافيء تقريبا بحيث لا يكون لاحداها تفوق محقق وساحق على الأخرى .

وقد تولد عن هذا التوازن افتتاع لدى كل منهما بعدم جدوى الحرب ، وبأن نشوبها بينهما هو بمثابة « عملية انتحار » رهيبة ، وذلك لأن كلا منهما تملك القدرة على « الردع » والانتقام اذا تلقت الضربة المدمرة أولا .. وقد عبر عن هذا المعنى قائد عسكري كبير بقوله : « إن أية حرب عالمية في هذا العصر قد تكون انتحارا عاما ونهاية للحضارة التى نعرفها ، وإن كلا من الدولتين العظميين لن تخاطر بعواقب استخدام هذه الأسلحة النووية ، لأن الدمار الذي سيترتب على الضربة الانتقامية لأي منهما سيكون مروعا ، كما أن كلا منهما لن يكون على يقين تام من النصر » .

وهكذا يتبين أن « القوة » حققت أهدافها في منع قيام الحرب بقوة « الردع » لكن العالم لم يصل الى تلك النظرية الا في القرن العشرين ، وبعد معاناة قاسية وطويلة في حروب طاحنة اكتوى بنارها ، كما عبر عن ذلك الاستراتيجي الكبير الجنرال اندريه بوفر في قوله : « ان رجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسي الحربين العالميتين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ، ربما وجد أخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسي . وهي استراتيجية الردع ، فلقد أصبح العنصر الحاسم اليوم هو الردع بلا جدال » .

هذه النظرية « الردع » التى لم تتبلور في أذهان خبراء الحرب الا في هذا العصر ، هي احدى النظريات التى سبقت بها العسكرية الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا . فان اعداد « القوة » واظهارها « لارهاب الأعداء » واخافتهم من عاقبة عدوانهم هو موقف مبدئي للاسلام تجاه أعدائه وأعداء أمته ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال/ ٦٠ ، وقد طبق الرسول القائد صلى الله عليه وسلم هذه النظرية في صراعه ضد أعدائه بعد أن أذن له بالقتال ، فمن بين ثمان وعشرين غزوة قادها ضد المشركين واليهود نشب القتال في تسع منها فقط بينما فر الأعداء في تسع عشرة غزوة بدون قتال ، ولم يكن فرار الأعداء الا حسابا لعواقب قتالهم للمسلمين وهذا هو « الردع » على أفضل صوره ، وان قمة الردع لتتمثل في غزوة فتح مكة ، اذ كانت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم العبقرية في اظهار قوة المسلمين كفيلة « بردع » الأعداء ومنعهم من التصدي للمسلمين وهو ما ينطق به قول زعيمهم أبي سفيان : « يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » .

غير أن الدراسة المقارنة تكشف عن الكثير مما تنفرد به نظرية الردع الاسلامية من الخصائص الفاضلة والمقاصد النبيلة ، وليس هذا بالأمر الغريب ، فهي تتفق بداهة من جوهر الاسلام الذي هو دين السلام .

فنظرية الردع الحالية قد نشأت كما ذكرنا مرتبطة بالتوازن الذري الناشيء عن تملك كل من الكتلتين لقدر متكافيء تقريبا من الأسلحة النووية وعن قدرة كل منهما على الرد والانتقام اذا ما هوجمت أولا .

وهذا الارتباط بين نظرية الردع وبين التوازن الذري لا يوحي بالاطمئنان ، ولا يؤدي الى الثقة في قيام سلام حقيقي في هذا العالم ، وذلك لأن « فقدان » هذا التوازن أو اختلاله ــ وهو احتمال وارد ــ بحصول احدى الكتلتين على تفوق ساحق على الأخرى ، سوف يؤدي حتما الى اندلاع حرب نووية ، وقد عبر عن ذلك الجنرال أندريه بوفر نفسه في قوله : « ولكن هل سنسير نحو السلام ؟ بالتأكيد كلا » . ثم أوضح السبب في ذلك وهو وجود الرغبة في التوسع والامتداد .

وهنا نستبين احدى حسنات نظرية الردع الاسلامية ، وذلك لأنه اذا تملكت الأمة الاسلامية القوة المتفوقة على خصومها بحيث يصبح ميزان القوى في جانبها ، فان ذلك لن يغريها باستخدام القوة ضدهم ما داموا يمتنعون عن العدوان .. فالأمة الاسلامية لا تتعدى حدود الردع ، ما دام يحقق الهدف منه وهو ارهاب العدو واخافته ومنعه من استخدام القوة وذلك لسببين :ــ

- أن القصد من اعداد القوة في الاسلام هو ارهاب العدو ليمتنع عن استخدام القوة والعدوان .
- وأن العدوان ليس غاية من غايات الحرب في الاسلام ، فلم يشرع القتال الا اعلاء لكلمة الله ودفاعا عن الأمة الاسلامية ضد الاعتداء .

ولعل أبلغ دليل عملي على ذلك غزوة الفتح ، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكري ساحق على قريش ، لكن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم قرر أن يتم الفتح بدون قتال ، وتحقق قراره عمليا بالتخطيط والتنفيذ .

ومن المقاصد النبيلة لنظرية الردع الاسلامية أيضا أنها تهيىء الفرص الحقيقية لحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية . فان ما تتميز به الأمة الاسلامية من أن دينها يمنع العدوان ، ومن أنها تملك ــ وبأمر دينها أيضا ــ القوة القادرة على رد العدوان وقهره ، يقنع الأمم الأخرى بالامتناع عن اللجوء الى القوة ، وهي مطمئنة الى أن طريق السعي لحل المشكلات بالوسائل السلمية ، ليس مفتوحا فحسب ، بل هو طريق مضمون النتائج ، لا تحيط به الشكوك ، ولا تنعدم به الثقة ، وليس فيه مخاطرة بالتنازل ــ تحت تهديد القوة ــ عن شيء من حق أو كرامة ، ولكن تحوطه كل معاني حب السلام والحق والعدل .. تلك لمحة سريعة عن احدى نظريات العسكرية الاسلامية لم يتسع المجال لشرح كل خصائصها ، وانما قصدنا بها أن نؤكد أن الأمة العربية والاسلامية يمكن أن يكون لها نظرياتها الخاصة في مختلف شئون الحرب مع الثقة الكاملة في أن تلك

النظريات تملك من الخصائص ما لا تتسامى اليه غيرها من النظريات .

ثالثا : الصناعة الحربية العربية

لقد جعل القرآن الكريم العناية بهذا اللون من العلم آية على صدق الايمان وحسن الجهاد ، وهو ما يفهم من قوله تعالى : **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)** الحديد/ ٢٥ .. وختم الآية الكريمة بهذين الاسمين الجليلين **(قوي عزيز)** اشارة الى أن الله يحب لعباده المؤمنين القوة والعزة ، وأن كل ما يوفر ذلك نظريا وتطبيقيا هو من وسائل التقرب اليه ، ومن دلائل تقواه جل شأنه .

فلا يقول قائل : انه يكفينا أن نأخذ من غيرنا عتاد الحرب ، لأن الواقع ــ كما ذكرنا ــ هو أن معظم الدول الأجنبية تحرص ــ بطبيعة الحال ــ على أن تكون لها أسرارها الخاصة بها في كافة المجالات العسكرية النظرية والتطبيقية ، فلا تقدم لغيرها من عتاد الحرب الا ما لا يضير العمل به بمصالحا الاستراتيجية ، أو ما يكون قد تقادم به العهد ، أضف الى ذلك أن الاعتماد الكامل على الدول الأجنبية يضعنا في مهب المصالح والسياسات والأهواء المتقلبة .. وهل يغيب عن العرب والمسلمين أن اسرائيل على الرغم من اعتمادها على الولايات المتحدة الأمريكية كمصدر رئيسي للسلاح ، لا تركن الى ذلك فتهدأ وتستكين ، بل تسعى بكل وسائل البحث العلمي والصناعة ، نحو تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي في مجال التسليح ، وذلك على الرغم من الروابط الاستراتيجية القوية التى تربطها بأمريكا والعالم الغربي ؟؟

لقد أثنى الله عز وجل على عدد من أنبيائه الكرام وعباده الصالحين ، فذكر تفوقهم في علوم الصناعة ، وجهودهم في تطويع هذا التفوق لنصرة الحق ، ودعم جانبه ، فقال جل شأنه يصف داود : **(وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد)** سبأ/ ١٠ ، ١١ .. وإلانة الحديد ، هي المهارة في ايجاد شتى الآلات والمعدات منه ، والوصول بصناعاته إلى حد الاتقان دون إعياء أو قصور ، ذلك لحسن الخبرة وطول الدربة .. وقد أمر الله داود بتقدير السرد أي كلفه باحكام النسج للدروع السوابغ التى ينتجها حتى تخرج في أعلى مستوى مستطاع . وفي موضع آخر يصف داود بنوعين من العبادة والعلم ، أولهما طول الذكر والتسبيح ، والآخر اجادة المعدات الحربية ، فقال تعالى :

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) الانبياء/ ٧٩ ، ٨٠ .. وعباد الله الصالحون ، أثبت القرآن صلاحهم وهم يقومون بأعمال رائعة تدل على علم بالحياة وخبرة عميقة بشئونها ، فهذا ذو القرنين يقول للذين منوه بالمكافأة اذا بنى لهم سدا يحميهم من أعدائهم : **(ما مكني فيه ربي خير**

فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) الكهف/ ٩٥ .
وهنا يظهر علم الرجل ببناء القلاع فيحول منطقة عمله الى مصانع يصهر فيها النحاس ، وتغلى المواقد ، ويقطع الحديد ، وتمهد الأرض ، وتسوي جوانب الجبل ، ويؤدي الرجال الأتقياء واجبهم لله على هذا النحو الذي يحمي الضعاف ، ويصون الحق ، ويعلي شأن الايمان : **(آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)** الكهف/ ٩٦ ، ٩٧ .
وقد أفتى العلماء باتفاق أن اقامة الحرف والصناعات فريضة على المجتمع كله ، يأثم بتركها ، وعلى الأفراد الصالحين لهذه الفنون بمواهبهم وقدراتهم أن يجودوا فيها ، ويخدموا أمتهم ورسالتهم بها .
وأبلغ دليل على اهتمام العرب بعد الاسلام بالصناعة الحربية أنهم برعوا ــ وهم أبناء الصحراء ــ في صناعة السفن وقيادة الأساطيل وحرب البحار ، لقد رأوا ــ دون انتظار لنص موجه ــ أن كتابهم لا يعلو في عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج ، وبلغوا في هذا المجال درجة عالية فسيطروا على بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وكانت أساطيل الرومان والفرنجة كما يقول ابن خلدون : « تهرب أمام البحرية العربية ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضريت عليهم **كضراء** الأسد على فريسته » .

رابعا : الصناعات الثقيلة

وهذا المبدأ مرتبط بسابقه ، إذ أن المعروف أن أسلحة الحرب وخاصة الأسلحة الثقيلة كالمدافع والدبابات والطائرات والسفن الحربية والصواريخ ، لا تقوم صناعتها الا على أساس الصناعة الثقيلة التى تعتمد على صناعة الحديد والصلب . والتوجيه القرآني حول الحديد في الآية الكريمة **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)** يوحي بعدة مبادىء على الأمة العربية والاسلامية ان تعيها وتلتزم بها :ــ

● أن تقيم الأمة بنيانها الاقتصادي على « الصناعة » أساسا ، والمعروف لدى علماء الاقتصاد أن الصناعة (وليس الزراعة) هي الأساس الحقيقي للتنمية الاقتصادية ولتقدم الأمم وقوتها .
● وأن تتجه الأمة في التصنيع نحو « الصناعة الثقيلة » التى هي أساس لصناعة الأسلحة والمعدات الحربية ذات « البأس الشديد » .
● وأن تتملك الأمة العربية والاسلامية زمام « صناعة الحديد والصلب » التى لا تقوم الصناعة الثقيلة الا على أساسها .

كل هذا أكدته الآية الكريمة حول الحديد ، الذي اتفق الاقتصاديون على انه هو مصدر القوة الحقيقية للأمم :

● في مجال الحرب : (**فيه بأس شديد**)
● وفي مجال التنمية الاقتصادية عامة (**ومنافع للناس**)

خامسا : التعبئة الاقتصادية والتكامل الاقتصادي

من الأمور الطبيعية أن تتطور محتويات « القوة » على مر العصور نتيجة لعوامل كثيرة على رأسها التقدم العلمي وما ينتج عنه من اختراعات ونظريات .

وفي عصرنا الذي نعيش فيه لم تعد الحرب قاصرة على تصارع الجيوش في ميادين القتال المحدودة كما كان الحال في الماضي ، بل أصبحت طبيعة الحرب الحديثة تعني أن الشعب وقواته المسلحة يخوضون الحرب ، ويتحملون أعباءها ويواجهون مخاطرها ، وأصبحت قوة أية دولة وقدرتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية لا تقاس بمدى قوتها العسكرية أو قوة جيشها فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وقوة معنويات شعبها ، وتقدمها العلمي والفني الى غير ذلك من عناصر القوة المادية والمعنوية .

والمدهش أن الاسلام قرر هذا المبدأ وسبق به قبل أربعة عشر قرنا ، فلو نظرنا الى متانة الاقتصاد لوجدنا أن الاسلام يربط بينها وبين القوة الحربية برباط وثيق يتمثل فيما يلي :

١ ــ وحدة الأصل ، فالاقتصاد والقوة العسكرية ينتميان الى أصل واحد هو « القوة » التى أمر الله باعدادها في الآية الكريمة (**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة**) الأنفال/ ٦٠ ، ويؤكد ذلك ورود لفظ القوة مطلقا دون تحديد ، مما يجعله يتسع ليشمل كل مصادر القوة ولا ينحصر في القوة الحربية فقط .

٢ ــ التكليف بالجهاد بالمال (وهو عصب الاقتصاد) مقترنا بالتكليف بالجهاد بالنفس ، كما يفهم من قول الله تعالى : (**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**) التوبة/ ٤١ ، وقوله سبحانه : (**ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**) الأنفال/ ٧٢ .

ومما يدل على تأكيد القرآن لأهمية الجهاد بالمال وخطره ، أنه قدمه على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات القرآنية التى تحث على الجهاد ، فقد يكون الجهاد بالمال أشد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس ، لأن الجهاد بالمال أمر لابد منه في تزويد الجيش بمطالبه ، وهو لذلك أمر لا حدود له اذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، اذ أنه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه ، لأن الحرب تحتاج الى مال غير محدود ، وبذلك يمكن للانسان أن يشارك في الجهاد بماله ، اذا لم يجاهد بنفسه ، وان كان المجاهد بنفسه وماله معا في طليعة المقربين الى الله أكثر من المجاهد بأحدهما فقط « **ولكل درجات مما عملوا** » .

ووجه آخر من الحكمة في ذكر الأموال قبل الانفس هو أن غير القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مع العدو ، عليهم أن يساهموا في المعركة بالمال (أو ما يقوم مقامه من الناحية الاقتصادية كالطعام أو السلاح أو البترول أو غيرها) بقدر استطاعتهم وبذلك يستفيدون من هذا الاسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ، ويكونون راضين عن أنفسهم .

ثم ان الجهاد بالمال يدعم نظرية الردع الاسلامية التى تحدثنا عنها ، وذلك لأن المال هو عصب الحرب كما يقولون ، فاذا رأى العدو أنه سوف يواجه قوة عسكرية تساندها قوة اقتصادية لا تنفد ، فسوف لا يستهين بالمسلمين ، ولا يعلق أمله على التغلب عليهم .

وهكذا يشكل الجهاد بالمال ركنا من أركان الاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، ومن أجل هذا المعنى أجاز الاسلام لولي الأمر أن يأخذ من أموال الناس في زمن الحرب ما تدعو اليه الحاجة .

ثم ان الجهاد بالمال كالجهاد بالنفس يكون وقت الحاجة والضيق ، أفضل منه في الأوقات الأخرى ، كما بين الله تعالى ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة ، حين كان الاسلام في أول أمره في حاجة الى المساعدة والمعونة ، وكيف أن الله تعالى أعلى مرتبتهم ، ورفع درجتهم عن الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، مع أن الله وعد الجميع الحسنى على أصل البذل والجهاد لما فيه من النفع والفائدة ، وما لفاعلها من الأجر والثواب ، قال عز وجل :

(وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) الحديد/ ١٠ .

وفي فضل الانفاق في سبيل الله يقول الله تعالى : **(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)** البقرة/ ٢٦١ .

والأحاديث التى تؤكد الربط بين العسكرية والاقتصاد كثيرة نذكر منها :

● ورد عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله فقد غزا » رواه الترمذي والبخاري ومسلم .

● وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » رواه الترمذي وحسنه والنسائي .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » رواه البخاري (ومثل الفرس كل عدة من عدد

الحرب التى تختلف باختلاف العصور والأزمان) .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله . نودى من أبواب الجنة كلها : يا عبد الله هلم » (أي أن كل أبواب الجنة تنادي عليه ليدخل وهذا زيادة في التكريم) رواه البخاري .

ولقد أنفق المسلمون الأوائل أموالهم في سبيل الله : مات الرسول صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير ، وأنفق أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله في سبيل الله وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين ، وأنفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله ، كما جهز عثمان بن عفان جيش العسرة في غزوة تبوك بالاضافة الى الأموال الطائلة التى أنفقها على غيرها من الغزوات .

أما آل محمد صلى الله عليه وسلم فقد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسي في آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة أبيات » . « والله ما قالها استقلالا ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته » .

وعلى أساس أن التكليف بالجهاد هو تكليف بالجهاد بالأموال والأنفس ، فان المؤمنين يستجيبون لنفير الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، لا يستأذنون فيما هو فريضة وتكليف كما يفهم من قول الله تعالى : **(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون)** التوبة/ ٤٤ ، ٤٥ .

ويجيز الاسلام لولي الأمر أن يأخذ من أموال الناس في ساعات الحرب ما تدعو اليه الحاجة ، ومن أمثلة ذلك ما يدخل في اجراءات التعبئة وقت الحرب من الاستيلاء على عدد من سيارات النقل المدنية والسفن التجارية لصالح « المجهود الحربي » .

وبهذا المفهوم فان تكاليف المعركة لا تحتمل أن تأخذ صفة الهبات أو التبرعات أو التراحم ، بل هي « تكافل عام » مفروض على أبناء الأمة الاسلامية جميعا .. فالأمر ــ في مجال التراحم ــ في صدقات البر والتطوع موكول الى الضمائر ، أما في « التكافل العام » فالاسلام يفرض الزكاة ركنا من أركان الدين الخمسة ، ويفرض الجهاد على القادرين من أبناء الأمة تكليفا ملزما ، من نكص عنه ظلم نفسه ، وعق دينه وأمته .

ثم انه بمقتضى التكليف بالجهاد ، والأمر باعداد القوة لارهاب الأعداء ودفع عدوانهم ، فلا بد أن يقوم النظام الاقتصادي للأمة الاسلامية على أساس « التكامل » الذي يكفل أفضل استغلال واستثمار لموارد الأمة وطاقاتها ، والذي يحقق للأمة قدرا كبيرا من « الاكتفاء الذاتي » ، وهو مطلب حيوي لبناء القوة المنشودة ، لأنه لا يضع الأمة الاسلامية تحت رحمة الاحتكارات الدولية أو تقلبات

المصالح والسياسة الدولة ، ولأنه هو الضمان الأكيد لفاعلية القوة واستمرارها وتطورها .

سادسا : الكيان العسكري للأمة

ان بناء الكيان العسكري للأمة أهم وأخطر ـ في نظر الأمم الواعية ـ من بناء الجيش ، اذ أن الكيان العسكري هو الضمان الحقيقي لفاعلية الجيش ، ولقدرة الأمة على تحقيق أهدافها ، وهو الذي يمكن الأمة من ردع العدوان في أية لحظة ، وتحقيق النصر في أقل وقت ممكن ، والصمود للحرب طويلة الأمد ، والتقليل من الخسائر التى تسببها ضربات العدو ، والمحافظة على درجة عالية من الروح المعنوية وعلى ارادة القتال لدى الشعب بأسره .

« والكيان العسكري للأمة » لا يقوم الا على أساس « الكيان العسكري لكل فرد فيها » ، وينبع هذا من احساس كل فرد بأن شخصيته ووجوده ومصيره ، وآماله في حياته الخاصة والعامة ، ترتبط ارتباطا وثيقا بايمانه برسالته ، وأدائه المخلص لعمله وواجبه ، وبناء قدراته العلمية والفنية ، وادراكه الواعي للخطر المحدق بأمته ، وتأهبه الدائم لرد أي عدوان يقع عليها .

وسجلات التاريخ حافلة بالأمثلة التى تبرهن على القيمة العظمى للكيان العسكري للأمة ، وعلى أنه قد يكون لدولة ما قوات مسلحة ضخمة ومتفوقة عسكريا في التنظيم والتسليح ، ومع ذلك فهي تعجز عن التغلب على قوات أمة صغيرة ، ذلك لأن تلك الأمة الصغيرة تملك كيانا عسكريا ـ وهو ما لاتملكه الدولة الكبرى ـ يجعل من قواتها العسكرية القليلة مع تضامن شعبها ، قوة قادرة على صنع ما يشبه المعجزات .

من أجل ذلك نشأ المبدأ الذي يقول : « ان القاعدة العريضة لوجود الدولة هي الأمة المسلحة ، وبغير هذه الأمة المسلحة لن يكون هناك أي كيان مهما بلغ حجم القوات المقاتلة وامكانياتها » .. ويقول الجنرال ديجول : « كلما عدنا الى دروس التاريخ الحربي البعيدة أو القريبة ، نجد أن الشعوب أو الدول التى تفقد كيانها العسكري تخسر الحرب قبل أن تدخل أية معركة ، بل قبل أن تنطلق رصاصة واحدة » .

والواقع أن الاسلام يكفل بناء الكيان العسكري للأمة على أكمل الوجوه :

١ ـ فالتكليف « بالجهاد » بالأموال والأنفس ، تكليف للأمة كلها ، سواء كان الجهاد فرض كفاية أو فرض عين ، فهو يقتضي من كل مسلم التأهب الدائم والاعداد والتدريب والاستعداد بكل ما لديه من قدرات علمية وفنية وبدنية ومعنوية لأداء دوره في دفع العدوان عن أمته ، فلا فرق بين جيش وشعب ، بل الجميع مجاهدون كل منهم يؤدي دوره بالعمل المناسب وفي الموقع المناسب لتحقيق الهدف المشترك .

ومن المناسب هنا أن نوضح أن فرض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين ، واذا لم يقم به فريق ، أثم الجميع بتركه ووقعوا تحت طائلة العقاب ، أي أن سقوطه عن بعضهم لا يعفيهم من المسئولية اذا تعطل ولم يقم به ، ومن ثم يجب تأهب الجميع للنهوض بهذا الواجب ، وبذلك يكون البناء العسكري قائما دائما لمواجهة الأحداث وقمع الظلم ، وردع العدوان .

٢ ــ ثم ان منهج الاسلام في بناء الشخصية الاسلامية والمجتمع الاسلامي ، يجعل من المسلم لبنة قوية وعنصرا ايجابيا وفعالا في مجتمعه الكبير ، كما يجعل من المجتمع المسلم مجتمعا فاضلا يهيىء له التنشئة السليمة والتربية القويمة ويتيح له اظهار طاقاته المدخرة فيه .

فبهذه العلاقة القوية التى يقيمها منهج الاسلام بين المسلم ومجتمعه ، وبعقيدة الجهاد بمحتوياتها الشاملة ، تنبت جذور الكيان العسكري للأمة الاسلامية . ولو قمنا بتحليل كيان الأمة الاسلامية في صدر الاسلام في ضوء هذا المفهوم لتمثل لنا الكيان العسكري بأجـلى صوره :

● فقاعدة الاسلام في المدينة أبلغ دليل ، فقد بلغ عدد العمليات العسكرية التى وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قرابة السبعين ما بين غزوات وسرايا قاد منها الرسول بنفسه ثماني وعشرين غزوة في خلال سبع سنوات ، وحاربت هذه القاعدة أكثر من عدو في أكثر من جبهة ، فواجهت المشركين واليهود والروم ، وتعرضت للغزو المباشر ، وتعرضت للغدر من داخلها بينما كان أبناؤها يحاربون العدو خارجها حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتعاقبت عليها انتصارات ونكسات ، ولاقت مؤامرات واتخذ الله من زهرة شبابها وأبنائها شهداء سالت دماؤهم في حروب سافرة وفي مؤامرات حيكت لهم في الظلام ، وحارب المسلمون أغلب معاركهم عدوا أكثر منهم عددا وعدة ، وحاربوا أحيانا وهم جرحى ومرضى ، ولكنهم كانوا كما وصفهم ربهم : **(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)** التوبة/ ١٢٠ ، ١٢١ .

ومنه هنا نرى ما كان يمر بقاعدة الاسلام من ألوان الجهد والألم : الظمأ ، التعب ، الجوع ، الحركة التى تغيظ الكفار ، البذل ، وما ينتزعونه من عدوهم ، ثم رد الأمر لله تعالى بعد بذل الجهد .

لكن مع ذلك بقيت قاعدة الاسلام وطيدة صلبة ، حتى تمت كلمة ربك في شبه الجزيرة العربية كلها ، وامن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عادية عليها وأقبل سائر أهلها وفودا عليه يقدمون الطاعة ، ويعلنون لله الاسلام .

مائدة القارئ

اجابة الدعوة

قال تعالى :

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون »

الآية ١٨٦ من سورة البقرة

مثل المؤمن .. ومثل الكافر

عن كعب بن مالك قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج ، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذية على أصلها لا يفيئها شيء حتي يكون انجعافها مرة واحدة » . رواه مسلم

الدواء في الزكاة والرحمة

قال مصطفى لطفي المنفلوطي : لولا شح الأغنياء بأموالهم وكلبهم عليها وحيازتها عن الفقراء لما وجد في الأرض قاتل ولا سارق ولا قاطع طريق ، ولا يسرق السارق ، ولا يسلب السالب ، ولا يلص اللص الا جزءا من حقه الذي كان يجب أن يكون له لو كان للمال زكاة ، وللرحمة سبيل الى الأفئدة والقلوب .

تناقلت كتب الادب ان صبيا تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الكلام والجواب فقال له المأمون : ابن من انت ؟ فقال الصبي : ابن الادب يا امير المؤمنين ! فقال المأمون نعم النسب وانشد يقول :

كن ابن من شئت واكتسب ادبا — يغنيك محموده عن النسب

ان الفتى من يقول هأنذا — وليس الفتى من يقول كان ابي

دعاء

اللهم إني أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك ، وأسألك بجلال كمال نعمتك ، وأسألك باسمك العظيم ، وركنك الجسيم ، أن تفك اللهم كربتي ، وتفرج غمتي ، وتؤنس غربتي ، وتقيل عثرتي ، وتفضل علي يا إلهي بنظرة منك تكون النجاة لي بها في الدنيا والآخرة ، إنك على كل شيء قدير يا أرحم الراحمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

تزاوروا ولا تجاوروا

كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - « مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا » .

من أسرار لغتنا

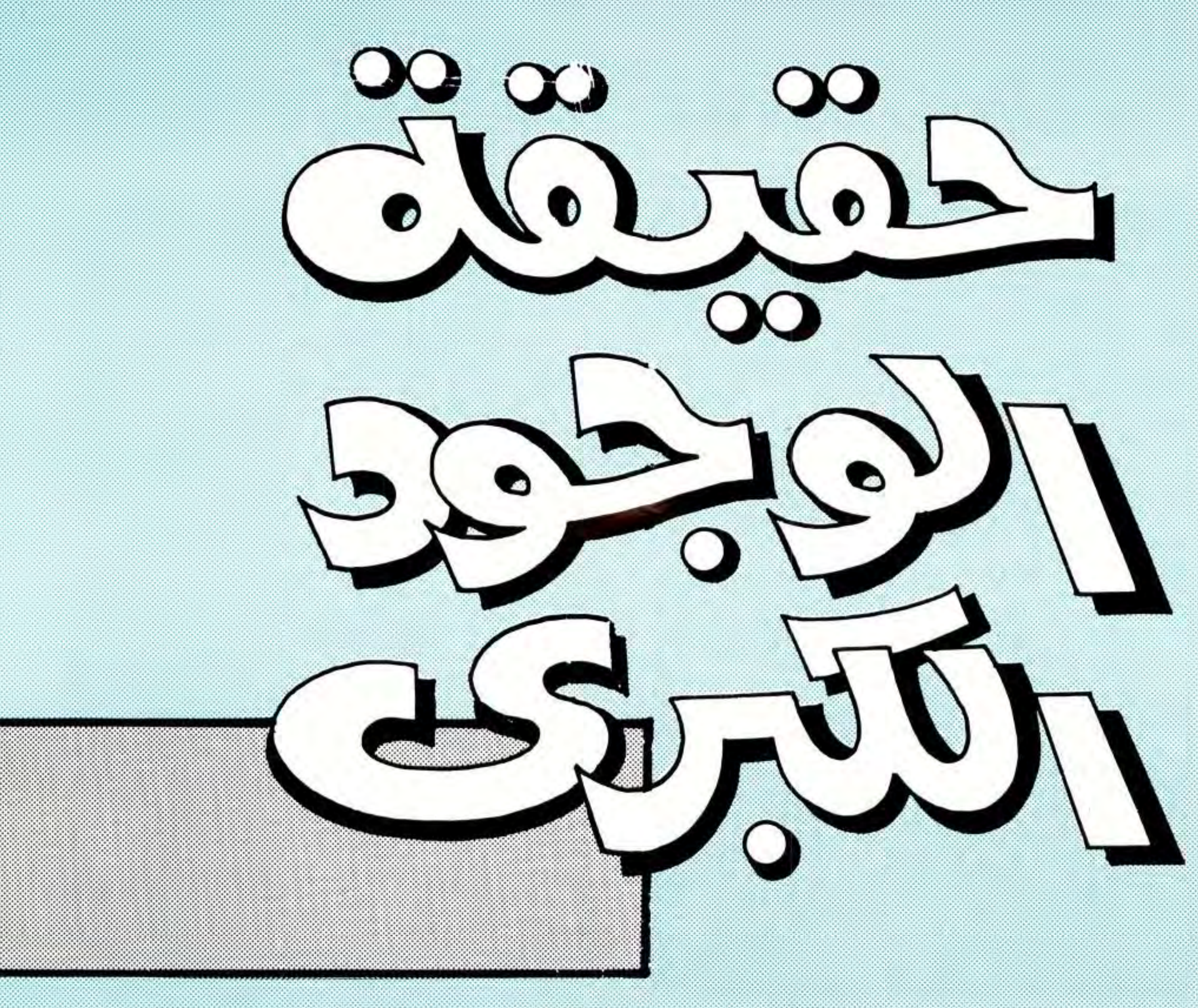
الغسق : أول الليل .
السلاف : أول العصر .
الباكورة : أول الفاكهة .
الطليعة : أول الجيش .
النهـــل : أول المشرب .
الزلـــف : أول ساعات الليل .

نصيحة

قال حكيم ينصح بنيه : لا تعادوا أحدا وإن ظننتم أنه لا يضركم ، ولا تزهدوا في صداقة أحد وإن ظننتم أنه لا ينفعكم ، فإنكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ، ولا متى ترجون صداقة الصديق .

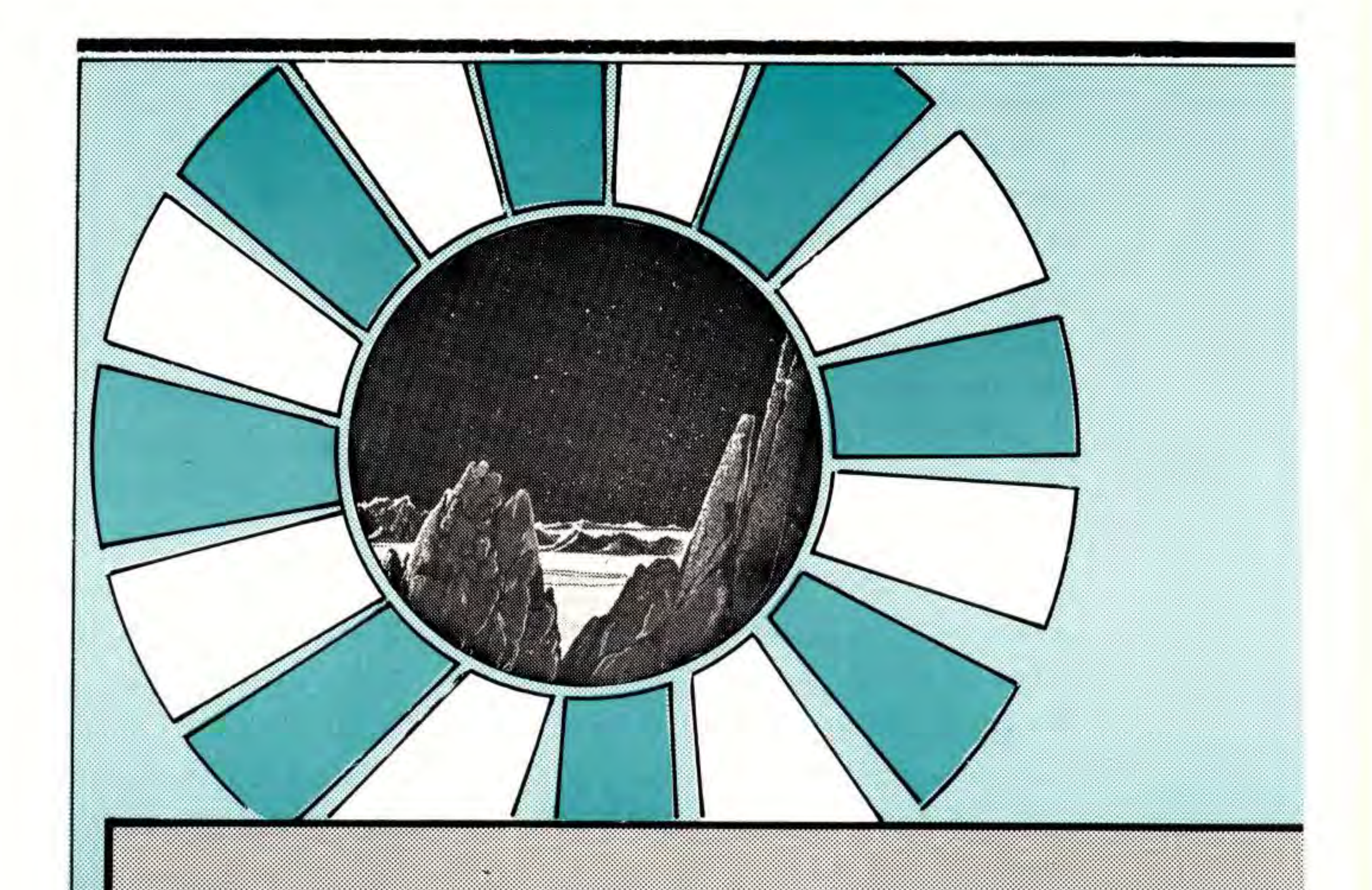
الجيب السري

ذهب الرجل الى الخياط ليفصل له ثوبا جديدا ، فسأله الخياط : هل أنت متزوج ؟ فأجاب الرجل : نعم .
فقال الخياط : فأين تفضل أن أضع لك الجيب السري إذن ؟!



الفلسفة تعني الحكمة ، كما انها تعني علم الاشياء بمبادئها وعللها الاولى ، وتعني ايضا نظرة المرء للكون والحياة وموقفه منها ونهجه فيها ، والفلسفة بهذا المعنى الواسع والمدلول الرحب تتجلى في الاسلام الحنيف ، فهو يشف عن فلسفة عميقة رحبة وسهلة ممتنعة ترضي الناس جميعا على اختلاف عقلياتهم ومستوياتهم الفكرية ، وتفضي بهم الى رحاب الحقيقة الكبرى والسعادة الحقة في الدنيا والآخرة .

واذا كانت الحكمة تعني صواب الامر وسداده وموافقة الحق والحقيقة ، فالاسلام منبع الحكمة الخالدة وشمسها الساطعة ، لأننا نرى فيه كل الصواب والرشاد والحق والحقيقة ، فرأس الحق والصواب والحقيقة الايمان بالله وحده لا شريك له ، لذلك قال الحكماء : « رأس الحكمة مخافة الله » فالمنطق السليم يقول لنا : ان هذا الكون الرحب الذي يعجز عقل الانسان عن الالمام به ، والذي يسير وفق نظام رائع محكم ، لا يعقل ابدا ان لا يكون له خالق عظيم حكيم ، ويستحيل ابدا ان يكون قد



للدكتور/ فؤاد محمد محمود العارضة

وجد بطريق الصدفة كما يدعي اصحاب التفكير السطحي والنظر القصير من الماديين الملحدين ، اذ لا بد له من خالق قدير حكيم لا حد لقدرته وحكمته وعلمه ، الا وهو الله تعالى العلي القدير والعليم الحكيم ، ولا غرو فلكل مصنوع صانع ولا يوجد شيء بطريق الصدفة ، كما يدل على ذلك واقع الامر والحياة . وننظر في هذا الكون فنرى وحدة ازلية ونسقا واحدا في نظامه وخلقه ، فلا تفاوت ولا اختلاف في تركيبه وبنائه ووحدة الخلق من وحدة الخالق ، قال الله تعالى : (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير**) . الملك/١ ـ ٤

ولو كان هناك اكثر من إله واحد لهذا الكون لرأينا اكثر من نظام واحد له ، ولوجدنا لكل اله نظاما خاصا به ،

ولحدث انقسام وانفصال بين الآلهة كما يحدث ذلك بين افراد الاسرة الواحدة ، واعضاء الشركة الواحدة ، ونرى هذا الحق وهذه الحقيقة في قوله تعالى (**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون**) ألانبياء/٢٢ .

ومن البديهي ان يكون الله تعالى محيطا علمه بكل كبيرة وصغيرة فيما خلق من كائنات ومخلوقات ، كما ان الذي صنع سيارة يعرف كل اجزائها ودقائقها ، والذي بنى عمارة لا يخفى عليه شيء فيها ، وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى :(**الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم**) البقرة/ ٢٥٥ وقال جل شأنه (**الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم**) . المجادلة /٧ .

ولسائل ان يسأل : من هو الذي خلق الله خالق الانسان تمشيا مع النظرية التي تقول انه لا بد من وجود صانع لكل مصنوع ؟ فيقال له : ان هذه القاعدة لا تنطبق على الله ؛ اذ انه تبارك وتعالى خلق الكون كله ولم يخلقه احد . فهو جل شأنه الاول والآخر ، وكما ان الصفر الذي يعني لا شيء قبل العدد واحد ، كذلك لا شيء يسبق الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كما قال عز وجل : (**قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد**) سورة الاخلاص، وهذا غاية ما يصل اليه عقل الانسان المحدود ، وادراكه المعدود ، فاذا ما حاول الانسان ان يتجاوز هذا الحد في هذا الشأن ضل وتاه دون ان يصل الى نتيجة ، واذا مضينا في هذه السلسلة من الاسئلة والتساؤلات : من هو الذي خلق الله ؟ ومن هو الذي خلق الذي خلق الله ؟ وهلم جرا .. غرقنا في خضم هذه الاسئلة التي تعتبر الاجابة عليها مسألة فوق مستوى عقل الانسان وتفكيره ، ولا غرو في ذلك فعقل الانسان محدود ، وله طاقة معينة لا يمكنه تعديها ، والله سبحانه وتعالى لا محدود ، والمحدود يعجز عن ادراك كنه اللامحدود ، كما ان ضوء المصباح يضيع في نور الشمس ، وغاية ما يدركه الانسان في مسألة الخلق والوجود ان هذا الكون له خالق واحد هو الله تعالى وحده لا شريك له ، كما تنطق بذلك آيات الله البينات في الافاق ، وفي خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، وفي نفس الانسان ، وفي كل شيء ، قال الله تعالى : (**ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب . الذين يذكرون**

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) آل عمران/ ١٩٠ ، ١٩١ وقال عز وجل : **(سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)** فصلت/ ٥٣ اما ما وراء ذلك ، واما ادراك كنه الذات الالهية فمسألة فوق طاقة العقل البشري المحدود واذا الانسان مد نظره اليها ارتد اليه طرفه وهو حسير ، وخطف بصره وصعقه نور الله الذي يغمر السموات والارض ، واذا كان نور السيارة يخطف بصره فكيف بنور الله الذي يضيء الكون كله ، واذا كان الانسان عاجزا عن ادراك كنه روحه التي بين جنبيه وفي جسمه ، فكيف والحالة هذه يدرك كنه ذات الله تعالى ؟

ومسألة خلق الانسان التي وردت في القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية الصحيحة هي الحقيقة الناصعة التي لا ريب فيها ، فقد خلق الله أبانا آدم من الطين ، وخلق امنا حواء من نفس آدم ، فتزوجا لينجبا ويتوالدا ! وهكذا كانت بداية الجنس البشري ، ولا يعقل ابدا ان تكون قد بدأت بطفلين لأن الطفل لا يستطيع ان ينمو ويعيش بلا حضانة ورعاية ، واذا كانت قد بدأت بطفلين فمن كان والداهما ، واذا كان لهما والدان فلا بد ان يكون لهما خالق خلقهما هو الله تعالى ، ولا يمكن ان يكونا قد خلقا بطريق الصدفة ، ويستحيل ان يكونا قد خلقا انفسهما بنفسهما لأن لكل مخلوق خالقا ولكل مصنوع صانعا كما يدل على ذلك واقع الحياة ، فالانسان لم يستطع حتى الان ان يخلق حتى حشرة حية ، ولا حبة فاكهة ، فكيف يخلق بشرا سويا ناطقا ، فما صنعه الانسان هو آلات واجهزة جامدة ، ومنظر حشرة او زهرة او شجرة او فاكهة من البلاستيك ، او تمثال ميت جامد لانسان او حيوان ، ومسألة خلق الانسان من الطين هي الحقيقة الناصعة الخالدة التي تدحض اية رواية اخرى عن اصل الانسان ومصدر خلقه ، ولا ادل على ذلك من ان الانسان وكل كائن حي يعود الى اصله التراب بعد ما يموت ، ولا غرابة في ذلك فكل شيء يرجع في النهاية الى اصله .

وايماننا بما قاله خالقنا الله تعالى عن خلق الانسان ، يحتم علينا الايمان بوجود حياة اخرى ، يبعث فيها الانسان الذي مات وصار عظاما نخرة ، ليحاسب على اعماله في الدنيا ، ومن شك في قدرة الله على اعادة خلق الانسان مرة ثانية بعد موته وفنائه نقول له : ان الله الذي خلق الانسان اول مرة من صلصال لقادر على اعادة خلقه مرات كثيرة . ولم لا والصانع الذي صنع السيارة يستطيع ان يعيد صنعها مرة ثانية بعد ان تتحطم وتبلى والبناء الذي بنى عمارة يستطيع اعادة بنائها اذا ما انهارت وسقطت ، وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى :**(الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون)** الروم/ ١١ وقال عز وجل : **(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده**

وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الروم/٢٧ .

ولنا ان نتساءل : هل يعقل ان يكون الفناء الابدي مصير هذا الجمال البشري الساحر الفتان وهذه المواهب والعبقريات الانسانية الرائعة ؟ كلا ثم كلا فلا بد ان يكون لها حياة اخرى في دار الحق والبقاء والخلود . ويستحيل ان تكون قد اوجدت بطريقة عفوية تلقائية ، وذلك من آيات الله البينات التي تنطق بقدرته وعظمته وحكمته كما قال تبارك وتعالى : **(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين)** الروم/٢٢ وقد خلق الله تعالى هذا العالم بالحق والصدق ولم يخلقه عبثا ولا باطلا كما قال جل شأنه : **(سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلا)** وقال : **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين)** الانبياء/١٦ وقد خلق الله الناس وجعل لهم اجلا مسمى في هذه الحياة الدنيا ليبلوهم بالشر والخير ، وليعلم ايهم احس عملا ، كما قال عز وجل : **(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا)** الملك/٢ .

والانسان في هذه الحياة الدنيا معلق بمشيئة الله ورحمته ، ومعرض للموت في اي وقت ، ولا يدري اين ولا متى يصعد الى الملأ الأعلى ، كما قال تعالى : **(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت)** لقمان/٣٤ ووجوده فيها قصير مؤقت ، وهو فيها عابر سبيل وضيف زائر ، فالايام تمر مر السحاب وكل يوم يمضي يدنى الانسان من اجله المحتوم ، وينقص من عمره المقدر له ، لذلك كان مستقبل الانسان الحقيقي الدائم في الحياة الآخرة دار الحق والخلود ، لا في دار الموت والفناء ، ولا يضع ذلك نصب عينيه الا اولو الالباب ، وايمان الانسان بذلك ، وبالثواب والعقاب ، وبأن عين الله الحي القيوم لا تأخذها سنة ولا نوم ، وتراه ليلا ونهارا سرا واعلانا ، تجعله صالحا طيبا مثمرا لا يقول ولا يفعل الا خيرا ، ولا شيء يجعل الانسان طيبا مثمرا كالايمان بالله تعالى ، كما يدل على ذلك واقع الحياة ، ويشهد واقع الحياة كذلك بان الشرور والآثام يقترفها دائما الذين لا يعرفون الله ولا يتقونه كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ! ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » رواه البخاري . وهكذا من لا يعرف الله لا يعرف الحق والعدل والرحمة .

ووجود الانسان العابر في الحياة الدنيا لا يؤدي في الاسلام الى هجر الحياة والانحباس في زوايا الزهد والتصوف والرهبانية ، بل يعني العمل لهما معا ، واعطاء كل منهما حقها ، كما قال الله تعالى :**(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ وقال الامام علي كرم الله وجهه : اعمل

لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

فالمسلم الواعي المستنير يأكل ويشرب ولا يسرف عملا بقوله تعالى : **(كلوا واشربوا ولا تسرفوا)** الاعراف / ٣١ ويأخذ بشتى الوان الزينة من ملبس ومسكن ومأكل ومشرب ونحو ذلك في نطاق الاعتدال والشرف والفضيلة ، مستلهما ذلك من قوله تعالى :**(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الاعراف/ ٣٢ ففي الاعتدال حكمة وصحة وعافية وفائدة ، وفي الاسراف تهور ومرض وضرر ، بل ان الاسراف في اي شيء يؤدي الى الحرمان منه .

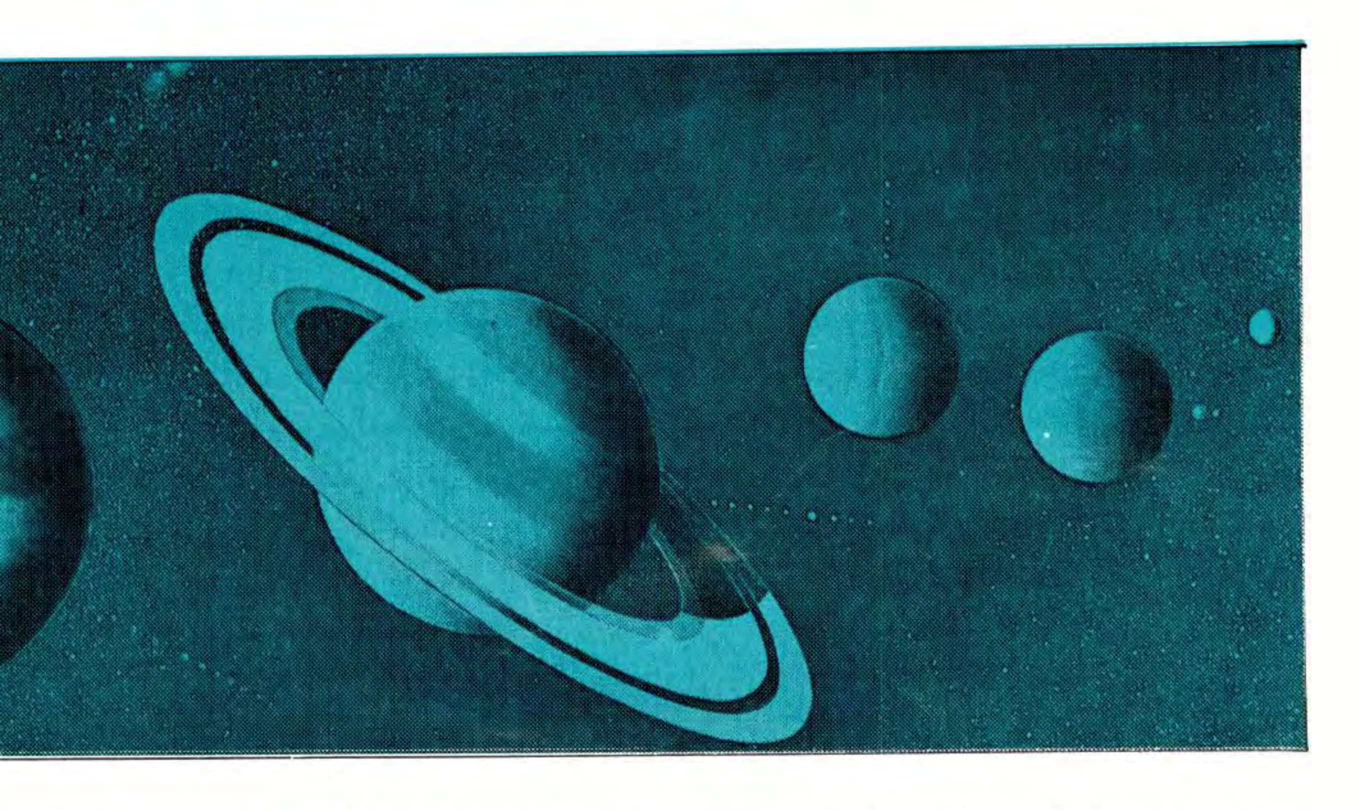
والمسلم الحق يتزوج ، ويبني اسرة ، وينجب اولادا ، ويربيهم تربية صالحة ، ولا يعتكف في صومعة الرهبنة التي هي موقف سلبي من الحياة ، من شأنه ان يهدم الحياة ، ويجتث شجرتها ، والرهبانية مما يناهض واقع الحياة الانسانية وامر لا يطيقه جل البشر ، والاسلام دين يتمشى مع الفطرة السليمة وواقع الحياة ، والمسلم المستنير القوي ما دام قادرا على العمل لا يتوقف عن الزرع والغرس والبناء والتعمير حتى آخر يوم في حياته ، يحفزه الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فليغرسها » رواه احمد .

وبذلك ينفع نفسه واهله ويخدم امته ووطنه ، ويضمن لنفسه مستقبلا كريما في دار الحق والخلود ، فمستقبل الانسان في الحياة الآخرة يصنع ويرسم في الدنيا ، فمن زرع نباتا طيبا ووردا في الدنيا جنى ثمرا حلوا ووردا عطرا في الاخرة ومن زرع نباتا مرا وشوكا حصد المر والشوك في الحياة الاخرى ؛ كما قال الله تعالى :**(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزله/ ٧ ، ٨ والاسلام الحنيف يأمر بالايمان بالقضاء والقدر خيره وشره قال تعالى : **(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)** التوبة/ ٥١ وقال عز وجل :**(لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** يونس / ٤٩ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « استعن بالله ولا تعجز ، وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم وابن ماجه .

فهذا الايمان الصادق بالقضاء والقدر خيره وشره يجلب لصاحبه السكينة والراحة النفسية ، ولا يجعل نفسه تذهب حسرات على ما يصاب به ، فهو لم يأل جهدا في دفع الخسارة والضرر ، ولكن الحظ خانه ولم يحالفه النجاح ، كما قال حافظ ابراهيم :

لا تلم كفي اذا السيف نبا
صح من العزم والدهر ابى

فالمؤمن بالله حقا يعتبر ما يصيبه من يسر او عسر ابتلاء واختبارا لايمانه ، عملا بقوله تعالى : **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون)** الانبياء/ ٣٥ ومما يضاعف صبره



ويقوي عزيمته قوله تعالى : (**واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور**) لقمان/ ١٧ .

واعتقاد المسلم ان الارزاق والاعناق بيد الله وحده ، يجعله شجاعا حرا ، لا يخاف بشرا في سبيل قول الحق واتباع طريقه ، ويدفعه الى الجهاد بماله ونفسه في سبيل الله ، غير مبال بالاذى والموت ، وان وقع في ضنك ومأزق وجدته يعمل لدحره صابرا متفائلا املا في انقشاع الغمة امله في انبلاج فجر مشرق من ظلمات ليل حالك ، ويضيء نفسه بأنوار الامل والرجاء قوله تعالى : (**واصبروا ان الله مع الصابرين**) الانفال/ ٤٦ وقوله جل شأنه : (**ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**) يوسف/ ٨٧ .

واذا فاتته فرصة لم يقلق ولم يتحسر معتبرا ذهابها خيرا له ، يحفزه الى ذلك قوله تعالى : (**وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون**) البقرة/ ٢١٦ على ان ذلك لا يعلم المسلم الاهمال والتواكل في اعتماد اسباب النجاح ، واتخاذ طرق الوقاية والعلاج انما يعلمه التوكل على الله ، والاعتماد عليه في النتائج والعواقب والثمار ، فعليه ان يعتمد على نفسه ، ويستعين بالله في السعي والزرع ، ويعتمد على الله ويثق به في حصاد الغلة وجني الثمر ونجاح المسعى متسلحا بقوله تعالى : (**حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**) التوبة/ ١٢٩ وبقوله عليه الصلاة والسلام : « اعقلها وتوكل » رواه الترمذي .

بعدها لغفور رحيم) النحل/ ١١٩ .

والاسلام الحنيف لا يقتل غريزة الجنس بالرهبنة والعزوبية بل يشبعها اشباعا مهذبا منظما بالزواج ولا يسمح لها بالارتواء بالزنى الذي هو فوضى وابحاية وظاهرة حيوانية لان الحيوان لا يعرف الزواج ويحرم الاسلام الزنى لانه يؤدي الى اختلاط الانساب وانجاب اللقطاء فضلا عن ذهاب الشرف والفضيلة قال تعالى : **(ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا)** الاسراء/ ٣٢ وليس الهدف من الزواج في الاسلام اشباع الغريزة الجنسية فحسب ، انما الهدف اسمى واجل من ذلك ، الا وهو السكن والاستقرار وبناء الاسرة وانجاب البنين ، وحفظ الفرج ، ومنع الفاحشة ، قال تعالى : **(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** الروم/ ٢١ .

ويشهد واقع الحياة الانسانية بان الرجل اصلب عودا واخشن ملمسا ، واقدر على النهوض بالاعمال الشاقة ، واطول نفسا واكثر صبرا في مجال السعي والعمل والجهاد من المرأة كما انه اوسع افقا واعمق فكرا ، وأدق ملاحظة ، وأبعد نظرا ، واقل عاطفة منها ، وذلك يعني ان الرجل يمتاز بتكوينه الجسماني والنفسي والعقلي على المرأة ، ولا ادل على ذلك من انه لا يوجد بين الانبياء والرسل ، والفلاسفة وعمالقة الفكر ، وبناة الدول وصانعي الثورات الانسانية

والاسلام دين الفطرة السليمة ، فهو يساير واقع الحياة البشرية ويلبي مطالب الانسان الطبيعية ويهذبها وينظمها دون ان يكبتها ويخنقها فالانسان مثلا يخطىء وينسى بطبعه وطبيعته ، فالاسلام يراعي ذلك ولا يعاقبه على النسيان والخطأ العفوي ، كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه الطبراني وفي الاسلام يحاسب الانسان كبشر يخطىء ويصيب ، فليس عيبا ان يخطىء المرء ولكن العيب ان يتمسك بخطئه ، والا يتعلم منه ، لذلك يعتبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ويبقى باب التوبة مفتوحا ، قال الله تعالى : **(ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من**

امرأة واحدة ، وهي ادوار تتطلب صلابة عود ، وقوة نفس ووفرة صبر وطول نفس ورجاحة عقل قد يقول قائل : إن ما تمتع به الرجل من حرية وانطلاق عبر حياته جعلت الرجل يتفوق على المرأة في هذه الميادين مع ان المرأة كانت محرومة من ذلك ، فيقال له : ان الله تعالى خلق آدم وحواء وهما والدا البشر جميعا ووضعهما في مكان واحد وجو واحد فبادر آدم الى تولي امر حواء وقيادتها وربوبة الاسرة لأنه اقوى منها جسما ونفسا وعقلا بفطرته وطبيعته لذلك جعل الله للرجل حق القوامة على المرأة وقيادة سفينة الحياة ، فقال تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض**) النساء/ ٣٤ .

ولما كان الرجل اقدر على السعي وكسب الرزق ، واوسع حيلة واطول باعا في ميدان الكفاح والجهاد من المرأة ، فقد كلفه الله بالانفاق على الاسرة وجعل نصيبه في الميراث مثل نصيب امرأتين اثنتين ، وفي ذلك قال الله تعالى : (**يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين**) النساء/ ١١ . وكذلك يتميز الرجل على المرأة بانه ادق ملاحظة واقل عاطفة وميلا مع الهوى منها ، لذلك جعل شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين وفي الاسلام الحنيف الضرورات تبيح المحظورات ومن هذه الضرورات السماح للرجل بان يتزوج باكثر من امرأة واحدة في آن واحد ، اذا كانت زوجته الاولى عاقرا لا تنجب او مريضة مرضا يعيقها عن القيام بواجباتها الزوجية او اذا كان الزوج لا يقنع بحليلة واحدة فخير له ان يتزوج بثانية من ان يتخذ له صديقات عشيقات وان يتزوج الرجل على زوجته العقيم امرأة ثانية خير لها من ان يطلقها فتصاب بالعقم والطلاق ، وقد يضطرها الطلاق الى الانحراف وهناك ظروف اجتماعية انسانية تتطلب احيانا تعدد الزوجات كأن يكون هناك زيادة في عدد الاناث على عدد الذكور فهذه المشكلة لا يمكن حلها عن طريق التصدير للخارج كما هو الحال في التجارة والبيع والشراء ولكن يمكن حلها بالزواج بأكثر من واحدة اما ما ينشأ احيانا من مشاكل ومتاعب في البيوت التي تجمع اكثر من زوجة واحدة فمصدرها انانية المرأة وقلة عقلها وغيرتها الجامحة فالزوجة الثانية ليست غولا يأكل ولا بعبعا يخيف ولكن تصير عونا وسندا ومؤنسا مسليا للزوجة الاولى في ظل التضحية والايثار والتفاهم والتسامح اما النسل فيمكن ضبطه والتحكم فيه بوسائل منع الحمل المتعددة المعروفة وعلى الزوجين اذا ارادا العيشة الطيبة الراضية ان يتبادلا المودة والرحمة والمعاملة الكريمة وان يقوم كل منهما بواجبه نحو الآخر كاملا ، والا فخير لهما الانفصال والفراق كما قال الله تعالى : (**فإمساك بمعروف او تسريح باحسان**) البقرة/ ٢٢٩ .

والانسان له طاقة معنوية ومادية لا يستطيع تجاوزها فاخذ الاسلام ذلك في عين الاعتبار وادخله في الحساب فلا يكلف شخصا ما لا يستطيع قوله او

فعله ، قال تعالى : (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) البقرة/٢٨٦ وقال حكماء العرب : « سل ما يستطاع حتى تطاع » .

والانسان مظهر وجوهر ، وشكل وروح ومظهره الجسم وروحه وجوهره العقل والخلق ، ولا ريب في ان قيمة المرء في روحه وجوهره لا في شكله ومظهره ولا ادل على ذلك من ان العلوم والآداب والفنون والحضارة والمدنية من ثمرات العقل والخلق والروح ، لا من نتاج المظهر والشكل ، والاسلام الحنيف دين العقل السليم ، والمنطق القويم ، والفطرة السليمة ، يزن الانسان ويقيمه بجوهره وروحه لا بمظهره وشكله ، قال تعالى : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/١٣ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم » رواه مسلم وابن ماجه .

لذلك حرم الاسلام ـ دين المساواة والاخوة الانسانية والحرية ـ التمييز الطبقي والتعصب العنصري ، فالناس جميعا على اختلاف اجناسهم واشكالهم والوانهم من التراب والى التراب ، وابوهم آدم ، وامهم حواء وليس من العقل ولا العدل في شيء ان يوزن الانسان بشكله ولونه ، اذ لا يد له في خلقه على الصورة التي هو عليها ، سواء كانت جميلة او قبيحة ، فالله تعالى خالق الناس جميعا خلقه هكذا واعطاه الصورة التي يحملها ، اما الاخلاق والاعمال فهي اشياء مكتسبة يصنعها المرء بنفسه ويده ، لذلك كانت هي مقياس التفاضل والتفاوت بين الناس جميعا .

والانسان جسم وعقل وروح وكل واحد منها يحتاج الى رعاية وعناية ، واذا اعطى الانسان كل واحد منها حقه من الرعاية ، ووازن بينها في العناية ، عاش عيشة راضية طيبة فعقل المرء يحتاج الى تنوير وصقل بالافكار النيرة الخيرة والمعاني السامية ونفسه كذلك تحتاج الى تهذيب وتزيين بالايمان بالله ومكارم الاخلاق والفضائل السامية ، كما يحتاج جسمه إلى تنظيف وتهذيب وتزيين وتغذية . والعاقل يعتني بتغذية عقله ونفسه بثمار العلم والأدب ، كما يعتني بتغذية جسمه بالطعام والشراب ، اما الجاهل فانه يهتم بملء بطنه وكساء جسمه ، ويترك عقله فارغا ونفسه خاوية عارية ، فحياة بلا نشاط علمي وادبي واخلاقي اشبه بحياة الحيوان ، فالحيوان لا يعرف من الحياة الا الاكل والشرب والنوم والجنس ، وعلى ذلك يكون الاتجاه المادي والمتجسد في حاجات الجسم المتعددة ظاهرة حيوانية والانسان الواعي المتزن يوازن بين متطلبات جسمه وعقله وروحه ، ولا شكل في ان نظافة الوجه واليد واللسان من نظافة العقل والروح والقلب . لذلك كانت العبرة في جمال الروح والباطن اكثر منها في جمال الشكل والظاهر ، والناس في الاسلام مخابر لا مظاهر قال الله تعالى : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/١٣

والمرء لا يكون قويا فعالا وطيبا مثمرا ما لم يكن متمتعا بالصحة والعافية والعقل السليم المستنير، والخلق الكريم، وتوفر الصحة والعافية يتطلب اعتدالا في الاكل والشرب والجهد وراحة البال، قال تعالى: (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**) الاعراف/٣١ ولا يستنير العقل الا بالتأمل والتزود بالعلم والادب والتقوى قال تعالى: (**وقل رب زدني علما**) طه/١١٤ وقال رسوله الكريم: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البهيقي ولا يكرم الخلق ولا يستقيم السلوك الا بالايمان بالله وتقوى الله، لذلك امر الله الناس ان يؤمنوا به، ويتخلقوا باخلاقه، ويتزودوا بتقواه، قال جل شأنه: **(وتزودوا فان خير الزاد التقوى)** البقرة/١٩٧ وقال رسول الله محمد صلوات الله عليه وسلامه: « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » رواه الحاكم وقال: « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ». رواه احمد.

وهكذا يتناول الاسلام الحنيف العقل والنفس والجسم بالتغذية والرعاية والتهذيب والتزيين، فهي متكاملة في وجود الانسان الصالح المثمر، فالجسم السليم يلزم للتفكير السليم. والعقل الرشيد والنفس الطيبة المطمئنة والاعصاب الباردة المنضبطة تجلب للجسم الصحة والعافية والسلامة والامان وجسم المرء يتحرك ويسير على ضوء عقله وقوة دفع نفسه، والجسم من حياة الانسان بمنزلة الوعاء من السائل الذي فيه، واللباس للجسم كالغلاف للكتاب، وكالورق للشجر، والقشر للفاكهة.

وهكذا نرى المسلم الحق يعتني بعقله ونفسه وجسمه اعتناء متوازنا لانه يعلم علم اليقين انه بالعقل السليم المستنير والخلق الكريم والجسم السليم يعيش حياة آمنة طيبة خالية من المتاعب والآلام والامراض ويحسن استخدام ما في يده من قوى وطاقات، فيستعمل الماء في السقي والشرب، ولا يستخدمه في الاتلاف والضرر، ويطلق لسانه في الحكمة والموعظة الحسنة لا في الشتيمة والوشاية والنميمة، ويضع يده في البناء والتعمير بدلا من استخدامها في الهدم والتخريب، ويستغل الطاقة الذرية في السلم والعمران لا في الحرب والخراب، ولا يصير الانسان صالحا مثمرا الا بالتزود بالعلم النافع، والايمان الصادق بالله، ومكارم الاخلاق، فإذا تجرد المرء من الافكار الخيرة الانسانية والمثل العليا والقيم الروحية صار حيوانا مؤذيا سافلا ولا شيء يجعل تفكير الانسان انسانيا خيرا، وخلقه كريما، وسلوكه قويما كالايمان بالله وتقوى الله، والمؤمن المستنير يدرك ان الحياة الانسانية الكريمة لا تكون بملء البطن وحده، بل بملء العقل والنفس والمعدة، فجوع النفس والعقل كافر كجوع البطن، والفقر والافلاس في العقل والنفس شر من الفقر والافلاس في المال، وقتلى الثعابين والوحوش

البشـرية اكثـر من قتلى الافـاعي والوحوش الحيوانية ، وصلع النفس وعريها اقبح من صلع الرأس وعري الجسم ، وضحايا الامراض النفسية والاخلاقية اكثر من ضحايا الامراض الجسمية ، وهكذا يكون المرء الصالح المثمر بالتوازن بين العقل والنفس والجسم ، وتكـون الحيـاة الطيبـة الكريمة بالتعادل بين القيم المادية والروحية .

والاسـلام الحنيف يـوائم بـين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فهو ينمي المصلحة الخاصة في حقل المصلحة العامة ، ويرعاها في ظل المجتمع ، وان حصل تعارض بينهما فأولوية المرور للمصلحـة العامـة ، فالصالح العام فوق الصالح الخاص ، والحكمة في ذلك ان سلامة المواطن من سـلامة الـوطن ، والعلاقـة بينهما كعلاقة الجزء بالكل ، والفرع بالاصل والغصن بـامه الشجـرة ، والمسلم الحق يستضىء ويسترشد في حياته وبنـاء كيانـه بنور مصلحـة الامة والوطن ، لأن سلامته وحياته من سلامة أمته وحياة وطنه ، وفي ذلك يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من أراد ان يفرق امر هذه الامة فاقتلوه » رواه مسلم والنسائي ويقول الحكماء : يد الله مع الجماعة ومن الخير للفرد والمجتمع ان يكون للمواطن حرية محدودة منظمة ، وان لا يكون له مطلق الحرية والتصرف في حياته الخاصة والعامة ، والا يفعل كل ما يخطر على باله وتحدثه به نفسه فالمرء تعن له خواطر حسنة وسيئة ، ونفس الانسان أمارة بالسوء بطبعها وفطرتها ، فـاذا ما أطلق العنـان لخواطره ورغباته ، وجرى مع أهواء نفسه الأمارة بالسوء آل الى ما تئول اليه سيارة تنطلق بسرعة فائقة بلا فرامل تكبح جماحها وتمسكها عند اللزوم ، وبذلك يضر نفسه وغيره ، والانسـان يطغي ويتسلط اذا مـا استغنى وتحرر من قيد المصلحـة العامة ، قال الله تعالى : (**ان الانسان ليطـغـي . ان رآه استـغنـى**) العلق/٦ ، ٧ .

وهكذا في المجتمع الاسلامي تنمو المصلحـة الخاصـة وتثمر في ظـل المصلحة العامة ، فلا يسمح لاحدهما بابتلاع الاخرى ، فلا رأسمال مستقل محتكر ، ولا فرد ذائب في الجماعة ، انما مصلحة خاصة تستمد وجودها من المصلحة العامة ، ومواطن يستقي حياته الحرة الكريمة من حياة وطنه كما يستمد الغصن حياته من امه الشجرة ، وفي ذلك اشباع لطموح الفرد الشخصي ، ومراعـاة للفروق الفردية الطبيعية بين المواطنين ، وذلك ما تقتضيه الفطرة السليمة وواقع الحياة .

وذلك يعني ان الحريـة المطلقة اللامحدودة ضارة بالفرد والمجتمع ، بينما الحرية المحدودة المنظمة تنفع المواطن والوطن .

ومن الحرية المهذبة التي يرعاها الاسلام الحنيف حرية الرأي والكلمة وقول الحق وحرية النقد الهادف البناء فبحرية الكلمة والنقد الايجابي يظهر الحق والصواب من الباطل والخطأ ،

وتسطع الحقيقة ويقوم الاعوجاج ويشخص الداء ويوصف الدواء ، على ان حرية القول لا تعني اباحة الشتيمة والسباب وطول اللسان ، ولا ادل على حرية القول والنقد البناء في المجتمع الاسلامي من تلك الانتقادات التي وجهها بعض المسلمين الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عملا بقوله صلوات الله عليه وسلامه : « الا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه » رواه الترمذي وابن ماجه وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت » رواه النسائي وقال تعالى : (**ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه**) البقرة/ ٢٨٣ .

وقال عمر بن الخطاب لامرأة نبهته الى خطأ وقع فيه سهوا : « اصابت امرأة واخطأ عمر » . وكان رضي الله عنه يقول : « رحم الله انسانا اهدى الينا عيوبنا » .

ولا ريب في أن المرء الذي يكشف لغيره خطأه وعيبه انما يريد له الاهتداء والخير ، فهو كالطبيب الذي يشخص للمريض مرضه ليداويه ، اما الشخص الذي يرى خطأ واعوجاجا في أخيه ولا يبينه له انما يريد له الضرر ، شأنه في ذلك شأن من يرى في طريق اخيه حفرا ولا يحذره منها ، ولا ينفر من سماع صوت الحق والنقد البناء الا كل جاهل مغرور ، فالعاقل الواعي يفتح سمعه وقلبه لكلمة الحق ، ويرحب بالنقد النزيه الايجابي ، ويشكر صاحبه كما يشكر على الخير والمعروف لأنه يرى فيه نورا وهداية وخيرا ، وكذلك الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه والتعلم منه والرجوع الى الحق حكمة وشجاعة انسانية وفضيلة سامية ، بينما التمسك بالخطأ والتمادي في الباطل حمق وجبن ورذيلة ، والاصرار على الخطأ خطأ آخر يجر الى الفشل والضرر ، ومن حاسب نفسه اهتدى وافلح ، ومن تمادى في خطئه ضل وخاب .

ومن الحريات الانسانية التي يرعاها الاسلام الحنيف حرية التدين ، فهو يدعو الناس الى الدخول فيه بالحكمة والموعظة الحسنة والاقتناع والحب والرفق ، قال الله تعالى : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن**) النحل/ ١٢٥ ولا يرغم احدا على اعتناقه والايمان به ، قال تعالى : (**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) البقرة/ ٢٥٦ وقال جل شأنه : (**فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) الغاشية/ ٢١ ، ٢٢ والحكمة في ذلك انه لا ينفع الاسلام شخص يدخله مكرها مرغما ، ولا يلبث ان يخرج منه حين تزول القوة التي اكرهته على الدخول فيه ، لذلك لا يجوز الاكراه في الدين ، كما انه لا يجوز الاكراه في الزواج .

والاسلام الحنيف دين العلم النافع والحرية الانسانية ، يأخذ بيد اهل الفكر والعلم ، ويحفزهم على البحث والانتاج والابداع في رحاب الايمان بالله ، ويدل على ذلك قوله

تعالى : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة/ ١١ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » رواه الترمذي ، ولا أدل على رعاية الاسلام للعلم والفكر من الحضارة الاسلامية شمس العصور الوسطى ومطلع الحضارة الاوروبية المعاصرة .

والامة الحرة الكريمة العزيزة هي الامة التي يتمتع افرادها بالعزة والكرامة وحرية القول والعمل ، اما الامة التي تهدر فيها كرامة المواطن ، وتسلب حياته الحرة الكريمة ، فلا تكون حرة كريمة قوية فكرامة الامة من كرامة افرادها ، وكرامة الفرد من كرامة امته . ولا يعلى شأن الوطن ولا يحميه الا مواطنون احرار اعزاء ، والمواطن الذي تهون عليه كرامة نفسه وحريته الشخصية تهون عليه كرامة وطنه وحرية امته ، لذلك رأينا الاسلام الحنيف يبدأ اول ما يبدأ ببناء الانسان فكريا وعقائديا وروحيا وجسميا وماديا ، فيحرره اولا من استعباد نفسه له ، حتى لا ينقاد لأهوائها وشهواتها ، واذا ما تحرر المرء من سلطان نفسه تحرر من سلطان غيره ، فلا يعود يخضع الا لله تعالى الذي بيده وحده الارزاق والاعمار ، والنفع والضر .

والاسلام الحنيف يساوي بين المسلمين ولا يميز بينهم الا على اساس من العلم والتقوى ، قال تبارك وتعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر/ ٩ وقال : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣ . ومراكز القيادة والمسئولية ورئاسة الدولة مصلحة عامة يحق لكل مسلم كفء صالح أن يمنح فرصة الوصول إليها ، فالمصلحة العامة تتطلب أن يقود سفينة الأمة أصلحهم وأكفؤهم علما وخلقا ، وأن يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، وأن تسند الأمور إلى أهلها ، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » رواه الحاكم وروى البخاري انه صلوات الله وسلامه عليه قال : « اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة » قيل يا رسول الله وما تضييع الامانة ؟ قال : ان يوسد الامر الى غير اهله » هذا الكون بما فيه من مخلوقات وثروات وخيرات ملك لله تعالى خالقه ، والأموال التي في ايدي الناس هي في الحقيقة والواقع لله تبارك وتعالى ولا ادل على ذلك من ان الناس يموتون عنها ويتركونها ، فهي ودائع لدى الناس ، وعارية مستردة ، والناس وكلاء الله فيها . ولا بد يوما ان ترد الودائع والعواري الى صاحبها الحقيقي .

وهكذا يجد الانسان في الاسلام الحنيف الصحيح حقيقة الوجود الكبرى الخالدة ومنبع نهر الحياة ومصبها ، ومفتاح لغز الحياة والموت ، وما ينشد من حياة حرة كريمة ، وسعادة وارفة ، في الدنيا والآخرة .

تحية للهجرة في عامها الجديد

قديم ولكـــن في القلوب جديد ومجد لنا في العالمـــين تليد
ويوم ولكـــن قل في الدهر مثله وعيد على مر الزمان سعيد
وذكـــرى ، الى كل النفوس حبيبة وحب الورى للصالحات ، أكيد !
أهيم بها حبا ، وعندي لوعة وربى على حبي لها ، لشهيد !

★★★

وفي كل عام كالعروس ، تزورنا ومن سحرها غارت لعمري غيد
شذا عرفها الفواح تشكـو مغيظة أزاهير منه في الربى وورود !
سقى الله أرضا سار فوق أديمها نبى الهدى والخطو منه سديد

★★★

وفي هجرة الهادى دروس عظيمة ودرس الفدا في التضحيات فريد
فما اشجع المختار يهزأ بالقوى قوى الشر تغشى داره وحشود !
ويقتحم الأخطار لا بل يدوسها كما داس أعواد الهشيم وليد !
وطاشت سهام المعتدين وصبحهم نكـــاد وخزى الأخرين شديد !
وإن عواء الذئب في الغاب واهن وزأرة ليث في العرين رعود !
اذا ما رآه الذئب يقدم شامخا تهالك مذعورا وفر يحيد !

للاستاذ/محمود ابراهيم طيرة

فاذ رام أهل الشرك قتل محمد ... فان إله العرش عنه، يذود
مقام رفيع لا ينال وكوكب ... سما في الأعالي ما إليه صعود
فداء النبي نفسي – ونفسي عزيزة – ... وكـــل محب بالعزيز يجود!

★★★

وإن عليا في الوفاء وفي الفدا ... مثال على ليس منه عديد
ومن واجه المـــوت الزؤام نيابة ... عن المصطفى، رمز الفدا ويزيد!
ومن مثل سيف الله، في العلم والحجى ... ودر على في البيان نضيد!!

★★★

ويا غار ثور – إن حظك وافر ... وحسبك – يا طوق النجاة – خلود!
شرفت بايواء النبي، محمد ... وصاحبه حينا، فأنت سعيد!
وكـــم هي ساعات من الدهر حلوة ... يفوز بها من دهره ويفيد!
وفي حل سر الغار عقلي حائر ... وكـــم حار في حل الرموز رشيد!!
وآيات ربي فيه كانت وفيرة ... سلوا الغار عنها إنه لشهيد
فان كان عند الناس غار فانه ... لدى الله حصن للنجاة عتيد!

★★★

فيا هجرة المختار ألف تحية ... واهداءها شعرا اليك أريد
لقد كنت للاسلام أول نصرة ... وللشرك – يعتو – دولة وجنود!
فليس عجيبا أن تنالى مكانة ... ومن رامها بالخزى سوف يعود!
وقد أعلن الاسلام أنك مبدأ ... لتاريخه عبر الزمان، مجيد!
فيا دورة الدنيا – قفي بتأدب ... لذكـــرى بها ظل الأنام يشيد!!





للاستاذة/ فتحية محمد توفيق

ما الأمة إلا مجموعة من الأسر، تترابط فيما بينها بمبادى وقوانين وأعراف وتقاليد، تتفاوت آثارها بين الأمم تبعا لتفاوتها في درجات المعرفة والثقافة، وكلما كان الأساس قويا كلما كان ذلك أدعى لتماسك البناء وصلاحيته للبقاء وكلما كانت الأسرة قوية قائمة على الأسس الصحيحة كلما كان المجتمع قويا، واللبنة الأولى في بناء أي مجتمع، هي الاسرة فاذا كانت هذه اللبنة مفككة منهارة، فلا بد أن يكون المجتمع مفككا منهارا.

واذا كانت هذه الاسرة صلبة متماسكة، فلا بد أن يكون المجتمع المتكون منها صلبا متماسكا كذلك.

ولما كان الاسلام الحنيف، يعمل على تكوين المجتمع الاسلامي القوي، فقد حرص على تدعيم اللبنة الاولى في البنيان الاجتماعي، وهي الاسرة.

وعمل على اسعادها وتقويتها .

وفي هذا الصدد جاء بالمبادى والقوانين التي تعمل على احكام العلاقات والروابط داخل الاسرة . وعلى تقويتها وحفظها من الضعف والانهيار ، وأوجب على المجتمع ان ينفذ هذه المبادى والقوانين .

قال الله تعالى : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**) التوبة/ ٧١ .

ففي مجال العلاقة بين الزوجين يحرص الاسلام على أن تكون هذه العلاقة أقوى ما تكون .

ولهذا كان الزواج في الاسلام ، مؤسسة اجتماعية دينية يدخل فيها الرجل والمرأة قصدا لتحقيق مصالح مشتركة بين الطرفين .

وأهم هذه المصالح بالنسبة للزوجين ، هو توفير وضع اجتماعي ، يتمتع فيه الطرفان بثمرات المودة والمحبة وإرضاء النزعات الطبيعية للانسان ، بصورة كريمة مستقرة .

كما يرضيان الغريزة الوالدية التي تتطلع دائما الى الاولاد ، وتدفع الى العناية وتوفير اسباب النمو والازدهار لهم .

وبالنسبة للاولاد فالاسرة « الزوج والزوجة » البيئة الطبيعية الضرورية لوجودهم وحصولهم على أسباب النمو العقلي والجسمي ، والرقي ، والوعي الثقافي . ولا شك ان اوضاع الاسرة الاسلامية ، قد أخذت الطابع الاصيل الذي يجعلها خير وسيلة لاغراض الاسرة ومهمتها في المجتمع .

ولهذا كان الزواج في الاسلام (**ميثاقا غليظا**) وعهدا متينا ، ربط الله به بين (رجل وامرأة) وأصبح كلاهما يسمى زوجا ، بعد أن كان فردا .

قال الله سبحانه وتعالى : (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**) النساء/ ٢٠ و ٢١ .

والذي يتتبع كلمة « ميثاق » ومواضعها التي وردت فيها ، لا يكاد يجدها تأخذ مكانها في التعبير القرآني . الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه واحكامه .

ويستطيع الباحث والمتتبع لكلمة « ميثاق » وقد جاءت في شأن الزواج أن يدرك المكانة السامية التي وضع الله الزواج فيها . (الاسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت ص ١٣٦ مطبعة الأزهر) .

قال تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .

وهذا الميثاق الذي ربط الله به بين الزوجين ، أقيم على ركائز : من التعارف ، والمودة ، والرحمة ، والعفة والكرامة ، والصيانة .

وهذا هو الـزواج الانساني في وضعه الصحيح من وجهة الأفراد ، ومن وجهة المجتمع .

فهو استقرار وسكن نفساني من وجهة الأفراد . وواجب اجتماعي من وجهة المجتمع .

وسبيل مودة ورحمة بين الرجل والمرأة .

وفضيلة هذه العلاقة بين الرجل والمرأة ، أنها علاقة « سكن » تستريح فيها النفوس الى النفوس ، وتتصل بها المودة ، والرحمة ، والمشاركة ، القلبية والوجدانية .

ومن ثم يراد الزواج : لتهذيب النفس الانسانية واستزادة ثروتها من الـرحم ، والرحمـة ، ومن العطف والسمو ، ومن مساجلة الشعور بين الجنسين بما ركب فيهما من تنوع الاحسـاس ، وتنوع القـدرة عـلى الايناس والحب ، ولهذه الركائـز ، راعي الاسلام ان تؤسس الاسرة منذ البـدايـة عـلى الـرغبـة والـرضـا والاختيـار . (سمـاحـة الاسـلام للدكتور الحوفي ص ٢٥ ط المجلس بالقاهرة) .

فوضع عناصر أصيلة لبناء الاسرة السليمـة وتكاملهـا في المجتمـع الاسـلامي ، وهـذه العنـاصر إذا روعيت ، كـانت قـوة لـلاسـرة الاسـلامية ، وتـدعيما ونجـاحـا . ووصلت الاسرة المسلمة الى ذروة ما قدر من الاستقرار والأمن .

وهذه العناصر نجدها في الترغيب في الزواج والاهتمام بحسن اختيار كل من الزوجين للآخر وحقوق الزوجة على زوجها . وحقوق الزوج على زوجته ومكانة الزوج في الاسلام بالنسبة لزوجته . والحقـوق المشتركـة بين الزوجين . وعـلاج ما يحـدث بين الزوجين من خلاف . وسنتناول كل عنصر بكلمة خاصة نتبين من خلالها مزايا الاسلام وتشريعه الخالد ، في حفظ الأسرة ، ووضع المرأة في مكانها اللائق بها ، حتى لا تتعرض للابتذال والارتخـاص والميوعـة ، والانحلال وحتى لا تكون في وضع الطريد .

الترغيب في الزواج : قال الله تعالى : (**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب**) الرعد/٣٨ .

قال ابن كثير في التعليق على هذه الآية : يقول الله : « وكما ارسلناك يا محمد رسولا بشريا ، كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشـون في الاسـواق ، ويـأتـون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية » (تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١ ط الحلبي) .

وقال تعالى : (**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمـانكم ذلـك أدنـى ألا تعولوا**) النساء/٣ .

وقال تعالى : (**وأنكحوا الأيامى منكم والصـالحـين من عبـادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضلـه والله واسـع عليم**) النور/٣٢ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم . فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقال أحدهم : اما انا فاني اصلي الليل ابدا .

وقال آخر : انا اصوم الدهر ولا افطر .

وقال آخر : انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله واتقاكم له ، ولكني اصوم وافطر ، واصلي وأرقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه الشيخان والنسائي .

وعن أيوب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » رواه احمد والترمذي .

وعن انس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حبب الي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » رواه احمد والنسائي والحاكم والبيهقي .

والاسلام بهذه النصوص الصريحة ، يعرب في وضوح عن دعوته الى الزواج والترغيب فيه فترتبط المرأة والرجل برباط يتم عن طريق زواج شرعي وعقد صحيح تترتب عليه التزامات من كلا الطرفين .

والاسلام الحنيف بهذا الادب ، يتسامى بالمجتمع ويصعد الى مراقي الاطمئنان ، إذ الاسلام لا يعترف بالأمومة غير الشرعية لأنه لا يريد ان تشيع في المجتمع الانساني ، اذ بانتشارها تختلط الانساب من جانب وتضيع الالتزامات الشرعية التي على الرجل قبل الولد وأمه من جانب آخر .

والمجتمع حينئذ لا يستطيع ان يتكفل بهذه الالتزامات نيابة عن الآباء المجهولين .

ومن هذا يتضح أن الاسلام ينظر الى المجتمع الاسلامي ، نظرة انسانية فيها من الشرف ، والكرامة ، والاباء ، والشمم ، ما يملأ الجوانب أمنا وطمأنينة .

ينظر الاسلام الى المجتمع على انه وحدة متفاعلة متجاوبة متعاونة على أساس من الدين والخلق والمودة .

وليس المجتمع في نظر الاسلام مركبا تركيبا ماديا صرفا . بل هناك من القيم الانسانية الهادفة ما هو كفيل بسعادة المجتمع .

وان اهداف الزواج في الاسلام نجدها :

اولا : في بقاء النوع الانساني وتقوية الروابط في المجتمع .

ثانيا : في التسامي بالغريزة النوعية .

ثالثا : في تحديد المسؤولية بالنسبة لتربية الأولاد .

رابعا : في الاستقرار النفسي والشعور بالتجاوب العاطفي .

والواقع أن بقاء النوع الانساني ،

وتقوية الروابط بين أبنـاء المجتمع الاسلامي من أهم أهداف الزواج في شريعة الاسلام ..

قال الله تعالى : (**وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا**) الفرقان/ ٥٤ .

وقال تعالى : (**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان/ ٧٤ .

يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له . (تفسير ابن كثير الجزء الثالث ص ١٢٨) .

وقال تعالى : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيـرا ونساء واتقـوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) النساء/١ .

وقال تعالى : (**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجـا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات**) النحل/٧٢ .

يذكر الله تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم ، وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ، ما حصل الائتلاف ، والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته ، خلق من بني آدم ذكورا واناثا ، وجعل الاناث ازواجا للذكور ، ثم ذكر الله تعالى انه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم اولاد البنين . (تفسير ابن كثير الجزء الثاني ص ٥٧٧) .

قال ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وقال ابن جبير عن ابن عباس : « بنين وحفدة » هم الولد وولد الولد . وقال ايضـا عن عكرمـة : بنـوك حيث يحفـدونك ويـرفدونـك ويعينـونـك ويخدمونك . (المرجع السابق نفس الجزء والصفحة) .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه ، قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله اصبت امرأة ذات جمال وحسب ، وانها لا تلد أفأتزوجها ؟ قال : لا . ثم أتاه الثانية ، فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم » رواه ابو داود والنسائي والحاكم وصححه .

فالاسلام الحنيف يحافظ على بقاء النوع الانساني ويدعو الى التزاوج القائم على روابط الاخلاص والمودة ليكثر النسل في ظل الاسلام ، ويعم الخير الانسانية كلها .

بعد هذا ننتقل الى الهدف الثاني من أهداف الزواج في الاسلام ، فنرى أن المجتمع الطبيعي ، هو الذي يقوم عـلى أساس من الفطـرة ، ويدرك أحكامها ومقتضياتها .

ولا ينبغي ان يفهم من هذا ان المجتمع الطبيعي هو الـذي يطلق لنفسه العنان ، فلا يتقيد بقيد ، ولا يحاول ان يهذب جموح الغريزة ويرد ما عسى ان يكون لها من شطط ، لا ينبغي ان يفهم هذا ، لأن الاسترسال في وضع من الاوضاع دون كبح او تهذيب ، لا بد ان يعكس هذا الوضع في النهاية .

فكان لا بد من تهذيب الغرائز ،

والتسامي بها حتى لا تندفع ، والغرائز من طبيعتها تأبى ان تقاوم او تكبت ، ويفرض عليها مالا يلائمها . فكان لا بد في الاسلام من تهذيبها والسمو بها . بل لعل ذلك من مزايا الاسلام اذ انه يدرك هذه الامور حق الادراك ، ولهذا كان من اهداف الزواج في الاسلام التسامي بالغريزة النوعية ، قال الله تعالى : (**والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين**)المؤمنون/ ٥ و ٦ .

دلت الآية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه ، وتضمنت هذه الآية وما بعدها ثلاثة امور : من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين ، وانه من الملومين ومن العادين ، ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم .

فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك ، وقد أمر الله نبيه أن يأمر المؤمنين بغض ابصارهم ، وحفظ فروجهم ، وان يعلمهم انه مشاهد لاعمالهم مطلع عليها ، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج ، فإن الحوادث مبدؤها من النظر ، كما ان معظم النار من مستصغر الشرر . (تفسير القاسمي : ج ١٢ ص ٤٣٨٨) .

ولله در القائل :

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها
في أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

ويقول القاسمي : تكون نظرة ، ثم تكون خطرة ثم خطوة ، ثم خطيئة ولهذا قيل : من حفظ هذه الأربعة احرز دينه : **اللحظات ، والنظرات واللفظات ، والخطوات** . فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الابواب الاربعة ويلازم الرباط على ثغرها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا تتبيرا . (تفسير القاسمي ج ١٢ ص ٤٣٨٨) .

وعن عبد الله رضي الله عنه : قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » متفق عليه .

وعن ابي ايوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله » رواه الترمذي والنسائي والحاكم .

وعن انس رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني في الاوسط ، والحاكم وقال صحيح الاسناد .

وفي رواية البيهقي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي » .

ومن أجل التسامي بالغريزة ، حرم الاسلام ، جلوس الناس في الطرقات تفاديا من ان يمتد نظر الجالس الى الاجنبيات ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والجلوس على الطرقات » فقالوا : ما لنا بد هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : « فاذا أبيتم إلا المجالس ، فأعطوا الطريق حقها » قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غض البصر وكف الاذى ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر » متفق عليه .

ومن اجل التسامي بالغريزة . حرم الاسلام الخلوة بالمرأة الاجنبية ، لما يترتب على الاختلاط بها من تحريك نزغات الشيطان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذي محرم » رواه البخاري .

ومن أجل التسامي ايضا نهى الاسلام عن سفر المرأة وحدها ، او مع غير ذي محرم منها ، وذلك خوفا على عفافها وكرامتها ، وصيانة لها ، قال رجل : يا رسول الله اني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج . فقال صلى الله عليه وسلم : « أخرج معها » رواه البخاري .

فيا حبذا لو اننا تتبعنا أسرار التشريع الاسلامي . واتبعنا تلك الارشادات وتمسكنا بأدب الاسلام وسلكنا طريق الحق .

اننا ان فعلنا ذلك ، تقدمنا ولكان لنا من وراء ذلك خير كثير .

ومن أهداف الزواج في الاسلام ، تحديد المسؤولية بالنسبة لتربية البنين والبنات . قال الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) التحريم/٦ .

قال ابن عباس في معنى الاية : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله وامروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار ..

وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وان تقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به ، وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها . وذكر القشيري ، ان عمر رضي الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية : يا رسول الله نقي أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا .

فقال تنهونهم عما نهاكم الله ، وتأمرونهم بما أمر الله ..

وقال مقاتل : ذلك حق عليه في نفسه ، وولده ، وأهله فعلينا تعليم أولادنا ، وأهلينا : الدين ، والخير ، وما لا يستغنى عنه من الأدب . قال تعالى : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك**) البقرة/٢٣٣ .

وعن ابن عمر رضي الله عنه ، عن

النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كلكم راع ، فمسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم ، والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » متفق عليه .

وعن ايوب بن موسى ، عن ابيه ، عن جده رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه احمد وابو داوود والحاكم .

والطريق الأمثل في هذه التربية ، هو تقديم القدوة الصالحة من جانب الأم والأب .. ثم الأخذ في تعليم الدين بالطرق التي تلائم مراحل حياة الناشئين وتعتمد في اداء مهمتها على الكتاب الكريم ، والسنة النبوية ، وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والقصص الديني وحياة أبطال شباب الاسلام ..

قال الله تعالى : (**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**) النحل/ ٧٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه الطبراني والبيهقي .

فنفس الطفل في بدء الأمر قابلة لأن تنقش فيها الأخلاق الكريمة ، ومثلها كمثل المرآة المصقولة ، تنطبع فيها الصور الحسنة بكمالها وتمامها .

وبعبارة أخرى قد تكون أقرب : نفس الطفل ، كالصحيفة البيضاء للمربي يمكن أن ينقش فيها ما يشاء ..

قال صالح بن عبد القدوس :

وان من أدبته في الصبا
كالعود يسقي الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا
بعد الذي ابصرت من يبسه

ولهذا كانت الحياة الزوجية ، حقلا تربويا خصبا ، لتخريج الأجيال الناشئة وهي أقدر على أداء الرسالة الاسلامية ، وافادة المجتمع ، بما يضمن الأمن والاطمئنان .

وننتقل بالقارى المسلم ، والقارئة المسلمة ، الى هدف آخر من اهداف الزواج في الاسلام ..

وهذا الهدف هو الاستقرار النفسي ، والتجاوب العاطفي ، ويعد هذا الهدف اساس الحياة الكريمة والمودة والرحمة والاخلاص ..

ويشير الى هذا القرآن الكريم ، دستور الامة الاسلامية في قوله تعالى في سورة الروم :

(**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)الروم/ ٢١

فالله سبحانه وتعالى يرشد الانسانية الى ما فيه سعادتها في الحياة ..فيضع لها اركان الحياة الزوجية في آية (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم**

أزواجا) .

والركن الاول : السكون النفسي ، وهذا الركن خاص بالزوج والزوجة . وهو تعبير بليغ عن شعور الاطمئنان والامن والراحة والصفاء .

والركن الثاني : المودة ، والتي يظهر أثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين واسرة كل منهما .

والركن الثالث : الرحمة التي لا تكمل للانسان ، الا بعواطف الامومة والابوة ، ورحمتهما لاولادهما ..

فيكون لكل البشر ، أو الأحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة .. وتستقر العاطفة في بيت الاسرة ، ويتم سكون كل من الزوجين إلى الآخر ، اذا تبادلا معا ما يعين على هذا السكون ، حيث يعامل الزوج زوجته بالحسنى، ويعاشرها بالمعروف ..

وتعاونه هي على أمور الحياة ، وتتوافق معه في رأيه ، وتراقبه في غيبته ، وتدفعه الى صالح الاعمال ، وتحقيق الآمال ..

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل ، خيرا له من زوجة صالحة . إن امرها اطاعته وان نظر اليها سرته ، وان اقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربع من أعطيهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه خونا في نفسها وماله » رواه الطبراني والبيهقي .

فمن هذه النصوص العظيمة نرى أن مفاهيم الزواج في الاسلام لا تدانيها مفاهيم في اقامة الاسرة وتدعيم بنيانها .. فليس الزواج في الاسلام الحنيف علاقة جسدية وليس الزواج في الاسلام صفقة تجارية ..

وليس الزواج في الاسلام ، جواز مرور ، يحمله الانسان حين يروم ارضاء ما به ..

وليس الزواج في الاسلام ، علاقة تلجى اليها الضرورة الوقتية وانما الزواج في الاسلام ، علاقة انسانية ، دائمة تلتقي فيها انسانية انسان ، بانسانية انسانة .

علاقة بشرية ، تجمع بين النفسية والجسدية ، لتتواءم مع طبيعة الانسان ..

والزواج من هنا : كان شركة بين هذين الانسانين ، بل بين هاتين الانسانيتين .

رأس مال هذه الشركة : الحب ، والوفاء ، والإيثار ، والرعاية ، والصيانة ، والعفة ، والصدق ، والثقة ..

وهدف هذه الشركة : السكون النفسي ، والاستقرار العاطفي ، وقيام كل منهما بواجب المسؤولية ، الأسرية والاجتماعية التي ناطتها الطبيعة والشريعة بكل منهما .

وشعار هذه الشركة : التعاون في سبيل التربية الصادقة ، والعمل لخيري الدنيا والآخرة ، ومعاونة الأمة الاسلامية في تقدمها وفلاحها ...



المخرج

للدكتور/ عبد الحي الفرماوي

وعاد الجيش واستقبله الناس على أبواب المدينة والكل يشترك في الاهتمام بخبر واحد ، وهو نجاة النبي صلى الله عليه وسلم وعودته سالما وينفرد كل منهم بعد ذلك باهتماماته الخاصة .

فالأم : تبحث عن ابنها وتستقبله .

والأخت : تبحث عن أخيها وتستقبله .

والزوجة : تبحث عن زوجها وتستقبله .

والابنة : تبحث عن أبيها وتستقبله .

ومع القادمين : تصل الأخبار وتأتي الأنباء عن سير المعركة ونتائجها والذين استشهدوا والذين أسروا والغنائم والخسائر .. الخ .

والكل فرح بعودة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سالما منتصرا في معركته وفي عودته .

والكل يهنيء من فازوا بالنصر ورفعوا راية هذه الدعوة الجديدة التى تحمل للناس النور والسلام وتحارب الجهل والاستبداد والاستعباد .

والكل يهنيء ـ كذلك ـ أهل من فازوا بالشهادة وهم يتلون قوله تعالى : (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**) .

وفريق واحد من الناس : هو الذي كانت وجوهه تحمل معنى الأسى والحيرة والقلق على مصير أبنائهم وهم أهل الأسرى .

وكان من بين من أسروا : سالم بن عوف بن مالك الأشجعي .

* * * * *

وتجمع كثير من الناس في بيت عوف ابن مالك ، الرجال يطمئنون عوفا ويتباحثون معه في احتمالات عودة سالم ، وكيفيتها ، ويذهبون عنه الخوف من بعض الخواطر التى تنتاب الأب في مثل هذه الاحوال .

والنساء مع أم سالم يواسينها ويهدئن من روعها ويخففن عنها من آلام الثكل الذي بدأت تحسه ويبثثن في نفسها الثقة بعودة سالم مرة ثانية ، اذ لا خوف على الأسرى حيث يتم التبادل بين أسرى الفريقين .

وفي مجلس الرجال : كان الحوار يدور والاحتمالات تطرح ، والتوقعات الحسنة تظهر والكل يشترك في الحديث غير فرد واحد كان صامتا شاردا يبدو أنه كان بعيدا عن كل ما يدور وما يقال وهو عوف بن مالك والذي توجه اليه احد الجالسين بقوله :

لم هذا الصمت الطويل يا عوف ؟

ويجيب عوف على السائل والكلمات تخرج منه بطيئة ثقيلة ، تحمل على اكتافها الاجهاد الذي يعانيه والقلق الذي يشغل باله ، ويبعده عن حوار الجالسين وحديثهم .

فيقول : ماذا أقول ؟

فيقول السائل : أإلي هذا الحد أنت جذع على ابنك ؟

فيقول عوف : انني لجد حزين ، اذ لم تكتب لابني الشهادة وينالها مع الذين استشهدوا في هذه الغزوة .

وفي نفس الوقت : قلق على مصيره وأخشى من تعذيبه ، ومن جهة ثالثة : وكما تعرفون فان سالما هو عائلنا الوحيد الآن بعد أن قد بلغت من الكبر عتيا ، وأكلت الأيام مني كل جهد وقوة .

فيقول رجل من الجالسين : يا عوف اذا كان ابنك لم يحظ بالشهادة فقد فاز بالنصر وهو احدى الحسنيين .

وليس من داع للقلق على مصيره أو تعذيبه ، فان مات نال الشهادة وإن عذب ففي سبيل الله ما يلقاه ، وليس بعد هذا سوى عوده اليك .

اما كونه هو العائل الوحيد : فاعلم جيدا أنه : **(ما من دابة في الأرض الا على الله رزقها)** .

فقال عوف : الحمد لله !! هو حسبي ونعم الوكيل .

وطال الحوار وزانه الايمان ، وتوجه حب الناس لدين الله ورغبتهم الاستشهاد من أجل رفع رايته .

وانفض المجلس وغادر الناس البيت وجلس عوف بين زوجته وأولاده وكانوا كثرة .

وطال بينهم الكلام ، وترقرقت في أعينهم الدموع ، وغشيهم البكاء ، ثم ساد بينهم لفترة غير قصيرة ، الصمت وغلبهم النعاس .. عدا عوف ، الرجل الكبير ــ الذي كان قد استراح من عناء السعي في هذه السن . بعد قيام « سالم » عنه بهذا الواجب ــ اخذته الخواطر ..

وشطحت به الافكار ، وظل وسط هذه الدوامات من القلق على ابنه الذي غاب والانشغال على زوجته وباقي الاولاد .. حتى طلع النهار .

ومرت الايام .. تتلوها الأيام .

دونما أخبار عن سالم .

أو استقرار لما يدور في ذهنه من خواطر وافكار .

وهو يدعو في صلاته .. ويضرع في سجوده وكذلك زوجته وباقي أبنائه .

أن يعود لهم « سالم »

أو أن يجعل الله لهم من هذا الموقف ، وما تفرخ لهم عنه قوادم الايام مخرجا .

وطال التشاور بين الرجل الكبير .. المسن .. الضعيف « عوف » وزوجته .

حتى كان ذات يوم .

قال عوف لزوجته

سأذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

واشتكي له : ما نحن فيه ، وما ينتظرنا من فقر وجوع يهدد أبناءنا .

أليس هو رسول الله !!؟

اليس هو المسئول عنا ؟!!

والزوجة في خواطرها هي الاخرى .

لم تجب .

ولكنها أومأت برأسها دلالة الموافقة .

وذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واستقبله النبي عليه الصلاة والسلام ، وقرأ ما يدور بخواطره ، ويعتمل بصدره ، مما تفصح عنه أساريره وملامح وجهه المجهد ، ونبرات صوته المهدود .

وأجلسه بجواره وربت بيده الشريفة على ظهره

وقال له : ما حال الأم بعد غياب ابنها يا عوف ؟

قال عوف : وقد سهلت أمامه المهمة

بهذا السؤال .

« جزعت الأم »

ثم اضاف قائلا :

وانت تعلم يا رسول الله انني رجل كثير العيال قليل المال كبير السن عديم القوة لا طاقة لي على العمل والكسب .

وسكت .

وفهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يرمي اليه هذا الرجل .

وسكت .

وران الصمت على المجلس .

ماذا يفعل لهذا الرجل ؟؟

ماذا يعطيه ؟؟

فليست لديه الخزائن والأموال ليأمر له ولأولاده براتب شهري حتى تتغير أحوالهم .

وطال الصمت .

وطال التفكير .

اذاً : فليس غير الله تعالى

وفجأة قطع صوت عوف هذا الصمت

وقال : بم تأمرني يا رسول الله ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

يا عوف .. اتق الله واصبر

وآمرك وإياها أن تكثرا من قول « لا حول ولا قوة الا بالله » .

وظهرت أسارير البشر في وجه

عوف .

فهو يعلم أن الله تعالى هو صاحب التصرف ، وصاحب التدبير وصاحب الحول والطول القوى العزيز المدبر الحكيم .

وقام عوف .

وذهب لمنزله

وقابلته زوجته .. وهي ترنو الى شفتيه تترقب وتتسمع لما سيقول .

أليس قادما الآن من عند النبي ؟؟

أليس النبي عليه الصلاة والسلام يقف دائما بجوار الجميع في مثل هذه الامور الجسام ؟

أليس النبي صلى الله عليه وسلم يحل للجميع ما لديهم من مشاكل ؟

اذاً فلابد من أن عوفا قد أتى بما سوف يخرجنا من هذا المأزق الحرج .

وقال عوف لزوجته :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك ، أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله .

فقالت الزوجة على الفور ...!!

الحمد لله ...!!

نعم ما أمرنا به .

وساد بينهم السرور ، وعمتهم السكينة ، وطافت بهم سحائب الرضى والتسليم ، ورطبت ألسنتهم « الحوقلة » وترنم الجميع بالتسبيح ، وملأ الايمان جوانب البيت ، وحفت به مواكب الملائكة ، واعتلت شفاه الجميع بسمة السعادة ، وأفعمت القلوب بنور الله تعالى ، وانشرحت الصدور ، وكأن « سالما » ما فقد وما غاب ، بل كأنه بينهم يرعى كعادته شئونهم ، أو كأنه عاد وهم من الفرحة يشكرون ، وبحمد الله على عوده يسبحون .

ومرت عليهم الأيام .

تتلوها الأيام .

وهي وان كانت قليلة .. لكنها بدون « سالم » تمر بطيئة حتى كان يوم .

وشمس الصباح لم تنفض عن نفسها غبار الليل الطويل .

وعوف مع أولاده خلف باب الدار يتناولون طعام الفطور وفي هذا الصباح الباكر وقعت مفاجأة غريبة .

فقد سمع الجميع صوتا قادما ناحيتهم .

ماذا يقول الصوت ؟؟

ماذا ..؟

سالم عاد ...!!

ووقف الجميع وفتح الباب وسمع الصوت جيدا بل أصوات تقول .. سالم عاد .. سالم عاد .

وصاح عوف .. وهو يستقبل أصحاب الصوت .. ماذا تقولون ؟؟

وقالت الام : أين ابني ؟؟

وصاح الاطفال جميعا : سالم .. سالم .

وظهر سالم .

وصرخ الاب : ما هذا ؟ لمن هذه الغنم الكثيرة يا سالم ؟

واقبلت الأم على ابنها واحتضنته وهي تبكي وتقول ابني .. حبيبي .. اين كنت ؟؟ وكيف اتيت ؟؟

وتجمعت الجموع ، وتكاثرت الناس ، وانهالت التهاني وعمت

الفرحة ..

وعوف .. يقف صامتا ينظر الى هذه الغنم الكثيرة التى أتى بها سالم أيكون قد سرقها ؟

لا .. لا . أعوذ بالله تعالى من ذلك ، أيكون قد استعملـه عليهـا واستأجره لرعايتها أحد النـاس ؟؟ ربما .. ولا مانع

أيكون ..؟ أيكون ..؟

وانهالت على رأسه التساؤلات

ثم أقبل على ابنه يسأله خبرها

فقال سالم لأبيه : لقد غافلـت العدو الذي أسرني يا والدي ، وهربت بها منهم ، واتيت بها معي فهى لنا .

قال عوف : لا .. لا .. ليست لنا حتى نذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره خبرها .

وذهبـا .. عوف وابنـه .. الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهنأ النبي صلى الله عليه وسلم سالما بعودته وسأله : عن قصته ، منذ أسره .. حتى ساعته هذه .

وقص سالم على النبي صلى الله عليه وسلم قصته وأخبره أنه غافل العدو وساق غنمهم وهرب بها وعاد الى هنا ، وهي معه .

وهنـــا .. سأل عوف عن الغنم ..!!

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم سؤال عوف .

وسكت .

وسكت عوف .

وسكت الحاضرون

وتطلع النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء

وتطلع عوف الى النبي .

وتطلعت الناس .

وحينئذ

نزل القرآن الكريم

ليجيب عوفا ، ويوضح الحـكم ويبين مصير الغنم ويرشد النـاس جميعا ان الله مع الصابرين المتقين ، يؤازرهم ويخفف عنهم ويجعل لهم من كل ضيق يعتريهم فرجا ومخرجا اذ قال تعالى :

(ومن يتـق اللـه يجعـل له مخرجـا . ويرزقـه من حيـث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) .

وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بما نزل

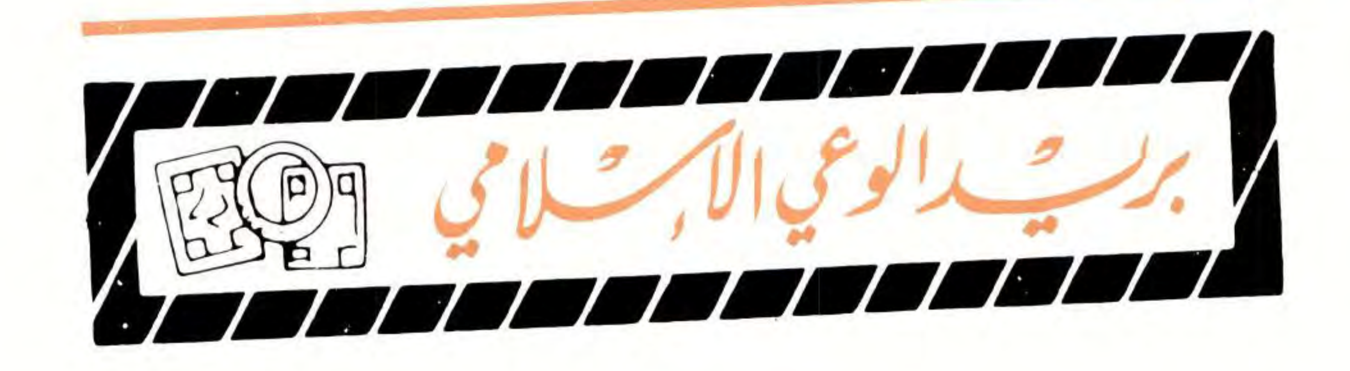
وفرح عوف كذلك بما نزل .

وفرح سالم ــ هو الثالـث بمـا نزل .

وعلم الناس جميعا : أن تقوى الله تعالى واللجوء اليه عنـد النـوازل والملمـات والصبـر على قضائـه والاحتمـاء بطاعتـه والبعـد عن معصيتـه ، هو اقـرب طريـق الى رضوانه ورحمته ، واضمن سبيـل للخروج من أي مأزق او مشكلة .

وقـال النبـي عليـه الصـلاة والسلام : الغنم خير ساقه الله اليكم يا عوف

وانصرف عوف وابنه تحملهما الفرحة على أجنحتها وتشيعهما تهانى الحاضرين .



القانون الوضعي

حمل إلينا البريد هذا الشهر رسالة من السيد / عباس نور الدائم من السودان يقول فيها : ما حكم الشرع في العمل بالقانون الوضعي ؟ وهل يجوز لنا التخاصم أمام هذا القانون ؟

ونجيب الأخ السائل فنقول ان نظام الحكم في الاسلام خاضع لما جاء في كتاب الله تعالى ، ومأخوذ من سنة نبيه الصحيحة ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ فكل ما وافق الكتاب والسنة فهو حكم الله ، يجب اتباعه والعمل به ..

وواجب حكام المسلمين أن يغيروا كل قانون وضعي لا يستقيم مع تعاليم الاسلام ، والحكام يملكون تغيير القوانين المعمول بها في بلادهم ، وهي ـ في الغالب ـ قوانين استعمارية فرضتها دول غير اسلامية ، ومسؤولية الحكام في هذا عظيمة

الفرق الاسلامية

ويقول الأخ عباس نور الدائم : هناك فرق اسلامية كثيرة موجودة في الساحة الاسلامية ، وضرب مثلا لذلك بأنصار السنة ، وجماعة التبليغ ، وغيرهما ويسأل عن أيها الناجية يوم القيامة ...

المحرر :

ونقول للأخ عباس : انه مهما اختلفت المسميات ، وتعددت الفرق الاسلامية ، فهي كلها في الدائرة

الاسلامية ما دامت تعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وواجب هذه الجماعات أن توحد صفوفها ، وتجمع كلمتها ، وتصب كل جهودها في اتجاه واحد حتى تستطيع العودة بمجتمعنا إلى الصورة التي يرضاها ديننا الحنيف ،

حارس

ومن الأخ الرفاعي عبد العزيز - من الرباط بالمملكة المغربية - جاءتنا رسالته التي يقول فيها : إنه يعمل في الحراسة - وهو جندي - ويقضي يوما كاملا في الأسبوع حارساً وحيداً وهو بذلك لا يستطيع أداء الصلاة في وقتها لشدة الحراسة ، ويسأل عن الحكم في ذلك .

المحرر :

يقول تعالى : « **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » .. فالصلاة يجب أن تؤدى في وقتها ، وهي عماد الدين ، لا إهمال في أدائها ، ولا تقصير .

غير أنه قد يتعرض الانسان لظروف قاهرة لا يمكنه التغلب عليها ، فتفوته الصلاة في وقتها ، فيجب عليه أن يقضيها فور تمكنه من ذلك ، لأنه لا يعرف متى يحين أجله ، وكان المسلمون الأولون يحرصون على أداء الصلاة حتى في حالة الحرب والجهاد في سبيل الله ، وفي السفر ، فالصلاة لا تسقط بحال ، إلا أنه تعفى من قضائها المرأة الحائض والنفساء ، وقد تقصر الصلاة في الحرب وفي السفر ، ولكنها لا تسقط ما دام الانسان مكلفا ..

وفي مثل حالتك ، كلما أمكنك أداء الصلاة في وقتها دون أن تعرض نفسك للخطر من جراء تركك للحراسة ، فافعل ، وإلا فأدها قضاء بعد خروج وقتها ، وبعد أن تنتهي من الحراسة ، والله يغفر لنا ولك ، ولعلك تكتب للمسؤولين علهم يعينون معك حارسا آخر فتتناوبان الحراسة ولو لمدة يومين كاملين ، ولن يخسر المسؤولون شيئا . وفق الله الجميع لما فيه الخير .

قراءة القرآن في المسجد

ونقول له : لا مانع من قراءة القرآن في المسجد ، وبصوت معقول ، حتى لا يؤثر على المصلين ، ولا على قراءة الآخرين ، وركعتا تحية المسجد سنة .

اللحية والصلاة

ونقول أيضا للأخ الرفاعي : إن عدم ترك اللحية لا يبطل الصلاة ، فصلاة حليق الذقن صحيحة ، وإن كان إرسال اللحية واجبا أو مندوبا في بعض المذاهب الفقهية ،



سلاح اغفله المسلمون

جاءنا من الاستاذ محمد سليم رشوان كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :
يومان من عمر الدهر ..
أذكرهما كلما أطل على الناس عام من هذه الأعوام المتلاحقة ، وهذان اليومان هما . يوم المولد النبوي الكريم ، ويوم الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب .
أما اليوم الأول منهما ، فأذكره مع الاجلال والاكبار لأنه برز فيه إلى الوجود الانسان الكامل ، الذي جاء رحمة للناس ، ليخرجهم من الضلال إلى الهدى ، ومن الظلمة إلى النور . ومن ضياع الكفر والوثنية إلى وضوح الايمان والتوحيد ، فكانت بداية هذا اليوم بداية ذلك الوجود ، الذي أخذ يكبر مع الدهر ، حتى طوى أياما وأياما ، تراكمت في صفحة الزمان أربعين عاما . ثم أطل من بعدها بالنبوة فاذا هو ضياء يبهر العيون ، ويسير على هداه أبناء أمتنا ، ليضعوا روائع الأمجاد ، ويشيدوا للانسانية حضارة شامخة الذرى .

ذلك هو اليوم الأول ..

وهو اليوم الذي نحتفل بذكراه ومعنا المسلمون في أنحاء الأرض قاطبة كلما أهل موعده ، ومن حقنا ومن حقهم أن نفعل ذلك ويفعلوه ، حتى ولو تشعبت الأقوال في دقة تحديده خلال أيام ذلك العام ، الذي كان فيه ، فحسبنا وحسبهم أنه حقيقة لا مراء فيها ، سواء تقدم عن ذلك اليوم الذي حدده الرواة أم تأخر عنه .

أما اليوم الثاني فاني أقرأ فيه صفحة رائعة من صحائف الايمان ، وأقف أمامها وقفة الذهول والدهشة والاعجاب ، ومالي لا أكون كذلك ، وأنا أشاهد الرجل الوحيد الذي لا ناصر له يشد أزره ويحمي ظهره ، وليس من حوله غير طائفة من الناس ، يتفاوت أفرادها ويختلفون في القبيلة واللون والجنس والبلد ، فيحتاج بذلك كل واحد منهم إلى ناصر ومعين ..

ورغم هذا كله ..

يخرج مهاجراً بايمانه الكبير ، الذي لم تخالطه شائبة من ريبة .. أو من شك .. أو من تردد ، وهو موقن أشد اليقين ، بأنه منتصر لا محالة ، وبأنه بالغ الهدف الذي يهدف إليه ، وواصل إلى الغاية التي خرج من أجلها ، وأن ما يدعو إليه من حق وإن كان صاحبه ضعيفا أعزل ، سوف يظهر على كل ما يعترضه من باطل وإن كان هذا الباطل مدعوماً بالقوة والسلاح .

ثم انتشر دينه في الآفاق .. وكانت تلك عاقبة انتصاره على الباطل ، في معركة لا تكافؤ فيها ، ولكنه كان في النفر القليل ، وهو يقف في وجه العدة والعدد ، يحمل سلاحا لا يعرفه أئمة الكفر من أخصامه ، وكان هذا السلاح هو الايمان ، وبفضل هذا السلاح كان ما أحرزه من الغلبة ، وما توصل إليه من ثمرات النصر المتلاحق .

لماذا خلقنا ؟

حول هذا السؤال يجيبنا الاستاذ عبد الفتاح محمود علم الدين يقول :

سؤال يجب أن يسأله كل مسلم ، ليعرف المهام الملقاة على عاتقه في هذه الحياة الدنيا ، وينبغي أن يلتمس الاجابة عنه من القرآن الكريم فهو النور وفيه شفاء لما في الصدور .

وأدل ما تلقاه قول الله تعالى في الآية ٥٦ من سورة الذاريات : (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**) وإذا فحكمة الخلق هي عبادة الله ، ويبادر المولى جل وعلا فينتزع من الانسان فكرة عبودية الانسان للانسان فالفرق بينها وبين العبودية لله وعبادته فرق ما بين السماء والأرض ، فعبودية الانسان للانسان ذلة ومهانة وكل قوى العبد وخدماته عائدة على سيده وهو يعيش بالقدر الضروري لحياته كيما يستمر في الخدمة ، ولكن الله تعالى تمنى عنا فيقول : (**ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**) الذاريات/٥٧ بل على العكس ، العبد لله هو المستفيد من غنى الله (**ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) وحتى عائد الشكر عليه (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) ابراهيم/٧ ولكن المسلم مع هذا يتوسم ايضاحا اكثر للعبادة فيجد ان الله تعالى قال له في سورة الملك في الآية الثانية : (**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**) يفهم ان العبادة في احسان العمل .

ثم يزداد المسلم استيضاحا فيجد المولى جل وعلا يقول له في سورة الكهف الآية السابعة (**انا جعلناماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**) فتدله هذه الآية الكريمة على أن حسن العمل هو ما جعله الله على الارض من زينة ..

واذا تشوف المرء لمعرفة الزينة وجد الله تعالى ينير له السبل في الآية السادسة والاربعين من نفس سورة الكهف فيقول : (**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك**) .

والى هنا يكون قد عرف ان الحكمة في خلقه وهي العبادة تكون باحسان العمل فيما خلق الله في الارض من زينة المال والولد . ولما كان كل ما على الارض لا يخرج عن مال وولد . فالمطلوب من الانسان ان يعبد الله باحسانه في معاملة الارض وتربية الاولاد .

والارض وما عليهاوما بها من جبال وانهار ومعادن ونبات وحيوان .. كل ذلك ما سيحاسب الله صاحب الدنيا عنه وعن معاملته معها ، مما سيحاسبه على الاولاد وهل وقاهم النار اولا ؟

وفي الآية العشرين من سورة المزمل لا يترك الله للانسان عذرا في ادعاء جهله بمهمته في الحياة فيقول : (**علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله**) .

فهذه الآية الجليلة قسمت الناس قسمين : مرضى وأصحاء ، اما المرضى فلا حرج عليهم حتى تعود اليهم صحتهم فيندرجون تحت قسم الاصحاء .

والاصحاء جعل الله مهمتهم في الحياة اما ابتغاء فضل الله واما القتال في سبيل الله والضرب في الارض ابتغاء فضل الله ، هو التعبير الرباني عن العمل في احد حقول الزراعة او الصناعة او التجارة او الطب او الهندسة أو المرافق .. وكل ما يتصل باعمار الارض والانتاج ومتطلبات الحياة وتطويرها الى احسن ، وقد استعمل الحق جل وعلا هذا التعبير في سورة الجمعة حيث قال : (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله**) الجمعة/ ١٠ فالناس عقب الصلاة الجامعة كل جمعة ينتشرون في الارض ويعود كل منهم الى عمله الذي يسره الله له ابتغاء الرزق وما يعود بالنفع عليه وعلى اسرته وعلى المواطنين .

واستطرادا لهذا لم يخصص يوم بأسره للراحة من العمل ولكن الله جعل الانقطاع عن العمل فرضا اذا تؤدى للصلاة من يوم الجمعة حتى تؤدى كاملة ثم يعود دولاب العمل الى ما كان عليه .

هذا فريق اعمار الارض حيث ان الله تعالى قد استخلفنا فيها لنقوم باعمارها واصلاحها ولا نسعى فيها فسادا .

اما الفريق الآخر الذي يقاتل في سبيل الله فهو فريق حماية الانتاج من الاعداء الخارجين والداخلين .

فحماية انتاج المواطن من اعداء الخارج يكون بالجيش الذي يكون معدا باستمرار للقيام بواجبه في هذه الحماية ليل نهار ، لا يغفل عن واجبه مدججا بالاسلحة متدربا على استعمالها واقفا للعدو بالمرصاد يبث العيون والارصاد ويرابط في الثغور حتى لا يفاجأ بالاعداء .



الخلاص

تحت هذا العنوان نشرت جريدة القبس الكويتية هذه الكلمة للاستاذ جاسم حبيب

لماذا اهتزت الحضارات الغربية والشرقية بظهور الاسلام ؟ ولماذا استطاع نفر قليل من الجزيرة العربية اعتنق الاسلام وامن بالرسالة وتفهم القرآن الكريم ان يحطم ما يسمى بالحضارة اليونانية والفارسية ؟؟ وعلى الرغم من ان اليونان والفرس كانوا اكثر عتادا وعدة واكثر تقدما في اساليب الحرب وطرقها الا ان العقيدة الاسلامية اقوى اثرا واشد عنادا في الحق والانسان المسلم المؤمن بربه وبما انزل من الكتاب والرسل هو اقوى واعظم من اي حضارة !!!؟ والسؤال عن سر الانتصار !!؟ سهل وميسور ويستطيع كثير من التلاميذ الاجابة عليه فالحضارة والمدنية بدون قيم اخلاقية ومبادىء تظل ضعيفة وهشة حتى تضمحل !!

والحضارات التي قامت على عبادة الاصنام وعبادة الاموال والذهب والفضة واعتناق مبادىء اللذة الدنيوية وغيرها اضمحلت كلها والتي تقوم اليوم على نفس القيم اللاسوية ستضمحل حتما !! ورب سائل او مستدرك يقول : اين العرب اليوم ؟ او اين الاسلام اليوم ؟ ومع ان الاجابة صعبة جدا وتحتاج الى تفكير وبحث ومعاناة حتى تجيب على هذا السؤال وتستوفيه حقه الا ان العرب والمسلمين سيظلون في تأخر واضطراب وسيزداد الظلام وستنعدم الرؤى تماما اذا ظل « الحال على هذا الحال » وسنتوه ويتوه من بعدنا الجيل القادم وسنعيش الضياع بكل ابعاده ما دمنا لا نطبق الاسلام تطبيقا صحيحا صافيا ونقيا دون زيف ودون نفاق والعقيدة الاسلامية نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وسوف نستفيق !! وسوف نتقدم ونعيش برفاهية وخير وقوة اذا فهمنا الاسلام فهما حقيقيا كما اراده الله تعالى لنا وكما بسطه وشرحه رسولنا الكريم خاتم الانبياء . العقيدة الاسلامية عدالة ومحبة وخير

وجمال ورقة وعطف وحنان وكرم وسماحة وتعاون وعطاء وانتاج وعمل واداء وقوة في الحق وثقة في النفس وكفاح في سبيل الله والوطن . باختصار هي كل المعاني السامية التي تفقدها الكرة الارضية اليوم في شمالها وغربها وشرقها وجنوبها !! وما لم تكن لنا هذه الاستراتيجية العظيمة سنظل في خواء فكري وتأخر مضطرد حتى الموت !!؟

وبالاسلام نعيش وتكون لنا شخصية واضحة المعالم وبالاسلام يحترمنا كل العالم وتتهافت على التقرب الينا كل الشعوب ، ذلك لان في الاسلام فكرا وروحا ومادة ولان للمجتمع الاسلامي معالمه وشخصيته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وهذا التكامل الفكري هو مبعث الاحترام وهو سر القوة والمنعة والانطلاق !! ومن هنا او بناء على هذه التقدمة تستطيع عزيزي القارىء ان تدرك معاناة الانسان العربي ومأساته ومن هنا ايضا تدرك سر الحرمان والفقر والجهل الذي تعيشه جماهيرنا العربية اذ بدون الاستراتيجية الفكرية للاسلام وبدون قلب وروح الاسلام وبدون التراحم والتواصل والتآخي والتكافل والتعاون الاسلامي لا تقوم لنا قائمة ولا تكون لنا ملامح على سطح الارض !! وكل الشعوب التي ليس لها فكر ونظرية وعقيدة محكوم عليها بالفناء أما الشعب الأصيل فهو الذي يملك قوة العقيدة والفكر والايمان وتبني الحضارة ويبنى العمران وتزدهر المدنية حيث توجد النظرية الراسخة والعقيدة القوية المتمكنة في قلوب الناس التي تدفعهم للابداع والتحرك والنشاط .

والسؤال ما هي استراتيجيات ومنطلقات النظم العربية ؟ ما هي العقائد والنظريات التي تنطلق منها الانظمة العربية في بناء الانسان ؟ كيف يسير الاقتصاد وعمليات توزيع الثروة على جماهير الشعوب ما هي السياسات التعليمية ؟ ما هي السياسات الاعلامية ؟ ما نوعية التربية داخل الاسرة ؟ ما هو دور المؤسسات والجمعيات والروابط وما هي انشطتها وما مدى ما تحققه من نجاح في تثقيف الجماهير ؟ ما مدى ما يتمتع به المواطن من ضمانات في التعبير عن حرية الرأي والعقيدة والقول ؟

الشيوعية هذا المبدأ الهدام

نشرت جريدة الشرق الاوسط كلمة للاستاذ عبده احمد تحت هذا العنوان تقول :

الشيوعية الملحدة خراب كل بيت تدخله وخراب كل عقل تغزوه وخراب كل بلد تحل فيه الشيوعية دمار كل القيم الانسانية تعني كبت حريات الناس وتكميم افواههم ، الشيوعية عدوة الاسلام الاولى لانها ترى في الاسلام

السد المنيع الذي يقف في وجه زحفها الاحمر ترى في الاسلام عملاقا يقف وبكل صمود في وجه نظرياتها ومعتقداتها الزائفة ترى في الاسلام قوة تستطيع منعها من تنفيذ مخططاتها الاجرامية ضد العالم الاسلامي ترى في الاسلام المستقبل الزاهر للبشرية جمعاء ترى في الاسلام نقطة تجمع قرابة الف مليون مسلم متمسكين بكتاب الله وسنة نبيه الكريم يستمدون قوتهم من قوة الله التي لا تقهر لم تلق الشيوعية قلعة منيعة وصامدة تقف امامها مثل قلعة الاسلام الشامخة القوية بعزيمة المسلمين لم تجد من يحاربها ببسالة وإرادة وعزيمة تشق الصخر مثل المسلمين الذين يحاربونها بالتمسك بكل اوامر الله وسنن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه هي حربنا مع الشيوعية ذات الوجه البشع وهي حرب وعدنا الله بالنصر فيها ما دمنا ملتزمين بكل ما امرنا به . ان اجدادنا واسلافنا الكرام الحقوا الهزائم بكل الحملات الصليبية يضربون اروع المثل في محاربة المعتدين ويضعون لنا خطا لا يجب ان ننحرف عنه مهما كان الثمن .

واليوم نرى الشيوعية وقد دخلت الى افغانستان قلعة الاسلام الصامدة التي تقف بكل بسالة امام هذا الغزو الشيوعي لافغانستان . لم تستسلم افغانستان لهذا الغزو الدموي بل هناك الكثير من المجاهدين في سبيل الله يقضون مضاجع الشيوعيين المستعمرين ضامنين نصر الله الذي وعدهم وهو لا يخلف الوعد فوجب اليوم على كل مسلم غيور على دينه وارضه ان يساعد هؤلاء الرجال بكل ما استطاع من مال وسلاح وغذاء وكساء قال تعالى « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » . (صدق الله العظيم) . لقد ثبت ان كل ما تدعيه الشيوعية من تأييدها لحرية واستقلال كل دول العالم هو كذب وخداع لأن غزوها لافغانستان قلب الموازين واسقط الاقنعة البراقة عن وجه الشيوعية القبيح فالشيوعية حركة استعمارية في المقام الاول ان ما تدعيه ادعاء لا اساس له لأن غزوها لافغانستان وقتلها ومحاولتها اشعال نار الفتنة في كل مناطق العالم اثبت بما لا يدع للشك مجالا عكس هذا الادعاء . ان الشيوعية والصهيونية عنصران يكمل احدهما الاخر فالشيوعية هي وليدة الصهيونية ولأن من الف النظرية الشيوعية هو في الاصل يهودي فلننظر الى اوجه المقارنة بين هاتين الحركتين العنصريتين فالصهيونية تقتل وتشرد الشعب الفلسطيني والشيوعية تقتل وتشرد الشعب الافغاني فأوجه المقارنة كثيرة والغاية واحدة وان اختلفت السبل والوسائل فالصهيونية والشيوعية تصبان في قناة واحدة وهي العداوة الكاملة للاسلام .

ان سلاحنا القوي في وجه الغزو الشيوعي لارض افغانستان هو وحدة كلمتنا ووقوفنا صفا واحدا تحت راية الاسلام « لا اله إلا الله محمد رسول الله » هذه الراية التي وقف تحتها رجال عظماء من المسلمين دانت لهم الارض شرقا وغربا فلنسر على نهجهم ولنقتف اثرهم وقال تعالى في كتابه العزيز « **إن ينصركم الله فلا غالب لكم** » صدق الله العظيم .

اين هم العـرب واين هـم المسلمون ؟

تقول جريدة الوطن الكويتية تحت هذا العنوان :

اننا نعيش هذا الواقع المؤلم الذي يكمن تحت طياته الحزن والاسى لشعب ذنبه ان ارضه بيعت بمغيب عنه ، بيعت بغير ثمن مقابل الشهرة والمجد للمزيفين بيعت عن طريق السماسرة والخونـة الـذين همهم الوحيـد متعة انفسهم وانعاشها على حساب الغير .

السؤال الذي يحيرني دائما وابدا هو : من نحن ؟

هل نحن عرب كما ندعي ؟

فان كنا كذلك : اين عروبتنا في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق ؟ هل العروبة بالاسم فقط ؟ ومجرد لفظ ينطق به بدون معنى او حرمة او تقدير ؟

هل هذه هي عروبتنا في تل الزعتر ولاكثر من شهرين محاصرين محرومين من الطعام والشراب تنهك اعراضهم وحرماتهم ويقتل الشاب امام والديه كما يقتل الوالدان امام ابنائهم وصوت الطفل يسري صداه في الوادي بين الجبال وعيناه تذرف الـدم بدل الـدمع ، لا يستطيع الكلام سؤالا عن ابيه وامه واخيه واخته .

فأين عروبتنا منهم ولماذا لم يتمكن الصليب الاحمر من الوصول اليهم ؟ ولماذا تمكن من الوصول الى زحلة عندما تضايق الخونة والعملاء « الكتائبيون » والكل صاح مطالبا بوقف اطلاق النار بحجة الوفاق والتكاتف ، فأي وفاق هذا واي تكاتف ؟ لماذا لم يكن في تل الزعتر ؟

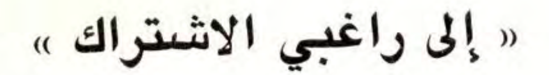
اذا لم نكن عربا وقلنا بأننا مسلمون ، فأين الاقصى في اسلامنا ؟ واين الحرم الابراهيمي في عقيدتنا ؟ واين افغانستان في مبادئنا ؟

الاقصى الشريف الذي بارك الله حوله وقدسه يحرق امام اعيننا ويدمر امامنا ونحن نشاهده ، اليهود يدخلونه بنعالهم ويدنسون حرمته والايدي العاملة تحفر تحته يوما تلو الاخر وذلك لتهويده .

الحرم الابراهيمي يمنع المسلمون من دخوله لاداء صلواتهم وشعائرهم الدينية وكبـار مسؤولي الصهـاينـة يعـدون المستوطنين اليهود بتمكينهم من الصلاة في الحرم الابراهيمي وتحويله الى معبد ولم نسمع الا ذلك الروتين المعـروف الاستنكار والرفض .

لكل هذا لم اجد ردا على هذا السؤال الذي يحيرني دائما وسيبقى هكذا حتى اجد له جوابا .

فمن كان لديـه الجواب الـواضح والشافي فليكتبه لي وليجبني عليه .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

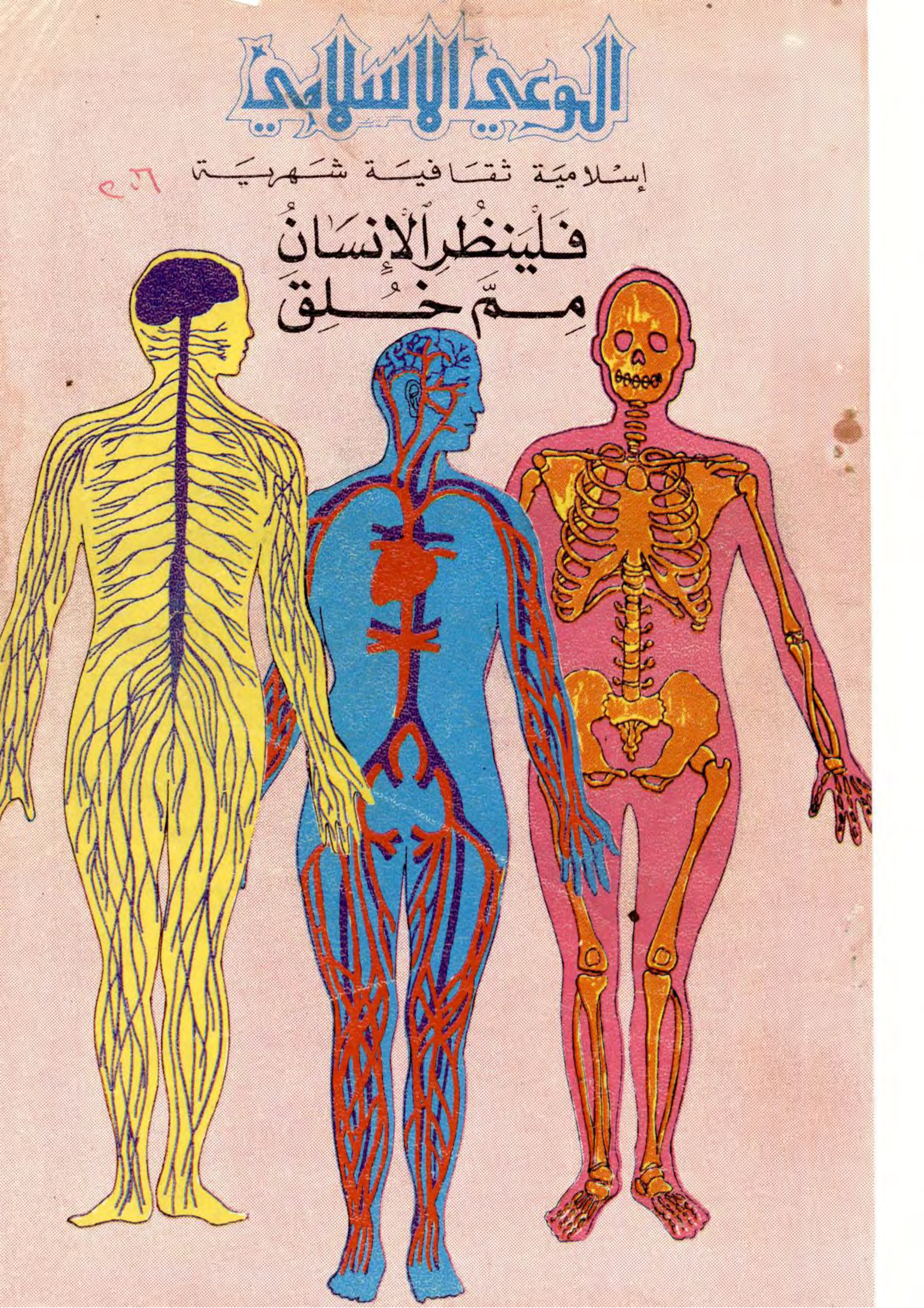
مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ــ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣ .
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -



الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
فلينظر الإنسان
مم خلق



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٦ ● صفر ١٤٠٢ هـ ● ديسمبر ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

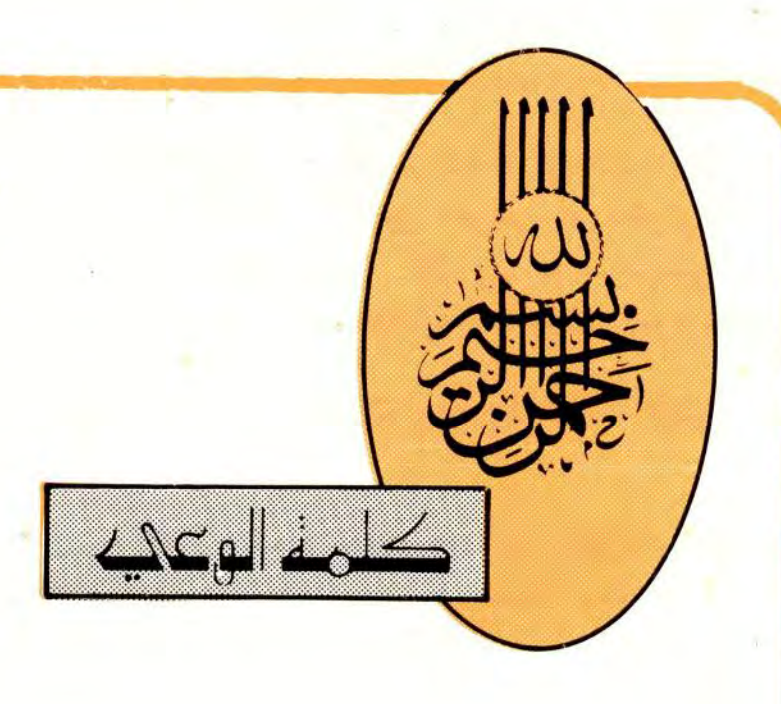
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الاردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



المسؤولية في الاسلام

لقد جاء الاسلام بتربية ضمير الانسان وتهذيب روحه ، وارضاء غرائزه في حدود الاعتدال ومراعاة أوامر الله ، وكفل له حصانة النفس والمال والعرض ، وحق الاخاء والمساواة ، وأقام أخلاقه على دعائم من قوة الشخصية وطهارة النفس ، ومنحه ارادة يختار بها أموره العقائدية ليكون ايمانه بالله عن اقتناع ورضا لا عن سيطرة واكراه قال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) البقرة/ ٢٥٦ . وقال مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : (**فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر**) الغاشية/ ٢١و٢٢ . ويختار بها كذلك أموره الشخصية من التملك والتصرف والانتقال والاقامة ونحوها ، وأموره السياسية من ابداء الآراء ، وتقديم النقد البناء ، والنصح الخالص .

ثم بين القرآن الكريم أن الاهتداء بهدي الله سبيل الحياة الطيبة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة ، فقال تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا**

يعملون) النحل/ ٩٧ . وان الخروج على تعاليم الله طريق الشقاء في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ، فقال تعالى : (**ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى .**

وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) طه/ ١٢٤ ـ ١٢٧ .

وبهذا عرف الانسان رسالته في الحياة ، وفتح عينه على حقوقه وواجباته ، وأصبح مسؤولا عن عمله .. ثواب استقامته له لا لغيره ، وعقوبة انحرافه عليه لا يؤخذ بها أحد سواه ، قال تعالى : (**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**) فصلت/ ٤٦ . (**من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**) الاسراء/ ١٥ .

والفرد في هذه الحياة مسؤول عن تزكية نفسه وتطهيرها بالايمان والعمل الصالح قال الله جل شأنه : (**ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها**) الشمس/ ٧ ـ ١٠ .. ومسؤول عن أسرته يعمل لاسعادها ، فيعنى بتربية أولاده جسميا وخلقيا وعلميا ، ويقوم بحق والديه والاحسان لقرابته لقوله تعالى : (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى**) النساء/ ٣٦ .. ومسؤول عن رعاية حقوق غيره ، لأن الحياة مثلها كمثل السفينة وسط الأمواج ، جميع ركابها مسؤولون عن سلامتها ، وليس لأحدهم أن يخرق موضعه في السفينة باسم الحرية الفردية ، فقد قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه الترمذي .

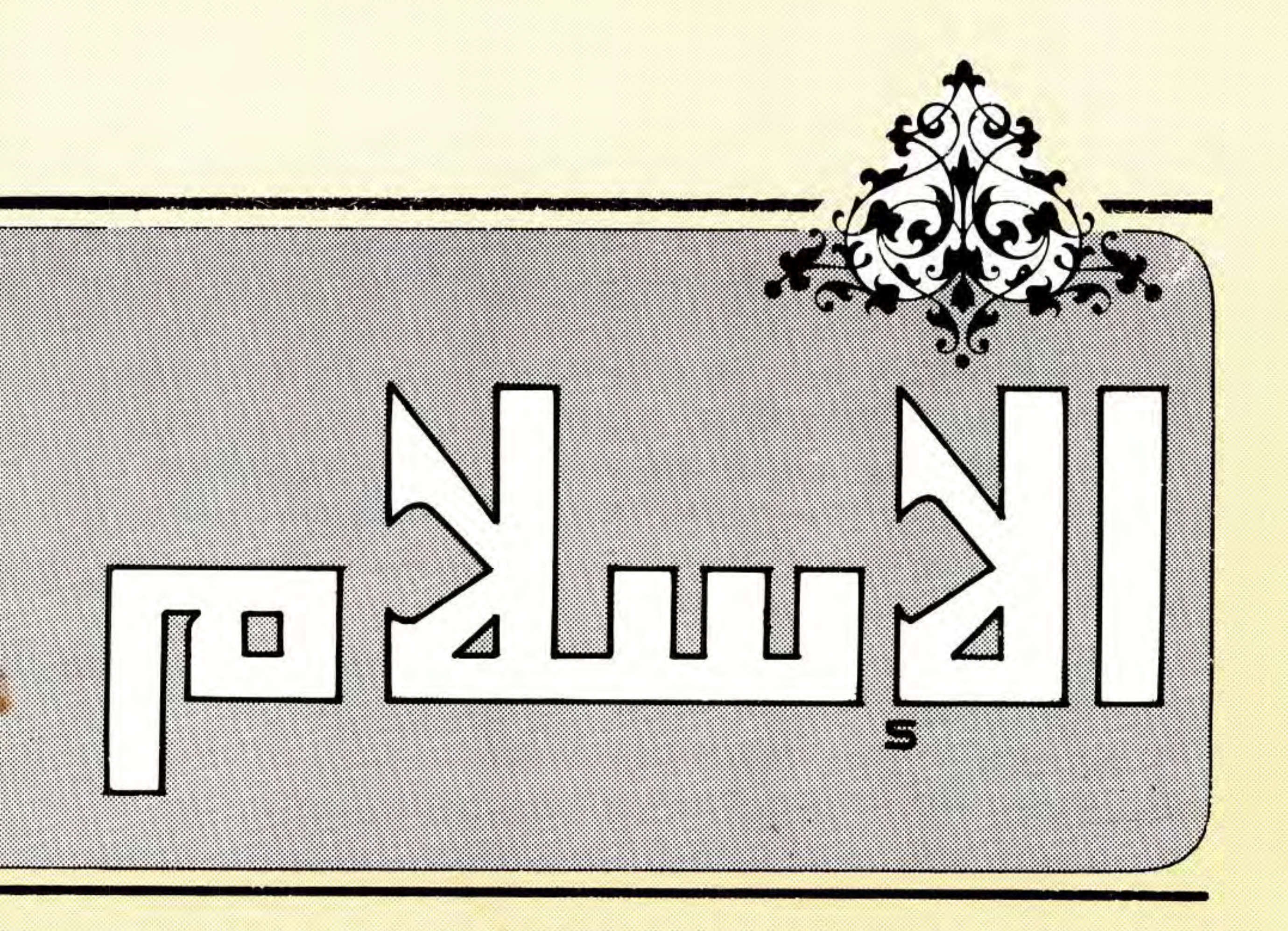
والأمة ممثلة في الدولة مسؤولة عن كفاح أعدائها ورد كيدهم ، والحفاظ على حقوقها ومقدساتها حتى تعيش في كرامة وعزة ، وتكون أهلا لعون الله ونصره قال تعالى : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع**

المحسنين) العنكبوت/ ٦٩ .. ومسؤولة عن حماية الضعفاء فيها تقاتل عند اللزوم لحمايتهم وانقاذهم . قال تعالى : (**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) النساء/ ٧٥ .. ومسؤولة عن فقرائها يجب أن تهيىء طريق العمل للقادرين عليه ، وأن تمد يد العون للعاجزين والذين لا يوفي ناتج عملهم بضروراتهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به » رواه الطبراني . وقال : « من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم قال راوي الحديث : فذكر أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل .

والحاكم في الأمة مسؤول عن اقامة العدل في رعيته ، والحفاظ على مقدراتها ، وأن يسهر على مصالحها ، وألا تأخذه في اقامة حدود الله على القريب والبعيد هوادة .. وعلى الرعية حينئذ أن تسمع له وتطيع قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/ ٥٩ . وقد أعلن الخليفة الأول أبوبكر رضوان الله عليه دستور الحكم الصالح بقوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو وحده الذي يقضي بالحق وقد وكل بكل انسان كراما كاتبين يسجلون سلوكه من حسنات وسيئات ، فاذا جاء يوم القيامة نشرت الصحف ووقف المرء أمام أعماله لا يستطيع منها فكاكا : (**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**) الانفطار/ ١٠ ـ ١٢ .. (**وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**) الاسراء/١٣و١٤ .. واذ ذاك يتجلى العدل الالهي فتؤخذ كل نفس بما كسبت . (**يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون**) النحل/ ١١١ .

رئيس التحرير
محمد الأباصيري



لآيات القرآن الكريم في التغير وبيان حقائقه والاشارة الى صوره حكمتان ، احداهما عقلية والاخرى روحية أو خلقية . والحكمة العقلية قوامها ان الانسان المسلم ينبغي ان يدرك انه يتغير ، وانه وصل الى ما وصل اليه في بدنه ونفسه وعقله ودينه ودنياه بفضل التغير المستمر ، وان يدرك ان كل ما حوله يتغير سواء أكان من الحيوانات أم النباتات أم النظم أم الظواهر والتيارات الاجتماعية ، وكذلك الافلاك والشموس والكواكب والنجوم والمجرات .. كل تلك المخلوقات تتغير وتتحرك وتأخذ حسب سنة الله في مخلوقاته صورا واشكالا متعددة في اليوم الواحد وعلى مدار الشهور والسنون وفي الآماد والحقب والاجيال والازمان .

والتفات الانسان المسلم بعقله وفكره الى هذه الحقيقة الكبرى ، ينفعه في اكثر من وجه ، فالعلم في ذاته غاية وهدف للانسان المسلم رجلا كان أم امرأة . لأن العلم قوة وزاد لا يدخل في عقل الانسان قبل ان يستقر في نفسه وينتقل الى اسلوب حياته وانماط سلوكه ، ووسائل تعامله مع بني جنسة من افراد المجتمع . واذا كان الناس يتفاوتون في التحصيل العلمي ، فان الله امر الناس بطلب العلم ولم يستثن منهم احدا ، فالله امر المسلمين في شخص نبيهم عليه الصلاة والسلام بقوله (**وقل رب زدني علما**) طه/ ١١٤ وفي هذا المقام يضيف القرآن الكريم (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩ والوجه الثاني ان يحاول الانسان المسلم الافادة من حقيقة التغير ومتابعة مساره ومعرفة آثاره ، وان يتقي المضار التي تلحقه ، ان هو غفل عنه ، او وقف في طريقه . ودع عنك تحديه وانكاره او تجاهله .

وما دامت كل المخلوقات تتغير فان حياة الانسان الاجتماعية تتغير ايضا

والتغير الاجتماعي

للدكتور – زيدان عبد الباقي

باعتباره سيد المخلوقات في شكل ملامح جديدة تطرأ على الظواهر والنظم والتيارات الاجتماعية طبقا لقوانين اجتماعية حددها عالم الاجتماع العربي الاول في العالم كله عبد الرحمن بن خلدون . ومقالنا هذا يتناول موقف الاسلام من الانسان من خلال تغير النظم الاجتماعية .

هذا والتغيير الاجتماعي من الموضوعات التي حظيت باهتمام كثير من علماء الاجتماع . ولعل اول من اولى هذا الموضوع اهتماما كبيرا في العصر الحديث هو « وليم اوجبرن » وتتابعت بعد ذلك دراسات التغير الاجتماعي منذ مطلع القرن العشرين في ظلال ازدهار مناهج البحث الاجتماعي الحديثة . ومن المعروف ان ظاهرة اجتماعية وطبيعية تخضع لها الظواهر الاجتماعية والطبيعية على السواء ، وان كنا نجد انه اكثر وضوحا في الحياة الاجتماعية ، واذا كان التغير الاجتماعي من مميزات جميع الثقافات ، فان معدل التغير يختلف باختلاف نوع المجتمع ، ذلك أن التغير في المجتمع البسيط يختلف عنه في المجتمعات التي حققت قدرا كبيرا من النمو الاجتماعي والاقتصادي ، مع ملاحظة ان ثقافة المجتمع البدائي ليست استاتيكية كما يتوهم البعض ، وانما هي ثقافة ديناميكية كما اثبتت ذلك الدراسة العلمية لبعض الشعوب البدائية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان التغير يختلف عن التقدم الاجتماعي ، بمعنى ان جوهر التغير الاجتماعي هو البحث عن المبادىء التي تحكم الذبذبات الاجتماعية . ومن ثم فانه يقوم على التحليل الموضوعي لهذه الذبذبات واتجاهاتها .. على حين ان التقدم الاجتماعي لا يخرج عن كونه مدخلا معياريا

قيميا للحكم على الاحداث الاجتماعية ، ومن ثم فان تركيز التقدم الاجتماعي يتجه الى البحث عن مجتمع أفضل بعكس الحال في التغير الاجتماعي الذي يركز اهتمامه على المجتمع القائم ، اي ان التقدم الاجتماعي فكرة فلسفية تبحث فيما ينبغي ان يكون ، بينما التغير الاجتماعي عملية اجتماعية تبحث فيما هو كائن .

وللتغير الاجتماعي نظريات متعددة يمكن تصنيفها في مجموعتين على النحو التالي :

أ ــ النظريات الدورية في التغير الاجتماعي .

ب ــ النظريات الحتمية في التغير الاجتماعي .

وتفاصيل تلك النظريات متاحة في المؤلفات المتخصصة .

هذا وتغير النظم الاجتماعية بمقتضى ما يجد في المجتمع والحياة الاجتماعية من ظروف يكون في بقائها واستمرارها مضار ، وفي تحويرها صالح منشود للناس ، فان الاسلام لا يمنع من حدوثه ، ما دام الغرض الاسمى يحقق المنفعة لسواد الشعب ، بغير تمييز بين الافراد مهما تكن منازلهم او مكاناتهم في المجتمع . وما دام التغير في النظم الاجتماعية يرمي الى درء المفاسد واقرار الطيبات لصالح الانسان .

هذا ولم تعرف البشرية دينا مثل الدين الاسلامي ، دين يزكى الفؤاد ويضيء البصيرة ، ويدعو العقل الى التفكير والتدبر ، والنظر في آيات الله ، والخروج من الدائرة الضيقة المحدودة الى الرحاب الواسعة الفياضة لكي يقف المسلم على آثار قدرة الله تعالى وعلى نعمائه . وهو مع ذلك دين يدعو الى المعرفة الواعية الموصلة للانسان الى غايته التي يرتضيها والى الخلق القويم الذي يريده . ولعل عنايته بالعلم ، انما جاءت بعد ان اكتمل للعقل البشري النضوج وتراكمت في جنباته الابتكارات الحضارية ، وبلغ ذروته واصبح على استعداد لهذا النظر والتفكر .

والطريقة العلمية التي نأخذ بها في هذا المقال ، انه لا يستعصي على البحث والدراسة ان يهتديا الى العصي الغريب ، متى استضاء سيرهما بمصابيح الحياد العلمي والتخلص من الافكار والاوهام السابقة واستخدام مناهج البحث العلمي . وبذلك لن يلبث الغريب المستعصى ان يلين من قيادة فيقرب ويسهل ويصبح له طعم الماء العذب ، الحلو المذاق ، ويجد الابواب مفتوحة امامه الى القلوب ذلك ان المسلم سينتهي بذلك الى ما ينتهي اليه الباحث المدقق اذا اشعل سراج العدل ، حيث تتبدد كل ظلمة ، ويقرب كل بعيد ويتيسر كل صعب ، ويصبح المر حلوا سائغا ، والمجهول واضحا مكشوفا بفضل هذا المنهاج .

وليس أضوأ من مصابيح تكشف للناس بعض ما يشتبه عليهم ، مما يتوهمون انه لا يكتشف ، ولا اعز من طرق علمية تجمع الرأي بعد خلاف يظن ان اشتاته غير قابلة للجمع . وذلك كما يتوهم بعض الناس ويظنون في الشريعة الاسلامية ، وفي الحياة الاجتماعية الظنون ، اذ يخيل الى اوهامهم بادىء ذي بدء ــ انهما أمران متباعدان ، ونقيضان متضادان ، لا يمكن ان يجتمعا في « انا » واحد ، او

ان يلتقيا تحت سماء واحدة .

ولم يكن هذا التباين الموهوم بين الشريعة والحياة الاجتماعية الا من جانب الذين لم يفتحوا على الرؤية غير عين واحدة ترى نصف الافق ، ترى المنقول والمؤول والمفسر فحسب ، ويغيب عنها نصفه الآخر . وهو النصف الذي اصطلح عليه الناس تحت اسم « العقل الجمعي » في المجتمع . ولو انفتحت العينان معا لتراءى لها الافق كله في وحدة متصلة مستمرة ، وفي منظر ملتئم مجموع لا يتجاهله كل ذي بصيرة .

الاسلام دين كل انسان وكل زمان وكل مكان :

والاسلام ـ كنظام اجتماعي ـ جاء للناس كافة ، لا لقوم دون قوم ولا لقبيل دون آخر ، ولا لأبيض دون أسود ، ولا لأحمر دون أصفر ، وإنما جاء رسالة شاملة للجميع ، لاقامة العدل بين الناس وتهيئة مختلف الفرص لكل انسان لكي يعيش مع غيره بكرامة وعزة . ومن الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك قول الله تعالى **(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** سورة سبأ/ ٢٨ ، وكذلك قوله تعالى **(قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)** سورة الاعراف/ ١٥٨ وهذا ليهتدي به الضال عن سبيل الله ، ويتنبه به الغافل عن طريق الرشاد ، فليس احسن مذهبا ، ولا اقوم سبيلا ممن دعا الى دين الله الحنيف الذي اقامه سبحانه وتعالى على اعدل السبل ليغلب على سائر الاديان ، وليهدي به من يشاء من عباده ، الذين تفرقت بهم الطرق فعاشوا زمنا طويلا في تيه من الضلال والغي ، الى ان جاءتهم دعوة الحق جلت قدرته فتناجوا به في كل صلاة قائلين **(اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم . غير المغضوب عليهم . ولا الضالين)**

ومما يؤكد ايضا ان الاسلام جاء للناس كافة ، لقوله تعالى **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا)** سورة الفرقان/ ١ ، ٢ وايضا قوله سبحانه وتعالى **(وما هو الا ذكر للعالمين)** سورة القلم/ ٥٢ وكذلك قوله جل شأنه **(ان هو الا ذكر للعالمين)** ص/ ٨٧ وايضا قوله تعالى عز من قائل **(وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين)** سورة يوسف/ ١٠٤ واخيرا وليس آخرا قوله سبحانه وتعالى **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** سورة الانبياء/ ١٠٧ وكل تلك الايات البينات تؤكد ان الرسول ـ ممثل الاسلام ـ للناس كافة . والفرقان نذير للعالمين من افريقيين واسيويين واوروبيين وامريكيين واستراليين . ولكل سكان الكواكب والاقمار والمجرات . بل ولكل كائن

حي اينما كان وحيثما حل مهما تتابعت الحقب والاجيال . فالرسول والاسلام كلاهما للانسان ، كما هما للانسانية وكتاب الاسلام يدعو الناس الى التآخي **(انما المؤمنون اخوة)** الحجرات / ١٠ ويدعوهم الى الحرية والاخاء والمساواة في الحقوق والواجبات ، والى العيش متعاونين متكافلين داعين الى الخير ، مناعين للشر ، مقيمين للحدود معادين للباطل ذلك ان الاسلام دعوة صريحة واضحة لا لبس فيها ، تدعو الى الاخوة بين البشر جميعا . دعوة كريمة وتوجيه كريم من رب كريم عظيم ، ودستور سماوي عظيم لم تصل الى مستواه ـ ولن تصل ـ اكثر الامم رقيا في عصرنا هذا الذي يقولون عنه انه عصر الذرة وعصر الفضاء وسفن الفضاء . وهذه هي الامم الغربية كلها وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية حيث توجد هيئة الامم المتحدة التي اعلنت واصدرت الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، تحدثنا صحافتها عن قصص التفرقة العنصرية الداميـــة ، تلك القصص التي يندى لها جبين الانسانية وتتألم لها النفوس البشرية .. هذا ابيض له كل الحقوق ، وهذا اسود ليس له اي حق من الحقوق .. حتى في اماكن العبادة التي يجب ان تكون فيها النفوس اكثر صفاء ، وتنحني داخلها الرؤوس من خشية الله ... هناك لا يجلس الابيض بجوار الاسود .. ترى من الذي اوجد التفرقة ونادى بها ، مع ان الله خلق الكل ، واوجد الوجود كله للكل ... الخ ؟

وعلاوة على ذلك فان الاسلام دين الديمقراطية الحقة ، دين يدعو كل مؤمن الى ان يرفع رأسه عاليا وان يعيش عزيز النفس ، كريم الذات ، عالي الهمة بالسلوك الحميد وليس بالتعالي والتفاخر بالانساب والاموال ذلك ان الضعيف قوي بالاسلام : والفقير بالاسلام ـ الاسلام دين السعي والكفاح ـ غني . وكل مسلم بالاسلام عزيز لن يهون ، وله مكانة الانبياء اذا سلك مسلكهم ، وسار على دربهم وتمسك باخلاقهم تأكيدا لقوله تعالى **(ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما)** الاحزاب / ٤٠ فهو واحد من البشر مثلنا اختصه الله بالرسالة لتمسكه باخلاق الاسلام ولحكمة علوية كريمة ارسله الله للناس كافة وجعله خاتم النبيين وامام المرسلين ، اذ ليس وراء رسالته في توجيه الانسانية رسالة ، فهي الرسالة الجامعة المانعة بها يسعدون وبغيرها يشقون ويفسدون .

اذا ، الاسلام رسالة نورانية ، رسالة الحرية والاحرار ، رسالة الحق والعدل والخير والجمال ، رسالة التوحيد والتمجيد لله سبحانه وتعالى . وليس ذلك فحسب ، بل ان الاسلام دين حر ودولة حرة ، وبالرغم من ذلك ، فان رسالة الاسلام لم تفهم ـ بعد النبي عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ـ على وجهها الصحيح ، ولم ينتشر الاسلام كما ينبغي نتيجة نسيان المسلمين للاخوة الدائمة في الخير والشر في مجتمعهم ، كذلك في الغنى والفقر ، في الجهاد والدعة ، في الكفاح واليسر ، في الحرب والسلام ، نسى المسلمون كل هذا وراحوا يقيمون مجتمعات بعيدة عن روح الاسلام الصحيح ، بعد ان سيطرت على

الدول الاسلامية النظم الرومانية التي شهدوها في الشام والنظم الفارسية التي آنسوها في بلاد فارس بعد الفتوح الاولى مباشرة ، مع ان القرآن الكريم يقول (**لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة**) آل عمران/٢٨ وتلك مباطنة لا يقرها الاسلام فقد نزلت هذه الآية الكريمة ـ كما يقول الالوسي ـ في نفر من الانصار ، كانوا يباطنون نفرا من اليهود مثل ابن ابي الحقيق ... وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ايضا . وليس معنى ذلك ان يتمركز المسلمون حول ذاتهم في انطوائية ترفضها الحياة الاجتماعية ، وانما في نهاية الآية الكريمة السابقة دعوة للأخذ من الآخرين والآية تحدد ايضا ماهية هؤلاء الآخرين بأنهم (**الا ان تتقوا منهم تقاة**) وليس ذلك من الموالاة في شيء ـ كما يقول الالوسي ـ بل من السنة المشروعة . واورد عن النبي صلى الله وسلم قوله « ان الله امرني بمداراة الناس ، كما امرني باقامة الفرائض » رواه الديلمي ورمز السيوطي لضعفه .

وظلت تلك التبعية ميراثا تتناقله الدول والدويلات الاسلامية الى زماننا هذا ، تلك النظم التي كانت الاساس التي قام عليها النظام الطبقي الصارخ في سائر المجتمعات الاسلامية . تلك الطبقات التي يرفضها الاسلام لبعدها عن روحه . ولأنها ليست من اصوله ولا من فروعه ، ذلك ان الاسلام دين يدعو الى التقارب في فرص الحياة بين الناس ، كما انه دين المساواة في مستويات الحكم ، فلكل من يظله الاسلام كرامة مساوية لكرامة غيره من الحاكمين والمحكومين ، وله على الدولة حق الحياة بكل الوانها ، روحية كانت أم مادية . ولا ريب في ان اساليب النفاق الطبقي الصارخ الذي ورثته دويلات الاسلام عن الروم والفرس قد عطلت المعنى الاسمى الذي ينشده الاسلام لكل مجتمع انساني ، بلا تفرقة بين عقيدة وعقيدة ، او لون وجنس ، او اي من تلك الفروق التي تنخر في عظام الحضارة الحديثة . وهكذا فان الاسلام ، كما يقول طيب الذكر الامام محمد عبده « محجوب بالمسلمين » وهو قول حق اريد به وجه الحقيقة .

التغير الاجتماعي الذي لا يقره الاسلام :

ابتعد المسلمون على النحو السالف الذكر عن حقيقة دينهم ، وخضعوا نتيجة لعدم اقتباسهم ما يتفق مع الاسلام من النظم الاجتماعية الحديثة ، كما فعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما دون الديوان واستبدل لقب الخليفة الثاني للمسلمين بلقب « امير المؤمنين » وانما لنظم دخيلة على الاسلام . وكان بعدهم عن حقيقته سببا في ان يبتعدوا عن الحياة ذاتها . فما هي اذن تلك المؤثرات التي احدثت ذلك الصدع الكبير بين الاسلام والمسلمين ؟

لعل السبب يرجع ـ بل من المؤكد انه يرجع ـ الى بعد الاسلام عن المسلمين ، ومن ثمة بعدوا عن الحياة الاجتماعية الاسلامية . فالاسلام يدعو الى التطور

وليس دينا جامدا مغلقا امام ما لا يتعارض معه ، لا سيما اذا كان فيه صالح الانسانية . ولكن رجال الاسلام بعدوا عن روح الاسلام . وبالتالي فلن يستعيدوا مجدهم الا بالنظرة الشاملة والادراك الواعي والفهم العميق لروح تلك الرسالة النورانية ، على انها رسالة انسانية جعلت اصلا من اجل الانسان .

ولكي نفهم رسالة الاسلام فهما عقلانيا يجب علينا ان نرفع ذلك الحجاب الذي اسدلناه بيننا وبين الاسلام وحجبنا به الاسلام عن اعيننا وعن اعين الآخرين في مختلف الامم . الامر الذي يجعلنا مسؤولين امام الله عن حجب الاسلام عن اداء رسالته العالمية الانسانية للناس اجمعين . او كما قال امامنا الراحل محمد عبده رحمه الله « بأن المسلمين حجبوا الاسلام بالاسلام ، فقد تفرقوا احزابا وشيعا ، وذهبوا طرائق متباينة ، والتمس كل فريق منهم وسيلة من الاسلام يؤيد بها الصورة التي زيفها منه ، وعندي ان هذه الظاهرة كانت اكبر اعتداء انزله المسلمون بدينهم فالاسلام في حقيقته رسالة بسيطة ظاهرة المعالم ، بينة الحدود ، بعيدة عن مماحكات المنطق ، وسرحات الباطنية والتصوف ، فاساس الاسلام اله حق ورسول ادى رسالة ، وانسان اديت اليه . والانسان في الاسلام هو المحور الذي تدور حوله رسالة الاسلام وتعاليمه العليا ، وكانت الكارثة الكبرى التي حجبت الاسلام فعلا ، هي ان المسلمين نسوا الانسان ، نسوا الجوهر الذي نزلت من اجله الرسالة النورانية » .

وخلاصة ذلك ان الرسالة الاسلامية وسيلة والانسان هو الغاية . ولو ان المسؤولين عن الدين الاسلامي قد استمسكوا بجوهر الوسيلة ، لما استطاعوا ان يطرحوا الغاية . ولكنهم بجهالة ـ جمدوا الوسيلة وفرقوها حسب اهوائهم ، وادخلوا عليها ما ليس فيها من بدع خضوعا منهم لمنطق المصلحة الخاصة وصبغوها بالباطنية حينا وبالتصوف حينا آخر ، وبالاساطير والاباطيل احيانا كثيرة ، انتجاعا لسيطرة الطبقات المستعلية وتخويفا للطبقات المستدنية حتى تستكين وتضعف وتذل ، بان يلقى في روع افرادها ان استعلاء الاعلين ، واستدناء الادنين ، انما هو من صنع القدر استنادا الى قول الله تعالى (**وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم**) الانعام/ ١٦٥ وقوله تعالى (**اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف/ ٣٢ ونسوا بذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ايها الناس ، ان ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ولا لأحمر على اسود ، ولا لأسود على احمر الا بالتقوى » رواه احمد وهذا يتفق مع قوله تعالى (**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣ وذلك للقضاء على اجحاف النظام الطبقي الذي كان سائدا قبل

الاسلام . ومن ثم فان ما ظنوه من صنع القدر ، ليس من القدر في شيء ، وانما هو من صنع فئات اتيح لها ان تسيطر ، فأوسعت سواد الشعب خفا وهضما . وفي ثنايا هذه الانشطارات المؤسية التي لا تمت لروح الاسلام بأية صلة ، نسيت الغاية ، اي نسى الانسان الذي جعل الاسلام من اجله . وبذلك وهنت القوة الروحية التي يضفيها الاسلام على المسلمين . ومن هنا تقهقر الاسلام ، ولم يكن تقهقره نتيجة لفقدان القوة المادية ، والسيادة السياسية ، ولا لنقص فيهما ، ذلك ان الامم ـ كما يقول ابن خلدون ـ لا تموت في العادة ، ولكن يقضى عليها بان تنحدر الى مستوى الحياة الهينة اللينة عندما تنتقل من مرحلة البداوة ال مرحلة الملك ثم الى مرحلة الهرم والشيخوخة ، وهذا ما اتفق للاسلام عندما توقفت جهوده المبدعة بتخلف اتباعه وكذلك عندما اضيفت كثير من المبالغات في الصلاح والفتوى وفي الاحتقار للآخرين . وعندما خفت ذلك النور الداخلي في المسلمين ، حتى خسر ايمانهم قوة صفائه .

خفت هذا النور عندما استسلم المسلمون لدعاوي الاستعمار القائمة على الاسفاف والتجني والتي حمل لواءها الفيلسوف « ارنست رينان » الذي اتهم الاسلام بمناهضة العلم والفلسفة وكل ما هو مجال للعقل ، ولقد بالغ في دعواه حتى زعم ان العقلية السامية بصفة عامة ـ وكان يعني بذلك العقلية العربية ـ ليست بعقلية علمية ، ولا تصلح باستعدادها للبحث العلمي . وانما هي عقلية تتجلى براعتها في الحكم الرمزية والكلمات الغامضة المصبوبة في قالب الاحاجي المصنوعة في شكل الغاز ، وعلى الرغم من انها دعوى ظاهرة البهتان ، بل انها دعوى ترجع ـ في الواقع ـ الى العقلية العنصرية حيث تعتمد على حيثيات غير علمية ، اذ لا يوجد في العلم عقلية علمية واخرى غير علمية . فالعرب الذين يصف عقولهم بانها غير علمية ، هم الذين ينحدرون من سلالة امة عاشت تسعة قرون من الزمان ، وهي مركز القوة في العالم ، وقطب الحياة لهذه الدنيا ، وانهم سلالة آباء امجاد طوقوا عنق اوروبا بفضل المعلم على التلميذ وكان لهم في هذه الحضارة العربية الاوروبية عقل وفكر وعلم ، اخذه عنهم الاوروبيون وجعلوه اساسا رفعوا فوقه البنيان ، وما زالت آثاره ماثلة في حياتهم . فاذا كنا نأخذ اليوم عن اوروبا علما وفكرا ، فانه اخذ مسبوق بالعطاء ، وسداد لدين قديم اقتضى حق الوفاء ـ واذا كانت الامة العربية قد اغفت فترة من الزمن حتى سلبها الغرب كل ما لها من مقومات ومقدرات ، فهكذا سنن الاجتماع ، تتداول الامم صعودا وهبوطا ، يقظة واغفاء .

وبالرغم من ان السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله قد دفع دعوى « رينان » ببطلانها على مرأى ومسمع من علماء السربون ، وفي مواجهته في باريس ، وبالرغم من ان الامم الحية مثل الامة العربية هي التي تستيقظ من غفوتها فتكون اقدر واقوى على صنع الحياة وما تفرضه مطالب الحياة ، فقد جازت دعوى « رينان » على افهام بعض العرب والمسلمين بحكم التخاذل الذي اصابهم في عهود الاستعمار

والتسلط فكانوا يرددون هذه الدعوى الباطلة ويؤكدونها على قومهم واهلهم من العرب والمسلمين في غير وعي وغير ادراك .

المسلمون قادة العالم :

لقد قاد المسلمون العالم بالاسلام في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الانساني على مدى الفي عام على الاقل قبل اليونان ، ثم في القرون الوسطى طوال اربعة قرون تقريبا ، وليس ثمة ما يمنع شعوب الدول العربية من ان تقود العالم مرة ثانية في المستقبل القريب او البعيد ، بشرط ان ينهضوا من كبوتهم ويعودوا الى الأخذ بروح الاسلام وليس بحرفيته ، ويرفضوا ما انتحلوه من الأمم الأخرى ، وخاصة الرومان والفرس من نظم الحكم الطبقي .. تلك النظم التي وسعت من الفروق الطبقية ، حتى انتهى الامر باهل الطبقة العليا ان يعملوا على السيطرة على الطبقـة الدنيا ، وبأهل الطبقة الادنى ان يستنيموا للقدر الذي اوحى اليهم بانه من صنع الله وما كان الله بظلام للعبيد !!!

الاسلام دين الفطرة :

والفطرة هنا ليست الفطرة القائمة على التوحش ، عندما عاش الانسان في حالة الطبيعة جريا لكل انسان ضد كل إنسان كما يرى « هوبز » وليست حرية مطلقة حيث يتصرف الانسان على اساس عقلي كما يرى « جون لوك » وانما الفطرة في الاسلام تقوم على ما اثبتناه في صدر هذا المقال من ان الاسلام رسالة عامة للناس اجمعين ، بلا تفريق بينهم من حيث الجنس او اللون او الوراثات الاجتماعية ، رسالة لا تفضيل فيها بين الناس ، هي نذير للعالمين ، وذكر للناس اجمعين ورحمة للبشر رسالة ترسم لهم طريق الدنيا والآخرة ، هي شريعة للتنظيم المدني ، وهداية للتعايش الاجتماعي ، وحدود مرسومة لحياة اجتماعية راقية .

ان الاسلام رسالة الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فهي اذن رسالة جامعة ، لأن فطرة البشر واحدة ومن ثم تكون رسالة الفطرة ، رسالة لمن تجمع بينهم فطرة واحدة . وهذه المسلمة التي تستقر على قمة المسلمات او البدهيات فسرت عدة تفسيرات ، جنح اليها رجال الدين من المحافظين ، اعتقدوا خطأ ان تفسيرها ينبغي ان يكون رهنا على قول من قال من القدماء « كل جديد بدعة ، وكل بدعة في النار » وهو قول مستخرج من حديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام ونصه « فان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه غير ان معنى البدعة او الاحدوثة يختلف عن الجديد في العلم ، ولكنهم اخذوا اللفظ على

اطلاقة ، ورفضوا كل جديد حتى كان قد تم التأكد من صدقه وثباته بمنهاج علمي دقيق . ولذلك فانهم بالرغم من ذلك قالوا : ان المعنى المستفاد من عبارة « الاسلام دين الفطرة » انما يرجع الى اساس واحد ، وهو ان التفسيرات والنقول القديمة هي التي تعني معنى الفطرة ، وان الفطرة لاولاية لها على التفسيرات والنقول . وهذا التفسير الجامد لا يتفق ومعنى الفطرة ، ذلك ان الفطرة تتطور وتتقدم وتتجدد فاما ان نساير الفطرة ، وإما ان نتخلف عن ملاحقة التطور الفطري . واذن فخليقة الفطرة مناقضة تماما لذلك التفسير الموغل في الجمود ، ومن هنا فاننا اذا اردنا مزيدا من البيان ، فانه يجب علينا ان نفسر مضمون « الفطرة » من وجهة نظر الاسلام : فالفطرة ــ كما نراها ــ من منظور اجتماعي ، هي الحياة الاجتماعية بكل سماتها الظاهرة والباطنة ، ومن مقتضيات الحياة الاجتماعية التطور والتغير فهي ديناميكية بفطرتها بل ان من خصياتها الثابتة ان ترقى وان تتقدم وان تتجدد ، فكانما يقول ان الاسلام دين الحياة ، والحياة تتطور ، وبالتالي يجب علينا كمسلمين ان نساير الحياة ونتطور معها طبيعيا وعقليا واجتماعيا ، والا تطورت الحياة الاجتماعية وتركتنا متخلفين عن ركب الحضارة ، ومن ثم نصبح حضيضا وذنبا في دنيا الناس ! ولكي لا نكون ذنبا في دنيا الناس فمن الضروري ان نأخذ بالكليات الاسلامية فما هي تلك الكليات ؟ .

الكليات الاسلامية :

تتصل الكليات بمفهوم الفطرة ، فما دمنا قد ايقنا ان « الفطرة » اصطلاح غير ذي حدود تتفق وصالح المجتمع في جميع الاحوال ، ففي الفطرة : الذكاء والعقل والفضيلة ، كما ان فيها الشهوة والافتعال والرذيلة . ومن اجل ذلك شاءت حكمة الله في الرسالة الاسلامية ان يكون للاسلام « كليات » تحكم الفطرة في حدود تتسع لما يمكن ان يبلغه الانسان من تغير في حياته الاجتماعية ، ولهذا كانت هذه الكليات على ما ادرك منها ثابتة لا تتزعزع ولا تتحول ولا تتحور ، ولا ينتابها التخلف والتناقض ، كليات تتجه جملة وتفصيلا الى خير الانسان وبالتالي خير الانسانية ، ... هذا ومن اهم امثلة هذه الكليات ما يلي :

أ ــ ان اول هذه الكليات ان الاسلام قد جعل من اجل الانسان ولم يجعل الانسان من اجل الاسلام . ومن ثم فكل اصلاح اجتماعي او تشريعي تقوم الدلالة المادية على انه من صالح الانسان يكون بذلك من روح الاسلام ذلك ان الاسلام لا يتصادم مع حقائق الحياة ، فرسالته انسانية تقدمية ترفع الظلم وتطلب المصنع والطائرة والاقمار والسفن الفضائية ، وتقيم العمران ، وتدفع للعمل تحت الشمس ، وتطالبنا بالمزيد والمضاعفة للانتاج ، وتؤكد حق الانسان المسلم في الحياة ، وحقه في الحرية ، فان الله تبارك وتعالى وضع الفرصة المتكافئة امام

البشر اساسا للعمل في الدنيا وللحساب في الآخرة .
والدين الاسلامي لكي يمنح الانسان حرية التفكير والتعبير والعمل المشروع ، وضع مبادىء ونظما اقتصادية للعمل والتملك والانفاق ، وقد عالجت هذه النظم مشكلة الفقر في المجتمع وقربت الفوارق وحققت الاكتفاء الذاتي ، وادى تطبيقها الى تحقيق التعاون والرخاء ، والاخاء بين افراد المجتمع منذ اربعة عشر قرنا من الزمان ، ونحن لو طبقناها لسمت بنا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا واخلاقيا ، كما سمت بآبائنا من قبل ، ولاعفتنا مما ينادى به البعض من نظم اقتصادية وسياسية مستوردة تتنافى مع مبادئنا وعقيدتنا ، وينعدم في دنياها الخوف من الله ، وينعدم بانعدام ذلك الصبر والامن والعدالة والرحمة وحرية التفكير والتعبير ، وتجعل التملك للدولة وتحول بين الفرد والتملك حتى يعمل ويأكل كالحيوان ، ويقضي على نظام المواريث ، ويصب الناس بمقتضى ذلك في قوالب متساوية ومتشابهة مع ان الله لم يخلقهم متساوين في اي شيء جسماني او عقلي ، اتفاقا مع قوله تعالى (**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف/ ٣٢ وكذلك قوله تعالى (**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**) النحل/ ٧١ .
ان الاسلام الذي يزعم البعض انه لزمن مضى وانقضى هو دين الحياة .. دين الحرية ... حرية الاعتقاد (**لا اكراه في الدين**) البقرة/ ٢٥٦ حرية العمل المشروع (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) التوبة/ ١٠٥ حرية الرأي والقول والاجتماع لان كبت الاراء والزج باصحاب الرأي في السجون ، انما هو ظلم يتنافى مع اخلاقيات الاسلام لقول الله تعالى (**ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون**) البقرة/ ٤٢ ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره » رواه احمد ومسلم ومعنى ذلك ان حرية الرأي مكفولة في ظلال المبادىء الاسلامية . فذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يتقبل حرية الكلمة من رجل قال له : اتق الله يا عمر . وعندما قال احد الحاضرين : اتقول ذلك لأمير المؤمنين ؟ قال عمر : دعه فليقلها ، نعم ما قال ، فلا خير فيكم ان لم تقولوها ، ولا خير فينا ان لم نسمعها ونتقبلها .
ب ــ وثاني هذه الكليات : ان الاسلام « روح » وليس حروفا مرصوصة ، وقبل ان يكون نقولا او تفسيرات او تأويلات ، وروح الاسلام انه هداية للبشر في معاشهم اولا ، ثم هداية لهم في اخراهم من بعد ذلك . فمراعاة مصالح الناس في امور معاشهم ومعاملاتهم من الامور الاساسية في الدين الاسلامي . ولذا كان للعرف وللعادات وللتقاليد اعتبار في ابتناء الاحكام ولما كان المسلمون في كل فجاج الارض مخاطبين بالشريعة ، اصولها وفروعها ، وان يطبقوا احكامها على كل تصرفاتهم والتزاماتهم ، لزم ان يكون التشريع قد راعى مصالحهم على اختلاف اقاليمهم ومتأثرا بعاداتهم وباعرافهم وبتقاليدهم .

والمصلحة يراد بها في لسان الشريعة : جلب المنفعة ودفع المضرة في حدود المحافظة على الشريعة ، والذي يتتبع الاحكام الاسلامية يجد انها موضوعة لصالح الناس ، كما دل على ذلك القرآن الكريم في قوله **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** الانبياء/١٠٧ فاساس الرحمة جلب المنفعة ودفع المضرة وهي دائرة حول ذلك لا تتعداه ، ولذا فان التشريع الاسلامي لوحظ في احكامه اليسر والبساطة ، كي لا يقع الناس في ضيق وحرج ومشقة لقوله تعالى **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/٧٨ .

جـ ـ وثالث هذه الكليات ان الدنيويات المباحة المطابقة لروح الاسلام سابقة في الافضلية على الاخرويات ، فالدنيا سابقة على الآخرة ، والحياة سابقة على الموت ، فالرسالة المحمدية كانت اتماما للنعمة لانها تضمن لهم من الاسباب المادية والروحية ، ما يحققون به التعادل في ذواتهم بين متطلبات الجسم ومقتضيات حاجاتهم المادية في عالمهم الواقعي وبين متطلبات الروح والعقل من تحصيل المعارف الصحيحة والمعتقدات السليمة والتمسك بالقيم الانسانية والمبادىء الاخلاقية العالية » فاذا تحقق هذا التعادل والتوازن ولم يتغلب في ذات الانسان احد الجانبين على الآخر ، حصلوا على السعادة في واقع ذواتهم وفي واقع حياتهم المادية ، وفي الشعور بحياة روحية تخلع عليهم من البهجة والاطمئنان ما يجعلهم دائما أبدا في نعيم مقيم وخير عميم ، وفي ظل هذا النعيم المقيم والخير العميم نجد الدنيا سابقة على الاخرة .

ومما يؤكد ذلك ان الله سخر للانسان كل ما في الارض ، اذ يقول سبحانه وتعالى في آيات وسور متعددة من القرآن الكريم **(وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار)** ابراهيم/ ٣٢ ويقول ايضا **(وسخر لكم الشمس والقمر دائبين)** ابراهيم /٣٣ وكذلك قوله تعالى جل شأنه **(وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا)** النحل/ ١٤ ويقول جل شأنه **(الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض)** لقمان/ ٢٠ .

واذا كان الله سبحانه وتعالى بكل ما سخره للانسان من الآيات السابقات ، جعله سيدا لهذه الكواكب والاقمار والنجوم ، ودواب الارض وهوامها ، وما يلج فيها وما يخرج منها ، وما يعرج الى السماء وما ينزل منها ، فالسبيل الوحيد لهذا التسخير ، هو اولا : التأمل في هذا الكون ومعرفة السنن التي أودعها الله فيه والاهتداء الى مفاتيح هذا الكون ومقاليده لادارتها ، فاذا هو طائع يمنح الانسان العالم المفكر المتدبر خيراته ، كأنه حيوان اليف يتبع سيده ويلبي إشارته ولا يعصي ما يؤمر به .

فاذا أحسن التأمل وأطال النظر في خفايا هذه الكائنات وخباياها ، وأسلوب تطورها وتحللها وارتقائها ، وطريقة غدوها ورواحها ، واتصال بعضها ببعض ، وتأثير بعضها في بعض ، زاد سلطانه عليها ونفعه منها . وزاد قربي لربه الذي وعد عباده بالزيادة في كل شيء ، في قوله تبارك وتعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم** » وقد

قلنا من قبل ، ان خير وسيلة لشكر الله هي : التفكير في نعمه ، أي في أكوانه وبدائع مخلوقاته ، والسعي الحثيث للاهتداء الى نواميسه والوقوف على قوانينه .

اذن ما دامت زيادة معرفة الانسان لمخلوقات الله ، تؤدي الى زيادة سلطانه عليها بمقدار هذه الزيادة في المعرفة ، وما دام كل ما على الأرض ، وما في باطنها وما حولها في كل أرجاء الكون مسخرا للانسان ، وما دام الدين نعمة من تلك النعم ، فان الدين يصبح مسخراً للانسان وليس العكس .

د ـ ورابع هذه الكليات : أن الرسالة الاسلامية هي رسالة الحريـة والاستقلال والاخوة المطلقة ، في حدود الشرائع والقوانين ، تطبيقا لقوله تعالى : **(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)** سورة البقرة/ آية ٢٥٦ وقوله تعالى : **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)** سورة الكهف/ آية ٢٩ .

والرسالة التى تبيح الحرية في العقيدة على هذا النحو ، تفرضها على المسلمين وغير المسلمين فرضا في المعايشة وفي الحكم وفي المعاملات ، ذلك ان الحرية ميراث للناس أجمعين ، وليست وقفا على دين أو شريعة أو جنس أو لون ، ذلك لأن الاسلام يؤكد بهذه الآية أن الانسان حر التصرف حسب ارادته ، وترتيبا على ذلك ، فقد منع المسلمون من فرض ارادتهم على غيرهم ، بيد أن هذا لا يعني أن الاسلام ليس دين تبليغ ، فهو دين يستهدف الحق ، وهذا الحق يجب أن يظهر في الفكرة وفي الكلمة وفي العمل . وهذه لا تكمل الا اذا وصلت الى كل نفس بشرية .

ومع أن القرآن الكريم يصف المسلمين بهذه الآية : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)** سورة آل عمران آية/ ١١٠ ، الا أنه يحرم عليهم استخدام القوة أو اللجوء الى الاكراه ، وحتى نبي الاسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فانه لم يستثن من هذه القاعدة ، اذ خاطبه ربه قائلا **(فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور)** سورة الشورى/ آية ٤٨ ويقول سبحانه وتعالى للنبي عليه الصلاة والسلام **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** سورة يونس/ آية ٩٩ .

هـ ـ وخامس هذه الكليات أن الاسلام رسالة مرنة ، فيها طواعية لحاجات البشر في دنياهم ، ثم ارشاد لهم في أخراهم ، وفيها أساس ثابت للنشوء والارتقاء والتطور ، ومسايرة لمقتضى الحال ، ليظل الاسلام والآخذون به وبرسالته بشرا أحرارا بالمعنى المفهوم من هذه الكليات التى سقنا القول فيها : ذلك أن الاسلام

يحدد الأهداف العليا ، ويضع القواعد الأساسية ، ويتناول المسائل الكلية .. ويدع الجزئيات للحوادث الاجتماعية وتطور الحياة والحضارة الدينية . فالاسلام دين كل عصر ، ودين كل مكان ، وقوانينه التى تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية جامعة شاملة ، قابلة للتفسير تفسيرا يتفق وحالة أي مجتمع ، فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان في أحسن صورة ، وكرمه بالعقل واللسان الناطق ، وختم رسله بخاتم الأنبياء ، الذي قدم بمبادىء تسمو بالغرائز وتوجهها الى الخير ، وتزرع في القلوب المحبة والاخاء ، وزوده بنزعة التشارك في السراء والضراء ، مع منح المرء حرية التفكير والتعبير والعمل المشروع ، فيعمل العمل الصالح الذي يملأ قلبه بالراحة والطمأنينة ويسعده في دنياه ، ويجعله يظفر بالنعيم في أخراه ، وصدق قول الله سبحانه وتعالى : **(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)** الرعد/٢٨ ويقول عز من قائل : **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)** المؤمنون/ ١١٥ ، ١١٦ ، ذلك أن الانسان قد كرمه الله بأن خلقه في أحسن صورة وأحسن تقويم ــ كما قدمنا ــ ولم يك أصله حيوانا من الحيوانات ذات السلسلة الفقرية العليا (قردا) تحول بالارتقاء الى انسان ، كما تزعم نظرية « دارون » التى يتشيع لها علماء « الأنثربولوجيا » في مصر وفي العالم ، والمبهورون بكل ما هو مستورد ، حتى وان كان هذا المستورد يحقر الانسان ويزري من شأنه وان كانت لا تقره تعاليم السماء وشريعة الخلاق العليم القائل **(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون)** كما أن الله سبحانه وتعالى يقول **(ولقد كرمنا بني آدم)** ، ويقول سبحانه وتعالى **(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)** ويقول **(وصوركم فأحسن صوركم)** ويقول جل شأنه **(في أي صورة ما شاء ركبك)** ، ولا شك أن التكريم وحسن الصورة مما يتنافى مع صورة القرد وأنماط سلوكه وأساليب حياته !!

وكذلك يخبرنا الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم ، وهو أقدم المراجع الدقيقة على الاطلاق ، بأن خلق الانسان منذ البداية كان نوعا مستقلا وليس متطورا عن نوع آخر من أنواع الحيوانات ــ كما زعم « دارون » ــ حيث يقول سبحانه وتعالى عن خلق آدم **(واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)** ويقول عز من قائل **(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)** ويقول جل شأنه أيضا **(الذي أحسن كل شيء خلقه)** .

ذلك أن أصل النشأة مسألة غيبية لا يصل اليها الانسان على أساس مناهج البحث العلمي الحديثة ، أي تلك التى تقوم على أساس الحواس والملاحظة والتجربة ، أي بالعقل ، لأن الله خلق الانسان وهو العالم بأصل النشأة ومبدأ الخلقة ، وانه سبحانه وتعالى نفي عن الانسان معرفة ذلك بقوله تعالى **(ما**

أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) وذلك بالرغم من أنه ــ كما هو معروف ــ أن الانسان خلق كما خلق سائر الحيوان ، ومنها القرود من تراب وماء مهين . ولكن الله ميز الانسان على سائر الحيوان بالنطق والعقل المفكر ، وهو بهذا العقل المفكر أصبح مكلفا بقيم وبمباديء وبأخلاقيات ، وأصبح مسئولا عما يفعل ــ بعكس الحيوانات ــ لقوله تعالى **(انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال . فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان)** وقوله سبحانه وتعالى أيضا **(وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة اذا تمنى)** النجم وقول الله جل شأنه **(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير)** سورة النور/ آية ٤٥ .

وهذا الانسان اذا لم يعمل بما أنزل الله ، فان الله قادر على أن يفعل به كما فعل ببني اسرائيل ، اذ جعلهم كالقردة في الذلة والمهانة ، اذ قال سبحانه وتعالى في شأن اليهود **(فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)** وقال سبحانه وتعالى ايضا **(وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)** .. ترى هل هؤلاء القردة هم ــ أو بالأحرى ــ أجدادهم الذين يقصدهم « داروين » بنظريته القردية !!؟

و ــ وسادس هذه الكليات : أن الاسلام رسالة بسيطة ومفهومة لا تركيب فيها ولا تعقيد ، لا كهانة فيها ولا رهبانية ، فالاسلام دين أركانه الخمسة بسيطة ومفهومة ، يستوي في فهمها وادراكها أكبر الفلاسفة وأجهل الصعاليك ، لا سيما وأن من أسمى مميزات الشريعة الاسلامية ، أن تعاليمها ، ونصوصها تجمع بين البساطة والعمق ، وهي تمشي مع تطور حياة المجتمع ، وهي تستطيع ان تحكم معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم ، مهما تطورت وتنوعت هذه المعاملات والعلاقات .

ز ــ وسابع هذه الكليات : أن الاسلام رسالة علم وفكر ، رسالة تفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وتجعل الولاية للذين يعلمون على الذين لا يعلمون ، رسالة المفكرين الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ، أي يتفكرون في عالمي الغيب والشهادة ، فلقد كانت أولى كلمات الوحي التى صافحت أذني النبي عليه الصلاة والسلام : دعوة صريحة للعلم والمعرفة على أساس الايمان بالله العليم الحكيم ، قال تعالى **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** العلق/ ١ ــ ٥ ، ان الاسلام يقوم على العلم ويحض عليه ، ويرفع من قدر أهله ، وعن طريقه تتحقق النهضة الانسانية الشاملة ، فتنقشع ظلمات الجهل ، ويأخذ النور طريقه الى الناس ، فتقوم بينهم دعائم الحق والكمال ، أي أنه كانت أولى كلمات الوحي دعوة الى العلم تكسو الدين الجديد الذي يقوم في أساسه باسم

الله ، كانت (**اقرأ**) دعوة آمرة الى طلب العلم والثقافة والفكر والبحث المستفيض في السماء والأرض وفي الجبال وفي البحار ، وفي كل ما خلق الله تعالى من كائنات صغرت أم كبرت ، انها (**اقرأ**) باطلاق ، انها (اقرأ) دون تحديد ولا تقييد ، اللهم الا أن تكون باسم الله ، ويحث الاسلام على طلب العلم ، فيقول سبحانه وتعالى (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) . ومن ثم فالمسلم مطالب بأن يتفقه في أمور دينه ، وأن يأخذ بحظ وافر من العلم والمعرفة ، وفي سبيل ذلك : عليه ان ينفر في سبيل تلقي العلم وتحمل مشاقه ، وأن يرحل من أجله مستعذبا كل ألم ، مقبلا عليه بنفس راضية مطمئنة .

وطلب العلم في الاسلام ليس من أجل العلم فحسب ، وانما من أجل فائدة البشرية ، ولقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام مثلا يؤكد : أن طلب العلم ينبغي أن يعود على البشرية بالخير فقال (مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم ، كمثل الغيث أصاب أرضا : فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت طائفة منها طائفة اخرى .. انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . وذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به ، مثل ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » رواه احمد والشيخان .

وخلاصة ذلك أن البشرية لم تعرف دينا ، مثل دين الاسلام ، دين يزكي الفؤاد ويضيء البصيرة ويدعو العقل الى التفكر والتدبر والنظر في آيات الله تعالى ، والخروج من الدائرة الضيقة الى الرحاب الواسعة الموصلة للانسان الى غايته التى تستهدفها ، والى الخلق القويم الذي يريده ، ولعل عنايته بالعلم انما جاءت بعد أن اكتمل عقل الانسان ، وبلغ ذروته ، وأصبح على استعداد للدراسة والبحث ، ولهذا فاننا نجد القرآن الكريم قد عاب ، على هؤلاء المشركين الذين قالوا (**انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون**) الزخرف/ ٢٣ ، عاب عليهم تمسكهم بعقيدة أبائهم وعدم افساحهم للعقل طريقا في دنيا حياتهم ، كي يقفوا على آثار رحمة الله تعالى ونعمائه ، كما عاب عليهم تمسكهم بالقديم ، وعدم طموحهم الى الجديد ، بل توعد هؤلاء الذين لم يستخدموا حواسهم استخداما يوصلهم الى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، قال تعالى (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) ، ولعلنا نلمس انكار القرآن الكريم على هؤلاء الناس عدم استخدامهم لعقولهم في قوله تعالى (**أولئك كالأنعام بل هم أضل ..**) ولقد بلغ من شدة احتفاء القرآن الكريم بالعقل أن ذكره نيفا وأربعين مرة ، لأنه مدار التكليف اذا اكتمل ، وبدونه تسقط التكاليف ، ولهذا يقول رسولنا الكريم « رفع القلم عن ثلاثة ، عن النائم حتى

يستيقظ ، وعن المبتلي حتى يبرأ ، وعن الصبي حتى يكبر » احمد وابو داود والنسائي ، وكذلك ذكر العلم ثمانمائة وثمانين مرة ، ومن ثم فالرسالة المحمدية رسالة لحرية الفكر ، رسالة تبيح الشك ، لا لمجرد الشك ، ولكن ليكون الوسيلة الى بلوغ الحقيقة على أية صورة كانت ، ذلك أن دعوة الاسلام دعوة علمية ، أساسها التفكير والعقل .

ولقد كان للنظرة الاسلامية الى الحياة والكون أثرها العميق الفعال في تاريخ الحضارة الانسانية واتجاه سيرها في جميع ميادين الحياة ، وعلى يد العرب والمسلمين ، وعلى الأصح : انتقلت العلوم الطبيعية بالتفكير العربي الاسلامي من المرحلة النظرية عند اليونان الى المرحلة التجريبية ، فانتقلت الكيمياء والفيزياء والفلك الى مرحلة التجريب واكتشاف القوانين ، بل اننا لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان العلم هو الأساس الاعتقادي في الاسلام ، فالعقيدة الاسلامية لا تتحصل للانسان بالتقليد والتلقي ، بل بالتفكير والنظر والفهم ، وكثيرا ما ندد الاسلام بأهل التقليد والتلقي الجامد ، ودعا الى التفكير والنظر والفهم . وهذا هو الأساس العلمي لكل اتجاه من اتجاهات الحياة .

ولقد ذهب بعض الناس ــ خطأ ــ الى أن العلم الذي يدعو اليه الاسلام هو العلم الديني وحده ، بينما الاسلام لم يقتصر على جانبه الديني ، بل تناول العلم بأوسع معانيه . فدعا الى التفكير في خلق السموات والأرض وحض الناس على أن يسيروا في الأرض ليروا كيف بدأ الله الخلق ، واستثار المشاعر والألباب حين دعا الناس أن ينظروا (**الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت**) بل ان الاسلام جعل النظر والتفكير والدراسة الواعية لهذا الكون مدخلا الى الايمان بالله ، وسبيلا الى ادراك قدرته وعظمته ، فما من ذرة في هذا الكون ، ولا ما هو أدنى ولا أكبر منها ، الا وتشهد بوجوده وتسبح بحمده وتدل عليه ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، فكما وضح القرآن الكريم منزلة العلم ، فقد وضح ماهيته وأشكاله ، فهو لم يقصره على علوم الشريعة وحدها . وانما جعله عاما ، ولكن بشرط ألا يخرج عن دائرة « اسم الله » الذي أشارت اليه الآية الكريمة (**اقرأ باسم ربك**) .

وعلى ذلك فلسنا مطالبين ، أو في حاجة الى أن نسوق مزيدا من الأدلة والبراهين أكثر من ذلك على اهتمام الاسلام بالعلم وتكريمه للعلماء ، فلقد جاءت آيات القرآن الكريم تحث على العلم والتعلم وتوضح مكانته في مواضع كثيرة .. فالله سبحانه وتعالى يذكر أولى العلم بعد الملائكة ، تنويها بشرفهم وفضلهم فيقول (**شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط**) ، وكذلك بين رفعة العلماء بقوله تعالى (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) كما بين انهم الذين يخشون ربهم ويتقونه حق تقاته (**انما يخشى الله من عباده العلماء**) كما بين صلى الله عليه وسلم أن العلم هو ميراث الأنبياء ، وأن شرف طالب العلم لا يطاوله شرف ، فالملائكة تضع أجنحتها له رضا بما

يصنع ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذه بحظ وافر » وهكذا فان الاسلام قد رغب في العلم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وبذلك تتضح لنا منزلة العلم والعلماء في الاسلام ، وكذلك منزلة طلاب العلم بكل ألوانه .

ح ـ وثامن هذه الكليات أن تكون التقوى أساس المعاملة والتقويم ، والعدل أساس الحكم والتقاضي ، ولقد أقرت رسالة الاسلام بهذا كل ما يدرك الناس على اختلاف فئاتهم وتباين حضاراتهم من مفهوم القانون مسايرا لحاجات الناس في معاشهم واطمئنانهم الى أمور دنياهم ، وأنهم أحرار في ظل شريعة حرة ، لها قيد واحد : هو الصالح العام للانسان وللانسانية ، وقد وصف المؤرخ العربي المسيحي « فيليب متى » الاسلام بأنه : حضارة عامة شاملة تنتظم كل من يعيش تحت سمائها في حرية وصفاء ، اذ يعيش غير المسلمين مع المسلمين على قدم المساواة ، وتربطهم قواعد الاسلام بروابط المحبة والأخوة » وأضاف الى ذلك أيضا « أن المسيحيين استأذنوا السلطات الدينية في أن تكون « المواريث » في الشرق العربي هي نفس المواريث التى قررها الاسلام ، فأذنت السلطات بهذا .. » وهكذا نجد الاسلام لا يفرق بين عربي وعجمي ، او بين مسلم ومسيحي أو يهودي ، بل ان غير المسلمين يجدون في الاسلام ما يحقق العدالة بينهم .

تلك هي الكليات الاسلامية ، ولا ريب أن للاسلام كليات اخرى كثيرة ، وهذه الكليات وجزئياتها فروض معلقة في رقبة كل مسلم ، من يرعاها مسلم ، ومن يشذ عنها متخلف ، وازيد على ذلك : أن الحقوق المترتبة على هذه الكليات مشاع لكل مواطن مسلما كان أو غير مسلم ، على اعتبار أن الرسالة الاسلامية رسالة للمساواة في الحقوق ، وبالتالي فاذا ذهبنا الى أن الانسان قد جعل من أجل الاسلام : لم نكن مصيبين ، واذا ذهبنا الى أن الاسلام نقول وتأويلات وتفسيرات : انقلبنا جامدين ، واذا قلنا أن الأخرويات مفضلة على الدنيويات كنا ضد التغير الاجتماعي ، وتخلفنا بذلك عن ركب الحضارة وانحدرنا الى حيث نكون شيئا ، واذا نزعنا نزعة الجمود في الفكر والعمل . انفصلنا عما في الاسلام من مرونة وطواعية لمقتضى الحياة ومقتضى الحضارة واذا جنحنا الى الرهبانيات والكهانات والتصوف والباطنية .. وكلها من مظاهر الجمود والتخلف : قضينا على كليات الاسلام قبل جزئياته قضاء ونسخناها نسخا ، واذا وزنا العدل بميزانين وكلناه بكيلين .. أو فرقنا بين الناس لعقائدهم أو لألوانهم أو لأجيالهم انحرفنا عن رسالة الاسلام في أخص أصولها .

الأصول والفروع :

وعلى هذه الكليات تتفرع الجزئيات ، ولعل الخطأ الذي وقع فيه المسلمون وجروا معهم الاسلام الى حيث انحدروا : أنهم تمسكوا بالجزئيات ونسوا

الكليات ، أخذوا بالفروع وتركوا الأصول ، جمدوا عند الأقوال والمذاهب والتأويلات ، وتغاضوا عن أن الاسلام كليات جامعة ، وهي التى ينبغي أن تكون لها الأولوية العليا على الأقوال والمذاهب والعقول ، وأنها السابقة وليست المسبوقة .. هي الأصول ، وما عداها الفروع .

والكليات هي الأساس الثابت الذي تقوم عليه رسالة الاسلام ، لا تبديل فيها ولا تغيير ، لا مماحكة فيها ولا اختلاف ، لا تضاد فيها ولا تناقض ، هي التى تحكم على صحة الأقوال والمذاهب والآراء والتفسيرات والتأويلات ، هي الكل وغيرها الجزء ، هي الجذع وغيرها الأغصان .

ومن أجل أن يظل الاسلام خادما للانسان ، ينبغي أن يقاس ما في المذاهب والنقول وغيرها على هذه الكليات ، أما العكس فليس من روح الاسلام في قليل أو كثير ، ومن أبين ما في الرسالة من حق ثابت واضح صريح ، أن في مستطاع الانسان ان يفكر لنفسه ، وأن في ميسوره عن طريق الفكر ، أن يصل الى الحقيقة ، وأن يعرف الحل .

وقد أعطانا الاسلام مثالا على أهمية التطور الفكري الاجتماعي لنصل الى القوانين الضابطة والحاكمة لهذا الكون ومخلوقاته من أحياء وجمادات : فالحرارة والبرودة ، الصلابة والسيولة ، التمدد والانكماش ، ليست الا مظاهر لهذا التطور وصوره ، ومن ثم : فان التأثر بقانون التطور ، أي بقانون التغير الاجتماعي والتأمل فيه ، هو الذي قاد خطى الانسان الى كشف أكبر القوانين العلمية حقا وصدقا ، وهو قانون التوحيد ، اذ لولا معرفة الانسان ان لهذه الأكوان جميعا الها واحدا ، وأن له قانونا واحدا ثابتا لا يتغير ، مهما تغير الزمان والمكان ، في القديم والحديث ، وفي جميع القارات وكل المحيطات لبقى الانسان عبدا أو أسيرا للخرافة والشعوذة ، وللذين يتسلطون على عقول الناس ونفوسهم ، بما يثيرونه في تلك العقول والنفوس من مخاوف باطلة ، وأوهام زائفة ، بفضل اتقانهم لترويج الخرافات .

ولقد روى القرآن الكريم لنا نموذجا لاهتداء الانسان الى القانون الأسمي ، وهو قانون التوحيد بالاهتداء الى قانون التغير والتطور ، وذلك في قصة ابراهيم الخليل عليه السلام **(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)** سورة الانعام/ آيات ٧٥ ـ ٧٩ .

وهذه الآيات التى بدأت بقوله تعالى **(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ..)** آية / ٧٤ تعنيَ أن اهتداء ابراهيم عليه السلام ، بدأ في النظر الى

السموات والأرض ، فلم يصل بقومه الى الأيمان بالله والاهتداء الى خالق الأكوان ، بعد أن لفت أنظارهم الى تأمل ظواهر الكون المتغيرة والمتطورة طبقا لمسلمة أو لبديهية حتمية التغير طبقا لنظام تنطوي عليه تلك البديهية ، واجراء المقارنة بين النجم اللامع والقمر الساطع ، والشمس البازغة ، ثم بتبينهم أن هذه الأجرام جميعا تختفي ، وأذهانهم لم تتفتح الى استنباط الحقيقة المستفادة من ظهور هذه الأجرام واختفائها ، من تباين أحجامها ، واختلاف نصيب كل منهم من الضوء ، الا بعد أن تدربوا على منهاج استنباط الحقائق . ولقد روى لنا القرآن الكريم أيضا هذا المثال ليرينا أن تغير ملكوت السموات والأرض هو سنة صالحة . وأن عاقبتها هي الوصول الى اكبر الحقائق ، التى حينما تمتلىء نفس الانسان بها : يتحرر من القلق والخوف من مظاهر الطبيعة المجهولة ، والخوف من الانسان الآخر ، حاكما كان أو كاهنا لينطلق من أسر الأكاذيب الشائعة التى ترتقي ــ بالباطل ــ الى مستوى الحقيقة ، وتأخذ مكانها ، ومن أسر المتسلطين الذين يكسبون من استبقاء الجهال في الجهل ، والضعفاء في الضعف ، والفقراء في الفقر مزيدا من الغرور والضلال .

تلك هي الفوائد التى يجنيها الانسان في مجال العقل ، من الاهتداء الى قانون التطور او التغير ، أما خيرات الاهتداء الى هذا القانون الروحية او الخلقية : فهي كشف أثر تغير حياة الانسان الاجتماعية ، وطواعية النظم الاجتماعيـة ، والأحوال البشرية للتغير ، وواجب الانسان محاولة دفع كل نقص وعيب وقصور وظلم في مجتمع الانسان ليكون أفضل وأحسن وأعدل وأسلم .

وعلى ذلك فلا خوف من الأخذ بالتطور الاجتماعي للنظم الاجتماعية مع تخليصها من كل ما يتعارض مع الاسلام . بصرف النظر عن رأي أسرى النقول والتأويلات : في التمسك بكل قديم ، واعتبار كل جديد بدعة .

ذلك رأي متخصص في علم الاجتماع ، لا يدعي أنه من رجال الدين الاسلامي أو من فقهائه ، وانما هو رأي شخص مسلم ، درس التغير الاجتماعي وتخصص فيه ، بعد أن آمن به ، كما آمن بأن الطفرة محال ، غير أن الطفرة : اذا كانت محالا في علم الأحياء الطبيعية ، فان من شأن المجتمعات الانسانية أن تتخلف عن التغير السريع الايقاع فيسبقها الزمن ، فاذا تحركت : ظهر للأعين خطأ ، أنها تطفر وأنها تسير في طريق الخطأ .. كلا فمثل هذه التحركات أو التغيرات ، انما هي وثبات طبيعية تحاول المجتمعات المتخلفة والآخذة في النمو أن تصل عن طريقها الى نصيبها الطبيعي من الارتقاء والتقدم ، اذا لم تصد عن التغير بموانع اصطناعية .

والاسلام بنصه وروحه وتاريخ أئمته وهداته والمباديء التى كانت مدار التطور الفكري على مر عصوره ، يتفق تماما مع مسايرة الفطرة الانسانية ، وبخاصة فطرة المجتمع اذا ما ألحت عليه ضرورات التغير من حالة قائمة الى حالة ، يشعر بضرورة قيامها في ضوء الكليات الاسلامية ودون الخروج على أطرها .

من أخلاق المجاهدين

سال فضاء الصحراء فيما جاور المدينة بجيش العسرة في انتظار أمر النبي صلى الله عليه وسلم له بالمسير لغزو الروم في تبوك ، لخيله صهيل يتردد صداه في الآفاق ، ولمواقد حطب النار في انحائه بريق يبدد الظلام ، ويلون الرمال ، ويخيف مردة الاعراب وأخلافهم من اهل الكتاب . جيش جمع خير ما في الجزيرة العربية من شباب وكهول ورجال صدق ايمانهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، عرف لهم الاسلام حسن البلاء في مواقف الجلاد ، واصدق الفداء في ميادين الجهاد ، وحفظت لهم القبائل حرصهم على ما للعرب من تاريخ المفاخر من طارف وفلاد .. لم يتخلف عنه الا القواعد والخوالف والذين في قلوبهم مرض .. نفر به النبي صلى الله عليه وسلم في لظى محرق تشع رماله اللهب ، وتحمل رياحه الشرر ، ويتنفس جوه الخانق عن حر مميت ، وشاء الله ان يؤوب القائد بجيشه مهيب الجانب ، مرفوع اللواء مؤيدا بنصر الله **(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)** آل عمران/ ١٢٦ .

كانت الدعوة الى غزوة تبوك امتحانا للايمان في القلوب ، وامتحانا للفضائل بين اطواء النفوس ، وامتحانا للفطرة في اهاب الطبيعة البشرية لقد كانت البوتقة التي تجمع فيها ما وقر في قلوب اتباع محمد عليه الصلاة والسلام من الايمان فصهرته فذهب الزبد جفاء واستقر ما خلص في

صِدقُ الحَديثْ وَالمعتقَـدْ

للشيخ/سليمان التهامي

ميدان الجهاد يواجه البلاء والمحنة وأي بلاء هو؟ لقد جمع الله على المجاهدين في تبوك عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء، فاعتقب النفر منهم البعير الواحد، وطعموا التمر المتسوس، والشعير المتغير؛ والشحم المتعفن، وغاض ماء الارض حتى قال عمر رضي الله عنه: « اصابنا العطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع منه » واصابهم الجوع فآثروا على انفسهم حتى كانت الثمرة تدور بين النفر منهم كل واحد يلوكها ويطعمها ويشرب عليها جرعة من ماء حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى منها الا النواة. ولكن الله الذي عرض أهل الايمان لهذه المحنة استنقذهم من شدة العسرة، وخلصهم من نكاية العدو، وامسك بقلوبهم وقد كادت تزيغ قال تعالى: (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم**) التوبة/١١٧.

لقد ساد الصدق في محيط هذه الغزوة فبقدر ما صدق جود الاغنياء في تجهيز جيش العسرة صدق جود الفقراء بأنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى. وبقدر ما اضفى المتخلفون ثوب الصدق على معاذيرهم صدق احساس فريق منهم بجسامة التبعة في التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم، صدق ايمان المؤمنين حين لبوا دعوة الرسول الى النفير سراعا، ما

خطر لأحدهم خاطر التخلف ولا مال قلبه الى القعود ، ولا فكر فيما يلاقي من وعثاء السفر ووقدة الحر ، ولا اغراه ما ينعم فيه من الظل الظليل ، والثمر الطيب ، والمتعة بين الاولاد والازواج والاهل والصحاب بينما اشتد نفاق المنافقين حتى انتحلوا المعاذير واختلقوا الاباطيل . فمن قائل كيف ننفر في الحر وقد طابت الثمار وامتدت الظلال ؟؟ وفيهم قال الله تعالى : (**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون**) التوبة/ ٨١ ومن متخوف فتنة نساء بني الاصفر (الروم) ويطلب الأذن في القعود وفيهم قال الله تعالى : (**ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**) التوبة/ ٤٩ ويقول عبد الله بن ابي رأس المنافقين كيف يغزو محمد بني الاصفر على بعد الشقة وقلة الظهر ، وجهد الحال والله لكأني بأصحاب محمد مقرنين في الاصفاد .

وصدق جود الاغنياء حتى جاء أبو بكر بماله كله ، وعمر بنصف ماله ، والعباس بتسعين ألفا ، وغير هؤلاء قدموا مالا كثيرا ؛ وجهز عثمان بن عفان ثلث الجيش واتبع ذلك بألف دينار صبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال (ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم) رواه الترمذي ولم يقتصر الجود على الرجال ، بل تدافعت النسوة يلقين بين يدي رسول الله ما يملكن من أقراط ودمالج وخواتيم ومناضد وذهب وفضة ، وصدق جود الفقراء بأنفسهم ، وحمل النبي عليه الصلاة والسلام منهم من استطاع حمله ، وقال لأكثرهم لا أجد ما أحملكم عليه ، وما أصدق ما وصفهم الله في قوله تعالى : (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون**) اي ان الله عذرهم وليس عليه من سبيل التوبة/ ٩١ ، ٩٢ .

ولحق بالجيش نفر منهم ابو خيثمة الانصاري الذي قال لزوجتيه وقد هيأتا له الظل والماء والطعام : رسول الله في الطيح والريح والحر وابو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ، والذي رآه النبي عليه الصلاة والسلام وهو جالس في القوم بتبوك يتحرك به السراب فقال : كن أبا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة !!، وممن قعد وصدق النبي الحديث كعب بن مالك ؟ وهلال بن امية الواقفي ، ومرارة بن ربيعة العامري وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ النبي امرهم حتى قضى الله فيه .

واذا كان الذين غزوا مع النبي عليه الصلاة والسلام لهم فضل السبق في صدق الايمان ، فاني لأقدر

صدق المتخلفين الذين صدقوا النبي عليه السلام في معاذيرهم ، وعرضوا انفسهم لتجربة نفسية من اشق ما يعرض للرجال المخلصين في هذه الحياة وقد زكي الله صدقهم حين تاب عليهم ورضي عنهم ، وذكر قصتهم في القرآن لما لها من شأن ولما لهم من منزلة ولما لموقفهم من اثر في رضا الله ورسوله عنهم ، ولما اتصفوا به من شجاعة في الدفاع عن انفسهم قال تعالى :

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) التوبة/١١٨

ان ثناء الله عليهم في قوله عز وجل **(يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** التوبة/ ١١٩

مفخرة لا تعدلها مفاخر بني البشر اجمعين ، وان بشارة الله ورسوله لهم حين برأهم من النفاق والتخلف والقعود عن الاستجابة للنبي عليه السلام بالتوبة عليهم ، وحين استقبل رسول الله كعب بن مالك ببرق وجهه من السرور ويقول له مهنئا (ابشر يا كعب ابن مالك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك) لا توازيها بشائر اهل الارض قاطبة .

وقصة الثلاثة الذين خلفوا قصة عظيمة لانها قصة الصدق والصراحة معا ـ الصدق الذي هو ثمرة الايمان القوي في وقت خارت فيه القوى ووهن اليقين ونطقت بالكذب الألسنة ، وقبل النبي ما ظهر له من امر المعذرين تاركا سرائرهم الى الله . وقصة الصراحة والصراحة النادرة التي صورت خطرات النفس وخلجات الفؤاد لرجل من الثلاثة هو كعب بن مالك فهو يقول : (غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا ولم يزل ذلك يتمادى بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو فكنت اذا خرجت في الناس يحزنني اني لا اجد الا رجلا مغموصا عليه في النفاق ـ اي مطعونا في دينه ـ او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء . فلما بلغني ان رسول الله قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول بم اخرج من سخطه غدا . فلما قيل لي انه اطل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن انجو منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه) .

هذا التصوير الدقيق لخواطر نفسه يدل على صدقه مع نفسه وذلك امارة الصدق وآية الايمان ، وقليل من الناس هم الذين يبرزون دخائل انفسهم على هذه الصورة وهم يعلنونها لأن لهم من الايمان سندا ؛ ومن اليقين عدة ومن أدب النفس مدخرا . ويجب ان يفهم ان الثلاثة الذين خلفوا قد اتفق موقفهم في تقرير حقيقة اعذارهم لكنهم اختلفوا في معالجتهم للموقف وتناولهم لملابساته

المختلفة ، فبينما كان موقف كعب بن مالك ايجابيا كان موقف صاحبيه سلبيا فكعب في حركة دائبة لا يقر له قرار يحضر الصلاة في المسجد مع النبي عليه الصلاة والسلام ويمشي في الاسواق ، ويغدو ويروح في الطرقات يتعرض للمسلمين لعل احدا يكلمه فلا يأبه له احد ، وقد وصف حاله تلك بقوله : (كنت آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة اسلم عليه واقول هل حرك شفتيه برد السلام ، واسارقه النظر حينا والتفت اليه حينا آخر فيعرض عني ، واتسور جدار حائط ابي قتادة الانصاري وهو ابن عمي اسلم عليه فلا يرد السلام ، وانشده الله هل يعلم مبلغ ايماني وحبي للرسول فيقول : « الله ورسوله اعلم » ولعل ذلك راجع الى انه كان اشب القوم واجلدهم كما وصف نفسه . اما صاحباه فجلسا في بيتهما يبكيان لا ترقأ لهما دمعة ، ولا ينقطع لهما نشيج وقد يمضي اليوم واليومان على احدهما لا يذوق طعاما ولا يشرب شرابا اللهم الا جرعة من ماء او لبن ، وقد وصفت زوجة هلال ابن أمية حاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حين جاءت اليه تستأذنه في خدمته بعد امره باعتزالهم لنسائهم ـ بأنه شيخ ضائع شديد البكاء قد ابيضت عيناه من الحزن او كادت وذلك اسلوب في محاسبة النفس اشد ايلاما واعظم ارهاقا .

وكما صدق كعب في تصويره خلجات فؤاده وخواطر نفسه كما اسلفنا صدق في اعترافه حين وصل الامر الى الاعتراف الذي لا محيد عنه ، ولا زيف فيه لأنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . يحدثنا كعب فيقول : (جئت النبي فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال : (ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قلت يا رسول الله : اني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت اني ساخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبي الله . والله ما كان لي عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك) رواه البخاري وصدق كعب رضي الله عنه حين قال : ما أعلم نعمة بعد الاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانصرف كعب بن مالك من عند رسول الله عليه الصلاة والسلام ليستقبل فترة مريرة من فترات الحياة لا عهد له بها من قبل ومريرة لأن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن كلامه وكلام صاحبيه ، وطال امد هذه الجفوة حتى بلغ خمسين يوما ـ وعلى رأس الاربعين منها امرهم باعتزال نسائهم ـ حتى قال عنها كعب (لقد تنكرت لي الارض فما هي بالارض التي اعرف) وصورها القرآن تصويرا مطابقا في قوله تعالى **(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت**

وضاقت عليهم انفسهم) التوبة/ ١١٨ ومريرة لأن ملك غسان بعث الى كعب بن مالك برسالة يقول له فيها : (اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فألحق بنا نواسك) وقد قال كعب رضي الله عنه بعد قراءتها (وهذه ايضا من البلاء فتيامت التنور فسجرته بها) لله ما أجل هذا الموقف في محنة تذهل فيها العقول ، وتضيق الصدور ، وتذهب النفوس حسرات وصدق كعب حين قال : ما علمت احدا ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني الله به) .

واذ كنا قد عبرنا عن هذه الفترة التي سبقت توبة الله على كعب وصاحبيه بأنها مريرة فذلك رعاية لحق الايمان في موقف رجل مؤمن فليست فترة مريرة وحسب بل هي فترة دقيقة لصلتها الوثيقة بالعقيدة ، وليست حياة الانسان شيئا مذكورا اذا ابتلي في عقيدته . فلو لم يفض قلب كعب بالايمان لاندفع في غمار هذه القطيعة التي عاناها من النبي والمسلمين او ذلك الاغراء الذي عرض عليه من ملك لا يدين بهذا الدين الى ما يقوض به ايمانه ويزلزل يقينه ولكنه احتمل هذه المرارة واقتحم تلك العقبة حتى لاتزل قدم بعد ثبوتها وعلى حال استحق من اجلها توبة الله عليه ، وشهادته له مع صاحبيه بالصدق والايمان .

وفي فجر ليلة الخمسين جاءت السماء بالفرج ، وتنفس جبريل عن البشرى فيما نزل به من آيات في سورة (براءة) تعلن توبة الله عـ الصادقين ، وسخطه ونقمته عـ المعذرين الكاذبين ومن الخير ان اد كعب بن مالك يختم حديث الصد والايمان يقول رضي الله عنه : (بين انا جالس على الحال التي ذكر الله م قد ضاقت على نفسي وضاقت ع الارض بما رحبت سمعت صو صارخ اوفي علي (سلع) اسم جبل يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مال ابشر فخررت ساجدا ثم قصدت رسو الله صلى الله عليه وسلم فقال : ووج يبرق من السرور ابشر بخير يوم عليك منذ ولدتك امك) فقلت : اهو م عندك يا رسول الله ام من عند ا فقال : بل من عند الله ، فقلت يا رس الله : ان من توبة الله علي ان انخلع م مالي صدقة فقال : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك فقلت : ان الله ا انجاني بالصدق وان من توبتي احدث الا صدقا ما بقيت) .

وبعد : فان العبرة في مقالنا ه اننا ابرزنا صورة الايمان تعز في ه الزمان ، وموقفا من مواقف الص يندر ان يقفه احد من الناس الآن و كنت لا ارى للايمان الا مشوبا أفي لي ان اقول للمسلمين اتصف بالصدق ، فما أسلم عقيدة الصا من النفاق ، وعمله من المخا وسلوكه من الانحراف او اسمعهم قال النبي عليه الصلاة والسلام ف رواه الشيخان عن عبد الله بن مس (وما يزال الرجل يصدق ويتح الصدق حتى يكتب عند صديقا) .



للاستاذ ـ
محمد لبيب البوهي

السعادة كهدف انساني :

لا تطيب الحياة ما لم يحيها صاحبها راضيا مطمئنا هادىء النفس لا يشغله شيء يكدر نفسه ، بغير سعي ملح وراء التطرف والمغالاة في الهروب مما قد يلم به ؛ بل يلتمس من مصادر صحيحة أسلوب العودة الى موازنة الحياة ، كالنهر حين تضطرب أمواجه فتحاول أن تعيده إلى الهدوء بوسائل مجربة مدروسة لا تسبب انتكاسات جانبية ... بدلا مما يحاوله البعض من الالتجاء إلى متع عارضة حسية يغرق فيها هموم نفسه إلى حين ، ثم يعود إلى أسوأ مما كان عليه فيحاول الهروب بنفس المتع ولكن بجرعة أكبر وهكذا دواليك الى ما لا نهاية لأن العلاج لم يكن بدواء صحيح ..

ولذلك قد ينبغي قبل أن ندرس هذا العلاج أن نقف قليلا عند حد تعريف السعادة ، ولقد نرى أنها قبل كل شيء إحساس نابع من داخل النفس ، وبهذا الاحساس يتكيف خط مسار الحياة ولذلك تختلف باختلاف

النفوس فما قد يسعد إنسانا قد لا يرضى به آخر ، غير أن هناك حقيقة مشتركة لا يصح إغفالها ، وهي أن أسلوب حياة كل إنسان رهن بمزيج من صحته ، وتكوينه العقلي ، وطبعه الشخصي ، وعاداته وغرائزه ، والقدرة على التأليف بين هذا كله في اتزان واعتدال بتوجيه عقيدة سليمة .

ولئن كانت هناك أخطاء وعادات غير سوية ، فانه من الخير أن يحاول تأمل ذاته بنفسه ودراستها في أناة ، غير متحيز ، عسى أن يرى ما اذا كانت هذه العناصر قد اكتسبها من ممارسات سابقة أو بحكم البيئة أو الوراثة . وعليه بعد ذلك أن يعجل بتنمية الجانب الايجابي منها ، وسيجد أن ذلك ليس صعبا إذا استعان بحقائق ثابتة لتصحيح خط مسار الحياة مما هو مجرب ومعروف من القواعد والنظم والأخلاقيات ، وسوف يجد في ذلك رياضة نفسية تسعده بتنمية إرادته وصنع حياته كما يحب فالارادة عنصر اساسي هام .

اكتشاف الكنز المخبوء داخل نفسك :

وهذه حقيقة مقررة في قوله تعالى : **(ونفس وما سواها)** الشمس/ ٧ - أي خلقها سبحانه سوية لا عوج فيها للاتجاه السليم نحو سعادة الحياة ما سلكت سبيل الفطرة الكامنة فيها ، ولذلك قال سبحانه : **(قد أفلح من زكاها)** الشمس/ ٩ أي عمل على تنمية فضائلها المركوزة في داخلها إذ خلقت سوية باستعداد فطري طيب لاسعاد صاحبها ، فأسباب السعادة كنز مخبوء في أعماقها ، وعلى العموم فانه يمكن باختزال للأمر ان نقول : أن السعادة هي ثمرة تحقيق الانسان لأمانة وجوده ، مع الاستمتاع بالعافية والنجاح ، ولا يتم ذلك بغير خلق متين وطبع رشيد بغير عائق أو مكدرات وقد تكفل خالق النفس إذا التزمت فطرتها أن يهديها سبيلها **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)** النحل/ ٩٧ .

الطريق الى سلامة التحقيق :

ولما كان الانسان قد خلق ضعيفا حتى يكون دائما في مسيس الحاجة إلى الاتجاه نحو ينابيع القوة التي هي تحت مطلبه إن شاء بالاتجاه إلى صاحبها ، والذي فتح لها الأبواب لمن يبغي الوصول اليها ، فان عليه في سبيل ذلك ، ان يجتاز مغريات سلبية تعترض طريق التجربة الأرضية واضعا نصب عينيه القواعد الصحيحة لأتزان نفسه وهدوئها في نطاق الحياة السليمة مع الآخرين وذلك بتنمية الارادة لأنه بغير هذه الارادة لا يستطيع ان يرد عنه الاغراء الشديد البراق الصادر من كل ما هو هابط وسلبي ووهمي وغير سليم ، مما يبدو من معوقات لذات مزينة في أبهى زينة مزيفة تحاول أن تشده عن طريقه ، ويعقبها بعد ذلك ندم طويل ويمكن مراعاة هذه القواعد

النفوس فما قد يسعد إنسانا قد لا يرضى به آخر ، غير أن هناك حقيقة مشتركة لا يصح إغفالها ، وهي أن أسلوب حياة كل إنسان رهن بمزيج من صحته ، وتكوينه العقلي ، وطبعه الشخصي ، وعاداته وغرائزه ، والقدرة على التأليف بين هذا كله في اتزان واعتدال بتوجيه عقيدة سليمة .

ولئن كانت هناك أخطاء وعادات غير سوية ، فانه من الخير أن يحاول تأمل ذاته بنفسه ودراستها في أناة ، غير متحيز ، عسى أن يرى ما اذا كانت هذه العناصر قد اكتسبها من ممارسات سابقة أو بحكم البيئة أو الوراثة . وعليه بعد ذلك أن يعجل بتنمية الجانب الايجابي منها ، وسيجد أن ذلك ليس صعبا إذا استعان بحقائق ثابتة لتصحيح خط مسار الحياة مما هو مجرب ومعروف من القواعد والنظم والأخلاقيات ، وسوف يجد في ذلك رياضة نفسية تسعده بتنمية إرادته وصنع حياته كما يحب فالارادة عنصر اساسي هام .

اكتشاف الكنز المخبوء داخل نفسك :

وهذه حقيقة مقررة في قوله تعالى : **(ونفس وما سواها)** الشمس/ ٧ – أي خلقها سبحانه سوية لا عوج فيها للاتجاه السليم نحو سعادة الحياة ما سلكت سبيل الفطرة الكامنة فيها ، ولذلك قال سبحانه : **(قد أفلح من زكاها)** الشمس/ ٩ أي عمل على تنمية فضائلها المركوزة في داخلها إذ

خلقت سوية باستعداد فطري طيب لاسعاد صاحبها ، فأسباب السعادة كنز مخبوء في أعماقها ، وعلى العموم فانه يمكن باختزال للأمر ان نقول : أن السعادة هي ثمرة تحقيق الانسان لأمانة وجوده ، مع الاستمتاع بالعافية والنجاح ، ولا يتم ذلك بغير خلق متين وطبع رشيد بغير عائق أو مكدرات وقد تكفل خالق النفس إذ التزمت فطرتها أن يهديها سبيلها **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)** النحل/ ٩٧ .

الطريق الى سلامة التحقيق :

ولما كان الانسان قد خلق ضعيف حتى يكون دائما في مسيس الحاج إلى الاتجاه نحو ينابيع القوة التي ه تحت مطلبه إن شاء بالاتجاه إ صاحبها ، والذي فتح لها الأبواب لم يبغي الوصول اليها ، فان عليه سبيل ذلك ان يجتاز مغريات سلبي تعترض طريق التجربة الأرضي واضعا نصب عينيه القواع الصحيحة لأتزان نفسه وهدوئها نطاق الحياة السليمة مع الآخرين وذلك بتنمية الارادة لأنه بغير ه الارادة لا يستطيع ان يرد عنه الاغر الشديد البراق الصادر من كل ما هابط وسلبي ووهمي وغير سليم ، م يبدو من معوقات لذات مزينة في أبه زينة مزيفة تحاول أن تشده ع طريقه ، ويعقبها بعد ذلك ندم طو ويمكن مراعاة هذه القواع

البسيطة .
١ ـ ادرس ما يحقق سعادتك على ضوء إيمانك .
٢ ـ حدد هدفك على ضوء ما تقدم .
٣ ـ ادرس الجوانب الايجابية في نفسك التي تعاون على تحقيق هدفك .
٤ ـ استعن بالله ثم بارادتك على تحقيق اهدافك موطدا النفس مسبقا على الرضا بالنتائج .
٥ ـ إذا وقعت في اغراء بسبب الضعف او اخطأت فلا تقف عند ذلك طويلا وعد الى طريق مسارك .

وهناك شعار يقول : (من أراد وفق واستطاع) فالزم هذا الشعار .

من التعليمات الالهية :

هذه التعليمات تكفي تماما لراحة النفس فما دام الانسان مؤمنا فهو بغير ريب يتلقى كلمات ربه بالقبول او على الأقل فهو يحاول الفهم والتأمل ، وما دام المرء مؤمنا فقد أصبح من أحباب الله ، ولما كان الحبيب ـ أي حبيب حتى الحبيب الأرضي ـ لا يرضى لحبيبه شيئا يضره وفي مقدوره أن يمنعه فكيف بربك حين يكون حبيبك الذي جربت أنه سخر كل شيء لراحتك ونفعك وخدمتك ؟ وليس معنى هذا أنه يشترط لتنال عفوه سبحانه أن تكون في الذروة العليا من الأبرار بل يكفي النية الصادقة في مواصلة الطاعات ما استطعت .. حتى ولو أخطأت أو نسيت أو وقعت في إثم عابر بغير إصرار فانه حبل الود موصول والعفو عند الرجوع اليه في الانتظار واذا استشعر المؤمن هذا المعنى وكان دائما في تقديره فان الشقاء لن يعرف اليه سبيلا ـ قيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأمرأته في مغاضبة عابرة لاشقينك ، قالت لن تستطيع لأن سعادتي في إيماني وإيماني في قلبي وقلبي لا سلطان لك عليه .

لقد كانت رضي الله عنها على يقين من المعنى الذي لا ننساه في قوله تعالى : (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد/٢٨ .

في مواجهة الضعف البشري :

وليس معنى السعادة في ظلال الايمان أن يصبح الانسان فرحا فخورا متهللا يمشي في الأرض لا يغضب لشيء ولا يهمه شيء ، إن هذا التصوير غير وارد لأنه ما دامت الدنيا مزرعة الآخرة ، وكل مزرعة فيها آفات تعترض نموها وطفيليات تعوقها وربما لصوص يتربصون بها ـ ولذلك فان الزارع يمتحن برعايته لما يزرع وحرصه على جودة الحصاد قال سبحانه : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات**) البقرة/ ١٥٥ . ولذلك كان الصالحون يواجهون الشدائد بالقبول لادراكهم ما وراءها من الأجر وحسن الثواب .

ودائما بعد كل عسر يسر

وانت لو رجعت الى تاريخ حياتك وحياة بعض من تعرف لوجدت أن ما من شدة كتب لها الدوام ، سواء تلقاها المرء بهلع وجزع أو بصبر

وقبول ، فلما ذهبت بقى له الثواب كم مرضت ثم شفيت ، وكم ذهبت أشياء وجاء من بعدها عوض ، وكم مات من احبة ثم جاء سلوان وجاء أحبة آخرون ؟ .. وعندما تقع شدة من الشدائد فانه لو استحضر الانسان في ذاكرته صور الماضي وأن فضل الله الذي كان معك من قبل هو كائن الآن وسوف يكون دائما ، فان هذه الذكرى تخفف من وقع المأساة ، فالذكرى تنفع المؤمنين وما أروع وأجل مقابلة كل شدة بالعلاج الناجح الذي فيه البشرى للمؤمنين : (**إنا لله وإنا إليه راجعون**) البقرة/١٥٦ .

فالليل دائما يعقبه نهار والشمس تشرق بعد غروب والريح تهدأ بعد العواصف وما من شيء سيدوم .. فاذا ذهب أمر بما كنا نفرح به فانك تستطيع ان تدخر في مقابله أضعافا مضاعفة بالصبر والرضا بما عند الله فكما يسعدنا ما ندخره لأيامنا في مصارف الدنيا من رصيد ، فلنكن اكثر سعادة بما ندخره في مصارف السماء .

اتخاذ اواسط الأمور موقفا :

كثير من الناس يعيشون في آلام الماضي وقد يظن البعض أن ذلك من فضائل الأمور كمن ينوي الحزن على حبيب مات منذ سنوات ويخيل اليه أنه من الخيانة لذكراه ان يتخفف من الحزن أو يلوذ بجانب السلوان أو كمن اساء اليه انسان منذ سنوات فحفر للاساءة في نفسه جرحا لا يريد له ان يندمل ، ولا يحاول ذلك فهو يجتر دائما الحقد ويعمل دواما من أجل الثأر والانتقام ـ وربما يصبح سببا في تكدير حياة من حوله وحرمانهم من بهجة الحياة غافلا عن أنه من أصول الايمان أن يتخلق بأخلاق الله العفو الغفور ذي الرحمة الواسعة ، فاذا عصى الانسان ربه وكانت له ذنوب مثل حجم الجبال ، فانه بمجرد التوبة النصوح تنسف جبال الذنوب وتعود الصفحات نقية بيضاء ، فهل من الراحة للنفس وإطمئنان البال ان يكون كذلك أو كبعض ذلك ، أو يظل عبر الايام يعرض على نفسه هذه الهموم الثقال ؟

ومن صفات الذين هم كذلك أنهم عبيد للانفعال العاطفي ، وانهم كما يستغرقون في الأحزان فانهم اذا اصابهم خير بالغوا وتطرفوا في الأفراح ، وهذا التذبذب بين الحزن الشديد والفرح الغامر ، يخرج بصاحبه عن حدود الاتزان التي هي لب الخيرات والبركات ، اذ هي أواسط الأمور فلا حزن شديد على ما مضى ، ولا فرح متطرف بما أتى أو بما هو آت : (**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**) الحديد/٢٣ .

عندما تأتي الاساءة من الغير

وقد يقول احدنا ان هذه المواقف لعلاج ما يواجهنا من الأحداث في حدود الاعتدال والاتزان ولكن ماذا يكون الموقف حين تفرض علينا من

الغير مخاصمات ومشاحنات تسبب لنا من الآلام ما لا نستطيع له دفعا ؟ اذ يلاحقك غيرك بما يؤلم ، وعندئذ فانه علينا ان نواجه الموقف مع الغير هكذا .. ان خصوماتنا مع الغير إنما تصدر من أحد افراد ثلاثة إما ممن هو أكبر منا علما ومكانة وعقلا وإما ممن هم في المستوى العام لنا ، أو من جاهل احمق . هذه هي الصفات الثلاث للناس ، وسيكون موقف من اساء الينا على صنفين إما ان يراجع نفسه ويعتذر ، وذلك حين تترك هذه الفرصة لمن تتوسم فيهم العقل والحكمة ، ولذلك فانه ربما كان من الخير دائما عدم الرد السريع على الشر بمثله ، فاذا جاء اعتذار عاتبنا في أناة وقبلناه بغير اصرار على الخصومة ، بل نحاول نسيان ما كان منها قبل تصفية وضعها ، وأما من يصر على الاساءة فان الاحساس من جانبنا هو أن نحتكم الى العرف أو إلى من يفصل بيننا من ذوي العدل ، وإما أن يكون من أساء الينا على درجة من الجهل والحماقة فهذا موقفنا معه الاعراض والتباعد ، قال الشاعر : (يزيد سفاهة وأزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا) وهذه الانواع الثلاثة من علاج الاساءة من الغير ارشدنا اليها رب العزة بقوله سبحانه : **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)** الاعراف / ١٩٩ . وباتباع آيات الله نغتنم ونربح اسباب الراحة وهدوء البال ، ونعالج أمورا قد تجر علينا بغير هذا الاسلوب كثيرا من الهموم والمتاعب .

مع الله ـ والنفس ـ والناس :

الواجبات المطلوبة من كل انسان هي الطاعة وإحسان الصلة بالله وحسن توجيه المرء لنفسه ، وحسن معاملة الناس واجتناب شرورهم ، فاذا توفر له ذلك عاش حياة طيبة هادىء النفس ناعما ، وقد يكون في حاجة الى موازين دائمة لقياس درجات هذه المواقف الثلاثة مع الله ـ ومع نفسه ـ ومع الناس ، وتظل هذه المقاييس ثابتة يعود اليها كلما أراد معرفة مكانه مما صنع وقدمت يداه ، وتلك غاية أساسية ما دمنا راغبين في قضاء فترة الحياة الأرضية المؤقتة في هدوء بال واطمئنان خاطر .

اما مع الله تعالى فالميزان هو دوام مراجعة النفس بحيث يعود عند كل عمل أو قول أو حال إلى وزن ذلك بميزان التقوى .. والتأويل الذي اراه للتقوى هو كما يقول السادة الاطباء من أن الوقاية خير من العلاج ، أو من أن أدع نفسي عرضة للاصابة بالمرض ثم اعالجه ، فالتقوى من الوقاية أي وقاية النفس من الوقوع في الاخطاء والذنوب بقدر المستطاع .

واذا كان ميزان المراجعة هو لقياس موقفي مما يرضاه الله ، فان الامر مع النفس بالمحاسبة ولو جعل كل يوم عدة دقائق لعرض اعمال اليوم التي قامت بها النفس وحاسبها لتثبت له وجوه الصواب فاستراح لها وحمد الله ، وان كان الأمر غير ذلك أسرع الى التوبة من قريب وبذلك تكون التصفية

اولا بأول . واما مع الناس فان صلتنا بهم يجب ان تكون إحسانا فاذا صدرت اساءة بقصد أو بغير قصد سارعنا الى حسنة مع الذين أسأنا اليهم .. وقد علمنا الله سبحانه وتعالى : (**إن الحسنات يذهبن السيئات**) هود/ ١١٤ .

مما ينكد حياة كثير من الناس الخوف من الموت

والعجيب ان هؤلاء لو وضعوا مصيبة الموت تحت منظار الايمان الحق لتغير وجه الأمر واستراحوا ، بل أن من آثار الصالحين ما نراه انهم نظروا الى الموت كمتعة روحية عظمى ، ستكون في الانتظار ، فلو تصورنا أن إنسانا يعيش في صحراء تلقى وعدا مؤكدا بأنه سيدعى الى قصر في المدينة ، فانه يظل في متعة الشوق الى تحقيق ما وعد به ، إن الموت عند المؤمن هو لقاء الله ومن طبيعة النفس الشوق الى لقاء من تحب
والمؤمن اذا ركز هذا المعنى في النفس يصبح انتظار الموت تحفة الى لقاء الحبيب الأعظم ، بل ان ذلك يخفف عليه ويلات الحياة ، لأن كل ما يصيبه من هول يهون بجوار السعادة المنتظرة ، ومن وجد الله فماذا فقد ؟ والموت ليس فناء للذات وانما هو طور من اطوارها ومرحلة انتقالية بالمؤمن الى حياة افضل ، ليس فيها منغصات عالم التراب ، حتى ولو كان المرء ذا ذنوب فانه بالتوبة يستطيع ان يستبشر فرحمة الله وسعت كل شيء ..

والمهم ان يكون الموقف في نظرتنا الى الموت بمنظار الرهبة وهذه النظرة لا بأس بها ، والرهبة بخلاف الخوف فأن المرء قد يرهب شيئا يحبه كالفتى الذي لا يعلم عن الزواج شيئا فأنه قد يرهب ليلة الزفاف ولكن لا يخافها .

تفاءل وانتظر الخير دائما :

ما دمنا نواصل العمل بمنهج الله لاداء أمانة وجودنا الأرضي ، فنحن اذن في ظل رضوانه تعالى موقنين أن كل ما يحدث لنا انما هو خير ، ولو بدا في ظاهر الأمر غير ذلك وعلينا أن نذكر ان الطبيب قد يصف للمريض دواء شديد المرارة ، فاذا طلب المريض دواء حلوا أخبره الطبيب أنه يضره لأن الطبيب وحده هو الذي يعلم الحكمة فيما يصف ويقدر ، ونحن لا نناقش الطبيب لأننا لا نملك منهج المناقشة ، ولله المثل الأعلى : (**عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم**) البقرة/ ٢١٦ وهناك حكمة لابن عطاء الله تقول « لا تدبر ما دبره الله لك » وقد يتبادر الى ذهن البعض ان هذا نوع من التواكل ولكن الحق ليس كذلك بل هو عين التوكل إذ قد يقول احدنا ما دام الله هو المدبر لكل الأمور فلماذا السعي مني والعناء ؟ : فنقول لهذا السائل : لا : ان العمل هو القيام بوظيفة العبودية والنتائج هي من شأن الربوبية .. اما بعد فهذه قواعد يسيرة لمن يلتمس راحة النفس وهدوء البال وأطمئنان الخاطر .

(**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) .



للاستاذ ـ عادل ابراهيم الدسوقي

دعا الاسلام إلى تكوين الأسرة فأمر الشباب ذا المقدرة المالية والجنسية بالزواج .

روى الشيخان عن عبدالله قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

وعد الرسول عليه الصلاة والسلام المعرض عن الزواج راغبا عن سننه .

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فاني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وللاسلام مقاصد نبيلة من الدعوة إلى الزواج منها :

١ ـ خلق الله لابن آدم الحواس التي يجد بها لذة الزنا .

فقد روى الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه » .

والزواج يعصم الانسان من ذلك ففيه عفة وطهارة وحصانة من النفس الأمارة بالسوء .

روى مسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فان ذلك يرد ما في نفسه » .

بل إن الاسلام ليعتبر مواقعة الرجل لزوجته بقصد عفاف نفسه ونفسها صدقة له ثوابها .

روى مسلم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه « .. وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » .

٢ ـ وفي الزواج إثمار الولد فيتكون المجتمع الصغير الذي هو أساس المجتمع الكبير والأولاد نصف زينة الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**) الكهف/٤٦ ، والولد الصالح يدعو لأبويه بعد الموت .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

ومن مات له اثنان أو ثلاثة من الولد فصبر واحتسب دخل الجنة .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسوة من الأنصار : « لا يموت لاحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة ، فقالت امرأة منهن أو اثنين يارسول الله قال أو اثنين » .

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عد من لم يمت أو يستشهد أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه : رقوبا .

روى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الرقوب فيكم ؟ » قلنا : الذي لا يولد له قال « ليس ذلك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا » .

٣ ـ وفي الزواج مجاهدة للنفس برعاية الأهل والقيام بحقوقهم .

روى البخاري عن أبي مسعود الأنصاري قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أنفق المسلم نفقة على

أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة » .
فمثلا من ربى صغيرتين وقام بمصالحهما من نحو نفقة وكسوة حتى تبلغا ـ ويفضل حتى التزويج بالاكفاء ـ فيكفيه فضلا أن يرافق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة .
روى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو » وضم أصابعه .
٤ ـ ولا تنس نصيبك من الدنيا ، ففي الزواج ترويح للنفس وإيناس لها فيقوي به المرء على ممارسة اعماله .
روى مسلم عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » .
قال تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .
ويبدأ الزواج باختيار الزوجة . وأفضل النساء الصالحة ذات الدين والخلق .
روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .
ولا يمنع ذلك من أن يكون بجانب حسن خلق المرأة أن تكون جميلة فتسر زوجها .
روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .
لذلك يفضل للزوج أن ينظر إلى وجهها قبل الزواج خشية أن يكون به ما ينفر منه الطبع .
روى مسلم عن أبي هريرة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنظرت إليها ؟ » قال : لا قال « فاذهب فانظر إليها فان في أعين الأنصار شيئا » .
ويفضل أن تكون بكرا ليسعد بها وتسعد به ، وقد يفضل البعض الثيب لسبب او لآخر فلا مانع أن تكون ثيباً .
روى الشيخان عن جابر بن عبدالله قال إن عبدالله ـ أي والده ـ هلك وترك تسع بنات فتزوجت أمرأة ثيبا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا جابر تزوجت ؟ قلت نعم قال : « فبكر أم ثيب » ؟ قال قلت بل ثيب يارسول الله ، قال « فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك ؟ » قال قلت له إن عبدالله هلك وترك تسع بنات وإني كرهت أن اتيهن بمثلهن فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن قال « فبارك الله لك » أو قال « خيرا » .
وعلى ولي المرأة أن يختار لها ، زوجا مؤمنا صالحا حسن الخلق حتى إن بغض منها خلقا رضى منها آخر فلا يظلمها بل يحسن إليها ويرعاها .
روى مسلم عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر » وقال رجل للحسن بن علي رضي الله عنهما : إن لي ابنة ليس لي ولد سواها فممن أزوجها ؟ قال « زوجها من رجل يتقي الله ، فان احبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها » .

ويسبق عقد الزواج الخطبة .

ويجوز أن يخطب الرجل المرأة بنفسه أو أن يرسل من يخطبها له .

روى مسلم عن أم سلمة قالت أرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت إن لي بنتا وأنا غيور فقال « أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة » .

كما يجوز للرجل أن يخطب لابنته .

روى البخاري عن عمر بن الخطاب قال « حين تأيمت حفصة ، لقيت أبا بكر فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيني أبو بكر فقال إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لقبلتها » .

بل إن الامام البخاري رضي الله عنه ذهب إلى أن المرأة تعرض نفسها على الرجل الصالح ليتزوجها مستندا إلى الحديث الشريف الذي رواه عن أنس ، جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها قالت يارسول الله ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أقل حياءها واسوأتاه واسوأتاه قال « هي خير منك رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها » .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك أو يأذن له .

روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب » .

وأعطى الاسلام كامل الحرية للمرأة أن تقبل الزوج أو لا تقبله .

روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن » . قالوا يارسول الله وكيف إذنها ؟ قال « أن تسكت » .

وليس لوليها أن يفرض عليها زوجا أبدا .

روى البخاري عن خنساء بنت خدام الأنصاري أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه .

ويتفق أثناء الخطبة على الصداق فهو حق للمرأة .

قال الله تعالى : **(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا)** النساء/ ٤ .

ويجب القصد في المهر فلقد كان

صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لزواجه خمسمائة درهم « من الفضة » وعلينا موافقة كل أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا للبركة .

وروى مسلم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت كان صداقه ثنتى عشرة أوقية ونصف أوقية فتلك خمسمائة درهم فهذا صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه » .

وكان الرجل يتزوج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من الذهب .

روى الشيخان عن أنس بن مالك أن عبدالرحمن بن عوف تزوج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو لم ولو بشاة » .

بل كان يتزوج بخاتم من حديد أو بما معه من القرآن الكريم « بشرط موافقة الزوجة » .

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله جئت أهب لك نفسي قال فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يارسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال « وهل عندك من شي » ؟ قال لا والله فقال « اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا » فذهب ثم رجع فقال : لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انظر ولو خاتما من حديد » فذهب ثم رجع فقال لا والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزارى « قال سهل ماله رداء » فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعى فلما جاء قال « ماذا معك من القرآن ؟ » قال معي سورة كذا وسورة كذا ـ لسور ـ عددها فقال « تقرؤهن عن ظهر قلبك » ؟ قال نعم قال « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشغار وهو أن ينكح الرجل ابنته أو المرأة يلى أمرها من كانت على أن ينكحه الآخر ابنته أو المرأة يلي أمرها من كانت ولم يسم لواحدة منها صداق .

روى الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن الشغار » والشغار : أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق .

كما لا يجوز النكاح إلا بموافقة ولي المرأة فللولي مع المرأة في نفسها حق وإن كان عليه أن لا يعضلها إذا رضيت أن تنكح بالمعروف .

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل ، فان أصابها فلها الصداق بما استحل من فرجها فان اختلفوا فالسلطان ولي من لاولي له » .

قال الله تعالى : (**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف**) البقرة/ ٢٣٢ .

وإذا اتخذ الزوج خاتما ليدل على الخطبة أو غيرها فلا يكون من الذهب وإنما يجوز ذلك للزوجة .

روى مسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » .

وعلى الزوج أن يعد مسكنا وأن يؤثثه بفراش له وفراش لزوجته ـ لأنهما قد يحتاجان ذلك عند المرض ونحوه ـ وفراش ثالث للضيف ، ولأهل الزوجة أن يساهموا في ذلك .

روى مسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان » .

روى احمد والحاكم وابن حبان عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين » .

ويتم الزواج بالعقد ، ويفضل أن يكون ذلك في شهر شوال .

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قال « تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال » .

وعلى الزوج ان يولم وأن يدعى إلى الوليمة الأغنياء والمساكين .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين فمن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » .

وعلى كل من دعى إلى الوليمة أن يحضر ويأكل ان كان مفطرا أو يصلي ان كان صائما .

روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعى أحدكم فليجب فان كان صائما فليصل وإن كان مفطرا فليطعم » .

ويجوز الضرب بالدف في النكاح لأن ما فيه من لهو ولعب يورث الألفة والانشراح كما يجوز للامام والعالم حضور ذلك ومشاهدته .

روى البخاري عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت :

جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدخل حين بنى علي فجلس على فراشي فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائي يوم بدر إذ قالت احداهن . وفينا نبي يعلم ما في غد فقال « دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين » .

بل ان فعل ذلك ممودح ومطلوب .

روى البخاري عن عائشة انها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة « ما كان معكم لهو ؟ فان الأنصار يعجبهم اللهو » .

ومن السنة الذهاب إلى العرس لأن فيه إظهار الفرح والسرور .

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « أبصر النبي صلى الله عليه وسلم نساء وصبيانا مقبلين من عرس فقام ممتنا فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلي » .

وإذا أتى الرجل زوجته استعاذ بالله من الشيطان الرجيم .

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : « اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا » .

وإذا أراد أن يعود ، عليه أن يتوضأ وإذا أراد أن يأكل أو ينام ، عليه أن يتوضأ كذلك .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ » .

وروى مسلم عن عائشة قالت « كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان جنبا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة » .

وليس من حق المرأة أن تهجر فراش زوجها إطلاقا إلا باذنه ، فسخط الزوج يوجب سخط الله .

روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » .

حتى إذا كانت حائضا فللزوج حق الاستمتاع بها بعد تغطيتها ما بين الركبة والسرة .

روى الشيخان عن عائشة قالت « كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها . فتأتزر في فور حيضتها ثم يباشرها » قالت « وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه » .

ومن حق المرأة أن لا يأتيها زوجها في دبرها فهذا محرم .

في كتابه الأم ذكر الشافعي رضي الله عنه باسناد صحيح عن خزيمة بن ثابت أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إتيان النساء في أدبارهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إي حلال » فلما ولى الرجل دعاه أو أمر به فدعى فقال كيف قلت في أي الخربتين أمن دبرها في قبلها ؟ فنعم أم من دبرها في دبرها فلا ،؟! إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن » .

ويفضل أن لا يترك الرجل زوجته قبل مرور سبع ليال - خاصة إذا لم يكن له زوجة غيرها - من ليلة الزفاف .

روى مسلم عن أبي بكرة بن عبدالرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج أم سلمة فدخل بها فأراد أن يخرج أخذت بثوبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن

شئت زدتك وحاسبتك به ، للبكر سبع وللثيب ثلاث » .

وللزوج على زوجته :

١ - ألا تصوم تطوعا إلا باذن منه إن كان مقيما معها لأن له حق التمتع بها في أي وقت والصوم يمنعه ، أما إن كان مسافرا فلها الصوم لأنه لا يتأتى منه الاستمتاع إذا لم تكن معه .

٢ - كما لا يحل لامرأة أن تأذن لأحد بالدخول في بيت زوجها إلا باذنه وهذا محمول على ما لم تعلم الزوجة رضى الزوج به ، فإذا علمت جاز إذنها به وذلك حال حضوره أما في حالة غيابه فبالأولى أن لا يكون لها إذن في الأجنبي .

٣ - وإذا تصدقت المرأة وإذا أطعمت من طعام بيتها من مال زوجها بغير إسراف من غير أمره مع علمها برضاه فان للزوج نصف الأجر ، أما إذا كان ذلك باذنه الصريح أو العرفي فان لها أجرها وله مثله تماما وفي هذا إشارة إلى ضرورة تداول الرأي في التصرف .

- روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا باذنه ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا باذنه ، وما أنفقت من كسبه من غير أمره فان نصف أجره له » .

- وروى الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة ، كان لها أجرها وله مثله بما اكتسب ولها بما أنفقت » .

٤ - وعلى المرأة أن تطيع زوجها فتضمن حسن سير شئون الأسرة .

روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .

ولكن لا تطيعه في معصية الله فمثلا :

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقالت إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها فقال « لا انه قد لعن الموصلات » .

٥ - وعلى الزوجة أن تؤدي واجبها المنزلي وأن تعني بأولادها عناية عظيمة فهذا لا يقل أهمية عن عمل زوجها خارج البيت وعليها الاستعانة بالله والتوكل عليه في ذلك فهذا خير لها من خادم .

روى الشيخان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة ، قال فجاءنا وقد اخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال « على مكانكما » فجاء فقعد

بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال « ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ اذا اخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين فهو خير لكما من خادم » .

٦ ـ وعلى المرأة أن تحذر من إنكار إحسان زوجها إليها فإن ذلك يؤدي بها إلى النار .

روى البخاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « .. وأريت النار فلم أر منظرا كاليوم أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء » قالوا بم يارسول الله قال « بكفرهن » قيل يكفرن بالله ؟ « قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط » .

٧ ـ ولا يجوز للمرأة ـ إن غضبت من زوجها ـ أن تهجر إلا اسمه كما كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تفعل .

روى البخاري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة « إني لأعرف غضبك من رضاك » .

قالت وكيف تعرفه ؟ قال « إذا رضيت قلت لا وإله محمد ، وإذا غضبت قلت لا وإله ابراهيم » . قالت صدقت إنما أهجر اسمك .

وللزوجة على زوجها .

١ ـ حق الانفاق عليها وعلى ولدها .

قال الله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم** ..) النساء/ ٣٤ .

وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » .

وليعلم الزوج أن هذا أفضل الانفاق على الاطلاق .

روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك » .

وللزوجة إذا لم ينفق عليها زوجها أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » .

٢ ـ وعلى الرجل أن يرفق بزوجته وأن يصبر على عوج أخلاقها .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المرأة خلقت من ضلع . لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها » .

٣ ـ وعليه أن يمزح معها فيضاحكها ويلاعبها ليطيب بذلك قلبها على ألا

يفرط في ذلك .

روى الشيخان عن جابر بن عبدالله قال « قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تزوج : « فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك .. » .

٤ ـ وعلى الرجل أن يمتنع تماما عن أن يتكلم مع الناس عما جرى بينه وبين زوجته من قول أو فعل أو يفشي عيبا من عيوبها أو يذكر من محاسنها ما يجب شرعا أو عرفا سترها ـ حتى إن كان غاضبا عليها وينوي طلاقها .

روى مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها » .

٥ ـ وعلى الزوج أن يشارك زوجته في أداء الواجبات المنزلية ويعتمد على نفسه ما استطاع .

روى البخاري عن الأسود بن يزيد قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في اهله ؟ قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

٦ ـ وعلى الزوج أن يغار على زوجته من كل ما يمس شرفها أو كرامتها على ألا يبالغ في إساءة الظن وتصديقه والاستمرار فيه روى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « .. وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش » .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا » .

٧ ـ وإذا أعرضت المرأة عن أمر زوجها وتعالت عليه فعليه أن يبدأ بموعظتها أولا ثم يهجرها في الفراش لمدة لا تزيد عن شهر فإن لم ينجحا فالضرب غير المبرح البعيد عن الوجه قد يصلحها أما لغير ذلك فيكره ضرب الزوجة .

قال الله تعالى : « **والـلاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**) النساء/ ٣٤ .

وروى مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الرفق لا يكون في شيء إلازانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

روى مسلم عن جابر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه » .

ـ روى البخاري عن عبدالله بن زمعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم » .

٨ ـ وعلى الزوج أن يعلم زوجته قواعد الغسل من الجنابة والطهارة وصلة ذلك بالعبادات ومنها :

روى الشيخان عن أسماء قالت جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيض كيف تصنع به قال

« تحته ، ثم تقرصه بالماء ، وتنضحه وتصلي فيه » .

« تحته = الحت الدلك بأطراف الاصابع مع صب الماء عليه ، تقرصه = تقطعه بأظافرها . النضح = استمرار صب الماء حتى إزالة الأثر) .

- روى مسلم عن أنس بن مالك قال : سألت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل في منامه فقال : « إذا كان منها ما يكون من الرجل فلتغتسل » .

روى مسلم عن عائشة أن أسماء بنت شكل سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض فقال « تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ قرصة ممسكة فتطهر بها » قالت اسماء وكيف تطهر بها ؟ فقال « سبحان الله تطهرين بها » فقالت عائشة كأنها تخفي ذلك « تتبعين أثر الدم » .

وسألته عن غسل الجنابة فقال « تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تفيض عليها الماء » .

فقالت عائشة : « نعم النساء ، نساء الانصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » .

« السدرة = قطعة من القماش تستعملها المرأة في مسح دم الحيض » .

« قرصة ممسكة = قطعة من القطن عليها من المسك أو أي شي للتطيب به » .

روى مسلم عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله اني امرأة أشد ضفر رأسي وأنقضه لغسل الجنابة قال : « لا ، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين » .

روى مسلم عن معاذة بنت عبدالله العدوية قالت سألت عائشة فقلت : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت أحرورية أنت ؟ قلت : لست بحرورية ولكني أسأل قالت : « كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

« الحرورية : طائفة من الخوارج يوجبون على الحائض قضاء الصلاة إذا طهرت » .

هذا وإن اشترط أحد الزوجين على الآخر شرطا خاصا قبل الزواج فعلى الطرف الآخر أن يوفي بهذا الشرط بعد الزواج .

روى الشيخان عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحق الشروط ان يوفي به ما استحللتم به الفروج » .

ولا يدخل في هذا أن تشترط المرأة طلاق أختها المسلمة فهذا ممنوع .

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « .... ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفىء صحفتها ولتنكح فانما لها ما كتب الله لها » .

وعلى الزوج رعاية زوجته وأولاده فيجد ويبذل وسعه ليصونهم وعليه الحزم والاعتدال في معاملتهم ، وعلى الزوجة رعاية زوجها وأولادها فتوفر لأسرتها الهدوء والسعادة والاستقرار .

روى البخاري عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسؤول ، فالامام راع وهو مسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول » .

والعزل - وهو نزع الذكر من الفرج وقت الانزال خوفا من حصول الولد - غير ممنوع .

روى مسلم عن جابر قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا » .

ولكن ترك العزل أفضل وأولى فان المؤثر في وجود الولد وعدمه هو القدر وليس العزل فعلى المسلم العاقل أن يعلم أنه ليس بحاجة إليه وما عليه ضرر في تركه فان قدر الله شيئا فسيكون .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال : « لا عليكم أن لا تفعلوا ذاكم فانما هو القدر » .

ولكن على المسلم أن يستعيذ بالله من جهد البلاء وهو قلة المال مع كثرة العيال ثم يبذل قصارى جهده للحصول على المال اللازم لنفقة أولاده .

روى مسلم عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء ومن شماتة الأعداء ومن جهد البلاء .

وليست المرأة هي المسؤولة عن إنجاب الذكور أو الاناث .

روى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كنت قائما عند الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام فكان مما سأله قال : أسألك عن الولد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة اذكرا باذن الله واذا علامني المرأة منى الرجل آنثا باذن الله » - قال اليهودي : لقد صدقت وإنك لنبي وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به » .

وليس للزوج أن يشك إذا ولد له طفل بعيد الشبه بوالديه لأن ذلك يرجع إلى العوامل الوراثية .

روى الشيخان عن أبي هريرة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ولد لي غلام أسود ! فقال له : « هل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : « ما ألوانها » ؟ قال حمر . قال « هل فيها من أورق » ؟ قال نعم ، قال « فأنى ذلك » ؟ قال لعل نزعه عرق ، قال « فلعل ابنك هذا

نزعه » .

وعلى الوالدين :

١ - أن يختارا اسما حسنا لولدهما مع مراعاة الآداب الآتية :

روى مسلم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسمي غلامك رباحا ولا يسارا ولا أفلح ولا نافعا » (وكذلك سائر الاسماء التي قد يتشاءم منها صاحبها) .

روى مسلم عن ابي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أقنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله عز وجل » .

روى الشيخان عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي فاني أنا أبو القاسم أقسم بينكم » .

روى مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن » .

٢ - أن يقدما ذبيحة - ولوشاة - لاماطة الأذى عن الطفل ، وليكن ذلك في يوم أسبوعه كما يجوز عند ذلك الضرب بالدف وسماع الغناء لأن ذلك من سائر أوقات السرور التي يباح فيها اللهو .

روى البخاري عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما واميطوا عنه الأذى » .

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : « دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » .

٣ - وأن يذهب به والده إلى رجل صالح ليحنكه وليدعو له بالخير .

روى مسلم عن أنس بن مالك قال ذهبت بعبدالله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عباءة يهنأ بعيرا له ، فقال « هل معك تمر » فقلت نعم فناولته تمرات فألقاهن في فيه فلاكهن ثم فغر فا الصبي فمجه في فيه فجعل الصبي يتلمظه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الأنصار التمر وسماه عبدالله » .

٤ - وتتم رضاعة الأولاد في عامين كاملين .

قال الله تعالى : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** البقرة / ٢٣٣ .

٥ - وعلى الوالدين ملاطفة الأطفال والرحمة بهم .

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « من

لا يرحم لا يرحم » .
٦ ـ وأن يعدلا بينهم في كل شي .
روى مسلم عن النعمان بن بشير قال تصدق علي أبي ببعض ماله فقالت أمي لا أرضي حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهده على صدقتي فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « أفعلت هذا بولدك كلهم » قال لا قال « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » فرجع أبي فرد تلك الصدقة .
٧ ـ وأن يحذرا أن يدعوا على أولادهما مهما كانت الأسباب خشية أن يستجيب الله .
روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل لعن بعيره ـ « انزل عنه فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم » .
وبعد أيها الأخ المسلم فهذه هي بعض آداب النكاح التي سبق شرحها ، وأود أن تلاحظ الآتي :
١ ـ حرص الاسلام على حماية ابنائه من اقتراف جريمة الزنا فدعاهم للزواج .
٢ ـ وحرص على استمرار الحياة الزوجية إلى الأبد فجعل اختيار الزوج والزوجة قائما على أساس تمسكهما بالدين فهو الضابط لسلوكهما .
٣ ـ وعلى أفراد المجتمع احترام خطبة الرجل للمرأة فنهى الرجل أن يخطب على خطبة آخيه بمجرد معرفته ذلك ، بل عليه أن يسمو بأخلاقه ، فلا يتقدم لخطبتها لمجرد سماع أخيه يذكرها لنفسه .
٤ ـ وأعطى المرأة الحق الكامل في قبول الزوج أو رفضه وليس لوليها الحق في أن يفرض عليها زوجا مهما كانت الأسباب ، لكن إذنه ضروري لصحة عقد الزواج .
٥ ـ وحرص على تيسير الزواج فدعا إلى عدم المغالاة في المهر ، حتى أن ما مع الرجل من القرآن الكريم يجوز أن يكون مهرا .
٦ ـ ودعا إلى اللهو واللعب في حفل الزفاف لأنه يورث الألفة والانشراح وإلى المشاركة في ذلك لاظهار الفرح والسرور .
٧ ـ ولما كان من اغراض هذا الزواج عفة النفس جعل الاسلام جماع الرجل لزوجته صدقة ، وحضه حينئذ على ذكر الله والاستعاذة به من الشيطان حتى لا يضره أو يضر ولده ابدا .
٨ ـ وأوجب الاسلام حقوقا للزوجة على الزوج ، وللزوج على الزوجة ، لتحقق الأسرة الأغراض السامية التي من أجلها قامت .
٩ ـ كما أوجب على الوالدين العناية بأولادهما وحسن تربيتهم والعدل بينهم لينشأ مجتمع فاضل .
١٠ ـ ان المجتمع الاسلامي مجتمع متكامل ، فيسر المهر وطاعة المرأة لزوجها وإخلاصها له ، يقابله حسن معاشرة الرجل لزوجته وصونه لها ، وجهده في حياته لاسعادها .



يقول الطبيب الفرنسي والعالم المستشرق « موريس بوكاي » في كتابه القيم « التوراة والانجيل والقرآن في ضوء المعارف الحديثة » يقول انه قد قام بدراسة مقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة في كل ما تعرضت له من حقائق علمية وفي ضوء تكنولوجيا القرن العشرين .. فاذا به يكتشف أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد ، الذي لا توجد فيه حقيقة علمية واحدة فيها خطأ . أو تتعارض مع مكتشفات العلم الحديث .

ويقول بوكاي أنه وجد في الكتب الأخرى الكثير من التناقضات والأخطاء التي لا تتفق مع المنطق العلمي . ثم يعلق على ذلك بقوله : « غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة . وتلك التي لا يحتملها التصديق وتلك الأخرى التي لا تتفق والعلم . لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الايمان بالله . ولا تقع المسؤولية فيها الا على البشر فلا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب الخيال والهوى في عملية تحريرها ، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص والكتب المقدسة » .

أما القرآن .. فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف ، والذي ظل محفوظا لنا بنصه وروحه كما أنزل ، ومن هنا كان ما ذكره القرآن من حقائق علمية معجزة لا يستطيع بشر في القرن السابع الميلادي مهما أوتي من العلم أن يأتي بمثلها .. وفي هذه العجالة نتناول أحدى معجزات القرآن العلمية



للدكتور/ أحمد شوقي الفنجري

وهي جسم الانسان وما ذكره القرآن عن تركيبه ونموه ...

وأول هذه الحقائق التي تصادفنا في القرآن هي ان الله تعالى قد خلق الانسان في أحسن صورة بين خلقه جميعا : (**وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير**) التغابن/٣

فالانسان أعظم خلق الله ذكاء ، وأجملهم خلقة .. وأدقهم تركيبا وصنعا .. وأكثرهم تكيفا للحياة على الأرض ...

ولكي يزداد ايمان هذا الانسان بقدرة الخالق فان الله يأمرنا أن نتأمل في أجسامنا وصنعتها وتركيبها فيقول تعالى :

(وفي انفسكم افلا تبصرون) الذاريات/٢١

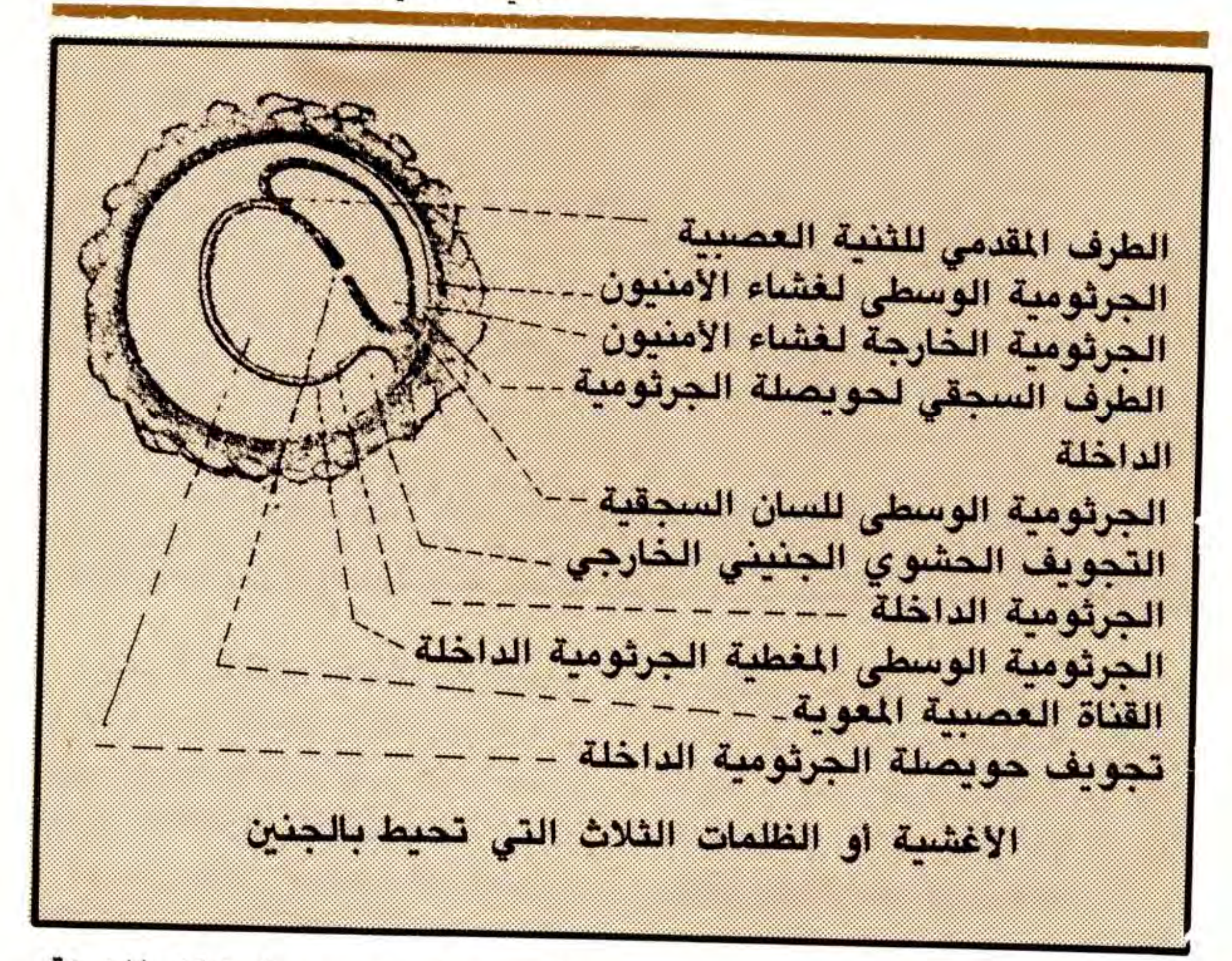
وأول معجزة ينبه اليها القرآن أن هذا الكائن البشري المعقد التركيب الدقيق الصنعة .. قد خلقه الله من تراب وطين أي من عناصر الأرض . وفي ذلك يقول تعالى :

(**ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر**) الروم/٢٠ وقوله : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**) المؤمنون/١٢

وقد اثبت العلم الحديث أن جسم الانسان يتكون من جميع العناصر الموجودة في البيئة المحيطة بنا .. فعنصر الكالسيوم الموجود في الحجارة هو نفسه الموجود في عظامنا .. والبروتينات الموجودة في النبات هي نفسها الموجودة في أعضائنا .. وفي جسم الانسان من العناصر الأرضية الحديد والفوسفور واليود والماغنسيوم والبوتاسيوم بنسب

دقيقة وثابتة بين جميع البشر ..
واذا نقص أحد هذه العناصر في أجسامنا نجم عن ذلك مرض معين ، فنقص الكالسيوم يؤدي الى لين العظام .
ونقص الحديد يؤدي الى فقر الدم .
ونقص اليود يؤدي الى الغدة الدرقية .
ونقص الفوسفور يؤدي الى تسوس الأسنان .
ونقص البروتينات يؤدي الى هزال الجسم والعضلات .
وليس هذا فحسب .. بل ان الزيادة أيضا تؤدي الى أمراض أخرى .. فزيادة الكالسيوم في الانسان تؤدي الى تصلب الشرايين .. وزيادة الفوسفور تؤدي الى تآكل الأسنان وهكذا
وفي هذا كله خير دليل على ارتباط الانسان بالأرض .
وسبحان من قال : (**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**) طه/٥٥
ويأمرنا الله أيضا بالتأمل في أجسامنا .. وصنعتها ..
في هذا القلب الذي يظل ينبض بأمر الله تعالى ليلا ونهارا على مدى سنين العمر كله .. وهذا العقل الذي يظل يعمل ويفكر ليلا ونهارا في اليقظة والنوم .. وفي الرئتين والكبد والأمعاء ، وكل منها له وظيفة يؤديها دون كلل ولا راحة .. وفي الأذن التي تسمع والعين التي ترى واللسان الذي ينطق ويتكلم .. وفي هذا يقول الله تعالى : (**ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين**) البلد/٨ و ٩

ثم يأمرنا الله تعالى بالتفكير في خلقنا .. وكيف كان الانسان نطفة في قرار مكين أي في الرحم ؟ .. ثم أصبح علقة ثم مضغة ثم ينفخ الله فيه من روحه فتتكون له أعضاء وأطراف .. ثم يخرج باذنه تعالى طفلا رضيعا .. يقول الله تعالى في سورة « المؤمنون » :
(**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) ١٢ ـ ١٤
واذا تأملنا هذه الكلمات .. التي أنزلت على لسان النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة ولم يتعلم في المدارس ، وقبل أن يعرف العلم الحديث مراحل تطور الجنين بأربعة عشر قرنا ، واذا تأملنا هذه الدقة العلمية في وصف مراحل نمو الجنين .. لأحسسنا باعجاز القرآن وروعته ..
فالجنين يكون أول أمره نطفة .. أي قطعة غير مشكلة ومكونة من اتحاد جزأين أو جسمين هما البويضة والحيوان المنوي ..
وعادة يتم اخصاب البويضة وتكوين النطفة في الثلث الوحشي للقناة الرحمية ، ثم تأخذ النطفة مسارها في القناة الرحمية حتى تدخل الرحم وتصل الى مكان الانغراس فيه ، وهو ما يعبر عنه القرآن (بالقرار المكين) وهذا المكان في المنطقة العليا في الجزء



الأغشية أو الظلمات الثلاث التي تحيط بالجنين

الخلفي لجدار الرحم .

فاذا لم تعلق النطفة بهذا المكان بالذات وعلقت بمكان آخر فان الجنين يتعرض للاجهاض وقد يسبب متاعب في الحمل وهو ما يسمى علميا « بالانغراس المعيب » .

وما أن تصل النطفة الى مكان الانغراس حتى تتعلق به وتلتصق بجدار الرحم وهو ما يعبر عنه القرآن (بالعلقة) وتستغرق الرحلة من القناة الرحمية الى مكان الانغراس خمسة أيام يكون الرحم قد تهيأ خلالها لالتصاق العلقة به . ويتم الالتصاق باندماج غشاء العلقة بغشاء جدار الرحم .

وتبدأ العلقة في الانقسام ، وتكبر في الحجم حتى تصبح في شكل المضغة وهو ما يسمى في الطب الحديث بالجنين التوتي (Mulbry Stage)

ولنا هنا وقفة تأمل بين التعبير القرآني (**المضغة**) والتشبيه العلمي التوتة .. فالجنين في هذه المرحلة يكون عبارة عن قطعة لحم على سطحها بروزات أشبه بالبروزات والنتوءات التي تتركها الأسنان على قطعة اللحم التي تمضغها وهو ما يشبهه العلم بسطح التوتة المحبب .

وبعد هذه المرحلة يبدأ تكوين العظام تماما كما جاء في القرآن فأول مركز تمعظم (أي تكوين النسيج العظمي) يظهر في الأسبوع السابع الرحمي عندما يكون الجنين حوالي ٢ سم طولا ..



شكل يبين أطوار نمو الجنين فيكون علقة ثم مضغة

وبعد أن تتكون العظام يبدأ ظهور العضلات في الأسبوع الثاني عشر من عمر الجنين وهو ما يعبر عنه القرآن بقوله (**فكسونا العظام لحما**) .

وحتى عصر قريب لم يعرف الانسان طبيعة النطفة الأولى .. وكيف يتكون الجنين ، فكانت نظرية الاغريق التي تقول ان الجنين يتكون من نقطة دم داخل الرحم واذا لامسها مني الرجل تجمدت وكونت جنينا وذلك لأن الميكروسكوب لم يكن قد اكتشف حتى يتبين العلماء أن السائل المنوي عبارة عن حيوانات دقيقة وأنها تتحد مع البويضة في رحم الأنثى لتكون جنينا .. ولكن القرآن قد سبق الى ذكر هذه الحقيقة في قوله تعالى (**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج**) الانسان/ ٢ .. وكلمة أمشاج مكونة من اتحاد عنصرين أو جسمين مختلفين في النوع ، وهما الحيوان المنوي والبويضة وفي اللغة العربية يقال مشجه ـ يمشجه أي خلطه بشيء آخر .

وكثيرا ما يتعرض القرآن لحقائق علمية في التشريح وخاصة تشريح الأجنة : ومن هذه الحقائق ما كان غامضا على الفهم وقت نزوله ، وما احتار علماء التفسير في فهمه .

فمن ذلك قوله تعالى : (**فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب**) الطارق/ ٥ ـ ٧ .

والصلب هو العمود الفقري ، والترائب هو القفص الصدري .. ومعنى الآية أن الخصية التي تكون السائل المنوي مكانها الأصلي داخل البطن قرب العمود الفقري وقد ثبتت هذه الحقيقة بتشريح الأجنة .

فالخصية تهاجر من مكانها داخل البطن مع نمو الجنين .. ثم تنزل الى الكيس الخاص بها قبل الولادة وبعض الأطفال يولدون بأحد الخصيتين أو كليهما في بطنه ، وهذه تعيق نمو الطفل وتعرضه الى الاضطرابات الهرمونية ما لم تجر له عملية انزال الخصية الى الكيس وهذه

الحقيقة لم تكن معروفة حتى عصر قريب .

ثم تأتي آية أخرى لتزيد هذه الحقيقة تأكيدا . ففي سورة الأعراف يقول تعالى : (**واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**) ١٧٢ ، فهذا تأكيد آخر على الموضع الأول للغدة التناسلية في الانسان ومن الحقائق التي ذكرها القرآن واحتار المفسرون في فهمها قوله تعالى : (**يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث**) الزمر/٦ قال بعضهم : ان الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن ثم ظلمة الحياة ثم ظلمة القبر . وقال آخرون : انها ظلمة البطن والرحم والمشيمة ... وكلا التفسيرين لا يستقيم مع المعنى المقصود من أن هذا التطور يكون داخل الرحم محاطا بثلاث ظلمات ..

ويفسر لنا العلم الحديث هذه الآية .. بأن الجنين نفسه ضمن مراحل نموه وتطوره يكون حوله ثلاثة أغشية رقيقة جدا .. هي (الأمنيون والكوربون والألنتوبس) وهذه الأغشية الثلاثة لا تكون موجودة في الرحم أصلا .. ولكنها تتخلق وتتشكل مع ابتداء تكون الجنين وتحيط به في مراحل تطوره ونموه وكلمة الظلمات التي ذكرها القرآن يقصد بها الأغشية المظلمة التي تحمي الجنين داخل الرحم ويتحرك داخلها والله أعلم ...

تعيين جنس الجنين :

يقول الله تعالى عن جنس الجنين :

(**ألم يك نطفة من مني يمني . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**) القيامة/٣٧ ـ ٣٩

لقد كان الاعتقاد السائد من آلاف السنين وحتى عهد قريب أن نوع الجنين سواء كان ذكرا أم أنثى يتوقف على المرأة وحدها . وأن هناك نساء تعيسات لا تنجب أرحامهن سوى البنات .. وأخريات ينجبن الأولاد .

وكان هذا الاعتقاد متفشيا في الجاهلية الى الحد الذي يجعل الرجل يطلق المرأة اذا أكثرت خلفة البنات . وقد أثبت العلم الحديث أن مني الرجل فيه نوعان من الحيوانات مذكرة ومؤنثة وأن بويضة الأنثى لا علاقة لها بجنس الجنين .. فاذا اتحد حيوان منوي مذكر مع البويضة أنجبت ذكرا ، واذا اتحد معها المؤنث أنجبت أنثى فمني الرجل هو الذي يفرز جنس الجنين ..

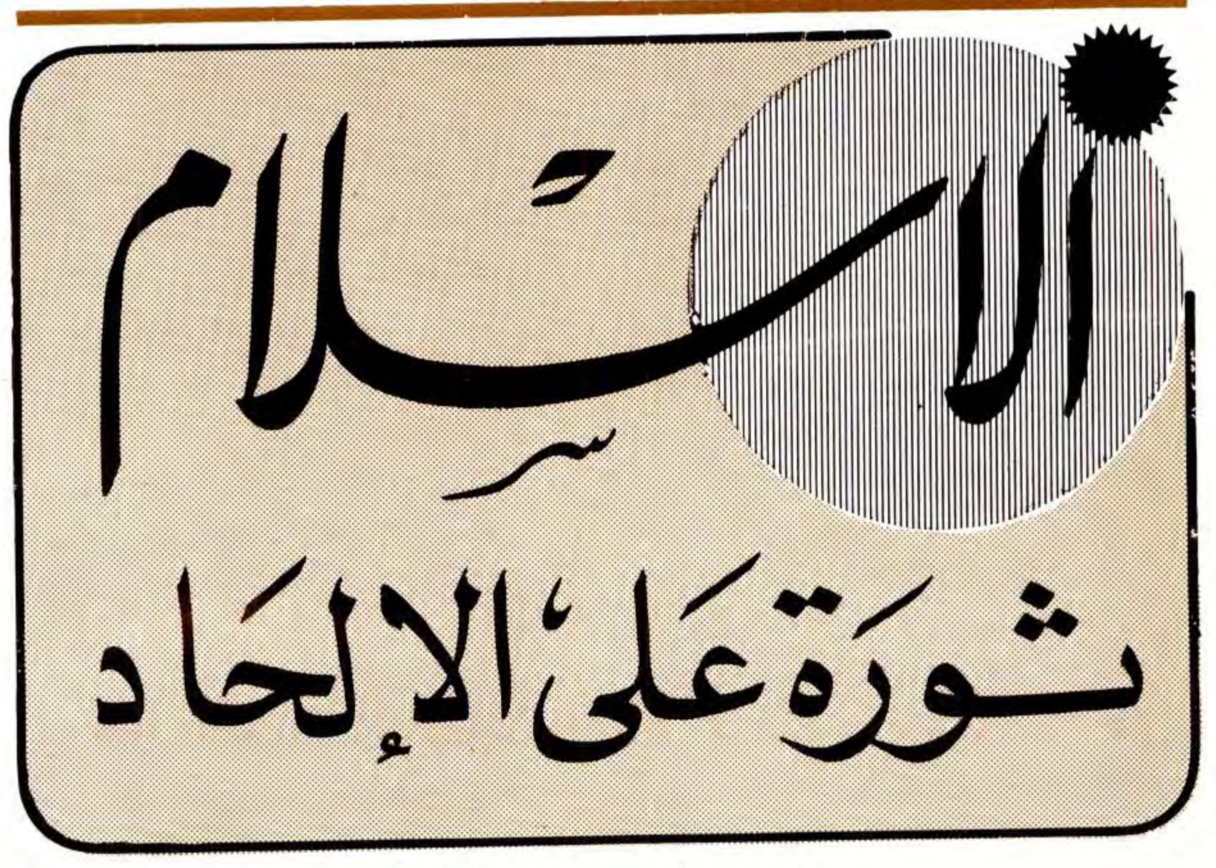
وقد جاء القرآن ليقرر هذه الحقيقة قبل أن تعرف بأكثر من ألف عام . وهي أن النطفة أي جنين المستقبل يتكون من المني ، وأن هذا المني هو الذي يحدد اذا كان الجنين ذكرا أم أنثى هذا وحده اعجاز الهي ..

ولا يفوتنا أن نشير هنا الى قوله تعالى (**فجعل منه**) أي جعل من هذا المني الذكر والأنثى ولم يقل (فجعل منها) أي جعل من النطفة نفسها .

هذه هي بعض معجزات القرآن الكريم في جسم الانسان وفي خلقه وتطوره .. وصدق الله تعالى :

(**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) ٧

"الاسلام يتحدى" وحيد الدين خان



للأستاذ/سيد خليل الابوتيجي

لقد جاء الاسلام الحنيف وسطا معتدلا متفقا مع طبائع النفوس وطبائع الاشياء ، فلم يستعمل القوة الا في المواضع التي تحتاج الى القوة ، ولم يكن شديدا صارما الا في كل ما هو حق وواجب ، كما حبب الرفق والتسامح والصفح فيما يتطلب ذلك ، وهو دين عالمي وتشريع سماوي هدفه سعادة البشر في الدنيا والاخرة ، وقد اعتمد في نشر دعوته على المنطق والحجة ، فكان يخاطب العقل في كل اموره ويحكمه في كل شأن من شئونه لان الانسان بالعقل والقلب عرف خط سيره وبهما يرتفع ويتسامى ويجمع بين عالمي النور والمادة .

ولما كان المنهج الالحادي خصيما للطبيعة البشرية عسيرا على الفطرة السليمة محقرا لشأن الانسان كان الاسلام ثورة عنيفة على كل ما يهين او يقلل من كرامة هذا المخلوق الذي وضعه الله موضع التكريم قال تعالى (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) سورة الاسراء ٧٠ ومن هنا كان النهوض بالكرامة البشرية اول مظهر من مظاهر الاسلام ، فهو يؤمن بحرية الفرد ومصلحته ما دامت لا تتعارض ومصلحة المجموع وعمل على ان يكون حر التفكير مستقل الرأي في كل ما يطرأ له من اشياء وما يلم به من امور ، وان يجتهد دون ان يتأثر باي عامل خارجي يضيق عليه ويحد من حريته ، وذلك اعتراف .

بشخصية الفرد ليحافظ على كيانه حتى لا يتلاشى في المجموع ويذوب في الدولة فان ذلك يقتل فيه حب النشاط والجهد والحيوية ويغرس في النفس النشيطة الخمول والكسل والشعور بالظلم . ولذلك كان الانسان في نظر الاسلام حرا يعمل ويمتلك ويتفاعل مع المجتمع . اما التصور الالحادي فهو لا يعترف بالفرد ولا يؤمن بذاتيته وحريته ومن هنا بدأ العداء ... فالاسلام اذ يحارب الفكر الالحادي لانه فكر يهدف الى تجريد النفس البشرية من اسمى غرائزها واجل عواطفها ولانه فكر تافه وضلال سافر وفساد كبير ، وهو قبل كل شيء مناف للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، اذ هو عبارة عن مجموعة متناقضات في ثوب مهلهل ترمي الى العداوة والخصومة ومما يسترعي الانتباه أن دعاة الالحاد يرفعون عن ضمير الفرد شعوره بالمسئولية في اخطائه ويلقونها على المجتمع فهم يهدمون الاساس الذي لا كيان للاخلاق بغيره ، ويوهمون المذنبين والخاطئين انهم ابرياء من التهم منزهون عن المسئولية لان المجتمع هو السبب في فساد من افسد واجرام من اجرم .

اما الاسلام الذي يستهدف في كل تشريعاته وقوانينه صلاح الفرد وسعادته فانه يلقي التبعة عليه اولا ويجعل المجتمع مسئولا عن اشاعة المنكرات وانتشار الرذائل كما يجعل حرية الفرد محدودة بحيث « لا ضرر ولا ضرار » حتى لا تكون الحرية سلما الى الفوضى وتخلصا من الاوامر والنواهي والواجبات فينزلق الفرد في حضيض الاباحية ويسلم نفسه الى الشهوات فيعيش كالبهيمة حسب ارضاء غرائزه واشباع رغباته ، ولذلك نرى مظاهر الفوضى الخلقية بارزة بصورة واضحة في المجتمعات الملحدة التي انعدمت فيها الضمائر وماتت فيها القلوب فلم تر دلائل الهدى ولم تبصر انوار الحق لانها اغلقت نوافذ الايمان .

اوهام في التصور الالحادي

١ ـ يتخذ دعاة الالحاد في المجتمعات الحديثة من المنهج العلمي معاول للهدم ووسائل لنشر سمومهم بين الناس ومن امثلة ذلك « نظرية داروين » في النشوء والارتقاء ، وهي نظرية قائمة على الظن والحدس والتخمين وليس لها دعائم قوية تؤيدها ومع ذلك يستغلها الملحدون في هدم الاخلاق وتدمير الجوانب الاجتماعية وطمس معالم الفطرة السليمة فيوهمون البسطاء بان الانسان ليس اكثر من حيوان فحسب فتهتز لديهم القيم الدينية والمعايير الخلقية ويتحول المجتمع البشري السامي بنعمة العقل الى قطعان من الوحوش والبهائم « عالم الغابات » لاهم لهم الا تلبية نداء الجنس الذي يرقى عندهم فوق كل نداء والصهيونية العالمية تعمل بكل ما تملك من طاقات وامكانات مادية واعلامية لتروج وتزخرف لهذه النظرية الهابطة التي جنت على البشرية وهدمت معايير الفضيلة ..

٢ ـ المذهب المادي .. وهو عند الملاحدة مذهب فلسفي قديم بدأ مع الحضارة الغربية منذ ثلاثة قرون وزاد اتساعه في القرن التاسع عشر وقد ظهرت نتائجه المشئومة في القرن العشرين ونقطة الارتكاز في هذا التصور المليء بالهذيان جملة صغيرة قصيرة تقول ان الكون مادة لا اله لها .. وهو تصور جاهلي لا يقوم على دليل ولا يستند الى شيء ، بل تصور واه متناقض ، ولووقفنا مع هذه الخرافة وقفة قصيرة لعرفنا انها نوع من الهوس اكتسى ثوب الفلسفة الجوفاء وحلة المنطق المحموم وحاول الماديون ان يجعلوا بينه وبين العقل نسبا وصهرا فافسدوا العقول بسمومهم .

فهذه الدعوة الخبيثة لا تعترف الا بما يؤثر في حياة الفرد تأثيرا مباشرا ويقع في دائرة الحس المادي ، وما دون ذلك اوهام وظنون وما تقوله الاديان السماوية عن المعاني الروحية والعالم العلوي .. فكل هذا عند « الماديين » اماني ودعاوى واضغاث احلام وعلى الانسان ان يعتقد انه ابن الطبيعة وان يعيش بلا قلب وبلا روح « انسان آلي » وعليه ان يغلق سمعه عن العقائد الدينية حتى لا تغلق امامه ابواب السعادة المزعومة ، ومن هنا كانت الشرائع السماوية العدو الاول للالحاد والاسلام بصفة خاصة لانه كاشف لافانين الخداع المادي وأينما كان الاسلام توقفت حركة الالحاد .

٣ ـ الصدفة مما يثير الاذهان ويقزز النفوس هذا التناقض الواضح في ذلك الفكر المحموم الذي يهدم بعضه بعضا ، وانني لواثق ان هؤلاء المنكرين الجاحدين من اصحاب الدعوات المضللة باسم العلم او الفلسفة لو رجعوا الى انفسهم بشيء من التعقل والتروي لادركوا حقا انهم على غير الصواب . ولكنهم مغرورون باوهامهم الزائفة محجوبون بمشاهداتهم المحسوسة حيث لم يروا غير المادة ورأوا سرابا خادعا فقالوا « الكون وليد الصدفة » بل من العجيب ان وجود قوة قادرة حكيمة مدبرة لهذا الكون امر غير قابل للمناقشة .. ونحن نتساءل كيف يلغي هؤلاء عقولهم ؟ وكيف يتصورون ان هذا الكون الهائل بسمواته واراضيه وشمسه وافلاكه ونجومه و ... و ... قد تكون على هذا النظام العجيب المتسق من تلقاء نفسه نتيجة للصدفة العمياء .

ومما لا شك فيه ان اي عاقل لا يعتبر هذا القول الا ضربا من ضروب العته والجنون ، لان الايجاد والتدبير والدقة والابداع والاحكام لا يمكن ان يتم الا بقوة حكيمة عالية هي يد الله جلت قدرته وهذه بداهة لا تحتاج الى كد الذهن او اجهاد الفكر ، وهذه حقيقة سافرة ، مشرقة لامعة قال تعالى :

(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون) ، سورة الزمر ٦٢ ـ ٦٣

فمن الحماقة والتغفل ان يتصور ذو

عقل ان الفوضى او المصادفة تخلق وتدبر وتبدع .. ولكن الملاحدة سفهوا انفسهم عندما الغوا عقولهم ..

دور الاسلام في مواجهة الالحاد :

يجب ان نعرف ان معنى الالحاد في اللغة هو الحيد والعدول عن الصواب ومعناه العرفي والتشريعي موت في الضمير وعماء عن الحق بل انتكاس في الفطرة الانسانية ، وانعزال عن القوة الحقيقية المؤثرة في الفطرة الانسانية في هذا الكون ، والالحاد انقطاع عن الحياة الابدية وتمزيق للصلة التي تربط بين المخلوق وخالقه حتى يعيش الانسان محصورا في قوقعة الحس الضيقة تتهشم داخلها عظامه فيحيا في دائرة المادة الغليظة بلا ادراك وبلا راحة ، وبغير طمأنينة ولا ثقة ولا يقين ، فالملحد في قلق دائم وفي ضياع مستمر وفي حيرة قاتلة لانه انسان قتل ضميره فغطت على عينه الأوهام فتجرد من الايمان واصبح أحط من مستوى البهيمة السائمة التي لم تعط قدراته ولم تؤت مواهبه قال تعالى : (**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون**) سورة الاعراف ١٧٩ .

ومن الآيات نفهم انه لا فرق بين انسان بلا عقيدة وحيوان يدب على اربع او يزحف على بطنه ..

واذا كان دعاة النزعة الالحادية يبدأون دعواهم الخبيثة بإماتة الضمير عند الانسان فان الاسلام قد ركز في كل تشريعاته على ايقاظ الضمير واحياء الشعور بمراقبة الله ، فالضمير هو ما يضمره الانسان ويستره وهو الوازع النفسي الذي يوجه السلوك ويقوم الاخلاق ويدفع صاحبه الى الخير ويمنعه عن الشر ولذا عنى الاسلام بتربيته ، وجعله حكما مسيطرا على القلب يصفيه ويزكيه قال تعالى : (**ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ..) سورة الشمس من ٧ الى ١٠ .

ومن يتأمل اساليب الالحاد ووسائل نشر سمومه يجدها ملتوية ، متغيرة متطورة تتخذ في كل يوم ثوبا جديدا ولونا براقا .. ولكن ما بسط الاسلام جناحيه في مكان الا تخاذلت وانكشفت الاعيب الملحدين وردت سهامهم الى نحورهم قال تعالى : (**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**)

وهكذا يصد الايمان الملحدين ويبقى غصة في حلوقهم ويذري التراب في عيونهم ، وسيبقى الاسلام يلاحق وثباتهم ويتتبع خطواتهم حتى يردهم على اعقابهم خاسرين .

وسيبقى الاسلام ينير لاهله الطريق ويمد أبناءه بروحه ويهديهم بهديه ولن يغض الطرف عن اي مشكلة يتعرض لها بنوه الا وعالجها ووضع نقاطها فوق حروفها ..

وسيعرف الملحدون ان الباطل لا يستطيع ان يلتقط انفاسه ما دامت يد الحق كاتمة على انفه ، وان الالحاد لن يعيش ما دامت عين الاسلام ناظرة اليه .



دراسة في أدب الاطفال

للاستاذ /محمد فوزي حمزه

تحت هذا العنوان ، لا اريد ان اقول ان الطفل المسلم في ايامنا هذه لا يجد ما يقرؤه ، وهذه معارض الكتب تعج بأجنحة كتب عليها « كتب الاطفال » ، كما لا اريد ان اقول ان الوسط الادبي في البلاد الاسلامية يغفل الاطفال اغفالا ، وهذه واجهات المحال تزينها اغلفة تحمل السلاسل المشهورة « قصص الاطفال » ، « مجموعة الطفل الذكي » ، « ادب الصغار » .. الى اخر ما تحفل به المكتبات من هذه المسميات .

ولكن الذي اريده ، ان ما يعنيه كثرة المعارض وامتلاء الواجهات على هذا النحو شيء ، وان ما يعنيه تقديم الادب المناسب للطفل ، شيء اخر ، فانك اذا زرت المعرض ، وملأت حقيبة طفلك بما تجد هناك ، فالقليل مما تحويه الحقيبة ، يتناسب مع الطفل .. سواء من حيث لغته « اقصد اللغة التي يستطيع ان يستوعبها والمستوى الذي يراد له ان يصبح عليه بعد تحصيل هذه الكتب » ، او من حيث مضمونه ومادته العلمية في مواكبة المناسبة التي يقدم فيها ، او من حيث اعداده العلمي والادبي والفني « اقصد مدى ما يستكمل من فنون القصة المكتوبة او الرواية المسموعة » ومن حيث الاسلوب الذي اعد به ، ومدى ما يتناسب هذا الاسلوب ، ليس فقط مع



القدرة الاستيعابية للاطفال ، ولكن ايضا مع ضرورة جلب اهتمام الطفل واستقطابه الى تحصيل مادة الكتاب .

هذا هو القليل ، مما تحتويه الحقيبة ، اما الكثير منه ، فقد اعد ارتجالا ، قل كيفما اتفق ، او قل كيفما جلب الربح ، ولا تعجب عندما اقول ان من المؤلفين ومن الناشرين من يعرف ان كتب ومجلات الاطفال ..

كنز لا يفنى ، وملك لا يبلى ، والاب عندما يدخل الى المعرض ، لا تنسى الواجهات ان تذكره بطفله ، وطفله ، امل عزيز ، يجب الا ينسى في هذه المناسبة ، بل وفي كل مناسبة ، هو يريد لطفله كتبا تحمل الاسم والمعنى اذا ما كتب عليها « كتب للاطفال » ،

والواجهات ، بعضها يريد ان يعطيه غرضه وكثير منها يريد له ان يأخذ من بضاعتها ، وفي الحالتين ، أو في الحالات جميعا ، هو آخذ من بضاعتها لطفله ، انه عزيز عليه ، ألم اقل ان من المؤلفين والناشرين ، من يعرف من اين تؤكل الكتف ؟

ولعل هذا ـ هذا المظهر التجاري ـ هو السر الكامن وراء امتلاء الواجهات بالكتب والمجلات

التي تتضمن من السموم ، ما يمكن ان تتضمنه قصة بوليسية « بطلها » لص ماهر يسرق النقود ويختلس الحلي ويخدع العسس ، أو قصة من قصص العنف « بطلها » ولد فاشل او رياضي منحرف يوظف عضلاتـه في اكثـر الاعمال سفالة من خطف الطعـام وترويع الاسواق وابتزاز النساء ، او قصة جنسية « بطلتهـا » مراهقـة تنتقل بين الحانات والمراقص ومواطن السـكر والعربـدة ، فضـلا عن الاحضان والمخـادع مع الصبيـان والمردان ، وفي كل مرة ، اللص هو « البطل » والمنتهب هو « البطـل » والعربيدة هي « البطلة » وقد اعدت هذه الكتب اعدادا متقنا ، وصممت من اول غلافها الى اخر شيء فيها بدربة فائقة على جذب اهتمام الطفل ، ثم تسليته ، ثم تسميمـه ، ... ثم القضاء عليه « فكريـا » .. ثم ... دفعه في الهاوية .

وفي هذا السياق ، لا بد ان ادير عليك طرفا من سؤال ، يقول : ترى من المسئول ؟ ، هذا القصور الذي بات ضحيته الطفل العربي ، المسؤول عنه المؤلف ؟ أم الناشر ، ام الدولة ، ام الاب ؟... ام التطـور الادبـي عموما ؟

قد لا يثير الدهشة ان يكون هؤلاء جميعا شركاء في المسئولية ، فالذي يثير الدهشة ان يكون قطاعا واحدا منها هو المسئول عن كل هذا ، وانما المثير للأسى ، ان يكون الطفل محاطا بكل هؤلاء ، ثم اذا بحث عن نفسه لم يجد منهم من التفت اليه ، او على الاقل ، لا يجد من التفت اليه التفاتة حقيقية .. تعود عليـه « فكريـا » بالفائـدة وتذهـب عنـه بالخسران والضرر .

وعند الاجابة على هذا السؤال ، فاني بداية انحي باللائمة على كثير من الاباء والامهات الذين هم في موجات تدليل ابنائهم « ارجـو ان تلاحـظ الفارق الكبير بـين تدليـل الطفـل واسعاده » ، يشترون لهم مثل ما ذكرت من قصص ، دون ان يبذلوا ادنى عناء في فحص هذه القصص ، او حتى مجرد القاء نظرة عابـرة عليها ، او اخضاعها لمجرد المحاولة لما تفرضه اصول التربية السليمة ، التي يعرفها اب يريد لابنه العزيز ، سعادة فائقة ، لا ام « او اب » تريد لطفلها المدلل وقتـا مليئـا باللهـو والتدليل وغريب من امر هذه الام ، ان تدعي ــ من باب التظاهر ــ انهـا تعنى بثقافة طفلها الى درجة انها تشتري له قصص الاطفال ، في الوقت الذي فيه ، هي تدمر ثقافة ابنهـا وتضيع « فكره » سعيا منها وراء مظهرية لها هي ، لا وراء فائدة له هو .

ولا شك انني هنا ، لا اقصـد الامهات اللاتي حكى لي عزيز عن واحدة منهن ، كانت تناوله ــ ايام كان في المدرسة الابتدائية ــ ريـالا فضيا ليشتري كتابا من كتب السيرة

الشريفة ، يقرؤه عليها وعلى اخوته الأخر في مسامرات المساء ، وانما اقصد الام التي ارى الكثير من نماذجها في هذه الايام فلا احسبها كانت اما الا بالفطرة لا بالاعداد ، وبالطبيعة لا بالنشأة وكثير من هؤلاء الامهات « اوقل من هذه النماذج فان لفظة ام ارفع من ذلك » اعدت وانشئت على انها امرأة ذات مظهر « عصري » ، او « متطور » او سواها من ترهات الانحلال .. هذه الام « او النموذج » تجدها تحدث صديقتها عن مشترياتها .. لطفلها من سوق الكتب تحدثها بتظاهر واضح ، ثم اذا ما قلبت حقيبة المشتريات وجدتها مليئة بامثال قصة « اللص الذكي » او « لغز السرقة » او « المراهقة والرجال » ، وربما كان اقلها خطرا على عقلية الطفل ، ما كان من قبيل قصة « الثعلب المكار » او « جحا وحماره » ، وربما لا تجد الا القليل ـ قصصا تغذي افكار الطفل بما ينفع الناس ويمكث في الارض ، وهذا القليل لا تجده ـ الا قلة ـ اعد اعداد متقنا .

والمؤلف ـ ايضا ـ له جانب من تلك الاجابة ، لا شك انه سيطلب منه ان يجيب على اسئلة تقول كم سأل نفسه عن الطفل الذي سيقرأ قصته ؟ عن عمره « سنا ومقدرة على الادراك .. الخ » عن المضمون الذي يقدمه للطفل في هذه القصة عن الجرعة المغذية ـ او ربما السامة ـ التي سيناولها له كتابه ، فضلا عن الاسلوب والالفاظ التي اعد بها .

كثير مع الاسف ، من مؤلفي كثير من القصص التي تعج بها المعارض والواجهات اذا اخلص الاجابة ، سيجد نفسه قدم الجريمة او الرذيلة او غيرها من اوجه الفساد ، في اطار « القصة الممتعة » وقدم المجرم او الفاسق او الفاشل او المنحل او غيرهم من صور المفسدين في صورة « البطل » ، وسيجد نفسه قدم لمشاعر الطفل ومكوناته النفسية وللمقدمات الفكرية لحياته ، جرعة مسممة ، والخطر الكبير ، انها مسلية وممتعة ، وسيتناولها الطفل راضيا مسرورا ، وهذا هو الذي يثير الأسى ، فان الذي يقدم مثل هذا للطفل ، ارضاء للمتعة ، هو ـ بالضبط ـ كالذي يقدم له الخمر ، هو يتلذذ بها وهي تودي به .

الا انني ـ هنا ـ يجب الا اغفل قدرا من المؤلفين ، اعتنى بما يقدمه للطفل ، منهم من اجاد ومنهم من حاول على الاقل ، منهم من صرفه اهتمامه الى المضمون فقدم قصة نبي ، او ذكر مجاهد او حديث موقعة ، ومنهم من صرفه الى الاسلوب ، ومن صرفه الى العرض ، او الى غيره من عناصر هذا الفن ، الا ان بعضا من هذه المحاولات ـ على اهميتها وتقديرنا لها ـ ما يزال بحاجة الى دربة وكثير مران ، وتوسعة حتى تشمل مختلف التساؤلات التي تفرضها عناصر هذا الفن ، فعلى الرغم من العناية ببعض هذه العناصر

« المضمون او الاسلوب .. الخ » ، تجد القصور واضحا في بعضها الآخر .

واقصد بهذه المحاولات الجادة ، من حاول تقديم السيرة الشريفة في مجموعات او قدم اعلام الاسلام والعروبة ، او وقائع الجهاد ، كل هذه موضوعات تناولها كتاب في مجموعات قصصية تصلح للاطفال ، ولكن بقيت العناية بهذه العبارة الاخيرة « تصلح للاطفال » تلفت انتباه الطفل وتدعوه الى قراءتها ، ثم تقدم له في اسلوب يتناسب مع سنه وعقليته حتى يستطيع ان يستوعبها .. كل هذا طبعا من غير ان يفسد مضمونها ، او يعطي للطفل انطباعا سيئا – او غير صحيح – عن هذا المضمون ، كمن قال وهو يحدث الطفل عن ابوي النبي « وقضيا ايام الزواج حبيبين « كذا » .. يرفرف عليهما طائر الحب « كذا » .. وكانت آمنة كلما تذكرت ان زوجها كان مشرفا على الهلاك ضمته الى صدرها « كذا » .. « الى ان وصل الى وداع عبد الله لآمنة يوم سفره ، فذكر انه قال لها « ..سأعود اليك يا حبيبتي « كذا » .. » « راجع احمد التاجي – آمنة ام النبي » ثم أتى الى دور الناشر في هذه الظاهرة – ظاهرة القصور في ادب الاطفال – فاقول انه وان كانت بعض الهيئات المعنية بهذا الامر ، يقوم بدور كامل – الى حد ما – الا ان الكثير منها – او على الاقل البعض منها – لا يكلف اجهزته عناء هذا البحث بقدر ما يصرف اهتمامه الى بحث امكانيات الربح ومدى الاقبال على اسم المؤلف ومدى امكانية رواج الكتاب بين الاذواق « وارجو ان نلاحظ ان كثيرا من اذواق جيل اليوم من الامهات والاباء اكثر ميلا الى صور التربية الغربية منهم الى صور التربية الحميدة ، فضلا عن انصراف اذواق بل واذهان الكثيرين منهم عن النموذج المسلم او النموذج العربي على حمادته الى النموذج الغربي على انحلاله ورعونته » ومدى السهولة او التكلفة في تنفيذ الكتاب ، الى غير ذلك من المعطيات التجارية .

غير ان الانصاف يستلزم الاشارة الى ان بعضا من مؤسسات النشر ، يجيد اختيار واعداد ما يقدمه للاطفال ، فضلا عن اجادته لتبويبه وعرضه ، ولذا فان من المناسب في هذه الدراسة ، ملاحقة هذه الظاهرة بين دور النشر في اكثر من مستوى ، فمن مستوى كبير من الالتزام ، الى مستويات لا التزام فيها الا بتحقيق الربح ، تتدرج دور النشر فيما تقدم للاطفال ، وغير الاطفال ، وحيث ان الذي يعنينا هنا ما يقدم للاطفال فبعض هذه الدور يقدم مجموعات نافعة مثل دائرة معارف الطفل التي تقدم له قبسا من المعرفة عن بعض المخترعات ، ومثل مجموعة السيرة النبوية وسلسلة رايات الاسلام ، وشرح وتعليم اركان الاسلام ، وتراجم ميسرة عن حياة ابطال

الاسلام في شكل قصصي للطفل .. وكل ذلك ، وغير ذلك تقدمه دار المعارف بمصر ، وهذا اقصى مستوى يمكن تصوره من الالتزام .

الا ان صدق القول ، يقتضي ذكر ان بعض هذه الدور ، وعند هذا المستوى من الالتزام ، ما يزال على شيء من القصور ، بحيث يعثر الطفل ـ بالكاد ـ على نذر يسير من اهتمام هذه الدور ، فبينما ترى دار المعارف تقدم للطفل خضما هائلا من مطبوعاتها وجانبا كبيرا من اهتمامها ، وترى الهيئة العامة للكتاب « بمصر » ، اذا دخلت معرضها وسألت الرجل عن كتب الاطفال ، أشار لك الى ركن صغير جدا ، تقلبه فتجد ثلاثة كتب فقط للاطفال ، احدهما يحمل اسم « اللقاء الفريد » .. والثاني ، « مشاهد من الطبيعة » .. والثالث اسمه « كلب آل باسكرفيل » ، اما بقية الكتب التي يزدحم بها « ركن الاطفال » فهي ـ كما رأيتها هناك ـ « النقد التحليلي عن عبد القاهر الجرجاني » الامارات العربية في بلاد الشام » و « ابن تيمية » و « لغة الشعر الحديث » و « مقالات في النقد الادبي » .. وغيرها مما لا يمكن تصور انه للاطفال ، ولا يمكن تصور الا انه للكبار .. بل .. وللخاصة من الكبار .

ومرة اخرى ، عند هذا المستوى من الالتزام ، قد نجد في دار المعارف ، قصصا للاطفال ، اسمها « العملية الجريئة » او « تان تان وعصابة شيكاغو » ، او « قراصنة الأحراش » .

ودون هذا المستوى . تنحدر درجات الالتزام حتى تصل الى الدور التي تصدر القصص البوليسية والجنسية ، مثل « الرأس الذهبية » او « بائع الجرائد » او « الدائرة الحمراء » ومختلف الكتب والمجلات المتلفة مثل « كيف نلعب النرد » ، « وبلاي بوي ـ اي الولد اللاهي » و « الف سؤال عن الجنس » وغيرها ، وهذه ومثلها تصدرها في العادة ، الدور الخاصة ، وكثير من اصحابها لا يعنيهم الا ما يحققون من ربح ، واكثرهم من يجد الاسهل ان يترجم عن الغرب هذه القصص والكتب والمجلات ، ويقدم منها جرعاته السامة الى اطفالنا ، ونحن نذكر جيدا الفترة التي قدمت فيها بكميات هائلة ، كتب مثل « ايفا الغانية » و « الارملة الطروب » و « رسائل الغرام » وغيرها .

ومناسب ان اعرج على مسؤولية الدولة تجاه هذا القصور ، واسهامها في تحقيقه ، باهمالها الواجب المتحتم عليها تجاه ما يقدم للاطفال .. فالدول جميعا لديها قوانين للنشر ، واجراءات يتحتم على الناشر اتباعها ، سواء لترشيد النشر او مراقبته ، وعندما تدرك الدول ما ترجو من هذه المراقبة ، او هذا الترشيد

ادراكا صحيحا ، فانهـا ولا شك ستحجب عن اطفالها وصبيانها هذا السيل من السموم ، وستضطر دور النشر الى درجة معقولة من الالتزام ، ولكن الواضح الان ، ان هذه القوانين والاجراءات ، توضع – او يوضـع جلها – لخدمة النظم الحاكمـة لا لخدمة الشعوب ، واذا اصبح الحكم للكراسي لا للامانات ، فقد اصبح لكل دولة ، قانون للنشر ، يصرف في جل اهتمامه الى مراقبـة النشر بعـين مصالح النظام ، وليس بعين مصالح الشعوب ، ولا يراعي في كثير ، ما ينشر بعيدا عن المساس بهذا النظام ، حتى ولو كان يدمر العقائد تدميرا وحتى ولو كان يتلف الاجيال اتلافا ، وكذا ، اصبح لكل دولة ، شرطـة واجهـزة تتفحص بدقـة وتشديـد بالغين ، كل ما ينشر وله صلة بالنظام او بكراسي الحكم ، او حتى باعداء شعوبها من اصدقاء وحلفاء النظم وكراسي الحـكم ، ثم تصرف كل عنايتها عن أي شيء مما عدا ذلك ، ومن بـين مالا يعنيهـا – حسـب تصورهـا الخاطـىء – هذه القصص ، وهذه الكتب المفسدة .

وربما هنا يقتضي الانصاف ان نقـول ، ان قوانـين النشر تنص مذكراتها على ان غايتها هي المحافظة على عقائد الشعوب وتجنيب افكارها السموم ، ثم عند التطبيق العملي ، يغفل تماما هذا الهدف ، وتتقـرر اهـداف اخـرى تمليهـا مصالـح الانظمة ، واعتبارات الحكام ، وهذا قصور عام في دور الدولة ، او في ادراكها لدورها وممارسته ، يمضي على الطباعة والنشر بصفة عامة ، ولا يسلم منه ما يظهر مطبوعا منشورا للاطفال .

وبعد ذلك آتي الى التطور الادبي العربي ، ومـا اسهـم به في هذا القصور ، فاقول ان اللغة العربية وما عرفت في تاريخها الطويل من اداب الشعر والنثر وغيرها ، ظلت بمنأى عن ادب الاطفال ، واستحوذ على جل اهتمامها – ان لم يكن على اهتمامها كله – ادب الكبار ، خذ مثلا الشعر ، قصائد الفخر والحماسة ، والنسيب والرثاء ، وغيرها ، وكلها للكبـار ، وهكذا في غير ذلك من الفنون التي لم يحفل القائلون فيها كثيرا بالصغار ، حتى اذا كان عصر التدوين في اواخر العصر الاموي ، وسجلت الاعمـال الادبية حفظا للتراث وصيانة له ، استحـوذت اداب الكبـار على جل اهتمام المدونين ايضا ، ولم تترك من اهتمامهم في اداب الاطفال الا نذرا يسيرا ، الا ان هذا النذر اليسير ، افصح عن بعض الاغنيات او الابيات التي كانت العرب ترقص بها اطفالها على سبيل المداعبة ، وهو ما ينبؤنا بأنه كان هناك نوع من الادب يعتني بالاطفال ، ان لم يكن ضاع فيما اغفل التدوين ، فهو هذه الاغاني على الاقل ، الا ان معظم هذه الاغاني ، اغان تتحـدث عن الطفـل ، وليس تتحدث الى الطفل ، ومنها البيـت المشهور الذي كانت ترتجزه الشيماء

وهي ترقص النبي صلى الله عليه وسلم وهو رضيع في حجر امها حليمة فتقول :

هذا اخ لي لم تلده امي
وليس من نسل ابي وعمي
فأنمه اللهم فيما تنمي

ويمكن القول بأن بعض هذا عائد الى نظرة المجتمع الى الطفل باعتباره صغيرا ، له – على اي حال – صفة الصغر ، التي من شأن من يتصف بها او ما يتصف بها الا يجد من عناية المجتمع الا اليسير ، ومع اعتبار ان هذا خطأ كبير في النظرة الى الاشياء ، فهو خطأ اكبر عند النظرة الى الطفل ، فهو ليس بالشيء الصغير ، ولكنه « الانسان » الصغير ، انه قبل ان يكون صغيرا ، كان انسانا ، ثم انه « الرجل » الصغير ، انه بعد ذلك سيكون رجلا .

وهذه النظرة المخطئة ، اسهمت في انصراف كتاب العربية وشعرائها ومختلف ادبائها عن الطفل ، حيث يكاد الناس يجمعون – مخطئين – على انه لا يعني بما يؤلف للصغار الا من لا يعنى بما يؤلف للكبار ، وفي المقابل ، يكاد الادباء يجمعون – مخطئين – على انه لا يؤلف للصغار الا من لا يجد ما يؤلفه للكبار .

ثم نظرا لان العربية الفصحى ظلت الى عهد قريب لغة المثقفين وحدهم ، فقد ابتعد كثير ممن الفوا بها عن التأليف للصغار ، واستحوذت ثقافة الكبار عل جل اهتمامهم ، حتى انه لم يبق للصغار مكان الا في اطراف من الادب الشعبي ، مما في الحكايات المسموعة و « الحواديت » الساذجة التي يكون لها اكبر الاثر في تشويه ثقافة الطفل وتخريب خيالاته ، ومن ثم في تردية شخصيته ، والاكثر من ذلك ، ان نصوص الادب الشعبي ، التي يطلق عليها لفظ « نصوص » مضافا الى لفظ « الادب » ما يزال معظمها مليئا بالخرافات والخزعبلات ، ومازال معظمها مواعيظها وحكمتها يغطي عليه بهارة الاسطورة ، ومازال معظمه للتسلية ، تسلية الصغار .. والكبار احيانا . ومثل ذلك « الف ليلة وليلة » و « قصة بني هلال » .

الا ان في العصر الحديث ، قل مثلا منذ العشرينات ، بدأ الكتاب والمؤلفون والشعراء يعنون بالصغار ، ويقدمون لهم ، حتى وصل الحال بأدب الاطفال الى ما هو عليه الان ، بما فيه من نواحي الكمال ونواحي القصور ، مثلا قدم امير الشعراء شعرا يتحدث الى الاطفال والى الصبيان في المدارس ، وقدم الكيلاني سجلا من القصص . الا انه عندما بدأت اداب العربية تدخل عالم الطفل ، وجدت ان خطوتها هذه جاءت متأخرة ، بعد عصور تتلوها عصور من ضآلة التجربة وقلة الخبرة وضحالة المعرفة ، فضلا عن تشويه الخيال وتزويد العقل الباطن للطفل بخرافات عن المخلوقات العجيبة مثل

« العفريت » و « الام الغولة » و « بساط الريح » و « الجدي الطائر » الذي ينقل خيال الطفل الى اخر الدنيا في غمضة عين ، واختصاره ، ان اللغة العربية عندما دخلت ادابها عالم الطفل ، لم تجد – ولو في البداية – مناخا ملائما ، ولا تربة صالحة لنمو شجرتها ، وازدهار ادابها الرفيعة ، سواء عند الكتاب ، اوعند الناشرين ، او عند القراء من الاطفال .

حتى اذا ما حل في الدهر منتصف هذا القرن « الميلادي » تقريبا ، كان التطور قد اتخذ بعدا اخر ، حيث شهد العقد الخامس فيضا من الادب في عالم الاطفال ، وبدأت مؤسسات ودور النشر تعترف بهذا العالم وتشعر بضرورة الدخول اليه مدخلا جديا ، كما ان اعتراف الكتاب بهذا العالم – بعد تغير نظرة المجتمع الى الطفل من اعتباره شيئا صغيرا الى اعتباره انسانا صغيرا ورجلا في دور التنشئة يجب ان تعد له المدارس وتلقن له الدروس ويحاط بوسائل العناية واسباب الحفظ – اخذ يتزايد ، واصبح الكثير منهم يعني بما يزود به ، باعتباره فنا جادا من فنون الادب .

هذا العصر ، عصر جديد ، عجيب ، غريب ، من الحق – عندما يتصل الحديث عن تربية الاطفال وبناء النشء – ان يقال انه « عصر الافات » ليس فحسب ، بل وان يقال عنه ، « عصر الاستفحال لاخطار الافات » عصر تطورت فيه وسائل الغزو الفكري والنفسي لعالم الطفل ، تطورت من صندوق الدنيا وخيال الظل ، الى المنياه « التلفاز » و « الفيديو » ، ومن « الحكاية » او « الحدوتة » الى الكتاب الخرافي او الرواية الجنسية ، واصبح الطفل فيه – ومن بعد ذلك الشاب ثم الرجل – هدفا حيويا توجه اليه – بمهارة – سهام هذه الآفات ، أرأيت الى البعوضة ، تأخذ القليل من دم المريض ، ثم تحقنه في الدم السليم ، فتعديه كله ، وهكذا هذه الآفات الفكرية ، تنقل الفساد حيث يكون ، في مجتمعات الغرب وشوارعه ومنتدياته ، او مجتمعات الشيوعيين الملحدين وشوارعهم ومنتدياتهم ، او في اوكار الفساد ايا تكون ، ثم تحقنها – بوسائلها الجهنمية – في عقول اطفالنا وغلماننا ، ونفوسهم وافكارهم .

لهذا ، أهيب بكل من له دور في عالم الطفل ، او بعبارة ادق ، اهيب بكل من يجب ان يكون له دور ، من اب او ام ومدرسة ومؤلف وناشر ودولة ، ان يدرك دوره ادراكا صحيحا ، وان يمارسه ممارسة صحيحة ، فليعمل كل منهم على انشاء جيل جديد ، تكون للأمة فيه حياة جديدة ، وليضع الكل نصب عينيه ، ان .. انهم مستقبلنا ، ليس فحسب ، انهم أمانتنا ، ليس فحسب ، انهم ... أبناؤنا .

(وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) .

الفرقان : ٥٤



العلم في القرآن الكريم

للدكتور : احمد حسنين القفل

مناقشة هذه الآية الكريمة علميا يمكن ان تشمل ثلاثة اتجاهات :
اولا : قوله تعالى « **وهو الذي خلق من الماء بشرا** »

و« الماء » هنا معناه « السائل المنوي » الذي تسبح فيه النطفة او ما تشيع تسميته علميا « بالحيوان المنوي » او « المشيج المذكر » (شكل ١) . والحيوان المنوي تصنعه خصية الرجل البالغ . وهو وحده لا يمكنه ان يكون خلقا جديدا « بشرا » ولكن يلزم

ان ينـدمج معـه ما يعـرف علميا « بالمشيج المؤنث » او « البويضة » (شكل ٢) وهذه يصنعها مبيض المرأة البالغة في فترة خصوبتها (بعد البلـوغ وقبـل الـوصـول الى سن اليأس) . وعلى اثر اندماج الحيوان المنوي بالبويضة في ظاهرة تعرف علميا « بالاخصاب » تتكون ما يعرف باللاقحـة (البويضـة المخصبة او الزيجوت) وبانقسام هذه تباعا في رحم الام يتكون انسان جديد من البشر ، يبدأ حياته في قرار مكين (الرحم) (شكل ٣) ثم ينزل بعد الولادة الى هذه الحياة الدنيا ليعيش أجله المسمى الذي قدره الله له .

وفي الانسان بالـذات ـ وكذلـك الحيوانات التي تشابهه في التناسل ـ لا بد من اخصاب البويضة بالحيوان المنوي لكي تتكون اللاقحة وبالتالي الخلق الجديد ، واذا فشلت عملية الاخصاب امتصت البويضة وتلاشت ولهذا اشارت الآية الكريمة الى بداية الخلق من النطفة ـ كما سجلت ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم ـ . ولولا ماء الرجل الذي تسبح فيه الحيوانات المنوية لما كان هناك حياة لانسان على وجه الارض . لماذا ؟ ليس لان النطفة هي التي تخصب البويضة فتتكون بذلك اللاقحة التي تنقسم فتكـون الفرد الجديد كما سبق القول . ليس لذلك فحسب . ولكن لأنه عن طريق النطفة ـ وعن طريقها فقط ـ تكون الذكورة والانوثة في بني البشر . وهل يمكن ان تستمر حياة دون ذكور واناث ؟ ولكن كيف يكون ذلك ؟ يكون ذلك لان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمتـه في سبيل استمـرار حيـاة البشر ـ وغيرهم ـ على وجه الارض اقتضت ان تصنع خصية الـرجل نوعين من الحيوانات المنوية : احدهما يحمل صبغيا (كروموزوم) جنسيا مماثلا للصبغي الجنسي الموجود في البويضة وحين يندمج معها يكون لاقحة انثى . اما النوع الاخر من الحيوانات المنـوية فيحمـل صبغيا جنسيـا يخـالف الصبغي الجنسي الموجود في البويضة وحين يندمج معها يكون لاقحة ذكرا . وعلى هذا الاساس يتنوع البشر ذكورا وأناثا ولولا هذا التنوع لما كان هناك التزاوج ولما تسلسلت حياة البشر ـ وغيرهم ـ على الارض جيلا بعد جيل . ولقد اكتشف العلم هذه الحقيقة مؤخرا عندمـا ازدهرت علوم الوراثة بداية من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، مع ان القـرآن الكريم قـد سجلها جليـة واضحة قبل ذلك بعشرات المئات من السنين . يقول سبحانه : (**وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى . من نطفة اذا تمنى**) النجم/ ٤٥ ـ ٤٦

(**ايحسب الانسان ان يترك سدى . الم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى**)القيامة / ٣٦ ـ ٣٩

وعـلى اثر الاخصـاب وتكـوين اللاقحة ، تنقسم هذه تباعا لتتكون بذلك الاطوار الجنينية في رحم الام ،

كمرحلة لا بد منها في بداية خلق الانسان ، ويزداد حجم الجنين ، وبالتالي رحم الام كل يوم بمقدار حسب ما اراد الله له : يقول سبحانه :

(الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) الرعد/٨

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين .) المؤمنون ١٢ - ١٤ .

(يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ..) الحج /٥

(الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم .) المرسلات /٢٠ - ٢٢

ولما كانت اللاقحة التي يتكون منها الفرد الجديد ، هي نتيجة اندماج الحيوان المنوي من الاب مع البويضة من الام ، فان الصفات الوراثية في اللاقحة تكون بذلك امتزاجا للصفات الوراثية من الاب (٥٠٪ تقريبا) وللصفات الوراثية من الام (٥٠ ٪ تقريبا) ، وينشأ الفرد الجديد من البشر وبه هذا المزيج من الصفات الوراثية التي تجعله فردا له شخصيته (ذاتيته) التي لا يشاركه فيها انسان غيره قط (الا في القوائم النموذجية) فكل فرد من البشر كما يقال « نسيج وحده » في كل صفاته - ومن الناحية العلمية ، ثبت وراثيا ان الصبغيات (الكروموزومات) التي تتكون منها نواة اللاقحة تحمل في طياتها (على الجينات) كل الصفات الخلقية (الجسمية) التي يتميز بها الفرد الجديد عن كل فرد اخر من سائر البشر ، يتميز بها وهو جنيني في بطن امه ، وبعد ان يولد ، وطول حياته حتى الموت ، ولو بلغ ارذل العمر . ولو ان هذه الصفات التي تتسع لها الصبغيات - على ضآلة حجمها - لو انها ترجمت الى كلمات لما اتسع لتسجيلها عشرات المجلدات الضخمة . ومن هنا يتبين العمق الحقيقي لمدلول حديث النبي الامي الذي لا ينطق عن الهوى في قوله - صلى الله عليه وسلم - « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » رواه البخاري ، قالها عليه الصلاة والسلام قبل ان نعرف شيئا عن قوانين الوراثة ومدلولاتها وابحاثها بعشرات المئات من السنين ، فسبحان من علمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما .

عند بدء الاخصاب وتكوين اللاقحة ، لوحظ - في الحالات الطبيعية - وجود جاذبية بين الحيوان المنوي والبويضة ، فوجود الجاذبية

هذه ضمان للاخصاب الذي يتم في العادة بحيوان منوي واحد لا اكثر . وعلى هذا الاساس تتم الجاذبية بين البويضة وبين حيوان منوي به صبغي جنسي مشابه لما فيها ، فتتكون بذلك لاقحة أنثى ، أو بين البويضة وحيوان منوي به صبغي جنسي مخالف لما فيها فتتكون بذلك لاقحة ذكر ، او قد لا يتم التجاذب بين الحيوان المنوي والبويضة لسبب او لاخر فلا يتم الاخصاب ، ولا تتكون اللاقحة ، واذا استمرت الظاهرة الاخيرة كان العقم (عدم الانجاب) . وعلى اساس الحقيقة السابقة ، فان الزوجة قد تنجب اناثا فقط او ذكورا فقط ، او ذكورا واناثا معا ، او قد لا تنجب اطلاقا رغم سلامة الزوجين من الناحية الصحية - وكل هذا يتوقف على الجاذبية الكائنة بين الحيوانات المنوية بنوع منها او بنوعيها معا او عدم الجاذبية بينها وبين البويضة وتدل هذه الظاهرة على ان انجاب البنات هي مسئولية الزوج في الجزء الاكبر منها . وعلى الذين يلومون زوجاتهم لانهن ينجبن بنات ان يدركوا هذه الحقيقة . ويسجل القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية الوراثية وقبل ان ندرك اسبابها الحقيقية . يسجلها قبل معرفتها بعشرات المئات من السنين . يقول سبحانه .

(لله ملك السماوات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) الشورى / ٤٩ - ٥٠



(شكل ١) تركيب الحيوان المنوي

وبناء على المناقشة السابقة ، يتضح ان الله العلي القدير ، قد شاءت حكمته ان يخلق من الماء اي المنى « بشرا » اي رجالا ونساء ، وان هذا التنوع في الخلق بين ذكور واناث هو السبب الاساسي في استمرار حياة البشر على الارض . وتكون الاشارة الى خلق البشر من « الماء » هي لفت النظر الى ان الانسان - والانسان بالذات - لا بد ان يكون نتيجة تزاوج بين ذكر وانثى ، بل وتأكيد لهذه الحقيقة . فالذكر وحده ، او الانثى وحدها لا

يمكن لاي منهما ـ في حالة الانسان ـ ان ينجب ذرية ـ اما في حالة بعض الحيوانات الاخرى فقد تكون الانثى قادرة وحدها ، ودون الذكر ، على انجاب ذرية بظاهرة تعرف علميا « **بالتوالد العذري او البكري** » ومثال ذلك حشرات المن والاطوار اليرقية للديدان المفلطحة وانتاج الذكور في حشرات النحل والنمل . بل ان بعض الحيوانات التي تتناسل بحيوانات منوية وبويضات ـ كما هو الحال في الانسان ـ قد امكن اجبار بويضات الانثى غير المخصبة على الانقسام وتكوين اجنة (بدون حيوان منوي) باستخدام وسائل خاصة (اشعاع ذري ـ هرمونات ـ وخز بالابر) وقد تم ذلك في اناث الضفادع والارانب . لكن هذا لا يمكن ان يحدث في الانسان ، ولو حدث لكانت كارثة ، ولهذا ركز القرآن الكريم على بداية الخلق من النطفة في كثير من آياته ، واكدها ، وزاد الله الامر تأكيدا بولادة سيدنا عيسى من غير اب ، وجعلها سبحانه معجزة خارقة للعادة ، لا يمكن تكرارها ، والمعجزات امور لا يقاس عليها .

ثانيا : **قوله تعالى (فجعله نسبا وصهرا)**

الاسرة هي اللبنة التي تتكون منها المجتمعات البشرية وتتكون الاسرة في العادة من الاب والام والاولاد ذكورا كانوا ام اناثا ، وتنسب الاولاد الى الاب في الاسرة ، وتتم المصاهرة بين الاسر وبعضها البعض عن طريق البنات ـ والبشر جميعهم ينسبون الى ادم عليه السلام ، فهم « بنو آدم » وهو ابو الآدميين جميعا ، هذا هو النسب في حالة الانسان . اما النسب في حالة الحيوانات الاخرى ـ ان تم ـ فيكون غالبا منسوبا للام لانها هي التي ولدت او وضعت البيض ، وغالبا ما يكون الاب مجهولا ، اذ يكون الاخصاب عشوائيا ، لا يتحدد فيه الاباء . والحيوانات ـ من غير الانسان ـ تنظم تناسلها بالغريزة (الفطرة) ، فقلما يتعدى ذكر على انثى الا في وقت الحاجة تماما ، ولابقاء النوع ، وقلما تقبل الانثى الذكر ، الا وقت الحاجة تماما ، وقد تقبله مرة واحدة في حياتها التي تطول لسنوات محتفظة بما حصلت عليه من حيوانات منوية لتتصرف فيها بالقدر اللازم لتصريف امور نتاجها (النحل والنمل) . اما الانسان فهو المخلوق الوحيد تقريبا الذي غالبا ما يزاول العملية الجنسية للمتعة اكثر مما يزاولها للانجاب ، فكثيرا ما تتم المباشرة بين الزوج وزوجه الحامل لا لغرض الا للمتعة ، وهذه المتعة في الانسان هي الاساس في برامج « تنظيم الاسرة » في كثير من اقطار الدنيا .

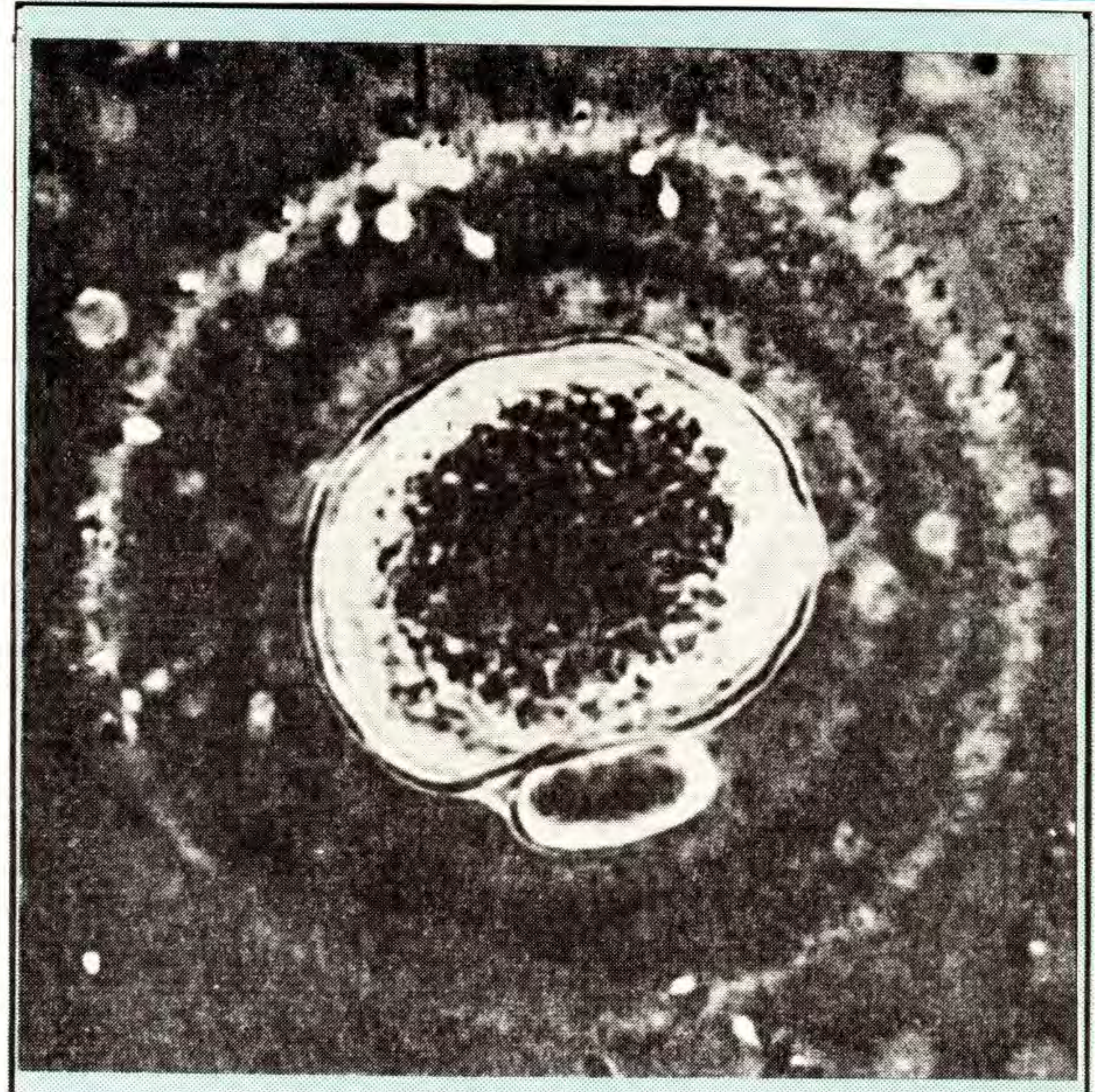
وبناء على ما سبق يكون المعنى القريب او المباشر للآية الكريمة ، هو خلق البشر رجالا ونساء من الماء الدافق (المنى) ليتم بينهما ـ بين الجنسين ـ التزاوج الذي عن طريقه

يتم النسب والمصاهرة ، نسب البنين الى الآباء ، والمصاهـرة بين الاسر وبعضها البعض عن طريق البنات ـ وبذلك يرتبط الجميع بوشائج الدم وصلات القربى ، هذا المعنى واضح في قوله تعالى :
(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم / ٢١

امـا المـعنى البـعيـد للنسـب والمصاهرة فيمكن ان نتصوره علميا على النحو التالي :
اي فرد من البشر ، ومنذ ان دب ادم على الارض وحتى تقوم الساعة ، اي فرد لا بد ان يبدأ حياته بلاقحة على اثر اخصاب يتم بين حيوان منوي من اب وبويضة من ام ، اي بين مشيجين تناسليين من فردين سابقين له في الوجود . فهو اذن يبدأ بخلية تناسلية واحدة (اللاقحة) تنقسم تباعا ودون توقف فتكون بذلك الفرد الجديد ذكرا كان او انثى بكل مكوناته من انسجة واعضاء واجهزة تختلف عن بعضها اختلافا شاسعا (شكل ٤) . وبناء على مـاسبق ، فهناك ملاحظات علمية يمكن ان نسوقها على الوجه التالي :
١ ـ يبدأ الفرد الجديد ـ اي فرد جديد ـ بلاقحة ، وما هي الا خلية واحدة نتجت عن اندماج حيوان منوي من رجل مع بويضة من امرأة . ومن ثم تكـون اللاقحـة نتـاج خليتـين تنـاسليتين (انصـاف خليتين من الوجهة الوراثية) فقط . ولهذا تمثل اللاقحة ما يعرف علميا « **بالبلازما التناسلية** grem plasm »

٢ ـ البلازما التناسلية الممثلـة في الـلاقحة تنقسم ثم تنقسم تبـاعا فيتكون بذلك الفرد الجديد بتمامه وكماله ، والذي يتكون بـدوره من « بلازما تناسلية » ممثلة في الخلايا التناسلية التي ينتجها جهازه التناسلي بالاضافة الى بلازما اخرى تعرف علميا باسم « **البلازما الجسميـة** somato plasm **او البلازما الخضرية** Vegetative plasm » ممثلة في كل ما عدا الخلايا التناسلية ، فهي ممثلة في كل الانسجة والاعضاء والاجهزة التي يتكون منها الجزء الاكبر من الفرد الجديد (شكل ٤) .

ويتضح مما سبق ان البلازما التناسلية قد اعدها الله لتنتقل من فرد الى اخر . فقد انتقلت اول ما انتقلت من آدم ابي البشر وزوجته حواء في صورة لاقحات كونت كل منها فردا من ذرية آدم الاولى (الجيل الاول) ثم انتقلت من الجيـل الاول ـ بعـد التزاوج ـ الى الجيل الثاني ومن هذا الجيل الى جيل لاحق وظلت وستظل تنتقل من جيل الى جيل على هذا النحو السابق حتى يرث الله الارض ومن عليها (شكل ٤) ـ ومعنى ذلك ان « **البلازما التنـاسلية لهـا كفاءة الخلود** » فما انتقل منها بداية من آدم سوف يظل ينتقل وينتقل حتى تقوم الساعة ـ ومعنى ذلك ببساطة ان



شكل (٢) رسم فوتوجرافي دقيق لبويضة حية من مبيض سيدة . ويلاحظ الجسم القطبي (على اليمين) فائدته تخليص البويضة من نصف عدد صبغياتها ليبقى فيها النصف منها فقط . وترى الحيوانات المنوية (مشار اليها باسهم) التي وصلت الى مشارف البويضة يحاول واحد منها ان يدخلها .
لاحظ النسبة بين حجم البويضة وحجم الحيوان المنوي .

كل آدمي دب أو سيدب على ظهر الارض من عهد آدم وحتى يوم القيامة ، كل آدمي هو امتداد لابي البشر آدم عليه السلام ، وفيه منه « بقية » هذه البقية هي البلازما التناسلية التي يسلمها كل جيل سابق لكل جيل لاحق . ويترتب على ذلك ايضا انتقال الصفات الوراثية من جيل الى جيل ، وبهذا يكون الارتباط نسبا ومصاهرة عن طريق التكاثر

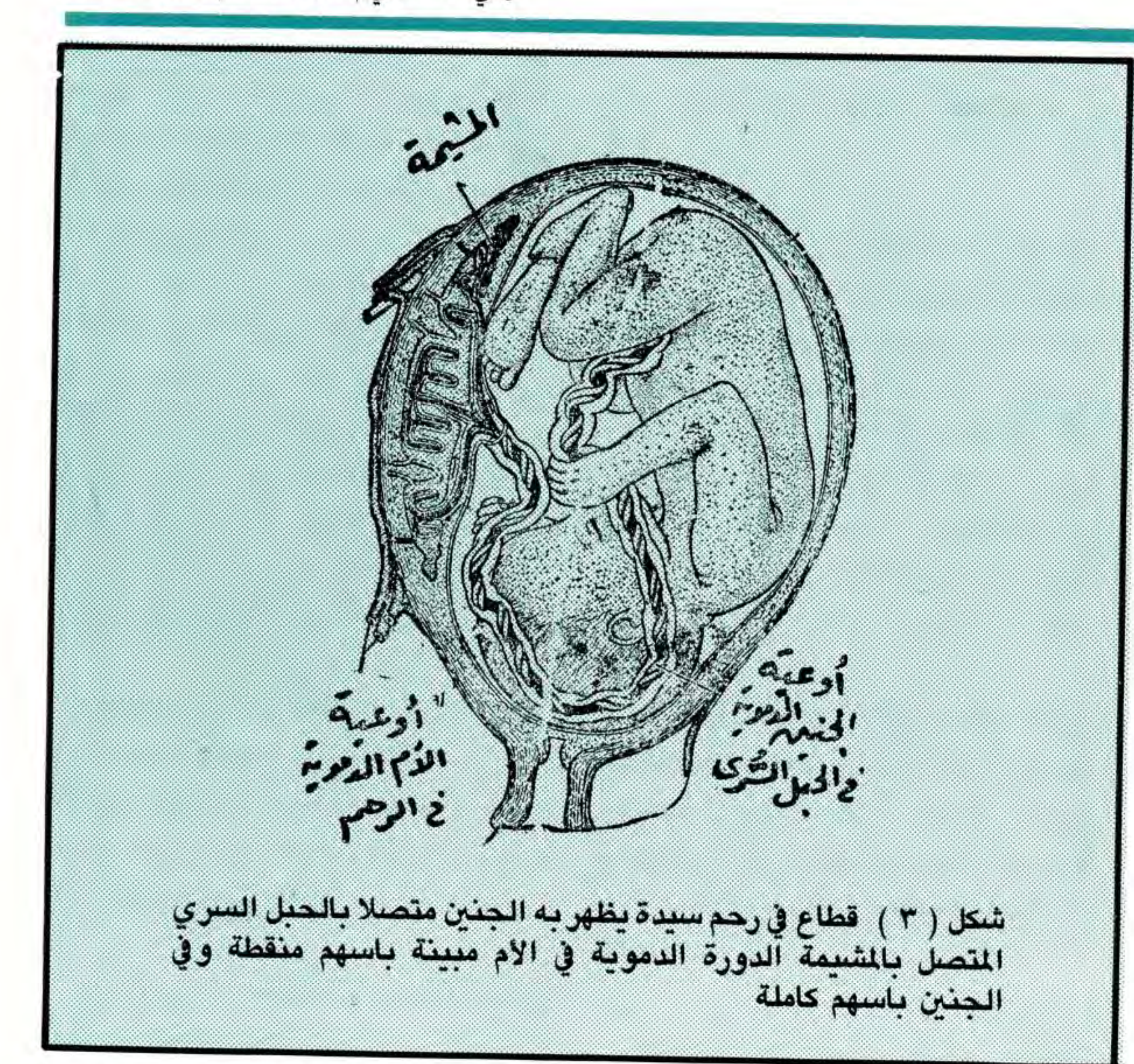
بالتزاوج او ما يعبر عنه القرآن الكريم « بالنكاح » .

والفرد الجديد الذي بدأ حياته جنينا بالبلازما التناسلية (اللاقحة) وحدها ودون شريك قد تكونت في هذا الفرد ومن هذه البلازما تباعا اثناء الاطوار الجنينيةوما بعدها ، قد كونت فيه من جديد بلازما تناسلية (خلايا تناسلية) بالاضافة الى كل جسمه الباقي الذي يتكون من البلازما الجسمية . وعليه يؤكد العلم ـ في حالة الانسان ـ ان البلازما التناسلية قادرة بانقساماتها على تكوين بلازما تناسلية جديدة مع بلازما جسمية وليس العكس صحيحا ، اي ان البلازما الجسمية لا يمكن بحال ـ في حالة الانسان ـ ان تكون بلازما تناسلية البتة . مع انه في بعض الحيوانات الاخرى من غير الانسان ـ مثل العدار (الهيدرا) والاسفنج وبعض الديدان المفلطحة (بلاناريا) (شكل ٥) وغيرها ـ يمكن ان تكون البلازما الجسمية بلازما تناسلية وجسمية من جديد ، فاذا قطع الحيوان قطعا (اربا) فان كل قطعة ـ تمثل بلازما جسمية ـ يمكنها ان تكون حيوانا جديدا قائما بذاته له جهازه التناسلي (بلازما تناسلية) واجهزته الجسمية الاخرى (شكل ٥) .

البلازما الجسمية في اي فرد آدمي مآلها الموت لا محالة . بل قد يموت بعضها ولا زال صاحبها حيا يرزق (مثل كرات الدم الحمراء ، وكثير من الخلايا الطلائية على الجلد او في باطن القناة الهضمية) . لكن حين ينتهي الاجل المسمى فيموت الانسان برمته ، فانه يموت بكل اجهزته بما فيها من خلايا تناسلية بقيت فيه ـ لكن خلاياه التناسلية (الحيوانات المنوية في الرجل والبويضات في الانثى) التي قدر لها ان تشترك قبل موته في تكوين لاقحات تبقى كامتدادات له فقد انتقلت منه اثناء حياته لتشترك في تكوين ابنائه او بناته .. وهكذا على نحو ما وضحناه سابقا . ولهذا يحلو لبعض العلماء ان يقول معبرا عن هذه الظاهرة « ما البلازما الجسمية في اي فرد الا مجرد عربة وظيفتها الاساسية ان تحمل وتحافظ على البلازما التناسلية حتى تسلمها الى غيرها » اليس هذا صحيحا ؟ .

واذا كان القارىء الكريم قد اخذ فكرة عن امكانية خلود البلازما التناسلية على النحو الذي وضحناه سابقا ، فانه يستطيع ان يستنتج على الفور « عمق النسب » الذي يعنيه هذا التعبير في الآية الكريمة . كما يمكن ان يرن في اذنه عمق هذا النسب ، كلما سمع اللفظ او النداء « يا بني آدم .. » في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

بقيت فكرة لا بد من تسجيلها عن ارتباط « الارحام » في كل ابناء آدم . والرحم في المرأة هو جزء من جهازها



شكل (٣) قطاع في رحم سيدة يظهر به الجنين متصلا بالحبل السري المتصل بالمشيمة الدورة الدموية في الأم مبينة باسهم منقطة وفي الجنين باسهم كاملة

التناسلي - بلازما جسمية - حيث يربى الجنين وهو المسمى « بالقرار المكين » في قوله تعالى :

(الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون) المرسلات / ٢٠ - ٢٣ .

في الاسرة الواحدة المكونة من اب وام واحدة لأبناء متعددين ذكور واناث ، يكون جميع الأبناء قد سكنوا على فترات متتالية رحم هذه الام لا محالة ، فصلة الرحم بينهم واضحة بلا غموض واذا كان لهذه الام اخوة واخوات من اب وام واحدة فهم لا شك بدورهم قد جمعهم رحم هذه الام (جدة الاسرة الاولى) وهكذا اذا تسلسلنا خلقا على هذا النحو ، فسوف نصل الى :

١ - ان رحم حواء قد سكنه على فترات كل اولادها من آدم ، ذكورا كانوا ام اناثا .

٢ - ان اناث الجيل الاول اللائي تزوجن باخواتهن قد سكن ارحامهن كل اناث وذكور الجيل الثاني .

٣ - واذا تسلسلنا على النحو السابق

لوجدنا ان كل ام لاحقة قد سكن رحمها ذكور واناث من ابنائها وبناتها لكن هذه الام بدورها كانت اختا لذكور واناث سكنوا رحم ام سابقة . ومعنى ذلك بعبارة اخرى :

● ان حواء هي ام لابنائها الذكور والاناث من الجيل الاول .
● ان حواء هي ام لامهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الثاني
● ان حواء هي ام لامهات أمهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الثالث .
● ان حواء هي ام لامهات امهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الرابع .

وهكذا يمكن ان نسلسل حتى لنجد ان « صلة الرحم » تربط كل من في الارض جميعا رجالا ونساء منذ وجدت حواء على الارض وإلى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ونخلص من مناقشتنا السابقة عن البلازما التناسلية والارحام ان الناس جميعا تربطهم وحدة التكوين كما تربطهم وشائج الدم (القرابة) . واذا استقرت هذه الحقيقة في ذهن كل انسان اتضح له ان الناس كلهم متساوون فليس لجنس امتياز على جنس اخر الا بالتقوى والعمل الصالح ، فتكريم الانسان لا يكون بلون ضد لون ، او جنس ضد جنس ، او قومية ضد قومية ، انما التكريم بالتقوى كما ينص على ذلك قوله تعالى :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات / ١٣ .

وهكذا تكون البلازما التناسلية وخلودها ، وتكون الارحام وصلاتها ، تكون هذه وتلك سببين شديدين « النسب والمصاهرة » كما ورد في الاية الكريمة ، واذا كان القارىء قد تدبر وتمعن في هذين البعدين تدبرا شديدا وتمعنا عميقا ، فبامكانه ان يقرأ قول الحق تبارك وتعالى مدركا هذين البعدين اشد الادراك . يقول سبحانه :

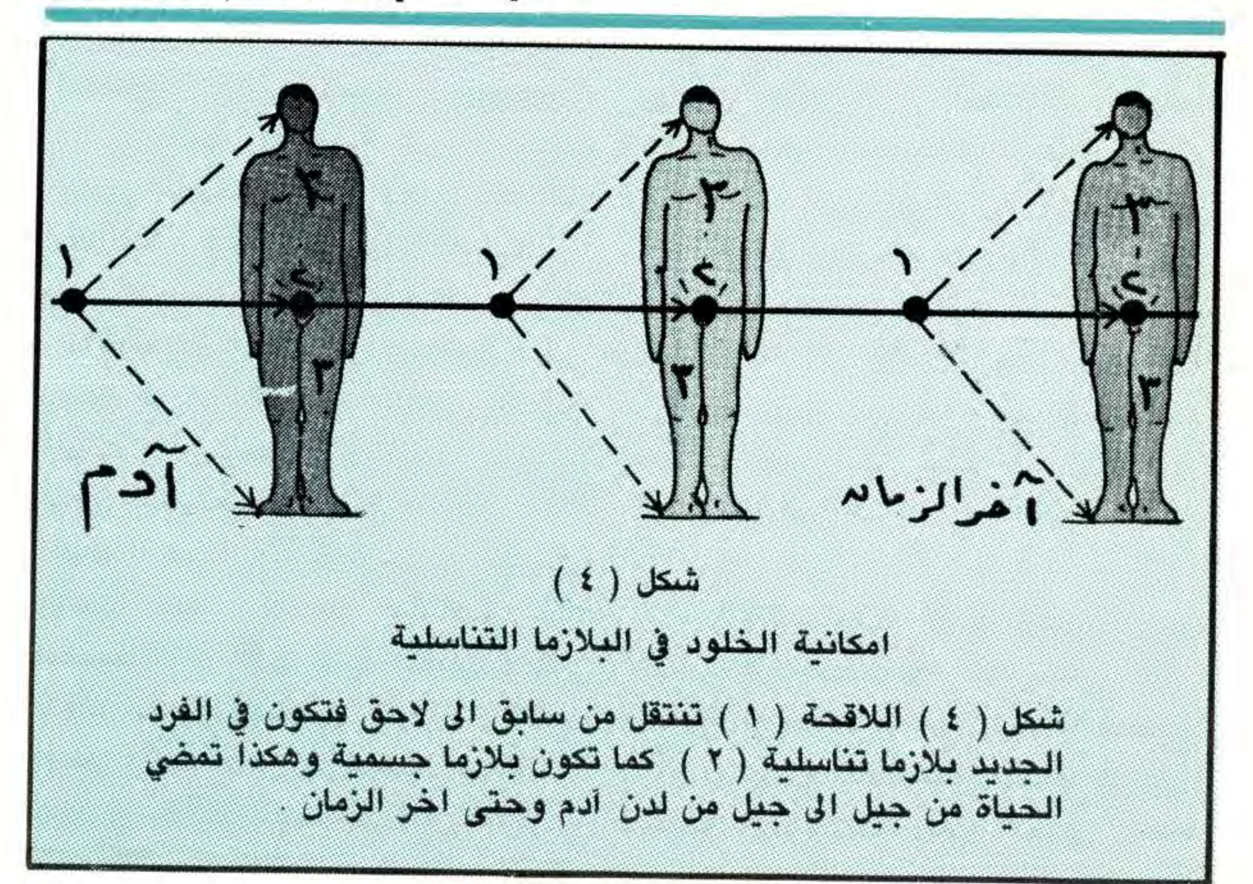
(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا .) النساء / ١

فالنداء من الله الى الناس باتقائه لانه سبحانه :

١ ـ قد خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وهذا ما يتعلق بالبلازما التناسلية فكلهم مخلوقون بالتسلسل منها كما سبق القول . والنداء موجه للناس منذ وجود ادم وحتى تقوم الساعة .

٢ ـ وعبارة « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » تشير الى تنوع الحيوانات المنوية وبالتالي انتاج ذكور واناث من البشر في كل زمان ومكان .

٣ ـ واتقاء الله والارحام معناه ملاحظة الصلات المتينة بين الناس ،



شكل (٤)

امكانية الخلود في البلازما التناسلية

شكل (٤) اللاقحة (١) تنتقل من سابق الى لاحق فتكون في الفرد الجديد بلازما تناسلية (٢) كما تكون بلازما جسمية وهكذا تمضي الحياة من جيل الى جيل من لدن آدم وحتى اخر الزمان .

وكأنهم افراد اسرة واحدة يرتدون جميعا الى رحم واحد .

ثالثا : قوله تعالى « وكان ربك قديرا . »

لا يستطيع احد ان يحصي اثار قدرة الله التي تتجلى في كل شيء خلقه . لكن الآية الكريمة التي نحن بصددها تعالج خلق البشر من ماء التناسل (المنى) على النحو البديع والمعجز الذي نرجو ان نكون قد وضحناه سابقا . وفي هذا المجال وحده يمكن ان نتأمل معا الملاحظات الآتية :

١ ـ شاء الله وقدر ان يخلق الحيوان المنوي كما تصنعه الخصية شاء ان يجعله في صورة تخالف صور اي خلية اخرى في جسم الانسان (شكل ١) ، فجعله متحركا مكونا من رأس وذنب ومعدا بشكل خاص يؤهله لاداء وظيفته على الوجه الاكمل . فكان خفيف الوزن ، رشيق القد ، كثيرة اعداده اذا ما قورنت باعداد بويضات الانثى (النسبة بالحجم ١ : ٢٥٠,٠٠٠) وهذا ما يجعل فرصة التلاقي والاخصاب كبيرة . فالمعروف ان المشيج المذكر هو الذي ينتقل الى حيث توجد البويضة في جهاز المرأة التناسلي ، وعليه فاذا لم يكن مكيفاً بالشكل المطلوب ، والحجم المناسب والحركة الملائمة ، التي هيأها الله جميعا له ، لو لم يكن كذلك ، لما امكنه ان يزاول مهمته الشاقة على الوجه الاكمل ، ليكون هناك رجال كثير ونساء .

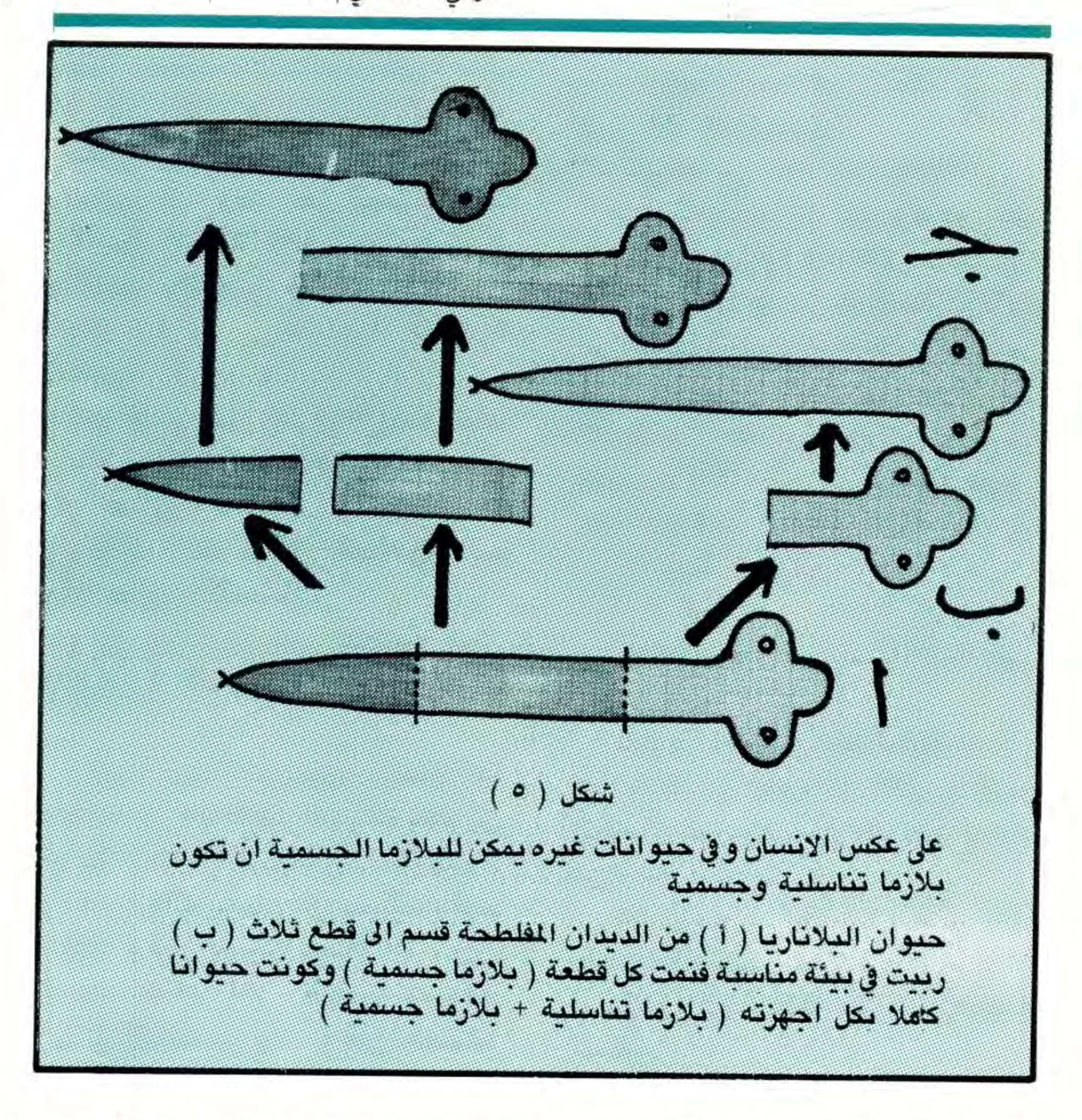
٢ ـ على عكس جميع خلايا الجسم

الاخـرى ـ اي خـلايـا البـلازمـا الجسمية ـ فان الامشاج بنوعيها ، لها طريقتها الخاصة في الانقسام الـذي اختصها الله بهـا لتتكاثـر اعدادها ، ولتعد نفسها للاخصاب . وتعـرف هـذه الطـريقـة علميـا « بالانقسام الاختزالي » ونتيجته ان يحمل كل من المشيج المذكر والمشيج المؤنث ، ان يحمل كل منهما « نصف عـدد الصبغيـات فقط » حتى اذا اندمجا معـا بالاخصـاب ، تكونت لاقحـة بها « العـدد الكـامـل من الصبغيات » الذي يشبه نظيره في كل خلايا الجسم الاخرى . ترى من الذي افهم الامشاج ان تسلك هذا المسلك ؟ انها لو خالفته بمسلك آخر لنشأت لاقحة لا تمت لصاحبها بصلة ، ولما تم تكوين الخلق الجديـد على الـوجه المرضي ، بل قد لا يتأتى تكوينه كلية . انها قدرة الله الخالق ، الذي خلق فسوى . وقدر فهدى .

٣ ـ مكن الله بقدرته اللاقحة ـ وهي خلية واحدة ـ مكنها من الانقسام المتوالي لتكوين الفرد الجديد بخلاياه التي تعـد بالبـلايـين وبـأنسجتـه المختلفـة ، وباعضـائـه واجهـزتـه المتباينة . ترى من الذي مكن لمثل هذه الخلية التي لا تزن سوى جزء واحد من بلايين البلايين البلايين الاجزاء من الجرام الواحد ، من الذي مكنها على ان تنقسم فتكون فردا قد يصل وزنه الى مائة كيلو جرام أو يزيد ؟ ونواة اللاقحة التي لا تشاهد الا بالمجاهر المكبرة كثيرا كنقطة حبر على ورقة بيضاء ، هذه النواة هي سجل كامل وحافل بكل الصفات الوراثية التي تجعل الفرد الجديد وطوال حياته فرداً له « شخصيته او ذاتيته » التي ينفرد بها عن كل ما سواه منذ خلق ابيه ادم وحتى تقوم الساعة . وما البصمة الا مثال واحد من امثلة عديدة تدل على هذه الذاتية . هذا صنع الله ، فهل يمكن ان يدانيه في صنعته احد ؟

والانقسامات الاولى للاقحة تؤدي الى خلايا متشابهة ، فمن الذي يأمر خلية او مجموعة من الخلايا محددة ان تسير في اتجاه معين تخالف مسيرة خلية او مجاميع خلايا اخرى ؟ هذه تكون جهازا دوريا ، وتلك جهـازا عصبيا ، وثالثة عظما ، ورابعة لحما و ... الخ . وعلماء الاجنة يعرفون تمام المعرفة ان الخلية التي تتجه لتكوين مشيج او جهاز بعينه تظل على مسيرتها دون ان ترتد او تنكص على العقب مهما وقع عليها من تأثير . انها تصر على تنفيذ ما امرت به . انها ملائكة الرحمن تجعل من اللاقحة خلقا اخر ، انسانا بكل صفاتـه ، فتبارك الله احسن الخالقين .

والانسان الكامل يكون جسمـه متماثلا ، بمعنى ان شقه الايمن يشبه الى حـد بالـغ شقه الايسر ، ففي الحالات الطبيعية ، لا نجد خلافا بين اذن يمنى واخرى يسرى ، ولا بين ذراع ايمن وذراع ايسر وهكذا . بل ان الشعر يتوزع على الجسم في تماثل



شكل (٥)

على عكس الانسان و في حيوانات غيره يمكن للبلازما الجسمية ان تكون بلازما تناسلية وجسمية

حيوان البلاناريا (ا) من الديدان المفلطحة قسم الى قطع ثلاث (ب) ربيت في بيئة مناسبة فنمت كل قطعة (بلازما جسمية) وكونت حيوانا كاملا بكل اجهزته (بلازما تناسلية + بلازما جسمية)

تام ، حتى اذا شاب بعضه عن يمين ، شاب نظيره عن شمال . وقس على ذلك الكثير الكثير . من الذي امر الخلايا ان تسلك مسلكا معينا ؟ وما هي التوجيهات الحازمة التي لا تجعل يمينا يشذ عن شمال . العلم لا يعرف عن ذلك شيئا . لكن علم الله المحيط هو الذي تكمن فيه اسراره . وقدرته تعالى تتضح في مظاهره التي تحير العقول .

٤ ـ مكن الله البلازما التناسلية في صورة اللاقحة ان تكون الخلق الجديد بكل مركباته من بلازما تناسلية واخرى جسمية (شكل ٤) وشاءت حكمته وفي الانسان خاصة الا يحصل العكس ، فلا تكون البلازما الجسمية فردا جديدا (كالحال في بعض الحيوانات الاخرى) ، وقد جعل سبحانه للبلازما التناسلية كفاءة الخلود بانتقالها من سابق الى لاحق من لدن آدم وحتى تقوم الساعة ،

وجعل وسيلتها الى ذلك الخلود ارحام الامهات التي تكفل لها الاستمرار والحياة ، وبالتالي يتم « النسب والصهر » . ومن هنا اصبح لفظ « الرحم » ومشتقاته رمزا للصلة والقرابة والرحمة في كثير من آيات الذكر الحكيم ، والاحاديث القدسية الشريفة يقول سبحانه :

(هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم) آل عمران / ٦

(واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) النساء/١

(واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) الانفال/٧٥

وفي حديث قدسي يقول سبحانه ما معناه : ان الله اشتق اسم الارحام من اسمه تعالى (الرحمن ـ الرحيم) وانه سبحانه يحض على وصلها وعدم قطعها ، فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله . ويقول سبحانه انذارا للقاطعين لها : **(فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم .) محمد /٢٢ ٨ ٢٣**

رابعا : حول النسب والمصاهرة :

واكمالا للفائدة ، وتوضيحا للآية الكريمة ، نسجل هنا خواطر مفيدة عن النسب للانبياء الذي حدث على اثر المصاهرة وتكوين العائلات .

١ ـ وتبدأ بالرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم :

أ ـ فنسبه من جهة ابيه هو كالاتي :

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (وكان في زمن سيدنا موسى عليه السلام على الصحيح وقيل في زمن سيدنا عيسى)

ب ـ واما نسبه من جهة امه فهو كالاتي :

سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (الجد الخامس للرسول صلى الله عليه وسلم من جهة ابيه) .

والمعروف ان الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي به نسبه الى سيدنا اسماعيل، بن سيدنا ابراهيم عليهما السلام .

٢ ـ اما شجرة النسب التي ينتمي اليها سيدنا عيسى وتضم كثيرا من اسماء الانبياء الاخرين فقد سجلها « موريس بوكاي » في مؤلفه بالانجليزية والفرنسية والذي ترجمته الى العربية دار المعارف بالقاهرة (تحت رقم ١١١٩) في ذكرى الملك الراحل « فيصل بن عبد العزيز » رحمه الله وعنوان المؤلف « القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم ـ دراسة الكتب المقدسة في ضوء

المعارف الحديثة » ويعترف المؤلف المسيحي ان الاناجيل تختلف فيما بينها في تسجيل نسب سيدنا عيسى ، وقد قدم دراسة مقارنة في هذا الصدد واختار هنا ما سجله المؤلف من انجيل « لوقا » عن شجرة نسب المسيح ، وان كان المؤلف نفسه يوجه اليها بعض المطاعن ، ولكني اوردها هنا لفائدتها ، فقد بدأها بأبي البشر آدم عليه السلام على الوجه التالي :

آدم ، ـ شيث ـ اندش ـ قينات ـ مهلئيل ـ يارد ـ اخنوخ ـ متوشالح ـ لامك ـ نوح ـ سام ـ ارفكشاد ـ قينان ـ شالح ـ عابر ـ فالج ـ راعو ـ سروح ـ ناحور ـ تارح ـ ابراهيم ـ اسحق ـ يعقوب ـ يهوذا ـ فارص ـ حصرون ـ عرني ـ اومني ـ عميناداب ـ نحشون ـ شالح ـ بوعز ـ عوبيد ـ يسى ـ داود ـ ناثان ـ متاتا ـ منا ـ مليا ـ الياقيم ـ يونان ـ يوسف ـ يهوذا ـ شمعون ـ لاوي ـ متات ـ يوريوم ـ عازر ـ يوسى ـ عير ـ الموام ـ قوسام ـ آدي ـ ملكي ـ نيري ـ شالتئيل ـ زربابل ـ يسا ـ يوحنا ـ يهوذا ـ يوسف ـ شمعي ـ متتيا ـ مآت ـ نجاي ـ حسلي ـ ناحوم ـ عاموس ـ متتيا ـ يوسف ـ ينا ـ ملكي ـ لاوي ـ متات ـ عالي ـ يوسف (آل عمران والد مريم التي ولدت المسيح)

وقد ناقش المؤلف (موريس بوكاي) الاختلافات الكثيرة في الاسماء بين انجيل « لوقا » وانجيل « متى » وكان هذا موضع نقد شديد منه . وعلى سبيل المثال لم يرد اسم النبي « سليمان » بعد « داود » في انجيل لوقا مع وروده في « انجيل « متى » . وعلى هذا الاساس فتكون شجرة النسب الواردة هنا على عهدة من سجلها .

٣ ـ يرتبط النسب والصهر ارتباطا شديدا بظاهرة « البلوغ » في الانسان ، كما يترتب على هذه الظاهرة الكثير من التكاليف الشرعية في الاسلام ، والرجل يصبح في حكم « البالغ » عندما يستطيع انزال المنى لاول مرة ، فهذا شاهد بلوغه ، اما المرأة فتصبح بالغة عندما تحيض لاول مرة ، ومعنى الحيض ترتيب دورة شهرية لها يحدث اثناءها التبويض (اي وصول البويضة من المبيض الى قناة المبيض حيث يمكن اخصابها) . ويكون « البلوغ » بالمعنى العلمي الدقيق هو « بداية امكانية الانسان او قدرته على توريث البلازما التناسلية لغيره من بعده كامتداد له » . ترى لماذا كانت مسئولية التكاليف الشرعية مرتبطة بالبلوغ ؟ . ولماذا كان العمر السابق على البلوغ « فترة سماح » لا يحاسب المرء عليها ؟ يقول علماء الدين ان فترة السماح هذه تكون انضاجا للعقل والخبرة والتدريب حتى اذا حان البلوغ كان الانسان على استعداد لتحمل مسئولياته امام ربه . قد يكون ذلك سليما ولكن السبب الكامل ـ على ما اعتقد ـ لا يكمن في هذا التفسير

وحده ، فكم من صبي لم يبلغ الحلم بعد أن اكتسب خبرة وتعقلا اكثر من رجل بالغ في ريعان عمره - ومن جهتي ، فاني اعتقد ان ارتباط المسئولية بالبلوغ هو ارتباط للمسئولية بتوريث الصفات عن طريق البلازما التناسلية (اللاقحات) ومعنى ذلك ان الوالدين اللذين اصبحا قادرين على امتداد حياتهما في ذريتهما لا بد ان يكونا اسوة لهما في كل عمل يأتيانه ، والمسئولية التي تلقى على عاتقيهما منذ بلوغهما هو اشعار لهما « بالامانة الثقيلة » التي يقبلان على حملها .

٤ - واذا كانت الاولاد في الاسرة ينسبون الى ابيهم وتلدهم امهاتهم ان تعددت الزوجات او امهم ان كانت زوجة واحدة ، فقد احترم القرآن الكريم هذه العلاقة احتراما شديدا ، فحرم التبني ، وهو ادعاء البنوة لشخص ليس امتدادا لابيه ، كما انكر على الزوج ان يدعي ان زوجته كأمه (الظهار) محرمة عليه . يقول سبحانه :

(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) . الاحزاب / ٤ - ٥

(الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور) المجادلة/٢

وبقدر ما يحترم القرآن الكريم النسب الحقيقي على النحو السابق ، فان الحق تبارك وتعالى يقدم رابطة العقيدة الدينية على رابطة النسب الحقيقية ، فابن سيدنا نوح الذي هو من صلبه ، يشفق عليه والده من الغرق فيدعو ربه لانقاذه ، فيكون جواب الله له ما يحكيه القرآن الكريم :

(ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين .) هود/٤٥ - ٤٦ .

والمعنى ان ابن سيدنا نوح ان كان ينتمي اليه نسبا ، فانه يسلك مسلكا يخالف ما يدعو اليه والده ، ومن ثم فانه لا يكون على دينه ، فالعقيدة الدينية رابطة اقوى من النسب ، ومن ثم كان ابن نوح ليس من اهل نوح لانه ليس على عقيدتهم . وفي غزوة بدر الكبرى تجلت هذه الظاهرة واضحة قوية ، فقد احلت العقيدة الدينية قتل المؤمن لمخالفه الكافر ابنا كان او ابا ، والامثلة على ذلك تسجلها كتب السيرة وهي كثيرة .

٥ ـ وكما حرم الله التبني حفاظا على النسب الحقيقي ، فقد أمر ان تعتد المطلقات حتى تبرأ ارحامهن من الحمل قبل ان يقدمن على الزواج من جديد . وقد اكد ذلك حتى لا تختلط الانساب بين زوج سابق وزوج لاحق .

يقول سبحانه .

(يا ايها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ..) الطلاق/١
(واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ..) الطلاق / ٤
(والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ..) البقرة / ٢٢٨

فسر القرء على انه الحيض او الطهر بين حيضين ، والسؤال الان هو لماذا التحديد بثلاثة قروء او ثلاثة اشهر ؟ . المعروف ان الحيض يحل بالمرأة الخصيبة (ليست في سن اليأس) مرة كل شهر تقريبا في الاحوال الطبيعية . وقد ثبت طبيا بالابحاث ان المرأة قد تحمل ، لكن الجنين وهو في بداية حياته لا يستهلك كل الدم الوارد الى الرحم فينزل بعضه في ميعاد الحيض مرة ، او مرتين على الاكثر ولكنه لا ينزل ابدا للمرة الثالثة عند استقرار الحمل . لم تكن هذه الحقيقة الطبية معروفة وقت نزول القرآن الكريم ، فهي لم تعرف الا حديثا . ومن ثم يكون انتظار المطلقة لثلاثة قروء كافيا ومؤكدا لاستبراء رحمها من الحمل ، ولا يحل لها ان تتزوج قبل استكمال عدتها هذه حتى لا يختلط النسب اذا لم تراع هذه الحقيقة مراعاة تامة .

٦ ـ ونختم المقال بالاشارة الى التركيز الواضح الذي يسجله القرآن الكريم بصدد نسب سيدنا عيسى الى امه تأكيدا لمعجزة ولادته من غير اب .

● فقد ذكر لفظ « المسيح » في القرآن احدى عشرة مرة جاء فيها غير منسوب لأمه ثلاث مرات فقط (النساء : ١٧٢ ـ المائدة : ٧٢ ـ التوبة : ٣٠)

● وذكر لفظ « عيسى » في القرآن خمسا وعشرين مرة جاء فيها غير منسوب لوالدته تسع مرات فقط (البقرة : ١٣٦ ـ النساء : ١٦٣ ـ الانعام : ٨ ـ الشورى : ١٣ ـ الزخرف : ٦٣ ـ آل عمران : ٥٢ ـ ٥٥ ـ ٥٩ ـ ٨٤) .

● وذكر لفظ « مريم » في القرآن اربعا وثلاثين مرة جاء فيها دون ذكر لابنها احدى عشرة مرة فقط ، منها ستة في آل عمران وحدها .

والله تعالى أعلم .

مائدة القارئ

بين

قال الحريري في درة الغواص : بين لا تدخل الا على المثنى والمجموع ، كقولك : الدار بينهما ، والدار بين الاخوة ، فأما قوله تعالى : « **مذبذبين بين ذلك** » فان لفظة ذلك تؤدي عن شيئين ، كشف ذلك بقوله تعالى : « **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** » ونظيره : « **لا نفرق بين احد من رسله** » فلفظة احد تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع .

الحبس

ما الحبس الا بيت كل مهانة ... ومذلة ومكاره لا تنفد
ان زارني فيه العدو فشامت ... يبدي التوجع تارة ويفند
او زارني فيه المحب فموجع ... يذري الدموع بزفرة تتردد
يكفيك ان الحبس بيت لا يرى ... احد عليه من الخلائق يحسد

خطايا ... وحسنات

قال لقمان لابنه :
يا بني اجعل خطاياك بين عينيك الى ان تموت ،
واما حسناتك فاله عنها فانه قد احصاها من لا ينساها .

انت الزمان

قال هارون الرشيد لمعن بن زائدة :
كيف زمانك يا معن ؟
قال : يا امير المؤمنين ، انت الزمان ،
فان صلحت صلح الزمان .
وان فسدت فسد الزمان .

الهدية ... والصدقة

الهدية ترد بلاء الدنيا ، والصدقة ترد بلاء الآخرة

جفاء موجع

قال حكيم : جفاء القريب اوجع من ضرب الغريب .

ستر الله

قال ابو هريرة ـ رضي الله عنه : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كل أمتي معافى ، الا المجاهرين ، وان من المجانة ان يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان ! عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه » .

اخرجه البخاري

الذين آمنوا

قال الله تعالى : « **قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال** » .

الآية ٣١ من سورة ابراهيم

مكارم الاخلاق

وقعت سفانة بنت حاتم في اسر الجند المسلم وكانت ضمن السبى الذي عرض على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما وقفت بين يدي الرسوم الكريم قالت : يا محمد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب ! فان ابي كان سيد قومه يفك العاني ، ويقتل الجاني ، ويحفظ الجار ، ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه احد في حاجة فرده خائبا ، انا ابنة حاتم الطائي .

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم : يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا ، ولو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق . ثم اردف فقال عليه الصلاة والسلام : ارحموا عزيزا ذل ، وغنيا افتقر ، وعالما ضاع بين جهال .

متى يشعر المسلمون

حبانا الله تبارك وتعالى ـ معشر المسلمين ـ بنعم فاقت النعم التي أنعم بها على غيرنا من الأمم . أنعم علينا بنعمة التوحيد وما أعظمها نعمة ولا سيما أن البشرية تجرعت كأس الضلالة حتى الثمالة من جراء ابتعادها عن عقيدة التوحيد .

وأنعم علينا بنعمة الاسلام وكفى بها نعمة وجعله خاتم الأديان السماوية وأكملها قال تعالى : (**إن الدين عند الله الاسلام**) آل عمران/١٩ وقال : (**اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/٣ بل جعله دين البشر عامة لأنه الدين الكامل ، وتوعد الذين يلقونه غير مسلمين فقال تعالى : (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران/٨٥ .

وأنعم علينا بالقرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي فيه علاج ما عجزت البشرية بماديتها واعتمادها على عقلها الناقص عن علاجه ، وتتجلى هذه النعمة في حفظه عما أصاب غيره من الكتب السابقة من التحريف



والتبديل وصدق الله إذ يقول : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/٩ وبين الحق تبارك وتعالى ان هذا الكتاب حوى كل شيء فقال : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) الأنعام/٣٨ وان هذا القرآن هداية للبشر : (**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**) البقرة/٢ .

وأنعم علينا بخير الأنبياء وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله للبشر عامة على عكس الذين سبقوه من الأنبياء والرسل فقال تعالى : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الأنبياء/١٠٧ .

هذا فيض من غيض وقطر من بحر نعم الله التي أنعم بها على المسلمين بل أكثر من ذلك جعلهم خير أمة أخرجت للناس فقال تعالى : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/١١٠ وكذلك جعل الله الأمة الاسلامية شاهدة على بقية الأمم فقال تعالى : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**) البقرة/١٤٣ .

وهنا نتساءل : لماذا تقهقرت الأمة الاسلامية إلى هذا المنحدر السحيق الذي لم يسبق لهم أن انحدروا في مثله منذ أربعة عشر قرنا ؟

والاجابة على هذا السؤال جد يسيرة : فالمسلمون تخلوا عن ذاتهم ، وتخلوا عن عزتهم التي أعطاهم الله إياها حيث قال : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** المنافقون/٨.

تخلوا عن صراط الله المستقيم الذي ينشدون الله كل يوم أن يهديهم إليه حينما يقولون : **(اهدنا الصراط المستقيم)** الفاتحة/٥ ، والذي وضحه لهم الحق تبارك وتعالى في قوله :

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الأنعام/١٥٣ .

فوجدنا بعض المسلمين يولي وجهه قبل الشرق حيث الشيوعية الملحدة ، والبعض الآخر يولي وجهه قبل الغرب بماديته الجارفة التي لا مكان فيها للفضيلة والخلق القويم .

ووجدنا البعض يعلن على الملأ إسلامه ويلبس مسوح العلماء وهو ألد الخصام ، يفعل في السر ما يهدم به ما يقوله في العلانية ، ووجدنا آخرين ليس لهم هم إلا القضاء على الاسلام والمسلمين ثم يدعون الايمان . هذا الانفصام في الشخصية يعاني منه المسلمون الآن ، وفي أيديهم العلاج لكل ما تعاني منه البشرية من آلام ، ومع هذا فقد فضلوا الداء على الدواء .

وهنا نعيد السؤال مرة أخرى ولكن بصورة أخرى : متى يفيق المسلمون من غفلتهم هذه ؟

لن يفيق المسلمون إلا إذا شعروا بذاتهم ، وعرفوا معنى العزة ومعنى الخيرية التي كتبهما الله لهم ، ويكفي أن يعلموا أن قوتهم في وحدتهم وانظروا كيف كنا ؟ كنا خير أمة حينما تمسكنا بكتاب رب العالمين فخافنا العالم وعرف بأسنا ، وكانت كنائس اوروبا لا تتجرأ على دق نواقيسها ، حينما كانت السفن الاسلامية تعبر البحر المتوسط ، يوم كنا تحت راية الخلافة في القرون الماضية ، أما الآن فقد نزع الله من قلوب عدونا المهابة ، وقذف في قلوبنا الوهن وهو حب الدنيا وكراهية الموت كما أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لن يفيق المسلمون إلا إذا رجعوا إلى كتاب ربهم الذي يناديهم قائلا : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** آل عمران/١٠٣ . وتركوا العصبية التي كادت تقطع أوصالهم ، لأنهم نسوا أو تناسوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا إلى عصبية » رواه أبو داود وقوله (صلى الله عليه وسلم) : « ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد » رواه احمد ، وبمثل ذلك دعانا في حجة الوداع في وصية لنا معشر المسلمين بنبذ النعرات القومية جانبا والالتفاف حول لواء الاسلام لأننا جميعا لآدم وآدم من تراب .

لن يفيق المسلمون إلا إذا اقتنعوا بأن الأعداء من حولهم مهما اختلفت مذاهبهم ومهما اختلفت عقائدهم فإنهم يجتمعون على هدف واحد هو استئصال شأفة الاسلام ، والعمل على طمس الوجود الاسلامي من وجه البسيطة .

لن يفيق المسلمون إلا إذا اعتزوا بلغتهم لغة القرآن الكريم فلم يفرطوا فيها ، وحاربوا الذين يحاولون النيل منها بالدعوة إلى العامية تارة وبالدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية تارة أخرى .

ولن يفيق المسلمون إلا إذا شعروا بذاتهم كأمناء على رسالة الله في العالم وأنه بضياعهم يضيع العالم لأنهم حملة مشاعل النور إلى البشرية التي تعج في ظلمات بعضها فوق بعض .

ولكي يفيق المسلمون من سباتهم العميق نضرب لهم هذا المثل الذي ضربه الفيلسوف المسلم محمد إقبال حينما أراد أن يبين أثر تخلي المرء عن خصائصه وعن ذاته :

« كانت مجموعة من الكباش تعيش في مرعى وفير الكلأ عيشا رغيدا ، ولكنها أصيبت بمجموعة من الأسود نزلت بأرض قريبة منها ، فكانت تعتدي عليها وتفترس الكثير منها . فخطر ببال كبش كبير منها أن يتخذ وسيلة تريح من هذا الخطر الداهم الذي يهددها في أوطانها وأرواحها ، فرأى أن استخدام القوة مع هذه الأسود أمر مستحيل ، فلابد من استخدام السياسة والدهاء والحيلة ، فظل يتودد إلى هذه الأسود في حذر حتى ألفته وألفها ، فاستغل هذه الألفة وبدأ يعظ الأسود ويدعوها إلى الكف عن إراقة الدماء ، وإلى أن تترك أكل اللحم ، وأخذ يغريها بأن تارك أكل اللحم مقبول عند الله وأخذ يزين لها الحياة في دعة وسكون ، ويقبح لها الوثب والاعتداء حتى بدأت الأسود تميل إلى هذا الكلام ، فأخذت الأسود تتباطأ في افتراس الكباش ، وأخذت تتكاسل في السعي وراء الرزق ، ومالت إلى حياة الدعة والهدوء ، واكتفت بأكل الأعشاب كما تفعل الكباش فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة أن الأسود استرخت عضلاتها ، وتثلمت أسنانها وتقصفت أظفارها وأصبحت لا تقوى على الجري ، ولم تعد قادرة على الافتراس وبذلك تحولت الأسود إلى أغنام » .

وهنا بيت القصيد : لماذا تحولت الأسود إلى أغنام ؟

لأنها تخلت عن خصائصها وتخلت عن ذاتها وكذلك الأمة الاسلامية حينما تخلت عن ذاتها .

ونعود إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام صحابته رضوان الله عليهم نجد أنهم فتحوا البلاد شرقا وغربا وخضع لهم أعداؤهم في ذلة وانكسار لأنهم عرفوا مكمن عزتهم فتمسكوا به ، وعرفوا مكانة المسلم بين الناس فعملوا على إعلاء هذه المكانة متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله .

وحينما تخلى المسلمون عن ذاتهم ، ساروا في ركاب الملحدين تارة وفي ركاب الكفار تارة أخرى ، صاروا في

ذيل القافلة ونسوا أن هؤلاء الذين يتبعونهم يعتزون ويتمسكون بأفكارهم الباطلة سواء كانوا شيوعيين أم صليبيين أم يهودا .

ومن نتائج فقدان الذات أن سلط الله على الأمة الاسلامية رعاع البشرية وسفلتها ممثلة في هذه الشوكة التي وضعها أعداء الله في قلب أمتنا الاسلامية في فلسطين ألا وهي اسرائيل .

واسرائيل تمثل في المثال الذي ضربه الشاعر المسلم محمد إقبال ذلك الكبش الذي يخفي مكره ويدعي العجز لكي يسلب الأسود أعز ما يملكون ، وإذا نظرنا الى فريضة من الفرائض التي تركها المسلمون وكانت سببا في فقدان ذاتهم نجد أن تركهم الجهاد كان القشة التي قصمت ظهر البعير فقد ابتعدوا عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ولم يكتفوا بهذا ، بل تركوا سبيل عزهم ومجدهم ألا وهو الجهاد ، وصدق رسول الله حينما قال : « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا » رواه احمد وأبو داود .

ويرجع هجر الجهاد في سبيل الله إلى عوامل كثيرة اختمرت في نفوس المسلمين منها ما فعله ذلك الكبش اللئيم وأتباعه من المستشرقين وأذياله من المستغربين من أبناء المسلمين حيث أشاعوا فرية أن الاسلام انتشر بحد السيف ، ولسنا بصدد الرد على هؤلاء الذين يريدون أن يطفئوا نور الشمس بأفواههم ، ولكننا لابد أن نكشف اللثام عن الغرض الخبيث وراء هذه الأكذوبة ألا وهو أن هؤلاء المستشرقين وأذنابهم ومن يدور في فلكهم يريدون ان يقولوا لضعاف النفوس من المسلمين إن دينكم انتشر بحد السيف ، ولكي تنفوا عن أنفسكم هذه الجريمة يجب عليكم أن تلقوا السلاح من أيديكم ، وألا تفكروا في الجهاد أبدا حتى لا تتهموا بما اتهم به أسلافكم .

ووجدت هذه اللعبة هوى عند الذين فقدوا ذاتهم وأصبحوا يسبحون في بحار الغي والضلال فرأينا منهم من يمد يد السلام إلى من لعنهم الله ، ورأينا بعضهم يحالف الملاحدة الذين كفروا بالله .

وأيضا من نتائج فقدان الذات أننا لم نعد نتذوق حلاوة الأخوة في الله وتركنا شعوبا مسلمة لله تصارع قوى البغي والعدوان دون أن نمد لها يد العون اللهم إلا بكلمات التأييد وبالخطب الرنانة والشعارات البراقة ونسينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه الحاكم وقوله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم واحمد .

وفي هذا النطاق وجدنا المعتصم يجهز جيشا لفتح عمورية التي أهدر أهلها كرامة امرأة مسلمة هضم أعداء الله حقها فصاحت : وامعتصماه فرد لهذه المرأة اعتبارها وأخذ لها حقها معززة مكرمة ولكننا من منطلق فقدان الذات تركنا أفغانستان وارتيريا

واندونيسيا ترزح كل منها تحت أيدي أعداء الله وتصرخ فينا قائلة : وإسلاماه ولكن ما لجرح بميت إيلام لقد ضاعت أصداء هذه الأصوات في سماء تجاهل المسلمين لإخوانهم .

وأخيرا نعود لنسأل أنفسنا : متى يعود المسلمون إلى سابق مجدهم ؟ وبعبارة اخرى : متى يشعر المسلمون بذاتهم ؟

يخبرنا الحق تبارك وتعالى أنه جعل لهذه الأمة الخيرية إذا نفذت الشروط التي بينها الله في قوله : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) فالشروط الثلاثة التي استوجبت لهذه الأمة الخيرية هي : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والايمان بالله . ولسنا بصدد الغوص في بحار هذه الشروط الثلاثة ولكن بحسبي أن أقف وقفات سريعة عند كل منها فمن الأمر بالمعروف أن يأمر كل شعب من الشعوب الاسلامية حكامه بأن يتكاتفوا مع بعضهم البعض لمواجهة ما يحيط بالعالم الاسلامي من مؤامرات يهودية وصليبية وشيوعية امتثالا لقوله تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) ولقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه الشيخان .

ومن الأمر بالمعروف أن نجتمع على ما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، وبذلك نفوت الفرصة على أعداء ديننا الذين يتربصون بنا لتفكيك أواصرنا حتى يسهل عليهم ابتلاعنا وصدق رسول الله إذ يقول : (إن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية) رواه احمد وأبو داود والنسائي والحاكم .

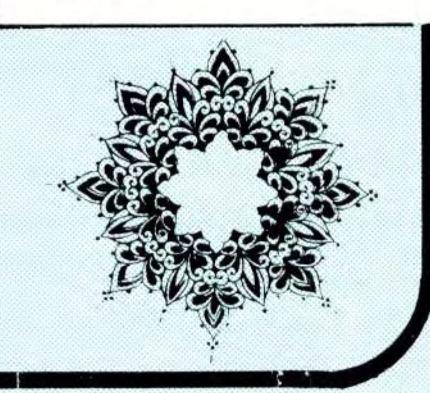
أما عن المنكرات فهي أكثر من أن تحصى وإذا ضربنا أمثلة عليها فاختلاف المسلمين فيما بينهم هو أكبر المنكرات ، والدعوة إلى العصبية والنزاع العرقي هو أيضا من المنكرات التي يجب أن نتجنبها .

واتصال حبل المودة بين المسلمين وأعداء الله من اليهود هو من أشد المنكرات ولا سيما أن الله كشف عن خستهم وخفايا نفوسهم وأن الله كتب عليهم الذلة والمسكنة فكذلك من أحبهم لأن من أحب قوما حشر معهم ، أما من أحب الله العزيز واتبع منهاجه فسيكتب الله له العزة .

وأخيرا فان الايمان بالله يكون باعلاء شرع الله فتكون الدساتير في بلاد الاسلام كلها مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ، ويكون شرع الله هو الغالب لا شرع البشر مهما بلغت مكانتهم . ومن الايمان بالله أن يعمل الجميع على أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ومن الايمان بالله أن يكون المسلمون على قلب رجل واحد يجمع شملهم في ظل خلافة إسلامية ، وأن يتعاون المسلمون جميعا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الاثم والعدوان .

يومها ويومها فقط نشعر بذاتنا المسلمة ، ونشعر بعظم مكانتنا بين هذا العالم ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .





مؤمن

من الشعر الديني

صاعد في الجو يبغي مأربا   في مدار الشمس او مسرى القمر
كلما أمعن سيرا في الفضا   وجد الارض تناهت في الصغر
والجبال الشم في ارجائها   قد بدت في العين اشباه الابر
ورأى أهرام خوفو مثلما   تبصر النملة او حبة بر
لم ير الانسان في ارجائها   ما له في اي نحو من اثر

* * *

أين من يملأ كبرا صدره   وارم الأنف ، وفي الخد صعر ؟
يحسب الناس جميعا دونه   وهو في قمة اجناس البشر
اين من يشعل حربا كلما   انس القوة في بر وبحر ؟
لا يبالي ، هلك الناس به   او اقاموا من تخوف فوق جمر
يملأ الارض فسادا طيشه   كل عود من أذاه ينهصر
هو والرحمة ضدان ، ولا   يعرف الرفق وإن لان الحجر !!

* * *

أين من ينكر ربا قادرا   وهو في أنعمه الغر غمر ؛
يرتع الجاحد في خيراته   ثم يمضي وهو بطران اشر
يدعي ظلما وزورا انه   ليس الا العلم رب مقتدر !
ما علوم الارض في علم السما   غير حسو الطير من ماء النهر !

* * *

عجبا للمرء في حالاته   قلب في أمره لا يستقر
كلما كان بخير سالما   جحد النعمة ، والرب كفر
وإذا ما مس ضر جسمه   ضج بالشكوى ولله جأر

يغزو الفضاء

○ للشاعر : محمد عبد الفتاح محمود علم الدين

يطرح الكبر ويحني رأسه ... ان رأى يوما قواه في خطر
فاذا ما انجاب عنه ضره ... عاد للشر سريعا وفجر !!

***

قتل الانسان ما اكفره ! ... من عناد ينكر الشمس بظهر
يحسب الخلاق عنه غافلا ... وهو مرصود ليوم لا مفر
ما جزاء المرء في طغيانه ... غير ان يسلك في سلك سقر !

***

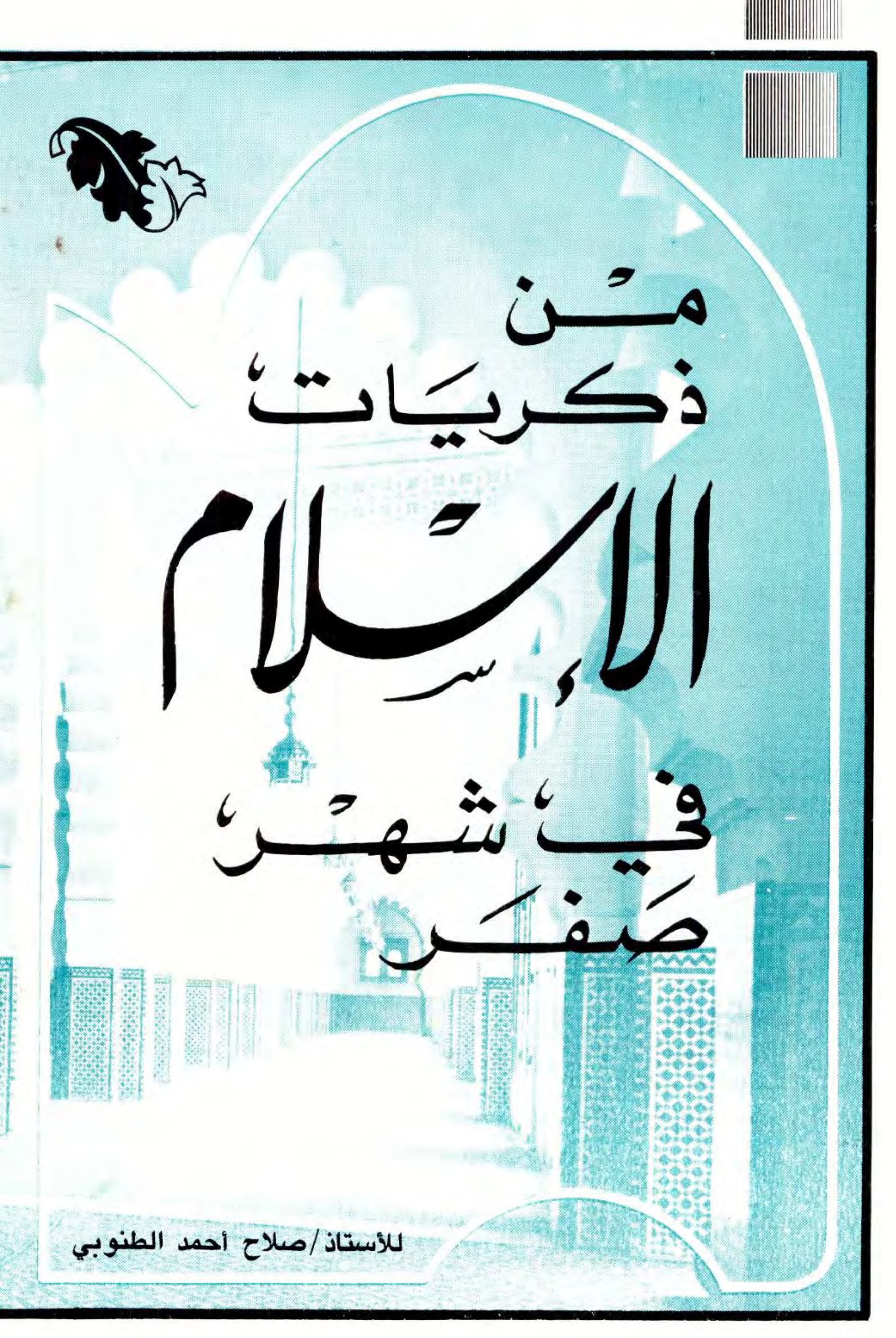
ايها الجاحد : مهلا ، إنما ... انت تمضي في ظلام مستمر
املأ العين بانوار الضحا ... واملأ الصدر بانفاس السحر
متع العين بجنات الربا ... يانعات دائبات بالثمر
والنبات الغض في ارجائها ... دائم الخضرة ريان عطر

***

اعل يا جاحد يوما في الفضا ... واملأ القلب جلالا تنبهر
انما الكون فسيح رائع ... يخلب اللب ويسبى من نظر
ارجع الطرف الى آماده ... يرجع الطرف كليلا ينحسر
كل من يطلب اقطار السما ... ينتهي عمرا ولا يقضى الوطر
ليس عمر المرء الا ومضة ... من قرون الضوء يأتي من مجر !!

***

اسمع التسبيح في تأويبه ... من نجوم وجبال وشجر
واعن لله الذي يعنو له ... كل خلق غاب عنا او حضر


من ذكريات الإسلام في شهر صفر
للأستاذ/صلاح أحمد الطنوبي

صفر : الشهر الذي بعد المحرم . قال بعضهم : انما سمي بهذا لأنهم كانوا يتمارون الطعام فيه من المواضع . وقيل : لاصفار مكة من أهلها اذا سافروا . وروى عن رؤبة أنه قال : سموا الشهر (صفرا) ؛ لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل ، فيتركون من لقوا صفرا من المتاع ، وذلك أن صفرا بعد المحرم ، فقالوا : صفر الناس منا صفرا . قال ثعلب : الناس كلهم يصرفون صفرا الا أبا عبيدة ، فمنعه للعلمية والتأنيث ، بارادة الساعة ، يعني أن الأزمنة كلها ساعات .

أنظر محاسن التأويل ـ الامام جمال الدين القواسمي جـ ٨ صـ ٣١٤٤)

وفي شهر صفر ذكريات اسلامية كثيرة منها :

(١) غزوة ودان (الأبواء) في شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة :

أول مغازيه التي خرج فيها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بنفسه ، خرج في صفر على رأس اثنى عشر شهرا من الهجرة (يونية سنة ٦٢٣م) يريد عيرا لقريش ، وبني ضمرة ، وقيل : لم يكن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مريدا لهم ؛ بل مريدا للعير التي لقريش ، فلما لقى بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا ، وكان خروجه في ستين راكبا ، ليس فيهم أنصاري ، فلم يدرك العير التي أراد ، وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على أنهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ، ولا يعينون عليه عدوا ، وأن لهم النصر على من رامهم بسوء ، وأنه اذا دعاهم لنصر أجابوه .. عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ، وكان لواء الرسول « صلى الله عليه وسلم » أبيض ، وكان معه حمزة « رضي الله تعالى عنه » واستخلف على المدينة سعد بن عبادة « رضي الله تعالى عنه » ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

(٢) ملحمة يوم الرجيع في شهر صفر سنة ٤هـ (مايو سنة ٦٢٥م)

الرجيع : ماء لهذيل ، قرب الهدأة بين مكة والطائف ، وبعث الرجيع هي سرية عاصم بن ثابت الانصاري « رضي الله عنه » ، وكان بعثه في صفر من السنة الرابعة من الهجرة النبوية ذكر ابن اسحاق أنه « قدم على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بعد أمد رهط من قبيلتي : عضل والقارة (وهما قبيلتان من بني الهون بن خزيمة بن مدركة) فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام ، فبعث رسول الله « صلى

الله عليه وسلم » نفرا ستة من أصحابه وهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد بن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، وخبيب بن عدى ، وزيد بن الاثنة بن معاوية ، وعبد الله بن طارق .. »

خرج هؤلاء حتى أتوا الرجيع ، فغدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلا ؛ ليعينوهم على قتلهم ، فلم يدع القوم وهم في رحالهم ، الا الرجال بأيديهم السيوف ، فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا : انا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، وقالوا ذلك ؛ لأنهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ، ويأخذوا في مقابلهم مالا لعلمهم أنه لا شيء أحب الى قريش من أن يأتوا بأحد من أصحاب محمد يمثلون به ، ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد ؛ فأبوا أن يقبلوا منهم .

فأما مرثد وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ، وقاتلوا حتى قتلوا محتسبين أرواحهم الطاهرة في سبيل الله والاسلام .

وأما الثلاثة الآخرون (زيد وخبيب وعبد الله بن طارق) فقد لانوا ورغبوا في الحياة ، فأخذتهم هذيل أسرى وانطلقوا بهم نحو مكة ، وقبل دخولهم اليها تمكن عبد الله بن طارق ـ أحد المسلمين الثلاثة ـ من فك قيده ، واستل سيفه ، فتأخر عنه القوم ، ثم رموه بالحجارة حتى قتلوه فلحق باخوته شهيدا في سبيل الله والاسلام .

ولما أرادوا قتل خبيب بن عدى ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه ... ، وقيل : ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك ، فقال أبوسفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .

(٣) سرية بئر معونة في شهر صفر ٤هـ :

وتسمى هذه السرية سرية المنذر ابن عمرو الخزرجي ، وتسمى أيضا بسرية القراء ، وكانت هذه السرية في شهر صفر في السنة الرابعة من الهجرة (مايو سنة ٦٢٥م) على رأس أربعة أشهر من أحد . قدم على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في المدينة أحد زعماء الأعراف وهو أبو براء عامر ابن مالك المعروف بـ « ملاعب الأسنة » وهو من رؤوس بني عامر ، فعرض عليه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الاسلام ودعاه اليه ، فلم يسلم ، ولم يظهر عداوة للاسلام ، ولكنه عرض على النبي « صلى الله عليه وسلم » أن يبعث دعاة من أصحابه الى أهل نجد ، فلعلهم يستجيبون ويسلمون ، فخشى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » غدر أهل نجد بهم ، فقال أبوبراء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس الى

أمرك .

فبعث النبي « صلى الله عليه وسلم » المنذر بن عمرو الساعدي في أربعين رجلا من خيار المسلمين ، فانطلقوا في سبيل الله حتى نزلوا ببئر معونة ـ بين أرض بني عامر وحرة بني سليم ـ وبعثوا أحدهم بكتاب النبي « صلى الله عليه وسلم » الى عامر بن الطفيل يدعوه الى الاسلام ، فلم ينظر في الكتاب بل قتل الرجل الذي ينبغي ألا يقتل لأنه رسوله ، والرسل لا تقتل ! واستصرخ بني عامر كي يقتل أصحاب النبي ، فأبوا أن يخذلوا أبا براء الذي أجارهم ، فاستصرخ عليهم بني سليم ، فأجابته قبائل منهم ، واندفعوا معه حتى أحاطوا بالمسلمين ، فاستل هؤلاء سيوفهم ودخلوا مع أعداء الله في معركة غير متكافئة ، وصدقوا الله حتى قتلوا ، لم ينج منهم الا اثنان كعب بن زيد الذي تركوه وبه رمق ، فعاش ووصل الى المدينة ، وعمرو بن أمية الضمرى الذي أعتقه عامر بن الطفيل عن رقبة زعم أنها كانت على أمه !

وجاء رسول الله « صلى الله عليه وسلم » خبر أهل بئر معونة ، فقال : هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره وقد كنت لهذا كارها متخوفا ؛ فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر ابن الطفيل ، ومات عامر بن الطفيل .

قال حسان بن ثابت يرثي قتلى بئر معونة :

على قتلى معونة فاستهلي
بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا
ولا قتهم مناياهم بقدر

وقد احتسب المسلمون عند ربهم هؤلاء الدعاة المجاهدين في سبيل الله تعالى ، غير أن حزنهم عليهم كان عظيما ، وآية ذلك أن النبي « صلى الله عليه وسلم » وأصحابه ظلوا شهرا كاملا يبتهلون الى الله تعالى ويدعونه عقب صلاة الفجر من كل يوم أن ينتقم لهم من قاتليهم . ومن جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة : عامر ابن فهيرة مولي أبي بكر الصديق « رضي الله عنه » وهو الذي عذب في الله فاشتراه أبوبكر فأعتقه ، واستشهد عامر وهو ابن أربعين سنة . رضى الله تعالى عنه .

الدروس المستفادة من يوم الرجيع وبئر معونة :

١ ـ يدل كل من حادثة الرجيع ، وبئر معونة على اشتراك المسلمين كلهم في مسؤولية الدعوة الى الاسلام ، وتبصير الناس بحقيقته وأحكامه ؛ فليس أمر الدعوة موكولا الى الأنبياء والرسل « عليهم السلام » وحدهم ، أو الى خلفائهم ، والعلماء دون غيرهم .

ان ايفاد هاتين السريتين لم يكن الا حلقة من حلقات الجهاد في سبيل الله ، والدعوة الى هذا الدين ، والسهر على نشره بشتى الوسائل ، أليس غاية ما يحتمل أن يموتوا

شهداء ؟ وهذا ما كان يرجوه كل مسلم آنئذ !

٢ ـ الايمان القوي الذي يتجلى في محبة الصحابة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » وظهر هذا جليا في جواب زيد بن الدثنة لأبي سفيان قبيل قتله ، وكذا جواب : خبيب بن عدي ، ولا ريب أن هذه المحبة من أهم الأسباب التي حببت الى قلوبهم كل تضحية وبذل في سبيل دين الله تعالى ، والدفاع عن رسوله « صلى الله عليه وسلم » ومهما بلغ المسلم في ايمانه فانه بدون مثل هذه المحبة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » يعتبر ناقص الايمان ، وانها لحقيقة صرح بها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » اذ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين » (متفق عليه) .

(٤) سرية غالب الليثي الى بني الملوح بالكديد في صفر سنة ٨هـ (يونية سنة ٦٢٩م) :

خرج المسلمون حتى اذا كانوا بقديد لقوا الحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء وهي أمه فأخذوه ، فقال : انه جاء يؤيد الاسلام ، ولكنهم أوثقوه وخلفوا عليه رجلا وشنوا عليهم الغارة ، واستاقوا النعم ، وحملوا ابن البرصاء ، وعادوا الى المدينة ، وأسلم ابن البرصاء ، وتوفي آخر خلافة معاوية (رضى الله عنه) .

ولما رجع غالب الليثي من هذه السرية ، بعثه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى موضع مصاب بشير ابن سعد بفدك (ومعه ٢٠٠ رجل) وذلك في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة ؛ وقد نجحت هذه السرية نجاحا تاما ، فقد قاتل المسلمون ساعة ، ووضع فيهم السيف وقتلوا منهم قتلى ، وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وعادوا الى المدينة .

(٥) سرية قطبة بن عامر الى خثعم في صفر سنة ٩هـ :

أرسل رسول الله «صلى الله عليه وسلم » قطبة بن عامر في عشرين رجلا الى حي من خثعم ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبقرة يعتقبونها ، فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم فضربوا عنقه ، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين جميعا ، وقتل قطبة بن عامر من قتل ، وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة .

(٦) بعث أسامة بن زيد لغزو الروم في شهر صفر سنة ١١هـ :

ويعتبر بعث أسامة بن زيد هذا هو

آخر البعوث النبوية ، اذ أنه في أثنائه انتقل الرسول « صلى الله عليه وسلم » الى الرفيق الأعلى .

وأسامة بن زيد بن حارثة ينتهي نسبه الى لؤى بن كعب ، وكان أبوه مولي للرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وأمه هي أم أيمن ، وقد كانت مولاة لعبد الله بن عبد المطلب ، وكانت حاضنة الرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وقد أصبحت أمه عنده بعد وفاة أبيه ، فأعتقها وزوجها زيد ابن حارثة الذي أنجب منها أسامة ، وولد سنة ٦١٣م أي قبل هجرة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بتسع سنين .

وعاش أسامة مع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وحظى عنده بالعناية والمحبة مثل أبيه ، وقد قال عنه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ان اسامة بن زيد لأحب الناس الى وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا » ، ويتحدث أسامة (رضي الله عنه) عن منزلته عند الرسول العظيم « صلى الله عليه وسلم » بقوله : « كان يأخذني رسول الله والحسن بن علي ابن أبي طالب ثم يقول : اللهم أحبهما فاني أحبهما » .

وكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يردف أسامة وراءه ، وقد دخل الرسول « صلى الله عليه وسلم » مكة يوم الفتح وهو رديفه ، كما أردفه حين أفاض من عرفة . وقاتل أسامة ابن زيد في موقعة « مؤتة » تحت راية أبيه زيد بن حارثة ، وكان أسامة يوم حنين من الذين صمدوا مع الرسول « صلى الله عليه وسلم » .

وبعد أن رجع الرسول «صلى الله عليه وسلم » من حجة الوداع أمر بتجهيز جيش كبير بقيادة أسامة ، وكان فيه أبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص وسائر المهاجرين الأولين ، كما أمر أسامة أن يتوجه بهذا الجيش الى البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، على مقربة من مؤتة ، حيث استشهد أبوه قال له الرسول «صلى الله عليه وسلم » : سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، وأغر صباحا عليهم ، وأسرع المسير تسبق الخبر ، فان ظفرك الله بهم فاقبل « البث فيهم »

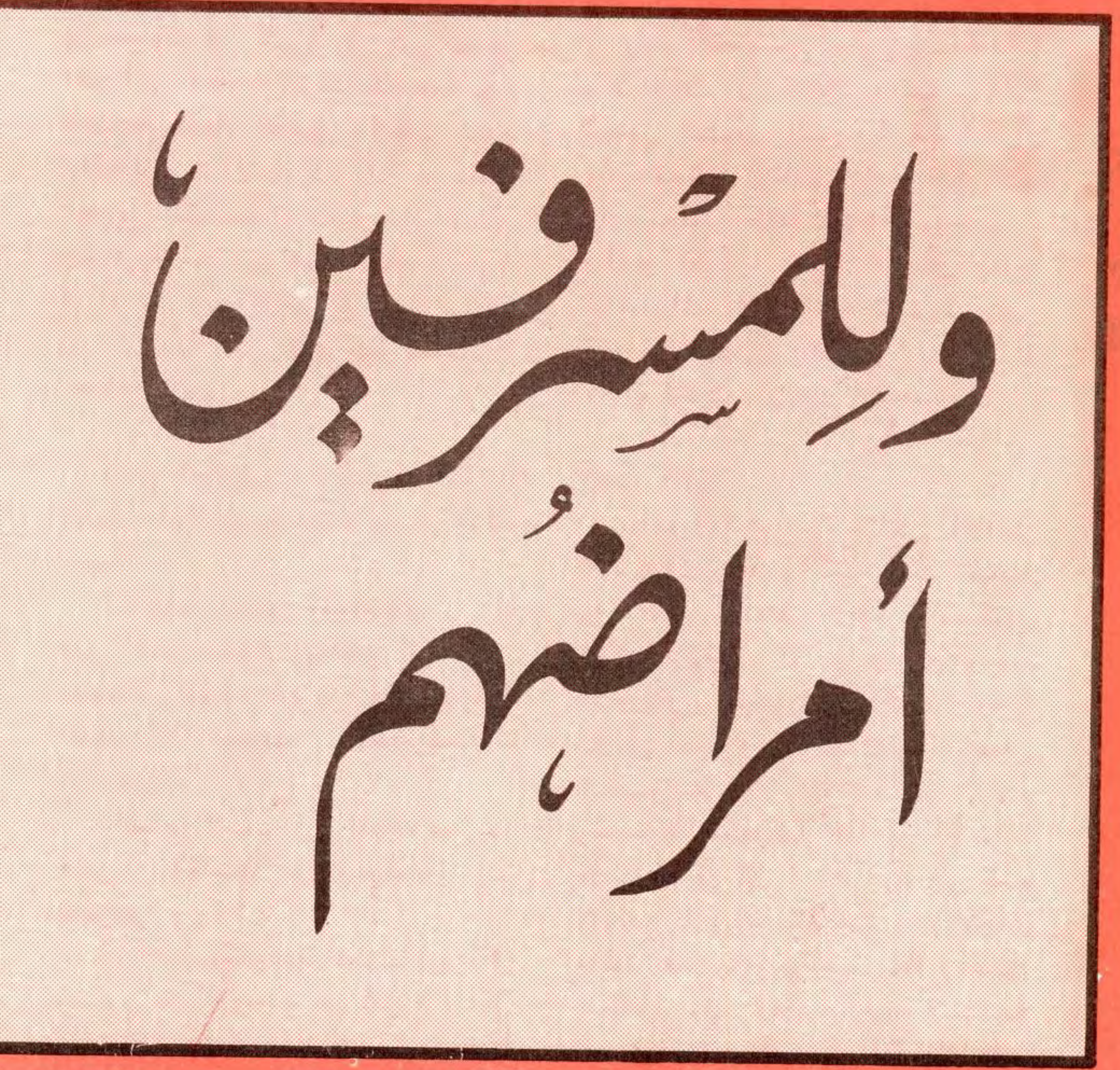
وخرج أسامة وأمر الجيش بالتحرك ، وبينما هم يتهيأون للمسير جاء الخبر بموت النبي « صلى الله عليه وسلم » وعاد المسلمون ليشغلوا في أمر تجهيز النبي «صلى الله عليه وسلم » ودفنه ، وموضوع الخلافة بعد المصطفى « صلى الله عليه وسلم » ولما تمت البيعة للصديق رضي الله عنه كان أول ما أمر به هو انفاذ جيش أسامة ؛ تنفيذا لوصية النبي « صلى الله عليه وسلم » وكان رأي بعض الأصحاب أن يتأجل مسير هذا الجيش ريثما ينتهي المسلمون من تأديب المرتدين والمتمردين على

الاسلام بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ؛ لكن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) صمم على انفاذ هذا البعث مهما كان الأمر وقال كلمته الخالدة :

« والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفتني لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي «صلى الله عليه وسلم» ، ثم نادى على الناس أن يتهيأوا للخروج مع أسامة ، وخرج الصديق (رضي الله عنه) بنفسه يودع جيش أسامة وهو يمشي على رجليه ، وأسامة بن زيد راكب .. فقال أسامة يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن ، فقال أبوبكر : والله لا تنزل ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة .. وسار أسامة في طريقه حتى وصل الى حدود الشام ، فأغار عليهم وقاتل قاتلي أبيه ، وانتصر عليهم وغنم غنائم كثيرة ، ثم رجع الجيش الى المدينة منتصرا ، وخرج الصديق (رضي الله عنه) والمسلمون يستقبلون الجيش المنتصر خارج المدينة ، ويهنئونهم بالفوز على أعدائهم ، واعلاء كلمة الله تعالى في الأرض ، وكان أول عمل فعله أسامة بمجرد دخوله المدينة أن ذهب الى مسجد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الذي ودع الدنيا قريبا ، والذي كان معهم بالأمس ، ذهب ليصلي ركعتين شكراً لله تبارك وتعالى على ما وهبهم به من نعمة الفوز والنصر . وعقب رجوعه الى المدينة اشترك في حروب الردة فأغار على قضاعة ، وأبل ، وقد حقق أسامة في هذه الحروب نصرا كبيرا رفع الروح المعنوية عند المسلمين .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان أسامة وابنه عبد الله مكرمين عنده ، فقد فرض لاسامة خمسة آلاف درهم ، ولعبد الله ألفين ، كما كان أسامة مقربا أيضا الى عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) وموضع ثقته بعد توليه الخلافة ، ولما قامت الفتنة التي انتهت بقتل عثمان كان أسامة من الذين وجههم عثمان للبحث عن أسبابها فقد أرسله الى البصرة وقد حفظ أسامة الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين ، وقد كان تأميره لحكمة بالغة من الرسول «صلى الله عليه وسلم» اذ فيه حث له على التضحية في سبيل الله ، والحرص على الاقتصاص من قاتلي أبيه ، كما كان فيه قضاء على العنجهية العربية والتفاخر بالأحساب والأنساب ، وتقرير عملي لمبدأ المساواة في الاسلام ، وأيضا فقد كان من التوجيهات النبوية الحكيمة الى تهيئة الفرص للشباب الصالح واثارة عزائمهم وهممهم الى معالي الأمور وتعويدهم الاضطلاع بالتبعات الجسام والمهام العظام .

وتوفي أسامة بن زيد سنة ٥٨ من الهجرة في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله تبارك وتعالى عن هذا البطل العربي حبيب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمي وسلم تسليما كثيرا .



للدكتور/ غريب جمعة

جلس الرجل يتحدث وقد تمددت بطنه امامه وتضخمت لغاديده وتورمت اجفانه ثم تعالت زفراته وتوالت اهاته شاكيا آلاما مبرحة في جسمه عامة وفي الاصبع الكبير لقدمه بصفة خاصة وبعد ان انتهى من شكواه قام الطبيب بفحصه ثم وصف له الدواء وطلب منه ان لا يسرف في تناول بعض الاطعمة التي لا تتناسب مع مرضه . وعندئذ صاح الرجل في وجه الطبيب قائلا :ـ وكأنما يريد ان يلقنه درسا في الدين ـ

الم تقرأ قوله تعالى « **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون** » الاعراف/٣٢ وابتسم الطبيب ابتسامة لا تخلو من اشفاق وسخرية معا من هذا الفهم المغلوط لايات القرآن وقال للرجل : بلى قرأتها وقرأت الاية التي قبلها فهل تعرفها ؟ وسكت الرجل .

قال الطبيب : ليتك عرفت ما قبلها . اذا لصح فهمك وصح بدنك معا .

اما ما قبلها فهو قوله تعالى : « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » (الاعراف / ٣١) .

والذي احب ان تفهمه جيدا هو : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » :

ان الله تبارك وتعالى يعلمنا ان نأكل ونشرب ما لذ وطاب من انواع المآكل والمشارب من غير اسراف وانما علينا بالعدل والتوسط فلا تقتير ولا اسراف سواء كان الاسراف يشمل الزيادة في البخل او الزيادة في الانفاق وتجاوز الحلال الى الحرام لأنه سبحانه لا يحب المسرفين ولا يرضى عنهم . وتؤكد السنة النبوية الشريفة هذا المعنى حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة (كبر وإعجاب بالنفس) ولا سرف فان الله يحب ان يرى اثر نعمه على عبده » (رواه النسائي وابن ماجة) والاسراف في المأكل والمشرب اذا تجاوز الحدود الشرعية فهو حرام واذا تجاوز الطاقة المالية فهو خطر واذا تجاوز الطاقة البدنية فهو ضرر . والذي تشكوه ايها الرجل سببه الاسراف في اكلك وشربك وهي اعراض مرض (النقرس) (Gout) او « داء الملوك » واليك التفصيل :

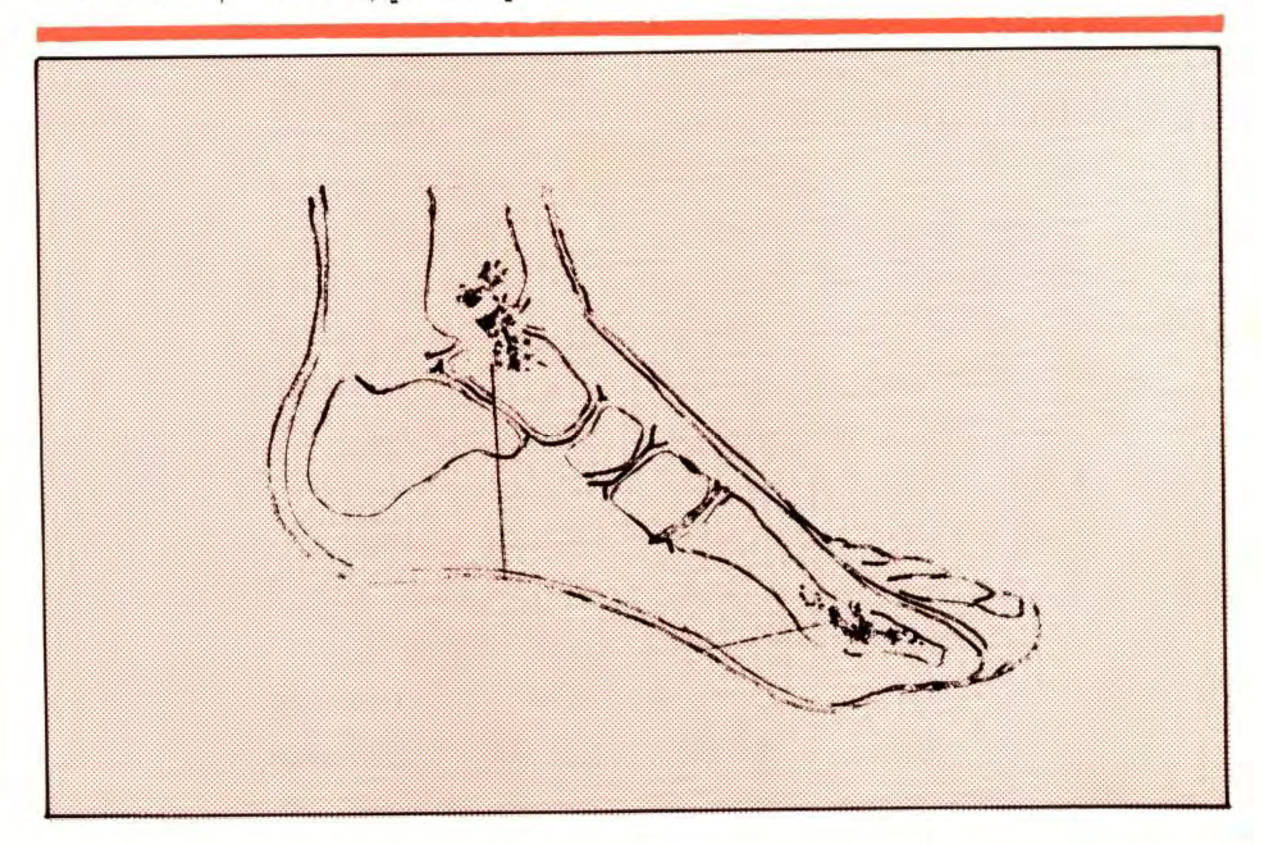
كلمة عامة :

يعتبر النقرس من امراض المفاصل المعروفة من قديم الزمان وقد أصيب به بعض المشاهير امثال الاسكندر الاكبر ولويس الرابع عشر والرئيس الامريكي بنيامين فرانكلين . وهذا المرض مصحوب بارتفاع نسبة حمض « البوليك » (Uricacid) في الدم ونسبته الطبيعية ما بين ٣ ـ ٦ مليجرام في كل ١٠٠ سم من الدم وترتفع تلك النسبة بعد بدء المرض بوقت قصير وتترسب املاح ذلك الحمض في الغضاريف (جمع غضروف) والمفاصل فتتلفها كما تترسب في اربطة العضلات وفي الكلية في بعض الاحيان .

وهذا المرض يصيب الرجال غالبا ما بين الخامسة والثلاثين والخمسين ولكنه قد يظهر قبل ذلك .

اسباب المرض :

ليس من المعروف الاسباب التي تتحكم في نسبة حمض البوليك بالدم



يبين الشكل رواسب حمض البوليك في مفصل رسغ القدم وابهامها وتسبب تلك الرواسب « النقرس » وهو نوع من التهاب المفاصل

وبالتالي اسباب النقرس على وجه التحديد ولكن الذي لا شك فيه ان الغذاء يلعب دورا رئيسيا في هذا المرض اذ ان حمض البوليك مشتق من المواد التي يدخل « البيورين » في تركيبها والبيورين مركب كيميائي سهل التحول الى حمض البوليك ومن الاطعمة الغنية بالبيورين ما يلي :
اللحم خصوصا الاحمر ـ الكبدة ـ الكلاوي ـ البنكرياس ـ الديوك الرومي ـ السردين ـ الرنجة ـ الانشوجة ـ الشاي ـ القهوة ـ الشمبانيا ـ النبيذ ـ البيرة .

وعلى ذلك فان النقرس اكثر شيوعا في اولئك الذين يأكلون اللحوم بكثرة واصحاب المآدب الحافلة بأطايب الطعام والمسرفين في طعامهم وشرابهم امثال الاغنياء والملوك لذلك اطلق عليه « داء الملوك » وان كان قد وجد بعض حالات النقرس بين النباتيين ولكن على الرغم من ذلك لا بد من اتباع نظام غذائي معين لا يحتوي على اللحوم بكثرة حتى نقلل من ارتفاع نسبة حمض البوليك بالدم .

انواع النقرس :

١ ـ النقرس الحاد :
يظهر هذا النوع غالبا بدون انذار واكثر المفاصل اصابة هو المفصل الاخير من الاصبع الكبير بالقدم وتظهر الاصابة في ساعات الصباح

حيث يستيقظ المريض على الم بذلك المفصل ربما يصعب عليه احتماله ويزداد هذا الالم مع حركة الاصبع او لمس الاغطية له . وقد تظهر نوبة الالم عقب عملية جراحية او عدوى او نتيجة لبس حذاء ضيق وقد تظهر من غير سبب ، وقد يصاب المريض بصداع وارتفاع في درجة الحرارة مع عدم القدرة على المشي .

واذا نظرنا الى المفصل وجدناه متورما لامعا شديد الحمرة واذا لمسناه وجدناه ساخنا ويخف الالم احيانا اثناء النهار ليعود تارة اخرى اثناء الليل مسببا الارق في كثير من الاحيان . وتستمر النوبة من يومين الى اسبوع ثم يقل الالم تدريجيا مع استمرار الورم اياما اخرى يصعب فيها لبس الحذاء ثم تزول النوبة الحادة الاولى . ثم تمضي فترة قد تمتد الى عام او عامين لا يشكو المريض فيها الما بالمفاصل على الاطلاق وان كان بعض المرضى يشعر بتعب في ذات المفصل ولكن لا يمنعهم من ممارسة نشاطهم العادي ويستمر الحال هكذا الى ان تتكرر النوبة وتتحول الحالة من حالة حادة الى حالة مزمنة . وقد تكون للنوبات المتكررة - في بعض الاحيان - علامات منذرة بحدوثها مثل : اضطراب المعدة والامعاء واحساس المريض بالانقباض وتغير المزاج وقد تكون تلك العلامات واضحة جدا بدرجة تجعل المريض او اهله قادرين على التنبؤ بأن نوبة جديدة ستصيبه . وتعود النوبة في نفس المفصل او مفاصل اخرى وحينما يتحول النقرس الى مرض مزمن يكون من العسير التمييز بينه وبين التهاب المفاصل شبه الروماتزمي .

وقد لا نتبين نوبة النقرس الحادة وبخاصة اذا اصابت مفصلا غير مفصل الاصبع الكبير بالقدم وقد تشخص على انها التهاب بالمفصل لا يرجع الى النقرس ولكن يمكن اكتشاف ذلك بواسطة اختبار بسيط لقياس نسبة حمض البوليك في الدم فاذا كانت مرتفعة كان ذلك نذيرا بأن المرض هو النقرس .

العلاج :

تعالج النوبة الحادة بكثير من الادوية في مقدمتها (خلاصة اللحلاح) « الكولشيسين » وهو يستخلص من نبات الزعفران وهو علاج معروف من عهد اطباء بيزنطة في القرن الخامس الميلادي ويمكن ان تعالج النوبة كالاتي :

١ - اقراص « كولشيسين » (٢/١ جرام) قرص كل ساعة حتى يخف الالم او يحدث اسهال ثم قرص الى قرصين يوميا فيما بعد .

٢ - فوارة سترات الصوديوم او اليوروسلفين (Ulrosolvine) (ملعقة صغيرة على الـ ٢/١ كوب ماء بعد الاكل) .

٣ - اقراص « فينايل بيوتازون » (قرص بعد الاكل ثلاث مرات يوميا) .

٤ - مشتقات الكورتيزون مثل « البريديلون » (قرص بعد الاكل اربع مرات يوميا) .

٥ ـ اقـراص زيلـوريـك (Zyloric) (قرص مرتين يوميا) .
٦ ـ راحة تامة بالفراش .
٧ ـ تناول سوائل بكثرة ويجب ان لا يقل حجم البول عن لترين يوميا .
٨ ـ تجنب الاطعمة والمشويات التي تؤدي الى زيادة نسبة حمض البوليك سالفة الذكر بقدر الامكان . تلـك خلاصة علاج النوبة الحادة والامر متروك للطبيب المعالج بطبيعة الحال .

النقرس المزمن :

لا شك ان تكرر اصابة مريض النقرس بالنوبات الحادة التي لا تعالج يؤدي الى ظهور اعراض النقـرس المزمن وفي الغالب لا يحدث ذلك قبل مضي عشر سنوات على الاقل على ظهور النوبة الحادة الاولى .

وفي النقـرس المـزمن تتـرسب بللورات صلبة من حمض البوليك تعرف بالحصب في المفاصل (انظر الى الرسم) والانسجة وتؤدي الى حدوث تشوهات بها كما في مفصل الاصبع الكبير وشحمة الاذن . ويتلف المفصل المصاب بالنقرس بنفس الطريقة التي يتلف بهـا اذا اصيب بـالتهـاب روماتيزمي وقد ينتهي به الامر الى فقدان الحركة تماما . وقد يصاب نسبة من مرضى النقرس تصل الى عشرين في المائة بأعـراض نتيجة اصابة الكلية .

وكلما ظهر النقرس في سن مبكرة كان المريض اكثر تعرضا للاصابة بأعراض عنيفة اما هؤلاء الـذين يصابون بالنقرس بعد سن الخمسين فنادرا ما تحدث لهم تلك الاعراض .

العلاج :

تعالج الحالة المزمنة بنفس الادوية التي تعالج بها الحالة الحادة مع التعديل بالطبع وقد تستدعي الحالة اضافة انواع اخرى من الادوية اذا اصيبت الكلية وقد تساعد الجراحة في ازالة الحصبات وتقويم التشوهات .

والآن وقد انتهينا ايها الرجل من الكلام (بايجاز) عن مرضك دعنا نتمم الصورة لك ولغيرك بالحديث بايجاز عن نتائج الاسراف في تناول المواد الغذائية المختلفة ثم الحديث عن الغذاء المتوازن .

نتيجة الاسراف في تناول المواد البروتينية :

وهي التي تحتويها الاطعمة سالفة الذكر بالاضافة الى البيض والسمك واللبن والجبن وقد عرفنا انها تؤدي الى ظهور مرض النقرس كما تؤدي الى ارهاق الجسم في عملية الهضم كما تساهم بما فيها من دسم في الاصابة بضـغط الـدم المـرتفـع وتصلب الشرايين . لذلك كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر من تناول اللحم فيقول :

« اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر » . قال السيوطي في شـرحـه عـلى « المـوطـأ » (٣ / ١١٧) : اياكم واللحم اي الاكثار منه فان له ضـراوة . قال « الباجي » : يريد عادة يدعو اليها ويشق تركها لمن الفها وزاد في النهاية

فلا يصبر عنه من اعتاده يقال : ضرتي بالشيء اذا لهج به .

والمعروف ان التركيز على البروتينات مع حرمان الجسم من الخضروات التي تحتوي على السليولوز يعرض الانسان الى الامساك ومضاعفاته . والمعروف ان البطنة تذهب الفطنة وتوقظ الشهوات .

نتيجة الاسراف في تناول المواد الكربوهيدراتية (النشوية = السكرية) :

من المعروف ان الاكثار من المواد السكرية يؤدي الى حدوث تخمر بالامعاء وقد يؤدي الى حدوث اسهال والمعروف ان هذه المواد يتم احتراقها داخل الجسم لتتحول الى سعرات حرارية بالقدر الذي يحتاجه الجسم وما زاد عن ذلك فانه يتحول الى شحم يتراكم بالجسم ويتسبب في زيادة وزنه . ويتحد السكر الزائد بالكالسيوم الموجود بالانسجة فتنخفض نسبة الكالسيوم بالدم ويتم تعويض ذلك من العظام والاسنان وبالتالي يؤدي ذلك الى ضعف العظام وتسوس الاسنان كما انها ليست في مصلحة مرضى البول السكري .

الاسراف في تناول المواد الدهنية :

لا شك ان المواد الدهنية تشكل عبئا ثقيلا على اجهزة الجسم كلها وفي مقدمتها الجهاز الهضمي وهو المسئول عن هضمها بالاضافة الى الجهاز الدوري (القلب والاوعية الدموية) حيث تؤدي الى زيادة الوزن وبالتالي زيادة العبء على القلب وارتفاع نسبة « الكولسترول » بالدم . (هو المادة التي تؤدي الى تصلب الشرايين) .

الغذاء المتوازن :

لكي يكون الغذاء متوازنا لا بد ان يحتوي على العناصر الاساسية التي يحتاجها الجسم وهي : البروتينات - الكربوهيدرات - الدهون - الفيتامينات - المعادن .

وقد منح الخالق جل وعلا الجسم قدرة فائقة على التصرف الكيميائي في محتوياته فهو يستطيع ان يحول الدهون الى سكر ويحول السكر والبروتينات الى دهون حسب حاجته ولكنه لا يستطيع ان يحول السكر والدهون الى بروتين وعلى ذلك فلا يجوز حرمانه من البروتينات بحجة تناول اغذية اخرى واهم مصادر البروتين هي :

اللحم - السمك - البيض - اللبن - الجبن . وهذه مصادر البروتين الحيواني اما مصادر البروتين النباتي فهي :

الفول - العدس - البازلاء - البندق وغيرها .

وحاجة الجسم من البروتين اقل مما يظنه الناس فالشخص البالغ يستطيع ان يعيش في حالة صحية جيدة اذا تناول نصف جرام بروتين لكل كيلو جرام من وزنه فمثلا الشخص الذي يزن ٧٠ كيلو جراما يحتاج الى ٣٥ جراما يوميا من

البروتين العالي المرتبة مع ما يلزمه من الدهون والكربوهيدرات والفيتامينات والمعادن والماء .

والفيتامينات مواد خاصة توجد بكميات متفاوتة في الاطعمة وهي تحافظ على قوة الابصار وتساعد على نمو الجسم وعلى غيره من وظائف الجسم .

اما المعادن الضرورية للجسم : فهي : الكالسيوم والفوسفور (لتكوين العظام والاسنان) والحديد (يدخل في تكوين كريات الدم الحمراء) . والمعادن الثلاثة متوافرة في البيض ومنتجات اللبن واللحم الخالي من الشحم والدقيق الممتاز .

ومن مصادر الكالسيوم الجبن والعسل الاسود ورؤوس اللفت .

ومن مصادر الفوسفور : الحبوب واللحم والسمك .

ومن مصادر الحديد : اللوبيا والفاصوليا والكبد والبنجر والسبانخ وخبز القمح الكامل .. ويحتاج الجسم الى قدر يسير من اليود (لمنع حدوث « الجويتر » بالغدة الدرقية) ويمكن الحصول على هذا القدر من ملح الطعام الذي يحتوي على اليود .

ويحتوي الغذاء المتوازن كذلك على قليل من المغنسيوم والمنجنيز والنحاس . والمواد الكربوهيدراتية تمد الجسم بالطاقة بعد وقت قصير من تناولها اما الدهون والبروتين فانها تحتاج الى بعض الوقت حتى يحصل الجسم على الطاقة منها .

ولا يمكن ان يضع الانسان قائمة واحدة للغذاء المتوازن لأن لكل بلد مزاجه الخاص في المأكل والمشرب وطريقة اعداد ذلك بل ان لكل انسان بمفرده رغبة في طعام قد لا يشاركه فيها غيره وهكذا .. ولكن يمكن ان تكون هناك قائمة تقريبية بحاجة الجسم اليومية من الطعام وهي :

- لبن : نصف لتر (يزاد في حالة الاطفال) .
- بيض : واحدة (او ما يساوي ذلك من الفول او الجبن او اي بروتين اخر) .
- لحم - سمك - دجاج : شريحة او شريحتان .
- بطاطس : واحدة او اثنتان .
- فاكهة : ثمرتان احداهما حمضية (اي مصدر لفيتامين ج او اي بديل) .
- خبز : رغيف مصنوع من الدقيق الكامل او مضافا اليه مواد اخرى

ويضاف الى ذلك الحلوى والدهون واطعمة اخرى لاستكمال الوجبات والحفاظ على وزن الجسم في حدوده الطبيعية .

وبعد ..

فاننا نرجو ان لا يسيطر الشره الغالب والشوق العارم الى الطعام على ابناء المسلمين وان يرتفعوا في درجات من الفهم الى مستوى قوله تعالى :

« **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » .

وان لا يهبطوا في دركات سوء الفهم الى مستوى الذين قال الله فيهم « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم** » (محمد / ١٢) .



(١)

لاريب أن الأدب العربي افتقد انسانا مسلما ظل طيلة حياته ذائداً عن حياض اللغة والدين ، متصديا لخصوم القرآن المبطلين ، يحمل قلبا لا يخشى الا الله ، وقلما مؤيدا بمدد الاسلام ، وانه لمنحة للذين عايشوه فتنكروا له قبل ان يكون هاديا لبني العروبة الأوفياء .. .. ولكنهم جمدوا مآثره ، ورفضوا مصنفاته ، انه الأديب الحجة المرحوم : « **مصطفى صادق الرافعي** » ١٨٨٠ - ١٩٣٧م .

واذا ما ذكر ذهب الفؤاد الى آفاق سماوية ، تعلو فتنتشر الجو عبيراً ينطق بحلاوة اللفظ وصدق المعنى ، وعذوبة البيان ،.... ولكم حز في النفس ان تأتي الذكرى المئوية لميلاده ثم لا يتذكره كاتب او اديب ؟! - في وطنه - ناهيك المحاولات المدبرة في الخفاء للقضاء على فكره ، وانها لمؤامرات ساقطة ! وعما قليل سيعلم اهلها منقلبهم السيء ، ولا عليك ممن سار في ركابهم ، فتالله ماكره « ابا السامي » الا حاقد وما ابغضه الا منافق ..

وسلوا التاريخ عن معاركه مع جل الأدباء .. لماذا نشبت نارها واضطرم لهيبها ؟ ؟- لا لشيء - شهد الله - سوى « القرآن والفصحى » ، وكأن « الرافعي » قد كلف حراستهما دون غيره من البشر اما وقد اكتملت فيه فضائل الذات الاسلامية بيد أنه يتصل بالفاروق « **عمر بن الخطاب** » الخليفة الثاني ، واجداده كلهم من

تاريخ لا يُنسى وَذكرى لَن تموت

للاستاذ

عبد الجواد محمد الخضري

ذوي الاريحية والعلم زد على ذلك الذكاء المتوقد ، والفطرة الصافية التي وهبها الحق كل الشمائل الحسنة والطباع النيرة فهي مدفوعة الى الانصاف مقتحمة مواطن الهلاك - ارضاء لله - الكبير المتعال « **لقد كان ناقدا عنيفا حديد اللسان ، لا يعرف المداراة ، ولا يصطنع الادب في نضال خصومه .. وكان فيه صراحة وصرامة ، وكان له في الادب مذهب وحده .. وحرصه على اللغة من جهة حرصه على الدين اذ لا يزال منهما شيء واحد قائم كالاساس والبناء لا منفعة فيهما معا الا بقيامهما معا** » وليس بد من كشف اللثام عن واحدة من اخطر المعارك التي دارت رحاها منذ ان بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - والى ان تنقضى الحياة !! ولم لا ؟ وكلما ظهر اعداء الدين ظهرت الصيحات المدوية بالمصطلحات التي ابتدعها اهلها للكيد بين المسلمين وما قضية « **القديم والجديد** » **الا خدعة يرتكز عليها المستعمرون ، حتى لا يتفرغ الناس الى شئون الفكر العملي واللحاق بركب التقدم « التقني » .. واذا كنت اليوم اقلب صفحات ماضية فما اردت الا تنبيه العقول الى الفكر الوافد في اثواب « التعادلية » التي ينادي بها بعض الادباء العرب المحدثين ، انهم لا يفرقون بين مسلم ويهودي ، ولا بين عربي وغربي ،**

ولا بين اخلاق وانحلال ، وفي غيبة الضمير اعادوا ما ردده « طه حسين » في الربع الثاني من القرن العشرين وانه لواجب للأدب ان يسترد حقه المنتزع في عيد

« **الرافعي** » الذي رد على هؤلاء بأقوى ما عرف من اسلوب ، وما ظهر من بيان « **بوسيلة القلم الذي لا يجاري والفكر الذي لا ينقض والخيال الذي لا يلحق ، والقوة المستحصدة ، والطبع المستجيب ، والكلام الذي تراه حيا ساميا فتحسبه ينبع من موضع يد الله في النفس الانسانية** » .

- ٢ -

وبدأت امارات الحرب حين نشر الدكتور « **طه حسين** » **كتابه) في الشعر الجاهلي)** وحمل فيه حملات شعواء على الحقائق التاريخية .. زاعما انه يحكم منهج (ديكارت) الفيلسوف الفرنسي فضل الطريق ، وضلل تلاميذه ، ولما سئل عن احداثه اجاب : ان لي طريقة حديثة في الأدب والشعر ، وطرائق البحث ! فهب الادباء يدافعون عن حمى التراث القومي ، ومن هؤلاء : « **الخضر حسين - محمد فريد وجدي - محمد احمد الغمراوي - شكيب ارسلان** » ، وغيرهم الا ان « الرافعي » افرد العقل فجاء بمقالات جاءت كاللهب المقذوف .. ظلت تترى في ثورة عارمة كأن فيها « معنى الدم » .. ولان الله غالب على امره ، متكفل بحفظ دينه حدث ما لم يكن في حساب حاسب ، اذ ان ازمة سياسية - ارادها الجبار المنتقم - فوقعت بين الحزب الحاكم ، وحزب الامة وكان الدكتور ينتمي الى الحزب الحاكم بينما حزب الامّة هو حزب الزعيم « سعد زغلول » مما جعل الشعب بمثقفيه وقرائه وعوامه يقفون يدأ واحدة تحت لواء (الرافعي) ضد طه حسين .. وتابع القراء مقالاته التي نشرت في مجلة (كوكب الشرق) فصار للناس رأي في الادب ادلوا به من باب السياسة التي اتفقت وتصادفت في الوقت نفسه مع الحقيقة الدينية ليكون الرأي لكلمة الله « **على ان هذه المقالات باقبال الناس عليها - لسبب ادبي او لسبب سياسي - قد بعثت روحا دينية كانت راقدة ، واذكت حمية كانت خامدة ، والفت قلوبا الى قلوب كانت متنافرة ، ونبهت طوائف من عباد الله كانت اشتاتا لتعمل للذود عن دين الله** » ..

وكان لا بد من تقديم عميد الأدب العربي للمحاكمة ، واصدرت الجامعة الأوامر بجمع نسخ الكتاب من المؤلف ومن المكتبات ، ومنع تداوله ... ، « ورب ضارة نافعة » لقد عرف العالم العربي « الرافعي الناقد » الذي رسم معالم النقد الاسلامي من ناحيتي المبنى والمعنى وطبع مقالاته في كتاب عرف فيما بعد « بالمعركة تحت راية القرآن » ارتأى صاحبه ان ضعف اللغة مرده الى ضعف الدين « **ولن تجد ذا دخيلة خبيثة لهذا الدين الا وجدت له مثلها في اللغة** » وما هذا الحكم الا كبرهان على سمو اخلاق الرجل ، وثقته بالمنهج الالهي في تربية الذوق وتهذيب الحس والأدب ، ان

خرج من مرآة القرآن أعان القارىء على الحياة الآمنة ونظم له امور الدنيا ، وهون عليه متاعب الدهر وتلك مهمة الأدب الذي اشترط له « الرافعي » ان يوافق السلوك والتطبيق اي ان « ادب النفس قبل ادب الدرس » واذا كان بعض المفكرين ينفي صفة النقد عنه ، فانه ـ اي النافي ـ معذور !!

وانها لمتناقضات ان نحتكم الى قواعد الغرب في الحكم على الشرق ، مع المفارقات والتفاوتات بيننا نحن الشرقيين وبينهم ..

إن من شك في ايمانه يجب ان لا نأخذ عنه الا ما صح عند سليم العقيدة ، وليس من الجائز ادخال النظريات الالحادية اللاأخلاقية في اغراض الادب بله الفكر بصفة عامة .. واذا رأينا اي اديب يماري في ذلك اخذنا عنه بحذر حتى لا نقع في محظور نهى الدين عنه فالكلمة المكتوبة تخضع لقول الله : (**ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد**) ق/١٨ ، وحين ننظر الى الادب نجرد انفسنا من المؤثرات الخارجية التي تلعب دورها في تعلية هذا واسفال ذاك ... وتأمل ما يقوله « الرافعي » بهذا الصدد .. .. انما نعمل على اسقاط فكرة خطرة ، اذا هي قامت اليوم بفلان الذي نعرفه ، فقد تكون غدا فيمن لا نعرفه ، ونحن نرد على هذا وعلى هذا برد سواء لاجهلنا من نجهله يلطف منه ، ولا معرفتنا من نعرفه نبالغ فيه .. فان كان في اسلوبنا من الشدة او العنف او القول المؤلم او التهكم « فما ذلك اردنا » ولكنا كالذي يصف الرجل الضال ليمنع المهتدي ان يضل ، فما به زجر الاول به عظة الثاني .. .. » ..

ـ ٣ ـ

تلك مجمل آرائه في النقد ، فهو لا ينتقد الأشخاص لذواتهم كلا ! بل يستهدف التقويم والاصلاح فليست الخلافات المذهبية دافعا للاختلاف والعداء تحت ستار الادب وفي نفس الوقت يؤكد على سلامة نيته وصفاء قلبه بأن استعمال هذا الاسلوب لا يختص بعدو دون حبيب بل انهما سواء في مثله فلا مواربة ولا « مجاملة » حتى ولو ادى الجهر بالحق الى تحول الصديق عدوا ..

أما الأسلوب اللاذع الذي استخدمه في كتبه المتعلقة بالنقد الادبي ففي رأينا الشخصي انها جاءت ملائمة لمقتضى الحال ، فالهجمة الشرسة التي قادها الاستعمار ضد الاسلام جعلت من بعض المرتزقة ورجال الادب معاول هدم لتقويض الصرح الشامخ ، ولن نتزيد ان ـ قلنا : اخطر حقبة مر بها الفكر الاسلامي هي التي انحصرت ، في غضون العشرينات والثلاثينات ، فيها ظهرت الأهواء الفاسدة والمذاهب الأدبية العليلة التي تركت أثرها السيء في الأمة الى اليوم ، وكلما ازداد

الانسان قربا من « الرافعي » فهم اهدافه السامية من مكتوباته ، وليعلم خصومه ان مؤلفه (على السفود) لا يسجل مفاهيم النقد التي ارتضاها ، وقد صرح قبل رحيله الى عالم الخلود للأستاذ « محمد سعيد العريان » انه لم يكتب ما كتب في حالته المعتدلة العادلة ، ولعل هناك ما لا اعلمه من اكراه « الرافعي » على تصنيف هذا الكتاب وارجح انه تراجع عن جله .... ولو عاش لجلس والعقاد على كرسي واحد كما كانا قبل بذور الشقاق ، على اي خصومة « طه » لله وحده ولك ان ترى حياته ناطقة بفعله .. لقد نظر الدكتور العربي المسلم المسمى بأشرف الاسماء (طه) الى الاسلام نظرة يأباها المنطق والانصاف ، ويتعسف حين يوافق اليهودي الكافر « كليمان هوار » فيقول قالة !! ضد العروبة .. رغم ان قصة ابراهيم حيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب ، وبين الاسلام واليهودية وبين التوراة والانجيل ، وهذا افتراء على الواقع وجهل بالتاريخ ، واستخفاف بالعقل فالنصوص الموثقة تقول : ان العرب لا يعتبرون اليهود منهم ، وما كان للعرب ان يتبرأوا من اليهود الا للعداوة الدائمة بين العرب واليهود يقول « الجاحظ » : **جاء الاسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة الا ما كان من ناس من اليمانية ونبذ يسير من جميع اياد وربيعة ، ومعظم اليهودية انما كانت بيثرب وحمير وتيما ، ووادي القرى في ولد هارون دون العرب** » .

ويسوءنا ان تردد الأبواق العميلة ما اثاره الدكتور لخدمة بعض الاغراض الشخصية والذين يسلكون هذا الدرب يبغضون العرب ، ويزرعون الشعوبية الحمقاء ، اتراهم يجهرون لاجل الادب ؟ ام لحاجة في صدورهم ، لقد عقدوا « المهرجانات » واقاموا الحفلات بل قامت دار نشر صهيونية بطبع مصنفات « طه حسين » ، وتنوي احدى دول الاسلام اصدار جائزة للفكر الاسلامي تحمل اسم « طه حسين » .. أهذا منطق .. اهذا كلام ؟

لعمري ، هذا أقل شيء يفعله اليهود مع عميد الأدب الذي افتتح الجامعة العبرية وروج للفكر اليهودي عن طريق مجلته (الكاتب) ، وانكر شخصية واحد منهم هو (ابن السوداء - عبد الله بن سبأ) انكره ليبرىء اليهود من الفتن المدسوسة في العهد الاول ..

ان الادب ليس ملكا لاحد ، ولا يحق لقوم ان يحتكروا احكامه ، والى الذين - يقدسون الاشخاص نقول : راجعوا انفسكم بروية ربما عدتم الى الصواب بعد القول الفصل الذي قرره الاستاذ : « انور الجندي » ورفيقه « المحتسب » بشأن « طه حسين » الذي صوره « الرافعي » اصدق تصوير حين قال : « **انه مجموعة افكار مضطربة متناقضة ، وطباع زائفة ، وما من عالم في الارض الا وانت واجد آراءه قائمة بمجموع**

اخلاقه اكثر مما هي اتية من صفاته العقلية ، ولذلك يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان اخوف ما اخاف على امتي كل منافق عليم اللسان » رواه احمد . وطه رجل ارسلوا لسانه وقلبه الى اوروبا « فتنكر للعربية والعقيدة » .

ـ ٤ ـ

ان تقديس الادب ومفكريه ، ليس من قيمنا الربانية ، ورحم الله سادتنا الذين وضعوا ميزان « الجرح والتعديل » وهؤلاء لو ادوا الامانة لاقتدوا بهم في تحكيم هذا الميزان في الادب ـ ايضا !!

ومازالت اقلام المنصفين تنادي بابعاد الفكر الوافد المحمل بالانحلال والفسوق ، وها هي ذي مدرسة « الرافعي » تقف في وجه الخصوم .

ومن حسن الطالع انها ليست اقليمية بل عربية اسلامية ، ولن تجد دولة من عالمنا العربي الا و « للرافعي » بنهجه رسول هداية يكشف الظلمات ، وينير الطرقات ورحم الله الذين تمسكوا بالخط البياني الذي سار عليه صاحبنا ومنهم : « محمد احمد الغمراوي ـ كامل محمود ـ محمد سعيد » اذا طالعت بواكيرهم الادبية سبحت في عالم الطهر والعفاف .. ورحم اللغة امسك وشيجة من رحم النسب عند هؤلاء ، لقد تمسكوا بلغة القرآن فكرا واسلوبا وتعبيرا بالرغم من اختلاف مناهجهم الدراسية ، ومناهلهم في البحث ، وهذه هي العظمة التي لا تحتكم الى عبادة غير الله ، احبوا « الرافعي » بلا واسطة ولا سبب اللهم الا وحدة الفكر ، وشمولية الهدف ، ومازالت ثلة من خلفهم تعطي بلا من .. .. بارك الله خطوات الأحياء : « **علي الطنطاوي ـ محمد شاكر ـ عبد السلام هاشم حافظ ـ حسين زيدان** » رواد مدرسة الاصالة .

واني اناشد المتأدبين الجدد بمطالعة آثار « الرافعي » حتى يستقيم قلمهم ، ومن ذا الذي اقتدى به ؟ ثم ضل ولم ينتفع لقد كتب ـ رحمه الله ـ في اللغة والدين والفلسفة والحب والتاريخ وغدت كتبه « **تاريخ آداب اللغة ـ اعجاز القرآن ـ تحت راية القرآن ـ السحاب الاحمر ـ أوراق الورد ـ رسائل الأحزان** »... من اهم ما يزين عصر الانحطاط الادبي ، وتخيل معي رجلا اعزل اليد ، لم ينتقل من بلدته « طنطا » ولم يعرف رئيسا او حاكما ومع ذلك خاض المعارك كلها ، وانتصر فيها باخلاصه وايمانه وكأني به ، وهو يستنفر جهده للدفاع عن حمانا ليحمي حقيقنا ! ولله در القائل :

مهذب الطبع مأمون الضمير اذا بلوته كان باديه كخافيه
حاز الكمال فلم يجنح لمنقبة فلست تنعته الا بما فيه !!



في بيت أحدهم اجتمع الرجال السبعة ، وأخذوا يتباحثون فيما بينهم هذا الموقف ، الذي شغلهم جميعا كما شغل الناس جميعا ، وتوحد موقفهم حياله بينما أختلفت مواقف الناس جميعا . وقال أحدهم : لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بغزو الروم .

ماذا تقول يارجل ..؟ ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصرح بجبهة الغزو عادة .

فقال الذي أخبر : انه قد بين الجهة هذه المرة للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يقصده وحتى يتأهب الناس لذلك .

فقال ثالث : يالها من فطنة هذه التى يتحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم عندما صرح بذلك حتى يكون الناس على بينة فيقررون الذهاب للجهاد معه أو عدم الذهاب وهم كذلك على بينة خاصة ونحن في زمان من عسرة الناس وشدة من الحر ، وجدب من البلاد وقد طابت الثمار أو أوشكت والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم .

وأخذوا يتبادلون أحاديث غزو النبي صلى الله عليه وسلم للروم بتبوك ويذكرون بعد المسافة وقلة الزاد وموقف المنافقين المثبط للهمم والمشكك في النصر ، ويذكرون كذلك تدافع الناس على النبي صلى الله عليه وسلم للاشتراك في السير معه كما يشيدون بمواقف أهل الغنى الذين أخذوا في

تجهيز المجاهدين .

حتى قال أحد السبعة : لكن يا أصحابي !! ماذا سنفعل ؟

لقد قال الله تعالى : **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)** التوبة/ ٤١ ، وان الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم لغزو الروم يحتاج منا الى مال كثير لا نملك منه شيئا ، كما يحتاج الى ظهور تحملنا ، وليس عندنا ما يحملنا مع المجاهدين .

وقال آخر : ولابد لنا إن شاء الله من الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة البعيدة تنفيذا لأمر الله تعالى ، ولا ينبغي ان يفوتنا الاشتراك فيها ، فان احساسا يخامرني بأنني سوف أنال الشهادة في هذه الغزوة بأذن الله تعالى .

وقال ثالث : عندي اقتراح ..!!

فقال الجميع : ما هو ..؟

قال : فلنجمع ما نملكه نحن السبعة ونقتسمه بيننا حتى نتمكن به من شرف الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزو .

فأطرق الجميع رؤوسهم ووافقوا على هذا الاقتراح بصوت خفيض لا يكاد يبين .

وبدءوا في احصاء ما يملكون رغبة في تجهيز أنفسهم جميعا بما لديهم كذلك

فأطرق الاول مفكرا وقال بصوت خفيض : لا شيء عندي .

واطرق الثاني مفكرا وقال كذلك بصوت خفيض : لا شيء عندي .

واطرق الثالث وقال نفس المقالة .

وقال الرابع كذلك .

والخامس كذلك .

وقال السادس وأنا كذلك : ما عندي شيء .

وقال صاحب الاقتراح : والأسف يغطي ملامح وجهه وأنا كذلك .

اذا ..!!

ماذا نفعل ..؟؟ لابد من الاستجابة لامر الله تعالى

لابد من الذهاب ، لابد من مصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الغزو

لابد من الذهاب ، لابد ...

ولفتهم الحيرة بصمت ثقيل طويل .

وقال أحدهم : عندي اقتراح آخر !!

فقال الجميع بلهفة : ما هو ؟؟

قال :فلنذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونطلب منه أن يحملنا معه وسوف يكفينا مؤونة الزاد والراحلة ، وهو يعلم أننا جميعا أهل حاجة .

فقال الجميع : نعم ما رأيت ، وبهذا لا يفوتنا شرف الاشتراك وفرصة الاستشهاد في هذه الغزوة .

واستقر رأيهم على هذا الحل الذي لم يجدوا غيره يحقق لهم هدفهم ، ويمكنهم الامتثال لقوله تعالى : **(انفروا خفافا وثقالا)**

وقام الجميع من المجلس .

* * * * *

وتوجه الرجال السبعة الى النبي

صلى الله عليه وسلم
سالم بن عمير .
وعلبة بن زيد .
وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب .
وعمرو بن حمام بن الجموح .
وعبد الله بن المغفل المزني .
وهرمي بن عبد الله .
وعرباض بن سارية الفزاري .
ودخلوا عليه صلى الله عليه وسلم .
وقالوا : يا رسول الله ..!!
ان الله قد ندبنا للخروج معك والجهاد لرفع راية الاسلام ونحن نحب أن لا يفوتنا السير في صفوف الذاهبين معك لقتال الروم في تبوك بيد اننا ـ كما تعرف ـ أهل حاجة وفقر ولا نملك جميعا من الزاد والراحلة ما يجعلنا مع المجاهدين .
وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فترة ، راجع فيها رجاله وعدته وعتاده وما تجهز لديه ، ووجد عليه الصلاة والسلام انه لم يتبق لديه ما يحملهم معه عليه .
وسكت جميع الحاضرين مجلس النبي صلى الله عليه وسلم .
وسكت الرجال السبعة : يداعبهم الامل في حمل النبي صلى الله عليه وسلم لهم معه ويراودهم حب الاستشهاد في سبيل الله تعالى وترفرف أمام اعين خيالاتهم رايات نصر النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الروم الذاهب اليهم .
وخيم الصمت على المجلس .
ثم .. ثم نطق النبي صلى الله عليه وسلم قائلا لهم : **(لا أجد ما أحملكم عليه) .**
ووقعت الطامة على رؤوس الرجال السبعة ، وعلت الدهشة وجوههم . وملامحهم تنطق بأنهم ما سمعوا أو أنهم سمعوا لكنهم ما فهموا ، أو أنهم سمعوا وفهموا لكنهم ما كانوا يودون ذلك ، ولم يصرفهم ما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم عن رغبتهم الصادقة وحبهم الشديد للذهاب الى قتال الروم .
فقال أحدهم : بصوت ينم عن التواضع في الطلب ، يا رسول الله ! احملنا معك على أقل ما يحمل عليه المجاهد ، احملنا على ما يمكن الاستغناء عنه بحيث لا تتركنا نتخلف عن هذه الغزوة البعيدة .
وقال آخر وصوته يقطر رجاء وتوسلا ، يا رسول الله ! احملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة لنغزو معك .
فقال صلى الله عليه وسلم وقد درس هذا الامر قبلا وأصدر فيه رأيا بصوت تواسيهم نبراته : **(لا أجد ما أحملكم عليه) .**
وصمت الرجال السبعة وقتل الأمل الذي يداعبهم ، وسدت المنافذ أمامهم وقطع منهم خيط الرجاء .
اذاً ..
فلن يمكنهم الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولن ينالهم شرف الجهاد معه في هذه الغزوة البعيدة .. وسيكتب عليهم التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وانصرف الرجال السبعة من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم

(وأعينهم تفيض من الدموع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) وأن ينالهم عقابه على تخلفهم هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم ليسوا من الضعفاء ولا من المرضى حتى يكون لهم العذر في هذا التخلف الذي صار شيئاً مخيفا وباب عصيان فتح عليهم ، واسود الابيض أمام اعينهم ، وخيم خوف العصيان عليهم ، وجثم كابوس التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدورهم .

وانهمر الجميع في البكاء نعم في البكاء الشديد واستولى عليهم بصورة عجيبة يقطر منها الايمان ويفوح منها الخوف من الله ويشع منها حب الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصار الرجال السبعة يبكون ويتوجهون الى الله تعالى .

- في الطرقات يبكون .
- في البيوت يبكون .
- في المسجد يبكون .
- في جماعتهم يبكون .
- على انفرادهم يبكون .

خوفا من عصيان الله وحرصا على الجهاد مع رسول الله وأملا في فرج يدركهم بما يأملون ويرغبون فيه .

وشاع خبرهم وذاع بالمدينة أمرهم .

وتندر بهم المنافقون .

وحزن من اجلهم المسلمون لكن ماذا يفعلون ؟ فالاغنياء قد تبرعوا بالكثير من أموالهم وقد جهز منها النبي صلى الله عليه وسلم قبلهم من جهز من المجاهدين ، والآخرون قد جهزوا انفسهم بأموالهم الخاصة .

وأشفق النبي صلى الله عليه وسلم كذلك عليهم .

لكن ماذا يفعل ..؟

رغبتهم صادقة ، وحرصهم شديد ، لكنه لا يجد ما يحملهم عليه .

اذاً فأمرهم لله تعالى .

لعل الله يسمع بكاءهم ويتقبل عنهم عذرهم ويستجيب لدعائهم .

* * * * *

وكان الله تعالى سميعا مجيبا .

فقد نزل القرآن .

نعم بخصوصهم نزل القرآن .

ليرفع عنهم الاثم ويعفيهم من الحرج والمؤاخذة ويتقبل منهم عذرهم .

حيث قال تعالى : **(ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)** التوبة/ ٩٢ .

أي ليس عليهم اثم أو حرج في هذا التخلف عن الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وفرح النبي صلى الله عليه وسلم برفع الحرج عن هؤلاء الصادقين .

وفرح الرجال السبعة إذ أعفاهم الله تعالى كما نزل في شأنهم قرآن يتلى ويتعبد به . وفرح المسلمون كذلك .

* * * * *

يا ليت للمسجد الأقصى وللقدس الشريف اليوم من أمثالهم .



التوبة

طلب الأخ/رضا السيد سلامة - من شرباص - فارسكور - دمياط - ج . م . ع ان نجيبه على سؤاله : « لماذا تاب الله على آدم عليه السلام بالرغم من ان ادم عصى ربه ، ولم يتب على ابليس بالرغم من انه ايضا عصى ربه » ؟

المحرر :

لقد عصى آدم ربه باغواء الشيطان لـه وخداعـه : (**فوسـوس اليـه الشيطان قال ياآدم هل ادلك على شجرة الخلد وملـك لا يبلى**) ..

وبطبيعة ادم عليه السلام تلك الطبيعة البشرية ، نسي امر الله له باجتناب الشجرة والأكل منها ، وامام اغراء ابليس وضعف الطبيعـة البشريـة اخطأ آدم ، فأكل هو وزوجه حواء من الشجرة الملعونة ، فأصـابهما مـا اصابهما .. فتذكرا عهد الله اليهما ، وانهما خالفا امر الله بالأكـل من الشجرة ، فاعترفا بذنبهما ، وندما على فعلتهما ، ولجآ الى الله سبحانه يطلبان منه العفو ، والغفران ، وقبول توبتهما ، وقالا : ربنا ظلمنا انفسنا - وامام هذا الاعتراف ، والضعف ، والتوبة من آدم عليه السلام ، تاب الله عليه ، وعفا عنه فانه عفو كريم يحب العفو .. يقول تعالى : (**انما التوبة على الله للـذين يعملون السوء بجهالـة ثم يتوبـون من قريب** » .

اما اولئك الـذين يصرون عـلى العدوان ، وينتهكون حرمات الله ، ويظلون على ذلك حتى نهاية حياتهم فلن يقبل الله توبتهم ، وابليس اللعين عصى الله ، واستكبر عن عبادته ، وتحـدى الارادة الالهية في صلف عجيب .. حيث قال الله له : (**ما منعك ان تسجد اذ امرتك**) فيكون جواب اللعين : (**انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**) ويمضي في عناده واصراره على زرع الشر في الحياة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها فيقول اللعين كما حكى القرآن :

(**فبعزتك لاغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين**) .

وهكذا عاد آدم عليه السلام الى ربه سبحانه معترفا بضعفه وذنبه طالبا الغفران ، فغفر الله له وتاب

عليه . اما ابليس فقد تمادى في غيه وتحدى الأوامر الالهية ، ولم يتب الى الله ، ولا طلب غفرانه ، فكان جزاؤه هو واعوانه واتباعه جهنم وبئس المصير .. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ونرجو ان يقبل توبتنا ، ويقيل عثراتنا ، ويمن علينا بفضله : اللهم امين .



ردود قصيرة :

ارجع الى المجلة

الأخ خالد ابراهيم عبدالله الصباغ - بيبان - كوم حمادة - البحيرة - ج . م . ع .

رسالتك وصلت ، ونشكرك على حسن تقديرك لمجلتك « الوعي الاسلامي » ، واقتراحك محل عناية من المجلة ، وقد سبق ونشرنا لقاءات مع شخصيات اسلامية ، واستطلاعات عن المساجد وعن احوال المسلمين في اكثر من بقعة في العالم ، كما نشرت المجلة دراسات عن الدعوة والدعاة لكبار الكتاب الاسلاميين فارجع الى اعداد المجلة الصادرة تجد فيها ما تحب .

حديث غريب

جاء من السيد/زناتي علي خطاب من اسيوط - ام القصور ج . م . ع السؤال التالي :

في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من قرأ القرآن واستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم وجبت لهم النار** » .

فكيف يتفق هذا الحديث مع ما قاله الله تعالى في سورة عبس قوله تعالى : **(يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)**

وقوله تعالى : **(يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)** .

الاجابة

هذا الحديث اخرجه الترمذي من حديث علي بن ابي طالب وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وليس اسناده بصحيح (صحيح الترمذي جـ ١١ ص ٢٩ ط الصاوي) .

بأقلام القراء

العلم والايمان

كتب الينا الدكتور عون الشريف قاسم تحت هذا العنوان كلمة جاء فيها :

كان للصراع العنيف الذي احتدم بين رجال الدين ورجال الفكر والسياسة في أوروبا منذ بداية النهضة الاوروبية وإلى يومنا هذا أثره البعيد على وضع الدين في عالمنا المعاصر . فقد انتقلت روح العداء للدين مع الثقافة الاوروبية إلى كافة انحاء المعمورة وأصبح كل دين يقاس بنفس المقاييس التي نجمت عن الصدام مع دين واحد هو في هذه الحالة المسيحية . ولا اريد الخوض في طبيعة هذه المقاييس ولا في مدى تصويرها للحقيقة الدينية عامة والمسيحية خاصة ، ولكني أريد التنبيه إلى الشعارات الكثيرة التي رافقت المعركة وملأت ساحات الفكر ومجالات الثقافة فأصبحت في حكم المسلمات من مثل قولهم : (الدين افيون الشعوب) وقولهم : ان الدين صنو الرجعية ونقيض التقدم وانه قفزة في عالم الغيبيات ، وهو عالم وهمي صنعه خيال الانسان المريض وخوفه من مواجهة المجهول ، وأنه فوق ذلك كله مخالف في أفكاره ومنهجه لاسلوب العلم الطبيعي الذي يقيس الامور بمعيار الحس والتجربة ، فما لم يخضع للتجربة فهو في حكم المعدوم . ومن الواضح ان معظم افكار الدين وتصوراته أمور معنوية غير محسوسة ولا يمكن بحال أن تخضع للتجربة ، فكيف نبرهن على الحياة الاخرى مثلا ، والاموات لا يرجعون بعد موتهم إلى الدنيا ليحدثونا عنها ؟ وكيف نبرهن وجود الجنة والنار ، وهي اشياء غيبية لا تخضع لتجربة البشر ؟ .. وهكذا طبق رجال النهضة الاوروبية معايير العلم المادي على كل الميادين ومن بينها الدين ، وحين فشلوا في إخضاعه لمعاييرهم المادية لم يتوقفوا ويتشككوا في هذه المعايير ومدى صلاحيتها للحكم على قيم الدين ، بل تشككوا في الدين ورفضوه ، فانطبق عليهم القول الحكيم : (من جهل شيئا عاداه) .

والواقع ان الدين يبدأ من حيث ينتهي العلم . لا لأن الدين في حقيقته مناقض للعلم او لانه لا يخضع لمعايير المنطق التي يستند إليها العلم الطبيعي في حالته الراهنة . ولكن لأن الدين يتناول الجانب الروحي والمعنوي من شخصية الانسان وعلاقته بسر الكون الذي لم تستطع وسائلنا العلمية حتى الآن أن تسبر غوره أو تدرك كنهه . ولذلك كان مجال العلم الحقائق الملموسة المعبر عنها بالحقائق العلمية التي يمكن البرهنة عليها عن طريق التجربة في المعمل وفي الحياة ، وكان مجال

الدين الايمان ، وما يمكن أن نسميه بالمعرفة الوجدانية التي أطلق عليها علماء المسلمين اسم الحقائق العرفانية . ولعل الاسلام هو قمة التكامل بين الحقائق العلمية القائمة على التجربة والحس والحقائق العرفانية القائمة على الايمان والوجدان . فان الاسلام يأخذ كل ما انتهى إليه العلم ويتخذ منه سبيله الى اكتشاف عالم الغيب وتبين مجاهل عالم الروح . ويكفي أن نذكر أن الاسلام بدأ بايقاظ العقل وتنبيهه لطلب المعرفة الحسية ، فطلب من النبي الأمي ومن المسلمين جميعا أول ما طلب أن يقرأوا ويتعلموا عن طريق القلم ، وهو طريق العلم المعهود . وهو في كل اشاراته يوجه عقول الناس وقلوبهم ومداركهم الى الملاحظة والمشاهدة لكي يصلوا الى كل الحقائق الحسية والايمانية عن طريق العقل والبرهان . وهو يتوصل الى توسيع دائرة المعرفة الانسانية بشحذ قوى الناس العقلية عن طريق التفكر في ما خلق الله ودراسة بديع صنعه في الكون ليكتشفوا عن طريق العلم قدرة الله أعظم الخالقين ، وليكتشفوا عن هذا الطريق قصورهم عن إدراك كثير من حقائق الوجود وهي تحت أنظارهم ، وعلى رأسها حقيقة أنفسهم ، فمن جهل نفسه كان أجهل بغيره ، ولذلك استحق وصف الله له : (**إنه كان ظلوما جهولا**) الاحزاب/ ٧٢ . والعلم الحقيقي الذي درب الاسلام المسلمين على اتخاذه وسيلتهم في الحياة يقود إلى الايمان . فمن أدرك عن طريق العلم دقة نواميس الكون وعرف عن طريق التجربة عظمة الله في خلقه تطامنت نفسه وتواضع لله وأدرك حكمة قوله تعالى : (**وما أويتم من العلم إلا قليلا**) الاسراء/ ٨٥ ، وقاده هذا الادراك إلى مرحلة الايمان التي تصل عالم الشهادة بعالم الغيب . إذ أن عالم الشهادة المحسوس لدينا والذي أدركنا عن طريق التجربة والعلم اسراره وخوافيه يقودنا إلى عالم الغيب الذي لا تدركه وسائلنا القاصرة فيتعمق في قلوبنا ووجداننا الايمان بالله عالم الغيب والشهادة . وعالم الغيب هو عالم الانسان الحقيقي الذي به تتأكد انسانية الانسان لا في الآخرة وحدها وانما في الدنيا ايضا . وهو محك الدين الحـق . لأن العلم هو المدخل للدين ، ولكن الدين عالم القيم والموازنات والحساب والعقاب والعدالة الصارمة والتجرد من الأهواء والنزوات والوقوف امام طغيان الدنيا . وملذاتها واطماعها وجورها على انسانية الانسان ، وكل ذلك لا ندركه عن طريق العلم فحسب وانما ندركه بوسائل أخرى تحول الفكر المترسب عن العلم إلى مشاعر وأحاسيس وايمان تغذي عناصر الحق والخير والعدل في نفس الانسان ليقوى على مواجهة الشر الراسخ في كل نفس بشرية . والقول بأن الايمان والعقيدة مناقضان للفكر والعلم لأن كل ما لم يبرهن عليه يكون عقيدة ، وما امكن برهانه يصبح حقيقة ، كلام خاطىء يقيس الانسان بنصف قدراته وغفل نصفه الآخر والأهم . فان الحقائق البرهانية كالرياضيات مثلا لا تظل مجرد حقائق جامدة لا تثير في نفس الانسان المشاعر ؛ وانما هي تتحول عن طريق تكوين الانسان الروحي والنفسي إلى حقائق وجدانية وأحاسيس ومشاعر تدفع الانسان إلى العمل ، وتنظم كيانه الداخلي وتعيد إلى نفسه التوازن ليصبح أكثر انسجاما مع

الكون وأكثر انسانية .
فالعلم الصحيح يتحول إلى مشاعر خيرة تعيد تكوين النفس على ضوء تنظيم العقل عن طريق العلم والمعرفة . ولهذا السبب استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع . وهكذا ينعكس عالم الغيب والشهادة على نفس الانسان ليحدث التوازن بين عقل الانسان وروحه ، فيكون العقل الذي يكتشف حقائق الوجود في عالم الشهادة رافدا للروح في عالمها الخفي المعقد ، عالم الغيب ، الذي هو غيب عن ادراكنا القاصر ، ولكنه جزء من وجودنا ومن أنفسنا ، لا ندركه عن طريق العلم ، وإنما ندركه عن طريق الدين الذي دلنا عليه الله خالقنا لأنه أدرى بنا من انفسنا (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك/ ١٤ صدق الله العظيم .

الاسلام المفترى عليه

تحت هذا العنوان جاءتنا هذه الكلمة من الاستاذ فاروق عبد العزيز سلام يقول فيها :
إن المأساة التي استقرت في القلوب .. ولفت الوجدان .. مختزنة المرارة والألم للمجازر البشعة التي يتعرض لها المسلمون في بقاع الأرض ...
وتيار الحقد الدفين يتدفق غزيرا .. يحمل في ثناياه الخطر والموت للمسلمين العزل .. في الفلبين .. وأرتريا .. وافغانستان .. وروسيا .. الخ .
وهو في تدفقه يدفع بافتراءات عنيدة عن الاسلام .. قاصدا تشويه حقائقه بكل ما تحمله من دلائل الخير والحب .. والسلام ..
والمستشرقون .. والدخلاء على الاسلام تكتسح كتاباتهم عقول الكثير من شبابنا .. وهم مع الالحاد يشكلون تحديا .. ومؤشرات الخطر تتجلى في كل قول مأفون يحاولون زرعه في افهام معظم شبابنا باسم الحضارة الغربية التي تقربنا الى كل رذيلة ومرذول بقدر ما تبعدنا عن قويم السلوك لتحقيق هدفين رئيسيين وهما : -
أ - تميع حضاري   ب - انحلال خلقي .
وحقائق التاريخ تشير الى هذا الواقع الأليم الذي ما عرفته امة حتى اندثرت واصبح مجدها أثرا بعد عين ..
هذه الحقائق التي تمخض عنها التاريخ الانساني تعي دروسها الصهيونية والصليبية المتسترة وراء دعوة المعلم العظيم المسيح بقدر ما يعيها الالحاد الماركسي اللينيني .. فعملوا كل جهدهم على تحقيق هذا الواقع بكل مقواده وآلامه .. ونحن ساهون .. وفي غفلة عن ذكر الله .. سادرون في غي وضلال المدنية ...
والحقيقة التي لا ريب فيها - أن الثالثوث المجرم نجح في محاولاته بتكريس

زيف فرضوه واقعا .. وصدقه ضعاف العقول والارادة والنفوس من المسلمين وعكسوا تصديقهم من خلال ارسالياتهم وكتبهم ومبشريهم في غيبة علماء الدين المسلمين ..

وتلك نذر خطر .. وتجربة رهيبة فرضتها محصلة هذه الوقائع ... ونتائجها ضرورة تغيرات جذرية في الشكل والمضمون ...

حتى لا يحدث لاقطار اسلامية ما حدث لمسلمي لبنان وقبرص وغيرهم والوسيلة لغسل النفوس من رواسب وأدران هذا الخطر الزاحف اما بغسل العقول الاسلامية او بازهاق ارواحها .. او في استنزاف طاقاتها ومقدراتها بالاقتتال بينها وبين بعضها .. ـ هو بالرجوع الى الله والعيش في كنف الدين الحنيف ..

والحقيقة الثانية : ان كل الشواهد .. والأدلة الماثلة امامنا رؤية .. وبصيرة .. وعقلا .. تسلب من دقة الامور قيادها بقدر ما تسلب الحياد من الحكم على الاشياء هذا بالنسبة لبعض علماء الاسلام اما بالنسبة لحكامنا فان دفة الامانة والامور تنحاز في اتجاه تطلعاتهم الدنيوية في بحر التصارع على الحكم والقيادة ..

من هنا يفلت الزمام ـ لتتحكم قيادة الامور نحو المطامع الشخصية والاستغلال .. تحركها بسرعة رواسب كامنة ـ تتعاظم سعيا نحو الزعامة ـ تحاول ان تضغط بعنف لا يرتقي الى مستوى المسؤولية .. ولا يرتفع الى شرف الامانة .. والعهد .. بل يبعد عن الحكمة ومنطق الاسلام والانسانية ... ويجانب الصواب .. الأمر الذي يخلق جوا من التذمر .. ـ ذلك ان كثرة الضغط مجافيا للحق والعدل .. والسلام ـ يولد الانفجار ...

إن علاقة الحاكم بالمحكوم في مفهوم الاسلام ـ علاقة انسانية شمولها الرحمة والعدل .. ويجب ان يضع الحاكم في اعتباره ـ ان العدل اساس الملك .. وان الملك زائل .. وأن ما عدا الله باطل .. وأن المساواة أساس السلام .. والطمأنينة ..

واذا كان جوهر الرسالات السماوية يستهدف شرف الانسان وسعادته ليحيا بالحق على أرضه عزيزا كريما .. فان واجب المفكرين الدينيين الا يستغلوا الدين ضد طبيعته وروحه تقربا وزلفى الى حاكم .. او تحقيقا لمأرب دنيوي رخيص .

اجل : يا دعاة الحق .

اجل : يا جبابرة الطغيان .

ان الاديان السماوية قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان .. وعلى منحه طاقات لا حدود لها من العمل ...

لأن الاديان وفي مقدمتها الاسلام (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**) آل عمران/ ٨٥ سعت الى ارساء قواعد الحق والعدل والسلام .. وفي ايجاد حياة آمنة لكل انسان .. ولكن اعداء الاسلام يريدون فناء المسلمين قضاء على الاسلام .. ولكن ارادة الله فوق كل ارادة ـ وصدق قوله : (**إنَّا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون**) الحجر/ ٩ .



المد الاسلامي يدخل الاتحاد السوفييتي

نشرت جريدة القبس الكويتية بتاريخ ٤/٩/١٩٨١
نقلا عن (ايكونومست) حول هذا العنوان تقول :

يعاني الاتحاد السوفييتي من مشكلة مهمة داخل حدوده ، هي : مشكلة الاقلية الاسلامية فيه ، والزعامة السوفيتية التي تحاول توسيع مدى نفوذها في الشرق الأوسط والعالم الاسلامي تشهد في الوقت نفسه ، إنبعاثا إسلاميا عبر حدودها مباشرة . وتماسك الشعوب الاسلامية وزيادة ثقتها بنفسها بالأضافة إلى كثرة أعدادها أمور يجب أن تجعل زعماء الاتحاد السوفييتي يشعرون بالقلق . وفي الوقت نفسه تكتسح اليقظة الاسلامية بلدانا واقعة على حدود الاتحاد السوفييتي مضيفة بعدا استراتيجيا لما قد أصبح الآن مشكلة داخلية رئيسية .

وناحية الاعداد ملفتة للنظر . فالمسلمون السوفييت وعددهم ٤٣ مليونا يشكلون نسبة ١٦ بالمائة من عدد السكان . وفي السبعينات زاد عدد المسلمين في الاتحاد السوفييتي بنسبة ٢٤ بالمائة في حين زاد عدد الروس بنسبة ٦,٥ بالمائة . وقد يصل عدد المسلمين بنهاية هذا القرن إلى ما بين ٦٥ و ٧٥ مليون نسمة أي ما يساوي ربع عدد السكان ويهبط عدد الروس إلى أقل من نسبة ٥٠ بالمائة .

ومعظم المسلمين يعيش في عمق الجنوب وهو واقع مهم بصورة مماثلة .

والحزام الجنوبي في الاتحاد السوفييتي يجاور إحدى أكثر المناطق إضطرابا سياسيا في العالم وهي المؤلفة من إيران وأفغانستان وتركيا ومقاطعة كزينيانغ في الصين . ومنطقة الحدود السوفيتية هذه أخذت تصبح بكاملها إسلامية وتركية . وبنهاية هذا العقد سيصبح الروس أقلية لا شأن لها حتى في مدن وسط آسيا .

ومن الناحية الاقتصادية ، يبدو أن الاسلام السوفييتي بدأ يكتسب أهمية كبيرة . أما من الناحية السياسية ، فهناك بعض التساؤلات حول الاخلاص لموسكو .

فالمثقفون المسلمون لم يصبحوا سوفييت ، ولكنهم ظلوا مرتبطين بجماعاتهم وهم يحترمون تقاليدهم وتراثهم الديني .

وبالرغم من أنهم مازالوا أساسا مخلصين للنظام السوفييتي ، ويقبلون بالماركسية اللينينية عقيدة رسمية فان

هؤلاء المثقفين الذين يشكلون النخبة ، يرفضون العمل كممثلين لموسكو في جمهورياتهم وهم يواجهون موسكو كمندوبين عن شعوبهم .

وفي حين فقد الاسلام الكثير من قبضته على الحياة الاقتصادية والسياسية للمجتمعات الاسلامية فقد أظهرت استطلاعات أخيرة أن ٨٠ بالمائة من الناس هم مؤمنون بشكل أو بآخر أن عن طريق الاقتناع أو التقاليد .

ويبدو أن عقودا من فرض الخضوع للماركسية الروسية جعلت المسلمين السوفييت عرضة لتقبل الأفكار الدينية والسياسية المنبعثة من منطقة الشرق الأوسط غير المستقرة وجميعها يشكل خطرا محتملا على استقرار الاتحاد السوفييتي لأن ما تعرضه هذه الأفكار هو أكثر تقبلا لدى المسلمين السوفييت مما هي الماركسية الروسية المتبلدة البيروقراطية والملحدة .

وقد يكون سكان وسط آسيا يرحبون بتوسيع للنفوذ السوفييتي في العالم الاسلامي لأن أية مساعدة يقدمها الآسيويون ستكون مقابل تنازلات مهمة تقدمها الحكومة السوفيتية في الشؤون الدينية والادارية واستثمار رأس المال .

وبمواجهة هذه الخلفية ، لابد من طرح سؤال حول الاستراتيجية التي ستتبع إذا استمر الاتحاد السوفييتي في اتباع سياسته التوسعية في الشرق الأوسط والعالم الاسلامي .

فالتوسع تحت راية الصداقة السوفيتية ـ الاسلامية شيء والتوسع تحت راية الثورة الماركسية شيء آخر .

والخيار الأول هو أقل احتمالا ولكنه مما يحبذه المسلمون السوفييت ، لأن من شأنه تعزيز سلطة الزعماء الدينيين في تعاملهم مع الحكومة السوفيتية .

والاستراتيجية الثانية ، أي تصدير الثورة الماركسية إلى الخارج ، يمكن القيام بها بمساعدة الكوادر الشيوعية الاسلامية في الاتحاد السوفييتي وبدون هذه المساعدة أيضا . والمحاولة من دون مساعدتهم هي الاستراتيجية التي تتبع حاليا في أفغانستان حيث تستخدم قوات سوفيتية غير مسلمة لمقاتلة المجاهدين . ومع هذا إذا استمر القتال لفترة غير محددة فان هذا الخط يشكل احتمال خطر أكبر على استقرار الاتحاد السوفييتي .

وهناك إمكانية أخرى هي أن يأمر الاتحاد السوفييتي بتراجع تدريجي ، ويسحب الستار الحديدي الذي يعزل حدوده في منطقة وسط آسيا والقوقاز عن العدوى الخارجية .

وتبدو الآن هذه الامكانية بأنها الأقل خطرا بالنسبة لموسكو لأن الغزو السوفييتي لأفغانستان أضر كثيرا بسمعة الاتحاد السوفييتي في العالم الاسلامي .

ويبدو أن حملة جديدة معادية للاسلام والقومية قائمة الآن في منطقة وسط آسيا والقوقاز .

قالت جريدة الوطن الكويتية الصادرة بتاريخ ٤/٩/٨١ تحت عنوان :

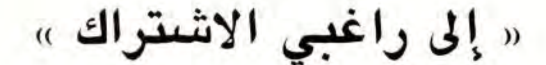
أثيوبيا ..
والتآمر ضد الاسلام

قرأت وثيقة سرية أثيوبية منشورة في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩/٦/١٩٨١ باللغتين العربية والأثيوبية وتحمل خاتم الحكومة الأثيوبية وهالني ما بها من حقد على الاسلام والأديان عموما فهي تكشف النقاب عن خطة جهنمية محكمة أعدها النظام الشيوعي الحاكم في أثيوبيا ضد الأديان السماوية من منطلق أن الدين هو « العدو الرئيسي للثورة » وأبرز ما جاء فيها أن التنفيذ سيتم بالتشاور مع الاتحاد السوفياتي الذي يهيمن على مقدرات أثيوبيا بموجب ما يسمى « بمعاهدة الصداقة والتعاون » والتي أسفرت عن تحويل البلاد إلى قاعدة أساسية للسوفيات في منطقة القرن الافريقي وتتضمن الخطة البدء بضرب المسيحيين وإغلاق دور العبادة ثم الاتجاه لضرب المسلمين وهي تدعو في هذا المجال إلى بذر بذور الخلاف بين المسلمين والمسيحيين في أثيوبيا حتى تسود الحكومة الشيوعية وتضرب الطرفين في آن واحد .

وتدعو الوثيقة لمحاربة الأديان لأن الأديان بزعمها على علاقة وثيقة بالنظم الامبريالية والاقطاعية والرأسمالية والرجعية والقضاء على هذه النظم يستلزم القضاء على الأديان ومن أجل ذلك يجب التعاون مع الاتحاد السوفياتي وسائر القوى الاشتراكية في العالم وإتباع ماركس ولينين في الداخل والخارج .

كما تقول الوثيقة أن الدين هو الذي وحد المقاومة ضد الثورة الشيوعية في أفغانستان كما تصب غضبها على الدول العربية البترولية لانها كما تزعم الوثيقة موالية للامبريالية وتعمل على تقوية الثوار المسلمين .

كما كشفت الوثيقة عن نوايا خبيثة للثورة الشيوعية تجاه الأديان مثل إستخدام الفتيات لاغراء رجال الدين وتحويل دور العبادة إلى مقاصف . هكذا يخطط أعداء الاسلام في أثيوبيا كما خططوا من قبل تركيا الاسلامية وغيرها من الدول العربية التي إنسخلت من الاسلام فأين دعاة الاسلام وأين اموال العرب والمسلمين لكي تحول دون الكارثة ؟؟ هذا ما وقع في أيدينا وما خفى كان أعظم فهناك الامكانيات الضخمة والابتكارات الحديثة التي جندت من أجل الاطاحة بهذا الدين والوقوف في وجه هذه الصحوة الاسلامية المباركة ولكن الله سبحانه وتعالى سيمكن لهذا الدين إنتشاره وقوته والله غالب على أمره ولو كره المشركون .



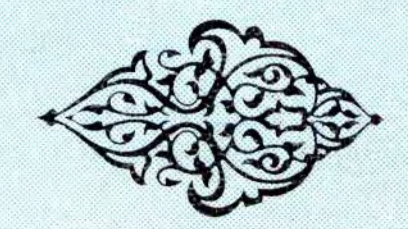
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

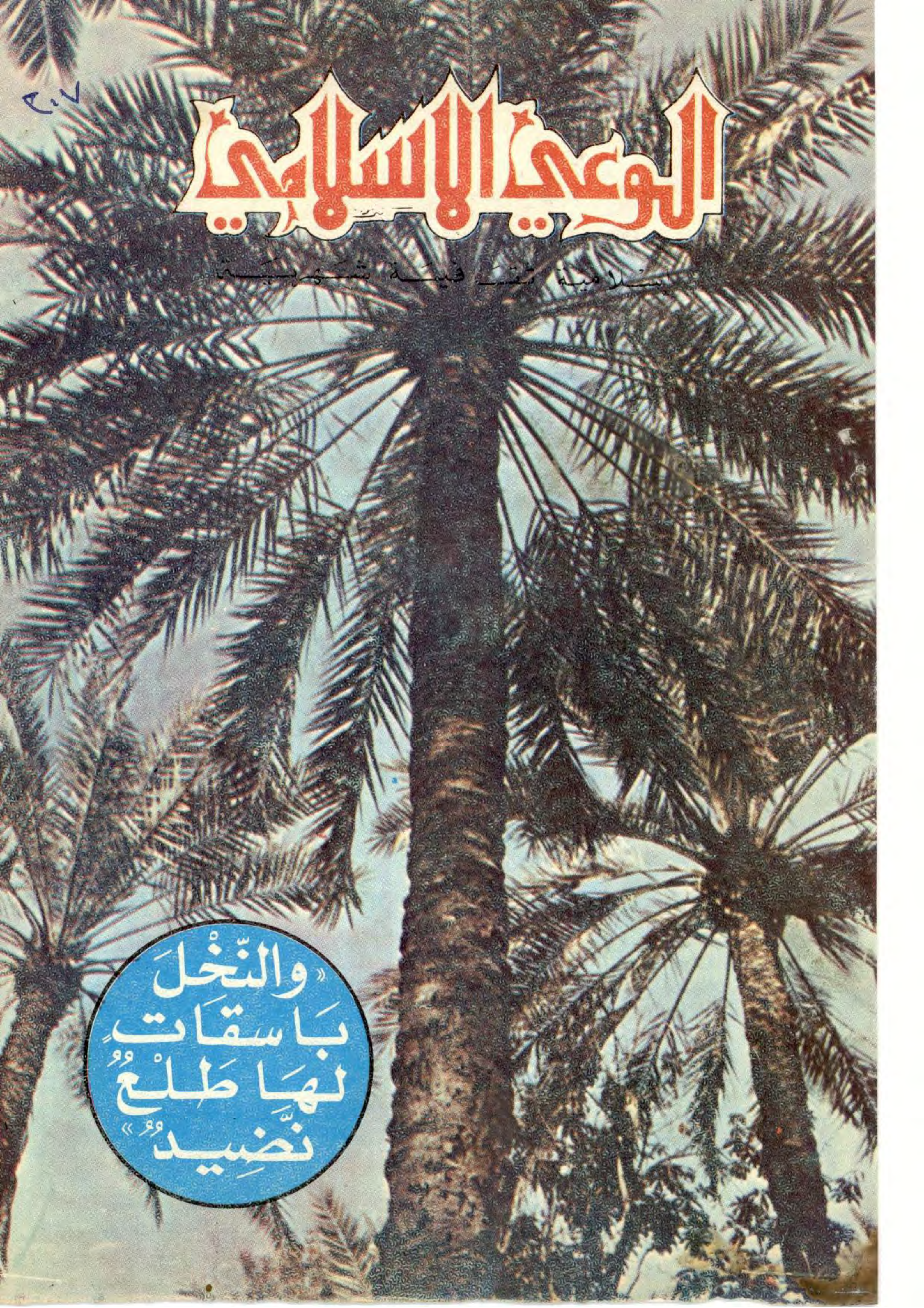
مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
«والنّخْلَ
بَاسِقَاتٍ
لَهَا طَلْعٌ
نَّضِيدٌ»



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٧ ● ربيع الاول ١٤٠٢ هـ ● يناير ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

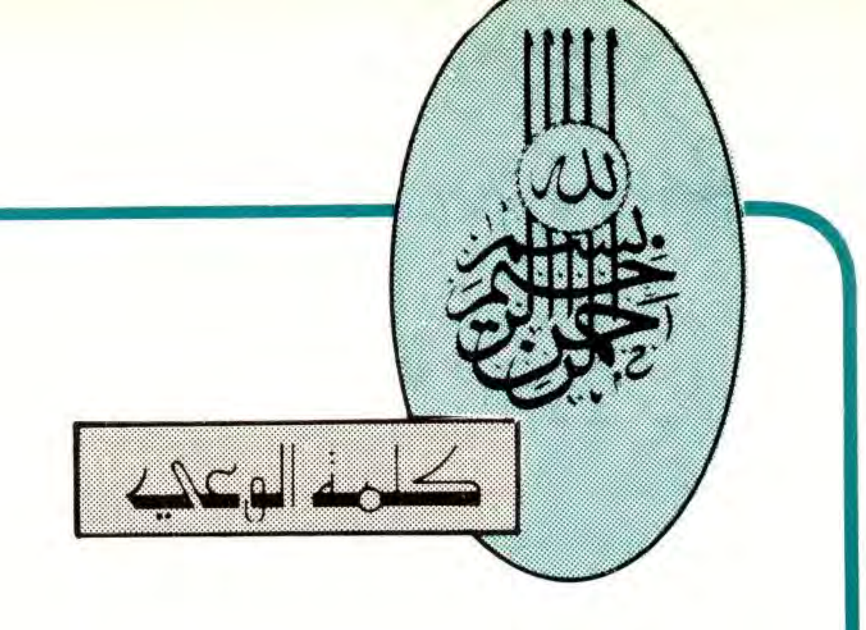
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الله أعلم حيث يجعل رسالته

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله وخاتم النبيين ، ينتمي إلى أسرة عريقة بمكة من قبيلة قريش من فرع بني هاشم ، عرفت بالورع والتقوى أكثر مما عرفت بقوة السلطان ، وينسبه الأثر إلى نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

ويجمع المؤرخون لحياته أنه ولد يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام الفيل ، ويذكر أوثق العلماء أن هذا التاريخ يوافق سنة خمسمائة واحدى وسبعين لميلاد المسيح عليه السلام .

ولد يتيما ، فقد مات أبوه قبل مولده بسبعة شهور ، ولما ولد عهد به إلى مرضعة بدوية هي (حليمة السعدية) حتى بلغ الرابعة ، ثم تولت أمه تربيته بمعاونة مربية هي (أم أيمن) لكنه لم يستمتع بحنان الأمومة طويلا إذ ماتت أمه وهو في السادسة

من عمره !! فكفله جده (عبد المطلب) وآثره بحنانه وعطفه ، ولكن لم يكد (محمد صلى الله عليه وسلم) يبلغ الثامنة حتى مات جده !! فكفله عمه (أبو طالب) الذي أولاه حبا أبويا خالصا رغم أنه لم يكن ميسور الحال لكثرة عياله .

خرج مع عمه في رحلة تجارية إلى الشام وسنه اثنا عشر عاما ، وهناك رآه الناسك المسيحي (بحيرا) وعندما تحدث معه لاحظ فيه بعض العلامات المنصوص عليها في الكتب المقدسة ، فاقترب من أبي طالب وقال له : (هذا الشاب سيقوم بدور عظيم في العالم ، فأرجعه إلى بلاده ، على عجل ، وإسهر عليه ، واحذر عليه من اليهود الذين قد يؤذونه لو علموا منه ما أعلم) .

وهكذا هيأ الله له من آواه وجبر يتمه ، حتى يكون إحساسه بمرارة اليتم وحلاوة الايواء أساسا لتوجيه الله له باكرام اليتيم والاحسان إليه والابتعاد عن قهره وإذلاله ، **(ألم يجدك يتيما فآوى)** .. **(فأما اليتيم فلا تقهر)** .

وقد قضى محمد صلى الله عليه وسلم شبابه إلى الخامسة والعشرين من عمره في حالة قريبة من الفقر ، فهو لم يرث عن أبيه وأمه الا أمة سوداء ، وقطيعا من الغنم ، وخمسة جمال ، وكان غالب عمله في تلك الحقبة رعي الغنم .. وقد كلفته أرملة واسعة الثراء من شريفات مكة هي (خديجة بنت خويلد) بمهمة تجارية إلى الشام فأنجزها بكامل اليقظة وبالغ النزاهة ، مما أكد عندها ذكاءه وأمانته ، فرغبت في الزواج به رغم الفارق المادي الكبير بينهما . ولما فاتحته في ذلك الأمر قبل رغم تباين السن ، فقد كان في الخامسة والعشرين وهي في الأربعين . وذلك لما عهده من حسن اخلاقها وكريم محتدها وكان هذا الزواج فرصة لرفع مستواه المادي . وصدق المولى جل شأنه في قوله : **(ووجدك عائلا فأغنى)** . ومن ثم أمر الله أن يشكره على نعمة الاغناء بعد العيلة قولا وعملا فقال تعالى : **(وأما بنعمة ربك فحدث)** .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتميز بين أترابه الفتيان بخلقه النبيل ، وبصفة خاصة بحيائه الشديد ، وبعده عن اللهو الرخيص وعفته المطلقة .. وفي مشاغله اليومية لم يرتكب عملا يشينه ، ولم يشترك في عبادة الأوثان ، وكان يجذب اهتمام كل من يتعامل معه ، فأكسبه ذلك ثقة كبيرة في قلوب الناس مما جعلهم يسمونه بـ (الأمين) .

وبهذه الخصال الحميدة كان محمد صلى الله عليه وسلم وهو في ريعان شبابه يدعى لمجالسة رؤساء القبائل الموقرين في (حلف الفضول) . وكان هذا الحلف المكي يستهدف مساندة الضعفاء ، ورد الظلم عن المظلومين ، وإقرار السلام

بين القبائل ، والتصدي لمن يحاول العبث به . روى ابن اسحاق بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحلف : (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الاسلام لأجبت) .

وكان أهم الأحداث التي وقعت بين تاريخ زواجه وتاريخ بعثته وهو في الخامسة والثلاثين اختلاف القبائل - وهم يقومون بترميم الكعبة - على وضع الحجر الأسود في مكانه ، إذ لم ترض قبيلة عن التنازل عن حقها ، وتفاقم النزاع ، وكادوا يمتشقون السلاح . ولكنهم إشفاقا على أنفسهم من ويلات الحرب وآثارها عقدوا اجتماعا أخيرا قرروا فيه أن يحتكموا في هذا الموضوع إلى أول شخص يدخل عليهم من باب بني شيبه .. وشاءت الأقدار أن يكون الشخص الداخل (محمدا) فلما رأوه صاحوا مبتهجين : (الأمين . الأمين) وعرضوا الأمر عليه ، فأسرع - بذكائه ونزاهته - بأن بسط رداءه على الأرض ، ووضع بيديه الحجر الأسود وسط الرداء ، ثم طلب إلى رؤوساء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف من أطرافه ، وأن يرفعوه معا إلى المستوى المطلوب . وعندما وصلوا بالحجر إلى المكان المخصص له أخذ محمد صلى الله عليه وسلم الحجر بنفسه ووضعه مكانه ، فساد الرضا بين جميع الحاضرين واستتب السلام بين القبائل .

ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي كان قبل بعثته على درجة ممتازة من الأخلاق السامية كانت تحيط به جاهلية مضطربة التصورات والعقائد ، منحرفة السلوك والأوضاع ، وما كان يؤنس عنده بعض المعارف المذهبية ، لأنه لم يكن يدري ما الكتاب ولا الايمان (**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان**) . ولم يكن حظه أكثر من حظ قومه من حيث معرفة القصص الديني (**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا**) .

ولم يكن في حسبانه أنه يكلف بدور المرسل من عند الله (**وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**) . كما لم يكن يعرف كيف يرشد نفسه إلى الطريق الواضح القويم ، والله تعالى هو الذي أرشده بالوحي (**ووجدك ضالا فهدى**) .. (**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) . ومن ثم أمره الله تعالى أن يكون رفيقا بالسائل في العلم ، وألا يكون جبارا ولا متكبرا ، ولا فظا غليظ القلب (**وأما السائل فلا تنهر**) .. (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب**

لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) .

لقد نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الأربعين من عمره ، وكان نزوله منجما ومجزءا على مدى ثلاث وعشرين سنة ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وأقام الدولة الاسلامية ـ كما أمر الله ـ على قواعد الحق والعدل ، والنظافة والطهر ، والتقدم والنهوض ، وبذلك أوجد الحضارة الانسانية الفذة التي يعيش الناس في ظلها آمنين مطمئنين ، يقدمون الخير ويعيشون فيه ، ويكافحون الشر ، وينأون عنه . وصدق الله تعالى في قوله : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** .

ولقد شهد أعدى أعداء الاسلام أبو سفيان بن حرب قبل أن يسلم بسنتين بنقاء نسب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته وصدقه ، وما تحمله دعوته من مكارم . وذلك في إجاباته على أسئلة (هرقل) عظيم الروم حين استدعاه ليسأله عن هذا الرسول الذي أثار دهشته بكتابه الذي يدعوه فيه إلى الاسلام .. وانا لنرى في تعليق (هرقل) على إجابات أبي سفيان رجاحة العقل وسعة الأفق ، وأن العقول السليمة متى سلمت من الأهواء المضلة فانها تهتدي إلى الحق وتسلك سبيل الرشد .

أمر (هرقل) ترجمانه أن يقول لأبي سفيان :

سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب . فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها .

وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فقلت : لا ، فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله .

وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا . فلو كان من آبائه من ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فقلت : لا . فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه . وهم أتباع الرسل .

وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر الايمان حتى يتم .

وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فقلت : لا . وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك هل يغدر ، فقلت : لا . وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين .. وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به إليه فقرأه .

يقول أبو سفيان : فلما قال (هرقل) ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا . فقلت لأصحابي ـ حين أخرجنا ـ : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام .

هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الذي أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا ، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد .

هل للمسلمين ـ وقد نزلت بهم المحن نتيجة الابتعاد عن هداية الله ـ أن يعودوا لمنهج الحق الذي أنزله الله وبينه رسوله ، وأن يدركوا أن أي اتجاه لغير طريق الاسلام اتجاه ضال تشقى به الحياة ولا تسعد ، وتذل به الأمم ولا تنهض ؟؟ وهل لهم وهم في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتدبروا قول الله تعالى : (فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) . **وقوله جل شأنه** : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)

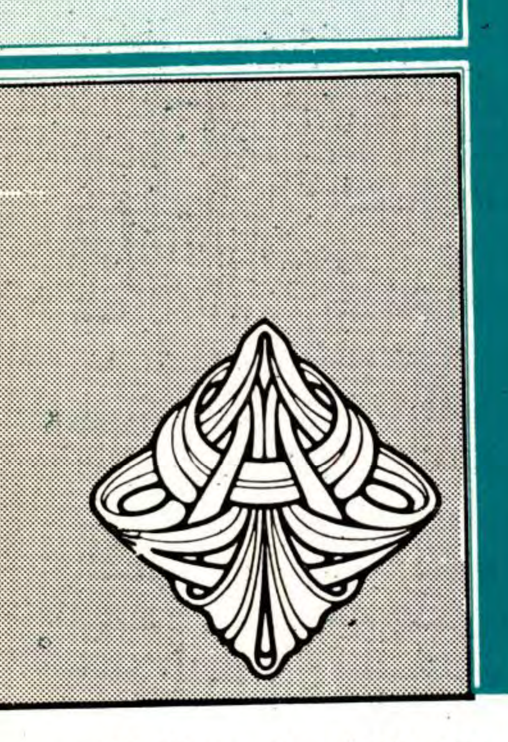
وهل للعالم المضطرب بالأهواء الجانحة عن العدل ، المفعم بالأنانية وحب الذات ، المولع بالتحكم في أمور المستضعفين ، هل لهذا العالم أن يفيء إلى رحاب الاسلام طلبا لحل المشاكل التي تقض مضجعه وتقلق راحته والتماسا لرحمة الله وفضله ، واستجابة لندائه السامي ، (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا. فأما الذين آمنوا بالله وإعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما)

إنا لنرجو ونأمل .. والظلام المخيم لن يزيدنا إلا تفاؤلا ، فليس بعد سواد الليل إلا صبح مشرق ، وليس بعد الأزمات الخانقة إلا فرج قريب ، ولا يأس مع الايمان (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) .

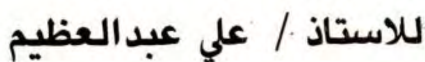
رئيس التحرير
محمد الأباصيري



لهج كثير من المبشرين والمستشرقين وغلوا في معاداة الاسلام والكيد له ، وتأثر بهم بعض المستغربين من الشرقيين وبعض ضعفاء الايمان من المسلمين ، فادعوا ان القرآن الكريم من تأليف محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا ان اسلوب السور المكية غير اسلوب السور المدنية ، لان محمدا في زعمهم تأثر باليهود في المدينة وما توارثوه من حضارة وفلسفة وتاريخ ومنطق وقالوا ان هذا يتجلى في الآية الكريمة : « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**) الانبياء / ٢٢ فهي قضية منطقية لها مقدمة ونتيجة عقلية ، وما كان محمد ليقولها في مكة حيث كان يعيش بين قوم اميين تفشت فيهم الجهالة والسذاجة ـ وفات القائلين ان الآية وردت في سورة الانبياء وهي سورة مكية كما في جميع المصاحف وفي كتب العلوم القرآنية







للاستاذ / علي عبدالعظيم

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى

كالبرهان للزركشي والاتقان في علم القرآن للسيوطي وان جميع آيات السورة مكية . ومن الخير ان نسوق الادلة العقلية والبراهين المنطقية التي تقرر ان القرآن الكريم ليس من صناعة محمد ولكنه : « **تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين** » الشعراء / ١٩٢ ، ١٩٣ تثبيتا للايمان في نفوس ابنائنا الشبان ودحضا للشبهات والافتراءات ، فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة وعليه الاعتماد .

اولا : كان الرسول صلى الله عليه وسلم اميا لا يقرأ ولا يكتب (**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون**) العنكبوت / ٤٨ فما دخل كلية من الكليات ولا جامعة من الجامعات ومع ذلك جاءنا بتشريع دستوري

كامل اصيل ، عالج فيه شؤون الرجال والنساء والافراد والجماعات وشرع للامة العربية والامم الاخرى ، ونظم حالات السلم والحرب ، وتناول الوصية والميراث والبيع والشراء والفضائل الخلقية ، كما تناول حقوق الانسان التي لم يعرفها العالم الا في ديسمبر ١٩٤٨ عقب الحرب العالمية الثانية بعد حوالي ١٤ قرنا من ظهور الاسلام ، وقد اثبت التطبيق العملي لهذه الشريعة صلاحيتها التامة لكل زمان ومكان في جميع البيئات والظروف والملابسات وقد ساد المسلمون العالم يوم تمسكوا بهذه الشريعة الغراء وما تخلفوا الا حين تخلوا عنها وافتتنوا بالشرائع البشرية وعملوا بها . واصدار قانون تشريعي الآن يحتاج الى عدة لجان لدراسته يتم عرضه على مجالس النواب ثم على مجالس الدولة ثم على وزارات العدل لمختلف الشعوب . وعند عرضه للتطبيق العملي يتضح ما فيه من عيوب تتجافى به عن العدل المنشود ، فيعاد فيه النظر مرات ومرات من كبار المشرعين .

فرجل واحد مثل محمد لم يدرس الشرائع والقوانين ولم ينل قسطا من الثقافة القانونية ثم يجيئنا بهذه الشريعة الغراء ، دليل على انها ليست من صناعته وانما هي تنزيل رب العالمين .

ولقد اعترف كبار رجال القانون في العالم بأهمية هذه الشريعة الغراء واصالتها وصلاحيتها للتطبيق في مختلف الامم والشعوب ، حيث اصدر مؤتمر القانون الدولي في لاهاي بهولندا سنة ١٩٣٧ قرارا بان الشريعة الاسلامية شريعة اصيلة كاملة متكاملة ، وأهاب بالدول الاسلامية ان تقنن هذه الشريعة ليتسنى الانتفاع بها للدول الاخرى ، وتكررت هذه التوصية في عدة مؤتمرات قانونية دولية متوالية مؤلفة من جهابذة رجال القانون في العالم كل عشر سنوات .

ثانيا : تناول القرآن الكريم صفحات من تواريخ الامم السابقة للاسلام لم تكن معروفة لا يغالها في القدم ، وما كان محمد صلى الله عليه وسلم مؤرخا ولا ملما بدراسة اللغات القديمة كالهيروغيلفية والحميرية والعبرية وغيرها ولا كان احد من العرب يعرف هذه الاحداث التاريخية : « **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** » هود / ٤٩ .

ونستطيع ان نضرب مثلا بقصة ملكة سبأ التي وصفها القرآن الكريم بأنها (**أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم**) النمل / ٢٣ وقد اثبتت الدراسات التاريخية ازدهار هذه المملكة وان حضارتها كانت تضارع حضارة قدماء المصريين وان اهلها برعوا في اقامة السدود المائية العظيمة والقنوات العديدة الممتدة منها الى جميع ربوع المملكة بحيث يسير المسافر في جميع الطرق فيجد الحدائق الغناء تحف به من يمين وشمال : (**لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور**) سبأ / ١٥ .

ان محمدا النبي الامي لم يصف هذه الحضارة من عند نفسه وانما هو تنزيل رب

العالمين،نزل به الروح الامين .
ويعقب القرآن الكريم على بعض الأحداث بان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشهدها وما كان له ان يشهدها لتطاول القرون ولكن الله اوحاها اليه ، فيعقب على قصة يوسف وكيد اخوته له بقوله تعالى : (**ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا امرهم وهم يمكرون**) يوسف / ١٠٢ .
ويعقب على قصة موسى عليه السلام بقوله تعالى : (**وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون**) القصص/ ٤٤ ـ ٤٦ .
ويعقب الله سبحانه وتعالى على اقتراع كهنة بني اسرائيل على ايهم يفوز بكفالة السيدة مريم العذراء فيقول تعالى : (**وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون**) آل عمران / ٤٤ .
ثالثا : الانباء بالماضي السحيق قد تتناوله الألسنة فينتقل من جيل الى جيل اما الانباء بالمستقبل القريب او البعيد فهو فوق طاقة البشر ـ وقد حفل القرآن الكريم ببعض الانباء الآتية وتم وقوعها طبق الاصل على مدى قريب او بعيد فمثلا حدث في غزوة بدر وكانت قريش اكثر من المسلمين عددا واوفر عدة وامضى سلاحا ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه اشرف عليهم وهو يتلو قوله تعالى : (**سيهزم الجمع ويولون الدبر**) القمر / ٤٥ وما هي الا ساعات قليلة حتى انهزمت قريش وولت الادبار فمن انبأ محمدا بهذه النتيجة قبل وقوعها ومن أدراه ان الامر ربما كان على غير ما اعلنه :
وحينما التحمت الامبراطورية الفارسية بالامبراطورية الرومانية وهزمتها هزيمة ساحقة بقيادة سابور ملك الفرس فرح المشركون فرحا شديدا لانهم جعلوا هذه النتيجة انتصارا للوثنية التي تمثلها الامبراطورية الفارسية على اهل الكتاب الذين يمثلهم الرومان وحزن المسلمون ـ وكان المؤرخون يرون الهزيمة ساحقة وانه لا سبيل لانتصار الروم الا بعد عشرات السنين فنزل قوله تعالى : (**آلم . غلبت الروم . في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده**) الروم / ١ ـ ٦ روى الترمذي :
« ان المشركين لما سمعوا هذه الآيات قال اناس منهم لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبكم ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين ، افلا نراهنك على ذلك ؟ قال : بلى ـ وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر كم تجعل ؟ البضع ثلاث سنين الى تسع سنين قسم بيننا وبينك وسطا نحتكم اليه قال فسموا بينهم ست سنين فمضت ست السنين قبل ان يظهر الروم فأخذ المشركون رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على

فارس فعاب المسلمون على ابي بكر تسميته ست سنين لأن الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فمن اعلم محمدا صلى الله عليه وسلم ان الروم ستظهر على الفرس في بضع سنين بعد ان هزمهم الفرس هزيمة ساحقة واضطروا ملكهم هرقل الى اللجوء الى القسطنطينية وحاصروهم فيها مدة طويلة ولم يكن يخطر ببال انسان ان الروم سيهزمون الفرس في هذه الفترة اليسيرة .

وفي صلح الحديبية عاد المسلمون الى المدينة بعد ان تعهد المشركون لهم بتمكينهم من اداء العمرة بالمسجد الحرام في العام التالي ولم يكن احد يدري أيوفون بالعهد ام ينقضونه ؟ فنزل قوله تعالى : (**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**) الفتح / ٢٧ . والخبر في الآية مؤكد بلام القسم ونون التوكيد فمن أدرى محمدا ان المشركين سيسمحون له ولاصحابه بالعمرة ومن اعلمه ان العمرة سيعقبها فتح قريب هو فتح مكة ، قد ينقض المشركون عهدهم ويغدرون وطبيعتهم الغدر ، ولكن الآية تؤكد ما يحدث بعد عام تأكيدا جازما وليس ما فيها من عند محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين .

رابعا : لو كان القرآن الكريم من تأليف محمد لجارى فيه ميوله واهواءه ولم يخالفهما ولكن القرآن الكريم جزم بما يناقض ميوله صلى الله عليه وسلم فقد كان يود من صميم قلبه ان يسلم عمه ابو طالب ولكن القرآن الكريم صدمه بما يعارض رغباته فقال تعالى : (**انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء**) القصص / ٥٦ فقد ثبت في الصحيحين أن هذه الآية نزلت في أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حبا طبيعيا لا شرعيا - قال الزهري : حدثنا سعيد بن المسيب عن ابيه : « لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل بن هشام وعبدالله بن ابي امية بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم : يا عم ، قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله ، فقال ابو جهل وعبدالله بن امية : يا أبا طالب اترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة ، حتى كان آخر ما قال : هوعلى ملة عبدالمطلب وابي ان يقول لا اله الا الله وقد جاء القرآن الكريم بمايناقض رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ليس من تأليفه وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

ومن الامثلة الواقعية على مناقضة القرآن الكريم لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم موقفه من عبدالله بن ابي بن سلول زعيم المنافقين بالمدينة فقد كان يهادنه على الرغم من نفاقه . مجاملة منه صلى الله عليه وسلم لابنه الصحابي الجليل القوي الايمان عبدالله . وحدث ان استأذن هذا الصحابي الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم في أن يقتل اباه لنفاقه قائلا : « انا ابر الناس بأبي يا رسول الله والانصار

جميعا يعلمون هذا ، ولكنه منافق يكيد للاسلام واخشى ان يقتله احد المسلمين فتأخذني العزة بالاثم فأقتله ، فاقتل مسلما بكافر فيكون مصيري الى النار فأذن لي ان ا قتله انا) فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان الاسلام لا يبيح قتل من نطق بشهادة التوحيد ولو نطقها نفاقا .

وحدث ان عبدالله بن ابي كاد في احدى المواقع ان يثير فتنة بين المهاجرين والانصار حين تخاصم غلام لأحد المهاجرين مع غلام لأحد الانصار ، فاستغاث الاول بالمهاجرين واستغاث الثاني بالانصار ؛ فانتهزها عبدالله بن ابي فرصة وقال لقد صدق المثل : « سمن كلبك يأكلك » لقد اوينا المهاجرين واكرمناهم فاستطالوا علينا ، والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، وبلغت هذه القالة ابنه عبدالله فانتظره خارج المدينة حتى عاد وامسك بتلابيبه ، واقسم الا يمكنه من دخولها حتى يعترف بان العزة لله ورسوله والمؤمنين فاضطر الى الاعتراف بهذا ـ فلما مات حزن ابنه عبدالله عليه حزنا شديدا وذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم باكيا ورجاه ان يستغفر لابيه وان يعيره قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه .

قال البخاري : « ... فأعطاه القميص ثم قام ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انما خيرني الله فقال : (**استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**) قال عبدالله بن عمر قال : فصلى عليه وصلينا معه وانزل الله قوله (**ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**) ومن المعروف ان الصلاة على الموتى استغفار لهم .

وجاء القرآن الكريم مناقضا لميول النبي صلى الله عليه وسلم لانه ليس من تأليفه وانما هو تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين .

خامسا : لو كان القرآن من تأليف محمد بن عبدالله ما ورد فيه العتاب الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم في مواقف عديدة مثل موقفه صلى الله عليه وسلم من ابن ام مكتوم الاعمى فقد ذكر لفيف من الرواة الثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب من زعماء قريش ـ وكان يطمع في اسلامهم واسلام عدد من اتباعهم باسلامهم فاقبل اليه رجل اعمى يقال له عبدالله بن ام مكتوم وهو يناجيهم ، فقاطع النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ، علمنى مما علمك الله ، فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم وظهر العبوس على وجهه فليس من الآداب المرعية في الاحاديث ان تقاطع من يتحدث الا لضرورة وابن ام مكتوم لم يشاهد العبوس ، فعاتب الله رسوله في هذا الموقف عتابا شديدا فان ابن ام مكتوم لم يرالعبوس ولكنالله رآه قال تعالى : (**عبس وتولى . ان جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . او يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الا يزكى . واما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فانت عنه تلهى**) عبس / ١ ـ ١٠ فأكرم النبي

صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآيات ابن ام مكتوم وكان يقبل عليه ويحتفي به ويكرمه حين يلقاه قائلا « اهلا بمن عاتبني ربي فيه » وكان يوليه احيانا حكم المدينة حين يغادرها في احدى غزواته .
ومن مواقف عتاب الله سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث في موقفه من زيد بن حارثة الذي تبناه الرسول وزوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية وكانت جميلة حسيبة ، وزيد كان عبدا رقيقا اشترته السيدة خديجة واهدته الى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ليقوم على خدمته ، وكان أبوه شيخ قبيلة ولكن تجار الرقيق اختطفوا زيدا وباعوه في الاسواق ، فانتقل من يد الى يد حتى اشترته خديجة واهدته الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فقام على خدمته ، وطلبه ابوه وعمه كعب حتى جاءا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالا له يا ابن عبدالمطلب ، انك رجل كريم وابننا عندك وقد جئنا لنفتديه بما تطلب من الفداء فامنن علينا واحسن الينا في فدائه فقال من هو ؟ قالا زيد بن حارثة فقال صلى الله عليه وسلم : « فهلا غير ذلك ؟ قالا ما هو ؟ فقال : ادعوه وخيروه ، فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني احدا فقالا : قد زدتنا على الانصاف واحسنت ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرف هذين ؟ قال نعم ، هذا ابي وهذا عمي قال : فانا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني او اخترهما قال زيد : ما اريدهما وما انا بالذي اختار عليك احدا ، أنت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد اتختار العبودية على الحرية ؟ وعلى ابيك واهل بيتك ؟ قال : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي اختار عليه احدا ابدا ، فلما رأى النبي ذلك اخرجه الى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وارثه ، فلما رأى ذلك ابوه وعمه طابت نفسيهما وانصرفا ، وبعد هذا منع القرآن عادة التبني قال تعالى : (**ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله**) الاحزاب / ٥ وكان من عادة العرب الا يتزوج الرجل امرأة من تبناه . ولكن الله اراد لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يكون قدوة في نقض هذه العادة فيتزوج امرأة زيد ، « السيدة زينب بنت جحش » .
وكانت في اعتزازها بحسبها تبدو منها بوادر تسيء زيدا فيشكو الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول له : (**أمسك عليك زوجك**) واتق الله وهو يعلم ان الله قد جعلها من نسائه فنزل قوله تعالى معاتبا رسوله : (**واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا**) الاحزاب / ٣٧ .
ويخترع المبشرون والمستشرقون اكاذيب ينسبون فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم مفتريات يتخذونها وسيلة للطعن في عصمته ، فقد ذكروا ان نظره وقع على زينب في بيت زوجها فعشقها وقال : « سبحان مقلب القلوب » واحس زيد ذلك

فعرض على الرسول ان يطلقها فقال له : (**أمسك عليك زوجك واتق الله**) والمعروف ان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرفها منذ نشأتها معرفة صادقة وكان يستطيع ان يبني بها وهي عذراء فلا يترقبها حتى تصبح ثيبا ، وهي قد تزوجت زيدا على مضض منها ومن اسرتها ، ولولا رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في اتمام هذا الزواج ما تم . وزيد هو الذي كان يلح في تطليقها وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يستمهله وينصحه بالتمسك بزوجته .

قالت عائشة رضي الله عنها : « لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما اوحى اليه من كتاب الله تعالى لكتم » هذه الآية : (**وتخشى الناس والله احق ان تخشاه**) رواه البخاري ومسلم .

وما كان له ان يكتم شيئا لان القرآن من عند الله وليس من عنده ، وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**)

ومن الوان العتاب العديدة التي وردت في القرآن الكريم موجهة من الله الى رسوله وكان الرسول يستطيع اخفاءها لو كان من تأليفه ولكنها وحي يوحى ، من هذه الالوان ما قرره القرآن الكريم في موضوع اسري بدر حيث قال تعالى : (**ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم**) الانفال / ٦٧ و ٦٨ والعتاب هنا قائم على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان عليه ان يمعن في قريش تنكيلا حتى يكسر شوكتهم ويوهن قوتهم وحتى لا يعودوا الى حربه مرة اخرى ، وكان من رأي ابي بكر العفو عن الأسرى واخذ فدية منهم ، وكان رأي عمر ضرب اعناقهم . وجمهرة المفسرين على ان القرآن الكريم وافق رأي عمر مع ان القرآن الكريم يقول ان الاثخان في الارض ينبغي ان يتم قبل الاسر قال تعالى : (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فامّامنا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها**) محمد / ٤ واذا كان هناك من وافقت الآية الكريمة رأيه فهو سعد بن معاذ فقد كان يكره الأسرى قبل الاثخان فلو كان القرآن من صناعة محمد ما وجه فيه هذا العتاب الشديد الى نفسه ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

سادسا : كشف الاحداث الغيبية فقد حدثت بعض الامور بالغ اصحابها في كتمانها ولكن القرآن الكريم كشف عنها الستار واطلع الرسول واصحابه على ما خفي من الامور فقد حدث ان بني ابيرق وهم قوم ضعفاء الايمان نقبوا دارا لرفاعة ابن زيد وسرقوا ادرعا له وقيل ان السارق هو بشير بن ابيرق وحده ، دون اخوته ، ورفع الامر الى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما علم السارق بذلك عمد الى الدروع فالقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته اني غيبتها والقيتها في بيت فلان ، وستوجد عنده فانطلقوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا وقالوا يا نبي الله ان صاحبنا بريء وان صاحب الدروع فلان وقد احطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فنزل قوله تعالى : (**انا انزلنا اليك الكتاب بالحق**

لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا . ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . ومن يكسب إ ثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا . ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) النساء / ١٠٥ ـ ١١٣ .

وما كان محمد صلى الله عليه وسلم ليعلم ما تم في الخفاء لولا ان الله اطلعه عليه وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما فما كان القرآن الكريم من تصنيفه وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

ومثل هذه المواقف تعددت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد حدثت مفاداة الاسرى عقب غزوة بدر ، وكان من بينهم العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان غنيا ، ولكنه تظاهر بالفقر طمعا في اقلال الفدية واطمعه في ذلك لين الرسول صلى الله عليه وسلم ، فادعى انه اسلم من قبل وانه حضر الغزوة مع قريش مكرها لا محاربا ، فقال صلى اللهعليه سلم اما ظاهرك فكان علينا والله اعلم باسلامك وسيجزيك خيرا ، فادعى انه لا مال عنده يفدي به نفسه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذي اودعته ام الفضل وقلت لها لو اصبت في سفري هذا فهذا لبني : الفضل وعبدالله وقثم فقال العباس : والله اني لاعلم انك رسول الله ، ان هذا الشيء ما علمه الا انا وام الفضل ، فاخذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم مائة اوقية من الذهب فداء له ولابني اخيه عقيل ونوفل ولحليفه عتبة بن عمرو ، ولما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه الاسرى وفيهم جويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق وجاء ابوها يطلب فداءها ونظر للابل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ثم جاء الى النبي فقال يا محمد اصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا ؟ فقال الحارث : اشهد ان لا اله الا الله وانك يا محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك الا الله تعالى وحده ، فكيف علم محمد بهذا الامر ان الله علمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما وما كان القرآن الكريم من تأليفه ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

سابعا : ما من كتاب مهما بلغت روعته ، حفظ لغته من الاندثار كما حفظ القرآن الكريم اللغة العربية فان اللغة العربية ظلت لغة حية نحو الفي عام مع انها تعرضت لاحداث عنيفة كادت تقضي عليها وبخاصة في عصر المماليك والاتراك ،

ونحن نعلم ان عباس الاول حاكم مصر حظر على طلبة الكلية الحربية ان يتحدث احدهم باللغة العربية ومن فعل الجمه بلجام عقابا له وسخرية منه طيلة يومه ، كما تعرضت العربية لغزوات التتار والفرنسيين والاتراك .

ومن طبيعة اللغات ان تتعرض للتغيير والتبديل كل مائتين او ثلاثمائة من الاعوام ، فقد انقسمت اللغة اللاتينية الى بضع لغات تخالف اصولها مخالفة تامة ، والانكليز المعاصرون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة شكسبير الانجليزية والفرنسيون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة كورني وراسين الفرنسية ، والايطاليون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة دانتي الايطالية مع اننا نقرأ لغة المعلقات في العصر الجاهلي فنفهمها ونتأثر بها ونسمع قول عنترة .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فنفهم عنه وننفعل معه ونشاركه في عواطفه الوجدانية لان اللغة هي اللغة ، واللغة العربية الان مزدهرة اعترفت بها هيئة الامم وجعلتها من اللغات العالمية الرسمية السائدة الان ، ويتحدث بها اكثر من مائة مليون عربي ويعبد الله بها نحو الف مليون من المسلمين يرددونها خمس مرات يوميا ، وما تم هذا الا بفضل القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » الحجر ٩ .

وما حفظ لنا اللغة العربية الا القرآن الكريم لانه : (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) وحسب القرآن الكريم اعجازا انه فرض نفسه على محطات الاذاعة الاجنبية غير الاسلامية تذيعه في مستهل ارسالها وفي نهايته ، وليس ذلك بقوة العرب ولا بسيطرتهم ، وانما لما لهذا الكتاب الكريم من مكانة ومنزلة لا تدانيهما منزلة أي كتاب آخر من صناعة البشر لانه : (**كتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/ ٤١ و ٤٢ .

والدارسون للغات يعلمون أن أكبر كتابها لا يستعملون من مفرداتها اكثر من ٥٪ خمسة في المائة ، وطبقوا هذا على شكسبير في اللغة الانكليزية ، وهو أكبر شعرائها وعلى غيره من الكتاب والشعراء .

اما القرآن الكريم فقد تناوله الدكتور علي حلمي موسى الاستاذ بكلية علوم عين شمس ، وأجرى تجربة فيه يحدثنا هو عنها قائلا « يعتبر القرآن الكريم من الناحية اللغوية قمة الاعجاز إن أي دراسة للقرآن تعطينا كنوزا وتفسيرات أوضح وأكبر وتثبت للعالم ان الدين لا يتعارض مع العلم بل يؤكده ... لقد قمت بتغذية الكمبيوتر بالالفاظ الموجودة في القرآن الكريم ... وتم شحن كل ذلك في ذاكرة الكمبيوتر بترتيب مخصوص ونظام معين واخترت معجم الصحاح ليكون الجهة الاخرى من المقارنة لانه يعتبر من أدق المعاجم في العربية الى جانب قربه من عهد

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد اثبتت الدراسات ان القرآن الكريم استخدم ٣٠٪ ثلاثين في المائة من ألفاظ اللغة العربية وهذا يعتبر اعجازا لغويا كبيرا فان اغنى ادباء وشعراء العالم مثل شكسبير او العقاد لم يستخدموا سوى ٥٪ فقط من لغتهم ... كما ان الألفاظ التي استخدمت مرة واحدة في القرآن الكريم بلغت ٣٧٤ لفظا وهذا ايضا من الاعجاز اللغوي ...

كما أثبتت الدراسة أن لفظ الجلالة (الله) اكثر الالفاظ التي وردت في القرآن الكريم ثم كلمة (رب) تليها كلمة (آمن) واعتذر الدكتور علي حلمي موسى عن عدم قيامه بدراسة تفسيرية لهذه النتائج التي انتهى اليها العقل الالكتروني بأنه يكتفي بان يضعها امام علماء الدين المشتغلين بالدراسات القرآنية .

فلو كان القرآن الكريم من صناعة محمد ما زادت الاصول اللغوية فيه عن ٥٪ من متن اللغة العربية ولكنها ارتفعت الى ٣٠٪ لانه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) .

ثامنا : العصمة من الناس :

روى الترمذي والحاكم وابن أبي حاتم وابن جرير عن السيدة عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت الآية : (**والله يعصمك من الناس**) فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم : أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله » .

فلو كان القرآن من صناعة محمد ما أطمأن الى هذه الآية ولا صرف الحراس عن حراسته ولكنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين فاطمأن الى وعد الله كل الاطمئنان وقد حفظه الله وعصمه من اليهود الذين دسوا له السم في شاة مذبوحة ، فنطقت واخبرته أنها مسمومة فامتنع عن أكلها وذلك بخيبر (راجع صحيح البخاري في كتاب المغازي) .

واخرج الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم في احدى الغزوات أنه استظل بشجرة ونام تحتها ونام أصحابه في مواضع متقاربة فاذا بالرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم فذهبوا اليه واذا عنده أعرابي ، فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتاً ، فقال من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ثلاثا ، ولم يعاقبه .

تاسعا : الاستغراق في العبادة :

كان صلى الله عليه وسلم يطيل الصلاة في جوف الليل حتى تتورم قدماه تلبية لقوله تعالى : (**قم الليل إلا قليلا . نصفه أو أنقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا**) المزمل/ ٢ ـ ٤ وكانت السيدة عائشة تشفق عليه وتتألم لما يعانيه

فتقول له : يا رسول الله رفقا بنفسك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيقول لها صلى الله عليه وسلم يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا ، ولو كان القرآن من تأليفه ما ألزم نفسه هذه المشقة ولا كابد فيها ما كابد ولا صام يوم الاثنين والخميس من كل اسبوع ، وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين .

والقرآن الكريم لو كان من تأليف محمد ما ذكر فيه ما وجهه المشركون اليه من لمز وتشهير ، فاننا لو أردنا أن ندرس ما ذكره الوثنيون من مناقضات للقرآن الكريم ، فاننا لن نجد الا مرجعا واحدا جمع ما قالوه هو القرآن الكريم ، ولو كان القرآن من صناعة محمد ما عني بتسجيل اقوال الوثنيين فيه ، ومن الامثلة على ذلك قولهم أنه اساطير الاولين قال تعالى : (**ومنهم من يستمع إليه وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**) الانعام/ ٢٥ .

وقال سبحانه : (**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**) الفرقان/ ٥ وقال تعالى : (**وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين**) النحل/ ٢٤ .

وقالوا عن القرآن الكريم انه : (**سحر يؤثر**) قاله الوليد بن المغيرة ومن مالأه ، قال تعالى فيه : (**إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبروا ستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر**) المدثر/١٨ ـ ٢٥ .

وكلما واجههم بآية بينة قالوا هذا سحر مبين قال تعالى : (**بل عجبت ويسخرون . وإذا ذكروا لا يذكرون . وإذا رأو آية يستسخرون . وقالوا إن هذا إلا سحر مبين**) الصافات/ ١٢ ـ ١٥ وتواصلوا فيما بينهم أن يعرضوا عن القرآن اذا طرق اسماعهم وأن يمعنوا في اللغو والضجيج حتى لا يصل الى آذانهم قال تعالى : (**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**) فصلت/ ٢٦ وادعوا أنهم قادرون على الاتيان بمثله قال تعالى : (**وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذاإن هذاإلاأساطير الأولين**) الأنفال/ ٣١ .

وزعموا انه افك أعانه عليه بعض أنصاره قال تعالى : (**وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليهم قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا**) الفرقان/ ٤ .

وزعموا أنه يتعلم القرآن من غلام نصراني اسمه سيبعة أو بلعام اعجمي اللسان وهو حداد ويعمل عبدا عند بعض بني الحضرمي ولا يكاد يبين قال تعالى : (**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**) النحل/٣ . واذا أنذرهم بالبعث بعد الموت قالوا : **لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**) النمل/ ٦٨

وقالوا لو كان القرآن خيرا لسبقنا نحن اليه محمدا فهو ليس بخير ولكنه إفك قديم قال تعالى : (**وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم**) الأحقاف/ ١١ واذا طرق القرآن اسماعهم اسرعوا في الاعراض والانشغال عنه لاهين منصرفين : (**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم**) الانبياء/ ٢ و ٣ وأعلنوا هذا هاتفين : (**قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون**) فصلت/ ٥ وقالوا عنه انه سحر مصنوع وافك مفترى قال تعالى : (**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبدآباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين**) سبأ/ ٤٢ ويزعمون انه من صناعة محمد وانه تقوله وافتراه : (**أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين**) الطور/ ٣٣ و٣٤ ويتحدونه ليأتيهم بقرآن آخر غير هذا القرآن حينما يضيقون بأحكامه فيقولون له : (**ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحي إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون**) يونس/ ١٥ و ١٦ ويتحدون الرسول صلى الله عليه وسلم منكرين عليه نزول القرآن منجما : (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**) الفرقان/ ٣٢ و ٣٣ وأعلنوا كفرهم بالقرآن الكريم وبما سبقه من الكتب السماوية : (**وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه**) سبأ/ ٣١ وزعموا أن القرآن ضرب من ضروب الشعر فقال تعالى في الرد عليهم : (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**) يس/ ٦٩ .

وكانوا كثيرا ما يستمعون الى آيات الله ساخرين مستهزئين وقد اهاب الله تعالى بالمؤمنين ان ينصرفوا عن الكفار في هذه الأحوال قال تعالى : (**وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا**) النساء/ ١٤٠ وكان بعضهم يعدل عن الآيات المحكمات ويتتبع الآيات المتشابهات محاولا أن يصرفها عن وجوهها الى ما يرضيه من شهوات واهواء قال تعالى : (**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**) آل عمران/ ٧ وذلك مثلا أنهم سمعوا قوله تعالى : (**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**) الانبياء/ ٩٨ ضحكوا وكان السبب في ذلك كما ذكره محمد بن اسحق في السيرة

قال الوليد بن المغيرة زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبعري اما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمدا اكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود يعبدون عزيرا والنصارى يعبدون المسيح ابن مريم فيعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعري ورأوا انه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كل من أحب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، فانهم انما يعبدون الشيطان ، ومن أمرهم بعبادته ؟ وأنزل الله عز وجل : (**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**) الانبياء/ ١٠١ أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الاحياء والرهبان الذي مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من عبدهم من أهل الضلالة اربابا من دون الله ، ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله : (**وقالو اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون**) الانبياء/ ٢٦ ... انتهى نقلا عن تفسير ابن كثير ونزيد على ما ذكره ابن كثير ان كلمة (ما) في الآية الكريمة (**إنكم وما تعبدون من دون الله**) تدل لغويا على غير العاقل غالبا فالمقصود بها انهم وما يعبدون من دون الله من اصنام وكواكب وأشجار وحيوان مصيرهم جميعا الى النار ـ وكانوا اذا سمعوا عبارة التوحيد أعرضوا ورموه صلى الله عليه وسلم بالجنون : (**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون**) الصافات/ ٣٥ و ٣٦ واذا ذكرهم بالبعث والنشور صاحوا ساخرين : (**إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين . فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**) الدخان/ ٣٥ و ٣٦ . (**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**) الجاثية/ ٢٤ (**وقال الذين كفروا أ إذا كنا تراباً و آباؤنا أإنا لمخرجون . لقد وعدنا هذا نحن و آباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**) .

ومن المعروف ان كل مجرم أو مذنب يتلمس لتبرير جريمته أو ذنبه عذرا ما يسميه علماء النفس باسم التبرير ويسميه القرآن الكريم بالمعاذير يقول الله تعالى : (**بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره**) القيامة/ ١٤ و ١٥ ولم يغفل القرآن الكريم تسجيل تبريرات المشركين لشركهم ومعاذيرهم عن عبادة الاصنام قال تعالى : (**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**) يونس ١٨ وقال سبحانه : (**ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**) الزمر/ ٣ ووصف امعانهم في البخل وتبريرهم له فقال سبحانه : (**وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان انتم إلا في ضلال مبين**) يس /٤٧ .

ووصف القرآن الكريم مبلغ تعصبهم واسرافهم في المكابرة والعناد فقال تعالى : **(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)** الانعام/ ٧ وقال سبحانه : **(ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)** الحجر/ ١٤ و ١٥ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألم من عناد قومه وتكذيبهم له فواجههم الله بأنهم هم الكذابون لانهم يعلنون خلاف ما يعتقدون ، فانهم في قرارة انفسهم يعتقدون صدق الرسول وامانته وقد اطلقوا عليه لقب الامين ، واذا كانت لدى احدهم تحفة ثمينة لم يجد من يودعها عنده الا الرسول صلى الله عليه وسلم ثقة في امانته وصدقه ، والله سبحانه يواسي رسوله ويجابه المشركين بكذبهم فيقول : **(قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)** الأنعام/٣٣ والاية مكية واجه بها الرسول قومه فلم يستطيعوا أن يواجهوه بالتكذيب او الادعاء .

ومن هنا نرى القرآن الكريم قد حفظ لنا اقوال المشركين كاملة بحيث لا نجد مصدرا آخر غير القرآن سجل لنا هذه الاقوال .

ولو كان القرآن من صناعة محمد ما سجل فيه اقوال خصومه الالداء ، ولكنه تنزيل رب العالمين.نزل به الروح الامين .

وكما سجل القرآن الكريم اقوال المشركين في القرآن سجل اقوالهم في الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اتهموه بالكذب : **(وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل)** الانعام/ ٦٦ وذلك لانهم استبعدوا ان يرسل الله أحدا من البشر وانه لو شاء لأنزل ملائكة قال تعالى : **(أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين)** يونس/ ٢ ولجوا باتهامه بأنه ساحر : **(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)** ص/ ٤ و ٥ ثم رموه بأنه مسحور يتخيل أمورا لا أساس لها من الواقع قال تعالى : **(نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا)** الاسراء/٤٧ واستبعدوا عليه ان يكون رسولا وهو انسان مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق : **(وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)** الفرقان/ ٧ ـ ٩ . وتوهموا أن الله اذا بعث رسولا فلن يبعثه من البشر وانما يرسله من الملائكة : **(وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون . ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون)** الانعام/٨ ـ ١٠ .

وطالما جابهوه بالسخرية والاستهزاء : (**وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون**) الانبياء/ ٣٦ .

(**واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا . ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا**) الفرقان/ ٤١و٤٢ . وكثيرا ما عابوا عليه فقره : (**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمةربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف/ ٣١ - ٣٢ . وكلما ضاقوا بالرسول ذرعا اتهموه بالجنون : (**وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون . لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين . ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين**) الحجر/ ٦ ـ ٨ . قال تعالى : (**والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملي لهم ان كيدي متين . أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين**) الأعراف/ ١٨٢ ـ ١٨٤ . واتهموه مع الجنون بأنه شاعر يعيش على الخيال والأوهام : (**ويقولون أانا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون**) الصافات/ ٣٦ . كما رموه مع الجنون بالكهانة ويرد الله عليهم هذا الاتهام بقوله : (**فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**) الطور/ ٢٩ . ويقول سبحانه : (**وما صاحبكم بمجنون**) التكوير/ ٢٢ . ويقول تعالى ان هذا شأن جميع الأمم السابقة : (**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون . أتوا صوابه بل هم قوم طاغون . فتول عنهم فما أنت بملوم . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**) الذاريات/ ٥٢ ـ ٥٥ .

ولما كان للشعر عندهم من مكانة ألحوا في اتهام الرسول بأنه شاعر وأن من الخير تركه حتى تنتهي حياته : (**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فاني معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين**) الطور/ ٣٠ ـ ٣٤ . وكانوا يستبعدون كل الاستبعاد أن يبعث الله رسولا من البشر : (**وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا**) الاسراء/ ٩٤و٩٥ . وما أنكر محمد بشريته بل أعلنها بكل الوسائل في كل مجال : (**قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) الكهف/ ١١٠ . فهو بشر مماثل لهم ولا فرق بينه وبينهم الا أنه يتلقى

الوحي السماوي بأن الله اله واحد ، وأنه وحده المستحق للعبادة والتقديس وأن كل انسان سيلقى ربه مهما طال به العمر ، وسيحاسب على ما قدمت يداه ، ومحمد في بشريته يجري عليه ما يجري على البشر جميعا ، فهو يصح ويمرض ويحيا ويموت ويفرح ويحزن : (**وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**) آل عمران/ ١٤٤ ، (**انك ميت وانهم ميتون**) الزمر/ ٣٠ ، لكنهم في لجاجهم وعنادهم لم يقدروا الله حق قدره ولا عرفوا حكمته في اصطفاء الرسل من البشر قال تعالى : (**وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء**) الأنعام/ ٩١ ، وكانوا يظنون أن بشريته تمنعه من حمل الرسالة وأدائها (**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم . بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**) الأنبياء/ ٢ ـ ٥ .

ولقد أمعنوا في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم واتهموه بأنه يفتح سمعه للكذابين ويتأثر بهم وفاتهم أنه لا يحب أن يسمع الا الخير : (**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**) التوبة/ ٦١ .

وأمعنوا في ايذائه حتى نالوا من أهله فهذه السيدة عائشة أم المؤمنين زوج الرسول صلى الله عليه وأحب نسائه اليه رموها بالبهتان العظيم حتى أظهر الله سبحانه وتعالى براءتها وطهرها في كتابه الكريم : (**ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**) الأحزاب/ ٥٧ .

ولم يكتفوا بأن القرآن معجزة كبرى للنبي صلى الله عليه وسلم بل طالبوه في الحاح بالمعجزات الحسية المادية وفاتهم أن المعجزات المادية محدودة الزمان والمكان ومقصورة على عدد محدود من المشاهدين أما القرآن فاعجازه غير مقيد بزمان ولا مكان ولا عدد المشاهدين ولكنهم لا يفقهون : (**وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون**) الأنعام/ ١٠٩ ، ولما حدثت معجزة انشقاق القمر أسرعوا بالتكذيب قال تعالى : (**اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر**) القمر/ ١ ـ ٣ ، : (**وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون**)

العنكبوت/ ٥٠ ـ ٥٢ .

ولما تحداهم القرآن باعجازه وقرر عجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثله : (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء/٨٨ ، لجوا في عنادهم وطغيانهم وطلبوا اليه أن يخرق النواميس الكونية في السماء والأرض وأن يأتيهم بمعجزات حسية مادية قبل أن يستجيبوا لدعوته : (**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا**) الاسراء/ ٩٠ ـ ٩٣ ، أي لست ملاكا ولا الها وانما أنا بشر رسول .

فلو كان القرآن من كلام محمد ما سجل فيه مطاعن المشركين ولا لمزهم ولا سخريتهم منه ولا تحديهم له .

ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) .

عاشرا : ذكرنا ألوانا من الأدلة العقلية والبراهين المنطقية على أن القرآن ليس من تصنيف محمد وانما هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ونسوق الآن أدلة علمية حاسمة لا مجال للخلاف فيها ، فقد تناول القرآن الكريم بعض الكشوف العلمية التي لم يعرفها العالم الا في العصر الحديث .

ومع أن القرآن كتاب هداية ونور فانه ألم ببعض القضايا العلمية قال تعالى : « **والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) الذاريات/٤٧ ـ ٤٩ ، ففي آيات ثلاث قصار لا تتجاوز سطرين انتقل بنا القرآن الكريم من آفاق السموات الى أرجاء الأرض ثم الى عوالم الانسان والحيوان والنبات والجماد ، وأعطانا أحدث ما وصل اليه العلم الحديث من كشوف لم يكن يعلمها أصلا قبل ذلك .

فمن حيث السماء أشارت الآية الكريمة الى تمدد الأجرام السماوية واتساعها ونحن نعلم أن المجموعة الشمسية بكواكبها التسع وأقمارها العديدة وما تضمه من مذنبات مثل مذنب « هالي » هي جزء من المجرة ، وأن المجرة تضم نحو مائة ألف مليون مجموعة شمسية في كل منها كواكب عديدة وأقمار كثيرة ومذنبات وغبار كوني ... وأن الكون الفسيح يضم نحو ألف مليون مجرة وأقرب المجرات الينا تبعد نحو سبعمائة ألف سنة ضوئية والسنة الضوئية تقدر بما يقطعه الضوء من مسافات مقدارها ثلاثمائة ألف كيلو في الثانية الواحدة أو عشرة ملايين مليون كيلومتر تقريبا في السنة الواحدة وأقرب شمس الينا هي ألفيا سنتيورى وتبعد عنا نحو أربع سنين ضوئية ، وأحدث ما وصلت اليه الكشوف العلمية أن الكون يتمدد

ويتسع كما تتسع كرة القدم بالنفخ فيها ، وتمدد الكون وتباعد أجرامه بعضها عن بعض تتم بسرعة نحو مائة وستة أميال في الثانية الواحدة ، ونعلم أن اتساع الكون الآن يبلغ عشرة أمثال حجمه في بدء الخليقة وان نصف قطره الآن يعادل خمسة آلاف مليون سنة ضوئية ونقول الآن لأنه يتمدد بسرعة اكثر من مائة ميل كل ثانية وهو شبيه بمنطاد يتمدد ويظل يتمدد حتى تنفجر حبال الجاذبية التي تربط بعض الأجرام السماوية بالأجرام الأخرى ، والى هذا تشير الآيات الكريمة : (**فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية**) الحاقة/ ١٣ ـ ١٦ ، وفي الحديث الشريف « وصاحب الصور قد التقم الصور ينتظر الاذن بالنفخ » رواه أحمد ، والى هذا التمدد والاتساع أشار القرآن الكريم بقوله : (**وانا لموسعون**) مع التأكيد بأن ولام الابتداء في قوله (**وإنا لموسعون**) وتبارك الله : (**يزيد في الخلق ما يشاء**) فاطر/ ١ .

هذا ما يتعلق بالسماء أما ما يتعلق بالأرض فالله تعالى يقول : (**والأرض فرشناها**) أي كسوناها بغشاء يغلفها ونحن نعلم أن الأرض كرة ملتهبة من النار انفصلت من الشمس منذ خمسة آلاف مليون عام وحرارتها تعادل حرارة قرص الشمس « خمسة آلاف درجة مئوية » مثل حافة الشمس وقد كساها الله بغلاف رقيق بارد لا يتجاوز بضعة أميال ، وهذا الغلاف يحتوي البحار والأنهار والجبال والغابات والمروج وعالم الانسان وعالم الحيوان وعالم النبات ، وكلما تعمقنا في جوف الأرض ثلاثين مترا ارتفعت الحرارة درجة ، حتى نصل الى درجة حرارة تنصهر فيها الحجارة والمعادن ، وتحاول أن تنسف القشرة التي تغلف سطح الأرض فتحدث الزلازل ، وقد تمزقها فتنفجر البراكين المدمرة بما تقذفه من صخور ومعادن ذائبة مصهورة ، واذا كان محور الكرة الأرضية يعادل ثلاثة عشر ألف ميل فان القشرة الأرضية لا تتجاوز بضعة أميال هي الفرش الرقيق لسطح الكوكب الأرضي وتبارك الله : (**الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء**) البقرة/ ٢٢ ، وسبحان الذي جعل لنا الأرض بساطا لنسلك فيها سبلا فجاجا قال تعالى : (**والله جعل لكم الأرض بساطا . لتسلكوا منها سبلا فجاجا**) نوح/ ١٩و٢٠ ، ومعنى بسطها أنها مهيأة لنمد فيها الطرق والسكك الحديدية وتمخر السفن فيها عباب البحار والمحيطات وهذا لا ينافي كرويتها التي أشارت اليها الآية الكريمة : (**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**) الزمر/ ٥ ، ولا ينافي دورانها حول محورها الذي أشارت اليه الآية الكريمة : (**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل/ ٨٨ ، فسبحان : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى . والذي أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى**) الأعلى/ ٢ ـ ٥ .

هذا ما يتعلق بالأرض التي نعيش على سطحها فوق أتون ملتهب من النار ، ونعيش تحت سمائها تحت سقف محفوظ يحمينا من الشهب المتساقطة أو

الحاصب الذي يقذف الأرض بمئات الملايين كل يوم منها قال تعالى : (**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير**) الملك/١٦و١٧ ، أما موضوع ازدواجية الكائنات فقد تناولتها أكثر من آية قال تعالى : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس/٣٦ ،

و كان العرب يعلمون عند نزول القرآن أن الذكورة والأنوثة ومن التقائها يمتد النسل ويبقى الجنس قائما على طريق التلقيح والاخصاب وكان العرب يعلمون أن هناك نباتا واحدا تبدو فيه الذكورة والأنوثة وهو نخل البلح فكانوا يؤبرون « يلقحون » النخلة الانثى بطلع النخلة الذكر ، ويسمونها بعملية التأبير وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم .

ولكن الآية الكريمة تعمم الازدواجية في جميع الكائنات : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) وقد كشفنا في العصر الحديث الازدواجية في عالم النبات كله ورأينا أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث داخل الأزهار بالبصر العادي أو بالمنظار المكبر . ثم عرفنا حديثا أن الازدواجية موجودة في عالم الجماد أيضا وأطلقنا عليها بدلا من تعبير الذكورة والأنوثة تعبير « السالب » و« الموجب » فان جميع الكائنات يمكن ردها الى بضعة وتسعين عنصرا وكلها تنتهي الى ذرات بالغة الحد في الصغر وعلمنا حديثا أن كل ذرة تضم نواة « بروتين » وكويكبات « الكترونات » وأن النواة كهرباء موجبة والكويكبات كهرباء سالبة كما علمنا أن الكون مكون من طاقة أو مادة والطاقة فيها الجانب السلبي كما فيها الجانب الايجابي وأن كلا منهما يكمل الآخر ، فلو جئنا بقضيبين ممغنطين فان لكل منهما طرفه السلبي وطرفه الايجابي ، فلو قربنا طرف القضيب الايجابي من الطرف الايجابى للقضيب الآخر ينفر منه مبتعدا ، وكذلك الأمر لو قربنا الطرف السلبي من السلبي الآخر لنفر منه، ولو قربنا الطرف السلبي من الطرف الايجابي للقضيب الثاني لتجاذبا تماما وكملت الدائرة المغناطيسية والكهرباء ، كذلك يتكون الحبل الموصل للكهرباء من سلكين أحدهما تياره موجب والآخر تياره سالب ، فلو انقطع أحد السلكين لانطفأ النور حتى يتم وصله ومن هنا تبدو الازدواجية في عالم الجماد كما تبدو في عالم الحيوان وعالم النبات أيضا وصدق الله اذ يقول : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) .

فمن أعلم محمدا النبي الأمى أسرار الكون ؟ وانه يتمدد ويتسع باستمرار وفي ادارة طبيعة الغلاف الذي يضم أتون الأرض الملتهب وجوفها المنصهر ، ومن أخبره بازدواج جميع الكائنات ؟ انه لم يعرف هذا من عند نفسه وانما هو تنزيل رب العالمين.نزل به الروح الأمين وكثير من الآيات القرآنية تضم أسرارا علمية لم يكشفها العلم الا في العصر الحديث بل أن بعضها سبق العلم الحديث وقرر أمورا علمية ما زال العلم الحديث يحاول جاهدا الكشف عن أسرارها ، فمن القضايا

التي يقف العلم حائرا أمامها الآن قضية سكان الكواكب . ان العالم الآن يعج بملايين الكواكب الشبيهة بالأرض فهل انفردت الأرض وحدها دون بقية الكواكب فانها وحدها المأهولة بالسكان .

ان العلماء الآن يرسلون المركبات الفضائية الى بعض كواكب المجموعة الشمسية لتصوير ما فيها ، ولم تصل الى نتيجة ايجابية حتى الآن ، ولكننا نتلقى اشارات لاسلكية تلتقطها بعض المراصد السمعية على سطح الكوكب الأرضي ، وتصلنا من أعماق الفضاء السحيقة من عالم مجهول ولم نستطع حل رموز هذه الاشارات حتى الآن ، ولكن القرآن الكريم يقرر في كثير من آياته البينات ان هذه الكواكب مأهولة بالسكان الممتازين بالعقل أو الذين يتجردون منه والمعروف في اللغة ان كلمة « من » تدل على العاقل وكلمة « ما » تدل على غير العاقل - والله تعالى يقول : (**ان كل من في السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**) مريم/ ٩٣ - ٩٥ ، ويقول سبحانه : (**تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا**) الاسراء/ ٤٤ ، وكما أن في السموات كائنات عاقلة فيها كائنات غير عاقلة أيضا والله سبحانه يقول : (**ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا**) ويقول الله تعالى : (**سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم**) الحشر/ ١ .

وفي كواكب السماء دواب أيضا تدب على سطوحها قال تعالى (**ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير**) الشورى/ ٢٩ ، وقد يتأول أحد المتأولين الدواب التي تدب على سطوح هذه الكواكب بالملائكة مع أنه لا يصح وصف الملائكة بالدواب وينافي هذا ما ورد في قوله تعالى : (**ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون**) النحل/ ٤٩ ، فالعطف يقتضي المغايرة ولو استعرضنا القرآن الكريم كله ما وجدنا فيه حقيقة تناقض العلم الحديث بعكس ما نراه متجليا في اصحاحات العهد القديم والعهد الجديد « التوراه والانجيل » وهذا دليل قاطع على أصالة القرآن الكريم وانه : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) .

ومهما بلغ الانسان من القدرة البلاغية فانه لا يستطيع ان يرضى عما ابدعه من فنون البلاغة ، ويتمنى ان يعدله ليصل به الى مدى اسمى مما بلغ اليه ، وفي هذا يقول العماد الاصفهاني : « اني رأيت انه لا يكتب احد كتابا في يومه الا قال في غده : لوغير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

والرسول صلى الله عليه وسلم طالع العرب بآيات الذكر الحكيم متتالية متوالية يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وعاما بعد عام في مدى نيف وعشرين عاما وهو في اثنائها يتحدى العرب ان يأتوا بمثل هذا القرآن ويتلو عليهم قوله تعالى: **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** فعجزوا عن مواجهة هذا التحدي ثم عاد فتحداهم ان يأتوا بعشر سور مثله مفتريات قال تعالى: **(ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)** هود/١٣ طالبهم بهذا ودعاهم لان يستعينوا بمن يرون فيه فائدة في المعونة ان كانوا صادقين! و(ان) اداة شرطية تدل على الشك في مدى استطاعتهم. ثم عاد مرة ثالثة فتحداهم بان يأتوا بسورة واحدة ولم يحدد مدى هذه السورة فان هناك سورا قصيرة لا تزيد عن ثلاث آيات، وقد تكون سطرا واحدا، او سطرين على الاكثر.

ثم عاد فقرر في عبارة حاسمة جازمة انهم لن يستطيعوا ان يقبلوا التحدي لانهم اعجز من ان يواجهوه قال تعالى: **(وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين. فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين)** البقرة / ٢٣و٢٤ وزاد على التحدي انذارهم بالعذاب الاليم في النار التي وقودها الناس والحجارة اذا اصروا على جحد القرآن الكريم والتكذيب بآياته البينات.

وهم في اثناء تخبطهم العجيب في مواجهة تحدي آيات القرآن الكريم يحاولون تبرير هذا العجز الرهيب فيزعمون انه يتلقى القرآن الكريم عن طريق الشياطين وقد دحض القرآن الكريم هذا الادعاء فقال: **(فلا اقسم بالخنس.الجوار الكنس. والليل اذا عسعس. والصبح اذا تنفس. انه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم امين. وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالافق المبين. وما هو على الغيب بضنين. وما هو بقول شيطان رجيم)** التكوير / ١٥ ـ ٢٥. فليس.لقرآن من وحي شيطان وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على خاتم المرسلين بلسان عربي مبين، وقد كان العرب يعتقدون ان لكل شاعر شيطانا يلهمه ما يقول، وكان الشعراء انفسهم يعلنون هذا فيقول أحدهم:

انـــي وكـــل شـــاعـــر مـــن البشر   شيطـــانـــه انثى وشيطـــاني ذكـــر

اذا فمحمد شاعر ولا بد ان وراءه قوة من الشياطين تلهمه ما يقوله ويتحدى به البشر، وقد كذب القرآن هذا الادعاء ويكفي ان نقول ان في المشركين شعراء موهوبين فما بالهم وقفوا عاجزين امام تحدي القرآن الكريم قال تعالى: **(وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين. لينذر من كان حيا**

ويحق القول على الكافرين) وفنون الشعر العربي تقوم على العاطفة والخيال وتتناول فنون المديح والهجاء والحماسة والنسيب ، وهذا القرآن الكريم يقوم على الحقائق والعقل الرزين ، وليس من هذه الفنون بسبب او نصيب ولا يمت الى همزات الشياطين باي سبب من الاسباب قال تعالى : (**وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون**) الشعراء / ٢١٠ _ ٢١٢ .

وتوالى التحدي وتوالى العجز وتلاحق الاعجاز وحينما يظهر العجز يطالعهم باعجاز جديد ، ظل يتلاحق ثلاثة وعشرين عاماً بمكة ثم المدينة ، وظل الاعجاز قائما على تلاحق العصور وهم يدركونه وان كانوا يكابرون فيه عنادا ولجاجا ، حدث ان ثلاثة من بلغاء قريش كانوا يتسللون الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا فينصتون الى تلاوته اثناء الصلاة ليلا وهم الوليد بن المغيرة والاخنس بن قيس وابو جهل بن هشام ، وتاخذهم بلاغة القرآن فيستمرون في الاستماع حتى الصباح ، فلما اصبحوا انصرفوا فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا على ذلك وقالوا انه اذا رآكم سفهاؤكم تفعلون ذلك فعلوه واستمالهم اليه بقوة تأثيره فآمنوا به ، فلما كان في الليلة التالية عادوا الى التسلل الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم واخذ كل منهم موضعه واستمعوا اليه حتى الصباح ، فلما اصبحوا جمعتهم الطريق فاشتد نكيرهم وتلاومهم وتعاهدوا وتحالفوا الا يعودوا ، فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة الى الاخنس بن قيس فقال له ما تقول فيما سمعت من محمد ؟ فقال الاخنس : ماذا اقول ؟ قال بنو عبد المطلب : فينا الحجابة ، قلنا نعم قالوا فينا السدانة قلنا نعم ، قالوا فينا السقاية قلنا نعم يقولون فينا نبي ينزل عليه الوحي !! والله لاآمنت به ابدا ، فالموقف ليس موقف انكار للقرآن ولا جحد لاعجازه وانما هو موقف عناد ولجاج وانكار للحق الواضح البين وكما قال تعالى (**يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون**) الانفال / ٦ . وكانوا اذا استمعوا الى القرآن ملك عليهم عقولهم وقلوبهم وامتلأت نفوسهم بالرهبة والخشوع قال جابر بن عبد الله : اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فلنكلمه ولننظر ما يرد عليه فقالوا ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا انت يا ابا الوليد فاتاه عتبة فقال له اخير انت ام عبد الله ؟ فسكت صلى الله عليه وسلم فقال : انت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت النبي (يريد ابا النبي وجده) فقال ان كنت تزعم ان هؤلاء خيرمنك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم ، حتى نسمع قولك انا والله ما رأينا سخلة قط اشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، ايها الرجل ان كان انمابك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش وان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء

قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال صلى الله عليه وسلم فرغت ؟ قال نعم فتلا عليه قوله تعالى : (**حم.تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون**) فصلت / ١-٤ - حتى بلغ قوله تعالى من سورة فصلت : (**فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) فصلت / ١٣ فامسك عتبة على فم الرسول وقال وقد ارتعدت فرائصه وناشده الرحم ، حسبك يا محمد ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم ، فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد واعجبه طعامه وماذاك الا من حاجة اصابته ، فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال له ابو جهل يا عتبة « ما حبسك عنا الا انك صبأت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم الا يكلم محمدا ابدا وقال : والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكنني اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى : (**فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخشيت ان ينزل بكم العذاب ، وليس عجيبا ان يحدث القرآن الكريم هذا الاثر العجيب في النفوس فقد ترك آثاره العميقة في نفوس الجن فأسلموا كما قال تعالى: (**واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ياقومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين**) الاحقاف / ٢٩ - ٣٢ .

ولقد بنى الباقلاني كتابه اعجاز القرآن على حقيقة معروفة وهي ان الشاعر او الاديب مهما بلغ من الابداع لا يستطيع ان يظل في مستواه الرفيع في كل ما ينتجه من الروائع بل هو يحلق في اجواز الفضاء ، ثم يهبط احيانا الى الحضيض فقد تسعفه مواهبه فياتي بالروائع ، ثم تخونه مواهبه ويتغلب عليه ضعفه البشري فيسف الى ما دون المستوى المطلوب وفي ضوء هذه الحقيقة الصادقة استعرض الباقلاني شعر زعيم الشعراء في الجاهلية وهو امرؤ القيس فنوه بروائعه وابرز ابداعه ابرازا واضحا ملموسا ثم نبه على سقطاته واظهر ما فيها من ضعف وتهافت وتناول بمثل هذا شاعرية اكبر شعراء الاسلام وهو البحتري ، فابرز روائعه الفنية واظهر سقطاته ووضحها اتم وضوح ، اما القرآن الكريم فهو دائما في الذروة والقمة وليس فيه اي تهافت او ضعف واستشهد بقوله تعالى : (**افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء / ٨٢ . وحسبنا ما سقناه من الادلة العقلية والبراهين العلمية على ان القرآن لا يمكن ان يكون من صناعة محمد وإنما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**)



إن الأمم كالأفراد، تصاب بالضعف بعد القوة، وينتابها العجز بعد القدرة. وفي حالة ضعفها أو عجزها، لا ينبغي لها أن تركن إلى الاستسلام، وترضى بالتبعية، بل ينبغي عليها أن تعيش في نور متجدد، يسطع من تاريخها الماضي، فيبعث فيها روح الأمل، وحسن الثقة والعمل.

وجدير بالمسلمين وهم يحاولون إزالة العثرات عن طريقهم، وينهضون لاصلاح أحوالهم، أن يلتمسوا نماذج من سيرة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وحينذاك تتوثق صلة حاضرهم بماضيهم.

وتاريخ البشرية لم يعرف مصلحا غير محمد صلى الله عليه وسلم استطاع أن يغير وجه الدنيا، ويحول مجرى التاريخ في فترة وجيزة، لا تعد زمنا بالنسبة إلى عمر الأمم وحركات التاريخ. مما يثبت أن هذا النبي مؤيد بقدرة الله ورعايته.

ولكن يبقى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقدر قدره الصحيح عند بعض الناس، لفقدهم التصور السليم لأحوال الناس واهتماماتهم قبل الاسلام. ولذلك كان لابد من بيان حال العالم قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، وعندئذ تظهر ضخامة المهمة التي تحملها رسول الله، وتنحني الرؤوس أمام تلك النتائج التي أسفرت بها دعوة الاسلام.

كان العالم ـ قبل البعثة النبوية ـ يعيش في جاهلية: جاهلية العقائد والمبادىء والخلق. وجاء لفظ الجاهلية في القرآن الكريم، ليصور الظلام الذي انتشر قبل ظهور الرسول الكريم في شتى مجالات الحياة. ففي سورة آل عمران الآية/١٥٤ يقول تعالى عن المنافقين: (**وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية**) حيث فقدوا الثقة بالله، ففرغت قلوبهم من الايمان، فعاشوا في تخبط وضلال. وفي سورة الأحزاب الآية/٣٣ قوله تعالى لنساء النبي مرشدا وهاديا: (**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**) والجاهلية الأولى كما يقول كثير من العلماء ما بين عيسى

ومحمد عليهما الصلاة والسلام، حيث كانت المرأة تلبس قميصا شفافا غير مخيط الجانبين، لتظهر جسمها وفتنتها للناس. وقد أدرك أصحاب رسول الله بقية من الجاهلية، فهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يخاطب النجاشي ملك الحبشة قائلا: « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية: نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف.. » وإن المتأمل في هذه الصفات يجدها قد جمعت فساد العقل وانحراف السلوك وشذوذ الطبع الانساني.

والتبسط في شرح لفظة الجاهلية يحتاج إلى صفحات، لكن الصورة التي رسمتها آيات القرآن الكريم تمثل حالة الانحطاط التي تردى فيها الوثنيون العرب مع بقية الأمم من يهود ونصارى. بل إن مدينة الفرس، وحضارة الروم لم تنجوا من الفساد والضياع.

ولعل سبب ارتكاس البشرية في حمأة الجاهلية تطاول الزمن على الناس، وابتعادهم عن عهد الرسالات، فغدا التفلت من شعائر الأديان السماوية أمرا سهلا ومألوفا، حتى انتهى القوم إلى الفساد الذي ظهر في البحر والبر: **(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)** الروم/ ٤١.



لقد كانت نصرانية القرن السابع متداعية، عطلت بعدة فلسفات متنازعة، فاستبدلت بايمان العصور الأولى السمح صغيرات الخرافة، إضافة إلى ذلك فقد انتشرت في العالم المسيحي آثام وشرور لم تجد من ينكرها.

أما الديانة اليهودية، فقد اقتبس أصحابها كثيرا من عقائد الأمم الوثنية، وصوروا ذات الله شخصية تعمل فتتعب فتستريح. وهكذا حجب نور التوحيد وراء الأباطيل والأوهام. وتسلط الأحبار على الناس يحللون ويحرمون بأهوائهم ومطامعهم، حتى لو بعث أصحاب هذه الديانة لأنكروها وتجاهلوها، مما أصابها من عبث وتغيير.

وفي الأطراف الشرقية والمناطق الوسطى من قارة آسيا عاش الناس يسجدون للأوثان ويعظمون التماثيل، ويستقبلون الشمس والنيران في صلواتهم، أو يعبدون إله النور طمعا في ضيائه، ويخشون إله الظلام مخافة انتقامه.

وإذا كانت هذه هي الحالة الدينية فليست الحياة الاجتماعية أو الخلقية أفضل منها لأن الاستبداد قد شاع في علاقات الناس مع بعضهم، وانتشر الجهل حتى قام الناس في أوروبا الغربية يبحثون في أمر المرأة: هل هي انسان كامل، أو روح حيوانية شريرة في صورة إنسان؟ وهل يحق لها أن تمتلك وتبيع وتشتري أم لا؟

وهكذا عاش الناس في ظلم وقهر فلم يجدوا ما ينفسون به عن أنفسهم سوى ألعاب العنف والهمجية

والمصارعة ، التي انتشرت في الدولة الرومانية .

وجزيرة العرب لم تكن الحياة فيها أسعد حظا من حياة الأمم والشعوب . فمع أن العرب عبدوا الله سبحانه واحترموا البيت العتيق ، فقد كان إيمانهم ضحلا ، لأن حياتهم العملية تكذب ذلك الاقرار الشفوي غير النابع من القلب : (**قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا**) الرعد/١٦ ، إنهم آمنوا بآلهة وأوثان دعوها لتشفي مرضاهم وتوقف مجاعاتهم وترد كوارثهم . فكلما باشروا عملا أو عزموا على أمر ، قصدوها يلتمسون بركاتها ويطلبون عونها .

وحياة العرب الاجتماعية كانت متفسخة هزيلة : انتشر فيها حب الثأر وشدة البطش ونصرة القريب ولو كان ظالما . فضلا عن انحطاط قيمة المرأة التي أباحوا لها تعدد الأزواج ، بل أكرهوها على الزنى طلبا لمال يناله السيد من مملوكته البغي . وكثيرا ما سمح بعض الأزواج لزوجاتهم أن يتصلن بمشاهير الرجال ليحملن منهم أبناء من صنف ممتاز ، كما كانوا يزعمون . أخرج البخاري وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل ابنته فيصدقها ثم ينكحها . ونكاح آخر : كان الرجل يقول لأمرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل ثم يصيبها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد . ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فاذا حملت ووضعت أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يتخلف ، حتى إذا اجتمعوا عندها ، قالت لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافلان - لواحد منهم - وتلحق به ولدها ، ولا يستطيع أن يمتنع الرجل . ونكاح رابع يجتمع الناس فيدخلون على المرأة البغي التي يكون لها علم أو راية فاذا حملت ألحقت ولدها بمن يريده ولا يمتنعون من ذلك .

أضف إلى هذا عادة وأد البنات وقطع الطريق وشن الغارات وإسالة الدماء بغير حساب .

في هذا العالم الذي وصفنا أحواله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام بجهود عظيمة لاحلال النور مكان الظلام ، وإشاعة الأمن مكان الخوف ، ونشر الوحدة بدل الفرقة . حتى سطر لشعب بل لأمم متفسخة موازين الاصلاح بعد أن كانت تتردى في دركات الانحطاط .

ولم تكن بعثته صلى الله عليه وسلم مفاجئة لنواميس الحياة ، بل إن الديانات السابقة بشرت به ، فحملت الكتب المقدسة السالفة أنباء تتصل بظهور خاتم النبيين ، وكانت هذه البشارات منتشرة بين أهل الكتاب من يهود ونصارى . بل إن الكتب المقدسة ذكرت اسمه وموطنه وسجاياه

وصفات أصحابه رضي الله عنهم ففي سورة الفتح : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الأنجيل كزرع أخرج شطأه**) الفتح/ ٢٩ .

ولعل تلك البشارات كانت السبب الذي أغرى طوائف اليهود والنصارى بالسكن في بلاد العرب ، يتطلعون إلى ذلك اليوم الذي يبعث فيه خاتم النبيين ، ليعلمهم الكتاب والحكمة . فلقد أخذ الله العهد على أنبيائه لئن جاءهم محمد لينصرنه ويتبعونه ، وبهذا نزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى عليهما السلام ، واشتملا على وصايا تحث أتباعهما على الايمان بالرسول النبي الأمي . ومع أنه جرى التغيير والتبديل في أجزاء من تلك الكتب السماوية فان البشارات لم تمح منها كلية ، طمعا في أن يكون النبي المرسل مواليا لجماعة منهم .

على أنه لابد من القول بأن نبوة رسول الله ما كانت تستمد من شهادات الأمم السابقة ، وإنما تستمد قوتها وصحتها من ذاتها ، لأنها تحمل في نفسها الشهادة على صدقها والبينات الناطقة بأنها من عند الله العزيز الحكيم .

ثمة بشارة في سفر « تثنية الاشتراع » من الكتاب المقدس الذي بيد اليهود وفيها « جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران » وما مجيء الرب في العبارة السابقة إلا تباشير بانتشار رسالاته وظهور أوامره على لسان رسله الثلاثة موسى الذي سار من سيناء وعيسى الذي بعث في فلسطين ومحمد الذي ظهر في مكة حيث الجبال محيطة بها ، حتى لقبت في القديم بفاران لاحاطة الجبال بها .

وفي الأناجيل الحاضرة نصوص تبشر بالفار قليط وهو لفظ مقابله في العربية لفظ أحمد ، الذي بشر به عيسى عليه السلام ففي سورة الصف آية/ ٦ قوله تعالى : (**وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**) ومن المتفق عليه عند البخاري ومسلم أن أحمد من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إنه لم يأت بعد عيسى من تسمى بأحمد وحمل النبوة غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت هذه البشارات بخاتم النبيين منتشرة في القرن السادس الميلادي ، زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم . بل ومسطورة في كتب السابقين . روى البخاري عن عطاء ابن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو ابن العاص وكان قد وقع على حملي بعير من كتب أهل الكتاب . فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . ثم قرأ عليه : « **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا**

ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح » .

أما استمرار البشارة بخاتم النبيين عند النصارى فروى البيهقي عن ابن عباس أن الجارود بن عبدالله ـ كان نصرانيا ـ قدم على رسول الله فأسلم وقال : « والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول » يعني عيسى ابن مريم .

وقد تأثر الأحبار والرهبان بهذه البشارات فالتمسوا تفسيرها الصحيح فوجدوه في أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والايمان بما أنزل الله إليه من نور وحكمة ، فهذا عبدالله ابن سلام سيد قومه من اليهود ينضم إلى المسلمين ويؤمن بالنبي لما تبين له أنه الحق . وكذلك فعل زيد بن سعنة الصحابي الكريم وكان على دين اليهود . ومن بعدهما أسلم كعب الأحبار ووهب بن منبه . وقبل هؤلاء آمن نجاشي الحبشة حينما علم بدعوة رسول الله من جعفر بن أبي طالب في هجرة المسلمين إلى الحبشة .

ومن الجدير بالذكر أن العرب كانت تسمع أخبار النبي المنتظر من أهل الكتاب ، وكانوا يطمعون أن تتحقق النبوءة في أبنائهم فراحوا يسمونهم باسم محمد . ومن هؤلاء محمد بن سفيان جد الفرزدق ومحمد بن مسلمة الأنصاري وغيرهما ، أخرج البيهقي والطبراني أن رجلاً سأل محمد بن عدي بن ربيعة : كيف سماك أبوك في الجاهلية محمدا ؟ قال : أما إني سألت أبي عما سألتني عنه فقال : خرجت في نفر من قومي فلما وردنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات فأشرف علينا راهب فقال : من أنتم ؟ قلنا : قوم من مضر . قال : أما إنه سوف يبعث فيكم نبي . فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فانه خاتم النبيين . فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد . فلما صرنا إلى أهلنا وولد لكل واحد منا ولد سماه محمدا .

وهكذا .. عاش الناس على أمل النجاة مما هم فيه من شقاء وضلال وفساد . وأراد هؤلاء النبوة لأبنائهم . لكن الله أرادها لصفوته من خلقه ، فصلوات الله وسلامه عليه .

لقد انفرد محمد صلى الله عليه وسلم من بين جيله ، بل الأجيال كلها ، بميزات جسمية وخلقية ، ليست في سائر الناس ، وإن كان هو من الناس . ولهذا لم يكن بدعا من الأمر أن يكون تكوين محمد صلى الله عليه وسلم مسترعيا للأنظار . فهو جميل في جسمه كما هو حسن في خلقه . ولا شك أن ذلك التناسق له أثر في الاستجابة لدعوته . روي أن أعرابيا رأى رسول الله ، فراعه منظره وحسن هيئته فسأله : من أنت ؟ فقال : محمد بن عبدالله . قال الرجل : أنت الذي تقول عنه قريش إنه كذاب ؟ فقال رسول الله : نعم . قال الأعرابي : والله ليس هذا بوجه كذاب . فما الذي تدعو إليه ؟ فعرفه رسول الله حقيقة الاسلام فأسلم .

لقد أكثر الواصفون وصفهم لرسول الله وإعجابهم بتكوينه ، وقام أصحابه يصفون دقائق جسمه ، أخرج الترمذي والبيهقي والطبراني عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ، وكان رجلا وصافا : فقال : « **كان رسول الله فخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، ليس بالطويل ولا بالقصير عظيم الهامة ، رجل الشعر ، يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره . أزهر اللون ، واسع الجبين ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، معتدل الخلق ، بادنا متماسكا ، سواء البطن والصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط . مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يبدأ من لقيه بالسلام** » .

كان منظر رسول الله يشد الأنظار إليه ، لأنه الجمال والكمال ، جمال الرجولة وكمال الانسان ومن أجل ذلك أحبه كل من رآه . فكل شيء في رسول الله يعلن قوته وجماله وكماله . وها هو قد بلغ الستين من عمره وشكله شاب تجتمع فيه وفرة العافية : فشعره أسود ، بل إن الذين عدوا شعرات شيبه ، لم يرقوا بها إلى العشرين . أخرج البيهقي عن أنس خادم رسول الله أنه عد شعرات شيب رسول الله ثم قال : ما كان في رأسه ولا لحيته إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة بيضاء .

وفي جسم رسول الله كان خاتم النبوة ، وهو جزء من لحمه كان بين كتفيه ، ومن مجموع الروايات التي وصفته ، يظهر أنه كان ناتئا نتوءا واضحا غير أن حجمه كان صغيرا بحيث لا يظهر من وراء الثوب . أخرج مسلم عن جابر قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفي رسول الله مثل بيضة الحمامة ، يشبه جسده » وقد خلق الله هذا الخاتم اللحمي وصفا جسديا لذات الرسول ، كي لا يماري فيه من رآه . وكانت الكتب السماوية من قبل ذكرت أنه سيبعث نبي بين كتفيه خاتم النبوة .

وهكذا فان معرفة بشارات الانبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم والاطلاع على صفات رسول الله لا يتركان مجالا للناس بأن يتساءلوا عن سر اختيار الله تعالى لمحمد بن عبدالله دون غيره .

وبعد هذا لا يستطيع أحد أن يقول : لم اختير محمد دون الصديق أو دون عمر أو دون علي أو دون غيرهم وهم الأطهار الأبرار الشجعان ؟! لا يستطيع أحد أن يسأل ذلك لأن صفات محمد صلى الله عليه وسلم الخلقية والجسمية لم تكن في أحد من هؤلاء ولا في غيرهم . وصدق الله القائل : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) الأنعام/ ١٢٤ والحمدلله رب العالمين .



١ ـ معنى كلمة سورة :

القرآن ١١٤ سورة ، وفي كل سورة من سور القرآن روح يسري في آياتها ، ويسيطر على مبادئها ، وأحكامها ، وتوجيهاتها ، وأسلوبها .

قال الحافظ ابن كثير :

« واختلف في معنى السورة مم هي مشتقة ؟ فقيل : من الابانة والارتفاع ، فكأن قارىء القرآن ينتقل من منزلة الى منزلة ، وقيل : لشرفها وارتفاعها ، كسور البلدان ، وقيل : سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءا منه ، مأخوذ من سؤر الاناء وهو البقية ، وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوا لانضمام ما قبلها . وقيل : لتمامها وكمالها ، لأن العرب يسمون الناقة سورة ، قلت : ويحتمل أن يكون من الجمع والاحاطة لآياتها ، كما يسمى سور البلد ، لاحاطته بمنازله ودوره .



للدكتور عبد الله محمود شحاته

وجمع السورة (سور) بفتح الواو ، وقد يجمع على (سورات) و (سوارات) .

٢ ـ أسماء السور :

السورة قطعة من القرآن وجزء منه ، وهي سور يحيط بالآيات التي تحتويها . ونلاحظ أن السورة تسمى بأغرب شيء فيها أو أهم شيء فيها :

١ ـ فسورة البقرة سميت بهذا الاسم لاشتمالها على قصة البقرة ، وذلك أنه قتل قتيل في بني إسرائيل ولم يعلم قاتله ، فذهب القوم الى موسى ـ عليه السلام ـ يطلبون منه بيان القاتل ، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ، وأن يضربوا القتيل بجزء منها فترد إليه الحياة ، ويقوم ويقول قتلني فلان ، ثم يعود ميتا ، قال تعالى : **(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)**

البقرة/ ٧٢ .
٢ ـ وسورة آل عمران اشتملت على قصة مريم ابنة عمران ، وقد حملت مريم بأمر الله ، وكانت ولادة عيسى أغرب ولادة في التاريخ ، حيث خلقه الله بقدرته من غير أب ، وخلق حواء من غير أم .

قال تعالى : (**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.الحق من ربك فلا تكن من الممترين**) آل عمران : ٥٩ و٦٠ .
٣ ـ وسورة النساء اشتملت على ذكر احكام النساء والوصية بهن ، وأوجبت لهن الميراث ، وكانت المرأة لا ترث في الجاهلية . وقد بينت المحرمات من النساء ، والعلاقة بين الرجل والمرأة ، وتسمى سورة النساء الكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق .

٤ ـ وسورة المائدة اشتملت على قصة المائدة في الآيات ١١٢ ـ ١١٥ ، حيث طلب الحواريون من عيسى مائدة من السماء ، ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم بصدق عيسى في دعوته .

(**قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين**) .المائدة / ١١٤ ، ١١٥ .

٥ ـ وسورة الأنعام تعرضت لذكر الأنعام وأنواعها الثمانية : وهي الشاة والخروف والتيس والماعز والثور والبقرة والجمل والناقة . وذلك في الآيات ١٤٢ ـ ١٤٤ من السورة ، قال تعالى : (**ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين** ..) الانعام ١٤٢ ، ١٤٣ .

٦ ـ وسورة الأعراف تعرضت لذكر الأعراف ، وهو حاجز مرتفع بين الجنة والنار ، عليه رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم . قال تعالى : (**وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون**) الأعراف/٤٦ .

٧ ـ وسورة الأنفال تعرضت لذكر الانفال وهي الغنائم ، وكان المسلمون قد اختلفوا في طريقة توزيعها بعد غزوة بدر ، فبينت السورة أن النصر كان من عند الله ، وأن الواجب يقضي بتقوى الله وإصلاح ذات البين وجمع الشمل . قال تعالى :(**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله و الرسول فاتقوا الله وأصلحوا**

ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) الانفال/١ .

٨ ـ وسورة التوبة ، ذكر فيها توبة الله على المؤمنين وعلى المتخلفين عن الغزو ، حين علم الله منهم صدق التوبة والندم الشديد . قال تعالى : (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)** التوبة /١١٧ ، ١١٨ .

٩ ـ وسورة يونس تعرضت لذكر نبي الله يونس ، وقد أرسله الله إلى مائة الف أو يزيد ، فآمنوا به فنجاهم الله من العذاب ، ومتعهم في الدنيا إلى نهاية أجلهم . قال تعالى : (**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)** يونس/٩٨ .

١٠ ـ وسورة هود ذكرت رسالة هود إلى قومه في قوله تعالى : (**وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون)** هود / ٥٠ ، ثم وضحت رسالات الرسل الى قومهم فذكرت رسالة صالح الى ثمود ، ورسالة شعيب الى أهل مدين ، ورسالة ابراهيم ولوط وموسى الى قومهم .

١١ ـ وسورة يوسف دارت كلها تقريبا حول قصة يوسف عليه السلام .

وهكذا نجد أن الاساس العام في تسمية السورة هو أهم شيء ذكر فيها أو أغرب شيء تحدثت عنه .

واحيانا تطرق السورة عدة موضوعات وتختار واحدا من بينها ليكون عنوانا لها ، فسورة هود تناولت قصص كثير من الانبياء اولهم نوح ، ولكن نوحا ذكر في سورة مستقلة ، وثانيهم هود وبه سميت السورة ، ثم تحدثت عن صالح وشعيب وابراهيم ولوط وموسى عليهم السلام .

٣ ـ السورة وأسلوب القرآن :

كان الرجل اذا حفظ سورة البقرة عظم في أعين المسلمين ، وكان عليه الصلاة والسلام يخطب الجمعة بسورة ق ، حتى قالت النساء ما حفظنا سورة ق الا من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بها ، فالسورة لوحة هادفة ، ورسالة معبرة في كتاب الله الحكيم ، وقد ذكر العلماء وجوه إعجاز القرآن ، وبينوا أن من خصائص

الأسلوب القرآني ما يأتي :
١ ـ إرضاؤه العامة والخاصة .
٢ ـ إرضاؤه العقل والعاطفة .
٣ ـ مسحة البداوة مع اشتماله على بسائط الحضارة .
٤ ـ جودة السبك وإحكام السرد .
٥ ـ براعته في تصريف القول .
٦ ـ جمع القرآن بين الاجمال والبيان .
٧ ـ القصد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى .
٨ ـ عدم الاختلاف والتناقض بين معانيه .

٤ ـ وحدة النظم في القرآن الكريم :

من إعجاز القرآن اتساق عبارته وإحكام نظمه ، واتحاد طريقته في الابداع والقوة ، كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين .

« ومرد ذلك الى روح التركيب التي تنعطف عليها جوانب الكلام الالهي وتلمح جمال هذا التركيب في نظم الكلمة وتأليفها ، ثم في تأليف هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه على بعض ، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي إعجازه في التركيب ، وإن كان فيما وراء ذلك متعدد الوجوه التي يتصرف فيها من اغراض الكلام ، ومناحي العبارة على جملة ما حصل به جهات الخطاب ، كالقصص والحكم والتعليم وضرب الامثال الى نحو مما يدور عليه » . إعجاز القرآن / للرافعي .

فأنت مادمت في القرآن حتى تخرج منه لا ترى غير صورة واحدة من الكمال ، وان اختلفت اجزاؤها في جهات التركيب ومواضع التأليف ، والوان التصوير واغراض الكلام ، كأنها تفضي اليك جملة واحدة .

وقد ذهب العلماء الى ان الفاظ القرآن متميزة من جنسها ، بحيث اذا وجدت تركيبا قرآنيا في نسق الكلام دل على نفسه ، وارشدت محاسنه اليه لما له من صفة الهية : (**انه لقول فصل . وما هو بالهزل**) الطارق : ١٣ ، ١٤ .

٥ ـ وحدة الفكرة :

من وجوه الاعجاز في القرآن أن معانيه تجري في مناسبة الوضع واحكام النظم مجرى الفاظه ، ولا يعدم المفكر وجها صحيحا من القول في ربط كل كلمة بأختها ، وكل آية بضريبتها ، وكل سورة بما اليها ، وهو علم عجيب اكثر منه الامام فخر

الدين الرازي في تفسيره ، وقد قال ان اكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

ويقال ان اول من اظهر هذا العلم الشيخ ابو بكر النيسابوري . وكان غزير المادة في الشريعة والادب ، وكان يقول في تفسيره لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ، وما الحكمة في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة ، وكان يزري على علماء بغداد لانهم لا يعلمون هذه المناسبات .

وللشيخ مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي المتوفي سنة ٨١٧هـ كتاب قيم عنوانه : « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » ، قام بطبعه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة في عدة اجزاء . وقد حقق الجزء الاول منه الاستاذ محمد على النجار . ويتميز هذا الكتاب بايراد الافكار والمبادىء والوصايا والاحكام التي تشتمل عليها كل سورة على حدة .

ومن عنوان الكتاب نلمح ان المؤلف قد حرص على جمع اللطائف التي اشتمل عليها القرآن الكريم . وهو يبدأ بسورة البقرة ثم بسورة آل عمران وهكذا ، ويذكر تحت كل سورة تعريفا بها ، والحكمة في تسميتها ، ويبين المعاني والافكار المشتملة عليها ، والايات المتشابهة فيها ، التي تكررت في سورة اخرى ، والسر في تميز الآية في سياق سورة عنها في سياق سورة أخرى .

وللامام برهان الدين ابن عمر البقاعي المتوفي في سنة ٨٨٥ هـ تفسير طبع حديثا بالهند اسمه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » ، وهو تفسير جليل جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير فيه العقول ، واهتم ببيان ارتباط الجمل بعضها ببعض ، وتناسق الآيات واتساق المعنى وترابطه ، وفي مطلع القرن العشرين ظهر تفسير « المنار » للشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ، وعنى تفسير المنار ببيان الوحدة الموضوعية للسورة ، وبيان التناسب بين آياتها ، وبين ان الموضوع يجب ان يكون اساسا في فهم الايات التي نزلت فيه .

وكان السيد رشيد يتبع تفسير كل سورة بملخص لاهم موضوعاتها والاحكام التي وردت بها .

وكان استاذي المرحوم الدكتور « محمد عبد الله دراز » يفتح عيوننا اثناء الدراسة الجامعية على موضوع السورة وفكرتها العامة ، ويعرض موضوعاتها في سلك واحد كأنها حبات عقد مكتمل ، احكمته يد السميع العليم القائل في كتابه الكريم : (**كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**) هود /١ .

مقومات المجتمع الاسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

للاستاذ / السيد أحمد المخزنجي

أفكار عامة :

● حالة المجتمع قبل البعثة المحمدية .

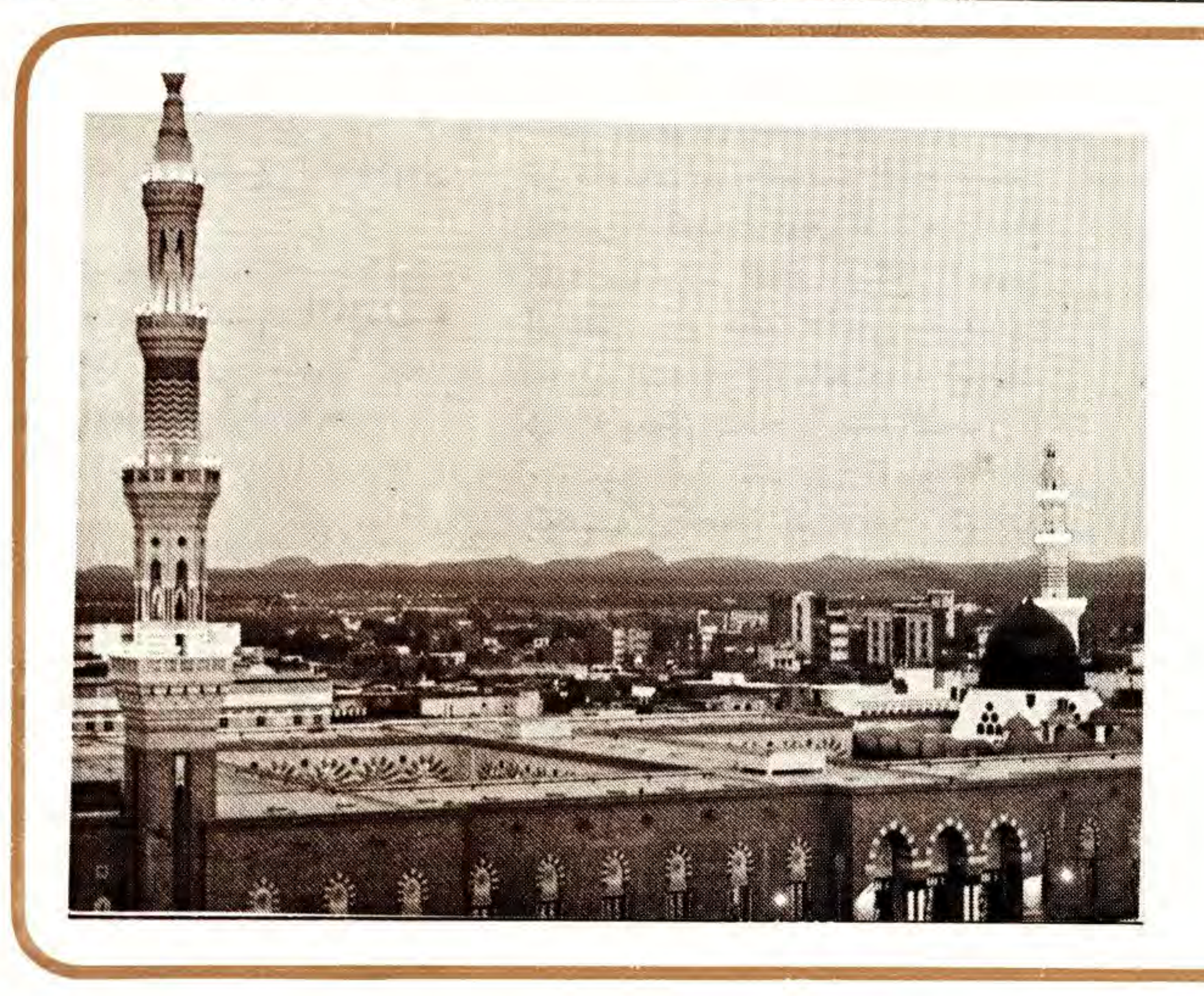
● أسس بناء المجتمع الاسلامي الجديد .

ـ تمهيد :

نود أن نشير ـ بادىء ذي بدء ـ الى الحالة التي كان عليها مجتمع « الجاهلية » قبل بعثة الرسول الكريم ، لنرى الى أي مدى أثرت « المقومات » أو الأسس التي جاء بها ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بناء مجتمعه الاسلامي الجديد .

○ حالة المجتمع قبل البعثة المحمدية :

كان المجتمع قبل بعثة الرسول الكريم أشبه ما يكون بالغابة الواسعة المظلمة يتيه فيها « القوم » قويهم يأكل ضعيفهم ، لا يعرفون طريقا يهديهم الى الخروج من تلك الغابة ولا يستأنسون بمرشد يرشدهم الى طريق الصواب ، فالقدرات البشرية معطلة أو ضائعة لم ينتفع بها ، ولم توجه التوجيه الصحيح السليم ، فكانت وبالا على أصحابها وعلى الانسانية جمعاء .



فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية وأضحى الجود تبذيرا واسرافا والذكاء خفة وخداعا ، والعقل - كان - وسيلة للتفنن في ابتكار الجنايات وارضاء النزوات الحيوانية على السواء .

وبالجملة لم تكن هناك ثمة فضائل تذكر او تعد ، فصار الخير شرا وتبدل ظلاما وعتمة عمت القلوب وطمست الابصار عن جادة الطريق .

وازاء تلك الصورة القاتمة لهذا المجتمع الجاهلي الذي عاصره الرسول الكريم ، كان لزاماً عليه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يضع من الأسس أو يوجد من المقومات ما يقضي به على حال هذا المجتمع الفاسد والمظلم ، ويمحو به تلك الصورة القبيحة المظهر لينشىء بفضلها مجتمعه الاسلامي الصالح لكل زمان ومكان ، وليحدد من خلالها صورته الجديدة التي ترتكز في بنائها على فلسفة واضحة المعالم والأهداف تلك الفلسفة التي تنقل هذا المجتمع الجاهلي من حاله البائس المزري الى حال يشعر فيه « الفرد » - من جديد - بكيانه وكرامته وقيمته ، ويدرك حقيقة وجوده على الأرض فيتولد من هذا الشعور الجديد أفراد عديدون ، يكونون في مجموعهم المجتمع الاسلامي ؛ الذي يرمي الى

تأسيسه الرسول الكريم من وراء تلك الأسس أو المقومات .

أسس بناء المجتمع الاسلامي الجديد :

ومن أهم تلك الأسس « المقومات » التي وضعها رسول البشرية لهذا المجتمع الاسلامي الجديد ، ما يلي : –

اولا : الايمان بوحدانية الله :

وفحوى هذه القاعدة الأولى ، من مقومات البناء ، أن تجتمع قلوب هؤلاء القوم المشتتة في عبادة الأوثان وان تتفق أفهامهم – في يقين لا لبس فيه – على الايمان بحقيقة « الاله الواحد » الأعظم ، الذي له من الصفات والمكنات ما لا يتساوى به « غيره » من تلك الآلهة التي تعبد من دونه ، وبها يشرك به ، وما لا يتطاول اليه عقل ويستحيل تصوره فهو سبحانه ، كائن بذاته ، متفرد بعظمته ، مهيمن بجبروته على هذا الوجود ، أو كما يقول الشاعر .

كثرة لا تتناهى عددا
قد طوتها وحدة الواحد طي
كل شيء فيه معنى كل شيء
فتفطن واصرف الذهن الي

وكان من نتائج ترسيخ الرسول الكريم لتلك العقيدة التوحيدية في قلوب وعقول افراد هذا المجتمع ، أن اجتمع اهتمام الانسان وتوحدت قبلته وتجمعت أشواقه وانتظمت مشاعره ، وتحددت أفكاره وأهدافه ، وذلك هو الآثر البنائي للتوحيد وهو المقوم الأول من مقومات بناء المجتمع الذي أسسه الرسول الكريم ، فنقل به – صلى الله عليه وسلم – أفراد هذا المجتمع الجاهلي من عالم همجي غوغائي تسوده الدهماء إلى عالم جديد تبلورت في ظله معالم شخصية هذا الانسان .

وليس من شك أن ترسيخ هذه العقيدة في أذهان أفراد هذا المجتمع وايمانهم المطلق بها وقناعتهم بحقيقتها كان الركن الركين الذي تأسس عليه صرح المجتمع الاسلامي الجديد – مجتمع الرسول – هذا عن المقوم الاول . من مقومات البناء .

ثانيا : التضامن الجديد للامة الاسلامية – صوره :

أما عن هذا الأساس الثاني ، فقد أقامه الرسول الكريم ، على ركيزة من الألفة والمحبة والصفاء والود ، واخلاص السريرة بين طيات قلوب أفراد المجتمع الجديد ، ولقد كان لهذا أثره المحسوس في سرعة الامتزاج والاندماج بين الأفراد بعضهم بعضاً في مظهر الاخاء الكامل الذي كان له السمات البارزة في القضاء على الفوارق الاجتماعية وازالة الحواجز النفسية والموانع العصبية بين هؤلاء الناس جميعا . والذي محيت فيه كل صفات الفردية والأنانية وحب الذات ولقد كانت القاعدة التي وضعها النبي الكريم أساسا قام عليه هذا التضامن

الجديد ، هي ، قوله ، صلى الله عليه وسلم : « مثل المسلمين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم ، وقوله الشريف : « المؤمنون تتكافأ « أي تتساوى » دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم » رواه احمد وأبو داود .

ولقد كان من أثر ذلك على المجتمع الاسلامي الجديد ، مجتمع الرسول أن الفرد فيه ، كان يسير بروح الجماعة ويتغيا في منتواه مصلحتها ويسعى لتحقيق هدفها النبيل ويطمح إلى الاسهام بدور إيجابي في تحقيق هدفها المنشود . بل لا بد وان تتطابق رغباته وطموحاته مع طموحات وآمال أفراد تلك « الجماعة الاسلامية » .

هذا عن المعنى العام للتضامن . لكنه ، في واقع الأمر ، توجد عدة صور توضح لنا معنى هذا التضامن الجديد للمجتمع الاسلامي بمفهومه الواسع ، نذكر من اهم تلك الصور ، ثلاثة هي : -

أ) التكافل الاجتماعي .
ب - الآداب الأخلاقية والسلوكية وضوابطها .
جـ - الشورى بين افراد المجتمع الاسلامي .

الصورة الأولى : « التكافل الاجتماعي » - معناه - صوره :

والتكافل الاجتماعي ، معناه ، شعور الفرد المسلم بتحمل التبعات والمشاركة في الأزمات ازاء أخيه المسلم الذي يعيش معه في مجتمع واحد تربطه وحدة العقيدة ووحدة المصالح والأهداف .

فعلى جميع القوى الانسانية في ظل هذا المجتمع الاسلامي - الا تدخر جهداً أو ان تتوانى في سبيل المحافظة على مصالح الآحاد ، أو ان تقعد عن حل مشكلاتهم ، وهذا هو الاساس البنائي الذي اقامه الرسول صلى الله عليه وسلم في مجتمعه الاسلامي الكبير .

على ان الرسول الكريم ، وضع - في هذا المقام - جملة من الأقوال والتوجيهات تأسس عليها مبدأ التكافل الاجتماعي هذا ، نذكر من بينها . قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أيما أهل عرصة « الحي والمكان » أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » رواه احمد ، وفي حديث آخر : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم واحمد ، وفي حديث ثالث ، عن ابن عباس : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » متفق عليه .

وهكذا تأسس هذا المجتمع الاسلامي الجديد على التضامن والتكافل الاجتماعي ، فالأفراد كلهم جسد واحد وروح واحدة في الاحساس

بالألم والشعور بالمشاركة فيه ، وليس من شك ان في هذا الاتحاد الجامع المتضامن ما يعكس صورة رائعة أوضحت الشكل الجديد لمجتمع الرسول الكريم ، فالمؤمن يجب ان يشد من أزر أخيه وأن يقف بجانبه يشاطره المحن ويمسح عن وجهه الكآبة والحزن ويرفع عن كاهله الأحمال الثقال بقدر ما يستطيع الى ذلك سبيلا .

وهذا ما دفع « ابن حزم » ومن وافقه من فقهاء الاسلام الى القول بتحميل سكان بلد المسؤولية الجنائية في موت فرد من أفراد هذا البلد جوعا . هذا عن الصورة الاولى .

الصورة الثانية : الآداب الاخلاقية والسلوكية وضوابطها :

وعلى هذا الاساس من التعاون والتكافل بين أفراد هذا المجتمع الاسلامي الجديد وضع الرسول الكريم ، أسس الآداب الأخلاقية والسلوكية لضبط سير الأفراد ، فيه ، سيراً هادئاً مهذباً ومنظماً .

ففي مجال « آداب السلوك الأخلاقي والاجتماعي » . شرع الاستئذان عند اتيان البيوت وفي داخلها .

ووضح الرسول الكريم هذا اللون الجميل من الأدب الأخلاقي في سننه القولية والفعلية .

فعن عبد الله بن مسرة قال ـ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم » رواه أبو داود .

وفي الصحيحين ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « لو أن أمرأ اطلع عليك بغير اذنك فحذفته « أي رميته » بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح » .

وعن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ـ أألج ؟ « أي أأدخل ؟ » فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لخادمه ، أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له ـ قل السلام عليكم أأدخل ؟ فسمعها الرجل فقال ـ السلام عليكم ، أأدخل فأذن له النبي ـ صلى الله عليه وسلم فدخل » رواه البخاري .

وبالمقابل وضعت الحدود في الجرائم الاجتماعية وشددت تشديداً يتناسب مع صيانة حياة كل فرد وماله وحرماته ، وقام على تطبيقها زعيم الأمة وقائدها المظفر ، عليه الصلاة والسلام .

فشرع القصاص في القتل والجروح حماية لافراد المجتمع وصيانة لارواحهم : **(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب)** البقرة/ ١٧٩ ، :(**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص)** المائدة/ ٤٥ .

« ولذلك أيضا شددت عقوبة الزاني والزانية لما فيها من اعتداء على

العرض وعبث بالحرمة ونشر للفاحشة في المجتمع لما ينشأ عنها من تدليس في الأنساب ... شددت هذه العقوبة فجعلت القتل رجما للمحصن والمحصنة والجلد مائة جلدة لغير المحصن والمحصنة ، وجعلت عقوبة القذف في أعراض المؤمنات ثمانين جلدة وتفسيقا للقاذف بعدم قبول شهادته .. كما شددت عقوبة السرقة فجعلت قطع اليد . ثم قطع الاخرى عند العودة لما في السرقة من اعتداء على ملك الآخرين واعتداء على حق الناس في الأمن » .

الصورة الثالثة : «**الشورى بين أفراد المجتمع الاسلامي**» :

وإذا كان المجتمع الاسلامي الجديد جسداً واحداً ـ كما قلنا من قبل ـ فمن الطبيعي ان تترابط فيه المصالح وتتوحد الأهداف وتتشابك العلاقات الانسانية والاجتماعية ، غاية القول ، أن هذا المجتمع « الكل » تجد فيه امور واحداث وتطرح على ساحاته ثمة مشاكل ، وتطفو على سطحه ـ في حالات الشدة والعسرة ـ بعض المصاعب الى آخر ذلك مما يتطلب له الحلول والعلاجات على أن تكون تلك الحلول نابعة من ضمير الجماعة الاسلامية ، وممثلة لفكرها الموحد ومعبرة عن روحها وارادتها الواعية .

وهذا هو ما أرساه الرسول الكريم ، في مبدأ الشورى ، ذلك المبدأ الذي يتبلور في اطاره الحل الامثل والعلاج الانجح لأم المشاكل صغيرها وكبيرها .

وغني عن القول أن يوصف ـ مبدأ الشورى ـ بأنه أعظم المبادىء دستورية و « ديمقراطية » ، تأكدت في ظله حقوق الانسان ، وكشف للعالم المتمدين عن أروع نظام سياسي ، عرفته البشرية في ظل هذا المجتمع الاسلامي الذي تحكمه وحدة القيادة ويسوده العدل القضائي في دولة الاسلام العالمية .

وفي هذا المبدأ بين الرسول الكريم ، جملة من المسؤوليات التي تقع على عاتق الحكام والمحكومين فوضع اساسا قيما لمسؤولية رجال الحكم أمام الأئمة فقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله أمركم » رواه مسلم واحمد عن أبي هريرة ، وقال ايضا : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشكوا أن يعمهم الله بعقاب منه » رواه أبو داود والترمذي .

وكذلك وضع الرسول الكريم ، نظاما للمسؤولية وكيف يؤدي رجال الشورى واجب النصح وتقديم ما يمكن أن يطرأ على غيره الى آخر ذلك وترك تفصيله لمراعاة مقتضيات الأحوال والظروف .

كما وضع ـ صلى الله عليه وسلم ـ (للبيعة) التي تنعقد لشخص يصبح خليفة ، أو حاكماً ، أو رئيساً للدولة

الاسلامية شروطاً مما لا بد منها لكي تحقق الغرض منها فليست الامارة في مجتمع الاسلام مغنماً يرجى نهمه، أو مطعماً يرجى حوزته في جلابيب القوم والرجال، وإنما هي مسؤولية و « أمانة » تأتي يوم القيامة خزيا وندامة إلا من أخذها وأدى الذي عليه فيها.

وهذه المسؤولية من نتائج الشورى إذ لولا أن للامة حق الرقابة على الحاكم ما أمر أن يستشيرها في كل أموره.

ولقد كان الرسول الكريم في تطبيقه لمبدأ الشورى قولا وعملا، خير مترجم أمين لآيات الذكر الحكيم: (**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**) الشورى/٣٨، وقوله تعالى: (**فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**) آل عمران/١٥٩.

تلك كانت الصورة الأخيرة من صور التضامن الجديد لمجتمع الرسول الكريم، لكنه بقي لنا أساس ثالث من مقومات هذا المجتمع الجديد، وهو حسن المعاملة بين أهل الذمة سواء كانوا في دار الحرب أو دار الاسلام، وهذا ما سنعرض له بايجاز واجمال، مراعاة لظروف الحال ومقتضيات المقال والمقام.

ثالثا: حسن معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الذمة:

من المعلوم ان المجتمع الاسلامي الجديد لم يكن مجتمعاً إسلامياً صرفاً ـ بمعنى أنه لم يكن مقصوراً على المسلمين فحسب وإنما كان يحوى، إما بداخله أو بجواره ـ أفراداً آخرين لا يؤمنون بالنبي الكريم ولا يعترفون برسالته، وان كانوا يعلمون ما فيها من الخير والصلاح هؤلاء هم الذين يعرفون « بأهل الذمة » أو أهل الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أن الرسول الكريم، قد « فلسف » معاملته وحدد علاقاته مع « أهل الذمة » هؤلاء، في صور ثلاث: بيعته، معاهداته، سفراؤه، صلى الله عليه وسلم.

وكان من دلالات البيعة أن النبي الكريم، كان يقيم في « أولاها » أساس دولة الاسلام أول ما أنشئت فقد كانوا يتعاهدون على ميثاقها الأول إذ صار لها أرض وشعب وحكم ونظام.

ونحن نؤيد أحد الباحثين، حيث يقول، في ذلك الصدد « وإنني أظن أن مواد هاتين البيعتين تستجمع العناصر الأولى لتكوين المجتمع والتي بدونها لا مجتمع ولا نظام وإنها تؤلف الخلية الاجتماعية على وجهها الصحيح بأن تنشيء جماعة مطمئنة تقيم النظام في هذه الجماعة.

وهذا مثل آخر نذكره لنؤكد به مدى سمو العلاقة ومبلغ التسامح الذي أسس عليه الرسول الكريم تعامله مع أهل الذمة في دار الاسلام او في دار

الحـرب ، حيـث اكتفـى بقبـول « الجزية » منهم التزاما بأمر الله ومقابلا لتوفير الرعاية لهم والأمن في داخل هذا المجتمع الاسلامي فالمؤرخ « توماس ارنولد » يذكر : انـه لم تحدث محاولة واحدة لارغام أي ذمي عـلى اعتنـاق الاسـلام ، فيقـول صراحة :

« لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لارغام الطوائف من غير المسلين على قبول الاسلام ، أو عن اي اضطهاد منظم قصد منه استئصـال الدين المسيحي » .

وأما (لو ثرب ستو دارد) فيقول هو الاخر في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » ، « ما كان العرب قط أمة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك ، امة موهوبة عظيمة الاخلاق والسجايا ، تواقة الى ارتشاف العلوم محسنة في اعتبار نعم التهذيب .. وقد سارت الممالك الاسلامية في القرون الثلاثة الاولى من تاريخها (٦٥٠ ـ ١٠٠٠ م) أحسن سير ، فكانت اكثر أصقاع العالم حضارة ورقيا وتقدما وعمرانا ، وما انفك الشرق الاسلامي خلال هذه القرون الثلاثة يرسل على الغرب النصراني نورا » .

واما فيما يتعلق بمعاهداته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أهل الذمة فيكفي ان نشير الى بعض ما جاء في نصوص احدى معاهداته معهم حيث جـاء فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش « يثرب » ومن تبعهم فلحق بهم .. المهاجرون من قريش على ربعتهم « حالتهم التي أتى الاسلام وهم عليها » يتعاقلون بينهم « اي يدفع كل منهم عن الآخر الدية » وهم يفدون عانيهم « الاسير » منهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .. وان المؤمنين لا يتركون مفرحا (مثقلا بالدين والانفاق بينهم ان يغطوه (يدفعوه) بالمعروف في فداء او عقل . ولا يحالف مؤمن مولي مؤمن دونه .. ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم ادناهم وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وانه من تبعنا من يهود فان له النصرة والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .. الخ .

ونكتفي بهذا القدر من نصوص تلك المعاهدة ، ولعلنا تبينا الأسلوب الأمثل الذي سلكه الرسول الكريم في تطبيع علاقاته ومعاملاته والسياسة الحكيمة التي رسمها ، صلى الله عليه وسلم ، بـين مجتمعـه الاسـلامي الجديد وبين أهل الذمة هؤلاء .

ونعتقد ـ ونحن في ختام (مقالنا) هذا ـ ان الرسول الكريم في خطبته « حجة الوداع » قد بلور الأسس والمقومات بلورة كاملة تأسس عليها بناء المجتمع الاسلامي الجديد في عهده ، ومن بعده ، صلى الله عليه وسلم ونقتطف منها ما يكفي لبيان الدلالة وصـدق العبارة عـلى هذا القول ، وبها يكـون مسك الختـام والفراغ من المقال .

قال الرسول الكريم بعد ان حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، في تلك الخطبة الجامعة ما نصه : « أيها الناس ! ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا ، الاهل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها . وان ربا الجاهلية موضوع « ساقط ومحرم » ، وان اول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب . وان دماء الجاهلية موضوعة غير السدانة « خدمة الكعبة » والسقاية « سقاية الحجاج » والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية » .

« ... ايها الناس ! فان لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ؛ ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن « تضيقوا عليهن » وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان « اسيرات » الا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرىء مسلم مال إلا عن طيب نفس ... الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فاني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله ، الا هل بلغت اللهم اشهد .

« يا أيها الناس ، ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لادم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير . ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد قالوا : نعم ، قال فليبلغ الشاهد الغائب . أيها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث فلا تجوز وصية لوارث في اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر « اي هذا مقضى به رغم انفها او لعله يشير الى رجمها » ومن ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف « توبة » ولا عدل « فدية » .

* * *

وهكذا على هذا النحو من الأسوة الحسنة والموعظة البليغة والحجة البالغة ارسى رسول الله صلى الله عليه وسلم المقومات التي بني عليها مجتمعه الاسلامي الجديد الذي كان نواة لدولة اسلامية كبرى ، حكمت وسادت وعزت وسمت بعز وسمو قادتها واتقيائها .

فنعم الاساس وما اعظم البناء ، وصلاة وسلاما على من وضع اللبنات فكانت عمدا ومقومات صلبة ارتكز عليها مجتمعه الاسلامي في كل بقعة من الارض وفي كل عصر من الاعصار .

« وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين »



النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

للدكتور
محمد
عبد المنعم
القيعي

يذكر المسلمون نبيهم في كل صلاة ، ويطلبون اسرار الذكرى كلما طلع عليهم هلال ربيع ، ليعرفوا مغزاها ويفقهوا معناها . معنى النبوة والنبي والرسالة والرسول . وبعد استقرائهم لبعض تراثه - يخرجون بأن حقيقة النبوة قوة من الوجود في انسان مختار ، جاءت لتصلح الانسانية به ، وتقر في هذه الحيوانية المهذبة مثلها الأعلى بدلالتها على طريقها النفسي مع

طـريقهـا الطبيعي ، فيكـون مـع الانحطاط ـ الرقي ، ومع النقص ـ الكمال ، ومع حكم الغريزة ـ التحكم فيها ، ومع الظلمة المادية ـ الاشراق الروحي .. حقا انها قوة مؤثرة في كل جوانب الحياة ، خلصت الانسان من العبودية لكل شيء الى السيادة على كل شيء ... ثم وضعت عبودية الانسان في موضعها الصحيح ، واصبح لا يرى عبودية الا لله محييه ومميته .

ولقد خاض الفلاسفة منذ اقدم العصور في معناها . ونسبها بعضهم الى الاكتسـاب والتحصيـل ودارت بحوثهم في نظريـات عقيمة ـ أهي واجبة او مستحيلة ؟ او هي ممكنة ؟ الى غير ذلك من خبط عشواء لا معنى له ..

أما الاسلام فقد وضع اللفظ في معناه ، يحمل من الأوصاف ما تلزم المتصف بها . فالنبي فعيل بمعنى فـاعـل ـ وهـذا يستـدعي تبليغـه وفطانته ، وبمعنى مفعـول ـ وهذا يستدعى صدقه وأمانته ..

والنبوة صفة حقيقية قائمة بذات النبي لا تفارقه في يقظة أو نوم ، فتجعله معجما نفسيا ألفته الحكمة الالهية بعلم من علمها وقـوة من قوتها ، لتتخرج به الأمة التي تبدع العالم ابداعا جديدا ، وتنشئه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله . يخاطب الناس بكلمات ألفاظها ألفاظهم . بيد أنها في جاذبيتها نبض قلب يتكلم ، وفي سموها واجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم . ان خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح . وان راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح في منزع يلين ويشتد فيروى بالدماء كلام الأرض بعد السماء ، كأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه .

أما الرسالة والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فهي حبل الوصال بين الله وخلقه ، وهي نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض الى أن تدول ، وحاملها محمد صلى الله عليه وسلم ، رسول الله وخاتم النبيين . ما كان بـدعا من الرسل ، وانما هو الرحمة المهداة ، من به الله على عباده فقال :

(**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيـاته ويـزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) آل عمران/ ١٦٤ .

ولروعة ما في هذا النص من أسرار سجلها الواقع بمداد من أضـواء النجوم ، التي سكبها الخلود كل ليلة على صفحات التاريخ ، التي لا يقوى على جحد ما فيها مكابر او معاند ..

في الجاهلية كان العالم الانساني يكابد في هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية توبق الروح ، وجاهلية توثق العقل ، ومادية ترهق الجسد . وكانت الطبيعة المشفوفة تنتظر انبثاق الروح المبـدع وانبعاث الـربيع . وكـانت الخليقة الحائرة ترسل النظر الحائر في الآفاق الغائمة تر تقب لمعة النور من الشرق ، ونفحة القوة من الحق ، وكلمة الهدى من الله . وكانت الهواتف

الطائفة تعلن في رؤوس الجبال وسفوح الأودية ومدارج السبل وثوابيط المعابد وأواوين القصور - بشرى الرسالة الأخيرة . ثم كانت ومضات من روح القدس وأشعة الخلد ، تتعقد هالات مشرقات على شعب بني هاشم ...

ثم انبثق روحه القدسي في مجاهل البدو ومعالم الحضر كما يبتسم الأمل في قطوب اليأس وتومض المنارة في ظلام المحيط ..

وعند ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، كأنما هتف من الغيب هاتف يقول : انما العبادة لله ، والقيادة لرسوله ، والسيادة لدينه ، والحكومة لأتباع شريعته ، والدنيا للجميع ..

ودار الفلك دوراته حتى بلغ الرجل أشده ، وبلغ أربعين سنة ، اصطفاه الله واجتباه : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**) الحج/ ٧٥ .

ونودي صلى الله عليه وسلم :

(**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**) المائدة/ ٦٧ .

وبين رهط له نقائضه الدنيوية يقف محمد قدوة في المناقب التي يتمناها المخلصون لكل انسان . وما أحوج العالم الى مصلحين ، ولكن ما أجرأ الجهلاء على العظماء وهم في حاجة الى هدايتهم . وأي معرفة بحق من الحقوق يناط بها الرجاء اذا كان حق العظمة بين الناس غير معروف !!..

ومحمد عظيم في الدين والعقل والشعور . والعظمة قيمة في النفس قبل ان تبرزها الاعمال ، وملكات النفوس مزية غير قابلة للمسخ .

جاء صلوات الله وسلامه عليه بعقيدة تملأ فراغ النفس في داخلها ، ثم بنظام ينشر عليها الأمان بين بني جنسها : قالت حوادث الدنيا : لقد كانت الدنيا في حاجة الى رسالة . وقالت : حقائق التاريخ : لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة . توافرت لديه خصائص الداعية ، فكانت له فصاحة اللسان واللغة ، والقدرة على العمل ، وقوة الايمان ، والغيرة على الدين . نجح في دعوته لا بالاغراء ولا بالوعيد .

فبالنسبة لدافع الاقوياء - ما وجدوه فيه من رحمة وانابة واعتذار ..

وبالنسبة لدافع الضعفاء - ما وجدوه عنده من الانصاف .. أحاط به نفر ممن هداهم الله للايمان ، تعددت امزجتهم وتنوعت رغباتهم . فوسعهم بحلمه ولين جانبه :

(**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) آل عمران/ ١٥٩ .

وفاوضه أصحاب المصالح الشخصية وعرضوا عليه ما عساه أن يثنيه عن الدعوة في زعمهم ، فأطرق

اطراقة وقف إزاءها تاريخ الوجود كله برهة مبهوتا لا يدري بعدها ما اتجاهه - في الكلمة التي تفتر عنها شفتاه ، حكم على العالم أيظل في الضلال يمد له فيه ، فتطغي المجوسية على النصرانية ، وترفع الوثنية بباطلها رأسها الخرف الآفن . أو هو يضيء أمامه أنوار الحقيقة ويعلن فيه كلمة التوحيد ؟

لقد قال قولته المشهورة : « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه » - سيرة ابن هشام .

لم يحتكم الى السيف الا في أمور تتفق الانسانية على أنها لا تفض الا به ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فقاد اصحابه بقيادة تدور على الفكر لا على الظواهر والأحجام . وأنزلهم ببصيرة تعرف أن الحرب خدعة . فاعتمد على ربه ، ثم على حسن اختيار الموقع . وبادر بالمفاجأة فضرب القوى العسكرية والموارد الاقتصادية ، معبئا كل القوى مستشيرا اصحابه ، فيرسل المخابرات ، ويتصدى للاشاعات ، فيخرج من المعركة بما قسم له الله فيها من نصر يشكر ربه عليه ، أو اخفاق يبصر فيه اصحابه بمواطن النقص عندهم . ثم يعلمهم كيف يواجهون الحياة سياسيا واداريا . ولهم فيه أسوة حسنة ... توخى في اقامة الحجة لامضاء عزيمته ، وفرق بين خصومه يوم الأحزاب ؛ ويوم ان فتح مكة ، وقبل العهد الذي خفى على أخص عطرته يوم الحديبية .

ولا شك ان العمل الاداري في بيئة هي في اول الطريق من أشق الاعمال وأصعبها . والسليقة النفسية المطبوعة على الادارة النافعة هي التي تعرف التبعة والنظام والاختصاص في العمل . فولى الامراء ، وقاد الأمة بنظام . وفوق النظام سلطان . وفوق السلطان برهان من العقل والشرع . فهو مدير حين تكون الادارة تدبيرا للأمور ، ومدير حين تكون الادارة تدبيرا للشعور .

وهو الرحيم في غضبه ، لم تنسه ثورته مصلحة الفرد المعتدي على مصلحة الجماعة ، فيوفق بينهما بالحكمة :

« أتى برجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وريح الخمر تنبعث من فيه ، فقال النبي : اضربوه ، قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله والضارب بثوبه . فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ، قال النبي : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان » ... البخاري كتاب الحدود ..

وقد كان يراعي مشاعر الناس وعواطفهم ، ويحس بأن التمهيد لكل تغيير امر لا بد منه ، وأن الثورة على التقاليد دفعة واحدة لها من ردود الفعل أضرار وعواقب ينبغي للمصلح ان يتحاشاها ، قال لعائشة :

« لولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية ، فأخاف ان تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت ، وأن ألصق

بـابه بـالأرض » البخـاري كتـاب الحج ..

يشفق على الصغار فيحمل أمامة بنت زينب في صلاته ، ويرفق بالكبار :

« اني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي كراهية أن اشق عـلى أمـه » ... البخـاري كتـاب الصلاة ..

وليس في سجل المودة الانسانية أجمل ولا أكرم من حنانه على مرضعته حليمة ، وقد جاوز الأربعين ، فتلقاها هاتفا بها : أمي أمي . يفرش لها رداءه ويشير الى ثديها بيده كأنه يذكر ما لهذا الثدي عليه من جميـل ، ويعطيها من الابل والشاة ما يغنيها في السنة الجدباء ..

كان بارا بالخدمة كما كان بارا بالخدم .. أبي تقبيل يده وقال :

« انما أنا عبد آكل وأجلس كما يأكل العبد ويجلس ؛ وأنا أولى بكل مؤمن من نفســه ، من ترك مـالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضيعة فالي وعلي » .. صحيح مسلم ..

فهذه كلمات السيـد بإمـامته ، السيد بنسبه ، السيد بسلطانـه ، السيد بالتفاف القلوب حوله ، السيد بسيادته على سره وعلانيته ، على رأيه وهواه . ولو عمت هذه السيادة لبطل الاستعباد في الأرض وأصبح تفاوت الدرجات كتفاوت الأعمار .

وكان في عبادته حسا كله ، وحياة كله . يراه من يراه فؤادا يقظا ينتبه الى كل خالجة نفسية ، وكل نبأة خفية .. حس مرهف يدني اليه ما وراء الحجاب ، ويوقظ سريرتـه لأخفي البواطن . يجدد حسه كما يجـدد ايمانه . كان دائما في تجدد ، يرى ما يراه الناس كأنما يراه لاول مرة . فكر في الخلق فاهتدى للخالق . ثم استقر به الايمان هناك . فاذا قنع بما قنع ، فانما فعل ذلك ليرتفع بايمانه عن ظنه هو لا عن ظنون الناس . كأنه يرى اذا استوفى حظوظ النعيم الميسرة له - تحسب غرضا من الأغراض التي نظر اليها حين نظر الى هداية الناس ..

الصلاة عنده مناجاة حب وفرحة لقاء ، ومطاوعة لميل الضمير وميل الجوارح على السواء . يرتفع فوق كل المهاترات ويعلن أنه :

« أولى الناس بعيسى ابن مريم يوم القيامة .. والأنبياء اخوة لعـلات : دينهم واحـد وأمهـاتهم شتى » .. البخاري بدء الخلق ..

«لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة وأنا منهم ، ثم اكون أول من يفيق فاذا موسى لا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي ، أم كان مـن الـذين استثنـى الله » رواه البخاري .

فـالى المؤمنين بـه ان يذكـروا رسالته والى غير المؤمنين به ان يذكروا انسانيته . والى الله أن يكتب لنـا شفاعته .

إلا المجاهرين

روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قول النبي - صلى الله عليه وسلم :
« كل أمتي معافى إلا المجاهرين . وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله - ويصبح يكشف ستر الله عنه »

البخاري

مكانة الصحابة

ذكر الصحابة - رضوان الله عليهم - عند الحسن البصري ، فقال : رحمهم الله ، شهدوا وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، فما اجتمعوا عليه اتبعنا ، وما اختلفوا فيه وقفنا .

أعرابية على قبر أبيها

وقفت أعرابية على قبر أبيها ، وقالت : يا أبت إن في الله عوضا عن فقدك ، وفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة عن مصيبتك ، ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك خاليا مقفرا من الزاد ، محسوس المهاد ، غنيا عما في أيدي العباد ، فقيرا إلى ما في يديك ياجواد .

وأنت - أي رب - خير من نزل به المؤهلون ، واستغنى بفضله المقلون ، وولج في واسع رحمته المذنبون ، اللهم فليكن قرى عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك .

إلا من ظلم

قال تعالى : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما . إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا » ١٤٨ و١٤٩ من سورة النساء .

المكانة للعلم

يعرف الرجال بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال . فالمهم هو العلم المجرد والعمل وفق هذا العلم النافع ، وليس اتباع أشخاص لمجرد أسمائهم .
قال القائل :
اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

عقوبة

قال الشافعي ـ رضي الله عنه . **طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد** .

شبكة

قيل لرجل صوفي : ألا تبيع مرقعتك هذه ؟
فقال : إذا باع الصياد شبكته ، فبأى شيء يصطاد ؟!

العقل .. واللسان

قال حكيم : **لسان العاقل من وراء قلبه ..**
وعقل الأحمق من وراء لسانه ..

عبد الكريم الخطابي

ما اعظم ذكرى المجاهدين الذين باعوا انفسهم في سبيل الله لا يبتغون غير رفع راية العقيدة السمحة ، وتحرير اوطانهم من اعدائها ، وتطهيرها من رجسهم ، والقضاء على الظلم والبغي والعدوان واستغلال الانسان لاخيه الانسان . ومثلما حفلت السور القرآنية والاحاديث النبوية بالحض على القتال دفاعا عن مبادىء الاسلام وذودا عن ديار المسلمين ، فانها حثت على تكريم المقاتلين وتمجيد الشهداء منهم وفاء بحقهم وحفزا على الاقتداء بهم جيلا بعد جيل .

ولقد حلت بنا في الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة ١٤٠٠ (١١ فبراير ١٩٨٠) ذكرى مرور سبعة عشر عاما على رحيل رجل من اعظم فرسان الاسلام في التاريخ الحديث ، ذلكم هو البطل المغربي « عبد الكريم الخطابي » الذي استمر حتى اخر يوم في حياته يحارب الاستعمار الفرنسي والاسباني الذي جثم على صدر بلده الاسلامي دون كلل او تخاذل ليسترجع له حريته واستقلاله وكرامته .

واذ نتصفح تاريخ هذا المقاتل العظيم نجد انه خاض معاركه ضد اعداء العقيدة والوطن في ضوء اهداف ثلاثة هي : الحرية والعدالة والرقي الاجتماعي ، تلك الاهداف التي دعا اليها الاسلام . ووقف بجهاده سدا منيعا دون اطماع الاوروبيين وعملائهم واذنابهم الذين حشدوا قواهم للحيلولة بين البطل وبين تحقيق مقاصده السامية . ولقد سطع نجم الخطابي واسترعى انظار العالم بفضل مقاومته العسكرية الصلبة على الرغم من البون الشاسع بين ما كان يحوز عليه من قوة وما كان يمتلكه الخصمان المستعمران من عدد وعدة .

فقد كان يقود جيشا قليل العدد من المواطنين المسلمين المسلحين بالاسلحة الخفيفة والقديمة والذي يفتقر الى الذخيرة الكافية في مواجهة جيش منظم كبير ارسلته الدولة الاسبانية التي كانت لبضع سنوات خلت تعد ثاني امبراطورية في العالم .



واقعة حصن « تل ابران » :

يتبين عدم التكافؤ في العدة والعديد بين عبد الكريم الخطابي وبين العدو اذا علمنا ان اسبانيا قد اعدت جيشا يبلغ تعداده خمسمائة جندي في صيف سنة ١٩٢١ ميلادية بقيادة الجنرال سلفستري لاقتحام منطقة الريف الاسباني التي حررها الثوار المسلمون وعلى رأسهم الخطابي الذي كان يتخذ « اجادير » مقرا لقيادته - وكان الجنرال الاسباني - في صلف المستعمر الغاشم - يأمل ان يحتسي الشاي في اجادير في الوقت الذي كان جنوده يرتجفون في حرارة الصيف ذعرا وهلعا من بأس المسلمين البالغ عددهم مائة وخمسة وعشرين مجاهدا وحاول القائد المتغطرس ان يتحصن باحدى النقاط الاستراتيجية المسماة « بتل ابران » ومكن جنوده من « التمركز » بها .

واستنفر الخطابي جنوده محرضا لهم على قتال العدو متخذا اسلوب حرب الاقتناص (حرب العصابات) بالنظر الى قلتهم وكثافة الجيش الاسباني . فعمد في الليلة الاولى من شهر يوليو الى رسم خطة الهجوم على الحصن ، مقسما قواته ثلاث وحدات : الاولى عهد اليها تسلق الجبل من جميع نواحيه ، على حين تصوب المجموعة الثانية اسلحتها (البنادق) نحو سور الحصن لتغطية زحف المجموعة الاولى . وما ان تبلغ نقطة متفقا عليها حتى تبدأ المجموعة الثالثة بالتسلق بدورها في حين تغطيها الاولى ، وهكذا دواليك حتى تبلغ القوة كلها موقع الحصن . وذلك هو عنصر المباغتة الذي يدل على التخطيط الحربي السليم عندما تكون القلة في مواجهة الكثرة .

ولقد نجحت الخطة أيما نجاح بفضل احكامها ودقة تنفيذها ، فما ان بزغت الشعاعات الاولى للفجر حتى احتدم القتال داخل الحصن ، وكان مجزرة رهيبة بالنسبة للغزاة ، حيث سقط صريعا كل من كان محتميا بالقلعة الاستراتيجية التي ظنوا انها تنجيهم من الخطابي ورجاله بل تمكنهم منهم . خمسمائة عسكري معتد اصبحوا اشلاء متناثرة . اما

المجاهدون فلم يستشهد منهم غير اربعة ، وكان مجموع الغنائم التي حصلوا عليها خمسمائة بندقية واربعة مدافع رشاشة ومدفعي هاون . وصدق الحق تعالى : (**يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين**) الانفال / ٦٥ و ٦٦

وفي الصباح بهت الذي كفر ، ذلك انه لما بلغ النبأ الجنرال سلفستري اصيب بالرعب على حين استبشر المجاهدون واهلوهم بما آتاهم الله من نصر مبين . وعلى سنة القائد الاعظم رسول الله حين كان يأمر اصحابه بالتأهب للغزو بعد رجوعهم منصورين من احدى الوقائع حتى لا يشغلوا باقتسام الغنائم او تدب في نفوسهم روح الوهن التي تنجم عن استمراء الراحة والدعة ، طفق عبد الكريم الخطابي يشحذهمم جنوده حتى لا تنسيهم نشوة النصر الاستعداد تلو الاستعداد للانقضاض على المعتدي وكسر شوكته حيث ان هزيمته الفادحة لن تثنيه عن معاودة الكرة من مرابضه القريبة من الحمى المحرر .

معركة أنوال :

وهكذا خاض المجاهدون معارك متصلة بلغ عددها خمسا خلال شهر واحد ، واستخدم فيها الخطابي « تكتيكا » عسكريا جديدا . فكان يحفر الانفاق تحت الحصون ويحشوها بالمتفجرات ، فما ان تنفجر الارض تحت الحصن حتى يفر الاسبان الى الخارج في هلع واضطراب ، فيحصدهم المجاهدون بنيرانهم . وبهذا الاسلوب الفذ في ميدان الخطط العسكرية استطاع الخطابي ان يقضي على معظم المراكز التي اقامها الاسبان .

ولكن العدو الغاصب لم ييأس ، بل زادته مرارة الهزائم المتتابعة حقدا وعنادا . فرمى بكل ثقله في الحرب ، وكانت معركة انوال التي نشبت في يوم ذكرى معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها النبي وصحبه من المهاجرين والانصار على مشركي مكة الباغين . وهنا ايضا لم يكن ثمة تكافؤ بين الفريقين ، ففي مقابل اربعة عشر الفا من الجنود الاسبان المعتدين المزودين بأحدث الاسلحة كان هنالك ستمائة مجاهد مسلحون بالعتاد الذي غنموه من العدو ، ينتظرون في خنادقهم هجوم جيشه وطلب الجنرال سلفستري من دولته النجدة حين ادرك تصميم الخطابي على الثبات في الحرب حتى النصر او الاستشهاد ، وفكر في الانسحاب في الوقت الذي كان الخطابي يرسم خطة الحرب ويوزع جنوده على مسالك الطرقات ليفاجىء العدو . واذ هم الطاغية بالارتداد على عقبيه قبل الشروق ، باغته المجاهدون

بالرصاص فهوى مضرجا بدمائه .

مزيد من الانتصارات :

تولى الجنرال نافارو قيادة الغزاة بعد مصرع سلفستري وباء بخزى الهزيمة مثل سلفه ، اذ فقد في معركة حصن « جبل اعروي » ٢٦٠٠ قتيل . وفي اليوم التالي من شهر اغسطس لم يبق مع الجنرال نافارو الذي سلم نفسه كأسير حرب للخطابي الا اربعمائة جندي من خمسة وعشرين الفا وغنم المجاهدون عشرين الفا من البنادق ، واربعمائة رشاش و١٢٩ مدفع ، وبلغ عدد الاسرى الاسبان الفا ومائة . ولم يخسر المجاهدون في هذه الملحمة اكثر من بضع عشرات من القتلى والجرحى .

وهكذا اسدل الستار على تلك المعركة البطولية بالنسبة للمجاهدين ، ودخلت التاريخ كأول معركة في القرن العشرين ، ينهزم فيها جيش اوروبي هزيمة منكرة على يد بضع مئات من الرجال . وقد اذهل هذا النبأ العالم الغربي المستعمر ، فحرك لديه عقدة الصليب مع الهلال وندب المارشال « اليوطي » فباء بدوره بالفشل الذريع ، واعقبه المارشال « بيتان » ذي الصيت المعروف في الحرب العالمية الاولى .

الجهاد الاكبر :

نجح عبد الكريم المغربي بطل الريف المغربي في الجهاد الاكبر بعد انتصاره في معارك الجهاد الاصغر فانشا حكما عادلا في تلك المنطقة استمر من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٦ وكان يتطلع الى نشر العلم وتوطيد الحرية للشعب المغربي والعيش الكريم بين الامم ، الأمر الذي اثار حفيظة اعدائه من المستعمرين واتباعهم فنعتوه بالرجل الديني المتعصب الشرس . ولقد التف حوله الشعب وبايعه على الطاعة ثقة في اهدافه النبيلة ، وهي بناء دولة تستمد قوتها من جيش منبثق من ابناء الشعب ، وبناء اقتصاد محكم ، واقامة عدالة مبنية على الشورى والاقتناع كما شرعهما الاسلام .

وبذل الخطابي اقصى الجهد ، وهو في دوامة الاحداث الحربية فعمل على استتباب الامن بين القبائل ، وجمع شملهم على كلمة واحدة هي مقاتلة العدو الدخيل ، فأعاد روح الجماعة . كما أنشأ التعاونيات الزراعية ، ونظم التجارة بين المواطنين ، وأنشأ مدارس للتعليم ومد خطوط الهاتف وشق الطرقات ، وغير ذلك من الاعمال التي تعود على الناس بالخير . اما في الجانب العسكري فقد بدأ ينشىء جيشا عصريا لكي يضطلع بالمهام الوطنية والشعبية ، فالبندقية في يد والمعول في اليد الاخرى . وما كان لينسيه كل ذلك الجهد التزاماته اليومية التي كانت تحظى منه بالرعاية القصوى ، بل كانت بالنسبة اليه

كالروح في الجسد ، وهي الاجتماع مع كل الطبقات الاجتماعية والانصات اليها والاصغاء الى شكاواها مباشرة . وما غره يوما زهو الانتصارات التي احرزها ، وما رضي ان يلقب نفسه او يخلع عليه الناس الالقاب والنعوت التي تخلب ألباب اصحاب السلطة ، وقضى على الشعوذة والتمائم .

مؤامرات العدو وصنائعه :

لم يغفل اعداء الرجل من المستعمرين والتابعين لهم يوما واحدا عن التآمر عليه واستمالة ذوي النفوس الضعيفة والخسيسة والجهلاء الادعياء الذين كانوا يرتزقون من اعمال السحر والكهانة . فانضم هؤلاء الى اللفيف الاجنبي المعروف بوحشيته في التنكيل باحرار المغرب العربي خاصة والقارة الافريقية عامة . وبذلك حقق سدنة الاستعمار هدفهم الدنيء وهو محاربة المغاربة بعضهم لبعض بعد ان فرقوهم ليسودوا . وحشدت فرنسا - من جهة اخرى - على حدود الريف بطول الخطوط الشمالية للمغرب مائتي الف جندي بقيادة مارشالين ، واربعين جنرالا ، مقابل خمسة الاف مجاهد في اقليم لا يتجاوز عدد سكانه اربعمائة الف نسمة .

وفي ١٣ ابريل من سنة ١٩٢٥ استعرت نيران المعارك الطاحنة بين قوة الحق وقوة الباطل . فلم تتوان فرنسا واسبانيا في استعمال ما لديهما من قوة وامكانات حديثة ، ضد الوطنيين المسلمين ، كاستعمال الطائرات وغير ذلك من وسائل الخراب والدمار ، بقيادة طيارين مرتزقة امريكيين ، كانوا قد انتهوا توا من عمليات مماثلة في العدوان على الشعوب ، وانتهاك حقوق الانسان . وامام تعاظم قوة البغي والطغيان التي بلغ عددها نصف مليون جندي - وهذا باعتراف المصادر الغربية نفسها - لم يكن امام البطل الخطابي الا ان ينسحب من الميدان ، وهو شاهر مسدسه الى اخر لحظة ، ليذهب الى عالم النفي والحرمان .

صفحة مضيئة بالشرف والبطولة :

لكن الاستعمار لن ينسى ان فريقا من المجاهدين الريفيين بقيادة عبد الكريم الخطابي لم يزد عددهم عن خمسة الاف مقاتل ، استطاعوا وهم لا يملكون الا اسلحة عتيقة ، ان يواجهوا اكبر الحملات الاوروبية العدوانية التي اربت عدتها على نصف مليون جندي وان ينتصروا عليهم في معارك كثيرة بفضل ايمانهم وتمسكهم بحقهم واستهانتهم بالموت في سبيل المبادىء والاهداف النزيهة . ولقد سجل التاريخ جهاد ذلك البطل ورجاله المؤمنين في صفحات الشرف ليبقوا دائما رمزا للبطولة والتضحية وقدوة للاحرار الذين ينشدون الحق والعدل والكرامة في كل مكان وزمان . وصدق الله العظيم : (**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم**) **محمد /٧**



كثيرا ما يتساءل المرء عن سر هذا التقدم الرهيب الذي أحرزته تلك الأمم ، والتي استطاعت أن تطأ به سطح القمر . وكثيرا ما يتساءل أيضا عن سر تأخر المسلمين ، أو توقفهم بعد أن كان لهم قصب السبق في ذلك الميدان .

لقد حاول البعض أن يعللوا تأخر المسلمين بشدة تمسكهم بدينهم . فقالوا : ان الاسلام هو سبب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة . ولكن ينقض على هؤلاء تعليلهم هذا أن الدين الاسلامي نفسه يحث في مواطن كثيرة على التعلم وعلى البحث ، لأن المسلمين أنفسهم عندما كانوا متمسكين بالاسلام حقا كانت لهم يد طولي في هذا المضمار . فليس الدين اذن هو عامل التأخر كما يقولون . وليست اللغة العربية أيضا هي سبب

هذا التأخر كما حاول الاستعمار وقتا ما أن يوعز بذلك .

واذا لم تكن اللغة العربية أو الدين الاسلامي هما سببا تأخر المسلمين عن ركب الحضارة فلا بد أن هناك عاملا أو عوامل أخرى غير هاتين فما هي تلك العوامل ؟

قبل الحديث عن هذه العوامل أود أن أشير الى أن الغرض من طرح هذه القضية ومحاولة تحليلها هو اكتشاف موطن الداء ليسهل وصف الدواء . فعندما نقف على هذه العوامل ونحددها نستطيع أن نتجنبها . أو على الأقل نستطيع أن نحدد مدى قدرتنا على تجنبها . وبالتالي نصبح على بينة من أمر أنفسنا فنعرف ان كانت تلك العوامل عوامل داخلية في المسلمين أو في الساميين عموما كما يقول « ريغان » المستشرق الفرنسي بحيث لا نستطيع أن نتخلص منها لأنها فطرية طبيعية . أم أنها عوامل خارجية طارئة يمكن علاجها والعمل على مجاوزتها عند الوقوف عليها . وأن هذه العوامل تتعلق بالظروف المحيطة بالانسان أكثر مما تتعلق بالانسان نفسه . فكلنا يعرف مثلا أن ازدهار الحضارات يواكب دائما الامم الناجحة القوية لأن الحضارات تزدهر في جو الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي . فعندما تتوفر تلك العوامل تتجه جهود الدولة شعبا وحكومة الى الابتكار والاختراع لوجود الامكانات المادية والمعنوية التي تساعد على ذلك . أما اذا انعدم هذا الاستقرار وحلت محله الاضطرابات فليس آنئذ ثمة مجال لابتكار أو اختراع اذ الكل في ذلك الوقت يعمل لنفسه بمعنى أن كل فرد لا يهمه الا أمر نفسه يحميها من القلاقل ، ويؤمنها من المخاوف ، أو يجلب لها بعض المكاسب . وان وجد في مثل هذه الظروف شيء من حضارة فلن تكون في درجتها أوقات الاستقرار . والتاريخ بجميع فصوله وأبوابه خير شاهد على ذلك .

واذا سلمنا بهذه المقدمة نقول ان العرب عندما كان لهم هذا الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي أوجدوا حضارة وصنعوا تقدما وكانت لهم خطوات في هذا المضمار طويلة ، وباع ليس بالقصير فوجد فيهم الأفذاذ من أصحاب النظريات وأرباب الاختراعات .

ولكن ـ والحق يقال ـ ان العرب أو المسلمين جميعا في هذا الوقت أخطأوا المنهج وضلوا الطريق فأضاعوا فرصة يعز عليهم أن يرجعوها . وكان خطؤهم في اتجاههم نحو مجال واحد يعملون فيه وينتجون . يبتكرون فيه ويخترعون . وتركوا المجالات الأخرى هملا أو شبه مهملة . ذلك أن المسلمين عندما أتيحت لهم ظروف التقدم والابتكار وخلق الحضارة اتجهوا نحو العلوم النظرية علوم الدين والشريعة واللغة والأدب وما اليها كرسوا لها أعدادهم وجهودهم حتى لتجد منهم ألف عالم وعالم في تخصص واحد وتجد العمل الواحد يكرر ألف مرة ومرة حتى قتلوا هذا المجال بحثا وأشبعوه انتاجا فأنتجوا من التراث في

العلوم الانسانية ما لم ينتج ولن ينتج مثله حتى ليقال ان مياه الرافدين في العراق قد اسودت من مداد الكتب التي ألقاها هولاكو فيها عندما استولى على العراق . فالاعادة والتكرار ، والشرح والتلخيص ، والابطال والتأييد ، أعمال انصرفت اليها جهود معظم علماء المسلمين وكان يمكن لها الاكتفاء ببعض ذلك أو أقله . يؤلف مثلا عالم كتابا في النحو فيأتي آخر ينقضه عليه ويأتي ثالث يؤيد النقض أو ينقضه ورابع وخامس وهكذا . وقل مثل ذلك في علم الكلام واللغة والفلسفة وباختصار كل فروع العلوم النظرية . وهكذا وجهت جهود علماء المسلمين الى مثل هذه الأعمال . ولا شك أن هذه العقول التي انتجت هذا التراث عقول جبارة . والمطلع على هذا التراث ليرى ما يثير دهشته من ذكاء هؤلاء العلماء وقدرتهم على التحليل وبراعتهم في التعليل . اقرأ ان شئت بعض كتب الفقه أو الأصول أو اذهب الى اللغة والنحو أو عرج على كتب الفلسفة والكلام ناهيك عن كتب التصوف ومؤلفات الشيعة . انتاج عجيب وعظيم معا وعندما أشير الى هذا الانتاج أشير الى مدى الجهد العقلي الذي استنفده ومدى ما له من دلالة على ذكاء القوم وعظمة عقولهم لا يعنيني صحة ما فيه في هذا المقام بقدر ما يعنيني تقييم الجهد العقلي الذي بذل فيه . فسواء أكان كل ما فيه صوابا أم كان شيء منه مجاوزا للصواب فان العمل العقلي الجبار باد في جميعه بل قد يكون خطوة قد بذل فيه من الجهد العقلي اكثر من صوابه .

وأريدك الآن أن تقف معي وتتصور لو أن بعض هؤلاء العلماء نصفهم أو ثلثهم أو دون ذلك أو فوقه اتجه نحو العلوم العملية ألم يكونوا قادرين على صنع حضارة وتقدم عملي ؟ ألم تكن هذه العقول قادرة على أن تحقق بعض ما حققه القوم اليوم أو على الأقل أن تبدأ من حيث بدءوا .؟!!

أما أنا فأعتقد ذلك بيد أني لم أقرا كتب التراث كلها ولا جزءا ضئيلا منها . ولم أقرأ الا أقل القليل وقد رأيت في هذا الأقل ما جعلني أقرر أن بعض هذه العقول لو اتجهت نحو العلوم العملية لصنعت شيئا بل أشياء فما بالك بمن قرأ معظم هذا التراث أو جزءا كبيرا منه .

اننا نستطيع أن نعد من علماء المسلمين في هذا المجال (المجال النظري) المئين بل الألاف في الوقت الذي اذا ذهبنا فيه الى العلوم العملية لا نعثر فيها الا على الواحد بعد الواحد . ولا يكاد المشهورون في هذا المجال يتجاوزون العقد الأول من العدد تذكر مثلا جابر بن حيان ، الخوارزمي ، الحسن بن الهيثم ، ابن سينا ، البيروني ، وربما تذكر ضعف هذا العدد أو حتى عشرة أضعافه فهو على أية حال عدد قليل وقليل جدا لا يفي . على أن هذا العدد أو أضعافه لم يجد من يواصل خطاه من بعده . فماتت أعمال كل واحد بموته تقريبا . لأن الفكرة ان لم تجد التطبيق فهى

ميتة أو في حكم الميتة .

فالفرق بين المجال العملي والمجال النظري عند المسلمين أمران أولهما أن معظمهم أو قل ان شئت كلهم عدا نذر يسير اتجه نحو العلوم النظرية ، وأفراد معدودون هم الذين اتجهوا نحو العلوم العملية . ثانيهما : أن من اتجه منهم نحو العلوم العملية لم يجد الخلف الذي يحمل نظرياته من بعده لم يجد اليد الأمينة التي ترعى هذه النظريات وتستخدمها وتطورها بعكسها في العلوم النظرية حيث كان الواحد منهم يضع رأيا في مسألة فتجد العشرات من بعده يناقشونها تأييدا أو معارضة . هذا الى أن كثيرا ممن اتجهوا نحو العلوم العملية لم يتجهوا لها كليا بل كان لهم الى جانبها اهتمامات بالعلوم النظرية فابن سينا مثلا فيلسوف قبل أن يكون طبيبا . وكذا البيروني وهكذا . والغريب بعد ذلك أن ترى اللاحقين يتبنون أعمال ابن سينا النظرية اكثر من تبنيهم أعماله العملية ففلسفة ابن سينا قتلت بحثا الى يومنا هذا في الوقت الذي أهمل فيه طبه أو كاد . ولو وجد طب ابن سينا مثلا العناية والاهتمام من المسلمين مثل ما وجدتها فلسفته لكان للطب عند المسلمين مقام غير مقامه الأن ... وهكذا ...

نستطيع أن نقول باختصار ان السبب في تأخر المسلمين هو اتجاه علمائهم نحو العلوم النظرية ، وقطعهم حبل الود وقطيعتهم التامة للعلوم العملية . من ثم برعوا في العلوم الانسانية وكسدوا في العلوم العملية ـ ربما يقول البعض ان هذا رأي سبق به ريغان من قبل عندما رأى أن الشعوب السامية تهتم بالعلوم الانسانية النظرية وبالرؤية العامة الكلية بينما تهتم الشعوب الآرية بالعلوم العملية وبالنظرة التفصيلية . هذا رأي ريغان . والمتأمل يجد فرقا واضحا بين ما ذهب اليه ريغان وبين ما أدلينا به هنا . فريغان يرى أن الجنس هو العامل المميز بين الشعوب الآرية والسامية وأن لكل شعب خصائصه ومميزاته . وعلى ذلك يرى أن العامل في تأخر الشعوب السامية ومنها الشعوب العربية عن الشعوب الآرية هو عامل داخلي فطري وهو الجنس . أما ما ذهبنا اليه فيرى أن العامل في تأخر المسلمين ليس عاملا أساسيا داخليا فطريا ـ ليس هو الجنس ـ وانما هي عوامل خارجية وأيا ما يكن فقد انتقدت نظرية « ريغان » بما فيه الكفاية مما يعفينا من اعادة نقدها هنا .

فاتجاه المسلمين نحو العلوم الانسانية لا لعجز عن العلوم العملية . ولكن لأسباب أخرى . دينية واجتماعية وسياسية . والمسلمون لو اتجهوا للعلوم العملية لأنتجوا . وبعضهم اتجه وأنتج . الا أنهم يمموا ـ لسبب أو لأخر ـ شطر العلوم الانسانية . وربما كان السبب في ذلك هو شدة تعلقهم بالدين وحبهم له الأمر الذي جعلهم يقيمون من أنفسهم حماة ومدافعين عن كتابهم المقدس « القرآن الكريم » . ومن أجل تلك الحماية وهذا الدفاع نشأت علوم اللغة والدين

على أوسع نطاق وأعمقه . فكل المصنفات الاسلامية من لغة وشريعة وفلسفة وتاريخ وأدب نشأت أصلا لحماية الدين بل حتى علوم الفلك والطب والهندسة نشأت نشأة دينية . وقل باختصار ان نشاط المسلمين الثقافي كان وراءه من قريب أو بعيد دوافع دينية . والحماس الديني الذي اندفعوا معه الى هذا الاتجاه حجبهم عن النظر الى الجانب الأخر من العلوم وهو الجانب العملي التطبيقي . فكانوا جميعا في اتجاه واحد وكان هذا هو الخطأ الذي وقعوا فيه لا الذي أوقعهم فيه الدين . لأن الدين لم يحجر عليهم دراسة العلوم العملية بل على العكس كثيرا ما حث عليها . والاشارات العلمية في القرآن اكثر من أن تحصى . بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال : « اطلب العلم ولو في الصين » يريد أن يشير من قريب أو بعيد الى العلوم العملية لأن العلم الذي يمكن أن يطلب في الصين ليس هو علوم اللغة أو الشريعة . فالخطأ اذن خطأ منهجي من المسلمين وليس من الاسلام . ومما شجع علماء المسلمين على التمادي في هذا الخطأ والاستمرار في الاهتمام بالعلوم الانسانية نظرة المجتمع فقد كان المجتمع يحترم ويجل أمثال هؤلاء العلماء في الوقت الذي كان لا يعطي مثل هذا الاحترام والتقدير لمن يشتغل بالعلوم العملية ويهتم بتطبيقها .

وليس المجتمع فحسب بل الحكام أيضا كانوا يرعون العلوم الانسانية أكثر من رعايتهم للعلوم العملية وبلاط الخلفاء خير شاهد على ذلك .

ويمكن أن نضيف الى ذلك بساطة حياة المسلمين الأولى وسذاجتها التي جعلتهم لا يفكرون في العلوم العملية لأن الحاجة أم الاختراع وهؤلاء كانت حاجاتهم قليلة جدا .

وعلى ذلك فالوقت الذي كان من الممكن أن ينتج فيه المسلمون شيئا أنتجوا فيه أشياء كثيرة . ولكنها علوم نظرية وليست عملية . وبعبارة أوضح ان عهد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمسلمين الذي كان يمكنهم أن يصنعوا فيه حضارة وتقدما علميا عمليا لم يستغلوه في هذا المجال وانما اتجهوا فيه نحو العلوم النظرية فكان ذلك الانتاج الرهيب الذي خلفوه . ثم ضاع هذا الوقت بالنسبة للمسلمين عندما ضعفوا واستعمروا وضاعت فرصتهم للقدرة على الاختراع ردحا من الدهر . ثم عادت أو ها هي تعود اليهم ثانية فهل يا ترى ينتهزونها هذه المرة أم يتركونها تفلت من أيديهم كما فلتت من قبل ؟!! لا .. انهم تعلموا درسا قاسيا واستفادوا منه كثيرا وها هم الأن يعملون قدر جهدهم ليلحقوا بالركب . ومبعوثوهم في الدول المتحضرة خير شاهد على عزمهم وإصرارهم . وما هى الا فترة أو زهاؤها حتى تنتهي خلافاتهم وتتوحد كلمتهم وجهودهم وعندئذ يقودون العالم كما قادوه من قبل وينتجون له هذه المرة حضارة عملية انسانية معا هدفها سعادة الانسان ، سعادة حقيقية .



العقوبات في الإسلام

تمهيد :

من أهم حاجات الفرد والمجتمع في كل النظم والفلسفات الحاجة الى الأمن ، وهذا ينطبق على الانسان في كل زمان وفي كل مكان ، كما ينطبق على المجتمع في كل زمان وفي كل مكان .

وكل أمة تضع من الأسس التربوية ومن التشريعات القانونية ما يساعدها على تحقيق الأمن ـ وهذا حسب تصور المربين فيها وحسب تصور رجال القانون ورجال السياسة ، وهذا يتأثر إلى حد كبير بالمصادر التي يستقون منها نظمهم وقوانينهم .

وقد جربت المجتمعات الأصول التربوية المختلفة والتشريعات القانونية المتباينة في جميع عصورها وفي جميع دولها .

ويأتي سؤال : وهل نجحت هذه الدول في تحقيق الأمن للفرد وفي تحقيقه للمجتمع ؟

إذا كان الجواب ما قرأناه في كتب التاريخ عن الماضي وما نراه وما نقرؤه وما

هدفها حماية مقوّمات الوجود الإنساني

طلبت جمعية العفو الدولية من الاطباء الامتناع عن تنفيذ عقوبة قطع يد السارق زاعمة ان قطع يد السارق لون من الوان التعذيب . ومن هنا يحق لنا ان نكتب عن العقوبات في الاسلام لنبين لهذه الجمعية انها خالفت الحق والعدل فيما طلبت ، وليعلم الناس كل الناس من طريق الحجة والبرهان ان العقوبات في الاسلام شرعت لصيانة مقومات الحياة الانسانية من الدين والعقل والعرض والدم والمال ، وانها دون غيرها سبيل الامن والطمأنينة .

للاستاذ : علي القاضي

نسمعه عن المجتمعات الحاضرة من فشل واضح في تحقيق هذه الحاجة للفرد والمجتمع فان سؤالا آخر يأتي :-

ولماذا كان هذا الفشل الواضح في تحقيق هذه الحاجة الأساسية ؟

والجواب : إن الذي يضع الأصول التربوية والقوانين التشريعية رجال علماء تربية وفقهاء في القوانين وهم يعرفون عن الأفراد جوانب ويجهلون جوانب ، ولذلك فانهم حسب علمهم يضعون ويظنون ان هذا كاف وعند التطبيق يظهر ألوان من القصور فيغيرون ويغيرون وهكذا ـ ثم إنهم حسب استعداداتهم الشخصية وحسب ثقافاتهم يتأثرون في بعض الجوانب فلا يرون إلا هذه الزوايا ، وأحيانا تتدخل المصالح الخاصة في وضع ذلك فتصبح القوانين أو تطبيقاتها في مصلحة الحاكم أو في مصلحة الحزب أو غير ذلك .

والمجتمعات الغربية تستمد أصول قوانينها من القانون الروماني القديم ، وهي تشيد به وبما فيه من امتيازات ـ ولكنها لا ترى غيره ـ ومع وجود الكثير من المميزات في القانون الروماني القديم إلا أن به أيضا ألوانا من الخلل مثل وجود

قوانين تطبقها على أفراد مجتمعها وقوانين لغيرها ، يقول محمد أسد في كتابه (**الاسلام على مفترق الطرق**) : إن الفكرة التي كانت تسيطر على الأيدلوجية الرومانية هي احتكار القوة لها ، واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة الوطن الروماني فقط ـ لم يكن رجالها والقائمون عليها يتحاشون من أي ظلم أو قسوة في سبيل حصول خفض العيش لطبقة ممتازة ـ أما ما اشتهر من عدل الرومان فلم يكن إلا للرومان فقط .

إن استقرار المجتمعات هدف أساسي لجميع النظم وجميع التنظيمات الاجتماعية التي تحاول أن تبلغه بشتى الأساليب والمناهج ـ بل وتقوم بتجريب ما تسفر عنه الدراسات والأبحاث ليساعدها ذلك على استقرار المجتمعات ، ومع ذلك فهل وصلت إلى النتيجة المرجوة ؟ **والجواب** : **لا** ، بل إن كل المجتمعات تشكو من فقدان الأمن للفرد والمجتمع ـ ومع ذلك فان هذه المجتمعات التي تفتقد الأمن في نظمها وتشريعاتها البشرية يحلو لها أن يهاجموا الاسلام في النظم التربوية والتشريعات الحدودية حتى يثبتوا لأنفسهم ـ وربما للمسلمين أيضا ـ أن الاسلام دين قد انقضى عهده ، ولم يعد صالحا للتطبيق في عهود الحضارة والمدنية ، إذ كيف يكون من المعقول أو المقبول أن يمشي بين الناس بيد واحدة لمجرد أنه سرق أو أن يجلد لمجرد أنه زنا ـ مع أن هذا قد يكون برضا الطرفين ـ فالاسلام بذلك يصادر الحرية الشخصية ـ وكيف يكون من المقبول أن يجلد شارب الخمر مع أنه يريد أن ينسى همومه أو يتلذذ بشربها وهكذا ..

يقولون هذا وهم يعانون ما يعانون من المتاعب والمشكلات وفقدان الأمن للأفراد والجماعات ـ ولو أن أساليبهم في التربية وتشريعاتهم القانونية نجحت لكان من الممكن أن يقولوا هذا ـ ولكنهم يقولون ما يقولون في كبرياء لأنهم لا يكلفون أنفسهم دراسة التربية الاسلامية ولا التشريع الاسلامي بحثا دقيقا حتى يعرفوا ما فيهما من امتيازات وما وصل إليه التطبيق من نجاح ، فيكونون هم المستفيدين بما يتوصلون إليه من معرفة .. ولكن متى كان للمستكبر نظرة موضوعية يفيد بها نفسه وغيره ؟

والاعجب من هذا أن بعض المسلمين الذين تثقفوا ثقافة غربية يسيرون على هذا النهج وهم لا يعرفون شيئا عن دينهم ولا عن ثقافتهم ولا عن عقيدتهم ، فصادفت هذه المعلومات قلبا خاليا فتمكنت منه .. وساعدهم على ذلك أنهم مكنوا بوساطة الغربيين من استعمال أجهزة الدعاية والاعلام فأخذوا يعيدون ويزيدون ويكررون هذه المعاني ، ويحاولون أن يأتوا بقانون من هذه الدولة أو تلك ـ وفي الوقت نفسه يواجهون من يطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية باتهامات شتى مثل الرجعية والتأخر ومصادرة الحريات وما إلى ذلك ـ مع أن النظرة الخاطفة ترينا أن المدنية الحديثة هي التي صادرت الحريات وأهدرت كرامة الانسان ، ولاقى الانسان تحت لوائها ما لاقى من متاعب وأهوال .. ثم هل معنى أن الشيء قديم أنه غير صالح ؟ وهل الرجوع إلى الوراء كله سوء ؟ فلماذا يرجعون إلى الآداب الاغريقية

وإلى القوانين الرومانية ليستمدوا منها الكثير في آدابهم وفي قوانينهم وتشريعاتهم مع أنها أسبق بكثير من الاسلام ؟

إن قوة الغرب المادية أعمت بصيرته عن أن ينظر بعين الانصاف فشقي هو بذلك ، وشقي الكثيرون معه من الذين يسيرون على نهجه .

هل الحدود الاسلامية قسوة ؟

من الذي شرع الحدود الاسلامية ؟ إن الذي شرع هذه الحدود هو الله سبحانه وتعالى خالق البشرية وهو أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم - **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ؟ أترى رب العزة يميل إلى القسوة على عباده أم أنه بهم رؤوف رحيم ؟ يحدثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بامرأة من السبى قد وجدت صبيا في السبى فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترى هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله وهي تقدر على ألا تطرحه فقال عليه الصلاة والسلام : الله أرحم بعباده من هذه بولدها » البخاري ومسلم .

والناس في الزمن الحاضر - وفي كل زمن - ينظرون نظرة جزئية إلى مصلحة خاصة أو مصلحة عامة في فترة زمنية محدودة - ولو أنهم نظروا إلى مصلحة الفرد على المدى الطويل وعلى مستوى المجتمع كله أو على مستوى الجماعات والأمم لغيروا .. ولكن الانسان بطبيعة تكوينه قاصر عن أن يحيط بكل الزوايا التي تفيد المجتمع والفرد - وخالق البشر هو وحده الذي يحيط بكل ذلك - وهو المنزه عن كل نقص أو قصور - كما أنه المنزه عن أن يكون له غرض خاص او مصلحة خاصة ..

ومع هذا ، فان المجرم في المجتمعات التي لا تطبق شرع الله ينال عقوبات أقسى مما يناله في ظل الحدود الاسلامية - إذ أن المجتمع يقف أمام المعتدي محاولا أن يمنعه من جريمته - وبالتالي فان المجرم يستخدم ذكاءه - ويستخدم القوة في صورة أقسى ضد المجتمع فينال المجرم من صراعه مع المجتمع أضعاف العقوبة الالهية - ويلاقي المجتمع الذي لم يسر على منهج الله تعالى ألوانا من المتاعب الجسمية والنفسية إلى جانب اعداد من الضحايا وفقدان الأمن والاطمئنان .

ومن يبحث في أحوال المجتمعات الانسانية المعاصرة ويرى ما تطبقه من أدوات وأجهزة ووسائل وما تستخدمه من فلسفات ومناهج وأساليب تقف من ورائها مؤسسات ضخمة بعضها علمي وبعضها تربوي وبعضها فني - إلى جانب ما تضع السياسة العامة لهذه المجتمعات من مؤسسات بعضها سياسي وبعضها تشريعي وبعضها تنفيذي وبعضها قضائي - ثم يرى ما تعانيه هذه المجتمعات مع هذا كله من فقدان للأمن يصاب بخيبة أمل .

نعم ، إن المجتمعات الحديثة تعاني ما تعاني من اضطرابات اجتماعية - وعدم وجود أمن واستقرار فيها - ومن ينظر إلى ألوان الجرائم التي تنتشر هنا وهناك

بصورة مخيفة يجد الجرائم بكل صورها - بكل عنفها - بكل ما فيها من حنق على المجتمعات - ويتمثل هذا في عصابات السرقة والسطو والسلب بالاكراه والاغتصاب بالقوة ، ثم إلى الاختطاف والتهديد والاغتيالات الفردية والجماعية - وهذه العصابات تتسلح تسلحا قويا ، وتخطط وتنفذ في تحد لكل أجهزة الدولة الأمنية - بل والشرطة العالمية في كثير من الأحيان .

وإلى جانب هذا جرائم اخرى هي في نظر القوانين الوضعية محققة ولكن آثارها في المجتمعات كبير من ذلك السكر وما يقترف بسببه أحيانا تحت شعاره - واصبحت كل أجهزة الأمن الحديثة قاصرة عن تحقيق الأمن لمواطنيها .

والحدود الاسلامية حينما تصبح تشريعا نافذا يلتزم به الأفراد ويطبقه المجتمع ويصبح معلوما للناس جميعا أنه من قتل يقتل وأن من سرق يقطع وهكذا ، فان كل شيء سيسير على النظام الذي يحقق الأمن والاستقرار - هذا إلى جانب التربية الاسلامية التي تقوي الضمير وتربط الفرد بالله تعالى على امتداد الأزمان والأماكن ، فالتربية والتشريع الحدودي يرسمان للمجتمع الاسلامي الأمن والهدوء والاستقرار - وذلك أعز ما في هذه الحياة .

فالأمن أهم شيء في هذه الحياة ، ولا يحس به أو بأهميته وبقيمته إلا من افتقده في هذه الحياة .

والعصر الحديث يتميز بافتقاد الأمن ، وهذا ما دعا إلى إنشاء لجنة في باريس لدراسة العنف برئاسة وزير العدل بيريفيت ، وقد جاء في هذه الدراسة ما يأتي : العنف الناتج عن الشعور بعدم الأمان الذي ساد في الفترة الأخيرة هو العنف الاجرامي والاقتصادي - العمل - الرياضة - الحروب - الارهاب السياسي - وسبب أعمال العنف : الضغط السكاني ، والمعدل الكبير للحياة المعاصرة وإغراء المال - وعدم وجود القيم - وقد ظهر أن ٦٩٪ من العينات لا يلجأون إلى الشرطة لحل مشكلاتهم لأنهم لا يثقون في إمكاناتها ، وأن ٢٠٪ من أفراد العينة تدرب على الكاراتيه والجودو ليدافعوا عن أنفسهم ، وأن ١٢٪ أحكموا إغلاق أبوابهم ، وأن ٦٠٪ يملكون أسلحة مرخصة للدفاع عن أنفسهم - وظهر أن بعض الناس يطلقون النار على بعض الأشخاص لمجرد قيامهم ببعض الضوضاء وذلك بسبب الضيق والتوتر والقلق .

ويستمر التقرير قائلا : والعنف أخذ في النمو بمعدلات متقاربة في جميع الدول الصناعية ما عدا اليابان - وقد ظهر أن ٢٥٪ تواتيهم الرغبة في ضرب إنسان أي إنسان مرة على الأقل كل أسبوع .. وأن نصف سكان باريس اعترفوا بأنهم يتعاركون بشكل مستمر مع أحد أفراد العائلة - وقد سجل عام ١٩٧٦ أن ٣٥,٤٠٠ جهاز تلفزيون تم تحطيمها وأن ١١٥١ جهازا قد سرقت - وأن نسبة الانتحار تأتي في المرتبة الثانية بعد الوفاة الناتجة عن الحوادث - وتعاطي الخمور والادمان يماثلان الانتحار - وهناك احصاءات تستحق الدراسة الدقيقة لرسم العلاج فقد جاء في هذه الدراسة تحت عنوان : المجتمع الفرنسي يخشى شبابه انه في

عام ١٩٧٥ سجل أن ٨٦٪ من مقترفي الجرائم وبخاصة جرائم السطو والسرقة باستخدام الأسلحة من الشباب أقل من ٣٠ عاما . وأن ٦٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن ٢٥ عاما وأن ٢٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن ٢٠ عاما وقالت الدراسة ان عدم العدالة ظاهرة منتشرة وتمتد إلى مجالات الثقافة والبيئة والفراغ - وتوجد علاقة مباشرة بين عدم العدالة والعنف - وقد يكون تعبيرا عن عدم الرضا عن الظلم ومحاولة لتحقيق العدالة .

الغش الضريبي وتهرب الأثرياء القادرين من دفع التزاماتهم الضريبية مما ينتج عنه عدم المساواة وينعكس هذا على النفوس - وقد ظهر من هذا التقرير أن ١ من ٢ ممن يرتكبون جرائم القتل يقبض عليه - وأن ١ من ٤ ممن يرتكبون جرائم السرقة يقبض عليه وأن ١ من ٦ ممن يرتكبون جرائم السطو يقبض عليه - كما ظهر أن ٧١٪ من السكان يرون أن العدالة تسير بشكل سيء - وظهر أيضا من نتائج هذه الدراسة - أن ظهور حالات العنف داخل الكثافة السكانية تسبب نوعين من رد الفعل أحدهما سلبي يتمثل في الخوف والتوتر النفسي عند المواطنين والآخر إيجابي يتمثل في مقابلة العنف بالعنف - كما ظهر أن نسبة الجرائم عام ٧٦/ ٧٧ كانت على النظام الآتي :

- من تقل اعمارهم عن ١٣ سنة ٦٪
- من ١٣ - ١٤ سنة ٤,٩٠٪
- من ١٤ - ١٥ سنة ٩,٩٠٪
- من ١٥ - ١٦ سنة ١٥,٥٠٪
- من ١٦ - ١٧ سنة ٢٥٪
- من ١٧ - ١٨ سنة ٣٨,٧٪

على أن العجب العجاب يظهر في التوصيات التي أوصت بها اللجنة المسؤولين والتي تتلخص في العناية بالهوايات وفي تنظيم العطلات المدرسية بحيث تؤدي إلى امتصاص الفراغ - وفي الاهتمام بتكوين المعلم وفي الحماية القضائية للشباب الذي ارتكب الجرائم وفي إقامة روابط بين الشباب والمؤسسات التي تخدمهم ، وفي العناية برسالة التلفزيون ..

أو ليس من العجيب أن تكون كل هذه هي كل التوصيات التي توقف هذه الجرائم ؟ أين أسلوب التربية التكويني ؟ وأين الاسلوب العلاجي الذي يقف أمام هذه التيارات ؟ إنه أسلوب قاصر لن ينجح في إصلاح ما فسد ؟ وهذا نوع من الجرائم فأين أنواع الجرائم الأخرى ؟ لكن الاسلام له أسلوب في التربية وأسلوب في العلاج .

الأسلوب الاسلامي في التربية :

والاسلام - لأنه من الله سبحانه وتعالى - يتوخى في تشريعاته مواءمة الفطرة

الانسانية ـ وقد اتخذ لذلك أسلوبين يسيران جنبا إلى جنب حتى يتحقق بذلك الأمن للفرد والمجتمع .

الأسلوب الأول : **تكويني** : وهو مهمة التربية الاسلامية ـ وهو عبارة عن بناء الفرد المسلم من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية وربطه بالله سبحانه وتعالى فيقوى بذلك ضميره على محاسبته نفسه ومراقبته لله تعالى ، ثم في رسم الطريق الذي ينهجه وفي سلوكه الذي يسير عليه في هذه الحياة ، وبذلك يستنفد طاقاته في مسالك سليمة لا يضل من يلتزمها ـ وتعود بذلك الفائدة على الفرد وعلى المجتمع في وقت واحد .

ثم إن الاسلام يقوم على أساس متين من العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي الكامل بين أفراد المجتمع الاسلامي على نحو يتيح لكل فرد أن ينال حقه كاملا في الحياة الانسانية التي تليق بالبشر سواء أكان ذلك من الناحية الاقتصادية أم من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

والتكافل في الاسلام يفرض منذ البداية أن يقوم كل إنسان بواجبه أولا فاذا ما تمت هذه الخطوة فليس هناك من يحتاج إلى المطالبة لحق لأن في أداء الواجبات من الأفراد ومن المجتمع اتياناً للحقوق ـ حقوق كل فرد ـ فلا يجد نفسه في حاجة لأن يطلب شيئا ـ فاذا لم ينل حقوقه أمكنه أن يطالب بها وسيجد آذانا صاغية وأعذارا واضحة تبين له سبب عدم حصوله على حقوقه .

وإذا ما غابت العدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعي لسبب أو لآخر فانحرف بعض الأفراد في هذه الظروف الطارئة استتبعها إعادة النظر إلى المواقف في ضوء الوضع القائم .

والأسلوب الثاني : **علاجي** : ويظهر في مواجهة ما يبدو من شذوذ خارج عن الفطرة أو انحراف طارىء على استقامتها ـ وذلك يظهر حين يكون هناك خلل في بناء الفرد أو نتيجة لعوامل أتاح لها ضعف الانسان تأثيرا وقتيا لا يلبث أن ينتهي متى ووجه بما وضعه الله تعالى خالق الانسان من طرق العلاج التي تبدو قاسية ـ وإن كانت في حقيقة الأمر هي الرحمة بعينها .

والحدود الاسلامية لابد وأن تدخل ميدان التربية الاسلامية حتى تصبح جزءا أساسيا في تكوين أفكار الناشئة وفي ضمائرهم وتنفعل بها وجداناتهم ـ وهذا كله يحقق معنى التقوى التي يطلبها الاسلام من كل فرد من افراد المجتمع الاسلامي ـ والتقوى معناها ان يفعل المسلم كل ما يأمره الله به وان يجتنب كل ما نهاه عنه ـ ومعنى هذا أن يستجيب ضمير المسلم للخير والحق والعدل ـ وهذا أعظم ركيزة في المجتمع الاسلامي لأن المسلم يسير على النهج السليم الذي يقربه من معاني القوة والفضيلة ويبعده عن الانحراف واقتراف الآثام التي تحدث الخلل في المجتمع .

والحدود وحدها لا تنشىء مجتمعا آمنا سليما ـ ولا تبعث في النفوس الهدوء والاطمئنان وإنما دورها الاسهام في المحافظة على أمنه واستقراره اللذين قاما أصلا نتيجة لبنائه على أصول الاسلام ومبادئه .

وليس من المعقول أن يؤتي بالحدود الاسلامية لاقامتها في مجتمع لا يسير على نظام الاسلام .. ولا يعني فيه بالتربية الاسلامية ، ولا يحقق في النفوس التقوى ، ولا يقوي الضمير ، ولا يربطه بالله تعالى إنه إذن الخلل بعينه ـ الخلل الذي يظهر الحدود الاسلامية بمظهر القسوة على المنحرفين ـ لأن الانحراف بكل ألوانه منتشر في المجتمع ـ ومن هنا تزداد المخاوف وتظهر آثار ما يقولون .. ولكن الحدود الاسلامية في ظل المجتمع الاسلامي الذي يقوم على أسس التربية الاسلامية الذي يطبق تعاليم الاسلام مفيد إفادة هائلة في إيقاف الانحراف ، وفي ضمان الأمن للفرد والمجتمع .

والحدود الاسلامية هدفها حماية مقومات الوجود الانساني ، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال والأديان السماوية تلتقي حول تقديس هذه المقومات ـ ذلك لأن الدين هو غاية هذه الحياة وهو الذي يجعل الانسان يحقق خلافة الله في الأرض ـ فيعمرها وينشر العدالة والأمن فيها ـ كما أن النفس بها قوام الوجود ـ وبغيرها لا يكون هناك حياة ، وبالتالي لا يستطيع الانسان أن يحقق رسالته في هذا الكون ، والعقل لأن به قوام إنسانية الانسان الكامل ـ وبغيره يصبح الانسان كالحيوانات ـ والذين لا يستطيعون أن يحققوا لأنفسهم ولا لمجتمعهم شيئا يقوم على التفكير والفهم والبناء ـ والعرض لأنه جماع ما يمدح به الانسان أو يذم ـ وهو مناط الكرامة والاحترام بين الناس ـ والمال لأنه قوام الحياة في بعدها المادي القائم على إشباع حاجات الجسد ـ ثم إنه أداة لتطهير الروح وتزكية النفس .. وإذا أمن الفرد في المجتمع على هذه الأشياء كلها فقد استراح قلبه ، وهدأت نفسه واطمأنت روحه وبالتالي أصبح المجتمع كله مجتمع أمن وسلام واطمئنان .

ولهذا كله كانت الحدود الاسلامية حقا لله عز وجل لا يجوز للحاكم أن يتنازل عنها حتى ولو تنازل المجني عليه عن حقه ـ ومن هنا ، فان المجرم يعرف أن أحدا لن ينفعه في منع توقيع الحد عليه ولا يساومه على ذلك ـ وبذلك يحدث توازن نفسي بين الدوافع للجريمة ، والموانع التي تقف أمامها وسيبقى بعد ذلك الشرير الشاذ الذي لا يبالي بالمجتمع ، ولا يفكر في عاقبة عمله ـ وهذا الصنف هو الذي يتعامل الاسلام معه بالحدود .

الحدود تقيم التوازن بين الفرد والمجتمع :

يتحدث الدكتور الذهبي رحمه الله عن هذه الناحية فيقول : إن الحدود تقام على مبدأين : المبدأ النفسي والمبدأ الاجتماعي .

والمبدأ النفسي بحكم طبيعته مسرح لصراع مستمر بين دوافع الخير ونزعات الشر فيه ، وهو معرض لعوامل كثيرة قد تميل به إلى هذه الناحية أو تلك ، فاذا ما كان متوازنا ـ بأن تكون عوامل الخير فيه مسيطرة أو أن هناك عوامل مناهضة لعوامل الشر فيه ـ أمكنه أن يبتعد عن الانحراف ـ والحدود من العوامل التي تحقق هذا التوازن إلى جانب التربية السليمة ، والبيئة الصالحة ، والرغبة في ثواب الله ـ فعامل الرغبة وعامل الرهبة كلاهما يؤثر على النفس إيجابا أو سلبا في ناحيتين مختلفتين ـ فاذا ما هم مسلم بشرب الخمر مثلا فتماثل له ما أعده الله للمتقين فينشط الوازع النفسي فيه فيكف عن شرب الخمر ، فاذا لم يفد هذا فعامل الرهبة يؤدي الى نفس النتيجة من طريق آخر وهو الخوف من عقاب الله في الآخرة ، أو من عقاب المجتمع في الدنيا ـ فهو يوازن بين ما ينال من لذة شرب الخمر وما يصيبه من عقاب بالحد عليه وسوف يصرفه ذلك عن شربها ـ وهذا يثمر اذا كان العقاب رادعا يزيد عن اللذة الوقتية والا توافرت الجرأة على الاقتراف ـ وفي مجال الترغيب بالثواب ، يقول الله تعالى : (**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**) الكهف/١٠٧ وفي الترهيب بالعقاب يقول الله تعالى : (**فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون**) الماعون ٤/٥ ، ولا يغني واحد منهما عن الآخر ـ ومن هنا كان اهتمام القرآن في مزجه وربطه الوثيق بين عنصري الترغيب والترهيب في كل الأحوال أمرا أو نهيا ـ ولأن المزج يتيح للنفس من عوامل التوازن والسيطرة على بواعثها ودوافعها ما تتمكن به من شحذ إرادتها في مجال الاختيار والترجيح ـ ذلك لأن الدوافع التي تحرك لارتكاب الذنوب الموجبة للحد هي دوافع بالغة المدى من حيث تأثيرها في الغرائز والميول الفطرية الأولى التي جاء الدين وكل المقومات الفطرية لتهيئتها في الانسان ـ ودور الحدود دور بنائي يسهم في تكوين الفرد وتنشئته من جهة ، ودور وقائي يمنع الكثرة الغالبة من الأفراد على جرائم الحدود من جهة أخرى .

والمبدأ الثاني هو المبدأ الاجتماعي فالحدود حق الله ـ ومعنى ذلك أنه لا يجوز للمتخاصمين إسقاطه بالعفو أو التراخي ـ والى جانب هذا فللحد قدسيته وهيبته حين جعله الله تعالى حقا له ـ وجعل العدوان عليه عدوانا على حمى الله ، كما جعل تعظيمه تعظيما لأمر إلهي (**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**) الحج/٣٠ هذه القدسية « حق الله » متى استقرت في نفس مؤمنة كانت حاجزا قويا يحول بين صاحبه وبين الاقتراب منها ـ ثم إن العدوان الذي وقع وهو موجب لحد من الحدود هو عدوان على الجماعة كلها ـ وهذا واضح في قوله تعالى : (**من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة/٣٢ ، ولعل ما يحدث الآن في المجتمعات الغربية من اجتراء على القتل يشرح لنا هذه الآية شرحا يبين لنا أبعادها والخطورة التي تترتب على الاجتراء على القتل .

والخطاب في آيات الحدود موجه للجماعة وهذا يوضح واجبها في إقامة الحد والمحافظة على ذلك فهي ليست منازعات شخصية ، وليست حقوقا شخصية خاصة ، إنها حق المجتمع ، إنها حدود الله التي يجب على المجتمع الاسلامي إقامتها .

إن الحدود الاسلامية هدفها حماية مقومات الوجود الانساني وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال ـ وفي حماية الدين أوجب الله تعالى حد الردة ، وفي حماية النفس أوجب حد القصاص ، وفي حماية العقل أوجب حد الخمر ، وفي حماية العرض أوجب حد الزنا وحد القذف ، وفي حماية المال اوجب حد السرقة والحرابة .

حد الردة :

الاسلام يعطي الحرية الكاملة لأي إنسان في أن يعتنق الاسلام أو لا يعتنقه ، وقالها الاسلام صريحة : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) البقرة/ ٢٥٦ ـ ولكن الانسان إذا دخل الاسلام فليس من حقه أن يرجع بعد ذلك لأنه قد التزم بدخول الاسلام بالتزامات أمام الله تعالى وأمام المجتمع الذي يعيش فيه وفي العصر الحديث الانسان الذي يلتزم ويخل بالتزاماته أمام الدولة له عقوبات قد تصل إلى الاعدام وفي الدول الملحدة المعاصرة يعتبر أن من يعود إلى دين كان عليه قبل ذلك بل أن يترك الحزب فقط خائنا للحزب رافضا لفلسفته وينال ألوانا من التعذيب وتوقع عليه عقوبات قد تصل إلى الاعدام ومع ذلك فان هذه الدول تنكر على مجتمع مؤمن يريد أن يؤمن حقه في حماية نفسه من عبث العابثين المتلاعبين وخطر الخارجين عليه ـ هذا من زاوية ـ ومن زاوية أخرى فالمرتد قد قام بجريمة أخرى هي الاستهزاء بدين الدولة والاستخفاف بعقيدة أهلها ، ورسم طريق الجرأة لغيره من المنافقين ليظهروا نفاقهم ويشككوا الضعاف في عقيدتهم وهذه كلها جرائم .

وقد قص علينا القرآن الكريم من مواقف أهل الكتاب ما يؤكد هذه المعاني (**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**) آل عمران/ ٧٢ .

وحد الردة يغلق الباب أمام من يريد إفساد الاسلام من داخله أو التجسس عليه ، وقد عانى الاسلام كثيرا ممن أخفوا الكفر وأظهروا الايمان .

حد القتل :

عقوبة الاعدام من أقدم العقوبات ـ ومنذ القرن الثامن عشر ـ بدأ بعض الكتاب

يعترض عليها ويطالب بالغائها - ثم تراجعت حركة الالغاء في بعض الدول تحت تأثير العوامل السياسية ونظم الحكم الداخلية والاعتبارات المحلية - ولا يزال كثير من التشريعات يقرر عقوبة الاعدام مثل التشريع الفرنسي والتشريع السوفييتي - وهناك تشريعات ألغت عقوبة الاعدام مثل التشريع النرويجي والسويدي والنمساوي والدانمركي ولكن كثيرا من التشريعات التي الغت عقوبة الاعدام عادت فقررتها حينما شعرت بالحاجة إليها - ومن ذلك التشريع الايطالي الذي ألغاها عام ١٩٣٠ ثم عاد إلى اقرارها مرة أخرى عام ١٩٤٧ ، والتشريع السوفييتي الذي ألغاها عام ١٩٤٧ ثم عاد إلى إقرارها عام ١٩٥٨ في قانون العقوبات الاتحادي .

وهكذا تضطر التشريعات البشرية إلى التغيير - لأن نظرتها قاصرة ولأنها تتأثر بأوضاع المجتمع المختلفة على عكس التشريع الالهي - وإذا كان الأعدام كما يرى بعض المتحضرين وهو يوقع على مجرم يتسم بالقسوة والبشاعة ، فان الاعتداء على المجني عليه وهوشخص برىء يكون اشد قسوة واكثر بشاعة .

والاسلام يبين السبب في صورة واضحة بقوله : (**ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب**) البقرة/ ١٧٩ . ويبين فرض حد القصاص في قوله : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**) البقرة/ ١٧٨ ..

والقرآن الكريم يعتبر القتل جريمة كبرى ويتوعد فاعله بأشد ألوان العذاب والعقاب فيقول : (**من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**) المائدة/ ٣٢ ، كما بين أن قتل النفس جريمة كبرى جزاؤها جهنم عند الله (**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**) النساء/ ٩٣ .

والرجل الذي يريد ان يقتل - حين يعلم أن جزاءه القتل - فانه سيتردد مرة ومرات قبل أن يقدم على جريمته .. والقرآن نص على أن القصاص فيه حياة للناس لـ (أنهم كانوا يعقلون هذه المعاني ، ولكن القاتل إذا علم أنه سيعاقب بعقوبة أقل فانه سيندفع الى ارتكاب الجريمة باصرار وعنف أكبر حتى ولو كانت العقوبة هي السجن المؤبد - وقد أصبح من الأقوال المأثورة في بعض البلاد الاسلامية « **سأقتلك وأروح فيك مؤبد** » أي أن هذه العقوبة هينة وهو مستعد لأن يتحملها .

وفي بعض البلاد الاسلامية التي لا تطبق القانون الالهي نجد أن أهالي القتيل يتولون الأخذ بالثأر عندما يجدون أن العدالة لم تقتص لهم ، وإعتقادا منهم بأن الأحكام التي وردت في القوانين الوضعية لا تشفي غليلهم - ويستمر الثأر من هذه الأسرة ومن تلك - وتحدث مجازر يتولى الجيش أحيانا الوقوف بين الفريقين المتنازعين لوضع حد لهذه الأمور ، وقد يدخل معهم في معركة يقتل فيها العديد من

جميع الأطراف .

ولكن القصاص في الاسلام يحقق العدالة بين الناس ـ كما يحقق الأمن للفرد والمجتمع الى جانب الراحة النفسية ـ والرسول الكريم يبين لنا رأي الاسلام في قتل فرد واحد بدون حق وذلك حين يقول : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » رواه مسلم ـ بل إن تخويف المسلم حرام يقول الرسول الكريم :« لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » رواه الطبراني .

والقتل من الحدود الاسلامية التي راعى الاسلام فيها حق الله وحق ولي الدم ، وقد رجح الاسلام جانب مصلحة ولي الدم على جانب مصلحة المجتمع ، ولهذا فقد أعطى الاسلام ولي الدم حق توقيع العقوبة أو العفو عنها ـ وفي هذه الحالة يجوز للقاضي التعزير ـ ويكون لأولياء الدم الدية ـ والتشريعات الحديثة تعتبر القتل حقا للمجتمع ، مع أنه أساسا يقع على المجني عليه وعلى أهله ـ وتمكينهم من القصاص أو العفو يطفىء غلتهم ويريح أنفسهم .

حد الخمر :

الاسلام يحترم عقل الانسان الذي يتميز به على سائر مخلوقات الله ، وبوساطته يحقق رسالته في هذه الحياة ، والمسلم ليس حرا في نفسه يفعل بها ما يشاء لأنه ليس ملكا لنفسه ـ بل هو ملك للرسالة التي يؤديها في عمارة الكون باعتباره خليفة لله في الأرض ، على عكس المجتمعات البشرية التي ترى أن الانسان حر في نفسه يفعل بها ما يشاء ، ومن هنا فقد حرم الاسلام على المسلم استعمال كل ما يغيب العقل من شراب مسكر أو مخدرات أو غير ذلك حتى يحتفظ بهذه النعمة الكبرى ـ ومن زاوية اخرى فان الانسان إذا غاب عقله ارتكب اشياء تعود بالضرر على الفرد وعلى الأسرة ثم على المجتمع كله ـ ولو تصورنا شعبا من السكارى لأدركنا ما يكون عليه حال هذا الشعب من فقد الأمن والسعادة والطمأنينة ـ إلى جانب الاصابة بالجنون والأمراض العصبية والنفسية والجسمية .

وكثير من الدول ادرك هذه الخطورة ، وقامت محاولات شتى لمنع هذا الشراب أو الاقلال من استخدامه ولكن دون جدوى .

وأمريكا قامت في هذا المجال بتجربة تتلخص في أنها شرعت قانونا يحرم الخمر عام ١٩٣٠ ـ بعد دعاية واسعة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام مدعومة بالاحصاءات الدقيقة والبحوث العلمية والطبيعية ـ واشترك في هذه الحملة كثير من الخبراء في جميع المجالات الصحية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية وأنفق على الدعاية ٦٥ مليونا من الدولارات ـ وقتل في سبيل تنفيذ القانون حتى عام ١٩٣٣ مائتا شخص وبلغت الغرامات التي جمعت من المخالفين مليونين من الدولارات ، كما صودرت ـ أموال ـ بسبب المخالفات ـ تقدر بستمائة مليون

دولار ، ومع هذا كله فقد فشلت الولايات المتحدة في تنفيذ هذا القانون فشلا ذريعا الأمر الذي جعلها تقوم بالغائه في أواخر عام ١٩٣٣ .

ولكن التجربة الاسلامية نجحت نجاحا رائعا بدون إراقة دماء أو حبس للشاربين أو تحصيل غرامات ذلك لأنها بدأت بتقوية الوازع الديني عند الفرد وعند المجتمع ، فأصبح للضمير سلطان كبير على النفوس ، وهم يريدون إرضاء ربهم ولذلك فحين نزلت الآية الكريمة (**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**) المائدة/ ٩٠ ، ٩١ كان جواب المؤمنين على هذه الآية الكريمة : انتهينا ربنا انتهينا ربنا ، ولم يكن الكلام باللسان بل إنهم أراقوا زجاجات الخمر امتثالا لأمر الله ـ وكان الواحد منهم إذا كان الكأس في يده وقد شرب بعضها نزع الكأس من فيه وأفرغها على الأرض .

وبعد ذلك يأتي الحد للمنحرفين حتى يحميهم من انحرافهم وحتى يحمي المجتمع أيضا من انتشار هذه الظاهرة الخطيرة على الفرد والمجتمع وفي الحديث الشريف « من شرب خمرا فاجلدوه فان عاد فاجلدوه » .

ولكي يسد الاسلام هذا الباب نهائيا فانه لم يحرم شرب الخمر فقط ، بل إنه حرم كل ما يتصل به من بيع أو شراء أو صناعة أو غير ذلك ، ولذلك فقد لعن النبي صلوات الله وسلامه عليه في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها ـ والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له) الترمذي وابن ماجة .

بل أكثر من هذا ، فقد حرم بيع العنب لمن يعرف أنه سيعصره خمرا ـ كما حرم مجالس الخمر وفي ذلك روى عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر) رواه احمد .

ولا تزال الاكتشافات الحديثة تظهر لنا أضرار تعاطي الخمر ، ومن ذلك أن استاذا فرنسيا حاضر طلبة كلية طب الدار البيضاء بالمغرب عن مرض تشمع الكبد ، وهو مرض خطير يعتبر الخمر من أسبابه القوية وكان مما قاله : « إنكم أيها المسلمون سعداء الحظ لنهي دينكم عن شرب الخمر ، بينما أصبح شربها في بلدي مأساة وطنية تتكلف الدولة نحوها مليارات الفرنكات سنويا لمعالجة عواقبها الوخيمة من صحية واجتماعية واقتصادية ، وليكن مسك الختام أن اقول لكم ابتعدوا عنها ما استطعتم » وقد أوردت الوزارة الامريكية تقريرا اقتصاديا يشير إلى أن تناول الشعب الأمريكي للخمور يسبب خسائر باهظة للاقتصاد الأمريكي قيمتها ٧٦ بليون دولار سنويا بين خسائر مادية ونقص في الانتاج وقيمة علاج الأمراض التي تنتج عن تعاطي الخمور ، وأكد التقرير أن الخمور تسهم بشكل أو بآخر في الاصابة بالسرطان واضطراب وأمراض القلب ..

والعلم الحديث يبين لنا أن مضار الخمر تأتي من أنه عقب شربها مباشرة تمتصها الامعاء الدقيقة بسرعة كبيرة وترفعها إلى مستويات عالية بالدم في وقت قصير جدا ، وعن طريق الدم يتم توزيع مادة الكحول على جميع اجزاء الجسم بما فيها المخ والرئتين ، ويبقى الكحول بعد ذلك لمدة ثماني عشرة ساعة بعد شرب الخمر - وبذلك يتأثر جسم شارب الخمر وعقله دفعة واحدة في آن واحد .

فمن الناحية البدنية تتغير خلايا الجسم لتكيف نفسها مع الكحول ، وتصبح عاملة بأقل من طاقتها الطبيعية - كما يصاب الشارب بعسر الهضم وضعف الأعصاب وألمها وبخاصة أعصاب الساقين - والكبد يعاني من التغيرات الكثيرة ويبدأ به مرض التليف الكبدي الذي يؤدي الى الاغماء والموت ، ويصاب شارب الخمر بصداع قاس ودوار وغثيان وقيء ، وتتأثر الأذن الوسطى فيفقد الجسم اتزانه ثم يعتاد شرب الخمر فتزداد الجرعات إلى أن يصل إلى فقد كامل للذاكرة ، وفي الصباح ينسى كل ما قاله او فعله - وقد ينتهي به الحال إلى أن يتلف عقله ويهمل نفسه وأسرته فلا يشعر بمسؤولياته الاجتماعية ثم يصبح غير خجل من أي فعل يرتكبه ، وهذه أعراض مرض التسمم الكحولي الذي يعتبر أخطر ما يتعرض له شارب الخمر وهذه الأمراض غير مرتبطة بالانتظام فقد يصاب بها من يشربها لأول مرة في حياته ، ومرض التسمم الكحولي من الأمراض غير القابلة للشفاء ، وقد وصلت نسبة الاصابة بها في الولايات المتحدة الامريكية إلى ٤٪ من السكان وتليها فرنسا والسويد وسويسرا والدانمرك وكندا والنرويج وفنلندا واستراليا وانجلترا وايطاليا .

وشرب الخمر ينشر الفساد والاعتداء على الأموال والأنفس والأعراض ، ولم ينج من ذلك أمهات وأخوات المخمورين ، ولذلك فان الاسلام لا يرفع المسؤولية عن شارب الخمر عند ارتكابه لأية جريمة وهو تحت تأثير الخمر كما تفعل التشريعات الحديثة .

العرض :

أجمعت الأديان السماوية على تحريم الزنا لما فيه من الحط بكرامة الانسان وجعله كالبهائم ، مع أن بعض البهائم تأبى هذا السلوك ، وإلى جانب هذا انحلال الأسر ، وتفكك الروابط وانتشار الأمراض وطغيان الشهوات بين أفراد المجتمع ، وبالتالي إنهيار الأخلاق وإختلاط الأنساب ، ومن هنا فقد حرم الاسلام الزنا ، بل لقد حرم كل المقدمات التي توصل إليه (**ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا**) الاسراء/٣٢ - والاسلام يعني بنظافة المجتمع وطهارته وسلامة الأعراض والأخلاق ، فاذا كانت هذه الأمور مطلوبة فالوسائل التي توصل إليها مطلوبة - ولو ترك الاسلام ذلك فان إنتشار هذا الانحراف قد يؤثر في المجتمع الاسلامي في رؤية المنكرات فتبعده عن الحمية الدينية والعصبية الاسلامية وفي

هذا خطورة على المجتمع الاسلامي ، والفواحش هي السبب الأساسي للعدوى بالأمراض الزهرية وما ينتج عن ذلك من تعطيل للعمل وصرف للأموال في العلاج ، ثم عزوف الشباب والشابات عن الزواج وبناء الأسرة واستنفاد الطاقة التي خلقها الله في هدف واحد قريب وإهمال النواحي الأخرى .

ومن اهتمام الاسلام بالعرض أنه جعل عقوبة أدبية للزاني إلى جانب العقوبة المادية ، ذلك أنه حرم زواج الزاني أو الزانية من غير صنفهما فقال : (**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**) النور/٣ - وذلك لون من ألوان الحرمان من الحقوق الأدبية - فالنكاح سبب المودة والرحمة فكيف يكون الخبيث زوجا للطيب ؟ وكيف يمكن أن يكون أحدهما سكنا للآخر ؟ ومنه أيضا أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، وفي هذا إيلام لنفسيهما بعد إيلام جسميهما ، فضربهما أمام الناس يجعل العار أبلغ - وفي هذا شهادة عامة بين الناس جميعا بأنهما قد تجردا من إنسانيتهما فلا حق لهما في إعادة الاعتبار ، وشهادة مجموعة من الناس للحد ضروري لتحقيق أثره وغايته في الزجر - وقد شددت العقوبة على الزاني المحصن ذلك لأن الاحصان يصرف الشخص عادة عن التفكير في الزنا فاذا ما فكر فيه بعد ذلك فانما يدل تفكيره فيه على قوة اشتهائه للذة المحرمة ، فوجب أن تكون العقوبة فيها من قوة العذاب ما يجعل الانسان إذا ما فكر في اللذة المحرمة وذكر معها العقوبة المقررة تغلب التفكير في العقوبة على التفكير في اللذة المحرمة .

والقذف كما يرى الاسلام هدم معنوي للمسلم الذي يوجه إليه - والألم الذي يصيب المقذوف من جرائه ألم نفسي بالغ الأثر ، والقذف عادة تضعف لديه الضوابط الخلقية التي تجعله يقف عند حدوده والعقاب البدني الذي قرره الاسلام وقتي لا تلبث آثاره أن تزول بينما آثار القذف النفسية مستمرة لفترات طويلة ، ولهذا تضمن حد القذف عنصرا يمثل الايلام النفسي ، ويصم القاذف وصمة أخلاقية باقية تطارده في المجتمع الاسلامي إلى أن يتوب ، ويتجلى هذا في إهدار أهليته للشهادة في أي وقت فهو وصف غير مباشر بأنه كذاب .. ولا تعاقب الشريعة على القذف إلا إذا كان محض إختلاق ، فان كان تقريرا للواقع فلا جريمة ، كمن يقذف امرأة بالزنا وقد سبق أن وقعت عليها عقوبة الزنا أو كان معها ولد لا يعرف له أب .

السرقة :

الاسلام كفل لكل فرد من أفراد المجتمع ما يكفيه سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، وقد كفل عمر بن الخطاب لكل مولود ما يكفيه من بيت المال ، كما كفل لكل فرد غير قادر ما يحتاج إليه وأسرته وقد وجد عمر يهوديا ضريرا يسأل الناس ،

وحين سأله لماذا تفعل هذا ؟ قال اليهودي : الحاجة والجزية فأخذ عمر بيده وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين وقال : انظر هذا وضرباءه فأعط لهم ما يكفيهم ثم قال : ما أنصفنا هذا وضرباءه إن أخذنا شبيبته وتركناه عند الكبر ، وقد كتب عمر ابن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطاة عامله بالبصرة قائلا : (وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وزالت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه فقد بلغني أن عمر بن الخطاب مر بشيخ من أهل الذمة يسأل فقال له : ما أنصفناك إن أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك عند الكبر ، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ..

ومن هنا فان السارق بعد ذلك يعتبر خائنا ، والسارق الخائن لابد وأن يلقي جزاءه ، وجزاء اليد التي تخون قطعها كما قضى بذلك رب العزة ، والحد في الاسلام مقصود به الزجر والاصلاح واستقرار المجتمع والأمان ـ ولو أن علماء النفس في مجتمعاتنا المعاصرة قاموا بالدراسات الكاملة لنفسية الانسان وعقليته وصالح الجماعات لوجدوا أن الحدود هي أعدل العقوبات ، ومن الطرائف التي تروى في هذا الصدد : أن أبا العلاء المعري لفت نظره الفرق بين دية اليد والمبلغ الذي تقطع فيه فقال :

يـد بخمس مئـين عسجـد وديت ... مـا بالهـا قطعت في ربـع دينـار؟

فأجابه القاضي عبدالوهاب المالكي اجابة تدل على الفهم العميق لحكمة الاسلام :

عـز الأمانـة أغـلاهـا وأرخصـهـا ... ذل الخيانة فـافهم حكمة البـاري

على أن ظروف الجريمة قد تدعو للنظر في إقامة الحد ، وذلك إذا كان السارق مضطرا إلى السرقة ولذلك فان عمر بن الخطاب لم يقطع غلمان حاطب بن بلتعة الذين سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، إذ أن عمر أدرك علة الحكم وفهم حكمته وشروط تطبيقه ـ والقاعدة الفقهية المعروفة (الضرورات تبيح المحظورات) باقية ـ ولم يكتف عمر بعدم القطع بل قال يخاطب عبدالرحمن بن حاطب : والله لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لقطعت أيديهم وغرمه ضعف ثمن الناقة تأديبا له .

كما أن الظروف العامة إذا كانت غير كافية لاعطاء كل فرد من أفراد المجتمع كفايته فان هذا يدخل في الباب السابق ، ولذلك أوقف عمر حد السرقة في عام المجاعة لاضطرار الناس إلى ذلك .

والمجتمعات الحديثة المتحضرة لازالت تتخبط في تقنين العقوبة المناسبة للسرقة ، ذلك لأن التشريع البشري يتأثر بأشياء كثيرة ، أما التشريع الالهي فهو ثابت لا يتأثر بشيء ، وقد اضطر الاتحاد السوفييتي إلى تشديد عقوبة السرقة فقرر

إعدام السارق رميا بالرصاص ، وهي أقسى عقوبة ممكنة ، وقد ورد في الأهرام القاهرية عدد ١٤/٨/١٩٦٣ ان الاتحاد السوفييتي أعدم ثلاثة أشخاص رميا بالرصاص لاتهامهم بالسرقة .. ومع ذلك فلم يتهمه أحد بالقسوة أو الوحشية .
والسجون التي تستخدمها بعض الدول عقابا للسارقين أصبحت مدارس يتعلم فيها الصغار أنواع السرقة ، ويتبادل فيها الكبار خبراتهم في هذا الميدان ، وحتى الذين لم يدخلوا السجن بسبب هذه الجريمة فانهم يتعلمونها عن طريق اختلاطهم بأصحاب هذه المهنة .
وقطع يد السارق يعني تعطيل أداة رئيسية من أدوات الجريمة وتجريده من سلاح العدوان والمقاومة إذا أضيف إليه ما يحدث قطعها من تنبيه وتحذير .. ومعنى السرقة الأخذ عن طريق الاستخفاء والمال في حرز وقدره عشرة دراهم أو ربع دينار ـ وإذا كان السارق يريد زيادة الكسب عن طريق حرام ، فان قطع اليد لازمة لأنها ستمنعه من ذلك .

الحرابة :

الحرابة معناها الخروج على المارة لأخذ المال منهم مجاهرة بالقوة ، مما يؤدي إلى امتناع الناس عن المرور ، وانقطاع الطريق ، سواء ارتكب هذه الجريمة فرد أو جماعة بسلاح أو غيره ، ويسمى مرتكب هذه الجريمة بالمحارب وتسمى الجريمة بالحرابة .. والعقوبة المحددة أن يقتل الجاني أو يصلب إذا قتل وأخذ المال ، والقتل بلا صلب إذا قتل ولم يأخذ المال ، وقطع يد المحارب ورجله من خلاف اذا أخذ المال ولم يقتل ، والنفي من الأرض إذا خاف الطريق ولم يقتل ولم يأخذ مالا .. وهذه العقوبات مقررة في قوله تعالى : (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**) المائدة/٣٣ .

والحرابة إنما تكون من الشواذ الذين لا يبالون بالمجتمع ولا يفكرون في عاقبة ، وهؤلاء المنحرفون لا يستحقون الرحمة ، يروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله قدم عليه نفر من عكل فأسلموا واجتوروا المدينة فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها فأضحوا وارتدوا وقتلوا رعاءها واستاقوا الابل ، فبعث النبي في آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسبل أعينهم ثم لم يحبسهم حتى ماتوا .. ذلك لأنهم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ، ولذلك فقد فعل الرسول الكريم بهم ذلك بدون رحمة مع أن الله تعالى سماه الرؤوف الرحيم ، وهو حد يغلب فيه الطابع الاجتماعي لأنه يتصل بأمن الجماعة وهيبة سلطانها وسلطاتها الشرعية ، وأي تهاون أو تفريط يجر إلى عواقب لا تقف عند حد .

وفي عصرنا ، في الحجاز ـ كانت الدول ترسل مع رعاياها من الحجاج قوات مسلحة لرد الاعتداء عنهم من العصابات التي كانت تهاجمهم ، ومع ذلك فان هذه القوات لم تكن قادرة في كثير من الأحيان على المحافظة على الأمن ، مع أنها مشتركة مع القوات الحجازية ، وكان الحجاج أو الرعايا من الحجازيين يخطفون ويفتك بهم ـ إلى أن طبقت الحدود فساد الأمن ، بل وأصبح مضرب الأمثال في العالم كله وأصبحت الأموال تنتقل إلى السعودية من مصرف إلى مصرف دون حراسة ، وفي الدول الغربية تنتقل الأموال بسيارات مصفحة وحراسات ضخمة ومع ذلك فهي لا تسلم من الهجوم عليها وسرقة ما فيها وقتل الحراس .

ومن الأشياء التي تذكر في هذا الصدد في البلاد المتحضرة ما روته الصحافة عن (ولاس ويرت) رجل الأعمال الأمريكي الذي له نشاطات تجارية في جميع أنحاء العالم وهو لا يتحرك إلا ويحيط به رجال مسلحون لحمايته ويتبعه رجال الحرس الخاص به في كل مكان يذهب إليه ، وسائق سيارته يحمل سلاحا وقد تلقى تدريبا خاصا حول وسائل الدفاع المختلفة وكيفية المقاومة والمراوغة بالسيارة هربا من أي هجوم تتعرض له ، وعند سفر السيد /ويرت إلى الخارج يزداد عدد حراسه حيث يسبقه بعضهم إلى البلد الذي سيسافر إليه للتأكد ممن سيقومون بخدمته ، ومن المكان الذي سينزل فيه ، كما يقومون بوضع عدد من المدافع الرشاشة حول الفيللا ، ومما هو جدير بالذكر أن السيد /ويرت وزوجه وابنه يجيدون استعمال هذه المدافع فقد تلقوا تدريبا مكثفا عليها ، واسم ويرت ليس هو الاسم الحقيقي ، وهذه الاجراءات الأمنية رد فعل للتهديدات المتزايدة من بعض المنظمات الارهابية السياسية ضد رجال الأعمال الامريكيين ، ومما هو جدير بالذكر أن عدد رجال الأمن في المدن الامريكية يفوق عدد الارهابيين ، ومع ذلك فان خبراء مكافحة الارهاب في الولايات المتحدة يعتقدون بأن المؤسسات الامريكية معرضة لخطر المهاجمة بشكل دائم ومستمر في الخارج ، وبخاصة تعرض هذه الشركات أو المؤسسات أو فروعها في الخارج لعمليات خطف كبار المسؤولين فيها ، أو القيام بعمليات التخريب في المصانع والأجهزة .

وفي إيطاليا تطالعنا الأنباء دائما بأن رجال الأعمال قد أصبحوا هدفا لجماعات سياسية على درجة كبيرة من الاعداد والتنظيم ، وبالرغم من إجراءات الأمن المختلفة والمكثفة حيث يقوم جهاز خاص للمخابرات برصد وحصر المعلومات الخاصة بجماعات الارهاب السياسي ، بالاضافة إلى الاحتياطات الكثيرة الأخرى إلا أنه مع ذلك فان رجال الأعمال الآن في صراع كبير مع الارهاب السياسي .

وإذا ما انتقلنا مرة أخرى إلى الولايات المتحدة لنطالع الاحصاءات الواردة منها ، فاننا نجد أن ٢٩١ هجوما تعرض لها المواطنون هناك خلال الفترة من ١٩٦٨/١٩٧٦ ، وكانت ١٥٠ منها تتم باستعمال القنابل ، وقام الارهابيون باعتقال ١٢٢ امريكيا واختطاف ٦٤ ـ واجراءات الأمن هناك تعتبر سرية ..

ويذكر دكتور (روبرت كوبرمان) كبير العلماء في وكالة نزع السلاح بالولايات المتحدة وأحد خبراء مكافحة الارهاب الرئيسيين في واشنطون (أن أي مؤسسة متوسطة الحجم تحتاج إلى مليون دولار لانفاقها على الأبحاث والدراسات الخاصة بمكافحة الارهاب . وانه يجب الاهتمام بتعليم قائدي السيارات العاملين في المؤسسة طرق وسائل المناورة الدفاعية مع تدريب المسؤولين وشاغلي المناصب الكبرى في المؤسسة او الشركة على كيفية اكتشاف ما إذا كان هناك من يتبعهم ، أو يقتفي أثرهم مع ضرورة تغيير الطريقة والوسيلة التي يتبعونها عادة في سفرهم أو تنقلاتهم ـ واستخدام السيارات المصفحة التي لا ينفذ إليها الرصاص وارتداء الملابس الواقية من الرصاص .

ويلاحظ أن مؤسسة (ميامي واكت هت) مثلا تقدم خدمات خاصة مثل التأكد من الخدم الذين يعملون في خدمة رجال الأعمال الامريكيين بالخارج ـ ومراقبتهم ـ إلى تزويد رجال الأعمال بحرس خاص وتركيب آلات التنبيه والتحذير إلى المنازل والمصانع .

ومع ذلك كله فهل نجحت هذه الأساليب في منع الجرائم ؟ هناك الكثير من عمليات الخطف ـ وهناك التزايد السريع في عدد بوالص التأمين ضد الخطف التي تعقدها شركات التأمين .. ويشير الدكتور كوبرمان الى أن جماعات الارهاب في العالم قد نجحت في ابتزاز حوالي مائتي مليون دولار من شركات ومؤسسات متعددة الجنسية ويقول : إن عمليات الخطف تعود بالربح الوفير على جماعات الارهاب .

وقد تبين أن من كل مائة حالة خطف في ايطاليا وألمانيا قتل منها اثنتا عشرة ضحية خلال محاولات الشرطة إنقاذ هذه الضحايا .

وتشير الاحصاءات التي قامت بها مؤسسة (راند) إلى أن ثلاث ضحايا من كل مائة ضحية عمليات الخطف قد لقوا مصرعهم عمدا على أيدي مختطفيهم وأن ٨٥٪ من كل مائة ضحية قد تم إطلاق سراحهم بعد دفع الفدية في الغالب ، وقد لوحظ أن أهم عنصر في إنقاذ الضحايا كان هو القيام بعمليات التفاوض مع الجماعة الارهابية بطريقة ناجحة تضمن إنقاذ حياة الضحية ـ ففي أغلب الاحيان يتطلب تدبير مبلغ الفدية المطلوب وقتا يستغرق في عمليات التفاوض بين الجماعة الارهابية وأصحاب الشأن ـ فحياة الضحية تعتمد في الواقع على مدى نجاح هذه المفاوضات .

ماذا يريد الغرب :

تبين لنا من العرض السابق ما يلاقيه الغرب من المتاعب التي ترتب عليها فقد الأمن بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع إلى جانب الخسائر المادية والمعنوية التي

يفتقدها كل شعب من الشعوب الغربية . ولقد فشلت كل التشريعات التي أقامتها المجتمعات الغربية في بعث الأمن والاستقرار وفي تلافي الاضرار الناتجة عن عدم استعمال العقوبات المناسبة ..

يقولون إن الحدود الاسلامية عقوبات قاسية ، وفيها إيلام شديد لا يتناسب مع الجريمة مما يجعل هذه الحدود ظالمة .. يقولون هذا وهم يلاقون ما يلاقون من فشل في تأمين الافراد والمجتمعات في دولهم من زاوية ومن زاوية أخرى فهم يذيقون الافراد ألوانا من العقوبات لأشياء سياسية أو شخصية .

والاسلام الذي أقام الحدود حرم أن يضرب إنسان بغير حق وأن يجلد ظهره إلا في حد وأنذر باللعنة من ضرب إنسانا ظلما ومن شهده يضرب ولم يدفع عنه .

بل أكثر من هذا .. فقد حرم الاسلام الايذاء الادبي للانسان عن طريق اللمز والهمز والتنابز بالالقاب والسخرية والغيبة وسوء الظن بالناس يقول الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)** الحجرات/ ١١ . ثم كفل الاسلام للانسان الاحترام بعد مماته ـ ولذلك أمر بغسله وتكفينه ودفنه ـ والنهي عن كسر عظمه أو الأعتداء على جثته إلا لضرورة ـ وقد قام النبي عليه السلام حين رأى جنازة فقالوا : إنها ليهودي فقال عليه الصلاة والسلام : (أليست نفسا) رواه البخاري ـ كما حرم عرضه وسمعته بعد موته فقال عليه السلام : (لا تذكروا موتاكم الا بخير) رواه أبو داود .. بل أكثر من هذا فالاسلام يحترم كل ذى روح من غير بني الانسان والحديث الذي يتحدث عن المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فلا هي اطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض والحديث الشريف الذي يروى الناحية المقابلة عن رضا الله عز وجل عن رجل سقى كلبا حين رآه فعرف أنه يلهث من العطش فنزل البئر وملأ خفه وسقاه فغفر الله له بذلك ، ومن ذلك ما يروى من أن رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال عليه الصلاة والسلام : أتريد أن تميتها مرتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها) الطبراني ، وقد نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يتخذ شيء فيه الروح غرضا ونحن في البلاد المتمدينة نرى صراع الديكة والثيران وما إلى ذلك ..

وفي بني الانسان « نهى رسول الله عن الضرب في الوجه وعن الوشم في الوجه والكي تكريما للانسان » رواه مسلم وقد روى مسلم عن أبي مسعود الخدري رضي الله عنه قال : كنت أضرب غلاما لي بالسوط فسمعت صوتا من خلفي : أعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت يارسول الله : هو حر لوجه الله تعالى فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار » فاذا

كانت الرحمة تصل إلى هذه الدرجة لغير بني الانسان وللانسان فكيف يتهم الاسلام بالقسوة في حدوده .

إن الحد في الاسلام يقام مرة ليحمي المجتمع من فقد الأمن ومن القسوة التي يلقاها أفراد المجتمع بين أفراده وجماعاته من انتشار الفوضى على ما نرى في المجتمعات الغربية في العصر الحديث ، ومن هنا فقد حرص الاسلام على تمكين الاثر المترتب عليه سواء من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

وقانون العقوبات حين يوضع إنما يقصد به أن يكون جزاء على عمل الشر والافساد فلابد وأن تكون العقوبة رادعة ـ ولو قرن الغربيون هذه العقوبة وتأثيرها ـ بالجريمة وآثارها ـ لو استحضروا فعل السارق وهو يسير ليلا ويشهر السلاح ويروع الآمنين في بيوتهم ـ لو أنهم نظروا إلى هذه الأشياء وقارنوها بقطع يد السارق الآثمة لغيروا رأيهم ـ ولعلموا أن هذا هو الجزاء العادل .

ويتهم الغربيون الحدود الاسلامية بأنها لا تراعى أحوال المجرم النفسية ـ وأن المجرم مريض يحتاج إلى علاج لا إلى عقوبة ـ وهذا كلام ليس له ضابط وليس من السهل تحديده وقد جربوا ألوانا من العلاج الذي يقولون به فلم يفدهم ذلك شيئا وازدادت الجرائم ولا تزال تزداد في كل مجتمع من المجتمعات المتحضرة ـ والاسلام يرى أن هذه الأشياء لا تصلح مبررا لارتكاب الجريمة ، ولا يصح أن يفلت المجرم من العقاب ـ والحدود الاسلامية هي علاج حقيقي للمنحرف ـ حقيقة إنه عقاب قاس ولكنه عقاب لجرم قاس ايضا بعد أن أحاطه الاسلام بالضمانات الكافية في التربية الاسلامية التي تربط المسلم بالله تعالى ، وفي التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية وما إلى ذلك ـ نعم هو عقاب قاس ولكنه ناجع وفي الوقت نفسه مفيد للشخص نفسه ـ هو كبتر الجزء المريض من جسم الانسان فانه مع قسوته الظاهرة هو الرحمة بعينها لأنها ستبقى على الجسم كله سليما يؤدي رسالته في هذه الحياة فالذي لا يصلح فيه كل هذا لابد من بتره فذلك خير له وللمجتمع .. ثم إن المجرم حين لا يوقع عليه الحد فانه سيتمادى في إجرامه وسيقوم صراع بينه وبين المجتمع وأجهزة الأمن وسيصيبه من جراء ذلك أضعاف الحد ..

ومع هذا فقد راعى الاسلام شخصية المجرم فأعفى غير المسؤول من العقاب كالمجنون والمضطر وما إلى ذلك ـ وجعل المسؤولية تبدأ من البلوغ ـ والاسلام أيضا راعى أحوال المجرم في عقوبة الزنا فالزاني المحصن عقوبته الرجم ـ وغير المحصن عقوبته الجلد ـ وقد سد الاسلام بذلك أبوابا كثيرة من الفساد الذي لم تستطع المجتمعات المعاصرة سدها أو إيقاف تيارها فمع أن الدول الغربية تبيح الاتصال الجنسي من غير حدود مادام ذلك يتم برضا الطرفين فأننا نلاحظ أن الاغتصاب ـ وهو الذي لا يتم برضا الطرفين بل يتم عن طريق العنف ـ هذا الاغتصاب يمثل في أمريكا أحد الجرائم الثلاثة الكبرى التي تحدث كل ثلاث ثوان ـ وهو القتل وسرقة البنوك والاغتصاب ـ وقد بلغ عدد الفتيات اللاتي

اغتصبن في امريكا خلال عام ١٩٧٥ ٥٥ ألف فتاة أمريكية طبقا للتقريرات الرسمية - ومع ذلك فان التقريرات غير الرسمية ترفع هذا العدد إلى ثلاثة أضعاف - وبعض المهتمين بهذه النواحي يؤكدون أن العدد يصل إلى نصف مليون فتاة علما بأن بعض الفتيات يقتلن بعد عملية الاغتصاب ..

وفي عقوبة السرقة راعى الاسلام ظروف المتهم فالسرقة العادية عقوبتها القطع ولكنها في الحرابة قطع اليد والرجل .

ومع هذا كله فان الشك في الحدود الاسلامية يفسر لصالح المتهم - وفي الحديث الشريف « إدرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » رواه الترمذي والحاكم والبيهقي . وعمر بن الخطاب يقول : لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات » ومنها شبهة الملكية في السرقة - ومن ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام : « أنت ومالك لأبيك » رواه الطبراني - وفي شهادة الزنا لو شهد ثلاثة وتراجع الرابع فان حد الزنا لا يقام على المتهم بل يقام حد القذف على الشهود لأنهم في هذه الحالة يعتبرون كاذبين .

وفي القوانين الحديثة قاعدة تقول : « لأن يفلت مجرم من العقاب خير من أن يدان برىء » وهي تماثل القاعدة الفقهية : (لأن يخطىء الامام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة) ومعنى ذلك أن القاضي إذا تشكك في ارتكاب الجاني لجريمته أو في انطباق النص المبين للعقوبة على الفعل الذي أتاه وجب تبرئة المتهم .

ثم ان في اقامة الحد على المجرم في الاسلام - مصلحة مؤكدة له لأنها تخلصه من العقوبة في الآخرة وفي معاقبته إذا أجرم تطهير له من الخطيئة في الدنيا لأن عقابه يوقظ فيه معاني الايمان الدفينة وتحسسه بعظم تقصيره في جنب الله مما أدى به إلى هذا العقاب وهذا يجعله غالبا يتوب إلى الله تعالى .

وتتميز الحدود الاسلامية في أن القانون يصل إلى كل إنسان في الدولة مهما كان مركزه - فلا ترتفع المسؤولية الجنائية عن وزير أو رئيس دولة - ولا يملك رئيس الدولة حق العفو لغيره أو لنفسه - والتاريخ يحدثنا أن امرأة مخزومية سرقت فأهم أمرها المسلمين ووسطوا في شأنها أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فغضب غضبا شديدا وصعد المنبر وقال للمسلمين : « انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » رواه احمد .

والقضاء في الاسلام جزء من الولاية العامة التي يتولاها الخليفة بنفسه أو ينيب عنه من يتولى القضاء ويحدد له اختصاصاته - وفي تنفيذ الأحكام كان القاضي يتولى بنفسه تنفيذ ما يصدره من أحكام - ومن الجدير بالذكر أن القاضي كان لا يحتاج إلى معونة في تنفيذ الأحكام لأنهم كانوا ينفذونها من تلقاء أنفسهم والشريعة الاسلامية لم تأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات .

وتمتاز العقوبات الاسلامية بأنها تجعل المسؤولية شخصية على عكس بعض

الأنظمة الحديثة والقرآن الكريم يحدد ذلك في قوله تعالى : **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)** الأنعام/ ١٦٤ .

ولعل هذا كله هو الذي جعل مؤتمر مكافحة الجريمة المنعقد في جامعة دمشق عام ١٩٧٢ يقرر أن **(التشريع الاسلامي هو أجدى تشريع في مكافحة الجريمة)** وان المؤتمر يهيب بالدولة أن تقترب في تشريعاتها من التشريع الاسلامي لمكافحة الجريمة .

والدول المتمدينة في العصر الحديث اهدرت حرية الانسان وحطمت كرامته لانه يعترض على رأي الزعيم مثلا مما لا يكون اي لون من الوان المخالفات في الاسلام الامر الذي جعل انسان العصر الحديث يلاقي من الاهوال ما لم يلقه انسان على مدى التاريخ ذلك لان الذي يحدد العقوبة هو الانسان الحاكم الذي يهمه ان يعمل لمصلحته وان ينتقم لكرامته والانسان قد يكون في قلبه بغض او حقد او استعلاء فهو ليس مؤتمنا في وضع العقوبات ، والحاكم يستخدم كل أجهزة الدولة في سبيل مصلحته وفي المحافظة على ملكه .. ومع هذا كله فهم يقولون ان الاسلام اهدر كرامة الانمسان وآدميته حين قرر الحدود مع ان الانسان الذي ارتكب عقوبة تستوجب الحد هو الذي اهان نفسه وتعدى على غيره .. وهم يتكلمون كثيرا في الزنا وفي قسوة عقوبته والاسلام له رأي في الزنا تظهر اهميته في الآثار التي ترتبت على الزنا في المجتمعات الغربية فحطمت الفرد ـ كما حطمت المجتمع وان كانوا لا يقرون بهذا صراحة ولا يدخل الزنا في باب الحرية الشخصية لان فيه اضرارا بغيره واعتداء على الاسرة الاسلامية المتماسكة وهدم لكيانها ـ وهي في نظر الاسلام ـ الخلية الاولى التي يتكون منها المجتمع ـ وفيه اشاعة للريبة في النساء والزوجات وتشكك في الانساب وتضييع للاطفال ـ وهذه كلها اخطار تصيب المجتمع يضاف اليها نشر العزوف عن الزواج وانتشار الامراض المختلفة الى غير ذلك من الاضرار التي نراها منتشرة في المجتمعات التي تبيح هذه الانحرافات لذلك كان من حق المجتمع الاسلامي ان يحمي نفسه من هذه الاضرار التي يسببها الزنا . مع انها لذة وقتية كان يمكن للزاني أن يحصل عليها بالزواج واذا كان متزوجا فانه يحصل عليها من زوجه ـ وتعسر الزواج ان وجد لا يعتبر مبررا للزنا فهناك مآرب اخرى لطاقة النشاط الجسمي في العمل المستمر وفي الصيام وما الى ذلك .

والزنا برضا الطرفين لا يجعله مشروعا في الاسلام لانه لا يزيل الاضرار المختلفة المترتبة عليه والاعراض ليس فيها بذل كالاموال لان الاثار المترتبة عليها تصيب الافراد والجماعات ـ ومن هنا كان الحد حقا لله عز وجل لا حق الافراد .

ومن تمام صيانة الاعراض في الاسلام انه حفظها حتى من الحديث عنها بغير دليل ومن هنا كان القاذف الذي يتهم غيره بالفاحشة بدون ان يستطيع اقامة الدليل يعتبر كاذبا وقاذفا ـ ويقام الدليل على كذبه بجلده علانية فهو الذي اهدر كرامة نفسه بتعريضها للجلد حين اتخذ هذا الاسلوب في اتهام الناس ... وهكذا تحرص

التربية الاسلامية على طهارة المجتمع وصيانته بالتربية المتكاملة ثم يتمم ذلك القانون الاسلامي بايجاد العقوبة التي تساعد على تحقيق هذه الطهارة .. والمعترضون بعضهم يرى ـ من وجهة نظره ـ انها ليست بجريمة وبعضهم لا يرى هذه الخطورة أو أنهم يرونها ولكنهم لا يهتمون بها ..
والحضارة الحديثة تحكم بالاعدام على جرائم قد تكون وهمية ـ ومع ذلك فهم يقولون إن قطع يد السارق وحشية قد انقضى عهدها فهي لا تليق بالفرد وفيها إضرار بالمجتمع لأنها تجعل المقطوع عاجزا وفي الحبس كفاية .. والحبس لا يكفي بل انه ينشر اساليب الجرائم عن طريق من فيه كما بينا ـ ثم ان وجود المقطوع عالة على المجتمع خير من ابقائه سليما وهو يعيث في الارض فسادا .
والمدنية الحديثة ترى ان الانسان حر في نفسه ـ ومن حريته الشخصية ان يشرب الخمر فلا فرق بين شرب الخمر وشرب الماء والاسلام يرى ان الانسان ليس حرا في نفسه لان له رسالته في هذه الحياة ولن يستطيع أن يؤديها كاملة إلا إذا كان سليم الجسم سليم العقل سليم النفس ، ومن الذي قال ان الانسان يعرف مصلحة نفسه ونحن نرى اعدادا من الناس يتصرفون تصرفات تعود عليهم بالضرر البالغ ومن ذلك شرب الخمر الذي يضر بالجسم ويضر بالعقل ويقلل الانتاج ، وليس هذا فقط بل ان الاضرار المختلفة ستنسحب على المجتمع من نواح كثيرة .

والمدنية الحديثة فيها الوان من التصرفات التي تدل على عدم احترام الانسان او المحافظة على كرامته ، ونحن نرى ونسمع عن الاجهزة المختلفة التي تقوم بالتجسس على الافراد في بيوتهم وفي محال اعمالهم لترى مدى اخلاصهم للحزب او للقائد ـ وترسل وراءه رجالا في كل مكان يكتبون تقريرات عنه في ذلك ـ ولادنى شبهة يعذبونه بألوان من التعذيب النفسي والجسمي ـ وقد يبقى في المعتقل سنوات يلاقي ما يلاقي ـ وقد يقتل او يموت من التعذيب ـ وتتبعه اسرته واصدقاؤه في ملاقاة المتاعب على ايدي رجال الحزب والمباحث والمخابرات ـ ولكن الاسلام يرفض كل هذه الاشياء ، ويترك كل انسان آمنا في بيته وفي عمله ـ والمرتد لا يتجسس عليه احد ولا ترسل وراءه المباحث والمخابرات ـ ومن هنا فانه اذا كتم ردته فلا سبيل لاحد عليه ـ ولكن اذا اعلنها ففي ذلك تشجيع للمنافقين وتشكيك الضعاف العقيدة وهذا يؤدي الى اضطراب المجتمع واهتزاز نظامه .. ومن الواجب القضاء على جرثومة الفساد .. ومع هذا فان الاسلام يعطي المرتد فرصة للتوبة ويحبس ثلاثة ايام فان تاب فبها ونعمت ، والا وقعت عليه العقوبة وقطع دابره واصبح المجتمع سليما منه .
والاسلام يحدد المواطن التي يعاقب فيها بالقتل وقد حددها النبي الكريم في قوله : (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة) متفق عليه وبهذا التحديد صار المسلم في المجتمع الاسلامي الذي يحكم بالاسلام يعيش في امن وامان ولكنه تحت لواء المدنية

الحديثة يلاقي ما يلاقي لسبب او لغير سبب ـ واذا كان المسلم في ظل المجتمع الاسلامي حرام على الجميع انتهاك ماله أو عرضه أو دمه فانه تحت لواء المدنية الحديثة لم يعد يحس بشيء من ذلك كله .
وحين نطبق الحدود الاسلامية وتسد المنافذ امام الشفاعة والمحسوبية فاننا نكون بذلك قد أقمنا سورا منيعا لا يفكر في اقتحامه الا صنف شاذ التكوين من البشر او شاذ الدوافع وهم قلة وحينئذ تقوم الحدود بعلاجهم العلاج المناسب لجرائمهم .

خاتمة :

تهتم كل دولة بأن يسود الأمن مجتمعها ، وهذا يدل على نجاحها في ادارة دفة الأمور ، وفي صلاحية القوانين السائدة فيها ولذلك فانها تعلن عادة في نهاية كل عام عن حالة الأمن فيها ، وحين ينخفض معدل الجريمة تهلل الحكومة ومعها كل وسائل الدعاية والاعلام لان الدولة قد تمكنت من زيادة الامن فيها للافراد وحماية حرمات الناس وضبط المجتمع .. ومعنى ذلك انها نجحت في عملها بمقدار ما حققت من الامن ، والا فان النظام الموجود في الدولة قاصر عن تحقيق الامن للافراد والمجتمع فتزيد في اجهزة الامن وفي الوسائل التي يستخدمونها لمراقبة المجرمين والتصدي لهم والامر لا يقتصر على اجهزة الامن بل ان المجرمين بدورهم يقيمون أجهزة مضادة لأجهزة الامن ـ! ترصد حركاتها وتقاومها وتصيب من افرادها بمقدار تعرضها له ، بل انها قد تقف احيانا متحدية لكل أجهزة الأمن ، ولعل هذا هو الذي جعل عصابات النشل والسرقة بالاكراه والاختطاف والتعصب والسطو الجماعي والاغتيالات التي تعرف اسبابها او التي لا تعرف مما هو موجود في المجتمعات المعاصرة ، ولا يوجد في المجتمعات التي تطبق الحدود في قديم الانسانية او حاضرها .
وقد لوحظ ان المجتمع الذي تطبق فيه الحدود الاسلامية يتمتع افراده بتوازن نفسي من نوع يريح ويطمئن ، ويجعل طاقات الافراد تتحول الى البناء والعمل المنتج اذ لا يوجد للافراد ما يصرف القوى الجسمية والنفسية عن مسالكها السليمة ، وبذلك تصبح قواهم الجسمية والنفسية والمالية سليمة فيقبلون بها على البناء .. وبذلك تهيىء الحدود الاسلامية مناخا حرا يتنفس فيه من عرف كيف يحترم حريات الآخرين وفي الوقت نفسه تضيق الخناق وتطارد من يحدثون انفسهم بالعدوان على الناس كما تروع الخارجين على القوانين الاسلامية التي تعمل على احاطة المجتمع والامن والاطمئنان .. ومن هنا كانت الحدود الاسلامية من مظاهر رحمة الله بعباده لانها تزجر الانسان عن ارتكاب الجريمة فيتخلص من الأثم ، واذا وقع في الجريمة فان العقوبة بالنسبة له بمنزلة الكي بالنسبة للمريض او بمنزلة قطع العضو الفاسد بالنسبة للمجتمع .. والحرية الشخصية مشروطة بان لا تؤدي الى اي نوع من الاضرار بالنفس او الاضرار بالمجتمع .

والاسلام يدرأ الحدود بالشبهات ومن هنا فان بعض الجرائم لا يمكن ان تثبت الا بالاعتراف كالزنا والاعتراف من خصائص الاسلام لانه ناتج من التربية الاسلامية ومن تقوية ضمير المسلم وربطه بالله تعالى ومن هنا فان من الطبيعي ان يأتي رجل الى النبي عليه الصلاة والسلام ليقول له : يا رسول الله طهرني بالحد وكلمة طهرني تبين الى اي مدى كان ضمير المسلم قويا وكيف انه يريد ان يذهب الى ربه طاهرا سليما وذلك بعد ان ضعفت ارادته في فترة من الفترات .

ان المجتمع الذي ليس فيه جرائم هو مجتمع مثالي لا يتوفر وجوده في هذه الحياة ، ولكن هناك فرق بين ان يكون الانحراف حوادث فردية وبين ان يكون ظاهرة اجتماعية منتشرة تفقد الناس احساسهم بالامن . والبلاد العربية التي لا تطبق الحدود الاسلامية تزداد فيها الجرائم بصفة دائمة وقد اشارت الدراسة العربية الى ان الكويت سجلت اعلى نسبة في جرائم الجنس حيث سجلت ٣٢٠ حالة بغاء واغتصاب عام ١٩٧٢ وزادت هذه الحالات بنسبة ٤٩٪ في السنوات الأربع التي تلتها وفي الجزائر كانت حالات الاغتصاب عام ١٩٧٢ (١٩٠) حالة ثم زادت في الاربعة اعوام التالية بنسبة ٥٤٪ وفي تونس كان عدد حالات الاغتصاب عام ١٩٧٢ (٢١٨٠) حالة زادت بنسبة ٨٣٪٪ في الاربع سنوات التي تليها وفي السودان كان عدد الحالات عام ١٩٧٢ (٨٦٥) زاد بنسبة ١٢٣٪ .

ولعل الاحصائية الآتية التي اعدتها هيئة الامم المتحدة عن معدل الجريمة في بلاد تطبق احكام الشريعة الاسلامية بالمقارنة بمثيله في البلاد الغربية ترينا الفرق الهائل في نسبة الأمن في البلاد التي تطبق الحدود الاسلامية مع ملاحظة ان هناك اشياء تعتبر جرائم في التشريع الاسلامي ولا تعتبر جرائم في التشريعات الوضعية مثل شرب الخمر والزنا ـ وقد اذيعت هذه الاحصائية في مؤتمر وزراء العدل الذي عقد في القاهرة في يناير عام ١٩٧٩ تقول احصائية المنظمة الدولية انه من بين كل مليون نسمة يرتكب الجريمة في السعودية ٢٢ شخصا ، وفي فرنسا ٣٢ الف شخص وفي كندا ٧٥ الف شخص

وفي فنلندا ٦٣ الف شخص وفي المانيا الغربية ٤٢ الف شخص .

ومن يتأمل هذه الاحصائية جيدا يدرك الى أي مدى كانت الحدود الاسلامية هي هدية الله الى البشرية الضالة التي تريد ان تتمتع بالامن والاستقرار ولكنها اخطأت الطريق .

فالى هذا العالم الحائر الذي يريد ان يعيش في ظلال الامن والاستقرار اهدى هذه الكلمات عله ينظر بعين العدل والانصاف الى الحدود الاسلامية فيكف عن مهاجمتها ويحاول ان يستفيد بها في حل مشكلاته المتزايدة والله الذي حددها هو الله الذي خلق البشر والذي يعلم السر وأخفى والذي يحيط علمه بكل شيء وهو ادرى بما يصلح لعباده الذين خلقهم وكرمهم وفضلهم على سائر مخلوقاته ليحققوا خلافته في عمارة الارض ونشر العدالة والامن والسلام فيها .



إن كان لا بد لكل موضوع من مقدمة تعرف بغرضه ومنهجه ، فأرجو ان اصنع هذا في كلمات سريعة .

اولا : ان ما نطرحه هنا - عبر مجلة الوعي - من فكر مؤمن ليس الا حقائق راسخة أثبت التطبيق العلمي والعملي نجاحها - فهي بالحق وللحق ليست موضع جدل او نقاش ، وما دور القلم إلا تعميق مفاهيمها في ضمير الأمة بأسلوب لا يخفي وراءه زخرفا من قول ، أو ادعاء من فراغ ، عل عناصر الحق والصدق فيها تستميل شبابنا ، فتصبح حداء للركب المتأهب ، ونشيدا للنصر المؤمل ، وشعاعا ينير الى الطريق المنشود .

ثانيا : ليس لدي قدر يسير او كثير من الرغبة في أن ترتدي كلماتي ثوب الناصح أو رداء العالم الذي يلقي معارفه من خلف منصة الأستاذية ، انما هي انطباعات صادقة أسرعت للتعريف بها - إيمانا مني بقدرتها على العطاء والبذل في المعركة المحتومة بين الايمان والالحاد .

العلم في منظار الاسلام :

العلم في نظر الاسلام قيمة من القيم الرفيعة التي كرمها الحق - سبحانه - وفضلها على سائر القيم نلحظ ذلك في هذا الحوار الذي قصه علينا القرآن الكريم والذي دار بين نبي من أنبياء بني اسرائيل وقومه في قوله تعالى : (**وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى**

يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) البقرة/ ٢٤٧ فبسطة العلم هنا فاقت سعة المال كما نرى .

وإذا كان القرآن قد فضل العلم على المال ، فاننا نراه أيضا ـ قد شرف العلم ، وكرمه وارتقى به إلى ما هو أجل من عرش الملوك ، وجاه السلاطين ، وأي ملك هذا الذي نتحدث عنه إنه ملك سليمان الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، فضل القرآن العلم على هذا الملك حين امتن على داود وسليمان بالعلم .. لا بالملك ـ في قوله سبحانه : (**ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)** النمل/ ١٥ .

وذلك الفضل العظيم لا يمنحه الله إلا لأناس من صفوة خلقه ، حدد السمات التي يتحلون بها من صفاء القلب ، ونقاء الضمير والخشية لله ، في قوله جل وعلا (**أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/ ٩ فاذا انتقلنا الى السنة النبوية واجهنا حشد هائل من الاحاديث التي تفيض بالثناء العاطر على العلم وتكرم العلماء نقتطف منها قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي وابن عبد البر وقوله « وان طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر » رواه ابن عبد البر والحديث الاول مبدأ من مبادىء حقوق الانسان في الاسلام لم يستطع عالمنا المعاصر تحقيقه حتى اليوم ، فاذا كان التعليم الزاميا في المرحلة الابتدائية ، فانه عند المسلمين الزام وفريضة في كل مراحل العمر .

وبالنسبة للحديث الثاني فان تعليقا للامام الغزالي رحمه الله يقول فيه أي منصب أعلى ممن تشتغل الملائكة بالاستغفار له ؟ هذا التعليق يكفينا مؤونة الحديث عنه ، او التعليق عليه ولقد شجع صلوات الله عليه وسلامه العلماء ، وحث الناس على الاخذ بالعلم ، والتفقه فيه بالقول والعمل ، فجعل فداء الاسرى تعليم بعض ابناء المسلمين ، وجعل صداق المرأة تعليمها . والانصاف يقتضينا ان نقول ان رسول الله ـ عبأ كل القوى المؤمنة ودفعها لنشر العلم وتيسيره بين الناس في مدرسة الأرقم بن أبى الأرقم في مكة ، وفي مدرسة مصعب بن عمير في المدينة بل وفي خارج الجزيرة في الحبشة في مدرسة جعفر بن أبي طالب .

أما أداء المؤمنين ، وتكريمهم للعلم والعلماء ، فان من الخير ان نعيد الى ذهن القارىء هذه القصة ففيها كل الغناء بل وفيها الاشارة التي تغنى عن العبارة عما كان يتمتع به العلماء من شرف عظيم في نظر الملوك والامراء . مما يستحق ان يكون مضرب المثل عن حضارة الانسان المسلم ورقيه .

ومضمون تلك القصة ان المأمون اختار الفراء لتأديب ولديه ، وحين كان

يجلس الفراء لالقاء درسه كان يخلع نعليه ، فاذا انتفض قائما تسابق الولدان في حمل نعله اليه ـ وعلم بذلك الخليفة ، فسأله يوما من اعز الناس يا فراء ـ قال الفراء : أمير المؤمنين أعز الناس ، فقال : لا والله إن أعز الناس من يتسابق وليا عهد المسلمين في حمل نعله اليه .

فهل عطاء هذا العلم يستحق فعلا هذا التكريم والتبجيل ؟ نعم . نعم لأن العلم الذي يعنيه الاسلام هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم الحياة كلها كلياتها وجزئياتها العلم النظري الذي يشير اليه قول الله سبحانه : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) العلق/ ١ والعلم الواقعي الذي يتخذ من الواقع والكون كتابا له والذي يلفت القرآن النظر اليه في قول الله : (**وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات/ ٢١ و ٢٢ (**أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠ هذا كله في الوقت الذي عرفنا فيه علم الآخرين يدين بالنظرة التجريدية للفلسفة اليونانية ، ولم يعتمد المذهب الواقعي التجريبي إلا حين عرف حضارة الاسلام وانتقلت إليه بواسطة الأندلس وعن طريقها ـ يقول « بريفولت » مؤلف كتاب بناء الانسانية « ان الحضارة الأوروبية مدينة بالضرورة في كل نهضتها للثقافة الاسلامية التي نقلتها عن الاندلس » .

ان هذا العلم المؤمن علم موصول بالله ، مقترن بنية العبادة ، يؤكد ذلك ما جاء على لسان حجة الاسلام الغزالي ؛ فقد كان رحمه الله يرى ان الغرض الاسمى من العلم هو التقرب الى الله وليس طلب الرياسة او الفخر والمباهاة ، ومن هنا فانه علم بناء استهدف رخاء الانسانية وصلاحها ، ولم يحدث ان اتجه الى تخريب او تدمير او عدوان او بغي ، حتى في اعز فترات تطوره ، ويوم ان كان يقود قافلة البحث والمعرفة علماؤه الاجلاء امثال ابن الهيثم الذي الف ما يربو على مائتي كتاب في الفلك والكيمياء والطبيعة ، والذي ترجم له كتاب « المناظر » الى اللاتينية في القرن السادس عشر الهجري فلما انتقلت قيادة العلم الى الآخرين اذاقوا الدنيا مرارة القتل والقهر والرعب والتسلط ، في الحروب العالمية وما بعدها وحتى يومنا هذا . فالفارق كبير والبون شاسع لان الأول ينطلق من قاعدة الايمان التي يستمد منها المسلم فكره وعلمه وسلوكه : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة/ ٢٨٢ .

اما الآخر فانه علم يتخذ المادة أساسا ، والغلبة شعارا وفرق بين الثريا والثرى .

ان العلم في الاسلام يطلب لذاته ، فهو في نظر العلماء المسلمين ألذ شيء في الحياة فقد تعلموا راغبين ، وكتبوا والفوا محبين عابدين ، وخير مثل على ذلك ما كان يقوم به الجاحظ من اكتراء دكاكين الوراقين والمبيت فيها طلبا للعلم وبحثا عن المعرفة ، ويسأل

الامام مالك رضي الله عنه فيما لو بقيت له ساعة من عمره فيم يقضيها فيقول في طلب العلم . من أجل هذا كله تركوا ثروة هائلة من المجلدات والاسفار ، وقدموا للحياة الافذاذ من العلماء امثـال الفـارابي ، وابن سينـا ، والخـوارزمي ، وابن الهيثم ، ممـا يجعلنا مطالبين وبالحاح في البحث عن انفسنا وذواتنا ، والعمل على عودة الروح الباحثة اليها ، وان تـأخذ التربية في اعتبارها تلك المثل ، لنثري الحياة بالحق والعدل والخير كمـا اثريناها سابقا ، ولنعز دين الله بالعمل الطيب كما فعلنا من قبل .

إن المسلمين اخذوا انفسهم بمبدأ التعلم الذاتي والمستمر ، ودعوا اليه من قبل أن تعرفه التربية في هذا العصر ، فلم تتقيد مدارسهم ، أو معاهدهم أو مساجدهم أو كتاتيبهم بسن معين او نبوغ معين ، أو قدرات أو مهارات بل يسرته للجميع وأباحته لكل راغب ، يسأل ابـو عمر وبن العلاء ـ هل يحسن بالشيخ ان يتعلم فأجاب إذا حسن له أن يعيش ، فأحسن منه أن يتعلم .

إن العلم المؤمن في أزهى عصوره ؛ وأعظم فتراته التزم بمنهج الله في عمارة الحياة واثـرائها ، ومنحهـا الرخاء والسكينة والرفاهية والأمان .

واذا كنا ننبهر ـ الآن ـ أو البعض منا بما حققه العلم الكافر في هذه العصور من الكشوف والمخترعات ، فاننا نحمد له ما التزم به من علم نافع ، وننعي عليه عجزه عن توفير الامن والطمـأنينـة في النفـوس ، ويؤسفنا ان نقرر ان عالمنا في عصر يدعى فيه أنه عصر العلم يعاني قلقا رهيبا تظهر آثاره في حالات الصرع والجنون ، وحوادث الانتحار وتفكك الاسر . ذلـك لان قـادة المعـرفـة والاختراع ينطبق عليهم قول الحق سبحانه : (**يعلمـون ظاهـرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/٧ اما علماؤنا فقد عرفوا مفهـوم الآية ومضمـونها ، ومنهج الله فيها ، فبحثوا والفوا ، وهم يدينون بقول الله سبحانه : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/ ٧٧

ان هذا يدعونا الى الايمان الصادق بـالعودة من حيث بـدأ المسلمون الأوائل ، كما يدعونـا الى الايمان الواثق بأن دورنا في الحياة لم ينته ولن ينتهي ، وأننا قادرون كما قدرنا من قبل على أن نضيف الجديد من الخير والحق وقادرون على أن نأخذ الراية ونستلم الركب ونتقدمه ولن يكلفنا ذلك اكثر من أن نصطلح مع الله ونعود اليه ، ونعلم انه عند التطبيق نجح علمنـا ، وبنى وأسس ، وبالتطبيق انتكس علمهم ودمر وخرب ، وأن الحياة اليوم تذرع الخطى وتتلهف في معاناة . لنأخذ بيدها لانقاذها مما اصابها ، ونحن مهيأون لذلك . بعون الله ـ وهو قدرنـا لأن مشيئة الله اقتضت وقضت بأن الأرض لن يرثها دعاة الفتك ، ولا حملة الكراهية بل سيرثها عباده الصالحون بناة الحق ، أولياء الايمان والعقـل ، أصدقـاء الانسان والحياة .



للأستاذ : محمد عبد الله القولي

خفق الفؤاد وظل في تهيام مذ اشرقت من ذكره أيامي
وتطلعت نفسي لتلتمس الرجا ترجو النجاة من الضلال الطامي
فاذا السماء تألقت أنوارها واذا السماء تفيض في انعام
كل الخلائق يومها قد سبحت لله يهدي الكون خير امام
جاء الربيع فجنة أيامهم ومع النعيم هداية الاسلام
وتدفقت أنوار ربك للورى تحيي القلوب بأطيب الأنسام
عودي لنا يا فرحة في بعثه نشوى الفؤاد بعاطر بسام
عودي لنا وأتى بعطرك سائغا يغنى الحياة ونبعه متنامي
هزي لنا جذع النخيل بمكة تساقط الثمرات كالألهام
تتعانق الآيات من تذكارها تغشى القلوب برحمة العلام
تزهو على سفر الوجود وما حوى في طيه من أعظم الأيام
تهمي كما الغيث الهتون بفيضها للظامئين الى هدى الاسلام

تعلو على الخلق الكريم على الدنى
قدسية التعظيم والاكرام

ترنو اليك الكائنات بأسرها
مثل الوهاد تتوق للأعلام

هزي لنا جذع النخيل بمكة
تتعانق الآيات في إحكام

تروي لنا عن جد أحمد (شيبة)
ما جاش في الأذهان والأفهام

ساد العشيرة كابراً عن كابر
بالعدل والاحسان والاقدام

سقي الحجيج تقرباً من ربه
وقراهم في موطن الاحرام

يسعى و « حارثة » المطيع بقوة
كي لا يرى من جائع او ظامي

أمضى بجمع الماء أطيب يومه
لكن جمعاً لا يفي بتمام

قد شاء في الساح المقدس منهلا
يروي الحجيج على مدى الأعوام

فاذا قريش غصة في قلبه
تأبى عليه ، تصده بتعام

لو كان من أبنائه في كثرة
لم يرغموه بأيما إرغام

فدعا الاله وحسرة في نفسه
تكوي الفؤاد عظيمة الايلام

ربي لئن أنجبت عشراً صبية
لأضحين بواحد صمصام

لبى المجيب لعبده ما شاءه
وحبا بعشر كالبدور كرام

حتى اذا كان الوفاء أهمه
اي العيون يساق للاعدام ؟

نذر على « الفياض » يذبح واحداً
والنذر للفياض وعد ذمام

أي الأحبة من بنيه فداؤه ؟
والولد نبع دائم الانعام

والولد للشيخ المسن جوارح
بل اضلع تحمي من الأيام

هم بهجة لأبيهم وسعادة
هم أنجم تقضي على الاظلام

أي البنين سينتقيه ضحية ؟
أي الجوارح تنتهي لحمام ؟

لم ينجه من حيرة غير اللجو
ء لجعبة الأقداح والأزلام

يا ليتها الأقداح ظلت صمة
ما أخبرته بحكمها الهدام

أيكون « عبد الله » ذبح فدائه
خير النجوم وأرفع الاعلام

زاغت عيون المشفقين بمكة
هل يقبلون بأصعب الأحكام ؟

نور لعبد الله يطفح حوله
سر به يعلو على الأفهام

تبكي له بالبيت « ابنة نوفل »
وفؤاد « آمنة » كذبح حمام

تلك الرقيقة تبتغيه لنفسها
حتى تكون نذيرة الأقوام

وكأن آمنة تظن بأنها
أم النذير الطاهر المقدام

كم أخبرتهم « سودة » بنبوءة :
في آل زهر حكمة العلام

هتفت بشارة كاهن من يثرب
أن يفتدى بالقدح في الأنعام

حتى اذا رضي الاله فداءه
نزلت عليه عظائم الانعام

كم قد فدى الرب العظيم عباده
وأقال عثرة « شيبة » بغلام

بالأمس « اسماعيل » جيء بفدية
ووفى ابوه بحلمه بسلام

فرح بمكة يحتوي ابياتها
قد عاد « عبد الله » في إكرام

زاد الفداء جلاله وجماله
علقت به الأبصار في اعظام

قد عاد للكبد الصدوع شفاؤه ... رجع الحبيب الى الفؤاد الدامي
ما بال عبد الله حتى انه ... فرحت له الآساد في الآكام
لاقت بفديته العظيمة مطعما ... حتى الطيور تصيب من إطعام
فرح لشيبة كم يطول طوافه ... بالبيت يدعو ربه بهيام
لن يهنأ الشيخ المسن بنجله ... حتى يزوجه ببنت كرام
في آل « وهب » أخبروه نبوءة ... فطوى عليه السر في احكام
صدحت أهازيج النساء تزفه ... من بنت « كبشة » كافر الأصنام
ما بال مكة جنة في عرسها ... قد أشرقت نوراً بغير ضرام ؟
ما سرها والكون في آياته ... يرنو لها في وجهه البسام
عرس تحلقت البشائر حوله ... وسمت به في فارس والشام
قمر لشمس بالزواج تلاقيا ... كي يهديا للكون خير إمام
كم أشرقا في إلفة ومودة ... كم أمضيا في الحب من أيام
قد أسلما لله في أقداره ... وتناجيا في فرحة ووئام
لم يدريا أن الفراق مقدر ... سيغيب بدر لم يعش لدوام
لهفي على البدر المودع شمسه : ... سأعود في رزق كفيض غمام
سأعود كي أرعى حبيباً قد دنت ... أيامه ونقوم خير قيام
أنت الحبيبة والحليلة والمنى ... أنت السعادة منتهى الأحلام
يحميك رب البيت في عليائه ... تفديك نفسي ، مهجتي وعظامي
غاب الحبيب وقلبه في مكة ... يرعى الحليلة عاطر الأنسام
طال البعاد ولم يؤب لعروسه ... قد عذبت في الخوف والأوهام
لكن حملا في الضلوع تجنه ... يشفي لما تلقاه من آلام
هو حلم آمنة العظيمة حظها ... هو أنسها النامي مع الأيام
« سمعت برؤياها العجيبة هاتفا : ... أن قد حملت بسيد الأقوام
يا ليت عبد الله يسمع حلمها ... يدري بمن قد غاب في الأرحام
تدنو الى أعلى السماء برأسها ... أغصانها في الخافق المترامي
أبهى من الشمس العظيمة نورها ... سطعت على الأعراب والأعجام
فيها تعلق من قريش ثلة ... وسعى لها رهط على إصرام
« آبت تجارة مكة ورجالها ... قد حملت من خير ما في الشام
وصلت بشائرها لكل حبيبة ... طال الزمان تعد في الأيام
« واها لآمنة تحدق في الربي ... لم تلق عبد الله في الأقوام
قد غاب عنها في المدينة ميتاً ... وجنينه في عالم الأرحام
لهفي على الشيخ المفارق نجله ... هل يفتديه لأشهر من عام ؟
لهفي على النذر الذبيح كأنه ... لا يفتدى الا لأمر هام
لا يفتدى إلا لنسل محمد ... ليجيء منه المصطفى بسلام
« عجبا قريش تحتمي بجبالها ... تأنى عن الأخطار خوف حمام

قد جاء « أبرهة » البغيض بجيشه ... بالفيل يجعل بيتها كركام
أبدا فرب البيت يحمي بيته ... ويرد كيد المعتدي بضرام
طير ابابيل تفرق جمعهم ... فكأنهم في الساح طحن طعام
سر لبيت الله يدفع خصمه ... ان جاء في وهم من الأوهام
حفظ لبيت الله مهد نبيه ... الصادق المصدوق خير همام
« جاء الربيع الى الديار فهللت ... واستبشرت بالخير والانعام
حمل الأثير بشائرا من مكة ... وسرى بها في السهب والآكام
ولد اليتيم محمد في فرحة ... يا مرحبا يا سيد الأيتام
ولد اليتيم ونوره متألق ... شمل الوجود وكان في إظلام
لم تلق آمنة المصون بحمله ... او وضعه شيئا من الآلام
« هو رحمة للناس ، كيف بأمه ؟ ... سعدت به واستبشرت بسلام
حلمت بعبد الله يرقب طفله ... ويضمه للصدر في تهيام
فرح حوى أبيات « هاشم » عمها ... فتهللت لوليدها البسام
فدموع « شيبة » بللت وجناته ... فمضى لشكر الله ذي الانعام
« هذي حليمة ترتجي من ربها ... طفلا ثرياً سيد الأقوام
قبلت يتيما وهي جد فقيرة ... فتدفقت خيراتها بزحام
قد شرفت بمحمد وبفضله ... وأحلها الرحمن خير مقام
يا مرحبا بالمصطفى وقدومه ... للمرسلين أتيت خير ختام
قد كان عرساً للسماء وبهجة ... في اعظم الأفراح والأيام
غنى له الكون العظيم وغردت ... ذراته في أعذب الأنغام
طربت له الأرواح في عليائها ... اذ حررت من ربقة الأوهام
اذ طهرت من كل ما تشقى به ... وتخلصت من ظلمة الآثام
صعق الطغاة المجرمون بمولد ... قد أنقذ المظلوم من آلام
قد اعتق الانسان من اغلاله ... ونأى به عن ساحة الاجرام
وسما به للخير في أفعاله ... للحق والتوحيد والاسلام
زكاه من ادرانه وعيوبه ... وأقامه في الكون خير مقام
ورعاه من دين الاله بحكمة ... وحماه من اهوائه بنظام
قد فضل الله العظيم محمداً ... ليكون للأديان خير امام
قد جئت تهدينا لكل فضيلة ... صرنا بدينك افضل الأقوام
إنا رسول الله أعظم أمة ... ان نعتصم بكتابنا الاسلامي
نحن الأعزة والكرام على المدى ... ان ننتصر بالخالق العلام
ان نستجب لله في أحكامه ... ونعد للأعداء في إحكام
ان نتحد صفاً على أعدائنا ... ونرد كيد عصائب الاجرام
اشفع لنا يا رحمة من ربنا ... أنت الشفيع وذو المقام السامي
واقبل رسول الله حسن تحيتي ... واقبل حبيب الله طيب سلامي



ربما كانت أشد لحظات التاريخ الاسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي تلك اللحظات الرهيبة في معركة أحد ، التي انكشف فيها المسلمون بعدما أوشكوا على تحقيق انتصار كامل على قريش ، حيث أولى القرشيون ظهورهم للمسلمين ، وتخلوا عن معسكرهم فارين ، فاغرى ذلك معظم رماة المسلمين باعلى الجبل في احد بالمسارعة الى الغنيمة ، فعصوا امر قائدهم ، وتناسوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، فافسحوا المجال لخيالة قريش بقيادة خالد لاحتلال موقعهم ، فانقلب ميزان المعركة رأسا على عقب وتنادت قريش الى القتال فعاد المنهزمون ، فاختل امر المسلمين واضطرب امرهم ، وفشا القتل فيهم ، وتخلى عن القتال اكثرهم ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يواجه بفئة قليلة جدا من



للاستاذ / أحمد العناني

حوله جيش قريش بكامله ، وارجف المرجفون من قريش بمقتل الرسول صلى الله عليه وسلم واستبدت الحيرة بنفر من خيرة المسلمين بينهم ابو بكر وعمر ، وهم يظنون ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد لقي حتفه ، ويرون الحال الموحشة التي آلت اليها الامور حين مر بهم أنس بن النضر رضي الله عنه فهتف بهم « ما يجلسكم ؟ » .

قالوا « قتل رسول الله » ؟

قال انس : « فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ! وبأثر من ذلك المنطق السديد ، والحضور الذهني الرائع ، انطلق القوم مع انس الذي اندفع يقاتل حتى اثخن بالجراح الى ان استشهد رضي الله عنه وقد قدر ان ما اصابه كان في حدود سبعين طعنة بحيث خفيت معالم جسده الطاهر فلم تتعرف عليه قبل

دفنه سوى اخته وكان لكل سيف عائد الى المعركة من سيوف المسلمين اثره الكبير ، حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقاتل وهو جريح قتالا لا نظير له في الثبات ومن حوله نفر من اماثل الابطال من الرجال والنساء كابي دجانه وسعد وعلي وام عمارة والزبير ، وكانت عودة العائدين الى الرسول عليه الصلاة والسلام في اشد لحظات الحرج مما مكن له عليه الصلاة والسلام وسلك الفئة من الابطال ان يشقوا طريقهم للنجاة ، وبذلك فوت على قريش اعظم ما كانت تتمناه ، وتتنزى شوقا اليه ، الا وهو قتل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وفي ذلك الموقف الضنك وصف القرآن الكريم عودة أنس والعائدين بقوله تعالى : (**الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا**) آل عمران/ ١٧٣ .

ان الحرج الذي يواجهه المسلمون اليوم في العالم يجعل من موقف الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين في تلك اللحظات الرهيبة من أحد موضعا للقدوة اللازمة . وهناك طائفة من المسلمين اليوم يصرون على التنكر للوجود الذاتي للاسلام والمسلمين ككيان متفرد بذاته ومواصفاته ، ويسلكون مسلكا هروبيا ذليلا ، وكأنما زال الاسلام ورفع القرآن وطويت صحائف التاريخ .. وهم يصرون على ان الانضواء تحت احد المعسكرين الرائجين لروسيا وامريكا حتمية لا مفر من قبولها ونحن مع هؤلاء في ان الناس من الفريقين قد جمعوا لنا وان كليهما يريد بنا شرا .

ولكننا مع الله جل جلاله ، في ان ذلك جدير بأن يعيدنا الى المعركة وان يزيدنا ايمانا ، واننا لن نلقي الا مثل المصير الزاهر لانس بن النضر رضي الله عنه ، او النجاة الممهدة لنصر لاحق عظيم جعل من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في نفس المكان من يثرب اعظم حاكمين في زمانهما ؛ وجعل من طيبة اعظم مدائن الدنيا قاطبة .

والواقع الذي لا يستطيع ان ينكره اي كان من المتصدين للتحدث باسم الاسلام هو انه لا حاجة لنا بالحياة بعد القرآن الكريم وسنة الرسول الامين ، تماما كما لم يجد انس بن النضر رضي الله عنه حاجة للحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والواقع الذي لا مفر من الاعتراف به او نموت جميعا من دونه هو ان القرآن الكريم هو معسكر غير معسكر امريكا او روسيا ، وانه لا يمكن ان يندغم او يتوافق مع ما تدعو له امريكا او روسيا ومن لف لفهما من السائرين في فلك كل منهما .

ان الحقيقة الخطيرة الكبرى هي ان القيمة الاساسية لحياة المسلم هي توجيه الدنيا لخدمة الاخرة .

فليس هناك فوز في الاسلام الا الفوز الذي حدده القرآن الكريم : (**فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز**) آل عمران/ ١٨٥

وليست هناك طريقة سهلة الى ذلك الفوز بنص القرآن الكريم : (**ام**

حسبتهم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) البقرة/ ٢١٤ . والمعسكران الامريكي والروسي كلاهما يبعد الدين عن الحياة ، ولا خلاف بينهما في السعي من اجل الحياة وحدها ، سوى ان احدهما يطلق حرية الافراد في التزاحم على الهدف الدنيوي ، وليتخم من يتخم بشبعه ، وليجع من يجوع في فقره وعريه فيما الاخر يجعل الحرية لحزب تقوم عليه الدولة بدعوى تأمين الجميع من الجوع وليرض من يرضى وليسخط من يسخط .

لكن القرآن الكريم يحكم الناس بقانون الله جل جلاله فيؤمن بأمر الله شبع كل مسلم فيما يترك الباب مفتوحا للتنافس على رضوان الله والفوز بالجنة والزحزحة عن النار ، بالايثار والتطوع والمحبة ، مكرما ارادة الانسان ، ورافعا شأن التقوى فوق كل شأن .

فكيف يمكن تسليم زمام القرآن وهذه رسالته الى معسكر من هؤلاء او اولئك -.

ان الذين يقولون بفصل الدين عن الحياة ، وإفراغ الحكم من حكم الشريعة . والذين يقولون لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ، والذين ينادون بتسيير الحياة بغير الحكم بما نزل الله ، والذين يرفعون رابطة الوطن او اللسان او العرق فوق رابطة الله ، والذين يعتبرون العامل الاقتصادي ، وحيازة ادوات الانتاج المقرر الوحيد لحركة الحياة .

والذين يجعلون من مواصفات الحرية الانفلات من اوامر الله ورسوله ونواهيهما ، هم جميعا قوم جهلوا وطغوا وآثروا الحياة الدنيا وجعلوا الجحيم لهم مأوى ..

وبرغم انف المضللين والضالين معا .

وانوف المعتدين على حقائق الاسلام وصريح القرآن ، يظنون انهم بذلك يرضون المتنفذين في الارض ليرضوا عن استبدالهم بالمسلمين ، وليديموا ترفيه انفسهم على حساب المقهورين ، رغم انوفهم جميعا تسري دعوة الحق في الوطن الاسلامي الواحد كله ..

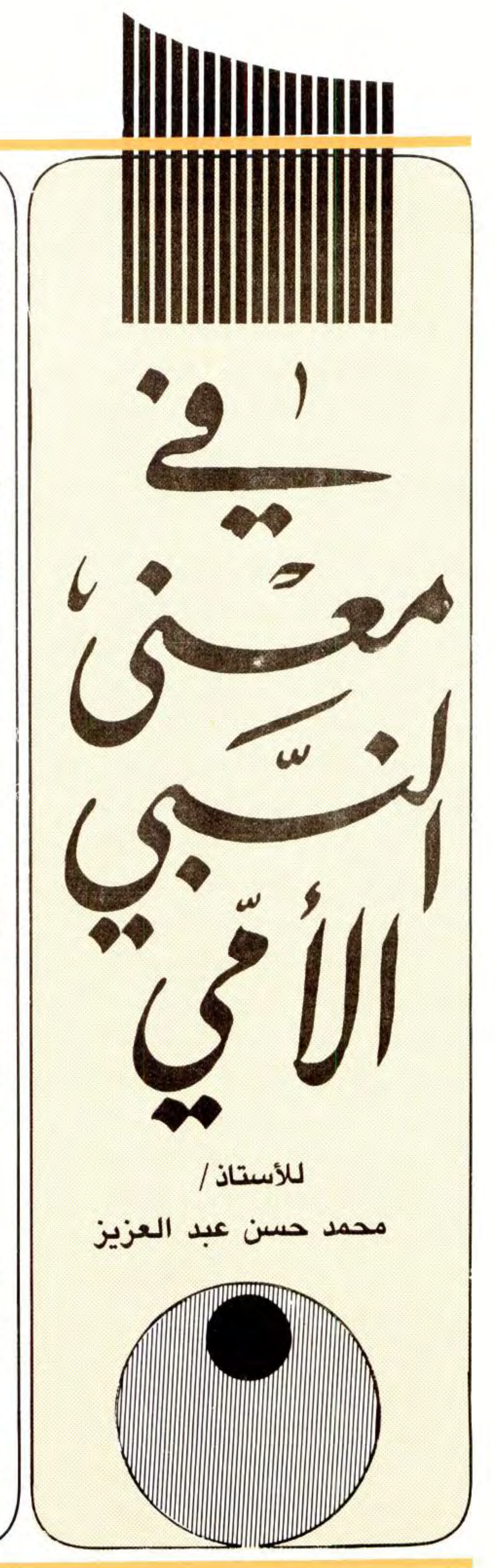
لقد قطع العقل الاسلامي مرحلة الوعي الاولى ودخل مرحلة التركيز والرؤية الواضحة للحقائق ..

وبات يعرف الطريقة الوحيدة المقبولة للوضع السليم في الاسلام ، الا وهي الحكم بشريعة الله وسنة رسوله والعمل الجاد لاستنباط الصيغ اللازمة لتسيير المستجد من شئون الحياة ، تحت شمس القرآن والسنة .

وبات يعرف موقفه واضحا من كلا المعسكرين .

ولا يمكن لاية فكرة دخيلة ، ان تجد وسيلة للنمو في عمق الذات الاسلامية المتميزة الفريدة في اسسها وتوجهاتها ، وإن الزمن ليجري في صالحنا .

وقبل ذلك وبعده فإن الله معنا .



« شاع استعمال كلمة « أمي » بمعنى جهل القراءة والكتابة مع أنها تعني معنى قوميا اعتقاديا لسائر الناس من غير سلالة بني اسرائيل ... »

اعتقد بنو اسرائيل انهم وحدهم أصحاب الحظوة عند الله الجديرين بتلقي خطابه بما دسه أحبارهم على التوراة بجعل النبوة حكرا على اسحق ونسله والى الأبد وحرمان شقيقه اسماعيل ونسله من عهد الله . وهو ما يعرف عندهم بشعب الله المختار أو الشعب الذي اختاره الله وفضله على سائر خلقه .

وتحكي التوراة سبب هذا الاختيار بخطأ ارتكبه حام بن نوح عليه السلام حين لم يغط عورة أبيه الذي شرب خمرا وسكر وغطاه ولداه سام وبافت . فلما أفاق وعلم بذلك قال : « ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته . وقال يبارك الرب اله سام . وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم »

(تكوين ٩)

وقد ارتبطت الديانة اليهودية بسلالة معينة كالهندوكية والشنتية وان امتازت هاتان الديانتان بأن المؤمنين بهما لم يتعرضوا للشتات .

وتحت تأثير أكذوبة الشعب المختار اعتقد اليهود ان أرواحهم تتميز على باقي الأرواح لأنها جزء من الله عزيزة عليه والأرواح الأخرى شيطانية

شبيهة بأرواح الحيوانات وأطلقوا على الشعوب الأخرى صفة « الغويم » وترجمتها العربية « الأميين » وهم الذين خلقهم الله على هيئة الانسان ليكونوا لائقين بخدمة شعب الله الذي خلقت من أجله الدنيا .

واعتبرت المسيحية غير المسيحيين « أميين » ذلك بأن المسيح عليه السلام جاء لخراف بني اسرائيل الضالة ، وحذر من دعوة الغرباء الى هذا الدين « .. الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ولكن اذهبوا بالحرى الى خراف بني اسرائيل الضالة » (متى ١٠) ولذلك أطلق على بولس الرسول « شا ءول » رسول الأمم لأنه اتجه بدعوته الى غير بني اسرائيل بعد أن يئس منهم .

واذن فالسلالات الأخرى من غير بني اسرائيل من الأمم أو الأميين التي لا ترقى الا لمستوى الحيوان والمسخرة لخدمة شعب الله .

وعلى أساس نعرة الاستعلاء هذه وعقدة الانفراد والتفرد ، اتخذ بنو اسرائيل من نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام موقفا مؤسفا مع أنه جاء مصدقا لما بين أيديهم من التوراة والانجيل ، وكانوا من قبل يبشرون ببعثه بالرسالة الأخيرة الخاتمة للرسالات . لكنهم رفضوا الايمان به لاعتقادهم ان النبوة لا تكون الا منهم .

أما هو فقد جاء من العرب « الأميين » أي من الأمم الأخرى .

ومن هنا جاء اشتقاق كلمة أمي التي شاع تفسيرها بمعنى جهل القراءة والكتابة على غير ما يستوجبه اشتقاق الكلمة في سياق الآيات القرآنية . ومدلولها اللغوي على لسان العرب .

فبعض المفسرين ينسب كلمة أمي بمعنى جهل القراءة والكتابة الى الأم وقد كان الجهل بهما شائعا في العرب رجالا ونساء . كما كان في غيرهم مثل اليهود وان كان في العرب أكثر منه في غيرهم وان عرف عنهم فصاحة اللسان وبلاغة البيان وقرض الشعر بالسليقة وحفظ الانساب ، وكل ذلك غير منوط بقراءة وكتابة فتلك طبيعة أهل البادية .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام على عادة قومه . وقد نزل عليه جبريل عليه السلام بأول آيات الوحي (**اقرأ**) فقال : ما أنا بقارىء أي أنا لست ممن يقرأون لأني لا أعرف القراءة .

ويرى البعض ان الكلمة جاءت بمعنى « عربي » وهو أقرب المعاني لمقصد ا لآيات بل هو معنى جزئي للكلمة التي تعني في اجمالها غير اليهود لأن الكلمة بمعنى قومي اعتقادي . وجاء في سيرة ابن هشام جـ ٢ صـ ٢٠٩ بمعنى من لا كتاب لهم وهو أوفى المعاني لاشتقاق الكلمة .

وعلى كثرة ما افترى المفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتر أحد عليه أنه كان يقرأ ويكتب . ولم يرد بالقرآن الكريم آية واحدة ترد

على ذلك .

ولا ينكر أحد انه عليه الصلاة والسلام لم يشارك قومه فيما ألفوه من قرض الشعر (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**) ٦٩/يس ، وان كان بليغا فصيحا .

ولأنه لم يكن قارئا كاتبا محبا للعزلة ميالا للفكر . فانه لم يطلع على كتب السابقين التي ظهرت أول ترجمة عربية لها على يد سعديا الفيومي عام ٩٤٢م أي بعد وفاته بأكثر من ثلاثمائة عام ومن ثم فان ما اخبر به القرآن الكريم من أنباء الأمم السابقة انما مصدره الوحي من الله .

(**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون**) ٤٨/العنكبوت

(**وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير**) ٤٤/سبأ

(**أم لكم كتاب فيه تدرسون**) ٣٧/القلم .

ولم يعرف عن العرب دراية بزراعة ولا صناعة ولا تجارة ولا علم ، وغاية جهدهم الاشتغال بالنقل البري يحملون التجارة على ظهور الابل في رحلتي الشتاء والصيف : (**قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون**) ١٤٨/الأنعام

(**لايلاف قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف**) ١ و٢/قريش

وقد شاع بينهم انتظار نبوة ودين وتطلع الى شريعة الهية تعيد لهم مجدهم ووحدتهم ومنهم من تطلع الى دين ابراهيم عليه السلام بعد أن خاب أمله في دين اليهود الذي تحول على يد العبرانيين الى دين خاص بأبناء اسحق وتحولت شريعتهم الى جيتوفكري .

وقد كذب القرآن دعوى اليهود بأن الله لا يخاطب الأمم ولا يبعث أنبياء الا منهم : (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) ٢/الجمعة .

وان محمدا عليه الصلاة والسلام قد بعث للناس جميعا بما فيهم بنو اسرائيل : (**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**) ١٥٧و١٥٨/الأعراف .

« فالنبي الأمي هو المبعوث من غير سلالة بني اسرائيل . وهو أيضا أمي بين الرسل المبعوثين من سلالة اسحق وهو من سلالة اسماعيل عليهما السلام ، والقرآن العربي أمي بين

الكتب التي نزلت باللسان العبراني ، فالرسالة الخاتمة لا يجوز لها أن تستأثر بأمة ولا تحجب عن أمة خلافا لما زعم اليهود .

ويقول أستاذنا العقاد رحمه الله في كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » ولعله من علامات الخير ان تدول الدول وأن يذهب ما أفسدت من أمور الدين والدنيا وتبقى للمسلم عقيدته في حقوق أمته مصونة في قلوب المحافظين والمجددين ملحوظة في آراء الوادعين والثائرين .

فالأمة بمعنى الناس جميعا ، فلا تمايز بين خلق الله ولا استعلاء ، وحسب المرء أن يفضله علمه وعمله . فالأمة الواحدة هي موضع خطاب الله وهي الوعاء الذي تصب فيه نتائج التكاليف .

وقد ورد لفظ الأميين مقابلا لأهل الكتاب أو من ليس لهم كتاب .

(ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) ٧٥/ آل عمران .

(فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) ٢٠/ آل عمران .

وقد أنصف القرآن بعض أهل الكتاب ممن يعرفون حقيقة كتابهم وهم من اذا أؤتمنوا على قنطار من الذهب ردوه ، أما أولئك الذين يتبعون ما لحق كتابهم على يد كهانهم من تحريف وتزييف ، فانهم اذا اؤتمنوا على دينار لا يؤدونه لصاحبه لأن شريعتهم المحرفة لا تلزمهم في معاملاتهم مع غيرهم من الأمم برد تلك الأمانات .

جاء في التلمود : ان الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأمي ماله المفقود وغير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي الا بربا .

« من رأى أحد الأميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر »

« يحرم على اليهودي ان ينجى أحدا من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها » .

ولا يمكن أن ينصرف معنى لفظ « الأميين » الى من لا يعرف القراءة والكتابة حيث لا يستقيم المعنى مع سياق الآيتين المتقدمتين من القرآن الكريم ، وأهل الكتاب شأنهم شأن غيرهم في جهل القراءة والكتابة والتكليف لا يناط بعدم الجهل بهما : **(ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون)** ٧٨/ البقرة .

والأميون هنا جماعة من العرب تهودوا وكانوا لا يعرفون ما يتلى عليهم من التوراة بلغة لا يفهمونها ولا يعرفون معناها ، وكل حظهم اتباع الظن والتحريف الذي دسه الاحبار على كتاب موسى عليه السلام ، فهم جاهلون بحقيقة الكتاب ومع ذلك اعتبرهم اليهود من الأميين لأنهم ليسوا من سلالة بني اسرائيل .

فكل من ليس يهوديا من سلالة اسحق هو أمي أو من الأمم الأخرى لأن اللفظ يعني معنى قوميا اعتقاديا يخص السلالة الممتازة والشعب المختار ولا يتصل بحال بقراءة ولا كتابة ولا يمس من قريب أو بعيد شخص النبي عليه الصلاة والسلام .

أما الحديث الشريف « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » متفق عليه فمعناه ان عبادات الاسلام من صلاة وصيام وحج لا تعتمد على كتاب وحساب انما تعتمد على رؤية القمر في تحديد أوائل الشهور : (**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**) ١٨٩/البقرة .

أما أوقات الصلاة فيعتمد في تحديدها على رؤية الشمس : (**أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل**) ٧٨/الاسراء .

ومعجزة نبي الاسلام لم تكن في عدم المامه بالقراءة والكتابة وانما كانت في نظم القرآن الكريم وبيانه وبهما كان التحدي ولا يزال ، وقد نزل باللغة الأولى التي علمها الله تعالى للانسان الأول : (**خلق الانسان علمه البيان**) ٣و٤ الرحمن . (**وعلم آدم الأسماء كلها**) ٣١/البقرة .

تلك اللغة الخصبة فائقة الثراء والملكات والقابليات ، المستجيبة بوفرة مفرداتها لدواعي الاشتقاق أو الميزان الصرفي لهذا الاشتقاق ، القادرة على البيان والايضاح وقد تعهد الله بحفظها ومهد بها للرسالة الخاتمة من يوم أن أمر خليله ابراهيم بالهجرة بولده اسماعيل عليهما السلام الى مكة ، ومع اتساع حركة أبناء اسماعيل صارت لغتهم لغة الثقافة والحكمة والأدب ، ثم تحقق دعاء ابراهيم وولده : (**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم**) ١٢٩/البقرة .

ومن هذه السلالة الطيبة الطاهرة كان النبي الأخير بكتاب حافظ على لغتهم تتلى بها آياته فلا يصمت أبدا . وصار البيت الرمز المجسد لوحدتهم الفريدة يذكرهم باليوم الآخر الذي هو غاية الدين والايمان .

كان رسولا من الأميين الى الأميين والى الناس أجمعين ، هكذا علم منه أهل الكتاب والمشركون في مكة والمدينة وفي كل مكان بلغت الدعوة خارج الجزيرة وما وراءها ويثبتها الواقع العملي المتمثل في رد المقوقس ، وزواجه صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وخطابه الى هرقل والنجاشي .

نبي أمي لأنه ليس من سلالة الشعب المختار الذي ظن ان النبوة حكر عليه وانه اختار الاله واختاره الاله .

والأميون هم سائر خلق الله بما فيهم السلالة الممتازة المزعومة .

وهكذا استخدم القرآن الكلمة .

أما تفسيرها بجهل القراءة والكتابة ففيه ارهاق للنصوص وتحميلها بأكثر مما تحتمل واستنباط ما لا يفيد .



للدكتور/ محمد الانور حامد عيسى

أنبياء الله ورسله هم الصفوة الممتازة الذين اجتباهم الله من بين البشر واختصهم بصفات الكمال الخلقية والخلقية، وجعلهم السفراء الامناء في حمل الشرع وتبليغه الى الناس.

واذا كانت وظيفة الرسول هي توصيل كلمة الله الى الناس وارشادهم بالقول والفعل والاقرار الى ما فيه النفع في الدنيا والآخرة، كان لزاما ان يكون قدوة حسنة في كل ما يصدر عنه وان لا ينطق الا بكلمة السماء، ولن يكون كذلك الا بالعصمة الباطنية من الحقد والغل والكبرياء والحسد والرياء والشح الخ ...

والعصمة الظاهرية من الذنوب مثل: الشرك والكذب والقتل وشرب الخمر والزنا الخ ..

ولعلك تسأل ما هي العصمة؟

ونجيبك بأنها: حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من ارتكاب منهى عنه او ترك مأمور به، او هي لطف من الله سبحانه وتعالى يجعل الرسل يتجهون الى فعل الخير ويبتعدون عن فعل الشر.

ولا يعني الحفظ او اللطف انهم عليهم السلام مجبورون بل يعني ان استعدادهم كامل في التمييز بين الخير

والشر ، وأن مراقبتهم لله في اعمالهم متحققة مع كل نبضة من نبضات القلب فهم يتحركون دائما في دائرة الاحسان والتي بينها رسولنا صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال : « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخاري ومسلم ، ومن كان امره كذلك كان اتجاهه بالعقل والقلب معا في كل قول او فعل او اقرار ملازما لاوامر الله ومبتعدا عن نواهيه .

ونأتي الى سؤال ـ هل الانبياء معصومون قبل البعثة وبعدها من الصغائر والكبائر ؟؟

لعلماء المسلمين مواقف متعددة الا انهم يجمعون على عصمة الانبياء من الشرك والكذب وما يشعر بالخسة كالزنا والسرقة وكل ذلك قبل البعثة وبعدها ، وجوز بعضهم فيما عدا ذلك من الكبائر والصغائر قبل البعثة .

يقول السنوسي : « أما حكمها قبل النبوة فالذي ذهب اليه اكثر الاشاعرة وطائفة كثيرة من المعتزلة الى انه لا يمتنع عقلا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل البعثة معصية كبيرة او صغيرة » ولعلنا لا نميل الى مثل هذا الرأي الاخير ونرى ان رسل الله معصومون عن الكبائر مطلقا قبل البعثة وبعدها عمدا او سهوا ، اما الصغائر فان كانت مشعرة بخسة او تؤدي الى نفور كسرقة دينار او تطفيف كيل مثلا ، فهم معصومون منها قبل البعثة وبعدها عمدا او سهوا ، واذا لم تكن مشعرة بخسة فهم غير معصومين منها قبل البعثة عمدا او سهوا ، اما بعدها فهم معصومون منها عمدا ، ويجوز الوقوع فيها على سبيل النسيان او الخطأ في التأويل ، واذا حدث مثل هذا فان المشرع الحكيم يوجههم الى الطريق الصحيح ويذكرهم بما وقعوا فيه من نسيان .

بعض الآيات التي يشعر ظاهرها ما يخالف عصمة الانبياء :

وقد وردت آيات في القرآن الكريم يشعر ظاهرها ان الانبياء قد وقعوا في بعض الذنوب فلنتأمل فيها لنقف على حقيقة الامر .

اولا : ورد في حق سيدنا آدم عليه السلام انه امر بعدم الاكل من شجرة معينة الا انه بعد وسوسة الشيطان خالف الامر وبذلك صار عاصيا ورجع الى الله بالتوبة فقبلها منه ، وهذا يؤكد وقوعه في ذنب والذنوب تخالف العصمة .

يقول سبحانه وتعالى : (**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**) البقرة/ ٣٥ ـ ٣٧ .

ويقول سبحانه : (**فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**

وعصى آدم ربه فغوى) طـه / ١٢١ .

ويرد على هذا :

بأن ما حدث من آدم لا يخالف العصمة ، لانه كان قبل النبوة حيث لم تكن له أمة بعد ولم يكن في امر تشريعي ، ومثل هذا يعتبر صغيرة ، ولقد سماه الله سبحانا عصيانا لما سيكون من شأن عظيم لآدم فيما بعد وما صدر عنه عليه السلام كان نتيجة للنسيان ، والذي يؤكد هذا قـوله سبحانه : (**فنسى ولم نجد له عزما**) طه/ ١١٥ . ولقد غفر الله له هذا الذنب الصغير ثم جعله نبيا .

يقول تعالى : (**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**) طه/ ١٢٢ .

ثانيا : ورد ان سيدنا نوحا عليه السلام طلب من ربه ان ينجي ابنه قائلا : (**رب إن ابني من أهلي**) فأجابه سبحانه وتعالى : (**إنه ليس من أهلك**) وهذا يدل على ان نوحا عليه السلام قد كذب على الله والكذب كبيرة تخالف العصمة . يقول سبحانه وتعالى : (**ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين**) هود/ ٤٥ و ٤٦ .

ويرد على هذا :ـ

ان نوحا عليه السلام لم يكذب على ربه وان ما يطلب انجاءه هو ابنه من صلبه ، وقد رد الله عليه سبحانه وتعالى بما يفيد إنه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ، او هو ليس من اهل دينك بل هو كـافر مستحق للعقوبة .

ثالثا : وردت آيات في حق سيدنا ابراهيم عليه السلام ربما فهم من ظاهرها تردده في الاعتقاد حيث اعتقد ألوهية الكوكب ، ثم رجع عنه الى اعتقاد ألوهية القمر ، فلما طلعت الشمس ورآها اكبر ،اعتقد ألوهيتها وهذا التردد في الاعتقاد يفيد الشرك والشـرك من الكبائـر التي اجمع المسلمون على عصمة الانبياء منها ، ثم انه تبرأ بعد ذلك من كل هذه الاشياء واعتقد الوهية الواحد الاحد سبحانه ، يقول عز وجل : (**فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القـوم الضالـين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برىء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**) الانعام/ ٧٦ ـ ٧٩ .

ويرد على هذا :

بأن ابراهيم عليه السلام يعتقد يقينا بوجود الله وبأنه سبحانه متصف بكل كمال ومنزه عن أي نقص ، الا ان

البيئة التي تحيط به تعبد الاصنام والكواكب ، ولقد اراد عليه السلام ان يهديهم الى الله الحق ، فتظاهر بالتسليم لهم بأن ما يعبدونه آلهة ، ثم اخذ يبين لهم بطلان اعتقادهم بالتدريج ، فالاله لا يتغير وما يعبدونه يتغير والاله لا يغيب وما يعبدونه يغيب والاله ليس بحادث وما يعبدون حادث .

وما قام به سيدنا ابراهيم عليه السلام من التظاهر بالتسليم للخصم ثم مناقشته لبيان بطلان اعتقاد هذا الخصم لا يتناف مع العقل في عصرنا الحديث وليس فيه اي شرك بل هو توجيه عقلي للايمان بالله وبتفرده بالكمال المطلق وتنزهه عن الحوادث .

رابعا : ورد ان سيدنا ابراهيم عليه السلام اقسم ليحطمن الاصنام وفعلا حطمها الا الصنم الكبير فقد تركه بعد ان وضع على كتفه المعول وحينما أتى القوم هالهم ما رأوا ثم سألوا سيدنا ابراهيم عن الذي حطم آلهتهم فأجابهم بأن الذي حطمها هو كبير الاصنام وطلب منهم ان يسألوه ، وعلى هذا فقد وقع سيدنا ابراهيم في الكذب حيث قال : ما ليس بحق ، والكذب من الكبائر التي تتناف مع عصمة الانبياء .

يقص القرآن هذا الحادث فيقول : (**وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بـ الهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**) الانبياء/ ٥٧ - ٦٣ .

ويرد على هذا :

بأنه عليه السلام لم يكذب ، لانه لم يقصد اسناد الفعل الى الصنم حقيقة ، بل الى نفسه وانما اراد الاستهزاء والسخرية بهم والتعريض بضعف فكرهم واعتقادهم واعلامهم بأن الاصنام لا تضر ولا تنفع ولا تملك الدفاع عن نفسها ، وكأنه عليه السلام اراد ان يقول لهم : اذا كان عندكم شك في ان الاصنام لا تملك شيئا فارجعوا اليها وأسألوها .

ولهذا يحكي القرآن عودتهم الى انفسهم واحساسهم بأنهم هم الظالمون ويصفهم بالخيبة لتأكدهم ان الاصنام لا تنطق . يقول سبحانه وتعالى : (**فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) الانبياء/ ٦٤ و ٦٥ .

خامسا : ورد ان سيدنا ابراهيم طلب من الله ان يريه كيف يحيى الموتى ، وهذا يشعر بشك سيدنا ابراهيم في قدرة الله على الاحياء وشك الانبياء من الكبائر التي تتناف مع عصمتهم .

يقول سبحانه وتعالى : (**وإذ قال إبراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى**

قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) البقرة/ ٢٦٠ .

ويرد على هذا :

بأن سيدنا ابراهيم يعلم علم اليقين ان الله قادر على الاحياء ولكنه يريد ان ينتقل من علم اليقين ـ اي المبني على الاستدلال ـ الى عين اليقين اي المطبوع في القلب .

سادسا : ورد في حق سيدنا يوسف عليه السلام ان امرأة العزيز همت بارتكاب الفاحشة معه وهم هو بنفس الشيء وهذا يتنافى مع القول بعصمة الانبياء .

يقول سبحانه وتعالى : (**ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**) يوسف/ ٢٤ .

ويرد على هذا :

بأن الذي يجري في النفس له مراتب خمس : الاولى : الهاجس ، وهو ما يمر سريعا على نفس الانسان ، والثانية : الخاطر ، وهو ما يبقى في النفس ويتحرك فيها قليلا ، والثالثة : حديث النفس ، وهو التردد بين الفعل او الترك . المرتبة الرابعة : الهم ، وهو توجه النفس نحو الفعل والميل اليه .

وهذه المراتب الاربع لا يتناولها التكليف ولا يؤاخذ عليها الانسان وانما يؤاخذ ويقع تحت التكليف اذا انتقل من المرتبة الرابعة ودخل في المرتبة الخامسة وهي : العزم والتصميم وسيدنا يوسف عليه السلام بحكم طبيعته البشرية ولكونه قبل البعثة دخل مرحلة الهم ، الا انه لم يتجاوزها فلا شيء عليه اطلاقا .

يقول صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : « اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ، فان عملها كتبتها عشر حسنات الى سبعمائة ضعف ، واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه » رواه مسلم عن ابي هريرة .

سابعا : ورد ان سيدنا موسى عليه السلام حينما دخل المدينة مستخفيا وجد رجلين يقتتلان احدهما من شيعته من العبريين والاخر من المصريين ، وحينما استغاث به الذي من شيعته على الذي من عدوه قام موسى بدفع المصري بكفه المضمومة الاصابع فسقط الرجل قتيلا ، وعلى هذا يكون موسى عليه السلام قاتلا والقتل كبيرة تتنافى مع القول بالعصمة ، وقد اعترف موسى بأنه ظلم نفسه بقتله للرجل والظلم كبيرة .

يقول سبحانه وتعالى : (**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين** .

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) القصص/ ١٥ ـ ١٦ .

ويرد على هذا :ـ

بأن ما حدث كان قبل النبوة وان ما فعله موسى في الرجل هو الوكز وهو الدفع والضرب بالكف المضمومة الاصابع ، ولم يقصد موسى عليه السلام قتله ، وانما قصد دفعه بعيدا عن الآخر ، الا ان اجل الرجل حان في هذا الوقت . ومثل هذا يعتبر من الصغائر التي تحدث قبل البعثة ولا تشعر بأي خسة ولا تتنافى مع عصمة الانبياء .

وقد وصف موسى نفسه بالظلم لاحساسه بترك الاولى فقد كان من الاولى ان يترفق بالرجل ويدفعه بالكلام لا باليد .

ثامنا : ورد في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه وتعالى : (**ووجدك ضالا فهدى**) الضحى/ ٧ وظاهر الاية الكريمة اشعر بعض الناس انه عليه الصلاة والسلام ارتكب بعض الذنوب التي تخل بالعصمة .

ويرد على هذا :ـ

بأن الضلال يراد به : اما ضلال الشرك واما ضلال الهوى واما ضلال الطريق ، والرسول صلى الله عليه وسلم مبرأ عن الشرك وعن الهوى ، بقي ضلال الطريق فهو عليه الصلاة والسلام نشأ في بيئة جاهلية تعبد الاصنام في جانب وفي جانب ثان تقول بألوهية المسيح وفي جانب آخر تدعي ان عزيرا بن الله ، ولطهره وحبه للخير كان يتمنى هداية هؤلاء الضالين عن الحق ، الا انه لا يعرف المنهج او الطريق الذي يسلكه لهدايتهم ولهذا ظل متحيرا ، وآثر التحنث وحده في الغار بعيدا عن التخبط الجاهلي ، وكلما رجع الى القوم فزع ، وازداد حيرة في بحثه عن طريق لهدايتهم وظل الامر كذلك الى ان جاءه جبريل عليه السلام بالمنهج الرباني والطريق الحق الذي استطاع به اخراج الناس من ظلمات الجهالة والشرك الى نور الايمان والوحدانية . ويقول الفخر في تفسير الاية الكريمة : (**ووجدك ضالا فهدى**) أي : « وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها ، ووجدك ضالا عن المعيشة وطرق الكسب ، ووجدك ضالا في زمان الصبي في بعض المفاوز ».

تاسعا : يقول سبحانه وتعالى : (**ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك**) الانشراح/ ٢ و ٣ والفهم الظاهري للآيتين الكريمتين يشعر بأنه عليه الصلاة والسلام ارتكب ذنبا عظيما وهذا يخالف العصمة .

ويرد على هذا :ـ

بأن المراد بالوزر ما يحسه الانسان من ثقل عظيم نتيجة للخوف او القلق او المعاناة الشديدة . ولقد فوجىء صلى الله عليه وسلم اثناء تحنثه بسيدنا جبريل ينزل عليه ويضمه

اليه ، ويطلب منه ان يقرأ ولم يكن لنبينا عهد بجبريل ولا بـالقراءة ، ولهذا انتابه عليه الصلاة والسلام الخوف والقلق واحس برعدة في جسمه الشريف ، فخرج مسرعا من الغار وفي منزله طلب من السيدة خديجة رضي الله عنها ان تزمله وان تدثره ـ ومع تكرار نزول جبريل وعلمه بأنه من عند الله سبحانه وتعالى شعر بـالانس والاطمئنان وزالت مخاوفه مثله تماما مثل من كان يحمل على كاهله ما لا يطيق ، ثم رفـع عنه فـانه يحس بالراحة . وفي بداية الدعوة لم يكن للقوم الف بالدين ، ولهذا تحمل عليه الصلاة والسلام كثيرا من الايذاء النفسي والجسدي ، واراد سبحانه وتعالى بعد هذه المعاناة الشديـدة هداية القوم .

يقول الفخر الرازي : « الوزر في اصل اللغة هو الثقل . قال تعالى : (**حتى تضـع الحرب أوزارهـا**) محمد/ ٤٠ اي اثقالها ، وانما سمى الذنب بالوزر لانه يثقل كاسبه ... وهو عليه الصلاة والسلام كان في غم شديد لاصرار قومه على الشرك ، وانه كـان هو واصحـابـه فيمـا بينهم مستضعفين ! فلما أعلى الله كلمته وعظم امره فقد وضع وزره »

عاشرا : يقـول سبحانـه وتعالى : (**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**) الفتح/ ٢ يفيد الفهم الظاهر للنص الشريف انه حدثت مغفرة من الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام والمغفرة لا تكون الا عن ذنب والذنوب تخل بالعصمة .

ويرد على هذا :ـ

بأننا قلنا : انه يجوز ان يصدر عن الانبياء قبل نبوتهم بعض الصغائر التي لا تشعر بخسة وعلى هذا فان المراد بما تقدم أي في صباك ، وما تأخر اي في شبابك او « ان المراد ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر ، فان الرجل المعتبر اذا احسن بعض خدمه او اساء فانه يقال له انت فعلت ذلك وان لم يكن هو فاعله بنفسه » .

وفي تفسير آخر نستريح له ان المراد بالمغفرة لا مغفرة الذنب وانما المغفرة لترك الاولى ، ففي اسرى بدر مثلا قبل صلى الله عليه وسلم الفداء طمعا في هداية القوم فيما بعد ، وكان الاولى قتلهم حتى يذل الكفر ، ففي هذا الموقف ترك صلى الله عليه وسلم الاولى فعاتبه ربه سبحانـه وتعالى واعلمه بما كان ينبغي ان يفعله في مثل هذه الحالة ، فمن حق الرسول ان يجتهد لكن المشرع سبحانه يصحح له الاتجاه في حالة ترك الاولى .

وأيضا فقد انشغل صلى الله عليه وسلم عن ابن ام مكتوم وهو من المسلمين السابقين وكان اعمى ، جاء يسأله عليه الصلاة والسلام في امر من امور الدين انشغل عنه بحديث مع كبير من كبراء قريش طمعا في هدايته للاسلام ، فعاتبه ربه سبحانه وتعالى لتركه الاولى . وقد سمي سبحانه ترك الاولى بالذنب ، لان محمـدا خاتم الرسل ولا يجب ان يصدر عنه مثل هذا فعظم الموقف لعظمة صاحبه عليه الصلاة والسلام .



للاستاذ/ حسين القباني

كان من أوائل الشبان الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذين صبروا على أذى قريش واضطهاد الكفار لهم والتربص بهم .. ولما أمر الرسول أصحابه بالهجرة الى الحبشة ، هاجر هو مع الفوج الثاني .

وكان يكنى « أبا العاص » ... ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام .. لفرط حبه له واعتزازه به .. غير هذه الكنية وسماه « أبا مطيع » .

انه هشام بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي .. أخو عمرو بن العاص من الأب ـــ أما أمه .. فهي حرملة بنت هشام بن المغيرة ..



وقد دخل في الاسلام قبل أخيه عمرو .. ورغم أنه أصغر منه سنا ..
وكان عمرو بن العاص يقول عنه دائما : « أسلم قبلي واستشهد وبقيت ... » .

هذا يعني بوضوح أن عمرا كان يرى أن أخاه الأصغر أفضل منه ... لأنه أسلم قبله ، واستشهد قبله أيضا .

وعاد من الحبشة الى مكة ، بعد أن علم بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام الى المدينة .. وقرر أن يلحق بالرسول ، ولكنه كان يعلم أن المشركين كانوا يتربصون بهم ، ويمنعونهم من اللحاق بالرسول في المدينة حتى لا يكثر عددهم وتقوى شوكتهم ... وكان هشام ملهوفا الى

الوقوف بجانب حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فراح يلتمس السبيل للهرب الى المدينة ، ومن ثم اتفق مع عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة رضي الله عنهما للهجرة معهما .. وتواعدوا على اللقاء سرا عند اضاءة - أي غدير - بني غفار على مسافة أميال قليلة خارج مكة .

وفي الوقت المحدد شرع هشام في تنفيذ المخطط ... ولكنه ما أن سار في الطريق الى مكان اللقاء ، حتى فطن أهله بأمره .. فلحقوا به وأمسكوه .. وكذلك فعل أهل عياش بن أبي ربيعة ... وأودعوهما السجن بمكة ... ليأمنوا هجرتهما ... أما عمر بن الخطاب .. فقد استطاع أن يهاجر في تلك الليلة .. وينجو من لحاق المشركين به ..

وظل هشام في سجن مكة بضع سنين ، يلقى من ألوان العذاب ما يهد الجبال .. ولكنه صبر وتجلد وقاوم وهو يؤمن بأن فرج الله قريب .. وكان الرسول كلما جاءته أنباء هذا العذاب الذي يصبه المشركون على سجناء المسلمين .. دعا ربه في قنوت الصلاة ، والمصلون من ورائه يرددون :

« اللهم انج الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين » .

واستجاب الله لرسوله .. فنجا عدد كبير من سجناء المسلمين في مكة .. ولما طال السجن بهشام بن العاص .. وعياش بن أبي ربيعة ... قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه :

- من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ..؟

وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة ، قد نجا من سجنه ولحق بالرسول الكريم في المدينة ، فلما سمع هذا القول ، وثب واقفا وقد انتضى سيفه وقال :

- أنا لك يا رسول الله ..

ووضع الوليد خطة لانقاذهما .. فتنكر في ملابس وسمت غير ملابسه وسمته ، ومضى الى مكة كغريب جاء لبعض شأنه .. وراح يتلطف مع الناس ويسأل حتى عرف مكانهما ، فاذا هما في سجن تقوم عليه الأسوار ... مقيدان لا يستطيعان حراكا .. ولكنه لم ييأس .. ولم يهن .. وانما انتهز ليلة ظلماء هوجاء الريح .. فتسلق الأسوار في غفلة من الحراس .. وهبط الى السجن ، وتحسس الطريق الى السجينين حتى عثر بهما .. وسرعان ما فك قيودهما .. وخرج بهما مستخفيا الى بعير كان قد أعده سرا خارج مكة .. وعاد بهما الى الرسول الكريم ، الذي سر بنجاتهما سرورا كبيرا وحمد الله وأثنى على شجاعة الوليد وعلو همته ..

وتتحدث كتب التاريخ على مختلف مصادرها عن شجاعة هشام بن العاص في الحروب .. وفي اخلاصه وتفانيه لنشر دعوة الاسلام واعلاء كلمة الله في الأرض .. فما من مهمة عسكرية يرسله الرسول فيها الا ويعود مؤزرا بالنصر والتوفيق .... وقد روي عن الترمذي والنسائي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن هشام وأخيه عمرو : « مؤمنان .. هشام بن العاص .. وعمرو بن العاص » ..

والايمان مرتبة أعلى من الاسلام .... وما من شك في أن كل مسلم يتمنى أن يشهد له الرسول الكريم شهادة كهذه ... وليس بعد شهادة الرسول شيء ..

ولم يكن هشام بطلا صنديدا في الحرب وحسب .. ولم يكن مؤمنا عظيم الايمان فقط .. وانما كان على رجاحة عقل وحسن تدبير وبلاغة قول .. فلا عجب أن وثق به أبو بكر رضي الله عنه ، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأرسله الى ملك الروم مندوبا عنه في التفاوض معه لشأن ما من شئون الدعوة الاسلامية ، فكان نعم المندوب ، وخير السفير .

ثم جاءت معركة أجنادين بين الروم والمسلمين في أرض فلسطين ... وشارك فيها هشام وأبلى بلاء حسنا .. وكان معه أخوه عمرو .. وقد أعان كل منهما أخاه استعدادا للمعركة ... وفي هذه المعركة ، لاحظ هشام بعض التراخي في صفوف المسلمين .. فاندفع الى قلب الأعداء ، وقد سيطرت عليه الحماسة ... وغلبه الشوق للاستشهاد مع النصر .... وأرسل صيحته المشهورة يحث بها اخوانه في الجهاد : « أنا هشام بن العاص .. أمن الجنة تفرون » ..

وتدافع المجاهدون وراءه يتسابقون الى الاستشهاد والجنة .. وكان لهشام ما أراد .. فانتصر المسلمون .. واستشهد هو .. وقال أخوه عمرو بعد أن جمع أشلاءه من أرض المعركة :

« أيها الناس .. ان الله قد استشهده .. ورفع من روحه » ..

وظل عمرو كما سبق القول ، يتحدث عن أخيه هشام ويذكر فضله ، ويقول :

ـ لقد شاركنا في المعركة .. وأعان أحدنا الآخر ، وعرضنا أنفسنا على الله .. وكلنا يسأل الله الشهادة ، فقبله وتركني .. وحرمتها ورزقها ..

ألا ما أعظم هؤلاء الرجال .. ألا ان في سيرتهم لعبرة ومثلا يحتذى .. وحسبهم مكانة عند الله .. أنهم كانوا يتسابقون الى التضحية بالنفس في سبيل الله ... ويتفاخرون ، لا بالأحساب والأنساب .. وانما بالسبق في الشهادة والفداء ...



تكريم المصحف

جاءنا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد هذه الكلمة في الحث على تلاوة القرآن الكريم وتدبره وتكريمه وعدم امتهان شيء من الاوراق والصحف التي تحمل آياته :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الاولين والاخرين نبينا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين . اما بعد :

فان القرآن كلام الله تعالى انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هدى ونورا للعالمين الى يوم القيامة وقد اكرم الله صدر هذه الامة بحفظه في الصدور والعمل به في جميع شئون الحياة والتحاكم اليه في القليل والكثير ولا يزال فضل الله سبحانه ينزل على بعض عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حسا ومعنى ولكن هناك طوائف كبيرة واعداد عظيمة ممن ينتسب الى الاسلام حرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واخشى ان ينطبق بحق كثير منهم قوله تعالى (**وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**) اذ اصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورا هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به فلا حول ولا قوة الا بالله . ولقد غفل كثير منهم عما يجب عليهم من تكريم كتاب الله وحفظه اذ قصروا في مجال الحفظ والتدبر والعمل كما لم يقوموا بما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب العالمين ولقد عمت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات وكثيرا ما تشتمل على ايات من القرآن الكريم في غلافها او داخلها لكن قسما كبيرا من المسلمين حينما يقرؤون تلك الصحف يلقونها فتجمع مع القمائم وتوطأ بالاقدام بل قد يستعملها بعضهم لاغراض اخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات والله سبحانه وتعالى يقول عن كتابه الكريم (**انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين**) والاية دليل على انه لا يجوز مس القرآن الا اذا كان المسلم على طهارة كما هو راي الجمهور من اهل العلم وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمس القرآن الا طاهر . ويروي عن ابن عمر .. ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (**لا تمس القرآن الا وانت طاهر**) وروى عن سلمان رضي الله عنه انه قال لا يمس القرآن الا المطهرون فقرأ القرآن ولم يمس المصحف حين لم يكن على وضوء . وعــن سعد انه امر ابنه

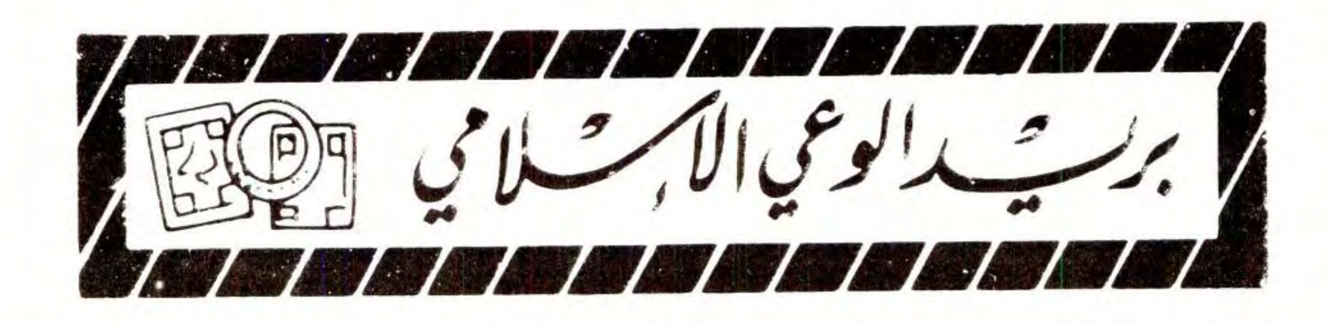
بالوضوء لمس المصحف . فاذا كان هذا في مس القرآن العزيز فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على ايات من القرآن العزيز سفرة لطعامه ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات لا شك ان هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين .

فالواجب على كل مسلم ومسلمة ان يحافظوا على الصحف والكتب وغيرها مما فيه ايات قرآنية او احاديث نبوية او كلام فيه ذكر الله او بعض اسمائه سبحانه فيحفظها في مكان طاهر واذا استغنى عنها دفنها في ارض طاهرة او احرقها ولا يجوز التساهل في ذلك وحيث ان الكثير من الناس في غفلة عن هذا الامر وقد يقع في المحذور جهلا منه بالحكم رايت كتابة هذه الكلمة تذكيرا وبيانا لما يجب على المسلمين العمل به تجاه كتاب الله واسمائه وصفاته واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وتحذيرا من الوقوع فيما يغضب الله ويتنافى مع مقام كلام رب العالمين والله سبحانه المسئول ان يوفقنا والمسلمين جميعا لما يحبه ويرضاه

خواطر من وحي المصطفى

جاءنا من الاستاذ عبد الرزاق حسن العائش هذه القصيدة :

ولينتصر جيش الاخاء ويرتفع	فوق المآذن للصلاح اذان
إيوان كسرى قد تصدع خاشعا	ولعرش قيصر زلزلت اركان
بسمات فجر مزقت ثوب الدجى	ما عذر من اغوتهم الاوثان
يا ويحهم عبدوا الدمى من صنعهم	سحقا لرب ربه انسان
يا رحمة للعالمين تحية	ومن التحايا ملجأ وامان
فاليك يا هادي الانام خواطري	ما شابها كذب ولا بهتان
جئت الوجود ولم يزل في عهده	طفلا تولى امره شيطان
فاذا الحياة خلية موبوءة	تنمو بها الاحقاد والاضغان
واذا السلام جرائم وحشية	ينمى اليها الجهل والحرمان
واذا القصيدة دمية يعنو لها	ملك الملوك وتنحني تيجان
مرض النفوس من العسير علاجه	حتى اتى بشفائه القرآن
فاذا الحياة رياض حب صادق	ثمراتها المعروف والاحسان
واذا السلام تآلف ومودة	ينمى اليه العلم والعرفان
وطن رفعت من الحضيض كيانه	بلغ المدى رفعت به اوطان
ورست على حب الوئام دعائم	فتفيأت بظلالها الاكوان
وسرت على النهج القويم قوافل	وحدت على نغم الهدى ركبان
فمن العجائب ان تفرق امة	نادى بجمع صفوفها الفرقان



الاشتراك بالمجلة

إلى طالبي الاشتراك بالمجلة يمكنكم تأمين وصول أعداد المجلة إليكم بالاشتراك فيها عن طريق متعهد التوزيع في بلادكم ، وفي صفحة الغلاف الداخلية الأخيرة بالمجلة ثبت بأسماء متعهدي التوزيع ، وإن لم يكن بالقرب منكم متعهد توزيع فيمكنكم الكتابة إلى الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) - بيروت . لبنان .

والشركة ستتولى تأمين وصول المجلة إليكم في موعدها إن شاء الله .

الاستطلاعات

الأخ جمال رمضان ثابت ـ ج. م. ع

يطلب أن تخصص المجلة صفحات أكثر لتفسير القرآن الكريم ، وأن تواصل جولاتها الاستطلاعية عن أحوال المسلمين ومآثرهم الحضارية ، لأنه لاحظ توقف ذلك .

ونقول للأخ جمال :

إن المجلة حريصة على أن تتصدر أعدادها مقالات ودراسات عن القرآن الكريم تفسيرا وشرحا واستنباطا للأحكام وإظهارا لحكم الله في أوجه حياتنا المختلفة ، ولا يكاد عدد يخلو من ذلك .

أما عن الاستطلاعات فان المجلة لا تألو جهدا في التعريف بأوطان المسلمين وأوضاعهم ودراسة الآثار الاسلامية كلما رأت ذلك مفيدا ، وهي إذ توقف نشاطها في هذا الميدان لبعض الوقت فلكي تثب وثبة أخرى فتستعرض أوضاعا جديدة لعالمنا الاسلامي .

ونشكركم لاهتماماتك الاسلامية ، وحرصك على مطالعة مجلتك ، والله يوفق للخير دائما .

الأهل وزواج ابنهم

نقول للأخ سعد عمار الثابت ـ من تونس :ـ

إن الزواج حالة اجتماعية ، ترتبط فيها أسرة بأسرة لتنشأ بينهما علاقة مصاهرة ، ومن هنا فان الاسلام حريص على أن يحظى الزواج بموافقة الأهل ورضاهم ، وأن يكون الزواج

مظهر فرح للجميع ، ولما كانت خبرة الشاب ـ أو الفتاة ـ في مثل هذه الأمور محدودة ، فان الوالد والوالدة يقدمان النصح ، ويرشدان ابنهما إلى من تصلح له زوجا ، ويكون ذلك من واقع حبهما لابنهما وحرصهما عليه .

وليس الحب ، أو العشق على حد قولك ـ هو كل شيء في الزواج ، بل ذات الـدين والأخلاق الفـاضلـة أولا ، والرغبة في إعفاف النفس ، وإنجاب النسل الصالح من زوجة صالحة ، وقد تغيب عنك أشياء كثيرة لابد من توافرها فيمن تريدها زوجة لك ، ولا تهتم إلا بمظهرها فقط ، والمظهر غالبا ما يكون خداعا خصوصا في فترة الخطوبة ، فكل من الخطيبين حريص على أن يظهر بأحسن مظهر ، ومن هنا فان الولد العاقل ينشيء حوارا بينه وبين والديه ، حتى يقتنع بـوجهة نظرهما أو يقنعهما هو بوجهة نظره ، وبذا يتم الفرح في أجمل صورة ، حيث رضا الوالدين من رضا الله سبحانه .

أما إذا استعصى الوفاق ، فاحرص على إرضاء والديك ، ولا تسيء إليهما ، مع العلم بأنه ليس لهما أن يرغماك على الزواج ممن لا تريدها ، ولا أن يمنعاك من الزواج بمن تحبها ، ولعل ذوى القـربى يستطيعون التـوفيق بينكم ، والله يتمم على خير .

أكثر الله أمثالها

حمل البريد إلينا رسالة الأخ الاستاذ محمود زيدان سفاريني .. كتب فيها تحت عنوان « أكثر الله أمثالها » يقول :ـ

عرفتها والدة لثمانية أطفال ، توفي زوجها منذ سنوات وأبقاها وصغارها بدون وارد سوى ما يقدمه لها أهل الخير ، فخصصت لها من فاعل خير راتبا شهريا مقداره ٣٠ دينـارا ، واستمر الحال على هذا المنوال ست سنوات .

وفي المرة الأخيرة ، وقبـل فترة قصيـرة ، ذهبت لأعطيهـا المبلـغ كالعادة ، فأبت وقالت الآن أعلمك أن ابننا الأكبر قد تخرج وعمل . ومن فضل الله فقد أصبحنا الآن بنعم . وبما أنني ياأخي ذقت مرارة الفقر ، فاني أصبحت أشعر بحالة الأرامل الفقيرات ، وأتألم لهن كثيرا . وعلى هذا الأساس فاني أريد تخصيص مبلغ « ٣٥ » دينارا اردنيا شهريا للأرامل والأيتام وللعائلات المستورة من راتب ابني هذا . وقالت تفضل ، هذه الـ « ٣٥ » دينارا الدفعة الأولى في سبيل الخير . وقالت لي : أرجو منك ياأخي أمرين . الأول : أن تقول لكل عائلة « مستورة » تذهب إليها : إن الله مع الصابرين ، وليس بعد الضيق إلا الفرج . والثاني : أن تطلب من الأرامل اللواتي يخصهن نصيب من مبلغنا هذا أن يدعون لولدنـا بالتوفيق والصحة والعافية كما كنت تطلب مني أن أدعو بالخير لأبناء من كانوا يحسنون لنا عن طريقك

فخرجت من بيتها وأنا أقول : دنيا تحوي أمثال هذه المرأة المتواضعة الصابرة الكريمة فانها لازالت بخير ..



قرية كاملة تعتنق الاسلام

نشرت صحيفة الرائد المغربية بتاريخ ١٩٨١/٩/٣٠ تحت هذا العنوان تقول :

كانت زيارة (ميناكشي بورم) التي تعرف الآن « برحمت نجر » بعد أن اعتنق معظم سكانها الاسلام وغيروا اسم القرية ، أسعد لحظات الحياة ، وأمتعها ، وقد كنا سمعنا وقرأنا في الصحف عن إسلام جماعة كبيرة تتراوح بين ٨٠٠ إلى ألف شخص ، وما آثار هذا الحادث من صدى في الأوساط السياسية ، ولكن الزيارة تركت آثارا لا تمحى ، فان إجتماع الاخوان الجدد الذين دخلوا في الاسلام ومظاهر الاخاء الاسلامي الذي يقضي على سائر الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والحماس والروح والعواطف المتدفقة وبريق الأمل في المستقبل الزاهر الذي كان يتجلى في وجه المسلمين الجدد ، كان قد بعث في القلوب الأمل في مستقبل الاسلام وصلاحيته لجذب القلوب ، وقوته في التآخي .

وصلنا إلى القرية من مصيف كوتالم حيث انتقلنا [illegible] بعد [illegible] زيارة ترو[illegible]ربلي ، و[illegible] المس[illegible] الجدد وعدد كبير من الدير كانوا يعزمون إعتناق الاسلام قد إحتشدوا في حفل شيق ، كان قد زين باللافتات التي تحمل آيات قرآنية ، وكلمة لا إله إلا الله ، وكانت الوجوه مستبشرة ، يلوح فيها نور الايمان ، قلوب صافية كاللوحة البيضاء بعد أن هدم الاسلام ما كان قبله ، وزكي القلوب .

بدأ الحفل بتلاوة آية من الذكر الحكيم ثم ردد سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي كلمة الاسلام فدخل أكثر من ١٥٠ شخصا في الاسلام وعلت هتافات الله أكبر ، وسبق أن أسلم أكثر من ألف شخص بفضل جهود الدعاة المحليين وخاصة جهود جمعية إشاعة إسلام في ترنلوبلي ، التي يرأسها الشيخ عبدالرحمن الرفاعي .

وتحدث سماحة الشيخ الندوي بهذه المناسبة وأعرب عن غبطته بحضور هذه المناسبة السعيدة ، وأوضح أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الذي يسلم إيمانا وإحتسابا كان كمن ولدته أمه ، وقال إن الله شرفكم بالاسلام وهو نعمة

عظيمة لا تساويها نعمة ، وأصبحتم إخوانا لنا ، لا فضل بيننا وبينكم إلا بالتقوى ، وهنا سالت الدموع من العيـون ، ودمـوع الفـرح أحـلى الدموع ، وذكـر سماحتـه قصص الصحابة رضي الله عنهم . كيف كانوا يتسابقون إلى الخير بعد الاسلام ، ويصبحون دعاة إلى الاسلام ، ثم دعاهم إلى التمسك بتعاليم الاسلام والاهتمام بالاخلاق الحسنة ، وتعلم مبـادىء الاسلام ونظـام حياتـه ، والتوحيد الخالص ، وبدء الحياة من جديد ، وأكد سماحة الشيخ الندوي ضرورة فتح مدارس ، ومراكز لتربية البالغين ، وتعليم الأطفال للمسلمين الجدد ونشر التعاليم الا سـلامية ، واطلع على الاجراءات التي تتخذها الجمعيات الاسلامية في المنطقة في هذا المجال .

سؤر المؤمن شفاء

لقد اهتزت الجماهير بهذه التجربة الغريبة في حياتهم ، فقد مر المسلمون الجدد في جاهليتهم بتجربة قاسية ، كان يحرم عليهم أن يجلسوا مع أعضاء الطبقة الراقية من الهندوك ، أو يأكلوا معهم ، أو يستخدموا الآبار التي يستعملونها ، فضلا عن الشرب أو الأكل في إناء واحد ، ومروا باحتقار ومذلة ، ولكن هذا الحفل الاسلامي شهد تجربة جديدة خلفت أثرا طيبا ، إذ قدمت كأس إلى المسلمين الجدد ليشربوا منها فشربوا منها ثم شرب منها العلماء والقادة الجالسون على المنصة ، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، والاستاذ عبدالكريم باريكة ، ورئيس العصبة الاسلامية ، ونواب البرلمان الآخرون من المسلمين ، وكان في هذا السؤر شفاء لما في الصدور ، فسبحان من شرفنا بنعمة الاسلام .

وبعد هذه الحفلة التاريخية توجهنا إلى مسجد متواضع بناه المسلمون الجدد بأيديهم حديثا بعد أن هجروا معبدهم الهندوكي ، وصلينا المغرب مع الأخوان والمصلين الجدد ، ومرة أخرى تلاشت سائر الفروق ، وقام في صف واحد ، رجال مختلف الطبقات الذين وحدهم الاسلام .

قصة الاضطهاد الذي يدفع فقراء الهند لاعتناق الاسلام

كما ذكرت جريدة الاتحـاد الظبيانيـة بتاريـخ ١٩٨١/٩/٢٦ حول هذا الموضوع ايضا وقالت تحت هذا العنوان :

نيودلهي ـ أ ف ب : خرج حوالي مائتي شخص من المنبوذين الهندوس وقد حملوا امتعتهم القليلة على عربات تجرها الثيران وارتدوا اسمالا بالية

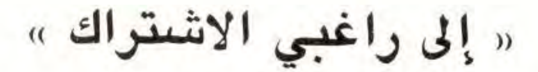
فرارا من قريتهم « نيزامبور » الواقعة على بعد حوالي ثلاثين كيلو مترا من نيودلهي . بحثا عن الحماية في العاصمة الهندية من مضايقات السكان ورجال البوليس في قريتهم التي تنتمي الى الطبقة الهندوسية العليا .

وصرح أحد « الهارجيان » (وهو الأسم الذي يطلق عادة في الهند على المنبوذين أي الطبقة الدنيا من الهندوس) قائلا (إننا نرغب في العيش كبني البشر الآخرين .. إنهم (يقصد هندوس الطبقة العليا) يضربوننا حينما يشاءون ويعتدون على زوجاتنا حين تستبد بهم الرغبة ويضرب أطفالهم أطفالنا في المدارس من باب اللهو .. لقد تحملنا كل ذلك سنوات طويلة ولكننا قررنا الاحتجاج الآن » .

وقد احتل المنبوذون فجأة أحداث الساحة في الهند منذ أن قرروا اعتناق الاسلام أو البوذية للافلات من المصير الذي ينتظرهم وكذا اعتنق عدة آلاف من الهاريجان (أبناء الله) الاسلام في جنوبي الهند ويعتنق حوالي مائتي ألف آخرين البوذية خلال الشهر القادم خلال تجمع كبير سيعقد في أحمد أباد مركز صناعة النسيج في غرب الهند . ويمثل الهاريجان وهم الطبقة الدنيا في النظام الهندوسي حوالي ١٥٪ من السكان في الهند أي ١٠٣ مليون نسمة من بين تعداد السكان في الهند البالغ ٦٨٠ مليون نسمة ويعمل أغلبهم في صناعة الأحذية والخدمة في المنازل أو كعمال زراعيين .

وتعد المصادمات بين المنبوذين وأفراد الطبقة العليا ظاهرة حديثة العهد إذ طالما اعتقد الهاريجان حتى وقت قريب أنهم إنما خلقوا لخدمة الطبقة العليا ولم يحدث قط أن إحتجوا أبدا حتى في حالة تعرض البعض منهم للضرب الذي يفضي للموت أو في حالة تعرض بناتهم للاعتداء . إلا أنه بعد حصول الهند على الاستقلال في عام ١٩٤٧ حصل الهارجيان على بعض الحقوق لاسيما حق مجانية التعليم وحق التعيين في بعض الوظائف العامة التي كانت قاصرة على فئات متميزة وقد انخرط بعض الهاريجان في العمل السياسي وأصبح البعض منهم وزراء كما يشغل البعض منهم مقاعد في البرلمان الفيدرالي وقد أدى تمردهم إلى وقوع حوادث دامية بينهم وبين هندوس الطبقة العليا خلال الأعوام الأخيرة الماضية وقد قرروا الآن الانضمام جماعة إلى بعض الطوائف الدينية الأخرى . إلا أن أغلبية الهاريجان في الريف الهندي تعيش إلى الآن كقطعان الماشية حيث تتعرض للتعذيب إلى حد الموت في بعض الأحيان عند أقل بادرة احتجاج ويسكن الهاريجان عند أطراف القرى في مساكن بنيت بالطين ويعملون ١٨ ساعة يوميا مقابل وجبة واحدة أو أحيانا مقابل رداء ويحظر عليهم استخدام مياه الآبار الخاصة بالطبقة العليا .

● ●



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ــ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .

الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية

المغرب : الدار البيضاء ــ سابرس ــ محمد برادة

تونس : الشركة التونسية للصحافة .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)

صنعاء : دار الفكر

البحرين : دار الهلال

قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣

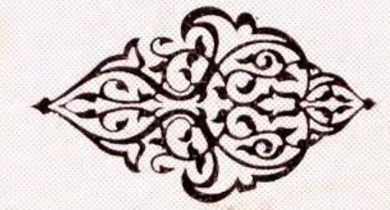
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)

دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ



٢٠٨
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٨ ● ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ ● فبراير ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم: ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

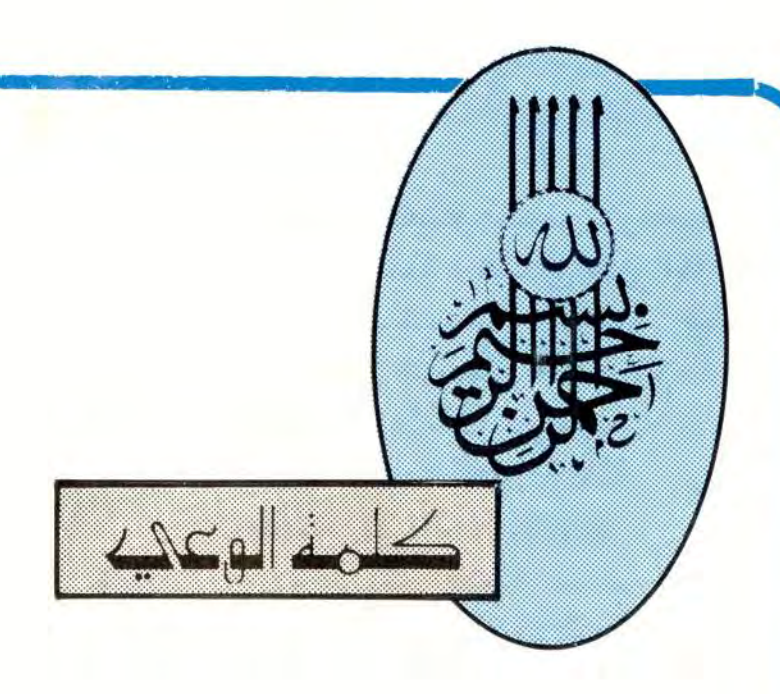
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب «٤٢٢٨» بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



العظمة الفريدة في تاريخ الانسانية

الناس امام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي ختم الله به الرسالات، وجعله رسولا الى الناس كافة (مؤمنون وكافرون). فالمؤمنون برسالته يرفعون مقامه عن المقارنة والمقايسة بينه وبين غيره، لأن الميزان الذي يحمل في احدى كفتيه النبوة والرسالة العامة تبقى كفته الأخرى طائشة،

ومكانة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة على سمو القدر، ومعالي الامور، وبلوغ المنزلة الكبرى في خصال المجد والشرف. ولا يوجد في الناس منذ ان خلقهم الله الى ان تنتهي الحياة من يساويه او يقرب منه في هذه المكانة. بل هو اوسع الناس فيها مجالا، وابعدهم اثرا، وارسخهم قدما.

ولم تكن عظمته صلى الله عليه وسلم عظمة الملوك المتجبرين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون. فعظمة هؤلاء عظمة ارضية موقوتة مهما ملكوا من ثمرات الارض وخيراتها، ومهما كان لهم من سلطان وجبروت.

لقد حكى الله تعالى عن « فرعون » غروره بالملك في قوله: (اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون)، وادعاءه الالوهية في قوله: (أنا ربكم الأعلى). فماذا كان؟ كان أن اخذه الله نكال الآخرة والاولى، واغرقه وقومه الذين اطاعوه: (فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين. فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين. فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين).. اما محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعثه الله بالدين القيم، والشريعة المحكمة، وجعله القائم على تلك الشريعة يبلغها للناس مبشرا ونذيرا. وبعد ان تناسق عقدها، وتكاملت نجوم هدايتها، وانزل الله تعالى قوله: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) التحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى مخلفا للمسلمين شريعة خالدة، وسياسة حكيمة، فكانت دولتهم ذات بأس شديد على الباطل واهله، ورحمة حانية على الحق وذويه.

ولم تكن مكانة محمد صلى الله عليه وسلم مكانة الاغنياء المختالين الطاغين بغناهم. فعظمة هؤلاء عظمة كاذبة، لأن المال لا يعد - في نظر اولى العقل - من مظاهر العظمة، وانما هو وسيلة الى خير او الى شر. وقديما كان « قارون » - وقد اتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة - باغيا على قومه، زاعما انه اوتي المال على علم عنده، واصم اذنيه عن سماع النصيحة، فكانت النتيجة ان خسف الله به وبداره الارض، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين. ولا عجب فان صاحب المال الذي يركض به الى المحرمات، وينفقه بعيدا عن الطاعات وينكر فضل الله عليه، وحقه في ان يشكر على نعمائه وان يحمد على عطائه، اعظم منه البائس الفقير الذي يزيد عليه

بمثقال من علم او فضل .
وقد كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في حالتي كفافه ويساره ، يمثل الصبر والسكينة والزهد والسخاء . اذ لا يخدش الفقر والاقلال مكانة الانسان اذا نهضت بـه الحكمـة والـعـزم والاخلاص ، وارغم انوف الطغاة الذين يمشون في الارض مرحا .
ولا يمكن ان يوازن المؤمنون بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القواد الفاتحين في عدد ما فتحوا من المدن او الممالك . واذا عددنا فتح مكة من مظاهر عظمته السامية ، فلأنه نتيجة جهاد وصبر وثبات ، ولأنه الفتح الذي اخذ به الاسلام مظهرا مهيبا ، وقطعت به الدعوة الى الحق شوطا واسعا ، والذي يفتح مدينة فيملؤها ايمانا بعد شرك ، واصلاحا بعد فساد ، تكون عظمته في قلوب عقلاء الناس وحكمائهم فوق عظمة من يفتح المشرق او المغرب ، وهو يحمل في نفسه غطرسة وكبرا ، وفي يـده اذلالا وارهاقا !!
ولا تصح المقارنة بين رسول الاسلام فيما اسدى للانسانية ، وبين كبار الفلاسفة والمختـرعين والمكتشفين فيما قدموا من نظريات ومكتشفـات ومختـرعـات ، فـان الاختراع والاكتشاف مما ينالـه النـاس بالـذكاء والمثـابرة عـلى البحث ، وقد جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمة وقفت دونها انظار الاذكياء ، وتخبطت في البحث عنها عقول الفلاسفة ، وهي الحقائق والاداب والنظم التي هي قوام الحياة السامية .. هذه هي الحكمة التي اختار الله لها محمدا صلى الله عليه وسلم فالقاها على الناس دروسا نافعة ، وتـرجمها سلوكا مستقيما ، ولبس من زينتها سيرة كريمة ، ولا يضيره بعد هذا العلم وهذا السلوك وهذه السيرة الا يخترع من الحديد غواصة ، والا يكتشف اثرا كان تحت الارض غـائبـا .. واذا اعتـرف النـاس بالعظمة لفيلسوف كشف عن شيء من غوامض الطبائع المادية ، فان عظمـة من يكشف عن الحقـائق العقليـة والفضـائـل النفسيـة والصـلات الادبيـة والقـواعـد العمـرانية اسنى مطلبـاً واجلى مظهرا .
اما الكافرون الذين لم يهتدوا بالاسلام ، فمن دخل منهم دائرة

البحث النزيه لم ينصرف عنه الا وقد شهد من سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عظمة فائقة ، قال الفيلسوف « تومس كارليل » :
« اتبين في محمد عقلا راجحا ، وعينا بصيرة ، وفؤادا صادقا ، ورجلا قويا عبقريا ».
والدكتور « مايكل هارث » مؤلف كتاب « المائة » في هذا العصر الذي عني فيه بالبحث عن اهم مائة رجل في التاريخ الانساني كله ، قد اختار « الاول » في الاهمية في التاريخ الانساني كله نبي الاسلام محمدا صلى الله عليه وسلم . اختاره المؤلف وهو رجل مسيحي يعيش وسط العالم الامريكي المسيحي اليهودي .

يقول الدكتور « مايكل هارث » « ان اختياري محمدا ليكون الاول في قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح اعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي . انه الوحيد الذي اتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكامها ، وآمنت به شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه اقام الى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي ايضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في امة ، ووضع لهذه الامة كل اسس حياتها الدينية والدنيوية .

ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب احد المراكز الحضارية في العالم ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم . ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس .

وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ، ولكن في حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما وتغيرت لغة ودينا وقومية من العراق وسوريا الى اخر الشاطىء الافريقي غربا ، الى السودان جنوبا ، وبقيت امة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الان . وهو معيار في قياس اثر الرسالة واستمرارها الزمني وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم .

كذلك لا يوجد نص في تاريخ

الرسالات نقل عن رجل واحد وبقى بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقلـه محمد . الامر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا او الانجيل .

ومن اجل هذا كله فاني وجدت ان محمدا هو صاحب الحق الوحيد في ان اعتبره صاحب اعظم تأثير اصلاحي على الاطلاق في التاريخ الانساني ».

فهذه هي العظمة الفريدة في تـاريخ الانسـانية اعطـاهـا الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدق الله تعالى في قوله لرسوله : (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) .

فهل للعالم المعاصر ان يدرك مغزى تلك العظمة فيفيء الى رحاب الاسلام ليهتدي الى الصـواب ؟ : (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) .

وهل للمسلمين ان يثوبوا الى رشدهم ويتبعوا ما انزل اليهم من ربهم ، ويعملوا صادقين لاستعادة مجـدهم بالاقتـداء بـرسـول الله العظيم ؟ ممتثلين لقول الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) وذاكرين لقوله جل شأنه : (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) .

الرجاء في الله عظيم ، والامل في تـوفيقه لا ينقطـع ، وليس بعد الغفلة المطبقة التي رانت على قلوب المسلمـين ، فـأفقـدتهم عـزتهم وحقوقهم إلا صحوة ايمانية مشرقة تبـدد الظلمات ، وتنـير الطريق وتنـال بهـا العـزة المفقـودة ، والحقـوق المغتصبـة ، والمجـد الضـائـع . ولينصـرن الله من ينصـره : (ويـومئـذ يفـرح المؤمنـون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

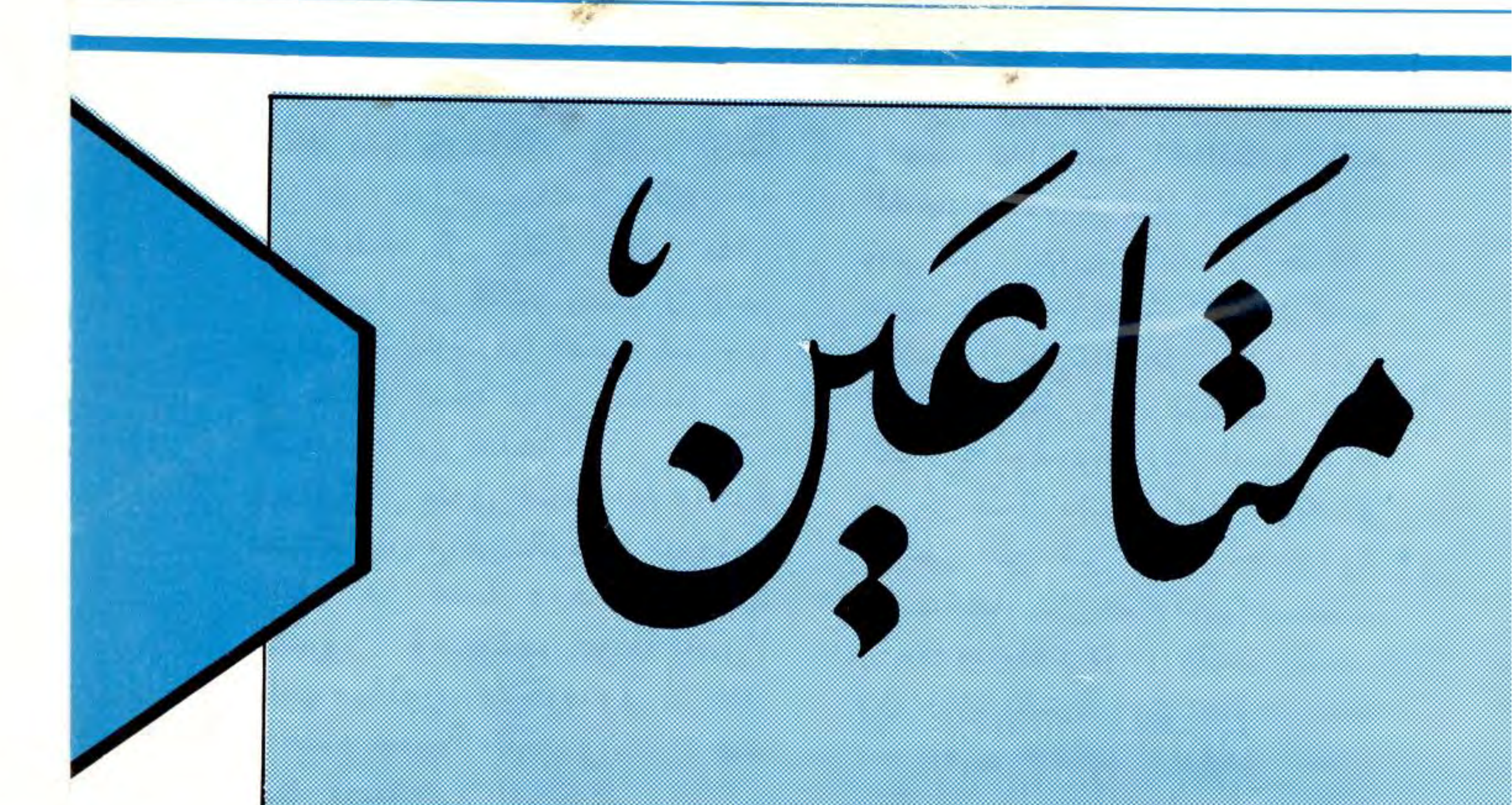
رئيس التحرير

محمد الاباصيري



للدكتور احمد حسنين القفل

يقول المولى تبارك وتعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) .
آل عمران / ١٤ ـ ١٧ .



الانسان صنعة الله ، وقد خلقت النفس الانسانية مجبولة على بواعث فطرية ، وعلى رغائب وميول غريزية ، اتاحها الله لخليفته في الأرض حتى يمكنه بها ان يواصل حياته عليها سعيدا موفقا مرزوقا ، اذا هو احسن الاداء واخذ بالاسباب . ولم تغره الاهواء لكن الانسان قد يجرفه الانحراف . وتبطش به الاهواء فيغرق في لذائذه الدنيوية بلا حساب ، وينقاد الى شهواته البهيمية بلا حدود ، ويستمتع استمتاعا ممقوتا ، لا يلتزم بحلال او حرام ، ولا بتكاليف شرع او دين ، فتستهويه دنياه بما حوت من زخارف تتراءى له ، وينساق الانسان وراء خطوات شيطانه ، فينسى أن له آخرة ، وانه سيحاسب على ما قدمت يداه ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . لا يدري ان كل امرىء بما كسب رهين ، وان ليس للانسان الا ما سعى . وان الله سوف يجزيه الجزاء الاوفى .

والاسلام بتكاليفه وتعاليمه لا يكبت الغرائز ، ولا يهمل البواعث الفطرية فقد وهبها الله للنفس البشرية كما اسلفنا لانها ضرورة لازمة في الحياة ، لكن الاسلام لا يطلق للغرائز العنان ، ولا يجعل البواعث الفطرية تندفع بلا حساب ، ولكن الاسلام يضبطها وينظمها ، ويرسم لها الحدود والمقاييس التي تخفف من حدتها ، وتحول دون اندفاعاتها بحيث يكون الانسان سيد نفسه لا عبد شهواته وغرائزه . والله العليم الخبير ، الذي يعلم سر صنعته البشرية ، يصف متاع الحياة الدنيا بأنه قليل مهما كثر ، وان الباقيات الصالحات خير وابقى . وان الدنيا لو كانت تساوي

عند الله جناح بعوضة ، ما سقى الكافر منها جرعة ماء . ولهوان الدنيا على الله ، يقول سبحانه في قرآنه ، انه لولا مخافة ان يفتتن المؤمن بغنى الكافر ، لجعل الكافر يتقلب في النعم ويرفل في زخارف من الفضة كمتاع له في حياته الدنيا ليأتي مفلسا يوم القيامة . يقول سبحانه :

(ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) الزخرف / ٣٣ - ٣٥ .

والآيات الكريمة التي صدرنا بها هذا المقال ، تشير الى نوعين من المتاع ، احدهما متاع الحياة الدنيا ، والثاني متاع الآخرة ، كما تشير الى سلوك الانسان - تبعا لشهواته - ازاء كل من المتاعين . فمن الناس من يستهويه متاع الحياة الدنيا فيعب منه بلا حدود ولا ضوابط ، ليكون مفلسا يوم القيامة ، ومن الناس من يستمتع بدنياه بالقدر المطلوب والميزان المحسوب ، مدخرا متاعا اجزل واوفى يجزيه الله به في الآخرة . والفئة الاخيرة المؤمنة لها اوصافها ومعاييرها التي وضحتها الآيات الكريمة . وفيما يلي توضيح ما اجملناه .

١ - الله الذي خلق الانسان ، يأمره صريحا في القرآن الكريم فيقول له : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض)** القصص / ٧٧ .

ومن ثم ، يكون الانسان مخلوقا . مهيئا للاستمتاع بالدارين (الدنيا والآخرة) وترتيبا على ذلك ، تكون البواعث الفطرية ، والرغائب والميول الغريزية موجودة في كل انسان ، اذ هي من مستلزمات مواصلة حياته على الارض التي أمر الله أن يعمرها ولا يفسد فيها ، لكن هناك فرق بين انسان رغائبه وميوله في توازن وتبصر وتدبر ، وفي حدود مأمونة ، وفي اطار ما رسمه الله العليم الحكيم له وقيده الشرع بتكاليفه . وبين انسان آخر يطلق لنفسه العنان في لذائذه الحسية ونزعاته الشيطانية يتعدى الحدود في ارضاء شهواته . مثل هذا الانسان هو الذي « زينت له نفسه او حسن له شيطانه » حب شهواته ، فأرخى لها العنان ، يستمتع بما لذ وطاب في اعتقاده ، لا يحاسب نفسه على حله وحرمه . انه يعيش دنياه ، ويغتنم الساعة التي هو فيها ، انه لا يعترف بمتاع الآخرة أو لا يأبه له ان كان في ذهنه وميض من الاعتراف .

والاسلام بتكاليفه انما يهذب هذه الشهوات الفطرية ولا يكبتها ، وانما يضبط هذه الرغائب والبواعث الغريزية ولا يحرمها ، يضبطها الى الحد الامثل المفيد ، حتى لا تطغى ولا تستشرى ، وعندئذ لا يقتصر ضررها على صاحبها كفرد ، وانما يمتد اثرها الى المجتمع الذي يعيش فيه اذا لم يضرب على يديه ، او يحول بينه وبين

المنكر الذي يأتيه . .
٢ ـ واذا كان « **النساء** » اولى الشهوات التي اشارت اليها الآية الكريمة ، فان تزيين حبهن كشهوة عارمة بدون حدود او قيود هو الامر المنهي عنه في الاسلام . فالله سبحانه وتعالى قد اباح للرجل ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع في اطار (**فان خفتم الا تعدلوا فواحدة**) كالنص في سورة النساء (٣) . والله تبارك وتعالى يمتن على الانسان ان خلق له من مثله زوجة يبدأ بها تكوين اسرة من افراد جعل بينهم جميعا مودة ورحمة . يقول سبحانه .
(**ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم / ٢١ .
(**والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ..**) النحل / ٧٢ .
وتشير الاحاديث النبوية الكثيرة الى فضل الزوجة الصالحة ، والى ان خير ما يرزق به الزوج هو الزوجة الصالحة التي ان نظر اليها اسرته ، وان غاب عنها حفظته في ماله وعرضه وبيته . ومن ثم ، فان الاستمتاع بالنساء في الحدود وبالقيود التي رسمها الدين ليست مطلوبة فحسب لعمار هذا الكون وانما يثاب عليها اذا صلحت التصرفات حيالها . لكن الشهوة الى النساء المنهي عنها ، والتي هي من تزيين الشيطان ، انما تكمن في تخطي الحدود الشرعية في الاستمتاع بالنساء . فاتخاذهن خليلات شهوة دنيئة ، واستخدامهن في عروض تلفازية او سينمائية ونحوها للاثارة الجنسية ودون احتشام شهوة دنيئة ، والاتجار بالاعراض شهوة دنيئة ، ومعاكستهن والنظر الى محارمهن شهوة دنيئة ، وقس على ذلك الكثير والكثير مما لا يتسع لذكره المقام .
٣ ـ اما « **البنون** » فهم مع المال زينة الحياة الدنيا كما يقرر القرآن الكريم « الكهف : ٤٦ » بل ان الله سبحانه وتعالى يمتن على الانسان بأنه يمده بانعام وبنين (الشعراء : ١٣٣) والبنون نعمة كثمرة لزواج مشروع ، فما من زيجة مشروعة الا ووراءها الرغبة في الانجاب . والوالدان يسعدان في العادة باولادهما فالاولاد في العادة سند الآباء في الحياة ، واستمرار وذكرى لهم بعد الموت . ولكن متى يكون البنون شهوة ممقوتة ؟ يكون الامر كذلك ، اذا اتخذ البنون موضوعا للتفاخر والتكاثر . وقهر الآخرين بالكثرة والقوة ، كما كان الحال في عهد الجاهلية وحين نزول القرآن ، ويكون الامر كذلك اذا كانت الرغبة هي كثرة الانجاب دون اقتدار على التربية الحسنة والتوجيه السليم . ويكون الامر كذلك حين يتزوج الرجل المعدم (الفقير) لا بواحدة مثله بل بأكثر من واحدة بغية المتعة الجنسية في المقام الاول ثم الانجاب الكثير الذي به يخرج اولادا عديدين الى الدنيا من اضيق ابوابها فينحرفون ويعتادون الاجرام ، وقد يتساءل البعض : هل مثل هؤلاء الاولاد يكونون شهوة مطلوبة بالنسبة

للآباء او الامهات ؟ .. ربما فكثير من الاشرار يستمتعون بالاجرام يصيب مجتمعهم ، ولو كان ضحاياه من ابنائهم ، لانهم بما اقدموا عليه من زيجات تفتقر الى القدرة على الانفاق ، لا يكترثون بابوة ولا بنوة . انهم يمارسون متعتهم الجنسية وليكن بعدها ما يكون .

والقرآن الكريم الذي يقرر ان الزوجة سكن للرجل وان الاولاد زينة ، وان بين افراد الاسرة مودة ورحمة يلفت النظر الى حقيقة يجب ان يتنبه اليها كل انسان يقول سبحانه . **(يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم)** . التغابن / ١٤ .

الا ترى معي - ايها القارىء الكريم - ان شهوة الحب الزائد للزوجة والاولاد ، والمبالغة في ارضائهم ، وتلبية جميع رغباتهم التي قد لا يتحملها الزوج ولا يطيقها ، قد تجعله ينحرف في سبيل تلبية هذه الرغبات ، كم سجلت الصحف اليومية حوادث اختلاسات وسرقات - الخ قام بها اناس لم يعتادوا الاجرام اصلا . وانما ضاقت بهم سبل الحياة فانحرفوا مرضاة لرغبات بدت من ازواجهم او اولادهم . انهم يركبون الصعاب في سبيل مرضاة الازواج والاولاد وان كان هذا ليس الطريق السليم . فالله لا يكلف نفسا الا وسعها .

٤ - واكتساب المال من الاوجه المشروعة امر مطلوب ، فالمال سلاح يعين صاحبه على نوائب الدهر . وقضاء الحاجات ، والانفاق على الأهل والعيال ، ومن لا مال له لا سند له . وكأنه يسعى الى الهيجا (الحرب) بدون سلاح . لكن شهوة حب المال تكمن في تكديسه دون استخدامه . وفي الاستحواذ عليه دون استثماره ، وفي كنزه دون التصرف فيه بالطرق المشروعة . ولهذا كانت العبارة في الآية الكريمة بألفاظ **(القناطير المقنطرة من الذهب والفضة)** وفي هذه العبارة اشارة الى كل انواع المال وان اقتصر الامر على ذكر المعدنين النفيسين ، واشارة الى مضمون شهوة حب المال الممقوتة في الاستحواذ عليه وكنزه دون تصرف فيه . ويبشر القرآن الكريم الذين يكنزون الذهب والفضة دون اخراج زكاتها ودون الانفاق منها في سبيل الله يبشرهم بعذاب اليم يوم القيامة على النحو الذي يصوره قول الحق تبارك وتعالى :

(... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) التوبة / ٣٤ - ٣٥ .

ومن الناس من تستبد به شهوة المال فيجمعه من اي طريق تمتد يده اليه ، لا يتحرى في هذا الصدد حلالا او حراما ، انما يأكل اموال الناس بالاثم وهو يعلم ذلك ، ومنهم من يمنعه حب ماله من تأدية زكاته ، « فيسرق »

بذلك الحق المعلوم الواجب تأديته للسائل والمحروم ، ومنهم من يجمع المال لتنفيذ مآرب شريرة ، وشهوات آثمة ، يقول سبحانه :

(ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) البقرة / ١٨٨ .

(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا . وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) . النساء / ٣٧ ـ ٣٩

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) النساء / ١٦٠ ـ ١٦١ .

(والذين في اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج / ٢٤ ـ ٢٥ .

وشهوة المال الممقوتة قد تدفع بالقيم على مال اليتيم ان يتلاعب فيه او يحجزه عنه بعضه اوكله . والله يتوعد مثل هؤلاء فيقول سبحانه :

(وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا) النساء / ٢ .

٥ ـ اما (**الخيل المسومة**) فهي عند بعض الناس زينة مشتهاة ، ورياضة محبوبة ، وتجارة رابحة . والخيل معقود بنواصيها الخير كما يقول الرسول الأعظم ، وقد امر القرآن الكريم باعدادها قدر المستطاع كقوة مرهوبة في الحرب . فقال سبحانه :

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون) الانفال / ٦٠ .

وقد يقول قائل : وما دور الخيل الان بجانب وسائل الحرب الحديثة من صواريخ وطيارات وقنابل نووية .. الخ ؟ ونجيب بان القرآن الكريم نزل والخيل لها شأن اي شأن في الحروب . وظلت كذلك حتى اخترعت الوسائل الحديثة هذه فقل دورها ، ولكن الى حين . ذلك لان مخزون البترول في العالم مهما طال امد استخدامه فسينفد حتما ، وعندئذ تصبح كل هذه الوسائل الحديثة المشار اليها آنفا عاطلة لا فائدة من ورائها . ويعود الامر الى ما كان عليه اصلا قبل اكتشاف البترول كطاقة . ومن يرى الخيل او يقتنيها يفعل ذلك لجمالها ، وذكائها واستخدامها في اغراض مشروعة شتى كالحمل والحرب ـ لا للقهر ـ والفروسية والرياضة .. الخ . اما تربية الخيل

لشهوة غير مشروعة كالقرصنة والاعتداء على الآخرين وترويع الآمنين . والاغارة للسلب والنهب كما كان الحال عليه في الجاهلية وقبل ظهور الاسلام ، فهو ما لا يرغب فيه اذ يكون عندئذ شهوة ممقوتة .

٦ ـ اما (**الانعام والحرث**) وكل ما يتصل بالشئون الزراعية فامتلاكها وحيازتها من الطريق الحلال امر مطلوب ومرغوب فيه ومحبوب ، ذلك لان خيراتها لا تقتصر على فرد دون فرد ، ولا على بيئة يعيش فيها انسان دون اخرى ، فالانعام تشمل الضأن والماعز والبقر والجاموس والابل (الجمال) وخيراتها من لحم ولبن وسمن وجبن واشعار واصواف واوبار وجلود ـ الخ ... لا يستغنى عن كلها او بعضها انسان ، كما ان خيرات الارض الزراعية من محاصيل مختلفة للحبوب والزيوت والبقول ومن فواكه وخضراوات متعددة الاصناف والاشكال والالوان ... الخ .. كل ذلك مشهور فائدته ملحوظ شموليته للناس جميعا . وقد جاء ذكر كل ذلك في آيات متناثرة كثيرة في القرآن الكريم يضيق المقام عن تعدادها بله تسجيلها .

ولهذا كانت الانعام والحرث من نعم الله المبسوطة في كل حين ، والتي تستحق الشكران في كل آن ، لكن متى تكون الانعام والحرث شهوة يتحرز منها المؤمن ؟ اذا كان امتلاكها عن طريق الجور والظلم من طرق غير مشروعة ، او كانت للتكاثر والتفاخر على الآخرين . وللانعام والزروع زكاتها التي يلزم الا يحجبها حبها عن ان تصل الى الفقراء والمحتاجين .

وحين نزل القرآن الكريم ، بدأ في الجزيرة العربية حيث كانت الانعام وتجارتها وحيازتها هي شغل البدو الشاغل في مثل هذه البيئة ، وحيث كان امتلاكها من اي طريق شهوة الفرد والقبيلة .

وفي عصرنا الحالي قد تتحكم الشهوة العارمة في رفع الاسعار الخاصة بالانعام ومنتجاتها ، وبالارض وانتاجها حتى ليموت الناس جوعا في بعض المناطق ، بينما يغرق الآخرون محاصيلهم في قاع المحيط بغية تقليل عرضه لرفع سعره ، او الامتناع عن زراعته اصلا ليقل عرضه فيزيد طلبه .

والشهوات التي اشير اليها فيما سبق ، هي اكثر الشهوات ذيوعا وشيوعا والصقها بالانسان ، وهي التي يزينها الشيطان للانسان فتدعوه الى الانحراف عن الجادة . والقرآن الكريم يشير اليها بعبارة (**ذلك متاع الحياة الدنيا**) والمعنى ان هذه الشهوات متاحة للكافر والمؤمن على سواء اثناء حياتهما في الدنيا . اما الكافر فيعتقد او يتصور الا آخرة له . فهو يستغرق استغراقا ممقوتا في شهوات نفسه ، ورغبات حسه ، فيكرع كأسه حتى الثمالة . فحياته هي الدنيا ولا شيء بعدها . اما المؤمن التقى العاقل فيستمتع هو الآخر بهذه المتع الدنيوية ولكن في اطار الحدود والتكاليف التي رسمها الله له ، وهو العليم بحاله ، ذلك لان المؤمن يعتقد اعتقادا لا شك فيه ان وراء هذه الحياة

الدنيا اخرى ، وان الدنيا فانية والاخرى باقية ، وانه يجب عليه ان يجعل الفانية مزرعة للباقية ، لان الله وحده يمتع اكثر من متع الدنيا في آخرته حيث تكون له خاصة لا يشاركه فيها كافر مصداقا لقوله تعالى :

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) الاعراف / ٣٢ .

والآية الكريمة السابقة تقرر ان المتقين الذين يلتزمون الحدود الشرعية المسموح بها في حياتهم الدنيوية سوف يستمتعون في آخرتهم وحدهم .. ودون الكافرين ـ بمتع اوفر واحسن ، كما سيتضح ذلك بعد ، اذ يتبين ذلك جليا من الصورة التي يسجلها القرآن الكريم للمناداة بين اهل النار وأهل الجنة . يقول سبحانه .

(ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين) الاعراف / ٤٤

(ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) الأعراف / ٥٠ ـ ٥١

ويزين الشيطان للكافر شهوات الدنيا فتستغرق كل نشاطه ، ويستمرىء مرعاها فيغالي فيها ويشتط ، ويصل امره الى ان يسخر من المؤمن الذي لا يجعل الدنيا اكثر همه ولا مبلغ علمه ، وقد يأخذ منها بالكفاف مقتصرا على ضرورات الحياة . ومن ثم يكون حظه من المتع الدنيوية ـ التي اشرنا اليها سابقا ـ اقل في العادة من حظ الكافر منها ، لان المؤمن يعتمد على رصيد اخير وابقى له في آخرته حيث يكون الكافر فيها مفلسا بلا رصيد ، ويصور الله هذه الحقيقة فيقول سبحانه :

(زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) البقرة / ٢١٢ .

(والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) النور / ٣٩ .

وبناء على كل ما سبق ، يلفت المولى سبحانه وتعالى نظر عبده الى إعمال فكره ، والى استخدام لبه بصدد المقارنة بين متاعين احدهما في الدنيا متاح لمن آمن ولمن لم يؤمن وثانيهما اجل واخير وهو متاع الآخرة مقصور على الذين اتقوا ربهم ، فيقول المولى

(قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير

بالعباد) آل عمران / ١٥ .
ولو فكر الكافر مليا ، لايقن ان الله قد سخر الكون بما فيه من جماد وحيوان ونبات للانسان كافرا كان او مؤمنا ، ولا حرج على الانسان اذن في الانتفاع والتمتع بما سخر الله له . لكن الواجب كان يقتضي ان يدرك الانسان ذلك المنة من خالقه فيؤدي نعمة الشكر له ، ويلتزم بما امره ، وينزجر عما نهاه عنه ، وهذا ما ادركه المؤمن ، وما اهمله الكافر فالمؤمن موقن بكلام الله في قرآنه عن متاع مؤجل له في الآخرة نظير التزام بمتاع محدود في الدنيا وهو في قرارة نفسه يعقد مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الاخرة فيرى :

● - ان متاع الدنيا قليل مهما كثر بجانب متاع الآخرة .

● - ان متاع الدنيا زائل وقد يتم زواله في حياة صاحبه او قد يزول صاحبه عنه فيتركه ميراثا بعد وفاته لكن متاع الآخرة خالد لا يزول .

● - ان متاع الدنيا يكون على قدر امكانات صاحبه اما متاع الآخرة فعلى قدر امكانات الله وشتان بين امكانيتين .

● - ان رضوان الله في الآخرة والنظر اليه سبحانه - كما وعد - اقصى درجات المتاع لذة ومتعة .

ومن هنا ، نرى الآية الكريمة السابقة تشير الى متاع ينتظر المؤمن الذي التزم حدوده في الدنيا ، واتقى المحارم ، وهو متاع كريم يعوضه عما فاته في دنياه فما فاته من شهوة الانعام والحرث في الدنيا يجد بدلا منه جنات تجري من تحتها الانهار في الآخرة ، وما فاته من استمتاع بالنساء على اوسع نطاق في دنياه يجد بدلا منه ازواجا مطهرة وحور عين لم يطمثهن من قبله انس ولا جان ، كأنهن الياقوت والمرجان . اما الخيل المسومة والانعام والاموال .. الخ . فقد بطل مفعولها في الآخرة ، واصبح ساكن الجنة يجد فيها ما يشاؤه بمجرد التشوق اليه ودون بذل الاسباب .. وفوق هذا كله يجد ابلغ متاع وهو رضوان من الله ، ولا اجد كلمات عندي استطيع بها وصف هذا المتاع ، لانه فوق كل وصف ، وابلغ من اي تصور ، (**وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة**) القيامة / ٢٢ - ٢٣ .

وتنتهي الآية السابقة بعبارة (**والله بصير بالعباد**) ثم تمضي الآية التي بعدها ، فتعدد صفات هؤلاء العباد الذين ادخلهم الله جناته ، وتجلى عليهم برضوانه . ومن صفاتهم :

١ - (**انهم يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**) .

اليس ذلك اعلاناً ما بعده اعلان ، واقرارا ما بعده اقرار ، واذعاناً ما بعده اذعان ، بالايمان باله واحد هو الذي يغفر الذنوب ، ويتجاوز عن الخطايا ، انهم يدعونه ويستغفرونه ويتوبون اليه عله يقيهم من عذاب النار . والقلب الذي ينبض بهذا النبض ويحس بهذا الاحساس ، في الدنيا ، لا بد ان يكون ملتزما ، مؤمنا حق الايمان .

٢ - وهم (**الصابرون**) في دنياهم على

كل ما نالهم من آلام ومشقات ومصائب فقد اسلموا وجههم لله خالقهم ، وقبلوا حكمه وارتضوه ، هم واثقون ثقة بلا حدود في قوله تعالى : **(ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)** الحديد / ٢٢ ـ ٢٣ .

(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) البقرة / ١٥٥ ـ ١٥٧ .

وعلى هذا فسلاح المؤمن الصبر ، يجتاز به كل بلاء ، وينجح به في كل اختيار .

٣ ـ وهم (**الصادقون**) بينهم وبين ربهم فلا مراءاة ، وبينهم وبين انفسهم ، فلا تقول السنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولا يقولون ما لا يفعلون . وبينهم وبين اخوانهم وعشيرتهم من الابناء والازواج ، فلا تضليل ولا مخاتلة ، وبينهم وبين مجتمعهم فلا مؤامرات ، ولا مناجاة بالاثم والعدوان ومعصية الله . وهم فوق ذلك ، وقبل ذلك صادقون في ايمانهم بربهم ورسولهم ، يصدقون بيوم الدين ، وما يكذب به الاكل معتد اثيم .

٤ ـ وهم(**قانتون**) اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . هم يعرفون حق الالوهية عليهم فتطمئن قلوبهم بذكر الله وتلين ، وواجب العبودية لله لا لغيره ومن ثم فهم احرار .

٥ ـ وهم (**المنفقون**) اموالهم في مصارف الانفاق المشروعة ، فهم :

● ينفقون من اموالهم واثقين انهم يقرضون الله قرضا حسنا وسيضاعفه لهم .

● ينفقون من اقواتهم وزروعهم فيقتحمون بذلك العقبة التي وضحها لهم القرآن بانها اطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة .

● ينفقون من قوتهم وامكاناتهم مساعدة للضعفاء وتيسيرا للعاجزين .

ومقام المنفقين وجزاء الانفاق الحسن يسجله القرآن الكريم في آيات كثيرة ليس هنا مقام سردها .

٦ ـ وهم (**المستغفرون بالاسحار**) في هدأة الليل وقبيل الفجر حين ينام الغافلون ، ويسكن الدنيويون ، حين لا رياء ولا مراءاة ، بل صفاء ومناجاة ، والاستغفار والتوبة جزاؤهما المتاع الحسن (هود : ٣) والرزق الواسع ، والامداد بالاموال والاولاد (نوح : ١٠ ـ ١٢)

اليس من يتصف بكل هذه الصفات جديرا برضوان الله ؟ قمينا بدخول جناته ؟ انهم المؤمنون المتقون الذين جمعوا بين متاعي الحياة الدنيا والآخرة ، فطوبى لمن دخل في زمرتهم يوم يساقون الى الجنة زمرا .



يمتاز المنهج الاسلامي بشمول قواعده وانسحابها على كل شيء في هذا الكون ، وهذه إحدى خصائصه الفريدة ، فلا يدرس الباحث موضوعا واحدا بعينه ، محدد الأجزاء ، له مقدمات مفترضة يصل منها إلى نتائج .. كما تفعل المناهج الوضعية ، دون أن تربط هذا الموضوع ربطا محكما بالناموس الكوني والقانون الالهي .

وليس للمنهج الاسلامي تبويب متعسف لموضوعاته ، ولا تقسيم متعسف لمباحثه ، إنما نجد الآيات البينات هي الموضوع الرئيسي الذي يستخلص منه قوام مادته وحكمته وحججه وأصوله ..

ومنهج القرآن الكريم يربط التعاليم الخلقية بالنظام الكوني ، فيدعو إلى الاستقامة واتباع الخير في الوقت الذي تشير فيه الآيات القرآنية إلى بديع خلق السموات والأرض وما سخر للانسان من أنهار وبحار ودواب وجبال وشمس وقمر وسحب ، بالنصيحة والعبرة .

كما نجد آيات التخويف للكافرين ، والتأنيب للغافلين ، تتبعها آيات التبشير للصادقين والتثبيت للمخلصين ، مع تقرير الثواب والعقاب لكل فريق .

القرآن الكريم إذن يعالج أكثر من موضوع في آن واحد دون أن تختلط فيه المعاني وتتفرق السبل ، إنما يتم الترابط بين الموضوعات في إبداع

علمي إسلامي

للدكتور / حسن الشرقاوي

محكم ، وأسلوب معجز في إطار شمولي عام :

(**كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون**) فصلت/ ٣ .

فالقرآن لا يدرس التاريخ كما يدرسه المؤرخون ، ولا يدرس الطبيعة كما يدرسها الطبيعيون ، ولا يغمض الألفاظ بحيث تحمل أكثر من معنى ، كما يفعل بعض العلماء والأدباء لتأييد وجهة نظرهم فيما يقنعون به من نظريات ومذاهب وآراء ، ولا تتناقض المعاني بعضها مع بعض كما يظهر في الدراسات النظرية والتجريبية ، والقرآن لا يحلل الأحداث ويفصلها عن حقائقها كما يفعل المؤرخون عندما يجعلون واقعة معينة سببا لثورة من الثورات ، أو بداية لنظام من النظم الاجتماعية ، إنما القصص القرآني يراد منه التأمل والتعقل والاستنارة بما فعل ويفعل السابقون واللاحقون في كل زمان ومكان ..

القرآن الكريم هداية ورحمة ، لذلك فهو يقصد أن يعتبر السامع بما يسمع ، والقارىء بما يقرأ حتى يجعل آيات الله القدوة الرشيدة في سلوكه ، والسراج المنير الذي يبين له الطريق الواجب الاتباع ، بما يلقيه إليه من الموعظة الحسنة ، ويشرح صدره بالحكمة البالغة ..

القرآن لا يستخدم أسلوب علماء التاريخ عندما يعرض للقصص القرآني ، أو يستخدم ألفاظ الفلاسفة أو مصطلحات العلماء الطبيعيين عندما يتعرض لموضوعات الكون

والطبيعة ، إذ القرآن يخاطب الناس جميعا مع اختلاف مستوياتهم وأحوالهم وأزمانهم ، لذلك يمتاز بالشمولية والعمومية والوضوح لأنه خطاب موجه للناس جميعا وليس لأصحاب تخصص معين أو مشرب محدد ..

ولكن المتخصصين مع ذلك يستفيدون ، كل في دائرة تخصصه بآيات الكون والقصص القرآني ، والمعارف المبسوطة في كلام الله ، كما يستفيد ايضا الطالب والعامي من الناس ..

إن ما يستهدفه تعالى من الدين معرفة الله ، وتوحيده ، والتوحيد يحتاج إلى العلم ، كما يحتاج العلم إلى الصدق واليقين ، ومن هنا يهتم المنهج الاسلامي بمخاطبة الناس جميعا ، مؤمنهم وكافرهم ، أبيضهم وأسودهم ، مخلصهم ومنافقهم تائبهم وظالمهم ، عالمهم وجاهلهم ..

وخطاب الله للناس معجز في اسلوبه وبلاغته ومعانيه ، حتى إنه يشعر القارىء أو السامع أنه موجه إليه وحده ، رغم اختلاف الناس في الثقافة والتقاليد والطبائع ، والمؤمن يشعر حقا أن آياته البينات إنما تواكب دقائق حياته اليومية ، وواقعه الحي ، وكأنها البلسم الشافي لجميع أسقامه ، والطبيب الذي يحل له كل قضاياه ومشاكله ، فحجج الله الدامغة تساعد الانسان على الصبر في الفاجعات ، والرحمة مع الضعفاء ، والاحسان إلى الفقراء ، والعمل والجهاد في سبيل الله ، وبذلك يمتلىء قلبه نورا وسكينة وأمنا وأملا :

(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) فصلت / ٤٤ .

والشمول في المنهج الاسلامي ، آية من آيات الله البينات ، تتحدى من يجاهر بغير علم ولا هدى ، ومن يحاول أن يناطح حكمة الله البالغة ، يستعصى عليه ذلك حيث أنها تشهد بالصدق والحق والشمول :

(وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) الطلاق / ١٢ .

إن جميع المناهج الوضعية والقوانين البشرية يعوزها الثبات ، سواء كانت هذه المذاهب عقلانية أو روحية أو حسية أو تجريبية ، إذ ما يلبث أن تظهر بين الحين والحين نظريات جديدة تدحض حججها ، وتبين ضآلة صدقها ، ويعرض بعض العلماء وجهات نظر جديدة تهدم المناهج القديمة وتلغي قواعدها وقوانينها ونظرياتها ..

ويحتار الانسان أمام هذا الخضم العجيب من المعاني المتناقضة والأفكار المختلفة وتسد أمامه السبل ، فلا يعرف إلى أي من هذه المذاهب عليه أن ينتمي ، وأيا منها الصادق ، وأيا منها الباطل ، حتى ينتهي آخر الأمر بعد البحث والتدقيق إلى موقف الرفض لها ، فيتشكك فيها جميعا ، وربما يهوي على أم رأسه فيكفر بكل شيء ، ويقع في الضياع فيجرفه تيار الالحاد إلى الضلال المبين .

وإذا كان الباحث قد هداه الله إلى تأمل منهج الله ، وحظى بنعمة الايمان به وجعل إمامه وقدوته الرسول ـ صلى

الله عليه وسلم ـ نجا بنفسه وثبت قلبه على الحق وأمن من شر الانحراف عن الصراط المستقيم :

(**للذين استجابوا لربهم الحسنى**) الرعد/ ١٨ .

وإذا تيقن الانسان بفطرته السليمة أن طريق الله هو الحق ، فان الله يربط على قلبه ، ويثبت قدمه ، فلا يشك في أمر الله ، ولا يتردد في طريقه ، إذ تفتح أمامه السبل كما وعد الله :

(**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد/ ٧ .

فالذي يتمسك بالمنهج الاسلامي يرشد إلى العلم الصحيح ويثبت بالقول الثابت ، ويمده الله بالأمن الداخلي ، وبالالهام الملائكي ، فلا يفقد أبدا طريق السلامة والأمن :

(**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**) ابراهيم/ ٢٧ .

والمنهج الاسلامي ثابت في حقائقه ، يحظى فيه المؤمن بدرجات تزداد يوما بعد يوم من العلم والمعرفة واليقين ، فلا يخذله الله تعالى أو يتركه ، ما دام سائرا في طريق التوحيد والايمان :

(**يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة/ ١١

وهذه هي سنة الله للناس ، وحتى إذا تبدل الناس جميعا وتحولوا ، فان سنته تعالى لا تتبدل ولا تتغير ، إذ هي ثابتة أبدا :

(**فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**) فاطر/ ٤٣ .

(**سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا**) الاسراء/ ٧٧ .

منهج الله ثابت في الزمان والمكان ، والله لا يستحي أن يقول الحق :

(**وآتيناك بالحق وإنا لصادقون**) الحجر/ ٦٤ .

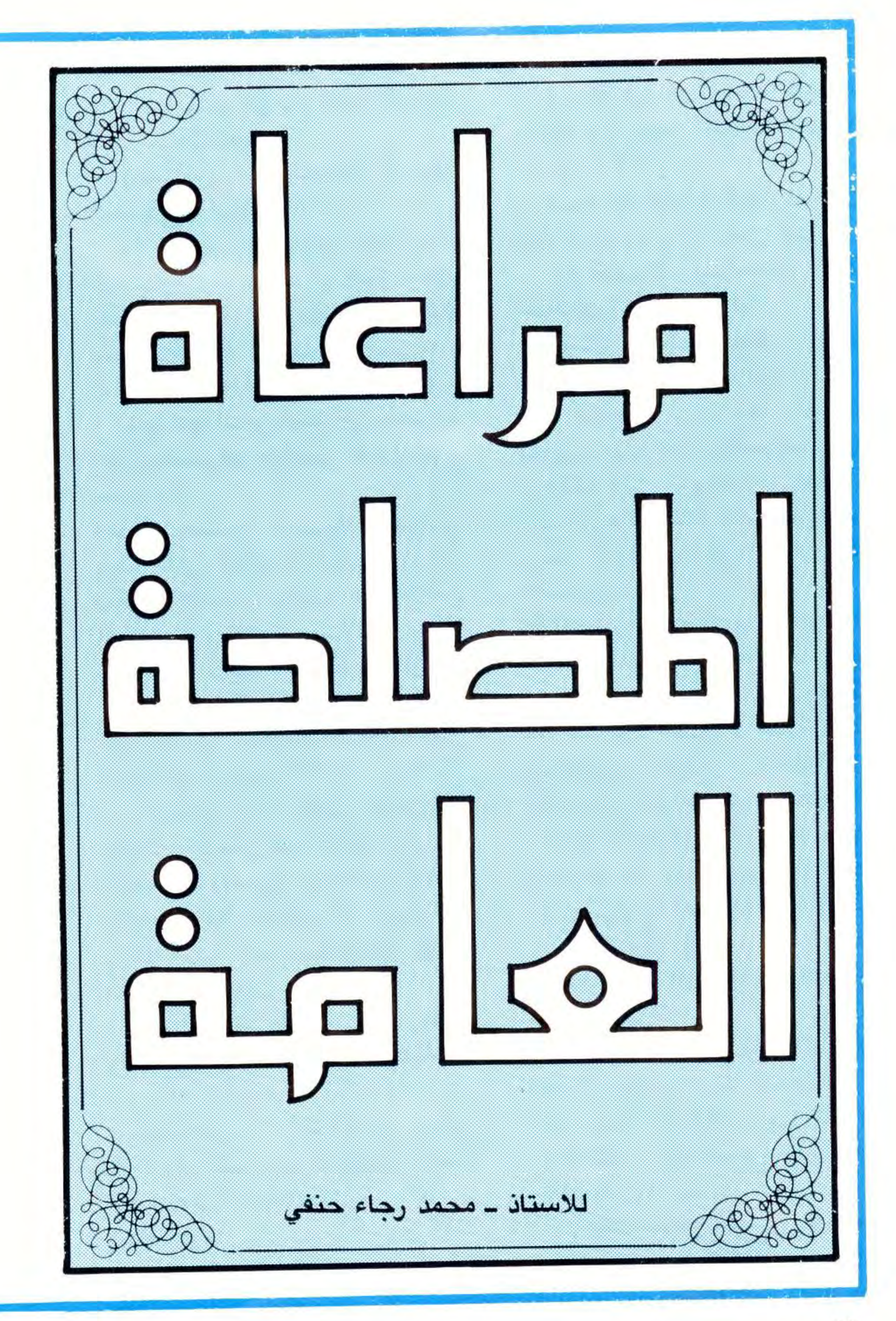
ويمكن أن يدعى بعض الحاقدين أن أمة الاسلام رغم أنها تسير على هذا المنهج وتؤمن به ، فان أصحابها يحيون حياة المذلة والضعف والوهن في وقتنا هذا ، ويستهدف هؤلاء من ذلك الادعاء وصف الشريعة بالجمود وعدم انسحابها على إنسان القرن العشرين .

لقد نسى هؤلاء أن منهج الله الثابت شيء ، والمتمسحون به كذبا وبهتانا ونفاقا شيء آخر ، والله تعالى لا يثبت إلا الذين آمنوا ، أما الذين يستظهرون الايمان ويتخفون رياء ويتسترون على شركهم وبعدهم عن الاستقامة والحق ، فان الله تعالى لا ينصرهم ولا يناصرهم ولا يساعدهم ولا يثبتهم ولا يمكن لهم في الارض :

(**ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الأنفال/ ٥٣ .

فالمنهج الاسلامي ثابت إلى الأبد ، كما أن المؤمنين يرونه ثابتا أبدا ، أما أصحاب الضلالات من الملحدين والظالمين والكافرين والمنافقين والفاسقين فانهم :

(**صم بكم عمي فهم لا يرجعون**) البقرة/ ١٨ .


مراعاة
المصلحة
العامة
للاستاذ ـ محمد رجاء حنفي

إن جميع الأحكام الشرعية في الشريعة الاسلامية تقوم على المصلحة الانسانية ، فما من امر شرعه الاسلام بالكتاب او بالسنة النبوية إلا وكانت المصلحة ثابتة فيه ، لدرجة أن البعض من الباحثين المحققين من كتاب الفقه الاسلامي في الماضي يقررون أن الأحكام التكليفية في الشريعة ترتبط بالمصلحة ارتباطا وثيقا .

ومراتب التكليف تختلف باختلاف ما فيها من مصالح ، فالأمر المطلوب طلبا حتميا يكون كذلك لتيقن المصلحة فيه ، ويختلف اللزوم الحتمي باختلاف قوة المصلحة ، فما تكون فيه المصلحة أقوى يكون مقدما على ما قوته أقل فيها ، وما لا تكون المصلحة فيه مؤكدة يكون الطلب فيه ثابتا من غير لزوم ، وما يكون الضرر فيه مؤكدا يكون محرما ، ويختلف التحريم قوة وضعفا باختلاف قوة الضرر ، فما يكون أقوى ضررا يكون أشد تحريما ، وما لا يكون الضرر فيه مؤكدا يكون مكروها من غير الحكم بالتحريم ، وما لا يثبت رجحان الضرر على النفع فيه يكون المكلف مخيرا . إن كل حكم تصدى القرآن الكريم لبيانه ، أو السنة النبوية لتوضيحه مشتمل على مصالح العباد ، وإن خفيت على بعض الناس ، فإن ذلك لا يمنع وجودها ، فخفاء الأمر لا يستلزم عدم وجوده .

يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « لا ضرر ولا ضرار » رواه النسائي فهذا الحديث يعتبر قاعدة كلية في المعاملات ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « من ضار ضر الله به ، ومن شاق شق الله عليه » رواه البخاري .

وفي القرآن الكريم نجد النهي عن الضرر في المعاملات ، كالوصية ، والرجعة بعد الطلاق ، والرضاع ، والبيوع ، وغير ذلك في آيات كثيرة .

فمن مراعاة المصلحة العامة ما روى من أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع ذات ليلة بكاء صبي فتوجه نحوه ، فقال لأمه ، « اتقي الله تعالى واحسني الى صبيك » ، فلما كان بعد قليل سمع بكاء الصبي مرة ثانية ، فعاد الى أمه يقول لها مثل قوله الأول ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي ، فأتى إلى أمه وقد أخذ منه الغضب كل مأخذ وقال لها : « ويحك أم سوء !.. مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ » .. فقالت الأم :

« إني أسكته عن الطعام فيأبى ذلك » فسألها عمر : ولم ؟ : « فقالت : « لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم » فقال عمر : « وكم عمر ابنك هذا ؟» فقالت : « كذا وكذا شهرا » فقال لها عمر ويحك !.. لا تعجليه عن الفطام » . وعندما صلى الصبح التفت إلى الناس وقال لهم والدموع تكاد تملأ عينيه : « بؤسا لعمر !.. كم قتل من أولاد المسلمين » ثم أمر مناديه بأن ينادي في الناس : « لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فانا نفرض لكل مولود في

الاسلام » وكتب بذلك إلى عماله في جميع الأمصار .

مراعاة المصلحة في الطلاق

وتتجلى مراعاة المصلحة العامة في الطلاق حيث يقول المولى تبارك وتعالى : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**) - ٢٢٩ البقرة - ثم قال : (**فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**) - ٢٣٠ البقرة - فالمقصود من هذا النص الكريم ان الطلاق يقع مرة فمرة ، وللزوج بعد كل من المرتين ان يراجع زوجته ، فاذا وقع منه الطلاق الثالث صارت لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا ، وذلك لما روى عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا ، فتزوجت بعده رجلا فطلقها من قبل أن يدخل بها ، أتحل لزوجها الأول ؟ .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته » رواه النسائي وابن ماجه .

والحكمة من هذا النص واضحة بينة ، فالطلاق وهو أبغض الحلال الى الله عز وجل فيه تقويض لحياة الاسرة وهدم لها وتترتب عليه نتائج خطيرة لكل من الزوجين ، وتتعداهما لابنائهما ، وفي أغلب الأحيان تترك أثرا سيئا في هؤلاء الأبناء يستمر معهم طيلة حياتهم ، من أجل ذلك أباح المولى تبارك وتعالى للزوج ان يراجع زوجته بعد الطلقة الأولى ، وبعد الطلقة الثانية حتى تعود المياه الى مجاريها بين الزوجين ويستمر بناء الاسرة قائما وتستقيم الأمور بينهما من جديد .

السعي بالتوفيق بين الزوجين

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن الطلاق يجب ان يسبقه سعي بالتوفيق بين الزوجين ، والعمل على حل جميع المشاكل القائمة بينهما ، وتصفية الجو حتى تعود الحياة إلى طبيعتها الأولى ، يقول الحق جل وعلا : (**وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**) ٣٥ النساء - فإذا باءت المساعي بالفشل ، وتعذر التوفيق بين الزوجين ، ولم يكن بد من الطلاق على الرغم من الجهود المبذولة للتوفيق بين الزوجين ، واقر المحكمون من أهله ومن أهلها ان المصلحة في الطلاق ، فان شريعة الله عز وجل لا تجعل الطلاق مرة واحدة قاطعة ، ينهدم بها كل أمل في المراجعة بين الزوجين إذا بدا لهما بعد تجربة الفراق ان عوامل الألفة أو المصلحة أكبر وأقوى من عوامل النفور والكراهية بل مرتين ليستطيع الزوج ان يراجع زوجته إذا كان هناك بقية من مودة ، او مصلحة او خشية على الأبناء .

بيد انه لا تجوز المراجعة بعد الطلاق الثالث حتى تتزوج من غيره زواجا

صحيحا ، وذلك كيلا يستخف اي من الزوجين بالحياة الزوجية ويقدم على فصمها .

الطلاق الثلاث في لفظ واحد

وقد كان الطلاق الثلاث في لفظ واحد - كأن يقول الرجل لزوجته : أنت طالق ثلاثا - يعتبر طلقة واحدة ، وكان ذلك الشأن على عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفي عهد ابي بكر الصديق - رضي الله عنه - وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ، ثم امضى الثلاث طلقات في كلمة واحدة ثلاث طلقات متفرقات ، وقال : « ان الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه اناة ، فلو امضيناه عليهم » ، فأمضاه عليهم .

وقد كان الرجل في الجاهلية يطلق زوجته الثلاث والعشر وأكثر من ذلك ثم يراجعها ما دامت في عدتها ، فجعل المولى تبارك وتعالى حد الطلاق ثلاث تطليقات .

وفي تحديد حق الرجل في مراجعة زوجته ما دامت في عدتها بمرتين إنما أريد به ألا يضر الرجل المرأة ، وألا يتركها كالمعلقة حياتها ، والمعلقة هي التي أساء زوجها عشرتها وتركها لا هي متزوجة ولا هي مطلقة .

وفي هذا رفق بالمرأة يتفق مع روح الاسلام ، ولقد ذهب القرآن الكريم في هذا الرفق بالنساء كل مذهب ، فأمر بأن تبقى المطلقات في المرة الأولى والثانية في بيت الزوجية طوال مدة عدتهن ، وان تحسن معاملتهن ، فقال : (**لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**) الطلاق ٢ - وقال : (**فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف**) وقال (**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف**) ٢٣٢ البقرة - وقال : (**وللمطلقات متاع بالمعروف**) ٢٤١ البقرة - فهذه الآيات وغيرها تحرم على الزوج ان يلحق اي ضرر بزوجته ، وترى في إلحاق الضرر بالزوجة إثما عظيما .

إن المولى تبارك وتعالى قد فرض المراجعة للاصلاح ، فاذا اتضح أن الاصلاح غير ممكن وظهر من مراجعة الزوج لزوجته أنه لم يقصد منها إلا إلحاق الضرر بها فإن حكمة المراجعة في ذلك الوقت لا تكون قائمة .

وأكبر الظن ان الذين كانوا يطلقون نساءهم على عهد عمر بن الخطاب لم يكونوا رحماء بهن ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن السبايا من بلاد « العراق » و« الشام » قد كثرن وافتتن بهن أهل « المدينة » وأهل « شبه الجزيرة » فكانوا يسارعون إلى طلاق زوجاتهم رغبة في إرضاء من شغلت قلوبهم بهن ، وكانوا يذكرون الطلاق الثلاث في كلمة واحدة حتى ترضى من وقع هواها في قلب الواحد منهم ، وتطمئن إلى أنها هي الوحيدة الأثيرة لديه ولا يشاركها أحد فيه .

ولعل من بين الأسباب أسبابا كانت هناك ، جعلت البعض في ذلك الوقت يعبث بالطلاق الثلاث استهتارا

وضرارا ، كأن يتزوج الرجل بامرأة غير زوجته فتشترط عليه أن يطلق زوجته أولا ، وان يكون طلاقه لها ثلاثا حتى لا تحل له إلا بعد أن تنكح زوجا غيره ، فيجيبها الرجل بطلاق زوجته ثلاثا في كلمة واحدة ، فإذا راجعها بعد ذلك انقلبت حياة البيت الى جحيم لا يطاق ، ونزاع مستمر وعدم استقرار .

لمثل هذه الأسباب أمضى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاث تطليقات متفرقات مراعاة للمصلحة العامة وليتحمل كل من يستهين بشيء نتيجة استهانته واستهتاره .

معالجة تقلب النفوس البشرية

ان الاسلام لم يقف في حفظ الحياة الزوجية ورعايتها عند حد الامر بالاحسان وابراز مقتضياته وآثاره في الأسرة ، بل قدر ان النفوس البشرية عرضة للتقلب ، وان لمظاهر الحياة او انحرافات القلوب نزعات تحاول ان تغير من عاطفة الحب والمودة والرحمة التي تجمع شمل الاسرة برباط قوي متين وتقطع ما يكون من صلات وتترك في النفوس النفرة بدل الألفة ، والشقاق بدل الوفاق ، والفراق بعد التلاق .

ومن هنا نجد الاسلام يحرص اشد الحرص على علاج مثل هذه الأمور قبل ان يستفحل امرها ، ويتسع نطاقها ، ويتفاقم خطرها ، وتكون سببا في انهاء الحياة الزوجية ، وتقويض اركان الأسرة .

ولقد حذر القرآن الكريم من مسايرة هذه النزعة الشيطانية التي قد تطرأ على الحياة الزوجية ، وأرشد الى محاربتها وعدم التأثر بها وبين للرجل ان هذه الزوجة التي يزيّن له الشيطان ان قلبه قد كرهها ربما جعل المولى تبارك وتعالى له فيها خيرا كثيرا ، يقول جل شأنه : (**فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) ١٩ النساء -.

وبين المصطفى صلوات الله وسلامه عليه للرجل انه وان كان قد كره في زوجته جانبا فهناك جوانب اخرى كثيرة ترضيه وتهدىء من نفسيته ، يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يكره مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضي منها آخر » رواه احمد فهذه نصائح يجب ان يتذكرها كل زوج ويعيها عندما يتعكر الجو بينه وبين زوجته حتى تهدأ نفسه ، وتخمد ثورته ، وتمر العاصفة بسلام .

ولم يقف القرآن الكريم في علاج نزعات الكراهية بين الزوجين عند هذا الحد الذي وجه اليه أنظار الأزواج ، بل قدر - أيضا - أن تمتد هذه النزعات الى قلب المرأة ، فتحملها على النشوز والخروج على حقوق الزوجية ، والترفع عن مركز الرئاسة البيتية ، فأرشد القرآن الكريم الرجل الى معالجة هذا الأمر بنفسه بدون تدخل من أي انسان آخر ، حفظا للأسرار العائلية من الذيوع والانتشار ، وحدد للرجل مراحل ثلاثة ، لا ينتقل من احدها الى الأخرى الا اذا لم تجد المرحلة التي هو فيها ، يقول المولى

تبارك وتعالى : (**والاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**) ٣٤ : النساء ـ ، فالتي يكفيها الوعظ بالقول لا يجوز للرجل أن يتخذ سواه ، فان لم ينفع الوعظ انتقل الى المرحلة الثانية وهي مرحلة الهجر ، وما أقسى هذا العلاج على المرأة الحرة ، فان لم يجد الهجر انتقل الى المرحلة الثالثة وهي العلاج بالقليل من الايذاء البدني ، وقد جعله القرآن الكريم آخر الوسائل الاصلاحية التي هي من حق الرجل ، ويملك استخدامها كحق من حقوقه ، وهي بمثابة الدواء الأخير الذي لا يلجأ اليه الا عند الضرورة ، والواقع أن هذا التأديب لأرباب الشذوذ والانحراف من النساء اللواتي لا ينفع معهن وعظ ولا هجر أمر تدعو اليه الفطرة ، ويقضي به نظام المجتمع .

وكما قدر القرآن الكريم أن المرأة قد تكون مثار النشوز قدر ذلك ـ أيضا ـ من الرجل ، فأرشد المرأة في هذه الحالة الى محاولة علاج زوجها من هذا النشوز ، حفظا للحياة الزوجية واستمرارا لقيامها ، فتعمل أقصى ما في وسعها على كسب قلبه بما تستطيعه من وسائل الترضية وأن تتنازل في سبيل ذلك عما جرت به عادة البعض من الزوجات من الاحتفاظ والتمسك ببعض الرغبات التي تكون سببا في غضب الرجل ، وعليها أن تتقي تفاقم الشر بينهما .

وكم من كلمة طيبة ، أو اشراقة وجه ، أو ابتسامة حلوة في وجه الزوج يكون لها أثر كبير في عودة المياه الى مجاريها بين الزوجين ، والنفوس الى صفائها ، والقلوب الى تلاقيها ، يقول المولى تبارك وتعالى : (**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا**) ـ ١٢٨ : النساء ـ ، فما دام الخلاف لم يتجاوز مرحلة الخطر فالزوجان هما المكلفان بتسوية شؤونهما ، وعلاج حالهما دون افشاء سرهما أمام الناس .

بيد أن الاسلام قدر أن الزوجين قد يفشلان ويعجزان عن غسل ما في نفوسهما من نفرة ، فهل سمح لهما ـ والحالة هذه ـ بالطلاق ؟ .

كلا ، لأن الطلاق أبغض الحلال الى المولى تبارك وتعالى ، فماذا فعل الاسلام إذن ؟ ... لقد لجأ الى علاج أقوى للمحافظة على الحياة الزوجية ، وأشار بضرورة عقد مجلس عائلي تكون مهمته محاولة اصلاح ما بين الزوجين ، وإزالة ما في نفوسهما ، يقول الحق جل وعلا : (**وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا**) ـ ٣٥ : النساء ـ .

وقد ذكر القرآن الكريم أن يكون المجلس من الأهل لأنهم أشد الناس حرصا على استمرار الحياة الزوجية بينهما وسعادة الأسرة ، بمقتضى صلات القرابة التي تربط وتوحد بين

الجميـع ، ولأنهم ـ أيضا ـ أشـد الناس حرصا على حفظ ما قد يكون في الشقاق من شؤون يجب أن تكتم وتخفي ولا تشيع بين الناس ، وهذه حكمة عالية وسامية في التشريـع الاسلامي .

هذه هي السبل التي رسمها المولى تبارك وتعالى للاصلاح بين الزوجين تبين لنا أن الاسلام حريص كـل الحرص على انقاذ الحياة الزوجية وعدم تعرضها للانهيار .

الطلاق علاج للإبقاء

إن الاسلام عندما أباح الطلاق جعله علاجا ـ أيضا ـ للابقاء على الحياة الزوجية ، وجعله على وضع يمكن الزوجين من مراجعة أنفسهما ، وتدبر عاقبتهما من أمرهما وأمر ما قد يكون بينهما من أبناء .

والاسلام لم يجعل من الطلاق كلمة يلقيها الزوج في وجه زوجته فتحرم أحدهما على الآخر تحريما أبديا لا رجعة فيه ، وانما سلك بـه طريق العلاج ، وجعله على مراحل ثلاثة ، حتى يمتـد أمد النظـر والتبصر ، فشرعه مفرقا مرة بعد مرة ، ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى وبعد المرة الثانية ، ويروضها على الصبر والاحتمال ، وهذا هو ما يسمى بـ « **الطـلاق الرجـعي** » ، فـالطـلاق رجعي في المرة الأولى والثانية ، لأنه يعد في الحقيقة وقف للحياة الزوجية لا حسم لحبـالها وقطـع لأوصالهـا ، ويجوز للزوج أن يراجع زوجته في خلال ثلاث دورات شهرية بدون عقد ولا مهر ، وكل ما على الزوج هو أن يراجع زوجته فتعود الى عصمته ، أما اذا سمح لنفسه أن يتركها لأكثر من ثلاث دورات شهرية فلا يجوز له أن يراجعها الا بعقد ومهر جديدين ، تغليظا عليه ، وحثا للأزواج على أن يراجعوا زوجاتهم قبل مضي هذه المدة حتى لا يلحقوا الضرر بزوجاتهم .

ومن هنا يجب أن نعلم أن الاسلام ليس شغوفا بالطلاق ، وانما شرعه علاجا للحياة الزوجية نفسها ، وجعله على ثلاث مراحل ليمكن للزوج أن يراجع زوجته مرتين ويراجع كل منهما نفسه ، ويتذكر كل منهما ما كان بينهما من الود والحب والتعاطف ، فاذا لم تفد التجارب وأوقع الزوج الطلقة الثالثة وضع الاسلام بينهما حاجزا وسدا منيعا ، وهو أنه لا يباح لهما ارجاع الحياة الزوجية بينهما الى سيرتها الأولى الا بعد شرط قاس يمنع الرجل المتمتع بالعقل الراجح والتفكير السليم من أن يوقع الطلقة الثالثة ، وذلك الشرط هو المشار اليه في قول المولى تبارك وتعالى : (**فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**) ٢٣٠ : البقرة .

وهذا هو ما يسمى بـ « **الطلاق البائن** » ، أي : الطلاق الذي فيه ابعاد شديد بين الزوجين ، بحيث لا يمكن أن يجتمعا مرة ثانية الا بعد أن تتزوج رجلا غيره زواجا صحيحا ، ثم يطلقها هذا الرجل ؛ وربما لا يطلقها فلا يجتمعان ابدا ، لان المفروض في الزوج الثاني ان يكون قاصدا دوام

معاشرتها .
فهل التفريق بينهما بعد ما تبين ان الحياة الزوجية بينهما اصبحت متعذرة ومستحيلة وبعدما اجريت عليها التجارب المتعددة ، والتي اتضح منها انهما لا يلتقيان ، فيفرق بينهما بالمعروف ، ويبحث كل طرف منهما عن طرف آخر يألفه ويعيش معه في سعادة وهناء وسرور هل هذا التشريع افضل ام نحكم عليهما بالبقاء معا ؟.. ويعيش كل واحد منهما مع الآخر عيشة صورية ، وربما يميل قلب الزوج الى أخرى ويميل قلب الزوجة الى آخر وفي هذا الحرام كل الحرام .
ان التشريع الاسلامي الحكيم والذي يضع كل شيء في نصابه والذي قام على المصلحة العامة لكل فرد يأبى مثل هذا الوضع اشد الاباء .

كف الضرر عن الناس

ومن مراعاة المصلحة العامة في التشريع الاسلامي كف الضرر عن الناس ، ومن ذلك ما يروي بأنه كان لرجل من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى ابا لبابة نخلة في بستان رجل فقال له الرجل : « انك تطأ حائطي الى عزقك ، فانا اعطيك مثله في حائطك وأخرجه عني » فلم يرض ابو لبابة بذلك ، فشكاه الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أبا لبابة أن يكف عن صاحبه مايكره ، وينفذ ما طلبه منه ، فامتثل ابو لبابة لامر الرسول عليه الصلاة والسلام .
وفي فتح « خيبر » اوقد جماعة من المسلمين النار تحت قدر فيها لحوم الحمر الاهلية فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر امرهم بان يريقوا الماء واللحوم ثم يقوموا بكسر القدور فقال واحد من المسلمين : « بل نريق ما فيها ونغسلها » فقال عليه الصلاة والسلام : « أو ذاك » رواه احمد ولقد اجابه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الى طلبه نظرا للمصلحة العامة ، لأنه من الممكن غسل القدور وتنظيفها تنظيفا جيدا بدلا من كسرها لانهم ينتفعون بها في شئون معيشتهم .

اباحة المحرمات

وتتجلى مراعاة المصلحة العامة في الشريعة الاسلامية في إباحة المحرمات من أجل الضرورة كإباحة أكل الطعام المحرم اذا خاف الانسان الهلاك ، وتحقق من الموت جوعا لعدم وجود ما يأكله سواه ، وكإباحة الفطر في شهر رمضان المعظم لمن كان مريضا او على سفر وتعذر عليه الصيام وما الى غير ذلك من الأمثلة التي يحرص فيها الاسلام على مصلحة الانسان وحياته .
ان مراعاة المصلحة العامة من الاسس التي قامت عليها الشريعة الاسلامية ، ومزية من مزاياها التي انفردت بها عن بقية الاديان الاخرى السابقة عليها .

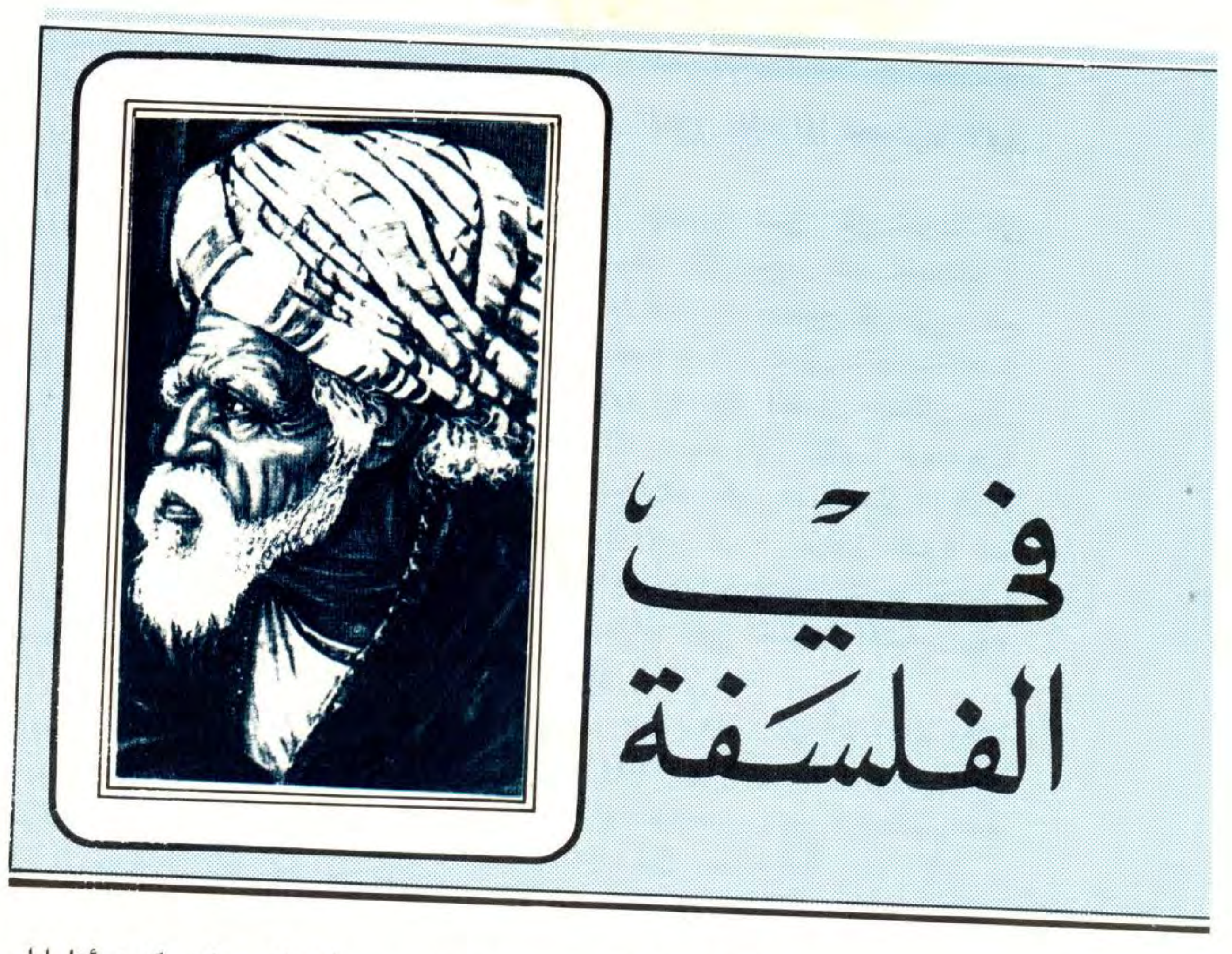


نظرات ابن سينا

للاستاذ محمد لبيب البوهي

تناول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد في دراسة شاملة نظرات الرئيس ابن سينا في الفلسفة الاسلامية خاصة والفلسفة بصفة عامة ، مقارنا فلسفته بمن سبقه من بعض فلاسفة الاغريق والعرب ، ولقد يكون من المفيد ان نحاول إبراز بعض ذلك في تيسير ملخص مع شيء من التحليل ، فالبحث ضخم كبير وهذه بعض نظرات منه في محاولة للاحاطة باطاره العام بما يقرب المعنى للأذهان وتجلية بعض ما هو من طبيعة الفلسفة في عمق رموزها ، فمن البحث ندرك ان الرئيس ابن سينا كان يتخذ الرمز لتقريب المعنى ، فهو يجعل الطير مثلا رمزا للنفس ، وحين يقع الطير في شباك الصياد ويحاول الخلاص منها ، فقد يكون ذلك شأن المرء حين يقع في قبضة شهواته ، حين يحاول الخلاص منها ، بعد ان يذوق وبال أمرها ، وقد نرى في محاولة الطير الخلاص من الشباك ما يشبه محاولة المرء في مجاهدة نفسه بالرياضة .

ويرى الاستاذ العقاد أنه وإن كان ابن سينا قد تأثر ببعض ما جاء في فلسفة أفلاطون وأفلوطين والفارابي ، إلا أنه له مذهبه الخاص ، الذي كثيرا ما يخالف هؤلاء ، ذلك انه كان لا يخرج في فلسفته عن إطار العقيدة الدينية ، وبذلك يخالف بعض من سبقوه في



بعض أو كثير من القضايا العقلية .

كيف يرى ابن سينا بداية خلق العالم ؟

يذهب ابن سينا الى ما ذهب اليه أرسطو من أن العالم تكون في بداية خلقه من العدم الذي برزت فيه مادة كي يتكون منها ، وأن كيفية الوصول الى نشأة هذه المادة امر فوق القدرة العقلية ، وأن هذه المادة انما جاءت بفعل وتقدير وتدبير من واجب الوجود ، وهو الله سبحانه الذي أقام من هذه المادة صور العالم ، فان صور العالم لا يمكن ان تفرض نفسها على الوجود .. وأن الذي أوجدها واجب وجوده .. وأنه لا بد ان يكون أزليا لم يسبقه احد ، ولم يسبقه شيء ، لأنه لو كان مسبوقا لكان الذي سبقه هو واجب الوجود .. كما أن واجب الوجود سبحانه لا يمكن أن يكون مادة ، لان المادة تتكون من اجزاء ، والاجزاء تحتاج الى مكون لتكوينها فتكوينها لنفسها أمر محال .

مدى الاختلاف بين ابن سينا ومن سبقوه

ومع ان كثيرا من السابقين لابن سينا قد ذهبوا الى مثل هذا التأويل الذهني فهناك بعض الخلاف بينهم وبينه في إدراكهم لواجب الوجود وهو الله

سبحانه وممكن الوجود وهو الكون ، فهو يرى أن الكون قبل تكوينه كان في علم الله وإرادته ، وهي إرادة سرمدية لا يحدها زمان . فالله سبحانه قديم سرمدي لا يحيط به زمن ولا محل ، ولما خلق الكون جعل لهذا الكون حركة فنشأ الزمان ، فالعالم كما كان في إرادة الله قديم ، وإن الزمان نشأ من حركة الكون .. ويلتقي معه أرسطو في أن الحركة الأولى هي علة الزمان .

الحركة الطبيعية والحركة النفسانية

ويشترك ابن سينا مع أرسطو في تقسيم الحركة الى طبيعية ونفسانية ، فالحركة الاولى هي تجاذب مفردات الكون الى مركز العالم ، وأن من لوازم هذه الحركة استمرارها على نسق ونظام ، ولذلك تكون الحركات الفلكية حركات عقول ولذلك كان مذهب ابن سينا في الكائنات العلوية أنها ذات عقول على صورة ما ، وأن ذلك كامن فيها ذاتيا لتحافظ على أوضاعها بتدبير وقوانين اودعها فيها ذاتيا محركها الأول وهو الله ..

ونحب ان نفسر ما جاء في مذهبه عن تلك العقول بأنها القوانين التي اقام الكون عليها واجب الوجود حين خلق الكون من العدم وبدأت منه الحركة الأولى .. فأودع كل شيء قوانين استمراره ، واعطى كل شيء خلقه ثم هدى ..

وقد يرى البعض ان هذه العقول المحركة هي الملائكة .

شوق الكون كله الى مصدره الأول

وهكذا يتضح شوق كل حركة الى مصدرها الأول وهو الله سبحانه .. وهو ما تفسره بتسبيح كل شيء . ثم يفسر صفات الله تعالى بأنها ذاتية له سبحانه بدرجة الكمال المطلق وان صفاته سبحانه كلها مجتمعة فالانسان قد يكون قديرا بأن له قدرة تنفصل عن علمه ، ولكن قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وكل ما اتصف به سبحانه فهي مجتمعة ذاتية بدرجة الكمال المطلق .

ويقول ابن سينا : ان الله تعالى يعلم كل ما وقع او يقع في ملكه ، وليس علمه بها لانها حصلت بل هي حصلت بعلمه السابق قبل حصولها منذ الأزل ، فكان علمه بها سببا لحصولها ، ولكنه علم يخالف علم الانسان كما يختلف المحدود عن غير المحدود .

كيف يرى ابن سينا النفس ؟

والنفس عنده تصدر عن العقل وانها تكون في اسمى درجاتها حين تكون مطمئنة ، ومعنى ذلك أنها حققت كمال ذاتها المحدد لها بصفاتها التي منحت لها ، وكمال النفس ينقسم الى قسمين : الكمال المؤثر .. والكمال المتأثر وعلى العموم فان النفس عند ابن سينا كما عند أرسطو هي (قوى) تبدأ من القوة النباتية التي تقوم بالتغذية والنمو .. الى النفس الحيوانية التي تسيطر على القوة النباتية وتحركها .. الى النفس العليا

التي هي الناطقة العاقلة ولها صفات مختلفة كالبصر .. والسمع والشم وما الى ذلك ، وهي المقومات التي تتعامل بها مع الحياة .. والنفوس الاخرى ، والاشياء .

مقومات النفس وملكاتها

النفس لها مدارج تصعد بها الى كمالها ، اذا استعملت مقوماتها استعمالا سليما .. ومنها ملكات او مقومات باطنية كالتفكير ، والذاكرة .. والحفظ ، وملكات منفذة تجمع الى ماسبق القدرة على تحويل هذه المعنويات المجردة ، إلى تصرفات قائمة على تجميع ما يصدر إليها من الباطن من المعاني وتنقسم الى جزئيات ، وكليات ، فالجزئيات قد يشترك فيها الانسان مع الحيوان في ادراكها بالحواس .. أما الانسان فهو وحده الذي يدرك الكليات وارتباطها بالجزئيات .

وأول مراتب النفس العاقلة استعدادها من تركيبها الجوهري (الهيولائي) على استقبال التصورات وترتيبها والاحتفاظ بها والقياس الفكري .. والاستنباط ، فاذا استطاعت ترتيب الصور وربطها بأسبابها انتقلت الى مرتبة تدبير الامور وما تزال بعد ذلك هذه النفس في صعود .. بعد صعود حتى تصل الى ما يسمى بالنفس القدسية التي تؤهل صاحبها لمراتب العارفين والصديقين ، وتخاطب بقول الله سبحانه : **(يا أيتها النفس المطمئنة)** الفجر / ٢٧ .

النفس ليست تجسيدا عضويا ولا حيز لها

ويرى ابن سينا ان النفس ليس لها حيز ولا مكان في الجسد ، لأنها جوهر لا ينقسم ، وهي منتشرة في عموم الجسد كله ، سواء في حالة صحة أعضائه او مرضها ، فالانسان حين يقول : أنا فانه لا يقولها ويعني بها جسده اوأعضاءه بل يقولها وهو غافل تماما عن التعبير عن جسده وأعضائه ، ويرى أن هذه النفس تدخل الجنين عندما يتهيأ الجسد لقبولها .. ثم ترتقي بعد ذلك وتنمو بالعمل الشرعي والعلم الالهي ، وإذا اصابها انحراف في مسيرها الذي هيئت له بالقوانين المودعة فيها لصلاحها ، فان هناك قوانين ذاتية لتطهيرها من أدرانها كما يتطهر الجسد من النجاسة بالماء او التراب . وقد تحدث شعرا عن هذه النفس وارتباطها بالجسد بالقصيدة العينية التي جاء فيها :

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

ومن ذلك ندرك انه يرى بقاء النفس بعد فراق الجسد ، وهو الرأي

الاسلامي العام ، وقد سبقه إليه الفارابي معارضا أتباع ارسطو الذين كانوا يقولون بأنهم لا يعرفون وجودا للنفس الانسانية ، ولا بعثا بعد الموت ألا للنفوس التي استطاعت ترقية ذاتها في حياتها دون أن تجرفها الشهوات ، اما النفوس التي استهلكتها شهواتها فان حكمها حكم الحيوان لا بعث له .

في الخير .. والشر

ويرى ابن سينا أننا لا نستطيع تصور استمرارية الحياة إذا كانت خيرا محضا او كمالا مطلقا لانها تظل عندئذ صورا ثابتة بغير حركة الصراع الذي به تتحدد فوارق الأشياء ، كما انه ليس في وسعنا تصور الوجود شرا محضا ولكن الشر يأتي عرضا ليتحدد به الخير ، ويظهر وينمو ، فبعض الشر لازم ليتميز الخير ويتحرك .
فالنار لا يمكن الانتفاع بها إلا إذا كانت ذات لهب حارق .. وقد يكون الشر نقصا كالجهل .. فيكون خيرا من حيث إنه يحفزنا الى التعلم .. والمرض كذلك من حيث إنه يدعونا الى التماس أسباب العافية .. وكل هذا لا يستطاع اجتنابه في عالم يتسع للممكنات ، وفيه كل شيء ممكن وجوده ، اي حدوثه ، فهو ناقص لا محالة ، إذ لا وجود للكمال المطلق لغير الله سبحانه . وكل ماهو حادث فهو عرضة للعدم .. أي في طريق العدم .. فالخير أصيل في العالم والشر عارض في لوازم تحقيق الخير المتاح للممكنات .

الشر دائما اقل من الخير

ويشير ابن سينا الى ان ذلك واضح في جملة الامور .. وإلا لما كان لاستمرار الحياة والعالم قوام ، ولو ان كل واحد منا نظر في امور حياته وظروفها لتبين له صدق ذلك فالشر قد يصيبنا في أوقات ، ولكن مقومات الخلاص منه كائنة ، فالخير المحض هو الواجب الوجود لذاته ، ولكن ظروف الحياة كلها تدخل تحت باب ممكن الوجود ، اي كل التغيرات ممكن حدوثها ، ولذلك لا يكون الخير المحض دائما مستمرا لان ذاته ـ اي ذات الخير ـ في الدنيا تحتمل العدم والتغيير ، وما دام يحتمل العدم والتغيير فلن يكون بريئا من التعرض للنقص الذي نسميه شرا لذلك يرى ابن سينا ان ظروف الحياة في جملتها تدور في فلك الحكمة ولا يمكن ان يكون عالمنا خيرا مما اعد له وهيئت له احواله مع كونه حادث خاضع للممكنات .. فحدوث الشر الذي هو عارض انما هو ضروري لاستكمال الخير .

خط مسار النفس في حياتها الارضية

وينتهي ابن سينا في خط مسار النفس في حياتها الأرضية الى انها في الفترة ما بين حلولها في الجسد ، الى خروجها منه مكرهة إنما تكتسب تجارب في محاولتها التي يجب ان تكون ترقيا في مدارج الكمال مجاهدة في سبيل ذلك للعوائق التي تعترضها .. وتكون في احسن حالاتها حين تكتسب بالارادة

والبصيرة ، ومتابعة القوانين العلوية الخط الصحيح لمسارها ، ومن هنا فللانسان حريته في سبيل تحقيق الصعود بنفسه او الانحراف والهبوط بها فهو بذلك يحدد مدى استحقاقه للثواب او العقاب باختياره ، وهذا هو العدل الالهي في نظام الوجود ، وقد هيأ له كل أساليب الخير ، وجعلها ميسرة للانسان بالجهاد ـ او العلاج ـ او الممارسة ، فلا يقع في الدنيا ظلم الا كان له وجه مقابل من العدل ، ولا يجري الشر الا ليوقظ النفس عسى ان تنهض من جديد في الطريق السليم .. فانتهاء الأمور إلى أفضل النهايات امر ممكن .

خلاصة عقيدة ابن سينا

والمتأمل في آراء ونظريات ابن سينا الفلسفية ، يجد أنه لم يخرج عن نطاق العقيدة الدينية السليمة التي يؤيدها ويدعو إليها في حماس تحليلي ، وهو يرى في شأن النبوة انه ما دام الهدف في الحياة هو الاتجاه الى الله وأن ذلك لمصلحة الانسان نفسه وسعادته ، فان وجود المرشد أو النبي ضرورة حتمية ، ويوضح في تفصيل مسهب ، لماذا يجب ان يكون النبي انسانا من بني البشر ، له طبيعتهم ويتميز عليهم خلقيا ، حتى يكون لهم مثلا أعلى يحتذي به ، وان تكون له خصائص ينظرها الناس فيوقنون بحق أنه لن يكون له هذا التميز الا اذا كان مؤيدا بقوى عليا ، وأنه إذا لزم الأمر لتأييد ذلك التميز فهي المعجزات التي تؤيد صدق دعواه .. وأن النبي متى وجد فسيكون ليسن للناس القوانين التي تتنزل عليه ، ومن هنا يؤكد ابن سينا لزوم الوحي وإنزال روح القدس على النبي ، ثم إن مهمة النبي هي ان يربط للناس امور دنياهم بأمور أخراهم . آخذا بأيديهم على جسر الهداية الى الحياة الحقيقية ولذلك فهو يرى الجنة حقيقة ، ويدعو الناس الى ان سعادتهم في التطلع اليها والعمل من اجلها .. وقد جاء تفصيل ذلك كله في كتابه المسمى بـ « النجاة » .

صلة ابن سينا بالله ورأيه في الكرامات

ولم تبعد حياة التجرد والفكر الفلسفي لابن سينا قيد أنملة عن أداء الشعائر واستلهام العنصر الديني في خط مسار أفكاره فقد عرف عنه انه كان كلما أهمه الفكر وذهب به مذاهب شتى في البحث عن الحقيقة الفلسفية ، استغرق في الصلاة مبتهلا الى ربه كي يلهمه الهداية ويكشف له عن وجه الحق ، فقد كان شديد الحرص في الدعوة الى تقوية صلة الانسان بربه ، وكذلك صلة الروح بالجسد وقدرتها على التأثير فيه حتى لقد كان يرى ان صاحب النفس القوية إن كان خيرا رزق القدرة على ان تكون له كرامة يؤتاها من الله للتأثير فيما حوله حتى في الماديات ، وتزداد هذه القدرة بزيادة التقوى والصفاء ، وإن كان صاحب النفس الشريرة فهو الساحر

الخبيث .

من نصائح ابن سينا لأتباعه

وعلى ضوء ما سبق فانه كان يدعو الى عـدم الـوقـوف مـوقف الانكـار والمعارضة ، لما قد يبلغنا عن بعض العارفين ، من أنه مثلا كان لبعضهم دعوات مستجابة كأن يشفى بها المريض ، او يصيب بها قوما ضالين ، وهو يرى عدم اخضاع هذه المواهب للفكر العادي ، لان هذه الكرامات استمدت اسمها من تكريم الله لرجاله من اصحاب الصفات ، وهناك أمور لا يصح الوقوف منها موقف التكذيب .
ولقد كان يرى انه ما دام الكون المادي قابلا للتغيير والتبديل ، فقد اوتي العقل القدرة على التأثير فيه ، ان خيرا أو شرا فيما يظهر او فيما يخفى من الاسرار .. ذلك لانه ترى ان العقل المستفاد عند الانسان ليس منبت الصلة بالعقل الكلي الفعال .. وربما يعني بذلك الملائكة ـ ولذلك يرى ان النفوس لها تأثيرها في الأجساد .. وما دام لها تأثيرها في اجسادها ، فقد لا يكون هناك مانع من تـأثيرهـا في الاجساد الاخرى ، ذلك لان النفوس غير متحيزة بحيز محدود اذ ليست مادة بل صلتها بالنفوس الاخرى قائمة .. ومن هنا يرى صحة حدوث الكرامة .

من بعض ما يؤخذ على ابن سينا

ولقد نرى مغالاته في شأن ما ذهب اليه آنفا .. كما يؤخذ عليه شدة اعتقاده في تـأثير الكـواكب وولعه بـالحـروف الأبجـدية وتـأثيرهـا الريـاضي او تعبيراتها عن موجودات علوية او سفلية .. وان كان لم يذهب في هذه الآراء الى الكشف عن الغيب عن هذا الطريق .. وإن كان يمكن الوقوف عند بعض آرائه في رمزية بعض الحروف ، حين كان يرى مثلا ان الالف ترمز الى الواحد الباري جل وعلا .. وأن بعض الحروف الاخرى ترمز الى العقل .. او النفس .

قدرة الانسان على الوصـول الى مراتب عليا في الكمال

وذلك بالتأمل الصادق ـ الصوفي ، وهو طريق الحكماء والصالحين ، ولابن سينا نفسه محاولات في هذا السبيل فقد حاول الكشف عن بعض حقائق الكون بالصلاة والزكاة ، والكف عن الشهوات ، وكانت له صلات ببعض المتصوفة في زمانه من امثال ابي سعيد بن ابي الخير .. غير انه يبدو انه لم يسر كثيرا في هذا السبيل ، اذ كان يميل الى تغليب جانب العقل على الجانب الروحي ، مما كان منشـأ خلاف له مع بعض رجال التصوف .

ومع اختلاف لأهل الرأي في شأن ابن سينا ، فان أمثاله لا يخلو من اختلاف الناس في شأنه ..
ولا يمكن الانكار أنه كان قطبا لامعا ، سيظل مضيئا في سماء العروبة تفخر به الى آخر الزمان .



يعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة في مجال دراسة أسس ومبادىء وتطبيق البنوك الاسلامية فهو يتعرض لكيفية حساب التكاليف وتقدير السيولة النقدية في البنك الاسلامي ، ويشير أيضا الى بعض النماذج من الواقع العملي للبنوك الاسلامية ، وذلك بجانب استهلال الكتاب ببيان الاطار الشرعي للبنوك الاسلامية وبيان مصادر الاموال واستخدامها في البنك الاسلامي مع توضيح للخدمات التي يمكن للبنك الاسلامي تقديمها .

وهكذا يمكن بيان النقاط التي تعرض الكاتب لها في الآتي : -

- الاطار الشرعي للبنوك الاسلامية .
- مصادر الاموال وأوجه الاستثمار والخدمات في البنوك الاسلامية .
- حسابات التكاليف في البنوك الاسلامية .
- السيولة النقدية في البنوك الاسلامية .
- نماذج لبعض البنوك الاسلامية .

ففي الباب الاول : الاطار الاسلامي الشرعي للبنوك الاسلامية : تعرض الكاتب لبيان عدة نقاط أساسية تدور حول بيان كنه العمل في تلك البنوك والمبادىء والأسس التي تحكم عملها وكيفية تحديد الارباح .. وذلك في ضوء ما تقتضيه الشريعة الاسلامية ، ولذا فقد بين الكاتب هذه النقاط كما يلي : -

(١) التمويل في ظل نظام الفائدة الحالي لا يختلف عن الربا ، ولذا ناقش الكاتب قضية تنظيم الفائدة في البنوك الربوية وبيان موقف الشريعة الاسلامية منه وهل هو محرم أو يحل للناس التعامل على نهجه . وعرض لآراء البعض في هذا الشأن منهم : -

- المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ، وقد قال ان الفائدة الحالية التي تتقاضاها البنوك على القروض لا تختلف عن الربا الذي حرمه القرآن للاسباب التالية : -

* انه لا كسب من غير تعرض لخسارة لأن الغنم بالغرم والعطاء بالأخذ والكسب بالخسارة .

* نصوص القرآن في تحريم الربا عامة ولم يقم دليل على تخصيصها .

* كلمة رأس المال في القرآن تعني أصل المال ولذا فكل ما عداه يعد زيادة عن الاصل فهو ربا .

* الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات والربا حرام لا شك فيه وقد أجمع المسلمون من أقدم العصور الى اليوم على تحريمه ولم يقل أحد قط أنه حلال .

- الدكتور محمد عبد الله العربي ، وقد بين ان الفائدة الحالية المدينة والدائنة للبنوك لا تختلف عن الربا الذي حرمه الاسلام . الا انه يرى في المجال الدولي رأيا ، وذلك باباحة التعامل بالفائدة ، حيث لا نملك فرض هذا الحكم على البلاد غير الاسلامية المتعامل معها ، ونحن في حاجة ماسة لاستيراد سلع لم نصل بعد الى انتاجها ، فلا مناص من التغاضي عن وزر الربا الذي يشوب معاملاتنا .

- أما الدكتور محمد عبد الله دراز ، فيرى أننا اذا أصررنا على اشراك المقرض في الربح الناشيء وجب علينا في الوقت نفسه ان نشركه في الخسارة النازلة ، ومتى قبلنا اشراك رب المال في الربح والخسر معا انتقلت المسألة من موضوع القرض الى صورة أخرى وهي المضاربة الشرعية أو القراض .

- فتوى الامام محمد عبده ، وذلك حيث افتى بامكان جعل الربح الناتج للمدخرين في صندوق التوفير حلالا ، وذلك بمراعاة أحكام شركة المضاربة في استغلال النقود المودعة .

وفي نهاية هذا الفصل قدم الكاتب ملخصا لتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة في صفر ١٣٨٥ هـ ، يوليو ١٩٦٥ م ، وذلك بالنسبة لما يتعلق بالمعاملات المصرفية : -

(٢) خصم الاوراق التجارية ربا

فما بدائله الاسلامية : ـ أوضح الكاتب هنا ما يتصل بخصم الكمبيالة حيث تعتبر عملية الخصم هذه عقد ربوي لا يختلف تماما عن الربا الذي حرمه القرآن وأنه عينه وذاته ، ولذا يجب عدم تضمينه الاطار الاقتصادي لنشاط البنوك الاسلامية .

وفي المجال الدولي لنا ان نقبل ولكنا مكرهين لا مختارين جواز الاستمرار في المعاملات المصرفية الخارجية على الوضع الربوي القائم ، حيث انه في الكمبيالات بالذات لا مناص من التغاضي عن وصمة التعامل بالربا في تداولنا السوقي للكمبيالات سواء كانت مسحوبة منا لصالح مصدرين أجانب أم مسحوبة من أجانب لصالحنا .

وقد يقدم البعض تخاريج فقهية لجواز خصم الكمبيالة بفائدة ، ولكن الكاتب يرد عليهم هنا بأن هذه التخاريج أكثرها فاسد لا أساس له من الصحة ولا دليل ولا برهان يثبته ، وقدم الكاتب بعض الاقتراحات الاسلامية كبدائل لخصم الكمبيالة بفائدة .

(٣) المضاربة الشرعية ، وهنا عرض الكاتب لماهية الشركة في الفكر الاسلامي ، ثم بين ما هي شركة المضاربة الشرعية واعادة المضاربة .

ـ الشركة في الفكر الاسلامي ، بعث النبي صلى الله عليه وسلم والناس يباشرون الشركات فأقرهم عليها وباجماع الامة والعقول ، ولذا فهي طريق مشروع لابتغاء الفضل اي الربح والزيادة على رأس المال .

والشركة على وجوه ثلاثة شركة بالاموال وشركة بالاعمال وشركة بالوجوه وبيان ذلك كالتالي : ـ

أ) شركة المفاوضة : وتبنى على أساس اشتراط المساواة فيها من جميع الوجوه حيث يشترك فيها متساويان أو أكثر تصرفا ودينا ومالا وربحا . وتتضمن الوكالة فيصير كل واحد وكيلا عن صاحبه .

ب) شركة العنان ، وتتضمن أساسا الوكالة فالمقصود من الشركة هنا هو التصرف في مال الغير ولا يكون الا بها دون الكفالة ، لانها انما تثبت المفاوضة لضرورة المساواة وتصح مع التفاضل في رأس المال والربح .

جـ) شركة الاعمال والصنايع ، وفيها يشترك اثنان على تقبل الاعمال ويكون الكسب بينهما ، ولا تجوز هذه الشركة عند الشافعي لأن الشركة في الربح تبنى على الشركة في رأس المال على أصلهما وهنا لا مال لهما .

د) شركة الوجوه ، وتبنى على وجاهة الشريكين بين الناس وشهرتهما بحسن المعاملة اذ لا بد منه في الشراء نسيئة ، وفيها يشترك اثنان او اكثر ولا مال لهما بل بوجوههما ليشتريا بلا نقد الثمن ـ حاليا ـ بسبب وجاهتهما وأمانتهما عند الناس ثم يبيعان ويسددان ما

عليهما وهكذا ..
- شركة المضاربة الشرعية واعادة المضاربة ، بين الكاتب في هذا المقام ما هي المضاربة أساسا فقال « المضاربة شرعا هي : شركة في الربح بمال من جانب رب المال ولو متعددا وعمل من جانب آخر وهو جانب المضارب » .

ثم تعرض الكاتب لبيان أنواع المضاربة الشرعية في سبعة أنواع وانتقل بعد ذلك لبيان شروط المضاربة وذلك من ناحية رأس المال والربح وبيان العلاقة بين الطرفين ، وانتقل ايضا الى بيان نشاط المضاربة ، اعادة المضاربة ، لزومية عقد المضاربة ، الاطار الشرعي للبنك كمضارب ، الاطار الشرعي للبنك كرب مال .

(٤) عائد الاستثمار في البنوك الاسلامية ، عرض الكاتب هنا لمفهوم الربح ثم لمفهوم الخسارة وكيفية توزيع الربح بين رب المال والمضارب ، وفي النقطة الاخيرة قال الكاتب : -
- يشترط ان يكون الربح بينهما بحصة شائعة معلومة بينهما من الربح .
- كل شرط يوجب جهالة الربح يفسد عقد المضاربة .
- في حالة اعادة المضاربة يوجد ثلاثة اطراف : رب المال ، والمضارب الاول ، والمضارب الثاني ويتحدد ربح المضارب الثاني على نهج سليم كالاول .
- نفقة المضاربة مصروفة الى الربح لا الى رأس المال .
- عند الخسارة لا شيء للمضارب ويتحمل رب المال وحده الخسارة .
- توزع الزكاة الخاصة بالربح ورأس المال .

(٥) الخدمات المصرفية في البنوك الاسلامية ، وتطرق الكاتب الى الحديث هنا عن الخدمات التي يمكن ان يقوم البنك الاسلامي بتأديتها ، وذلك مثل : -
- الايداع بأجر
- الوكالة بأجر أو عمولة
- الاجارة والاجر المشترك
- الاجير المشترك
- عقد الكفالة
- الصرف .

(٦) مفاهيم ومبادىء اقتصادية ومحاسبية في البنوك الاسلامية ، قدم الكاتب في سياق حديثه لبعض المبادىء والاسس والقواعد الرئيسية التي يجب ان يتمسك بها البنك الاسلامي اثناء ممارسته لعمله ومن أمثلة ذلك : -

أ) في مجال الاستثمار :
- الغرم بالغنم
- جواز دفع الحصص في رأس المال بعملات مختلفة .
- الربح وقاية لرأس المال بالدرجة الاولى .
- جواز قيام البنك بتأسيس الشركات او الاسهام فيها .

ب) في مجال القروض :
- كل قرض جر نفعا فهو ربا
- خصم الكمبيالات التجارية بفائدة ربا .
- جواز استرداد البنك للمصاريف الفعلية .

ـ الحوالة جائزة شرعا .
جـ) في مجال الخدمات المصرفية :
ـ الايداع مشروع بأجر أو عمولة .
ـ جواز شراء وبيع العملات لحساب العملاء .
ـ جواز شراء وبيع الاسهم وتحصيل كوبوناتها .
د) في مجال الخدمات غير التقليدية :
ـ جواز أعمال الوساطة والسمسرة .
ـ القيام بأعمال الاستشارات والخبرة المالية والاقتصادية .
ـ ادارة الصناديق الخاصة بأجر وعمولة .
هـ) في مجال الضمانات
ـ شرعية المطالبة بتقديم كفيل او ضمان .
ـ جواز فرض غرامة مالية على المكفول في حالة تقصيره
ـ مشروعية الرهن ضمانا لاستيفاء حق كالدين .

وفي الباب الثاني :
مصادر الاستثمارات والخدمات في البنوك الاسلامية : تعرض الكاتب بالشرح والتوضيح لبيان مصادر الاموال وأوجه الاستثمار وأخيرا الخدمات المصرفية التي يقدمها البنك الاسلامي لعملائه :
(١) مصادر الاموال في البنك الاسلامي : تتكون من مصادر داخلية وخارجية اما المصادر الداخلية فهي :
ـ رأس المال ويشير الى أصل المال الذي خصص لاقامة البنك .
ـ الاحتياطيات وتشير الى الارباح المحتجزة لدعم المركز المالي .
أما المصادر الخارجية فهي :
ـ الودائع تحت الطلب والتي تسمى حسابات جارية .
ـ ودائع بالمشاركة (المضاربة) وتتنوع الى : ـ
ـ ودائع ثابتة وقد تكون مطلقة او مقيدة .
ـ ودائع باخطار وقد تكون مطلقة او مقيدة .
ـ ودائع ادخار وقد تكون مطلقة او مقيدة .
(٢) أوجه الاستثمار في البنك الاسلامي بعد ان بين الكاتب في هذا المقام بصورة سريعة أوجه الاستثمار في البنوك التجارية في اطار نظام الفائدة تطرق الحديث الى بيان أشكال الاستثمار بالمشاركة في البنك الاسلامي وذلك ببيان الوضع عندما يشارك البنك كرب مال أو كمضارب ، او عندما تكون هناك عملية اعادة مضاربة ، وعندما يكون البنك في دور رب المال والمضارب معا .

وانتقل الكاتب الى عرض لكيفية تحديد حصة اصحاب الودائع بالمشاركة المقيدة او المطلقة ، ثم انتهى في هذا المقام الى توضيح لمفهوم وقياس الربح القابل للتوزيع في شركة المضاربة الشرعية .
(٣) الخدمات المصرفية التي يقدمها البنك الاسلامي لعملائه ، وبيانها كالتالي :

- الحسابات الجارية
- الاوراق المالية وما يتصل بها .
- خزائن الامانات .
- الاوراق التجارية من ناحية تحصيلها فقط .
- القروض .
- الكمبيو .
- الاعتمادات المستندية .
- خطابات الضمان .
- الصناديق الخاصة وادارتها .
- الاستشارات المالية والاقتصادية .

وفي الباب الثالث : محاسبة التكاليف في البنوك الاسلامية : تناول الكاتب ما يتعلق بكيفية حساب التكاليف في البنك الاسلامي مبينا مراكز التكلفة وذلك بتقسيمها الى مراكز انتاج ومراكز خدمات ، وبيان أنواع التكاليف المباشرة وغير المباشرة وكيفية تخصيصها على مراكز التكاليف ، ثم انتقل الكاتب الى تحديد الربحية النوعية على مستوى الانشطة الاقتصادية الرئيسية وذلك حسب الخطوات التالية : -

- تحليل الايرادات وتحديد ايرادات كل ادارة .
- توزيع ايرادات الادارات الاقتصادية على الانشطة الاقتصادية الرئيسية .
- مقابلة الايرادات بالتكاليف .

ثم عرض الكاتب لنقطة التعادل في البنك الاسلامي من ناحية بيان ماهيتها ودورها ومزايا استخدامها ثم كيفية حسابها رياضيا وبيانيا .

وفي الباب الرابع : السيولة النقدية في البنوك الاسلامية : تكلم الكاتب عن : -

(١) زكاة النقود والسيولة النقدية : وهنا تطرق الكاتب الى الحديث عن الاكتناز في الفقه الاسلامي والفرق بينه وبين الادخار ، وما هي الصعوبات التي تكتنف محاربة الاكتناز وتعبئة المدخرات في الدول النامية ، وبين رأي ابن خلدون في الاكتناز وانكماش التيار النقدي على المستوى الحكومي ، مع عرض للوظيفة الاقتصادية لمصارف الزكاة في دعم الدورة النقدية وتوسيع التيار النقدي .

(٢) السيولة ومعادلة الالتزامات النقدية ، تعني السيولة قابلية الاصل للتحويل الى نقود بسهولة ودون تحمل خسائر وتتكون السيولة لدى البنك الاسلامي من : -

بالنسبة للاصول :
- النقدية بالخزينة .
- الارصدة لدى البنك المركزي او مؤسسة النقد .
- الاوراق المالية وكوبوناتها تحت التحصيل .

وبالنسبة للخصوم :
- ارصدة مستحقة على البنوك .
- الذهب والعملات الاجنبية .
- الشيكات والحوالات تحت التحصيل والمستحقة الدفع .
- ارصدة مستحقة للبنوك .
- الودائع .

وتناول الكاتب كيفية حساب نسبة السيولة التي تشير الى النسبة بين الاصول التي تعتبر سائلة والخصوم المقابلة لها .

(٣) أثر عامل السيولة في سياسة الاستثمار ، لا خلاف في ان اثر عامل السيولة في سياسة الاستثمار لا تقل اهمية في البنوك الاسلامية عنها في البنوك التجارية وهو من اهم العوامل المؤثرة في سياسة الاستثمار في البنوك ، وتحتل الودائع بالمشاركة والمضاربة الشرعية المكانة الاولى ، وهي اما ودائع ثابتة او ودائع باخطار او ودائع ادخار - صناديق توفير - هذا وتستهدف المحافظة على السيولة في البنوك الاسلامية تحقيق اهداف كثيرة ومتعددة ، أهمها المحافظة على الاستخدام الامثل للارصدة النقدية ، والمرونة في التخطيط النقدي لمواجهة مواسم التمويل والاستخدامات النقدية المتوقعة ، وتجديد الموارد المالية عن طريق بيع استثمارات البنك كلما وجد ذلك مناسبا له .

وفي الباب الخامس : نماذج للبنوك الاسلامية : عرض الكاتب لبعض النماذج من الواقع العملي للبنوك الاسلامية التالية : البنك الاسلامي للتنمية ، بنك دبي الاسلامي ، بنك فيصل الاسلامي المصري ، بنك ناصر الاجتماعي .

وتهدف هذه البنوك أساسا الى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي للبلاد والمجتمعات الاسلامية وذلك وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية .

ولكي تؤدي هذه البنوك أهدافها ، لها ان تقوم باداء الخدمات المختلفة ما دامت توافق الشريعة الاسلامية ومن امثلة الخدمات التي يمكن ان تقدمها ما يلي : -

- الاستثمار في مشروعات البنيان الاقتصادي والاجتماعي .
- المشاركة في رؤوس أموال المشروعات والمؤسسات الانتاجية .
- منح قروض لتمويل المشروعات والبرامج الانتاجية في القطاعين العام والخاص .
- النظارة على صناديق الاموال الخاصة .
- اجراء الابحاث اللازمة لممارسة النشاطات الاقتصادية والمالية والمصرفية .
- قبول الودائع النقدية على اختلاف صورها للحفظ أو للاستثمار .
- شراء وبيع السبائك والعملات الاجنبية .
- فتح الاعتمادات وتقديم سائر التسهيلات المصرفية .
- القيام باعمال بنوك وصناديق التوفير .
- تقديم خطابات الضمان .
- اصدار الاسهم لحساب المؤسسات والشركات ومعاونتها في عملياتها .
- الاستثمارات المختلفة في كل ما تجيزه الشريعة الاسلامية من معاملات .

أبغض الحلال إلى الله

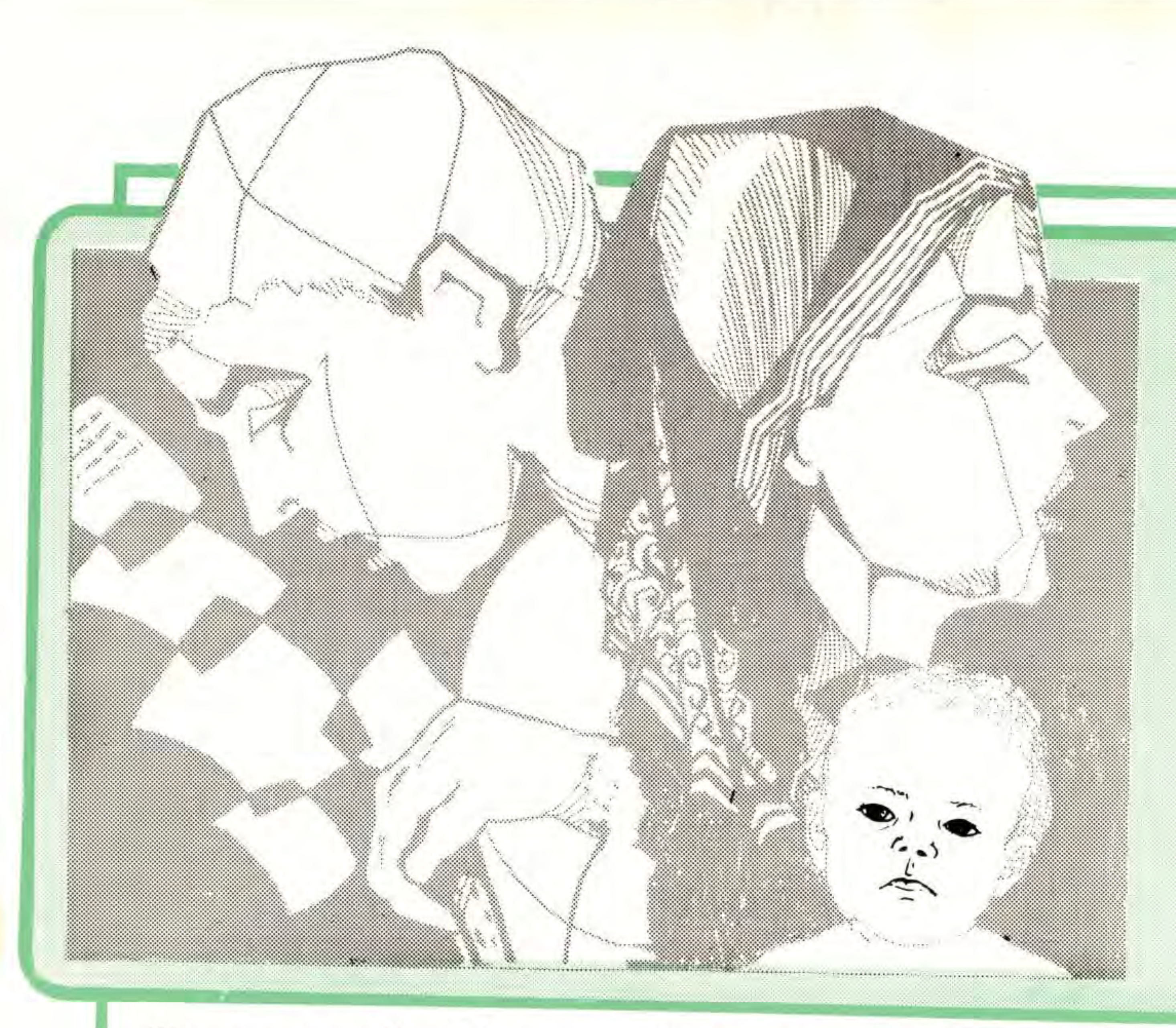
للدكتور/محمود محمد عمارة

(فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) البقرة/ ٢٣٠ .

* تظل الحياة رخية ناعمة ما بقيت علاقة المرء بزوجه وطيدة الدعائم .. ثابتة الاركان .. وكل وليد يترعرع في هذه الدوحة ، يستوي مع الايام على سوقه في ظل من حنان امه .. ورعاية ابيه . ومتى احس الطفل بالحب والامن معا .. حسنت صلته بالحياة .. فحسن ظنه بها .. ثم اقبل عليها جذلان راضيا . بل ان تصوره للحياة ليأخذ معنى ارحب من بيئته .. ولسوف يطير به خياله في كل اتجاه .. وراء مباهج اعطته الحياة عناصرها .. حين اشبعت حاجته للحب والامن معا ..

ولأن استقرار الحياة الزوجية بهذه المثابة .. كان الطلاق ابغض الحلال الى الله تعالى .. لأنه يحول بين الاسرة وحاجتها الى القرار .. حين يضطرب المجداف بين يدي ملاح تائه فوق محيط ثائر الموج .. فلا تستقر على حال من القلق ..

* واذا كان الاسلام يمسك علاقة



الزوجية ان تذوب في غمرة المشاكل المتجددة .. واذا كان قد خط السبيل القاصد لتحقيق السعادة .. بما اوجب على كلا الزوجين .. ولهما .. فانه حتى اذا تجاهل الزوج ذلك ـ لا يتخلى عنهما في ساعة العسرة ابدا .

* انــه يمســك بتــلابيب الــزوج الغاضب .. قبل ان يحرك لسانه بكلمة تهدم الصرح القائم ..

* واذا كان هو قد طلق قبل ذلك مرتين .. ثم وجد طريق العودة مع ذلك ممهدا .. فان عليه اليوم معرفة سوء حاله لو خاض التجربة الثالثة .. ونطق بالكلمة الاخيرة .

ان الطريق الى زوجته يصير حينئذ وعر المسالك .. وسوف يزاحمه فيه شخص غــريب .. يسبقه اليهــا .. فيخلفه في مملكة كان فيها السيد المطاع .

وذلك بعض ما يفهم من قــوله تعالى :

(فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .

* والاية الكريمة ترسم صورة حية لايامه المقبلة .. من شأنها ان تمسك لسانه فلا ينطق بكلمة الفراق . واذا حدث ونطق بها .. فلا ينبغي لاحد من بعده ان يقف موقفه حتى لا يواجه مثل مصيره ..

فماذا في الآية الكريمة من معان تضبط في قلب الزوج الغاضب دوافع الانتقام ؟

* ان الحق سبحانه وتعالى لا يستدعي فردا معينا يتجه اليه بالخطاب .. وانما تتحدث عنه الآية الكريمة بضمير الغيبة : (**فان طلقها**) .

واستبعاده من الساحة ... وعدم تشريفه بالخطاب .. صورة من صور التجاهل لانسان يفقد - في مثل هذه اللحظة - وجوده الادبي .. وان كنا نسمع صوته - ونرى جثته فهو يقطع ما امر الله به ان يوصل .. ويستغل سلطته في طرد مخلوق ضعيف .. من ظله وحمايته .. ليعيش في وهج الشمس .. ووحشة الضياع . فهو نشاز في نغم متناسق .

* فالدنيا ضاحكة مستبشرة .. تفتح ذراعيها لكل مقبل عليها .. راغب فيها .

* ثم هي في جوهرها .. حلاوة .. ومرارة .. نقص وكمال .. صحة ومرض .. وانه لم يتقبلها على هذا النحو .. لانه يريدها صفاء مطلقا .. ولن تكون كذلك .

انه رجل يحكم مزاجه الخاص .. وبه يريد ان يسير دقة الكون .. ولن يوجد مثل ذلك الرجل ، واذا وجد - فهو شبح لا وزن له .. يعبر آفاق الوهم .. خاطرا في « ضمير الغيب » .

****

ولكنه مع ذلك موجود في دنيا الناس .. وظاهرة اجتماعية ينبغي ان تلاحق بالتأديب والتهذيب .. وهو ما تتكفل به الآية الكريمة في صدرها .. بما رسمه من مستقبل مثل ذلك الزوج .. حتى اذا رأى نفسه على « شاشة » ذلك المستقبل على هذا النحو الذي يرفضه كرام الناس .. ربما اعاد حساب ربحه وخسارته قبل ان يتخذ موقفه الاخير .

* فعلى اي نحو ستكون ايامه المقبلة - لو طلق الثالثة - التي يوشك الآن ان يتخذ اليها سبيلا ؟

* ان الزوجة التي يملك معاشرتها الآن .. لن تحل له بعد ذلك .. فكلمة الطلاق التي يمكن ان ينطق بها .. سوف تحفر بينهما برزخا عميق الاغوار .

(**فلا تحل له من بعد**) .

* وعليه اذا اراد العبور اليها ان يتخطى جسرا من التعب : فربما تصور الزوج ان الزوجة المطلقة .. ستنقل الى بيت امها .. ثم تمكث هناك بقية عمرها في احضانها .. تجتر ذكرياتها معه .

* بيد ان الاية الكريمة تطالعه بما يقض مضجعه .. حين تبين له زوجته وهي في عصمة رجل آخر غيره .. وهو الامر الذي يتجاهله ولا يكاد يذكره .

(**فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**) .

فهلا طامن من غضبه ازاء هذه الصورة التي تطل عليه من شرفات مستقبل متجهم ؟

هل تحسس نبض قلبه .. وصلابة اعصابه ليعرف مدى تحمله لصدمة من هذا النوع ؟

* واذا لم يكن قد فعل .. فليعد النظر تارة اخرى .. ليرى بقية النذر التي اغمض عينيه فلم يفطن لها : ان زوجته ـ السابقة طبعا ـ لن تستمر مستسلمة في بيتها ضحية لهواه المتقلب ففي كيانها رغبة في الزواج .. ككل انثى تحس بوحشة الفراغ .. وكل امرأة تقلقها الوحدة متطلعة الى حياة ذاقت طعمها من قبل : ثم انها لن تضمر هذه الرغبة في صدرها الى ان يطرق بابها الخاطبون ..

* بل سوف تعلنها صريحة واضحة :

* سوف تبحث عن ذلك الزوج المرتقب .. بلسان الحال او المقال .. لتنكحه هي ؟!

(**حتى تنكح زوجا غيره**).

اي انه سيخرج من حياتها .. وتقتلع من ارضها جذوره .. .. متطلعة الى رجل آخر .. ترث مملكته ويستمتع بما لم يكن مباحا له من قبل .

ومن شأن الكبرياء المزيف ان يعود مثخنا بالجراح امام هذا التصور الرهيب .

التصور الذي يوشك ان يكون حقيقة يراها بعينه .. كل يوم : ان الرجل ـ في غيبة ايمانه بربه ـ قد يسمح لزوجته ان تسير معه في الطريق شبه عارية .. بل ربما كانت نظرات الشباب اليها بعض مأربه لكنه سيثور ـ ان بقيت في دمائه ثورة ـ اذا انقلب الوضع .. فكانت هي الناظرة اليهم .. المحملقة في وجوههم .. حيث كان ذلك اعراضا عنه .. وزهدا فيه .. الى غيره .. وهو المعنى الدقيق الذي تملأ به الآية الكريمة وعي الزوج هنا حين اضافت النكاح اليها هي .. والعهد بالقرآن ان يضيفه الى الرجل .

ولعل بصيرته تستيقظ على واقع جديد .. تتحول به زوجته من تابع أمين مسالم .. الى ارادة تبحث لنفسها عن الخلاص .. وتعلن التمرد على قائد .. لم يحسن تدبير الاسرة .. فاستغل سلطته في نقض غزلها من بعد قوة انكاثا .. ان عليه ان يدفع الثمن من اعصابه غاليا .. ثم .. ان هذا الزوج الذي ترتقبه .. لن يكون مجرد انسان او زميل في مكتب ومصنع ...

انه « زوج » له كل حقوق الزوجية ....

زوج تدول به دولته .. وتطوى رايته ..

****

* ولا تقول الآية الكريمة (زوجا آخر).. ولكنها تقول (**زوجا** .. **غيره**) وابراز معنى الغيرية مضافة الى ضميره الصريح ..له مغزى عميق الدلالة :

فكثير من الزوجات يعشن في ظلال ازواج « آخرين » وهو امر يتصوره الانسان فلا يحرك في رأسه شعرة لأنه شيء عادي .. وصورة مكرورة في بيئة كل انسان .. ولكن « الزوج » المأمول هنا .. خلاف هؤلاء جميعا فهو غيرك .. انت .. بالذات ..

يخلفك من دون الناس جميعا في دولة كنت فيها الآمر الناهي ويا لحرمة الاسرار التي تطل الآن من مكامنها .. لتكون في متناول غريم يقف اليوم على

اطلال حياتك .. والازواج نيام .. فاذا طلقوا انتبهوا ..

* وهكذا تتصدى الآية الكريمة في نصفها الاول لكل راغب في الطلاق حتى يتريث وكانما هي في كلماتها الموجزة الموحية .. مانعة صواعق .. تحول بين الاسرة وبين الانهيار ولو احسن الناس فهمها لوفروا على انفسهم متاعب لا قبل لهم بها ..

ولو احسن الكاتبون السطحيون فهم مراميها لوفروا ايضا على انفسهم ما يبذلون من جهد في البحث عن قيود الطلاق .. بعد ان وضعت الآية الكريمة من الضوابط ما يمسك الاسرة ان تزول .. وبعد هذا كله .. تقف اداة الشرط « إن »» (على رأس الآية الكريمة لتزعزع ارادة الرجل فلا يقدم على الطلاق .. حيث كان مدخولها بعيد الوقوع ..

اي ان الطلاق حينئذ تجربة غير مضمونة النجاح .. وعلى كل عاقل ان يراجع نفسه قبل الدخول فيها .. واذا حدث وفعل .. فتحت ظروف قاهرة .. تجعل من الطلاق ذاته مخرجا وحيدا .. وفي هذا المعنى يقول المرحوم العقاد : « فاذا احل - اي الطلاق - بعد استنفاد الوسائل المستطاعة .. فما من حل آخر يغني عنه ، وما من تحريم له الا وهو اشد قسوة .. واقل نفعا من التحليل »..

(فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون)

* ولأن الطلاق ضربة موجعة في كيان الاسرة .. وهي من المجتمع قلبه النابض .. فان الشيطان المريد يتخذ منه سلاحا يفرق به بين المرء وزوجه .. بل ان اقرب جنوده اليه .. هو ذلك الذي ينجح في قطع هذه العروة الوثقى ..

ولن يتصدى الشيطان للانسان وهو معتدل المزاج .. موفور السعادة .. فتلك لحظة قوة ترتفع بالانسان فوق مكايد الشيطان ..

لكنه يدور حوله في مثل هذه اللحظة من لحظات الضعف الانساني .. والتي يحس فيها الزوج بانه يملك .. وبارخص الاثمان .. ان يحطم هذا البناء العالي بكلمة واحدة .. لا سيما والبديل ميسور .. والمهر مقدور عليه ..

* ومن هنا يشدد القرآن النكير على الزوج الغاضب .. قبل ان يتخذ موقفا ربما ظنه بطولة .. او مغامرة .. كما تملي عليه وساوسه ..

* لكن الانسان هو الانسان .

* فقد يتجاهل نداء السماء كأن في اذنيه وقرا .. فلا يضبط نوازعه .. ثم يطلق امرأته للمرة الثالثة .. اجل .. قد يتجاهل الزوج هذه النذر المتلاحقة والتي تلسعه بها الآية الكريمة .. بما تضمنته من امور ترميه بهموم ثقال .. لو اتخذ قراره ..

ولعله .. وبعد فوات الاوان .. يحس بمرارة تجربة خاضها .. حين يصل منها الى مرحلة تحرق دمه في عروقه .. وبعد ان يرى ما انذرت به الآية الكريمة واقعا ملموسا .. وها هي ذي زوجته في عصمة رجل آخر .؟

* وقبل ان تأكل الهموم ما بقى من اعصابه .. فان الآية الكريمة تقف الى جانبه .. بل الى جانب الاسرة كلها .. في محاولة لرأب الصدع .. وعودة المياه الى مجاريها ..

ان الآية الكريمة تتحدث عن الزوج الثاني حديثا عابرا .. فلا يطول ذكرها له حتى تقف بنا موقف المتوقع لتجربة تنذر بفشلها المرتقب .. اي انها تولد .. لتموت .. (**فان طلقها**) اي الزوج الثاني .. ثم يعود الباقي الى الزوج القديم .. وزوجته التي طوحت بها الاقدار الى بيت غريب .. وطبع غريب (**فلا جناح عليهما ان يتراجعا**) .

* ومعنى ذلك ان الزواج الثاني يجيء نشازا في لحن متناسق .. ونسبة نجاحه لا تغري بتحمل مسئوليته ..

فالرباط المقدس الذي جعله الله مودة ورحمة مازال ضارب الجذور في اعماق النفوس رغم كل ما حدث وكأنما كان الامر امتحانا صعبا لكلا الزوجين .. يمحص العلاقة .. ويمهد لظروف ما كان يهجس بها خيال .. من شأنها ان تهز النفس لتفيق من سباتها .. وهي لمحة مضيئة تلفت انتباه الناس الى التأمل .. والفهم .. والموازنة .. ليلتقوا بالحق والوضوح في موضوع طال حوله الجدل .. ولم يصل فيه الى قرار يحسن السكوت عليه .. لأن القضية اذا بحثت بعيدا عن منهج الله .. تظل غائمة عائمة ..

* وحين يتجهون الى القرآن الكريم بتوجيهاته الرشيدة في مثل هذه الآية .. فسوف يتريث الغاضبون .. قبل ان يصل بهم الغضب الى موقف لا يحسدون عليه ..

* ولو اننا ساءلنا الواقع الماثل لاجاب الاجابة الكافية الشافية لصدور قوم يبحثون عن بر الامان في معترك الموج .. فقد يكون للزوجة اطفال صغار .. ان تركتهم له ضاعوا .. وان ابقت عليهم جاعوا ..

ومع ذلك فلها مع زوجها ذكريات عزاز تلاحقها .. وتؤرق حياتها .. لا سيما بعد ان تترك البيت .. وتهدأ العاصفة .. وبعد ان ترى الحياة من حولها تتقلب بالناس .. وكلهم يعيش .. ويمارس الحياة بما فيها من حلو ومر .. وضعف وقوة .. فلماذا لا تعيش هكذا .. مثلهم ..

* وافكار من هذا اللون تتراكض في ذهن الزوج ايضا .. ويضيء الجو الملبد بالغيوم رويدا .. فتتضح الرؤية وتبدأ عين الرضا تمارس عملها صفحا وتسامحا .. بعد ان كانت عين السخط سيدة الموقف ..

* ان اليوم الاول في حياة عامل جديد .. والليلة الاولى في رحلة الغريب المسافر .. كل ذلك يخط في الاعصاب مجرى عميقا يستعصي على النسيان ..

وفي دوامة الاحداث قد يكره الانسان .. فتبدو الامور في ناظريه اكبر من حجمها الطبيعي ..

وقد يسول له ذلك رؤية سطحية لحياة الآخرين الذين تملأ ضحكاتهم اذنيه فيحسبهم اكثر سعادة منه .. بينما هم في الواقع يخفون بالضحكات نباح الآلام في قلوبهم ، بيد ان

الزمن .. والرؤية المتأنية الواعية كفيلة بكشف الرغوة العائمة .. وتبدو حقائق اصيلة .. ترسبت هناك في اعماق الزوج والزوجة معا .. ويظل الرباط مع هذا قائما .. وان توقف قليلا من خلال تجربة جديدة قصيرة العمر مع زوج جديد .. لقد خف احساس الزوجين يوما بهذا الرباط .. وتلك الحقائق ، لكنها اليوم في مهب ريح عاصف تبدو كفص من الماس .. يخطف بريقه الابصار ..

وانها لفرصة تتجدد بها الحياة .. كأجمل ما تكون الحياة . من اجل ذلك .. كان التركيز على العلاقة الاولى مع تلبد الجو بالغيوم امرا تفرضه طبائع الاشياء .. وكان الزوج الثاني حلقة غريبة في سلسلة ممتدة يراد لها ان تدوم .. لقد كان فقط صدمة عصبية صكت مسامع زوج متهور .. يصحو اليوم على دقات الحقيقة المرة .. وهو بالخيار ان شاء الى جنة .. وان شاء فالى النار ..

* فاذا استقامت الحياة بالزوج الثاني فبها .. وحتى في مثل هذا الظرف الطارىء لا يتخلى الاسلام عن منهجه في بغض الطلاق وذلك في اختيار الآية حرف الشرط « إن » وما يشير اليه من استبعاد وقوع مدخوله ..

لكنه مع ذلك جائز الوقوع .. فاذا وقع .. فللزوج الأول ان يعود اليها .. وهذا هو طريق العودة ممهد ..

(فلا جناح عليهما ان يتراجعا) .

* ان طيف الزوج القديم مازال يرف من خلف السطور ..

* انه .. وان فقد وجوده الفعلي بحياة الزوجة مع آخر .. الا انه ذكرى عزيزة غالية فوق النسيان .. على ما يقول الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل

* الم تر الى ضمير التثنية في قوله تعالى :

(فلا جناح عليهما أن يتراجعا) .

فالسياق يجمعهما في ضمير واحد .. تمهيدا لاجتماع يستأنفان به حياة جديدة . وكأنه .. وقد توقع فشل المحاولة الثانية .. يحتفظ بالزوج .. فنحس به .. متأهبا .. أو هكذا يجب ان يكون .. لاهتبال اول فرصة تلوح .. لتعود به الى زوجة طالما اساء بها الظن .. وانه ليوشك ان يتقدم الان .. ليرأب الصدع .. ويجمع شملا فرقته الايام .. ويستقبل بالعودة المباركة صغارا لهم اشد جوعا الى عواطفه ورعايته من لقمة العيش .. وجرعة الماء .. وقبل ان يقعوا فريسة عقد نفسية تنهي وجودهم الادبي فلا يستمتعون بحياة .. ولا يسعد بهم وطن ..

* بيد ان هذه العودة المباركة مشروطة بموافقة الزوجة صراحة .. وليس ذلك بالشرط التعسفي الضاغط .. بقدر ما هو ضمان اكيد لاستمرار الحياة من جديد .. فان

الفشل المكرر يقضي على كل امل في النجاح بعد ..

* فالزوجة اولا : قد اضافت اليها المشاكل خبرة تمكنها من التصور الصحيح للمستقبل .. وبالتالي من صحة الحكم له .. او عليه ..

* وثانيا .. وهو الاهم ـ فقد امسك الزوج بالزمام يوما ـ واتيحت له قيادة السفينة عبر المحيط الواسع .. فما كان منه الا ان اذاق الاسرة لباس الجوع والخوف ..

* لقد اذاقها الامرين .. حين طلق قبل مرتين ..

* وحتى لا تتكرر المأساة .. لا بد ان تشاركه المرأة في قرار العودة .. والاعداد للعش الجديد ليحملا معا مسئولية المستقبل .. في ضوء التجربة التي ذاقا معا مرارتها ..

فاذا التقت الآراء حول تقرير المصير .. فلا بأس .. بل هو ما يطلبه الاسلام .. وذلك قوله عز وجل .

(**فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله**) .

* فاذا كان قد لاح في حياة الزوج القديم غرام جديد ..

* اذا كان قد استثقل عبء الاولاد .. ومشاكل الاسرة الكبيرة .. فراح يجري به خياله عبر الفردوس المفقود ..

* اذا كان قد توهم ذلك فليعلم ان هذه عبودية للمزاج الشخصي الذي حكمناه من قبل فكان ما كان .

وليست الاسرة بعد اليوم لعبة في يده .. يتخذها حقل تجارب لنزواته الطائشة .. ولا تطلب الآية الكريمة دقة صارمة تؤكد نجاح تجربة العودة .. فقد يكون ذلك فوق الطاقة .. لكنها تكتفي بمجرد غلبة الظن : (**أن ظنا أن يقيما حدود الله**) .

اكتفاء بما مضى من تجارب بينهما تجعل الحكم بالنجاح اقرب الى اليقين ..

فاذا ظنت هي .. وظن هو .. ان في العودة تصحيحا للاوضاع .. وسيرا بالسفين خفاق الشراع .. بعيدا عن مواطن الزلل فلا بأس ان تبدأ الرحلة المباركة .. ولا بأس ان بقيت في النفوس بعض الرواسب المتخلفة .. وفي ضحكة الولد .. واشراقة البنت .. وانس الاجتماع .. ما ينسى هذه الاوجاع .

** وليت شعري .. اي تكريم للمرأة فوق هذا مما يعرف الناس من قوانين البشر ؟

ان الاسلام لا يرفض فقط ان تكون الزوجة لعبة في يد الرجل .. بل انه ليقف بها موقف الكرامة حين يتيح لها حينئذ ان تقرر مصيرها بيدها .. ثم اليس من تكريمها ان تعود الى عشها الاول .. فرارا من احاديث الناس .. وقبل ان تكون حياتها حديثا يروى ؟

تلك هي حدود الله تعالى ومعالمه .. تطل على الناس من عل .. ليرفعوا ابصارهم اليها .. وليزدادوا ايمانا بها ..

وانها لواضحة بينة لمن اراد ان يذكر او يخشى .

وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون .



للاستاذ / محمد الشريف الرحموني

الذرائع جمع ذريعة ، وهي - لغة - الوسيلة والسبب إلى الشيء، يقال : تذرع فلان بذريعة أي توسل بها ، وفلان ذريعتي إليك : أي سببي ووصلتي الذي أتسبب به إليك .

وأصلها - عند العرب الأوائل - ما تضبط به الناقة الشاردة ، وتطلق - أيضا عندهم - على الجمل الذي يسيب مع الوحوش حتى إذا ألفته تذرع به الصياد إليها : فيمشي الى جنبه مستترا به ليتمكن من رميها ، وأنشدوا لذلك قول الشاعر :

وللمنية أسباب تقربها

كما تقرب للوحشية الذرع

كما تطلق على الحلقة التي توضع للرامي ليتعلم الرماية .

ثم نقلت لتدل - شرعا - على الأسباب والوسائل والطرق التي تفضي إلى الأحكام والمقاصد الشرعية ، وهي تابعة لهذه الأحكام التي تؤدي إليها ومعتبرة بها .

فوسائل الطاعات والقربات مأذون فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها مثاب عليها بحسب ارتباطها بها ، فالوضوء - مثلا - واجب مثاب عليه لأنه وسيلة الصلاة ، ونصب القضاة والشرط والمحتسبين وغيرهم من العمال واجب لانهم جميعا وسائل الى جلب المصالح العامة والخاصة ، والظمأ والنصب والمخمصة وغيرها مما ينال المجاهدين مثاب عليها كلها لأنها وسيلة الجهاد في سبيل الله تعالى وطريق إلى إعلاء كلمته ، قال - جل ذكره - :

(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) التوبة / ١٢٠ وكذلك وسائل المحرمات والمعاصي والمخالفات تمنع بمنعها وتكره بكراهتها ، فسب آلهة المشركين - رغم ما فيه من غيظ لهم وإهانة لما يعبدون من دون الله - حرام لأنه يؤدي إلى سب الله تعالى ، ومصلحة ترك مسبة الله - عز وجل - أرجح من مصلحة سبنا لأصنامهم .

قال تعالى :
(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الانعام /١٠٨

وضرب النسوة بأرجلهن فعل ظاهره الاباحة في حد ذاته ولكنه ممنوع لئلا يكون سببا الى اثارة شهوة الرجال إليهن عندما يسمعون صوت الخلاخل . قال الله تعالى :
(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) النور/٣١
والاختلاء بالأجنبية حرام لأنه وسيلة الزنا ، وسفر المرأة بغير محرم منهي عنه لأنه ذريعة إلى الطمع فيها ، والعلاج بشيء محرم ممنوع لئلا يكون ذريعة إلى تعاطيه ، وهكذا « كلما حرم الله تعالى شيئا وله طرق ووسائل تؤدي إليه فانه يحرمها ويمنع منها تحقيقا لتحريمه وتثبيتا له ، ولو اباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى تأبى ذلك كل الاباء بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك أيضا ، فان أحدهم لو منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيءثم أباح لهم ما يوصل إليه لعد متناقضا ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده ، وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الذرائع المفضية إليه وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه ، فما ظنك بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال . »

ومن هنا يتضح لنا كم كان إمام دار الهجرة : مالك بن أنس - رضي الله عنه - مصيبا لما اعتبر قاعدة سد الذرائع أصلا من أصول مذهبه وتوسع في العمل به توسعا يعضده - كما رأينا - النقل والعقل ، ولئن اشتهر اختصاص مالك بهذا الأصل فلا يعني ذلك أن غيره لم يعمل به بل إنه - عند التحقيق - لم يخل من العمل بسد الذرائع مذهب من مذاهب الاسلام . مادام الشرع قد اعتبرها ورتب عليها أحكاما ، ويكفي أن نشير إلى أن ابن القيم الجوزيه الحنبلي المذهب قد ذكر أمثلة كثيرة - بالاضافة الى ما ذكره القرافي المالكي - منع الشارع فيها الذرائع التي تؤدي إلى الحرام أوصلها - في كتابه أعلام الموقعين - إلى تسعة وتسعين وجها ، وعقب عليها بقوله : إن باب سد الذرائع أحد أرباع التكليف .

والتحقيق في العمل بهذه القاعدة ما ذكره الامام القرافي من أن الذرائع ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أجمع الناس على منعه وسده ، ومنه المنع من سب الأصنام عند من يعلم أنه يسب الله تعالى عند سبها ، والمنع من حفر الآبار في طريق المسلمين إذا علم أو ظن وقوعهم فيها ، ومنع إلقاء السم في أطعمتهم إذا علم أو ظن أنهم يأكلونها .

القسم الثاني : أجمع العلماء على أنه وسيلة لا تحسم وذريعة لا تسد مثل : زراعة العنب ، والتجاور في البيوت

رغم خشية الخمر والزنا .

القسم الثالث : هو موضوع الخلاف بين الأئمة وهو الذي توسع فيه مالك أكثر من غيره حتى حكي عنه اختصاصه به ، وسنقتصر على التمثيل له بمسألتين فقط حيث لا يتسع المقام لجميعها :

المسألة الاولى : بيوع الآجال وهي وحدها تصل إلى ألف مسألة . منعها مالك بخمسة شروط : **الأول** : أن تكون عقدة البيع الأولى لأجل الثانية **والثاني** : ان يكون المشتري الثاني هو البائع الأول . **والثالث** : أن يكون البائع الثاني هو المشتري الاول أو وكيله ، **الرابع** : أن يكون المشتري ثانيا هو المبيع أولا . **الخامس** : أن يكون الثمن في الحالتين من صفة واحدة . وصورتها : أن يبيع تاجر لشخص سلعة بعشرة دنانير - مثلا - الى أجل معلوم ثم يشتريها منه بخمسة دنانير نقدا . فهذا البيع ممنوع - كما قلنا - عند مالك عملا بقاعدة سد الذرائع لأنه يؤدي الى الربا الممنوع فالنتيجة - بعد عقدتي البيع - قد آلت الى ان التاجر وهو الطرف الأول قد أعطى خمسة دنانير للطرف الثاني ليرجع له بعد مدة عشرة وهو عين الربا المحرم .

وأقوى دليل على ما ذهب اليه مالك ما ورد في الموطأ من أن أم ولد زيد بن أرقم قالت لعائشة - رضي الله تعالى عنها - : يا أم المؤمنين ، إني بعت من زيد بن أرقم عبدا بثمانمائة درهم إلى العطاء واشتريته بستمائة نقدا ، فقالت عائشة : بئس ما شريت وبئس ما اشتريت ، أخبري زيدا أنه أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتوب ... فهذا التغليظ العظيم لا تقوله - رضي الله عنها - الا عن توقيف ، فتكون هذه الذرائع وأمثالها واجبة السد .

وقد وافق مالكا الامامان : ابو حنيفة واحمد بن حنبل - رضي الله عنهما - إلا أنهما خالفاه في بعض الشروط المذكورة .

أما الامام الشافعي - رضي الله عنه - فقد خالف في ذلك معللا رأيه بأن كل عقدة من عقدتي بيوع الآجال صحيحة متوفرة الأركان ومادام الامر كذلك فهي جائزة لقوله تعالى :

(وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة/ ٢٧٥

ولانظر - عنده - الى ما يؤول اليه العقد من فساد ، اذ لا احد من الأئمة يمنع جواز بيع السيف لقاطع الطريق وبيع العنب للخمار مع ان الفساد في قطع الطريق وشرب الخمر أعظم من سلف جر نفعا ، لما فيهما من ذهاب للنفوس والأموال .

.ورد المالكية تمسكه بالدليل الأول بأن الآية عامة والأثر الوارد عن زيد خاص ، وهذا مقدم على العام ، كما ردوا احتجاجه بالدليل الثاني بأن نية المتعاقدين في بيع السيف للقاطع والعنب للخمار ليست تحايلا لاظهار ما

لا يجوز في صورة الجواز ، بخلاف بيوع الآجال فان المتعاقدين تحايلا للحصول على الربا الممنوع باظهاره في صورة جائزة ، وقديما مسخ الله تعالى أصحاب السبت قردة لأنهم تحايلوا على صيد الأسماك في يوم ممنوع فيه ذلك ، ولكنه لم يمسخ من بني إسرائيل من ارتكب معاصي أخطر من الصيد في يوم بعينه لا لشيء الا ان الفريق الاول قد استحقوا ذلك التشديد لاستحلالهم الحرام بالحيلة ، وهناك فرق بين من يذنب وهو معترف بذنبه يرجو التوبة يوما ما ، وبين من يجعل الحرام حلالا . وبناء على هذا فان من عقد عقدة من بيوع الآجال دون نية التحايل لاكل الربا فهو غير آثم قطعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات » ، وقد بسط القول في هذا المعنى ابو الوليد بن رشد في كتابه المقدمات عند كلامه على الاثر الوارد في زيد رضي الله عنه ، فقال ما حاصله : فان قيل : إن زيدا من الصحابة الاخيار ، فكيف أجاز لنفسه فعل هذا ؟ ثم اجاب عن هذا التساؤل بقوله : فعل ذلك إما لأنه لا يعتقد منع الربابين العبد وسيده ، أو انه خالي النية من التحايل في العقد للتحصيل على الربا ، ولا يحل لمسلم أن يعتقد أن زيدا قد قصد ذلك .

المسألة الثانية : من القسم المختلف فيه : قضاء القاضي بعلمه : منعه مالك واحمد مطلقا أي سواء حصل له العلم بالقضية قبل ولايته القضاء أو بعد ولايته ، عملا بقاعدة سد الذرائع لانه وسيلة للقضاء بالباطل من قضاة السوء ، والواجب على القاضي - في هذه الحالة - أن يحيل القضية الى قاض آخر وليكن هو شاهدا فيها . وأوجب الظاهرية على القاضي أن يقضي بعلمه مطلقا لأن غايته تحري الصدق وقد حصل له يقينا ، وأجازه الشافعي والكوفي وأبو ثور لادلة عديدة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بعلمه في النفقة لهند زوجة أبي سفيان ، وأن عمر بن الخطاب قضى بعلمه على ابي سفيان لرجل من بني مخزوم ، ومنها ان الله تعالى أمرنا أن نحكم بالعدل والقاضي قد علم العدل ، فما يمنعه من العمل به ؟!

أما الامام الأعظم أبو حنيفة - رضي الله عنه - فقد منع قضاء القاضي بعلمه في الحدود وفصل في الامور المالية : فله أن يستند الى ما علمه فيها بعد ولايته القضاء أما ما علمه قبل ولايته فلا يحكم فيه بعلمه .

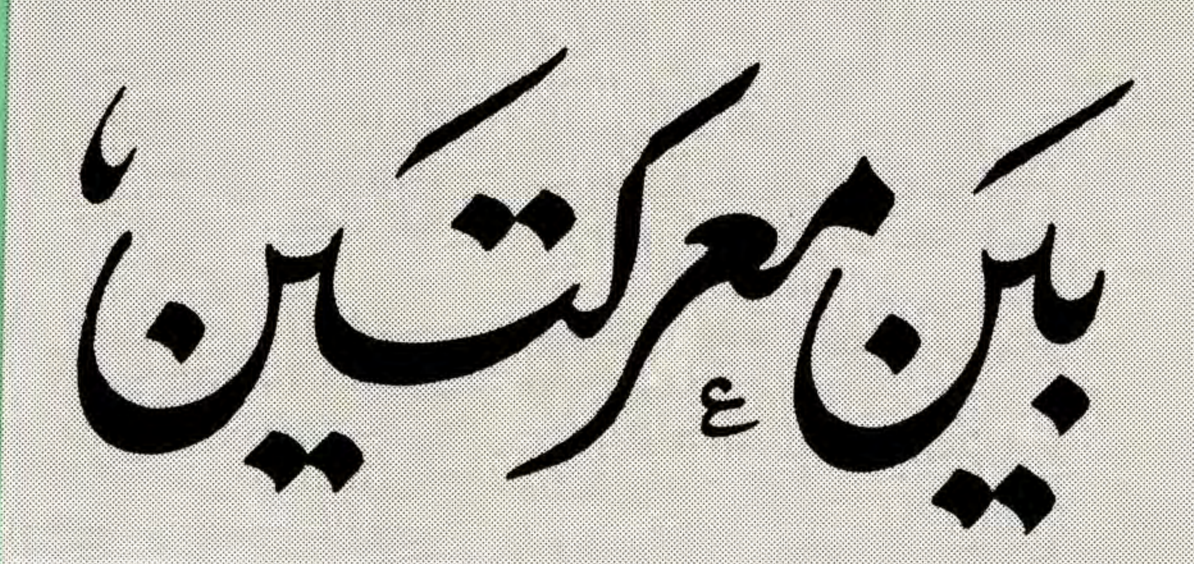
وأخيرا ان هذه الامثلة يمكن أن نقيس عليها ما ظهر ويظهر من طرق الشر في عالمنا لحسمها وسدها إذ أن أحسن ما يقاوم به الفساد سد ما يفضي اليه كما أن أحسن ما يقاوم به المرض تفادي الوقوع فيه ، وهذا المبدأ يناقض تجويز الحيل مناقضة تامة ، فهناك فرق - لا يخفى - بين سد الطريق الى المفاسد بكل ممكن خشية الوقوع فيها وبين فتح الطريق إليها .



الانسان المسلم اليوم يخوض معركتين في وقت واحد ، وكلتاهما تحتاج الى الايمان والوعي والعزيمة القوية .
المعركة الاولى معركة داخلية ـ ذاتية .
والمعركة الثانية معركة ـ خارجية ـ اجتماعية .

ولا يكفي المسلم ان يستعد لاحداهما دون الاخرى ، او يساهم بواحدة ويهمل الثانية ، لان مصير المسلم ـ ومصير مجتمعه كمجتمع اسلامي يتوقف على هاتين المعركتين .
والمسلم ـ وهو يبتغي مرضاة الله عز وجل ـ مكلف ان يستعد لكلتا المعركتين ويخوضهما بعزيمة وقوة وايمان .
اما المعركة الاولى ـ الذاتية ـ فقد ابتدأت من يوم الخلق الاول لادم ـ عليه السلام ـ حين ظهرت مكيدة الشيطان له ـ ابليس ـ واستمرت هذه المعركة ـ وستستمر الى يوم الدين ، لان الشيطان سيبقى في طريق الانسان ـ وهو عدوه الاول ، يغريه ، ويضله ويضع امامه العقبات والمغريات باشكال والوان ومظاهر تتكيف مع البيئة والعصر والظروف .

وحين يغفل الانسان عن واجبه في هذا الميدان ـ على اية صورة كانت ـ يخسر المعركة وتتحطم ذاتيته المسلمة امام انحرافات الباطل ودعاوى الشيطان .
ومواجهة المسلم للشيطان تبدو على صعيد الفكر ، والنفس والمشاعر والسلوك والاعمال .



بين معركتين

للاستاذ محمد حسن بريغش

فعلى صعيد الفكر على المسلم ان يدفع الشيطان واعوانه حينما يختبئون وراء الافكار المزيفة - والدعوات الفاسدة التي يزخرفونها بعبارات منمقة ، او شعارات مخادعة تغري سذج الفكر ، او العقول الحائرة ، وتضع الناس في دوامة تائهة ليسير الانسان وراء تلك الزعامة - او في صفوف هذه البدعة او مع ذلك الشعار .

ولا يتمكن المسلم من دفع الشيطان واعوانه ، ويبني ذاته الاسلامية المتميزة ، الا اذا كون لنفسه الفكر الاسلامي الصحيح ، والعقيدة الواضحة ، والتصور الالهي معتمدا على كتاب الله وسنة رسوله ، ووقائع التاريخ الاسلامي الموثوق وتطبيق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

ان من دواعي الانحراف ان يلجأ المسلم الى عدوه ليتعلم منه عقيدته ويكون بواسطته فكره مع توفر الوسيلة لتكوين فكره وفهم عقيدته معتمدا على ما لديه من امكانيات وما يملك من مصادر .

ولعل شيطان الفكر استطاع ان يغري الناس فيجعلهم يلتمسون كل معرفة من الغرب او الشرق ، ويتعرفون على دينهم من كتابات المتظاهرين بالعلم من المبشرين والمستشرقين والمستغربين ، ثم سار بهم شوطا في البعد عن حقيقة عقيدتهم . وادخل الى عقولهم كثيرا من البدع والانحرافات والتشويهات ، وخدروه بمظاهر العلم ودعوى التقدم حتى فقد ذاتيته

وسلبـوه اصـالتـه . وابعـدوه عن جوهره .
والمسلم هنا يخوض المعركة في صياغة العقيدة والفكر من اصولها الحقيقية غير مأخوذ بالبريق .. ولا خائف من الصعاب .. وهو في الوقت ـ ذاته ـ لا ينغلق على نفسه امام كل صحيح وجاد من الفكر بعد صياغة عقيدته كما وضعها الله رب الناس جميعا .
وهنا يبدو دور الفكـر الاسلامي ـ ومعركته الضارية التي تتطلب الوعي والتبصر ، مع التسلح بأفكار القرآن وعقيدة الاسلام التي تحرك نوازع الخير وتوقظها في ضميره ـ وتفتح نوافذ فطرته على الحياة يستوعب منها ما يزيد عقيدته جلاء وثباتا ، لتكون درعا صلبا امام الافكار الواردة ، والعقائد الباطلة ، وسهما قاتلا لها ايضا .
وأما على صعيد النفس والمشاعر فهي معركة ضارية ، استطاع الشيطان ان ينفذ منها إلى كيـان المسلم كله ، فيفسـده فكرا وعقيـدة ـ وسلوكـا وعملا .
فالنفس تستهويها المغريات وتلفتها المستحدثات والجديد من الامور ولهذا يجد الشيطان مدخلا الى كيان المسلم عن طريق النفس ـ مرة يدخلها تحت ستار الخوف ـ ومـرة تحت ستار الطمع ، ومرة تحت ستار الشهوة ومرة تحت ستار الحب ، ومرة تحت ستار الشهرة و ... و ...
لهذا نرى ابليس يحبذ وسائل الاغراء المتنوعة في حـربه للمسلم فـالمرأة والجنس ، والمـال ، والسلطـان ، والمغريات كل ذلك تحشر في هـذه المعركة عبر الشارع ـ والمجلـة ـ والجـريدة والاذاعـة ، والسياسـة والمرائي ، والوسائل المعروفة لافساد المسلم واثارت غريزته وشهـواته ، ودفعه وراء الشهرة او المال ، او تخويفه من الاستقامة بالبطش تارة ، وبـاظهار الفضيلـة والخلق بمظهر الجمود والتأخر ، وليست غريبة تلك الوسائل والمظاهر التي تستخدم في هذه المعركة .
ان المسلم قد يبدأ ـ باسم التسامح او ملاءمة العصر ـ اولى خطواته فلا يقف مـوقف المؤمن الواعي في صيـاغة مشاعره ـ او ضبط احاسيسه أو رعاية اسرته ، او صيانة من يرعاهم ، فاذا به يتابع الخطوات ويستمر في الانحراف حتى يفقد هويته ويتحطم على اقدام الذل والهوان والخداع والعهر .
وقد يظهر الشيطان بمظاهر خادعة تطلى بطلاء الخير ، ولكنها تمتـلىء بالباطل والفساد ـ وتنشأ عن ذلك الغفلة والغرور والرياء ـ والطبـائع الخبيثة التي تحفر في ذات الانسان حتى تهدم بنيان النفس ، وتضلل المشاعر ، وتفسد الاحاسيس .
وعلى المسلم مواجهة الشيطان في هذه المعركة الشرسة على صعيد النفس والمشاعر ولا يستطيع التغلب على عدوه ما لم يعمل باستمرار على تقوية ايمـانه بـالله ومداومـة الاحساس بـالآخـرة والحسـاب ، وربط هـذا بالمشاعر الكامنة في نفس الانسان ، وايقـاظ مشـاعـر الخـير والحب

والتعاون ، والخوف من الله في النفس ، واخذها بالتدريب ، والتربية والطاعة ـ حتى يصبح يكون حب الله ورسوله اكبر من اي حب فيها ـ وحتى يغدو هواها منسجما مع الشريعة ومتطابقا مع مقتضيات العقيدة . ان رعاية النفس ليس بالامر السهل لانها كثيرة التعاريج والمنحنيات عميقة الكهوف والاغوار .. وما لم يقم على رعايتها ايمان قوي ووعي بصير وارادة صلبة ، فانها تجرصاحبها الى الجحيم ، وتتحالف مع الشيطان .

اما صعيد السلوك والعمل فهو نتيجة طبيعية من نتائج المعركة مع الشيطان على صعيد الفكر ، والنفس ، والسلوك هو المظهر الذي تتجسد فيه الافكار والمشاعر ، فصاحب الفكر المتزن والافكار الخيرة تبدو عليه من خلال سلوكه السوي واعماله الصالحة ـ والعكس هو الصحيح .

والحقيقة ان عمل الانسان هو الذي يكشف عن جوهره ، واخلاصه ولكم انبأ سلوك الفرد عن غشه وكذبه ، او ضعفه وشكوكه ، او نفاقه وسقوطه في احابيل الشيطان . والله سبحانه وتعالى يتبع الايمان بالعمل لان الثاني مظهر للاول : « **والعصر. ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » .

فعلى المسلم ان يدفع عنه الشيطان واعوانه في عمله وتصرفاته حينما تتحول معتقداته وافكاره الى حركة وعمل في الحياة والى صورة اجتماعية وهذا يدعو المسلم ان يضع نفسه في تأهب دائم ويقظة مستمرة حتى لا يحدث التناقض بين السلوك والفكر ، أو بين العمل والمشاعر بل ينبغى ان تكون اعماله وتصرفاته مثالا امينا وواقعا حيا لمعتقداته وافكاره وروحه وهنا تبدو العقيدة المسلمة في صورتها الكاملة الواعية ..

في هذا النطاق الاول ـ يخوض المسلم غمار المعركة متسلحا بالايمان والعلم والوعي ، وحين نقول الايمان لا نعني به الايمان الفطري الساذج ، ايمان التبعية والوراثة والتقليد والتواكل ـ وليس هذا ايمانا كاملا ، وانما نعني به ايمان القرآن الحي المتحرك ، ايمان العلم والحق واليقين الايمان الذي يقلب حياة المرء الى صياغة جديدة قرآنية ، فتعطي ثمار الخير في كل مجال ، الايمان الراسخ الذي يبرز للعمل الصحيح المستقيم ويشعل الانسان بالنشاط والوعي والعمل في سبيل الله .

وهنا يبدو تأثير الايمان الذي يغمر القلب فيضيء ويشع ويغمر العقل فيتحرك ويبدع ـ ويغمر النفس فتصفو وتستقيم ، ويغمر الانسان كله فيتحول الى رجل صالح بناء ـ ينطلق في الحياة ليحقق رسالته الكاملة الى العالم كله ، رسالة الخلافة في الارض ، واقامة شرع الله على وجه البسيطة .

واما العلم الذي نعني به سلاحا للفرد المسلم فلا يمكن ان يؤدي رسالته ما دامت تلازمه الحرفية والمظاهر ، او الخرافة والتقليد ، او الغرور والتبجح .

ولن تنفع الدرجات العالية ـ او الشهادات المكتوبة في تأدية رسالة العلم والثقافة ، لا سيما وقد غدت للاسف ـ وسيلة دعائية للكسب والشهرة واصطياد الانصار .
بل لا بد من بعث الثقافة الحقة ، والوصول الى روحها الحقيقية ـ والسير في دربها السوي لكي تطبع الوسط الاجتماعي كله بطابع العقيدة الصحيحة والاخلاق الفاضلة الكريمة ، والروح المؤمنة .
هذا الطابع هو الذي يعلو فيه الحق على الباطل ، والخيرعلى الشر والعمل على الثرثرة والخلق على النزوة .
اما الوعي ـ فهو حارس للمسلم من الخديعة ، حيث يأمن بواسطته ان يدخل الشيطان الى حصون الفكر باسم العلم ، او يخرب العقيدة باسم التجربة او الواقعية او التقدمية .
وكذلك يامن ان يتحالف الشيطان مع النفس بواسطة المغريات من الجنس والمال والشهرة او اية وسيلة اخرى .
ان الوعي يقظة دائمة ، وحس مرهف ، وبصيرة متفتحة ، والايمان الراسخ يفتح للأنسان آفاقا من الوعي ويوقظ في اعماقه حواس لا يملكها غيره .
والتجربة ايضا توفر الوعي وتزيد من رهافته وقدرته .

اذا كان هذا دور الانسان في معركته الذاتية امام فكره ونفسه وسلوكه وغوايات الشيطان واضاليله في اصعدة الفكر والنفس والسلوك ، فما هو دوره في المعركة الثانية ؟

ان نجاح الانسان في معركته الاولى ـ الذاتية ـ شرط ضروري لدخوله المعركة الثانية ، لانه كيف يصح ان يضم الصف الاسلامي مهزوما امام الشيطان ليكون عونا له في المجتمع ؟ لان هذه المعركة تستنفد كل طاقات الفرد : الزمن والفكر والمادة والجسد معا .
والمبدأ الذي يضبط هذه المعركة ويرسم خطاها هو مبدأ الهي صنع التاريخ على مختلف وجوهه وحضاراته وهو المبدأ القائل :
« غير نفسك تغير التاريخ » والذي تضمنته الآية الكريمة : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » الرعد / ١١
وعلى هذا لا بد للمسلم من كسب المعركة الاولى ليخوض الثانية او على الاقل لا بد له من مبررات الانتصار في معركته الاولى ما يسمح له ويدفعه لخوض المعركة الثانية معركة المجتمع ، يدعو ويبني ويصلح .
وحين يغير الانسان نفسه من الغواية الى طريق الخير ، ويخلق فيها الاندفاع الرائع نحو الحق ، ويلزمها باتباع طريق العقيدة حينها ، يستطيع دخول المعركة الثانية ولو لم تنته الاولى الى النصر الحاسم . والمعركة في المجتمع لا بد ان تتناول جميع الاشياء المكونة لطبيعة الفرد ـ بصفته كائنا اجتماعيا ـ والاشياء التي تؤدي لنشوء المجتمعات والحضارات .
وهذا يفرض على المسلم دراسة نفسية الكائن الاجتماعي ومعرفة طبيعة ثقافته وعادات مجتمعه ؛ وتقاليده ،

والمؤثرات التي تصنع فكره وسلوكه ، والقوى المؤثرة فيه - مع ملاحظة العوامل السلبية التي تعمل لافساده وانحطاطه وبعدها يستطيع تحديد ابعاد المعركة الاجتماعية التي يخوضها ويتسنى له تحديد الوسائل التي ينبغي استخدامها والاساليب الضرورية لسلوكها .

ان هذه المعركة تكتسب جلالا خاصا ، لانها تقيم الحضارات وتهدمها وتحمي كرامة الانسان او تهدرها . وتضمن سلامة الناس اوتفرط بها ، ولذلك كان هذا جهادا مقدسا لا يقوم به الا المؤمنون ولا يصمد فيه الا المخلصون المتقون .

وهناك ركام ثقيل خلفته العصور السابقة : ركام فكري متهلهل معتمد على الخرافة والسذاجة طبع المجتمع بطابعه ، وركام عقائدي مشوه ، بلبل عقائد الناس وضللهم عن الحق .. وركام تقليدي ممتزج بمختلف الاشياء الفاسدة المستوردة من الاجنبي الدخيل وكل هذا لا بد من مواجهته في هذه المعركة .

ثم لا بد من ملاحظة التيار الجديد الوافد علينا من هنا وهناك ، والذي يعتمد على الشهوات والنزوات والمنفعة العاجلة والرفاهية الزائدة والتبعية العمياء لكل جديد والسير الضال وراء الغرب او الشرق وكذلك لا بد من كشف الخداع الماكر في التضليل والافساد والانحراف باسم العلم والواقعية والتحليل والدراسة .

هذه الاشياء بما تحمل من متناقضات واخطاء وبماتتسم به من نظرة سطحية ساذجة الى مظاهر المدنية الحديثة ، تقتضي مواجهة حكيمة واعية للانتصار على اسبابها وظروفها ونتائجها .

ومواجهة المجتمع يقتضي التمسك بصفات معينة لتطبع الفرد المسلم بطابع الحق : كالصبر والخلق ، والثقة بالله ، والجرأة بالحق ، والثبات على المبدأ والاخلاص في العمل و ...

وحين يتصف المسلم بهذه الصفات يستطيع خوض المعركتين - ويصبح تأثيره فيهما قويا ومجديا حين يعطي من روحه وقلبه ، ويبذل باخلاص ليجني الخير لنفسه ولمجتمعه ، وليصون كرامة الانسان على هدي عقيدته ودينه .

ان مواجهة المجتمع ، وخوض غمار المعركة مع الشيطان على هذا الصعيد لهو الجهاد الضخم الذي ينوء بحمله الضعفاء والادعياء ، ولا يثبت في مجاله الا المؤمنون الصادقون .

انه يحتاج الى توفر العناصر الاساسية للشخصية المسلمة الواعية بعقيدتها واخلاقها وسلوكها والتزامها بهذه العقيدة ، ويحتاج الى الشخصية الرائدة التي سرت في كيانها روح القرآن ا لصحيحة فغدت قرآنا يتحرك ويعمل ويدعو على بصيرة فعليك ايها الاخ المسلم تقع المسؤولية اينما كنت وحيثما وجدت وبيدك سترفع مشعل الهداية من جديد لتنير طريق البشرية الحائرة وتخلص امتك من براثن التخلف والتخبط والضلال .

انك القدر الجديد، قدر رحمة وخير وانتصار قدر شريعة الله العصماء .



دوافع الاستشراق وأهدافه

انه لمن السذاجة القول ان اهداف الاستشراق خدمة العلم الشرقي الا اذا جاز لنا القول ان اهداف الاستعمار هي تحقيق العمار - وليس الدمار - للشعوب المستعمرة !!- ففي كلا القولين كذب صراح .

بل ان اي مستشرق - مهما حاول ان يكون عالما - لا يستطيع ان يتناول احد موضوعاته بدون ان يضع في اعتباره الحدود الفكرية والعملية المفروضة عليه . فليس في الاستشراق موضوعات حرة من حيث الفكر او العمل - كما ان المستشرق مسئول عن تدريب الشبان الجدد بأسلوب يبعث في قلوبهم الاحساس بالامتياز والاولوية المطلقة لكل ما هو غربي ، وبالتالي الاحساس بالازدراء لكل ما هو شرقي .

ومع بداية القرن الخامس عشر - كما هو معروف - أخذت التجارة الاوربية شكل سيطرة وتحد للعالم الاسلامي ، وبعيد قليل من هذا التاريخ لم يعد الاستشراق - الذي صاحب الظاهرة الاستعمارية - قادرا على الاحتفاظ بغموض دوره . فبدأ يظهر تورطه مع العمل الاستعماري ، في اكثر من مجال . فهو الذي مهد للسيطرة الاستعمارية ، ونظم المعلومات التي عاد بها المكتشفون ، ووفر الخطوط الاساسية لارشاد الغزاة والفاتحين ، وقدم للشعوب

بين الماضي والمستقبل

للدكتور
عبد الحليم عويس

المقهورة « نظريات » تبرير خضوعهم لاوربا ، وقبولهم « التغريب » واقناعهم بعدم قدرتهم على استيعاب العلوم ، واهمية المحاكاة والتقليد لهم ، ورميهم - اذا لم يقبلوا كل وصاياه تلك - بالتعصب للاسلام . ثم نشر الافكار القومية والوطنية والعدائية للاسلام بينهم ، وحتى الافكار التقدمية !!

ويرى احد الدارسين المعاصرين ان اهداف الاستشراق تتلخص في الآتي :

١ - تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الاسلامية ، عن طريقين :

أ - اضعاف القيم الاسلامية وتأثيرها .

ب - تمجيد القيم الغربية المسيحية .

٢ - توهين الروح الاسلامية في بلاد المسلمين .

لكن الدافع الديني الصليبي لا يحتاج الى جهد في اثباته في عمل المستشرقين ..

فان اكثر هؤلاء المستشرقين من الرهبان والعاملين في حقل التبشير . وقد ظن بعض هؤلاء ان بامكانهم تحويل المسلمين الى النصرانية ، ظانين ان البناء الثقافي للاسلام بناء ضعيف ، وهم وان فشلوا فشلا ذريعا في هذا ، بل ان بعض المستشرقين قد اسلم ، وعلى رأسهم « رينيه جينون ، وجورج او جست فالين »، فضلا عن القسيس المصري الكبير « ابراهيم

خليل احمد ».. الذي ذهب يبحث في اطروحة للدكتوراة عن تناقضات القرآن ، فغلبه القرآن ، واعلن اسلامه قائلا : ان القرآن غلبني !!

اقول : ان المستشرقين ، وان فشلوا في تحقيق هذا الغرض ، فانهم قد نجحوا في تعكير صفاء الفكر الاسلامي الحديث بما نشروه من افتراءات فاضحة ، وما شغلوا المسلمين به من شبهات لا تصمد امام البحث العلمي النزيه ، مستغلين ظروف تخلف المسلمين الفكري وانبهار بعضهم ببعض منجزات الحضارة الاوربية !!

***

لكن هناك في الحقيقة ـ بعد كل هذه الغايات ـ غاية اخرى كبيرة لم يلتفت كثير من المسلمين اليها .

فان البناء الفكري الكنسي ، كما هو معلوم ، بناء غير عقلي ، يعتمد على مجرد التسليم والايمان ، ولا يستطيع ان يثبت حتى اوليات العقيدة النصرانية بالمنطق العقلي .

وحسبنا ان نعلم ان دانتي في « الكوميديا الاهلية » قد وضع محمدا عليه الصلاة والسلام في ادنى مقاعد الجحيم ، وان المستشرق الفرنسي « دير بيلو » وصف الرسول بانه « دجال »، بينما وصفه « لامانس » بأنه « لص نياق » بينما جعلته احدى اللوحات الاوربية احد ثلاثة اساءوا الى البشرية اساءات بالغة وثانيهما ، ابن رشد ، وثالثهما الشيطان !!

كان هذا كله بتأثير التضليل الكنسي الذي ينبعث من الرعب والخوف من الاسلام ، ومن يوم يخضع فيه الاسلام والنصرانية للمقياس العلمي وللنقد التاريخي على سواء .

ولعله لهذا السبب كانت الكنيسة تحرم كتب ابن رشد من جانب ، وتثني على توماس الأكويني ـ وهو ناقل عن ابن رشد مع تحوير لمصلحة المسيحية ـ من جانب آخر .

بل ان الكنيسة قد حرمت تراث ابن حزم الاندلسي ، وتواطأت عليه تماما ، باعتباره احد الرواد الذين قارنوا بين الاديان بمنهج عقلي منطقي في موسوعته المعروفة « الفصل في الملل والاهواء والنحل ».

ان ابن حزم يناقش الاناجيل والعقائد المسيحية بطريقة علمية وعقلية بحتة لا مجال فيها للتجني ولا الحماس .

فمن ناحية الكتب المقدسة يقول ابن حزم « ان النصاري لا يدعون ان الاناجيل منزلة من عند الله على المسيح ، ولا ان المسيح اتاهم بها ، بل كلهم لا يختلفون في انها اربعة تواريخ الفها اربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة .. أولها : تاريخ ألفه « متى اللاواني » بالعبرانية بعد تسع سنين من رفع المسيح ، في نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط . وثانيها : ألفه « مارقش الهاروني » بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح عليه السلام ، وكتبه باليونانية في أنطاكية ، وثالثها : تاريخ ألفه « لوقا الطبيب » تلميذ شمعون

باطرة ؛ كتبه باليونانية بعد تأليف مرقص المذكور في حجم إنجيل متى ، ورابعها : تاريخ ألفه باليونانية « يوحنا ابن سيذاي » بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة في أربع وعشرين ورقة ثم ليس للنصارى كتاب يعظمونه سوى « الأفركسيس » الذي ألفه لوقا ، وكتاب « الوحي والاعلان » ليوحنا ، و« الرسائل القانونية » ورسالتين لباطرة شمعون ورسالة ليعقوب بن يوسف النجار ، وأخرى لأخيه يهوذا ، ورسائل بولس تلميذ شمعون .

وكل كتاب لهم بعد ذلك فهو من تأليف المتأخرين من أساقفتهم وبطارقتهم ـ وبديهي أن ما ألفه فرد ـ ونسبه الى الله ـ لا يمكن أن يكون في ثقة ما صدر عن الله مباشرة باللفظ والمعنى ، بدليل ذلك التفاوت في الأساليب والمضامين بين هذه الأناجيل ، حتى في العقيدة ذاتها .

ومن ناحية عقيدة النصارى حول المسيح يناقشها ابن حزم مناقشة طريفة فيقول :

« وجملة أمرهم في المسيح عليه السلام أنه مرة بنص أناجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف ، وابن داود ، وابن الانسان ، ومرة هو اله يخلق ويرزق ، ومرة هو خروف الله ، ومرة هو « في الله » والله فيه ، ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد ولا تنفذ ارادته ، ومرة هو نبي وغلام الله ، ومرة أسلمه الله الى أعدائه ، ومرة قد انعزل الله له عن الملك ـ وتولاه هو ، وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والأرض ، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعرق من الخوف ، ويفضل فيركب حماره ، ويؤخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصعة ويمسكه الشرط ، ويصلب بين ساريتين ، ومات ودفن ثم قام بعد الموت فلم يكن له من هم بعد أن قام الى طلب ما يأكل ثم انطلق الى شغله .

* * *

فكيف كانت الكنيسة ستسمح لهذا الفكر القوي بأن يعبر الى النصارى الخارجين من ظلام العصور الوسطى ، دون أن تضع أمامه أكواما من الأكاذيب تحول بينه وبين أن يناقش مناقشة عقلية سليمة !! وما تخوفت منه الكنيسة ، ووقفت ضده بالأكاذيب الاستشراقية الهائلة ـ قد وقع مع ذلك ، بحيث أصبح موقف الكنيسة من الاسلام موقفا مفضوحا ، فحاولت تغطية موقفها بما أسمته « الحوار المسيحي الاسلامي » متظاهرة أنها تريد أن تفهم الاسلام لتعدل موقفها منه ، بينما هي في الحقيقة خبيرة كل الخبرة بحقائق الاسلام ، وتشويهها للاسلام تشويه متعمد ، يخضع لخطة الوقاية من الاسلام ، ذلك البناء العقلي والفكري والروحي المتكامل المنسجم .

أجل .. ان ما تخوفت منه الكنيسة ، وما رصدت له جيوش الاستشراق ـ قد وقع ، فظهرت مع

ذلك أقوال « برنارد شو » المعروفة ، التي يبدو فيها وكأنه مندهش ، ويقول : « ان كان هذا هو الاسلام فان أوربا ستصبح مسلمة بالضرورة » و« ان محمدا يستطيع أن يحل مشاكل العالم وهو يحتسي كوبا من القهوة » - كما ظهر - كذلك - « مايكل هارت » الذي كان كتابه من أروج الكتب في أوربا سنة ١٩٧٨ ، وهو الكتاب الموسوم باسم « العظماء في التاريخ مائة أولهم محمد صلى الله عليه وسلم » ، بينما كان ترتيب المسيح - عليه السلام - الثالث ، وترتيب موسى الخامس عشر .

فهكذا ، وعلى رغم الكنيسة ، وعلى رغم « دانتي » أصبح محمد الذي كان في أعماق الجحيم ، أول العظماء في التاريخ كله ، باعتراف المسيحي « مايكل هارت » ، وقد اختفت من كتابات المستشرقين المتأخرين النعوت الحادة للاسلام ولمحمد ، ليس خضوعا للمنهج العلمي ، بل لأن هذه النعوت من شأنها أن تسقط الكاتب وأن تكشف هويته .

وما حدث لمحمد عليه الصلاة والسلام حدث للقرآن الكريم ، فظهر موريس بوكاي يثبت أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد ، الذي يصمد نصه أمام النقد التاريخي ، وأنه الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يصطدم بالحقائق العلمية .

ومع تقدم العلم والمعرفة في الميدان الانساني ، وازالة حمى المشاعر الصليبية التي تؤججها الكنيسة نحو الاسلام ، سوف يتداعى جدار الأكاذيب والتشويهات الذي بنته الكنيسة ، وسوف تعلن - في هذا الوقت - نهاية الاستشراق وسوف يأتي هواة الدراسات الشرقية الاسلامية ، ليأخذوا الاسلام من مصادره الأساسية ، ويتجنبوا الاعتماد على بعضهم البعض ، وكأن ما نفقه السابقون من المستشرقين أصبح حقيقة يجب أن يأخذه اللاحقون من المستشرقين فيتجاهل الجميع المصادر الأولية ، لأنهم لا يريدون معرفة الاسلام كما هو ، بل كما تريده الكنيسة . أو كما يقول الدكتور « ادوارد سعيد » في كتابه عن الاستشراق :

« ان الميل الثابت الى تجاهل ما معنى القرآن أو ماذا يظن المسلمون أنه يعني ؟ أو كيف يفكر المسلمون ؟ أو يتصرفون في مواقف معينة يدل على أن تعاليم القرآن والاسلام قد عرضت بصورة ترضي المسيحيين » .

أي أن هناك تخطيطا استشراقيا مستمرا يهدف الى صياغة « اسلام جديد » « اسلام مسيحي » يفتقد ركائزه الثابتة ، ويضمن الحفاظ على ضياع المسلمين وتخلفهم الحضاري .

وهذا هو الهدف الاستشراقي الثابت ، وهو ما يجب أن تقف الدعوة الاسلامية ضده بكل ثبات وصمود ، لكي تحافظ على « الاسلام القرآني » الذي أنزله الله ، ولكي تعيد الى معالمه الثابتة الواضحة - القافلة البشرية التائهة ، ممن تسموا باسم الاسلام ، وهم أجهل الناس بحقيقته ، أو ممن ينتمون الى أديان ومذاهب أخرى .



حكم الاستفادة من أعضاء الموتى

للدكتور :
محمود ناظم النسيمي

ان الاستفادة من الطعوم المأخوذة من الموتى كانت من نتائج التجارب العلمية العديدة في الطب الجراحي الحديث ، ومن محاسن تطور الجراحة في فروعها المختلفة في صالح الانسان وتخفيف أو إزالة بعض علله وعاهاته المزمنة واعادة الابتسامة والأمل الى نفوس أرهقتها العلة أو كدرها التشويه الذي لحق بها أو العاهة التي لازمتها كفقدان الرؤية بكثافة قرنية العين أو تعطيل عضو بخراب دعامته العظمية .

يخطر لي واقع التقدم الجراحي في ميدان المعالجة . ويخطر لي بحث حرمة الميت وكرامة الانسان في نظر الاسلام ، وتخطر لي أيضا القاعدة الفقهية « الضرورات تبيح المحظورات » فيدفعني ذلك كله الى دراسة شرعية لموضوع الطعوم المأخوذة من الموتى لزرعها في اجسام الأحياء لضرورات علاجية ، وذلك للوقوف على الأدلة التي تشير الى الحكم الشرعي في هذه المسألة .

وأقصد من الطعوم في هذا البحث الطعوم الجنسية وهي ما أخذت من الجنس ذاته ، أي من انسان الى انسان آخر سواء أكان المأخوذ منه حيا ام ميتا ، وهي التي تحتاج الى حكم الشرع فيها ، ومن أمثلتها نقل قرنية العين « البلورة » من ميت توفى حديثا والترقيع بها بديل قرنية موءوفة . وكذلك نقل قلب انسان مباشرة عقب الموت ، بسبب اصطدام مثلا ، الى انسان آخر ليقوم بديل قلبه المعتل كما جرب ذلك في السنين

الأخيرة . ومن أمثلتها الطعوم العرقية التي تنجح اذا كانت جنسية اكثر من الطعوم الاجنبية « أي من اجناس حيوانات مختلفة غير الانسان » التي تؤدي الى ضيق العرق فالى التخثر والغؤور .

وكما ان من الطعوم العظمية ما هو ذاتي فان منها ما هو جنسي . وهناك في بعض البلدان المتقدمة مصارف للعظم تحفظ فيها بعض عظام الموتى لحين الحاجة والطلب . ولكن اكثر الطعوم العظمية استعمالا هي الطعوم الذاتية اي المأخوذة من ذات الجسم .

هذا وان نجاح التطعيم ليس أمرا مطردا ثابتا ، وان اكثر التطعيم نجاحا ما كان في الفتيان . وان الطعوم الجنسية والاجنبية اقل نجاحا من الطعوم الذاتية ، لاختلاف الاخلاط واختلاف المواد الهيولية في الاشخاص ، ولذا كان الطعم المأخوذ من الاقرباء أقرب الى النجاح . وتعلل خيبة التطعيم بتخثر الدم في عروق الطعم وامحاء الاعصاب وقصور التوعية وفعل المواد العضوية السام وفعل الكريات البيض التي تلتهم الطعم كأنه جسم اجنبي .

ومن المهم جدا أن أشير الى أمر واقعي له مساس بالفتوى وهو أن الطعوم الجنسية لا تؤخذ من انسان ميت الا بعد التأكيد من وفاته ، حتى ولو كان محكوما عليه بالاعدام أو مصابا باصطدام وغلب على ظن الاطباء دنو أجله . وتستعمل بعض الدول المتقدمة جهاز تخطيط الدماغ ليدل على تمام فقدان الحياة وذلك حفاظا على كرامة الانسان وتمسكا بالقيم الاخلاقية النبيلة .

اما اذا عمد بعضهم الى استئصال العضو المطلوب قبيل الوفاة المتوقعة في الظروف السابقة ، او الى استئصاله من محكوم عليه بالاعدام قبيل تنفيذ الحكم فذلك يتنافى مع القيم الاخلاقية وتعاليم الاديان السماوية ، لأن الأجل غيب لا يعلم بشكل قطعي متى ينتهي ، وقد تأتي البراءة او العفو او ما يوجب درء الحد في اللحظة الأخيرة ، وليس من الانسانية ولا من التعاليم الربانية أن يقدم على طلب منفعة غير مضمونة على حساب مصلحة وحياة إنسان آخر .

كرامة الانسان :

تحدث القرآن عن هذه الكرامة في قوله تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ .

من أجل هذا التكريم نص معظم الفقهاء على طهارة الانسان حيا كان أو ميتا ، مؤمنا كان أو غير مؤمن ، ولم يدخلوا لحمه في مفهوم الاطعمة وتقسيمها الى حلال وحرام أيا كانت سلالته ولونه ودينه وبيئته ، وذهب معظمهم الى عدم جواز تناول لحم الآدمي الميت ولو في حالة الاضطرار .

ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن يواري كل ميت حتى قتلى الكفار . ونهى عن المثلة اي عن التمثيل بجسم اي ميت او قتيل ولو قتل قصاصا او قتل في صفوف الكفار .

ومن أجل كرامة الانسان واحترامه نص فقهاء المذهب الحنفي على عدم جواز بيع شعر الانسان للنسيج كما يباع وبر الجمل وصوف الغنم ، وعدم جواز الارضاع بعد انتهاء مدته لأن لبن المرأة جزء آدمي وهو محرم وقد أبيح للرضاع للضرورة فيقتصر على المدة المحددة ولا يعدوها .

ان كرامة الانسان تقتضي احترام انسانيته حيا كان أم ميتا فلا يجوز بعد موته ان يوجه اليه الايذاء بمظهريه المادي والمعنوي من جلوس على قبره او سبه أو كسر عظمه ، روى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كسر عظم الميت ككسره حيا » (اسناده على شرط مسلم كما في بلوغ المرام للعسقلاني) وزاد ابن ماجه من حديث أم سلمة رضي الله عنها « في الاثم »ان تعمد كسر عظم الميت يدل على الاستهانة او قصد الاهانة للميت لأن من يقدم على فعل ذلك ، انما يفعله اما لضعف تقديره كرامة الانسان ، واما لسوء طويته وقوى حقده على الميت صاحب العظم المعتدى عليه فيكسره اهانة لصاحبه وشفاء لغيظ نفسه ، وقد نهى الشارع عن ذلك وعن فعل كل ما يؤذي الاحياء في الاموات .

وبعد هذا البيان الموضح لمنزلة كرامة الانسان في نظر الاسلام : قد يقع في نفس العالم او المثقف ان الاستفادة من اعضاء الميت في عمليات الزرع محرمة فيقول : اين تكريم الانسان واين احترامه اذا عبثنا بجسده بعد موته شقا ونزعا ورتقا كأنه شاة مذبوحة او نسيج للتفصيل نستأصل منه اجزاء لنعطيها الى حي قد يمسك جسمه ذلك الطعم ، وقد لا يقبله مضيعا اتعاب العملية ومخيبا لها .

أدلة اباحة تلك الاستفادة :

ان قوله تعالى : (**وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه**) الانعام/ ١١٩ عام مطلق لم يطرأ عليه تخصيص ولا تقييد ، فيشمل الاضطرار كل انواعه سواء أكان لضرورة التغذي أم لضرورة التداوي ام لغير ذلك . ولذا اتفق فقهاء الحنفية والشافعية على جواز التداوي بالمحرمات غير المسكرة عند الضرورة بفقدان الدواء المباح المفيد .

ولم يقل الفقهاء الاولون بأن موتى الآدميين لا تمسهم أحكام الضرورات ، بل نرى لهم أحكاما أجازوا فيها شق جوف الميت لضرورة استخراج مال او جوهرة ابتلعها قبل موته ، او استخراج جنين حي يرجى بقاؤه حيا . ارجع اذا شئت الى كتاب المجموع للامام النووي (جـ٥ ص٢٦٦ ـ ٢٦٨) والى حاشية ابن عابدين (١/ ١٦٦) والى فتوى العالم الكبير الشيخ يوسف الدجوي في جواز تشريح الميت ورده على رد (في المجلد

السابع من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٥ هـ ص ٣١ ـ ٤١) وفيها ينقل عن مذهب المالكية والحنابلة ايضا وينقل عن ابن قدامة الحنبلي في شرح المغنى (جـ٢ص٤٠٧) في فصل عقده في بيان ما اذا كان الميت في بئر فيه بخار خانق بأن انعدم الاوكسجين ، ينقل قوله : وان لم يمكن اخراجه الا بمثلة ولم يكن الى البئر حاجة طمت عليه فكانت قبره ، وان كان طمها يضر بالمارة اخرج بالكلاليب سواء افضى الى المثلة اولم يفض لأن فيه جمعا بين حقوق كثيرة ، نفع المارة وغسل الميت ، وربما كانت المثلة في بقائه اعظم لأنه يتقطع وينتن ... كما أفتى الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية بجواز تشريح جثث الموتى لضرورة التعليم وضرورة التحقيق الجنائي . (فتاوى شرعية وبحوث اسلامية ـ المجموعة الثانية ص٢١٩).

الجواب على موهمات الحظر :

يشمل عدة نقاط :ـ

١ ـ ليس في مقاصد اخذ الطعم من الميت ما يتضمن اهانة او تحقيرا ، ولا في نية الطبيب أو المريض ذلك . بل انه تكريم بابقاء جزء من جسده حيا يحمله حي آخر يذكره ويدعو له بخير ، كلما تذكر نعمة صحة عضوه الذي استفاد من الميت . فكأنه من الصدقة الجارية ، وخاصة اذا أوصى صاحبه قبل الموت بالاستفادة من اعضائه في صالح الطب والمداواة محتسبا اجره عند الله تعالى .

٢ ـ ليس في طريقة التطعيم ما يحمل صورة التمثيل ولا معناه ، فالتمثيل انما يكون للتشفي والانتقام ولذا يكون مثيرا لاحقاد اقارب المتوفى ولزيادة احزانهم . وليس في هذا المقام انتقام وانما استعانة ثم تذكر بخير . والتمثيل يشوه ، وفي التطعيم يجري العمل كأنما يجري على حي من شروط الطهارة والتعقيم والشق والاغلاق والخياطة وكأنما الأمر عملية جراحية عادية .

٣ ـ ليس التشبيه في قول رسول الانسانية صلوات الله وسلامه عليه : « كسر عظم الميت ككسره حيا » مرادا منه كل الوجوه لأن كسره حيا يؤلم وكسره ميتا لا يؤلم ، فما لجرح بميت ايلام ، والكبش اذا ذبح لا يضره السلخ ، وقد وردت احاديث بأن بعض من كان قبلنا امر اولاده باحراق جثته بعد وفاته « البخاري ٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ باب قوله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) فالوجه المراد من التشبيه في ذلك الحديث إذاً هو الاثم في الاهانة والبعد عن مظهر الاحترام كما صرحت بذلك رواية ابن ماجة في الاثم وكما فهم ذلك الامام مالك رحمه الله تعالى عند روايته حديث السيدة عائشة رضي الله عنها الموقوف عليها : « كسر عظم المسلم ميتا ككسره وهو حي » فقال : تعني في الاثم . « الموطأ » .

ان كسر عظم الميت يفعله من يفعله اما خطأ ، واما غلطة واستهانة بحرمة الآدمي ، واما اهانة واستشفاء لغيظ

الصدر بسبب عداوة سابقة . فالفعل الخطأ مرفوع اثمه ، واما العمد ففيه اثم . ولكن العمل الجراحي في أخذ الطعوم خال من الاستهانة والاهانة ، كما انه يجري في الحالات العلاجية الاضطرارية ، ومن المعلوم ان الضرورات تبيح المحظورات . وبالاستناد الى هذه القاعدة الفقهية المستنبطة من الآية الكريمة المستثنية لحالة الاضطرار يمكن الجواب على كل حكم فقهي يمس الحالات العادية غير الاضطرارية ويستشهد به متوهمو الحظر .

هل توجد شروط مع الاباحة :ـ

بما ان الضرورات تقدر بقدرها ، فيمكن دفعا للشطط والاساءة في اخذ اعضاء او اجزاء منها من الميت ان تشترط امور لذلك ، وان ينظم العمل والاستفادة بقانون يضمن سلامة المعاني الانسانية وكرامة المتوفي وحقوق ذويه . واني اقترح في هذا المجال الشروط التالية :

١ ـ رضى المتوفي بذلك قبل موته صراحة او ضمنا . ففي الرضى تمكين لمعاني كرامة الانسان وحرمته وبعد الأذى المعنوي عنه ومنع زيادة الاحزان على ذويه . ويكون الرضى الصريح بوصيته التي يوصي فيها بجزء منه بعد موته لشخص معين او اشخاص معينين ، او يطلق ذلك لابناء دينه او جنسه ، او يطلقه للتشريح وللتجارب في سبيل التقدم الطبي العلمي العلاجي .

ويكون الرضى الضمني كما في المثال التالي : لو اشترطت الحكومة في اعطاء الدفتر الصحي للمعالجة مجانا في مشافي الدولة ان يكون لها الحق في الانتفاع باجزاء الميت حامل البطاقة الصحية لضرورة التداوي اذا توفي في مشافيها ، وبشرط ان تكون فائدة الاستفادة عائدة لفقير آخر حامل للبطاقة الصحية . فيكون قبول المرء للدفتر الصحي المجاني رضى بشروطه ومنها أخذ اجزاء منه بعد موته .

٢ ـ توافق الدين في المعطي والآخذ ، وهذا الشرط قابل للمناقشة اذا لم يتوفر بتذكر قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » .

٣ ـ ان يتبع في طرق انتزاع ذلك الجزء الاصول الانسانية والآداب الاسلامية . ولذلك اذكر زملائي الاطباء الجراحين والاطباء الشرعيين ، وأساتذة التشريح واخواني الطلاب الذين يتدربون على التشريح في جثث الموتى ، ان الضرورة تقدر بقدرها فلا تكشف عورة الميت الا عند ضرورة التعليم على ناحيتها ، فلا تكشف حين العمل على ناحية الوجه او الساعد او الصدر مثلا . وعلى العاملين في دور التشريح والطبابة الشرعية ، ان يسلكوا في نقلهم للميت وفي وضعه الآداب التي يعاملون بها الاحياء ممن يحبون .

وأترك للسادة الفقهاء التوسع والتفصيل في الشروط المستقاة من تعاليم الاسلام وروح شريعته .

أسأله تعالى ان يوفقنا جميعا لخدمة شريعته والتمسك باهدابها .



في القرآن الكريم والسنة الشريفة جاءت الأخبار والأحكام من جهة الاسناد على وجهين : فهي تنسب مرة إلى الأعلام الظاهرة ، أو ما يشبه الأعلام في البيان وتحديد المقصود ، وتنسب أخرى إلى نكرات وأشباه النكرات في الابهام .

وقد ذكر العلماء للتعريف والتنكير دواعي متعددة ، يسوقونها على الأخص في علم المعاني من مصنفات البلاغة ، لا نطيل ها هنا بذكرها ،

ولكن الذي يعنينا في مقالنا هذا ، هو أن العلماء المسلمين بما جبل عليه الانسان من حب المعرفة ، والشغف بالاستطلاع ، واندفاع الأشواق إلى كشف اللثام عن المجهول ، لم يقفوا عند حدود المذكور في القرآن والسنة ، مكتفين بما يستفاد من الخبر في مجال التشريع واستنباط الحكم اللازم لتقويم الحياة ، بل ذهب كثير منهم لاستكمال الحقائق المستورة كل مذهب ، ليعرفوا من نسب إليه الخبر ، أو من كان سببا فيه ، ولعل سبباً من أسباب الابهام دفع الهمم إلى الاجتهاد والتقصي ، وقد جاء الاسلام الحنيف يحث الأفكار على النظر والتأمل والحركة ومحاربة الجمود ، للوصول عن طريق المعلوم الظاهر إلى المستور الخفي .

أنواع المبهم .

وهذا المبهم منه ما يسهل الوقوف على بيانه ، لارتباطه بحادث معروف البطل في الأصل ، فاذا نزل الوحي

بالخبر أو الحكم دون بيان ، عرف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن حضر من الأصحاب ، في حق من نزل ، أو بسبب من نزل ، حين يجيء مبهما أو مكنيا عنه .

ومن هنا ، عين الصحابة والتابعون طائفة من مبهمات القرآن ، لاتصالهم بالأحداث ، أو بمن اتصل بالأحداث فعرف المراد بالمبهم .

ومن أمثلة ذلك :

(١) قوله تعالى : (**كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم**) آل عمران /٨٦ إذ عرفوا أن مدار الحديث على الحارث بن سويد لشيوع قصته .

(٢) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم**) المائدة/١١ فقد اشتهر في ذلك غورث بن الحارث ، الذي شام السيف في يده ، وهو يريد قتل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ظل شجرة قبل نجد كان يستظل تحتها .

(٣) وقوله تعالى : (**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن**) التوبة/٧٥ فقد اشتهر بذلك عندهم ثعلبة بن حاطب ومعتب ابن قشير من بني عمرو بن عوف .

(٤) وقوله تعالى : (**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**) المجادلة/١ وقد قالت خولة ـ رضي الله عنها ـ « في وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة » .

ومن المبهمات في القرآن أو السنة نوع يصعب بيانه وهو ضربان :

(١) ما استأثر الحق ـ جل علاه ـ بعلمه ، وهذا لا مطمع فيه من عاقل ، كما جاء في قوله تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** الأنفال/٦٠ فعلم هؤلاء الآخرين مقصور على الله وحده ، ومنه « مفاتح الغيب » التي لا يعلمها إلا هو .

(٢) ما لم يشع خبره لسبق تاريخه أو انطماس حقيقته ، فلا يعرف الا بتوقيف من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو ببيان العالم الثبت من أهل الكتاب .

ومن أمثلة ذلك :

(١) قوله تعالى : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**) الأعراف/ ١٧٥ فقد بينه أكثر المختصين بالتفسير ببلعم بن باعوراء من طريق الدارسين للديانات السابقة .

(٢) وقوله تعالى :(**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا**) الكهف/ ٨٠ فقد بين البخاري عن مثل هذا الطريق أن اسم الملك ـ فيما يزعمون ـ هدد بن بدد ، وأن اسم الغلام جيسور .

(٣) ما جاء في حديث قصة الأخدود

عن الملك والراهب الساحر والغلام الذي آمن ، من أن اسم الملك يوسف ذونواس ، وأن اسم الغلام عبد الله ابن التامر .

(٤) ما جاء في حديث قصة جريج العابد من خبر المتكلمين في المهد ، إذ سموا الغلام الناطق لتبرئة جريج بابوس ، وسموا أباه الراعي الواقع بالمرأة صهيبا .

(٥) ما جاء مبهماً في خبر ، ثم بينه النبي – صلى الله عليه وسلم – في آخر ، كحديث رد الشمس على يوشع ابن نون – عليه السلام – وحديث أبي رغال ، الذي كان الاخبار بقبره وما دفن فيه من غصن الذهب علامة من علامات النبوة ،وربما كان إلى اليوم في عالم الغيب لو لم يخبر عنه رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه .

أسبق المهتمين بهذا الفن

كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أسبق من وضع أساس فن البيان للمبهم ، وقد أخرج أحمد والبخاري وغيرهما من حديث فروة بن مسيك « وأنزل في سبأ ما أنزل ، فقال رجل : يارسول الله ، وما سبأ ؟ أرض أم امرأة ؟ قال : ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب ،فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا : فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة ، وأما الذين تيامنوا : فالأزد ، والأشعريون ، وحمير ، وكندة ، ومذب حج ، وأنمار . فقال رجل : يارسول الله ، وما أنمار ؟ قال : الذي منهم خثعم وبجيلة » .

وعلى سبيل التعيين كان أسبق الصحابة وعلماء الاسلام في هذا الفن حبر الأمة وعالمها : عبدالله ابن عباس – رضي الله عنهما – فيما روي البخاري ومسلم في الصحيحين أنه قال : « مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأل هيبة له ، حتى خرج حاجاً فخرجت معه ، فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له ، فوقفت له حتى فرغ ، ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين ، من اللتان تظاهرتا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أزواجه ؟ فقال : تلك حفصة وعائشة . قال : فقلت له : والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك ! قال : فلا تفعل: ما ظننت أن عندي من علم فسلني ، فان كنت أعلم أخبرتك »

كما روي عنه أنه ظل يطلب بيان الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله أربع عشرة سنة ، وقد وصل – رضي الله عنه – إلى بيانه بعدها ،كما جاء عنه فيما أخرجه أبو يعلي وابن أبي حاتم والطبراني بسند رجاله ثقات قال : « خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً ، فقال لقومه : احملوني فأخرجوني من أرض الشرك إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي –

صلى الله عليه وسلم ـ فنزل الوحي :(ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ... » النساء/ ١٠٠

وعنه ـ رضي الله عنه ـ فيما روى مسلم ـ أنه تماري هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ـ عليه السلام ـ فقال ابن عباس : هو الخضر ، فمر بهما أبي ابن كعب الانصاري ، فدعاه ابن عباس فقال : يا أبا الطفيل ، هلم إلينا ... »

وهذا الصنيع من الصحابة ومن حبر الأمة على الأخص قد شجع حركة النفس في البحث عن بيان المبهم ، فظهر ذلك عند طائفة من المشتغلين بالتفسير والحديث ورجال المغازي والسير ، مما نراه قد سبق إليه ابن جريج ، والزبير بن بكار ، ومحمد بن إسحاق ، والواقدي وغيرهم ، حتى تكونت طائفة من المعرفة لدى آخرين مكنتهم أن يخرجوها في كتاب ، فأصبح لهذا الفن بعملهم المحمود مراجعه ، يهرع إليها الرواة والفقهاء والمؤرخون ، لما يرون من أن نسبة الأحكام والأخبار إلى المعلوم آكد توثيقا للحقائق وإقناعا .

وهذا الجهد الحميد يظهر لنا في دراسة الكتاب المجيد والسنة الغراء على سواء ، وأول ما يطالع المتقصي منه كتاب (**التعريف والاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام**) وهو للعالم الجليل عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي المتوفي سنة (٥٨١) هـ ـ يقول في مقدمته مبينا مزية عمله ومعرفا به :

« ... قصدت أن أذكر في هذا المختصر الوجيز ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه العلم : من نبي ، أو ولي ، أو غيرهما . من آدمي ، أو ملك ، أو جني ، أو بلد ، أو كوكب ، أو شجر ، أو حيوان له اسم علم قد عرف عند نقلة الأخبار والعلماء والأحبار ، إذ النفوس من طلاب العلم إلى معرفة مثل هذا متشوقة ، وبكل ما كان من علوم الكتاب متحلية ومتشرفة ، وإذا كان أهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعر أبهم اسمه في كتاب ، وكذلك أهل كل صناعة يعنون بأسماء أهل صناعتهم ويرونه من نفيس بضاعتهم ـ فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أبهم فيه ، ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة ... »

وقد جاء تلميذه محمد بن علي بن عساكر فذيل على كتاب أستاذه بكتابه (التكميل والاتمام) وعقبهما بدر الدين بن جماعة فجمع بين الأثرين في كتابه (التبيان في مبهمات القرآن) ولعل ختام هذا الفن في مبهمات القرآن كتاب السيوطي (مفحمات الأقران)

أما مبهمات الحديث فأول ما يذكر منها النووي في التقريب (مبهمات عبدالغني بن سعيد) الذي توفي سنة ٤٠٩ هـ ، وهو كتاب كثر نقل العلماء من بعده عنه ، إذ قل منهم من لا يذكره مرجعا لبيان مبهم ، وقد جاء بعده الخطيب البغدادي المتوفي سنة

٤٦٣ هـ فأخرج في الفن كتابه (الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة) وهو معملة كبرى في بابها ، إذ يتضمن ثمانية وثلاثين ومائتي خبر ، كشف الابهام عن مبهمها بما ساق من شواهد وبما أيد من حجج ، تدل على جودة حفظ وسعة دراية وواثق علم ، وقد رتب كتابه – رحمه الله – بترتيب المبهمات على حروف الهجاء ، قائلا في مستهله :

« هذا كتاب أوردت فيه أحاديث تشتمل على قصص متضمنة ذكر جماعة من الرجال والنساء أبهمت أسماؤهم وكنى عنها ، وجاءت في أحاديث أخر مبينة محكمة ، فجمعت بينها ، وجعلت إثر كل حديث فيه اسم مبهم حديثا فيه بيانه ، ورتبت ذلك على نسق حروف المعجم ، والله تعالى أسأل توفيق العمل بطاعته ... »

وقد أثنى عليه النووي ، واختاره لتلخيصه والبناء عليه في كتابه (شرح المبهمات)

ولعل أظهر عمل في الباب بعد كتاب الخطيب هذا ، كتاب (غوامض الأسماء المبهمة ، الواقعة في متون الأحاديث المسندة) للعالم الزاهد المحدث خلف بن عبد الملك بن بشكوال مؤرخ الأندلس ومسندها ، فانه ظل مثابراً دءوباً حتى جمع ثلاثة وعشرين وثلاثمائة خبر ، عقب رواياتها الواردة على الابهام بالروايات المبينة ، وقد التقى مع الخطيب على ما يقارب المائة والعشرين ، وانفرد بالباقي ، وأتى على ما اجتمعا عليه بروايات غير التي استشهد بها الخطيب من جهة الاسناد حينا ومن جهة المتن حينا ، وقد يختلف معه في بيان المبهم مستنداً إلى حجته . وهذا الكتاب مع سابقيه دعائم الفن عند من جاء بعدهم من العلماء ، ولا يعيب ان بشكوال في (غوامض الأسماء) الا أنه لم يرتب المبهمات على أي سنن يسهل انتفاع الطلاب به ، مما حثني على وضع الفهارس التي تيسره .

ومن تتمة الكلام في هذا الباب ، أن يعلم أن لأبي الفضل المقدسي المتوفي سنة ٥٠٧ هـ مختصرا لطيفا في زهاء خمس وسبعين صفحة سماه (إيضاح الاشكال) وهو سريع العطاء لأنه إلى الفهرسة المفيدة أقرب ، إذ لم ير الحاجة إلى ذكر النص والسند والحجة ، فأعطى المبهم وبيانه على طريق اللمحة الدالة لأهل التخصص في الحديث .

وقد جاء ولي الدين العراقي المتوفي سنة ٨٢٦ هـ بكتابه (المستفاد من مبهمات المتن والاسناد) ملخصاً ما خلف الخطيب ، وابن بشكوال ، والنووي ، وابن طاهر ، مرتبا كتابه على الأبواب ترتيباً دقيقا ، مراعيا بيان المتفق عليه والمختلف فيه ، مشيراً إشارات خفيفة كافية إلى مصادر الاحتجاج عند كل منهم ، وهو بذلك غنية المتعجل ، الذي تغنيه الاشارة عن طول العبارة .

وممن حبب الله إليهم هذا الفن الحافظ المحقق الملهم شهاب الدين أحمد بن حجر المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، فقد ألف في المبهمات على الاستقلال كتاب (الأحكام لبيان ما في القرآن

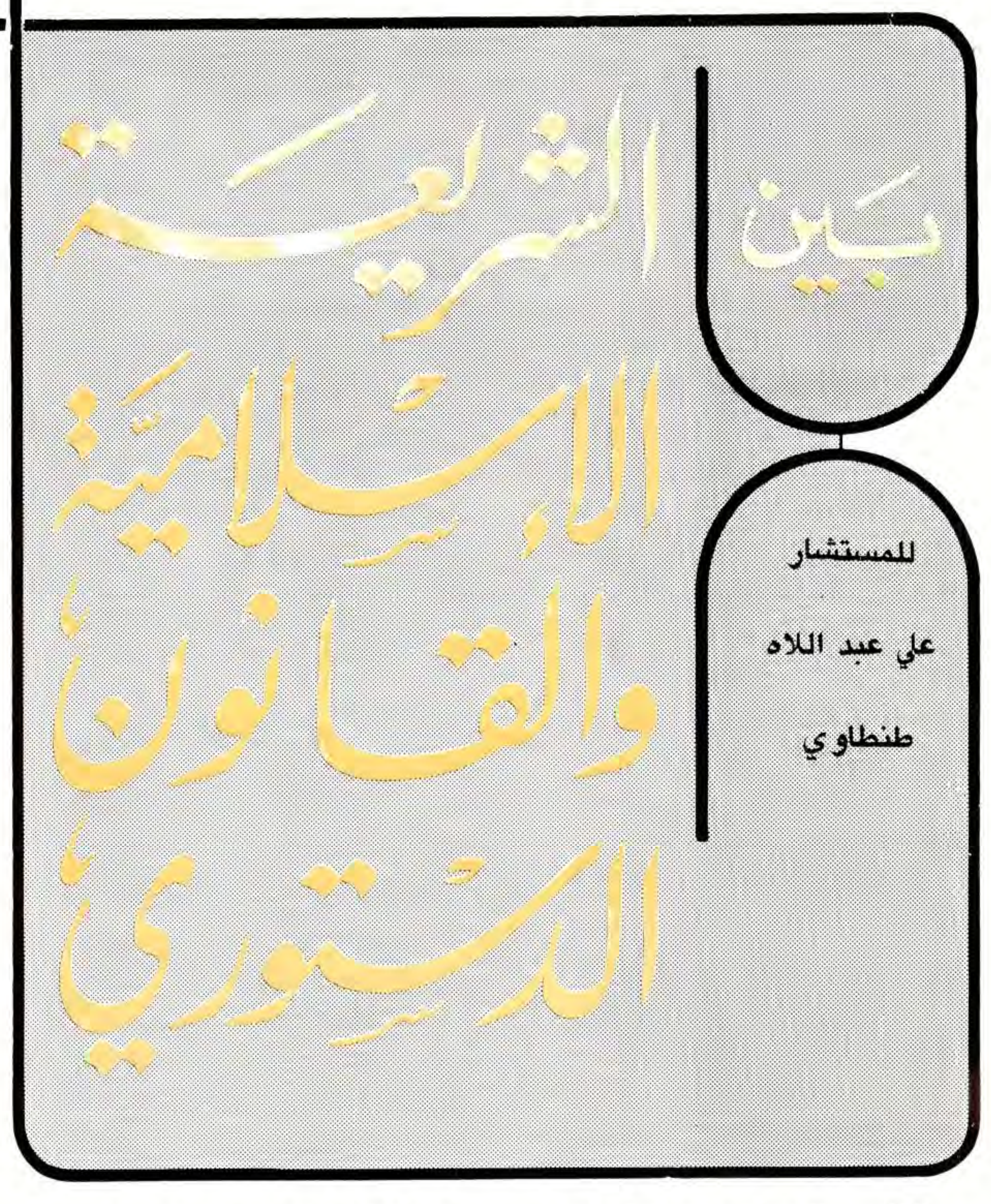
من الابهام) كما يشير إليه كشف الظنون (ص ٢١ : ٢) كما تذكر له المصادر الأخرى وأدلة المكتبات (ترتيب المبهمات على الأبواب) و (الأجوبة الواردة عن الأسئلة الوافدة) وله فصل طويل في (هدى الساري) الذي جعله مقدمة لفتح الباري ، يذكر فيه بيان مبهمات صحيح البخاري على ترتيب أبوابه ، وهو الفصل السابع الذي يقع في زهاء ست وتسعين صفحة ، مع ما له من البيان في شرحه للصحيح عند المناسبات ، وما يضاف إلى ذلك من فوائده وتنبيهاته في بقية كتبه وتخريجاته مثل (تلخيص الحبير) وسواه .

وقد جاء في هذا الفن مع السابقين علماء تذكر مبهماتهم في شروح المتأخرين ـ ولا أحسبها إلا صدى تلك المصادر ـ منها مبهمات البلقيني (الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) و (ترتيب المبهمات على الأبواب) لمغلطاي بن قليج ، و (مبهمات العمدة) للبرماوي ، و (الأحكام) لابن الطلاع .

إن هذا الحشد من الجهود المحمودة ، التي بذلها السادة من علماء الأمة من وقت الصحابة إلى اليوم ، هي الرد الحاسم على المستهين بهذا الفن ، الذي يتهكم بالباحثين عن المبهم ، عاداً ذلك من الفضول ونقص السداد ، رائيا أن مناط الفائدة هو الخبر والحكم في ذاته ، ولا مشاحة منا في ذلك ، وإنما المشاحة في أن يتهم قاصر الهمة واهن العزم ، من وهبهم الله الصبر على استكمال طرق العلم ، وثقابة الفكر لاستكناه الحقائق ، وقد يكون من حسن التوجيه لمثله أن يقرأ في خاتمة مقالنا ، ما قال صاحب المستفاد في مقدمته :

« وكم له من فائدة تستجاد ، أدناها تحقيق الشيء على ما هو عليه ، فان النفس متشوقة إليه ، ومنها أن يكون في الحديث منقبة لذلك المبهم ، فتستفاد بمعرفته فينزل منزلته ، ويحصل الامتثال لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنزلوا الناس منازلهم » ومنها أن يشتمل على نسبة فعل غير مناسب إليه ، فيحصل من تعيينه السلامة من جولان الظن في غيره من أفاضل الصحابة ، ومنها أن يكون ذلك المبهم سائلا عن حكم عارضه حديث آخر ، فيستفاد بمعرفته : هل هو ناسخ أو منسوخ ، بأن عرف زمن إسلام ذلك الصحابي ، وكان أخبر عن قصة شاهدها وهو مسلم . إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تخفى . »

أما بعد ، فما أحرى هذا الفن بأن يكون له مكان في معاهد الحديث ، وما أجدر هذه الجهود المبذولة فيه بأن تحقق وتنشر ، فانها جانب عامر من جوانب التراث ، لعلمائه الحق في أن ترى أرواحهم ثمر جهدهم حيا في حقول المعارف ، مقترنا بالدعاء لهم والترحم عليهم ، محتفلا به ومستفاداً منه ، وهو شريف بشرف القرآن ، كريم بكرامة السنة ، وبالله التوفيق ومنه السداد ولا حول ولا قوة إلا به .



القانون الدستوري هو فرع من فروع القانون العام الذي يتضمن مجموعة القواعد الأساسية التي تحدد شكل الدولة ونوع الحكم فيها جمهوريا او ملكيا ديمقراطيا أم ديكتاتوريا برلمانيا أو غير برلماني . كما أن هذا الفرع من أفرع القانون ينظم علاقة السلطات بعضها ببعض من حيث التكوين والاختصاص ويقرر حقوق الأفراد وينظم علاقتهم بالدولة وسلطاتها .

وقد تضمنت الشريعة الاسلامية تنظيمات وأحكاما شملت هذا الفرع من أفرع القانون ، إذ أنه بعد تبليغ

النبي صلى الله عليه وسلم رسالة ربه ، وبعد هجرته الى المدينة المنورة بدأ في تكوين المجتمع الاسلامي ، وبدأت بالتالي الشتريعات الالهية توحى اليه ، وكان لزاما لذلك تأسيس الدولة الاسلامية التي تحكم بالقرآن والتوجيه الالهي عن طريق الوحي وتقوم فيها حكومة اسلامية يتولى شؤونها الرسول صلى الله عليه وسلم .. يبلغ الناس ما أنزل إليه من ربه ، ويدعوهم اليه ، ويهديهم سبل الرشاد وفي ذات الوقت يدبر أمور المسلمين وشؤونهم على مقتضى كتاب الله ، وما يسنه هو صلى الله عليه وسلم من أحكام في هدى الوحي وتوجيهات الله عز وجل ، ومن ثم فان سنته القولية والفعلية والتقريرية في أمور الدين والدنيا ، كانت هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ، اذ كانت تبين ما يحتاج الى بيان من نصوص القرآن وتفصل مجمله وتقيد إطلاقه وتخصص عمومه وتعين الناسخ والمنسوخ منه .

شكل الحكم في الاسلام : ـ لم يشأ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن ينظما شؤون الحكم تنظيما دستوريا معينا وانما اكتفيا بوضع المبادىء العامة والقواعد الاجمالية التي يجب أن تكون الأساس الذي يلتزم الناس به على مر العصور والأيام ، وتركا طريقة اختيار الحاكم وتعيين الولاة ورقابتهم ، وعموما كل ما يتعلق بتسيير أمور الدولة وفق ما يلائم أحوال المسلمين ويتسق مع ظروفهم وأوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حسب الزمان والمكان شريطة اتفاقها مع مبادىء الاسلام وروحه .

ويمكن القول أن الخلافة هي شكل الحكم في الاسلام ، وهي تعني رياسة الدولة الاسلامية ، وهي واجبة عند جمهور الفقهاء ، وأساس اختيار الخليفة هو الشورى والبيعة ، ولا يشترط حصول موافقة جميع المسلمين ، بل تكفي موافقة غالبيتهم ، كما أنها يمكن أن تتم بأهل الرأي وقادة الفكر في شؤون السياسة ، والاقتصاد ، والزراعة ، والحرب ، والتخطيط ، والتشريع .

المبادىء الأساسية التي يقوم عليها الحكم الاسلامي : ـ يقوم نظام الحكم في الاسلام على مجموعة أسس ومبادىء لا يجد الباحث ثمة عناء في سرعة الوصول اليها من بين دفتي المصحف والسنة النبوية الشريفة وأعمال الخلفاء الراشدين ، الذين نهلوا الحق من فيض النبوة الساطع المتدفق واهم الأسس التي يقوم عليها النظام الاسلامي هي : ـ

١ ـ **الشورى** : ـ من أهم المبادىء التي يقوم عليها نظام الحكم الأسلامي مبدأ الشورى وقد نص عليها القرآن الكريم وجعلها وصفا من أوصاف المسلمين فيقول الحق تبارك وتعالى **(وأمرهم شورى بينهم)** الشورى/٣٨ .

وقد أرست السنة النبوية الشريفة مبادىء الشورى سواء كانت قولية أم فعلية ، أما السنة القولية فهي ثابتة

من قوله صلى الله عليه وسلم « ما شاور قوم إلا هـداهم الله وأرشد امـورهم » رواه احمد وابـو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

وأما السنة الفعلية فهي أكثر من أن تقع تحت حصر ونكتفي على سبيل المثال بايجاز ما حدث من اتفاق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قائدي غطفان عيينة بن حصن والحارث بن عوف أثناء غزو الأحزاب للمدينة ، فقد رغب عليـه الصـلاة والسـلام في إغرائهما بعطاء قدره ثلث ثمار المدينة مقابل عودتهما بمن معهما وتخليهما عن مسايرة الأحـزاب في الحصار المضروب على المدينة ، وتم الاتفاق بينه وبين ذينك الشخصين على ذلك وسجلوا هذا الاتفاق ولم يشهدوا عليه أحدا واستدعى الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما واستشارهما في ذلك فقالا : ـ يا رسول الله أشيء أمرك الله لا بد من العمل به ؟؟ أو أمر تحبه فنصنعه ؟؟

أو شيء تصنعه لنا ؟؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل هو شيء أصنعه لكم لأن العرب رمتكم بترس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم » . فقال سعد بن معاذ « يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام ولا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة فكيف وقد أكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟؟ ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننـا وبينهم » . فقال الرسول عليه افضل الصلاة والسلام : « انت وذاك » . وناول سعدا الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة .

وقد ترك « القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة طريقة تنفيذ الشورى وكيفيتها دون تحديد حتى يمكن في كل زمان ومكان أن يختار الناس الأسلوب الأمثل والأفضل لهم والذي يقرر ذلك أولو الأمر طبقا لما يحقق مصلحة الجماعة .

وأولو الأمر في الأمة هم أصحاب الرأي وقادة الفكر فيها سـواء في النـواحي الـدينيـة أو الـدنيـويـة العسكرية أو المدنية الـداخلية في الدولة أو الخارجية في القضاء أو الزراعة أو التجارة في الاقتصاد أو السياسة وهؤلاء لا يخفى أمرهم على الناس لما يمتازون به من نضج رأي وبعد نظر للأمور ونفـع لمواطنيهم فيكونون موضع ثقة واجلال وتقدير من الكبير والصغير وعليهم الاجتهاد واستنباط الأحكام التي تكفل تنظيم الحياة وخلا الكتاب والسنة من نص ورد فيها

شريطة ان لا تخالف هذه الاحكام المستنبطة كتاب الله او سنة رسوله .

وطاعة أولي الأمر واجبة على الناس بنص القرآن الكريم : **(يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)** النساء/ ٥٩ .

ويقول عز وجل : **(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه**

منهم) النساء/٨٣ .

وقد ترك للأمة تحديد هذه الهيئة - أولو الأمر - وشروط تشكيلها واجتماعاتها وعلاقتها بأجهزة الدولة وهي التي تمثل السلطة التشريعية في الدولة .

هذه هي الشورى وأن العالم بأحكام الاسلام الدارس لتاريخه في صدره الأول لا يملك إلا الاقرار بأن هذا النظام ليس ألا ديمقراطية صادقة تحول بين الحكم والاستبداد والدكتاتورية .

٢ - العدل : - العدل مبدأ أساسي من مبادىء الحكم الاسلامي ، ويشمل العدل في الحكم وفي الحقوق وفي الواجبات وعدل الاسلام يشمل الغريب والقريب يشمل القوي والضعيف يشمل الغني والفقير يشمل العدو والحبيب : **(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة/٨ **(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** النساء/٥٨ **(إن الله يأمر بالعدل والاحسان)** النحل/٩٠ ويقول تبارك وتعالى **(وإذا قلتم فاعدلوا)** الانعام/١٥٢ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن ربه « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » رواه مسلم .

٣ - المساواة : - ساوى الاسلام بين الناس مساواة مطلقة في الحقوق والواجبات دون نظر إلى جنس أو لون أو عظيم أو صغير أو غني أو فقير .

فيقول الحق تبارك وتعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)** الحجرات/١٣ ويقول عز وجل : **(إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/١٠ .

٤ - مسؤولية الحاكم عن أعماله : - لم يحدد الاسلام مدة معينة للخليفة في الحكم وبمقتضى مبادىء الشريعة يستمر الخليفة في العمل ما دام صالحا للقيام به .

قادرا عليه ملتزما بواجباته ، فإن فقد صلاحيته لعجز أو لتقصير وجب عزله وان حكم بما في كتاب الله وسنة رسوله وجبت طاعته إذ يقول جل وعلا : **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)** النساء/٥٩ .

وإذا تعارضت أقوال أو أعمال الحاكم مع نصوص الشريعة أو روحها سقطت طاعته عن المحكومين يقول الله تبارك وتعالى : - **(ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)** الكهف/٢٨ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه احمد والحاكم وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام « من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه » رواه احمد وابن ماجه والحاكم .

والأمر لا يقتصر على عدم الطاعة فحسب بل تجب مقاومته وتقويمه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » رواه الأربعة

واحمد ومسلم

ومسؤولية الحاكم في الاسلام مسؤوليتان الاولى مسؤولية امام الخالق عز وجل المطلع على السرائر العليم بالنيات : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة/٧ و ٨ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كلكم راع فمسؤول عن رعيته » متفق عليه وقوله عليه الصلاة والسلام « من ولى من أمر الناس شيئا فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة » رواه احمد والطبراني ويقول « ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته الا حرم الله عليه الجنة » رواه البخاري ومسلم .

والمسؤولية الثانية مسؤولية دنيوية فلكل فرد من أفراد الرعية حق مراقبة الحاكم واسداء النصح له وتقويمه والا عزلته وساءلته ولقد أقر خلفاء المسلمين هذا المبدأ وأرسوا صرحه وشيدوا أركانه فها هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول بعد بيعته « قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن اقواكم عندي الضعيف ، حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي ، حتى أخذ الحق منه » .

وعندما رفضت السيدة فاطمة رضي الله عنها بيعته وقالت له « لأدعون عليك في كل صلاة أصليها » خرج باكيا وقال للناس : يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله وتركتموني وما انا فيه ولا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي » فقال المسلمون إن هذا الأمر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك فقال الصديق رضي الله عنه : والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة » .

ويأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده فيسير على ذلك الدرب وينهج نفس المنهج يقول يوم توليه الخلافة : - « إن رأيتم في اعوجاجا فقوموني فيرد عليه احد المسلمين لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بحد السيف فيعقب أمير المؤمنين على ذلك « الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عمر بحد السيف » .

ونراه مرة اخرى يعرض برنامج حكمه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم في خطبة يلقيها ، فيصوره بكل وضوح وظهور واخلاص ويطلب في ذات الوقت النصح والارشاد من أفراد الرعية فيقول « اعلموا أن شدتي التي كنتم ترونها ازدادت أضعافا على الظالم والمعتدي والأخذ لضعيف المسلمين من قويهم ، فاتقوا الله وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم » .

ويقول بعد أن ولي أمر المسلمين : « لوددت أني واياكم في سفينة في لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم فإن

استقام اتبعوه وان حنث قتلوه .» فقال له صحبه وما عليك لو قلت « أن يعوج عزلوه » فقال رضي الله عنه « لا ـ القتل انكل لمن بعده » ، ويؤخذ من ذلك انه رضي الله عنه يريد ان ينكل بالحاكم الظالم ليكون عبرة لمن بعده .

وليس للحاكم المسلم أو لأقاربه أو المقربين إليه حق زائد عن غيرهم من المسلمين فهذا ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخصه برد من أبراد يمنية غنمها المسلمون ويخص ابنه عبد الله برداً ، شأنهما شأن أي مسلم آخر ولما كان الثوب الواحد لا يكفي عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقد تبرع له ابنه ببرده ليصنع منهما ثوبا واحدا يكفيه ، ووقف أمير المؤمنين يخطب الناس وعليه ثوب جديد فقال أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فوقف سلمان الفارسي وقال لا سمع لك ولا طاعة علينا فقال له عمر ولم ؟ فقال له سلمان من أين لك بهذا الثوب وقد نالك برد واحد وانت رجل طويل ، فقال عمر يا عبد الله بن عمر ناشدتك الله ، البرد الذي أئتزر به أهو لك ؟ قال عبد الله نعم فقال سلمان الآن مر نسمع ونطيع .

وجاءت غنائم الى عمر رضي الله عنه وكان فيها طيب فأرادت زوجته ان تقسم الطيب على النساء فقال عمر رضي الله عنه لزوجته أخاف وانت تقسمين عليهن أن ترفعي يدك إلى أنفك وفيها بقية فيحاسبني الله عليها يوم القيامة .

وها هو عمر ايضا يقسم في عام الرمادة أن لا يذوق سمنا ولا لحما ولا عسلا ولا لبنا وعندما أراد بعض الناس صرفه رفض قائلا : **كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسني ما مسهم** بئس الوالي أنا اذا شبعت وجاع الناس .

ويروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يقسم تفاحا من فيء المسلمين ، فجاء ابن له صغير وتناول تفاحة فانتزعها عمر منه فسعى الطفل إلى أمه باكيا فأرسلت الى السوق واشترت منه تفاحا فلما رجع عمر الى المنزل ووجد ريح التفاح سأل زوجته هل أتيت شيئا من هذا الفيء ؟ قالت لا ، اشتريته من السوق ، وقصت عليه القصة ، فقال رحمه الله ، والله انتزعتها منه ولكأني انتزعتها من قلبي ، لكني كرهت أن أضيع نفسي من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين .

وقال ذات يوم سخنوا لي ماء أغتسل به للجمعة فقيل له انه لا يوجد حطب ثم ذهبوا بوعاء الماء إلى مطبخ المسلمين ، وجاءوا به يغلي ويفور فسألهم كيف أمكنهم ذلك رغم عدم وجود حطب ، وهل استعملوا مطبخ المسلمين ؟ قالوا نعم فاستدعى القائم على المطبخ ، الذي أكد له أنه لم يوقد عليه وانما وضعه على جمر لو تركه لأصبح رمادا فسأله عمر بن عبد العزيز عن ثمن الحطب الذي كان قد أوقد النار وأدى ثمنه له .

هذا هو وضع الحاكم في الاسلام **لا يستحل من مال المسلمين مليما ولا يعمل على استغلال مركزه في جلب**

كسب أو منفعة

ومهمة الحاكم الاسلامي لا تقتصر على حماية أمن المسلمين ورعايتهم وصون مصالحهم فحسب ، وانما هو يحمي الفضيلة أيضا ويحرس الايمان في قلوب المسلمين ولن يتأتى له حراسة الايمان إلا إذا كان قلبه مفعما به لأنه كما يقال وبحق صلاح الرعية من صلاح الراعي .

وان حرص الحاكم المسلم على مصالح المسلمين وتقدير تبعة الحكم ومسؤولياته يدفع ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب الى القول والله لو أن بغلة عثرت بأرض العراق لسئلت عنها يوم القيامة ، لماذا لم تمهد لها الطريق يا عمر وهذا القول ليس إلا تطبيقا من أمير المؤمنين لروح الاسلام الذي لا يعتبر الحكم وظيفة أو استعلاء وإنما يعتبره خدمة وتكليفا ، وقد حرم الاسلام على الحاكم أن يعمل على زيادة دخله ، فقد أحصى عمر بن الخطاب أموال أبي عبيدة بن الجراح عندما ولاه الشام ، وحذره أن ما زاد منها فهو لبيت المال ، وأجرى عليه وعلى أسرته نفقة كباقي المسلمين .

وإذا أخطأ الحاكم في حق أحد أفراد الرعية واعتدى عليه ، نال جزاءه المقرر لذلك شأنه في ذلك شأن غيره من الافراد ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ظهر المؤمن حمي إلا في حد أو حق » رواه البخاري ولأن الاستقرار والأمن لا يكون بالسوط أو السيف ، وإنما يكون بالعدل والحق ولبسطه بين افراد الرعية ، كما قرر عمر بن عبد العزيز في خطابه ردا على الجراح بن عبد الله واليه على خراسان ، والذي كان قد كتب له قائلا : إن أهل خراسان ساءت رعيتهم ولا يصلحهم الا السيف والسوط فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك . ومن بين ما رد عليه أمير المؤمنين : « يا ابن الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم .. الخ لا تقربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا في حق واحذر القصاص » .

واذا خالف الحاكم ذلك واعتدى على احد رعاياه كان القصاص منه وإن في قصة الذمى الذي ضربه ابن عمر وبن العاص لأكبر مثل على ذلك اذ مكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذا الذمي من ابن عمرو بن العاص وقال لعمرو « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا .. » .

ويروى أيضا أن رجلا شكا أبا موسى الأشعري لأنه أعطاه جزءا من سهمه وأصر الرجل على اخذه كله فضربه ابو موسى وحلق شعره فشكا الى عمر بن الخطاب الذي كتب الى ابى موسى الأشعري قائلا : « ان كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك ، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس فدعه يقتص منك في خلاء منهم فلما عاد الجندي الشاكي بكتاب أمير المسلمين رجاه الناس أن يعفو عن أبي موسى فأقسم أن لا يدعه فامتثل الحاكم المسلم وقعد يقتص منه الشاكي فرفع الشاكي رأسه الى السماء وقال اللهم قد عفوت .

٥ ـ النظام : ـ جاء الاسلام لبناء المجتمع الفاضل فكان طبيعيا أن يكون من أسسه ومبادئه عدم ترك الناس فوضى دون قيادة تسوس أمرهم وترعى مصالحهم وتحمي كيانهم وعقيدتهم .

وقد نهى الاسلام عن الفوضى والفرقة والاختلافات فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من رأيتموه يفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم جميع فاقتلوه » رواه احمد .

٦ ـ كفالة الاسلام للحقوق والحريات : ـ كفل نظام الحكم في الاسلام للأفراد كافة حقوقهم وحرياتهم من حرية فكر وعقيدة وحرية رأي وحرمة مسكن فيقول عز وجل : (**لا إكراه في الدين**) ويقول : (**لكم دينكم ولي دين**) ويقول وهو احكم القائلين : (**فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) ويقول الرسول عليه افضل الصلاة والسلام « افضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر » رواه احمد والنسائي وليس هذا الحديث إلا حضا للمحكوم على إعلان رأيه ، غير أن حرية الرأي في الاسلام لا تعني نشر الأهواء والضلالة والبدع أو الشرك أو الكفر ولا الخوض في أعراض الناس أو إذاعة أسرارهم ولا تعني المجادلة وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ـ

« ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل » رواه احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم .

وخلاصة القول ان الحرية في الاسلام تقوم على إطلاق الحرية للفرد في كل شيء ما لم تتعارض أو تصطدم بالدين أو بالحق أو بالخير أو بالمصلحة العامة فاذا تعدت تلك الحدود فانها تصبح اعتداء يتعين وقفه وتقييده .

كما كفل الاسلام للافراد حق الأمن على النفس والعرض والمال ومن ثم كانت التشريعات من حدود وقصاص وتعزير .

وكفل الاسلام ايضا حرمة السكن فيقول عز وجل : (**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**) النور/٢٧ فهذه الآية الكريمة تعني عدم انتهاك حرمة البيوت بدخولها بغير اذن ويتساوى في عدم الدخول الحاكم أو غيره .

منع الاسلام أيضا التجسس على المسكن وفي سبيل حماية حرمة المسكن من التجسس أهدر دية المعتدي عليه ومنع القصاص من المدافع عنه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم ان يفقأوا عينه » رواه احمد ومسلم والبخاري وابو داود إلا انه قال« ففقأوا عينه فقد هدرت » .

هذه هي أحكام الاسلام في هذا الفرع من أفرع القانون والمسمى بالقانون الدستوري ولو تولتها يد الصياغة لاستطاعت أن تخرج لنا من الأحكام الدستورية ما يعجز الفكري البشري عن الوصول اليه .

مائدة القارئ

رواة الحديث

قال الامام أحمد بن حنبل : ستة من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم أكثروا الرواية عنه وعمروا : أبو هريرة ، وابن عمر ، وعائشة ، وجابر ابن عبدالله ، وابن عباس ، وأنس . رضي الله عن الجميع

رضاء .. وكره

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الله يرضي لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا : فيرضي لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا .
ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » .

رواه مسلم

الناس والدعوة

قال تعالى مخاطبا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **فتوكل على الله انك على الحق المبين . انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ، وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** » . الأيات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ من سورة النمل .

عز الطاعة

من أراد الغنى بلا مال ، والعز بلا عشيرة ، والطاعة بلا سلطان ، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته سبحانه ، فانه واجد ذلك كله .

الزاهدون .. والراغبون

سمع أحد الزهاد شخصا يقول : أين الزاهدون في الدنيا ، الراغبون في الآخرة ؟
فقال الزاهد : ياهذا ، إقلب كلامك ، وضع يدك على من شئت .

ملذات الدنيا

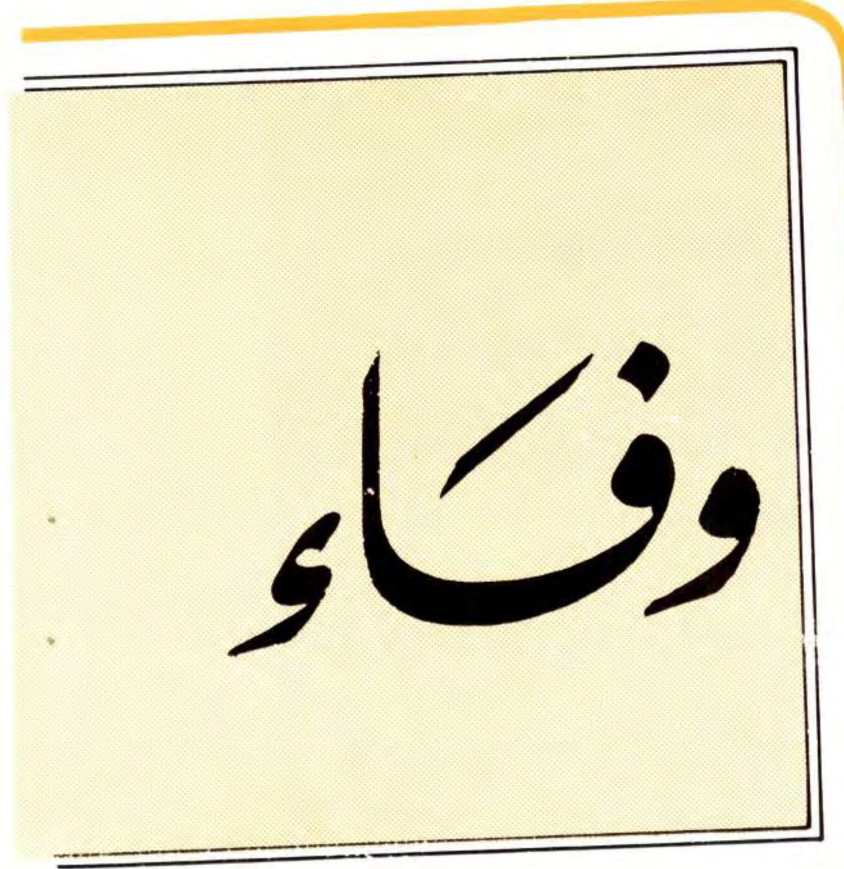
● تبدأ ملذات الدنيا في الظهور عند الصبي برغبته في اللعب ، فهو أحب إليه من كل شيء .
● ثم تتطور هذه الرغبة مع تقدم سن الصبي إلى حب اللهو ، ولبس الثياب الفخمة ، وركوب المراكب الفارهة .
● ثم تتطور هذه المتعة إلى لذة الزينة من النساء ، والبناء ، والخدم .
● ويمضي الانسان مع الحياة تتجاذبه الرغبات الفانية حتى يظن أن المجد في الجاه والرياسة ، والتكاثر من المال ، والتفاخر بالأعوان والأتباع والأولاد ..
● وإذا ما لاحت النذر ، ورأى بعين البصيرة أن كل ذلك زائل لا محالة . عرف أن الخير كله في العطاء لله ، والعمل وفق أمره ، والسعادة كلها في التزحزح عن النار ودخول الجنة .

إلى هذا يشير قوله تعالى : « **اعلمو أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » ٢٠ ، ٢١ من سورة الحديد .

الكذاب واللص

الكذاب شر من اللص : لأن اللص يسرق مالك ، وهذا يسرق عقلك .





قضى طيطوس وهدريان من قواد الرومان على ثورة اليهود في الامبراطورية الرومانية ففر بعض منهم إلى الجزيرة العربية طلبا للنجاة ، ونزلت طوائف منهم في قرى شمال الحجاز وبنوا لهم بعض الحصون التي أقاموا فيها ، وكان عملهم هو الزراعة وبعض الصناعات وصياغة الذهب على الخصوص ، وكشأن العربي دائما ، وبما فطر عليه من كرم ، قبلهم في مجتمعه العربي ، وأثرى بعضهم ، وصارت لهم أعمال وتجارة وأموال كثيرة .

وكان من الطبيعي أن يتأثروا بالبيئة العربية ، وأن يظهر منهم بعض الشعراء في العصر الجاهلي ، ولعل من أشهر الأسماء التي ترددت : السموأل بن عادياء ، ويذهب بعض الدراسين إلى أنه كان عربيا محضا ، إلا أنه دان باليهودية وآخرون يقولون إن أمه كانت من غسان ، اما أبوه فكان يهوديا .

وكان السموأل يسكن حصنه وكان له فيه قصر يسمى القصر الأبلق ، وكان قد أثرى من الزراعة وأراد امرؤ القيس الرحلة إلى قيصر للاستنجاد به في القضاء على خصومه واسترداد ملك بني كندة من بني حجر ابن عمرو الذي تعاون المناذرة وبنو أسد على القضاء عليه والأخذ بثأر أبيه (حجر) الكندي .

وكان (حجر) سيدا مطاعا في قومه وملكا مبجلا . وكان يلي على أسد وغطفان ، فخرجوا عليه ، ونبذوا طاعته ، ورفضوا دفع الاتاوة إليه

السموأل الذروة

للدكتور/محمد عبد المنعم خفاجي

بتحريض ملوك المناذرة . فحاربهم (حجر) وأخضعهم ، وأباح أموالهم ، وحبس أشرافهم ، فحقدوا عليه ، واغتنموا فرصة فقتلوه .

وحاربهم امرؤ القيس بن حجر ، وحاربوه ولما لم تعد له بهم طاقة عزم على الاستنجاد بملك الغساسنة الحارث الغساني (٥٧٩ - ٦٢٩م) ليعينه هو ، أو قيصر ملك الروم ، على تقليم أظافر الملك عمرو بن هند المنذر الثالث (٥٥٤ - ٦٦٩م) ملك الحيرة الذي وقع كل شيء بتحريضه ، والذي قتل من أشراف بني كندة ثمانية وأربعين ، قتلهم جميعا في ديار بني مرين ، وقال امرؤ القيس في مصرعهم .

ملوك من بني حجر بن عمرو
يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا
ولكن في ديار بني مرينا

ولم يجد امرؤ القيس صديقا له إلا السموأل ، فذهب إليه ، وكتب السموأل له كتابا إلى الحارث الغساني ، يطلب إليه فيه أن يتوسط لامرىء القيس عند قيصر الروم ليساعده على الانتقام من قتلة أبيه ، وبخاصة لأن ملوك الحيرة ، وهم عمال الفرس ، أعداء قيصر ، وقد ساعدوهم . وأودع امرؤ القيس السموأل دروعه وسلاحه وذهب مع صديقه عمرو بن قميئة إلى الملك الحارث الغساني بكتاب السموأل .

ويبدو أن الملك الحارث الغساني كان يتخذ من السموأل جاسوسا له

على العرب الشماليين ، لذلك بادر الحارث فقبل كتاب السموأل ، ووصى قيصرا ملك الروم بامرىء القيس ، وسار امرؤ القيس يقصد قيصرا ، ولكنه انتابه المرض ، وقال وهو سائر في الطريق :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنـا لاحقـان بقيصـرا
فقلت لـه لا تبـك عينـك إنمـا
نحـاول ملكا أو نمـوت فنعذرا

وصاحبه هـو عمرو بن قميئـة الشاعر الفارسي .

ومات امرؤ القيس في الطريق عند أنقرة ، والروايات هنا تختلف اختلافا كثيرا ، ولا داعي للأفاضة في عرضها وتحليلها .

إلا ان الذي يعنينا أن خصوم امرىء القيس طالبوا السموأل بدروع وسلاح غريمهم فأبى ، وقتلوا ابنه من أجل ذلك ، فقيل : أوفي من السموأل . كما تذكر بعض الروايات .

وهنا لابد لنا من وقوف طويل عند هذه الناحية :

ونقـول أخيـرا : لمـاذا قصـد امرؤ القيس السموأل وحده ؟

١ ـ كان في كندة بعض اليهود ، وكانت لهم صلة بيهود شمالي الحجاز وكانوا على صلة بالسموأل .

٢ ـ كان السموأل عينا للملك الحارث الغساني على العرب الشماليين .

٣ ـ استمال السموأل امرأ القيس ودعاه ليذهب إلى الملـك الحارث . ليظهر أمام ملك الغساسنة بأنه يؤدي واجبه نحوهم بعنـاية ومـزيد من الحرص .

٤ ـ من عـادة اليهـود استغـلال الحوادث لكسب مغانم شخصية على حساب الآخرين .

٥ ـ مقاومة المناذرة والنفوذ الفارسي في تيماء أو قريبا منها انتصارا لقيصر الروم ولنفوذ الغساسنة في الجزيرة العربية .

إن اليهـودي لا يعـرف القيم الاخلاقية ولا يعبأ إلا بالمال وحده ، وبمصالحه الشخصية دون سواها .

وحقيقة الأمر أن الملك الحارث الغساني كان يتخذ جواسيس له في كل مكان من شمال الجزيرة العربية ، يبلغون كل ما يدور فيها ، وكان يبسط نفوذه على هؤلاء العمال ، ولما علم الحارث بامرىء القيس طلب من السموأل أن يبعث إلى امرىء القيس يحثه على الرحلة إليه لمساعدته في طلب ملكه ، واسترداد دولة آبائه .

وبسبب ذلك ذهب امرؤ القيس إلى السمـوأل وحـده ، ورهنـه أدرعـه وسلاحه ، ورحل إلى الملك الحارث الغساني .

ولما كان تسليم السموأل لأمانات امـرىء القيس مما يغضب الملـك الحارث الغساني عليه فقد أبى ، وعرض ابنه للقتل ، اعتزازا برضاء الملك الغساني عليـه ، وخوفـا من غضبه ، وليظهر نفسه أمام الملك بأنه قادر على أن يؤدي مهمته من أجل الغسـاسنـة .. ومن أجـل تحقيق رغباتهم ومطامعهم وتوسيع نفوذهم ونفـوذ قيصر معهم في الجـزيـرة

العربية .

وهنا يجيء الخلق اليهودي ليستغل هذه الحادثة استغلالا كبيرا للتحكيم لأغراضهم في المجتمع العربي الجاهلي .

فقد جعلت هذه الحادثة وفاء ، وصورت على أنها مثل من أمثلة الوفاء ، وضرب بها وبالسموأل المثل ، فقيل : أوفى من السموأل .

ولم يقتصر الاستغلال اليهودي على ذلك ، بل لقد صنع اليهود القصيدة المنسوبة إلى السموأل صنعا ونحلوها عليه انتحالا ، ومجدوا فيها شخصية السموأل ونفوذ قومه تمجيدا كبيرا ، ثم أذاعوها في كل مكان ، ونشروها في كل ناحية ، ورددوها في كل مجلس ، وأنشدوها في كل جيل .. ودونوها في كل كتاب ، وذكروا معه القصة التي صنعوا حواشيها ، وأفاضوا في جوانبها ، وأطنبوا في سردها إطنابا شديدا .

ثم روى اليهود هذه القصة ومعها القصيدة في كل عصر ، وترجموها إلى كل لغة ، تمجيدا لليهود والعنصر اليهودي ، واستغلالا لها عند الجماهير وعامة الناس .

وإذا كان السموأل شاعرا ، فقد كان ابنه الغريض بن السموأل ، وحفيداه شعبة بن الغريض ، وسعيد بن الغريض شعراء ، وليس هناك ما يمنع من أن تكون القصيدة من صنع هؤلاء وانتحالهم .

ولكن المهم أن القصيدة أضيف إليها أبيات على مر العصور والأجيال ، ورويت بروايات تختلف طولا وقصرا على مرور الأزمان ، ثم سجلها اليهود في ديوان صنعوه للسموأل .

وليس هناك أبلغ في ذلك مما قاله « بروكلمان » في ديوان السموأل : « ربما كان الأرقام (الصفحات) ١ - ٦ بقايا أصيلة من شعره ، وأضيفت إليها أشعار لشعراء اليهود المتأخرين » .

ويقول بروكلمان كذلك « إن المستشرق « هرفبرج » أثبت أن القصيدة رقم (٧) هي لأحد اليهود في المدينة » .

ويقول في قصيدة السموأل أيضا المسماة بقصيدة الحماسة : « الصحيح أن هذه القصيدة لعبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي » .

ونحن نعلم كذلك ان اليهود قد انتحلوا شعرا لاثبات سابقتهم في الجاهلية ، وأفضليتهم ومجدهم فيها على لسان شعرائهم ، بل وضعوا كذلك شعرا كثيرا أضافوه إلى شعر الشعراء العرب الجاهليين ، ودسوه في دواوينهم .

ومما عاون على ذلك طيبة قلوب العرب وتسامحهم ، وحسن ثقتهم في الناس ، وأن خلقهم كان يمنعهم من سوء الظن بأحد .

وبعد فماذا في هذه القصيدة ؟

لا شيء إلا الفخر ، والاعتزاز بالأصل ، والتمجيد للنفس ، وإحاطة العنصر اليهودي بهالة من التقديس والاكبار .

إن من شأن العربي أنه يكره الحديث عن النفس ، فاذا تحدث عنها مفتخرا لم يقل شيئا بعيدا عن الواقع ، بذلك كانت (حالة) التمجيد التي تحتوي عليها القصيدة أمرا غريبا على الخلق العربي ، مما يدل على أنها مصنوعة ولا ريب لأغراض عنصرية خاصة .

لذلك كانت هذه اللامية الحماسية السموألية :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

بمثابة إعلان إعلامي مقصود ، صنعه اليهود واستغلوه أحسن استغلال على طول عصور التاريخ ، وهم في ذلك جد بارعين ، وهذه عادتهم على مر العصور والأجيال إلى اليوم .

ولا بأس أن أذكر أخيرا هذه القصة السموألية ، المصطنعة التي استغلها اليهود ودسوها في تراثنا العربي القديم دسا :

ويمكن الرجوع إليها في : المستظرف ، والغرر ، وبلوغ الأرب ، وغيرها .

قيل : لما أراد امرؤ القيس المضي إلى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة ، فأرسل خصوم امرىء القيس يطلبون هذه الأمانات المودعة عند السموأل ، فقال السموأل :

لا أدفعها إلا إلى مُستحقها ، فعاودوه فأبى ، وقال : لا أغدر بذمتي ، ولا أخون أمانتي ، ولا أترك الوفاء والواجب علي .

فقصدوه بعسكر ، فدخل السموأل في حصنه وامتنع به ، فحاصروه .. وكان ولد السموأل خارج الحصن ، فظفروا به ، وأخذوه أسيرا .. وقالوا له : إن سلمت الدروع والسلاح رحلنا عنك ، وسلمنا إليك ولدك ، وإن امتنعت من ذلك ذبحنا ولدك ، وأنت تنظر ، فاختر أيهما شئت .

فقال السموأل : ما كنت لاخفر ذمامي ، وأبطل وفائي ، فاصنعوا ما شئتم ، فذبحوا ولده وهو ينظر .. ثم لما عجزوا عن الحصن رجعوا خائبين ، وأحتسب السموأل ولده ، وصبر محافظة على وفائه ، فلما جاء الموسم حضر ورثة امرىء القيس ، فسلم إليهم أماناتهم ورأى حفظ ذمامه ، ورعاية وفائه ، أحب إليه من حياة ولده وبقائه ، وقال في ذلك :

وفيت بأدرع الكندي إني
إذا ما خان أقوام وفيت

ترى كم من حادثة أروع وأمجد من هذه الحادثة ، نسيها تاريخنا الأدبي والعربي القديم .

إلا أن اليهود لم ينسوا السموأل فمجدوه هذا التمجيد ، وأشادوا به تلك الاشادة ، وصنعوا له ما صنعوا ، وكم صنعوا على طول عصور التاريخ من دعايات لهم ولقومهم وبني جنسهم ، وبعد : فان تاريخنا الأدبي جدير به أن يقف موقف الناقد الأمين ، والباحث الذكي .. وجدير به أن يعي الدرس الذي قام به اليهود بمهارة وحذق ، وأن يتدبر أمر تلك الأسطورة التي سارت مع الأيام .

خطبة الجمعة

للاستاذ / ابراهيم النعمة

تسعى الجماهير المسلمة الى مساجد الله كل يوم جمعة ممتثلة امر ربها (**يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) الجمعة/ ٩ والمسلم ملزم في سعيه لاداء صلاة الجمعة ، ليس له الخيار في ذلك ، لان الآمر بذلك هو الله - جل جلاله - والخطبة التي تكون بين يدي الصلاة انما هي ميزة الجمعة عن بقية الاوقات .

ان خطب الجمعة تتفتح لها قلوب الناس ، ويشعر المسلم بكل الغبطة والسرور حين يسمع التوجيهات الهادفة التي تسمو بهم عن الارض وتخلصهم من مشكلاتها ومتاعبها ، وتصلهم بالافق الاعلى فتزكو نفوسهم ، وتشرق ارواحهم فتحلق في اجواء عالية .. فما اطيب تلك اللحظات التي يجلس فيها المسلم في المسجد بسكينة ووقار ، وخشوع ونظام ، وهو يستمع الى ايات الله واحاديث رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - تتلى وتشرح ، ويستمع الى العظات والعبر ، والتذكير والتعليم ، والترغيب والترهيب ، والامر والنهي .. ثم يقف الجميع في صف واحد متوجهين الى قبلة واحدة ، ومؤتمين بامام واحد ، لغاية واحدة هي التقرب الى الله - عز وجل .

هذه المناسبة الاسلامية التي تتكرر كل اسبوع مرة واحدة ، يستطيع خطيب الجمعة ان يحسن

الافادة منها ، فيبني بها النفوس وينور العقول ، ويثبت بها الايمان ، ثم يوجه الناس توجيها هادفا يؤتي ثمرته المرجوة باذن الله !

ان هذا الاثر العظيم الكبير الذي يتركه هذا الاجتماع الاسبوعي في نفوس المسلمين اذا احسن خطباء الجوامع القيام بواجبهم الذي شرعت فريضة الجمعة من اجله قد لمسه اعداء الاسلام ، وتبين لهم اهميته وخطورته فكتب احد المبشرين تقريرا عن اخفاق حركته التبشيرية في البلاد الاسلامية فكان مما قاله في تقريره :

« سيظل الاسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي مادام للاسلام هذه الدعائم الاربع : القرآن ، والازهر ، واجتماع الجمعة الاسبوعي ، ومؤتمر الحج السنوي » .

ان استفادة الناس من الخطيب امر ذو بال لا يستهان به ، اذ يتحتم على ذلك الخطيب ان يعد نفسه اعدادا خاصا حين يقوم بالقاء خطبة الجمعة ، ومن هذا الاعداد :

١ ـ وحدة الموضوع :

اذا كانت الخطبة في موضوع واحد تمكن الخطيب ان يعرض موضوعه عرضا جيدا مقنعا يرسخ في ذهن السامع . اما الخطبة التي تتناول مواضيع متعددة ، فان السامع يخرج منها مشوش الفكرة تتصارع في ذهنه نتف مقتضبة من هنا وهناك . وفي هذا ـ ايضا ـ تحميل للخطبة ما لا تطيق ...!

نعم قد يستأنس قسم من الناس حين يستمعون الى طرائف كثيرة في مواضيع كثيرة في الخطبة الواحدة ، لكن ذلك الاسلوب لا يؤتي ثمرته المرجوة ، حيث يخرج المستمع صفر اليدين من تلك الخطبة .

٢ ـ عرض الموضوع :

ان عرض الموضوع باسلوب سلس ، وعبارات بينة وكلمات واضحة الدلالة بينة المقصد يجعل المستمع ينشد الى سماعها والاهتمام بها . وهذا هو الاسلوب البليغ الرصين . يقول ابو هلال العسكري :

« وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، ويستفصحونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ، ولم يعلموا ان السهل امنع جانبا ، واعز مطلبا ، وهو احسن موقعا واعذب مسمعا » .

وفوق ذلك فان وجود عنصر التشويق فيها ، وصيغة الالقاء التي لا تكون على وتيرة واحدة مع اعطاء الجمل حقها في الكلام من الاستفهام والتعجب ورفع الصوت وخفضه

والتحمس عند الضرورة .. كل ذلك يؤدي الى استيعاب الناس للخطبة .

على ان الخطبة التي تؤثر في الناس وتترك اثارا بعيدة المدى هي الخطبة التي تصل المسلم بقرآنه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وتنعش قلبه بمعانيها . وقد تناول القرآن والسنة جميع جوانب الحياة ، لكن الاستشهاد بالسنة لا يكون الا بالاحاديث الصحيحة والحسنة ، اما الاحاديث الموضوعة فلا يحل له ان يروي شيئا منها !

٣ - تسلسل الموضوع :

كل خطبة تتالف من عناصر - قليلة او كثيرة - وهذه العناصر ينبغي ان تتسلسل تسلسلا منطقيا مقبولا كتسلسل درج السلم ، حتى اذا انتهى الخطيب من خطبته يكون المصلون قد ادركوا الهدف الذي يرمي اليه الخطيب .

٤ - قوةالحجة ووضوح البرهان

وهو امر ضروري جدا ليقتنع بها السامع ، وليوصد باب الباطل امام اصحابه ، والقرآن الحكيم مليء بتلك الامثلة :

(ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير)
سورة فصلت / ٣٩

٥ - تشخيص الداء ووصف الدواء :

على الخطيب ان يشخص الداء تشخيصا دقيقا ثم يصف الدواء بعد دراسته بدقة ، مستشهدا بآيات القرآن واحاديث الرسول وشهادة الواقع ، ويعمل على اقناع المصلين باهمية هذا الدواء ونجاحه !

٦ - الابتكار والتجديد :

ان الخطبة الناجحة المفيدة هي التي يكون فيها افكار ومعان جديدة ، وان لا يقتصر الخطيب على اعادة ما يقرأه فقط من غير ان يمحص ذلك تمحيصا علميا دقيقا ، ذلك ان كثيرا ممن يرتادون بيوت الله قد تثقفوا ثقافة اسلامية جيدة ، فهم يقرأون ويتابعون ما يستجد من بحوث تتعلق بالاسلام ، فاذا لم يتابع الخطيب مطالعته فانه لا يؤدي رسالته على الوجه الاكمل ، لان بناءه لم يكتمل حين ترك هذه الثغرة !

على ان الخطيب الناجح - فوق ذلك - لا يخاطب عقول الناس فقط ، بل ينفذ الى عواطفهم . وهذاالمزج بين الفكر والعاطفة اكثر جدوى وابعد فائدة من مخاطبة العقل فقط ، او الهاب العواطف وحدها !

٧ - الواقعية في الخطبة :

وذلك بان تنسجم الخطبة مع

الواقع الذي يعايشه الناس وذلك بالحديث في امراض المجتمع وعلله ، او ما يستجد من اعمال خيرة ، فيتكلم الخطيب في حادثة من حوادث الاسبوع المهمة ، مبينا حسنها او قبحها ، ولماذا وقعت ، وما موقف الاسلام منها ، مقارنا بينها وبين غيرها من الحوادث التي تتصل بها بنسب اوصلة . ولا يكتفي بذلك ، بل يقدم الحلول الاسلامية الصحيحة التي تعالج مشكلات الناس . اما اذا كان الخطيب في واد واحداث الناس والزمان والمكان في واد اخر . فعلى الخطبة وعلى صاحبها السلام !

على ان الخطيب الناجح ـ فوق ذلك ـ يتحسس ما يعانيه الشاب والشابة والشيخ من ازمات فيقدم الحل الصحيح لها ويبصرهم ـ ايضا ـ بالغزو الفكري الذي اندس في اذهان كثير من الشباب ، فزعزع فيهم العقيدة ، وشوه الفكر الاسلامي الصافي ، واثرت فيهم المادية حتى احتلت من تفكيرهم المكان الاول .

٨ ـ الحكمة في الخطبة :

وذلك بان يتحرى الخطيب الطريقة المناسبة التي يسدي نصحه وارشاده من خلالها مراعيا ظروف الناس واحوالهم فان لكل مقام مقالا . وعليه ان يقدمها بصورة جميلة مشرقة ، لا تعنيف فيها ولا تجريح . وقد دعانا القرآن الحكيم الى ان نقول للناس حسنا . وهذا احد الوعاظ يدخل على هارون الرشيد ويغلظ له القول فيرد عليه الرشيد قائلا ما هكذا تكون الموعظة ان الله بعث موسى الذي هو خير منك الى فرعون الذي هو شر منى فقال له ولاخيه : (**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى**) طه / ٤٤

وينبغي ان تكون سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه خير اسوة وقدوة لنا !!

٩ ـ تنوع الخطبة :

وذلك بان لا يقتصر الخطيب على مواضيع محددة ، بل ينوع فيها ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وخلفاؤه والصحابة من بعده قد خطبوا في مواضيع متنوعة : فخطبوا في العقيدة والتشريع والحلال والحرام والجهاد ومكارم الاخلاق والاجتماع والاقتصاد ..

١٠ ـ البعد عن القضايا الخلافية :

من الضروري جدا ان تكون الخطبة بعيدة عن القضايا التي اختلف فيها الفقهاء ، ذلك ان ترجيح راي على راي في خطبة الجمعة قد يثير جدلا لا خير فيه ولا فائدة بين المصلين انفسهم . وقد يصل الامر بقسم منهم الى التشاجر والمقاطعة . وما احوج المسلمين خاصة في هذا العصر الى جمع الشتات ورأب الصدع ، وجمعهم على كلمة واحدة .

ان مجال القول في الشريعة

الاسلامية التي هي محل اتفاق بين علمائنا واسع كبير ، فلنبتعد عن القضايا التي توغر الصدور ويكون شرها اكثر من خيرها ، وضرها اكبر من نفعها !

ان اكبر عمل واعظمه فائدة يستطيع الخطيب ان يقوم به فيقدم النفع كله للمسلمين ان يصون الجبهة الداخلية من التصدع والتفكك .. وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يخشى على امته من شيء خشيته ان يدب الشقاق بين المسلمين ، فيكون بأسهم بينهم !

١١ ـ التكرار في الخطب :

هناك مناسبات اسلامية تتكرر كل عام كمناسبة المولد النبوي الشريف والهجرة والاسراء والمعراج .. ولا بد ان يتكرر الحديث في هذه المناسبات كل عام وتكرار الخطب في هذه المناسبات شيء جميل لا باس به ولا غبار عليه ، ولكن المآخذ تنشأ حين يعمد الخطيب الى اعادة الخطبة التي القاها في سنة ماضية بتلك المناسبة من غير ان يغير او يبدل فيها اي شيء كان !

نعم ان كل مناسبة من هذه المناسبات لها جوانب كثيرة ، فيستطيع الخطيب ان ياخذ في كل خطبة جانبا من تلك الجوانب ويشبعها درسا وشرحا وايضاحا ، حتى اذا كانت السنة الاخرى تناول جانبا اخر من تلك المناسبة وهلم جرا ، وبذلك يقدم شيئا جديدا في كل خطبة من خطبه !

١٢ ـ تحديد وقت الخطبة :

على الخطيب ان يحدد وقتا مناسبا في خطبته لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، ذلك ان طول الخطبة يبعث على السأم والملل والضجر ، وقصر الخطبة يفوت فائدتها . وخطيب الجمعة رجل حكيم : يضع كل شيء في موضعه المناسب ، فهو الذي يحدد وقت الخطبة ، مراعيا في خطبته ما يقتضيها من ايجاز او اطناب ، فلكل مقام مقال . واذا سلك الخطيب هذا السبيل الحكيم وهذا المقياس الدقيق فقد نجح في مهمته نجاحا جيدا لا تضره معه انتقادات منتقد ، مادام قد انتهج هذا النهج القويم .

وبعد :

فان خطبة الجمعة اصبحت الان فنا يحتاج الى خبرة ودراسة ، واصبح الخطباء في حاجة ملحة الى دراسة ما يحيط بالمجتمع من افكار مادية ، ودعوات الحادية وتبشيرية ، ومذاهب هدامة ، وان يدرك الخطيب مصدرها وماهيتها وما فيها من سقطات وثغرات ، وان يدرس اساليب اعداء الاسلام ويستعملها ضدهم على اسس علمية رصينة مدروسة لا تتعارض وقواعد الاسلام والله يقول الحق ، ومنه الهداية والسداد !



ـ ١ ـ

تنطلق نظرية الاسلام في بناء الأسرة المسلمة من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة .

● مستوى كونها احتمالا لم يتحقق بعد .

● ومستوى كونها فعلا يتحقق الان .

● ومستوى كونها فعلا قد تحقق .

● ومستوى كونها فعلا استقر على قاعدة صلبة او تعرض لرياح القلق والاهتزاز

ـ ٢ ـ

من المنظور الاول : (كون الأسرة

احتمالا لم يتحقق بعد) .. يحرص الاسلام على تخير نوعية المرأة التي ستصير زوجة للرجل ، واما للأبناء ، ومصنعا لتخريج جيل من الشبيبة المسلمة ، ونموذجا لسلوكيات نصف الامة المسلمة .. وفي هذا الصدد يوجه الاسلام الى ضرورة التريث وضرورة الانتخاب حتى يقوم بناء الاسرة على منطق الحب وليس على منطق الصفقة ، ولعل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذه الوضعية الراشدة :

« تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء ، وأنكحوا اليهم » رواه ابن ماجة والحاكم « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة ان امرها اطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وإن أقسم عليها ابرته ، وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله) رواه ابن ماجة .
« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم « تزوجوا الودود الولود ، فاني مكاثر بكم الامم » رواه ابو داود . (تنكح المرأة على احدى خصال : لجمالها ومالها وخلقها ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك » رواه احمد « اربع من اعطيهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه حوبا في نفسها ولا ماله » رواه الطبراني والبيهقي .
هذه التوجيهات الراشدة والحاسمة معا ، تفرض بالضرورة على المسلم ان يصحح من منظوره في اختيار شريكة الحياة ، وتضعه امام مرحلة الاختيار في منطقة الوعي بان المال عرض ، وبان الجمال عارية ، وبان الحسب مقياس ترابي ، وبان الدين وحده هو الاساس الحقيقي الذي يمكن ان تقاس به درجة القبول والرفض لانه هو الاساس الحقيقي الذي يعصم المرأة من ان تصبح شريكة بالمال في حياة تستهدف السكن والحب ودفء العلاقات او شريكة بالانتماء العائلي في حياة عقيدية يمكن ان يضحي المرء في سبيلها بكل الانتماءات اذا تعارضت مع سمته العقائدي او ايمانه المصيري ويبقى الدين وحده جامعا لا يتعرض للتفتت ، وجامعة لا تتعرض للانفكاك .

ـ ٣ ـ

ومن المنظور الثاني : (كون الاسرة فعلا يتحقق لحظة القبول) يحرض الاسلام على التعرف الكامل من جانب كل من الشريكين على الآخر ، لأن ذلك ادعى الى تمتين اواصر الحب واخلق ببناء الهرم الاجتماعي المسلم الصغير على قاعدة الاستبصار وليس على عشوائية الربط بين النقيضين .. ان من حق الرجل والمرأة على السواء ان يعرف كلاهما الآخر ، وان يرى كلاهما الآخر وان يجلس كلاهما الى الآخر . في حياطة الاسرة ورعاية المناخ العائلي .. ومن حق الرجل والمرأة على السواء كذلك ان يرضى كلاهما بالاخر ، وان يوافق كلاهما على

الآخر حتى تبدأ الرحلة الحياتية بكلمة الحب لتنتهي الى حب دائم يظلل مسافات الحياة .. وقد اقر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الوضعية الصوابية ، في حادثة الفتاة المسلمة التي وفدت على عائشة رضي الله عنها ، تشكو اليها ان اباها زوجها من ابن اخيه ليرفع بها خسيسته .. وحين يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث بمن يستقدم له اباها ويلومه على ما فعل ، ويترك للفتاة حرية القبول والرفض .. فتقول الفتاة (يا رسول الله قد اجزت ما صنع ابي ، ولكن اردت ان اعلم النساء ان ليس للآباء من الامر شيء) .. ليس ذلك فحسب ولكن الاسلام اعطى كلا من الرجل والمرأة على السواء كذلك حق ان تتعادل كفتاهما في هذا اللقاء ، وهو ما عبر عنه المصطلح الاسلامي : بالكفاءة المادية والكفاءة الروحية والكفاءة الفكرية فان ذلك اعون بالضرورة على خلق المناخ الصالح لتبادل الرأي والمشورة وتبادل الحب والنجوى وتبادل البذل والعطاء وليس في هذه النظرة الاسلامية ما يشي بحس طبقي كما يزعم الخابطون ولكنها نظرة موضوعية تضع كل شيء في نصابه الطبيعي حتى لا يفقد اي من الطرفين طبيعة الارض المشتركة التي يقف فيها الى جوار صاحبه يبادله العطف والفكر والكدح وتوجيه امواج الحركة الحياتية في اتجاه شاطىء القرار .. على ان هذه (الكفاءة) محكومة بنظرة كل من الطرفين الى الآخر وسكونه اليه ، ولو كانا من نوعيتي تركيب اجتماعي متفاوت في موازين العرف والمال والاجتماع .

- ٤ -

ومن المنظور الثالث : (كون الاسرة فعلا قد تحقق بالفعل) يحرض الاسلام على التزام نوعيات محددة من الحقوق والواجبات فللزوج حقوق على زوجته وعليه واجبات حيالها ، وللزوجة حقوق على زوجها وعليها واجبات حياله ، وللوالدين جميعا حقوق على اولادهما وعليهما جميعا واجبات حيال هؤلاء الابناء وللأبناء حقوق على الوالدين وعليهم واجبات حيال هذين الوالدين .. ولحكمة ما لم يترك الاسلام هذه الحقوق وهذه الواجبات سدى استنادا الى وشائج الدم والحب التي تربط بين اولئك وهؤلاء ولكنه حدد الحقوق والواجبات وجسد نوعية العلاقات بين الجميع في ظل الوفاء بهذه الاطر وفي ظل نقضها جميعا .

وان كان الاسلام قد حرص على شيء قبل هذه العلاقات وبعد هذه العلاقات فهو حريص على بر الوالدين حتى في لحظات الانشقاق العقائدي .. صحيح انه حذر الابناء من متابعة الآباء في قضية الشرك بالله ، والكفر بواهب الحياة ولكنه حذرهم كذلك من التخلي عن اب ضل . او ام حادت ويكفي ان لا نطيعهما في قضية الشرك ، ولنصاحبهما بعد ذلك في الدنيا معروفا .. ان الحقوق والواجبات تبدأ - في الوجهة الاسلامية - من حسن المعاشرة الى كفالة الحق المادي

والحق المعنوي ، الى تبادل الرأي وطرح الاستبداد الى تحديد مناطق النفوذ في البيت الى تأصيل دعائم الصون والاحترام في علاقة كل بكل وبهذا يستحيل البيت المسلم الى جنة خضراء من جهة والى مملكة محروسة التخوم من جهة اخرى .

ـ ٥ ـ

ومن المنظور الرابع : (كون الاسرة فعلا تحقق ثم تعرض بعد للقلق او بداية الاهتزاز) يحرض الاسلام على تحكيم التعقل وتوطين النفس على مصابرة الخلافات .. وقد مرر علاقة الرجل بالمرأة ـ مع بداية الانشقاق في جدار الحب بينهما ـ في مراحل الوعظ الرفيق والهجر اللاذع ، والزجر المستأني . فاذا لم تفلح هذه العلاجات الاولية لجأ الطرفان الى التحكيم فيما بينهما ، حكم من اهله وحكم من اهلها ، وشرط في الحكمين ان يكونا على نية البناء وليس على نية الهدم (**ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما**) النساء / ٣٥ فارادة الاصلاح في الحكمين اولية لازمة بينهما .. فاذا لم تفلح هذه العلاجات كذلك ، فان الاسلام يعطي مساحة زمنية لمراجعة النفس (بعد الطلاق) وبكلمة واحدة او بملامسة مسترجعة ، تعود المياه الى التدفق وتعود الى الشفاه اليابسة بسمة الحب والاخضرار . والا فان بتر الداء في بواكيره اجدى من تركه ليراكم اعطابه في كل اتجاه .

وهكذا .. يلوح .. بلا ادعاء .. ان نظرية الاسلام في بناء الاسرة المسلمة تنطلق من قاعدة اساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة فهو ينظر اليها من مستوى كونها احتمالا لم يتحقق بعد فيحرض على ضرورة الاختيار والانتقاء .

وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا قد تحقق الآن ، فيحرض على التعرف والرؤية والرضى .

وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا قد تحقق بالفعل فيحرض على تحديد العلاقة القائمة في رحاب الحق والواجب .

وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا تحقق ثم تعرض للاهتزاز ، فيحرض على تأجيل كلمة الفصل ومراجعة الذات حتى ينقشع غيم الكراهة الطارئة ويومض في الاعماق فجر الحب والتواصل من جديد .

ان هذه النظرية الاسلامية لا تنهض على جانب عاطفي مبتوت الصلة بتعقيل الاشياء والعلاقات .. وهي لا تنهض كذلك على جانب عقلي مبتور الوشائج بتنمية عواطف الحب والرحمة .. ولكنها تنهض على فلسفة يتعانق فيها الجانب العقلي والجانب العاطفي حتى تستطيع ان تحتفظ في لغط الجدل الوجودي لنفسها بقيمة التوازن الراشد وتظل على الدوام عاملة في مجال التحقق الانساني بكل ما ينحني عليه هذا التحقق الانساني من عواطف الخير وخير العواطف وتعقيل كل اولئك في تناغم طبيعي يتواتر على حركة البقاء في انسياب وجودي حميم !!



للدكتور / ابراهيم علي أبو الخشب

شر ما تبتلى به الأمم من الأمراض التي تفتك بها فتكا ذريعا بحول بينها وبين النهوض والتقدم ان تدب في صفوفها الحركات الهدامة التي تقاوم زحفها وتعوق مسيرها . وتقف سدا حائلا دون نواياها الطيبة وأعمالها النبيلة ، واتجاهاتها الرشيدة ، او طموحاتها البناءة ، وتطلعاتها الحميدة ، التي لا بد منها لهؤلاء الذين يريدون أن يحتلوا مكانتهم في السماء مع النجوم والكواكب ، ولا يقف هذا الهدم الذي يقوم به اولئك المخربون عند لون واحد بعينه ، ولا اسلوب خاص ، او نمط بذاته ، وانما يكون منهم هذا الهدم على اشكال متنوعة ، وطرق ملتوية ، وفي وضح النهار ، وظلمة الليل ، وفي الامكنة العامة . او المجتمعات المحدودة ، وفي ساحة الدرس ونوادي الرياضة ، وفي المساجد والكنائس ، والنفوس الخبيثة ، والضمائر المريضة ، والافئدة الميتة ، والقلوب المتحجرة والارواح المولعة بالتقويض ، لا يستعصى عليها أن تنفث سمومها وتنصب شراكها . وتصل الى اغراضها من الدمار والهلاك ، اذا ما سنحت لها فرصة أو اتيحت لها مناسبة ، من غير نظر الى اعتبارات او ملابسات ، وربما كان آخر ما يخطر بالبال من هذه كلهع ، ان يكون ذلك الهدم من طريق الثقافة والفنون والعلوم والمعرفة والتهذيب والتقويم ، او ما شاكل ذلك مما من شأنه ان يكون ترميما واصلاحا ، او طريقا الى النور ، ووسيلة من وسائل الارشاد والهداية .. واذا كان للصوص من



افانين الدهاء والحيلة ، والخداع والمكر والتمويه والتلبيس ، ما يساعدهم على ان يتسللوا الى داخل البيوت في غفلة من اصحابها ليسرقوا ما بها من الذخائر والنفائس دون ان يشعر بهم احد . فان لهؤلاء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وسائلهم التي انفردوا بها والتي برعوا فيها براعة لصوص الخزائن الحديدية ، الذين نقرأ اخبارهم في الصحف والمجلات ، ونقف منها مواقف الغرابة والدهشة ، اذ يجيئون بالكثير من هذه الالوان التي تعتبر بمثابة المعاول في هدم البناء الانساني القوي فلا يلبث بعد فترة من الزمن ان يصبح طللا من الأطلال البالية يثير الأسى والأسف واللوعة والحسرة .. ولقد كنا نقرأ شعر أبي نواس وجحظة البرمكي وابن حجاج وابن مسكرة واضرابهم ممن خلعوا برقع الحياء واشاعوا الأدب المكشوف ونمر بذلك كله مرور الكرام ، ونحمد الله على انها مخلفات متروكة وكان اقصى ما نصيبه من بطون الكتب القديمة عن قصة عاشق كمجنون ليلى لا يعدو أن يكون حنينا الى لقاء ، او لهفة الى اجتماع ، او شكوى من صد وإعراض . او وصفا لمجلس ضمهما . لكن لا يصل مثل هذا الشعر منه ولا من غيره الى درجة أن يكون اثارة للغرائز ولا إهاجة للعواطف ولا انحرافا للسلوك ، ولا افسادا للاخلاق ، ولا تحويلا عن الجادة . ولكننا بعد أن تأدبنا بالادب الغربي وفيه الكثير من المخازي التي لا يبالي اصحابها ان يعترفوا بها للناس . فسدت اذواقنا وانحط إدراكنا وبخاصة حينما عالجنا في الكتابة ما يسمى بالقصة ، وكأنما

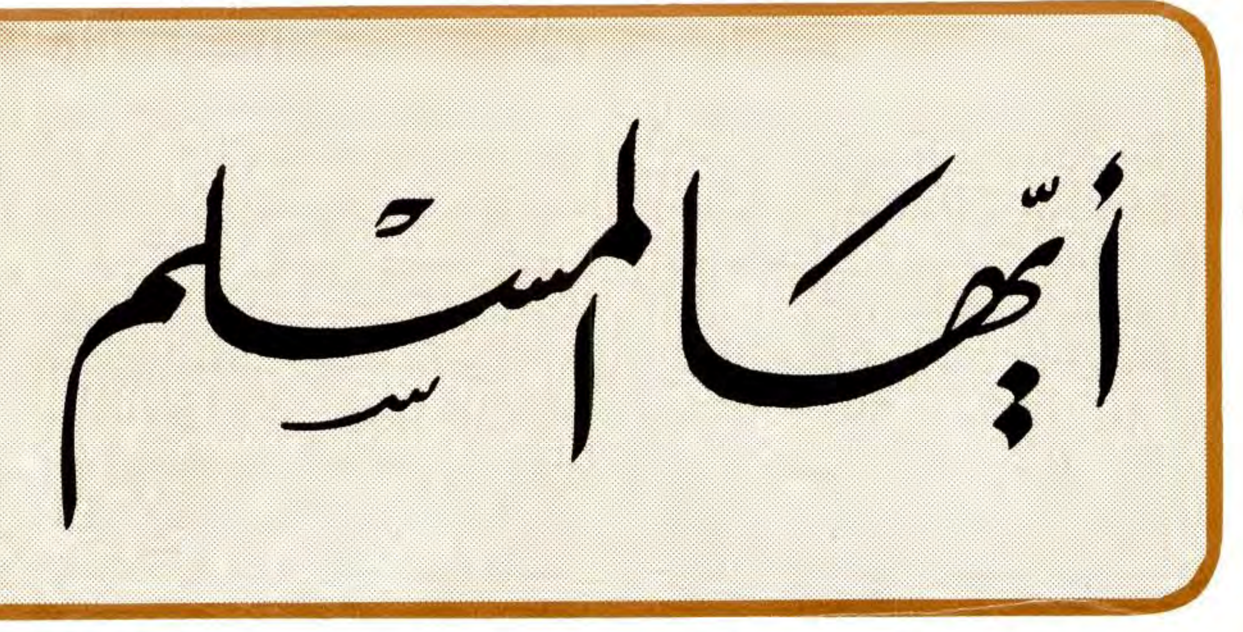
وقرف نفوسنا أن أدبها يقوم على الجنس ويعتمد على الاثارة ، وينادي بطرح القيم والمعايير ، والقوانين والدساتير ، ولا سيما ما يقف منها في طريق الغريزة ، او يحارب الفساد والانحطاط ، او يحول دون اشباع الميول والرغبات وقد كان الهدف للادب منذ اول يوم ان يكون التزاما بالسنن السوى والسلوك القويم ، والخلق الذي لا ينكره الذوق او يأباه ولم تكن القصة بدعا منه . ولا شيئا خارجا عنه . وهي إنما استقلت بهذا الاسلوب الذي يقوم على افتعال الحوادث او افتراض الاشخاص ، والحوار القائم بين الابطال في بعض الأحايين . أو ما شاكل ذلك مما تبنى عليه للمبالغة في تركيز المعنى ، وتأكيد ثبوته . وحب الناس له واقبالهم عليه . فلما انحرفت عن هذا القصد ، وصار الاقبال عليها . والرغبة فيها . للتسلية وقطع الوقت او دفع السآمة والملل او المتعة الوجدانية ، والاستسلام الى حياة لا يسودها الجد ، ولا يتحكم فيها الصدق والحق . كان لا بد أن يجعلها المشتغلون بها ميدانا للهو الرخيص والاسترخاء العقلي النازل ، ومن هنا كان الادب الهدام ، وكان هؤلاء الهدامون والعياذ بالله .... وحين يكون هذا الادب صادرا عن المرأة ، او جاريا في اسلوبها البياني يكون ذلك نذيرا بالخطر وعنوانا على انه أزفت الأزفة ، التي ليس لها من دون الله كاشفة ، لأن للمرأة من أنوثتها وحيائها ، ما عساه ان يجعلها بمعزل عن هذا فهي لا تجاهر بالمنكر ، ولا تظهر بغير المألوف ، ولا تعلن التواءها عن السنن . اللهم الا اذا كشفت البرقع ، وطرحت الغلالة ، ونضب ماء وجهها .. وقد اتيح لي منذ ايام ان اتناول كتابا صغيرا دبجته براعة انثى من اولئك اللائي اشتهرن في المحيط الأدبي بكتابة القصة فقلت في نفسي وماذا على اذا انا تصفحته وسايرت بعض صفحاته لأرى ماذا تقول أمة الله فيه .. وكان الكتاب كله مجموعة من القصص القصيرة ، تولت طباعته ونشره جريدة يومية أعلنت عنه وهيأت الأذهان لاستقباله . بما لا يزيد عليه من التنويه والاعلان . وفي هذه القصص كلها تحريض على الفجور واغراء بالرذيلة ، ودعوة صارخة الى الخروج عن قوانين الاخلاق ، ولا يكاد القارىء ينتهي من القراءة لواحدة منها ، حتى يجد نفسه ـ رغم أنفه ـ في داخل ماخور للريبة او بيت يدار للدعارة .. وها هي ذي واحدة من تلك القصص بعنوان « السراب » تتلخص في أن صديقتها « نجوى » استسلمت للنوم لا تفيق منه . كأنما أكلت منوما جعلها تعيش في عالم آخر غير عالم الدنيا وقد شكا منها اهل زوجها مر الشكوى ، فذهبت هي اليها لترى ما بها وهالها انها كذلك وحاولت ان توقظها وتبعث فيها النشاط والمرح . الا انها عانت من ذلك معاناة شديدة . ومع ذلك فانها استطاعت ان تدخل الى قلبها من كلمة « سعيد » التي جرت على لسانها .. وقصة نجوى هذه مجملها انها تزوجت من رجل يكبرها في السن وانجبت منه

بنين وبنات ، وكانت معه كما تكون المرأة مع الرجل في بيت الزوجية ترعى الاولاد ، وتلاحظ شئون المنزل ولا ينقصها من السعادة الا انها مع انسان يكبرها . فهي في بيت يأويها ، ومع رجل يضمها واولاد يبادلونها الحنان والعطف ، ولكنها ينغص عليها هذا العيش انه يلوح لها في الافق شبح رجل فيه من نضارة الشباب وجمال الاهاب ، وبهجة الطلعة واقتبال العمر ، وخفة الروح ، ما يلفت الانظار اليه فتثور فيها نزعة الحسرة على أنه لم يكن من نصيبها هي تترامى بين ذراعيه ، وتنام في أحضانه ، وترتبط به كل الارتباط ، ذلك الشبح هو ضابط البحرية « سعيد » أخو زوجها الذي فقد زوجته ونزل في ضيافة أخيه ، ومعه ابنتاه الصغيرتان وكان من الضروري أن ترعاهما كما ترعى أولادها ثم يكون ذلك كله وسيلة تجعلها تشتغل بسعيد ويثور نزوعها اليه والاشتغال به ..

وفي هذه القصة تتحدث الكاتبة عن الزوج فتقول ـ على لسان نجوى زوجته ـ وجاءت الداهية .. كهل .. أصلع قصير .. أقصر مني .. وله كرش ونظارة سميكة ـ محور حياته هو الطاولة .. ورمية المقهى .. واخذتني تلك الداهية ومشت ..

اما حديثها عن هذا الذي لاح في الافق وهو « سعيد » فهو هكذا .. ثم جاء .. جاء .. هبط على فجأة كأنه رحمة السماء استجابت لدعائي الأخرس .. جاء سعيد .. سعيد ... سعيد ... وضمت ذراعيها بعنف على صدرها كأنه بينهما .. سعيد جاء ... جاء ليعيش معنا .. انا وزوجي تحت سقف واحد .. يجلس جنب اخيه .. ويتكلم معه .. يأكلان ويشربان ويضحكان .. ويقفان جنبا الى جنب .. لأقارن انا واكتوي واحترق .. ويوما بعد يوم لمحت في اعماق عينيه حنانا .. حنانا ، عطشانة كنت انا اليه .. حنانا شغل بالي .. أطاش صوابي .. وصار هو يتباطأ .. يتلكأ في حجرة الطعام .. يدخن غليونه في صمت ويتأملني .. ثم تقول نجوى وقف يسد علي الطريق .. ولكن بعطف .. بفهم .. دعوة خرساء حانية .. صعقت .. تسمرت مكاني .. شعرت بالبركان يزأر في أعماقي .. فخطا خطوة واسعة نحوي وأمسك بذراعي العاريتين يضغطهما ليسندني .. ومسح هو على ذراعي بعطف ، وهو يقول ذراعاك بضتان جميلتان .. وعلى عتبة باب حجرتي تركني .. ورحت في غيبوبة رائعة وحلم جميل بديع رأيتني فيه بين ذراعيه وشفتاه على شفتي .. و ... و ...

وهكذا كانت القصة ولم تكن قصة واحدة ـ كما قلت ـ وإنما هي مجموعة قصص من أدب الأنوثة التي تحولت من خضر وحياء ، الى جرأة تدل على ان الاناء نضب ما فيه وانه لا أمل في أن يعود اليه الماء واننا هكذا نعيش مع الأدب المكشوف الذي عهدناه من قبل في ابي نواس وانكرناه فلا يسعنا الا ان نقول ادركوا الاخلاق يا حماة الدين والاخلاق ، واضربوا على ايدي هؤلاء اللائي مزقن البرقع .



أيـهـا المسلم في شـرق وغـرب حسبـك القرآن منهـاجا وحسبي
هـو نـور الله في أنفسنـا لـو وعينـاه عـلى رشـد وحب
وإذا أشـرقـت النفس بـه اشرق الكون لها من كل صـوب
ورأت فيـه هـدى الله الـذي تبتغي من كـل مشهـود وغيب

***

سله ما شئت عن الـدين يجب او عن الـدنيا اذا كنت رشيـدا
وهل الرشد سوى الوعي الذي جعل الانسان مخلـوقا فـريدا ؟
فتـأمـل آيـه الطـهـر مـعـا انـه جـاء عـلى النـاس شهيـدا
يتجـلى النـور مـن آفـاقـه فتـرى الكـون قـريبـا وبعيـدا

***

واذا انـت تسـاءلـت فلـم تلـق فيـه لسؤال مـن جـواب
فـارجـع الفكـر إليـه كلـه خـاشع القلب بصبـر واحتساب
واعـد ، ثم أعـد ، مستـوعبـا تتفجـر لـك انـوار الصـواب
اتـق الله يـعلمـك ، فمـن يتـق الله يـزل عنـه الحجـاب

***

إنـه بـاق كمـا جـاء بـه سيـد الرسـل ، وهادي العـالمين
جـاء قـومـا مـا أتـاهم قبلـه مـن كتـاب ، فهـداهـم لليقـين
فمضـوا شرقـا وغربـا ، رحمـة لشعـوب الارض بـالحق المبـين
إنـه فتـح قلـوب كـي تـرى سنـن الله ، وبـالله تـديـن

في شرق وغرب

للاستاذ محمد خليفة التونسي

حرروهم من ضلالات الهوى ... وعمي الجهل ، وتسخير الطغاه
فتآخوا كلهم في وحدة ... يستوي فيها الرعايا والرعاه
خيرهم أتقاهم في نفسه ... ومع الناس ، وفي جنب الاله
لا يبالي لومة من لائم ... في سبيل الحق ، إذ يحمي حماه

***

سنن لا تعتريها غير ... وعليها الكون يمضي في علاه
حثنا القرآن ان نفقهها ... لنراها فيه اذ نقفو خطاه
ونراه في سناها مشرقا ... حيث يممنا هداها أو هداه
مثل مرآتين : كل واجهت ... أختها ، فهي مرايا ، للرؤاه

***

إن لله كتابين هما ... صحف الكون ، ووحي الأنبياء
كلمات الله تبدو فيهما ... لأولي الألباب ، في أبهى ضياء
فيهما الصدق ، فما ليس له ... فيهما أصل ، فزيف ، و رياء
ولو الناس استناروا بهما ... لهدوا الحق ، كدأب الاصفياء

***

أيها المسلم ، لا تخنع ، ولا ... تتقاصر حيثما واجهت ظلما
انت عملاق مع الله ، على ... قدر ما توليه إيمانا وعلما
فاردع الظلم بما يكبته ... انت إن سالمته فاض وطما
إنما العزة لله ، فمن ... لاذ بالله يزده الله عزما



من المسائل التي يهتم بها الباحث في الاديان . وخاصة في مجال المقارنة . مسألة التعرف على الاديان في شكلها الصحيح غير المنحرف ، وبموقف نزيه غير متميز . ومن الآمال التي تراود الباحث في هذا المجال ايضا امل تقارب الاديان حتى تأخذ شكلا واحدا **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)** آل عمران/ ٦٤ .

ولكن اذا كان التعرف على الاديان امرا ممكنا محتملا فان محاولة جمعها في شكل واحد امر بعيد الاحتمال . **(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين)** هود/ ١١٨ ومادام الأمر كذلك فسنحاول في هذا المقام ان نتعرف على المسيحية وعلى الاسلام . او قل بعبارة ادق سنبسط الحديث هنا عن نقطتين : اولاهما : المسيحية كما يدين بها اهلها الان او مدى علاقة ما يدين به المسيحيون الان بالمسيحية

الحقة ؟ وثانيتهما : مدى تصور وطريقة فهم المسيحيين للاسلام .

اما عن النقطة الاولى فان المسيحيين رغم زعمهم انهم مسيحيون يدينون بدين عيسى عليه السلام الا انهم في الحقيقة قد جافوا المسيحية في واقع حياتهم كثيرا . بل لا تكاد تمثل المسيحية الحقة عندهم الان فتيلا ولا قطميرا . فلا يدينون لها او بها في شيء من سلوكهم . ولكن مع ذلك ترى التبشير بها ، والدعوة اليها على قدم وساق . بتخطيط ودراسة علمية لا يختص به موضع دون موضع فبينما تراه هناك في افريقيا بين اهلها البدو تراه هنا في عواصم الغرب حيث يكثر الرواد والسائحون من غير المسيحيين . واذا مااحتككت بهؤلاء المبشرين تجدهم قد اعدوا إعدادا علميا وفنيا عظيما ، وتجد عندهم من الاخلاص في عملهم ما يدعك تتساءل عن العلاقة بين هذا الاخلاص في التبشير وبين نفض القوم انفسهم ايديهم من المسيحية ـ ان احدهم قطع الاميال الطويلة واتاني من جنوب لندن وانا اسكن في شمالها لكَي يحضر لي بعض الكتب التي تعرفني بالمسيحية عندما قابلني ذات مرة وعرض علي ذلك . جاءني مرة ومرة ومع انه لم يجدنى في شقتي في كل مرة الا انه عندما اتصل بي تليفونيا لم يبد اي غضاضة او يظهر انه تجشم تعبا او ما الى ذلك بل انه في كل مرة قابلني فيها بعد ذلك كان يبدي من الحفاوة والابتهاج قدر ما في المرة السابقة او اكثر . وكم دعاني الى اجتماعات وعرض علي من خدمات في سبيل ان انضم اليهم . نعم ان القوم ينفقون على التبشير بسخاء فقد قابلني وصديقي ذات مرة بعضهم فوقفنا وتحدثنا معهم لحظات قصيرة وعندما هممنا بالانصراف اذ بهم يعطوننا اسطوانات وكتبا وشرائط تسجيل لو اشتريتها بمالي الخاص لأرهقت جيبي .

حقيقة انها معادلة صعبة ان القوم لا يعتدون بدينهم ولا يهتمون به طقوسا وشعائر في الوقت الذي يدعون اليه ويبشرون به بكل حماس ووسيلة .

وبصراحة . ارى ان القوم يفعلون ذلك خوفا من الاسلام . لأنهم يعرفون ما الاسلام ؟ وما دعوته ؟ وكيف يجذب الناس اليه بدون دعاة او مبشرين ؟ ومن ثم فهم يقاومون الاسلام او قل ـ ولعلي لا اكون مبالغا ـ يحاربون الاسلام بهذا التبشير ولذلك فانهم لا يعنيهم الدخول في المسيحية بقدر ما يعنيهم صد الناس عن الاسلام . وإن تجرأنا واردنا ان نصوغ لهم مبدأ فمبدؤهم هو لا تدخل الاسلام وكن اي دين شئت ». ولذلك فانهم اكثر ما يركزون على المسلمين يحاولون شدهم من دينهم الى المسيحية ولكن بدون جدوى تذكر . ويعقدون املا كبيرا على بدائيي افريقيا سواء منهم من استقر في تلك القارة او هاجر الى اوربا لأن هؤلاء غالبا ما يكون دينهم غير عميق في قلوبهم ، او يكونون غير ذوي دين اطلاقا . ومن هنا نعرف السر في ان

كثيرا من رواد الكنيسة والاجتماعات الدينية هم من هؤلاء السود الذين وقعوا تحت تأثير الدعاية والاغراء المادي .

ولكن لماذا يخشى القوم من الاسلام كل هذه الخشية ؟ ان الاجابة على ذلك ليست بالعسيرة . فالاسلام فيه من المبادىء ما هي كفيلة بأن تجذب اليها البشر كافة لو نظروا اليها بعين الانصاف ، واستمعوا اليها بأذن العقل ووعوها ببصيرة القلب وهم يعرفون ان ذلك ليس بعزيز على الاسلام قياسا على تجاربه الماضية فقد كان المسلم ينزل البلد ـ تاجرا ـ على سبيل المثال ـ فيتعامل مع اهلها بمبادىء الاسلام فلا يلبث اهلها ان ينقلبوا مسلمين اعجابا بسلوكه واقتداء بعمله . واكثر بلدان افريقية والهند وخراسان وما وراء النهر دخلت الاسلام بهذه الطريقة من غير سيف او فتح كما يزعم هؤلاء أن الاسلام انتشر بالسيف . الاسلام انتشر بالقدوة الحسنة والسلوك الحميد . **(وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)** التوبة/٦ .

هم يعرفون ذلك جيدا ويخشونه جدا . وهنا ينبغي ان نشير الى مقارنة بسيطة وهي ان الغرب يستخدم في التبشير والدعوة الى المسيحية كل امكانياته المادية والتكنولوجية ويرصد لهذا العمل الميزانيات الضخمة . في الجانب الاخر نجد الاسلام يقاوم هذا العمل لا بأعمال تبشيرية من الحكومات الاسلامية (فلم ترصد اي حكومة اسلامية حتى الان اية ميزانية لعملية تبشير او دعوة) ولكن الاسلام يقاوم ذلك بمبادئه وهيكله وقوامه يعني ان الاسلام يدعو الناس اليه بنفسه بدون داع فيكفي ان ينظر المرء اليه ، وان يعرف ما هو حتى يجد نفسه قد انخرط في سلكه كأحسن ما يكون المسلم ايمانا .

اما هؤلاء فانهم يستخدمون الابواق والطبول والنشرات والكتب ومع ذلك ان وجدوا طلبتهم في شخص فلن تجده يدخل المسيحية بحماس مثل الحماس الذي تجده فيمن يدخل الاسلام . اذ انهم يكتفون منه او هو يكتفي باعلان انه مسيحي لكي يأخذ الخدمة المقابلة لهذا الاعلان من وظيفة او غيرها .

فالاسلام في غير حاجة الى دعاة ، لأن فيه من المبادىء والمقومات ما يغني عن الدعاة والمبشرين . وان كان الاسلام في حاجة الى شيء فهو فقط في حاجة ان يتمسك المسلم بمبادئه فهذا وحده كفيل بهداية غير المسلمين الى الاسلام اكثر من عمل اي داعية او مبشر . فالاسلام يهدي اليه من الناس بمبادئه اكثر ممن يجتذبهم مبشرو المسيحية بكل ما يملكون من دعاية وضجة . ومن يهديهم الاسلام اليه يكونون اكثر ولاء واخلاصا للاسلام من اخلاص وولاء من يجذبهم المسيحيون الى المسيحية للمسيحية .

ونستطيع ان نعلل ذلك وهذا التعليل في الوقت نفسه فرق ثالث بين تبشير المسيحيين ودعوة الاسلام . (لاحظ ان المقارنة دائما بين الاسلام

كداع الى نفسه بمبادئه وبين المسيحيين كأشخاص مبشرين بالمسيحية) وهو ان من يدخل المسيحية تحت تأثير التبشير يدخل لغرض دنيوي كأن يكون مأخوذا بحضارة الغرب ، او محتاجا الى مساعدة اما من يدخلون الاسلام تحت تأثير مبادىء الاسلام فهم يدخلون لغرض ديني بحت . فليس في واقع المسلمين ما يجذب الناس اليهم ، ولم يقدموا خدمة لاحد نظير دخوله الاسلام . فهم يدخلون الاسلام للاسلام وهؤلاء يدخلون المسيحية لما عند المسيحيين من منافع مادية .

هذا عن التساؤل الاول وهو ديانة هؤلاء القوم فهم يزعمون انهم يدينون بالمسيحية ولكنهم ابعد الناس عنها حياة وواقعا وعبادة وطقوسا . وهم جادون في الدعوة اليها ودعوتهم هذه خوفا من الاسلام اكثر من ان تكون ايمانا بالمسيحية .

والآن نود ان نتعرف على فكرة هؤلاء القوم عن الاسلام . ماذا يعرفون عن الاسلام ؟ او ما الاسلام الذي يعرفه هؤلاء ؟

ان كثيرين منهم يعرفون الاسلام كما يعرفه ابناؤه ، ولكن لسبب او لآخر يحاولون تشويه صورته على جميع المستويات ابتداء من اساتذة الجامعات حتى رجل الشارع . فالمتخصصون من اساتذة الجامعات في الدراسات الاسلامية او بعضهم رغم معرفتهم مصادر الاسلام الوثيقة واطلاعهم عليها الا ان كثيرين منهم يدرسون الاسلام من خلال تفاهات وقشور لا تنتمي الى الاسلام الا انها قيلت بلغته العربية فـ « كنابرت » مثلا وهو استاذ بمدرسة « الدراسات الشرقية والافريقية » وله اهتمامات بالاسلام واللغة العربية يعتمد في دراسته للاسلام على بعض المواويل الشعبية ليس هذا فحسب بل يدرسه من خلال بعض الاغنيات العربية الساقطة . ومثل هذا واحد من امرين : اما انه لا يعرف مصادر اسلامية يطلع عليها ويدرس الاسلام من خلالها الا هذه المصادر وعندئذ يكون غير جدير بلقب « طالب » بله لقب « استاذ » واما انه يعرف ـ ولا بد ان يكون كذلك ولكنه يتغاضى ويغض الطرف عنها لمآرب في نفسه فلا يستحق لقب عالم لأن من صفة العالم وشرطه الانصاف والنزاهة العلمية .

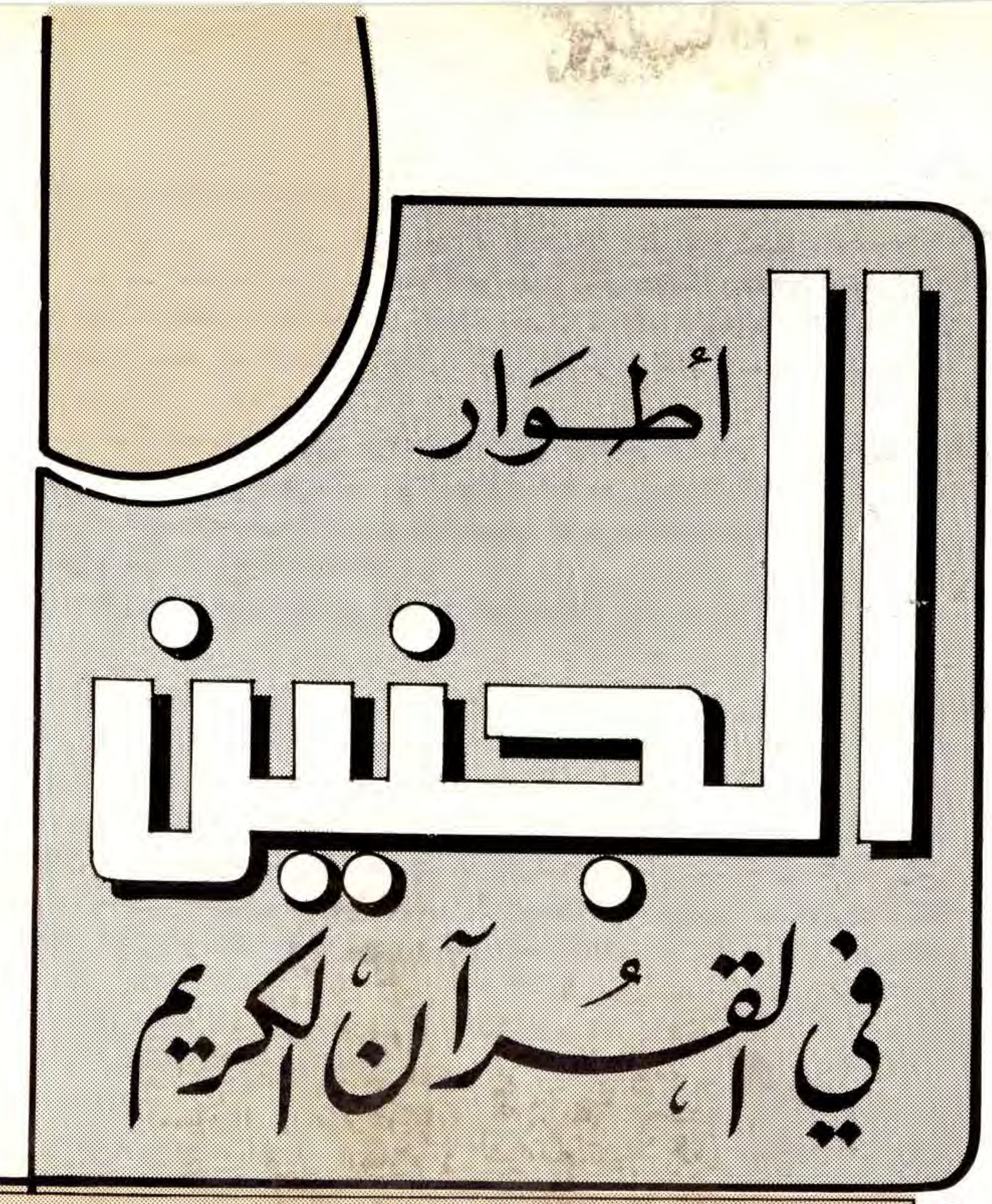
واذا كان هذا حال علمائهم فان امر عامتهم على العكس من ذلك . ان كثيرين من عامة الغرب لا يعرفون عن الاسلام الكثير ولا تكاد تعدو معرفتهم له الزواج بالعديد من النساء وقطع اليد والرجم والجلد ـ هكذا لقنوا الاسلام في مهدهم وبهذه الصورة تعلموه في مدارسهم . ومن ثم فانهم ينظرون اليه نظرة خوف منه كسيف مصلت وعقبة كئود في وجه شهواتهم . واكاد اعتقد ان هؤلاء العامة لو وقفوا على الاسلام في شكله الصحيح وقوامه المعتدل وعرفوا مبادئه بوصفها كلا لكانوا اكثر انصافا من علمائهم ولراجعوا انفسهم كثيرا ولدخل

كثيرون منهم في حوزته . لأن عامة هذا الشعب يعيش في فراغ ديني يعطي كل وقته لدنياه حتى ملها او كاد . ويبحث في المسيحية بوضعها الحالي فلا يجد فيها ما يسد فراغه ، او يشبع روحه ، او يعوضه عن المتعة الزائلة بمتعة حقيقيـة . لأن المسيحية كمـا هي موجودة بـين هؤلاء القوم هـزيلة ضعيفة ، لا تقيم اود انسان فاما ان يترهبن وذلك شاق على النفس ، واما ان يعيش كما هو يعيش الآن باستثناء واحد وهو الذهاب الى الكنيسة مرة او مرتين كل اسبوع . هذا كل ما تعطيه المسيحية لهؤلاء . اما الاسلام فغني بما يعطيه لمعتنقيه . يشبعهم من غير ان يشعرهم بالملل . يجذبهم الى حوزة الرحمن من غير ان يقطعهم عن غيرهم من الناس . يصعدهم الى السماء وهم على الارض يمشون ـ الاسلام عطاؤه كثير ومتجدد فالصلوات الخمس كل يوم ، والوضوء قبل كل صلاة ، او قـراءة القرآن حينمـا يتيسر للمرء قراءته والصيام في رمضان وكيفية هذا الصيام (لاحظ ان الصيام في الاسلام فيه من الكيفية ما يجعل المرء طيلة صيامه متذكرا ربه مشدودا اليه بخلاف الصيام في المسيحية الذي تنعدم فيه هذه الكيفية) والحج وغير ذلك من معطيات الاسلام كالاغتسال عند الجنابـة ، والتسمية وافشـاء السلام ، وغض البصر عطاءات كثيرة كفيلة بأن تمـلأ فراغ هؤلاء امـا المسيحية كما هي موجودة بينهم . ماذا فيها من طقوس ومن ملء فراغ الليل والنهار ؟ ان قراءة الانجيل ليست عبـادة عندهم . وصـلاتهم ليست فيها المعاني التي تشد الانسان الى ربه فأقصى ما فيها طأطأة الرأس .

فلم يبق امام هؤلاء الا الاسلام يحتضنهم ويحتضنونه وليس معنى ذلك ان نرسل المبشرين الى اوربا للتبشير بالاسلام ولكن يكفي ان يتحلى المسلمـون بمبـادىء دينهم . وان يبينوها لهؤلاء القـوم على وجههـا الصحيح .

واظهار الدين الاسلامي على وجهه الصحيح عملية مهمة جدا في مثل هذه البلاد ، لأنه على المستوى العام لا يعرفون عن الاسلام الا الحدود وتعدد الزوجات ، وعلى المستوى التعليمي نجد معرفتهم بالاسلام مشوهة وغير صحيحة لدرجة أنهم يخلطون بين الاسلاميين والبوذيين والهندوسيين فيعتبرون الجميع ديناً واحدا . وشد ما دهشت لذلك عندما عرفت هذا الخلط عندهم وعبثا حاولت ان اقنع من كان يناقشني في هذه المسألة منهم بانجليزيتي العرجاء آنئذ اين يكون الاسلام من هذه الاديان . وان كنت اشك كثيرا في ان يكون هذا الخلط عن جهل لا عن مكر .

ايا ما يكن فان القوم وان كانوا يتظاهرون بالحرية الدينية واحترام الاديان الاخرى الا انهم متعصبون للدعوة للمسيحية شديـدو الخوف والكراهية للاسلام لأنهم يعرفون أنه الدين الذي يحمل من المبادىء ما يغري بالدخول فيه وان في مبادئه من القوة ما يفوق كل دعاية لهم .



للدكتور/ محمد علي البار

يتحدث القرآن الكريم عن أطوار النمو الانساني في مواضع متعددة .. ويجعلها دليلا قاطعا على إعادة الله الخلق كما بدأكم تعودون .

وقد تحدثت الكثير من الآيات الكريمة عن هذه الأطوار مجملة ومفصلة : (**ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا**) نوح/١٣ و١٤ . قال ابن عباس وقتادة وعكرمة والسدى وابن زيد : معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار الانسان .

(يا أيها ألناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوف

ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا) الحج/٥ .

(**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون/١٢ ـ ١٤ .

(**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.ثم سواه ونفخ فيه من روحه**) السجدة/٧ ـ ٩ .

(**يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك**) الانفطار/٦ ـ ٨ .

(**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**) آل عمران/٦ .

من هذه الآيات الكريمة نستطيع ان نحدد معالم أطوار الجنين الانساني وهي : ١ ـ نطفة ٢ ـ علقة ٣ ـ مضغة مخلقة وغير مخلقة ٤ ـ عظام ٥ ـ لحم يكسو العظام ٦ ـ التسوية والتصوير « خلق آخر » والتعديل ٧ ـ نفخ الروح « وروى عن الامام علي أنه رد على من قال أن العزل هو الموءودة الصغرى قائلا : لا تكون موءودة حتى تمر على التارات السبع : تكون سلالة من طين ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكون لحما ثم تكون خلقا آخر فقال عمر رضي الله عنه : صدقت أطال الله بقاءك » .

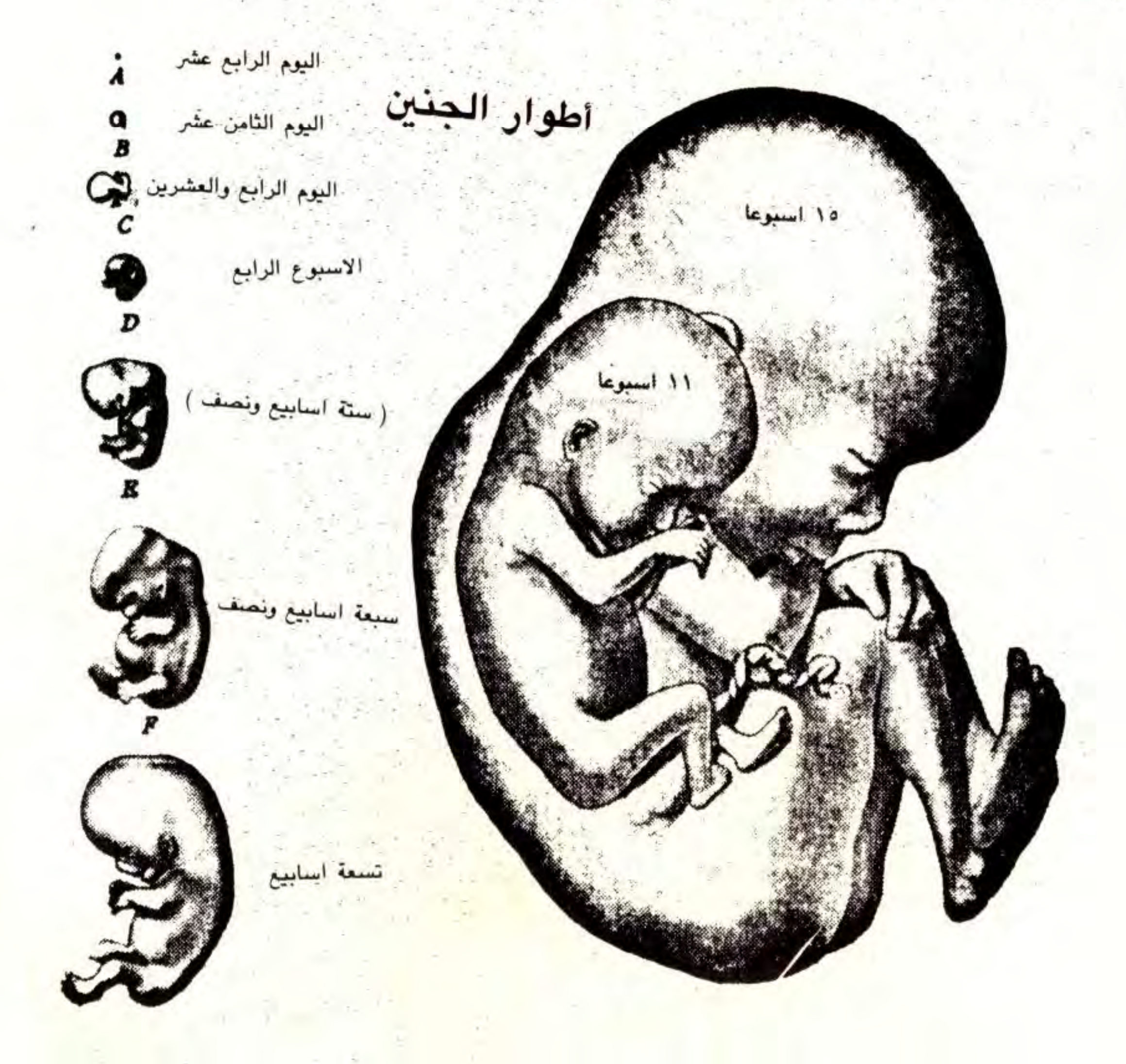
وكما عرفنا فان أول هذه الأطوار هو : طور النطفة .
والنطفة تطلق على ثلاثة أشياء هي :

(١) نطفة الذكر وهي الحيوانات المنوية
(٢) نطفة الأنثى وهي البويضة
(٣) النطفة الأمشاج وهي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة أي البويضة الملقحة ، والنطفة الأمشاج هي بداية مرحلة خلق الانسان ، حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة في الثلث الوحشي من قناة الرحم .. (**إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**) الانسان/٢ .

فاذا ما لقحت البويضة وصارت بويضة ملقحة ابتدأت انقسامات متعددة وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الانقسام والانشقاق وتتحول البويضة الملقحة « النطفة الأمشاج » إلى ما يشبه التوتة ، فتسمى عندئذ التوتة ثم تتنقل بعد ذلك فتصير مثل الكرة المجوفة ، وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية ويبقى قطر النطفة الأمشاج حتى بعد أن تصبح كرة جرثومية لا يزيد عن ١/٤ ميليمترا .

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعا كاملا حتى تعلق هذه النطفة الأمشاج التي تحولت إلى كرة جرثومية لها خلايا آكلة وقاضمة تعلق بواسطتها وبواسطة حملات دقيقة بجدار الرحم .

وتتحول عندئذ إلى االمرحلة التي تليها وهي العلقة .



صورة توضح مختلف مراحل الجنين مع ذكر عمره في هذه المراحل .

وتصوير حجمه الحقيقي ففي اليوم الرابع عشر والجنين في مرحلة العلقة لا يزيد حجمه عن نقطة ○ وفي اليوم الثامن عشر لا يزيد عن حرف وفي اليوم الرابع والعشرين وقد بدأ مرحلة المضغة ، أقل من حبة القمح او الأرز ، وفي الاسبوع الرابع وهو في قمة مرحلة المضغة لا يزيد حجمه عن حبة القمح . وفي الاسبوع السادس والنصف في أوج تكوين الاعضاء لا يزيد حجمه عن حبة فاصوليا بل أقل من ذلك . وفي الاسبوع السابع والنصف وقد تكاملت الأعضاء تقريبا لا يزيد حجمه عن حبة الفاصوليا او الفول .. وفي الاسبوع التاسع بعد انتهاء فترة الحميل ودخوله الى مرحلة الجنين لا يزيد حجم الجنين عن ثلاثة سنتيمترات (أي ما يزيد قليلا عن البوصة) . وفي الاسبوع الحادي عشر يكون الشكل الانساني مميزا لدرجة لا يمكن ان يخطئها أحد .. وتبدأ في هذه الفترة الأعضاء التناسلية الخارجية في التمايز ..

وفي الاسبوع الخامس عشر تستطيع الأم أن تحس حركة وليدها بكل وضوح .. وتكون الأعضاء التناسلية الخارجية واضحة جدا .

العلقة :

هي الطور الثاني الذي تنتقل إليه النطفة .. ويبدأ العلوق منذ اليوم السابع « منذ التلقيح » عندما تلتصق الكرة الجرثومية بجدار الرحم .. وتمد الخلايا الخارجية الآكلة معاليق صغيرة متعددة لتلتقي بمثيلاتها الموجودة على الخلايا الطلائية في غشاء الرحم وتتشابك هذه المعاليق ثم تبدأ الخلايا الآكلة في الانغراز وفي قضم خلايا غشاء الرحم حتى تتمكن من الولوج إلى داخل الغشاء .. وتبدأ عندئذ تعلقها بواسطة الخلايا المخلاوية الآكلة التي تتحول إلى الحملات المشيمية وهي تمثل تعلق الكرة الجرثومية بجدار الرحم .

ثم إن الكرة الجرثومية تنقسم إلى كتلة خلايا خارجية آكلة وظيفتها العلوق بجدار الرحموامتصاص الغذاء منه .. « وهي تشكل ٩٠ بالمائة من مجموع خلايا الكرة الجرثومية » وكتلة خلايا داخلية « تشكل ١٠ بالمائة من مجموع الكرة الجرثومية » .. وهذه الكتلة الداخلية يخلق الله منها الجنين .

ويتعلق الجنين بواسطة معلاق يربطه بالغشاء المشيمي « الكوريون » ..

فهناك اذن جملة تعلقات في هذه المرحلة تعلق أولي بواسطة الحملات الدقيقة ثم تعلق ثاني بواسطة الخلايا الآكلة ثم تعلق ثالث بواسطة الحملات المشيمية ثم تعلق رابع يربط بين الجنين الحقيقي وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق ..

ولا شك أن أهم ما يميز هذه المرحلة هو هذا التعلق وأن وصف العلقة العالقة بجدار الرحم والمحاطة بالدم المتجمد « المتخثر » هو أدق وصف لهذه المرحلة .

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين تقريبا ، ينمو خلالها القرص الجنيني إلى لوح كمثري الشكل ذى ثلاث طبقات متمايزة :

أ - الطبقة الخارجية الاكتودرم
ب - الطبقة المتوسطة الميزودرم
جـ - الطبقة الداخلية الانتودرم

وفي نهاية هذه المرحلة تتكثف الطبقة المتوسطة القريبة من محور الجنين لتشكل الكتل البدنية ويبدأ ظهور أول كتلة بدنية في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح .. وعندئذ تكون العلقة قد تحولت إلى مضغة .

وفي هذه المرحلة نجد أن الكرة الجرثومية التي كانت قبيل العلوق لا تزيد عن ١/٢ ميليمتر قد أصبحت بعد العلوق بأسبوع واحد فقط ميليمترا ونصف .

وفي نهاية الأسبوع الثالث « منذ التلقيح » يصبح طول اللوح الجنيني « ومن الآن فصاعدا لا يحسب إلا طول الجنين الحقيقي فقط » ميليمترين ونصف .

والطور الثالث حسب التقسيم القرآني هو طور المضغة « الاسبوع الرابع »

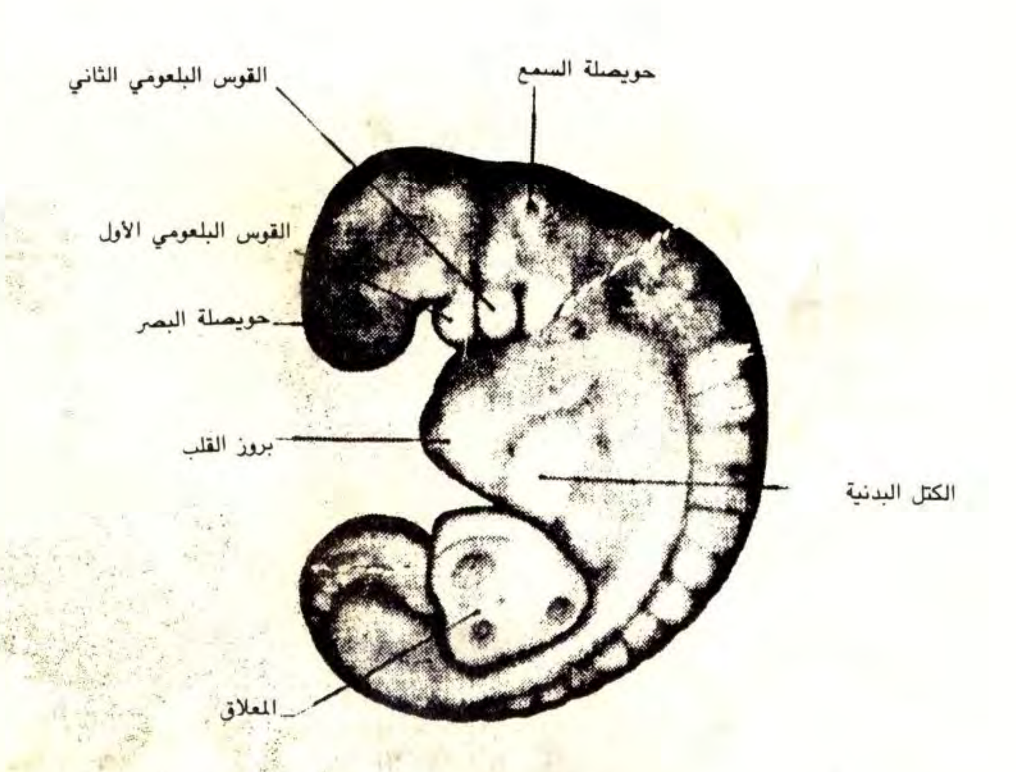
ويبدأ هذا الطور بظهور الكتل البدنية ويكون أول ظهورها في أعلى اللوح

الجنيني جهة الرأس ثم يتوالى ظهور هذه الكتل من الرأس إلى مؤخرة الجنين .. ويبدأ ظهورها في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح .. ثم تستمر في الظهور واحدة على كل جانب من محور الجنين حتى تبلغ ٤٢ إلى ٤٥ زوجا من الكتل البدنية ..

وهذه الكتل البدنية ليست إلا تكثفا لطبقة الميزودرم المتوسطة بجانب محور الجنين .. ويصحب ظهور هذه الكتل ظهور الأقواس البلعومية نتيجة لظهور شقوق وميازيب في الطبقة الخارجية « الاكتودرم » وبروز ونتوء في الطبقة المتوسطة « الميزودرم » .. وتتكون بذلك خمسة أزواج من الأقواس البلعومية في المنطقة العليا من الجنين « تحت قمة الرأس مباشرة » .

ويكون وصف المضغة أو القطعة من اللحم التي مضغتها الأسنان ولاكتها ثم قذفتها هو أصدق وصف وأدقه لهذه المرحلة ..

أنظر الصورة حيث ترى الاقواس البلعومية والكتل البدنية وهي تعطى الجنين شكل المضغة ..



صورة للمضغة « في الاسبوع الرابع منذ التلقيح » وتظهر الكتل البدنية بوضوح كما تظهر الاقواس البلعومية .. وفي أسفل الصورة على اليمين حجم الجنين الحقيقي في هذه المرحلة . والصورة توضح أن الجنين في هذه المرحلة يشبه قطعة لحم لاكتها الاسنان ثم قذفتها بعد مضغها . ووصف المضغة أصدق وصف لها .

مرحلة العظام واللحم :

(فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما)

وهي مرحلة تستغرق الاسبوع الخامس والسادس والسابع ..
وتتحول الكتل البدنية إلى جزئين :

١ - جزء أمامي وأنسي ويسمى القطعة الهيكلية وهي تكون عظام الفقرات .. كما أن انسياب خلاياه في المنطقة العنقية ٤ - ٨ يشكل عظام الأطراف العليا .. وانسياب خلاياه في المنطقة القطنية « ١ - ٥ » والعجزية « ١ - ٤ » يشكل عظام الأطراف السفلى .. كما تشكل الأربع كتل البدنية الواقعة في منطقة الرأس « الجزء المؤخري القاعدي » من الجمجمة .. وتتكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة الصدرية « ١ - ١٢ » .

وبذلك يتشكل معظم الجهاز الهيكلي من هذه الكتل البدنية .. أما عظام الوجه والفكين وعظام الأذن الوسطى « المطرقة والسندان والركاب » فانها جميعا تشكل من القوس البلعومي الأول .. ويتكون العظم اللامي من القوس البلعومي الثاني ..

ولا يبقى إلا قحفة الجمجمة التي تتكون من الخلايا الميزودرمية « المتوسطة » المتكثفة في قمة الرأس .. والتي تتحول مباشرة من غشاء إلى عظم دون أن تتحول إلى غضاريف .. كما هو معهود في أغلب عظام الجسم .. وقد فصلنا في ذكر هذه المرحلة في فصل العظام والأطراف .

٢ - جزء خلفي وظهري ويسمى المقطع العضلي الآدمي الذي سرعان ما ينقسم بدوره إلى قسمين :

أ - أدمي وهو يشكل أدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة .

ب - عضلي وهو يشكل معظم عضلات الجسم وخاصة تلك الموجودة في الجذع ، كما تنساب خلايا هذا القطاع العضلي في المنطقة العنقية « ٤ - ٨ » لتكون عضلات الطرف العلوي وفي المنطقة القطنية والعجزية لتكون عضلات الأطراف السفلية .. ولا يزال هناك من علماء الأجنة من يقول ان عضلات الأطراف تتكون في موضعها .. ويكون تكون العظام سابقا ولو ببضعة أيام لتكون العضلات .. وتأتي العضلات بعد ذلك لتكسو العظام .

ويقول الدكتور لانجمان في كتاب علم الأجنة الانساني :

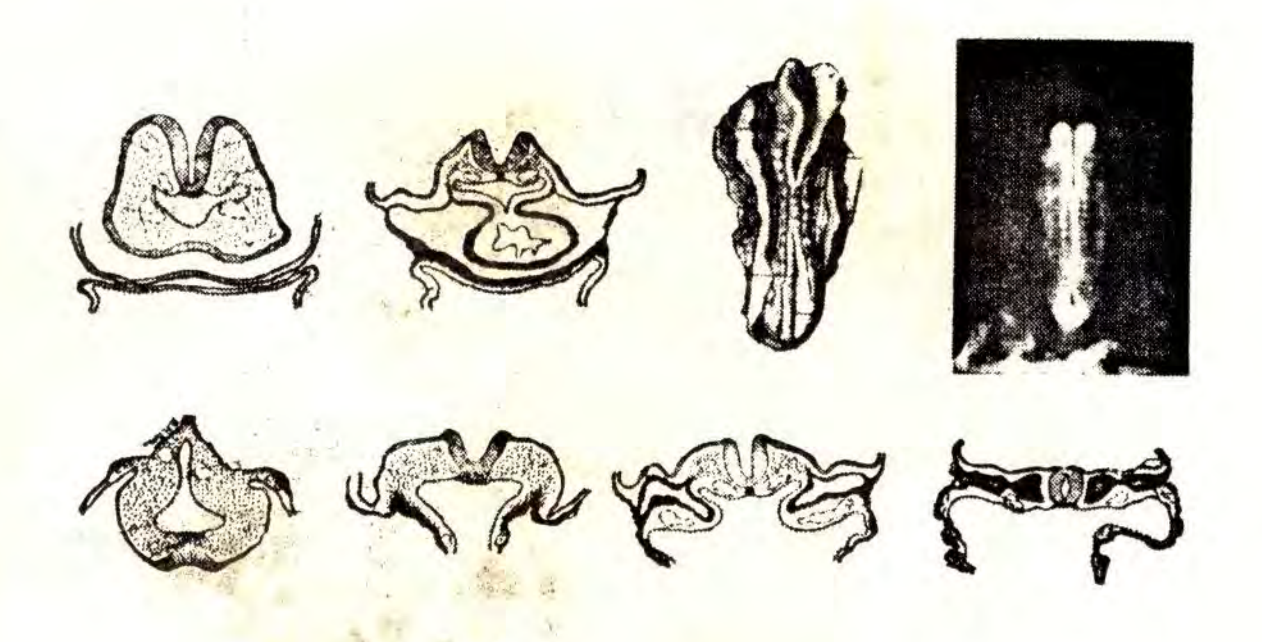
« وفي الاسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوح .. وإن كان الطرف العلوي يسبق الطرف السفلي ببضعة أيام » .

وأول علامة على وجود عضلات الأطراف تظهر في الاسبوع السابع وعندما يتحدث عن الفقرات والعمود الفقري يقول :

« وبعد أن تتحرك خلايا القطع الهيكلية إلى الجهة الأنسية مكونة العمود الفقري تعرف الخلايا المتبقية من الكتلة البدنية باسم المقطع الآدمي والمقطع العضلي .

« ونتيجة لتكون جسم الفقرة من قطعتين هيكليتين متجاورتين فان ذلك الالتحام يؤدي إلى تحرك القطع العضلية لتغطيتها » .

ومعنى هذا أن العظام تسبق العضلات .. ثم تكسو العضلات العظام وصدق الله العظيم حيث يقول : (**فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) .



صور للمضغة ومقاطع فيها توضح الكتل البدنية التي تتجمع حول الميزاب العصبي مكونة القطع الهيكلية التي يخلق الله منها الفقرات .. كما أن الجزء الخلفي من الكتل البدنية يشكل القطع العضلية التي تكسو العظام .

ثم أنشأناه خلقا آخر :

وهو طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ في الروح ..
والآيات الدالة على التصوير كثيرة منها قوله تعالى :
(**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**)
(**ولقد خلقناكم ثم صورناكم**) الأعراف/ ١١
(**وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير**) التغابن/ ٣
(**ياأيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك**)
ومن اسماء الله الحسنى المصور (**هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى**) الحشر/ ٢٤ .

وأما التسوية فهي تتم مع التصوير وقبله وبعده .. فهي تشمل جميع الأعضاء فالأطراف مثلا عند أول ظهورها تبدأ كبرعم صغير مكون من تكثف لخلايا الميزودرم « الطبقة المتوسطة » مغطى بغطاء من الطبقة الخارجية الاكتودرم .
ثم تتكون في الطبقة المكثفة من الميزودرم خلايا غضروفية وترسب النسيج الغضروفي في موضع النسيج الغشائي .. ثم ما تلبث الخلايا العظمية أن تظهر فتقوم بتفتيت النسيج الغضروفي كما تتكون خلايا آكلة فتأكل الغضاريف وخلاياها ، وتضع الغضاريف عظاما تكون مراكز للتمعظم وينتشر منها التمعظم في أجزاء الهيكل الغضروفي ..

إن عملية الهدم والبناء والتسوية والتعديل مستمرة في الجنين بشكل مثير .. إذ كل يوم بل كل ساعة تشهد جديدا .. هذه أنبوبة القلب المستطيلة تتحول إلى شكل S ثم تتكون الغرف المتتالية الأذين العام والبطين العام وبصلة القلب والجيب الوريدي ثم يعاد التركيب ليدخل الجيب الوريدي في الأذين الأيمن .. وتدخل بصلة القلب في البطين الأيمن والأيسر ومن بصلة القلب أيضا تنشأ جذور الشريان الأورطي والشريان الرئوي .

ومن له ادنى المام بعلم الأجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء يعرف كيف أن أجهزة الجسم المختلفة تهدم ويعاد بناؤها باستمرار وتتجلى هذه التسوية والتعديل في أجلى صورها في الجنين .. ثم تقل نسبيا بعد الولادة .. ثم تقل كذلك بعد البلوغ ولكنها لا تتوقف حتى في الشيخوخة .
هناك جهاز واحد فقط لا يشمله التغيير والتبديل المستمر ألا وهو الجهاز العصبي .. فالجهاز العصبي الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب لا تتغير بعد

الولادة من حيث الهدم والبناء ولكنها تتغير من حيث اتصالات الخلايا العصبية ببعضها ..

أما قبل الولادة في الجنين وخاصة في الشهر الثاني من الحمل فان التغيير يكون فيها على أشده ..

ففي كل لحظة هناك تغيير في الشكل أو في الوظيفة أو في إزالة مجموعة من الخلايا قد أدت وظيفتها أو في بناء مجموعة أخرى ..

إن ما يحدث في الجنين شبيه إلى حد ما بما يحدث عند بناء عمارة فهناك السقالات والأعمدة التي تقام ثم تهدم وتزال بعد أداء وظيفتها .. وهناك بناء الأساس أولا ثم بناء الأعمدة والجدران ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الأبواب والنوافذ .. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التبليط والتزيين والتحسين « الديكور » .

ولا يمكن أن تقوم مرحلة التبليط قبل بناء الأعمدة والجدران ولا يمكن وضع الموزاييك والتحسينات قبل إقامة الأبواب والنوافذ .. وهكذا كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التي بعدها ..

وكذلك في بناء جسم الانسان . كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التي بعدها .. وما استخدم من أدوات في المرحلة السابقة ولم يعد له حاجة فلابد من إزالته حتى لا يعيق الطريق .

هذه باختصار هي التسوية والتعديل .. وهي عملية مستمرة في بناء جسم الانسان منذ أن كان جنينا إلى أن يصبح شيخا هرما .. ولكن هذه التسوية والتعديل أبرز ما تكون في الجنين .

ولا يمكن أن تتم التسوية والتعديل إلا بعد وضع الأسس .. والأسس لجميع الأعضاء توضع في الفترة ما بين الأسبوع الرابع والثامن .. ولهذا تعتبر هذه الفترة هي الفترة الحرجة التي تكون فيها الجينات أشد ما تكون قابلية للتغيير ولذا فان تأثير الأدوية والعقاقير أو الأشعة أو الحميات مثل الحصبة الألمانية تكون في أوج تأثيرها على الجنين في هذه الفترة .

ولذا ينبغي أن تجتنب الحامل التعرض لتأثيرات الأدوية والعقاقير والأشعة والأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية .. طوال فترة الحمل بصورة عامة وفي هذه الفترة الحرجة « الاسبوع الرابع حتى الثامن » على الخصوص .

هذا هو ملخص للتقسيم القرآني لنمو الجنين الانساني :

١ ـ نطفة « الاسبوع الأول منذ التلقيح »
٢ ـ علقة « الاسبوع الثاني والثالث »
٣ ـ مضغة « الاسبوع الرابع »
٤ ـ العظام والعضلات « الخامس والسادس والسابع »
٥ ـ التصوير « الاسبوع الخامس والسادس والسابع »
٦ ـ التسوية والتعديل

٧ ـ نفخ الروح

اما تقسيم جهابذة علم الأجنة فيتفق فيما يأتي :

(١) مرحلة البويضة الملقحة « النطفة الأمشاج » ويختلفون بعد ذلك فمنهم من يجعل من الاسبوع الثاني حتى الثامن مرحلة واحدة هي مرحلة الحميل ويقسم بعد ذلك ما يحدث في مرحلة الحميل الى (أ) الانغراز (العلقة) (ب) الجنين ذو الطبقتين (جـ) مرحلة الجنين ذى الثلاث طبقات (د) الكتل البدنية (هـ) تكون الأعضاء .

ومنهم من يقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام فقط :

أ) مرحلة العلوق : وتستمر حتى تظهر أغشية الجنين والدورة الدموية وتتمايز طبقات اللوح الجنيني إلى ثلاث طبقات . وتدعى أحيانا هذه المرحلة ما قبل الكتل البدنية وهذا التقسيم ينطبق تماما على مرحلة العلقة لأنها تبدأ بعد العلوق مباشرة وتنتهي بظهور الكتل البدنية « أي المضغة » .

ومدة هذه المرحلة أسبوعان فقط « أي منذ نهاية الأسبوع الأول للتلقيح وحتى نهاية الأسبوع الثالث للتلقيح » .

ب) مرحلة الكتل البدنية : ولا يختلف علماء علم الأجنة في هذه المرحلة .. وهي تبدأ من اليوم العشرين أو الواحد والعشرين وتنتهي باليوم الثلاثين وهذه المرحلة حسب التعريف القرآني هي مرحلة المضغة .

جـ) مرحلة تكون الأعضاء وتبدأ من الأسبوع الرابع وتنتهي في الأسبوع الثامن وهي الفترة الحرجة بالنسبة للجينات لقابليتها الشديدة للتأثر بعوامل البيئة في هذه الفترة .

وفي هذه المرحلة نرى التقسيم القرآني يربط بين المضغة التي تتحول إلى عظام فيكسوها اللحم .. (**فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) .

كما يربط التقسيم القرآني التصوير والتسوية والتعديل بما يحدث بعد المضغة (**ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) .

وتشرحها الأحاديث النبوية الشريفة :

« إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . ثم قال يارب ذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتبه الملك » اخرجه مسلم .

ففي نهاية الاسبوع السادس تكون النطفة قد بلغت أوج نشاطها في تكوين هذه الأعضاء وهي قمة المرحلة الحرجة الممتدة من الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع الثامن .. فيوجهها التوجيه الذي أمر به .. ونحن نعلم أن المبيض والخصية لا يمكن التعرف عليهما قبل دخول الملك فاذا دخل الملك أمكن في الأسبوع السابع والثامن التعرف على الغدة التناسلية أخصية هي أم مبيض ؟ وفي حديث آخر رواه مسلم أيضا : « ان النطفة إذا استقرت في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك

ومما تقدم يبدو أن التقسيم القرآني لمراحل نمو الجنين الانساني أدق من وصف علم الأجنة .. وإن كان التقسيم القرآني يتفق مع كثير من هذه التقسيمات كالنطفة ـ المضغة ـ العظام ـ واللحم .. ولا يركز بعض علماء علم الأجنة على مرحلة العلقة كما يركز عليها التقسيم القرآني .. وكذلك مرحلة التصوير والتسوية والتعديل . أما نفخ الروح فهو لا يزال في طي الغيب الذي لا يعلمه : (**إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**) آل عمران/ ٧ .

وسنعرض بعجالة لما يحدث في فترة الجنين « أي منذ الشهر الثالث إلى الولادة »

الشهر الثالث « **الشهر القمري يحسب ٢٨ يوما** »

- تبدو العنق ظاهرة
- يلتصق الجفنان
- تتخذ الأطراف شكلا قريبا من شكلها عند الولادة ..
- بداية ظهور الأظافر في أطراف الأصابع
- يتميز غشاء المذرق إلى جزئيه : البولي التناسلي والشرجي بوضوح
- تبدو أجزاء القلب بوضوح ويكون له غشاء التامور
- تتميز أجسام الفقرات وتظهر بعض مراكز التمعظم
- ينمو الطحال والغدتان فوق الكليتين « الغدتان الكظريتان »
- يبلغ طول الجنين من الرأس إلى العقب ٩٠ ميليمترا

الشهر الرابع : يظهر على الرأس ثم الجسم وبر « أي شعر خفيف »

- ويكتمل تكوين المشيمة
- تتميز أعضاء التناسل الظاهرة فيبدو القضيب في الغلام والشفران والفرج في البنت
- تتراجع الأمعاء التي كانت بمنطقة الحبل السري إلى تجويف البطن .

الشهر الخامس :

- يغطي الزغب الرأس والجسم بأكمله وتحس الأم أول حركات الجنين وذلك في بداية هذا الشهر
- تدخل الأمعاء بأكملها من منطقة السرة إلى تجويف البطن
- يبدأ ظهور الشعر لفروة الرأس والحاجبين
- ينمو القلب والكبد

فيقول يارب ذكر أم أنثى » ؟ وفي رواية « لبضع وأربعين ليلة » وفي رواية « لخمس وأربعين » .

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه :

« وكل الله بالرحم ملكا يقول : أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضي خلقا قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ أشقى أم سعيد فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه » .

وهكذا نرى من مجموع الآيات والأحاديث أن قمة تكوين الأعضاء وتحديد الذكورة والأنوثة أعلى مستوى الغدد التناسلية إنما يكون في الأربعين ..

وهذه هي الفترة التي تسمى فترة تكوين الأعضاء وهي تبدأ من الأسبوع الرابع وتنتهي في الأسبوع الثامن .. وتكون في أوج نشاطها في الأسبوع السادس .

الاسبوع الخامس إلى الأسبوع الثامن :

وفي هذه الفترة يستطيل الحميل من ٥ ميليمترات إلى ٢٣ ميليمترا وتظهر عليه علامات خارجية كثيرة واضحة . وإن كان بعضها لم يكتمل في هذه الفترة . وأول مظاهر هذه الفترة :

١ ـ اعتدال ملحوظ في تقوس الجسم عامة

٢ ـ بدء تكوين الوجه

٣ ـ ظهور واضح لبدء العينين والأذنين والأنف

٤ ـ بدء ظهور أزرار الطرفين العلويين فالطرفين السفليين وربما أول تقسيمهما

٥ ـ صغر نسبي في الذيل

٦ ـ استطالة العنق البدني ليكون الحبل السري

٧ ـ انبعاج واضح للكبد والقلب يرى على سطح الجسم .

٨ ـ تحديد منطقة العنق وظهور الأقواس البلعومية على جانبيها .

٩ ـ أعضاء التناسل الظاهرة « الغدد التناسلية » وإن كانت غير مميزة الجنس « يمكن تمييزها في نهاية هذه الفترة » .

وفي نهاية الأسبوع الثامن تكاد تكون الأعضاء الداخلية كلها قد اتخذت مواضعها وإن بدت بشكل أولي . وتعتبر في نهاية الأسبوع الثامن اكتمال دورة الحميل وبدء دورة الجنين .

فاذا ما انتهت مرحلة تكوين الأعضاء فان مرحلة الحميل تكون قد انتهت . وبدأت مرحلة أخرى تعرف لدى علماء علم الأجنة بمرحلة الجنين وهي تبدأ من بداية الشهر الثالث وتنتهي بالولادة .

ولا يكون في هذه المرحلة إلا تخليق يسير .. وأبرز سمة في هذه المرحلة هي ظاهرة النمو المتصل السريع .. وتستمر هذه المرحلة حتى تنتهي بآلام الطلق والولادة .

- يبدأ الرحم والمهبل نموهما .

الشهر السادس :

- يزداد السائل الامنيوسي « الرهل » وهو كيس السلى زيادة كبيرة
- تظهر طبقة دهنية تغطي بشرة الجنين
- ينمو الجنين في هذا الشهر أكثر من أي فترة أخرى ، إذ يصل طول الرأس العقبي ٣٥٠ ميليمترا ووزنه كيلو جراما كاملا .

الشهر السابع :

- يصل السائل الامنيوسي إلى غايته ويبلغ لترا ونصف ثم يقل في الأشهر التالية .
- يمتلىء الجسم بازدياد الطبقة الدهنية تحت الجلد .
- نمو كبير للجهاز العصبي والهضمي .. وتكتمل أجزاؤهما .

الشهر الثامن :

- تتخذ السرة موضعها المحدد في المولود .
- يظهر الجسم مليئا .. ويزول الوبر « الزغب »
- يغزر شعر فروة الرأس
- يغطى جسم الجنين بطبقة دهنية متجبنة .
- تصل الأظافر إلى أطراف الأصابع .

الشهر التاسع : يزداد النمو واستدارة الجسم وإمتلاؤه . وينفتح الجفنان وتنزل الخصيتان إلى كيس الصفن خارج الجسم .

الشهر العاشر : يكتمل النمو .. وخاصة في الرئتين .. وتنمو الجيوب الهوائية وقد يستغرب القارىء ذكرنا عشرة أشهر للجنين والمقصود عشرة أشهر قمرية بالحساب هو ٢٨ يوما فقط .. فتكون الجملة ٢٨٠ يوما ويبدأ حسابها منذ بداية أخر حيضة حاضتها المرأة الحامل ..

وبذلك يكون العمر الحقيقي للجنين هو ٢٨٠ ـ ١٤ = ٢٦٦ يوما فقط .. وهذا هو العمر التقديري للجنين منذ لحظة التلقيح .

وبما أن الحساب منذ لحظة التلقيح أو حتى من الاتصال الجنسي الذي حصل بعده الحمل ـ عسير جدا .. فان الحساب في الغالب لا يكون منذ بداية آخر حيضة حاضتها الأم .



تشبه ملعون

من ولاية بوزيد ـ بالجمهورية التونسية .. كتب إلينا الأخ نور الدين عباس يسأل عن حكم تشبه الرجال بالنساء ، وتشبه النساء بالرجال .. وفي أي شيء يكون هذا التشبه ؟

المحرر : ونقول للأخ نور الدين ـ بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله الكريم .

إن الاسلام حريص على أن يبقى لكل نوع من الجنس البشري صفاته المميزة التي خلقه الله عليها .. فللرجل صفاته الخاصة التي منها خشونة الصوت ، وطريقة الكلام ، والمشي ، ونوعية الملابس ، وتحكيم العقل لضبط العاطفة ، إلى غير ذلك ..

وللمرأة صفاتها التي خلقها الله عليها ليجد الرجل عندها السكن والطمأنينة ، فهي رقيقة الحس ، ناعمة البشرة ، لها طريقتها في الكلام ، والمشي ، وبعدها عن العنف والقسوة ، وميلها إلى الهدوء وتغليب العاطفة .

فاذا ما حدثت انتكاسة في الطبيعة البشرية .. فمال بعض الرجال إلى التشبه بالنساء في الزينة والملابس والكلام والحركة إلى غير ذلك ، ومالت المرأة إلى الخشونة والقسوة ، وارتدت ملابس الرجال ، وحاكتهم في كلامهم وطريقة مشيهم .. إذا ما حدث ذلك فان الأمة في طريقها إلى ضياع شخصيتها ، وذهاب نخوتها ، وسوء عاقبتها .

اقرأ معي ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : « **لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال** » رواه البخاري .

وليس بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم مقال .. دعاؤنا أن يجنب الله أمة الاسلام أمراض العصر المنكود الذي نعايشه ، اللهم آمين .

النظر إلى الأجنبية

دار حوار بين صديقين يعملان في مجال به سيدات موظفات .. وكان أحد الصديقين يطيل النظر إلى زميلته في العمل ـ خاصة إذا كانت جميلة على حد قوله . فقال له صاحبه : غض بصرك فإن النظر إلى المرأة الأجنبية حرام .. فاستغرب الصديق قول صاحبه ، وأرسل يسألنا : هل النظر إلى الأجنبية حرام فعلا ؟ .. وماذا يفعل والمكاتب مشتركة ؟

حول هذا كتب لنا الصديق : محسن رشاد محمد فرغلي - من مصر .

ونقول للأخ محسن : هداك الله ياأخي ، وأعانك على الخير ، وجنبك الزلل . واعلم أن الاسلام حريص على طهر المجتمع الاسلامي ، حريص على ما فيه صلاح الفرد والجماعة ، يدعو لكل فضيلة ، وينفر من كل رذيلة ، ويعمل على سد منافذ الشر ، حتى لا يتسرب الشيطان إلى داخل النفس البشرية دون أن يشعر بذلك صاحبها .. وكل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان إن لم يحسن استغلالها تنقلب إلى شر ، وتوقع صاحبها في الاثم ، أرأيت لو استخدمت الأرجل في السعي إلى حرام ألا يعاقب صاحبها ؟.. ولو سرقت اليد ألا تقطع ؟ ولو استرقت الأذن السمع الحرام ألا يحتمل صاحبها في الاثم ؟.. كذلك العينان .. منهما يطل الانسان على الوجود فيرى آيات الله ويطالع مظاهر قدرته ، ويقرأ في صفحات الكتاب ، ويبصر طريقه ، فيحمد الله أما إذا استغلهما في الاطلاع على عورات الناس ، وهتك الحرمات ، وإيذاء الناس فإنه مسؤول عن ذلك أمام الله .. وما كان بالمؤمن الحق ..

اقرأ معي قول الله تعالى في سورة النور : «**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**» .

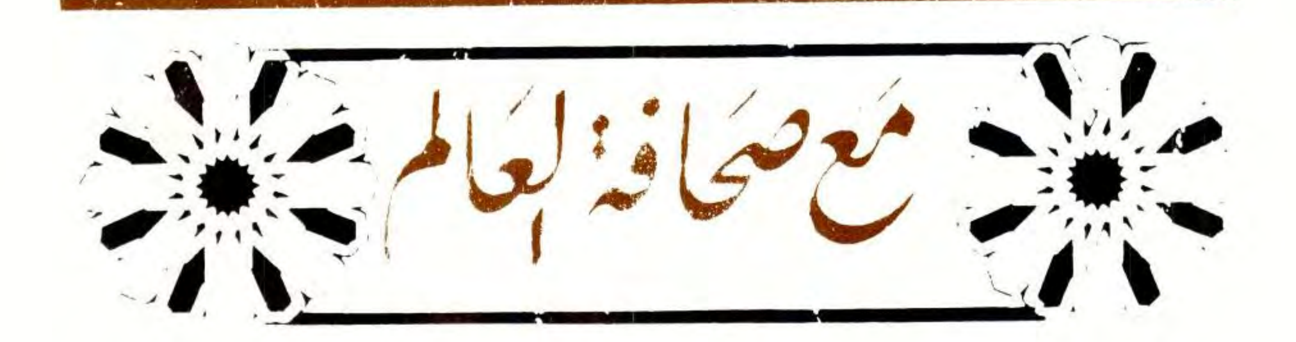
فلا فرق إذن بين المرأة والرجل في المطالبة بغض البصر ، حتى نقطع الطريق على وسوسة الشيطان الرجيم .

ويقول رسولنا - عليه أفضل الصلاة والتسليم - : «لو أن رجلا اطلع عليك بغير إذن ، فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح» فلا قيمة للعين الخائنة ،

ولقد سأل جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن نظر الفجاءة ؟ فأمره الرسول الأعظم ان يصرف بصره .

فالنظرة العابرة .. غير القاصدة للإثم .. إذا ما وقعت فجأة على ما حرمه الله . فلا شيء على صاحبها إذا ما صرف بصره عن الحرام فورا ودون أن يطيل النظر أو يعاوده ، هكذا هو الأدب الاسلامي الرفيع ..

هذا .. ومن الأفضل أن تكون للسيدات مكاتب خاصة بهن ، وللرجال مكاتبهم الخاصة أيضا ، ويجب على المرأة أن تستر ما أوجب الاسلام ستره حيث أن جميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين .. وعلى كل حال فالنظرة الآثمة حرام .. وإذا التزمت المرأة بارتداء الزي الذي يوائم الشريعة الاسلامية فلا مانع من التعامل معها في حدود الاحترام ومع وجود الغير حتى يظل النقاء والطهر والعفاف والشرف هي سمات المجتمع المسلم ، والله الهادي والموفق .



الغزو التنصيري لمسلمي لبنان

جاء في التقرير الاسلامي رقم ١٥ بتاريخ ١٩٨١/١١/٢٧ الذي يصدره المركز الاسلامي للتربية في بيروت تحت هذا العنوان :

يعيش المجتمع الاسلامي في لبنان حاليا اسوأ مرحلة في تاريخه الحديث ، يتكالب عليه فيها مجموعة متنافرة من العوامل الهدامة ، بعضها من داخله ، والبعض الآخر من خارجه ، وهو في غفلة عما يحاك له ، سلبي الارادة ، مشتت الرأي في القضايا التي تعنيه مباشرة .

ذلك ، ان المجتمع الاسلامي في لبنان يواجه حاليا اخطارا منها :

اولا : ـ تفكك القيادة الاسلامية ، وتقاعسها عن أداء مهماتها .

● ـ غربة المناهج التربوية وبعدها عن الاسلام في المؤسسات التربوية والاسلامية .

● ـ نشاط اصحاب المؤهلات العلمية المتشرقين منهم والمتغربين .

ثانيا : ـ غياب السلطة الرسمية واهمالها لقضايا الوطن والمواطن عموما ، والمسلمين على وجه الخصوص .

● ـ اكتفاء اجهزتها بمراقبة النشاطات المعادية لجذور المجتمع اللبناني دون الحد من خطرها .

● ـ تضييقها على القلة المتحركة ، العاملة لحماية المجتمع الاسلامي في لبنان ، وسد السبل امام تطلعاتها .

ثالثا : نشاط البعثات التنصيرية وتغلغلها داخل المجتمع الاسلامي في لبنان عبر :

● ـ المؤسسات التعليمية .

● ـ المراكز والنوادي الثقافية والمكتبات العامة .

● ـ مراكز الخدمات الاجتماعية .

واذا كان تفاعل واثر الخطرين الاولين باديين للعيان وملموسين على ارض الواقع أولا بأول وخطوة خطوة ، فان الخطر الأدهى والأشد هو في نشاط البعثات التنصيرية وتغلغله في المجتمع الاسلامي ببطء شديد واصرار عنيد ، وفعالية اكيدة ، وكفاءة عالية .

وبالنظر الى كثافة تلك النشاطات وتعددها - على الرغم من ضيق المساحة الجغرافية التي تتم عليها - يتبين لنا حجم المأساة المتوقعة ، والكارثة الدهماء التي تنتظر المجتمع الاسلامي في مستقبله القريب .

وللدلالة على ما ذكرنا ، يكفي ان نأخذ بيروت الغربية كمثال حي على النشاط التنصيري القائم على قدم وساق ، لاعتبارات عدة اهمها :

● - ان بيروت مركز الثقل في التواجد الاسلامي في لبنان .

● - ان بيروت تستقطب اعدادا كبيرة من المسلمين من المحافظات الاخرى .

● - ان بيروت بحكم موقعها ونظام الحكم في لبنان تستهوي اصحاب ودعاة جميع التيارات الفكرية الشرقية والغربية .

● - كذلك فان بيروت كانت وما تزال مركز تصدير التيارات الفكرية الى مختلف ارجاء العالم العربي .

وللاعتبارات السابقة ، ومن الكشف اللاحق بأهم المدارس غير الاسلامية ؛ وأهم مراكز التنصير في بيروت الغربية تتحدد لنا الصورة القاتمة والنتيجة المريعة التي سيؤول اليها المجتمع الاسلامي في لبنان .

أهم المدارس غير الاسلامية في بيروت الغربية

رأس بيروت :
راهبات المحبة ، القديسة لويزا
سيدة الوردية (مارونية)
المدرسة الانجيلية الابتدائية
مار الياس المارونية
الثانوية الانجيلية الفرنسية (بروتستانت)
الانجيلية الوطنية للبنان ، ثانوية الانجيلية الوطنية للبنين
القديس منصور لراهبات المحبة .
القديس فرنسيس للآباء الكبوشيين
الراهبات الكرمليات ، القديس يوسف .
الليسيه الفرنسية اللبنانية الصغرى
القديسة حنة لراهبات البزنسون .

المزرعة :

مار مخايل (ارثوذكس)

زقاق البلاط :

راهبات مار يوسف الظهور

مدرسة بيروت الانجيلية للبنات
البطريركية
الانجيلية اللبنانية بيروت للبنات ودار المعلمات
الليسيه الفرنسية اللبنانية للبنات .

المصيطبة

مار الياس المصيطبة المختلطة

(ارثوذكس)
مار بطرس وبولس للسريان الارثوذكس
المدرسة المارونية
الادفنتست السبتية
ثانوية مار سويريوس للسريان الارثوذكس
سيدة المصيطبة للروم الكاثوليك
مار افرام للسريان الكاثوليك
مار الياس بطينا الثانوية
المعمدانية الانجيلية الثانوية

مجمع الكنائس للخدمة الاجتماعية في لبنان

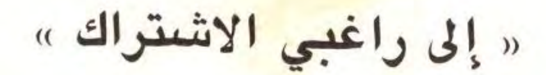
اهم مراكز التنصير .. والخدمات في رأس بيروت

١ ـ مركز ريتا
٢ ـ مركز رأس بيروت
٣ ـ كلية اللاهوت للشرق الادنى
٤ ـ وجدتها « حياة لبنان » .
٥ ـ مركز الاتحاد الكنسي
٦ ـ المركز اللوثري
٧ ـ بيت الرعية « كنيسة الوردية »
٨ ـ المركز الجامعي المسيحي .
٩ ـ الكنيسة الجامعية المعمدانية .

ويبقى السؤال قائما .. بحماية من .. وبسبب تقصير من .. تنتشر هذه المراكز في المناطق الاسلامية ؟!

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وإنتاجكم الفكري والأدبي إلينا
○ كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لإرسال المكافأة .
○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر .
○ الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة
○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة
○ لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .



« إلى راغبي الاشتراك »

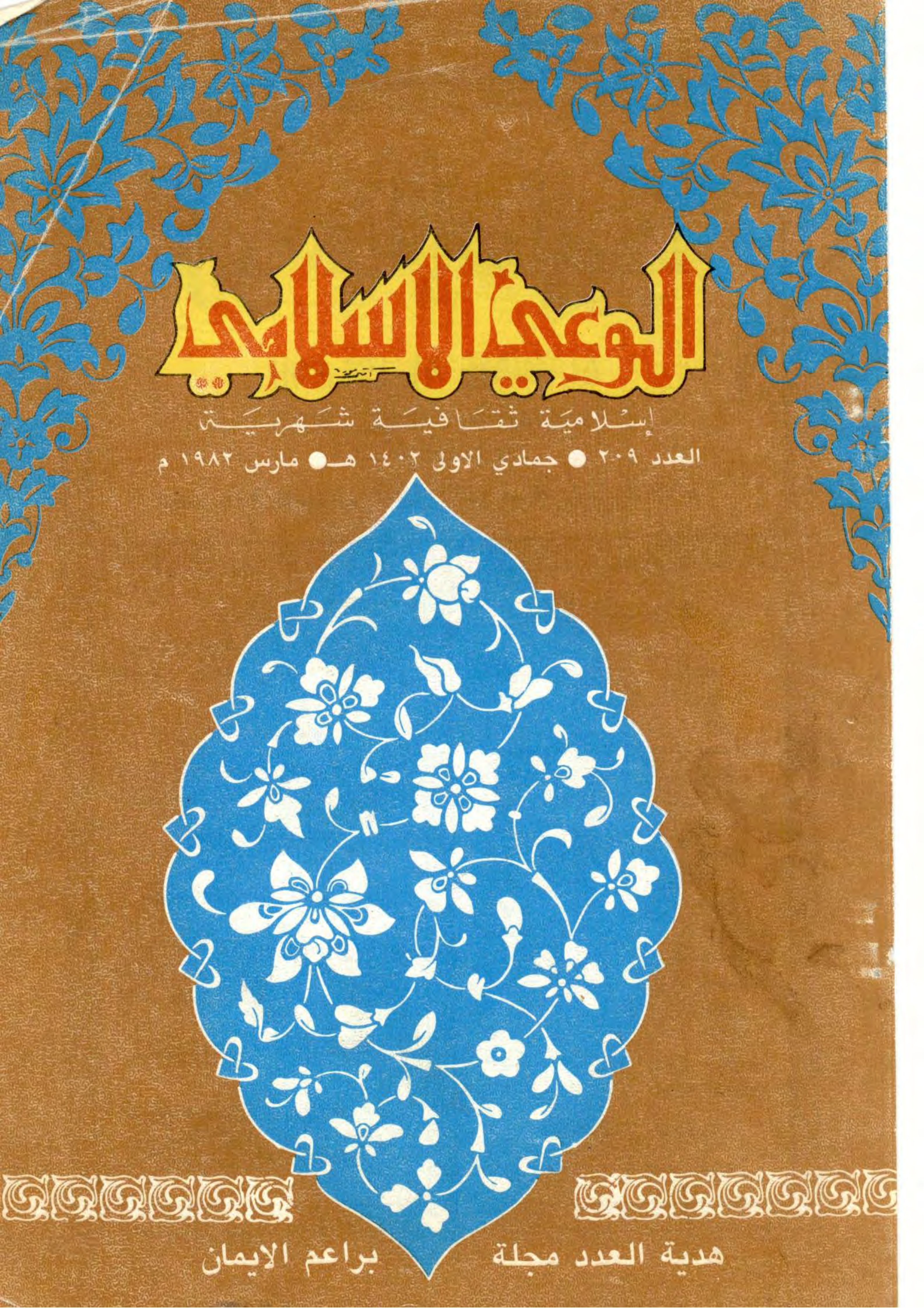
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ



الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٠٩ ● جمادي الاولى ١٤٠٢ هـ ● مارس ١٩٨٢ م
هدية العدد مجلة براعم الايمان



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٩ ● جمادي الاولى ١٤٠٢ هـ ● مارس ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

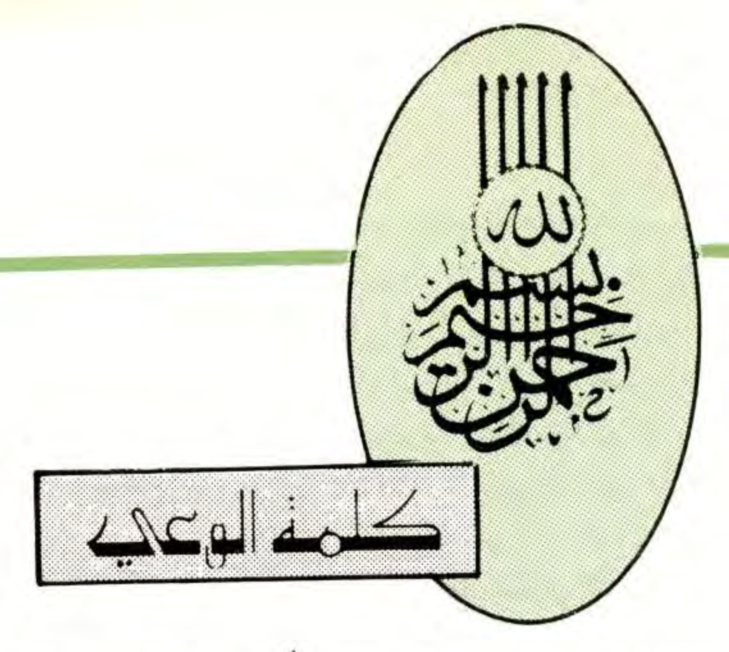
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الاسلام والكرامة الانسانية

لقد كان من تكريم الله للانسان أن خلقه في أحسن تقويم ، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا عظيما ، وآتاه نعما لا تحصى ، وسخر له مختلف الأشياء في البر والبحر والهواء ، وجعل له السيادة والسلطان على تلك الأشياء ، ولم يسخره هو لشيء منها . قال تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) . (**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم**) . (**الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) .. (**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه**) .

والاسلام الحنيف الذي ختم الله به رسالاته وبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد .. هذا الاسلام قد قرر للفرد من بني آدم ـ ذكرا او انثى ، اسود أو أبيض ، ضعيفا أو قويا ، فقيرا أو غنيا ، مسلما أو غير مسلم ـ من الصيانة والحماية والحصانة ما يحفظ به دمه ان يسفك ، وعرضه أن ينتهك، وماله ان يغتصب، ومسكنه ان يقتحم ، ونسبه ان يبدل ، وضميره ان يتحكم فيه قسرا وحريته ان تعطل خداعا ومكرا ، ووطنه ان يخرج منه أو يزاحم عليه .. ولم يكتف الاسلام بتقرير تلك الحماية نظريا ولكنه يطبقها عمليا ، ويهيب بالفرد ان يدافع عن كرامته ، وان يقاتل دونها وان يضحي بنفسه في سبيلها فيقول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد) .

وهذه الحصانة التي كرم الله بها كل فرد هي الدرع الواقي من نزوات الطغاة والجبارين ، وهي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات بين الناس ويظل الفرد

مشمولا بهذه الحماية الى ان ينتهك هو حرمة نفسه بارتكاب جريمة من الجرائم فيرفع عنه جانب من الحماية بقدر جريمته ، وتبقى له الجوانب الأخرى .. وهو في قانون الاسلام ـ منذ ان يتهم ـ بريء حتى تثبت ادانته بالاقرار الصحيح او البينة السليمة . فاذا ثبتت قدرت جنايته بقدرها ونال العقوبة المناسبة لها دون رأفة ولا زيادة ولا يجوز لاحد لا قبل تنفيذ العقوبة ولا بعدها ان يتسلط عليه باي نوع من أنواع الأذى ومن يفعل ذلك يكون ظالما يؤخذ بظلمه وله من الله عذاب اليم (**انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم**) .

وبهذا المسلك السامي يحمي الاسلام اعداءه كما يحمي اولياءه .. يحمي اعداءه في حياتهم فيحول دون قتالهم الا اذا بدأوا بالعدوان (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) .. (**اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله**) ... ويؤمنهم في ميدان القتال من الغدر .. ويصون اجسادهم ـ بعد موتهم ـ من كل تشويه او تمثيل .

والمؤمنون بالله تعالى تسمو نفوسهم فلا يسجدون الا لله ، ولا يخشون احدا سواه .. وهم بالايمان وبالعمل الصالح الذي شرعه الله يستوحون مواهبهم الانسانية العليا ، ويسيطرون على قواهم وغرائزهم الدنيا ، ويسترشدون بامر ربهم وهداه ، ويحاذرون من خدع الشيطان وهواه . وبذلك ينالون الحياة الطيبة في الدنيا حرية وعزة ، فيأبون ان يهونوا على انفسهم وان يذلوا لمخلوق . (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**) .. (**من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) .

تلك هي الكرامة الانسانية التي حافظ عليها المسلمون الأوائل فعزوا وسادوا ، فهل للأحفاد ـ بعد ان وصلوا الى تلك الحال من تسلط الأعداء وسلب الأوطان والمقدسات ، والتفرق والتنازع ـ ان يتدبروا التاريخ ليدركوا ان كرامتهم وعزهم ومجدهم في العمل بالإسلام ، وان امة الاسلام لن تصلح الا بما صلح به أولها ، اعتصام بحبل الله ، ونبذ للتنازع والشقاق ، وتعاون وثيق على الخير واحسان من الولاة لشعوبهم ونصح من الشعوب لولاتهم ؟

ألم يأن لنا أن تخشع قلوبنا لذكر الله وما نزل من الحق ، وان نعتز بحقوقنا فلا نفرط فيها وان نحترم ارادتنا فلا نسمح بقيد عليها من هنا او هناك ، وان نأبى الذل والهوان ، وان نقيم شريعة الله لينتشر العدل والطهر والحرية والعزة في ربوع بلادنا .. ان ذلك هو السبيل الوحيد لإنقاذنا مما نحن فيه وهو الذي يبدل شقاقنا ونزاعنا الى أخوة صادقة ، والفة جامعة ، ووحدة قوية آمنة تقوم على العمل بالاسلام وتنفيذ شريعته قال تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) .. (**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**) .. (**ان هذه امتكم امة**

واحدة وانا ربكم فاعبدون) .

ايها العرب : لقد اختار الله اجدادكم ليكونوا مادة الاسلام الاولى ، فكانوا ـ باهتدائهم به وتنفيذهم لاحكامه ـ سادة الدنيا واساتذة العالم ، واعلام الطهر والعدل ومن واجبكم لتسعدوا بالحياة ان تسلكوا طريق الله الذي سلكوه .

ان ما تسيرون عليه الآن ـ ازاء عدوان الصهيونية والصليبية والشيوعية على بلادكم ومقدساتكم ـ من الشجب والاستنكار والاحتجاج والاحتكام الى الهيئات الدولية المحكومة (**بالفيتو**) من الدول الكبرى التي تعمل على اذلالكم وسلب حقوقكم ، لن يجديكم نفعا ولن يعيد لكم حقا ، بل انه يزيد الداء ويضاعف العلة ، ويرسخ اقدام العدو وييسر له المزيد من العدوان !! .. والطريق الصحيح للخلاص هو العمل . والعمل الجاد الذي ينبعث من الايمان وتقوم به الشعوب المؤمنة بالاسلام ملتحمة مع الحكام الذين يعملون بالاسلام .. وانتم لا تنقصكم القوة المادية فقد منحكم الله وسائلها وما عليكم الا ان تضيفوا اليها قوة النفوس بالايمان بالله والعطاء في سبيله ، والتضحية من اجل الحق والكرامة والشرف ، **(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله)** .

ويوم ان تستجيبوا لنداء الكرامة وتسلكوا طريق العمل ـ كما امر الاسلام ـ ستخشاكم جميع القوى الأرضية الظالمة وتكف اذاها عنكم وتسلم لكم بكل حقوقكم .. ومن يعمل ويجاهد في ظل مرضاة الله يزداد ايمانا كلما خوفه الناس من تجمع القوى الكافرة لحربه فيمضي في جهاده لا يلوي على شيء ولا يخشى من الناس احدا **(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)** .

فلنقابل الاعداء بما يقهرهم ، ويعيد لنا الحقوق المغصوبة ، ولنعتصم بالقول السديد الذي يصحبه العمل القوي المفيد ، ولنعلم ان مواجهة السيف بالحجة فشل ذريع ، وترك لسبيل الهدى ، وعزوف عن طريق النصر !! وقد قال رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل » وقال تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)** .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



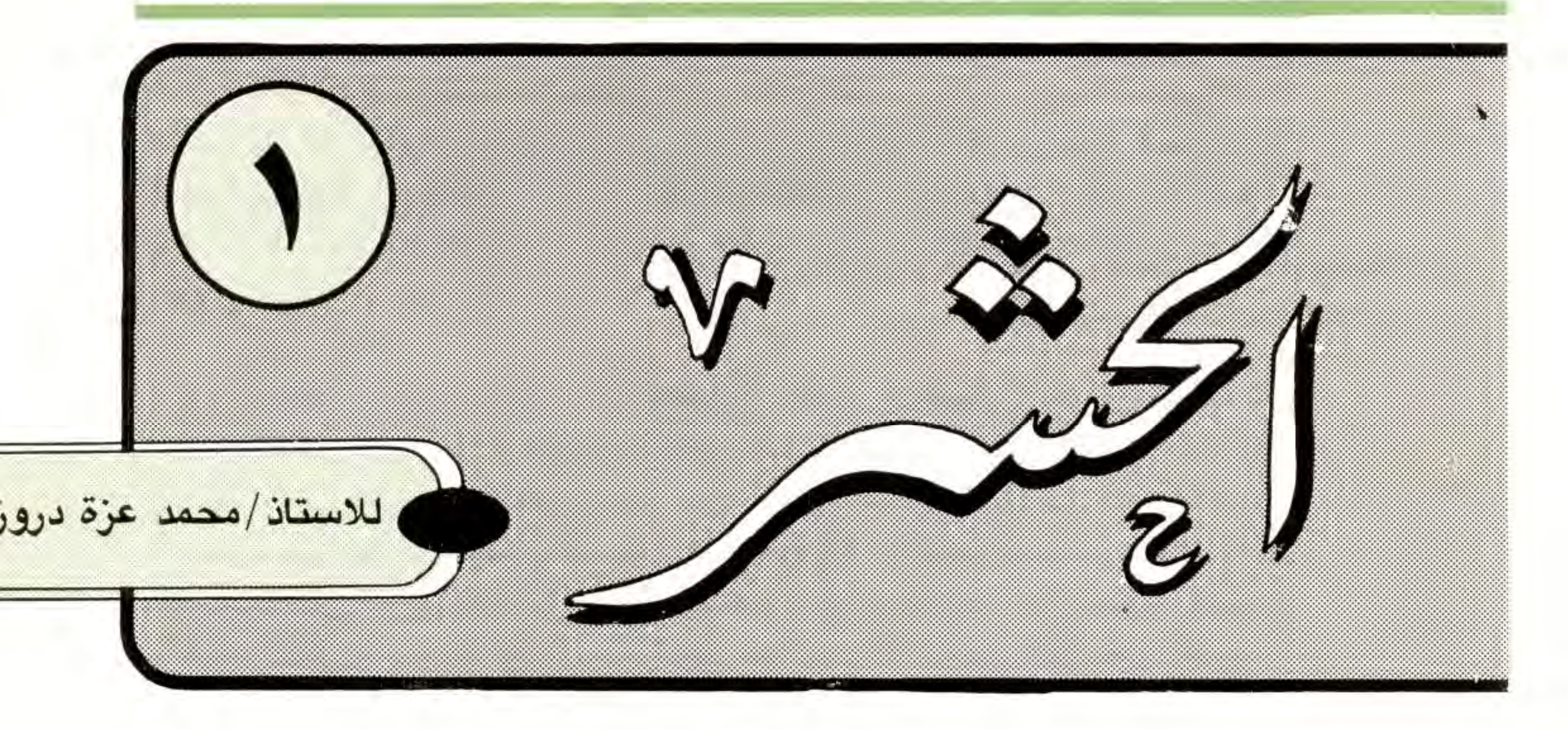
تعريف بالسورة

جل هذه السورة في صدد اجلاء فريق من اليهود عن المدينة المنورة . وما كان من مواقف المنافقين في ظروف ذلك . وتشريع للفيء الذي أفاءه الله منهم ومداه وما كان من تشاد حوله . وفيها أكبر مجموعة لأسماء الله الحسنى . ونرجح أنها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة حسب ما جاءت في المصحف .

والمفسرون وكتاب السيرة متفقون على أن الفريق اليهودي هم بنو النضير إحدى قبائل اليهود الاسرائيليين الذين كانوا يقيمون في المدينة . ومتفقون كذلك على أن حادث إجلائهم وقع بعد نحو خمسة أشهر من وقعة احد . ويسمي المفسرون السورة باسم بني النضير أيضا عزوا إلى ابن عباس وغيره .
(انظر تفسيرها في الطبري والبغوي وابن كثير وغيرهم وانظر ابن هشام (ج ٣ ص ١٩١ ـ ١٩٨) .
وفيها إشارات إلى ما كان لليهود من حصون وعدة حرب . وإلى دخول فريق من أهل المدينة للاسلام قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم(١) هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين



فاعتبروا يا أولى الأبصار[٢] ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار[٣] ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب[٤] .

شرح معنى الآيات

١ ـ إن الله الذي يذكره كل ما في السموات والأرض بالحمد والتقديس والخشوع (وهذا معنى التسبيح) القوى الجانب الحكيم القدير هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من موطنهم لأول الحشر في حين أنه لم يكن المؤمنون يظنون ذلك يتم . وأن اليهود كانوا يظنون أن حصونهم مانعتهم من نكال الله . ولكن هذا النكال أتاهم من حيث لم يكن يخطر ببالهم ويحسبوا حسابه . وقذف في قلوبهم الرعب حتى أنهم خربوا وهدموا بيوتهم بأيديهم فضلا عن أيدي المؤمنين . وأن في ذلك لعبرة يجب أن يعتبر بها أولو الأبصار والعقول .

٢ ـ لقد اقتضت حكمة الله أن يكتفي باخراجهم وجلائهم مع أنهم مستحقون لعذاب أشد في الدنيا . ولسوف يكون لهم في الآخرة عذاب النار . وذلك بسبب ما كان منهم من مشاقة لله ورسوله ومناوأة وعداء . ومن يفعل ذلك يتعرض لغضب الله الشديد العقاب .



١) وأسلوب الآيات يدل على أنها جاءت للعظة والعبرة . وتذكر المسلمين بما يسر

الله لهم بحيث لو لم يكن تيسيره لما تم ما تم . ولم تأت للسرد القصصي . وهذا شأن سائر حوادث الجهاد في القرآن بل سائر قصص القرآن . ولما كانت الآيات التالية لها قد احتوت تشريع تخصيص جميع ما افاءه الله من هذا الحادث من غنائم لبيت مال المسلمين والفئات المحتاجة بأسلوب قوي حاسم . فمن السائغ أن يقال أن هذه الآيات قد جاءت بأسلوبها الذي جاءت به لتبرير ذلك التشريع والله أعلم .

٢) ويتضمن هتاف الآيات : (**فاعتبروا ياأولي الأبصار**) بشرى ربانية تمد المسلمين بالروح والأمل في ظرفهم الحاضر المشابه للظرف الذي كان فيه المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث يحتل الذين كفروا من أهل الكتاب . الصهيونيون اليهود ـ جميع فلسطين عدوانا وقهرا وإغتصابا بعد أن قتلوا الآلاف من أهلها دون تفريق بين ذكر وأنثى وصغير وكبير ومحارب وغير محارب وشردوا معظم من بقي منهم حيا بمساعدة وتأييد طواغيت الاستعمار الطامعين بالسيطرة على بلاد العرب وثرواتها . فالمسلمون الآن يظنون كما كان يظن المسلمون الأولون أنهم غير قادرين على إخراج المغتصبين من أرضهم . والمغتصبون يظنون أنهم لن يغلبوا ولن يقدر المسلمون على استرداد ما إغتصبوه منهم بسبب ما هم عليه من قوة تمدهم بها أميركا طاغوت الاستعمار الأكبر اليوم وبسبب تأييد هذا الطاغوت لهم . ولكن الله تعالى أتى الذين كفروا من أهل الكتاب الأولين من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب وجعلهم يخربون بيوتهم بأيديهم فضلا عن أيدي المؤمنين وأجلاهم عن الأرض المقدسة . وهو قادر على أن يفعل ذلك مع الذين كفروا من أهل الكتاب الجدد الطغاة المعتدين وأنصارهم . ومن تحصيل الحاصل أن نقول أن على المسلمين أن يقوموا بما أوجبه عليهم كتاب الله في آيات عديدة أخرى ليستحقوا نصره وتأييده فيتضامنوا أشد تضامن ويتخلوا عن ما هم فيه من تمزق وتخاذل وتهاون . ـ وكل هذا هو الذي مكن عدوهم وأنصاره من بلادهم ـ ولا يهنوا في كفاحه ويعدوا له كل ما يستطيعون من قوة . وقد منحهم الله نعمته العظمى التي فيها قوة عظمى لو عرفوها وقدروها واستعملوها حق معرفتها وقدرها واستعمالها .

٣) ولقد كان في المدينة ثلاث كتل يهودية . يمتد سكناها فيها إلى أمد غير قصير على ما يدل عليه ما هو يقيني من أنها كانت تتكلم بالاضافة إلى العبرانية العربية ، وتقيم علاقات وثيقة حلفية وغير حلفية مع العرب ، وكان لها مزارع ومرافق وحصون وبالتالي مركز راسخ قوي .

والمفسرون ورواة السيرة متفقون على أن موضوع الآيات هم إحداها المسماة ببني النضير . أما الأخريان فهما بنو قينقاع وكان تم اجلاؤها قبل هؤلاء بنحو سنة . وبنو قريظة وقد تم إجلاؤها بعد هؤلاء بنحو سنتين .

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة كتب عهدا لهذه الكتل الثلاث ،

أمنهم فيه على أموالهم وأملاكهم وحريتهم الدينية والطقسية ، وأقرهم على ما كان بينهم وبين قبيلتي الأوس والخزرج العربيتين من محالفات قبل الاسلام ، وأوجب عليهم الموادة والمسالمة وما يوجبه الحلف عليهم من واجبات غير أنهم رأوا في هجرته وانتشار الاسلام ما يهدد مصالحهم ومنافعهم فوقفوا منه ومن الاسلام والمسلمين موقف الكفر والمناوأة إلا أفرادا معدودين ، ولقد عمدوا إلى أساليب متنوعة في المناوأة والدس والتشكيك والحجاج ، فوسع الله صدر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك . ولكنهم خرجوا عن هذا النطاق إلى نطاق الخيانة والغدر فاستحقوا النكال .

ونخلص من كل ما تقدم إلى ترديد ما جعلناه عنوانا لكلمتنا ، وهو أن الحاجة الملحة ليست إلى مبادرات جديدة بل إلى الجد العربي داخليا وسياسيا وعسكريا ثم إلى موقف عربي جاد تجاه الولايات المتحدة ، التي لولا تأييدها المطلق على أوسع قياس في كل شيء وموقف ، لما كان العدو المجرم وقف وظل يقف موقفه المستهتر المتغطرس المهين من العرب ومن جميع المبادرات والقرارات ، بحيث صارت بحق هي أعدى أعداء العرب وأشدهم لؤما . ويزداد هذا اللؤم نصاعة أو بشاعة حينما تتنطع لزعامة الدفاع عن حقوق الانسان في الدول الأخرى بسبب حوادث فردية ، بينما تؤيد ذلك التأييد الواسع عصابات الاجرام فيما تمارسه من أبشع أعمال العدوان على حقوق الانسان بالنسبة لوطن كامل وشعب كامل ، وفيما تدوسه من مواثيق دولية وفيما تتحداه من قرارات وإدانات دون توقف لحظة واحدة ..

٤) وخلاصة ما ذكرته الروايات في صدد حادث بني النضير موضوع التفسير ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب مع بعض أصحابه إلى محلتهم للاستعانة بهم على دية قتيل ، كان بين قوم قاتله وبينهم حلف وعهد جريا على التقاليد الجارية ، فتظاهروا بالاستعداد لتلبية طلبه . ولكن بعضا منهم قال لبعض ، إنكم لن تجدوا فرصة أحسن من هذه الفرصة لقتل محمد ، وأخذوا يدبرون طريقة ذلك ، فأوحى الله إليه محذرا ، فانسحب بسلام وأرسل إليهم في اليوم التالي إنذارا بالجلاء في ظرف عشرة ايام على أن يأخذوا أموالهم المنقولة ويقيموا وكلاء على أراضيهم وبساتينهم . وكانوا حلفاء لكبير المنافقين في المدينة عبدالله بن أبي بن سلول أحد رؤساء قبيلة الخزرج العربية المقيمة في المدينة . وكان معه في نفاقه جماعة من عشيرته ، فاستشار بنو النضير هذا الرئيس فحرضهم على الرفض ، ووعدهم بالنصر مع جماعته فاغتروا ورفضوا ، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين المخلصين الذين كان منهم كثير من قبيلة الخزرج وزعمائهم أيضا ، وضيقوا عليهم ولم يف المنافقون بوعدهم لهم فاستولى الرعب عليهم ورضوا بالجلاء بشروط أشد من الأولى بسبب رفضهم وعنادهم ، وهي تسليم سلاحهم وتنازلهم عن أراضيهم وبساتينهم والخروج بمنقولاتهم فقط .

ومما روته الروايات أن بني النضير أرادوا التجلد وإظهار الخيلاء وهم يخرجون ، فكانت قيانهم يعزفن وأصحاب الدفوف والمزامير يضربون بدفوفهم

ومزاميرهم . وأنهم هدموا بيوتهم وحملوا سقفها وعضائدها وأبـوابها من الخشب . لئلا ينتفع بها المسلمون وأن بعض الأبنية بقيت قائمة فخربها وهدمها المسلمون . وأن اثنين منهم أسلما فبقيا حيث هم سالمة لهم أموالهم وأن منهم من ذهب إلى بلاد الشام ومنهم من ذهب إلى خيبر فأقام مع يهودها . ومن هؤلاء زعماؤهم الذين هم يهود خيبر . وأن عدد السيوف التي استولى عليها المسلمون منهم ٣٤٠ وعدد الدروع خمسون وعدد البيض أو مغافر الرأس خمسون .

٥) ولقد تعددت تأويلات المفسرين ورواياتهم لجملة (**لأول الحشر**) . من ذلك أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أين نخرج فقال لهم إلى أول الحشر في الشام ومن ذلك أن معناها هذا هو الحشر الأول أي الجلاء الأول ويعقبه حشر ثان أو جلاء ثان وهو ما تم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ومن ذلك أنهم استسلموا وقبلوا الخروج لأول ما حشر النبي وشدد الحصار عليهم واستعد لقتالهم . ولعل التأويل الأخير هو الأوجه . لأنه لم يقع بينهم وبين المسلمين قتال . وهو المتسق مع روح الآية الثانية التي هي بسبيل تقرير ما كان من تيسير الله لخروجهم بسهولة وسرعة لم تكونا متوقعتين لاحد .

٦) وجملة (**ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله**) في الآية الأخيرة واسعة المدى والشمول . وتدل على أنه كان من يهود بني النضير مواقف عديدة مؤذية ومزعجة تجاوزت موقف الجدل والمناظرة في شؤون الدعوة بل وتجاوزت مواقف التشكيك والاستهتار والاستخفاف والطعن وإن محاولتهم اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت السبب المباشر .

ولقد كان كعب بن الأشرف منهم . وكان شاعرا يجيد العربية وينظم فيها ، فكان يهجو النبي والمسلمين بقصائده المقذعة ، ويتشبب بنسائهم ويحرض مشركي قريش عليهم ويرثي قتلاهم في وقعة بدر حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم انتدب بعض أصحابه لاغتياله فذهبوا واغتالوه فعلا وكان ذلك قبل وقعة إجلاء قبيلته بوقت قصير على ما ذكره ابن هشام في سيرته وابن سعد في الطبقات .

٧) وزعيم المنافقين هو زعيم عشيرة بني عوف من أقوى عشائر قبيلة الخزرج . وقد روى ابن هشام عن ابن اسحق أن قومه كانوا ينظمون الخرز ليصنعوا له تاجا ويعلنوه ملكا عليهم . وفي هذه الأثناء تم الاتصال بين النبي صلى الله عليه وسلم وبعض رجال الخزرج والأوس في مكة فآمنوا وبايعوا النبي على نصرته والدفاع عنه إذا هاجر هو وأصحابه إلى مدينتهم ، وتم ذلك وبدأت الهجرة وأخذ الاسلام ينتشر في المدينة حتى قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فشغل هذا الحادث العظيم قوم ابن أبي بن سلول عنه ، وخاب أمله في الملك فحقد على النبي صلى الله عليه وسلم وحركته وتعصب له بعض عشيرته . ولقد كان الظرف مانعا لهم من

التظاهر بالكفر والشرك ، فتظاهروا بالاسلام وكانوا يصلون ويزكون ويشتركون في الجهاد ، ولكنهم ظلوا يضمرون الكفر والعداء ويقفون مواقف المناوأة والأذى والتنشيط والمراوغة والدس بل والتآمر مع الأعداء من مشركين وكتابيين في مختلف المناسبات والأوقات وخاصة في أوقات الأزمات والحرج مما رددته آيات كثيرة في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والأحزاب ومحمد والحديد والمجادلة و « المنافقون » .

ولما تطير يهود المدينة من هجرة النبي والمسلمين إليها على ما ذكرناه قبل . سارعوا إلى الاتصال بالمنافق الكبير وتم بينهم تحالف جديد . وكانوا وراءه في معظم مواقفه حتى سماهم القرآن شياطين في آيات سورة البقرة هذه التي كانت أولى آيات نزلت فيهم :

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) البقرة ٨ ـ ١٥ .

وكان من أشد وأنكى مواقف هذا الزعيم ما رددته سورة « المنافقون » من تحريض الأنصار على عدم مساعدة فقراء المهاجرين ـ وكان جلهم فقراء ـ لأنهم تركوا أموالهم وأملاكهم في مكة ـ ومن قسمه بأن يخرج الأعز في المدينة الأذل منها حاسبا نفسه الأعز والنبي والمهاجرين الأذل : **(هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** المنافقون ٧ و٨ .

وكان هذا الموقف أثناء غزوة قادها رسول الله وكان كبير المنافقين وجماعته فيها مع معظم الأنصار والمهاجرين . وهتف المنافق الكبير في الأنصار قائلا (هكذا فعلتم في أنفسكم وحق عليكم المثل (سمن كلبك يأكلك) ثم قال ما حكته الآيات) . ولقد استأذن أحد كبار المهاجرين النبي بقتله فقال النبي لا أريد أن يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه . والتمس زعيم من الأنصار من النبي توسيع صدره وقال له لقد جئتنا يارسول الله وقومه ينظمون الخرز له لتتويجه وأنه ليحسب انك استلبته ملكا . فقال نعم سنوسع صدرنا له . وكان له ابن مخلص الايمان هو عبدالله فجاء إلى رسول الله وقال له إن كنت آمرا بقتل أبي فأمرني فأنا أقتله . لأني أخشى أن يقتله غيري وتأخذني العصبية فأقتل مؤمنا بكافر . فقال له رسول الله بل نتسامح معه . فقال الابن أما وقد قلت هذا فليعلمن غدا أن رسول الله هو

الأعز وأنه هو الأذل . ثم وقف بباب المدينة ومنع أباه من دخولها حتى يعلن أنه هو الأذل ورسول الله هو الأعز ففعل .

ونكتفي بما تقدم لان الموضوع ليس موضوع المنافقين في أصله . مع التنبيه على أن نطاق النفاق ومواقف المنافقين المؤذية لم تكن قاصرة على هذا الزعيم وجماعته بل كان هناك أفراد آخرون من أهل المدينة وجماعات من البدو منهم المعروفون ومنهم المستورون الذين تفضحهم مواقفهم على ما ذكرته آيات قرآنية عديدة في سورة التوبة وغيرها وعلى ما ذكرته الروايات وإن كانت مواقف ذلك الزعيم وجماعته كانت هي الأشد نكاية وأذى . ومع التنبيه كذلك على أن مركز هؤلاء أخذ يضعف وقوتهم تهن وعددهم يتناقص بعد طرد اليهود شياطينهم من المدينة واتساع نطاق الاسلام وسلطان النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل أمرهم بعد أن كانوا يظنون أنهم الأعز في المدينة إلى الحالة التي وصفتهم بها آيات سورة التوبة التي هي من أواخر ما نزل من القرآن (**ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون**) ٥٦ و ٥٧ . التوبة

(**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**) (الحشر) ٥ .

شرح وتعليق :

١ ـ اللينة هي غرسة النخيل الفتية في قول ، ونوع من جيد النخل في قول آخر .

٢ ـ مما روته روايات السيرة إن النبي لما شدد الحصار على بني النضير أمر بسبيل ذلك بقطع غراس النخيل في بساتينهم . لارهابهم وإرغامهم . فهتف بنو النضير بالنبي مندددين بما فعله بالنخيل وواصفين ذلك بالشذوذ والقسوة والعبث . ومما روى أن زعيم المنافقين وجماعته الذين كان بنو النضير حلفاءهم هم الذين هتفوا بذلك فاقتضت حكمة التنزيل بوحي الآية لتبرير الفعل . فان ما قطعوه من النخل كان باذن من الله وما أبقوه باذن من الله وأن القطع كان لخزي العاصين المتمردين . وكأنما أريد أن يقرر بها أن القطع كان عملاً من أعمال الحرب التي تقرها ضرورات الحرب فلا يصح سوقها في معرض التنديد . والآية والحالة هذه استمرار للسياق وبسبيل حادث آني وقع في ظروف الحصار وهذا من أساليب التنزيل القرآني .

وقد يكون في التبرير القرآني اجازة لأي عمل من نوعه يؤدي إلى إرغام العدو حينما تقوم حالة حرب وعداء بين المسلمين وغيرهم ، والله تعالى أعلم .

قال تعالى :

(**وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن**

الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير(٦) ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب(٧)

معاني بعض الكلمات :

١) أفاء : منح أو يسر . ٢) أوجفتم : هيأتم . ومعنى جملة (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) لم تسيروا مسيرة تحتاج إلى خيل وركائب وتتحملوا فيها حربا وتضحية ومشقة فيما أفاء الله على رسوله حيث كان ذلك من تيسير الله تعالى .
٣) كيلا يكون دولة بين الاغنياء ـ لئلا يكون المال الذي يحصل من هذا الفيء الذي يسره الله بهذه السهولة مما يصح أن يتداوله الأغنياء .

شرح مضمون الآيات :

تضمنت الآيات :

١ ـ مقدمة تبريرية لتشريع الفيء . فأملاك اليهود المجليين التي منحها الله هي هبة وتيسير منه . وقد مكن الله رسوله من ذلك وهو الذي يسلط رسله على من يشاء وهو القدير على كل شيء ولم يكن على المسلمين في ذلك مشقة وكلفة في حرب واعداد ومؤونة للحرب .

٢ ـ تشريعا لما استولى عليه المسلمون من بساتين ومزارع الأعداء . فهو والحالة كما ذكرت لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . ولا يصح أن يكون منه شيء للأغنياء من المسلمين حتى لا يبقى المال محصور التداول بين الأغنياء .

٣ ـ تدعيما لهذا التشريع . فعلى المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا . فما أتاهم الرسول أخذوه . وما نهاهم عنه ومنعه عنهم وجب عليهم ان ينتهوا ويمتنعوا عنه . وعليهم بتقوى الله والوقوف عند أوامره فانه شديد العقاب على من يخالف ويتجاوز حدوده المرسومة . والجملة الأخيرة تتضمن تقرير كون ما يفعله الرسول من مثل ذلك هو من وحي الله وأمره .

روايات سبب نزول الآيات :

لقد روى البغوي والخازن أن بعض المسلمين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم قسمة غنائم بني النضير كقسمة غنائم الحرب التي نزل تشريعها في سورة الأنفال ، أي إفراز خمسها للمصارف الستة المذكورة وتوزيع الأخماس الأربعة على المشتركين في الحصار . والطبري يروي أن الذين طلبوا ذلك كانوا جماعة من

الأنصار . وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى أن جميع غنائم بني النضير يجب أن تكون للمصارف الستة لأن المسلمين لم يوجفوا على إحرازها خيلا ولا ركابا وأن الآيات نزلت بسبيل تأييد رأي النبي صلى الله عليه وسلم .

تعليق على مدى تشريع الفيء :

إن أسلوب الآية الثانية يجعل التشريع فيها عاما شاملا لكل ما دخل في حوزة رسول الله وخلفائه من بعده بالتبعية من أموال العدو بدون تكلف المسلمين نفقة ومشقة ليكون لبيت المال وينفق على مصالح الاسلام والمسلمين العامة وعلى فقراء المسلمين ومحتاجيهم .

وهذا ثاني تشريع قرآني ورسمي بعد تشريع الغنائم الحربية في سورة الأنفال . وقد عرف باسم (الفيء) اقتباسا من نص الآيات وروحها . وهو أعظم خطورة وأبعد مدى من تشريع الغنائم لأن هذا التشريع جعل الخمس فقط للمصارف الستة بينما جعل تشريع الفيء جميع الفيء لها .

توضيح للمصارف الستة :

١ ـ هناك من قال أن المصارف خمسة وأن ذكر الله في أولها للتشريف . وهناك من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفرز سهما للكعبة ويقول هذا سهم الله وينفقه على شؤونها وليس هناك حديث وثيق وصريح . ولقد ذكر (سبيل الله) في مصارف الزكاة التي وردت في آية سورة التوبة : **(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل)** التوبة ٦٠ .

ويتبادر لنا ـ والله أعلم ـ أن كلمة (الله) في آية الفيء وجملة (سبيل الله) في آية الصدقات في معنى وهدف واحد . وسبيل الله هي الدعوة الاسلامية والدفاع عنها وضمان حريتها ويدخل في ذلك الحرب ووسائله حينما يقتضي الأمر ذلك ، فاذا صح هذا ونرجو أن يكون صوابا فيكون سهم الله هو سهم سبيل الله وتكون المصارف ستة . ومن تحصيل الحاصل أن التصرف بهذا السهم هو لولى أمر المسلمين .

٢ ـ هناك من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ سهما فينفق منه ما هو في حاجة بيته ونسائه وشؤونه الخاصة ويضع الباقي حسبما شاء . وهناك ما روى أنه كان يعطي أقاربه ما فضل من هذا السهم أي سهم (الرسول) وليس من تعارض بين الروايتين . ولقد تعددت الروايات في هذا السهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها أنه صار لخليفته . ومنها أنه من حق أقاربه ومنها أن أبا بكر رضي الله عنه رده إلى بيت المال . ومنها أنه جعله لشراء السلاح والكراع .

وإن ما كان يفعله أبو بكر كان يتم بعد التشاور بينه وبين كبار أصحاب رسول الله . وإن هذا جرى على ذلك بعد أبي بكر أيضا .

والمستفاد مما أورده جمهور المفسرين من أهل السنة من روايات وأقوال أن سهم رسول الله ينفق على سبيل الله . ولقد اتفق أصحاب رسول الله على تخصيص نفقة لخليفته الأول وصار الخلفاء يأخذون نفقتهم من بيت المال . ولم يكن شيء من ذلك في زمن النبي في حياته فلم يكن من محل لتحويل سهم رسول الله لخليفته .

وقد وردت احاديث في صدد سهم رسول الله في الفيء الذي خصص جميعه لما خصص له خمس الغنائم . ولكن دلالتها شاملة لسهم رسول الله في حياته وبعد وفاته كما هو المتبادر القوي منها حديث رواه الخمسة عن عمر قال : « كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل وركاب فكانت خاصة للنبي ينفق على أهله منه وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله » . ومنها حديث رواه أبو داوود عن عمر جاء فيه : « كانت لرسول الله ثلاث صفايا ، بنو النضير وخيبر وفدك ، فأما بنو النضير فكانت جميعها لنوائبه وأما فدك فكان حبسا لابناء السبيل . وأما خيبر فجزأها رسول الله أجزاء ، جزأين بين المسلمين وجزءا لنفقة أهله وما فضل منه جعله في فقراء المسلمين .

وحديث رواه الشيخان وأبو داوود والنسائي عن عمرو بن الحارث قال : « ما ترك رسول الله عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شاة إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة » . وروى الخمسة عن عائشة قالت أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ويطلبان أرضهما من فدك وسهمهما من خيبر فقال لها أبو بكر سمعت رسول الله يقول « لا نورث ما تركنا صدقة . إنما يأكل آل محمد من هذا المال » .

وهناك صيغة أخرى لهذا الحديث رواه الأربعة جاء فيها : « إن فاطمة بعد وفاة النبي سألت أبا بكر ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه فقال لها : سمعت رسول الله قال « لا نورث ما تركناه صدقة » . وقال لست تاركا شيئا كان النبي يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئا أن ازيغ .

وحديث آخر رواه الأربعة عن عائشة جاء فيه : « كانت فاطمة تسأل ميراثها عن النبي من صدقته بالمدينة ومن خيبر وفدك . فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس فغلبه عليها علي وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال هما صدقة النبي كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر قال فهما على ذلك إلى اليوم » .

فيكون في هذه الأحاديث الصحيحة حسم في صدد مآل سهم رسول الله بعد موته .

وننبه على أن الطبري والبغوي يرويان حديثا طويلا فيه كثير مما جاء في الأحاديث الصحيحة وفيه توضيح وحسم أيضا . وقد أورداه في سياق تفسير آيات

الفيء في سورة الحشر وقد جاء فيه :
« إن عمر بن الخطاب عهد بسهم رسول الله في الفيء إلى العباس وعلي رضي الله عنهما بعد أن أخذ عليهما عهدا بأن يجعلاه مجعل مال الله كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر من بعده ثم هو في السنتين الأوليين من عهده وقد اختلفا واختصما وراجعاه ليقضي بينهما فقال لهما اتئدوا أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله قال لا نورث ما تركناه صدقة . قالا قد قال رسول الله ذلك ؟ فأقبل عليهما وقال : إني أحدثكم عن هذا الأمر وأن الله قد خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحد غيره . وكانت خالصة لرسول الله . والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم فقد عطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله ينفق على أهله نفقة سنتهم ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله ثم توفي فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله فقبضها فعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله . وأنتما حينئذ جميع . والله يعلم انه فيما فعل صادق بار راشد تابع للحق ثم توفي أبو بكر فقلت أنا ولي رسول الله وأبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر . والله يعلم إني فيه صادق بار راشد تابع للحق . ثم جئتماني كلاكما فقلت إنكما تعلمان أن رسول الله قال لا نورث نحن الأنبياء ما تركناه صدقة فان شئتما دفعته إليكما على أن تعملا فيها بما عمل به رسول الله وأبو بكر وما عملت منذ وليت ، وإلا فلا . فقلتما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما . أفتلتمسان قضاء غير ذلك . فوالله الذي تقوم السماء والأرض باذنه لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما فادفعاها لي فاني أكفيكماها » . وفي هذا الحديث توضيح لنقطة مهمة في حديث عائشة الأول الذي رواه الأربعة وهي تسليم عمر عليا وعباس رضي الله عنهم جميعها « صدقة النبي في المدينة » فالحديث يوضح أن هذا بمثابة تولية من عمر لعلي وعباس لانفاقه على النحو الذي كان يفعله النبي وأبو بكر من بعده ، وليس على سبيل كونها إرثا لهما وحقا شخصيا . والطبري والبغوي من أئمة الحديث ، والراجح أنهما متثبتان من هذا الحديث .

٣ ـ وفي صدد سهم (ذى القربى) روايات وأحاديث متنوعة ، رواها المفسرون في سياق تفسير سورة الأنفال ، ووردت في بعض كتب الحديث . ومن الروايات أن هذا السهم لقريش لأن جميعهم أقارب لرسول الله . ومنها أنه لأقارب رسول الله الأدنين « بني هاشم أو بني هاشم وبني عبد المطلب » لأن النبي حرم الصدقات عليهم في حديث رواه مسلم والنسائي عن عبد الله بن الحارث أن رسول الله قال : « إن هذه الصدقات من أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد » ومن الروايات رواية عن المنهال قال « سألت عبد الله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا . فقلت لعلي إن الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل . قال : يتامانا ومساكيننا . ومنها إن عليا طلب من النبي أن يدفع له سهم ذى القربى ليقسمه في بني هاشم حتى لا يزعجهم فيه أحد بعده ففعل ثم ولاه إياه

أبو بكر ثم عمر ثم عزله هذا عنه ثم أراد أن يرجعه إليه فقال له ما بنا إليه حاجة والمسلمون لهم حاجة به فقال له العباس إنك حرمتنا شيئا لا يرد علينا أبدا إلى يوم القيامة « هذه رواها أبو يوسف في كتاب الخراج .

ومنها أن سهم ذى القربى كان لرسول الله يضعه حسب ما يرى . صار بعد موته هو وسهم رسول الله لولي الأمر يضعهما حسب ما يرى أو يضعهما في مئونة الاسلام وأهله . وإن هذا كان نتيجة تشاور بين أصحاب رسول الله وجرى عليه عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . وروى الامام أبو عبيد في كتاب الأموال عن عبدالله بن المبارك عن محمد بن اسحق قال سألت أبا جعفر محمدا بن علي فقلت كيف صنع علي في سهم ذى القربى حين ولي الناس ، قال سلك به سبيل أبي بكر وعمر . وهناك حديثان صحيحان في هذا الصدد رواهما البخاري وأبو داود عن جبير بن مطعم قال « مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله أعطيت بني عبدالمطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال : إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد » وجاء في ثانيهما « لم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل . قال ابن إسحق وعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم . وأمهم عاتكة بنت مرة . وكان نوفل أخاهم لأبيهم » . وليس في الحديثين صراحة إن الذي أعطاه النبي لبني هاشم وبني عبدالمطلب هو سهم ذى القربى . وكل ما يفيده أنه أعطاهم شيئا من الغنائم أو الفيء .

وعلى كل حال ليس هناك حديث وثيق السند صريح النص في كتب الأحاديث المعتبرة بأن سهما من خمس الغنائم كان يوزع على أقارب رسول الله أو بني هاشم في زمن النبي وخلفائه الراشدين الأربعة . ومعظم الأقوال تؤيد أن هؤلاء الخلفاء جعلوا هذا السهم مع سهم رسول الله في بيت المال لينفق على السلاح والكراع ومعونة الاسلام وحاجة المسلمين عامة .

والمؤمن الحق الذي يعرف الخلفاء الثلاثة ، هم ممن مات النبي وهو راض عنهم ، وممن سجل الله رضاءه عنهم في الآية (١٠٠) من سورة التوبة ، لا يمكن أن يسلم بأنهم فعلوا غير ما عرفوا أنه الحق الموافق لسنة رسول الله وإلهام كتابه

ولقد أول بعضهم جملة (ذي القربى) بذي العمل الذي فيه قربى إلى الله في خدمة الاسلام والمسلمين ومصالحهم ومادام أنه لم يثبت بنص صريح صحيح أن النبي وخلفاءه أعطوا سهم ذي القربى لفئة ما من الأقارب وأتى عنهم أنهم كانوا يجعلونه في معونة الاسلام وأهله والكراع والسلاح مع سهم رسول الله فنحن نرى هذا التأويل وجيها ومتسقا مع ذلك بحيث يصح القول أن حكمة الله شاءت التنبيه على وجوب مكافأة ذي الجهد والخدمة النافعة للاسلام والمسلمين ويصبح القول بالتالي إن هذا السهم هو لمصلحة الاسلام والمسلمين العامة مثل سهام الله ورسوله . وقد يكون مقابلا أو شبيها لسهم المؤلفة قلوبهم المذكورين في مصارف الزكاة (الصدقات) والتوجيه القرآني في تخصص مكافأة لهذه الفئة مع احتمال كونها غنية تعليل مستمر المدى إذا ما صح التأويل الذي يؤيده ورود (ذى

القربى) بصيغة المفرد . فلو كان المقصود أقارب رسول الله الذين كانوا في حياته وذرياتهم من بعده لاقتضى - والله أعلم - أن يأتي بصيغة الجمع حتى يكون شاملا . ولقد إستعمل القرآن إشتقاق (قرب) في معان قريبة لهذا التأويل كما جاء في آية سورة التوبة هذه : (**ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم**) ٩٩ . وفي آية سورة سبأ - ٣٧ وسورة الزمر - ٣ شيء من هذا حيث يمكن الاستئناس به على وجاهة التأويل . وقد يؤيده أيضا أن معظم أقارب رسول الله حين نزول آية الغنائم في سورة الأنفال عقب وقعة بدر بل حين نزول آية الحشر كانوا غير مسلمين وفي مكة . ومنهم من إشترك في وقعة بدر في جانب المشركين . وممن ذكرت الروايات أسماءهم من أسراهم (العباس بن عبد المطلب عم النبي وعقيل بن الأسود بن أبي طالب ونوفل إبن الحرث بن عبد المطلب وأبو عزيزبن عمير بن هاشم والسائب بن هاشم ونعمان بن عمرو بن عبد المطلب . وأبو لهب عم النبي أرسل بديلا عنه . وروى أنه مات جزعا حينما علم بكسرة قريش .. (الاسماء من ابن هشام ج٢ . وفي تفسير الطبري وابن كثير لسورة الأنفال) والله تعالى أعلم .

٤ - وفي صدد (المساكين) الذين خصصوا بسهم . نقول إنهم ذكروا في الفيء والغنائم وحدهم في حين أنهم ذكروا في آية (الصدقات) مع الفقراء .

وليس كل فقير مسكينا في حين أن كل مسكين فقير . وقد عرف المسكين في حديث نبوي بأنه « الذي لا غنى يغنيه ولا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه » . وهكذا يكون في تخصص المساكين في تشريع الفيء والغنائم لفتة ربانية كريمة لهذه الفئة المعوزة المتعففة عن السؤال .

وهي لفتة تكررت في القرآن في مناسبات عديدة .

٥ - وفي صدد (اليتامى) نقول : إنه من تحصيل الحاصل أن يكون المقصودون هم الفقراء الذين لا مال لهم . وهم أشد من المساكين عوزا لأنهم صغار ضعاف . وقد حظي اليتيم بلفتة القرآن الكريمة في مناسبات عديدة هو الآخر .

٦ - و (ابن السبيل) هو على ما هو المتبادر المجتاز من أرض إلى أرض وقد نفد ما في يده وأصبح محتاجا إلى مساعدة ولو كان في بلده غنيا على ما يستفاد من معظم الأقوال التي ذكرها المفسرون ، وهناك من قال إنه الضعيف الطارق إطلاقا . وروح الآية تجعل الرجحان للقول الأول مع القول أن القول الثاني لا يفقد وجاهته وبخاصة إذا كان الضيف غريبا محتاجا .

وواضح مما تقدم أن مصارف الفيء نوعان إجمالا . واحد لمصلحة الاسلام والمسلمين العامة وواحد للمعوزين من المسلمين . وهذا ملموح في مصارف خمس الغنائم والزكاة أيضا .

تبدو روعة التشريع خاصة في صدد اختصاص الفئات المعوزة بنصيب من إيرادات الدولة وجعل مساعدة هذه الفئات واجبا إلزاميا من واجباتها . وفي الآيات التالية من السورة توكيد قوى ورائع لهذه النقطة .

ولقد تعددت أقوال المفسرين والفقهاء في كيفية توزيع السهام حيث قال بعضهم أنه تقسم إلى ستة أقسام متساوية ويصرف على كل مصرف حصته . وحيث قال بعضهم أن هذا متروك لولي أمر المسلمين يتصرف فيه حسب مصلحة الاسلام والمسلمين . وليس هناك حديث صحيح نبوي أو راشدي فيه حسم إلا ما كان في صدد سهم رسول الله حيث جاء في الأحاديث الصحيحة التي أوردناها قبل ، إن رسول الله كان يفرز سهمه فينفق منه على نفسه وبيته ويوجه ما بقي لوجوه البر ومصلحة المسلمين . ولقد أصبح هذا السهم لبيت مال المسلمين بعده . والآية مطلقة بأن الفيء لجميع المصارف المذكورة فيها والذي تذكره الروايات والسيرة والتاريخ من لدن النبي وبعده . إنه كان بيت مال إسلاميورد إليه جميع ما يجيىء من صدقات ويقبض من فيء وجزية وغنائم عينية ونقدية ويصرف منه بأمر ولي المؤمنين . ووكلائه على ما يقتضي . وهذا متسق مع القول الثاني . مع القول أن من الواجب ملاحظة جميع ما ذكر في الآية من مصارف مادامت حكمة الله تعالى قد اقتضت ذلك ذكرها .

تعليق على قوله تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**) .

١ ـ مع ان هذه الجملة جاءت لتدعيم تشريع الفيء الذي احتوته الجملة السابقة لها ثم لتوطيد سلطة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فانها جاءت في صيغة مطلقة فصارت تشريعا عام الشمول بوجوب اتباع أوامر النبي صلى الله عليه وسلم وسننه القولية والفعلية كجزء من العقيدة الاسلامية . وقد أكد القرآن هذا في آية أخرى في سورة النساء وهي : (**من يطع الرسول فقد أطاع الله**) ٨٠ بالاضافة إلى آيات أخرى فيها تدعيم مثل آيات سورة آل عمران : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين**) ٣١ ، ٣٢ ٧ وآيات سورة النساء : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) ٥٩ و (**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) ١٦٤ و ١٦٥ . وآية النور هذه : (**قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) ٥٤ ٧ وغيرها وغيرها . والجملة التي نحن في صددها والآيات التي أوردناها وما في بابها تتضمن إيذانا من الله عز وجل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به وينهي عنه عن الأمر إلا بما هو صالح وخير وعن النهي إلا بما هو ضار وشر وباطل .

٢ ـ وننبه على أن هذا ليس من شأنه أن يتناقض مع ما تضمنته بعض الآيات من عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم عن بعض ما فعله مثل آيات سورة عبس : (**عبس وتولى . أن جاءه الأعمى**) ١ ـ ١٠ وسورة الاسراء : (**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**) ٧٣ ـ ٧٦ . وسورة الانفال : (**ما كان لنبي أن يكون له أسرى**) ٦٧ ـ ٦٩ . وسورة التوبة : (**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**) ١١٣ ـ ١١٥ فهذا كان منه اجتهادا بأنه خير وصالح ولم يكن يعلم ما هو الأولى في علم الله بدون وحي .

٣ ـ ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر وينهي كثيرا باجتهاد منه ، فكان القرآن يسكت عن ذلك مقرا أو يؤيده نصا أو يعاتب عليه ويوحي بما هو الأولى حسب مقتضى حكمة الله تعالى .

ومما كان وأيده الله نصا : (**سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل**) الفتح/ ١٥ وليس في القرآن شيء وإنما هناك حديث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (لا يذهب معي إلى غزوة خيبر إلا من شهد الحديبية) رواه أبو داود وابن ماجة وكان هذا مثل سائر أحاديث رسول الله وحيا ربانيا غير قرآني فلم يدون قرآنا وبلغه النبي لاصحابه كحديث . ومن ذلك : (**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم**) الانفال/ ٧ . وليس في القرآن شيء وإنما هناك حديث يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر إن الله وعدني إحدى الطائفتين أي الانتصار على الطائفة التي معها الغنيمة أو الطائفة الحربية التي جاءت من مكة للدفاع عنها .

٤ ـ ولقد أورد المفسرون أحاديث نبوية في سياق تفسير الجملة التي نحن في صددها فيها توضيح وتدعيم . منها حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » .

وقد أورد الخازن حديثا في سياقها أيضا بهذا النص « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول ما أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » رواه أبو داود وابن ماجة والدارمي . والخازن لم يوثق الحديث . ولكن هناك حديثا صحيحا فيه مثل ذلك رواه أبو داوود والترمذي عن المقدام بن معد يكرب جاء فيه « ألا لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » .

٥ ـ والأمر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ميسور بالاستماع منه والرجوع إليه شخصيا . أما بعد وفاته فقد أصبح السير واجبا وفق ما روى وصح عنه من أوامر ونواه وسنن قولية وفعلية وهذا بطبيعة الحال يستتبع وجوب التثبت فيما ينسب إليه من ذلك . ولقد يسر الله رجالا مخلصين لله ورسوله لحقوا ما نسب إليه من

أحاديث ودونوا ما صح عندهم منها فصارت مرجعا عظيما من مراجع التشريع الاسلامي . ومن أهم الضوابط التي وصفها العلماء أن لا يكون بين ما نسب إليه وبين أحكام ومبادىء القرآن الثابتة والحكمة الواضحة تعارض وتناقض لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يأمر وينهي بما يتعارض مع ذلك . والأحاديث النبوية الواردة في شؤون وأحكام قرآنية تدور على الأغلب حول تخصيص ما فيه إطلاق وتوضيح ما فيه غموض وإتمام ما يحتاج إلى إتمام وبيان ما سكت عنه القرآن من جزئيات وأشكال وفروع مثل عدد ركعات الصلوات وكيفياتها وأركانها ونصاب الزكاة وأنصبة الارث التي ستبقى في حالة وراثة النساء فقط واعمال الحج الخ الخ ..

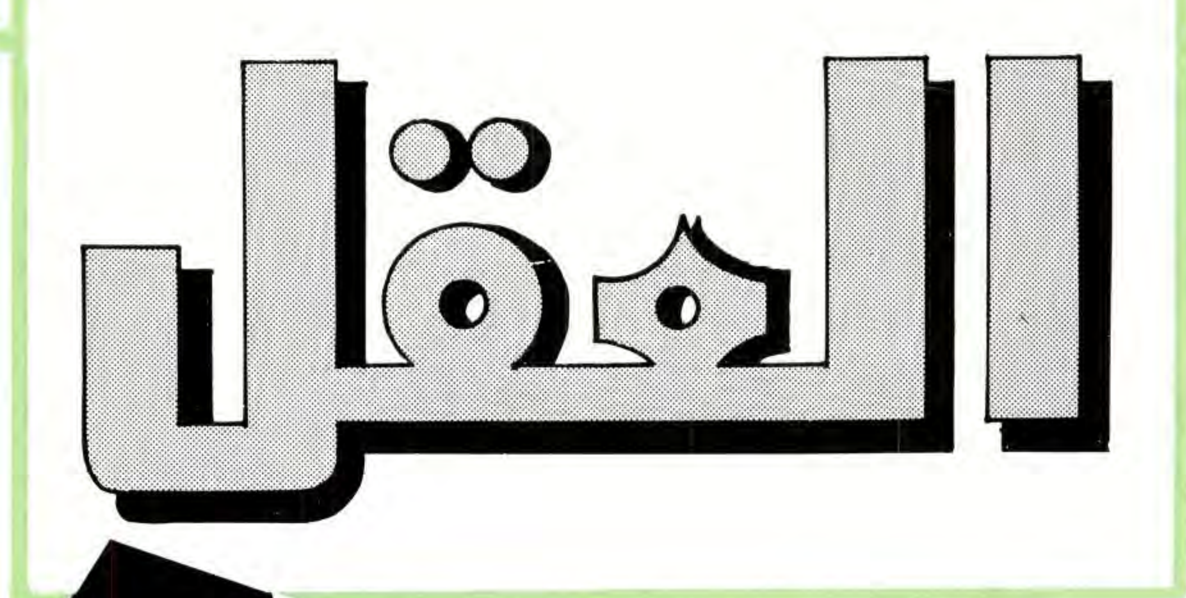
هذا بالاضافة إلى أحاديث كثيرة أخرى في الشؤون الأخرى . وهي وتلك مراتب حسب الرواة والمدونين مما لا يتسع المجال لشرحه ومما هو مفصل في كتب الاحاديث وما وضع لها قواعد ومصطلحات وكثير جدا منها صحيح وحسن ووثيق السند .

فجزى الله رجال القرون الثلاثة الأولى الذين انطلقوا من إيمان عميق بالله ورسوله وبذلوا جهدهم العظيم الذي حفظوا به نصف الشرائع الاسلامية . وهو النصف المفصل الذي فيه التتمة العظمى لنصفه الأول أي القرآن .

تعليق على قوله تعالى : **(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)**

١ ـ هذه الجملة وإن كانت في صدد حجب الفيء عن الأغنياء ومنع تداول ما يفيئه الله على المسلمين من الأعداء بين الأغنياء فانها تنطوي فيما يتبادر ـ والله أعلم ـ على معنى جليل بعيد المدى وهو أن الثروة لا ينبغي أن تكون محصورة التداول في أيدي الفئة الغنية القليلة من الناس ، وأن من حق السلطان الاسلامي أن يتخذ من التدابير ما يكفل توزعها بين أكبر عدد ممكن من الناس ولو بطريق تخصيص الفقراء ببعض موارد الثروة دون الأغنياء استئناسا بالآية التي فيها هذه الجملة حيث شاءت حكمة الله أن يخصص مورد الفيء جميعه لمصالح الاسلام العامة والفئات المحتاجة من المسلمين دون الأغنياء . ولقد أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » (انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٩١) .

وعمر رضي الله عنه كان من أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي من أكثرهم فهما لتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وروحه . ولا شك في أنه صدر في قوله هذا عما اعتقده أنه يشق مع ذلك . ولقد تواترت الروايات إلى حد اليقين بأنه رتب المرتبات لمختلف فئات المسلمين . وكان يهتم كثيرا لمساعدة ونجدة المحرومين والضعفاء والفقراء مما فيه توثيق لصحة صدور ذلك القول عنه . « انظر تاريخ عمر بن الخطاب للامام ابن الجوزي حيث استوعب كثيرا من أقواله وأفعاله في هذا الصدد » .



للاستاذ محمود عبد اللطيف فايد

أ ـ العقل أس الفضائل

حاول بعض المحققين من أسلافنا الصالحين ـ رضي الله عنهم ـ تعريف العقل بقوله : « إن العقل هو العلم بالمدركات الضرورية » وذلك نوعان : أحدهما ما وقع عن درك الحواس ، والثاني ما كان مبتدأ في النفوس . فأما ما كان واقعا عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر ، والأصوات المدركة بالسمع ، والطعوم المدركة بالذوق ، والروائح المدركة بالشم ، والأجسام المدركة باللمس ـ فكأن الحواس الخمس نوافذ للعلم والمعرفة على رأي شيخنا أقضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي في كتابه القيم : « أدب الدنيا والدين » ص ٢١ ط الحلبي ١٩٧٣ م

ب ـ سبب التسمية

قال الماوردي : وسمي العقل بذلك تشبيها بعقل الناقة ، لأن العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته إذا قبحت ، كما يمنع العقال الناقة من الشرود إذا نفرت ، ولذلك قال عامر بن عبد القيس : « إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل » . ولا يخفى علينا أن لكل فضيلة أسا ، ولكل أدب ينبوعا ، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا ، وللدنيا عمادا فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه ، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين : قسما وجب بالعقل فوكّده الشرع ، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع ، فكان العقل لهما عمادا ؛ فبقدر عقل المرء تكون عبادته لربه ، أما سمعتم قول الفجار على ما حكي في القرآن الكريم : (**لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**) الملك/ ١٠ . وقال عمر بن

الخطاب « رضي الله عنه » : « أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خلقه » . وقال الحسن البصري - رضي الله عنه - : « ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما » . وقال بعض الحكماء : « العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدوّ » . وقال بعض البلغاء : « خير المواهب العقل ، وشر المصائب الجهل » . وبالعقل تعرف حقائق الامور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات . ونظرا لأن العقل أصل الدين وعماد الدنيا قال الضحاك في قوله تعالى : (**لينذر من كان حيّا**) يس/ ٧٠ أي : من كان عاقلا .

جـ - من مفاخر الاسلام

ومن مفاخر الاسلام اعتماده على العقل في قضاياه الأساسية ، وعدم تناقض صحيح المعقول مع صريح المنقول فيه أبدا لدرجة أن قضية الألوهية ووحدانية الله عز وجل تعرض في القرآن الكريم وفيها قوة الاقناع العقلي : (**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون**) المؤمنون / ٩١ و ٩٢ . وجاء في سورة الأنبياء ما يساند هذا الدليل ويؤكده : (**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**) آيات/ ٢١ - ٢٣ .

د - العقل أساس التكليف

ولا عجب إذن أن يكون العقل أساس التكليف في الاسلام ، فقد جاء رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن بلغت الانسانية رشدها ، وجاءت رسالته عامة خاتمة تخاطب الانسانية في كل زمان ومكان ، ولذا وجدنا القرآن الكريم في غاية الاحكام ، ليس فيه تناقض أو اضطراب : (**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء/٨٢ . فاذا تعرض العقل لما يحول بينه وبين أداء وظيفته كالمرض والنوم أو كان المرء صغير السن غير ناضج - سقط التكليف عن صاحبه بالأمور الشرعية ، وفي الحديث الشريف : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ » رواه احمد وأبو داود إذ النائم لا قدرة له على الطاعة ما دام مستغرقا في النوم ، والمجنون لا يعقل الطاعات ، ولا تتجه نيته إلى القربات إذا كان جنونه مستمرا ، والصبي لم يبلغ درجة من الرشاد تدفعه إلى الاقبال على العبادة ، وإن كان علينا أن نعّوده ونمرّنه بلطف متى ميز حتى يعتاد الصلاة ، ويقبل عليها ، ويخف إليها ، قال صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه احمد وأبو داود والحاكم .

هـ ـ وظائف العقل

ومن وظائف العقل الاستنباط ، والتعليل ، والتذكر ، والتفكر ، وبها تتمكن العقيدة من القلب ، وتأخذ بمجامع النفس ، ويحسن التأمل في المعاني ، والصبر على طلب العلم ، وحسن التلقي عن أهلــه ـ يبلــغ الانسان درجة التفقه في الدين ، ثم يكون مهيأ لنقل الدعوة إلى الناس وموعظتهم ، قال الله تعالى : (**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا**) سبأ/ ٤٦ .

وقال عز وجل : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعـودا وعلى جنــوبـهم ويتفكــرون في خلــق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عـذاب النار**) آل عمران/ ١٩٠ و ١٩١ .

وإنا لندرك أن الانســان لا ينقاد للشيطان ، ولا يقارف الذنوب إلا وهو في إسار غفلة عن عظمة الله وجبروته ، فاذا ما تذكر ارعوي واهتدى ، وعاد إلى الصــواب ، واستغفـر الـرحيم التواب ، ونعوذ بالله من قرناء السوء ، ورفاق الشر الذين يدعون أصحابهم إلى الشرور ، ويلجون بهم أبـواب الفســوق والفجور ، ويـزينون لهم الضلال : (**إن الذين اتقـوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فـإذا هم مبصرون . وإخـوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون**) الاعراف/ ٢٠١ و ٢٠٢ .

إن طبيعـة الحيـاة ومصـالـح النــاس ، تقتضي تنــوع الأعمــال واختلافها ، ليتعاون الناس جميعا على شئون الحياة ، ويخدم كل منا أمته بما يستطيع في الميدان المشروع الذي يحب ، فلا بد من الناس ، وكل ميسر لما خلق له ، وخير الناس أنفعهم للناس قال الله تعالى : (**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طـائفة ليتفقهـوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**) التوبة/ ١٢٢ .

و ـ من مهام الداعية العاقل

والداعية العاقل هو الذي يتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكـر الله كثيرا**) الأحـزاب/ ٢١ . قـال أبــو بكـر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : « إذا وعظت فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا » وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله ما لا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » متفق عليه « والحسد » هنا بمعنى

الغبطة وهو أن نتمنى من الخير مثل الذي عند الغير .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » متفق عليه ، الآناء : الساعات . ص ١٩٨ رياض الصالحين « المكتبة الأهلية ببيروت . وكان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول : « كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتخولنا بالموعظة مخافة الملل » رواه البخاري واحمد يتخولنا أي يتعهدنا بالموعظة عند توفر نشاطنا لها . ومن من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحب سماع الرحمة المهداة ، والنعمة المزجاة ؟ : (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) التوبة/ ١٢٨ .

ولا يغيب عن بال الداعية العاقل أن الناس تتفاوت مداركهم ، فمنهم العامة ، ومنهم الخاصة وخاصة الخاصة ، وقد يكون المتخصص في علوم الدنيا قليل البضاعة في علوم الدين ، ومن ثم حسن ـ بل تحتم على الداعية أن يتخذ لكل طائفة أسلوبا ، وهو في ذلك يستجيب لقول العزيز الحكيم : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) النحل/١٢٥ ، ويقتدي بالرسول الكريم معلمنا الأعظم نبينا محمد « صلى الله عليه وسلم » إذ وجهنا إلى ذلك بالمأثور « امرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

ز ـ دعوة الاسلام إلى النظر والتأمل والتفكر

إن قارىء القرآن الكريم بتدبر ، يلمس اهتمام الكتاب العظيم بتثبيت العقيدة ، وتقوية اليقين فيتوجه عقله إلى الربط بين عظمة المصنوع وجلال الصانع المبدع ، وإلى الاستدلال بالمخلوق على وجود الخالق ، نلمس ذلك في قول الله عز وجل : (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠ وهي من السور المكية ثم يعقب على هذه المشاهد بقوله الكريم : (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) **الغاشية/ ٢١ و ٢٢ والله عزوجل صاحب الفضل العظيم أنعم علينا بنعمة العقل لتعيننا ـ بتوفيقه ـ على الهدى ، وتدفعنا ـ بعونه ـ عن الردى . يسوق لنا هذه الأدلة على وجوده ورحمته وفضله وعظمته في هذه الآية الكريمة : (إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة**

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة/ ١٦٤ .

فاذا ما تتبع الانسان أنباء رحلات الفضاء ، وهبوط الانسان على القمر ، وعرف بعد الشمس عن الأرض وعرف أن من النجوم ما لم يصل إلينا ضوؤه بعد ـ تأكد أن هذه الكرة الأرضية ما هي إلا ذرة تسبح في فضاء الله الفسيح ، وتدور في كونه الرحب فازداد لله إعظاما ومنه خشية ، وله رجاء : ... وأثنى على أهل العلم ، ورجا أن يكون منهم : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/ ٢٨ وانظر يا أخي إلى هذه اللوحة ، وما تضمنته من مشاهد القدرة ، ومجال العظمة ألا تحس مع تلاوتها براحة الايمان ، وسعادة الاطمئنان لما تثيره في الفكر ، وما تدعو إليه من تأمل وأستبصار : (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور**) فاطر/ ٢٧ و ٢٨ .

إن الادلة المتعانقة تطالع القارىء المتدبر فتنزل على قلبه بردا وسلاما : بردا يطفىء نيران الشكوك ، وسلاما واطمئنانا باشراق أنوار ملك الملوك ، ولذا كان من آداب قراءة القرآن الكريم الترتيل لأن المقصود من القراءة التفكير ، والترتيل يعين عليه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : « لأن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما واتدبرهما ، أحب إلي من أن أقرأ القرآن الكريم كله هذرمة » « الهذرمة : السرعة في القراءة والكلام » . وجلي أن الترتيل والتؤدة أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيرا في القلوب من الهذرمة والاستعجال ، قال الله تعالى : (**ورتل القرآن ترتيلا**) المزمل/ ٤ إن الانسان ليطالع الآية من كتاب الله مشتملة على دليل عقلي على أمر من أمور العقيدة في عبارات قصار ، تدعو إلى التسليم والانبهار .. ومن أحسن من الله حديثا ؟ وأصدق منه قيلا ؟.

وتدبر الأدلة المتهادية ، والبراهين السامية في هذه الآيات الفياضة بالاعجاز على ما فيها من إيجاز : (**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون . ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم**

السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون . وله من في السموات والأرض كل له قانتون . وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) الروم/ ١٩ ـ ٢٧ .

ح ـ العقل أساس التشريف

بالعقل يميز الانسان المدركات ، ويربط بين المقدمات والنتائج ، ويلتمس آثار الماضي في أحداث الحاضر ، وخيوط الحاضر في نسيج المستقبل . ومن قوى العقل الاستنباط والتذكر ، والفهم وهي كلها مرتبطة بالتعلم أوثق ارتباط ، ولله در الذي يقول :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الانسان

وبالعقل كان الانسان أهلا للتكليف ، ومن ثم كان الرسل من بني آدم ومن جنس الانسان : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير**) الحج/٧٥ ، وهو سبحانه جل شأنه وعظم سلطانه ـ أعلم حيث يجعل رسالته .

وبالتذكر والتعلم تجلت قدرة ربنا في آدم إذ علمه الأسماء كلها : (**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**) البقرة/ ٣١ و ٣٢ .

وبالعقل تمكن الانسان من تسجيل الأصوات ووضع الكلمات رموزا للمحسوسات والمعقولات ، ومن ثم كانت نشأة اللغات ، وألهم الانسان صنع المطبعة فكانت الكتابة والمطبعة ذاكرة البشرية ، وعاملا من أهم العوامل في تقدم الانسانية ، ولذا نردد قول الله في يقين وإذعان بلسان الشكر والامتنان : (**وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) النساء/ ١١٣ .

وبالعقل استطاع الانسان قيادة الجمل والفيل ، وهما أكبر منه حجما ، وأقوى جسما ، ثم استطاع ابتكار السيارات والقطارات والطائرات والغواصات ، وما هبوط الانسان على القمر في عصرنا الحاضر بأعجب من وضع القواميس منذ مئات السنين .. كلاهما احتاج الى طول تفكير ومواجهة صعاب ، وتخطي عقبات . قال تعالى :

(**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ بل إن الكفار الأشرار حاولوا أن يرموا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنون ليتخذوا من ذلك ذريعة إلى رفض دعوته ، وإبطال رسالته : (**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**) الكهف/ ٥ .

ط ـ من الأباطيل والتضليل

تداعت إلى خاطري بعض هذه

المعاني عقب مطالعتي لمقال في مجلة (آخر ساعة) المصرية ـ بعث به مراسل المجلة من برلين الغربية ونشر المقال في صفحتي ١٨ ، ١٩ من العدد ٢٤٤٣ الصادر في ١٩ من أغسطس ١٩٨١ الميلادية عن اتباع « بهوان » الذين ينتشرون في شوارع المانيا انتشار السيارات اليابانية .. يرتدون ملابس برتقالية اللون ، وعلى صدورهم سبحة طويلة في وسطها تحت الصدر صورة « مولانا بهوان » كما يقول الكاتب يتعبدون ويتأملون ، ويعقدون حلقات الذكر ، ويعيشون حياة فقراء الهنود ، ويسلكون طريق النسك والزهد ، ويتقربون الى الله بدوام القعود على أرض مفروشة بالبسط .. ويعتقدون أنهم ما داموا يذكرون ويتأملون ؛ ويتحررون من أسر المادة يرتاحون نفسيا ، ويتطهرون روحيا ... والمدهش أنهم يقولون : « هنا الأحذية والعقول تترك عند البوابة » وواضح ما في هذا القول من تحقير للعقول بتقديم الأحذية عليها مرة ، وعطف العقول عليها مرة اخرى وجلي ما في هذه النحلة من تناقض واضطراب لأن العبادة إذا كانت قائمة على التأمل فبم أتأمل وقد خلعت حذائي وعقلي عند البوابة ؟ وترحمت على اجدادنا الذين كانوا يقولون لنا عند التأهب للصلاة : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها » .

إن محاولة إبعاد العقل تمهيدا لانتشار هذا المذهب ـ دليل على خواء روحي ـ وانحطاط فكري عند بعض الغربيين ، وبرهان على أن الحضارة الغربية اهتمت بتعمير الظاهر ، ولم تهتم بالجانب الروحي فظهر كثير من شبابهم وقد صح فيهم قول الشاعر :

رب : ما أبين التباين فيه
منزل عامر وعقل خراب

وصدق الله العظيم : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/٧ . إن بعض المقالات هابطة او هادمة أو مخدرة فهي كالخمور والمخدرات .. وكل مسكر حرام ، وكل مفتر حرام .. ونحن بحاجة إلى ما يزيد في عقولنا لا إلى ما يحجبها او ينقص منها ، وقد سئل أحد الأعراب : لم لا تشرب الخمر ؟ فقال : « كيف أشرب ما يشرب عقلي ؟ » وحكى الأصمعي رحمه الله قال : قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثني فأمتعني بفصاحة وملاحة : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ؛ قال : فقلت : لم ؟ قال الغلام : أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب بمالي ، ويبقى علي حمقي .

ى ـ واجبنا نحو العقل

إن حفظ العقل كحفظ النفس والدين والعرض من أوجب الواجبات ، ومن ثم كان الاسلام دين الفاقهين المستبصرين الذين لا يلعب بعقولهم مضلل كنود ، أو صحفي شرود ، أو حاكم حقود ، إن الاسلام دين قام على العقل وكانت معجزته الخالدة « القرآن » رسالة دائمة للعقل ،

وخطابا للانسان في كل زمان ومكان ، ومجالا للتحليل والتعليل والاستنباط لانه يريدنا أمة يتمتع أفرادها بالوعي الاسلامي ، والعقل الرشيد الذي يميز الخبيث من الطيب . وما أروع القرآن الكريم وهو يقول : (**يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين**) المائدة/ ٩٠ ـ ٩٢ إننا لا نريد أن يتحول شباب الاسلام إلى قطعان ، ومبصروه إلى عميان : لأنهم إن صاروا كذلك صاروا كغثاء السيل فلعب بهم الدجالون ، وسيطر عليهم عملاء الصهيونية والصليبية والشيوعية ، وفسر لهم القرآن من ليس أهلا للتفسير فغرر بهم أيما تغرير .

ك ـ متاعب التفكير

إن الباحث الذي يعمل عقله وفكره ويحاول الاجتهاد لفهم دينه ، يشغل نفسه بامور أمته ودينه ومجتمعه .. ومن ثم يعاني ما يعاني الأعزاء عليه ... ولأمر ما قال الله عز وجل : (**إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**) المزمل/ ٥ لأنه يتضمن التكاليف ، وما تقتضيه من مقاومة للمفسدين وإقرار للعدالة ، وكشف للضلالة ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر .. وقد قال أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه : « ما تركت حقوق الله لامرىء مسلم في ماله درهما » فهل يوافق المترفون طواعية على أن يتخلوا عن بعض مظاهر الترف لصالح إخوانهم في الدين والوطن ؟ ومن أقوال السلف المأثورة : « من لم يهتم بأمر المؤمنين فليس منهم » ورحم الله أبا الطيب المتنبي الذي قال :

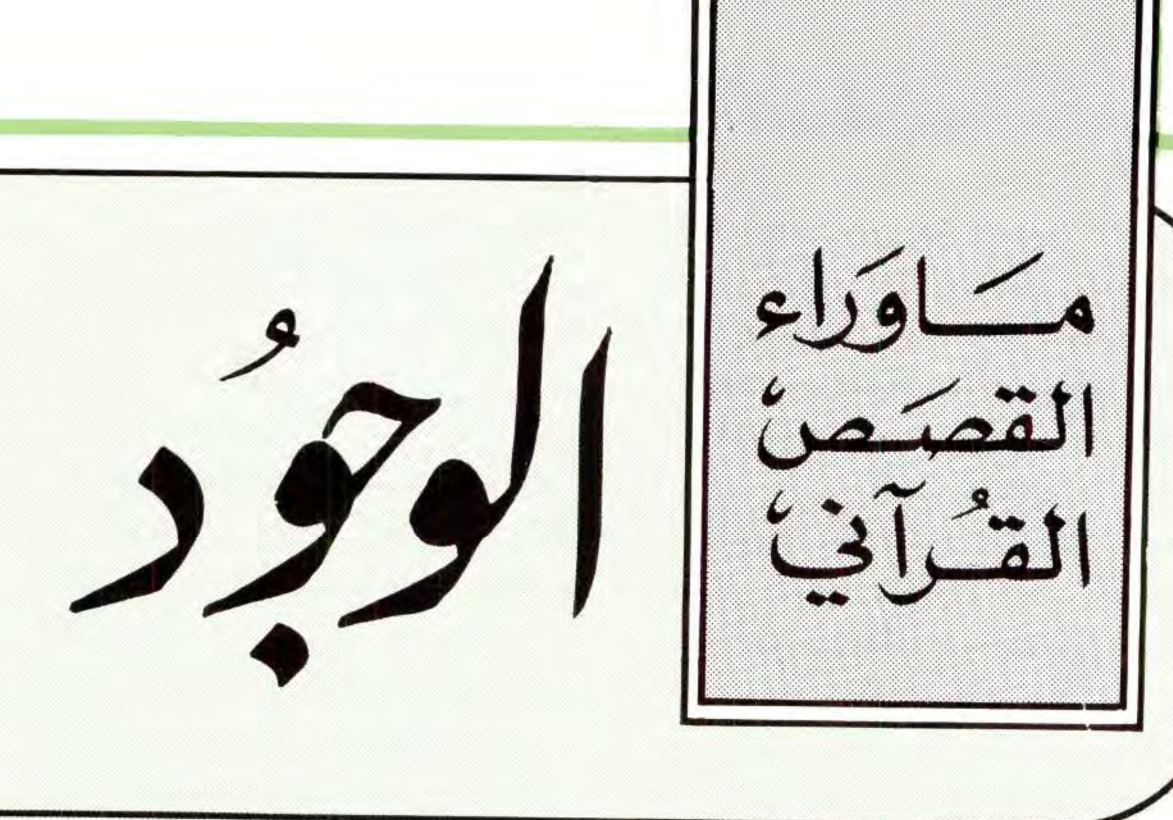
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ويقول :

تصفو الحياة لجاهل او غافل
عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع

ولكن ليس معنى ذلك ان نتخلى عن عقولنا ، ونهمل تنميتها بالقراءة الجادة ، وحسن الفهم ، ومجالسة العلماء رغبة في دعم وعينا الاسلامي ، ورد سهام أعدائنا إلى نحورهم : (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق**) الأنبياء/ ١٨ . نسأل الله أن يديم علينا فضله ورحمته ، ويكتب لنا توفيقه وعونه ونصرته : (**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) النساء/ ١١٣ .

والله ولي التوفيق



كان القطار الذاهب من حلب الى بيروت ينهب بنا السهول المنبسطة المترعة بالخضرة الفاقعة ، واشار بيده عبر النافذة الى حصن قديم يقف بأطلاله على مرتفع من الارض وقال : انه واحد من شواهد التاريخ الكثيرة المنتشرة في المنطقة .. ها هنا ادار الزمن صراعا بين المسلمين وبين الغزاة الصليبيين ، بلغ ما يقرب من القرنين قلت ، وانا اجاهد لكي اركز ابصاري بالحصن القديم : من كان يتصور - يومها - ان الصراع سوف يستغرق هذا المدى الطويل ؟ من كان يصدق ان الغزاة ، بعد ان ثبتوا اقدامهم هنا عشرات السنين ، سيضطرون للرحيل ، وترجع الارض الى اصحابها ..؟

قال ، وملامح الامل ترتسم على وجهه : ان تقادم الزمن على اسرائيل لا يعني شيئا ، فها هي ذي عبرة التاريخ .. وراح يتلو : (**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**) آل عمران/١٣٧ - ١٤١ .

البحث عن الاسباب

ووجدتها فرصة طيبة لكي اسأله عن الموضوع الذي ظل يلح على ذهني ردحا طويلا .. ان القرآن الكريم يفرش مساحات واسعة من سوره وآياته للقصة التاريخية .. وان المرء ليتساءل عن الاسباب والدوافع التي

الاسرائيليات

للدكتور/عماد الدين خليل

تكمن وراء هذا الاهتمام المتزايد على مدى القرآن كله .

قال : انها الدوافع التي تكمن وراء اية مطالعة جادة ذكية واعية للتاريخ : اثارة الفكر البشري ودفعه الى التساؤل الدائم والبحث الدائب عن الحق .. تقديم خلاصات مركزة للتجارب البشرية عبرا يسير على هديها اولو الالباب .. ازاحة ستار الغفلة والنسيان في نفس الانسان وصقل ذاكرته وقدرته على المقاومة لكي تظل في مقدمة قواه الفعالة التي هي بأمس الحاجة الى تفجير طاقاتها دوما وهو يواصل الكفاح في عالم يرفض الذين يعانون الغفلة والكسل الذهني والتواكل واليأس والنسيان .. تقديم الدليل على علم الله الواسع الذي أحاط بحركة التاريخ ماضيا وحاضرا ومستقبلا .. ثم تأكيد البرهان على الحق الواحد الذي جاء به الانبياء السابقون جميعا وسعوا الى ان يقودوا أممهم الى مصدره الواحد الذي لا اله الا هو : (**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين**) هود/ ١٢٠ (**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**) يوسف/ ١١١ (**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) الاعراف/ ١٧٦ (**ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون**) الانبياء/ ٢٤ (**ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**)

البقرة/ ٢١٤ .

فماذا عن النتائج ؟

قاطعته متسائلا : هذا عن الاسباب الاساسية لايراد القصص والوقائع التاريخية في هذه المساحات الواسعة من القرآن . ولكن ماذا عن النتائج النهائية المتمخضة عن دراسة حركة التاريخ البشري والتمعن في وقائعه واحداثه ؟

أجاب ، وهو يشير باعجاب الى بسيط من الارض تفجر في خضرته الريانة مهرجان من الالوان منحته حركة القطار السريعة تداخلا يثير الوجدان : ان القرآن يطرح علينا لأول مرة مسألة السنن والنواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطىء ، وعبر مسالكها المقننة التي ليس الى الخروج عليها سبيل ، لانها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة فطرة وغرائز وأخلاقا وفكرا وعواطف ووجدانا ، ومن قلب العلاقات والوشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة في العالم الذي يتحرك فيه الانسان والتي تتجاوز في اتساعها وشموليتها نسبيات البيئة الجغرافية او الوضع الاقتصادي لكي تتسع للفعل التاريخي نفسه ، الفعل القائم على القيم الثابتة الدائمة في كيان الانسان والتي تنبثق عنها المواقف التاريخية سلبا وايجابا .

وهكذا ، فان حكمها على هذه الحركة يجيء منطقيا تماما لانه اشبه بالجزاء الذي هو من جنس العمل ، ومن خامته الاصيلة ، وعادلا تماما لانه يكافىء الانسان ، فردا وجماعة ، بما يوازي طبيعة الدور التاريخي الذي مارسوه ، حتى لكأن القرآن يلفت انظارنا الى اننا نستطيع ان نبني على مجموعة معينة من الوقائع التاريخية ، سلفا ، نتائجها التي تكاد تكون محتومة لارتباطها العضوي بمقدماتها اعتمادا على استمرارية السنن التاريخية ودوامها .. وعلى العكس ، فان اي تأخر او اهتزاز في نفاذ هذه السنن سوف يؤول الى تميع الحركة التاريخية وعدم انضباطها جزائيا ، وبالتالي سيؤول الى موقف نقيض لمفاهيم الحق والعدل .. ومن اجل ان نطمئن يبين لنا القرآن في اكثر من موضع ثبات هذه السنن ونفاذها وعدم تبدلها او تحولها .. انها موجودة اساسا في صميم التركيب الكوني وفي قلب العلاقات المتبادلة بين الانسان والعالم .. ولم يفعل القرآن سوى ان كشف عنها النقاب واكد وجودها وثقلها في حركة التاريخ

هذا في وقت ظل فيه المؤرخون والمفكرون عامة يتخبطون في دراساتهم ومعطياتهم التاريخية لانهم - حتى القرن الماضي - لم يستطيعوا ان يصلوا الى هذه السنن التي تحكم حركة التاريخ ويطمئنوا اليها ، ويجروا تحليلاتهم وتفاسيرهم وفق مؤشراتها ودلالاتها .. ولم يحدث الا اخيرا ، وفي القرن الماضي ، ان اكتشف كبار رجالات الفكر الاوروبي ناموسية الحركة التاريخية ، هذا اذا

استثنينا بطبيعة الحال : « ابن خلدون » الذي سبقهم بخمسة قرون ، ولكنهم سلطوا عليها معاييرهم النسبية ومقاييسهم الجزئية فجاءت انعكاسا صارما لفكرة ما او اعتقاد مذهبي محدد ..

اما في القرآن الكريم فان هذه السنن والنواميس لا تتحدد ولا تأسر نفسها بتفاصيل وجزئيات موقوتة ، بل تمتد وتمتد ، مرنة منفتحة شاملة ، لكي تضم اكبر قدر من الوقائع وتلامس اكبر عدد من التفاصيل والجزئيات وتبقى دائما بمثابة الحصيلة النهائية ، والرموز المكثفة والدلالات الكبرى لحركة التاريخ . انها تريد ان تقول لنا - باختصار وتركيز بالغين - ان حركة اية جماعة في التاريخ ليست اعتباطية ، وانها ، بما قد ركب فيها من قوى العقل والروح والارادة - خلافا لما هو سائد في العوالم غير البشرية - مسؤولة مسؤولية كاملة خلال حركتها تلك حيث ينتفي العبث واللا جدوى ، وحيث تتحرك الحرية من شكلها المهوش المتميع الغامض ، الى عمل مدرك مخطط يقف به الانسان بمواجهة الله والعالم لكي يحقق اعماره ورقيه وتقدمه ، وفق ما يجيء به انبياء الله ، حينا بعد حين ، من تعاليم وخطط تأخذ بيد الجماعة البشرية في هذا الطريق .. وحيثما انتفت هذه العلاقة الايجابية بين الانسان والله والعالم ، وأسيء استخدام الحرية ، وضاعت المسؤولية ، وانعدم التخطيط المدرك الواعي ، وتميعت القيم الاخلاقية المنبثقة عن قوى العقل والروح والارادة .. حيثما جاء الجزاء الموازي لجنس العمل ، وآل الامر بالجماعة البشرية الى التدهور والتفتت والانهيار : (**سنة من قد ارسلنا من قبلك من رسلنا ولن تجد لسنتنا تحويلا**) الاسراء/٧٧ (**فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**) فاطر/٤٣ (**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا . سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**) الفتح/٢٢و٢٣ .

تجاوز صوب الحركة والابداع

ان كتاب الله لا يؤكد ثبات هذه السنن وديمومتها فحسب ، ولكنه يحولها في الوقت نفسه الى دافع حركي يفرض على الجماعة المدركة الملتزمة ان تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة الى الدمار ، وان تحسن التعامل مع قوى الكون والطبيعة ، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه وبهذا يتجاوز التاريخ في القرآن اطره النظرية ، او القصصية الغنية ، او الاكاديمية ، الى حركة وبحث وجهد وابداع تجيء دائما لخدمة المعاصرة وللسير نحو المستقبل بفهم اعمق والمام اكبر بسنن التاريخ . ومن ثم نلتقي بآيات الله وهي تطلب من اية جماعة معاصرة ان تسير في الارض لكي تنظر

لا ان تنظر فحسب ، بل تتعلم من هذا السير « السنن » التي حاقت بالذين خلوا من قبل من اجل بناء عالم لا تدمره تجارب الخطأ والصواب التي دمرت امما وجماعات وشعوبا : **(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها)** محمد/ ١٠ **(ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)** الانعام/ ٣٤ **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين)** الروم/ ٤٢ **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)** النحل/ ٣٦ .

المستقبل .. المستقبل

وسألته عن المردود النهائي لهذا كله .

فقال : اترى الى حركة هذا القطار ؟ ان بداياتها الاولى قد اصبحت ماضيا بالنسبة لنا جميعا .. وذلك الجدول الصغير الذي سنجتازه عما قريب سيفقد بعده المستقبلي ويتحول الى حدث ماض .. ان القرآن الكريم يعرض علينا الحركة التاريخية من خلال هذا المنظور .. التوجه الدائم صوب المستقبل ، اذ ليس ثمة سكون في مكان ما على الاطلاق .. انه التيار الذي تتدفق مياهه فتختلط فلا يكاد احد يميز ، وهي تصب في البحر ، ماءها القادم من المنابع البعيدة من ذلك الذي ارفدها وهي تقترب من البحر .. الم تسمع مقولة « كروتشه » الفيلسوف الايطالي ، واحد رواد فلسفة التاريخ في العصر الحديث ؟

اجبته : اليست هي قوله : ان التاريخ كله تاريخ معاصر .

قال : بالضبط .. فلنرجع الى القرآن لكي نجده يؤكد في اكثر من موضع على ان النظر والبحث والتجوال في تاريخ البشرية ، انما هو جهد ايجابي لن يكون مردوده الا على الحاضر والمستقبل ، ولن يفيد منه الا الذين يشحذون كافة حواسهم وقدراتهم العقلية لكي ليتخلصوا المعنى والمغزى ويسيروا على هداهما : **(فكأين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)** الحج/ ٤٥و٤٦ . **(ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تغني النذر)** القمر/ ٤ و٥ . **(إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية . لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية)** الحاقة/ ١١و١٢ . **(ولقد انزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين)** النور/ ٣٤ .

المقياس الاشد تأثيرا على المصير

ويبلغ من تأكيد القرآن الكريم على ايجابية البحث التاريخي واتساعه وشموله ان يسعى الى مده الى ما وراء التجارب البشرية الاولى على الارض .. الى بدء الخلق وحجر الزاوية على المستويين الجيولوجي والبيولوجي بما يتيح للانسان رؤية انفذ لقدرة الله المبدعة ، ولسننه الدائمة التي رافقت مجرى التاريخ منذ تكويناته الاولى : (**أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير**) العنكبوت/ ١٩و٢٠ .

وعبر عدد من المواضع يؤكد القرآن الكريم على ان سنن الله في التاريخ ثابتة ماضية ازاء الجماعات البشرية التي تتنكب عن الطريق ، بغض النظر عن حجم هذه الجماعة وعن مدى دورها الحضاري ومقدار منجزاتها المادية والادبية في مقاييس الكم ومعايير المساحات والاحجام .. فدائما يكمن وراء هذه المعايير والمساحات ، المقياس الحقيقي والمؤشر النهائي اللذين نستطيع بالتمعن فيهما ان نحكم على مسيرة الجماعة وعلى مصيرها السعيد او المفجع . ان وراء العطاء والتعامل الحضاري شيئا اكبر واخطر واشد تأثيرا على المصير ، انه « نفسية » الامة ، افرادا وجماعات واخلاقياتها ، ونظرتها الشاملة الى الحياة ، وطبيعة علاقاتها الانسانية ، والمواقع التي تتخذها بمواجهة الله والعالم (**وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم**) محمد/ ١٣ (**او لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) الروم/ ٩ (**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا**) مريم/ ٧٤ (**قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا**) القصص/ ٧٨ (**أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون**) غافر/ ٨٢ .

واذ كان القطار ينطلق على الخط الساحلي حتى ليوشك ان ينزلق الى البحر كانت بيروت ترتسم في الافق لكن ما تلبث ان تضيع في الضباب .. وكان صوت محدثي المترع بالدفء والايمان ، يمنح الحوار متعة وحلاوة .. وكنت اتمنى ان يطول الحديث ، ولكن وصولنا الى المدينة ، اضطرنا الى التوقف ريثما نبحث عن سيارة تنطلق بنا الى مصيفنا الاثير .. (بحمدون ».



يقول الحق تبارك وتعالى : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) الآيات/ ٥ ـ ٩ من سورة النحل . هذه الآيات المباركات جمعت معجزات الله تبارك وتعالى في خلق الأنعام . فاننا نجد دائما أن معظم مخلوقات الله مسخرة باذنه لخدمة الانسان . ومن أهم هذه المخلوقات الأنعام وهي المواشي التي يؤكل لحمها ويشرب لبنها ويستدفأ بجلدها ووبرها ..

وحينما ننظر إلى مطلع الآية الكريمة نجد أن المولى تبارك وتعالى بدأها بالتقديم حيث قدم الأنعام على خلقها « والأنعام خلقها » وهذا التقديم له فائدة وهدف عظيم حيث يفيد تكريم الأنعام وعظم شأنها عند خالقها وبالتالي فهذا نداء إلى الانسان بمعاملة الأنعام معاملة تليق بشأنها عند مولاها وذلك بأن يعطف عليها وألا يحملها ما لا طاقة لها به **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)** .

فمن الأغنام يؤخذ الصوف وشاءت حكمة الله أن يكون هناك اختلاف وتشابه بين سلالات الأغنام . فنجد أن هناك أنواعا عديدة ذات الانتاج العالي من الصوف مثل اللنكولن ، الليستر ، المارينو ، السفولك ، هذا وتعطى هذه الأنواع كميات كبيرة من الصوف ذا درجة جودة عالية ، وتصنع منه أحدث وأفخر أنواع الملابس الصوفية التي تقي الانسان من برد الشتاء الشديد . ولم تقتصر منافع الأغنام فقط على إعطاء الصوف الذي هو مصدر



للدكتور/عزت أبوالفتوح حمودة

الدفء والحرارة للانسان ، بل تشترك مع باقي الأنعام في إعطاء منافع عديدة لا حصر لها ولكن على سبيل المثال نذكر ..

اولا ـ اللحوم :

اللحوم التي هي المصدر الأساسي للبروتين الذي يتغذى عليه الانسان فمن المعروف أن البروتين الحيواني عالي القيمة الغذائية وذلك نظراً لاحتوائه على معظم الأحماض الأمينية الأساسية اللازمة للجسم ، ومن هنا تظهر أهمية البروتين الحيواني للانسان والذي ينتج عن نقصه ظهور العديد من أمراض سوء التغذية . حيث أنه من المعروف أن احتياجات الفرد العادي كامل النمو من البروتين يوميا حوالي ٧٠ ـ ٩٠جم ويجب أن يكون نصف هذه الكمية على الأقل بروتينا حيوانيا حتى يؤدي الوظيفة المرجوة منه .

ثانيا : الألبان :

وهي تلي اللحوم من حيث الأهمية وفي هذا الصدد يقول الحق تبارك وتعالى : (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**) الآية ٦٦/من سورة النحل .

وهذه الآية الجليلة تعتبر إحدى المعجزات القرآنية التي سبقت العلم منذ حوالي ألف وأربعمائة سنة لتؤكد كيفية تكوين اللبن حيث يتم تكوينه من بين فرث : « وهو عبارة عن الأشياء المأكولة والتي تم هضمها بالكرش » ودم . وأخيراً في مطلع هذا القرن جاء العلم الحديث ليفسر كيفية تكوين اللبن والذي يتكون أساسا عن طريق الدم بعد إتمام عمليات كميائية

وحيوية معقدة يكون ناتجها اللبن . والدليل على ذلك أن الدم يحتوي على سكر الجلوكوز واللبن يحتوي على سكر لاكتوز ، وكذلك بروتين الدم يختلف عن بروتين اللبن الذي يكون من لاكتو البيومين ، ولاكتوجلوبيلين ، وكازين فمن جلوكوز الدم يتكون لاكتوز اللبن عن طريق :

- جلوكوز الدم بمساعدة جالاكتوز .
- جلوكوز + جالاكتوز في وجود لاكتوز .

وبالنسبة للدهون الموجودة في اللبن ، غير معروف مصدر تكوينها على وجه التحديد ، ولكن هناك أقوالا بأنها تتكون من الكربوهيدرات وتتكون الأملاح المعدنية في اللبن من الأملاح المعدنية الموجودة في الدم وبعد إتمام هذه العملية الحيوية المعقدة لتكوين اللبن ، يتم إفرازه تحت تأثير هرموني البرولاكتين ، والاوكس توسين حيث يفرز الأول من الفص الأمامي للغدة النخامية ، ويفرز الثاني من نوع معين من خلايا الهيبوسلامسي ويخزن في الفص الخلفي للغدة النخامية ..

هذا وتعتبر الألبان مصدرا هاما للبروتين الحيواني والأملاح المعدنية وفيتامين « أ » ليس ذلك فحسب ، ولكن تعتبر أول كمية من اللبن والتي تفرز في الستة وثلاثين ساعة الأولى عقب الولادة مباشرة في الحيوانات والتي تسمى بالسرسوب ذات قيمة غذائية عالية جدا ، حيث أنها تكسب الرضيع مناعة طبيعية نظرا لاحتوائها على (Immune-Bodies) . كذلك يحتوي السرسوب على كمية هائلة من فيتامين « أ » . كذلك يحتوي على كمية عالية من البروتين الحيواني « عالي القيمة الغذائية » تصل الى حوالي ١٤ ـ ١٥٪ من النوع (Lacto-albumin) & (Gammau jlobulin) . وكذلك على نسبة جيدة من الأملاح المعدنية الهامة مثل الكالسيوم والفوسفور .. هذا وعلى اللبن تقوم صناعات الألبان العديدة من جبن فاخر وقشدة وزبدة وخلافه .

ثالثا : منظرها البديع المبهج للنفس وهذه تعتبر منفعة حسية بعكس المنافع المادية السابق ذكرها . حيث تشعر النفس بالسعادة والبهجة والسرور حين تغدو الحيوانات مساء ممتلئة ضروعها باللبن ، وممتلئة كروشها بالطعام ، وكذلك حين تهرول مبكرة طلبا وبحثا عن غذائها . أليس في كل هذا عبرة لأولي الألباب ؟؟

حقا سبحان الخالق المبدع الذي صنع فأبدع الصنع .

رابعا : حمل الأثقال :

لقد خلق الله الأنعام وسخرها من أجل راحة الانسان فجعلها مطيعة له باذنه وخلق فيها القدرة والاستطاعة على حمل الأثقال والأحمال من بلد إلى آخر وذلك لكي تستقر حياة الانسان على ظهر الأرض . حيث أن المولى عز وجل هو الذي خلق الانسان ، وأعلم بضعفه وعدم مقدرته على تحمل مثل هذه المشاق التي لا حول ولا قوة له بها وهنا تتجلى رحمة ورأفة الله عز وجل على عباده .

خامسا :

ثم تعود الآية الكـريمة لتخص بالذكر والتحديد : (**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**) ، فقد جرت العادة على التباهي والتفاخر بركوب الخيل لما فيها من متعة للنفس ووجاهة عند الناس . وقد خلق الله الانسان وغرس في نفسه حب ركوب الخيل ، وكان ولا يزال تعقد المسابقات الدورية لسباق الخيل حيث يتباهى الهواة من الناس بخيولهم الجميلة في إشباع غرائزهم النفسية .

وهكـذا تظهر عظمـة المـولى في الترتيب من حيث المتعة بالركوب فهي تكون أعلى في ركوب الخيل . ومتوسطة في ركوب البغال وقليلـة في ركوب الحمير . وهذا الترتيب الوجيه نلمسه في حياتنا العملية .

وبعد هذا السرد الموجز لمنافع الأنعام التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى على عباده ، أليست هذه الأنعام جديرة بالتكريم والعناية والرعايـة الصحيـة ومعاملتهـا برفق وعطف وحنـان ؟ حتى يمكنهـا أن تؤدي الغرض الذي خلقت من أجله وهو خدمة الانسان على ظهر الأرض .. أليست الأنعام ذات الخلق البديع والنظام الرائع أحق بالتفكر والتدبر والتأمل في خلقها وفي كنهها ؟؟

والمؤمن الحق هو الذي يرى بعين بصيرة وقلب ناضج وعقل متفتح ليقف مبهورا أمام عظمة المولى عز وجل في حكيم صنعه .

فهو يقول (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت**) الغاشية/١٧ . حقيقة أن هناك لعبرة للمتدبر ، الابل حيث الكرش الواسع لتخزين الغذاء وحيث الجلد السميك لتقليل فقد الماء في الصحراء ، لكي يمكنه تحمل ظروف البيئة الصعبة وحيث الخف ذو الشكل المفلطح « والمبطن بطبقة سميكة من الخلايا » حتى لا يغوص في رمال الصحراء وحيث المقدرة العالية لحمل الأثقـال حيث تعتبر الجمـال أولى الحيـوانات في المقـدرة على حمـل الأثقال . وحيث السنام الذي تخزن به الدهون لاستخدامها في وقت الحاجة . وبجانب هذا كله فانه يمكنها إعطاء كميـات ممتازة من اللبن . كـذلك يستخدم وبر صغارها في صناعة أفخم المنسوجات والقبعات .

وفي نهاية مقالي هذا فانني أتوجه إلى كل قارىء كريم أن يتدبر في مخلوقات الله وخاصة الأنعام حتى يزداد ثقة وعظة ويقينا .. وبذلك يمكنه أن يقف صامدا في وجه تيارات الشرك والالحاد التي تعادي الدين الاسلامي الحنيف . كما أتوجه إلى كل من يمتلك أو يرى الأنعام أن يعاملها معاملة حسنة وأن يكرمها لأن خالقها قد كرمها من قبله ، وطالبه بالاحسان إليها ، لأنه لا فرق بين الانسـان والحيوان سوى الوعي والنطق . فكان لزاما على الانسان الحفاظ على نعم المولى التي أنعم عليه بها ، حتى يكون بذلك عبدا مطيعا لأوامر ربه فيفوز بجنـة عرضهـا السموات والأرض أعدت للمتقين .



هذا كتاب جديد للعالم المحقق معالي الدكتور محمد عبده يماني يحاول أن يقتحم به ظاهرة الأطباق الطائرة التي تحدث عنها العالم طويلا وأن يجيب من خلال المعلومات والأسانيد التي قدمها على السؤال الحائر :

هل هي حقيقة أو خيال ؟ وهل هناك حياة على الكواكب الأخرى أو بعضها في هذا الكون ؟ وهل هي حياة كالتي نعهدها على الأرض ان وجدت ..؟

لا سيما ونحن « منذ ثلث قرن تقريبا والى يومنا هذا ، تتناقل وسائل الاعلام المختلفة في انحاء العالم أنباء ظواهر غريبة يتحدث عنها أشخاص يقولون انهم رأوها رأى العين ، وبعضهم التقط لها صورا فوتوغرافية في أوقات متفاوتة وظروف متباينة ، وكان معظم هذه الظواهر الغريبة يلتقي عند نقطة محددة ، هي أن هناك أطباقا طائرة تبدو في الجو ثم تختفي فجأة كما ظهرت ، دون أن تتاح لأحد فرصة التثبت مما رأى أو توكيد رؤيته بالدليل الملموس الذي يقبله العلم ويتقبله العقل » .

فهل تكون هذه الظواهر الغريبة سفنا فضائية جاءت من عوالم أخرى في هذا الكون العظيم ؟

واذا كانت هناك حياة في تلك العوالم الأخرى ، فما هي الغاية من وصول تلك السفن الفضائية الى كوكبنا وظهورها فجأة واختفائها فجأة ؟

اننا على هذه الأرض نعيش فوق كوكب صغير لا يعدو أن يكون ذرة في فضاء الكون وهذه الذرة جزء من

حَقيقَة أم خيَال؟

تأليف
الدكتور
محمد عبده يماني

عرض
وتعليق
عبد السميع
المصري

المجموعة الشمسية التي تتكون من حشد من الاجسام الفضائية ... كواكب ونجوم وأقمار وشهب ونيازك وغيرها تتوسطها الشمس بمركز جاذبيتها التي تمكنها من السيطرة على حركة المجموعة كلها وتمدها بالضوء والحرارة بما تشعه من طاقات حرارية وضوئية لأن تلك الأقمار والكواكب معتمة بذاتها مضيئة بانعكاس الشمس عليها وفي ذلك يقول القرآن الكريم : (**تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا**) الفرقان/ ٦١ .

والسراج هو الشمس التي لا تشكل مع مجموعتها سوى هباءة تسبح في كون الله الفسيح الذي يحتوي على ملايين من المجموعات الشمسية وهذه المجموعات تكون المجرات المختلفة التي تتداخل فيما بينها - كما يقول المختصون في علم الفلك - فتدخل مجرة تحتوي على مليارات النجوم السيارة في مجرة اخرى مثلها ثم تخرج دون ان تصطدم احداها بالاخرى وهذا ولا ريب احدى معجزات الخالق العظيم الذي أبدع هذا الكون بارادته والذي لم يصل الى العلم البشري عنه إلا أقل من القليل .. سبحانه وتعالى حيث يقول : (**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) غافر/ ٥٧ .

وسط هذا الكون العظيم ذي الأبعاد الشاسعة التي لا يستطيع العقل البشري أن يتخيلها ، لم يجد الانسان وسيلة لتقريب هذه الابعاد الى ذهنه إلا السنة الضوئية يتخذها

وحدة للقياس .
والسنة الضوئية هي عبارة عن المسافة التي يقطعها الضوء بسرعته في مدة سنة كاملة . وسرعة الضوء كما هو معروف تبلغ ثلاثمائة كيلو متر في الثانية .. ولوصول اي رسالة من كواكب الفضاء الكوني للأرض يلزم لها ألف سنة ضوئية .

وتبدو لنا روعة الخلق الالهي المعجز - الى جانب ما ذكرنا - حين نعلم أن المسافة بين الارض والشمس ثابتة لا تتغير . ولو اقتربت الشمس من الارض أو حدث العكس لاحترق كل ما على الارض ، ولو تزايدت المسافة بين الارض والشمس لقضي على الحياة في الارض بالتجمد .

ولو كانت القشرة أكثر سمكا بمقدار عشرة أقدام ليس غير ، لما وجد الأكسجين الذي تستحيل الحياة بدونه على الأرض .

ونسترسل في هذه التأملات والافتراضات فنذكر أنه لو كان حجم الأرض أقل مما هي عليه الآن لاستحالت الحياة فوقها لأن جاذبيتها - اذ ذاك - تختلف .

ولو انخفضت الجاذبية الى مستوى جاذبية القمر لتجمد كل ما في الارض ليلا ، واحترق كل ما عليها نهارا أو لاستحال بقاء الماء على الارض مع ضرورته للاعتدال الموسمي .

ولو كان حجم الأرض أكبر ، لتضاعفت الجاذبية وازداد تبعا لذلك الضغط الجوي .

ولو وصل حجم الارض الى مثل حجم الشمس لأضحت الحياة مستحيلة على الأرض ..

وعلى ضوء تلك الحقائق الاولية ، التي أوردتها كأمثلة ليس غير ، نتبين أن الله تعالى قد خلق الأرض بحكمته بظروف مناسبة ، وأجواء مناسبة وسخر لنا الامكانات اللازمة كي نعيش عليها وان الحياة على كوكبنا هذا ليست صدفة وانما هي كما وصفها جل وعلا في كتابه الكريم : (**صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون**) النمل/ ٨٨ .

ولقد ثبت أيضا أن كل كوكب في المجموعة الشمسية وصل اليه الانسان أو تيسرت سبل اكتشافه وتوفرت المعلومات عنه .. لا توجد عليه حياة ..

لكن الكون يضم ملايين المجرات كالمجموعة الشمسية فهلا توجد بينها كواكب لها نفس ظروف الحياة على الارض من حيث الحجم والمسافة والظروف اللازمة لوجود الحياة ..؟

واذا وجدت هذه الحياة فهل هناك انسان مثل انسان الأرض ..؟

وقبل أن يجيب على هذا السؤال يطوف بنا الدكتور يماني في رحلة ممتعة ثرية بمعلوماتها يبدؤها في الفصل الثاني مع « العلوم الكونية في الاسلام » .. ويكون لنا رائدا يشرح ويوضح ..

فهو يقول « ليس هناك أي برهان أو دليل علمي على وجود انسان كانسان الأرض في أي كوكب من كواكب المجموعات الشمسية المختلفة ، وليس هناك من يستطيع أن يجزم بوجود ذلك

بأي شكل من الاشكال ..

لكن من المحتمل وجود لون من ألوان الحياة لا يعلم إلا الله تعالى كنهها وطبيعتها ومكوناتها وعناصر الاستمرار والفناء فيها على بعض كواكب المجموعات الشمسية المنتشرة في هذا الكون الواسع

ولقد كانت الآيات القرآنية المتعلقة بالحياة في السموات والارضين موضع كثير من التأمل والبحث ولقد كان من بعض معجزات القرآن أن ظلت هذه الآيات ـ وستبقى ـ منهلا يستقي منه المتسائلون في كل عصر وآوان .

لقد كانت دائما تنسجم مع ما يتوصل اليه العقل البشري من انجازات في محاولات اكتشاف العالم الذي نعيش فيه ، ولسوف تبقى كذلك ما دام في الأرض حياة وما دام هناك مزيد من الاكتشافات والانجازات ، وذلك لأن ما توصل اليه الانسان حتى الآن هو اقل ـ بما لا يقاس ـ مما احتواه القرآن الكريم من اشارات ومعلومات عن أسرار الكون ومداه وتكوينه » .

من تلك الآيات قوله تعالى :

(ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) الشورى/ ٢٩ .

(تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) الاسراء/ ٤٤ .

وغير ذلك كثير كثير مما يشير الى وجود كائنات في السماوات بثها المولى عز وجل ويمكن جمعها بمشيئته كما يبعث من في الارض .

يقول ابن كثير في تفسيره :

« قوله تعالى (**ومن آياته خلق السموات والأرض**) .. (من آياته) الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه القاهر (خلق السموات والأرض وما بث فيهما) أي ذرأ فيهما أي السموات والارض (من دابة) وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف اشكالها وألوانها ولغاتها وطباعها وأجناسها وقد فرقهم في اقطار السموات والارض (وهو) مع هذا كله (على جمعهم اذا يشاء قدير) أي يوم القيامة يجمع الاولين والآخرين وسائر الخلائق على صعيد واحد فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق » .

وهو نفس ما قال به مفسرون معاصرون كثيرون منهم الاستاذ محمد الغمراوي في كتابه « الاسلام وعصر العلم » :

« لكن علم الله سبحانه أن يكون في السماء حياة ودواب سيكشف عنه العلم في عصر آت وسيلهج به الناس كما يلهجون الآن بحياة في بعض الكواكب يظنونها أرقى في العلم حتى من الحياة على الارض في عصر العلم هذا .. ومهما يكشف العلم في عصر الفضاء من حياة في الكواكب فهو انما يحقق معجزة علمية للقرآن تتجدد بها الحجة وتزداد الأدلة بها دليلا على أن القرآن من عند الله » .

ان الله تعالى يقسم بقوله :

(**فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**) الواقعة/٧٥ و ٧٦ ليلفت الانسان الى عظم السموات وعجز الانسان عن أن يقدر عظمتها التي بدأنا في عصر الفضاء نقف على اليسير من أسرارها .

لكن دراسة الفضاء لم تبدأ من فراغ بل كان لعلماء المسلمين القدامى فضل السبق في دراسة الفلك والفضاء وكانت مراصدهم منتشرة في عواصم الاسلام في طليطلة وسمر قند وبغداد واشبيلية بالاندلس والمراغة في فارس وابتكروا غير قليل من الادوات والمعدات الفلكية والمناظير التي حققوا بها الكثير من المعلومات عن الفضاء كاضطراب السيارات في افلاكها والنقص المتواصل في انحراف سمت الشمس والاختلاف الثالث في حركة القمر وغير ذلك كثير مما اعترف به علماء أوربة الذين بنوا على انجازات علمائنا هذا التطور العظيم الذي نشهده اليوم في علوم الفضاء .

وفي الفصل الرابع يتحدث الدكتور يماني عن الطوفان الذي اغرق الارض وعن الحضارات المتعددة التي سادت ثم بادت والآراء التي تزعم وجود حياة بشرية على الارض تسبق الحياة التي نؤرخها الآن والتي لا تزيد عن سبعة آلاف سنة ثم يختتم هذه الرحلة بقوله « انه لا يوجد لدينا حتى الآن أي دليل يؤيد الاعتقاد بوجود حياة انسانية سبقت الحياة المعروفة للانسان على الارض وربما يكون هذا هو السبب فيما يقوله بعضهم من أن مخلوقات قد أتت الى كوكبنا من خارجه كتعليل منطقي للظواهر الشاذة وغير الطبيعية التي يراها البشر أحيانا في كوكبهم » ..

فهل هذه الاجسام الطائرة المجهولة التي تشاهد في الفضاء دون أن يعرف كنهها بالضبط هي من هذا النوع من المخلوقات .. ؟ أو أن بعض الناس تختلط عليهم بعض الاجسام الطائرة المعروفة كالبالونات وبعض أنواع الطائرات فيظنونها اطباقا طائرة ..؟

لقد حضر الدكتور يماني مؤتمرا علميا في أكابولكو - نشرت بعض التفاصيل عنه في مجلة نيوزويك الامريكية في يناير ١٩٧٩ - يضم نخبة من العلماء في الفلك والاجتماع ومهندسي الفضاء والاطباء ورجال الدين والمفكرين والكتاب بهدف « اصدار قرار موجه للأمم المتحدة يحثها على انشاء هيئة دولية استشارية للبحث في شؤون الاجسام الطائرة المجهولة » .

ثم يحشد الدكتور يماني في الفصل الخامس من الكتاب مجموعة ضخمة من الروايات والشهادات مدعمة بالصور عن رؤية هذه الاطباق الطائرة نذكر منها :

« في شهر نوفمبر ١٩٧٥ كان سبعة أشخاص من سكان أباتشسجراف بولاية أريزونا الامريكية يجتازون (الغابة الوطنية) حين رأوا طبقا طائرا بدون نوافذ يبلغ ارتفاعه عشرة اقدام وقطره خمسة عشر قدما يحوم حول الغابة .

ورغم تحذير زملائه قفز ترافيس

والتن من السيارة واتجه نحو الطبق وعندما أصبح تحته صدمته بقوة أشعة مكثفة من الضوء الازرق ، جعلته يسقط أرضا ثم يختفي أو يتلاشى لفترة من الزمن ، وان كان بعض الشهود قالوا إنه فقد وعيه فقط ، أما والتن نفسه فانه قال ـ بعد غياب الطبق وعودته الى وعيه ـ انه لا يتذكر شيئا مما حدث ».

لكن على كثرة رؤية الاطباق الطائرة في أماكن مختلفة من العالم فان أحدا لم يقدم حتى الآن دليلا ماديا واحدا يثبت هذا القول بصورة علمية مقنعة وجميع هذه الحوادث قد اقتصرت على مجرد الحديث والوصف بصرف النظر عن مدى جدارة المتحدث بالثقة .

ونتيجة لاستمرار الحديث وقر في اذهان الرأي العالمي أن الاطباق الطائرة ما هي الا مركبات من بعض الكواكب الأخرى ـ دون تحديد للكوكب أو المجرة التي يتبعها ـ وقادتها مخلوقات قصيرة غريبة التكوين رؤوسها اكبر من أجسامها . وهذه الكائنات وأطباقها ذات تأثير عميق على من يقف بالقرب منها لأنها قادرة على احداث تأثير اشعاعي لا حدود له بحيث يفقد الشخص الذي يتعرض له ذاكرته فجأة ، كما أن لها تأثيرا بواسطة الاشعاعات من الأجهزة التي تستخدمها ، يعمل على تغيير البيئة المحيطة بها كتغيير مجال الجاذبية » .

لكن رجل العلم يأبى ان يقطع برأي في أي موضوع دون أن تكون تحت يديه معطيات كافية من الأدلة والمعلومات .

لذلك يميل بعض العلماء مثل وليم سبولدنج المتخصص في شؤون الفضاء الى التصور او التأويل فيقول « من المحتمل أن تكون هذه الأجسام نوعا من الاسلحة السرية التابعة لأمريكا أو روسيا ولكن هذه الدولة لا ترغب في الكشف عنها ولذا فهي تترك الناس يتخيلونها أطباقا طائرة مع أنها تعلم تمام العلم أنها ليست كذلك » .

وكما سبقت الاشارة فالفضاء حافل بملايين النيازك والشهب والمذنبات ذات السرعة الفائقة والاشكال التي قد توحي ـ على ضوء التهيؤ الذهني المسبق ـ بأنها أطباق طائرة .

حتى الرئيس الامريكي كارتر وعد اثناء معركته الانتخابية بنشر كل ما لدى الحكومة الامريكية من معلومات حول الاطباق الطائرة بعد ان توفرت « أطنان من الوثائق التي تثبت وجود مخلوقات في الفضاء الخارجي ينبغي ان نزيح الستار عنها ، حتى ولو كانت محيرة وانني سأضع جميع المعلومات السرية المتعلقة بهذا الموضوع تحت تصرف الأمة لأنني مقتنع بها شخصيا ولأنني شاهدتها بنفسي » .

لكن كارتر بمجرد وصوله الى موقع المسؤولية لزم الصمت وتنكر لوعده مما يحمل على الظن بأن « الأسرار الموجودة لدى الحكومة الامريكية مرتبطة بالمصالح العليا للدولة » .

ورغم الجوائز التي رصدت لمن يقدم أدلة ايجابية تثبت وجود هذه

الأطباق من الصحف العالمية والهيئات العلمية فقد «تبين أن معظم الصور التي قدمت على أساس انها تمثل اطباقا طائرة هي صور مزيفة والقليل منها في نظر العلماء لا يكفي لاثبات وجود هذه الاطباق » ... وهي نفس النتيجة التي انتهى اليها تقرير اللجنة العلمية الكبرى التي شكلها سلاح الطيران الامريكي برئاسة ادوارد كوندن الحاصل على جائزة نوبل في العلوم الطبيعية والذي يؤكد « بأنها ليست الا تهيؤات » .

واذا كان بحث الدكتور عبده يماني قد انتهى الى أنه لا وجود للأطباق الطائرة فانه لا ينفي احتمال وجود أجسام تغزو الأرض في المستقبل لا سيما وأن ما ورد في القرآن الكريم عن هذا الكون العظيم لا يتعارض مع احتمال وجود حياة في كون الله الواسع لا يعرف كنهها غير الله جلت قدرته .. ومن المحتمل ان رحلات هذه المخلوقات تكون قد بدأت منذ مئات السنين .. كما أنه من المحتمل أيضا أن الله جلت قدرته قد هيأ لتلك الكائنات من الاسباب ما هو أسرع من سرعة الضوء والقرآن الكريم يدلنا بوضوح على هذا الموضوع في قصة النبي سليمان عليه السلام عندما طلب احضار عرش سبأ أمامه ، فقال له عفريت من الجن : (**أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك**)النمل/ ٣٩ **(قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي**) النمل/ ٤٠ .

والعلماء المعاصرون أول من يؤمن بأن العلم الذي وصل اليه الانسان على عظمته وسعة آفاقه ما زال يحبو بالنسبة لما حواه هذا الكون من أشياء لا يعلم بها الا خالقها ..

وهناك فريق كبير من العلماء يجلسون في مرصد (جودريك) بأمريكا ينصتون لكل همسة او حركة تجري في الفضاء الخارجي ، معهم أحدث الاجهزة مقتنعين بأن هناك حياة في الكون هي في الغالب ليست مثل الحياة عندنا على الارض .

ويخلص من ذلك الدكتور يماني الى أن « الانكار المطلق للأجسام الطائرة لا يغير من واقع الأمر شيئا ، وستظل موجودة في اعتقادي وكل ما ينقصنا هو أن نعرف كنهها ونحدد طبيعتها ليس غير » ..

لقد وفق الدكتور محمد عبده يماني حقا في حشد هذه المجموعة من الدراسات المدعمة بالصور والرسوم والاحصاءات التي تتيح للقارىء الى جانب الفائدة العلمية وقتا ممتعا في مطالعة صفحات الكتاب ، وفرصة فريدة لارتياد آفاق ذلك العالم العجيب » الذي كان اسلافنا بكل فخر ، هم من أوائل من ارتاده وحققوا فيه منجزات لا تنسى » .

بل ان الكتاب في مجموعه نداء الى مزيد من التأمل في كتاب الله « القرآن الكريم » بعد ان كشف أمامنا عن واحدة من معجزات هذا الكتاب الخالد في دراسة الأكوان .. معجزة الحيوات المختلفة المنبثة في السموات والأرضين .



استعمال السواك لنظافة الفم وصحته

لقد انعم الله على البشرية بالاسلام ، وارسل رسوله محمدا « صلى الله عليه وسلم » هاديا ومعلما ، فكان الاسلام هو الدين الوحيد الذي جمع بين الدنيا والاخرة ، واهتم الاسلام بالروح والجسد ، ولم يفضل واحدة عن الاخرى ، فجاء العلاج متكاملا وشاملا وبذلك يعيش المسلم في حياة قوامها التوازن بين روحه وجسده ، ولا يتسع المجال هنا لحصر الامثلة على ذلك ، ولكننا سنتناول جانبا عنى به الاسلام اكثر ما عنى الا وهو طب الفم ولا ادل على ذلك من ان نستعرض

الاحاديث النبوية الشريفة التي وردت في هذا المجال .

وقبل ذلك سوف نذكر نبذة بسيطة عن بعض المعارف الحديثة التي وصل اليها طب الاسنان ، ثم نطابق بين هذه النظريات الحديثة وما ورد في الاحاديث النبوية .

فالفم هو المدخل الرئيسي لاعضاء الجسم الداخلية ، ويمكن ادراك المخاطر التي يمكن ان تصيب هذه الاجهزة ، سواء الجهاز التنفسي العلوى ، أو الرئتين ، أو الجهاز الهضمي إذا ما اصيب الفم ، وعلاوة على ذلك فإن الجهاز العصبي المتصل بالاسنان وبمنطقة الوجه ، يمثل خطورة كبيرة على الانسان اذ هو اقرب المناطق الى الجهاز العصبي المركزي الرئيسي « المخ » لذا كانت الامه لا تحتمل . من هنا يتضح الاهمية القصوى لاهتمام الرسول بتنظيف الفم والعناية به .

تسبح الاسنان دوما في اللعاب وتكسو كل سن سليمة طبقة رقيقة من هذا اللعاب ، وتلتصق بها فاذا ما اتسخت هذه الغلالة اللعابية فان الاسنان يعلوها الكلس والاوساخ التي تضم بين جنباتها الجراثيم . ولقد وجد العلماء انه حتى بعد تلميع الاسنان تتكون هذه الغلالة في اقل من ساعة ، ولا يزداد سمكها عن ميكرون واحد ، وحالما تتكون هذه الغلالة تبدأ الجراثيم المتواجدة بالفم ، كقاطنين طبيعيين ، تبدأ في الالتصاق عليها ، أما إذا لم يتم إزالة هذه المادة الرخوة باستمرار لمدة ٢٤ ساعة فيتضح بمجرد النظر للاسنان ، تواجد رواسب رخوة عند اتصال اللثة باعناق الاسنان ، ولقد اثبت العلماء في تجاربهم على الحيوانات ان ترسب هذه المادة الرخوة لا يتأثر إطلاقا بمرور الطعام من عدمه في افواه الحيوانات التي تتغذى بطريقة الانابيب المعدنية . وبذا ثبت ان مضغ الطعام للمواد الليفية لا يمنع تكون هذه الرواسب الرخوة ولم يتمكن العلماء حتى الآن من معرفة كيفية التصاق هذه الرواسب الجرثومية على اسطح الاسنان ولكنه ثبت ان هذه الالتصاقات تزداد داخل افواه الاشخاص غير القادرين على تنظيف اسنانهم باستمرار وسرعان ما تبدأ الجراثيم الفمية بتكوين مستعمراتها الاستيطانية ، وحينئذ يبدأ نهجها الاحتلالي على الاسنان .

وتسمى الجراثيم الملتصقة على اسطح الاسنان « اللويحة السنية » وقد اعتبرها علماء العصر الحالي والقديم انها العامل الاساسي في نخر الاسنان وامراض اللثة التي تصيب الانسجة المحيطة بالاسنان .

ولقد اثبتت البحوث الحديثة ان الجراثيم المستوطنة في اللويحة السنية تغير شكلها وكميتها على الدوام وكذلك طرق التصاقها بأسطح الاسنان وبذلك يزداد عتوها ويتمركز تأثيرها على كل الانسجة الرخوة « اللثة » والصلبة « الاسنان » .

وقد يقل معدل تكوين هذه الالتصاقات بتأثير وقوام المواد الغذائية المتناولة وكذلك التركيب

الكيميائي والفيزيائي للعاب الانسان . ولقد تمكن العلماء من اصابة بعض المرضى بأمراض اللثة ، عندما طلبوا منهم الامتناع عن استعمال الفرشاة لمدة ٣ اسابيع ، وهكذا وصلوا لاستنتاج ان السبب المباشر لالتهابات اللثة ونخر الاسنان هو اللويحة الجرثومية حيث ثبتت العلاقة بين تواجد الجراثيم وامراض الفم والاسنان .

اما من حيث علاقة المواد الغذائية وتكون اللويحة الجرثومية ، فلقد اثبتت الابحاث ان المواد السكرية تساهم في تكوين هذه الطبقة وذلك بتغذي الجراثيم عليها ، كما انها تساعد على سرعة وقوة التصاق الجراثيم بسطح الاسنان . وتتحكم الظروف المحيطة باللويحة السنية وما تحتويه من جراثيم في قوة تأثير هذه الترسبات على الانسجة المجاورة ، فمثلا نسبة الحموضة ، تركيز السكر في اللعاب ، وكذلك الاحماض الامينية والفيتامينات . كما تقوم المواد السامة التي تفرزها هذه الجراثيم بتنظيم ديناميكية الانزيمات المطلوبة في عملية التمثيل والنمو الجرثومي للويحة . وهنا يجب ان نذكر ان هذه المعدلات يعتمد بعضها على البعض حتى انه اذا ما اصيب احدها بالخلل اصيبت باقي المعدلات بالخلل ايضا .

ويراعي انه كلما ازداد سمك اللويحة السنية ازداد تمثيلها الغذائي ، كلما قاومت قوة الازاحة باستعمال اي الة لازالتها كالفرشاة مثلا . واذا ما اردنا تطبيق هذه المعلومات على ما اوصى به الرسول : « صلى الله عليه وسلم » من وجوب اهتمام الانسان بنظافة الفم حين قال : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » (رواه البخاري) .

وفي الصحيحين ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة »، اتضح من ذلك ان مستعمل السواك في احسن حال وذلك من جهة تكرار ازالة اللويحة بتكرار استعمال السواك في اليوم .

ومما سبق تتضح النظرة العلمية الدقيقة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » فلقد ثبت فعلا تراكم الجراثيم مباشرة بعد الانتهاء من تنظيف الاسنان الامر الذي جعل الرسول يوصي بازالة هذه الترسبات التي لا تزول الا بالحك الالي .

وكلما ركد اللعاب كما ذكرنا من قبل ازدادت ترسبات اللويحة السنية التي تشجع استيطان الجراثيم ، ولقد اتخذ محمد « صلى الله عليه وسلم » عادة ازالة هذه الالتصاقات من على الاسنان حتى اثناء الليل حيث ورد في الصحيحين ان النبي « صلى الله عليه وسلم » كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » .

ولقد امر رسول الله « صلى الله عليه وسلم » باستعمال السواك في حقبة من الزمن ، لم تكن تعرف فيه المعارف الطبية . ولا جدال اذن ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » كان اول من امر بالعناية بنظافة الفم وحفظ صحة الاسنان عند المسلمين .

والسواك ذكر انه من شجرة تسمى الراك واسمها العلمي هو السلفادورا براسيكا وهي تنمو في مناطق عديدة حول مكة وفي المدينة المنورة وفي اليمن وفي افريقا وهي شجرة قصيرة ، لا يزيد قطر جذعها عن قدم ، اطرافها مغزلية ، اوراقها لامعة ، جذوعها مجعدة ولونها بني فاتح ، والجزء المستعمل هو لب الجذور ولاستعماله تجفف ثم يحفظ في مكان بعيد عن الرطوبة ، وقبل استعماله يدق بواسطة الة حادة ، ثم يبدأ في استعماله او اذا كان جافا يغمس في الماء ثم تسوك به الاسنان ، ويظل استعماله هكذا حتى اذا ضعفت وتاكلت يوقف استعماله ثم يقطع هذا الجزء ويستعمل جزء اخر وهكذا .

ولقد ثبت بتحليله كيميائيا انه يحتوي على الاتي :-

١ - مادة شبه قلوية يمكن ان تكون سلفارورين .

٢ - تراي مثيل امين .

٣ - نسبة عالية من الكلوريد والفلوريد والسيليكا .

٤ - كبريت .

٥ - فيتامين ج .

٦ - كمية قليلة من مادة الصابونين والتانين والفلافونيد .

٧ - كمية وفيرة من مادة السيتو ستيرول .

وبنظرة بسيطة على المكونات الكيميائية للسواك يمكن معرفة الاتي :-

أ - ثبت ان لها تأثيرا على وقف نمو البكتريا بالفم وذلك يمكن ان يكون بسبب وجود مادة تحتوي على الكبريت .

ب - مادة التريمثيل امين تخفض من الاس الايدروجيني للفم « وهو احد العوامل الهامة لنمو الجراثيم » وبالتالي فان فرصة نمو هذه الجراثيم تكون قليلة .

جـ - انها تحتوي على فيتامين ج ومادة السيتوستيرول ، والمادتان من الاهمية بمكان كبير في تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة وبذلك يتوفر وصول الدم اليها بالكمية الكافية علاوة على اهمية فيتامين ج في حماية اللثة من الالتهابات .

د - تحتوي على مادة راتنجية تزيد من قوة اللثة .

هـ - تحتوي على مادة الكلوريد والسيليكات ، وهي مواد معروفة بأنها تزيد من بياض الاسنان .

ولقد وجدنا انه من المناسب ان ندرس هذا الموضوع دراسة علمية ونقارن النتائج ببعض المستحضرات الموجودة في الاسواق حاليا .

لقد اجرينا البحث على ثمانين شخصا وقسموا الى اربع مجموعات بحيث استعمل كل عشرين شخصا السواك ، والسواك المصحون ، ومسحوق اسنان تجاري . ومادة النشا . وكان الغرض من البحث هو ايجاد اجوبة على الاسئلة التالية :-

١ - هل يحل السواك كما هو محل فرشاة ومعجون الاسنان بالرغم من كونه الة مستقيمة لا يمكن استعمالها في اماكن معينة من الفم مثل الاسطح اللسانية للاسنان ؟

٢ ـ عند طحن السواك الى مسحوق ناعم واستعماله مع فرشاة الاسنان هل يمكن بهما ازالة اللويحة السنية كما يفعل المعجون التجاري والفرشاة ؟

٣ ـ كم تبلغ درجة كفاءة المسواك او المسواك المسحوق كمنظفين للاسنان اذا ما قورنت هذه الكفاءة بكفاءة المساحيق المصنعة سواء الناعم منها او الخشن ؟

٤ ـ ما هي مكونات المسواك الطبيعية التي يمكن استعمالها بعد استخلاصها كيميائيا بالتوالي لتقرير صلاحية اي من هذه المكونات في نظافة الاسنان ؟

ولقد اثبت البحث السريري العديد من النقاط اهمها :ـ

١ ـ ان تعاليم الاسلام وتوجيهات رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في استعمال السواك تماثل ـ تماما ما ترنو اليه مهنة طب الاسنان الحديثة ، الا وهو ضرورة ازالة اللويحة الجرثومية وهي بكر قبل نضوجها وازدياد عتوها على الانسجة الرخوة والصلبة .

٢ ـ عملية استمرار السواك يوميا قبل الصلاة وبصورة متكررة ، كما ورد في تعاليم الرسول في هذا المجال تؤدي الى درجة عالية من نظافة الفم .

٣ ـ احتواء المسواك على المواد الطبيعية ، اعطى المسلم الذي داوم على استعمال المسواك منذ الصغر ، اعطاه نعومة للاسنان ، وباحتوائه على مادة السيليكا ، صلابة في مينائها ، وباحتوائه على مادة الفلورين ، قوة في لثته ، وباحتوائه على التانين وفيتامين ج ، وذلك بتقوية الاوعية الدموية اللثوية واحتمال وجود مادة مطهرة للفم خاصة « الكبريت » .

٤ ـ اظهر البحث ان نظافة فم مستعملي السواك المسحوق ، قد وصلت الى درجة عليا من النظافة وغياب الالتهاب ، وذلك بالمقارنة مع المسحوق التجاري والنشا المستعملين في مجموعتين اخريين .

٥ ـ تحسنت التهابات اللثة التي سجلت قبل بدء البحث في المجموعتين اللتين ـ استعملتا السواك ، والسواك المسحوق عن المجموعتين اللتين استعملتا المسحوق التجاري والنشا .

٦ ـ واستخلص البحث ضرورة تطبيق استعمال السواك اذا ما ابتدأت احدى البلدان ـ الاسلامية في اجراء بحوث وقائية لسلامة الفم والاسنان خصوصا وان المسواك متواجد بكثرة في هذه البلدان ، ورخيص الثمن ، وكفانا ان المسلم قد تبين استعماله دوما ومتكررا كجزء من تعاليم الدين الحنيف .

وهكذا يتضح مما سبق ان للسواك فوائد صحية للفم ، تفوق ما استحدث من ادوات ـ وادوية تستعمل في نظافة الفم ، وان اول من افاد باستعماله هو محمد « صلى الله عليه وسلم » الذي عاش في القرن السابع الميلادي بعقلية ، وتفهم القرن العشرين الميلادي بعد ان عبر عن معلومات لا تنتمي الى افكار عصره ، وانما ثبتت صحة أوامره في صحة الفم بعد قرون عدة .



آداب النظر في الإسلام

للواء/ابراهيم محمد الفحام

لا شك أن النظر من أجل نعم الله على خلقه . وقد حثنا جل جلاله على الافادة من هذه النعمة الكبرى بامعان النظر فيما حولنا من معالم الحياة وأحداثها ، لاستنباط مدلولاتها النافعة ، واستخلاص العبر النافعة منها فيقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام :

(قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الآية/١١ ويقول في سورة العنكبوت :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير) الآية/٢٠ .

ويقول في سورة فاطر :

(أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات

ولا في الأرض انه كان عليما قديرا) الآية/ ٤٤ .

وبينما يشجع الاسـلام ـ بتلك الآيات وغيرهـا ـ النظرة الـواعية الداعية الى التذكر والاعتبار ، فهو ينهي عن النظرة الفاسقة ، التي تثير الغرائز ، وتطلق عنان الشهوات ، كما ينهي عن النظرة المتطفلة التي تقتحم عـلى الناس أسـرارهم ، والنظـرة الحاسدة الحاقدة ، التي تستكثر نعم الله على عباده .

ففي النهي عن النظرة الفاسقة ، يقول تعالى في سورة النور : **(قل للمؤمنين يغضوا من أبصـارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بمـا يصنعون . وقـل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فـروجهـن ولا يبـدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن)** الى آخر الآية ٣٠/٣١ .

وهذه دعوة الى كف النظر الى ما يحرم النظر اليه . والغض : إطباق الجفن على الجفن بحيث يمنع الرؤية .

ويقول الامام الغزالي في كتابـه « منهاج العابدين » أن قوله تعالى : **(ذلك أزكى لهم)** ينطلق على معنيين « الأول : ذلك أطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة ، والتزكية والتطهير والثاني : ذلك أنمى لخيرهم وأكثر ، والزكاة في الأصل النمو . أي في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير . »

ولما نزل قوله تعالى في سورة طه :
(ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) طه/ ١٣١ .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي « من لم يتأدب بآداب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات » .

ومما رواه ابن هذيل من الحكم الاسلامية المأثورة في كتابه « عين الأدب والسياسة » :

« ادمان النظر أحد الفسقين »

و« أسبـاب الفتن ثلاثـة : عين نـاظرة ، وصـورة باهـرة ، وشهوة قادرة » .

كما قيل : « الخير كله في ثلاثة : السكوت ، والكلام ، والنظر . فكل سكوت لا يكون فكرة فهو سهو . وكل كلام لا يكون حكمة فهو لغو ، وكل نظر لا يكون عبرة فهو لهو » .

ويدعو الامام الغزالي المؤمن أن ينظر الى كل عضو من أعضائه ويتأمل فيما خلق له ، وأن يعمل على صونه في ضوء ذلك . ويقول : « فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها ، واليد لكـأس الشراب ، وتنـاول الثمار ـ يقصد شراب الجنة وثمارها ـ والعين انمـا هي للنظر الى رب العـالمـين سبحانه .. وليس في الدارين كرامة أجلّ وأكبر من ذلك .. فحقيق بشيء ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة أن يصان ويحفظ ويعز ويكرم » .

ويروي أن امرأة جاءت الى الجنيد فقالت له : « زوجي يريد أن يتزوج علي » .

فقال لها : « إن لم يكن له أربع جاز له أن يتزوج »

قالت : « لو جاز النظر الى الأجانب لكشفت لك عن وجهي حتى تنظر الى فتعرف أن من له زوجة مثلي ، لا ينبغي

له أن يتزوج غيري »

فوقع الجنيد مغشيا عليه . ولما أفاق سئل في ذلك فقال : « كأن الحق سبحانه يقول : لو جاز لأحد النظر الي لكشفت له الحجاب عن وجهه ، حتى ينظر الي فيعرف أن من له مثلي ، لا ينبغي أن يكون في قلبه سواى »

ورأى الخواص رجلا تحت شجرة قد أشرف على الموت من العطش فقال : « يا الهي .. أنهارك في الأرض جارية ، وبحارك في أقطارها طامية ، وهذا المحب يموت عطشا » ففتح عينيه وقال : « يا خواص .. لو سقاني بحار المشارق والمغارب ما رويت الا بالنظر الى وجهه الكريم » .

فمن حرص ألا يدنس عينيه بالنظر الى المحرمات في الدنيا جاز له أن ينعم برؤية نور الله يوم الدين .

وخير ما يجزى به المؤمن في دنياه عن كفه حواسه عن الحرمات ، صيانة الله لهذه الحواس من عوادي الزمن . وقد قيل للقاضي أبي الطيب : « كيف كبرت سنك ولم تتغير أعضاؤك ؟ » فقال : (حفظتها في صغري ، فحفظها الله في كبري) .

وفي النهي عن النظرة المتطفلة ، يقول جل جلاله في سورة الحجرات : « **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** » الآية/١٢ .

ولذلك قالوا في آداب الحسبة إنه : « ليس للمحتسب أن يتعرض لمن أغلق باب داره واستتر بحوائطها ، الا أن يظهر من الدار من الأمارات والآثار ما يدل ظاهرا على حدوث المنكر بها ، كأصوات استغاثة أو أصوات منكرة للسكارى بالكلمات المألوفة بينهم ، بحيث يسمعها المارة فان ذلك يعد ظهورا للمنكر يستوجب تدخل المحتسب لازالته ومنعه » ومن الأدعية المأثورة : « اللهم اني أعوذ بك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على كلا ، ومن حليلة تقرب الشيب ، ومن جار تراني عيناه وترعاني أذناه ، إن رأى خيرا أخفاه ، وان سمع شرا طار به »

ولقد أفتى بأن البالغ أو المراهق اذا نظر من نافذة أو ثقب باب عمدا ، ولم يكن له في الدار زوجة أو محرم فرمي بحصاة أو نحوها فعمي أو مات فدمه هدر ، ولا يقبل قوله « لم أتعمد النظر » أما اذا نظر من نافذة واسعة أو باب مفتوح فلا يجوز رميه .

ويقول بعض الحكماء : « من غض بصره عن عيوب الناس ، غضوا أبصارهم عنه » كما قيل : « استر عورة أخيك بما تعلم فيك » كما قال الشاعر :

لا تلمس من مساوىء الناس ما فيكا
فيكشف الله شرا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وفي النهي عن النظرة الحاسدة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق بفتح الخاء وسكون اللام ـ فلينظر الى من هو أسفل منه » رواه البخاري .

قال ابن بطال : « هذا الحديث جامع لمعاني الخير ، لأن المرء لا يكون

بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها الا وجد من هو فوقه ، فاذا طلبت نفسه اللحاق به فيكون أبدا في زيادة تقرب من ربه ، ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا الا وجد من أهلها من هو أسوأ حالا منه . فاذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت اليه دون من فضل هو عليه بذلك من غير أمر أو جبه ، فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده »

وروى الترمذي عن ابن عمرو بن العاص : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا : من نظر في دينه الى من هو فوقه ، فاقتدي به ، ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه ؛ كتبه الله شاكرا وصابرا ، ومن نظر في دينه الى من هو دونه ونظر في دنياه الى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا » رواه الترمذي عن ابن عمرو بن العاص .

وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين بقوله : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » أي صائبة .

وقيل انما قال يعقوب عليه السلام لأولاده : (**لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة**) يوسف/٦٧ . خوفا من شر العين .

وقال القرطبي في سورة يوسف « واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين ، اللهم بارك فيه »

وفي شرح المهذب « يستحب اذا رأى شيئا أعجبه أن يدعو بالبركة واذا رأى شيئا يكرهه يقول : اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم »

وفي الأذكار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى ما يحب قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذا رأى ما يكره قال : « الحمد لله على كل حال » رواه ابن ماجه

آداب النظر الى النفس :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر في المرآة قال : أحسنت خلقي فأحسن خلقي » رواه أحمد .

قال ابن عباس : « ما تركتها منذ سمعتها منه صلى الله عليه وسلم » وكان يقول : « لا يمس وجه من قالها سوء أبدا »

ويقال أنه يستحب أن يديم المصلي النظر الى موضع سجوده الا عند الكعبة فينظر اليها ، كما جزم به الماوردي والروياني .

وفي التتار خانية للحنفية : « ينظر المصلي الى موقع سجوده ، وفي ركوعه الى موقع رجليه ، وفي سجوده الى أرنبة أنفه ، وفي قعوده الى حجره » .

وقال آخرون : « يندب للمصلي أن ينظر الى اصبعه المسبحة »

وفي شرح المهذب عن البغوي : أنه ينظر في سجوده الى الله تعالى « أي يستحضر جلاله » .

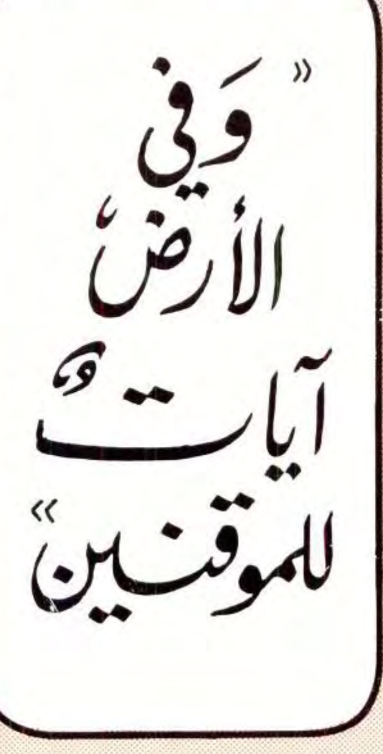
كُونُوا

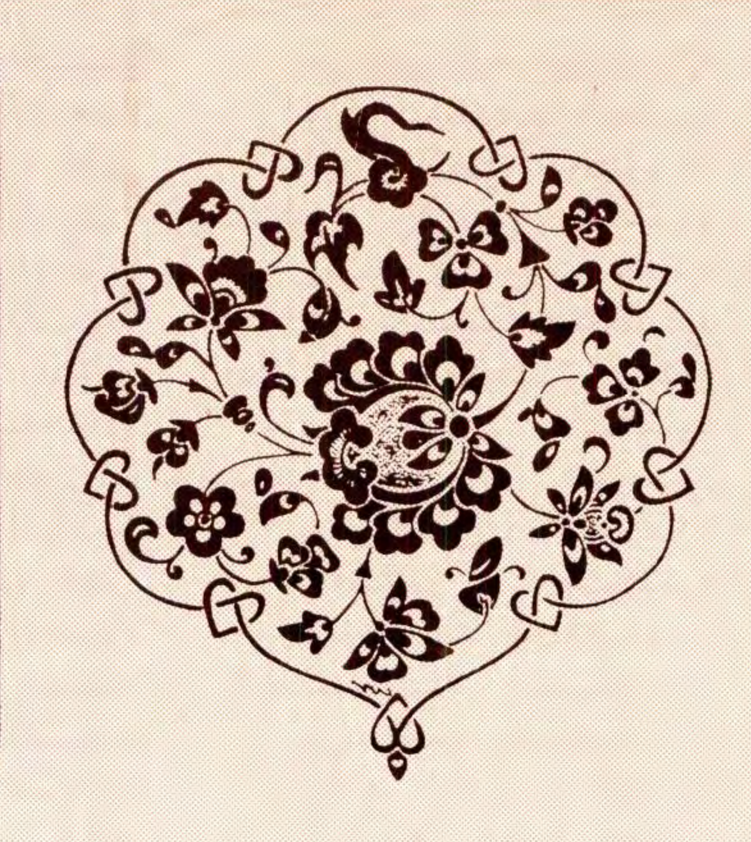
يداً واحدة

للأستاذ/محمود محمد بكر هلال

كانت بماضي الدهر في — جوف الصحارى شجره
عظيمة مكسوة — بالزهر تبدو نضره
تشابكت أغصانها — في قوة ومقدرة
وقد بدت أوراقها — مثل الشباب خضره
مرت عليها أعصر — والله يجري قدره
سعيدة في أرضها — رضية مزدهره
فلم ترع بقاطع — أو تخش يوما خطره
لأنها عن شره — بعيدة مستتره !!!
لكنما الدهر الذي — صافي وجلي زهره
قد بدد الأمن الذي — فيها وأبدى نذره !!!
وضن بالعيش السعيد في الورى وبعثره
فقد صحت من نومها — بيومها مستبشره
وسبحت خلاقها — تقية مكبره
لكن رأت ما لم تطق — بين الصحارى منظره !!!
وأجفلت أغصانها — وأرعشتها قشعره

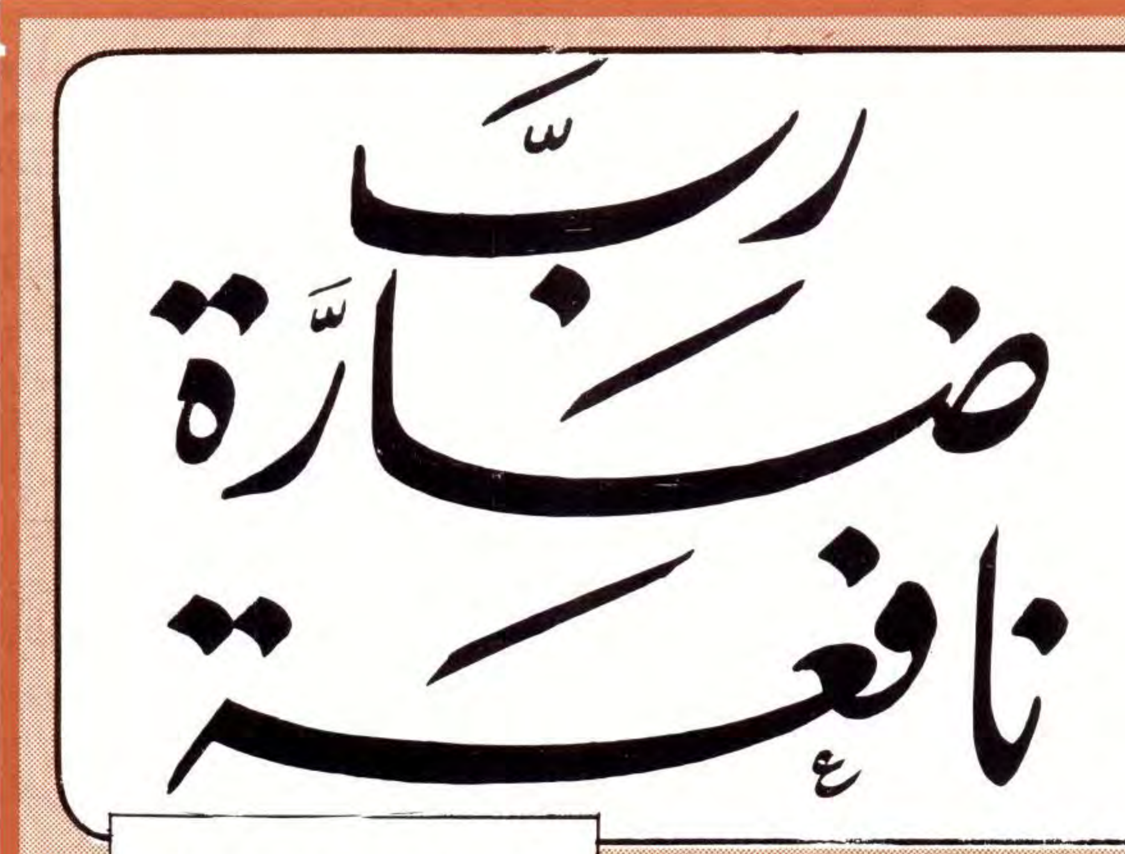
وأصبحت أوراقها   من هوله منتثره !!!
رأت هناك قطعة   من الحديد محضره
كأنها الفأس التي   تهوى لقطع الشجره !!!
وعندها تململ الجذع وألقى بصره
فالتفت الأغصان من   رعب ومالت حذره
وأيقنت بأنها   في يومها محتضره
وأن هذي بلطة الحطاب تلقى نذره
وعن قريب يعتدي   وتستبين أثره
فيحرم العيش الرغيد والحياة المثمره
ويحرم الطير الغنا   ء واللحون المسكره !!!
ويحرم الفراش من   تنقلات مزهره
وتحرم الصحراء من   ظل يصد الهاجره !!!
ومن مقيل ينعش الجماعة المسافره
فأعولت أغصانها   وولولت منذعره !!!
لكن صوتا هادئا   يحيي النفوس النخره
نادى به فرع حبا   ه الدهر قدما عبره ؛
فراح يروي في الصحا   رى للحيارى خبره
وقال : يا أحبتي   خذوا اليكم تذكره
فرددوها جيدا   ففي سناها تبصره !!!
فانني رأيتكم   في رعشة وثرثره
خفتم حديداً ليس يخشى المؤمنون خطره !!!
فهذه الفأس التي   ترونها مدمرة ؛
لا تستطيع وحدها   مهما تناهت مقدره ؛
أو كان حدها به   أسنة مشرشره
فلن تضر وحدها   ولن تمس زهره !!!
ولو أتاها حاطب   من الرجال المهره !!!
ما لم تكونوا أنتمو   أجنادها المسخره !!!
فشرها من بيننا   وكامن في الشجره !!!
فلو غدا غصن لها   يدا تكون المجزره !!!
وعندها يا إخوتي   يقضي العدو وطره !!!
وليس يجدي بعدها   تخلص أو معذره
فوحدوا صفوفكم   في همة وتبصره
وقاطعوا عدوكم   في قوة مؤزره
حتى تنال أرضنا   أمجادها المنتظره





من طبيعة الناس انهم يحبون ويكرهون ، وهذا امر لا غبار عليه ولا مأخذ ، فلا احد مثلا يحب المرض والجهل والفقر والموت ، ولهذا نسعى لنتداوى ونتعلم ونعمل ونقاوم ، حتى نتخطى هذه المكاره ، ومع ذلك فهناك اشياء تحدث لنا في حياتنا ، قد نحسبها في ظاهرها شرا ، لكنها تطوي في باطنها خيرا ، او العكس ايضا صحيح ، لكننا لا نعرف ذلك الا بعد وقت قد يقصر او يطول ، من ذلك مثلا ان يتخلف الانسان مرغما عن سفر هام قد يظن فيه الخير ، وقد يلعن حظه العاثر ، لكنه بعد ذلك يحمد ربه حمدا كثيرا ، عندما يعلم ان وسيلة السفر التي كان سيستقلها قد غرقت او تحطمت بمن فيها ، واشياء اخرى من هذا القبيل ، فلا احد يستطيع ان يلم بأحداث الغيب .

وفي هذه المعاني عبرت بعض ايات القرآن الكريم عن ذلك اجمل تعبير : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون)** البقرة/٢١٦ : **(فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء/١٩ . وفي سورة الكهف ايضا يتقابل موسى عليه السلام مع عبد من عباد الله الصالحين ، فيرى منه اشياء حسبها موسى شرا ، وهي لم تكن كذلك حقا : **(فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا إمرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا)** الكهف/٧١ و ٧٢ . الى اخر هذه الاحداث التي ذكرها الكتاب المبين ، ولهذا فلن نتعرض لها هنا ، فذلك ليس من تخصصنا ، بل



للدكتور/عبد المحسن صالح

سنتعرض لقصة مثيرة من قصص الخلق التي لم ترد قبل ذلك في مجال اية مجلة اسلامية ، ولا في اي مجال اخر يناقش امور الدين والعقيدة .

تناقض واضح

وسر اختيارنا لمقدمة هذا الموضوع ، انها تمهد لنا الطريق لنتعرض لظاهرة من ظواهر الحياة التي تنطوي على امور محيرة ومتناقضة ، لأنها تختص بغزو ميكروب وتكاثره في داخل انسجة جذور نبات ، لتصيبه بعد ذلك بأورام كثيرة ، فمجرد ذكر الورم والميكروب يثير في النفس خوفا وقنوطا وفزعا ، فلا احد مثلا تطاوعه نفسه ان يأتي لمريض بمرض عضال كالاورام السرطانية ، فيواسيه بقوله : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** او لوالدي طفل اصيب بفيروس شلل الاطفال ، فيخفف عليهما بنفس القول ، لأن المناسبة هنا لا تحتمل ذلك ، فليس من وراء السرطان الا الموت في معظم الاحيان ، وليس من وراء الشلل الا العجز مدى الحياة ، ولذلك فان لكل مجال مقالا ، ولكل مكروه ما يناسبه من اقوال تريح ولا تثير او تغيظ ، فلا احد منا مثلا يحب ان يسمع ان اصابته بمرض عضال فيها خير له !

ومع ذلك ، فان قصة الغزو الميكروبي ، وما يسببه من اورام ، مناسبة هنا تماما لمقتضى الحال ، وينطبق عليها القول الكريم : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** ،

ودون ان يجانبنا في ذلك الصواب ، صحيح ان الاية تخاطب البشر ، لكن احيانا ما يتعدى معناها الى ما هو اعم واشمل ، وتصبح شريعة صالحة لبعض صور الخلق ، لأن الاصابة وما يتبعها من اورام تعود علينا بالنفع والخير في حين ، وعلى التربة الزراعية في حين اخر ، وعلى الكائن الحي الذي اصيب ، بزيادة في النمو والثمرات !

ولا شك ان في ذلك السرد تناقضا واضحا ، اذ كيف تحدث الاصابة بالميكروب ، ثم تصبح هذه الاصابة مصدر صحة وقوة وازدهار ؟.. ثم اوليس ذلك مخالفا لما وقر في العقل من امور لا يختلف عليها اثنان ؟

وهذا صحيح ظاهرا ، لكن القصة تنطوي على تعاون حقيقي بين الميكروب الذي اصاب ، وبين الكائن المصاب ، فالاصابة هنا لازمة من لوازم حياته ، وهي من العوامل المؤثرة في قوته ، فان غاب عنه ميكروبه ، ولم يصبه بالاورام ، فلا شك ان الكائن سيصاب بالضعف والهزال !

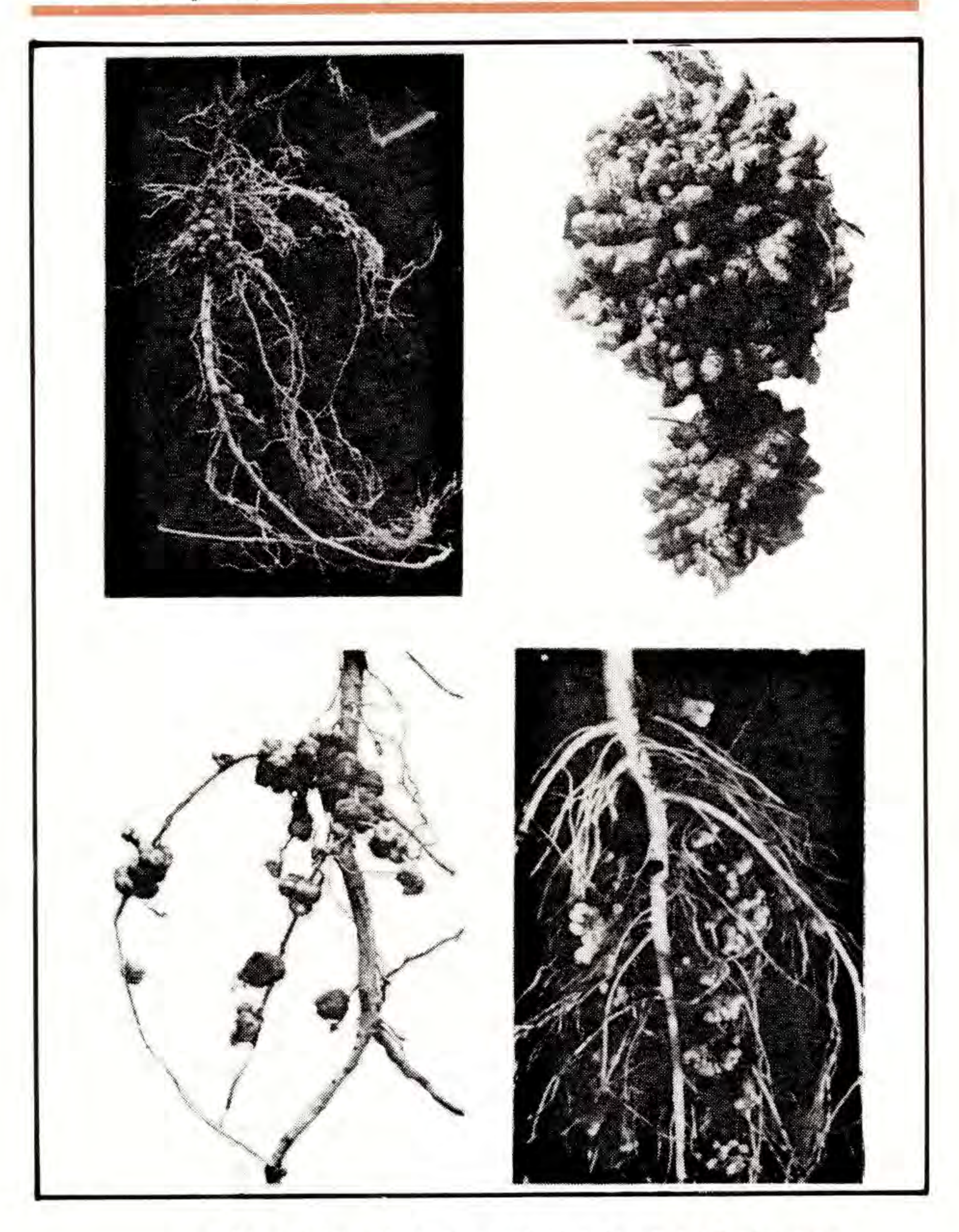
ولقصتنا هذه جذور قديمة ، لأنها تحدث بين نبات بقولي ، وبين ميكروب يسكن الارض ، ولقد بدأت احداثها قبل ان يظهر الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، ولا زالت قائمة حتى اليوم ، وستستمر الى ان يرث الله الارض بمن عليها .

فمن المعروف من قديم الزمن ان زراعة الارض بأحد النباتات في اعقاب حصاد نبات بقولي ، يمنح المزروع بعده مزيدا من النمو والثمار ، فكأنما النبات البقولي في هذه الحالة قد اضاف الى الارض بعض عناصر خصوبتها ، فيثاب بها النبات الذي يليه ، وقد لا يحتاج الى اسمدة يضيفها اليه الانسان ، لأن النباتات البقولية كالبرسيم والفول وفول الصويا والفاصوليا والترمس .. الخ ، قد سمدت الارض ، واعادت اليها خصوبتها ، هذا رغم اننا نعرف ان اي نبات يزرع في الارض وينمو ، فلا بد ان يحرم الارض بعض خصوبتها ، لأنه يستولي منها على العناصر اللازمة لحياته ، لكن لكل قاعدة شواذ ، فالنباتات البقولية تعطي الارض اكثر مما تأخذ منها !

وطبيعي ان الاجيال السابقة لم تكن تعرف السر في هذه الخصوبة ، لكنها عرفتها عن طريق الملاحظة والممارسة عبر اجيال طويلة ، ثم يجيء العلم بعد ذلك ليكشف عن سر بديع ، ينم عن تنظيم متقن ، له مغزاه ومعناه في عقول قوم يتدبرون ما في الخلق من ايات محكمات ، ربما مصداقا لقوله تعالى : **(وفي الارض آيات للموقنين)** الذاريات/ ٢٠ .

كلمة سر لها مغزاها !

وطبيعي ان الارض تموج بجيوش هائلة من الميكروبات .. بكتيريا وفطريات وفيروسات وحيوانات اولية ذات خلية واحدة او عديدة الخلايا .. الخ ، ولها انواع كثيرة جدا تعد بعشرات الالاف ، ثم ان بعض هذه الانواع تحوم حول جذور النباتات ، لتقتنص الفرصة المناسبة لكي تغزوها



الصور الاربعة توضح ما يشبه الاورام على جذور نباتات مختلفة ، ويختلف الورم باختلاف سلالة الميكروب ونوع النبات البقولي .. هذه الاورام تعرف باسم العقد البكتيرية التي تكفل النبات ويكفلها .. لاحظ كيف ان جذور النبات في الصورة الاولى (اعلى الى اليمين) قد تحولت الى اورام ضخمة واضحة (شكل ١)

وتتطفل عليها وتمرضها وتضعفها ، واحيانا تصيبها بالذبول والموت ، الا ميكروب « الرايزوبيام » الذي عقد صفقة تجارية بينه وبين النبات البقولي ، ليتعاون معه على البر والخير ، لا على الاثم والعدوان ـ كما يفعل ابناء عمومته من الميكروبات المتطفلة او المرضة !

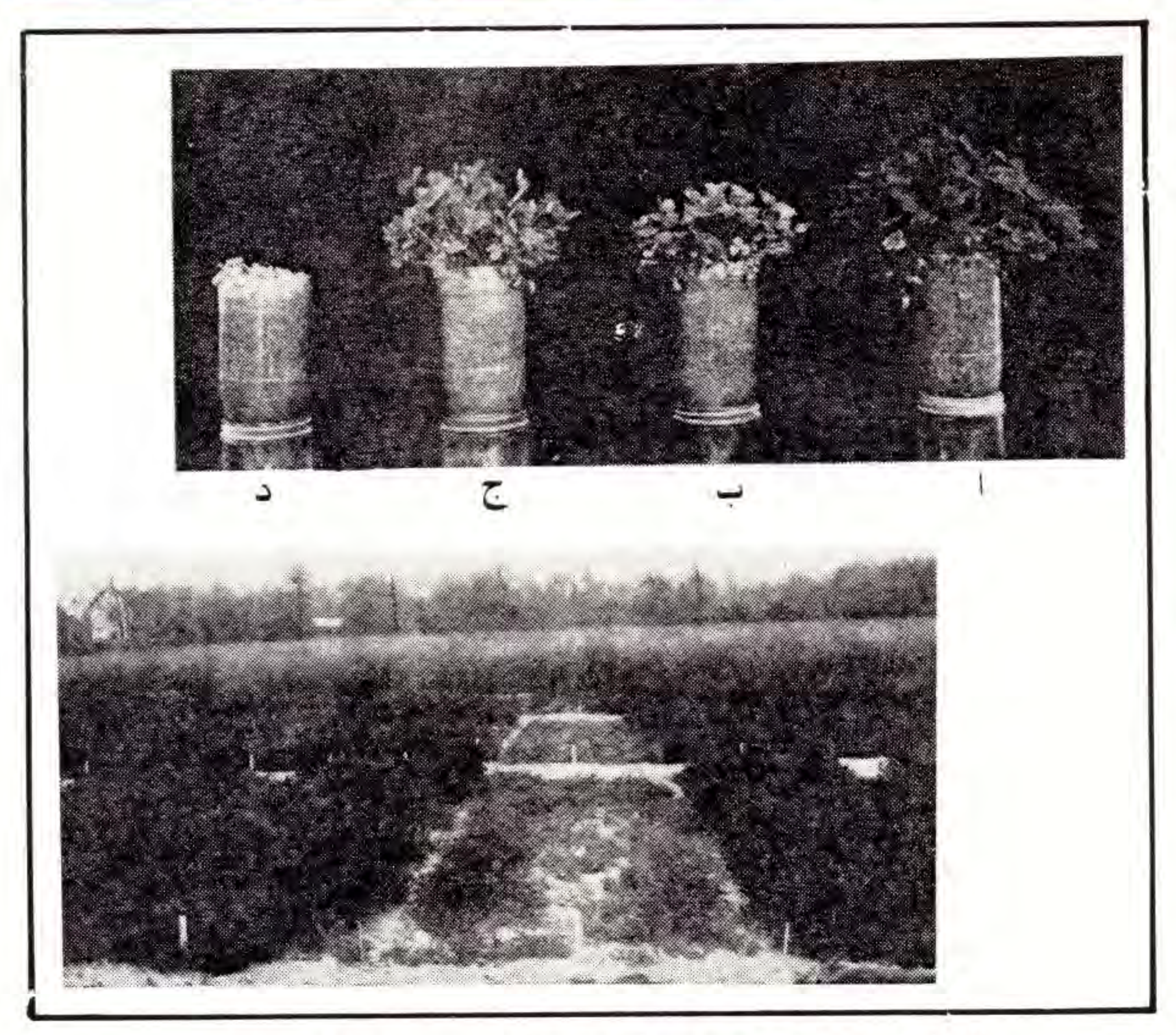
لكن .. كيف يعرف النبات البقولي العدو من الصديق ، او ما ينفعه مما يضره ، خاصة وان الارض تموج بعداوات وصراعات ودفع ازلي بين الميكروبات ، او بين الميكروبات وجذور كل النباتات ؟.. ثم كيف يهتدي الميكروب الى جذور النبات البقولي ، ويعرف ان شريك حياته قد حل بأرضه ، فيسعى اليه ، ويطرق ابوابه ، ليسمح له بالدخول دون سواه ؟

لا شك ان هذه الكائنات لا تمتلك عيونا ولا اذانا ولا السنة ولا اية حاسة من الحواس التي نعرفها نحن في عالمنا ، لتوضح لنا العدو من الصديق ، او الحلو من المر ، او الحيوان من النبات .. الخ ، ومع ذلك فهي تعرف ذلك تمام المعرفة ، فلم يخلق الله خلقا ـ صغر شأنه او عظم ـ الا وامده بالوسائل الحكيمة التي تهديه الى ما ييسر له حياته ، حتى ولو كان يعيش في عالم تكتنفه الظلمات والمتاهات .

لا تحمل لذلك هما ، فكل شيء قد جاء بنظم مذهلة لا تتفتح الا للعقول الواعية التي تسعى سعيها للكشف عن اسرار الله في خلقه ، فتتبين لنا قدرة من خلق فأبدع فتجلى .. (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/ ٤٩ : (**فقدرنا فنعم القادرون**) المرسلات/ ٢٣ .

فواقع الامر ، ان التعارف بين ميكروب الرايزوبيام وبين جذور النبات البقولي ، يتم « بكلمة » سر ، بل « بكلمتين »، او ربما بأكثر .. كلمة منها للنبات ، وكلمة للميكروب ، وطبيعي ان هذه الكلمات غير منطوقة ولا مسموعة ، لكنها مكتوبة ، ليس ذلك بحروف لغتنا ، ولا بحروف اية لغة بشرية اخرى ، بل بذرات مختلفة تتآلف مع بعضها في جزيئات ، كما تتآلف الحروف هنا مثلا في كلمات ، ليكون لها في عقولنا معنى ، وكذلك تكون الجزيئات الكيميائية التي « يؤلفها » كل كائن حسب الخطة او « البروجرام » الوراثي الذي جاء به الى الحياة ، لكن ما علينا من كل ذلك ، لأن الحديث فيه قد يتشعب ويطول ، المهم ان جذور النبات البقولي تفرز مادة او مواد كيميائية محددة ، لتتخلل حبيبات التربة ، ورغم ان تركيزها ضئيل غاية الضالة ، الا انها فعالة ، فتخرج بها الميكروب المنشود من وحدته وسكونه ، وكأنما هي ـ لو ترجمناها بلغتنا ـ قد تعني « لقد حللت بأرضك ، فقم من سباتك ، والى جذوري تحرك ، ووضح لي هويتك »!

وبالفعل يستجيب الريزوبيام لهذا النداء الكيميائي الصامت ، وتزيد اعداده حول جذور النبات البقولي دون سواها ، ويحل بها ضيفا ، لكن الخلايا لا تفتح ابوابها لكل ما هب



الصورة العليا توضح مجموعة من الاصص مزروعة بنبات بقولي .. الاصيص الى اليسار (د) هو الوحيد الذي لا يحتوي على بكتيريا التكافل ، ولهذا كان نموه ضئيلا ، والاصص الباقية تحتوي على سلالات مختلفة من البكتيريا .
الصورة السفلى توضح حقلا تجريبيا ، حيث تظهر المنطقة الوسطى بنمو نباتي ضعيف ، لأنها عقيمة من البكتيريا .

ودب ، بل لا بد من « طرقة » كيميائية لها مغزاها ومعناها ، او كأنما الميكروب والنبات يستخدمان فكرة شبيهة بالقفل والمفتاح ، فكما ان لكل قفل مفتاحه الذي يفتحه دون سواه ، كذلك تتوافق مادة كيميائية تفرزها جذور النبات ، مع مادة كيميائية اخرى يفرزها الميكروب ، فاذا تفاعلت هذه مع تلك ، او تطابقت معها ، واشتغلت بها ، فان ذلك يكون بمثابة جواز مرور الى خلايا النبات ، وبهذا تتم الصفقة الرابحة التي تبارك احداثها السماء !

الموضوع طويل جدا ، وعويص جدا ، ولا زالت تكتنفه الغاز ومتاهات ، رغم مئات والاف البحوث التي تمت في هذا المجال حتى الان ، وهذا ينبئك بأن الخلق يحتوي على

اسرار ما بعدها اسرار ، وكل سر مكتشف يسعدنا ويقربنا من خالق هذه الاكوان ، لنعرف عن علم معنى قـوله : (**وخلق كـل شيء فقدره تقديرا**) الفرقان/٢ .

المهم ان العلماء قد توصلوا الى اكتشاف كلمة السر في جذور النبات ، واطلقوا عليها اسما معقدا وطويلا « بولي جالا كتورونيز » واكتشـاف كلمـة السر ايضا في الميكـروب .. « اندول اسيتيك الحامضي ، او اندول حـامض الخليك »، ولا تهمنـا هنا الخطوات التي تسير فيها التفاعلات الكيميائية المعقدة ، اذ يكفينا اننا بسطناها بفكرة القفل والمفتاح ، او الشفرة والشفرة المضادة .

غزاه فأصابه فأعطاه

بعـد ان فتحت خلايـا الجذور اسوارها لتسمح لبكتيريا الرويزوبيام بالمرور دون سواها ، تبدأ البكتيريا في التكاثر لتصبح بلايين فوق بلايين ، وفي النهاية تتحول الى اورام واضحة على الجذور (شكل ١).. وهذه نطلق عليها اسم العقد البكتيرية .

وبمجـرد ان يحـدث الغـزو ، ويستضيف النبات الميكروب ، يبدآن في عمل متناسق يعود بالفائدة على نوعيهما ، فالميكروب لا يتكـاثر في التربة الزراعية ، لأنه لا يستطيع ان يكون المواد السكرية ، لكن النبات الاخضر يستطيـع ذلك من خـلال عمليات التمثيل الضـوئي ، ولهذا يأخذ الميكروب من هذه السكريات نصيبا ، وبها يتكاثر ، ولو اقتصر الامر على ذلك ، لاعتبرنا الميكروب متطفـلا ، لأن الطفيلي يـأخـذ ولا يعطي ، او انه يعيش على كد غيره ، دون مشاركة حقيقية لنفع من اعطاه من كده ، لكن الميكروب يقابل هذا الجميل بجميل اكبر ، فيعطي النبات مددا دائما من سماد نيتروجيني غير عضوي ، والنبات البقولي في حاجة مـاسـة الى هـذا السمـاد « اي النيترات »، ليحوله في داخل انسجته الى مواد نيتروجينية عضوية تتمثل لنا في الاحمـاض الامينيـة ، ومـن الاحمـاض الامينيـة تتكـون البروتينات ، ليختـزنها النبـات في حبوبه وثمراته ، ولهـذا فان غنى حبوب البقوليات بالبروتينات ، يرجع اساسا الى التعاون والترابط الوثيق بين النبات البقولي ، وبين هذا النوع من الميكروبات .

لقد تمخض الغزو والاصابة عن اورام ، لكنها ـ في الوقت ذاتـه ـ مصانع حية دقيقة من اروع وادق ما عرفه العلماء ، ذلك ان كل فرد من البلايين التي تسكن الورم او العقدة البكتيرية ، هو بمثابة معمل كيميائي على درجة هائلة من التعقيد ، لأنه يستطيع ان يصطاد غاز النيتروجين الخامل من الهواء ، ثم يدخله في سلسلة من العمليات الكيميائية التي حيرت العلماء ، وقضوا في فك بعض الغازها سنين طويلة ، لكن بقيت الغاز اخرى تستحق مزيـدا من البحث والدراسة ، ولن نتعرض هنا ـ بطبيعة

الحال ـ لهذه العمليات المعقدة ، لأنها تستلزم من القارىء ان يكون على دراية كبيرة باصول الكيمياء الحيوية ، لكن يكفي ان نقول ان غاز النيتروجين الخامل يتحول في النهاية الى مركب النيترات ، وهذا بالضبط ما يحتاجه النبات البقولي ، فيعطيه الميكروب النصيب الاكبر ، ويحتفظ لنفسه بالنصيب الاصغر ، ثم ان هذه العملية تسري ليل نهار ، وفيها يتم انتاج النيترات باستمرار ، وفي النبات يتحول النيترات في سلسلة من العمليات الكيميائية الى بروتينات ، فيختزن نصيبا كبيرا منها في الحبوب والثمرات ، ليستفيد منها الانسان والحيوان .. والارض الزراعية ايضا ، اذ عندما يحصد النبات ، فان جذوره بما حوت من هذه المصانع الحية الدقيقة ـ اي الميكروبات ، تتحلل في التربة ، فتضيف اليها من السماد الجاهز نصيبا يتراوح ما بين ٤٠ ـ ٢٠٠ كيلو جرام للفدان في كل عام ، تتوقف قيمة هذه الكمية على نوع النبات البقولي ، وطبيعة الارض الزراعية ، وسلالة الميكروب .. الخ ، وهذا يعني بوضوح ان كوكبنا يستفيد سنويا بملايين فوق ملايين من اطنان السماد ، ومن صناعة هذا الميكروب وحده ، وايضا بالمجان !

علاقات وطيدة

ولقد حاول العلماء فصل العقد البكتيرية ، وزراعتها في الدوارق والانابيب ، وامدادها بكل ما تحتاجه من سكريات وفيتامينات وكل اطايب عناصر الغذاء التي تهواها ، لكنها لم تستجب ولم تتعاون مع العلماء ، بل هي تفضل ان تتعاون مع النبات البقولي اذ مما لا شك فيه ان هناك علاقات وطيدة ، ومواثيق قديمة بين الميكروب وبين من اواه ، ولا بد ايضا من وجود تفاهم وتناسق في العمل بين الاثنين على اعلى مستوى ، ويوم ان نتوصل الى معرفة كل اصول هذا الترابط ، فقد نسيطر على العملية ونوجهها لصالح نباتات اخرى ، ولصالح الارض الزراعية ، ولصالح البشرية ، ذلك ان كشف اسرار الحياة ليس بالامر الهين : **(ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** سبأ/ ٢٨ .

ثم ان احتياج البشرية لمزيد من الاسمدة النيتروجينية يتزايد في كل عام ، وهناك مصانع كثيرة لانتاج السماد ، لكنها تحتاج الى طاقات كبيرة ، وحرارة عالية ، وضغوط شديدة ، وعوامل مساعدة .. الخ ، لكن هذا الميكروب الدقيق يقوم بالعملية دون ضجة او ضوضاء ، وفي درجة الحرارة العادية ، والضغط العادي ، وقليل من المادة السكرية التي يحصل عليها من النبات ليحرقها ، ويحرر طاقتها ، ليدير بها عملياته الكيميائية على اسس اقتصادية تهون بجوارها كفاءة مصانعنا : **(صنع الله الذي اتقن كل شيء)** النمل/ ٨٨ .

وفي الوقت الذي يدق فيه عالمنا المعاصر نواقيس الخطر ، محذرا من امكان نضوب مصادر الطاقة ، وما قد

يتبع ذلك من قدوم العالم على كارثة ، في هذا الوقت نرى ميكروبا قد عقد صفقة تجارية مع النبات منذ عشرات الملايين من السنين ، وبهذه الصفقة الرابحة والعادلة قد حل بنفسه ولنفسه مشاكل الطاقة ، فهو لا يستطيع ـ كما اشرنا ـ ان ينتجها بذاته ـ ولا بد ـ والحال كذلك ـ ان يستوردها من مصادرها ، فنظمت له الامور ادق تنظيم ، وتآخي مع النبات في منفعة متبادلة ، فيأخذ سكرا ، ويعطي سمادا !

ونحن نعرف ان الصفقة المتبادلة بين اثنين من البشر ، لا تفيد غالبا الا من شارك في الصفقة ، لكن صفقة الميكروب مع النبات اكثر عطاء ، واعم فائدة ، لأنها توزع بعض ما غنمته على المحروم ، وكأنما هي « تزكي »ـ ان صح هذا التعبير ـ على ما حباها الله من نعم استمرت معها كل هذا العمر الطويل ، فضمنت للميكروب تكاثره وانتشاره ، وللنبات البقولي قوته وازدهاره .. قلنا انها توزع بعض غنيمتها على المحروم ، لأن هناك نباتات اخرى تسكن في جيرتها ، ولا تجد في الارض من الاسمدة النيتروجينية الا اقل القليل ، لكنها مع ذلك تستفيد مما يعود الى الارض ، لأن الارض بدورها تستفيد ، وكذلك نحن والحيوان نستفيد ، وما اجمل ان تعم الفائدة على الجميع ، وبارك الله في تعاون وتالف حتى لو كان ذلك على مستوى نبات وميكروب ، فالعبرة دائما بالنتائج او الخواتيم ، خاصة اذا كانت عملا متقنا يتجسد ، لا قولا معسولا يتردد ، فما اكثر اقوالنا ، وما اقل اعمالنا ، وواقع حالنا خير شاهد على ما نقول .

بقيت كلمة اخيرة نوضح بها مدى الارتباط بين النبات البقولي والميكروب ، فمن البحوث التي اجريت في هذا المجال ، يتبين ان اعداد هذا الميكروب تتناقص بالتدريج في التربة الزراعية ، كلما طالت الفترة التي يغيب فيها النبات البقولي ، وقد تصل الامور الى الحد الذي يودع فيها الميكروب حياته ، دون ان يتعرف او يرتبط بنبات اخر ، فاما النبات البقولي ، واما الموت ، فاذا زرعت الارض بنبات بقولي ، وكانت خالية من هذا الميكروب ، ضعف النبات ، وهزل المحصول ، ولا بد والحال كذلك من حقن الارض بهذا الميكروب ، حتى تعود الامور الى مجاريها (شكل ٢) .

هذه ـ اذن ـ قصة كائنين جد مختلفين ، ولقد قدمناها هنا ، لأن فيها درسا وعبرة في معنى التعاون والتالف وتبادل المنفعة او التكافل ، وكلها امور قد بدأت تضمحل في زمننا المعاصر ، ثم هي تبين بوضوح صورة جديدة لحياة تسكن التراب ، ولا مانع من حكمة تنبع من تراب ، ثم لا يعرف الكثيرون عن اصولها شيئا ، ثم ما اكثر ما لا نعرف من اسرار الكون والحياة ، وعندما تزيد معارفنا ، يكون ذلك مرشدا وهاديا لروعة الخلق ، ومعرفة تقربنا من الله : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**) الاعلى ٢/٣ .. وفي ذلك الكفاية لقوم يتدبرون .



الحديث حول وظيفة المرأة في المجتمع الانساني يطول ويطول ، وتختلف الآراء فيه من جيل الى جيل ، ومن مجتمع الى مجتمع .

ولقد مرت علينا فترات طويلة كنا نظن فيها أن وظيفة المرأة مساوية لوظيفة الرجل تقريبا - حتى كاد ان يكون هذا من المسلمات في المجتمع الغربي وبالتالي في المجتمعات المقلدة له والتي أخذت ثقافتها عنه - وأصبح الايمان بذلك دليلا على التمدن والحضارة وما عداه دليل على التخلف والرجعية وعدم الفهم لتطورات الزمن .

وهذا أخذ للامور من زاوية واحدة وما زال الغربيون يكررون ويعيدون هذه المعاني حتى صدقها المقلدون ثم ما زالوا يكررونها حتى صدقوها هم أنفسهم .

وترتب على هذا توحيد مناهج التعليم للفتيان والفتيات في جميع المراحل كما ترتب عليه اشتراك المرأة في جميع الوظائف والاعمال الخارجة عن البيت وبالتالي ترتب عليه أيضا ترك المرأة لوظيفتها الاصلية التي خلقها الله لها وهي تربية الاجيال - وبدأ الاطفال يتربون في المحاضن والحضانات والمستعمرات وما الى

ذلك .

ولقيت البشرية من وراء ذلك متاعب لا حصر لها حين شب هؤلاء الذين لم تربهم أمهاتهم وخرجوا الى المجتمعات بأمراض جسمية وأمراض نفسية وسببوا للمجتمعات متاعب لا حصر لها وألوانا من المشكلات التي يحاولون أن يخففوا من حدتها وأن يوجدوا الحلول لعلاجها .

ثم بدأ جنس ثالث في طريقه الى الظهور لأن المرأة حين تخلت عن وظيفة الامومة بدأت تضمر فيها هذه الخصائص حتى اصبح من المتوقع ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الانوثة التي رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء .

ويبدأ العلم الغربي يعطينا بأبحاثه معلومات جديدة تفيدنا في بيان حكمة الاسلام في تشريعاته ذلك ان الله الذي خلق الانسان هو الذي شرع له وهو أدرى به وباحتياجاته وليس من حق أحد أن يشرع للبشرية اذ أن علمه قاصر على زاوية واحدة . وبين الرجل والمرأة فروق في التكوين البيولـوجي والفسيولـوجي والسيكلوجي مما يدل على أن لكل منهما وظيفة في الحياة وان كانت وظيفة كل منهما متممة لوظيفة الآخر .

الفروق البيولوجية :

والفروق موجودة بين الرجل والمرأة من قبل الحمل ويظهر ذلك في الفرق الموجود بين الحيوان المنوي للذكر والحيوان المنوي للانثى ، والسؤال الذي طرحه العالم الامريكي دكتور شبنلر على نفسه وعلى أعوانه هو : هل الكائنات الدقيقة التي تسمى علميا (الحيوانات المنوية أو بذور الحيوان للانسان كما يسميها الدكتور شبنلر نفسه هل هذه الكائنات المنوية التي تنطلق نحو البويضة لها نفس الطبيعة ؟) .

ومن المعروف أن الكائنات التي تحمل الكرمسوم × اذا لقحت البويضة جاء المولود أنثى واذا كانت تحمل معها الكرمسوم Y جاء المولود ذكرا ـ وأخذ العالم وأعوانه يفكرون لماذا يسبق الكرمسوم × الكرمسوم Y في سباق الحياة أو العكس ؟ هل يحدث هذا عفوا حسب الظروف واذا كان الأمر كذلك فهل بينهما اختلاف في التكوين البيولوجي وبعد أبحاث طويلة وجد العالم وأعوانه ان الكرمسوم × الذي ينتج الانثى يتميز بأنه يتجمع جنبا الى جنب وبأنه بطىء الحركة وان كان أكثر تحملا للبيئة ولذلك يعيش مدة أكبر ـ كما أنه ينتعش ويزداد حيوية اذا وجد في المواد الحمضية ـ أما الكرمسوم Y الذي ينتج الذكر فانه يتمتع بسرعة الحركة والحيوية الشديدة ويزداد حيوية وانتعاشا اذا وجد في المناخ القلوي ولكنه أقل تحملا لظروف البيئة ويموت بسرعة أكبر .

ويوضح العالم الفاضل دور كل من الابوين في تكوين البويضة فيقول : ان الاب والأم يسهمان بقدر متساو في تكوين البويضة التي تولد كل خلية من خلايا الجسم

الجديد لكن الام تهب علاوة على نصف المادة المنوية كل البوتوبلازم المحيط بالنواة .

وهكذا يتضح منذ البداية الفرق بين بويضة الذكر وبويضة الانثى في خصائص كل منهما كما يتضح مقدار اسهام كل من الابوين في تكوين الجنين .

ومن ناحية أخرى يبين الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل للعلم الفرق بين الرجل والمرأة في كتابه (الانسان ذلك المجهول) فيقول : ان الامور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الاشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والوحم والحمل - وهي لا تتحدد أيضا في اختلاف طرق تعليمهما بل ان هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الانسجة في جسم كليهما - كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا في المادة الكيماوية التي تفرز من الرحم داخل جسمها فكل خلية في جسمها تحمل طابعا انثويا وهكذا تتكون اعضاؤه المختلفة بل وأكثر من ذلك فهذا هو حال نظامها العصبي) ثم يقول (ان قوانين وظائف الاعضاء محددة ومنضبطة كقوانين الفلك حيث لا يمكن احداث أدنى تغيير فيهما الا بفناء البشرية وعلينا ان نسلم بها كما هي دون أن نسعى الى ما هو غير طبيعي .

ثم يهتف قائلا : (والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف بالرجل يجهلون هذه الفوارق الاساسية ، وعلى النساء ان يقمن بتنمية مواهبهن بناء على طبيعتهن البشرية وان يبتعدن عن تقليد الرجال) ويمضي مبينا أثر هذا الاعتقاد في السير بالمرأة الى طريق لا يتناسب مع استعداداتها فيقول : « ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا أو أن يمنحا سلطات واحدة ، ومسؤوليات متشابهة - والحقيقة أن المرأة تختلف عن الرجل اختلافا كبيرا فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والامر نفسه صحيح بالنسبة لاعضائها ، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي فالقوانين البيولوجية غير قابلة للين شأنها شأن قوانين العالم الكوكبي فليس في الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها فعلى النساء ان ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور فان دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن الا يتخلين عن وظائفهن المحددة » .

ثم بين خصيصة من خصائص الانثى البشرية فقال : « وعلى أي حال فيبدو أن النساء من بين الثدييات هن فقط اللاتي وصلن الى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين كما أن النساء اللاتي لم يلدن لسن متزنات توازنا كاملا كالوالدات فضلا عن أنهن يصبحن أكثر عصبية منهن » .

ومن العلماء الغربيين الذين كان لهم أثر في بيان الفروق البيولوجية الاساسية بين الرجل والمرأة (بار) وهو أول مكتشف للخاصية التي تتلخص في أن خلية الانثى تحتوي في طرف منها على جسم كروي صغير لا يوجد في خلية الرجل . ثم بدأ بعد ذلك في كل الخلايا في الدم والكبد والقلب والامعاء وباقي الانسجة فثبتت

الحقيقة وهي : أن كل خلايا الانثى تتميز عن خلايا الذكر بهذا الجسم الكروي وأضيفت صفة اخرى للانوثة غير الصفات العضوية والوظيفية المدونة .

وكان علماء الوراثة قبل ذلك قد كشفوا عن وجود كروموزمين للجنس في كل الخلايا المذكرة والمؤنثة تحتوي خلية الذكر على كروموزم × وآخر Y بينما تحتوي خلية المرأة على زوج من كروموزم × وتصبح علاقة الذكر YX وعلاقة الانثى × × ويقول بار : ان الجسم الكروي الذي اكتشفه هو أحد الكروموزمين الموجودين في الخلايا الانثوية ـ ولقد أكد ذلك ان الذكور الذين يعانون من تشويه خلقي وراثي يحملون كروموزمينات جنسية أكثر من المعدل كأن يحمل أحدهم YXX أو YXXX .

ولقد اثبت علم الاحياء أن المرأة تختلف عن الرجل في الصورة والسمت والاعضاء الخارجية وفي ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية فمن لدن حصول التكوين الجنسي في الجنين يرتقي التركيب الجسدي في الصنفين في صورة مختلفة ـ فهيكل المرأة ونظام جسمها يركب كله تركيبا تستعد به لولادة الولد وتربيته ـ ومن التكوين البدائي في الرحم الى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ ليكمل ذلك الاستعداد فيها . وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلة .

الوزن والعظم :

أثبتت الدراسات العالمية التي اتجهت الى بحث هذه الفروق بين الرجل والمرأة في هذه الناحية : أن الرجل أثقل وزنا وأطول قامة ـ وهذا راجع الى الكثافة النوعية لعظام الرجل حيث يوجد نوعان من العظام منها العظام المحبوكة أو المكتنزة والعظام الاسفنجية وتمتاز العظام الاولى بصلابتها وشدة تماسكها في حين تفتقر الاخيرة الى شدة التماسك والصلابة وذلك لقلة الكالسيوم فيها أو لسوء التوزيع الترسيبي لمكونات العظام ـ وتمتاز عظام الرجل الطويلة بأنها من النوع الاول في حين نجد أن النوع الثاني ينتشر عند المرأة أكثر منه عند الرجل وذلك نتيجة لعوامل طبيعية وفسيولوجية .

وعظام الرجل قوية ومتماسكة نتيجة لكثرة أليافها وقوة شدها كما أنها تمتاز بالبروز عند نهاياتها وكمية النسيج العضلي عموما عند الرجل اكبر منه عند المرأة اذ تبلغ نسبته ٤١٪ من فروق جسمه في حين تبلغ عند المرأة ٣٥٪ فقط .

ونتيجة لطول عظام الاطراف عند الرجل وقصره عند المرأة فأننا نجد أن مركز الثقل عند المرأة يعد أكثر انخفاضا ـ وهذا له تأثير في الحركة من حيث القوة ـ كما أن عمودها الفقري أكثر انحناء من الرجل وهذا يؤدي الى ظهور الشيخوخة مبكرة عندها .

وفي منطقة الحوض نجد أن الله وهب المرأة حوضا يمتاز باتساعه وضعف

الكبيرة « ان الحواس الخمس عند المرأة أضعف منها عند الرجل » .
ومن المعروف فسيولوجيا أن هناك فرقا بين الاحبال الصوتية للمرأة فهي قصيرة ورقيقة أما في الرجل فهي طويلة وغليظة .
وقد لاحظ أطباء القلب في ضيق الصمام الميترالي أنه يوجد بنسبة أعلى قليلا في النساء عنه في الرجال وأن أمراض القلب الناتجة عن نشاط زائد في الغدة الدرقية تكون نسبة اصابة النساء فيها ثلاثة أضعاف اصابة الرجل وذلك لان مرض الغدة الدرقية التسممي أكثر حدوثا للنساء لماذا ؟ قال الاطباء قد يكون للتغيرات الشهرية وتأثير الحمل والولادة والرضاعة أثر في ذلك .

الفروق السيكلوجية :

ومن الناحية النفسية أو السيكلوجية نجد أن العاطفة عند المرأة قد بلغت حدا ميز تصرفاتها وشعورها عن نظيرتها عند الرجل وهذه هبة من الله الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره اذ أن الوظيفة الرئيسية للمرأة هي تربية الاطفال وتنشئة الاجيال وهذا يتطلب كثيرا من العطف والحنان يعجز الرجل عن توفيرها لابنه ـ ونتيجة لعاطفتها القوية نجدها أكثر حساسية وأكثر تأثرا بالظواهر الطبيعية فلا تستطيع كظم غيظها عند حدوث مكروه ولا تستطيع التحكم في سرورها عند الفرح .
كما أن نفسية المرأة أضعف بكثير منها عند الرجل حيث أنها لا تستطيع حفظ الاسرار لحظة حتى قالوا فيها : اذا أردت افشاء سرك فبلغه للمرأة وقالوا : المرأة التي تحفظ السر ليست امرأة ولذلك سميت الجنس اللطيف .
وقد سأل الباحثون النفسيون أنفسهم سؤالا : كيف يختلف الرجال عن النساء في استجابتهم للاحباط وكانت الاجابة : هناك من الشواهد النفسية ما يبين أن النساء على الاقل كما يصفن أنفسهن في اختبارات الشخصية أكثر حساسية وأكثر انفعالية ويسهل تأثرهن وانخراطهن في البكاء اذا قورن بالرجال ـ ولقد اتضح ان النساء يبدين على هذه الاختبارات مخاوف أكثر من الرجال وأنهن يحصلن على درجات في القلق أعلى منهم .
ولقد اتضح لفيشر في بحوثه التي أجراها عام ١٩٦٨ : ان الاناث بصفة عامة يحكمن على الوقائع المضايقة بأنها مضايقة بدرجة أكبر من الذكور وفي الوقت نفسه قدر الاناث الوقائع السارة باعتبارها ممتعة بدرجة أكبر من الرجال ، وخلاصة بحثه أن الخبرة المحبطة تثير النساء بدرجة اكبر من الرجال ويفرحن بالسار منها بدرجة أكبر .
والمرأة بوجه عام يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة ما على عكس الرجال الذين يهتمون بعلاقات الاشياء بعضها ببعض أكثر من اهتمامهم بالاشياء ذاتها ـ واتجاه العقلية النسائية نحو الماديات والمحسات أكثر من المعنويات . يقول

الاستاذ العقاد : ان المرأة لها تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل لان ملازمة الطفل الوليد لأمه تستدعي شيئا كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه وبين فهمها وفهمه وبين مدارج حسها وعطفها ومدارج حسه وعطفه وذلك اصول اللب الانثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة فيصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة . ويقول بيرت : « انفعالات الرجال أعمق وأطول أثرا من انفعالات النساء ولكنها اقل ظهورا بعكس النساء اللاتي تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو اخفاء ـ وسرعة تأثر النساء بالانفعالات تجعلهن أكثر تأثرا بالانفعالات والوجدانات كما أنهن أكبر اكتراثا للمدح والثناء أو التوبيخ ، والبنت تستمع للنصح من الرؤساء أو المعلمين وتتقبله من غير معارضة والصبي يعارض ويناقش ويحاور قبل أن يسلم ويخضع ـ والبنت تميل الى الاقتناع بسرعة بأشياء لا يقبلها الصبي الا بعد المناقشة » .

وقد قام بيرت بدراسة على المجرمين وقسم اجرامهم الى اقسام على اساس الدوافع الغرزية وقال : « ان جرائم الصبيان هي التشاجر والقسوة على الحيوانات والتشرد أما البنات فأن جرائمهن هي الامور الجنسية والكذب ومحاولة الانتحار » .

ومما هو جدير بالذكر ان المؤلفة السيدة جان موريس كانت رجلا وكان اسمها حبيس تزوجت وأنجبت كرجل ثم تحولت الى أنثى وأخذت تروي مشاعرها بلا خجل ـ وقد تعرض الكتاب لهجوم من نساء بريطانيا لانها انحازت في كيانها الى الرأي القائل بأن المرأة أضعف من الرجل واعادت تأكيد الشعار الذي تكرهه زعيمات النساء (ان قوة المرأة تكمن في ضعفها وامتيازها يكمن في نقصها) .

فروق عقلية :

وتثبت الدراسات أن هناك فروقا في النواحي العقلية بين الرجل والمرأة يقول الدكتور جابر عبد الحميد رئيس قسم علم النفس في جامعة قطر في كتابه الذكاء ومقاييسه (لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون في نواحي القدرة الميكانيكية كذلك يتفوقون على الاناث في الاختبارات العددية التي تتطلب الاستدلال وتتفوق البنات في اختبارات الدقة والخفة في استخدام الاصابع مع الادراك الكافي للتفاصيل كما يتفوقن في القدرة على القيام بأعمال السكرتارية .

والصبي في تفكيره أكثر ابتكارا واستقلالا في الرأي وأكثر انتباها وحذرا من الاخطاء المنطقية التي تتخلل المناقشة وهو يقدر على ادراك ما بين الاشياء من تشابه ـ وعلى اكتشاف العلاقة التي بين الحقائق أو الظواهر وهو أدق في ذلك من البنت ولكن البنت أكثر منه صبرا وأكثر أناة في جمع الحقائق وتبويبها وتصنيفها .

وقد أجرت احدى اللجان الانجليزية عام ١٩٢٢ احصاء في امتحانات جامعة

كمبردج وقارنت نتائج البنين بالبنات ـ فوجدت أن الصبيان تفوقوا في الرياضيات وفي الكيمياء والطبيعة واللغة اللاتينية وقليلا في الجغرافيا الطبيعية أما البنات فقد أظهرن تفوقا في الادب الانجليزي والانشاء والتاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية وفي رسم النماذج وتصميم الزخارف وأجريت احصائيات اخرى كانت نتائجها مثل ذلك .

كما أن الاجراءات التي أجراها بيرت وترومان أظهرت فروقا هامة بين الجنسين في النواحي العقلية التي أعطيت لكل من الجنسين تفوق الصبيان في الاختبارات التي تتطلب تعريف شيء ما أو ادراك التشابه بين الاشياء او التعليل الحسابي ـ وتفوقت البنات في الاختبارات التي بها مفردات لغوية او التي تتطلب اصدار حكم على القيم الجمالية المختلفة . فالبنون يهتمون بالافكار والاراء اكثر من الاهتمام بالاشخاص الذين صدرت عنهم هذه الافكار على عكس الفتيات وهم أكثر تقيدا بالاستنتاج المنطقي وخطواته أثناء تفكيرهم من البنات اللاتي كثيرا ما يهملن بعض خطوات التفكير ويصلن بذلك الى نتيجة خاطئة من جراء التسرع . أما الحفظ فيلوح لنا أن البنات يفقن البنين ولكن قد يفوقهن الصبيان في القدرة على تركيز الانتباه وحصره في موضوع معين .

يقول الدكتور فؤاد البهي السيد استاذ علم النفس بتربية عين شمس في كتابه الذكاء : « تواترت نتائج الابحاث العلمية النفسية في هذا الميدان على تأكيدات زيادة النمو العقلي عند الاناث منه عند الذكور حتى المراهقة ثم يزداد نمو الذكور عن الاناث خلال فترة المراهقة ثم تتقارب المستويات العقلية بعد ذلك عند الجنسين وبخاصة في النواحي العامة التي تدل على الذكاء ـ ويختلف المدى القائم في الفروق العقلية تبعا لاختلاف الجنس فيزداد عند الذكور ويقل عند الاناث أي أن الفروق العقلية عند الذكور أوسع وأكبر منها عند الاناث ولذا تزداد نسبة العباقرة وضعاف العقول عند الذكور عنها عند الاناث .

وقد تحقق من تطبيق مقياس برنوويتر على عينات من الجنسين أن الرجال أكثر ثباتا من النساء وأكثر اعتمادا على أنفسهم واقل انطواء وأكثر سيطرة وأكبر ثقة في أنفسهم من النساء .

ومن أبحاث ترمان ومليزلز (أظهر الذكور اهتماما متميزا بالمخاطرة وبالمهن التي تتطلب مجهودا بدنيا خارج المنزل بالادوات والآلات وبالعلوم وبالظواهر الطبيعية والمخترعات والتجارة ، ومن ناحية اخرى وجد ان النساء يهتممن بالمسائل المنزلية وبالموضوعات والمهن التي يدخل فيها التذوق الجمالي وقد فضلن مهنا واعمالا تتطلب مجهودا اقل داخل المنزل ومهنا تتصل برعاية الاطفال والصغار والضعاف والتعساء ومساعدتهم ـ وقد اظهر الذكور بطريقة مباشرة او غير مباشرة تفوقا في الثقة بالذات والعدوان وتعبيرا عن عدم الخوف وخشونة في اللغة والعواطف اما النساء فقد أظهرن تميزا في المشاركة الوجدانية والحساسية الجمالية والانفعالية والتأنق .

المرأة في الاسلام :

خلق الله آدم ليكون خليفة له في الارض يقوم بعمارتها وإحقاق الحق فيها (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة**) البقرة ٣٠ ، وخلق حواء من آدم لتكون عونا له في هذه الحياة . يسكن اليها ، ويطمئن قلبه بها ، فالمرأة لذلك جزء من الرجل تكمله ويكملها ، ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر والا لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد .

والعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على أساس عنصرين هامين في الحياة هما المودة والرحمة (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) الروم ٢١ وهذان المعنيان تتعلق بهما جميع المعاني الاخرى من حب وانسجام .. ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالمودة والرحمة وسمى نفسه الودود الرحيم - وحين تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة فأن ذلك يؤدي الى الاستقرار الذي يؤدي الى السعادة التي ترفرف على الرجل والمرأة وعلى الاسرة كلها وبالتالي على المجتمع الاسلامي كله - وهذه العلاقة تقوم على العقل والعاطفة . وامتزاج العقل بالعاطفة يضع الامور في نصابها - وبذلك يمكن التغلب على كل اختلاف أو تنافر أو خصام قد يحصل بين الزوجين .

ولقد حذر الله آدم وحواء من ابليس بقوله : (**فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**) طه ١١٧ وبهذه الاية حدد الله سبحانه وتعالى مهمة الشقاء والعمل والكد والكسب وجعلها للرجل وحده ، ولو أنه أراد الشقاء للمرأة أيضا لقال : **فتشقيا** بدلا من **فتشقى** - كما بين الله سبحانه وتعالى اختلاف وظيفة المرأة عن وظيفة الرجل وذلك في قوله تعالى : (**والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والانثى . ان سعيكم لشتى**) الليل/ ١ -٤ فسعي المرأة مختلف عن سعي الرجل ومهمة المرأة أن يسكن اليها الرجل فتخفف من آلامه ، وتهون عليه متاعبه ، وتقوم بكل ما يلزمه من متطلبات الحياة ، ثم هي بعد ذلك مصدر المودة والرحمة التي يحتاج اليها الانسان . فمن يرجع الى بيته يجد مصدرا من مصادر الحنان والعطف والرقة . وهي زوجه فاذا ما وجد ذلك استطاع أن ينفض عن نفسه كل أعباء الجهاد الذي كان يمارسه في الحياة . فالراحة التي فقدها في الخارج وهو متحفظ في ملابسه وفي مشيته وفي كلامه سيجد مكانها في بيته الراحة والسكن والاطمئنان .

ولقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير سند للرسول صلوات الله عليه منذ رسالته وحتى وفاتها - ومن هنا كان حزنه الشديد عليها طوال حياته حتى لقد غارت منها السيدة عائشة مع أنها كانت ميتة . ومن الامثلة الرائعة التي يحدثنا عنها التاريخ موقف أم سلمة زوج النبي الكريم وذلك حين اشتاق النبي وصحبه الى

مكة فلما ذهبوا ليعتمروا وكانوا على بعد عشرين كيلو من مكة وقف الكفار ليصدوهم عن الذهاب الى البيت وحدثت مفاوضات كان من نتيجتها ان عقد النبي صلوات الله وسلامه عليه معهم معاهدة تنص على أن يرجع هذه السنة بدون دخول مكة حتى لا تقول قريش : ان المسلمين دخلوا مكة عنوة وقهراً عنها ـ فيكون على المسلمين العودة هذا العام على أن تسمح لهم قريش في العام المقبل بالدخول الى بيتها بأمرها ـ واقتنع الرسول الكريم وكتب العهد ، ولكن المسلمين حزنوا وقالوا : يا رسول الله كيف نقبل الدنية على نفوسنا لابد وأن ندخل فكان النبي يقول لهم : أنا رسول الله لن أخالف أمره ولن يضيعني . ولكن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا غاضبين وبخاصة وأن من بنود الاتفاق أن من أسلم من الكفار وذهب الى محمد فعلى محمد أن يرجعه الى الكفار ومن كفر من المسلمين فليس عليهم أن يردوه ... فلما فرغ النبي الكريم من قصة الكتاب قال لهم : قوموا فانحروا ثم احلقوا (وذلك ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا الى المدينة) فلم يقم منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من المسلمين فقالت أم سلمة : يا رسول الله انهم جاءوا يريدون دخول المسجد الحرام مقصرين ثم منعوا وهم على بعد قليل منه فهم مطرودون ولكن اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا حتى فعل ذلك ـ فلما رأى المسلمون ما صنع النبي زال عنهم الذهول وأحسوا خطر المعصية لأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقاموا عجلين ينحرون هديهم ويحلق بعضهم بعضا حتى كاد يقتل بعضهم بعضا من الغم .

ثم ان هناك مهمة أخرى للمرأة لها أهميتها في استمرار الجنس البشري وهي انجاب الاطفال وتربيتهم التربية الكاملة التي يحتاج اليها الطفل ذلك أن المرأة تتميز بالامومة أي الانتاج البشري وتربيته ويتجلى ذلك في قوله تعالى : **(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)** النحل/ ٧٢ ..

مواطن الاشتراك :

ولما كان الرجل والمرأة من جنس واحد فأنهما يشتركان في أشياء هي التي يشترك فيها الجنس الواحد ، فهما يشتركان في طبيعة التكوين للرجل والمرأة ، يقول الله تعالى : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)** النساء/ ١ كما أنهما يشتركان في الكرامة الانسانية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها : **(ولقد كرمنا بني آدم)** الاسراء/ ٧٠ وهو في ذلك يدخل الرجل والمرأة على السواء .

كما أنهما يشتركان في حرية الاعتقاد فكل من الرجل والمرأة حر في أن يعتقد ما يريد وكل منهما محاسب على ما يعتقد ـ وليس هناك قهر أو اجبار ـ والقرآن الكريم

يحدثنا عن بعض أنبياء الله الذين كانت زوجاتهم كافرات بالله كنوح ولوط عليهما السلام يقول الله تعالى : (**ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين**) التحريم/ ١٠ وقد أباح الاسلام أن يتزوج المسلم من كتابية - يهودية أو نصرانية - بدون أن يجبرها على دينه .

والرجل والمرأة يشتركان في الثواب والعقاب وكل ما يترتب على الايمان من عمل فهي كالرجل في حسابها على ما تقوم به من عمل صالح أو غير صالح - ولقد أفاضت الايات الكريمة في ذلك ، يقول الله تعالى : (**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**) الاحزاب/ ٣٥ كما يقول تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) النحل/ ٩٧ ويقول الله تعالى في آية اخرى : (**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم سن بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب**) آل عمران/ ١٩٥ .

وللمرأة مثل ما للرجل في الحقوق المدنية كالبيع والشراء والملكية والهبة والاجارة ، ولها أن تتصرف في ملكها بأي تصرف وليس عليها وصي قبل الزواج أو بعده - وهذه الناحية لم تحصل عليها بعض النساء في أرقي المجتمعات الغربية حتى الآن فهي قبل الزواج تحت وصاية الاب أو الاخ وهي بعد الزواج تحت وصاية الزوج - والنظام المالي في فرنسا يجعل المرأة تابعة لزوجها فالزوج هو الذي يدير الاموال المشتركة وله حق التصرف بالبيع أو الرهن أو غير ذلك دون اذن من الزوجة - والزوجة لا تملك أن تبرم أي عقد بشأن هذه الاموال الا بموافقة الزوج يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب (ان حقوق الزوجة المسلمة أفضل بكثير من حقوق الزوجة الاوروبية ، ان الزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلا عن مهرها وعن أنه لا يطلب منها أن تشترك في الانفاق على أمور المنزل -وهي اذا أصبحت طالقا أخذت النفقة واذا تأيمت أخذت نفقة سنة ونالت حصة من تركة زوجها) .

وللمرأة في الاسلام حق التعلم وفي ذلك يقول الرسول الكريم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه البيهقي وقد طلب النساء من النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يجعل لهن يوما يعلمهن فيه ويعظهن فحدد لهن يوما .

وللمرأة الحرية الكاملة في اختيار الزوج فهي كالرجل يباح لها في اثناء الخطبة ان تنظر اليه وتستمع لحديثه بمقدار ما يعطيها انطباعا بأنه مقبول لديها وذلك في

حدود ما شرع الله وعند عقد الزواج يؤخذ رأيها وتسأل عنه ورأيها ضروري لاتمام عقد الزواج وفي ذلك يقول الرسول الكريم (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر (تستأذن) واذنها سكوتها ـ ولو أن أباها زوجها بدون علمها أو رغما عنها فلها الحق في أن تفسخ هذا العقد .

فالمنهج الاسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف وتقسيم الانصبة بين الرجال والنساء .. والفطرة جعلت الرجل رجلا والمرأة امرأة وأودعت كلا منهما الخصائص المميزة له ـ وجعلت لكل منهما وظائف معينة لحساب الانسانية .. وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الرجل والمرأة فيه تجن على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الاسلامي ، بل والمجتمع الانساني كله فالمسألة هي توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل بعد ذلك في المنهج الاسلامي لان الذي شرعه هو خالق الذكر والانثى وهو أدرى بكل منهما بما يصلحه وما يصلح له .

والاسلام كرم المرأة فجعل لها الحق في النفقة والسكنى والا تكلف بعمل خارج المنزل فان حرفتها الامومة وصناعة الانسان ـ وهي أشرف صناعة وأهمها في هذه الحياة .

يقول **الشيخ شعراوي** في ذلك : والاسلام لا يمنع المرأة من العمل ولكنه يضعه في حدود الضرورة وقد بين القرآن الكريم أمثال هذه الضرورة في قصة ابنتي شعيب اذ أن أباهما كان شيخا لا يقوى على السعي ـ وليس لهما اخوة من الذكور ـ ثم هما تلزمان حدودهما فلا تزاحمان بل تنتظران حتى يصدر الرعاء وهي بذلك لا تنسى نوعها ولا تزاحم كما يزاحم الرجال ـ وبالتالي فقد ظهر في هذه القصة مهمة المجتمع بالنسبة للمرأة في اعانة موسى لهما على السقي ومن هنا يتضح لنا ان تنظيم الاسلام للاسرة قائم على الفطرة التي لا تتغير الا بالانحراف وهو يجاري الفطرة في تخصص المرأة لوظيفتها .. وحين يخصص الاسلام المرأة للاسرة فأنما يخصصها لرعاية الانتاج البشري وهو خير ما في الوجود ويعهد اليها بصيانة قدس من أقداس الاسلام ـ والمجتمع الاسلامي المحض الذي يتربى فيه الطفل ويتشرب اخلاق الاسلام وعقيدته وشريعته ، ويقوم بواجب خلافة الله في الارض ـ ولذلك يجب الا نشغل اعصابها بأعالة نفسها وهي تقوم بهذه المهمة المقدسة ، ولا نفسد أعصابها بالعمل الذي تشارك فيه الرجل ثم بتوالي الايام تتحول الى جنس ثالث يعذب ويشقى .

ومن هنا فأن الاسلام لم يكتب على المرأة الجهاد لأنها تلد الرجال الذين يحاربون ـ وهي في هذا الميدان اقدر وانفع ، أقدر لأن كل خلية في جسمها معدة لهذا العمل ، وأنفع بالنظر الى مصلحة الامة على المدى الطويل فالمعركة حين تحصد الرجال وتستبقي النساء تدع للامة مراكز انتاج الذرية فتعوض الفراغ ـ ورجل واحد في النظام الاسلامي يمكن ان يجعل نساء أربعا ينتجن ويملآن الفراغ الذي تتركه الحروب بعد فترة من الامان ... فالمرأة هي المكان الطبيعي الذي يسكن اليه الرجل هي تكمله وهو يكملها ـ والتفوق الطبيعى في استعداد الرجل

ونهوضه بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة البيتية يمكنه من القوامة على المرأة) .

والاسلام حين منح المرأة هذه الحقوق منحها لها دون طلب ودون ثورة ودون جمعيات نسائية لأن الذي اعطى لها هذه الحقوق هو الذي خلقها وخلق الرجل وهو أدرى بأمكانات كل ، ومن هنا فقد جعل الاسلام الرجل رجلا والمرأة امرأة وأود ع كلا منهما خصائصه المميزة له ـ وجعل لكل منهما وظائفه المحدودة ـ وكل واحد منهما مكمل للآخر تحت ظل من المودة والرحمة .. ومن هنا فلا يوجد خصام ولا شقاق ولا معركة حادة بين الرجل والمرأة ولا تحديات ولا يوجد رجل عدو للمرأة أو امرأة عدوة للرجل بل مودة ورحمة .

وحين يقول كارل ماركس : ان المرأة لا بد وأن تعمل لتعيش فهو يتكلم عن مجتمع بلا مثل ولا قيم ولا دين ... **يقول الشيخ شعراوي** (والمرأة حين عملت لم تخفف من شقاء الرجل وازدادت هي شقاء فهو لم يأخذ نصف عملها في الخارج ـ والتعلل بزيادة الدخل فيه مغالطة فليس المفروض ان يحدد الانسان المستوى الذي يعيش فيه وبعد ذلك يحمل الدخول عليه والمفروض ان يحدد مستواه على قدر دخله .. وهذا ما جعل الناس ينحرفون .. ولذلك فأن الاسلام لا يطلب من المرأة العمل ـ فأن احتاج اليها في عمل لا يصلح فيه غيرها فينبغي ان يكون العمل مخففا والاجر مضاعفا .

ولكن المرأة في المجتمعات الحديثة كلها تعمل كالرجل ـ وأجرها أقل وهذا العبء زيادة على الوضع الطبيعي للمرأة من حمل وولادة ورضاعة وشؤون منزل وقد اثر هذا على الابناء في تربيتهم .. ان نسبة العاملات في مصر ١٤٪ فقط ومع ذلك فقد ظهر مرض اسمه : مرض فقدان الحنان واصبح له كرسي في جامعة الاسكندرية فما الامراض التي تحدث عندما تبلغ نسبة العاملات ٥٠٪ مثلا .

يقول مسيو د . و . اسس : ان المرأة في الشرق تحترم بنبل وكرم وعلى العموم فلا أحد يستطيع ان يرفع يده عليها في الطريق ولا يجرؤ جندي أن يسيء الى أي من نساء الشعب حتى في اثناء الشغب وفي الشرق يشمل الرجل زوجته بعين الرعاية ويبلغ الاعتناء بالام درجة العبادة وفي الشرق لا نجد رجلا يقوم على الزام زوجته بالعمل ليستفيد من كسبها وفي الشرق يدفع الرجل مهرا الى زوجته) .

مواطن الاختلاف :

وتثار حول المرأة المسلمة شبهات لمحاولة ابعادها عن الاسلام والسير في طريق الغرب رغم ان الغرب يلاقي انواعا من المتاعب والمشكلات .

ومن ذلك **قيادة البيت** ...

ومن وجهة نظر الاسلام فأن قيادة البيت والانفاق على الاسرة عملية تنظيم ولا تسيء الى انسانية المرأة او تنتقص من حقوقها . ولذلك يجب ان ينظر اليها في اطار الاسرة ككل وكوحدة اجتماعية يقول الله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما**

فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم) النساء/ ٣٤ .

وقيادة الرجل للاسرة قيادة رأي وتنفيذ لما تنتهي اليه الشورى في الاسرة وليست قيادة سيادة او استبداد وان كانت الاصوات العالية في الغرب وفي الشرق أحيانا تحاول ان تصور ذلك .. والسبب ان عنصر المودة والحب بين الزوجين قائم في الاحوال السوية الى درجة أن القرآن الكريم يصور هذه الصلة بقوله : **(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)** البقرة/ ١٨٧ ... والله عز وجل قد اعد المرأة لدورها كما اعد الرجل لدوره فالمرأة مزودة بالرقة والعطف . وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة ، وهذه المطالب ليست سطحية بل غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة - ودور الرجل الخشونة والصلابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة وهو بطيء الانفعال وذلك لان وظائفه كلها تحتاج الى قدر من التروي واعمال الفكر - وهذه الخصائص تجعله اقدر على القوامة وافضل في مجالها .

ومن الشبهات التي تثار حول المرأة في الاسلام : ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « انهن ناقصات عقل ودين » ويجيب على هذا الشيخ شعراوي فيقول (العقل بمعنى الجهاز الذي يعقل وهو المخ بما فيه من مخيلات وحافظات وذاكرة موجود عند الرجل والمرأة والاسلام يستطيع بداية ان يتصرف في مدركاته تصرفا يعطي له مزيدا من المخ ... والعقل ايضا حصيلة تجارب وثقافة وهو العقل المكتسب - والمرأة مفروض عليها ان تعتزل المجتمع فخبرتها في هذه الناحية قليلة ولذلك كانت الآية الكريمة الآتية موضحة السبب **(واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى)** البقرة/ ٢٨٢ فالضلالة هنا ضلالة اختصاص ولذلك فان المرأة تقبل شهادتها في شؤون النساء بدون شهادة الرجال كالرضاعة والولادة ولو اقتحم الرجال ميادين النساء فلن يعرفوا فيها كسن الاطفال .. والمعاملات من ميادين الرجال فاذا اقتحمتها النساء فهنا الضلالة - فالمرأة حين ترى شيئا في الخارج فانها لن تتغلغل في المسألة فقد يكون هنا شيء أو كلمة تخدش الحياء فتصرف نظرها عنه .. أما الرجل فليس له هذا التحفظ فالشهادة من الاشياء التي تريد من الانسان ان يلتقط كل ما يمت للشيء بصلة - والمرأة نظرا لوضعها في انوثتها ونفسها ومجتمعها قد لا تتابع الشيء وهذا ليس نقصا فيها بل كمال في جهتها ليعينها في مهمتها في الحياة) .

ويقول **الدكتور محمد البهي** : المرأة المعاصرة التي تصر على طلب المساواة بالرجل مساواة حرفية تتغاضى عن اخص خصائص طبيعة المرأة وهي سرعة الاستجابة لمؤثرات خارجية . هي أكثر من الرجل انعطافا وانحناء على الاخرين واكثر تصديقا لاوضاعهم واقوالهم اذا ما بدت هذه الاوضاع والاقوال في صورة جدية فالمسافة الزمنية ضيقة عند المرأة بين غضبها وفرحها وانقباضها وانبساطها وادبارها واقبالها وتشددها وتلهفها ولو سوت شريعة الله بين الرجل والمرأة في

ذلك ـ رغم الفروق النوعية بينهما ـ لكانت المساواة على حساب العدل بين الناس ولما كان فيها مصلحة تعود على المرأة لانها عندئذ تكون ضد خصائصها) .

والمرأة تتعرض لمؤثرات ذاتية تستجيب لها على نحو معين من غير ان يكون لها ارادة في الاستجابة والوظائف العامة احوج ما تكون الى استقرار القاضي وعدم تعرضه لمؤثرات خارجية او ذاتية تخضعه حتما لاوضاع نفسية او بدنية قد تكون متناقضة .

الميراث :

ومن الشبهات التي اثيرت حول المرأة في الاسلام ان الاسلام لم يساوها في الميراث مع الرجل لقد كانت المرأة في الجاهلية مجرد متاع يورث ـ لا شأن لها ولا وزن ولا ترث كما يرث الرجل لأنها لا تشترك في الدفاع عن حمي القبيلة ـ وكثيرا ما كان العربي في الجاهلية يضيق بولادة الانثى ـ حتى ان بعضهم كان يسارع الى وأدها (**وإذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب الاساء ما يحكمون)** النحل ٥٨ ، ٥٩ .

ولقد كانت المرأة في الجاهلية اذا تزوجت ثم مات عنها زوجها سارع أحد أبناء زوجها للزواج بها اذا اعجبته او يمنعها من الزواج حتى تفتدي نفسها بمبلغ من المال والى هذا يشير القرآن الكريم في قوله (**يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)** النساء/ ١٩ ـ كما لا يسمح لها بالتصرف في مالها دون اذن من زوجها او وليها ..

ثم جاء الاسلام ورد اليها اعتبارها فساواها بالانسانية في الرجل : انما النساء شقائق الرجال) وحرم وأد البنات وحث على تعليمهن وأوجب على الرجل الانفاق على المرأة ولو كان لها مال خاص ـ وكذلك الانفاق على الاسرة ولذلك فأنه لم يسو بينهما في الميراث . لأن المرأة ليست مكلفة بشيء بالنسبة للاسرة فهي الكاسبة على هذا الوضع ـ وعدم التسوية بينهما يعتبر مؤشرا يرشدها الى طريق الاحتفاظ باعتبارها البشري وبخصائصها في الانوثة والامومة والزوجية أي بخصائصها كأنثى حتى لا تتحول الى رجل أو شبه رجل ـ ومساواتها بالرجل اقتصاديا واستقلالها يعرضها لأزمات نفسية فهو يضعف احساسها بالانوثة كما يضعف احساسها بالامومة ويجعل هناك تراخيا في العلاقات الزوجية .

الطلاق :

ومن الشبهات التي تثار حول الاسلام أنه أباح الطلاق فهو بذلك لا يحافظ على كيان الاسرة وأنه جعله في يد الرجل وفي هذا هضم لحقوق المرأة لعدم مساواتها

بالرجل .

والاسلام دين واقعي : فهو أولا قد أبعد عن الاسرة شبح الطلاق لانه مدمر لكيانها ولذلك جعله الله سبحانه وتعالى ابغض الحلال يقول الرسول الكريم : (أبغض الحلال عند الله الطلاق) وطلب من الرجل ان يصبر على زوجته حتى عند الكراهية يقول الله تعالى : (**وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء / ١٩ .

وحين تتأزم العلاقة بين الزوجين فان الاسلام يطلب من الرجل سعة الصدر والتعقل ويلزمه باتباع أمور من شأنها ان تعيد للاسرة استقرارها ـ فالزوج عليه أولا أن يعظ زوجته وينصحها فان لم يفد فيمكنه ان يهجرها في المضجع فان لم يفد فيمكنه ان يضربها ضربا غير مبرح لكي تشعر المرأة التي تتصرف بعاطفتها مقدار ما يجره عليها تعنتها من ضرر على الاسرة ـ وحين لا يؤدي ذلك الى نتيجة يقوم حكم من أهله وحكم من أهلها بدراسة المشكلة من جميع نواحيها ولهما أن يقررا بعد ذلك دوام العشرة الزوجية او استحالتها يقول الله تعالى : (**فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما**) النساء/ ٣٥ .

وحتى الطلاق لم يجعله الاسلام نهائيا من أول طلقة واشترط ان يقع الطلاق في حالة طهر والا تخرج المرأة من بيت زوجها خلال العدة في الطلقتين الاولى والثانية فعسى ان تطمئن النفوس وتهدأ الاعصاب ويتذكر الزوجان ما بينهما من رباط مقدس فتعود المياه الى مجاريها كل هذا من اجل المحافظة على الوحدة الصغيرة للمجتمع فأن لم يجد ذلك كله فالطلقة الثالثة التي تمثل نهاية المطاف يقول الله تعالى (**الطلاق مرتان فأمساك بمعروف او تسريح بإحسان**) البقرة/ ٢٢٩ ومنع الطلاق نهائيا ناحية مثالية قد تصلح فكرا ولكنها لا تصلح تطبيقا في المجتمعات البشرية التي نعيش فيها ـ ولقد مكث الناس في الغرب وفي الشرق غير الاسلامي فترات طويلة ينفصلون فيها بدون طلاق ويمارس كل طرف حريته الجنسية عن غير طريق الزواج ـ كما راح جماعات من الناس يثبتون الزنا على انفسهم للحصول على الطلاق او يعمدون الى تغيير دينهم وعندما يتم الطلاق يعودون الى دينهم السابق ولما اصبح معروفا في المجتمعات البشرية انه لا بد من اباحة الطلاق اقرته المجتمعات الغربية بل توسعت فيه الى درجة هددت مجتمعاتها تهديدات مختلفة .

وقد نشرت مجلة التيكونوميست الانجليزية في عددها الصادر في ١٩/ ٥/ ١٩٧٨ (لقد انتهى رئيس قسم الاسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق مثل استراليا يسمح بأنهاء أي زواج بعد ان يكون الزوجان قد انفصلا لمدة عام واحد ـ والجمعية القانونية ربما تصدر نداءها للاصلاح في الشهر القادم .

حل واحد أوصت به لجنة فنية عام ١٩٧٢ بالنسبة للاسر هو تكوين محاكم الاسرة وبما ان هذه المحاكم تتكون من قضاة متخصصين في مشاكل الاسرة فسوف تصبح هذه المحاكم قادرة على علاج المشاكل المعقدة الناتجة عن الطلاق

مثل الوصاية وكفالة الابناء ... ولكن السويد خطت خطوة ابعد من ذلك فقد نقلت الطلاق من القاضي الى الزوجين معا فاذا ما اتفق الزوجان على الطلاق فانه يتم بينهما دون حاجة الى حكم القاضي ويكفي تسجيله في السجل المدني .. وهم يعتبرون ذلك خطوة على طريق الحضارة في تحرير المرأة الاوروبية لانه يتجنب تعقيد الاجراءات القضائية من جهة كما يتجنب الكشف عن اسرار الزوجية من جهة اخرى .

ولقد كان الطلاق حقا من حقوق الرجل لان المرأة تحكمها العاطفة - وحين مكنت المرأة من حق الطلاق في الغرب اصبح يحدث لاتفه الاسباب وفي امريكا تبلغ نسبة الطلاق ٤٨٪ وهناك اسباب عجيبة للطلاق مثل ان تطلب المرأة الطلاق لأن زوجها لا يحلق لحيته كل يوم او لانه لا يشركها في شؤونه .. ومع ذلك فلو اشترطت المرأة المسلمة ان تكون العصمة بيدها فان ذلك من حقها ثم ان لها الحق في ان تخلع نفسها وتخرج من العلاقة الزوجية (**فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به**) البقرة ٢٢٩ وقد فعلت امرأة ثابت بن قيس ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

الاحتفاظ بالرجولة والانوثة :

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة ، وكل منهما متمم للآخر فلا يمكن الاستغناء عنهما . فاذا ما أراد اي نوع منهما ان يتشبه بالنوع الاخر فان ذلك لا يبيحه الاسلام لأن هذا النوع الذي يريد التشبه بالنوع الآخر لن يحتفظ بكيان نفسه ولن يلحق بالنوع الآخر ذلك لأن التوازن الاخلاقي في مجتمع ما شرط بمجموعة من العوامل المادية والادبية - والملبس احد هذه العوامل فالشخص الذي يلبس لباسا رياضيا يشعر بأن روحا رياضية تسري في جسده ولو كان ضعيف البنية والشاب الذي يلبس لباس الرجل العجوز يظهر اثر هذا اللباس على مشيته وفي تصرفاته ... ومن هنا كانت محافظة الاسلام على ان يظهر كل من الرجل والمرأة متميزا في لباسه . عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) البخاري وفي رواية : لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) البخاري وقد ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام : أن ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجلا جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال - وقد رأى الرسول الكريم رجلا يلبس الحرير فقال : انما هذه لبسة من لا خلاق له) الشيخان وعن علي رضي الله عنه قال : نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التختم بالذهب وعن لباس القسى (نوع من الحرير) وعن لباس المعصفر .

خاتمة :

كرم الاسلام المرأة تكريما لا نظير له في فلسفة من الفلسفات او مجتمع من المجتمعات .. وقد كانت آخر كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت (استوصوا بالنساء خيرا) وفي السنن عن معاذ بن جندة القشيري انه قال : يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح) ويقول عمر بن الخطاب والله انا كنا في الجاهلية لا نعد النساء امراتى أنزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم .. ويقول الرسول الكريم : (اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهن خلقا وخياركم خياركم لنسائهم ويقول استوصوا بالنساء خيرا فأنهن خلقن من ضلع أعوج ـ وان أعوج ما في الضلع اعلاه فأن أردت أن تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج) النسائي وهو بذلك يريد ان يتحمل الرجال تصرفات النساء ولقد كان عليه الصلاة والسلام قدوة في ذلك .

والمرأة اذا كانت اما فقد كرمها الاسلام تكريما رائعا ، يقول الله تعالى **(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير)** لقمان/ ١٤ فقد طلب الاحسان بالوالدين ثم خص الام ثم طلب ان يكون الشكر لله وللوالدين ... وقد سأل احد الصحابة النبي الكريم : من أحق الناس بصحابتي ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : أبوك فقد ذكر الام ثلاث مرات ثم ذكر الاب بعد ذلك لأن الأم قامت بنصيب كبير في الحمل والوضع والارضاع ثم ان الأم بطبيعتها أضعف من الاب وهي لذلك في حاجة الى الرعاية أكثر من الرجل .

ولذلك فانه من الخطأ ان يراد للمرأة أن تأخذ موقعا لم تهيأ له لأنهم أرادوا لها ان تتمرد على دينها في مجتمعنا الاسلامي تحت شعارات الحرية والمدنية والحضارة ـ وهي شعارات براقة تخفي وراءها ما تخفي من متاعب وتخلخل في المجتمع الاسلامي ـ وسيؤدي ذلك الى انها ستشغل بالخارج فتترك امر بيتها ـ واذا خرجت المرأة الى الشارع فانها ستخرج متبرجة فتلهب الغرائز وسيؤدي ذلك الى انحراف المجتمع .

والاسلام ينشد للمرأة ان تكون انسانا كريما يقوم على توفير الاعتبار البشري وهذا المستوى الانساني العالي يتبلور في الزام الرجل ابا او ابنا او اخا أو زوجا بالانفاق على البنت والأم والأخت والزوجة ـ ويعفي المرأة من السعي للكسب والعمل خارج البيت ـ وبذلك يحفظ عليها أنوثتها التي هي العامل الاول في لقاء الرجل بها وسعيه اليها ثم قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية تنشد السكن والاستقرار والمودة ثم حرصها على دور الامومة وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة . وصدق الله العظيم اذ يقول **(الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** الملك/ ١٤ .

آفة التعاون والاتحاد

الأثرة والأنانية

للدكتور
فؤاد محمد محمود العارضة

تعني الأثرة والأنانية أن يحب المرء نفسه حبا مفرطا ويختصها بأحسن الشيء دون غيره. والانسان أناني بطبعه وطبيعته، ويدل على ذلك الطفل فهو أناني لا يقصر في أن يستأثر بالنفع وحده دون غيره من اخوته وأصحابه. وكلما كبر الطفل وتقدمت سنه وازداد وعيا ونضجا خفت حدة الاثرة والأنانية فيه وضعف صوتها في نفسه حتى اذا ما نضج تفكيره واتسع أفقه وبعد نظره وسمت نفسه، خلع عنه رداء الأثرة والأنانية وارتدى لباس التضحية والايثار ونكران الذات.

وكذلك الانسان البدائي الجاهل تراه أنانيا لا يهمه الا نفسه، ولا يعمل الا لمصلحته الشخصية، ويدل على ذلك استفحال الأنانية والأثرة في المجتمعات الجاهلة المتخلفة التي يخيم عليها ظلام الأمية والجهالة وازدهار التضحية والايثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في المجتمعات الواعية الراقية.

وذلك يعني أن الأثرة والأنانية تنمو في نفوس الجهلاء واللؤماء وتذبل وتجف في نفوس أولي الوعي والألباب والأخلاق الكريمة، فكلما ازداد وعي المرء واستنار عقله وتعمق تفكيره قلت أثرته وأنانيته، فالعاقل المبصر أكثر تضحية وايثارا من الجاهل الأعمى، والطفل الغرير أشد أنانية من البالغ الكبير.

والبخيل الشحيح تطغى عليه الاثرة والأنانية، كذلك الحيوان أناني بالطبيعة والغريزة. اذاً تطغى الاثرة والأنانية على الطفل الغرير والجاهل الأعمى والبخيل وبالتربية الدينية السماوية وبالتحلي بالثقافة البناءة والأخلاق الحميدة والقدوة الحسنة، يتحرر المرء من عقدة الأثرة والأنانية ويسلك طريق التضحية والايثار.

والمتأمل المتفكر يدرك أنه يتولد عن

الاثـرة والأنانيـة مساويء ضـارة ورذائل وبيلة تسوق صاحبهـا الى شرور وجرائم كثيرة ، والاستعمـار بمختلف أشكالـه وصوره وألوانه من بنات الأنـانية وثمارها . فالدولة الاستعمارية تستأثر لنفسها وحدها بخيرات البلد الذي تحكمه وتستعمره وتحرم أهله منها .

وتلـد الاثرة والأنـانيـة الطمـع والجشع والحسد والغيـرة والشح والـغـدر والخيـانـة والاختـلاس والانتحال ووضع المصلحة الخاصة فـوق المصلحة العـامة . فـالطماع الجشع لا يقنع بما في يده وجيبه من مال بل يطمع فيما في يد غيره وجيبه . يدفعه الى ذلك حرصه على أن يضع يده وحدها على الخير والفائدة دون غيره . والحسود الغيور يتمنى أن ينتقل اليه وحده ما يراه عند غيره من نعمة وخير ، فهو يحب لغيره ما لا يحب لنفسه وعلة ذلك الأثرة والأنانية .

وكم جر الطمع الى معارك ومهالك ، وتحل العداوة والبغضاء والتفرقـة حيث يحل الحسد والجشع والطمع . وما أكثر ضحايا الطمـع والحسد والغدر والخيانة . وما أكثر الأسر والجماعات والدول التي دب في كيانها الحسد والطمع فأصابها الانحلال وتقطيـع الأوصال وانفـراط العقد وانهيار البنيان .

كذلك الغادر الخائن يغدر ويخون في سبيل منفعته الذاتية التي يضعها فوق أية منفعة أخرى . والمنتحـل المدعي يسرق ما يملك غيره من مجد وفضل وينسبه الى شخصه بدافع من حبه لنفسه وخصها وحدها دون غيرها بالفضل والفلاح . ومن ثمار الأثرة والأنـانية الـوصولـية والانتهازيـة والاستغلال والاحتكار والاستعبـاد والظلم

فالتاجـر الجشع الـذي يحتكر ويستغل إنما يفعل ذلك بدافع من الاثرة والأنانية

لذلك كانت الاثرة والأنانية رذيلـة الرذائل وأم القبـائح وهي مـرض أخلاقي مهلك وداء اجتماعي وبيل . والمرء الأناني يعزل نفسه بأنانيته وأثرته عن الناس ويخسر النفع الذي يريد الاستئثار به على غيره ، فهو يأخذ ولا يعطي ويقبض ولا يدفع ويشد ولا يرخي ، ومن يأخذ ويعطي ويقبض ويدفع ويشد ويرخي يربح ويكسب ، ومن يـأخـذ ولا يعطي ويقبض ولا يدفع ، ينحبس عنه الغيث والثمر فيحرم ويخسر . وكلما تخلى المرء عن الأثرة والأنانية وآثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة وضحى في سبيل الله والأمة والوطن ، وأنكر ذاته ، عظم نفسه ورفع شأنه ونال خيرا كثيرا ولا يمكن اقامة صرح التعاون والاتحاد ولا رفع علم النهضة والفلاح في مجتمع تسـوده الأثرة والأنانية والنزعة الفردية ، وتباع فيه المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة ، فسلامة الفرد من سلامة المجتمع ، والمصلحة الخاصة مرتبطة بالمصلحة العامة فاذا سلم المجتمع سلم الفرد ، وإن ضاع المجتمع ضاع الفرد ، وإن حفظت المصلحـة العـامـة حفظت المصلحة الخاصة ، وان أهدر دم

الفرد أهدر دم المجتمع ، اذ لا فلاح ولا قوة لمجتمع شخصية الفرد فيه ذابلة زاوية ، وكرامته مهانة ، ومصلحته ضائعة مأكولة .

وفي المجتمع الصالح المتقدم ترى شخصية الفرد تدور في فلك شخصية الأمة كما تدور الأرض في فلك الشمس . وترى المصالح الخاصة الفردية مرتبطة بالمصلحة العامة ارتباط الأغصان والفروع والأوراق بجذع الشجرة وساقها تستمد منها نموها وحياتها وازدهارها كما تستمد أسلاك الكهرباء وشمعاتها الحرارة والنور من مولد الكهرباء ، وتكون فيه أولوية المرور والسير للمصلحة العامة لا للمصلحة الخاصة ، ويدل على ذلك المسلمون الأوائل في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعهود الخلفاء الراشدين والخلفاء الصالحين من الأمويين والعباسيين وسواهم . فقد ضرب هؤلاء المسلمون المثل الأعلى في التضحية والايثار والتحرر من الاثرة والأنانية . وبذلك صاروا اخوة متحابين متراحمين متعاونين متحدين ، وقوة غلابة قاهرة أقاموا بها الدولة الاسلامية التي امتدت من منطلقها في المدينة المنورة حتى جنوب فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا . وقد وهبوا أنفسهم ومصالحهم الخاصة لله والرسول ، فوهبهم الله العزة والمجد والخير والحياة الحرة الكريمة والعيشة الراضية في الدنيا والآخرة .

ودارت الأيام وتغيرت الأحوال ، وحاد الخلف عن طريق السلف الصالح ، وأهمل الأحفاد ما ورثوه عن الأجداد من اسلام صحيح وايمان صادق وتضحية وايثار لضعف الاسلام الصحيح في قلوبهم وطاعة نفوسهم الأمارة بالسوء والميالة الى الأثرة والأنانية واتباع الأهواء والشهوات والنفس البشرية بلا ضابط يضبطها أو رادع يردعها كجواد شموس جموح بلا لجام أو كسيارة تسير بلا فرامل . فاقتتلوا فيما بينهم وتصارعوا وتفرقوا الى شعوب وأوطان ودويلات فضعفوا وهانوا وطمع فيهم الطامعون وغزاهم في عقر دارهم الغازون واستعمرهم المستعمرون . ولماذا سلك المسلمون الأقدمون طريق التضحية والايثار والتعاون والاتحاد ولماذا انحرف أحفادهم عن ذلك الطريق المستقيم الى طريق الأثرة والأنانية والتفرق والانقسام ؟

ذلك يرجع الى امتلاء قلوب المسلمين الأوائل بنور الايمان بالله واعتصامهم بحبل الله وارتواء نفوسهم من أخلاق الاسلام السامية وفضائله العالية ، وضحالة الاسلام الصحيح والايمان الصادق في قلوب الأواخر وتخليهم عن الاعتصام بحبل الله وتحللهم من أخلاق الاسلام الحنيف ومثله العليا ، وقد تمثل المسلمون الاسلام قولا وعملا وسلوكا وبخاصة في عهد رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعهود خلفائه الراشدين فقد قال الله تعالى فيهم : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/٩ . وقد

عملوا بقوله تعالى: (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) التوبة/ ٤١. وأخذوا بقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم وأحمد. وأحبوا الله ورسوله أكثر من حبهم لأنفسهم ايمانا منهم بأن الله ورسوله خير لهم من نفوسهم الأمارة بالسوء، وعملوا بقوله عليه الصلاة والسلام: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » متفق عليه.. ويدل ذلك على أنه لا شيء يخنق صوت الاثرة والأنانية في نفس المرء كالايمان بالله والاعتصام بحبله المتين.

فبالتضحية والايثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة يصير الناس متحابين متآلفين، متعاونين متحدين. وبالأثرة والأنانية ووضع المنفعة الشخصية فوق مصلحة الأمة يصيرون متباغضين متنافرين، ومتباعدين منقسمين على أنفسهم. ولنا في الأنصار والمهاجرين قدوة حسنة، فقد أعطى الأنصار المثل الأعلى وقدموا أقصى غاية التضحية والايثار والجود، حين شاركوا اخوانهم المهاجرين اليهم من مكة في أرزاقهم وأموالهم، وبذلك صاروا أسرة واحدة صالحة متعاطفة متراحمة واخوة متكافلين متضامنين في السراء والضراء وفي التآخي والاتحاد قوة غلابة قاهرة. وذلك يعني أن فضيلة التضحية والايثار تجمع وتوحد وتبني وتعلي.. ورذيلة الأثرة والأنانية تفرق وتبدد وتهدم وتحط، ولا يمكن وضع مصلحة الفرد فوق مصلحة الجماعة، اذ لا بد لاقامة صرح التعاون والاتحاد من تحلي أفراد المجتمع بفضيلة التضحية والايثار وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، فالتضحية والايثار أسمى الفضائل الانسانية، وأعظم الأخلاق الكريمة، ووضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة. مقياس الرقي الخلقي، والتقدم العلمي والأدبي.

وما الدواء الشافي لهذا الداء الأخلاقي والمرض الاجتماعي الوبيل يا ترى؟ من أنجع الأدوية لمرض الأثرة والأنانية وبيع المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة، هو توعية المواطن وافهامه بأن فضيلة التضحية والايثار خير له وأبقى من رذيلة الأثرة والأنانية، وأن سلامة المصلحة الخاصة رهن بسلامة المصلحة العامة، وحياة المواطن من حياة الوطن فاذا ضاعت المصلحة العامة ضاعت معها المصلحة الخاصة. فالوطن ملك عام للمواطنين جميعا، وهو مصلحة عامة، فاذا ضاع الوطن ضاعت بضياعه أملاك المواطنين وأموالهم، وذهبت مصالحهم الذاتية الخاصة. ولعل خير دواء يشفي النفس الانسانية من داء الأثرة والأنانية هو الايمان بالله تعالى وتقوى الله وطاعته. فالله عز وجل يأمر عباده بالتضحية والايثار وينهاهم عن الأثرة

والأنانية ، وقد وعد المؤمنين الذين يضحون في سبيله ، ويؤثرون المصلحة العامة على المصلحة الخاصة النصر والعزة والعلو في الدنيا وجنات تجري من تحتها الأنهار في الحياة الآخرة . وخير شاهد على ذلك العرب في العصر الجاهلي وفي ظل الاسلام الحنيف ، فقد كانوا قبل الاسلام تطغى عليهم النزعة الفردية والتعصب القبلي والأثرة والأنانية ، فتفرقوا وتقاتلوا وتغازوا ووهنوا ، فاستضعفهم الفرس والروم والأحباش واستعمروهم واستخدموهم . وفي ظل الاسلام الحنيف تحلوا بالتضحية والايثار ، فتحابوا وتآلفوا وتعاونوا واتحدوا ، فتحرروا وتقدموا وعزوا وسادوا وأقاموا أعظم دولة عربية اسلامية وأرقى حضارة انسانية في العصور الماضية .

وصاحب الايمان المتين بالله والعقيدة الالهية الراسخة يتزين بالتضحية والايثار ، كما يتحلى بالصحة والعافية ويبرأ من الأثرة والأنانية كما يبرأ من المرض والوباء ؛ فالتضحية والايثار من ثمار الايمان والعقيدة والعلم

قال الشاعر العربي عمر أبوريشة :

واذا راضت العقيدة قلبا فمن الصعب أن يكون أناني

والأثرة والأنانية يدلان على إقفار القلب من الايمان بالله والعقيدة السامية ، وقد تجعل الأنانية صاحبها لا أخلاقيا انتهازيا ، الغاية عنده تبرر الوسيلة وبلوغ الهدف بأي طريقة وأي ثمن .

والسياسة الاستعمارية المجرمة القائمة على الاستغلال والعدوان والنهب والسلب والقتل وامتصاص الدماء ، مبعثها الأثرة والأنانية . وما يلوث جو الحياة الدنيا من مفاسد ورذائل وجرائم وشرور وفجور سببه هؤلاء اللاأخلاقيون ، الذين لا يتورعون عن كل فكر وباطل وفجور في سبيل مطامعهم الشخصية ومآربهم الذاتية ، فهم لذلك أضل سبيلاً من الأنعام وأدنى درجة من الحيوانات . وقد ثبت بالتجربة أن ثمار التضحية والايثار طيبة حلوة ، وحصادها المكسب والفائدة ، وأن ثمرات الأثرة والأنانية مرة وعاقبتها الضرر والخسارة ، لذلك كان من الخير للانسان ومن مصلحته الشخصية ، أن يتحلى بالتضحية والايثار ونكران الذات ، وأن يتخلى عن الأثرة والأنانية .




الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .



السنة والتهم الموجهة إليها

للأستاذ/ايهاب محمد المهدي

لا يبدو غريبا على من يقرأ تاريخ السنة النبوية أو يتعرض لها بالدراسة أن يستلفت نظره وجود العديد من التهم التي وجهت اليها عبر العصور وفي كل الأزمان ، فالسنة النبوية هي المكمل والمتمم والشارح للقرآن الكريم ، ومن يتنصل من السنة النبوية فهو يتنصل من القرآن الكريم ومن الاسلام . فهو مرتد يلبس أحيانا ثوب الايمان والخوف على العقيدة الصحيحة أو يدافع عن فكر معين . وأحيانا يلبس ثوب التقدمية والعلمية والمنهجية ويرفض السنة النبوية لأجل الغاء الدين أو على الأقل ذبذبة المذبذبين . وعندما يصدر الاتهام للسنة من المستشرقين فهذه تبدو بديهية . أما أن تصدر الصيحة من رجل يدعى الثورية والتقدمية والمحافظة على الاسلام ثم يقول أنه يرفض السنة . فهذا موضوع آخر ولقد قال الرسول الكثير عن هذا الموضوع ولعل الحديث المشهور الذي يقول فيه : « لألفين أحدكم متكئا على أريكته . يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه . ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه » رواه أحمد وأبوداود .

وأول فتنة تعرض لها الأسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت من رفض السنة وقد تنبأ بها الرسول وقال : « من يعش منكم بعدي سيرى اختلافا كبيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . استمسكوا بها وعضوا عليها

بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » رواه أحمد وابن ماجه . وما تنبأ به حدث بعد وفاته مباشرة حينما رفضت بعض القبائل دفع الزكاة لأبي بكر لأنهم كانوا يدفعونها للرسول أما وقد مات ، فانه لا أحد يأخذها أو يستحقها فقد كانوا يدفعونها للرسول أما أبو بكر فهو مثلهم . ويقال أن عمر بن الخطاب عارض سيدنا أبا بكر الصديق ، وأنه حدثت مناقشة للأمر فيما بينهم ، وان كنا نرجح عدم حدوث هذه الملاحاة . لايمان عمر ومعرفته بمعنى ترك السنة ، وحتى الذين يقولون هذه الرواية يستشهدون بحديث الرسول ، قاله عمر في معرض النقاش . وهو « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » رواه الأربعة والبخاري ومسلم ويرد عليه سيدنا أبو بكر بقوله : أليس يقول الرسول إلا بحقها ؟ ومن حقها الزكاة . والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله لحاربتهم لأجله . ولن نستطرد كثيرا ولكن النقاش انتهى بأن اقتنع عمر بن الخطاب برأي سيدنا أبي بكر ، ووافق على حروب الردة ، وانتصر المسلمون ورجعت للسنة مكانتها من التشريع الاسلامي . ثم عاد الهجوم على السنة النبوية الشريفة مرة أخرى بعد الفتنة الكبرى بين سيدنا علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكثرت حركة الوضع في الحديث مما سنفصله فيما بعد .

وقد روى الامام الشافعي في كتابه الأم باب حكايات الطائفة التي تنكر الأخبار جميعا أن أصحاب هذه البدعة صنفان من الناس ، **الصنف الأول** : لا كلام لنا معهم لأنهم متهافتون ضالون مضلون ، وهم مارقون عن الاسلام من حيث لا يشعرون . اذ ينكرون عدالة الصحابة ويقولون أنهم غير عدول لأنهم وافقوا على أن الرسالة لمحمد ومؤدى هذا أنهم يريدون أيضا أن ينكروا القرآن لأن الذي جاء بالقرآن هو محمد . فيجب أن نطرح الكلام معهم لأنهم ليسوا بعقلاء ، أما **الصنف الثاني** : فيستدل على قوله بالقرآن ، ويقولون ان القرآن قال : **(ما فرطنا في الكتاب من شيء)** الأنعام/٣٨ . واذا احتجنا الى السنة كان الكتاب ناقصا .

وبالرغم من أن هذا الكلام هزيل لأن المقصود بالكتاب ليس القرآن لأن كلمة كتاب مصدر كتب والمقصود بها علم الله بدليل قوله تعالى : **(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء)** والذين يقولون هذا الكلام ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض والى جانب جهالتهم بشروط تفسير القرآن لا يريدون للاسلام الخيروالا ما معنى أن يتركوا القرآن الذي يقول :

○ **(وما ينطق عن الهوى)** النجم/٣ .

○ **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان**

الله شديد العقاب) الحشر/٧ .

○**(ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)** النساء/٨٣ .

○ **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)** الأحزاب/٣٦ .

○ **(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب)** المائدة/١٥ .

○ **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** الجمعة/٢ .

○ **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** النساء/٦٥ .

○ **(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)** آل عمران/٣١ .

وسنترك الآيات دون تفسير فهي شارحة للموقف تماما وتوضح مدى أهمية دور الرسول عليه الصلاة والسلام . وان الايمان به جزء لا يتجزأ من الايمان بالاسلام وان السنة شارحة للقرآن ومرادفة له . وأن الاستغناء عن السنة ليس خطوة في مشوار الكفر وانما هي الكفر ذاته .

وهناك من يرفض السنة لكثرة الوضع في الأحاديث النبوية حتى أن البخاري ذكر أنه سجل أربعة آلاف حديث من ستمائة ألف حديث . وكذا أبوداود فلم يصح لديه من خمسمائة ألف حديث غير أربعة آلاف وثمانمائة . وحتى هذه الأحاديث كانت موضع نقد وتمحيص ، ونفى الكثير من العلماء بعض الأحاديث عندهم . ويرددون كلام ابن خلدون في المقدمة حيث ذكر أن أبا حنيفة لتشدده في شروط صحة الحديث لم يصح عنده الا سبعة عشر حديثا .

والرد على هذه الاتهامات سهل يسير . ولو أن أحدهم أضاف الى سابق هذا الكلام حديثا عن الرسول : « انكم ستختلفون بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فمني وما خالفه فليس عني » رواه مسلم .

والرد على هذه الادعاءات سهل يسير ، ولصدورها من رجال خدموا الاسلام وقالوا كلامهم لا لهدم الاسلام وانما نقلا عن بعض الكتب التي تروي هذه الأخبار والأحاديث فيجب أن يكون الرد في النقاط التالية :

١ ـ ذكر البخاري « لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر » .

٢ ـ ذكر أبو داود في رسالة الى أهل مكة « سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب السنن أهي أصح ما عرفت فاعلموا أنه كذلك كله ؟ ولم أكتب في الباب الا حديثا واحدا أو حديثين وان كان في الباب أحاديث صحاح . وما سكت عنه فهو صالح .

٣ ـ أما عن ابن خلدون فهو لم يكن من رجال الحديث ويقول الشيخ

الكوثري . هذه هفوة لابن خلدون لا يجوز لأحد أن يفتريها لأن رواياته على تشدده في الصحة لم تكن سبعة عشر حديثا فحسب بل أحاديثه في سبعة عشر سفرا يسمى كل منها بمسند أبي حنيفة خرجها جماعة من الحفاظ وأهل العلم بالحديث بأسانيدهم اليه .

٤ ـ أما الاستشهاد بالحديث الآنف الذكر فيمكننا أن نأخذ من الشاطبي فهو يقول عن هذا الحديث « وقال عبد الرحمن بن المهدي الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث . وقد عارض هذا الحديث قوم فقالوا نحن نعرضه على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك . فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفا لكتاب الله ولا نقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما وافق كتاب الله . بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته ويحذر من المخالفة من أمره جملة على كل حال . فيقول تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) ، ثم أن كون مخالفة القرآن مقياس لرفض الحديث لا يستقيم في جميع الأوقات .

ولعل رفض البعض للسنة يقودنا الى حركة الوضع في الحديث . وهذه الحركة نشأت بعد الفتنة الكبرى حين ضعف ايمان بعض الناس ، وحاول الكثيرون زرع بذرة الخلاف أو تأييد مذاهبهم السياسية ، أو من الزنادقة ، أو من اليهود والنصارى الذين أسلموا ، والأحاديث التي وضعوها من السهل اكتشافها اذا حددنا الفرق التي وضعت وهم :

١ ـ **الزنادقة** : ويروي أنهم وضعوا أربعة عشر ألف حديث وقد روى أحدهم بعد أن اكتشف أمره ويسمى ابن أبي العوجاء « والله لقد فطرتكم يوم صومكم وصومتكم يوم فطوركم » . والأحاديث التي وضعها هذا الفريق تهدف الى السخرية المستورة من الاسلام ككل ومن الرسول بوجه خاص كقولهم « ان الله لما خلق الحروف سجدت الألف وركعت الباء » وقولهم عن الرسول « الباذنجان فيه شفاء لكل داء » .

٢ ـ **القصاصون** : وقد وضعوا آلاف الأحاديث لأجل التقرب من العامة فهم يضعون الأحاديث لأجل الحصول على المال أو ما شابه ذلك والذي يذهب ريف مصر يسمع أحاديث غريبة جدا مثل : « من قال سبحان الله وبحمده غرس الله له ألف ألف نخلة في الجنة أصلها ذهب » وكذا من قال « لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طائرا له سبعون ألف لسان في كل لسان سبعون ألف لسان في كل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله تعالى له » . ولعل أخطر هذه الأحاديث قولهم « ان الله يعتذر للفقراء يوم القيامة ويقول وعزتي وجلالي ما زويت عنكم الدنيا لهوانكم علي لكن أردت أن أرفع قدركم في هذا اليوم انطلقوا الى الموقف . فمن أحسن اليكم بكسرة أو سقاكم شربة من الماء أو كساكم خرقة فانطلقوا به الى الجنة » . ومثل هذه الأحاديث يستطيع المؤمن الدارس المتفهم للقرآن أن يعرف ويميز الصحيح منها والموضوع .

٣ ـ الشيعة : ويروي ابن تيمية أن أحد شيوخهم قال كنا اذا اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا ومن الأحاديث التي وضعوها « من أراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في تقواه والى ابراهيم في حلمه والى موسى في هيبته والى عيسى في عبادته فلينظر الى علي » وبالطبع واضح أن الحديث موضوع وأكثر فرق الشيعة وضعا هم الرافضة .

٤ ـ المنافقون : وهم الذين كانوا يتقربون الى الملوك والرؤساء فيقولون أحاديث تبرر أفعال الملوك من ذلك ما يحكى عن غياث بن ابراهيم أنه دخل على المهدي بن منصور وكان يعجبه اللعب بالحمام فقال له : قال الرسول عليه الصلاة والسلام « لا سبق الا خف أو حافر أو نصل أو جناح » فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم فلما قام ليخرج قال المهدي أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله . ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **جناح** ولكن أراد ليتقرب الينا . ويبدو أنها قليلة هذه الأحاديث اذ أن معظم كتب الحديث تذكر هذا الحديث .

٥ ـ الخلافات الفقهية بين العلماء : وتوجد أحاديث كثيرة عن مشكلة أزعجت بال الناس طويلا وهي خلق القرآن وكان المعتزلة أصحاب هذا الرأي وروى خصومهم أحاديث « مثل القرآن كلام الله وليس كلام الله بمخلوق » وكذا حديث « سيجيء من أمتي قوم يقولون القرآن مخلوق . فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم وطلقت منه امرأته من ساعتها » . وبالطبع واضح أن هذه الأحاديث وضعت في فترة معينة للاجابة على أسئلة محدودة بزمان ومكان معين دون النظر الى مدى تأثير هذا على الاسلام . وعلى العقيدة بوجه عام . وقد أدت هذه الأحاديث النابعة من فكر دخيل على الاسلام الى تشويه حقائق الاسلام في ذهن العامة بوجه عام والى استغلال المستشرقين لهذه الأحاديث واتهام الاسلام في الصميم . والاتهامات التي وجهها المستشرقون الى السنة النبوية كثيرة ، ولكن أخطرها لأجل محوها واسقطاها ما يأتي :

١ ـ اتهام وجهه بعض المستشرقين من أن السنة دونت في عهد عمر بن عبد العزيز ٩٩ ـ ١٠١ ومعنى هذا أنها ليست صحيحة ، ودخلها الكثير عن طريق الوضع الذي أشرنا اليه .

٢ ـ تقول دائرة المعارف الاسلامية مادة « حديث » لا يمكن أن تعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبي بل هي عكس ذلك تمثل آراء بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم .

والرد على الاتهام الأول سهل . اذ أن هناك العديد من الوثائق التي تثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أنه كان هناك تدوين للسنة في عهد الرسول والصحابة الى أن أمر عمر بن عبد العزيز بتدوينها رسميا ! وسنكتفي بايراد بعض هذه الوثائق .

١ ـ وثيقة عبد الله بن عباس . والتي رواها تلميذه سعيد بن جبير وفي هذه الوثيقة أكثر من ألف حديث .

٢ ـ **وثيقة عبد الله بن عمرو** بن العاص والتي كتبها باذن خاص من الرسول عندما سأله أأكتب كل ما أسمع ؟ قال : نعم . قال في الرضى والغضب ؟ قال الرسول : نعم فاني لا أقول في ذلك الا حقا وقد ذكرها الامام أحمد بن حنبل في المسند بكاملها .

٣ ـ **صحيفة الصحابي أبي هريرة** وبها أكثر من مائتي حديث ، وذلك لأن أبا هريرة لم يكن يكتب ، وقد ذكرها أيضا الامام أحمد بن حنبل في المسند ، وتسمى بالصحيفة الصحيحة . وغيرها كثير ولكنها تكفي بما لا يدع مجالا للشك من أنه كان ثمة تدوين على عهد الرسول وان لم يكن منظما كما هو عليه الحال في عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز .

أما **الاتهام الثاني والأخير** في بحثنا ، فيمكن الرد عليه بسهولة اذ أن أسلوب الرسول واضح .

فاذا سلمنا بأن بعض الأحاديث صحيح والآخر موضوع ، فان معرفة الصحيح وان كان العلماء قديما وحديثا قد بحثوا في رجال الأثر ، وتشددوا في أمر الكتابة والتدوين فان الأحاديث الصحيحة يمكن تمييزها من ناحية الأسلوب . فأسلوب الرسول في الحديث يدل على شخصيته ، فهو مختلف عن أساليب العرب كما هو مختلف عن أسلوب القرآن ، ونلمس فيه كما يقول **الدكتور الزرقا** ضعف الذات أمام الصعوبات القاهرة تارة ، وفيها قوة الثقة تارة أخرى . فهو شخصية تعتز بالضعف الذاتي أمام الله الى جانب اعتزازها بقوة الأمانة والثقة بالحق ففيها ضراعة البشر وتواضع الزهاد الى جانب حكمة العلماء وقوة المبلغين الأمناء .

ونضيف أننا اذا ميزنا أحاديث الرسول وعرفنا الوضع وأسبابه فمن هم أصحاب النفوذ الذين وضعوا الأحاديث . ان هذا يجرنا الى دراسة الشخصيات ذات النفوذ كما تقول دائرة المعارف لنعرف طبيعة شخصياتهم ، وما يمكن أن يضعوه وكانوا أكثرهم من أتقى وأصلح من جاء الى الاسلام والمسلمين . وقد أغنانا الأستاذ العقاد في عبقرياته ودراسته للشخصيات في بداية كل عبقرية . يكتب مفتاح الشخصية وبها تحليل لنفسية الشخصية والبطل الذي يدرسه . وبالطبع لا يمكن أن يكتب الانسان الا ما يعبر عن فكره وشخصه وكلهم طبيعتهم تختلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم وايمانهم الصادق ليس مجالا للشك من أي انسان . ولكن الاتهامات تلقى في وجه السنة كخطوة نحو احلال دين جديد محل دين الاسلام بدعوى التطور . والدين الجديد المطور لا يكون اسلاما بقدر ما يكون دينا عبادته المجتمع ورسوله ماركس وطبقة البروليتريا هم الأتباع ، أو دينا عبادته الاستغلال ورسوله آدم سميث وأتباعه من الرأسماليين ، والاثنان بعيدان عن الدين في كل شيء . ويجب أن نأخذ الحذر ونعرف ممن توجه الاتهامات وكيف يفكرون لنعرف كيف نرد عليهم . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .



المغفرة لمن ؟

مغفرة الله للمذنبين والعاصين ، ورحمته بهم واسعة .. ولكن بشروط .. يقول تعالى : « **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** » . الآية ٨٢ من سورة طه .

هو حسبي

قال حكيم :**نظرت الى الخلق ، فرأيتهم متوكلين ، هذا على بضاعته ، وهذا على تجارته ، وهذا على صنعته ، وهذا على صحته ، وهذا مخلوق متوكل على مخلوق ، فرجعت الى قول الله عز وجل : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » . فتوكلت عليه ـ سبحانه ـ فهو حسبي ونعم الوكيل .**

طريقة يهودية

سأل قائد يهودي احد جنوده ـ ماذا تفعل لتفرق مظاهرة معادية ؟
فقال الجندي : أخلع قبعتي واجلس اجمع التبرعات منهم ، فيتفرقون .

الحياة العزيزة

فما العيش الا ان نموت اعـزة — وما الموت الا ان نعيش ونسلما
تأملت في صرف الزمان فلم اجد — سوى الصارم البتار للسلم سلماً
فان يك دفع الشر بالرأي حازماً — فما زال دفع الشر بالشر أحزما
تجـاهل اهـل الكفر كـل قضيـة — اذا لم يجيء فيها الحسام مترجما

عند الكرب

روي ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول ، عند الكرب : « لا اله الا الله ، العظيم الحليم ، لا اله الا الله ، رب العرش العظيم ، لا اله الا الله ، رب السموات ، ورب الارض ، ورب العرش الكريم » .
اخرجه البخاري

كن مع هؤلاء

أقوى الناس من قوى على غضبه ، واصبرهم من صبر على فاقته ، واغناهم من قنع بما تيسر .

معالجة النفس

كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يجمع الناس في المسجد لكل امر مهم ، فيناديهم : « الصلاة جامعة » فلما اجتمعوا ، صعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال :ـ

ايها الناس ! لقد رأيتني وأنا ارعى على خالات لي من بني مخزوم ، فكنت استعذب لهن الماء فيقبضن لي القبضة من التمر او الزبيب . ثم نزل .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما اردت الى هذا يا امير المؤمنين .

فقال : ويحك يا ابن عوف ، خلوت بنفسي فقالت لي : انت امير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله احد ، فمن ذا افضل منك ؟

فأردت ان اعرفها قدرها .

يوم الأذان

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال له : اذكر يا امير المؤمنين يوم الأذان ؟ قال : وما يوم الأذان ؟ قال : اليوم الذي قال الله تعالى فيه : (**فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**) . فبكى سليمان وازال ظلامته .



يتميز التشريع الجنائي الاسلامي بالاصالة على الرغم مما بذله ويبذله البعض ، سواء من المستشرقين او ممن تتلمذ عليهم من علماء القانون الجنائي من المسلمين او من غير المسلمين من جهود دائبة للتشكيك في هذه الاصالة متخذين الى ذلك وسائل مختلفة واساليب متباينة ، تهدف كلها الى نفي الاصالة عن التشريع الجنائي بل واقناع من يتصدون لدراسته بأنه منقول عن التشريعات والقوانين السابقة عليه او المعاصرة له ، وهو زعم باطل من اساسه .

ولعل مما يساعد على رواج هذا الزعم ، المنهج الذي اتبعه بعض الذين حاولوا ان يدفعوا تهمة نقل التشريع الجنائي الاسلامي من غيره من التشريعات والقوانين ، فاذا بمحاولاتهم تؤدي بدون قصد الى نتيجة عكسية كان من المحتم ان يؤدي اليها المنهج الذي اتبعوه في عرض القضية ، وهو منهج يقوم على المقارنة بين احكام التشريع الجنائي الاسلامي وما يقابلها او يماثلها من احكام في القوانين الوضعية ، مما تضمن ايحاء للباحث والقارىء على السواء بأن التشريع قد نقل عن القوانين وليس العكس فمن يقرأ ما كتبه بعض الفقهاء يلاحظ انهم بذلوا اقصى ما في وسعهم للتدليل على ان كثيرا من الاحكام التي تتضمنها القوانين الوضعية الغربية جاءت بها او بمثلها الشريعة الاسلامية . وبالتالي فان رد هذه الاحكام الى

اصولها في القانون الروماني او في قانون صولون او في غير هذا وذاك من القوانين السابقة على الاسلام يكفي بذاته لتأكيد الزعم القائل بأن التشريع الجنائي الاسلامي قد نقل عنها .

ليس ذلك فحسب بل ان هؤلاء الفقهاء رغبة منهم في اقناع الباحثين والقراء بأن التشريع الجنائي الاسلامي لا يقل احكاما ودقة ورعاية لمصالح المخاطبين باحكامه عن القوانين الوضعية لم يتورعوا عن اختلاق نظم لا وجود لها في هذا التشريع لمجرد اضفاء صبغة زائفة من التقدمية والحداثة والسبق على التشريع الجنائي الاسلامي على الرغم من ان النظم او الاحكام المدعاة ليست حسنة او مفيدة من اي وجه ، بل ان الدول التي تطبقها تسعى للعثور على بديل لها او الغائها تماما بعد ان كشف التطبيق عن مساوئها ، مثال ذلك نظام العود الى الجريمة الذي لا وجود له في التشريع الجنائي الاسلامي ، ومع ذلك ولانه منصوص عليه في القوانين الوضعية فقد زعم بعض الفقهاء ان التشريع الجنائي اخذ به ونص عليه وهو ما يتعارض بوضوح مع النص الصريح الذي يقرر ان العقوبات كفارات لاهلها ، بمعنى انه بتوقيع العقوبة على المذنب ، فانه يكون قد كفر عن ذنبه .

وبالتالي لا يجوز بأي حال ان نعاقبه مرة اخرى على هذا الجرم اذا ارتكب جرما آخر وهو ما تفعله القوانين الوضعية حيث تشدد العقاب على العائد مع ما في ذلك من ظلم بين اذ يعاقب الشخص عن الفعل الواحد مرتين .

كذلك فان الاحوال الواردة في التشريع الجنائي الاسلامي والتي يتكرر فيها الجرم لا توحي بأن العقاب قد روعي فيه سبق ارتكاب الشخص للجريمة سواء اكانت من نفس النوع ام من نوع اخر . ففي السرقة مثلا تقطع اليد اليمنى في اول مرة ، ثم تقطع القدم اليسرى في المرة الثانية ، وتقطع اليد اليسرى في المرة الثالثة وهكذا ، فالعقاب في المرة الثانية او الثالثة لا يتضمن اي تشديد . كذلك في جريمة شرب الخمر ، فان الشارب يجلد في كل مرة يثبت فيها انه تعاطى الخمر ثمانين جلدة لا تزيد ولا تنقص ، وايضا في جريمتي القذف والزنا من غير المحصن ، ومع ذلك فان بعض الفقهاء المعاصرين يقولون ان التشريع الجنائي الاسلامي ، عرف نظام العود الى الجريمة وشدد العقاب عليه وهو ما لا نجد له سندا في كتب الفقه الاصلية .

وقد استتبع ذلك ، القول بأن **نظام السجل الجنائي** الذي يتضمن بيانا بجرائم الشخص ، او ما يسمى بـ « صحيفة الحالة الجنائية » أو « صحيفة السوابق » نظام مقبول في التشريع الجنائي الاسلامي حيث ان القواعد الخاصة بالعود لا يمكن تطبيقها الا اذا عرفت سوابق المذنب . ومن المعروف ان نظام « صحيفة الحالة الجنائية » اسفر منذ تطبيقه عن مساوىء كثيرة في مقدمتها تلك

العراقيل التي يضعها في طريق الشخص الذي ارتكب جرما عوقب من اجله ثم اراد ان يستأنف حياته مرة اخرى عضوا نافعا في الجماعة ، فان نظام « صحيفة السوابق » يحول بينه وبين الالتحاق بعمل يرتزق منه ، ويحرمه من ممارسة الكثير من حقوقه السياسية . ويشترط عليه ان يسترد ما يسمى « بالاعتبار » قبل ان يعود عضوا عاديا في الجماعة ، وكثيرا ما يتعذر عليه ذلك بالنظر الى الشروط الكثيرة والمعقدة التي يتطلب القانون توفرها . ليس ذلك فحسب بل ان هذا النظام يفتقر الى العدالة بصورة واضحة حيث يؤدي انعدام الدقة في تسجيل السوابق الى تطبيق قواعد العود ومن ثم تشديد العقوبة على البعض دون البعض الآخر ، وهو ما كشفت عنه البحوث التي اجريت على ظاهرة العود الى الجريمة والاعتياد عليها ، حيث تبين ان نسبة مرتفعة من نزلاء السجون لا تعرف سوابقهم .

ولعله لم يعد خافيا على أحد تلك النتيجة التي ادى اليها تطبيق نظام « صحيفة السوابق » وهي ارتفاع نسبة العائدين الى الجريمة بصورة مستمرة بعد ان اقفلت الابواب في وجوههم ، وحيل بينهم وبين الالتحاق بالمجتمع واستعادة اوضاعهم العادية في الجماعة . وهو ما دفع بعض الحكومات الى الغاء ما يسمى بالسابقة الاولى من صحيفة الحالة الجنائية تمكينا لمن حكم عليهم لاول مرة من العودة مرة اخرى الى المجتمع .

وهؤلاء الذين اعتقدوا ان التشريع الجنائي الاسلامي يتضمن احكاما خاصة بالعود الى الجريمة وكذلك تنظيما « لصحيفة السوابق ولما يسمى برد الاعتبار » فانهم لم يدركوا ان هذه النظم تتعارض مع مبدأ « التوبة » الذي يقضي بأن من تاب عن ذنبه بعد توقيع العقاب عليه ، يعود عضوا سويا في الجماعة له ما لاعضائها الآخرين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات ، بحيث لا يحق لاحد ان يفرض عليه ان يعيش في ظروف تدفعه الى ارتكاب الجريمة مرة اخرى ، لكي يعيش او لكي يدفع الظلم الذي ينزله به المجتمع بحرمانه من حقوقه وملاحقة الشرطة له .

وليس معنى هذا ان السجل الجنائي نظام مرفوض من الفقهاء المسلمين او من التشريع الجنائي الاسلامي ، ولكن معناه ، استخدامه في الحدود التي تعود بالفائدة على المجتمع ، بحيث يستخدم في دراسة اتجاهات الجريمة وعواملها فضلا عن رصد حركتها الكمية والنوعية ، وفي غير هذا وذاك مما يفيد في مكافحتها والوقاية منها دون ان يتجاوز ذلك الى وصم المذنب بالعار وحرمانه من حقوقه او ملاحقته او تعقبه .

وهكذا يمكن القول ان خلو التشريع الجنائي الاسلامي من بعض النظم او الاحكام التي استحدثتها القوانين الوضعية لا يعني انه متخلف عنها ، او ان ذلك ينتقص منه او يقلل من قيمته ، بل العكس هو الصحيح ، فقد اسفر التطبيق العملي لتلك النظم

والاحكام عن اضرار فادحة اصابت المجتمع بالاضطراب وانتقصت من حقوق الافراد . ولذلك فانه يجب على من يتصدى لدراسة هذا التشريع بالمقارنة مع القوانين الوضعية ، ان يتخذ منه معيارا للحكم عليها بالصحة او بالفساد ، وليس العكس وهو ما نراه الان . حيث يهتم المدافعون عن التشريع الجنائي الاسلامي بمقارنته بالقوانين الوضعية باتخاذها معيارا للحكم عليه بالصحة ، والاستدلال على ما فيه من دقة وتقدمية ومسايرة للفلسفات المعاصرة ، التي لم تجن المجتمعات من ورائها الا الفوضى وانعدام الامن وافتقاد الطمأنينة .

كذلك فان البحث في اصالة التشريع الجنائي الاسلامي يستلزم فضلا عن النظر اليه كنظام متميز أو بالاحرى كنسق فريد متكامل ، يستمد اهميته من طبيعته الخاصة ، وتقوم اصالته على اساس مختلف كل الاختلاف عن الاساس الذي تقوم عليه القوانين الوضعية ، ان تكون دراسته شاملة لاقسامه المختلفة ، فلا تقتصر على ما يتعلق منها بالاحكام العامة ، او القواعد الاجرائية ، او النظام العقابي كل على حدة ، وانما يجب ان تكون الدراسة شاملة لها جميعا ، فقد لجأ اعداء الشريعة الى هذه التجزئة للطعن في اصالة التشريع الجنائي الاسلامي ، وذلك بتركيزهم على النظام العقابي الاسلامي ولفتهم الانظار اليه دون القسمين الآخرين منه ، وهما قسم الاحكام العامة ، وقسم الاجراءات ، وتعمدوا استغلال التشابه بين بعض الجزاءات التي نص عليها التشريع الجنائي الاسلامي وبين جزاءات مماثلة لها او شبيهة بها ، وردت في التشريعات او القوانين السابقة عليه للقول بأنه نقل عنها ، ونفوا بالتالي صفة الاصالة عنه . مثال ذلك عقوبات الرجم والجلد والقطع وكذلك القصاص ، فزعموا ان التشريع الجنائي الاسلامي لم يأت بجديد في هذا المجال وانما استعار من التشريعات الاخرى كالشريعة الموسوية ، او من القوانين الوضعية التي كانت مطبقة عند ظهور الاسلام مثل قانون حمورابي ، والقانون الروماني وغيرها من القوانين التي كانت تطبق في الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية فضلا عن العرف الذي كان سائدا في الجزيرة العربية ذاتها .

من ذلك ما قاله المدعو « دافيد دي سانتيلانا » في كتاب « تراث الاسلام » الذي الفه جمهرة من المستشرقين باشراف « سيرتوماس ارنولد » عند الكلام عن « القانون والمجتمع » فقد اجمل الكلام عن قانون الجزاء الاسلامي في ثمانية سطور فقط ، قال فيها وبجرأة غريبة يحسد عليها : « ليس ثم كثير مما يقال عن قانون الجزاء فنظام العقاب في الاسلام مبني في جوهره على مبدأ « العين بالعين والسن بالسن » كشريعة موسى . وهو مبتن ايضا على مبدأ الثأر الغريزي . كما انه يضع امام اعيننا المبادىء العقابية الموجودة في متن التوارة دون كبير تحوير . ولا

يغرب عن البال ان لهذه المبادىء والقواعد اسسا تاريخية وقيما تقليدية ».

وهكذا اعتبر هذا الرجل التشريع الجنائي الاسلامي مجرد عقوبات تقوم على مبدأ « العين بالعين ، ومبدأ الثأر الغريزي وتجاهل تماما الأحكام العامة والقواعد الاجرائية التي جاء بها الاسلام ولم يكن لها شبيه من قبل . وعلى الرغم من ان التماثل او التشابه بين بعض النظم والبعض الآخر لا يعني ان احدها قد نقل عن الآخر ، الا انه حتى مع التسليم لهؤلاء الادعياء بما يدعونه ، فان ذلك لا ينفي عن التشريع الجنائي الاسلامي اصالته ، لا لشيء الا لانه لا يقوم فقط - شأنه في ذلك شأن كل التشريعات والقوانين - على النظام العقابي او اساليب العقاب وحدها بل ولعل هذه وتلك لا تعد عنصرا اساسيا من عناصر هذا التشريع ، وانما هي عنصر ثانوي يلي في الاهمية العنصرين الاساسيين وهما الاحكام العامة والقواعد الاجرائية ، التي بدونها لا يمكن ان تتحقق العدالة او تتوفر الحماية للافراد فضلا عن المجتمعات . فالسلطة العليا في المجتمع يمكنها ان تفرض ما تشاء من العقوبات والتدابير ، ولكنها لا تستطيع ان تكسبها الفاعلية والحياة ، وتضعها موضع التطبيق بالاضافة الى توفير الاحترام لها والانزجار بها الا اذا سبقها تنظيم جنائي محكم يقوم على دعامتين قويتين هما : احكام عامة محددة وواضحة ومستقرة ومحكمة تراعي اعتبارات العدالة والمساواة . وقواعد اجرائية سليمة ودقيقة وملائمة لاحوال المجتمع ومتكافئة مع ظروفه واوضاعه ، تستجيب لردود فعله ازاء الجريمة ، وتراعي التوازن بين مصالح الافراد ومصالح الجماعة ، وتوفر الضمانات الكافية للحريات والحقوق .

اما الجزاءات فسواء اكانت جسيمة ام كانت بسيطة ، فانها تأتي دائما في المرتبة الاخيرة بعد القواعد الاجرائية والاحكام الموضوعية . فاذا فسدت هذه او تلك لم يعد من المهم بحال من الاحوال ، ان نقول ان الجزاءات رادعة او غير رادعة ، شديدة وقاسية او خفيفة وهينة . وهذا يبدو بوضوح بالنسبة لبعض الجزاءات التي فرضت على بعض الجرائم واعتقد المشرع في حينه انها سوف تمنع او على الاقل تقلل من الجريمة التي فرضت من اجلها ، فاذا بها لا تحقق ما كان متوقعا منها ، مثال ذلك جناية جلب المخدرات التي رفع المشرع عقوبتها في قانون العقوبات المصري الى الاعدام شنقا ، ومع ذلك لم تنخفض نسبة جرائم جلب المخدرات ، بل ان القضاء نفسه لم يصدر حكما واحدا بالاعدام على كثرة ما عرض عليه من جرائم من هذا النوع ، مما يدل على أن شدة العقوبة او خفتها لا علاقة لها بالاحكام الموضوعية ولا بالقواعد الاجرائية فضلا عن مكافحة الجريمة او الحد منها .

ولـذلك فـان البحث في اصالـة التشريع الجنائي الاسلامي يجب ان يتجه الى دعامتيه اللتين هما دعامتا أي قـانـون الا وهمـا ، الاحكـام العـامة ،، والقـواعد الاجـرائية ،

وليس معنى هذا اننا نسلم لاعداء التشـريع الاسـلامي بصحـة مـا يزعمونه من عدم اصالته . او على الاقل عدم اصالة النظام العقابي الاسلامي . فمما لا شك فيه انه على الرغم من التشابه القائم بين بعض العقوبات التي وردت فيـه ، وبين عقوبات وردت في تشريعات او قوانين سابقة ، الا انه لا يخلو من اصالة واضحة وبالذات بالنسبة للجزاءات التي استحدثها ومنهـا العقوبـات السالبة للحرية والعقـوبات المـالية فضلا عن صور من التدابير التي وضعها لمواجهة ما يسمى بحـالة الخطورة الاجرامية ، وكلها لم تعرف الا بعد تطبيقها في الدولة الاسلامية بأكثر من اثنى عشر قرنا ، وهو ما سبق أن بيناه في دراسات سابقة ، ولـذلك فسـوف نقتصر هنـا عـلى استعراض معالم الاصالة في التشريع الجنائي الاسلامي بجناحيه وهمـا الاحكام العام ، والقواعد الاجرائية .

ولعل ما اشرنا اليه في مقدمة هذه الدراسة من عدم اعتراف التشريع الجنائي الاسلامي بنظام « العود الى الجريمة » هو احد علامات الاصالة التي يتميز بها ، اما اول هذه العلامات فهو ذلك المبدأ الهام الذي تضمنه ذلك التشـريع ولم يكن لـه شبيـه في التشريعات السـابقة او القـوانين الوضعية التي سنها المشرعون ، وهو مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات الذي يقضي بأن « لا جريمة ولا عقوبة بغير نص » فمنذ ان عرف الانسان الحياة في جماعة وخضع للتنظيم الاجتماعي الذي تقوم السلطة السياسية على رأسه ، وحتى ظهور الاسلام ، لم يكن تجريم الافعال والعقاب عليها يخضع لمبدأ او تحكمه قاعدة ، فكان للحاكم ان يجرم من الافعال مـا يشاء ، ويفرض لها من الجزاءات ما يريد ، دون ان يكون لدى الناس علم مسبق بتجريمها والعقاب عليها ، بـل ان التجريم نفسه لم يكن يتميز بالثبات والاستمرار فالافعال تجرم حينا وتباح حينا آخر ، ويعاقب عليها بعقوبة ثم يعاقب عليها بعد حين بغيرها قد تكون اشد او اخف . وهكذا . ليس ذلك فحسب ، بل ان الحاكم كان يعاقب احيانا على الافعال بأثر رجعي على الرغم مما كان لها من وصف الاباحة عند وقوعها . بل ان الحيوان والجماد وفي احيان كثيرة المـوتى ، كانـوا يعاقبون بـاعتبارهم مسؤولـين عن جرائم وقعت ، فضلا عن الاطفال غير المميزين والمجانين والواقعين تحت تأثير الاكراه او المضطرين .

ولم يكن تجريم الافعال وتوقيع الجزاءات على من يرتكبونها يقتصر على الحاكم او اولى الامر ، وانما تجاوزه الى الافراد ، فكان للسيد ان يعاقب افراد اسرته او عشيرته او تابعيه ومنهم عبيده ، وله في ذلك مطلق الحرية فهو يعاقب من يشـاء بما يتراءى له من عقاب ، ويعفو عمن يريد

دون معقب على حكمه او نـاقض لقراره ، بل ودون ان يراعي الملاءمة بين الجريمة والجزاء ، فله ان يوقع اقسى العقوبات من اجل جرم تافه ، بل وله ان يعاقب من لا ذنب له ولا جريرة لمجرد قيام علاقة من نوع ما او توفر ظروف من طبيعة ما بين الجـاني والبريء ، ومن يقرأ تاريخ المجتمعات سواء في الشرق او في الغرب يجد عجبا ، وهل هناك ما هو اعجب واغرب من ان يقوم احد السادة الرومان باعدام اثنى عشر الف رجل من عبيده لمجرد ان احدهم فر من ضيعته ؟ فأراد ان يخيف الآخرين ويرهبهم حتى لا يحذوا حذوه ، ففعل ما فعل دون ان يسمع كلمة لوم او عبارة تثريب .

كذلك كان للزوج ان يعاقب زوجته فيجدع انفها او يفقأ عينها او يبتر أجزاء من جسدها ، كما كان للاب ان يقتل اولاده . ولم يكن هناك اوصاف معينة للافعال التي تعد جـرائم ، فالسرقة كانت تشمل افعالا ابعد ما تكون عن السرقة ، كذلك كانت التهم التي لا دليل عليها تكفي لمعاقبة المتهم بها ، ولم يكن الانسان يدري وهو يأتي سلوكا معينا ، ما اذا كان هذا السلوك مباحا او محرما ، لانه لم يكن هناك قانون يتضمن نصوصا واضحة ومحددة ، تعرف الفعل وتحدد اركانه فجاءت الشريعة الاسلامية لتفرض مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، وقاعدة لا جريمة ولا عقوبة الا بنص . وبمـوجبها لا يسـأل الافـراد عن الجـرائم الا اذا كان قـد صـدر بتجريمها قانون من جهة تملك الحق في اصداره وذلك بناء على قوله تعالى : (**وما كنا معـذبين حتى نبعث رسولا**) الأسراء / ١٥ وقوله تعالى : (**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**) النساء / ١٦٥ وقوله تعالى : (**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم ايـاتنـا**) القصص / ٥٩ فالعذاب او العقاب لا يجوز قبـل الانذار والتنبيه الى ما هو مجرم من الافعال ، والتمييز بينه وبين ما هو مباح منها ، فلا يصح ان يفاجأ الناس بتجريم فعل او افعال وتطبيقا لهذا المبدأ لم يصبح شرب الخمر محرما الا بعد ان نزلت الآيات على الرسول عليه الصلاة والسلام بتحريمها ، وكذلك بالنسبة للزواج بين المحارم مثل زواج الابن بـزوجة الاب والجمـع بـين الاختين . ولم يكن التحريم بـأثر رجعي وانما ابتداء من نزول الآيات ، وبالتالي لم يعاقب الذين سبق لهم ان تزوجوا بزوجات ابائهم او اخوات زوجاتهم وانما تم الفصل بينهم دون عقاب اما من أصر على الاستمرار في علاقة الزوجية رغم النهي فقد عوقب باعتباره مستمرا في جرمه غير منته عنه بل ومصر عليه .

وعلى الرغم من النص على هذا المبدأ الهام في التشريع الاسلامي الا ان القوانين الوضعية وبالذات ما صدر منها في اوربا لم تعرفه الا بعد قيام الثورة الفرنسية ، التي كانت اول من نص عليـه في القوانـين التي اصـدرتها ولـلاسف الشديـد فان

الشراح المسلمين المعاصرين الذين لا يعرفون عن القوانين شيئا الا من خلال ما يقرأونه في كتب الغرب ، يزعمون في كتبهم التي يدرسونها لطلاب الحقوق ، ان اول من نص على هذا المبدأ هو القانون الفرنسي .

وعلى الرغم مما يبدو من أن هذا المبدأ خاص بالجرائم التي تعد من الحدود او القصاص ، الا أنه لا شك في ان القاعدة ملزمة في غير ذلك من الجرائم التي تسمى بالتعازير ، فلا يجوز للحاكم او ولي الامر ان يخرج على مبدأ الشرعية الذي الزم الله سبحانه وتعالى به نفسه مع عدم لزوم هذا الامر بالنسبة لله ، وهو الخالق المطلق الحرية في شؤون خلقه ، والذي لا معقب على ارادته ولا راد لمشيئته ، ومن ثم فان على ولي الامر الا يجرم فعلا ويعاقب عليه قبل ان ينذر الناس ويحيطهم علما بذلك ويعدهم نفسيا واجتماعيا للالتزام به . وهنا يرتبط بالمبدأ في الشريعة الاسلامية مبدأ آخر ، وهو ضرورة اعلام المخاطبين بالقانون بما صدر منه متضمنا التجريم والعقاب ، فلا يجوز اخفاء امر القانون الذي صدر ، بل ولا يجوز مجرد عدم اعلانه حتى لا يعلم به ، بعض من يرغب الحاكم او ولي الامر في انزال العقاب بهم لغرض في نفسه - فقاعدة « لا يعذر شخص لجهله بالقانون » لا تطبق طالما ان العلم بالقانون قد تعذر لاسباب ترجع الى من اصدره .

ولذلك فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عفا عن رجل وامرأة زنيا بعد دخولهما في الاسلام بفترة وجيزة ، وبسؤالهما اقرا بما اقترفا وبررا ذلك بجهلهما ان الاسلام يحرمه ويعاقب عليه ، فلما تحقق عمر من ذلك اكتفى بضربهما ضربات خفيفة ، وانذرهما بعدم العودة الى مثل ذلك والا عوقبا طبقا لما تنص عليه الشريعة الاسلامية ، ثم اوصى المسلمين بأن يعملوا على تعليم الذين دخلوا الاسلام حديثا امور دينهم ومبادىء شريعتهم .

وفضلا عن هذا المبدأ الاساسي في التشريع الجنائي ، تضمنت الشريعة الاسلامية مبادىء اخرى لا تقل عنه أهمية ، ونظريات لا عهد للقوانين السابقة عليه بها ، بل ان القوانين اللاحقة عليه لم تعرفها الا بعد اكثر من احد عشر قرنا ، مثل نظرية الظروف ، ونظرية المساهمة الجنائية ؛ ونظرية الضرورة ونظرية الدفاع الشرعي ، ونظرية الفاعل المعنوي ، وغيرها من النظريات التي تزخر بها هذه الشريعة ، والتي انتقلت منها الى القوانين الاوربية في العهود التي اتصل فيها الغرب بالشرق فصاغها في نظريات ، زعم انها من وضع ابنائه ومن بنات افكارهم ، ولم نلبث ان نقلناها عنهم دون أن نفطن الى مصدرها الحقيقي ، لا لشيء إلا لغفلة اصابت علماء القانون المسلمين ، الذين اخذوا يسنوحون فيما يضعونه من تشريعات كتب الغرب ، دون ان يكلفوا انفسهم الرجوع الى كتب اسلافهم ولو انهم فعلوا لوجدوا فيها ضالتهم .

الصيغة الإسلامية للتنمية الاقتصادية

للدكتور / محمد شوقي الفنجري

نستطيع ان نلخص الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية بانها تنمية شاملة ، ومتوازنة ، وغايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في ارضه .

١ ـ فاما انها تنمية شاملة :

فذلك لانها لا تستهدف رقي الانسان ماديا فحسب ، وانما روحيا بصفة اساسية :

والروحانية في الاسلام ليست كما يتصور الكثيرون مسألة ميتافيزيقية او غيبية ، وانما هي العمل الصالح ايمانا بالله واعتبارا ومراعاة له تعالى ، سواء كان ذلك الايمان او تلك المراعاة والاعتبار المتأصلة في العقل والنفس والمتمثلة في النشاط والسلوك ، مردها خشيته تعالى والخوف من عقابه او كان مردها ابتغاء مرضاته والفوز بجنته .

فالاسلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روحي ، ولا يفرق بين ما هو دنيوي وما هو اخروي . فكل نشاط مادي او دنيوي يباشره الانسان ، هو في نظر الاسلام عمل روحي او اخروى طالما كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى . فالله سبحانه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه ، اي ليعملوا عملا صالحا ، **والايمان في الاسلام ليس ايمانا مجردا ولكنه ايمان محدد مرتبط بالعمل الصالح .**

وان مبدأ الشمول في التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضي ان تضمن التنمية كافة الاحتياجات البشرية من مأكل وملبس ومسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترفيه وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية .. الخ ، بحيث لا تقتصر التنمية على اشباع بعض الضروريات او الحاجيات دون الاخرى .

ومن هنا لا يقبل الاسلام تنمية « رأسمالية » تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز ، كما لا يقبل تنمية « اشتراكية » تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير .

٢ ـ واما انها تنمية متوازنة :

فذلك لانها لا تستهدف الكفاية فحسب اي زيادة الانتاج بقوله تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة/١٠٥** وانما

تستهدف اساسا العدل اي عدالة التوزيع بقوله تعالى : (**اعدلوا هو اقرب للتقوى**) المائدة / ٨ بحيث يعم الخير جميع افراد المجتمع ، ذلك ان هدف الاسلام من التنمية الاقتصادية هو ان يتوافر لكل مواطن حد الكفاية اي المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان ، لا مجرد حد الكفاف اي المستوى الادنى للمعيشة الذي بدونه لا يستطيع المرء ان يعيش وينتج . فضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد ، هو في الاسلام حق الهي مقدس ، ليستشعر نعم الله وفضله فيتجه تلقائيا الى حمده وشكره تعالى وعبادته ، ذلك الحمد والشكر الذي لا يعبر عنه في الاسلام بالقول والامتنان فحسب ، وانما اساسا بالعمل والاخلاص فيه بقوله تعالى : (**اعملوا آل داود شكرا**) سورة سبأ / ١٣ وتلك العبادة التي لا تتمثل في الاسلام بالصلاة والتوجه الى الله فحسب ، وانما اساسا بخدمة الغير ومد يد المعونة لكل محتاج بقوله تعالى : (**لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس**) النساء / ١١٤

فالاسلام اذ يتطلب زيادة الانتاج ، يستلزم في نفس الوقت عدالة التوزيع ، بحيث لا يغني احدهما عن الآخر ، فوفرة الانتاج مع سوء التوزيع هو احتكار واستغلال لا يسلم به الاسلام ، كما ان عدالة التوزيع دون انتاج كاف هو توزيع للفقر والبؤس مما رفضه الاسلام

ومن ثم لا يقبل الاسلام تنمية « رأسمالية » تستهدف تنمية ثروة المجتمع دون نظر الى توزيع هذه الثروة . واذا كانت التنمية « الاشتراكية » تؤكد العلاقة بين اشكال الانتاج والتوزيع ، الا انها ترى ان نظام التوزيع يتبع دائما شكل الانتاج ، في حين يرفض الاسلام هذه التبعية بحيث ـ ايا كانت اشكال الانتاج السائدة بالمجتمع ـ يضمن اولا حد الكفاية لكل فرد وذلك كحق الهي مقدس يعلو فوق كل الحقوق ، ثم بعد ذلك يكون لكل تبعا لعمله وجهده ، بحيث اذا لم يتوافر حد الكفاية لكل مواطن وهو ما لا يكون الا في ظروف استثنائية كمجاعة او حرب تأسى الجميع في حد الكفاف .

وان مبدأ التوازن في التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضي ان تتوازن جهود التنمية ، ومن ثم فانه لا يقبل في الاسلام ان تنفرد بالتنمية المدن دون القرى ، او ان تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة ، او ان نقدم الكماليات او التحسينات على الضروريات او الحاجيات ، او ان تسبق الصناعات الثقيلة او المستوردة الصناعا ت الاستهلاكية او المحلية ، او ان يركز على البناء والتشييد دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الاساسية .. الخ من **الاخطاء العديدة التي وقعت فيها مختلف الدول العربية والاسلامية ، مقلدة عن وعي او دون وعي ، تجارب شرقية او غربية ، غافلة او جاهلة**

الصيغة الاسلامية بضرورة التوازن الانمائي .
ولا شك ان التنمية غير المتوازنة التي نراها في اغلب دول العالم النامي ، والتي تركز على جزء من الاقتصاد القومي وتزيد من تدهور بقية الاجزاء ، هي تنمية مشوهة بل هي في حقيقتها تنمية للتخلف .

٣ ـ واما أن غايتها الانسان نفسه :

ليكون بحق خليفة الله في ارضه ، فذلك ما يحدد بواعث التنمية الاسلامية ووسائلها .
ففي التنمية الرأسمالية ، الباعث هو تحقيق اكبر قدر من الربح ، مما يؤدي عادة الى الانحراف بالانتاج عن توفير احتياجات المجتمع الضرورية ووفرة انتاج السلع الكمالية التي يطلبها الاغنياء والمترفون ، وما يصاحب ذلك من تحكم المادة ومختلف المساوىء الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الغربية .
وفي التنمية الاشتراكية ، الباعث هو سد احتياجات الدولة وفق اطماع وسياسات القائمين على الحكم لا وفق احتياجات ورغبات المواطنين انفسهم ، مما يهدر كلية حرية الفرد ويجعل منه مجرد ترس او اداة لا غاية .

اما التنمية الاسلامية ، فباعثها ليس الربح شأن التنمية الرأسمالية ، ولا اهواء القائمين على الحكم شأن التنمية الاشتراكية ، وانما هو توفير حد الكفاية لكل مواطن ليتحرر من اية عبودية او حاكمية سوى عبودية او حاكمية الله وحده . **فغاية التنمية الاسلامية هو الانسان نفسه لا تستعبده المادة شأن التنمية الرأسمالية ، ولا يستذله الغير شأن التنمية الاشتراكية ، وانما محررا مكرما يعمر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح ليكون بحق خليفة الله في ارضه بقوله تعالى** : **(اني جاعل في الارض خليفة)** البقرة / ٣٠ وقوله تعالى : **(هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها)** هود/ ٦١ . اي كلفكم بعمارتها .

٤ ـ الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية :

في الاقتصاد الرأسمالي . التنمية الاقتصادية هي في الاساس مسئولية الفرد او القطاع الخاص .
بخلاف الاقتصاد الاشتراكي ، فان التنمية الاقتصادية هي في الاساس مسئولية الدولة او القطاع العام .
اما في الاقتصاد الاسلامي ، فان التنمية الاقتصادية تقوم على تعاون الفرد والدولة معا لكل مجاله ، بحيث يكمل كلاهما الاخر ، ولا يغني احدهما عن الآخر ، وبحيث لا تزداد او تقل مسئولية اي منهما الا بقدر ما تتطلبه طبيعة وظروف التنمية في كل مجتمع . فالدولة تشجع الافراد على الاستثمار والقيام بمختلف المشروعات الانتاجية ، وتنفرد بالقيام بالمشروعات التي يعجز الافراد عن

القيام بها كصناعة الحديد والصلب او يعزفون عنها كتعمير الصحاري او يقصرون فيها او ينحرفون بها كاقامة المدارس والمستشفيات .

ومن ثم فان الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية الاقتصادية ، لا يبخس دور الدولة في التنمية شأن الاسلوب الرأسمالي ، ولا يهدر دور الفرد في التنمية شأن الاسلوب الاشتراكي ، بل يحقق التعاون والتكامل بين الفرد والدولة بحيث يستفيد من طاقة وامكانية كل جانب بقدر ما تسمح به ظروف كل مجتمع .

٥ ـ الضمانات الاسلامية لنجاح التنمية

ولعل اكبر ضمان لنجاح جهود التنمية الاقتصادية واستمرارها ، ومما ينفرد به الاقتصاد الاسلامي دون سائر الاقتصاديات الوضعية ، هو ارتفاعه بالتنمية الى مرتبة العبادة .

ذلك ان الاسلام لم يكتف بالحث على العمل والانتاج بقوله تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة / ١٠٥ وقوله عليه الصلاة والسلام . (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له يوم القيامة) اخرجه الطبراني .

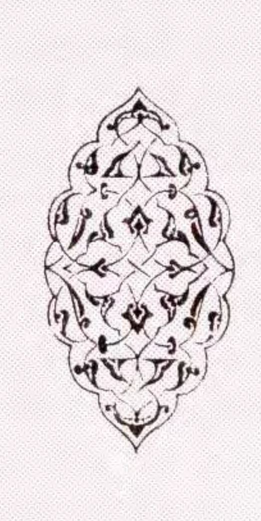
اكثر من ذلك اعتبر الاسلام السعي على الرزق وخدمة المجتمع وتنميته ، افضل ضروب العبادة . فقد ذكر للنبي عليه الصلاة والسلام رجل كثير العبادة ، فسأل من يقوم به ، قالوا اخوه ، فقال عليه الصلاة والسلام (اخوه اعبد منه) وقد اراد احد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : (لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله ـ اي في خدمة المجتمع وتنميته ـ افضل من صلاته في بيته ستين عاما) اخرجه الحاكم ، ويقول عليه الصلاة والسلام : (لكل امة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)اخرجه الحاكم .

ونخلص مما تقدم ان التنمية الاقتصادية في الاسلام ، هي تنمية شاملة ، ومتوازنة ، غايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في ارضه ، وانها مسؤولية الفرد والدولة لكل مجاله بحيث يكمل كلاهما الآخر ولا يغنى احدهما عن الآخر ، وانه لضمان نجاح التنمية واستمرارها ارتفع بها الاسلام الى مرتبة العبادة ، بل وصل الامر في حرص الاسلام على التنمية والتعمير ان قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة ـ اي شتلة ـ واستطاع ان يغرسها ، فليغرسها فان له بذلك اجراً) رواه البخاري ومسلم .

ولقد لخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والتنمية بقوله (والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة) .

عندما يكون المصرف

للاستاذ
محمد فوزي حمزة



تقديم وتعريف

التمويل بالمشاركة ، خدمة يقدمها المصرف الاسلامي لعملائه فتكون لها آثار طيبة على عملية التنمية ، ومعناها باختصار ان يقوم المصرف بالاسهام في تمويل المشروع في مقابل ان يكون شريكا في ملكيته ، وشريكا في ارباحه ، ومن الطبيعي انه ـ كشريك ـ يتحمل ايضا جزءا من خسارته .

موقع المشاركات من اعمال المصارف الاسلامية :

وهذه العملية تدخل في اعمال المصارف الاسلامية ضمن وظيفتها الاقتصادية ألاجتماعية ، فان لهذه المصارف نوعين من العمليات ، أحدهما : تباشره باعتبارها مؤسسات

الإسلامي

شريكاً في أعمالك

مصـرفية ، وينـدرج تحته مختلف العمليات المصرفية من فتح الحسابات وصرف الشيكات واصدار خطابات التعهد وخطابات الضمان وخطابات الاعتمـاد والاقـراض « الحسن ».

والنوع الثاني : تباشره باعتبارهـا مؤسسـات اقتصـاديـة لهـا دور اجتماعي ، وتدخل ضمن وسائلها عمليات الاستثمار المبـاشر ، سواء بطـريق شراء الاسهم او بطـريق المضاربة والبيع بالمرابحة والمشاركة ،

والمشـاركـة المنتهيـة بـالتمليـك ، فالمصارف الاسلامية مؤسسات لها دور اقتصادي واجتماعي معا ، وقد فصل المفكرون القول في هذا الامر وقالوا في ذلك « اما البنوك الاسلامية فهي مؤسسات اجتماعية ومالية في نفس الوقت ، تعمل كاداة في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الاسلامية ، وتوفير الموارد المالية اللازمة لتنفيذ المشروعات التي تتطلبها عملية تنمية المجتمع وتحقيق الاحتياجات الاسـاسية لـه ، وهي اعمال طويلة الاجل غالبا ، كما انها لا تتعامل بالفائدة ، بل تقوم على اساس الاستثمـار المبـاشر او الاستثمـار بالمشاركة في الربح والخسارة...... ».

كما تنص القوانين المنظمة لانشاء وتأسيس هذه المصارف على اعتبار هذه العملية « المشاركة » جانبا هاما من اوجه نشاط المصرف ، فينص القـانون الخـاص بانشـاء البنـك الاسـلامـي الاردنـي للتمـويـل والاستثمار على ان البنك يقوم بجميع اعمال التمويل والاستثمار على غير اساس الربا ، من خلال عدة وسائل عد من بينها « .. تقديم التمويل اللازم كليـا وجزئيـا في مختلف الاحوال والعمليات القابلة للتصفية الذاتية ، ويشمل ذلك اشكال التمويل بالمضاربة والمشاركة المتناقصة ، وبيع المرابحة للامر بالشراء وغير ذلك من صور مماثلة ..».

ولهذه العملية اهداف اقتصادية واجتماعية معا ، اهمها تعاون راس المال وخبرة العمل في التنمية الاقتصادية ، وحصول المستثمر على الربح العادل الذي يتناسب مع الدور الذي اداه ماله ، وتحرير المودعين من النظرة الفردية السلبية التي يتسم بها المودع الذي ينتظر فائدة ربوية ، وتنشيط عمليات التنمية في المجتمع والنهوض باقتصادياته ، وطبيعي ان من اهم اهدافها الخاصة ، فتح مجال لتوظيف اموال المساهمين والمودعين وتحقيق الارباح .

ولا شك في ان هذه العملية تعتبر وسيلة جدية لتوفير المال للمشروعات المزمع انشاؤها ، اذ انها توفر على منشىء المشروع مهمة البحث عن شريك ، وتمهد امامه الطريق سالكة الى هذه الخدمة من خدمات المصرف الاسلامي ، كما انها في الوقت ذاته تعتبر منفذا هاما للمدخرات تسلكه الى اوجه الاستثمار ، اذ « ... تعتبر المشاركة في الربح من اهم اساليب توظيف الاموال التي من شأنها ان تفي بحاجات المشروع لرأس المال السائل خلال الفترة التي تمر بين بدء الانتاج وتسويقه « دورة الانتاج »، كما انها وسيلة لاجتذاب الاموال الى النشاط التجاري ، فعندما يحتاج رب العمل الى رأس مال سائل خلال دورة الانتاج ، فانه يمكنه ان يتعاقد مع احد او بعض المستثمرين ، على تقديم ما يلزمه من المال ، وفي نهاية الدورة تصفي الايرادات من التكاليف ، ويوزع الباقي على المشتركين ، وفقا للطريقة المتفق عليها ابتداء ، وبنفس الطريقة يمكن للتجار ان يستوظفوا اموال الغير في اعمالهم ».

اساس هذه العمليات

وهذا النوع من عمليات المصارف الاسلامية ، يقوم على ما عرف في المعاملات الشرعية باسم « الشركة » ، وهي نوع من المعاملات عنيت بشرحه والتفصيل فيه مذاهب الفقه الاربعة ، وقد عرفها الحنابلة بانها « الاجتماع في استحقاق او تصرف »، والشافعية بانها « ثبوت الحق شائعا ـ اي عاما بين الشركاء ـ في شيء واحد او عقد يقتضي ذلك »، والاحناف بانها « اختصاص اثنين فاكثر بمحل واحد »، والمراد بالمحل هنا هو الشيء الواقع عليه الشركة كالمال والارض وغيرها ، وعرفها المالكية بانها « ما يحدث بالاختيار بين اثنين فاكثر من الاختلاط لتحصيل الربح ».

والشركة ثلاثة انواع ، شركة الاباحة وتعني اشتراك اكثر من واحد في شيء مباح كالماء والعشب والكلأ والهواء ، والثاني شركة الملك كاشتراك اكثر من واحد في ملكية بعض الاعيان بطريق الارث ، والثالث شركة العقد وهو اهم الانواع ، وهو الذي يعنينا هنا امره ، وقد بين العلماء القول فيها بتفصيل معقول ، وعرفها بعض المعاصرين بانها « عقد بين اثنين او اكثر على الاشتراك في المال وربحه ، او على الاشتراك في الربح

دون المال ، او الاشتراك في عقد العمل ، او الاشتراك فيما يباع ويشتري دون ان يكون هناك رأس مال لهم يتجر فيه ».

فاما الاشتراك في المال وربحه ، فتقديم جانب من رأس المال والحصول على حصة من الارباح ، وهو المقصود به هنا عمليات المشاركة التي تباشرها المصارف الاسلامية ويباشرها الافراد ايضا ، واما الاشتراك في الربح دون المال فهو المعروف في عمليات المضاربة ، واما الاشتراك في عقد العمل فكشركات المقاولات اذ يتفق اثنان او اكثر على تكوين شركة مقاولات فيكونون شركة في تنفيذ ما يسند اليهم من عقود العمل ، واما الاشتراك فيما يباع ويشتري دون ان يكون هناك رأسمال لهم يتجر فيه ، فمثله الشركات التي تباشر اعمال الوكالة والسمسرة .

من قبل ، سقنا ما قدمته المذاهب الاربعة من تعريف للشركة ، كما سقنا طرفا من تعريف المعاصرين لها ، ومن هذا التعريف الاخير ، قلنا ان عبارة الاشتراك في المال وربحه « هي التي يقصد بها هنا عمليات المشاركة التي تباشرها المصارف الاسلامية ، وقد اكد ذلك القائمون على امر هذه المصارف ، فيقول رئيس الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية : « الاستثمار بالمشاركة يعني مساهمة البنك في رأس المال لمشروع انتاجي ، مما يترتب عليه ان يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع وشريكا في ادارته ، وكل ما ينتج عنه من ربح او خسارة بالنسب التي يتفق عليها »، ويؤكد ذلك الكتاب الذي اصدره الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ، ويزيده ايضاحا بترتيب الاوضاع القانونية التي تنجم عن هذه المشاركة فيقول « ... مما يترتب عليه ان يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع ، وشريكا في ادارته وتسييره ، وشريكا ايضا في كل ما ينتج عنه من ربح او خسارة بالنسب التي يتم الاتفاق عليها .

فنحن هنا بازاء امرين ، اسهام البنك باموله في رأسمال المشروع ، ثم الاثار الناجمة عن دوره كشريك ، وقد اوضحنا من قبل انه تنشأ له حقوق في الملكية ، وحقوق في الربح ، وحقوق في الادارة .

اسهام المصرف الاسلامي في رأس المال ..

فاما الاسهام في رأس مال المشروع ، فهو خدمة يقدمها المصرف الاسلامي بعد التقدم اليه بفكرة المشروع والدراسات الاولية حول هذه الفكرة ، اذ يتقدم العميل الى المصرف بطلب المشاركة في مشروعه ، مشفوعا بدراسة معقولة لهذا المشروع وظروف تشغيله ، ومعدل ربحيته وغير ذلك من المعطيات الضرورية ، ومدعما بقدر من رأس المال المقترح ، يقدمه العميل تأكيدا منه للجدية واسهاما منه في رأس المال ، فيقوم المصرف من جانبه بدراسة جدوى المشروع وتمحيص معطياته التي قدمها العميل ، وعند

التحقق من الجدية والجدوى معا ، لا يمتنع المصرف الاسلامي عن توظيف بعض امواله في الاسهام في رأسمال المشروع ، فالخطوات اذن ثلاثة ، الاولى من جانب العميل وهي طلب المشاركة وتقديم جزء من رأس المال ، والثانية والثالثة من جانب المصرف ، وهما التأكد من الجدية والجدوى ثم الاسهام في رأس المال .

ويتخذ المصرف الى الاسهام بامواله احد طريقين ، « .... الاول : ان يكون الانفاق مباشرة بمعرفة البنك ، سواء بتسليم المبالغ للشريك نقدا او بشيكات ، او الانفاق في خصائص المشروع نقدا او بشيكات او بشيكات مصرفية او حوالات ، والثاني ان يرخص للشريك بالصرف عن طريق سحب شيكات على حساب المشروع وفي الحدود التي يرخص بها ».

حقوق المصرف الاسلامي على المشروع

واما الحقوق التي تترتب على المشروع للمصرف بناء على عمليات المشاركة ، فهي باختصار حقوق الشريك في رأس المال وفي الربح وفي الادارة ، وهذه الحقوق نختصر القول فيها على النحو التالي :

حق المصرف في رأس المال :

اذ يستمر المصرف مالكا لحصته في المشروع طوال فترة تشغيله ، وعند التصفية يسترد قيمة حصته في صافي اصول المشروع ، وهي حصة مشاع في صافي الاصول الا اذا اتفق من قبل على ترتيب حقوق مستقبلة على بعض الاصول ، كأن يتفق على تخصيص جانب منها ليكون ضمن نصيب المصرف عند التصفية ، كما يفعل بعض الشركاء احيانا ، ولكن هذا مسلك من النادر ان تسلكه المصارف ازاء عمليات المشاركة ، فلم تقدم التجربة حتى الان واقعة واحدة من هذا القبيل ، والذي قدمته التجربة كله عكس ذلك ، وهو ان يبيع المصرف حصته الى العميل دفعة واحدة في نهاية فترة التشغيل المتفق عليها او على دفعات كما سيلي تفصيله عند الحديث عن حالات « المشاركة المتناقصة ».

وعند انتهاء فترة التشغيل المتفق عليها يسترد المصرف قيمة حصته في التصفية ، وفترة التشغيل هذه تسمى من وجهة نظر المصرف فترة توظيف المال « ...... ومن الممكن ان تتراوح فترة توظيف المال بين ستة شهور واثنى عشر شهرا في حالة المشروعات الصناعية والزراعية ، الا ان تلك الفترة تقصر الى ستين او تسعين يوما في حالة المشروعات التجارية ».

حق المصرف في الارباح :

ومن الطبيعي ان يكون للمصرف الاسلامي الحق في جزء من ارباح المشروع الذي يسهم في رأس ماله بطريق المشاركة ، فبعد تجنيب

تكاليف العمليات الانتاجية والتسويقية من ايرادات المشروع ، بما في ذلك ما يتفق على تجنيبه للعميل مقابل الادارة ، تقسم الارباح المتبقية بعد ذلك بين المصرف والعميل ، وفقا لنسبة التوزيع المتفق عليها ، وفي المقابل على المصرف ان يتحمل بنصيبه في الخسارة ان تحققت ، وهذا افتراض عملي يتحقق في بعض المشروعات ، ولكن التجربة العملية اثبتت انه افتراض ندر تحققه في المشروعات التي اسهمت فيها المصارف الاسلامية حتى الآن نظرا لان دقة الدراسات التي يقوم بها جهاز المشاركات في هذه المصارف والتي تجري قبل الموافقة على الاسهام في المشروع تجعل من الصعب تحقق هذا الاحتمال ، الا في حالات نادرة جدا ، وعلى اي فان كلا من المصرف والعميل يتحمل بنصيبه من الخسارة وفقا لنسبة الاسهام في رأس المال ، اما اذا كانت نتيجة الاعمال ارباحا ، فان نسبة الاسهام في رأس المال تكون معيارا عادلا للتوزيع طالما تم تجنيب حصة من الارباح للعميل قبل التوزيع مقابل الادارة ، ومعلوم ان الحصول على نسبة من الارباح ، هو السلوك البديل للفائدة الربوية التي تغتنمها المصارف الربوية ، وليس من جدال انه سلوك اقرب الى الرشد وسبيل اهدى الى النجاح .

حق المصرف في الادارة :

من هذه الحقوق ، افادت مطبوعات الاتحاد الدولي للمصارف الاسلامية بانه ينشأ للمصرف الاسلامي الحق في الاشتراك في ادارة وتسيير المشروع ، ولكن التطبيق العملي اشار الى واقعية الحد من ممارسة المصرف لهذا الحق ، وقد بلغ التقليل « عمليا » من اشتراك المصرف في الادارة درجة بلغت في بعض الاحيان الى ان يقتصر دوره على المراقبة ، وقد ذكر ان بنك فيصل الاسلامي السوداني « يعطي العميل نسبة من الارباح تتراوح بين ٣٠٪ ، ٣٥٪ قبل التوزيع مقابل الادارة ، لأن البنك لا يشترك في الادارة ويكتفي بالمراقبة ولا يتدخل الا استثناء »، فالمراقبة ـ وليس الادارة ـ هي الصيغة العملية لهذا الحق ، ونتوقع ان تكون ممارسة المصرف الاسلامي لهذه المراقبة عن طريق الزام العميل « الشريك » بامساك دفاتر منتظمة وتأكيد حق المصرف في الاطلاع على هذه الدفاتر ومراجعتها وتنظيم الطريقة المثلى لهذا الاطلاع .

ثم نأتي بعد ذلك الى الاثار الناجمة عن طبيعة العلاقة بين المصرف والعميل ، اذ يمكننا اعتبار كل من العمل ورأس المال قوام شركة تقوم بين المصرف من جهة والعميل من جهة اخرى ، وهنا ينشأ نوع من الاختلاف بين دور المصرف الاسلامي باعتباره ممولا ودور المصرف الربوي ، منشأ هذا الاختلاف ، هو انه لن يمارس دوره التمويلي عن طريق الاقراض بالفائدة ، ولكن يمارسه بالدخول في العملية باعتباره شريكا فيها ، وبالمثل

يختلف دور العميل ، وعلاقته بالمصرف الاسلامي عن الحال مع نظرائه من عملاء المصارف الربوية ، اذ ان علاقة هؤلاء النظراء بالمصرف الربوي الذي لا يتصل بالعملية الا عن طريق الاقراض ولا يكون له فيها الا دور المقرض ، لا تعدو ان تكون علاقة المدين بدائنه ، ووفقا لانحصار هذه العلاقة في هذا الاطار ، نجد عقد القرض يصاغ وتؤسس بنوده على فلسفة الدين وحدها ، اما في نظام المشاركات الذي يعمل به في المصارف الاسلامية فان علاقة العميل بالمصرف ـ الشريك ـ تتغير كثيرا عن هذا المفهوم ، لتشمل طلب المشورة والتماس المعاونة الفنية او التسويقية ، وطلب المعاونة في دراسة وتطوير المشروعات ،.. الى آخره ، بل وتشمل ايضا امكانية طلب الموافقة على تأجيل مواعيد البيع اذا كانت الاسعار الحالية تعرضت للانخفاض ، او اذا كان من بين التوقعات ان ظروفا مواتية في طريقها الى حلبة الاسواق .

وهذا التأجيل يوافق عليه المصرف الاسلامي بغير شروط معسرة كالتي يمليها المصرف الربوي للموافقة على مد اجل الدين ، فالمصرف الربوي ما هو الا مقرض يريد لامواله ان تثمر وهي ـ في عرفه ـ لا تثمر الا معدل الفائدة ، غير المصرف الاسلامي « الشريك » الذي يعنيه تحقيق اكبر منفعة من السلع التي يشترك في انتاجها ، ويدرك ـ من ثم ـ ان عليه ان يتيح قدرا من المرونة للعميل ـ شريكه ـ بموجبه يشترك معه في الخضوع لاعتبارات السوق وظروف التشغيل وغيرها من معطيات العملية الانتاجية والتسويقية .

ومن بين الشروط المعسرة التي يمليها المصرف الربوي ، للموافقة على مد اجل الدين ، الحصول على فائدة جديدة والاستمرار في حيازة الضمان وغير ذلك ، نجد المصرف الاسلامي لا يتقاضى مقابلا يشترطه للموافقة على تأجيل موعد البيع ، وليس مقبولا ـ ولا واردا في معاملات المصارف الاسلامية ـ ان يقابل هذا التعديل تعديل مماثل في نسبة توزيع الارباح بين المصرف وبين العميل ، فقد تعرف من قبل من الايرادات ما يعتبر ربحا ، وقد اتفق من قبل على كيفية توزيعه ، وانما المعقول ان الذي يعوض المصرف الاسلامي عن التأخير في موعد الحصول على امواله الناتج عن تأخير موعد البيع ، هي المنفعة التي ينتظرها باعتباره شريكا في الارباح من التحسن المنتظر لاسعار البيع .

من طبيعة هذه العلاقة ، قلنا ان المصرف الاسلامي يوافق على تأخير مواعيد البيع عند اقتضاء الحال انتظارا للميسرة او ترقبا لظروف افضل ، ومن طبيعتها ايضا انه يسارع الى توجيه العميل الى تعجيل البيع ، إن استشعرت اجهزته ظروفا مواتية في الوقت الحالي اتيح له ادراكها بحكم وجوده بالسوق او استشعر ذلك من اجهزته المختلفة .

ومن طبيعتها ايضا ، انه يساعد العميل « الشريك » على تسويق

منتجاته ، وهو يجد سهولة في تقديم هذه المساعدة ، خصوصا اذا كان من بين عملائه من يشتغل في تصريف هذه المنتجات ، في هذه الحالة ، وقد سبق ان بينا ان المصرف الاسلامي يحتفظ لنفسه بحق مراقبة المشروعات التي يشترك فيها ، فانه يستطيع ـ من جراء هذه المراقبة ـ ان يستشعر امكانيات التنسيق بين مصالح عملائه ، وقد يقدم نصائحه في حدود هذا التنسيق وقد يقوم هو بممارسة دور الوسيط في ما بين المصنع والمتجر اللذين يسهم بأمواله فيهما معا ، ومن جراء هذا التنسيق يحقق المصرف الاسلامي منفعة كبرى له ولعملائه ، واذا مارس دور الوسيط فانه يستطيع ان يحقق ارباحا من هذه الوساطة للمساهمين والمودعين فيه .

ومن اثر ذلك ايضا ، ان يكون المشروع محل هذه العملية اكثر صلابة في مواجهة ظروف ومعطيات العملية الانتاجية ، وظروف السوق ، واكثر مقدرة على التعامل معها ، اذ ان العميل ـ وهو الذي يعول عليه في الجانب الاكبر من ادارة المشروع ـ يعمل مدعما بامكانيات المصرف ويستفيد من مرونته فيما يتعلق بمواعيد البيع عند التعامل مع تقلبات الاسعار ويستفيد كذلك من استعداد اجهزة المصرف لتقديم المشورة للمشروعات والتنسيق بين مصالحها ، غير عميل المصرف الربوي الذي يقف وحده ، ووراء ظهره مواعيد السداد ومطالبات المصرف واعتبارات الفائدة والضمان وغيرها من الاعتبارات تدفعه دفعا الى اتخاذ مركز غير مرموق ازاء ظروف مشروعه وظروفه التسويقية .

الفارق بين عمليات المشاركة وعمليات المضاربة

وتجدر الاشارة الى ان ثمت فارقا بين عمليات المشاركة التي يباشرها المصرف الاسلامي وعمليات المضاربة التي يباشرها ايضا ، وهذا الفارق يعود الى اختلاف اساسي بين النوعين من العقود التي تستند اليهما العمليتان ، اقصد « عقد الشركة » و « عقد المضاربة » اذ ان المضاربة ـ رغم انها نوع من انواع الشراكة ـ تفترض وجود شخصين ، احدهما يمتلك رأس المال والثاني يمتلك القدرة على العمل ، فيقدم الاول المال الى الثاني ليعمل فيه ، على ان يكون الربح الناتج من هذه العملية « المضاربة » شركة بينهما ، يوزع كيفما يتفق عليه اولا ، دون ان يرتبط توزيعه برأس المال ، وبناء عليه يكون الفارق ـ بالنسبة الى عمليات المصرف ـ ان المصرف في حالة المضاربة هو الذي يقدم رأس المال كله ، ومن ثم يقع عليه وحده عبء التمويل ، ولا يقدم العميل شيئا منه ، بينما في المشاركة يكون هذا العبء قسمة بين الطرفين ، وان تجاوز ما يقدمه المصرف اضعاف ما يقدمه العميل .

ويترتب على هذه فوارق اخرى ، منها انه في حالة المشاركة يرتبط توزيع الارباح والخسائر بنسبة الاسهام في

رأس المال ، وقلنا ان ذلك يعتبر مؤشرا معقولا اذا احتسبت للعميل حصة من الايراد قبل التوزيع مقابل الادارة ، بينما في حالة المضاربة لا يرتبط توزيع الربح بتقسيم رأس المال ، لأن هذا التقسيم غير موجود اساسا ، وانما يوزع الربح كيفما اتفق عليه اولا ، وفي الوقت ذاته لا يتأثر المضارب عند تحقيق الخسارة ، التي ان تحققت تحملها المصرف وحده ، وقد قال في ذلك بعض المفكرين : « يكون الربح بينهما بالنسبة التي يحددانها ويتفقان عليها ، وهذا اذا حدث ربح ، واذا حدثت خسارة يتحملها صاحب رأس المال وحده ، ويضيع على العامل فقط جهده وعمله ، اذ ليس من العدل ان يخسر جهده ويتبع ذلك بغرم آخر ، وهذا في الحالات الطبيعية التي بذل فيها العامل جهده وتحدث الخسارة بأسباب ليس له مدخل فيها »، كما قد أشار الفقهاء الى أنه لو شرط الطرفان في العقد ان تكون الوضيعة « الخسارة » عليهما بطل الشرط والمضاربة صحيحة »، وبناء عليه « انفراد المصرف دون العميل المضارب بتحمل اعباء التمويل . وانفراده كذلك بتحمل الخسارة ، ثم عدم اعتبار رأس ماله عند توزيع الربح » يكون المصرف قد تحمل في حال المضاربة قدرا من المخاطرة يفوق ما يتحمله في المشاركة .

على ان هذه لا تحمل المصارف الاسلامية على التخوف من الدخول في عمليات المضاربة ، فهذه المصارف تخضع العمليات التي تباشرها من هذا القبيل لانواع من الدراسة الواسعة والمراقبة اثناء التنفيذ ، ولا توظف اموالها فيها الا بعد التأكد من جديتها والوقوف على مستوى جدواها ، وقد مارستها المصارف الاسلامية المعروفة للآن على نطاق معقول ، واثبتت الممارسة العملية نجاحها في تقديم هذه الخدمة والاستفادة منها ، ولذلك نجد ممن مارسوا تقديم هذه الخدمة من يقلل من اهمية القول بأن ارتفاع درجة المخاطرة في حال المضاربة ، يشكل عاملا هاما يدعو مديري هذه المصارف الى الاحجام عن تمويل عملياتها ، فيقول : « ولهذا يتصور ان هذه الصيغة اكثر مخاطرة ، ولكن العمليات التي قمنا بها عن طريق المضاربة صادفت النجاح المتوقع لها ».

ما الضمان في حالة المشاركة ؟؟

وقال قائل : « ان صاحب المال - قل هذا المال او كثر - ليحرص حرصه على ولده ان يضع ماله الا حيث يراه محوطا بأوثق الضمانات من ان يتعرض لاي سوء يذهب بأي شيء منه ، بل لا بد من ان يعود اليه ومعه عائد يعوضه عن غيبته عنه ، وما يساوره خلال تلك الغيبة من حنين ووحشة ، فاذا علم هذا من رأس المال وطبيعته ، وتعلق النفوس به ، كان لا بد لنجاح صيغة التمويل التي تعتمد عليها البنوك الاسلامية في جلب رؤوس

الاموال اليها من ان تحقق لاصحاب المال الذين يودعون اموالهم فيها امرين : الامر الاول : الضمان الوثيق الذي لا يتطرق اليه اي طارق من شك في ان ما يودع فيها من اموال هي في حراسة امينة من المخاطرة التي تذهب بأي شيء منه ، والامر الثاني : هو ان يعود المال الى مودعه بربح »، وشأننا الآن هو الامر الاول ، اي الضمان ، وهو ما تحدث فيه فقال ،: « ... اما اسلوب المشاركة الذي تعتمد عليه البنوك الاسلامية في تجربتها الجديدة تلك ، فانها فيما ارى لا تحقق الضمان المطلوب للمودعين ، لأن هذا الاسلوب هو ما يعرف في الاسلام بالمضاربة « كذا »،.. وفي ذلك الحين كان الايمان ذا سلطان متمكن من القلوب ، الامر الذي يضمن معه المضارب بماله ان هذا المال في يد امينة تخاف الله ، وانه اذا ضاع هذا المال فلن يتطرق شك من صاحبه الى اتهام المستثمر له بالخيانة او التقصير ،.. اما المضاربة في يومنا هذا ، وقد ذهبت الثقة بين الناس او كادت ، فانها لا تصلح وسيلة لاستجلاب المال من ايدي اصحابه لاستثماره ».

انتهى الحديث ، ونحن ـ على تحرزنا في قبوله كما سنبين وشيكا ـ نؤيد اهمية عنصر الضمان الذي يعول عليه المودعون والمساهمون في الموافقة على توجيه المصرف مدخراتهم الى اسلوب المشاركات ، فالطبيعي ان هذه العمليات تستمد مصدر تمويلها من اموال المساهمين والمودعين في الودائع الاستثمارية والادخارية والودائع تحت الطلب ، والمعقول ان هؤلاء جميعا بحاجة الى ما يضمن الا تتعرض اموالهم للمخاطرة في مشروعات انتاجية صناعية وزراعية ومشروعات تجارية قد تبوء بالفشل ، ومن هنا تنشأ حاجة المصرف الشديدة الى تأمين السلامة لهذه الاموال ، وتحقيق الوسائل التي تضمن عدم ضياعها في مخاطر المشروعات ، ولما كان المصرف الاسلامي لا يستطيع ـ بحكم اهدافه الاجتماعية وبحكم نظامه العام المتفق مع احكام الشريعة الاسلامية ـ ان يلجأ الى اسلوب المصرف الربوي في التنصل من كل مسؤولية تترتب على مخاطرة المقترض ، فلا بد له من البحث عن وسائل اخرى يتحقق من خلالها الضمان المطلوب .

ولكن الرأي الذي مر بنا من شأنه أن يثير كثيرا من مخاوف المساهمين والمودعين ، ويدعوهم الى مطالبة المصرف بالاحجام عن مباشرة هذه العمليات ، والواقع ان لهؤلاء المساهمين والمودعين ان يركنوا الى جانب كبير من الاطمئنان ، فالقائمون على امر هذه المصارف والدارسون لاوجه نشاطها ، تفتقت اذهانهم عن اسباب متعددة تجعل الضمان المتوفر للاموال المستثمرة في هذه العمليات اكثر من الضمان المتوفر لقروض المصرف الربوي ، فهذا يعنيه التحقق من ضمان القرض باعتباره حقا عينا في ذمة المدين ، فيطلب التحقق من شخصية المقترض والتحقق من ثروته ، وحيازة مقابل الضمان ، وهذه

جميعا تتحقق منها المصارف الاسلامية عند الدخول في مشاركة ، فتقوم بدراسة شخصية العميل المشارك وثروته واحيانا تطلب نوعا من الضمان الشخصي من شخص ثالث غير المشارك ، كما تعني بتحصيل جزء من رأس المال من المشارك لضمان الجدية ، فضلا عن ان المصرف يظل مالكا لحصته في المشروع ملكية تامة ، ولا مانع من اشتراط المصرف حيازة البضاعة في مخازنه لحين البيع او التوريد .

هذا كله من باب الضمان لحقوق المصرف في المشروع باعتباره عينا قائمة ، وفضلا عن ذلك تعني المصارف الاسلامية بتحقيق الضمان للاموال المسهمة في المشاركات باعتبار العائد المتوقع منها ، فمن الضروري لاصحاب هذه الاموال الاطمئنان الى ان المصرف يوجهها فيما يعود بالربح ، واكبر ضمان من هذه الناحية ، هو الدراسة التي يقوم بها المصرف قبل الدخول في المشاركة ، ولا جدال في ان الامكانيات المتوفرة لاجهزة المصرف وتمرسها في هذه العمليات يجعل من الصعب جدا ان تخطىء التقدير ، واهم جوانب هذه الدراسة ـ وفقا لمطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ـ مدى ربحية المشروع والطلب على منتجاته ، وعلاقة السوق بالسلع البديلة له او المنافسة ، واتجاه اسعار المنتجات والخامات الخاصة بالمشروع ، فضلا عن جوانب اخرى هامة ، كعدم تعارضه مع اهداف خطة التنمية بالدولة ،... والانتعاش والعائد الاجتماعي والانساني على اهالي المنطقة التي يعمل فيها ، ومدى مساهمة المشروع في تشغيل الايدي العاملة واسهامه في حل مشكلة البطالة ، وموافقة المنتجات من ناحية تحقيق الاهداف الاجتماعية للمصرف ، كأن تكون السلعة منتجة محليا وعدم تعارض المشروع مع فكرة الادخار والحد من الاستهلاك والاسراف .

وفضلا عن هذه الدراسة ، عنى المهتمون بنشاط هذه المصارف بتحقيق اسباب اكثر ضمانا لئلا تتعرض اموال المصرف وارباح تشغيلها معا لجانب كبير من المخاطرة ، فان تحقق الخسارة ـ رغم الدراسة ـ افتراض عملي تتعرض له بعض المشروعات ، ولتوفير الوسائل الاكثر ضمانا يقترح بعضهم تدبير الضمان « .... في شكل صناديق تعاونية يصب فيها جزء محدد من العوائد الربحية .. يستقطع من الارباح الكلية قبل اقتسامها بين البنوك والمستثمرين لمجابهة أخطار الخسائر التي تصيب بعض عمليات المضاربة او غيرها ، وفي شكل شركات تأمين تعاونية لهذا الغرض ، تتحمل اموال المضاربة نفسها اقساطها لتأمينها مما تتعرض له من اخطار »..« وبالفعل مارست المصارف الاسلامية هذا الاسلوب عمليا وانشأت له بعض شركات التأمين التعاونية ، كتلك التي انشأها بنك فيصل الاسلامي السوداني ،..

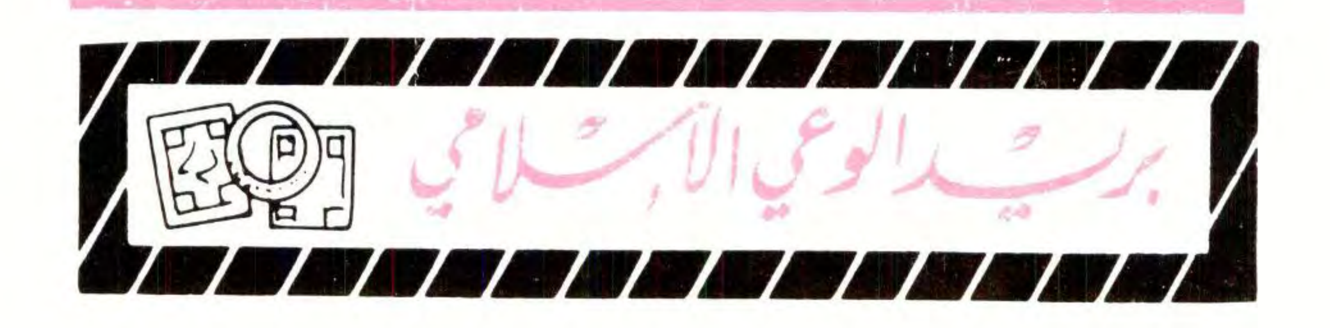
وبذلك توفر عنصر الضمان المطلوب بهذا التدبير المشروع »، والشركة المقصودة هنا هي شركة التأمين التعاونية الاسلامية السودانية ، وقد انشأها بنك فيصل الاسلامي السوداني وتمارس اعمالها في السودان بأسلوب مبتكر ، يتفق مع الشريعة الاسلامية ، ومن بين اعمالها التأمين على اموال وارباح المشروعات التي يسهم فيها هذا المصرف ، وقد بدأت الشركة اعمالها مع بداية السنة الميلادية ١٩٧٩ .

ومن المناسب الاشارة الى ان المصارف الاسلامية حفاظا على ثبات قيمة الودائع الاستثمارية تعمل على تنويع استثماراتها المختلفة وتوظيف الاموال في مجالات متعددة ... وتقوم باحتجاز جزء من ارباحها القابلة للتوزيع لتكوين احتياطي لمواجهة المخاطر وثبات قيمة الودائع الاستثمارية .

والراجح ان هذه العمليات يتحقق لها الضمان والربحية معا ، وهذا يستفاد من الاقبال المتزايد عليها من قبل المصارف الاسلامية ، فقد بلغ التوظيف في الاستثمار بالمشاركة في بنك فيصل الاسلامي السوداني عشرة ملايين وسبعمائة الف جنيه سنة ١٩٧٩م ، كما تجاوز التوظيف في الاستثمارات المالية والمشاركات والمشروعات في بنك ناصر الاجتماعي ٥٢ مليون جنيه عام ١٩٧٩ ، مقابل ٣٤ مليون جنيه عام ١٩٧٨م بزيادة قدرها ٥٣٪ ، وتجاوزت استثمارات بنك دبي الاسلامي في عمليات مشاركة ومرابحة واسهم وعمليات تابعة ١٤٦ مليون درهم سنة ١٩٧٩م مقابل ٥٣ مليون درهم سنة ١٩٧٦م ، و١٣٢ مليون سنة ١٩٧٧ ، و١٢١ مليون سنة ١٩٧٨م ، ولا جدال في ان هذا التوظيف المتزايد راجع الى نجاح هذه العمليات في تحقيق الارباح والضمان معا للمصارف الاسلامية ، وقد ذكر ان ارباح هذه العمليات في بيت التمويل الكويتي تجاوزت ٤٣٠٢٠٠٠ دينار كويتي عام ١٩٧٩ .

المشاركة المتناقصة

واخيرا نشير الى نوع آخر من المشاركة التي تقدمها المصارف الاسلامية ، وهي المشاركة المتناقصة التي ينتهي امرها الى ان تئول ملكية المشروع الى العميل بعد ان يسترد المصرف امواله التي اسهم بها في اقامته ، ويكون ذلك بتخصيص جزء من العائد الصافي لاسترجاع حصة المصرف الذي يستمر شريكا في ملكية ما تبقى من حصته الى ان تتم اقساط الاسترجاع ، ثم ـ بعد ذلك ـ تئول الملكية كلية الى العميل ، ويلاحظ ـ كما تشير مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ـ انه في هذه الحالة ، « .... لا يحق للبنك الاسلامي ان يحصل على اية ميزة مقابل ارتفاع الاثمان »، وهو الامر الذي يعني ان العميل هو ـ وحده ـ الذي يستفيد من ارتفاع اسعار الاصول عندما تئول اليه ملكية المشروع على هذا النحو .



الزواج .. والصلاة

رسالة جاءتنا من المملكة المغربية الشقيقة تقول صاحبتها : انني فتاة احرص على ان انال مرضاة ربي ، وقد تقدم لي شاب يخطبني ، أخلاقه حسنة ، ولكنه ينقطع عن الصلاة احيانا ولذا فهي مترددة في قبوله زوجا رغم مركزه الاجتماعي المرموق . وتسأل : هل تقبل به زوجا ؟

المحرر :

ونقول للأخت الفاضلة : جزاها الله خيرا ، وبارك فيها ، واكثر من امثالها : ان الصلاة عماد الدين ، وهي الركن اليومي الاساسي في الاسلام ، بل ويكرر في اليوم خمس مرات ، ومن صفات المؤمنين كما حكى القرآن الكريم : « الذين هم على صلاتهم دائمون » .... « والذين هم على صلاتهم يحافظون » ولذا ننصح الاخ المسلم بان يحافظ على اداء الصلاة في موعدها ، وان يداوم على ادائها بلا انقطاع ، ففي ذلك صلاحه في الدنيا والاخرة ..

واذا كان لا يصح اسلام المؤمن الا بالصلاة ، وتركها كبيرة من الكبائر ، الا انه يجوز لك اختي السائلة ان تقبليه زوجا ، فانه بحمد الله مؤمن .. غير انه يقصر احيانا ، وتقعد به همته ، او يصرفه الشيطان عن اداء صلاته . التي يعتقد بوجوبها ـ بعض الوقت ، ثم يعود الى جادة الطريق فيؤدي ما فرضه الله عليه ، ومع زواجك منه ، واستمرار نصحك له ، ومحاولاتك الرفيقة في الاخذ بيده على درب الايمان الكامل ، فسوف يوفقكما الله في حياتكما الزوجية ، لينشأ بيت جديد من بيوت المسلمين العامرة بالايمان ، والله الموفق .

الشهيد من كل امة

الاخ صلاح محمد محمود من الاسكندرية ـ ج . م . ع . كتب يقول : ارسلت من فترة لمجلتي الوعي الاسلامي رسالة ، ونحن في مصر ننتظرها بشغف ولهفة ، ولم اطالع الرد على رسالتي في باب « بريد الوعي الاسلامي » واعاد ما طرحه علينا في رسالته السابقة فقال : وانا اتلو كتاب الله تعالى . استوقفتني آيتان كريمتان في سورة النحل ، الاولى رقم ٨٤ ونصها : « ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون » . والاخرى رقم ٨٩ ونصها : « ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » . ويسأل عن الحكمة في ذكر « من » في الآية الاولى « من كل امة » . و « في » في الآية الاخرى « في كل امة » . ويطلب ايضاح المعنى .

المحرر : ونجمل ردنا على الاخ الكريم في النقاط التالية :ـ

اولا : لم تصلنا رسالتك السابقة ، وليس من عادة مجلتك ان تهمل رسالة قارئها .

ثانيا : ذكرت في رسالتك التى نرد عليها الان رقمي الآيتين الكريمتين خطأ . ونلفت نظرك الى ان رقم الآية هو الموجود في نهايتها .

ثالثا : المعنى عند ذكر « من » : تتضح الحقيقة امام الكافرين يوم القيامة حيث يبعث الله من جنس كل امة شهيدا عليها ، وهو نبيها ، يشهد انه بلغهم الرسالة ونصحهم ولكنهم اعرضوا ، وعندئذ لا يقبل منهم عذر ولا تسمع لهم حجة .

والمعنى عند ذكر « في » : ان الله سبحانه يبعث كل امة وفيها نبيها ، يكون معهم لا يفارقهم ، فيسأله الله عن موقف امته منه ومن دعوته الى الله ، فيشهد لهم او عليهم ، هو فرد منهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الشهيد على امته يوم القيامة .. فشرعه باق الى ان يرث الله الارض ومن عليها والعلماء ورثة الانبياء ، فهم المكلفون بحمل عبء الدعوة الى الله ، وفي القرآن الكريم تبيان لكل شيء فهو اصل للتشريع ، وفيه الهدى ، وفي ظلاله الرحمة ، ويحمل البشرى الطيبة للطائعين المسلمين .

رابعا : يرى بعض العلماء : ان الشهيد متمثل في عشرة اعضاء من اعضاء الانسان ، هي : الاذنان ، والعينان ، والرجلان ، واليدان ، والجلد واللسان .

ولهذا ذكر لفظة « في » ووصف الشهيد بكونه « من انفسهم » .

خامسا : والآيتان مع ما ذكر معهما من آيات مسوقة لبيان حال الناس يوم القيامة ، حيث الحكم العدل ، والجزاء من جنس العمل ، نسأل الله الهداية والجنة وما يقربنا اليها من قول وعمل ، ونعوذ بالله من الضلال والشرك ، ومن النار وما يقرب اليها من قول وعمل ، وبالله التوفيق .



من التراث الاسلامي في أدب الأطفال

جاءنا من الاستاذ الطبلاوي محمود سعد هذه الكلمة ردا على ما نشر في المجلة تحت عنوان دراسة في ادب الطفل :

لقد لفت نظري المقال الذي نشر تحت عنوان : دراسة في أدب الطفل .. بقلم الأستاذ محمد فوزي حمزة في مجلتكم الغراء العدد ٢٠٦ صفر ١٤٠٢هـ .

واضافة الى ما كتب في هذا المقال العظيم ، فانني أنوه بتراثنا الاسلامي الزاخر بالتوجيهات والنصائح الطيبة الى ما يجب أن يكون نحو أطفالنا وفلذات أكبادنا ، فنظرة الى الوراء والى تراثنا القديم ، نجد الامام ابن الجوزي وهو عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ويكنى أبا الفرج المتوفي عام ٥٩٧هـ هذا الامام العظيم لم تشغله مؤلفاته الاسلامية في الفقه والفلسفة والتاريخ الاسلامي وعلوم التفسير والحديث وغير ذلك من شتى العلوم ، أن يكتب في التربية الاسلامية ، وبالذات نحو تربية الأطفال فقد ألف هذا الامام الجليل رسالة بعنوان : لفتة الكبد الى نصيحة الولد ، وهي رسالة قيمة تضع لنا الأسس والمبادىء نحو التربية الاسلامية ، وتبصر كل الآباء الى تربية فلذات أكبادهم على مبادىء وأسس سليمة من ديننا الاسلامي الحنيف ، ونبه الآباء في هذه الرسالة على تعليم الصغار الواجبات الدينية ، وغرس العبودية والتقوى في الأطفال وهم صغار ، وأنه يجب على الأب أن يقوم لسان ابنه بأن يعرفه النحو المستعمل في اللغة ، وأن يرسم له طريق الوصول الى المكانة العالية في المجتمع الاسلامي ، وأن يبصره بسبل تلقي العلم ، ونجد في رسالة الامام ابن الجوزي أسلوبه التربوي السليم فهو يقدم في أول كل فقرة من رسالته المبدأ السليم والقاعدة التربوية في توجيه ولده ، ويتبين ذلك من بعض النصوص التي سنذكرها له بعد قليل .

والذي يهمني من التنويه برسالة ابن الجوزي في هذا المقال ، هو أن سلفنا الصالح من ألف عام أو يزيد ، كانت لا تشغلهم علومهم ومؤلفاتهم في شتى العلوم والفنون عن أن يكتبوا للطفل ، ويكتبوا لنا التوجيهات والارشادات في تربية أطفالنا التربية الاسلامية ، حتى ينشأ أطفالنا على ركيزة اسلامية دينية من الصغر الى الكبر ، وحتى نأمن عليهم من التيارات الالحادية والانحرافات الجارفة التي وفدت علينا وعلى أطفالنا من القصص الأجنبية المترجمة لأطفالنا ، أمثال القصص البوليسية ، أو قصص العنف ، أو القصص التي تمثل الابتزاز واللصوصية والمراهقة ، وغير ذلك من القصص الدخيلة على أطفالنا ، وقد اعتبرناها وللأسف الشديد « **أدب الطفل** » ونعود الى ارشادات ونصائح الامام ابن الجوزي في رسالته : لفتة الكبد الى نصيحة الولد . اذ يقول : اعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميز الآدمي بالعقل الا ليعمل بمقتضاه ، واعمل فكرك ، واخل بنفسك ، تعلم بالدليل انك مخلوق مكلف ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها .. واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم .. ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين .. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وعلى العبد الاجتهاد « **فكل ميسر لما خلق له** » ـ كما ورد في الحديث الشريف عن المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري ومسلم وهكذا علم ابن الجوزي ابنه علم التوحيد وهو صغير ثم انتقل الامام ابن الجوزي يعلم ابنه الصغير المبادىء في عقيدة التوحيد فيقول له : وأول ما ينبغي النظر فيه : في معرفة الله تعالى بالدليل ، ومعلوم أن من رأى السماء مرفوعة والأرض موضوعة وشاهد الأبنية المحكمة .. علم أنه لا بد حينئذ للصنعة من صانع وللمبنى من بان ، ثم يتأمل دليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكبر الدلائل القرآن الكريم .

بعد أن بصر امامنا ابن الجوزي ابنه في عقيدة توحيد الله عز وجل وأنه هو الخالق لهذا الكون ، انتقل بابنه الى نصيحة أخرى يقول له : فينبغي لذي الهمة أن يترقى الى الفضائل فيتشاغل بحفظ القرآن وتفسيره وحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمعرفة سير أصحابه والعلماء بعدهم ليتخير مرتبة الأعلى فالأعلى .

ثم ينصحنا ابن الجوزي بتعليم أطفالنا الأسلوب العربي السليم فيقول : ولا بد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ومعرفة طرف من اللغة ، ويحكي الامام ابن الجوزي لابنه التجربة التي مرت به في حياته فيقول : « فاني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ولي نحو ست سنين وأنا قرين الصبيان ، ثم رزقت عقلا في الصغر يزيد على الأشياخ ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع صبي ، ولا ضحكت ضحكا خارجا ، حتى اني كنت ولي سبع سنين أو نحوها ، أحضر رحبة الجامع ، ولا أتخير حلقة متعبد ، بل أطلب

المحدث ، فيحدث بالمثمر فـأحفظه فأرجع الى البيت فأكتبه ... » هكذا رسم ابن الجوزي طريق التربية لابنه في صغره .

ثم يستمر الامام ابن الجوزي في تبصير ابنه بتجربة أخرى مرت به وهو صغير ، حتى ينشأ ابنه على منواله فيقول : ولقد كان الصبيان ينزلون دجلة ويتفرجون على الجسر ، وأنا في زمن الصغر آخذ خبزا وأقعد حجزة من الناس الى جانب الرقة « مكان بجوار نهر » فأتشاغل بالعلم .. وكنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد ...

ويبصر ابن الجوزي ابنه باغتنام فرص الأوقات حتى لا يضيعها ويقول له : فانتبه يا بني لنفسك ، واندم على ما مضى من تفريطك ، واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة ، واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعاتك التي ضاعت ، فكفى بها عظة ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل .

وأخذ امامنا ابن الجوزي يحكي لابنه تجاربه وهو صغير مع الصالحين من السلف ، ويذكر له قصصا كثيرة عن أصحابه وعن العلماء الذين أخذ عنهم العلم ؛ ويبين له شرف العلم والتعلم ، وينصحه بالعزلة عن رفقاء السوء فإن العزلة أصل كل خير ويقول له : وليكن جلساؤك الكتب والنظر في سير السلف ، وتلمح سير العاملين من العلم والعمل ولا تقتنع بالدون ، واعلم أن العلم يرفع الأراذل ، وأخذ ينصحه بالقناعة وحفظ حدود الله والجمع بين العلم والعمل ، وأن يكون همه العلم والتقوى والعبادة ، وأن يرسم لنفسه منهجا سليما في قراءته لكتب الأبطال والمجاهدين وسيرسلفنا الصـالح . وأخذ يضرب له الأمثلة . ولا ريب أن رسالة ابن الجوزي : افتة الكبد الى نصيحـة الولـد ، التي ألفهـا من تسعمائة عام تعد من الرسائل القيمة في تربية الأطفال تربية اسلامية ، ويا حبذا لو كل مؤلف للأطفال يجعلها نصب عينيه وهو يكتب لأدب الطفل ، ويتذكر نصائح ابن الجوزي لولده وتبصيره بأمور حياته . وارشاده نحو المنبع الصافي الذي ينهل منه أدب الطفل ألا وهو الاسلام الحنيف ، فتاريخنا الاسـلامي مليء بقصص البطولة في الحرب والجهاد وميادين القتال ، وأيضا مليء بقصص الأمانة والعفة والنزاهة التي نربي عليهـا أولادنا ، ونحن لا ننكر فضل ما تبذله دور النشر لكتب الأطفال ، التي تتجه بهم الاتجاه التربوي السليم ، ولكن مكتبة الطفل عندنا بحاجة ماسة الى مزيد من الكتب الاسلامية ، التي تحكي لهم قصص الأمجاد والبطولات التي مرت عبر تـاريخنا العظيم . ويجب عـلى النـاشـرين والمؤلفـين والمكتبـات ان تقلـل مـن الكتـب المستوردة لأطفالنا ، والتي تهدف الى فرنجة أطفالنا الأبرياء . ويا حبذا لو اهتمت كل مجلة أو صحيفة بركن خاص لأدب الأطفال ، وما يجب أن يكون نحو فلذات أكبادنا وأملي في الله كبير أن تستمر مجلتكم الغراء في رسم الطريق السليم نحو : أدب الأطفال .

إضافة لمقال

ارسل الينا الدكتور غريب جمعه هذا التعليق حول مقال الدكتور احمد شوقي الفنجري

قرأت مقال السيد الدكتور / احمد شوقي الفنجري بعنوان « جسم الإنسان والاعجاز القرآني » والذي نشر في عدد صفر ١٤٠٢ من مجلة « الوعي الاسلامي » الغراء .

والمقال فيه من سلاسة الاسلوب وتسلسل الفكرة واظهار العبرة ما يدعو الى الاعجاب والتقدير للسيد الدكتور ولكني ارجو ان يتسع صدره لإضافة ملاحظتين نحسبهما في خدمة المقال باذن الله .

الاولى : قال سيادته : في ص ٥٤

« ونقص اليود يؤدي الى الغدة الدرقية »

وهذه عبارة مركبة لا بد من تحليلها ومجملة لا بد من تفصيلها حتى لا يقول قائل : اي مرض يقصد الكاتب ؟ اذ ان امراض الغدة الدرقية متعددة اما المرض الذي يسببه نقص اليود بالنسبة للغدة الدرقية فانه يطلق عليه « الجويتر البسيط » . وهو مرض لا يصحبه زيادة في افراز الغدة الدرقية بل نقص احيانا ولذلك يكون في الغالب محاولة من الغدة لتعويض نقص نشاطها بزيادة حجمها لانتاج كمية اكبر من الهرمون الذي تفرزه . وقد يؤدي التضخم الى اعاقة البلع والتنفس وحجم الغدة الدرقية في الجويتر البسيط اكبر كثيرا من حجمها في مرض جريفز (نوع من امراض الغدة الدرقية) ، ويدخل اليود في صنع هورمون الغدة الدرقية بنسبة ٦٥٪ منه ويطلق على هذا الهرمون « هورمون الثيروكسين » وكمية اليود اللازمة للجسم ضئيلة جدا ومن مصادره ماء البحر وسمك المحيطات ولهذا يكثر هذا المرض في الاماكن البعيدة عن البحار .

الثانية : قال سيادته في نفس الصفحة :
« **فزيادة الكالسيوم في الانسان تؤدي الى تصلب الشرايين** »

والذي نعرفه من واقع الدراسة ان زيادة الكالسيوم في الدم تؤدي الى الاعراض الاتية :

١ ـ بالنسبة للكليتين :

يؤدي الى حدوث مغص كلوي وافراز بول مصحوب بدم وتكون رمل او حصوات صغيرة ووجع اسفل الظهر ويحدث ذلك في حوالي ٨٠٪ من حالات ارتفاع الكالسيوم بالدم

٢ ـ بالنسبة للعظام والعضلات :

تحدث الام بالعضلات وقد يحدث تساقط للاسنان وكسور وتشوهات بالعظام وتحدث هذه الاعراض في حوالي ٣٠ ٪ من الحالات

٣ ـ بالنسبة للجهاز الهضمي

يحدث غثيان وقيء وامساك والام بالبطن وقد وجد ان ٢٤٪ من الحالات تصاب بقرحة في الاثني عشر وذلك لان زيادة الكالسيوم قد تؤدي إلى زيادة افراز حامض المعدة (حمض الايدروكلوريك) وقد يحدث التهاب مرتجع بالبنكرياس .

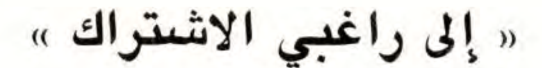
٤ ـ بالنسبة للجهاز العصبي :

تحدث اضطرابات عقلية في الحالات الشديدة

٥ ـ اعراض اخرى مثل :

الام عامة بالعضلات وجفاف بالانف واحساس بالعطش ونقص في الوزن وعدم الرغبة في النوم واضطرابات بالقلب وكثرة التبول مع العطش والله أعلم .

الدكتور غريب جمعة



« إلى راغبي الاشتراك »

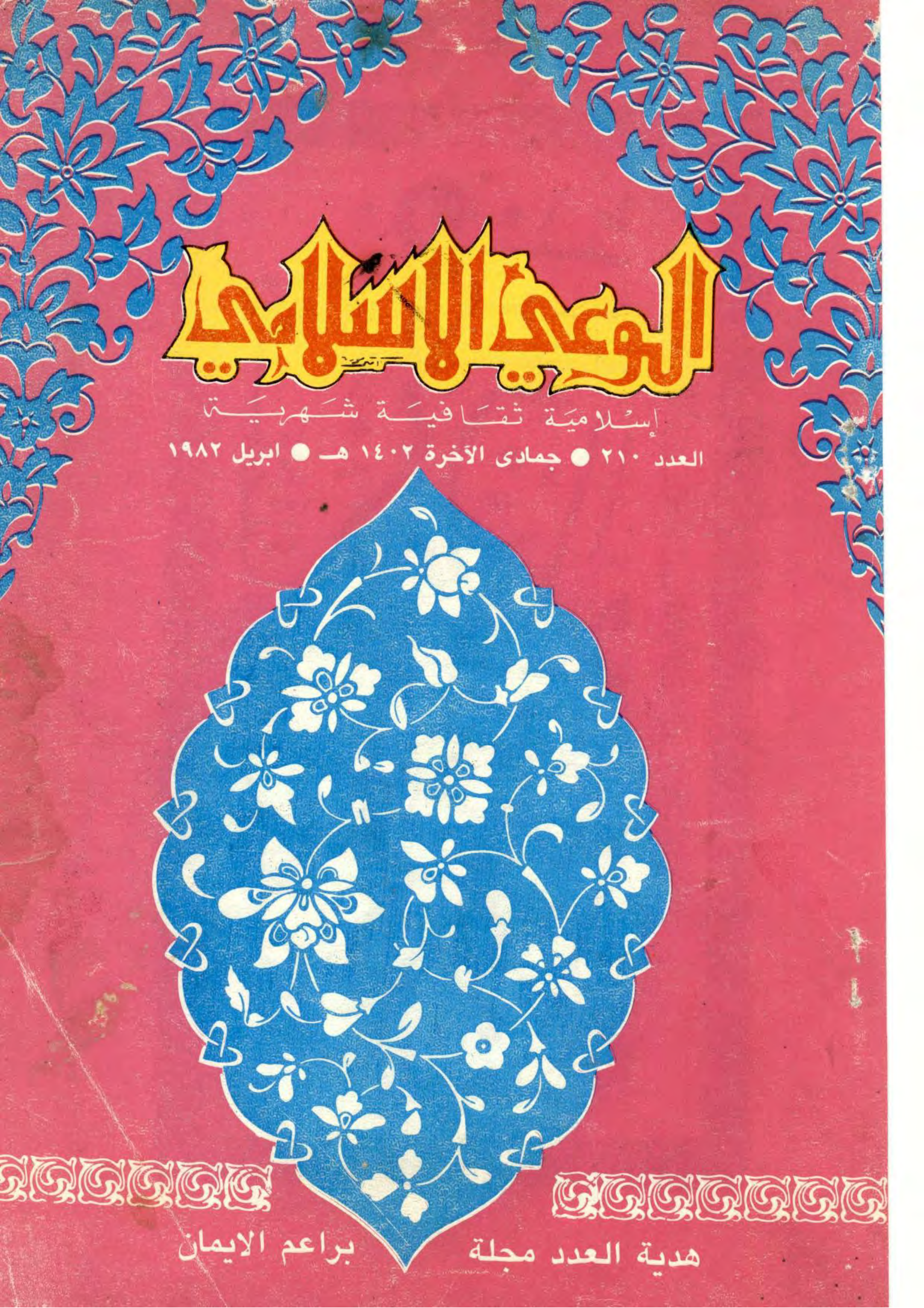
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

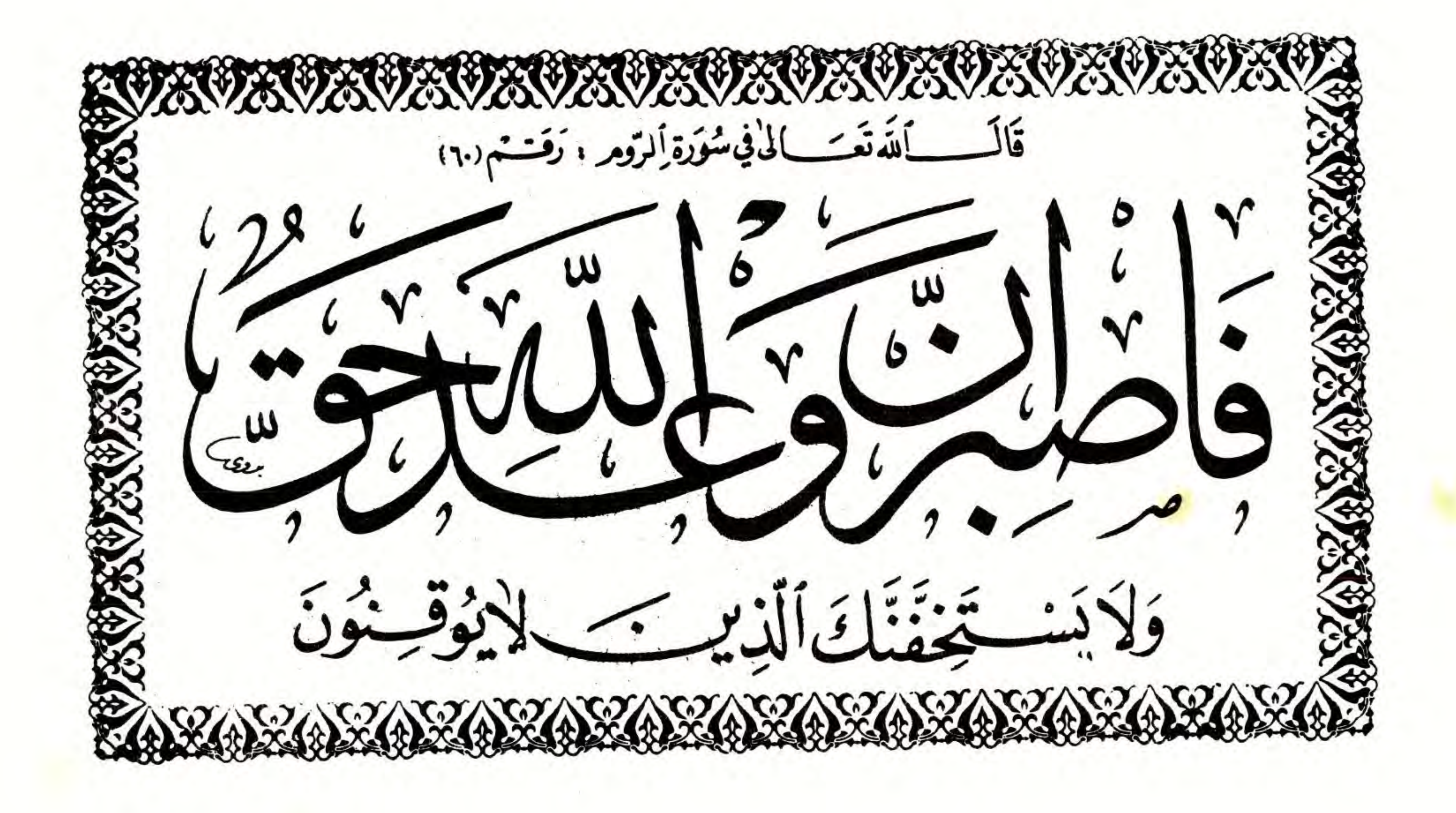
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت



الوعي الاسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢١٠ ● جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ ● ابريل ١٩٨٢
هدية العدد مجلة براعم الايمان


فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ
قال الله تعالى في سورة الروم : رقم (٦٠)



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٠ ● جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ ● ابريل ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي . وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

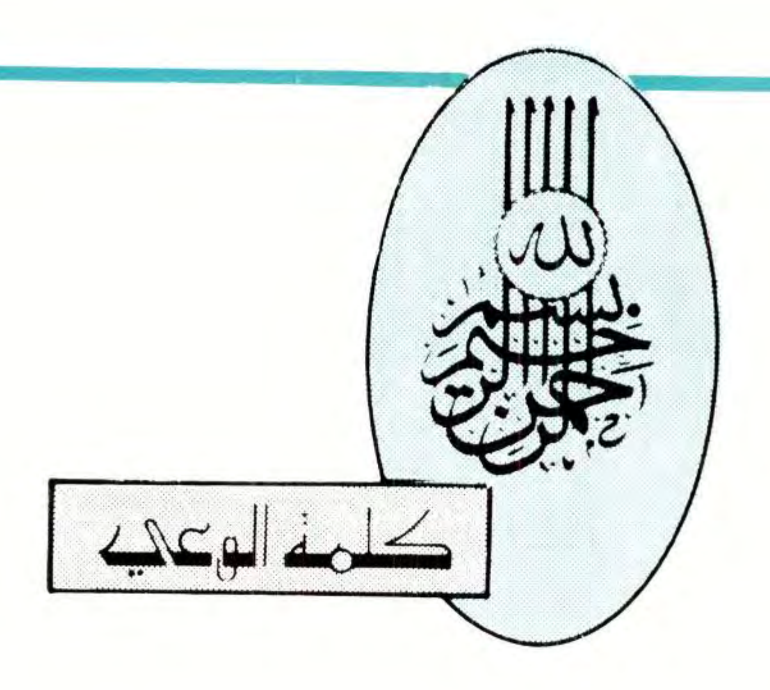
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب. ٤٢٢٨ . بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي





الاسلام يحرم اختلاط المرأة بالرجال غير المحارم سدا لباب الفتنة . والدعوى بمنح المرأة حق الانتخاب ومشاركة الرجال في تشريع القوانين ما هي الا وسيلة تريد المرأة ان تتذرع بها لتكسو اختلاطها بالرجال الاجانب عنها ثوب المصلحة العامة ! وهذا عمل لا تقره الشريعة الاسلامية لأنه لا يتفق مع انوثة المرأة وطبيعة تكوينها .

شأن هذه العوارض أن تضعف قوتها المعنوية ، وتوهن من عزيمتها في تكوين الآراء والتمسك بها ، والقدرة على المقاومة والكفاح في سبيلها . وهذا شأن لا تنكره المرأة من نفسها .. وليس أدل على ذلك من أننا رأينا المرأة في أسمى البيئات النسوية لم تسلم من التأثر الشديد بدواعي العاطفة ، ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة مع كمال إيمانها ونشأتها في بيت النبوة والوحي ، فكيف بامرأة غيرها ليس لها مثل إيمانها ، ولم تنشأ نشأتها ، وليس لها ما تطمع به أن تبلغ شأوها أو تقارب منزلتها ؟

لقد تطلع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زينة الدنيا ومتعتها ، وطالبنه أن يغدق عليهن مما أفاء الله عليه من الغنائم . فبين الله تعالى لرسوله خطأ هذا الاتجاه منهن وأمره أن يقول لهن : (**إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**) فاخترن كلهن : الله ورسوله .

وقد حدثتنا سورة التحريم عن غيرة بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم وما كان لهذه الغيرة من الأثر في تغليب العاطفة على العقل مما جعلهن يدبرن ما يتظاهرن به على رسول الله .. وكيف ان الله تعالى ردهن إلى الجادة بقوله تعالى : (**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير . عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا**) .

والشريعة الاسلامية التي جنبت المرأة الولاية العامة رعاية لأنوثتها ، وصيانة للمصلحة العامة للمجتمع . هي الشريعة ذاتها التي أفسحت لها الطريق في كل ما يتعلق بمسائل الولاية الخاصة . فقد ساوتها بالرجل في هذا النوع من الولايات ، إذ جعلت لها حق التصرف في أموالها بالبيع والهبة والاجارة ونحوها من مختلف ضروب التصرفات ، وأجازت لها الوصاية على الصغار ، والولاية على المال ، والنظارة على الأوقاف ، والتعليم والتطبيب لبنات نوعها .

وإذا كانت الشريعة الاسلامية قد جعلت القوامة على النساء للرجال في قوله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم**) وجعلت حق الطلاق بيد الرجل ، ومنعت المرأة من السفر دون محرم أو زوج أو رفقة مأمونة ، وجعلت لها حق حضانة الصغار دون الرجل ، وأوجبت على الرجل حضور صلاة الجمعة والجهاد في سبيل الله ولم توجب عليها شيئا من ذلك .. اذا كانت الشريعة قد رسمت لها حدودها وبينت لها مهمتها المتفقة مع طبيعة تكوينها ، فما بالها تريد أن تخرج عن أحكامها لتزج بنفسها في

والولاية العامة هي السلطة الملزمة في شأن من شؤون الجماعة . كولاية سن القوانين ، وقيادة الجيش ، والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام ، والهيمنة على القائمين بذلك . وهي مقصورة على الرجال الذين تتوافر فيهم شروط معينة من العلم والذكاء ، ورجاحة العقل ، وطهر النفس ، وحياة الضمير ، والشجاعة في الحق .. ولم يثبت ان شيئا من هذه الولايات العامة قد اسند الى المرأة لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال ، في حين انه كان في الصدر الأول للاسلام مثقفات فضليات ، وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال ..

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع أبو بكر رضي الله عنه البيعة العامة دون أن تشترك المرأة أو تدعى لمداولة الرأي في ذلك .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إسناد شيء من الأمور العامة للمرأة . روى البخاري بسنده عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن الفرس ملكوا ابنة كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والرسول لم يقصد بهذا القول مجرد الاخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم ، وإنما قصد نهي أمته عن مجاراة الفرس في إسناد شيء من الأمور العامة إلى المرأة ، واختار لذلك أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمرهم .. وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع أئمة السلف رضوان الله عليهم يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولي المرأة الامامة الكبرى ، والقضاء ، وقيادة الجيش ، وما إليها من سائر الولايات العامة . وقد قال الله تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) .

وهذا الحكم المستفاد من الحديث معلل بمعان واعتبارات لا يجهلها الواقفون على الفروق الطبيعية بين نوعي الانسان .. ذلك أن الحكم لم ينط بشيء وراء الأنوثة التي جاءت كلمة « امرأة » في الحديث عنوانا لها . فالأنوثة وحدها هي العلة . وليست العلة عدم العلم والمعرفة ، ولا عدم الذكاء والفطنة ، إذ الواقع يدل على أن للمرأة علما وقدرة على التعلم كالرجل ، وعلى أن لها ذكاء وفطنة ، بل قد تفوق الرجل في العلم والذكاء والفهم . ولكن المرأة ـ بمقتضى الخلق والتكوين ـ مطبوعة على غرائز تناسب المهمة الأصلية التي خلقت لأجلها وهي « الأمومة وحضانة النشء وتربيته » وهذه قد جعلتها ذات تأثر خاص بدواعي العاطفة ، وهي مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية تتكرر عليها في الأشهر والأعوام ، ومن

انتخابات تدافع فيها وتدفع ، وتختلط في ميدانها بالجماعات والافراد من الرجال ؟ .. وما بالها تريد أن تثير حولها الزوابع وتخوض المعامع في الوقت الذي كفتها فيه الشريعة مئونة الكفاح ، وجنبتها مواطن الزلل ، ورسمت لها من الحدود ما يتكافأ وطبيعتها في ميدان العمل المنتج المفيد لها وللمجتمع الذي تعيش فيه ؟

إن إبداء المرأة لرأيها مكفول ، والسبل إليه كثيرة من غير أن تزج بنفسها في المجتمعات والمحافل العامة . والمرأة التي تتعرف على أحكام الاسلام وتلتزم بآدابه تستطيع أن تبدي رأيها إذا ما أرادت . والحاكم يستمع لرأيها متى نهضت به الحجة . وقد استمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المرأة المؤمنة التي قامت من صفوف النساء وعارضته في تحديد مهور النساء مستدلة بقول الله تعالى : **(و آتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا)** .. استمع إليها وقرر أن الصواب في جانبها وعدل عن رأيه قائلا : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

أما المرأة المسلمة التي تجهل أحكام الاسلام أو تعلمها ولكنها لا تلتزم بها في شؤون حياتها فآراؤها لابد أن تكون بعيدة عن الصواب لأنها تقلد فيها النساء الكافرات بدين الله ، وتتبع بها هواها بغير هدى من الله ! وليس أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . إنه يظلم نفسه ويظلم غيره .

إن الاسلام حدد ما يتساوى فيه الرجال والنساء وهي الأمور التي لا تتعارض مع تكوين النوعين ، وبين ما يختص به الرجال ، وهي الأمور التي تتفق مع تكوينهم دون تكوين المرأة ، وبين ما تختص به النساء ، وهي الأمور التي تتناسب مع طبيعتهن دون طبيعة الرجال . وفي تشريع الله يكمن الخير للرجال والنساء جميعا حين يلتزم الكل بما عليهم من واجبات ويتناولون ما لهم من حقوق .

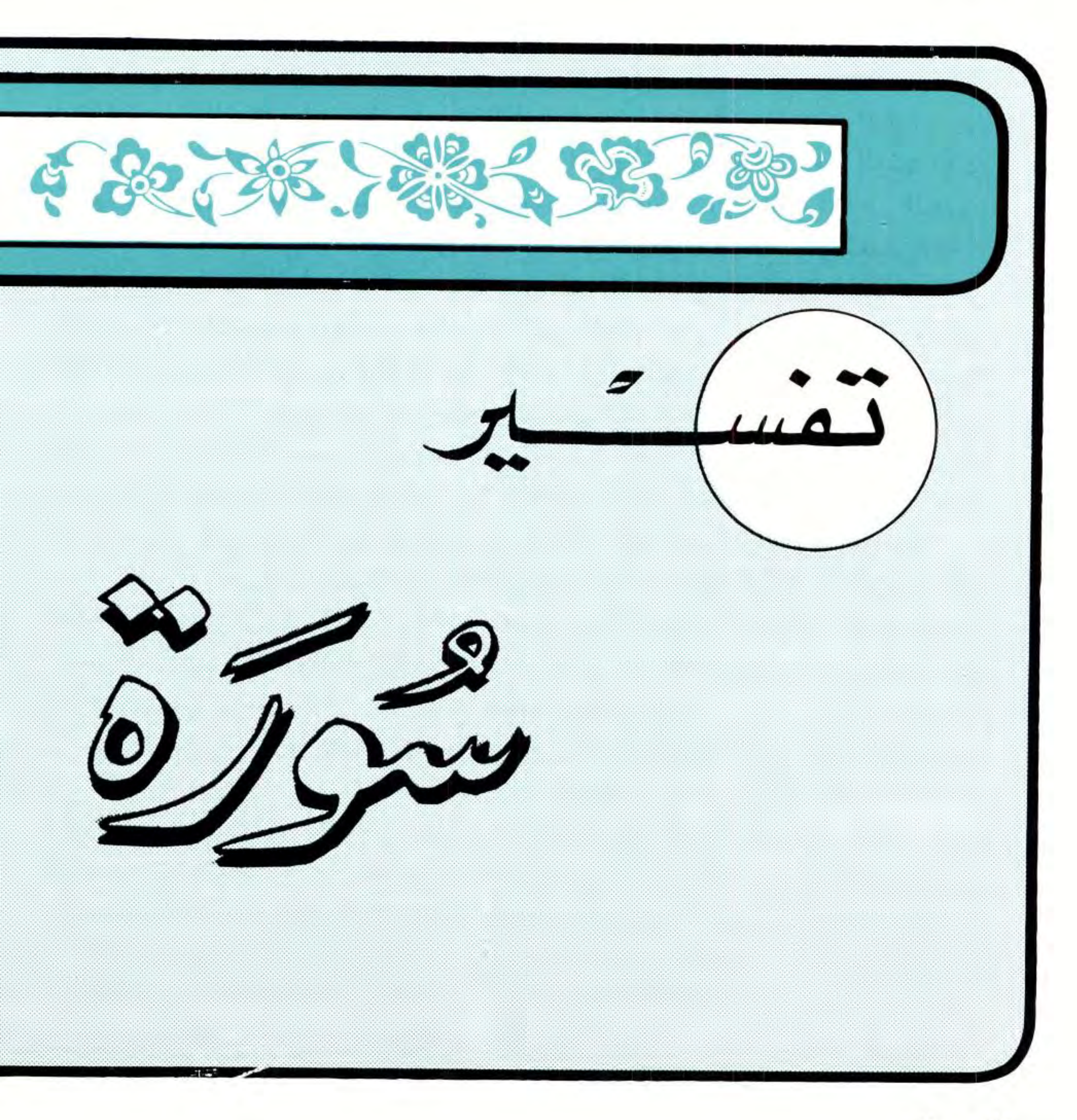
الا ما أحوج الأمة إلى النساء المؤمنات اللاتي يتولين الولايات الخاصة إسهاما في حركة المجتمع وتقدمه ، ويقمن بحضانة النشء وتربيته على الدين والخلق ، والفضيلة والشرف والعزة والكرامة ، ليكون سنادا للوطن في معارك الحياة ، وسبيلا لتعميره والنهوض به ، وأداة لتطهيره من المفاسد والسمو به عن الدنايا .

هذا هو السبيل المستقيم في حياة المرأة ، وهو ما يجب أن تأخذ به الدولة الاسلامية في كل مكان تكريما للمرأة ، ووضعا لها في المكان اللائق بتكوينها وطبيعتها ، وصيانة لأوضاع المجتمع من الخلل والاضطراب .

والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

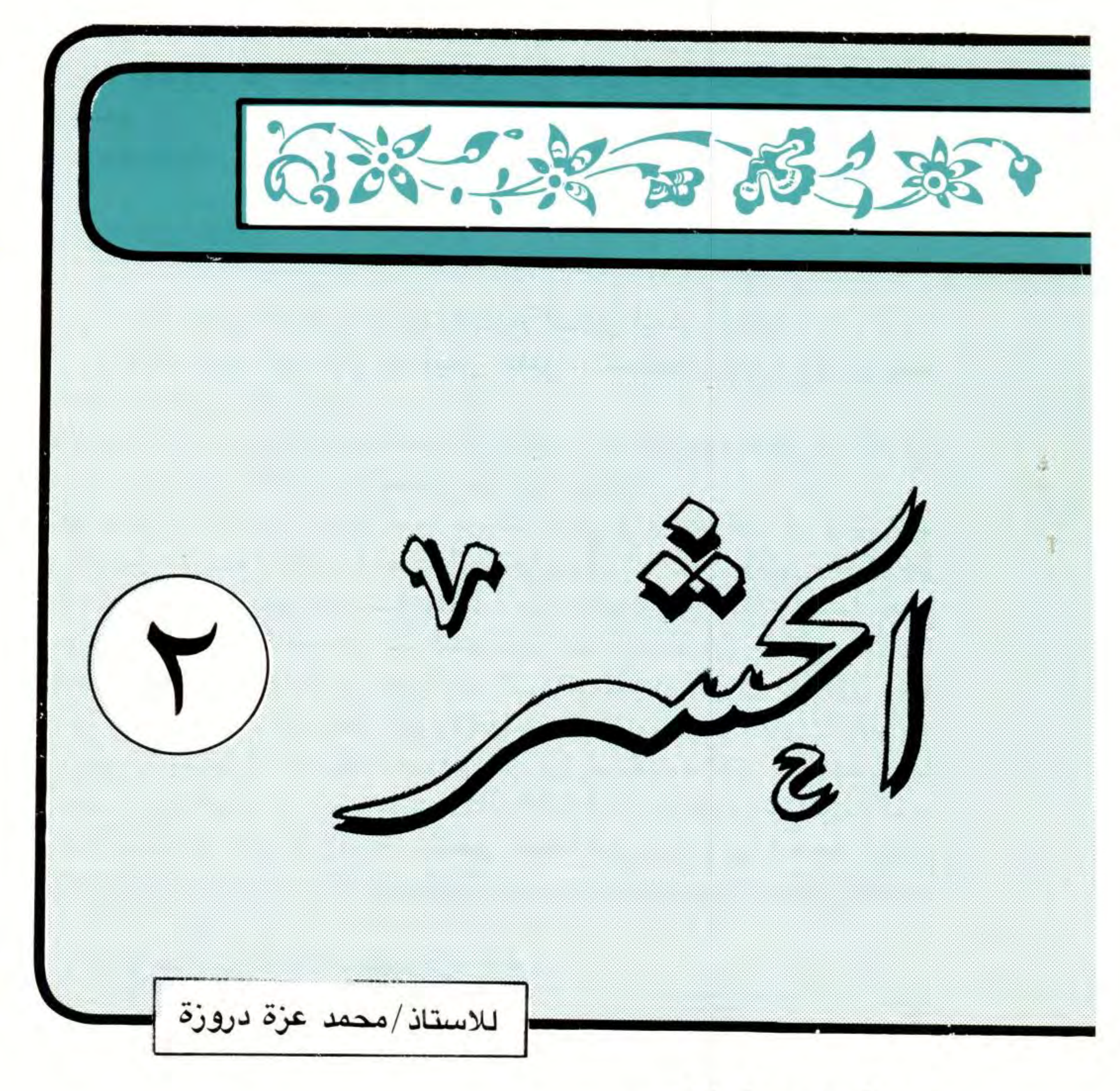
رئيس التحرير

محمد الأباصيري



قال تعالى :

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون(٨) والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون(٩) والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم(١٠) .



شرح لبعض جمل الآيات :

١ ـ (**الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم**) الضمير في قبلهم عائد للمهاجرين الذين ذكروا قبلها . وجمهور المفسرين أن الدار هي دار الهجرة النبوية (أي المدينة المنورة) وتسمى يثرب . وأن الجملة عنت أهل المدينة الذين آمنوا قبل قدوم المهاجرين إليها .

٢ ـ (**لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**) الجمهور على أن الضمير في كلمتي (لا يجدون) و (صدورهم) عائد إلى الذين تبوءوا الدار والايمان قبلهم . وأن الضمير في (أوتوا) عائد الى المهاجرين . ومعنى الجملة (إن الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) لا يشعرون بغيرة ولا حسد مما أعطى للمهاجرين .

٣ - (**يؤثرون على أنفسهم**) يؤثرون من الايثار أي يفضلون غيرهم على أنفسهم .
٤ - **خصاصة** : فاقة أو حاجة .

مدى الآيات الثلاث :

١ - صارت عبارة الآيات واضحة بالشرح السابق لبعض جملها .
٢ - والآيات تبدو أنها بيان توضيحي للفقراء المستحقين للفيء والذين يجب إعطاؤهم نصيبا منه . وهم :
اولا - فقراء المهاجرين الذين الجئوا إلى الخروج من ديارهم والتخلي عن أموالهم فيها ابتغاء فضل الله ورضوانه ونصرة دينه ورسوله .
ثانيا - فقراء الأنصار الذين آمنوا برسالة النبي في دارهم قبل أن يأتي إليها المهاجرون ، ورحبوا بالذين هاجروا إليهم وأحبوهم ، والذين يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وفاقة . ولا يحسدون ولا يغارون مما يعطي المهاجرون ، حيث وقاهم الله من الشح وهيأ لهم بذلك سبيل الفلاح .
ثالثا - فقراء المسلمين الذين آمنوا بعد السابقين لهم في الايمان ، والذين حكت الآية دعاءهم الله ، بأن يغفر لهم ولاخوانهم الذين سبقوهم ، وأن لا يجعل في قلوبهم غلا ولا حسدا ولا حقدا نحوهم وهو الرؤوف بعباده الذين يشملهم بسابغ رحمته . ومن الجائز أن يعتبر فقراء الفئات الثلاث من صنف (المساكين) الذين ذكروا كأصحاب سهم في الفيء ، وتنطبق الصفة التي وصف بها الحديث النبوي المساكين الذي ذكرناه سابقا عليهم فهم لا يجدون غنى يغنيهم ولا يسألون الناس .

الروايات المروية في سبب نزول الآيات :

روى المفسرون ومنهم الطبري وابن كثير والبغوي ما يفيد أن المهاجرين كانوا فقراء لا أرض لهم ولا مال ولا مورد وكانوا عالة على الأنصار . فلما فتح الله ويسر أموال بني النضير ، كلم النبي الأنصار واسترضاهم للنزول عن حقهم فيها حتى يقسمها على المهاجرين فيكفوهم مؤونتهم . وأن معظمهم رضوا بذلك عن طيب خاطر ، ولم يشعروا بحسد ولا غيرة مما اعتزمه رسول الله من توزيع فيء بني النضير على المهاجرين عدا الذين في قلوبهم نفاق ومرض ، وأن النبي قسمه على المهاجرين فقط ولم يعط الأنصار منها إلا ثلاثة كانوا فقراء . وأن الآيات نزلت لتأييد ما فعله رسول الله إلهاما وإشادة بالأنصار الذين تنازلوا عن حقهم .
ونحن في حيرة من هذه الروايات التي رواها معظم المفسرين عزوا إلى ابن عباس لاننا نراها متناقضة مع تقرير الآيات السابقة التي شرعت جميع الفيء للمصالح العامة والمحتاجين لانه تفسير بدون إيجاف خيل وركاب ، فلم يستحق فيه المسلمون

إستحقاقا ملزما كاستحقاقهم في الغنائم التي يحوزون عليها بعد قتال وإيجاف خيل وركاب ومنعت قسمته على المسلمين الميسورين . بل وتتناقض مع روح الآيات نفسها التي جاءت مطلقة وبعضها معطوف على بعض بحيث تبدو بأسلوب قوي أنها أرادت فقراء الفئات الثلاث معا أي المهاجرين والأنصار السابقين والذين آمنوا بعدهم واندمجوا فيهم .

وكل ما يمكن احتماله فيما نرى ـ والله أعلم ـ وفيه توفيق بين روح الآيات وخطوط الروايات أن تكون ما آلت إليه حالة المهاجرين الاقتصادية من ضيق وحرج ، قد ألهمت النبي صلى الله عليه وسلم بقصر الفيء الذي تيسر بدون إيجاف وحرب على المصالح العامة وعلى المساكين واليتامى وأبناء السبيل وذى القربى دون الأغنياء . ولم يكن من المهاجرين أغنياء . وإنما كان من الأنصار . وأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد خاطب هؤلاء فأظهر المخلصون وهم الأكثرية العظمى منهم الرضاء دون اعتراض وحساسية مما جعلهم يستحقون التنويه العظيم الذي تضمنته الآية الثانية .

المدى العظيم في وصف فئات المسلمين الثلاث في الآيات :

ـ أن وصف الفئات الثلاث المخلصة وصف محبب قوي وجدير بالتأمل والاجلال .

ويدل على ما كان من قوة إخلاص السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان لدين الله ورسوله وتحملهم في سبيلهما لجسيم التضحيات فاستحقوا هذا الثناء العظيم .

وفي سورة التوبة آية فيها تنويه قوي بهم وإعلان رضاء الله عنهم ووعد هم بالخلود في الجنات الاخروية وهي : (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم**)التوبة/ ١٠٠ ..

ولقد أثرت أحاديث صحيحة عديدة عن رسول الله فيها تنويه بما سماهم (أصحابي) الذين عني بهم على الأرجح والله أعلم : (**السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**) يدل على ما كان لهم عنده من شأن عظيم . من ذلك حديث رواه مسلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصحابي آمنة لامتي . فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » وحديث آخر رواه مسلم عن أبي موسى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه : « الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي . لا تتخذوهم عرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم . ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله . ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » .

وحديث رواه الشيخان وأبو داوود والترمذي عن أبي سعيد جاء فيه : « لا تسبوا أحدا من أصحابي . فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم

ولا نصيفه » وحديث رواه الترمذي عن بريدة جاء فيه : « ما من أحد من أصحابي يموت بأرض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة » وحديث رواه الشيخان عن البراء جاء فيه : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » .

ولقد اقتضت حكمة رسول الله أن يخص الأنصار بالتوبة حيث أثرت عنه أحاديث صحيحة عديدة في ذلك . ومن ذلك .

حديث رواه الشيخان عن أنس جاء فيه : « آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار » وحديث رواه الشيخان عن أنس أيضا جاء فيه يخاطب امرأة من الأنصار : « والذي نفسي بيده أنكم لأحب الناس إلي ثلاث مرات » وحديث رواه البخاري والترمذي عن أبي هريرة جاء فيه : « لو أن الأنصار سلكوا واديا أو شعبا لسلكت في وادي الأنصار . ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » .

وحديث رواه مسلم والترمذي عن زيد بن أرقم جاء فيه : « اللهم اغفر للانصار ولأبناء الأنصار ولنساء الأنصار » .

وهناك أحاديث أخرى في الفئتين بصورة عامة وفي أشخاص معينين من كل فئة ، فاكتفينا بما تقدم .

استطراد توضيحي للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

ونقول استطرادا أولا : أن كلمة « صحابي » مع أنها تطلق من المسلمين على كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين فان روح الأحاديث تفيد كما قلنا قبل ، أن المقصود من كلمة « أصحابي » فيها هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ويجوز أن يدخل فيهم من اتبعوهم باحسان وصحبوا رسول الله في حياته . وثانيا ـ أن كلمة المهاجر تطلق على من هاجر من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة وحسب . ولا تطلق على من هاجر بعد هذا الفتح لأن هناك حديثا رواه الشيخان وأحمد وأصحاب السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا هجرة بعد الفتح وإنما نية وجهاد . وإذا استنفرتم فانفروا » . وإن المهاجرين أنواع ، نوع هاجر إلى الحبشة قبل هجرة النبي إلى المدينة ثم جاءوا منها إلى المدينة .
ونوع هاجر إلى المدينة من مكة في ظروف هجرة النبي إليها ، ونوع هاجر إلى المدينة بعد مدة ما من هجرة النبي وقبل فتح مكة وظل أثناء هذه المدة مشركا . وأن كلمة (السابقين) بالنسبة للمهاجرين تطلق على النوعين الأولين وحسب .
وثالثا : أن الأنصار أيضا أنواع ، نوع آمن قبل هجرة النبي إلى المدينة وهم الذين ذكروا في الآية الثانية التي نحن في صددها ونوع آمنوا بعد هجرته . وأن كلمة (السابقين) للأنصار تطلق على النوع الأول فقط .
استطراد ثان لتوضيح جملة (**الذين تبوءوا الدار والايمان**) .
إن ملخص ما ذكرته كتب السيرة والتفسير هو أن النبي صلى الله عليه وسلم

بعد موت عمه أبي طالب ، حاميه ، وبعد موت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها التي كانت من أقوى مشجعيه ومؤيديه ذهب إلى الطائف لعله يجد نصيرا فخاب أمله حتى رشق بالحجارة فخرج كسيرا ، وأخذ يناجي ربه في طريق عودته قائلا : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . ياأرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين . وانت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » وأرسل بعد ذلك لبعض زعماء مكة يطلب منهم أن يدخل في جوارهم فرضي بعضهم . وأخذ بعد ذلك يعرض نفسه على قبائل العرب ووفودهم التي كانت تأتي إلى مكة في الحج ، وعرض نفسه في الجملة على جماعة من الخزرج من أهل يثرب ، وكان ذلك في السنة العاشرة من بعثته فدعاهم إلى الاسلام وتلا عليهم القرآن ، فانشرحت صدورهم وكانوا يسمعون من اليهود الذين في مدينتهم أنه يوشك أن يبعث الله نبيا من العرب ، وقالوا لعله هو فلا يسبقنكم اليهود إليه . فآمنوا وقالوا له إنا تركنا قوما بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنعرض عليهم أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وهؤلاء الجماعة هم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبدالله رضوان الله عليهم . ولما رجعوا أخبروا قومهم وأخبروا جماعة من قبيلة الأوس ، القبيلة العربية الثانية التي كانت تسكن يثرب ، فانشرحت صدورهم ، فلما كانت السنة القابلة جاء وفد خليط من القبيلتين واجتمعوا برسول الله عند هضبة من هضاب مكة الخارجية فآمنوا ، فأرسل معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه داعيا وقارئا وإماما ، فأخذت دائرة الاسلام تتسع حتى لم يبق بيت من بيوت الأوس والخزرج الا ودخله الاسلام .

لما كانت السنة القابلة وهي الثالثة في تاريخ الاتصالات جاء وفد كبير مؤلف من نحو سبعين من القبيلتين فاجتمع بهم فآمنوا ورحبوا بهجرته وهجرة أصحابه إلى مدينتهم وعاهدوه على الدفاع عنه ونصرته واختار منهم اثنى عشر رجلا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فسماهم النقباء « وهم أسعد بن زرارة وعبدالله بن رواحة ورافع بن مالك والبراء بن معرور وعبدالله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وسعد بن الربيع من الخزرج وأسيد بن حضير وسعد بن خثيمة ورفاعة بن عبد المنذر من الأوس رضوان الله عليهم » .

وبعد ذلك أذن النبي صلى الله عليه لاصحابه بالخروج فأخذوا يخرجون فرادى تاركين أموالهم ووطنهم في سبيل دين الله ونصرة رسوله وكان الأنصار يتلقونهم بالترحاب والعون ويهيئون لهم المساكن وأسباب المعيشة والاستقرار . وقد تأخر رسول الله بعض الوقت للاشراف على هجرة أصحابه وقضاء بعض واجبات عليه وأمانات لديه للناس . وجن جنون زعماء مكة حينما عرفوا الاتفاق الذي تم بينه

وبين أهل يثرب بعد أن كانوا أيقنوا أن دعوته على وشك الانطفاء وبعد أن وصل أمره إلى ما وصل ورأوا في ذلك خطرا عظيما عليهم وأخبره الله ونجاه وخرج مع رفيقه أبي بكر من مكة ووصل المدينة سالما وهو ما أشارت إليه آية سورة التوبة : **(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)** ٤٠ . فكانت هجرته أبرك وأعظم ثاني حادث في الاسلام . (والأول نزول الوحي بالنبوة والقرآن عليه لأول مرة) . حيث انفتح الأفق الواسع أمام الدعوة الاسلامية وانتشارها وانتصارها ، وصارت كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

ولقد أورد ابن كثير حديثا رواه الامام أحمد عن انس قال « قال المهاجرون يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير فقد كفونا المؤونة وأشركونا في أموالهم حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله » .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : « قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المونة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا » .

ولقد آخى رسول الله بين رجال المهاجرين ورجال الأنصار فكان مما فعله الأنصار تجاه من آخاهم معهم النبي أن قاسموهم بيوتهم وأشركوهم في أعمالهم وأموالهم . حتى لقد طلق بعضهم بعض زوجاته لييسر لأخيه المهاجر التزوج بها على ما جاء في كتب السيرة والتفسير . وكل هذا بوادر مؤيدة لما وصف الله الأنصار في قوله : **(يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** .

وفي صدد الآية **(ومن يوق شح نفسه)** أورد ابن كثير حديثا عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ولا دخان في جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع الشح والايمان في قلب أبدا » وحديثا عن جابر رواه مسلم أيضا قال : « قال رسول الله إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم » وهكذا يتساوق التلقين النبوي مع التلقين القرآني في هذا الشأن كما هو في كل شأن .

تطبيق عمر بن الخطاب رضي الله عنه للآيات :

لقد روى الامام أبو يوسف في كتاب الخراج والامام أبو عبيد في كتاب الأموال والكتابان من أقدم ما وصل إلينا . والامامان من مشاهير القضاء والفقه وأئمة الحديث في الصدر الاسلامي الأول . إن الذين اشتركوا في فتح العراق طلبوا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقسم عليهم أرض السواد العراقي فأبى وقال

لهم . إنه لجميع فقراء المسلمين في جميع أجيالهم حقا في ذلك استنادا إلى هذه الآيات ، وأبقاها كذلك . فيؤخذ ريعها من مستأجريها ويوزع على فقراء المسلمين حيث يمكن القول أن عمر رضي الله عنه اعتبر الآيات توضيحا للمستحقين للفيء من فقراء المسلمين على اختلافهم سواء أكانوا من المهاجرين أم الأنصار الأولين أم من الذين آمنوا بعد الرعيل الأول من هؤلاء وأولئك ثم اعتبرها مستمرة الحكم بالنسبة لجميع أجيال المسلمين في مستقبل الأيام وصيغة الآيات وعطف بعضها على بعض ومجيئها بعد ذكر مصارف الفيء مما يدعم هذا الاعتبار .

وفيما فعله عمر رضي الله عنه صورة مما كان يفهمه كبار أصحاب رسول الله من التوجهات القرآنية كما هو ظاهر . وهو عمل فريد رائع في بابه فيه تدشين لما يمكن أن يسمى أملاك الدولة التي ترصد على فقراء المسلمين تطبيقا عمليا ، تشريع مساعدة هؤلاء الفقراء على ما تلهمه الآيات .

ويتبادر لنا أن عمر رضي الله عنه اعتبر فقراء المسلمين من الفئات الثلاث بمثابة (مساكين) في معنى الكلمة الذي جاء في الحديث النبوي الذي أوردناه سابقا ، (المسكين هو الذي ليس له غنى يغنيه ولا يسأل الناس) . ويتبادر لنا كذلك أن عمر رضي الله عنه لابد من أنه لحظ جميع مصارف الفيء ، وكان ينفق على حسب ما تقتضيه المصلحة . وأن ما روى إنما كان لتطبيق مدى الآية وعدم توزيع الأرض على الفاتحين وإبقائها في مثابة الفيء والمصارفة والله تعالى أعلم .

والمستفاد من كتاب الأموال للأمام أبي عبيد أن عمر رضي الله عنه سلك في أرض الشام المفتوحة ما سلكه في أرض العراق .

قال تعالى :

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون[١١] لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون الأدبار ثم لا ينصرون[١٢] لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون[١٣] لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون[١٤] كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم[١٥] كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين[١٦] فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين[١٧] .

شرح لبعض الكلمات والجمل :

١ ـ جدر : جمع جدار : والراجح أن الكلمة هنا بمعنى السور أو الحواجز

الحجرية التي تكون حول الدور .
٢ ـ بأسهم بينهم شديد : عداواتهم فيما بينهم شديدة .
٣ ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى : تظنهم بما يكون من ظواهرهم أنهم متحدون مع أن قلوبهم متخالفة متفرقة .

شرح لمدى الآيات وتعليق عليها :

١ ـ في الآيات وصف لمشهد من مشاهد وقعة بني النضير وإجلائهم وموقف حلفائهم المنافقين في ذلك وحالة اليهود النفسية والاجتماعية .
٢ ـ ولقد حاول حلفاؤهم المنافقون تشديد عزيمتهم ووعدوهم بعدم طاعة أحد فيهم . وبالقتال إذا قوتلوا وبالخروج معهم إذا خرجوا فكذبتهم الآيات فيما قالوه ووعدوا به . وقررت أنهم حتى لو قاتلوا معهم لولوا الأدبار ولما انتصروا وأنهم كالشيطان الذي يزين للانسان الكفر ثم يتخلى عنه بعد أن يكفر يقول له إني بريء منك . وتكون عاقبة الفريقين النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين .

٣ ـ ولقد استولى الرعب على اليهود حينما حوصروا حتى صاروا يخافون المسلمين أكثر من خوفهم من الله . ولا يجرأون على مواجهتهم في الحرب . وقصارى أمرهم أن يقاتلوا وهم يتحصنون في قراهم المحصنة أو من وراء أسوارها وجدرها .
٤ ـ وأن عداوتهم لبعضهم شديدة وقلوبهم متفرقة وإن بدا في الظاهر أنهم متفقون . وأنهم في حالتهم هذه كحالة جماعة من قبلهم لم يلبثوا حين حوصروا . أن خارت عزائمهم وذاقوا شر ما صنعوا .

٥ ـ والآيات تعقيب على ما كان في ظروف حادث بني النضير وموقف اليهود والمنافقين التي أوردنا خلاصة ما ذكرته الروايات عنها قبل . ويتبادر لنا والله أعلم أن آيات السورة من مطلعها إلى آخر هذه الآيات قد نزلت بعد انتهاء الحادث تعقيبا عليه من جهة ، وتوضيحا لحالة اليهود والمنافقين من جهة ، وتشريعا لما اقتضت حكمة التنزيل تشريعه من جهة ، وتبريرا وتعليلا لكل ذلك من جهة في آن واحد .

ويتبادر لنا أن بعض الأفعال التي جاءت في صيغة المضارع أو المستقبل هي أسلوبية ولا تعني أن تكون الآيات قد نزلت قبل انتهاء الحادث والله أعلم .
٦ ـ ولقد قلنا قبل ، أن حلفاء بني النضير هم من الخزرج ، ومن قوم عبد الله أمير المنافقين . ولقد كان الجمهور الأكبر من الخزرج مخلصين مؤيدين للنبي صلى الله عليه وسلم في موقفه من اليهود ، فكان في ذلك خذل وخزى للمنافق الكبير ومن تابعه من عشيرته في نفاقه وموقفه ، وصاروا كما حكت الآيات أعجز واجبن من أن يفوا بوعدهم لليهود . وعاد تحريضهم وتثبيطهم على هؤلاء بخسارة أشد مما كان ينالهم لو لم يفعلوا .

٧ ـ ولقد قال بعض المفسرين أن الآية (١٤) في صدد اليهود والمنافقين معا . وقال بعضهم أنها في صدد اليهود . وهذا هو الأوجه فيما نرى . ولذلك صرفناها إلى اليهود فقط ، فاليهود فقط هم الذين كانوا يقيمون في قرى محصنة في ضاحية منعزلة عن مساكن العرب .

٨ ـ وفي سورة البقرة آيات تفيد أن اليهود كانوا ـ فيما بينهم ـ مختلفين متنازعين وهي الآيات ٨٤ و ٨٥ هذه :

(وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) .

والآية (٨٤) مؤيدة لذلك فيما يتبادر لنا . ولقد كان بين الأوس والخزرج خلاف ونزاع قبل الاسلام فتحالف فريق من اليهود مع هؤلاء وفريق من اليهود مع أولئك نتيجة لما كان من خلاف ونزاع فيما بينهم . ولقد أجلى النبي بني قينقاع فلم يتحرك بنو النضير وبنو قريظة لنصرتهم . وأجلى بني النضير فلم يتحرك بنو قريظة لنصرتهم مما فيه تأييد آخر من الوقائع .

ولعل المصالح والمنافع الشخصية كانت تلعب دورها فيما بينهم .

٩ ـ وحادث إجلاء بني قينقاع المذكور الذي رجحنا ان الآية (١٤) قد عنته هو أول حوادث إجلاء اليهود عن المدينة . وقد وقع بعد قليل من وقعة بدر . وكان لبني قينقاع سوق يشتغلون فيه بالصياغة والحدادة . وكانوا حلفاء للخزرجيين بزعامة زعيم المنافقين عبدالله . وصار يصدر منهم بعض مواقف منحرفة عن العهد الذي أخذه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود حينما استقر في المدينة . حيث أمنهم على حرياتهم الدينية والمدنية وأبقاهم على محالفاتهم مع الأوس والخزرج على شرط أن لا يغدروا ولا يتجسسوا ولا يخونوا المسلمين ويقوموا بما يوجبه عليهم الحلف من واجبات . فأنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروي الرواة ان آيات سورة آل عمران هذه : **(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)** ١٢ و ١٣ نزلت فيهم كما رووا أن آيات سورة الانفال هذه : **(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)** ٥٥ ـ ٥٨ نزلت فيهم أيضا .

ولقد روى أن بني قينقاع أجابوا النبي لما أنذرهم بغطرسة وقالوا له لا يغرنك ما لقيت من نجاح في بدر فقد لقيت قوما لا عهد لهم في الحرب . ولو قابلتنا لعرفت أننا نحن الناس . ولقد جاءت امرأة اعرابية إلى صائغ ليصنع لها حلية فأخذ بعض فساقهم يضايقونها ويريدونها أن تكشف مفاتنها فأبت فكشفوا عورتها بحيلة

دنيئة فصرخت « واقوماه » فجاء عربي فقتل اليهودي الذي كشف عورتها فشد اليهود عليه فقتلوه وكبر الشر . فكان هذا هو الحادث الذي جعل النبي يزحف عليهم مع جماعة من أصحابه وينذرهم بالجلاء العاجل قائلا : إنني أخاف من خيانتهم . وتدخل حليفهم زعيم المنافقين وطلب من النبي الرفق بهم ، فسايره وسمح لهم بأن يخرجوا مع أموالهم وسلاحهم .

١٠ ـ ولقد روى المفسرون روايات في معنى واحد وصيغ متعددة عن ابن عباس في صدد جملة : (**كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك**) في الآية ١٦ إنها تمثيل لشخص كان ناسكا أعيا الشيطان إضلاله فاحتال عليه حتى كسب ثقته . وعلمه اسم الله الأعظم فصار يشفي المجانين المصروعين والمرضى ، ثم خالط الشيطان فتاة جميلة حتى جنت ، فجاءوا بها إلى هذا الناسك فأعجبته ، وحينئذ استطاع الشيطان أن ينفذ إليه ويزين له مضاجعتها ثم قتلها لاخفاء جريمته ، وجاء أهلها لتفقدها فشعر الناسك بالورطة التي تورط بها ، فظهر له الشيطان وقال له إن سجدت لي أنقذك من الورطة فسجد له وحينئذ قال له إني بريء منك إني أخاف الله . وقد تكون هذه القصص مما كان يتداوله الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وعلى كل حال فالآية جاءت في معرض التمثيل والتنديد والافحام) .

والآيات وإن تكن في معرض مشهد من مشاهد السيرة النبوية فان فيها تلقينات تصل مستمد إلهام وقوة للمخلصين من المسلمين تجاه أعدائهم وتجاه المخامرين منهم مع الأعداء ، إذا هم كانوا أشداء أقوياء القلوب والعزائم والايمان . لأن الأعداء والمخامرين في هذه الحالة لن يلبثوا أن يخزيهم الله وينخذلوا إزاء مثل هذا الموقف وتظل كذلك مستمد إلهام في تفتيح مواقف المخامرين والمنافقين والمتضامنين بأي أسلوب مع الأعداء وفي عدم قبول أي عذر لهم قد يعتذرون به باسم الصداقة أو المصلحة أو المحالفة أو الواقع . وإن المصلحة العامة العليا هي التي يجب أن يكون لها الاعتبار الأول .

(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون(١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون(١٩) لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون(٢٠) .

مدى الآيات وتعليق عليها :

لم يرو المفسرون مناسبة لنزولها . والمتبادر أنها جاءت معقبة على الآيات السابقة ، التي ندد فيها بالمنافقين ومواقفهم وباليهود الكافرين ، لتوصي المؤمنين المخلصين بتقوى الله ومراقبته والتفكير فيما يقدمونه لغدهم من أعمال يجزون

عليها خيرا كانت أم شرا . ولتحذرهم من أن يكونوا مثل الذين أهملوا تقوى الله وواجباتهم نحوه وتمردوا على أوامره وانحرفوا عن جادة الحق ، فأهملهم نتيجة لذلك ولم يوفقهم إلى ما ينجي أنفسهم ، فوقعوا في شر أعمالهم وفيها تشجيع وتنويه وتطمين للمخلصين ، وتنديد وإنذار للمنافقين والكفار من أهل الكتاب موضوع الآيات السابقة .

ولقد روى ابن كثير في سياق تفسير الآية الأولى حديثا أخرجه مسلم والامام أحمد جاء فيه : « إنه جاء إلى رسول الله قوم من مضر حفاة عراة شديدي العياء فتغير وجهه لما رأى ما بهم من الفاقة فأمر بلالا فاذن وأقام الصلاة فصلى بالناس ثم خطبهم ، فقرأ آية النساء (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) ثم قرأ الآية الأولى من الآيتين ثم وقف عند جملة (**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**) وقال هو أن يتصدق الرجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة . فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ثم تتابع الناس حتى تكوم كومان من طعام وثياب فتهلل وجه رسول الله » .

حيث ينطوي في هذا الحديث الرائع كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخرج العبرة والموعظة من الآيات ويوجه الناس بهما نحو الخير والبر والتشجيع عليهما بمثل هذه القوة ؟ وكيف كان أصحاب رسول الله يسارعون في الاستجابة إبتغاء رضوان الله ورسوله رضي الله عنهم ؟

قال تعالى :

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون[٢١] هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم[٢٢] هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون[٢٣] هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم[٢٤] .

معنى بعض المفردات :

١ ـ القدوس : المبالغ في التنزه والطهارة ٢ ـ السلام : المرجو للامن والسلام .
٣ ـ المؤمن : واهب الأمن والطمأنينة . وقرنت (المؤمن) بمعنى المعتمد الذي يركن إليه ويؤمن إليه .
٤ ـ المهيمن : المراقب المسيطر على عباده .
٥ ـ الخالق : قيل أن الكلمة بمعنى المقدر لما يوجده على ما اقتضته حكمته .
٦ ـ البارىء : قيل أن معناها الموجد لما يخلقه من العدم أو المنشىء له أو المميز

لأنواعه .

مدى الآيات وتعليق عليها :

ولم يرو المفسرون رواية النزول لهذه الآيات أيضا . والمتبادر أنها استمرار للتعقيب على الآيات السابقة وبقصد تقرب كون ما في القرآن من الآيات والمعاني والحكمة والموعظة والقوة الروحانية والهداية لو نزل على جبل لخشي الله وتصدع من خشيته . وكون الذي أنزله هو الله ذو الأسماء الحسنى الذي يسبح له ما في السموات والأرض ، ويعنو كل شيء فيها لعظمته وقدرته المقدس المتنزه عن كل شائنة ، الذي لا يعزب عن علمه وأحاطته بشيء ظاهر وخفي وحاضر وغائب ، العظيم في رحمته واهب الأمن والسلام ، القوي الذي أوجد كل شيء من العدم وميز أنواعه ، الذي يفعل إلا ما فيه الحكمة ، المتعالي عن كل شريك وند . وكون ذلك كله يستوجب تأثر الناس بالقرآن وخشيتهم وخضوعهم جميعا لله اعترافا وعبادة وطاعة . وكون ذلك مما بينه الله تعالى إلى الناس لعلهم يتنبهون ويتفكرون فيما يجب عليهم نحوه ويؤدونه له . وأسلوب الآيات نافذ من شأنه أن يثير في النفس الطيبة الشعور بهيبة الله وعظمته وقوة القرآن وروحانيته . وقد انطوى فيها معنى التأنيب والتنديد للذين لا يتأثرون بالقرآن ولا يخلصون لله وهم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، الذين حذرت الآيات السابقة المؤمنين من أن يكونوا مثلهم . وقد احتوت مجموعة رائعة من أسماء الله الحسنى لم تجتمع في مجموعة قرآنية أخرى مع التنبيه على أنها وردت متفرقة في آيات متعددة .

ولقد أورد ابن كثير في سياق تفسير الآيات حديثا اخرجه الامام أحمد عن معقل ابن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الآيات الثلاث من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم ، مات شهيدا . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة » .

وفي الحديث تنويه قوي بفضل الآيات وقوة روحانيتها . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بحديثه أصحابه المؤمنين المخلصين الصالحي الأعمال ، حيث يسوغ هذا أن يقال إن الشخص الذي يعمل به ويريد أن يحصل على المنزلة المذكورة فيه لابد من أن يكون متحفظا بالايمان والاخلاص وصالح العمل في الوقت نفسه ..

ولقد أورد المفسر نفسه في سياقها أيضا حديثا عن أبي هريرة عن رسول الله جاء فيه : « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » وفي رواية « وهو وتر يحب الوتر » متفق عليه وهي : « الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ،

الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

ومما ذكره ابن كثير في صدد هذا الحديث أنه أخرج في الصحيحين من حديث سفيان بن عينه عن أبي الزناد الأعرج عنه وأن البخاري رواه عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن أبي الزناد . وأن الترمذي أخرجه في جامعه عن الجوزماني عن صفوان عن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب وقال عنه أنه حديث غريب .

وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ورد في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث . ورواه ابن حبان في صحيحه عن طريق صفوان . ورواه ابن ماجة في سننه عن طريق آخر عن موسى عن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا فسرد الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة ونقصان . ثم قال ابن كثير بعد هذا إن الذي عول عليه جماعة من الحفاظ إن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبدالملك بن محمد الصفاي عن زهير بن محمد أنه بلغه من غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك . أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينه وأبو زيد اللغوي والله أعلم .

ثم قال : « ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الامام أحمد في سننه عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الحلبي عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله انه قال : « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا . فقيل يارسول الله أفلا نتعلمها قال بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها ثم قال وذكر الفقيه الامام أبو بكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم . فالله أعلم .

في سبيل الإصلاح

اتقوا الله

سأتحدث اليك ـ أخي القاريء الكريم ـ في هذه المقالة عن موضوع دقيق وخطير ، ذلك هو موضوع «الصدق والكذب » بجميع حالاتهما ، ومختلف انواعهما ، سيما وقد استفحل شر الكذب في هذا الزمان ، وترتبت عليه نتائج سيئة ، وعواقب وخيمة ، سواء على مستوى الدول والشعوب ، أم على مستوى الافراد والجماعات .

ذلك لان كثيرا من الناس يظنون ان الكذب ليس «بالخطورة» او «القبح» اللذين يصورهما فيه الدعاة والمصلحون ، بل هو يكاد ان يكون صفة « ملازمة » للتقدم الحضاري والتكنولوجيا الحديثة ، والسياسة ، وغيرها .

فهذه دور الخيالة «السينما» بأفلامها « الخيالية» والمسارح بمسرحياتها ورواياتها غير الحقيقية ، والرائي «التلفزيون» ببرامجه المنوعة ليست كلها مبنية على الصدق ولا تخلو قصصها من الخيال والكذب . كما ان هنالك البرامج «الترفيهية» الضاحكة التي تروح عن الناس ، وتجلب لهم الفكاهة والضحك . أليست كل هذه الاجهزة من صلب «الحضارة» و«التقدم» في هذا العصر ؟!

فنحن نقول لهذا الصنف من الناس ان الكذب الذي يذكرونه في هذه الوسائل قد أدى وسيؤدي بكثير من اطفالهم وشبابهم الى تعلم « الجريمة » وانواع القتل والارهاب والاختطاف بشكل فني ومنظم .

فكم من أسر تفككت روابطها ، وزوجات طلقن ، واطفال حرموا من عطف آبائهم ، أو شردوا بسبب كذبة اطلقها كاذب ، أو وشاية وشى بها واش ، او بهتان افتراه مفتر ، قال تعالى : **(وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم)** النور/ ١٥ . وقال سبحانه : **(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)** الزمر/ ٦٠

ليست هنالك خلّة تضمن الثقة والاطمئنان بين الافراد وتكفل الامن والاستقرار للمجتمعات مثل خلة الصدق . ولاهميته ذكره الله تعالى في آيات كثيرة في محكم كتابه ، ونسَبه الى ذاته العلية فقال سبحانه : **(ومن أصدق من الله حديثا)** النساء / ٨٧

وكونوا مع الصادقين

للاستاذ
احمد حسن القضاة

وقال تعالى : (**ومن أصدق من الله قيلا**) النساء / ١٢٢ . كما رغّب فيه المؤمنين وحثّهم عليه ومدح الصادقين في كثير من آي الكتاب الحكيم ، وعلى لسان رسوله الكريم ، فقال سبحانه : (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) التوبة / ١١٩ . وقال تعالى : (**وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم**) يونس / ٢ . وقال تعالى : (**والصادقين والصادقات**) الاحزاب / ٣٥

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة) رواه الترمذي .

كما ذكر الله تعالى الكذب في آيات كثيرة ، منفّراً منه ، ومحذرا من السير في طريقه ، ومتوعدا الكذابين بما أعد لهم من الويل والعذاب الأليم . فقال عز وجل : (**ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**) البقرة / ١٠ . وقال تعالى : (**ويل يومئذ للمكذبين**) المرسلات / ١٥ .

وقد اعتبر الصدق اساسا من أسس الفضائل التي تُبنى عليها المجتمعات ، وجعل عنواناً لرقي الدول ، ومقياسا لتقدم الأمم والشعوب .

ولا غرو ان الصدق فضيلة من أجلّ الفضائل التي تتوجب على كل انسان في أي مجتمع .. فيه فوز العامل في عمله ، ونجاح الصانع في صنعته ، وربح التاجر في تجارته ، وهو توكيد

ثقة الناس بعضهم ببعض ، وغرس المحبة في قلوبهم ، وتوثيق عرى المودة والتضامن بينهم .
وما فقدت خلة الصدق إلاَّ وحل محلها عدم الثقة ، وفقدان التعاون ، ولولاه لماتت الحقائق ، وطمست الحقوق وضاعت ، وفقد الأمان ، وعاش الناس في أجواء مليئة بالقلق والاضطراب ، مفعمة بالوساوس والمخاوف والأوهام ، فيفسد نظام حياتهم ، وتنقطع روابطهم ، وينهار بنيان ثقتهم .
والصدق من ضرورات الحياة الاجتماعية لانه صفة جامعة لكل خصال الخير : فهو مِلاك الشرف ، وعنوان الدين ، ودليل المروءة ، ومظهر الشجاعة ، ومرآة الاستقامة .
ولا توجد في الصفات الفاضلة التي امتنّ الله تعالى بها على عباده صفة أجدىٰ بالاصلاح والنظام من الصدق ، ولا أفسد لها من الكذب .
لأن الكذب قلب للحقيقة ، ووضع للزيف موضع الحق . وقد كتب الله تعالى على الكاذبين الضلالة ، فقال سبحانه : (**إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب**) غافر/٢٨
وقال تعالى : (**إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**) الزمر/ ٣
ويكفي الصادق شرفاً وسعادة تعظيم الناس له واحترامهم إياه ،
وإذا اعتاد الانسان صفة الصدق وجعله وصفاً ملازما له فقد بريء من النفاق والغش والمداهنة والغدر والرياء وخلف الوعد ، لان هذه الرذائل جماعُها الكذب . وأكثر الناس
ارباب حرف وصناعات ، وصاحب الحرفة يحتاج في معاملاته وعمله الى ثقة الناس به ، والصدق يبني هذه الثقة فيحبه زبائنه ، ويُقبل على حرفته كثير من الناس . أما الكذب فيهدم ثقة الناس ويزعزعها ، فيبغضه الزبائن ولا يتعاملون معه .
ومجالات الصدق كثيرة ، وأهم أنواعه : التصديق بما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم ورسالة الاسلام . قال تعالى : (**فمن أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه**) الزمر/٣٢ . وقال تعالى : (**والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون**) الزمر/٣٣
ومنه : الصدق في المعاملات كالبيع والشراء وغيره . قال تعالى : (**ليجزي الله الصادقين بصدقهم**) الاحزاب/ ٢٤
ومنه : الوفاء بالوعد ، قال تعالى : (**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**) مريم/ ٥٤
ومنه : الأمانة : قال تعالى : (**والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون**) المؤمنون/٨
كما ان ابواب الكذب كثيرة . وأهم أنواعه : الكفر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ حيث قال تعالى : (**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه**) العنكبوت/٦٨
ومنه : الخيانة ، وهي شر أنواع الكذب . قال تعالى : (**إن الله لا يحب**

من كان خوّاناً أثيماً) النساء/١٠٧

ومنه : خلف الوعد . قال صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » رواه البخاري ومسلم .

ومنه : شهادة الزور . قال تعالى : **(فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور)** الحج/٣٠

ومنه : البهتان ، وهو الانتقام من إنسان في شرفه وعمله إذا تعذر الانتقام منه في ذاته . قال تعالى : **(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا)** الاحزاب/٥٨

ومنه : النميمة . قال تعالى : **(ولا تطع كل حلاف مهين . همَّاز مشّاء بنميم)** القلم/١٠و١١

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيم بيت في ربَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقّاً ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » رواه أبو داود .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلّا حقاً . ورُب كلمة كاذبة يلقيها الرجل مازحاً يكون من ورائها شر عظيم . ولقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن أيكون بخيلا أو جبانا ؟ فقال : نعم . أما حين سئل عليه الصلاة والسلام : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال صلى الله عليه وسلم جازماً : لا .

وقال الامام علي رضي الله عنه : « قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكذاب باحتياله »

لكنّ هنالك حالات « **استثنائية خاصة** » قد يكون فيها الكذب ضروريا ، كحالة : إذا وقع المسلم أسيرا بيد الأعداء وطُلب إليه أن يدل على عدد جيش المسلمين ، أو على مواقعه ، أو أماكن مستودعات ذخيرته وأسلحته ، أو نوع تسليحه ، فعليه أن يخدع الأعداء ، ويكذب عليهم ، ويعطيهم أرقاماً ومعلومات كاذبة ، فذلك من ضرورات الحرب مع الأعداء .

وحالة : الاصلاح بين المتخاصمين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً » رواه البخاري .

وحالة : الكذب على الزوجة - أحيانا - لكسب ودّها .

فيا أيها المسلم :

لا تقل ما لا تعلم ، ولا تنطق بأكثر مما تعرف ، ولا تكذب ، ولا تمزح إلّا صدقاً ، ولا تسكت على كاذب وأنت متيقن أنه كاذب .

واضْبط لسانك ، وعوّده قول الحق والصدق ، فان اللسان وراء كل مشكلة من مشاكل الحياة ، للفرد والمجتمع ، وهو السبب فيما يعانيه معظم الناس من متاعب وآلام .

قال صلى الله عليه وسلم في نهاية حديث طويل : « ... وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم « أو قال على مناخرهم » إلا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذي .



السمات العامة للفقه الاسلامي

للدكتور / احمد الحجي الكردي

للفقه الاسلامي سمات عامة تجعله فقها صالحا لحل مشاكل الحياة ، وتنظيم العلاقات الناشئة بين البشر ، على اختلاف السنتهم ، وألوانهم ، وبيئاتهم ، وعصورهم ، تنظيما يوفر العدالة بينهم ، ويؤمن لهم مصالحهم جميعا ، على احسن وجه ممكن ، مما يجعل الحياة الانسانية التي يعيشونها روضة فينانة ، يرتعون في احضانها ، ويمرحون في جنباتها ، ويجتنون ثمارها ، ويتمتعون

برياحينها ، ما داموا مطبقين له ، منفذين لأحكامه ، محتكمين اليه ، ولم لا ؟ فانه شرع الله تعالى الخالق للحياة ، العالم بأسرار الكون ، المحب للعالمين ما داموا ربانيين صالحين ، انه شرع الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، الذي يعلم ما كان وما سيكون ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو اللطيف الخبير .
وأنى لشرع وضعي أن يدانيه ، وهو من وضع بشر ، لم يؤتوا من العلم الا قليلا ، يجهلون ما سيكون ، وينسون كثيرا مما كان ، ويتأثرون بعواطفهم مهما تساموا فوقها ، ويندفعون بميولهم مهما حاولوا الترفع فيها ، ولقد اثبتت التجارب ذلك ، فانه ما من قانون يظهر الا وتجد الحاجة ماسة بعد فترة قصيرة جدا الى تعديله ، وربما الى الغائه ، هذا الى جانب ما قد يجره هذا القانون على الكثيرين من الناس من اضرار ، ربما كانت تساوي المصالح التي حققها لهم او تزيد عليها في بعض الاحيان ، ومن ذلك على سبيل المثال النظم والقوانين الشيوعية التي اصدرتها السلطات الشيوعية في روسيا عقب الثورة الشيوعية في عام ١٩١٧/م ، فانها ما كانت تصدر قانونا الا وتعقبه بتعديلات كثيرة ، وربما الغاء كامل ، حتى غدت هذه القوانين كلها اليوم ملغاة تقريبا ، بل ان هنالك حملة واسعة للتشهير بالكثير منها من مصدريها انفسهم .

كما اثبتت التجارب ايضا قبل ذلك ما وصل اليه المسلمون من حضارة رائعة ورفاه شامل ، كانا مضرب الأمثال في العالم كله ، وذلك عندما كانوا يحتكمون الى الشريعة الاسلامية وحدها ، مما جعل رقعة كبيرة من العالم في ذلك الوقت تفتح صدرها لامتداد دولتهم ، والانضواء تحت حكمهم وإمرتهم ، توخيا للعدالة التي ينعمون بها ، والحضارة التي يعيشون في كنفها ، وذلك دونما حرب او قتال ، وان كانت الحرب تفرض نفسها احيانا عليهم ، فما ذلك الا لازالة تلك الرءوس العفنة ، المستهترة التي كانت تحكم الشعوب المستضعفة رغما عنها ، لتستغل عرقهم وتسخرهم في مصالحها ، والا فمن يستطيع ان يفسر امتداد الدولة الاسلامية الصغيرة الضعيفة الفقيرة الى الصين والهند شرقا ، والى فرنسا غربا ، في اقل من مئة عام ، لولا معرفة السر الذي مكنها من ذلك ، وهو انفتاح القلوب لها ، وتعلق الشعوب بها ، ودينونتهم بمبادئها ، ومثلها وشرعها .

ثم ان هذه الدولة الطويلة العريضة انحسرت عن بعض المناطق التي كانت تحكمها ، والشعوب التي كانت تنضوي تحت لوائها ، لظروف كثيرة لا يتسع المجال هنا للبحث فيها ، الا انها بكل تأكيد ليست عدم صلاحية تشريعها ، ومع ذلك فان الاسلام لا زال قابعا في تلك البقاع ، وساكنا في صدور تلك الشعوب ، على

الرغم من المعوقات الكثيرة ، والضغوط الشديدة ، والحروب المعلنة وغير المعلنة ، في الميادين العسكرية ، والثقافية ، وغيرها ، ضده .

فهذه الهند يزيد المسلمون فيها على خمسين مليونا ، وهذه يوغوسلافيا ، وبلغاريا ، واسبانيا ، وقفقاسيا ، وبخارى ، وسمرقند ، وغيرها من الدول والشعوب ، فالمسلمون فيها كثيرون ، وهم محبون لإسلامهم ، ملتزمون ومتعلقون به . فما الذي جعل هذه الشعوب ـ بعد انحسار الدولة الاسلامية عن سمائها ـ تبقى وفية لإسلامها ، محبة له متمسكة به ، رغم كل الضغوط والحروب التي شنت ضدها ، لولا ايمانها بعدالة هذا الاسلام ، وانه الدين الحق ، والشرع الحكيم ، والصراط المستقيم .

وان السمات العامة التي تتصف بها الشريعة الاسلامية تميزها عن سائر الشرائع الأخرى وتحلها محل الصدارة منها جميعا ، وذلك راجع في جملته الى امرين عامين اثنين اشتملت الشريعة الاسلامية عليهما ، وهما :

أ ـ انها شريعة سماوية ، ووحي من الله تعالى ، الذي يعلم السر وأخفى ، ويعلم الغيب كله ، وهذا ما يميزها عن وضع البشر الذين ان رقت بهم ملكاتهم ، وتجردت بهم شهواتهم ، وسمت بهم ميولهم ، فهم لا يعلمون الا اليوم الذي هم فيه ، وربما ذكروا اليوم الذي فات او بعضه ، ولكنهم عن علم ما في غد عمون بكل تأكيد ، والذين قال الله تعالى فيهم : **(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** الاسراء/ ٨٥

ب ـ انها خاتمة شرائع السماء ، وآخر وحي الله تعالى الى عباده ، وهذا ما يميزها عن سائر شرائع الله تعالى الأخرى بالاكتمال والشمول .. وما اليه مما سوف يأتي ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : **(اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة/ ٣

هذا وان البحث في السمات العامة للشريعة الاسلامية بحث شائك ومعقد ، وصعب وطويل ، ذلك ان السمات العامة لأي تشريع هي الخطوط العريضة التي يسير فيها ، والصفات العامة التي يتحلى بها ، ولا يمكن لأي باحث ان يصل الى ذلك الا اذا استقرأ الفروع كلها ، والأحكام الجزئية جميعا ، وان كل من عرف التشريع الاسلامي ، ودرسه ، واطلع على بعض فروعه ، وتخصص فيه ، علم سعته وشموله ، وأدرك صعوبة استقرائه ، وتفحصه ، وتحليله ، وقد قال بعض السلف : « عجبت لفقيه تفقه في الحنفية في اربعين سنة » ، والحنفية هي احد مذاهب هذه الشريعة ، فانىَّ لمثلي ان يدعي الاحاطة بهذا التشريع ـ بعد ذلك ـ ولم يؤت من العلم الا قليلا ، فان كان لا بد من بذل الجهد ، فانني سوف اقدم دراسات تلقي الضوء على بعض من سمات هذه الشريعة الغراء ، مدعمة بالأمثلة والشواهد ، من غير دعوى استقصاء أو شمول لكل السمات العامة للتشريع الاسلامي .

ومن هذه السمات العامة : ١ ـ العموم والخلود :

فالشريعة الاسلامية شريعة عامة لجميع البشر ، على اختلاف اشكالهم ،

وأجناسهم ، وألوانهم ، ولغاتهم ، وعاداتهم ، وأعرافهم ، وليست خاصة بقوم دون قوم ، او شعب دون شعب ، او امة دون امة ، وذلك مصداقا لقوله تعالى بصيغة الحصر : (**وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء/١٠٧ وقوله تعالى : (**وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) سبأ/٢٨ ، كما انها شاملة لكل العصور من يوم بعث الله بها محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ، خالدة ما دامت هذه الأرض ، لا تقبل النسخ ، ولا الإلغاء ، ولا التغيير ، ولا التعديل ، ولا الايقاف الى أمد معين ، ولا التعطيل لظرف من الظروف ، وان كل محاولة من هذه المحاولات ما هي الا خروج عن كنهها ، وعدول عنها ، وكفر بها ، وقد جاءت بذلك الآيات الكريمة الكثيرة ، من ذلك قوله تعالى : (**لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**) يونس/٦٤ ، وقوله تعالى : (**ولا مبدل لكلمات الله**) الانعام/٣٤ ، وقوله سبحانه : (**لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم**) الانعام/١١٥ وقوله تعالى : (**وأتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا**) الكهف/٢٧ وقوله جل من قائل : (**ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون**) المائدة/٤٤ وقوله تعالى : (**والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**) الرعد/٤١

وان هذه الصفة لتميز الشريعة الاسلامية عن جميع الشرائع الأخرى ، السماوية منها والوضعية .

فان شرائع السماء السابقة على الاسلام كلها شرائع موقوتة بزمن معين ، وبأقوام معينين ، لا تغادرهم ، ولا تفرض على سواهم .

فاليهودية والمسيحية مثلا كانتا في بني اسرائيل ، ولا الزام فيهما على غيرهم حين نزولهما ، كما انهما لا الزام فيهما على احد بعد وفاة سيدنا موسى ، ورفع سيدنا عيسى الى السماء عليهما السلام ، وذلك ما اعرب عنه النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه الشريف حيث قال : « **وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى كل احمر وأسود** » ، وفي رواية « **وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة** » اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

كما ان الشرائع الوضعية جميعا هي شرائع محلية ، ولا الزام فيها على غير الأمة التي ارتضتها لنفسها ، وقبلت بالانصياع لها ، كما انها موقوتة بالمصالح التي وضعت وفقا لها ، تدوم بدوامها وتعدل وتلغى وفقا لتغيرها وزوالها .

ثم ان ميزة الخلود هذه ميزة كبرى للشريعة الاسلامية ، وذات اثر بالغ في استقرار المعاملات بين الناس ، وارساء معالم الطمأنينة فيهم على مستقبل علاقاتهم المالية والاجتماعية ... ذلك انهم واثقون مسبقا وعالمون علما يقينا بالاحكام التي سوف تحكم بها علاقاتهم بعضهم مع بعض ، وان هذه الاحكام ثابتة لا تقبل التغير في اي حال من الاحوال ، ما دام ظل الدولة الاسلامية هو المرفرف فوق رؤوسهم .

وهذه الميزة مما تفتقده كل التشريعات الوضعية ، لتعرضها للتغير والتبدل على يد واضعها ، وربما على يد غيره اذا ما تغيرت ظروف معينة ، وهو ما يسبب ارباكا في المعاملات ، وشللا لحركتها بين الناس ، وهذا امر لا يحتاج الى مزيد ايضاح وتفصيل ، وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي كثرت فيه اكثر من غيره التبدلات السريعة ، والتغيرات المفاجئة ، حتى القيم والمبادىء التي كنا نظن انها غير قابلة للتغيير اصلا لاتفاق سائر الناس عليها اصبحت اليوم عرضة للتغيير بل للنسخ كليا

وأخيرا فان تحقيق هذه الميزة الكبرى للشريعة الاسلامية اقتضى تضمنها ميزات اخرى ، وسمات عامة متعددة ، كالمرونة في الأحكام ، والموضوعية ، والعناية بالكليات دون الجزئيات ، وما الى ذلك مما سوف نشير اليه .

٢) الشمول :

إن الشريعة الاسلامية شاملة لكل مناحي الحياة ، ومنظمة لكل العلاقات الناشئة بين البشر بعضهم مع بعض ، افرادا وجماعات ، وفوق ذلك فهي منظمة لعلاقات الانسان بخالقه سبحانه ، من ناحيتيها الفكرية والعملية .

ذلك ان الشريعة الاسلامية شاملة لقضايا العقيدة والعبادة ، ومنظمة لها على اسس عقلية وعملية قويمة ، وهي محتوية على كافة التنظيمات والأحكام المدبرة لأمور المعاملات ، والأحوال الشخصية ، والجنايات ، وأحكام السلم والحرب .. وما الى ذلك .

وفوق ذلك كله فهي تحتوي على تنظيم كامل للأخلاق والقيم ، والمثل العليا ، واسس التعاون والاجتماع بين الأفراد ، وبين الشعوب والأمم ، كما تحتوي على قواعد حكيمة لتربية الذوق والوجدان ، وتهذيب الضمير وارهاف الحس ، وتنمية روح مراقبة النفس والتصرفات ، والمثال على ذلك قول الله تبارك وتعالى : **(ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)** المجادلة/٧

وقد عير اعرابي مرة أحد الصحابة ـ رضوان الله عليه ـ فقال له : أحقا ما سمعناه من ان نبيكم يعلمكم طريقة الدخول الى الخلاء ، وطريقة الخروج منه ؟ فأجاب الصحابي ـ رضي الله تعالى عنه ـ بقوله : نعم ، انه يعلمنا كل شيء حتى هذا (اخرجه بمعناه مسلم والترمذي عن سلمان الفارسي) ، وصدق الله تعالى حيث يقول في آخر ما انزل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن الكريم : **(اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** .

وهذه الميزة الكبرى هي مما تمتاز به الشريعة الاسلامية على كل شرائع الأرض الأخرى السماوية منها والوضعية .

ذلك ان الشرائع السماوية السابقة على الاسلام هي شرائع ضيقة ومحدودة ، لانها أنزلت تلبية لحاجات موقوتة ، ولأقوام معينين محدودين ، على خلاف الشريعة الاسلامية العامة الخالدة ـ كما تقدم ـ .

وكذلك الشرائع الوضعية ، فانها جميعا خلو من القواعد الناظمة للاخلاق ، والمربية للذوق والحس والوجدان ، بل انها تقوم اصلا على اسس استبعاد ذلك من نطاقها . كما ان الشرائع الوضعية تقوم على اساس فصل امور العقيدة والعبادة عن امور الحياة والمعيشة ، على النقيض تماما من الشريعة الاسلامية .

والأمثلة على شمول الشريعة الاسلامية كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال :

أ ـ في امور العقيدة :

اولا) قول الله تعالى : (**قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد**) سورة الاخلاص

ثانيا) وقول الله تعالى : (**هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم**) الحشر/٢٢

ثالثا) وقوله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) البقرة/٢٥٦

ب ـ وفي امور العبادة :

اولا) قول الله تعالى : (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**) البقرة/٤٣

ثانيا) وقوله تعالى (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**)البقرة/١٨٣ .

ثالثا) وقوله سبحانه : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**) آل عمران/ ٩٧ .

ج ـ وفي أمور الأخلاق وتربية الذوق :

اولا : قول الله تعالى : (**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**) التوبة/ ٢٤ .

ثانيا) وقوله تعالى : (**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**)

(ثالثا) وقوله تعالى : (**ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**) النور/ ٥٨ .

رابعا) وقوله تعالى : (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما**) الاسراء/ ٢٣ .

د ـ وفي أمور الاحوال الشخصية :

اولا) قول الله تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .
ثانيا) وقوله تعالى : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير**) البقرة/ ٢٣٣ .
ثالثا) وقوله تعالى : (**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعولوا**) النساء/ ٣ .
رابعا) وقوله تعالى : (**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا**) النساء/ ٧ .

هـ ـ وفي المعاملات المالية والتجارية :

اولا) قول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد**) المائدة/ ١
ثانيا) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**) النساء/ ٢٩ .
ثالثا) قوله تعالى : (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**) البقرة/ ٢٧٥ .
رابعا) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**) البقرة/ ٢٨٢ .

و ـ وفي الأمور الجنائية :

اولا) قوله تعالى : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**) الاسراء/ ٣٣ .
ثانيا) : قوله تعالى : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**) النور/ ٢ .
ثالثا) وقوله سبحانه : (**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**) المائدة/ ٣٨ .
رابعا) وقوله تعالى : (**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون**) النور/ ٤ .

ز ـ وفي أمور حماية الأمن العام ، والأخلاق والمثل العامة :

اولا) : قول الله تعالى : (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**) المائدة/ ٣٣ .
ثانيا) وقوله تعالى : (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) آل عمران/ ١٠٤ .
ثالثا) وقوله تعالى : (**ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين**) الأعراف/ ٨٥ .

ح ـ وفي الأمور الدستورية :

أولا) قول الله تعالى : (**فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**) آل عمران/ ١٥٩ .
ثانيا) وقوله تعالى : (**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**) النساء/ ١١٥ .
ثالثا) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/ ٥٩ .
رابعا) وقوله تعالى : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم**

لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء/ ٦٥ .

ط ـ وفي العلاقات الدولية :

اولا) قول الله تعالى : **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)** التوبة/ ٦ .
ثانيا) وقوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)** البقرة/ ٢٠٨ .
ثالثا) وقوله تعالى : **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)** الأنفال/ ٦١ .
رابعاً) وقوله تعالى : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)** الممتحنة/ ٨ .

٣ ـ اليسر والسهولة

ومن خصائص التشريع الاسلامي الاتجاه دائما نحو التيسير والتسهيل ورفع الحرج في الاحكام والتكليفات ، فلا تكليف الا بما يطاق ، بل لا تكليف بما فيه حرج ـ مشقة شديدة ـ وان كان في حدود الطاقة في الجملة ، وأصدق مثال على ذلك قول الله تعالى في الصوم : **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** البقرة/ ١٨٤ وقوله سبحانه : **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/ ٧٨ وقوله جل من قائل : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** البقرة/ ٢٨٦ .
وقد شمل التيسير في الاسلام كل الأحكام ، وجميع التكليفات ، وسائر الميادين ، ان في نطاق المعاملات ، أو العبادات ، أو الأحوال الشخصية ، أو العقوبات .. والأمثلة على ذلك متعددة وكثيرة ، منها :

أ ـ فاما في العبادات :

اولا) قصر الصلاة الرباعية الى ركعتين للمسافر مسافة السفر ، واباحة الفطر في رمضان له .
ثانيا) اباحة الصلاة قاعدا للمريض العاجز عن القيام فيها .
ثالثا) اباحة التيمم بالتراب لمن لم يجد الماء أصلا ، أوكان الماء بعيدا عنه ، اوكان ممنوعا من استعماله لمرض أو عدو ..
رابعا) طهارة الثوب المتنجس تتم بغسله بالماء العادي ولا حاجة الى قصه كما كان الأمر لدى بعض الأمم الأخرى .

ب ـ واما في المعاملات

اولا) اباحة الشروط الجعلية العقدية « على خلاف بين الفقهاء في حدود هذه الاباحة سعة وضيقا » .
ثانيا) ربط العقود بالرضائية وحدها ، دون التفات الى الشكليات ، فيما عدا عقد الزواج الذي يشترط لصحته الاشهاد لمعنى خاص فيه .

جـ ـ وفي الجنايات

اولا) منع العقوبة بالقصاص عن القاتل خطأ ، وايجاب الدية مفرقة على عاقلة القاتل خطأ ، وايجاب الكفارة عليه وحده .
ثانيا) منع التمثيل بالمجرم في كل الأحوال ، دون استثناء .
ثالثا) الوصية بالاحسان الى كل الناس ، والى المجرمين المحكومين بالموت خاصة ، وذلك وفقا لقوله تعالى : (**ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل**) الاسراء/ ٣٣ ، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .
رابعا) أوجب في اثبات بعض الجرائم الكبرى شهادة أربعة شهود عدول ذكور ، ولم يقبل في اثباتها بما دون ذلك من العدد ، كالزنا .
خامسا) أوجب درء الحدود بالشبهات ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ادرؤوا الحدود عن المسلمين بالشبهات ما استطعتم ، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فان الامام ان يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة » أخرجه الترمذي .

د ـ وفي الأحوال الشخصية

اولا) جعل نفقة الزوجة على الزوج بحسب حال الزوج عسرا ويسرا ، ولم يكلف الزوج بأكثر من ذلك ، مصداقا لقوله تعالى : (**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها**) الطلاق/ ٧ .
ثانيا) اباح انهاء الحياة الزوجية الفاشلة بالطلاق أو الفسخ او التفريق ، ولم يوقع البينونة الكبرى بين الزوجين بأقل من ثلاث طلقات ، مصداقا لقوله سبحانه : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان**) البقرة/ ٢٢٩ .
ثالثا) عدم ايقاع طلاق المكره ، والمدهوش ، والسكران ، والمجنون .. « على خلاف بين الفقهاء في تفصيل ذلك وشروطه » .
رابعا) وجوب نفقة الفقير العاجز من أفراد الأسرة على باقي الأفراد الأغنياء فيها

وجعل ذلك حقا مكتسبا لا منة فيه ، يطالب به قضاء ، مصداقا لقوله تعالى : **(والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم)** المعارج/ ٢٤ و ٢٥ . فان لم يكن له أقرباء ميسورون ففي بيت مال المسلمين .

خامسا) وجوب نفقة الولد الفقير على والده مطلقا حتى يستغنى عنه بكسبه أو ماله ، أو يبلغ الرشد ، واعتبار ذلك نفقة كفاية لاكفاف .

هـ - وفي ميدان السلم والحرب

اولا) اباح الله تعالى للمجاهدين أكل الغنائم واقتسامها بينهم على نحو بينه القرآن الكريم بقوله تعالى : **(واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)** الانفال/ ٤١ وقوله سبحانه : **(فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم)** الانفال/ ٦٩ .

وهذا الحكم فيه تيسير على الأمة الاسلامية بعد أن كان الأمر مشددا من الله تعالى على الأمم السابقة ، حيث لا يجوز لهم أكل الغنائم ، ولكن اتلافها لا غير ، وقد ثبت في ذلك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي » وذكر منها : « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

ثانيا) وأباح الله استرقاق الاسرى اذا لم تلجىء الضرورة الى قتلهم ، كما أباح اطلاق سراحهم بالمال أو بأسرى المسلمين ، أو المن عليهم بلا مقابل ، اذا رأى أمير المؤمنين مصلحة غالبة في ذلك .

ثالثا) وأباح عقد المعاهدات مع الأعداء إذا كانت مصلحة المسلمين تفرض ذلك .

و - وفي سور الامن العام

اولا : قبل توبة المحاربين الخارجين على النظام اذا كانت قبل القبض عليهم ورفع الحد عنهم بذلك .

ثانيا) قبل الجزية من أهل الذمة ، ولم يجبرهم على الدخول في الاسلام اذا أبوا الدخول فيه . وذلك كله على خلاف الكثير من التشريعات السماوية والوضعية الأخرى التي تتشدد فيما تسامح الاسلام فيه .

فاليهودية مثلا تفرض على من ارتكب ذنبا كبيرا او كفر بالله تعالى ثم اراد التوبة مما وقع فيه من الذنب ان يقتل نفسه ، ولا يقبل منه ما دون ذلك ، مصداقا لقوله تعالى : **(فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم)** البقرة/ ٥٤ ، اما الاسلام فانه يكتفي في قبول التوبة من العاصي بالاقلاع عن الذنب ، والندم عليه ، والعزم على

عدم العود اليه ، وتعويض المضرور عن ضرره منه ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : **(فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)** النصر/٣ وقوله تعالى : **(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات)** الشورى/ ٢٥ . وقوله تعالى : **(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)** آل عمران/١٣٥ و ١٣٦ .

وفي اليهودية أيضا أن من تنجس ثوبه بنجاسة وجب عليه لتطهيره قص المكان المتنجس منه ولا يطهر ثوبه بغير ذلك ، أما الاسلام فانه يكتفي لطهارة الثوب المتنجس بغسله بالماء حتى يزول أثر النجاسة منه ، ولا يفرض ما فوق ذلك .

وكذلك المسيحية فانها تفرض على من ضرب أو ظلم أن يسامح خصمه الذي آذاه « من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الايسر » وفي ذلك الفرض من الصعوبة على النفس الانسانية العادية ما فيه ، أما الاسلام فقد أذن لمن ظلم أن يطالب بحقه من ظالمه ، مصداقا لقوله تعالى : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** البقرة/ ١٩٤ إلا ان القرآن الى جانب ذلك ندب الى العفو عن المعتدي من غير فرض ، فقال تعالى : **(وان تعفوا أقرب للتقوى)** البقرة/ ٢٣٧ .

هذا وقد تعددت طرق التيسير والتسهيل في الشريعة الاسلامية ، وذلك بحسب الحاجة ومقتضيات الحال .

فهي أحيانا تكون بانقاص التكليف عمن لا يطيقه ، أو يطيقه ولكن بشقة كبيرة ، كقصر الصلاة الرباعية الى ركعتين في السفر .

وهي في أحيان اخرى بإبدال التكليف بتكليف آخر أخف منه وذلك عندما يغدو التكليف الأول مرهقا وشاقا ، مثل التيمم عند انعدام الماء ، او بعده ، او العجز عن استعماله لمرض او غيره .

وهي في بعض الاحوال بتقديم التكليف عن موعده أو تأخيره عنه ، عندما يكون التكليف مؤقتا وتعلقت المشقة به ، كما في جمع الصلاتين في عرفة ومزدلفة ، وجمع الصلاة للمسافر ، وتأخير وجوب اداء الصوم للحائض الى ما بعد الطهر منه .

وقد يكون التيسير بتغيير التكليف كليا اذا لم يحقق السهولة واليسر في تنفيذه غيره ، كما في صلاة الخوف .

وربما كان التيسير برفع التكليف اصلا ، والاعفاء منه بالكلية ، عندما لا يكون هناك طريق لرفع المشقة في تطبيقه غير ذلك ، كما في إعفاء الحائض من الصلاة بالكلية ، وكذلك النفساء ، واعفاء الفقير من الحج .

واخيرا قد يكون التيسير بإباحة المحرم والممنوع ، وذلك عندما تكون الضرورة ملجئة اليه ، كأكل الميتة ، وشرب الخمر ، لمن خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع والعطش ولا شيء لديه غيرهما مما يدفع به الهلاك عن نفسه .

أ ـ توفير المصالح الحقيقية لكل الناس قدر الامكان

المصلحة مطلب المشرعين جميعا وهي الهدف الاسمى والاعلى في كل شرائع الارض ، السماوية منها والوضعية ، الا ان المصلحة أمر نسبي وليس مطلقا ، يختلف من حالة الى حالة ، ومن شيء الى شيء ، ومن زمان الى آخر ، ومن مكان الى مكان آخر ، وما من شيء فيه مصلحة الا فيه ـ في الغالب ـ مضرة ، وما من شيء مضر الاو وفيه ـ في الغالب ـ مصلحة الى جانب تلك المضرة ، ولهذا فان المشرعين الوضعيين لا بد لهم من أن يختلفوا فيما بينهم على ما هو مصلحة غالبة ، ذلك أنهم بشر متأثرون لا محالة بعواطفهم ، وعاداتهم وثقافاتهم ... فما يراه بعضهم مصلحة قد يراه غيرهم مضرة ، والعكس بالعكس ، هذا اذا ما ترفعوا فوق مصالحهم الشخصية الرخيصة الموقوتة ، وقليل من البشر من يستطيع ذلك ، فاذا لم يستطيعوا الترفع عن ذلك انقلب الامر الى فوضى ، ضاعت فيها الحقوق ، وعمت فيها المظالم .. باسم القانون ، وباسم العدالة ، وباسم الشريعة ، وأكبر مثال على ذلك التناقضات التي تسود العالم اليوم ، فما يعتبره الشرق عدلا يعتبره الغرب جوراً ، وما يعتبره الغرب عدلا يعتبره الشرق ظلما ، وهكذا دواليك .

لكن الشريعة الاسلامية ـ شريعة الله تعالى المحب للبشر جميعا على سواء ، العالم بأسرارهم وخفاياهم ، العالم بالماضي والحاضر والمستقبل ، العالم بحقائق الأمور ودقائقها ، لا بد وان يكون أمره ، بما هو مصلحة غالبة لكل بني البشر على سواء ، ولا بد وأن يكون نهيه عما هو مفسدة غالبة لكل بني البشر على سواء ، وذلك بموضوعية بعيداً عن التأثر بأهواء البشر ، ومصالح البشر ، وقصر نظر البشر ، وقلة علم البشر .

هذا الى جانب ان المصالح قد تتناسق جميعا فتكون مراعاتها كلها ممكنة ، وربما تناقضت واختلفت فكان لا بد من مراعاة الاهم منها على حساب الأقل أهمية ، والاكبر منها على حساب الأصغر ، وكان لا بد لذلك من وضع قاعدة ومبدأ وجدول تتدرج المصالح فيه وفق قوتها وكبرها ، حتى اذا ما اختلفت وتنافرت قدم بعضها على بعض على وفقه ، دون اختلاف او اختلال .

ثم انه لا بد لهذا الجدول من ان يكون قائما على اساس موضوعي ، بعيد عن الأهواء الخاصة والمصالح الشخصية الموقوتة ، والنظرات العجلى العابرة العابثة ، وهو ما لا يستطيعه أيضا الا خالق البشر ، رب العالمين ، لما تقدم من الأسباب .

وقد جاءت الشريعة الاسلامية في ذلك بمبدأ دقيق قسم المصالح التي هي مناط الأحكام والتكليفات من حيث قوتها وأهميتها الى ثلاثة أقسام : الى ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية ، ثم قسم كلا من هذه الاقسام الثلاثة الى قسمين : عامة وخاصة ، فكانت بذلك ستة أقسام مقدم بعضها على بعض عند التعارض على وفق

الترتيب الآتي :

١ ـ المصالح الضرورية العامة . ٢ ـ المصالح الضرورية الخاصة .
٣ ـ المصالح الحاجية العامة . ٤ ـ المصالح الحاجية الخاصة .
٥ ـ المصالح التحسينية العامة . ٦ ـ المصالح التحسينية الخاصة

فاذا ما تساوت جميعا روعيت كلها ، واذا ما تعارضت وتناقضت ولم يمكن الجمع بينها روعي الأهم منها على حساب المهم مما هو دونه ، واليكم أمثلة تطبيقية على ذلك :

أ ـ رجل في طائرة ، عطش عطشا شديدا خاف على نفسه منه الهلاك ، ولم يجد ما يدفع به الهلاك عن نفسه الا كوبا من الماء مع زميل له في الطائرة ، وكان مستغنيا عنه ، فهل له أخذه منه ؟ والجواب ان الزميل اذا رضي ببذله له جاز أخذه منه ، تحقيقا لمصلحة انقاذ حياته التي لم يعارضها أي مصلحة أخرى ، فاذا امتنع عن دفعه له الا بثمنه ، وكان الثمن متوفرا لديه ، وجب أن يأخذه بثمنه جمعا بين المصلحتين ، مصلحته هو في انقاذ نفسه ، ومصلحة صاحب الماء في احترام ملكيته له .

فاذا أبى صاحب الماء دفعه اليه مطلقا ، أو لم يكن لدى العطشان اي ثمن ، كان التناقض واضحا ومفروضا بين مصلحتي احياء نفس العطشان ، وحماية ملكية صاحب الماء ، الا ان الأولى ضرورية ، والثانية حاجية هنا ، فتقدم الأولى على الثانية ، ويحكم بحل أخذ الماء جبرا عن مالكه في هذه الحال ، الا أن على الآخذ أن يعوض صاحب الماء عنه بمثله أو قيمته عندما يقدر على ذلك ، للقاعدة الكلية : « الضرورات تقدر بقدرها » .

ب ـ شارع ضاق بالمارة حتى عسر عليهم المرور فيه ولم يمكن توسيعه الا على حساب أرض مجاورة له يملكها بعض الناس ، فهل يجوز لولي الأمر أخذ هذه الأرض لتوسيع الشارع ؟

والجواب : ان له ذلك ان رضي صاحب الأرض ، لعدم التعارض بين أي من المصالح ، وكذلك اذا لم يرض صاحب الأرض تقديما للمصلحة الحاجية العامة في توسيع الشارع على المصلحة الحاجية الخاصة في حماية ملكية صاحب الأرض ، وهكذا ..

ه ـ العمق والاحاطة :

الهدف العام لكل تشريع هو تنظيم علاقات الناس ، وحل مشاكلهم ، بما يوفر العدالة بينهم ، ويقيم الحق في ربوعهم ، ويؤمن اليسر والسهولة في تصرفاتهم .

الا ان مشاكل الناس وعلاقاتهم في كثير من الاحيان ، بل في أكثر الأحيان ، ذات تعقيد وتشابك ، وربما أدى حل مرتجل لها الى تعقيدها ، وزيادة تشابكها ، مما يعود عليها بالنقض ، وربما ادى الأمر في النهاية الى استحالة حلها أصلاً ، فلا

غنى عندئذ عن الحل العميق القائم على دراسة واعية مستفيضة لظروف الحادثة وأبعادها وأسبابها القريبة والبعيدة ، وجذورها ، بموضوعية ، بعيدا عن التأثر بفكرة سابقة ، وحلول مقدرة مبتسرة .

وان للتشريع الاسلامي قصب السبق في هذا المضمار ، ولم لا ؟ وهو تشريع الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، وسوف أضرب لذلك **مثالين** :

اولهما) مشكلة قامت لبعض الوقت في عالمنا العربي ، وسعت سلطات كثيرة لحلها يومها فزادتها تعقيدا ، ولم تصل الى حل مناسب لها ، وهي مشكلة « آثار البطالة » .

فقد جاءت فترة ساد فيها ركود اقتصادي كبير ، وعزمت مؤسسات انتاجية كثيرة على الحد من نشاطها ، وتسريح عدد من عمالها ومستخدميها ، وكان في عزمها هذا ضرر كبير بالعمال الذين يحصلون على قوتهم الضروري من دخلهم منها يوما بيوم ، ؛ فأين يذهبون ، ومن أين يقتاتون لو سرحوا منها ؟ وهم الى أن يجدوا عملا جديدا يقتاتون منه ـ ان وجدوا ـ لا بد وان يقضوا فترة من الوقت بدون عمل ... وتفاقمت هذه المشكلة وبدأت تهدد بخطر مستطير ، مما دعا السلطات الى دراستها ومعالجتها ورسم الحلول لها ، الا ان بعض هذه الحلول لم يكن فيه من العمق ما يكفي لاعطائها حجمها وأبعادها بدقة ، فكان في هذا الحل مزيد تعقيد لها ، مما نتج عنه مشكلات أخرى لم تكن في الحسبان ، وكنا في غنى عنها ، ذلك أنهم رأوا معالجتها عن طريق إلزام صاحب العمل بتعويض لعامله المسرح يتناسب ومدة خدمته في معمله أو مؤسسته ، على تقدير ان هذا التعويض سوف يسد حاجة العامل الى أن يجد له عملا آخر يعيش منه .

والذي انتهى اليه الأمر أن هذا العامل كان يستهلك في كثير من الأحيان تعويضه هذا في أمور هي أقرب الى الكماليات منها الى الضروريات التي هو بحاجة ماسة اليها ، من غير بحث عن عمل آخر مركونا الى المبلغ الكبير الذي تحصل له مما لم يعتد الحصول عليه من قبل ، حتى إذا ما فوجىء بنفاد ما عنده من المال أسقط في يده ، وعاد على نفسه بالحسرة ، وعلي عياله باللوعة والحاجة والفاقة ، ثم ان هذا الحل قد أربك كثيرا من أصحاب الأموال ـ في حينه ـ وجعلهم يفكرون مليا قبل الاقدام على استثمار اموالهم في مشاريع جديدة ، محاولين التهرب من الالتزام بالتعويض عند الحاجة الى تسريح عمالهم ، مما قلل حجم الاستثمارات ، وبالتالي قلل الحاجة الى الأيدي العاملة ، وتسبب في نقل كثير من الاموال الى خارج البلاد ، فكثر التسريح ، وتعقدت المشكلة ، وجنت البلاد مزيدا من الركود ، ومزيدا من التخلف .

ولو أننا رجعنا الى التشريع الاسلامي في حل هذه المشكلة وأمثالها ، لوجدنا لديه الحل المدروس العميق المحيط بكل اطراف المشكلة وأبعادها .

فالاسلام في مثل هذه الحال يعفي رب العمل من الالتزام بأي تعويض للعامل غير الأجر المنصوص عليه والمبين في عقد الاجارة او الاستخدام ، الا انه الى جانب

ذلك يكفل للعامل المسرح واسرته عيشا ضروريا مرضيا الى ان يجد العمل المناسب الذي يكسب منه قوته ، وذلك بايجاب نفقته على أقربائه الموسرين ، فاذا لم يكن له اقرباء موسرون كانت نفقته على بيت مال المسلمين « الخزينة العامة » ، الا انها نفقة ضرورية « كفاف » تؤمن فيها ضرورياتها فقط ، وذلك لئلا يثنيه ذلك عن طلب الرزق والتفتيش عن عمل آخر طلبا لما هو فوق الضروري من العيش ، وبذلك تتأمن مصلحة العامل وأسرته دون أن ينثني رب العمل عن البحث عن مزيد من طرق استثمار المال التي تعود على العامل وعلى البلاد بالخير الوفير .

وثانيهما) مشكلة غلاء الأسعار ، فقد غلت الاسعار في الماضي مرات ثم انخفضت ، وهي الان تغلو يوما بعد يوم في بلادنا ، وفي كل بلاد العالم .

ودول العالم اليوم كلها معنية بهذه المشكلة ، وكل منها يدلي بدلوه في حلها ، درءا لأخطارها ، وحماية للشعوب من آثارها المدمرة . وقد طرحت في الساحة أنواع من الحلول منذ فترة من الوقت ، وهذه الحلول لم تنتج أي أثر في حل هذه المشكلة والقضاء عليها ، أو الحد منها على الأقل ، بل انها جميعا زادتها تعقيدا وتشابكا وخطورة .

فمن هذه الحلول المطروحة العمل على زيادة دخل الطبقات الفقيرة والمتوسطة بزيادة الرواتب والأجور ... الا ان هذا الحل عاد على المشكلة بالنقض ، فكلما زاد الدخل زادت الأسعار بمقابل ذلك ، وربما كانت زيادة الأسعار بنسبة أكبر وأعلى من زيادة الدخل ، حتى نشر أخيرا أن أحد المعامل قرر زيادة رواتب عماله تخفيفا لغلواء زيادة الأسعار عنهم ، فرفع أحد العمال شكوى على رب العمل طالبا الغاء هذه الزيادة ، لانها سوف تكون بكل تأكيد عاملا في زيادة الأسعار .

ومنها تحديد الاسعار بحد معين لا يجوز تجاوزه والزيادة عليه ، وهذا لم ينتج أثره المرجو أيضا ، وكان في الغالب على حساب جودة السلعة وعلى حساب توافرها في السوق ، حتى كادت بعض السلع تختفي كليا من الأسواق نتيجة العزوف عن انتاجها ، هذا الى جانب ابتداع طرق كثيرة للاحتيال والتلاعب والالتفاف من وراء تحديد الأسعار ، واحتكار بعض السلع من قبل بعض المستغلين ، واثراء بعض المتلاعبين على حساب البعض الآخر ، وظهور السوق السوداء ..

ولو رجعنا الى الاسلام نستنطقه حلا لذلك ورجعنا الى عهد النبوة لرأينا ان الاسعار غلت مرة في المدينة المنورة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله أصحابه أن يسعر لهم ، فقال : « لا ، ان الله هو المسعر ، واني أريد أن ألقي الله تعالى وليس في عنقي مظلمة لأحد » أخرجه بمعناه ابو داود وانا لا أريد ـ هنا ـ ان انفي جواز التسعير في الاسلام ، فهو جائز في حالات حددها الفقهاء وضبطوها وفقا لنصوص وقواعد خاصة وردت في ذلك ، ولكنني اريد ان أؤكد أن ذلك ليس هو الحل الأمثل او الحل الوحيد لهذه المشكلة ، وأن هنالك حلولا أخرى ربما كانت أفضل منه وأكثر عمقا ـ في بعض الأحوال على الاقل ـ وأقصد بذلك فرضية الزكاة ، فانها تؤمن للفقير كل ضرورياته مجانا ، مما يغنيه عن شراء أي

شيء منها ، وبذلك يقل الطلب على السلع فتنزل أسعارها ، وفق قانون « العرض والطلب » ، هذا الى جانب أن تحديد الأسعار انما يلجأ اليه حماية لمصلحة الفقير ، وهنا مصلحة الفقير قد أتت مجانا على أتم وجه بطريق أكمل وأفضل ، وهذا ما دعا أحد المستشرقين الى القول : « ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ حل مشكلة الفقر وهو يشرب فنجانا من القهوة » وهو يعني بذلك نظام الزكاة .

٣ ـ الديمومة

كثير هي تلك التشريعات الوضعية التي تصدر اليوم وتحتاج الى تعديل غدا او بعد غد ، وربما استطاع بعضها البقاء لفترة من الوقت اذا احيطت بتعديلات دورية مناسبة ، وان دقة التشريعات وسموها منوط بمدى قدرتها على البقاء ملبية المصالح التي شرعت من أجلها أكبر فترة من الوقت ، وان ذلك في الحقيقة منوط بمدى ما تتمتع به من مرونة وقدرة على التأقلم مع البيئة والمصالح المستجدة فيها .

وان التشريع الاسلامي العظيم تضمن قدرة فائقة على الديمومة ما دامت السماوات والأرض ؛ فهو خاتم شرائع السماء أنزله الله تعالى لينظم للانسانية حياتها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأن ديمومته هذه كامنة في صفتين توفرتا فيه ، وهما : المرونة والتعميم ، وسوف القي بعض الضوء على هاتين الصفتين ، مع التمثيل :

أ ـ **المرونة** ، فقد بلغت نصوص التشريع الاسلامي « قرآنا أو سنة » من المرونة مبلغا كبيرا ، وذلك راجع الى طريقة الصياغة التي صيغت بها ، بحيث يمكن ان تفهم على معان مختلفة محدودة تلبي كل المصالح المتجددة المتغيرة ، والامثلة على ذلك كثيرة منها :

اولا ـ طريقة ادارة الحكم في الدولة جاء فيها قوله تعالى : (**وأمرهم شورى بينهم**) وقوله جل من قائل : (**وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله**) .

هذان النصان الشريفان يمكن استنباط طرق كثيرة منهما للحكم تتناسب والحاجة المستجدة للبشرية ، فهما لم يحدا الحكم بالنظام الملكي ، او الجمهوري او الرئاسي .. ولكن ذلك كله متأت من خلال هذين النصين اذا ما روعيت الشورى .

ثانيا ـ قررت النصوص أن الامة المسلمة كلها أمة واحدة ، وذلك في قوله تعالى : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) وهذا يتأتى بوجوه متعددة منها جعلها دولة مركزية ، أو دولة اتحادية ، أو دولة فدرالية ..

ب ـ **العموم** : فان غالبية نصوص القرآن والسنة التشريعية عامة أو مجملة ، وذلك لاتاحة الفرصة أمام العلماء المجتهدين في تفسيرها وتخصيصها وفق المصلحة المستجدة المتغيرة ، وذلك على هدى ما تقضي به القواعد العامة اللغوية والشرعية ، ومن أمثلة ذلك :

اولا : جاء في تقدير نفقة الزوجة قول الله تعالى : (**لينفق ذو سعة من سعته ومن**

قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) وذلك دون بيان لمقدار النفقة المفروضة وطريق دفعها للزوجة .. مما هو متروك للمجتهدين والقضاة .
ثانيا : جاء في تقدير الاقارب المحتاجين للنفقة على أقاربهم الموسرين ، وبيان الملزم بها منهم قول الله تعالى : **(وعلى الوارث مثل ذلك)** .

٧ ـ الموضوعية

الانحراف والتحيز نحو فئة معينة دون أخرى من المواطنين في التشريع مطعن كبير ، وانحراف خطير ، وكذلك الانحراف نحو اتجاه معين دون آخر تأثرا بافكار طارئة ، مصالح خاصة فانه انحراف ومطعن كبير ايضا .
والموضوعية في التشريع هي الطريقة السليمة الموصلة الى الحياة السعيدة ، والعدالة الحقة ، والمجتمع الانساني الفاضل ، والموضوعية معناها الاهتمام بالمصالح الحقيقية للامة دون التفات الى ما عداها ، وان تشريعنا الاسلامي العظيم قد تضمن هذه الصفة ، وجلعها محوره في تشريعاته جميعا ، بعيدا عن كل انحراف او تحيز ، ولم لا ؟ وهو تشريع رب البشر ، المحب لهم على سواء ، ولهذا فاننا نرى التشريع الاسلامي يلاحظ مصالح الفقراء بقدر ما يلاحظ مصالح الاغنياء فيفرض في مال الاغنياء للفقراء مقدار حاجتهم ، ولا يسمح للفقراء ان يطلبوا من الاغنياء اكثر من ذلك .
كما يلاحظ مصالح الكبار بمقدار ما يلاحظ مصالح الصغار القاصرين فيجيز للاولياء التصرف بأموال القاصرين ، الا انه يحد ذلك بالمصلحة الظاهرة ، ويثبت للقضاء رقابة على ذلك .
وهو يعني بالمرأة عنايته بالرجل . قال تعالى : **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)** .

٨ ـ ربط الاحكام بالثواب والعقاب في الآخرة

لا بد لأي حكم تشريعي من مؤيد له يضمن سلامة تنفيذه ، والمؤيدات التشريعية كثيرة ، منها عقابي ، ومنها مدني ، والعالم كله يشكو اليوم من عدم جدوى أكثر هذه المؤيدات ، ويحاول البحث عن مؤيدات اكثر نجاحا منها ، فانه من المستحيل على أي تشريع أن يقيم شرطيا على كل مكلف يراقب حسن تطبيقه للتشريع ، وانه اذا ما استطاع ذلك ، فانه عاجز حتما عن اقامة شرطي على كل شرطي يراقب حسن مراقبته للمكلفين ، ثم يقيم شرطيا على كل شرطي من هؤلاء وهكذا دواليك .
والتشريع الاسلامي ـ الى جانب اعتماده المؤيدات المدنية والعقابية ـ ربط

أمور التشريع بأمور العقيدة ، وبالثواب والعقاب من الله تعالى في اليوم الآخر ، وبذلك ضمن سلامة التطبيق لجميع الأحكام والتشريعات دون رقيب أو شرطي غير رقيب الضمير والايمان بالله تعالى واليوم الآخر .

فالمسلم محاسب عن كل تقصير واعتداء ومخالفة لأي حكم من أحكام التشريع سواء كان ذلك الحكم من احكام العبادة او المعاملة او غيرها وذلك مصداقا لقوله تعالى : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة / ٧ و ٨ وذلك الى جانب محاسبته في الدنيا ، بل انه محاسب ومسؤول عن خلجات الصدر ونبضات الفؤاد ، قال تعالى : (**أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور . إن ربهم بهم يومئذ لخبير**) العاديات / ٩ ـ ١١ .

ولهذا فاننا نرى المسلم يسارع الى تلبية الامر واجتناب النهي بوازع من رغبته في ثواب الله تعالى ، وخشيته من عقابه ، دون حاجة الى أي من المؤيدات الاخرى ، وهذا ليس أمرا سهلا او قليلا ، ومن عني بمصالح الناس وأمور التشريع والقضاء بين الناس والنظر في أمورهم ، علم قيمة ذلك وأهميته بكل تأكيد .

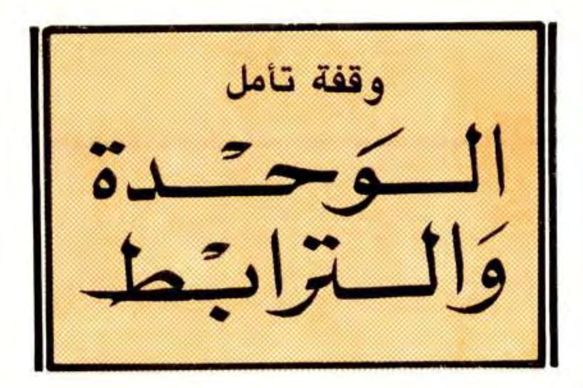
٩ ـ النزعة نحو التقشف

الاسلام يعني بالتقشف ويدعو اليه ، الا انه يندب اليه ندبا ويرشد اليه ارشادا من غير فرض أو الزام ، فيدفع الناس اليه بالاقناع بالدليل والبرهان وليس بالسيف والسنان ،

والاسلام اباح الترفه والتزين ما دام ذلك في غير المحرمات ، ومن غير اسراف ، قال الله تعالى : (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**) الأعراف / ٣٢ بل ان كل ما في الكون مخلوق لمصلحة الانسان ، قال الله تعالى : (**الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**) غافر / ٧٩ وقوله تعالى : (**يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا**) البقرة / ١٦٨ .

الا انه الى جانب ذلك ندب الى الاقتصاد والتقشف ، قال تعالى : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) الاعراف / ٣١ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اخشوشنوا ، وتمعددوا ، واجعلوا الرأس رأسين » وقال احد الفقهاء باحثا في الطعام المباح وغير المباح : « ومن الاسراف أن يأكل وسط الخبز ويدع حواشيه ، أو يأكل ما انتفخ منه ويدع الباقي » فما قولكم فيمن يلقي بالخبز واللحم وأنواع الطعام في عرض الشارع ، أو في القمامات .

هذه النزعة التي يندب الاسلام اليها ويغري بها لا تحتاج الى مزيد كلام عن أهميتها وخطرها ، فالعالم كله يعاني اليوم من ظاهرة الاسراف ، وهذا الاسراف هو سبب أساسي من أسباب التضخم النقدي والضائقة المالية التي يعاني منها العالم كله ... فهل من مدكر .



● تتماسك الأجسام بقوة الترابط والتجاذب بين ذراتها .. ولولا هذه القوة لتبعثرت أشلاء .

● وتتجاذب الأجرام والأفلاك بقوة أودعها الله فيها .. تجعل لكل جرم منها مساره الذي لا يحيد عنه .. ولو حدث وخرج أي منها عن مساره لحدث اضطراب هائل في الكون لا يدرك مداه الا الله .

● وهناك من الخواص في الكون ما يجعل الماء ينبع من الصخر ، والحياة تخرج من الموت .. والنار تنشأ من الأخضر .. الكون كله ينتظم في عقد واحد أبدعته قدرة الله العظيم ..

● فالشمس لها دورها وشأنها ، والقمر له دوره وأهميته .. والليل والنهار أيتان من آيات الله في الكون :

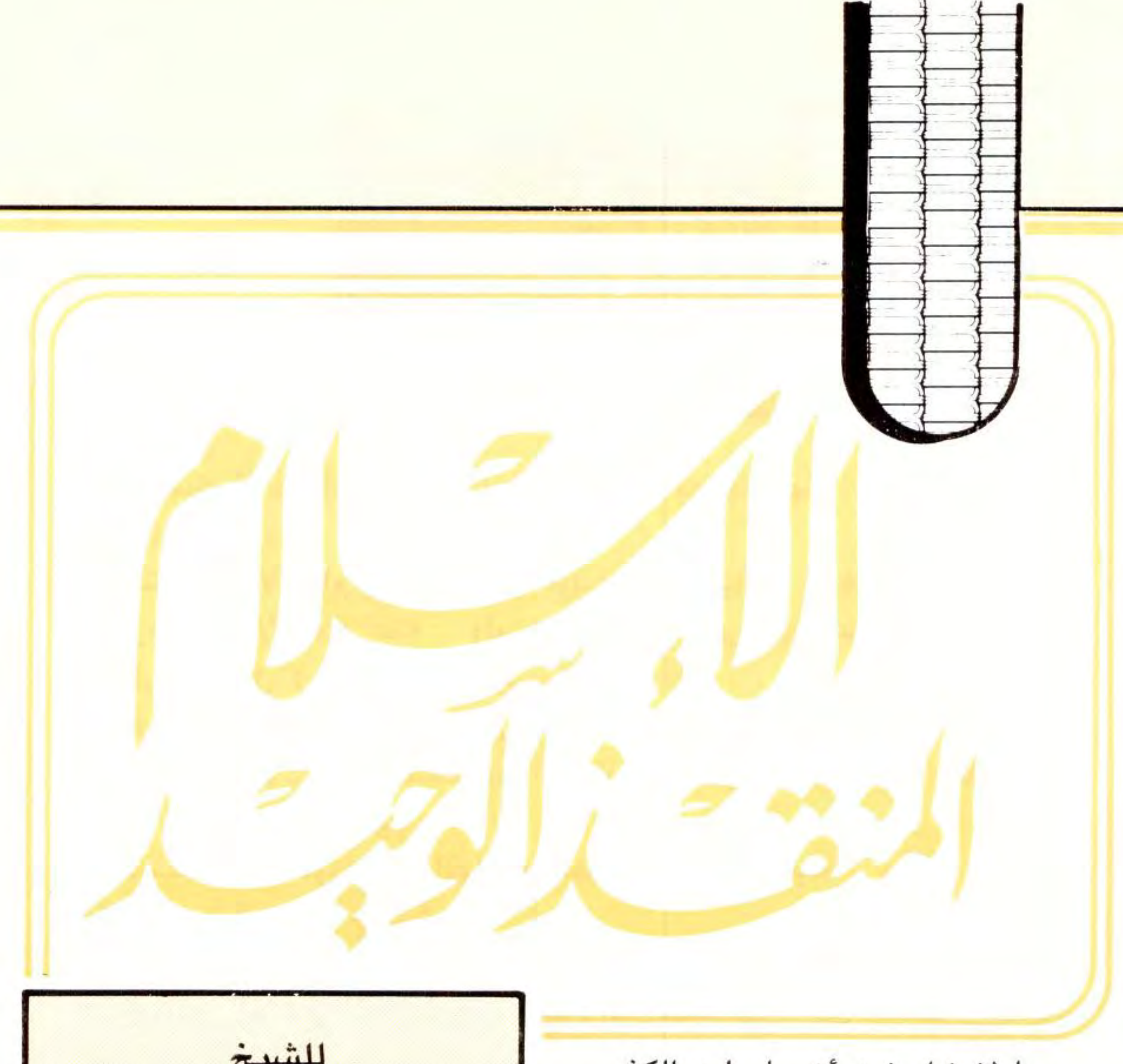
قال تعالى : (**قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) .

● ذاك هو شأن المادة الواحدة : ترابط بين أجزائها .. وشأن الكون كله : يسبح بحمد الله (**ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**) ، الكون كله في ألفة ومحبة وود فما بال الانسان لا يتسق مع نظام الكون وهو أكرم مخلوق خلقه الله في أرضه ليكون خليفته سبحانه

● ما بال الانسان يعيش في صراع دائم ودماء تراق ما كان ينبغي لها أن تراق .. والأمة المسلمة وهي أولى الأمم بتحقيق الوحدة بين أقاليمها .. ما بالها أمة تتنازعها الأهواء ، ويطمع فيها الأعداء .. ويخشى عليها من كثرة المعاصي التي ترتكب على أرضها .. والدماء المسلمة الزكية تراق بيد عربية واسلامية ـ للأسف ـ أكثر مما تراق بيد الأعداء .. تنافر بين أبناء القطر الواحد .. وتنافر بين أقطار المسلمين .. وعدو ملحد في أفغانستان ، وعدو صليبي في أرتريا .. وعدو يهودي في قلب الوطن العربى ، ونزاعات ونزاعات

● والمنقذ الوحيد يكمن في العودة الى الاسلام قولا وعملا .. ليكون البنيان شامخا سامق الهامة ، **ولتبقى العزة دائما لله ولرسوله وللمؤمنين** .

● وبالحب ، والرفق ، والدعوة بالحسنى ، ينشأ الفرد الصالح ، والأسرة السعيدة ، والأمة الخيرة في ظل عدالة الاسلام ، والله يحقق الأمل .



الإسلام المنقذ الوحيد

للشيخ
محمد الأباصيري خليفة

مما لا شك فيه أن ما عليه الكثير من حكام العرب من التقاطع والتنازع والاختلاف أمر واضح لا يحتاج الى بيان ، ومما لا شك فيه كذلك أن المجتمعات العربية تسودها الحيرة والقلق والاضطراب نتيجة لهذه الحال المحزنة . وقد مس هذا الثالوث البغيض النفوس والقلوب والأذهان قبل أن يمس المظاهر والأوضاع . ذلك أمر متفق عليه بين كل من يعنيهم أمر الوطن العربي والانسان العربي ، وانا لنسمعه من المفكرين كما نسمعه من العامة في مجالسهم ، والمجتمعين في أنديتهم ، وذوي الأعمال في أماكن عملهم .. واذا أنكرنا هذه الحقيقة أو تغافلنا عن أثرها ، أو استصغرنا نتائجها كنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمل وتظن أنها بذلك تخدع الصياد . واذا دام هذا الوضع فليس وراءه الا الخسارة البالغة والفشل الذريع ... والسبب الأصيل في هذا البلاء هو تعدد الأنظمة الحاكمة في الدول العربية ، مع بعد أكثرها عن النظام الاسلامي الذي يجمع القلوب ويؤاخي بين النفوس على الحق والعدل . فقد ترتب على تعدد نظم الحكم التباعد النفسي بين القائمين على هذه النظم ، واختلاف الوسائل والغايات ، إذ أن القائمين على كل نظام يعملون في نطاق مصلحتهم الخاصة دون نظر الى المصلحة العامة .. كما أدى قيام نظم للحكم تخالف قواعد الاسلام في كثير من

الدول العربية الى فجوة عميقة بين الشعوب وهذه النظم فالشعوب تقدس عقيدتها الاسلامية والمنهج الاسلامي ، ولا تطمئن الى أي نظام يناقض عقيدتها ومنهجها ومن ثم يعمد بعض الحكام بهذه الأنظمة الى قهر الشعوب واستذلالها وقتل حرياتها ، كوسيلة لإخضاعها ، وفي ذلك ما فيه من الفساد والدمار ، وفقدان الالتحام والتعاون بين هؤلاء الحكام وشعوبهم ، فالشعوب تنظر اليهم نظر الطير الى صائده لا نظر الجندي الى قائده .

والمنقذ الوحيد للأمة العربية من محنتها هو النظام الاسلامي الذي أنزله الله العليم بأحوال خلقه الخبير بما يصلحهم ، يطبقه حكامها ، ويجعلونه أسلوب حياتها ، ومنهج تصرفاتها ، وحل مشكلاتها ، يفعل الحكام ذلك وفاء بعهدهم الشرعي لله ورسوله يوم أن نطقوا بالشهادتين معلنين الالتزام بالاسلام عقيدة ومنهجا .

وهذا الوفاء يستلزم تغيير الاتجاهات والأوضاع ، والمجاهرة بأن الأمة العربية هي حاملة رسالة الاسلام ومنفذته ومبلغته من غير مواربة ولا وهن ، والكلام لا يغني عن العمل . وهذا الوفاء يحمي الوطن العربي مما يهدده من أخطار اجتماعية داهمة ، ويعيد الطمأنينة والسكينة الى النفوس والقلوب .

وقد يقال كيف تطلبون أن تقوم دعائم الحياة الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الاسلام والحياة العصرية في العالم كله لا تقوم على أساس الدين في أية ناحية من نواحيها ، وقد اصطلحت أمم العالم ـ التي بيدها اليوم توجيه مقدرات الأمم والشعوب ـ على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية ، واقصاء الدين عن كل مرافق الحياة ، وحصره بين الضمير والمعبد ؟؟

والذين يقولون هذا القول لم يفقهوا الاسلام على وضعه الصحيح من أنه دين مجتمع ، ودنيا وآخرة ، ومسجد ودولة ، وأنه تعرض لشؤون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية ، وإن كان أقام الشطرين معا على دعائم من سلامة القلب ، وطهر النفس ، ومراقبة الله .

وقد يقال : ان تطبيق النظام الاسلامي رجوع بالعالم الى الوراء نحو ألف وأربعمائة عام فكيف يعقل أن نطبق اليوم نظما جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر قرنا على لون من الحياة غير ألوان حياتنا ؟ وأين سنة التطور وقوانين التقدم والارتقاء ؟

ونقول لهؤلاء : انكم أيضا لم تفقهوا طبيعة الاسلام ، فقد أنزله الله تعالى فكرة سامية تحدد الأهداف العليا ، وتضع القواعد الأساسية وتتناول المسائل الكلية ولا تتورط في الجزيئات ، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها ، وتتسع لها جميعها ولا تصطدم بشيء منها ، فهي صالحة لكل زمان ومكان ، واذا كان تاريخ التشريع الاسلامي يحدثنا أن عمر رضي الله عنه أمر بعدم القطع في

السرقة عام المجاعة ، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه ، فأحضرهم ، فأقروا ، وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام وملبس .. الخ فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلا : (اذا سرق خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت) ، واعتبرها شبهة تدرأ الحد ، ولاحظ الظروف والمناسبات ، فهل يقال بعد هذا : ان في الرجوع الى النظام الاسلامي رجعية وجمودا ؟.. وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور ، وتساير مقتضيات التقدم ، وتتمتع بمعاني المرونة والسلامة والسعة كشريعة الاسلام الحنيف (**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**) .

وقد يقال : ان العودة الى نظام الاسلام تخيف الدول غير المسلمة ، فتتألب علينا ، وتتجمع ضدنا ، ولا طاقة لنا بها . وهذا القول منتهى الوهن وغاية الفساد في التقدير .. لقد سايرنا هذه الدول في نظمها ، وأخذنا بألوان حياتها ، واتبعناها في تقاليدها ، فهل أغنى عنا ذلك شيئا ، وهل دفع عنا كيدها ؟ وهل منعها من احتلال أرضنا ، والاعتداء على مقدساتنا ، والاستيلاء على خيرات بلادنا ، والتجمع في كل مؤتمر دولي ضد حقوقنا ، واثارة المشكلات والعقبات في وجوهنا ؟

وهم لا يتأثرون الا بظروفهم ومصالحهم ، ولقد رأيناهم جميعا يناصرون الصهيونية وهي أبغض ما تكون اليهم ، لارتباط مصالحهم المادية ، وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة .

اننا اذا لاحظنا غضب الدول الأجنبية ورضاها في تمسكنا بالاسلام أو بعدنا عنه فليس لهذا من معنى الا أننا نتمسك بالاسلام فلن نكسب رضاهم ، وسنخسر أنفسنا . في حين أننا اذا تمسكنا به ، وتجمعنا من حوله ، واهتدينا بهديه كسبنا انفسنا ولا شك ، وكان هناك احتمال قوي أن نكسبهم أيضا بتأثير قوة الوحدة . فأي الرأيين أولى بالاتباع يا أولي الألباب ؟

ويقول بعض الناس : إن التمسك بالاسلام وجعله أساسا لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة ، وينافي الوحدة بين عناصر الأمة وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر . ولكن الحق غير ذلك فان الاسلام الذي وضعه الحكيم الخبير قد احتاط لذلك الأمر ، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم الا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح في حماية الأقليات وهو قوله تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين**) . فهذا النص لم يشتمل على الحماية فقط ، بل أوصى بالبر والاحسان اليهم .. وقد حدد الاسلام تحديدا دقيقا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم فقال تعالى بعد الآية السابقة : (**انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم**

وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الضعف دخيلا فيها وعامل فساد بين أبنائها .

أما موقف الاسلام من الأجانب فهو موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا ، فان فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن الموقف منهم بقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)** .

والنظام الاسلامي يمد الأمة التي تتمسك به (كلا لا يتجزأ)

● بنظام داخلي للحكم يتحقق به قوله تعالى : (**وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) ..

● ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) .

● ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ..)

● ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**)..

● ونظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قول الله تعالى : (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**) ..

● ونظام للثقافة والتعليم يطابق جلال الوحي في أول الآيات نزولا (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) .

● ونظام للأسرة ينشىء الصبي المسلم والفتاة المسلمة ويحقق قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) .

● ونظام للفرد في سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى : (**قد أفلح من زكاها**) ..

● وروح عام يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله جل شأنه : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**)

● ونظام يحدد العلاقة بين الغني والفقير ، فالغني مسؤول عن أخيه

الفقير ، وللفقير في مال الغني حق معلوم لا يستطيع ان يجحده او يتخلف عن أدائه ، والدولة الاسلامية تصون هذا الحق ، وتقاتل من يمنعونه ، قال الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه : (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدي) .

● ونظام يمنع طغيان القوي على الضعيف . فلا قوة ولا ضعف في الاسلام الا بميزان الحق . فأقوى الأقوياء ، من الناس صاحب الحق ، حتى ينتصف له ، وأضعف الضعفاء صاحب الباطل حتى ينتصف منه ، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل .

والحكومة في الاسلام تقوم على (**مسؤولية الحاكم**) و (**وحدة الأمة**) و (**احترام إرادتها**) ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال .

فالحاكم مسؤول بين يدي الله والناس : (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**) والأمة الاسلامية واحدة ، لأن الأخوة التي جمع الاسلام عليها القلوب أصل من أصول الايمان بالله ، لا يتم الا بها ، ولا يتحقق الا بوجودها ، (**انما المؤمنون اخوة**) . ولا يمنع ذلك حرية الرأي ، وبذل النصح ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقال : (اذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها) وقال : (سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ورجل قام الى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) . ولا تتصور الفرقة في الشؤون الجوهرية في الأمة الاسلامية لأن نظام الحياة الاجتماعية الذي يضمها نظام واحد هو الاسلام ، معترف به من أبنائها جميعا .. والخلاف في الفروع لا يضر ، ولا يوجب بغضا ولا خصومة .. ولكنه يستلزم البحث والتمحيص والتشاور وبذل النصيحة .

واحتراما لارادة الأمة يعطي النظام الاسلامي الأمة الاسلامية الحق في أن تراقب الحاكم مراقبة دقيقة ، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير وعليه أن يشاورها ، وأن يحترم ارادتها ، وان يأخذ بالصالح من آرائها . وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال : (**وشاورهم في الأمر**) وأثنى به على المؤمنين خيرا فقال : (**وأمرهم شورى بينهم**) والخليفة الأول رضوان الله عليه قال : (**اني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني ، وان رأيتموني على باطل فسددوني**) ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (**من رأى في اعوجاجا فليقومه**) .

والاسلام يعلن الحرية ويزكيها ، ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها ، ويدعوهم الى الاعتزاز بها والمحافظة عليها فيقول الرسول الكريم : (من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس مني) .. وقرر الطريق العملي الى حماية هذه الحرية ، فافترض الجهاد بالنفس والمال ، وجعله فرض كفاية

لتأمين الدعوة ، وفرض عين على كل أبناء الأمة لرد العدوان على الوطن وجعل الشهادة أعلى مراتب الايمان ، ووعد المجاهدين النصر والتأييد في الدنيا والنعيم المقيم في الآخـرة ، وأعلن أن الجهاد افضل الأعمال بعد الايمان ، (**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجـة عنـد الله وأولئك هم الفائـزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم**).

ان الاسلام أقر الحرية والاخاء والمساواة من قبل ألف وأربعمائة عام ، ولكنه سبق في ذلك سبقا لن يلحق فيه حيث جمل ذلـك وزينه بالصدق والعمل . فلم يقف عند حدود النظريات الفلسفية ، وانما أشاع هذه المبادىء في الحياة اليومية العملية وأضـاف اليها بعـد ذلك السمـو بـالانسـان ، واستكمـال فضـائلـه ونزعاته الروحية والنفسانية ، لينعم في الحياتين ، ويظفر بالسعادتين ، وأقام على ذلك كله حراسا أشداء أقوياء من يقظة الضمير ، ومعرفة الله ، وصرامة وصراحة الجزاء ، وعدالة القانون .

لقـد كان العـرب في الجاهليـة متعادين ، فألف الله بين قلوبهم ، وما كان الا الاسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة ، وما كان الا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله اخوانا متحابين متعاونين ، وما يمكن أن يجمع القلوب ويطارد الخلافات الا اخوة في الله تصغر الى جانبها الاحقاد التاريخية ، والثارات القبليـة ، والأطمـاع الشخصيـة والرايات العنصرية ، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال .

ولا يصلح أمر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وعلينا أن ندرك نحن العرب ان الاسلام الحنيف جاء رسالة عامة للنـاس جميعا وقـد قال الله لرسوله : (**قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا**) وقال : (**وما أرسلناك الا كـافة للنـاس بشيرا ونذيرا**) .. وان ندرك مع هذا ان الاسلام نشأ عربيا ووصل الى الأمم عن طريق العرب وجاء كتابه الخالد بلسان عربي مبين ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم أن كان المسلمون يحتكمون إليه ، فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه ، وقد عرف النبي صلى الله عليـه وسلم العروبة بقوله فيما رواه معاذ بن جبل (إلا إن العربية اللسان) .

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لا بد منه لاعـادة أمجادهم واعـزاز سلطانهم . وفي هذه الـوحدة التي تعتمد مبادىء الاسـلام وتعاليمـه النجاة من كل شر والقوة البانيـة المعمـرة . وقـد قـال الله تعـالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعـداء فألف بـين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

افتراءات صهيونية

جاءنا من رابطة العالم الاسلامي ما يلي ننشره حتى يقف قراؤنا على حقيقة المكر اليهودي :

ما تزال القوى الصهيونية في العالم تشن هجماتها الجائرة على الاسلام والمسلمين

وقد استغلوا في ذلك نفوذهم وسيطرتهم على بعض وسائل الاعلام الغربية وغيرها ، فها هي صحيفة « اريزونا » الجمهورية التي تصدر في الولايات المتحدة الامريكية ، تفرد مساحة من صدر صفحاتها الدينية ليجري من خلالها محررها المستر (ريتشارد ليسنر) مقابلة صحفية مع الكاتب اليهودي الصهيوني العنصري / ليون يوريس ، الذي انطلق في افتراءاته على الاسلام والمسلمين مدعيا ومركزا على ان الاسلام هو دين الشر والقوة غير المستقرة في الشرق الاوسط ، وبأن المسلمين في حرب دائمة مع غير المسلمين ونحن نقول للكاتب الصهيوني الحاقد يوريس ، ولامثاله ومن حذا حذوه : ان الاسلام دين سلام وتسامح ولكنه وقف ضد الظلم والعدوان وقاوم الطغاة ومضطهدي الانسانية وسيظل كذلك .

فأي حضارة تلك التي تقر لاسرائيل ان تقوم بتدنيس قداسة اماكن العبادة ، ولكن الاسرائيليين من شدة حقدهم على الاسلام اجازوا لانفسهم القيام بحرقها .

او لم يسمع يوريس بادانات كل العالم التي تكال ضد اسرائيل في الجمعية العامة للامم المتحدة .. لو فعل ذلك او ابدى قليلا من الاهتمام لربما غير رأيه يقول إن اسرائيل قامت بالغاء وازالة مخيمات الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ ، وشادت مساكن بسيطة التكاليف للاجئين ، ويزعم بان المستوى المعيشي للعرب في اسرائيل قد ارتفع وبأن تعدادهم قد زاد في القدس اكثر من ٩٠٪ ، بعد ضمها ، وهم بالاضافة لذلك يتمتعون هناك بحرية تفوق الحرية التي يتمتع بها سكان الاقطار الاسلامية الاخرى .

يزعم هذا الصهيوني بكل هذه الافتراءات ناسيا او متناسيا ان كل العالم يرى ويسمع عن لأعمال الوحشية التي يقوم بها الاسرائيليون

ففي عام ١٩٦٩ م حاولت سلطات الاحتلال حرق المسجد الاقصى ، كما اصدرت اوامر بعدم استعمال مكبرات الصوت في الاذان ، وقامت بنقل ٤ آلاف موظف صهيوني للقدس ، وأعدت ١٣ الف دونم لتقام عليها ١٠ ـ ١٢ الف وحدة سكنية بالاضافة للمكاتب

ولا ينس التاريخ انه في الفترة من ١٩٧٧ الى ١٩٨١ م وهي فترة ائتلاف الليكود الحاكم بزعامة بيجن ، انه تم مصادرة مسجد بئر السبع وتحويله الى متحف ، ومصادرة المقابر الاسلامية في القطاع الغربي من يافا بالاضافة الى الاستيلاء على مسجد حسن بك في يافا والشروع في تحويله الى سوق تجاري ومركز سياحي ، واستباحة الحرم الابراهيمي والسماح لليهود بالصلاة فيه وهدم مسجد قرية الفريديس بحجة توسعة الشارع المار بجانبه ، كما قام العدو الاسرائيلي بالاعتداء على الحرم الابراهيمي الشريف يوم ١/١٢/١٤٠٢هـ

وفي الفترة من ١٩٧٢م وحتى عام ١٩٧٧م فقد تم هدم ٣٦٤٠ منزلا عربيا في الاراضي المحتلة . ٤٣٥ في الجولان ، ٩١٩ في الضفة الغربية ، ألفي منزل في غزة وجنوب سيناء وما يزيد على ٣٠٠ في النقب ، ٣٣ في الجليل و٦ في وادي عمارة .

وقد استباح الاسرائيليون ارض لبنان يعيثون فيها كما يحلو لهم وفي فترة وجيزة دمروا ٣٣٧ مدينة وقرية في جنوب لبنان مع قيامهم بامطارها يوميا وشهريا بملايين الاطنان من القنابل .

ولا ننسى ضرب المفاعل النووي العراقي واخيرا في محرم ١٤٠٢هـ الموافق ٩/١١/١٩٨١م ، قامت طائراتها بانتهاك المجال الجوي السعودي للمنطقة الشمالية الغربية من المملكة .

اما سجون العدو فتفيض بالمناضلين من ابناء الشعب الفلسطيني ، ففي ديسمبر ١٩٦٧م اضرب حوالي ٤٠٠ شاب عربي معتقلين في سجون العدو عن الطعام ، مطالبين بوقف الاجراءات التعسفية الاسرائيلية ضدهم ومنحهم حقوقهم ، واضرب معهم ٥٠ طالبا بالجامعة العبرية ولما تصاعدت موجات السخط والاحتجاج والمظاهرات ، قامت السلطات الاسرائيلية باغلاق جامعة بير زيت واعتقال الطلاب وتعطيل الدراسة بجامعة النجاح في نابلس في ١٨/١/١٤٠٢هـ ، حتى ان منظمة العفو الدولية احتجت لدى سلطات العدو الاسرائيلي على سوء المعاملة التي يلقاها المعتقلون العرب في سجون فلسطين المحتلة كما جاء اجماع دولي بادانة اسرائيل ، وذلك بقيادة كورت فالدهايم ، حيث قال ان مسألة القدس ذات اهمية اساسية ولا يمكن حلها بقرار من طرف واحد ، واكد على ضرورة ايجاد تسوية شاملة لمشكلة الشرق الاوسط ، تشترك فيها كافة الاطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، وان تقوم التسوية على اساس الحقوق الثابتة للفلسطينيين بما في ذلك حقهم في تقرير المصير والانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة .. ولكن لا حياة لمن تنادي .

بعد كل هذا يحق لنا ان نتساءل ونسأل المستر يوريس وامثاله من هو في هذه الحالة الباغي والمعتدي ؟ اهو الذي استلبت حقوقه واراضيه ، ويحاول ان يبحث ويصر على ان يتمادى في غيه المشروع ؟ ام ذاك الذي يشن الغارات ويقتل الالاف من المدنيين

بالتأكيد ان اسرائيل مغتصبة معتدية وباغية وهي دولة بوليسية ارهابية وقوة مزعزعة للسلام العالمي .. وما اعلان الجولان ببعيد عن الاذهان والذي شجبه وادانه العالم .

ويمضي ليون يوريس في حديثه بنفس المقابلة الصحفية ويستمر في اطلاق افتراءاته قائلا بان الاسلام دين القضاء والقدر والجبرية ، وليس لعمل الناس قيمة في هذا العالم لأنه لا يؤمن بالقيم

ونحن نقول له ولكل من كان على شاكلته بان كل عمل يصدر من المسلم له وزن وقيمة في حساب الاسلام ، وقد رسم ذلك واوضحه المولى عز وجل شأنه في محكم تنزيله بقوله : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة .

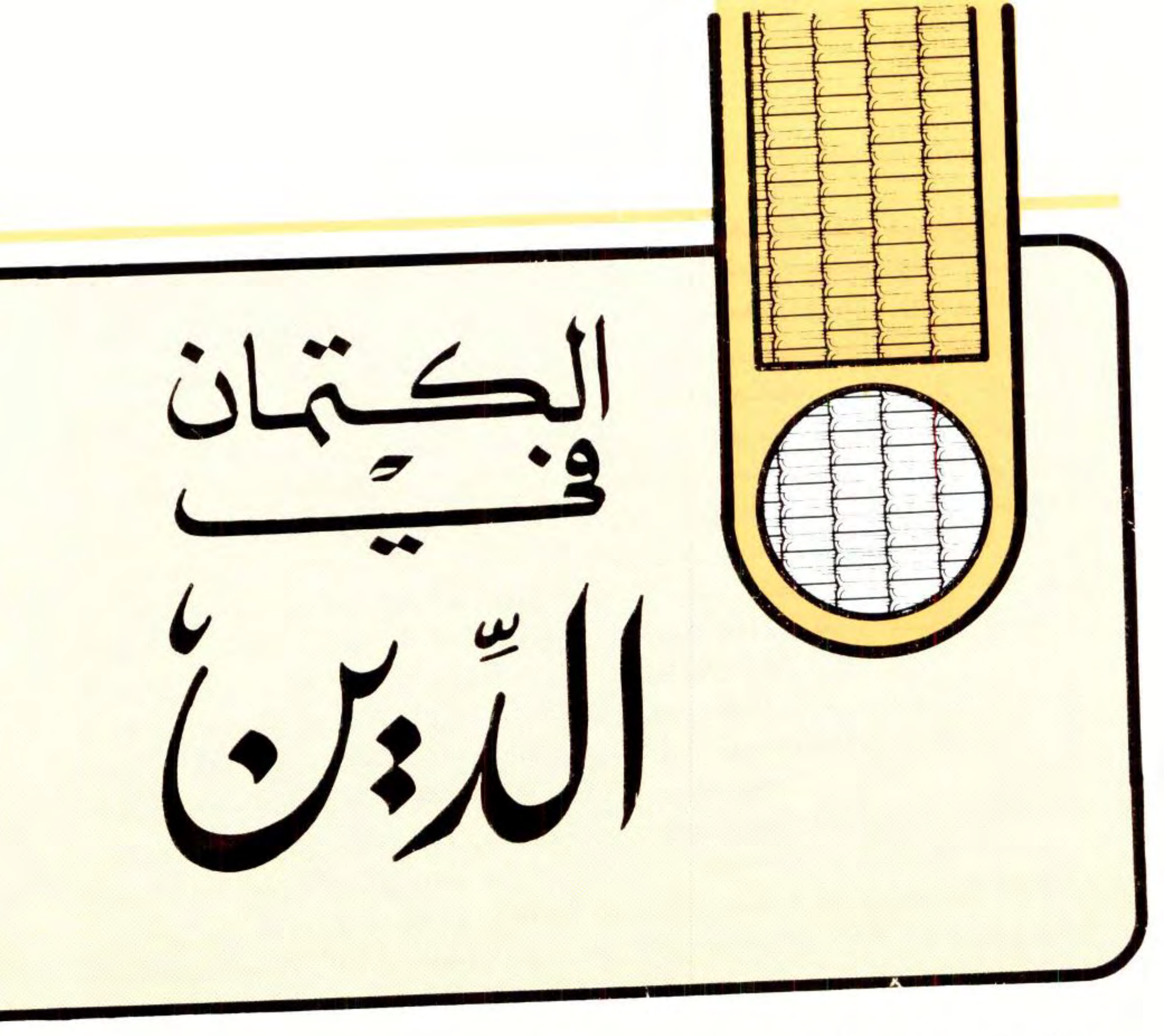
« ونقول للكاتب الصهيوني ولغيره ممن يحقدون على الاسلام ان تصرفات بعض المسلمين التي لا تتفق مع تعاليم الاسلام السمحة هي مجرد افعال محسوبة عليهم ولا تضير الاسلام »

ثم يمضي الكاتب فيتعرض لتقييم بعض الشخصيات العالمية نكتفي بما قاله عن مناحيم بيجن ، فهو يضرب الاهداف العسكرية فقط في حين ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تضرب اية اهداف عسكرية ، ويصفه بانه متعصب ولكنه ككل الرؤساء الاسرائيليين محدود الحرية وهو زعيم وقائد قوي ، ويصف الذين يدافعون عن حقوقهم المشروعة بأنهم مجرمون ارهابيون .

اي منطق هذا الذي يجعل من الارهابي الشرس المعروف ، مدبر ومنفذ مذبحة دير ياسين وغيرها ومرتكب ابشع الجرائم مناحيم بيجن ، قائدا وزعيما ويصفه بانه يضرب الاهداف العسكرية فقط وممارساته كالشمس لكل العالم .. ويصف المجاهدين مسلوبي الحقوق ، الباحثين عن العدالة وحق تقرير المصير بالارهابيين المجرمين او ليس هو نفس المنطق الذي يبنون عليه افتراءاتهم واباطيلهم بان الاسلام دين الشر والقوة غير المستقرة !!

ولكنهم مهما فعلوا وقالوا فان افتراءاتهم مكشوفة واباطيلهم زائفة ، والحق ابلج : (**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**) .

رغم هذا يجب على كل المسلمين وعلماء المسلمين والجمعيات والهيئات الاسلامية ، ان يأخذوا حذرهم ، وان يتصدوا من على كل منبر لمثل هذه الترهات والاباطيل ، وضرورة كشفها وتفنيدها امام كل العالم وسد كل المنافذ والفرص امام هذه القوى العدوانية المناهضة للاسلام وتعاليم الاسلام ، والتي تغزل خيوط التآمر وتدبر الدسائس وترسم المخططات للعمل من اجل اضعاف الاسلام والمسلمين والتشكيك في تعاليم ومبادىء الدين الاسلامي الحنيف ، حتى تحين لها الفرصة بالانقضاض الكامل عليه .. ولن يتسنى ذلك لهم ابدا بإذن الله .



قرأت في « معجم الادباء » لياقوت الحموي ، ، بيتين من الشعر للحسين البغدادي ، وهما :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة سر ، ومال ما استطعت ، ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمكفر ، وبحاســـــد ، ومكذب

فطاب لي ان احدث قراء « الوعي الاسلامي »- وهم اصدقائي القدامى - عن أربعة الوان لا ثلاثة فقط ، من الوان الكتمان في الدين والادب ..

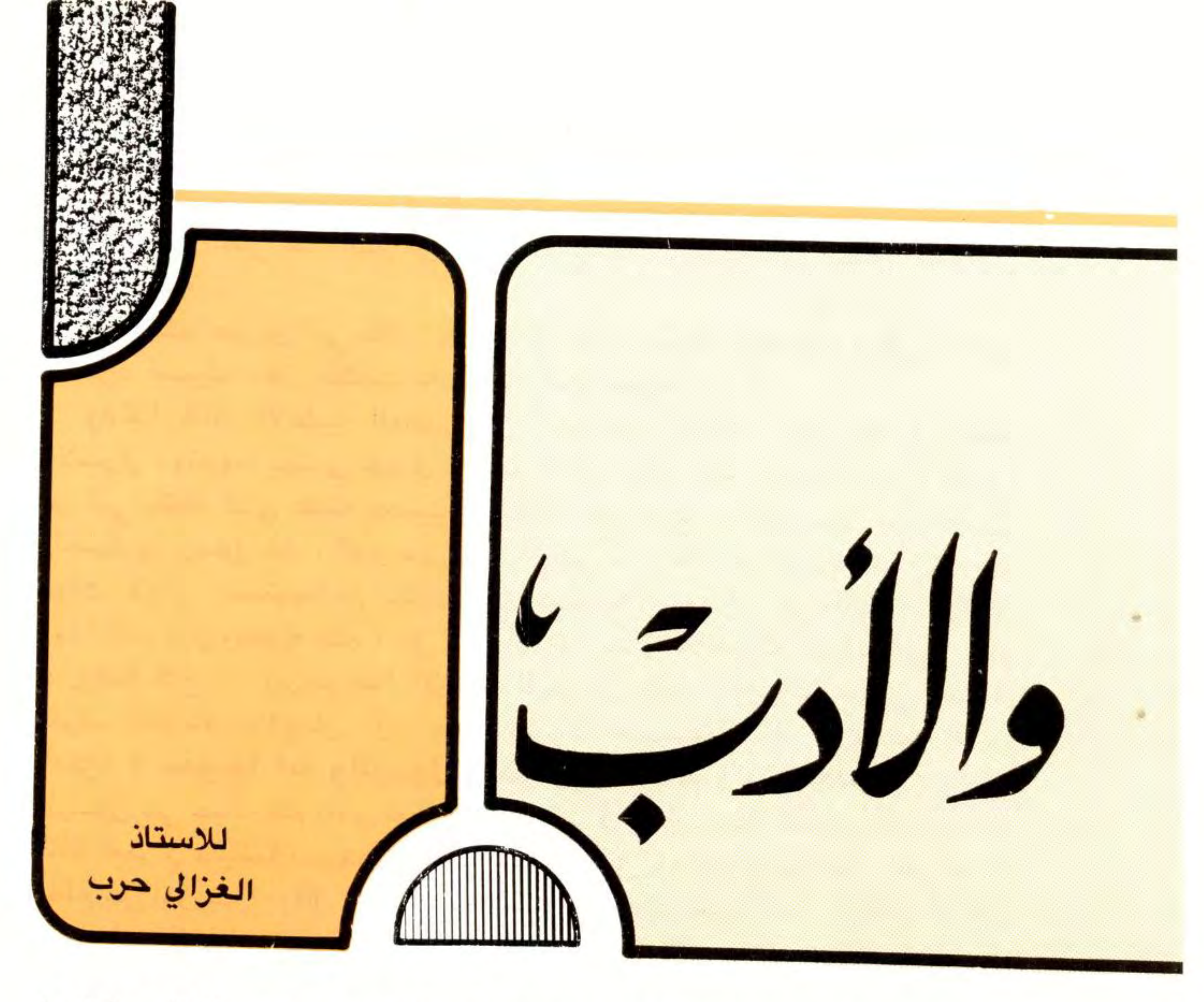
وهذه الالوان هي :

أ - كتمان الاسرار - ب - وكتمان العورات والمساوىء - ج - وكتمان الثروة والمال - د - وكتمان العمر والسن ..

أ - اما كتمان الاسرار

فما اشقه الا على الصفوة من الامناء المؤمنين ، الذين لا تضيق صدورهم بأسرار غيرهم ، فضلا عن اسرار انفسهم ، ومن روائع الوحي القرآني الكريم ، والهدى المحمدي الشريف هنا ، الآيات القرآنية الآتية :

(يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان



للانسان عدو مبين) يوسف/٥ **(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)** النساء/٧١ **(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون)** الانفال/٢٧ .

والاحاديث النبوية التالية : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا او ليصمت » رواه النسائي « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي « استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان ، فان كل ذي نعمة محسود » رواه البيهقي .

وبهذا الادب الاسلامي ادب الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأحسن تأديبه ، وادب الرسول اصحابه فأحسن تأديبهم ، وكانوا في حرصهم على الكتمان مثلا عليا في اقوالهم واحوالهم ، وفي ظلاله الوارفة الهادئة الهادية :

١ ـ اوصى ابو بكر الصديق ، الخليفة الراشد الاول ، قائده الاسلامي الموفق ، شرحبيل بن حسنة قائلا : « ... واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرم مثواهم ، واقلل لبثهم ، حتى يخرجوا من عندك ، وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، ولتكن انت الذي تلي كلامهم ، واستر في عسكرك الاخبار ».

٢ ـ وعدل عمر بن الخطاب عن تولية جبير بن مطعم ، خلفا للمغيرة بن شعبة على العراق ، لأن جبيرا هذا كان عمر قد اوعز اليه بالتجهز سرا للسفر ، واوصاه بالكتمان للسر حتى عن اقرب الناس اليه ، بيد انه لم يكن عند حسن ظن عمر به ،

فلم يلبث ان افشى هذا السر الى اهل بيته ، فاذا هو يذيع حتى يصل المغيرة بن شعبة نفسه ..

٣ ـ وارسلها على بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ حكمة رائعة خالدة على الزمان : « سرك اسيرك ، فان تكلمت به صرت انت اسيره ».

وهكذا كانت الاغلبية العظمى من الصحابة الكرام ، مثلا عليا في كتمان الاسرار ، ونجوما يهتدي بهم في « امانة السر »، ولم يشذ عنهم في ذلك الا حاطب ابن ابي بلتعة الذي غلبته عصبية الجاهلية على امره ، فأفشى سرا من الاسرار العسكرية لرسول الله ، الذي نزل عليه الوحي بما اعانه على تدارك هذا السر قبل فوات الاوان ، مستعينا على ذلك ببعض اصحابه او بعلي بن ابي طالب الذي لحق بهذا السر قبل وصوله مكة ، على يدي امرأة ارسلها حاطب ثم ادركها علي « عند « روضة كاخ »... وبرغم هذا الافشاء للسر من حاطب ابقى عليه وحي السماء شرف الاتصاف بالايمان ، وان حذره الخيانة لله ورسوله قائلا : **(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون)** وابقى الرسول على حياته فلم يأذن لعمر بن الخطاب في ضرب عنقه كما استأذنه في ذلك قائلا لعمر في سياسة محمدية سماوية سمحة عليا : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على اهل بدر ، وقال : اعملوا ما شئتم ، فاني قد غفرت لكم .. والحق ان هذا الصحابي الجليل برغم زلته ـ ولكل صارم نبوة ـ كان من صفوة المجاهدين في غزوة بدر الكبرى .. وكان بعد ذلك هو الرسول الذي حمله رسول الاسلام كتابه الى المقوقس عظيم القبط بمصر داعيا اياه الى الاسلام ، فتلقى المقوقس الرسالة المحمدية بكل توقير واجلال ، وتلطف في الرد عليها مرسلا الى الرسول بهدية الجاريتين المشهورتين اللتين كانت لهما في القبط مكانة عظيمة وهما : « مارية » القبطية التي ضمها الرسول اليه فولدت له ولده ابراهيم .. و « نسرين » اختها التي اهداها الرسول الى شاعره حسان بن ثابت ، فولدت له ولده عبد الرحمن .. وتقديرا من الرسول لهدايا المقوقس اليه ـ ولا سيما هاتان الجاريتان ـ قال الرسول يوصي المسلمين خيرا بالمصريين على مر الزمن : « ... فاستوصوا بأهل مصر خيرا ، فان لهم ذمة ورحما ، وصهرا ».

ومن روائع الادب العربي القديم في كتمان الاسرار : قول اكثم بن صيفي حكيم العرب : « الصمت حكم ، وقليل فاعله » وقول الشاعر المعل انس بن اسيد :

فلا تفش سرك الا اليك ... فان لكل نصيح نصيحا

فاني رأيت وشاة الرجال ... لا يتركون اديما صحيحا

وقول ابي مسلم الخراساني ، فخورا بنجاحه في شل ملك بني امية ، بالحزم والكتمان :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت — عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا
ما زلت اسعى عليهم في ديارهم — والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا — من نـومة لم ينمها قبلهم احد
ومن رعى غنما في ارض مسبعة — ونـام عنها، تـولى رعيها الاسـد

ب ـ واما كتمان العورات والمساوىء

فهو انبل واحكم الوان الكتمان ، ومن روائع الاحاديث النبوية الشريفة التي تدعو الانسان الى كتمان مساويه فضلا عن كتمان مساوىء الناس وعوراتهم ما يأتي : حديث « اذا بليتم فاستتروا » رواه الخاري وحديث « كل امتي معافي الا المجاهرون ، وان من المجانة ان يعمل الرجل بالليل عملا فيستره الله ، ثم يصبح ليكشف ستر الله عنه » رواه البخاري .

ولا يستطيع التأدب بأدب الكتمان لعورات غيره فضلا عن عورات نفسه ، الا العاقل الحكيم المتزن ، الذي يملك لسانه ، ولا يملكه لسانه ، وينظر دائما او غالبا بعين الرضا والسماحة ، لا بعين السخط والحقد ، مصداقا لقول عبد الله بن معاوية ـ كما في « رغبة الامل »ـ:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة — كما ان عين السخط تبدي المساويا

ومن خيرة هؤلاء العقلاء النبلاء ، الربيع بن خيثم ، الذي سأله احدهم : لماذا لا تعيب احدا بأي عيب ـ كما يفعل سواك ـ؟ فأجابهم : لست عن نفسي راضيا حتى اشغلها بذم الناس ، والتتبع لعوراتهم ومساوئهم ، ثم انشد البيت الاتي ـ وهو بيت القصيد :

لنفسي ابكي لست ابكي لغيـرها — لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

ج ـ واما كتمان الثروة والمال

فحسبنا من شواهده في ادبنا العربي العريق ، ان عبد الملك بن مروان ، سأل عبد الله بن يزيد بن خالد عن مقدار ما يملكه من الثروة والمال ، فأجابه عبد الله بن يزيد بما نهديه الى « اغنياء الحرب » وحديثي النعمة ،ـ كما جاء في « الكامل » للمبرد ـ: يا امير المؤمنين ، شيئان لا عيلة على معهما : الرضاء من الله ، والغنى عن الناس ...!!

فلما خرج عبد الله من عند الخليفة ، سأله احدهم : لماذا لم تخبر الخليفة بمقدار ثروتك ومالك ؟ فأجابه بقوله في يقظة واعية : لأن ما املكه ، لا يعدو ان يكون قليلا فيحقرني ، او كثيرا فيحسدني ..

د ـ واما كتمان العمر والسن الحقيقية

فهو ما نختم به حديثنا عن الوان الكتمان ..
وكتمان العمر والسن ، مر في ادبنا العربي القديم بالمرحلتين الاتيتين :

مرحلة الصراحة والوضوح في العصر الجاهلي ، عصر البساطة والفطرة ..
ومرحلة الكتمان او التكتم ، تشبثا بالشباب الراحل وبقاياه وروائحه من بعيد او قريب ..

اما المرحلة الاولى : فخير من يمثلها من شعراء العصر الجاهلي ، زهير بن ابي سلمى ، ولبيد بن ربيعة : اما زهير فقد صرح بسنه الحقيقية التي بلغها في الثمانين من عمره قائلا :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا - لا ابالك - يسأم

واما لبيد بن ربيعة ، فقد صارحنا بسنه الحقيقيةمرات لا مرة واحدة ـ كما صنع زهير ـ:

أ ـ فحينما تجاوز العشرين من عمره قال :

كأني -وقد جاوزت عشرين حجة - خلعت بها عن منكبي ردائيا

ب ـ ولما بلغ سبعة وسبعين عاما ، قال يناجي نفسه في الم بالغ ، وامل متردد :

باتت تشكي الى الموت مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزيدي ثلاثا تبلغي املا وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ج ـ وحينما بلغ امله ببلوغه الثمانين ، قال بيته المشهور بين علماء البلاغة في معرض الحديث عن الاطناب :

ان الثمانين - وبلغتها - قد احوجت سمعي الى ترجمان

د ـ ولما بلغ التسعين من عمره ، قال مشفقا على نفسه من السهام الزمنية التي تراه من حيث لا يراها وخاصة بعد ان جاوز التسعين :

كأني - وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمي وليس برامي ؟!!
فلو انني ارمي بنبل رأيتها ولكنني ارمي بغير سهام !!

هـ ـ وتحت وطأة ضربات السهام الخفية على مر الاعوام ، قال ـ وقد بلغ العام العاشر بعد المائة من عمره المديد ـ متسائلا في رجاء واشفاق ورضاء :

اليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر

و ـ واخيرا بلغ العام العشرين بعد المائة من عمره . فلم يكلف نفسه عناء التحديد للسنوات الطويلة التي عاشها ، وقد عاش ثلاثة اعمار لا عمرا واحدا واكتفى في هدوء الشيخوخة الواهنة ، بتشبيه نفسه بالطائر ، الذي ذهب كر الاعوام بريشه حتى اعجزه عن الطيران ـ على حد تعبيره ـ في ابياته التي يكفينا منها قوله :

ولئن كبرت لقد عمرت كأنني غصن تفيأه الرياح رطيب !!

ز ـ ولما امتد به ارذل العمر الى العام الاربعين بعد المائة ـ كما قال بعضهم ـ او العام الخامس والسبعين بعد المائة ـ كما قال آخرون ـ سئم طول الحياة ، وسؤال الناس ، وقال بيته المشهور المعبر عن معنى المثل العربي القديم : كفى بالسلامة داء ..

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد

واما المرحلة الثانية : فهي مرحلة الكتمان او التكتم للسن الحقيقية ، بعد تجاوز مرحلة الشباب ، وما احر ما قاله الشعراء والادباء في البكاء والتحسر على الشباب ، فلا عجب ان قال الاصمعي كلمته المأثورة : « احسن انماط الشعر المراثي والبكاء على الشباب ، وقد امتد الغرام بكتمان السن الحقيقية الى بعض العلماء والادباء الذين نذكر منهم ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ:

١ ـ الامام ابو بكر الانصاري ، كان ـ على علمه وفضله ـ اذا سأله الناس عن عمره ، اجابهم في ضيق بهم ، ونفور منهم : اقبلوا على شأنكم ، فانه لا ينبغي لاحد ان يخبر الناس عن سنه الحقيقية ، لأنه ان كان صغيرا استحقروه ، وان كان كبيرا استهرموه ، ثم انشد :

لي مدة لا بد بالغها فاذا انقضت وتصرمت مت
لو عاندتني الاسد ضارية ما ضرني ما لم يج الوقت

٢ ـ والاديب الاندلسي المشهور بالمقري الاكبر مؤلف « نفح الطيب » ، كان يقول عن نفسه : كان مولدي بتلمسان ، ووقفت على تاريخ ذلك ، ولكني رأيت كتمانه تأسيا بالسلف الصالح .

٣ ـ وابو الحسن بن مؤمن سأل ابا طاهر السلفي عن سنه فقال للسائل : اقبل على شأنك ، فاني سألت ابا الفتح بن زيان عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فأني سألت علي بن محمد بن اللبان عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت حمزة ابن يوسف السهمي عن سنه ، فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت ابا بكر المنقري عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت احد اصحاب الشافعي عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت مالك بن انس عن سنه ، فقال : اقبل على شأنك ، ليس من المروءة للرجل ان يخبر عن سنه ـ وذلك ما ترونه في « نفح الطيب » للمقري ـ ومنه نرى مدى حرص بعض القدامى من افاضل العلماء والادباء على كتمان اسنانهم الحقيقية .. ولعلنا بعد ذلك نلتمس ـ ولو بعض العذر ـ للانسات والسيدات اللاتي عرف عنهن الحرص البالغ الشديد على كتمان اسنانهن ، وعدم تجاوز الثلاثين بله الاربعين من العمر ـ كائنا ما كان هذا العمر ـ كما فاضت بذلك الفكاهات والامثال والاغاني والازجال والاشعار شرقا وغربا ،



ضيف ابراهيم

قال تعالى : « هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم قال الا تأكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم . قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » الآيات من سورة الذاريات .

قطعا للفتنة

كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فأوعدهم فيها وامر بها فقطعت وقال : اراكم ايها الناس رجعتم الى العزى ، الا لا اوتي منذ اليوم بأحد عاد لمثلها الا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد .

السياسة

سأل الوليد بن عبدالملك اباه فقال : يا أبت ما السياسة ؟ قال : هيبة الخاصة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

الزوج المناسب

قال رجل للحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ ان لي ابنة فمن ترى ازوجها له ؟

قال : زوجها ممن يتقي الله عز وجل ، فان احبها اكرمها ، وان ابغضها لم يظلمها .

اكرام الضيف وأدب الاسلام

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه » .

اخرجه البخاري

اساس الترشيح

اختار عمر ـ رضي الله عنه ـ للخلافة من بعده واحدا من ستة ـ وجاء ترشيحه لهم لهذا المنصب على اساس ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفي وهو عنهم راض . وهؤلاء الستة هم : على بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص ، رضي الله عن الجميع .

الشورى

قال الشاعر :

تمسك بأهداب المشورة واستعن بحزم نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي قوة للقوادم

حق الصديق

سئل عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ ما حق الصديق على صديقه ؟ قال : لا تشبع ويجوع ، وتلبس ويعرى وان تواسيه بالبيضاء والصفراء .

خصال جهل

قال حكيم : اربع من خصال الجهل :

من غضب على من لا يرضيه ، وجلس الى من لا يدنيه ، وتفاقر الى من لا يغنيه ، وتكلم بما لا يعنيه .



الشجاعة في صنع القرار ، والاخلاص للصالح العام ، والحزم في مواجهة التحديات ، والثقة بالنفس ..

مع الاعتزاز بالله .. هي اثمن واعز ما تنطوي عليه جوانح القائد في موقع قيادته ، والرائد في مسار ريادته ، والسيد في سدة خلافته .. وبدونها ينتاب الخور القيادة ، ويصيب الوهن الريادة ، وتعصف رياح الفتن واضطراب الامر باعلام الخلافة والولاية .. لا فرق في ذلك بين عصر عاش فيه الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه بما احاطه من بوادر التفكك والانهيار ، وما الم به من مظاهر النكسة والتصدع .. مما جعل اقوى الصحابة بأسا ، واشدهم مراسا يقف مبهور الانفاس ، مشتت الرأي ، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه .. او عصر مماثل مما تتمحض عنه الحياة الحبلى بكل عجيبة ، الحافلة بكل جديدة غريبة من حوادثها الجلي ، واحداثها العظام .

والمتتبع لمواقف ابي بكر رضي الله عنه منذ اللحظة الاولى التي نودي فيها من مكان شرقي المدينة يقال له « السنح » حيث كان في زيارة احدى زوجتيه في دورتها .. اثر انصرافه من عيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت ، واطمئنانه صباحا عليه بعد ان رآه في اشراقة اخيرة .. لم تلبث ان اعقبتها نوبة الموت ضحى الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة .. وجاءه النذير يحمل اليه النبأ الفاجع الذي جعل عمر يهجر في قوله ويقول : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ..، وليبعثنه الله ، فليقطعن ايدي رجال وارجلهم » .. وفي رواية اخرى : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما واعده الله كما واعد موسى فمكث عن قومه



للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

اربعين ليلة ..» وهنا تبدو الاصالة والصدق في جوهر الصديق فيعود من فوره الى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها حيث قبض الرسول .. فيدخل رابط الجأش ، قوي الشكيمة .. ويكشف عن وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويكب عليه مقبلا قائلا :

« بابي انت وامي يا رسول الله .. طبت حيا وميتا ، والله لا يجمع الله عليك الموتتين .. اما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها » ثم خرج الى المسجد ، والناس فيه ينتظرون اي شيء ينقذهم من هذا التردي المفاجيء الذي اصابهم ، بينما كان على الجانب الاخر تتحرك فتنة الدولة والحكم والولاية ، وتنفث من حركتها المريبة حمما ينذر بالشر ، ويلوح بالخطر ..

وسط هذه الدوامة المتلاحقة من الانفعالات الهوجاء ، والتحركات المتعجلة - والنفوس الولهى والتساؤلات المتلهفة .. يرقى ابو بكر الصديق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويقف في نفس المكان الذي كان يقف فيه القائد والرائد والسيد من قبل ، وكأنه يشير بذلك اشارة حاسمة لا تنقصها الحكمة ولا الجرأة ولا الشجاعة .. الى ان المكان لم يعد شاغرا ، والى ان المقاليد لم تترك في مهب الرياح ، ان هذه الوقفة الخالدة في هذا المكان بالذات وفي ذلك الوقت الذي تقاصرت فيه الهمم ، وزاغت عنه العزائم ، وظللته الهيبة والرهبة من كل اقطاره نجد الصديق ابا بكر يخترق حجاب الهيبة والرهبة ، ويصعد درجات المنبر بقدم ثابتة وعزم اكيد على مواجهة الموقف بأول صوت يضع الامور في نصابها ويعيد المياه الى مجاريها .. فيحمد الله ويثني عليه ثم يقول : اما بعد ايها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ،

ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم قرأ قوله تعالى : « **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** » ال عمران / ١٤٤ . فكانت هذه الكلمات كأنها طلقات المدافع في عصرنا هذا تنبىء بمقدم امر ذي بال ، او تحمل خبرا له اثره وخطره .. وكانت كطلقات المدافع في قوة اثرها ، وعمق نفوذها ، وتحطيم ما حولها من اوهام وخيالات ، وكانت كطلقات المدافع في غزو القلوب والعقول من جديد ، وفتحها بالنار والحديد لتسلم تسليما مطلقا للعهد الوليد ، والصوت الجهير ، والحقيقة الواقعة .. حتى انه كان من اثرها ان خرج الناس من المسجد وهم يرتلون هذه الاية في استيعاب شامل ، وادراك متجدد ، وكأنهم وهم يرددونها في سكك المدينة ودروبها لم يسمعوها الا في يومهم هذا ، ومن فوق منبرهم هذا .. وحتى كان الآية الكريمة لم تنزل الا ذلك اليوم .

وهكذا تبددت اوهام الناس وخيالاتهم ، وتحددت الحقيقة الوافدة بكل معالمها وجوانبها وابعادها بعد ان تردد كثير من الناس في الاقرار بها والتسليم لها .. الا وهي ان محمدا قد مات .. وكيف لا ؟ .. والصديق ابو بكر قد اعلن ذلك بملء فيه .. ومن اين ؟ من فوق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم **هذه واحدة** ..

والثانية ـ ولعلها أخطرها شأنا وأبعدها أثرا ـ حينما اجتمع الانصار وحدهم في سقيفة بني ساعدة والرسول لا يزال مسجى على فراش الموت لما يدفن ، والناس مأخوذون بهول الفجيعة ، وعظم الكارثة منهم من يقول : ندفنه عند المنبر ، ومنهم من يقول : يدفن بالبقيع ، وابو بكر يضع لهم النقط فوق الحروف بقوله : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه » ادفنوه في موضع فراشه ، فوضع قوله الحاسم حدا للاقاويل ولم يعد هناك من يقول : يدفن في مسجده .. او بين اصحابه .. في هذا الوقت بالذات انعقد مؤتمر في غاية الاهمية والخطورة ضم قيادات الانصار واعلامهم ، وخطباءهم وذوي الرأي والمشورة فيهم ولكنهم لا يدرون ماذا يفعلون ، وعلى اي رأي يسيرون ، وعلم المهاجرون بتجمعهم فقال قائلهم : نرسل اليهم يأتوننا .. ولكن ابا بكر قال : بل نمشي اليهم .. وانقاد المهاجرون لمشورة الصديق ، وساروا اليهم وفيهم عمر وابو عبيدة .. وهنا ثار الجدل ، وتقارعت الاراء ، فقال : بعض الانصار : « منا امير ومنكم امير » وكان هذا رأي الحباب بن المنذر الذي يترجم به عن الاتجاه الغالب في رأي الانصار بقيادة رئيسهم سعد بن عبادة .. ويدعم هذا الرأي ما وقر في نفوسهم ان الامر لهم ـ او هكذا ينبغي ان يكون ـ لأن البلد بلدهم والمهاجرين كالضيوف عليهم ، ولأن اهل المدينة انصار الله ، وكتيبة الاسلام .. اما قريش فقد سبق لهم في ذلك الامر سابقة ، ولا يستساغ ان

يستأثروا بالامر من دون الانصار ولذلك وصف الحباب بن المنذر نفسه قبل ان يدلي برأيه فقال : « انا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » ولكن رأيا اخر من جانب المهاجرين رد عليه بقوله : « هذا والله اول الوهن » .. وفي زاوية اخرى نرى رجلين من الانصار لا يعجبهما كلام الحباب وهما : عويم ابن ساعدة الاوسي ومعن بن عدي حليف الانصار ، ويشيران على قومهما بترك الامر كله للمهاجرين .. بينما كان بشير بن سعد الخزرجي والد النعمان بن بشير .. يتواطأ مع عمر على مبايعة ابي بكر .. ووسط هذه اللجة المتلاطمة الامواج العاجة العجاج جاء الدور التاريخي لابي بكر الرائد والسيد والقائد ، فيقف وقفة كلها صراحة وشجاعة وحزم ، ويرتجل خطابا بليغا اكثر فيه من الكلام المدعم بالدليل ، والمنطق المؤيد بالبرهان وجاء فيه : « نحن الامراء وانتم الوزراء .. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الائمة من قريش » .. كما قال : « اوصيكم بالانصار خيرا : ان تقبلوا من محسنهم ، وتتجاوزوا عن مسيئهم » ، ان الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين وقد امركم ان تكونوا معنا حيثما كنا فقال : « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » التوبة/ ١١٩ وهو بذلك يشير الى قول الله تعالى : « **للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** » الحشر ٨/ ٩ ومما جاء في خطبته ايضا : « لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا سلكت وادي الانصار » .. ولقد علمت يا سعد - مخاطبا سعد بن عبادة رئيسهم - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانت قاعد : « قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » رواه احمد فرد عليه سعد : صدقت نحن الوزراء وانتم الامراء » وما هو الا ان فرغ ابو بكر من خطبته التي انبعثت من صميم ايمانه ، وعميق وجدانه ، وشعوره الصادق بسلامة الرؤية ، ورجاحة الفكرة ، حتى عملت كلماته في النفوس عمل السحر ، ونزلت بردا وسلاما على اتون الانفعالات المتأججة ، والمشاعر الملتهبة فأحالتها الى روح وريحان ، وتسليم واذعان ، وانفض اخطر المجالس واهمها ، واعقد المؤتمرات واكثرها حساسية والناس لا يكادون يصدقون ما حدث بعد ان أسلس الجميع قيادهم ، ووضعوا ازمة امورهم بيد الصديق ابي بكر خليفة الرسول الاول ، وزعيم الوحدة الاسلامية الامثل ..

أما الموقف **الثالث** فذلك حين ارتد

كثير من العرب من حول المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعلت وفود القبائل تقدم المدينة فتقر بالصلاة وتجحد اداء الزكاة بعد وفاة الرسول .. قال ابن كثير : « .. ومنهم من احتج بقوله تعالى : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم** » التوبة/١٠٣ ولسنا ندفع الزكاة الا الى من صلاته سكن لنا .. اما وقد مات فلا صلاة له علينا ولا زكاة منا لغيره .. وكثر الكلام حول هذه الشبهة الزائفة .. ويبدو ان الامر كان قد استفحل شره ، وادلهم خطره وان الجزيرة العربية قد خرجت من يد الخليفة الجديد او كادت ، وأن داء الشرك وضلالات الجاهلية قد عاودت الظهور او رامت ، حتى ان ابا بكر لما انفذ جيش اسامة الذي اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم في اخريات ايامه بانفاذه اعترض عليه البعض ومنهم عمر الذي قال له : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك ، ولكن ابا بكر يرد عليه : « لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشا انفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وكان عدد هذا الجيش سبعمائة حين اصدر اليهم الرسول قبل وفاته امرا بالمسير الى البلقاء (شرق الاردن حاليا) حيث قتل زيد ابن حارثة وجعفر بن ابي طالب وابن رواحة في موقعة « مؤته » من قبل .. ولقد صدق ما توقعه ابو بكر من وجه الحكمة في انفاذ هذا الجيش .. اذ انه في مسيرته التاريخية الى حيث امره الرسول واقره ابو بكر سجل انتصارات مرئية وغير مرئية : اما المرئية فحين انتصر في قتاله مع الروم وألحق بهم الهزيمة ، ورجع الجيش سالما مظفرا ، واما غير المرئية : فلأنه كان لا يمر على قبيلة تراودها الرغبة في الردة الا قالوا : « لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل اولئك من عندهم » ...، فلما عاد الجيش مكللا بالنصر ثاب كثير من القبائل الى رشدها .

وهنا يلمع دور ابى بكر التاريخي في مقاومة القبائل المرتدة ، فقد وقف وقفة الاسد الهصور وحده تقريبا وكان كثير من الصحابة ومنهم عمر يحاول ان يثنيه عن عزمه في محاربتهم طالبين منه الصبر والملاينة مرة ، والاحتكام الى ظواهر النصوص مرة اخرى ، ولكنه رضي الله عنه كان كالصخرة الصماء التي تتكسر على صلابتها ورسوخها الامواج العاتية ، وتتناثر على سفحها حباتها متفتتة سرعان ما تعود ادراجها .. قال له عمر وغيره : اذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم ، وقال له غيره : اتركهم وما هم عليه من منع الزكاة وتألفهم حتى يثوبوا من ردتهم ، ويتمكن الايمان من قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون .. ولكن رده رضي الله عنه كان واحدا مع الجميع وهو : والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .. والله لاقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة .. حتى قال له عمر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » .

ولكنه رد عليه بقوله : « ان الزكاة حق المال » فقال قائل : ومع من تقاتلهم ؟ فقال : الصديق : « وحدي حتى تنفرد سالفتي » والسالفة هي جانب العنق ولا تنفرد الا بالقتل .. قال عمر : فما هو الا ان شرح الله صدر ابى بكر للقتال ورأيت ذلك حتى عرفت انه الحق . ولم يكتف ابو بكر في هذا المقام بالقول يردده ، ولا بالعبارة والحجة يفحم بها ، ولكنه شفع ذلك بتعيين الامراء لقيادة الجند ، والعمال لجباية الزكاة ، وممن عينهم من القواد : ابو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، وخالد ابن الوليد ، وخالد بن سعيد ، ويزيد ابن ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل ، والمهاجر بن ابي امية ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وسهيل بن عمرو ، والقعقاع بن عمرو ، وعرفجة بن هرثمة ، والعلاء بن الحضرمي ، والمثنى بن حارثة ، وحذيفة بن محصن .. ومن العمال : عتاب بن اسيد ، وعثمان بن العاص ، وزياد بن لبيد ، وابو موسى الاشعري ، ومعاذ بن جبل ، ويعلي بن منبه وغيرهم ولعلنا ندرك حجم الكارثة التي حلت بالاسلام من كثرة هؤلاء القواد والولاة مما يدل على ان المسألة لم تكن معالجة قبيلة او قبائل .. بل ان موجة الردة قد غطت الجزيرة تقريبا حتى قالت عائشة رضي الله عنها : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشربت النفاق والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى مطيرة في حسن في ليلة مطيرة بأرض مسبعة فوالله ما اختلفوا في نقطة الا طار ابي بخطلها وعنانها وفصلها » .

رضي الله عنك يا ام المؤمنين .. اذا كنت ـ وانت بعيدة عن موقع المسئولية القيادية والريادية ـ قد اصابك ما لا تحتمله الجبال الشم .. فكيف بحال ابيك الرائد والقائد والسيد وهو يحمل العبء كله على كتفه وحده ، ويتدارك الأمة في هذا المنحنى الخطر في مسيرتها الرائدة .. وكيف وعمر بقوته وصلابته يدعوه الى المسالمة باللين مرة وبالاثار المروية مرة ويصور له الموقف تصويرا رهيبا حين يظهره انه وحده بلا مقاتل .. وابوك هو ابوك الذي صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم في اخطر رحلاته واستبرأ له الغار في احلك ظلماته . ويأبى الله الا أن يصحب الاسلام مرة اخرى في ادق اوقاته ،

واحرج مواقفه فيخرج منها كما خرج مع صاحبه من الغار محفوفا برعاية الله وعنايته ، مؤيدا بجند الله وحمايته .. ويروي لنا التاريخ ان العرب قد عادوا الى حظيرة الاسلام صاغرين او راضين ... فأدوا العناق او العقال الذي كانوا يؤدونه للرسول صلى الله عليه وسلم لخليفته بعد ان قاتلهم السيد الرائد القائد .



الكتب السماوية

للدكتور/ابراهيم علي أبو الخشب

الذي يحار فيه الفهم ، ولا يمكن أن يدركه العقل ، في حين أنه يثير الدهش والغرابة ، والحيرة والارتباك . أن الكتب السماوية ـ السابقة ـ التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله من قبل قد صارت في ذمة التاريخ لا يعرف الناس منها غير أسمائها ، فاذا ما أرادوا أن يقفوا على مسمياتها كانوا يحاولون العبث ، أو يطلبون ما لا يمكن ادراكه ولولا أن القرآن الكريم جاء في ثناياه ذكر بعض منها كالزبور والتوراة والانجيل ماكانت هذه المسميات تجول بخاطرنا ، أو يجري ذكرها على ألسنتنا ، وحين يقول القائلون ان هذه الكتب كثيرا ما يردد الناس اسمها مقترنا بأسماء أولئك الذين هذبوها أو شرحوها أو نقلوها الى العربية بعد العبرية أو السريانية ـ كما قيل في انجيل متى أو لوقا أو برنابا مثلا ـ كان السؤال الذي يلح على السامع هو أين هو هذا الأصل لتلك الكتب الذي كان بين يدي هؤلاء وهم يهذبون أو يشرحون أو ينقلون الى العربية ، ومع الايمان بأن هذه الكتب كانت همزة

الوصل بين الله وبين عباده ، حملها اليهم أنبياؤه ورسله . وفيها هدايته لهم ونوره فيهم ، وبره بهم ، وارشاده اياهم ، الا أننا لا نشك في أن مهمتها كانت محدودة ، وأن هذه الرسالات مهما قيل في دورها الذي أدته ـ أو كانت ـ تؤديه للانسانية . كانت خطوات ، تنتهي الأولى منها لتجيء الثانية لتخلفها الثالثة . وهكذا دواليك ، وكل كتاب من هذه نهايته بداية الذي يليه ولم يكن فيه من الحصانة ما يضمن له البقاء ، أو يحول بينه وبين عبث العابثين به ، أو المتطاولين عليه ، والعبث والتطاول من الأمور المحتملة من غير شك ، وقد أثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للمهاترة أن ذلك كله قد حدث لهذه الكتب التي لم يكن فيها من الحصانة ما يضمن لها السلامة من عدوان المعتدين ، وعبث العابثين ، كما أخبر القرآن الكريم أنهم جعلوا منها قراطيس يظهرون منها ما يريدون

اظهاره ، أو يخفون منها ما يريدون اخفاءه ـ كذلك ـ اذا كانت مصلحتهم تقتضي هذا أو ذاك ، ثم انتهى ذلك بالصراع الذي أجمله القرآن بقول اليهود عن النصارى أنهم ليسوا على شيء ، وقول النصارى عن اليهود مثل هذا القول في حين أن هؤلاء وهؤلاء عطلوا فيما بينهم العمل بكتابهم : **(ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)** المائدة/٦٦ .. ويظهر من سياق الآيات في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن كل رسول لاحق كان يعنى كل العناية بتوطيد دعائم كتاب الرسول السابق ، ولهذا تقول الآية الكريمة عن عيسى عليه السلام : **(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)** المائدة/٤٦ .. وتقول الآية الأخرى عن نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام : **(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)** المائدة/٤٨ . وكأنما كان ذلك تمهيدا لاستجابة أهل هذا الكتاب السابق لأنهم اذا علموا أن هذه الدعوة الجديدة لم تكن غريبة عليهم ، ولا بعيدة عنهم وانها امتداد لمسيرتهم التي ابتدأها رسولهم لم يترددوا في الايمان بها ، والتصديق لصاحبها ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف أن الأنبياء أبناء علات ، وفي القرآن الكريم يخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم : **(ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك)** فصلت/٤٣ . **(وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه)** الأنعام/٩٢ . وما من كتاب من هذه كلها الا كان هكذا مصدقا الذي بين يديه ، لأن الرسالات السماوية على اختلاف الأزمان والأشخاص كانت دعوة الى إفراد الله بالخلق والرزق ، والحياة والموت ، وتدبير الأمور ، وقضاء الأشياء وانه لا يزاحمه جبار ، ولا يغالبه قوى ، ولا يخرج على ارادته مسلط . والذي يدلنا دلالة لا ريب فيها أن مهمة هؤلاء الرسل لا تختلف اختلافا يجعلها متباينة أو متعارضة ، ما يفيده حديثه صلى الله عليه وسلم من أن مثل ما جاء به هو والأنبياء من قبله مثل رجل بنى بيتا كان موضع اعجاب الناس واكبارهم لا ينقصه الا فراغ كان من تمامه أن تتحيزه لبنة في ذلك البناء ، لهذا كانوا يرون أنه لو جعلت اللبنة في هذا الفراغ لتكامل حسنه ، وتم بناؤه ويقول في نهاية الحديث ، فأنا اللبنة من هذا البناء غير أنه لا نبي بعدي ، وهو واضح في أن وظيفة هؤلاء الدعاة كانت منحصرة في توجيه الخلق الى عبودية الخالق لا أكثر ولا أقل : **(أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)** الشورى/١٣ ، الا أن هذه الفرقة التي حدثت كانت مثار نقاش بين أهل

الفكر وأصحاب الرأي ، ودهاقـين النظر ، هل كان ذلك من الكتب التي تعددت أسماؤها ومسمياتها ، أو كان من الدعاة وقد حامت حولهم شبهة العبث والتغيير أو كان من الاجتهاد في الفهم ، والاجتهاد ميدان واسع تضل فيه الأفكار ، وتختلف فيه الأفهام ، وقبل أن يتشعب الحديث نبادر الى القول بأنه لا اجتهاد مع النص ـ كما يقول علماء الأصول ـ والعيب كله كامن في أولئك الذين زعموا أنهم قوامون على هذه الكتب ـ ولا كتب ـ ويقول المرحوم الاستاذ سيد قطب في كتابه « المستقبل للاسلام » : « لقد جاء موسى عليه السلام بالتوراة لتكون منهجا لحياة بني اسرائيل . كما جاء كل دين قبلها ليكون منهج حياة لمن جاءهم ، وجاء عيسى عليه السلام بالانجيل ليكون المنهج المعدل لبني اسرائيل . ولكن اليهـود لم يقبلوا رسالة المسيـح . ومن ثم قاومـوه وقاوموا دعوته . وانتهى بهم الأمر الى اغراء « بيلاطس » الحاكم الروماني على أرض الشام يومئذ بمحاولة قتله لولا أن توفاه الله ورفعه اليه ، وأيا ما كان الأمر فقد سارت الأمور بعد ذلك بين اليهود وأتباع عيسى عليه السلام مسيرتها البائسة . فبذرت بذور الحقد على اليهود في نفوس الذين صاروا نصارى ، كما بذرت بذور الكره في نفوس اليهود على هؤلاء ، وانتهت بانفصال أتباع المسيح عن اليهود ، وانفصال النصرانية كما صـاغتها الكنيسـة والمجامـع المقـدسـة عن اليهودية ـ كما صاغها أحبار بني اسرائيل مع أن ما جاء به عيسى في الأصل كان تكملة لما جاء به موسى عليه السلام . ولما وقعت الجفوة بين أتباع عيسى عليه السلام واليهود ، انفصل كتابهم الذي يسمونه العهد الجديد عن كتاب اليهود الذي يسمونه العهد القديم ، وبذلك لم يعد للنصرانية بعد هذا الانفصال شريعة مفصلة تنظم الحياة .. غير أن الذي حدث هو أن عهدا طويلا من الاضطهاد الفظيع قد أظل أتباع عيسى عليه السلام سواء جـاء هذا الاضطهـاد من اليهـود المنكرين لما جاء به المسيح أو من الرومان الوثنيين الذين يحكمونهم ، وهنـالك اضطـر تـلاميـذ المسيـح وأتباعهم الى التخفي والتنقل والعمل سرا فترة طويلة ضاعت فيها نصوص الانجيل الذي أنزله الله على عيسى . وحينئذ كان الاعتماد على تلاميذه الذين يختلفون في الرواية عنه .. وقد كتب أقدم هذه الأناجيل بعد المسيح بجيـل كامـل ، ويختلف المؤرخون للنصرانية اختلافا كبيرا في هذه المدة ما بين أربعين أو نيف وستين سنة ، كما يختلفون في اللغة التي كتب بها . اذ لم يوجد له أصل ، وانما وجدت الترجمة فقط .

ولقد كان من نصيب « بولس » الذي لم ير المسيح عليه السلام أن يتولى نشر النصرانية في أوروبا مطعمة بما رسب في تصوراته من الوثنية الرومانية والفلسفة الاغريقية وكانت الكارثة العظمى في دخول الامبراطور الروماني « قسطنطين » في النصرانية فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم

يتقيد بأوامر الكنيسة الا قليلا في أواخر عمره ، واذا كانت الجماعة النصرانية قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ، ولكنها لم تقطع دابر الوثنية ، وكان من نتائج كفاحها واختلاط مبادئها أن نشأ دين جديد من النصرانية والوثنية ، وابتدأت بعد ذلك صراعات في المسيحية لا نهاية لها ، كان منها تيار الرهبانية العاتية التي كانت أشأم على البشرية من بهيمية الرومان وتحللها ، اذ اكتشف الناس أن حياة رجال الكنيسة تعج بالفواحش في أشد صورها .. ولا نريد أن نسترسل معك في حديث سيد قطب الذي يعتمد فيه كل الاعتماد على كتاب « محاضرات في النصرانية » للعالم الاسلامي الكبير « أبي زهرة » ، وانما أردنا ـ فقط ـ أن نذكر لك أن هذه الكتب السماوية لم تعد لها قداستها واحترامها ، والثقة فيها ، والاطمئنان اليها ، بعد هذا الذي أصابها من أهلها ، ومن عوادي الزمن كذلك ، واذا كنا قد قلنا من قبل إن أصولها غير موجودة حتى في المتاحف الأثرية التي تحرص على الاحتفاظ بالأشياء النادرة . فان أخانا سيد قطب ـ وأبا زهرة ـ يشاركنا في هذا الرأي ، الا أننا نزيد على ذلك أن عوامل الضياع ـ أو الفناء ـ لهذه الكتب كانت موفورة تتمثل في أكثر من سبب واحد ، فالى جانب الصراع بين أهل العهد القديم وأهل العهد الجديد ، أولئك الذين دونوا هذه الكتب على بعد مسافة التاريخ أو قربها ، ثم أولئك الذين اخترعوا من الكهنوت أو غيره أشياء لا أصل لها . وترتب على ذلك كله ثورات كانت باسم الاصلاح الديني حينا أو باسم آخر حينا ثانيا وهكذا توجد علة عدم الثقة التاريخية وعلة العلل في ذلك الحلقة المفقودة التي لا يستطيع أحد أن يعثر عليها وهي اللغة التي كانت بها هذه الكتب ، على أن هذه اللغة التي كانت بها هذه الكتب لا تفيدنا ولا تفيد هذه الكتب شيئا ، وانما يفيدها ان يكون في هذه اللغة من الحصانة ما يحول بينها وبين العدوان عليها ، كما كان الحال في القرآن الكريم الذي لاقى من الاحن والصراعات والحروب ما لا يذكر في جانبه هذا الذي صادف هذه الكتب ونحن نعلم أنه قوبل بالعداوة والصد والاعراض والخصومة ، والكراهية والبغض والتحدي والتكذيب وكان ذلك منذ أول يوم ابتدأ فيه نزول جبريل عليه السلام ببعض آياته على محمد صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا الذي وصل فيه التاريخ الى أربعة عشر قرنا ومع ذلك يزداد تمكينا في الأرض ، ودويا في الآذان ، وروعة في القلوب ، وسحرا في البيان ، واعجازا في البلاغة واصلاحا للنفوس ، وتقويما للطباع ، وخلودا على الدهر ، وتحديا للمتطاولين ، وتسفيها للمكذبين لأنه كتاب البشرية وقانون الانسانية ، ودستور الحياة ، وهداية السماء ، وحديث الخالق الى المخلوقين ولا يستطيع أحد أن يسكت صوته تبارك وتعالى وهو ينادي في القلوب والأفئدة : **(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** الاسراء/٩ .



للدكتور / محمود محمد عماره

يتميز المتقون من الناس كما يتميز الماس من الفحم . وهما من أصل واحد ! ان فص الماس يتحمل الضغط العالي .. وكلما صببت عليه النار .. ردها اليك نورا ..

أما الفحم : فهو الفحم دائما : ظلمات بعضها فوق بعض .

وعلى كثرة ما تحمل الأرض من ألوان البشر .. فان جماهير غفيرة تمضي على وجوهها .. مدفوعة بغرائز الأنانية .. محكومة بمنطق المنفعة :

خلقوا .. وما خلقوا لمكرمة
فكأنهم خلقوا .. وما خلقوا
رزقوا .. وما رزقوا سماح يد
فكأنهم رزقوا .. وما رزقوا !

ومن دون هؤلاء جميعا يمضي المتقون على سواء الصراط : هداة الى الحق .. دعاة الى الخير .. وكأنما أقامهم الحق سبحانه حجة على الناس ـ ليفتحوا أبصارهم على نماذج منهم .. يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق مثلهم .. لكنهم عاشوا فوق مستوى المنفعة ..

وحين نزغتهم من الدنيا نوازغ الشهوات .. تخطوا الحواجز النفسية .. واتخذوا الحق والخير سبيلا ..

يقول الحق سبحانه :

(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) آل عمران / ١٤ .

(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) آل عمران / ١٥ .

فالحياة بكل ما فيها من صور المتاع مبسوطة أمام كل الناس .. حتى المتقين منهم .. والقدرة على الاستمتاع بهذه الطيبات قاسم مشترك بين الناس جميعا .. وعندما يقف أكثر الناس بوجودهم في السفح .. وعند مستوى المتعة الحسية بنسائهم .. وأولادهم .. وأرضهم .. فان المتقين على ما فيهم من غرائز الجنس .. والأبوة .. والتملك ـ مثلهم ـ الا أن الحياة تبدو في أعينهم في حجمها الطبيعي وهذه الشهوات .. كما تشير الآيات : « متاع » ـ محدود القيمة .. سريع الزوال . ثم هو « متاع الحياة الدنيا » .. لا يشكل هدفا بعيدا .. تشد اليه الرحال .. ويشقى من أجله الرجال ! ويفتح السياق القرآني هنا أبصار الصفوة على أفق أعلى .. ليتذوقوا النعمة الحقيقية من وراء ذلك كله :

(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم)

ان المتقين يحبون النساء .. ولكن قصد الاعفاف . وكثرة الأولاد .. ويحبون الخيل المسومة .. اعدادا للمعركة الفاصلة بين الحق والباطل ..وأولادهم متعة الحس والنفس .. بيد أنهم لا يتحولون الى فتنة تلهي عن مطالب الايمان .. ان الشعور بجمال الحياة مطلب في منهج التقوى .. جمال الحياة .. في ظاهرها وباطنها على سواء .

ومعنى ذلك أن التقوى تمنح أربابها حسا بصيرا بعواقب الأمور .. ينفذون به من الشكل الى الموضوع .. من القشرة الى اللب .. ايثارا للباقي على الفاني .. وضنا بطاقات النفس أن تطير شعاعا على موائد الترف والمجون . وفي الوقت الذي يتقلب فيه المترفون بين أعطاف النعيم .. وحينما يدلون بما يملكون من مال وسلطة .. وعندما يخرجون على الناس في زينتهم .. بما لها من بريق خداع .. فان المتقين لا يتخلون عن دورهم أبدا .. ولا تثنيهم المظاهر البراقة عن المضي الى حيث ترمي الهمة فيهم ..

بعيدا .. على طريق الكمال الانساني :
(**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد . لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار**) آل عمران/ ١٩٦ ـ ١٩٨ .

واذا أحسن المتقون استقبال النعيم الدنيوي .. فكان في حسابهم معراجا الى أفق أعلى .. فان ملكاتهم النفسية والعقلية تحسن أيضا استقبال واردات الهداية : تقرأ .. وتفهم .. وتوازن .. ثم تختار ..

ان القرآن الكريم معروض أمام كل الناس .. لكن الكثرة الكاثرة لا يأخذون منه الا كما تأخذ هبة النسيم العابرة من الروض الناضر .. أما المتقون .. فهم وحدهم المنتفعون به .. الذين يملأون صدورهم من عبقه .. وقلوبهم من حقائقه : (**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**) البقرة/ ٢ .

وعندما تختلط السبل أمام السالكين .. فيشتجر الخلاف .. ويغيم الجو .. ويختلط الحق بالباطل .. وتحتوي الناس حيرة قاتلة .. تصبح التقوى حينئذ طوق النجاة ـ وفرقانا يميز به المتقي الخبيث من الطيب . والباطل من الحق :

(**يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم**) الانفال/ ٢٩ . ان القلب الموصول بالحق لا يخطىء الحق أبدا .. وما أعظم الفضل حينئذ : فبينما يضيع العصاة أوقاتهم ويبددون طاقاتهم في محاولات الخروج من فتنة الحيرة ..

فان طاقات المتقين وأوقاتهم مرصودة لبناء طوابق عليا .. فوق الأساس السليم بما منحهم الله تعالى من بصيرة يكشفون بها معالم الطريق .. وحتى في لحظات الخطر المحدق .. فانهم يبصرون سنن الله في النصر والهزيمة فلا يبطرون في الأولى .. ولا ييأسون في الثانية : (**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**) آل عمران/ ١٣٧و١٣٨ . .

وهذه السنن الالهية الماضية في الاجتماع البشري واضحة كالشمس .. تملأ العيون وتدركها العقول . ولكن بعض الناس لا يرى الشمس .. حتى في الضحوة الكبرى .. واذا رآها .. فكأنها شيء لا يعنيه !

وينفرد المتقون بالرؤية الواضحة لحقائق الكون والحياة : انهم يفتحون كل منافذ الحس فيهم .. فاذا هم على الحق سائرون .. يجددون بالعمل ما بلي من قيم .. ويمسحون بالتوبة ما يعلق بهم من غبار الطريق .. انهم ليسوا « آلات تصوير » .. ازاء ما يشاهدون ويحسون .. وانما هم أجهزة استقبال لو أرادت الهداية .. تعطيهم الآيات أسرارها لتصبح في كياناتهم لا مجرد معرفة نظرية وانما

(هدى وموعظـة) تستجيش قلب الانسان وعقله ليقبل بكيانه كله على أمر الله تعالى .

وفي غمرة الاندفاع في معركة الحياة تكون للمتقين مع الشيطان جولات .. قد يحقق فيها الشيطان نصرا ولكنه النصر الجـزئي المؤقت .. والـذي يصحو المتقون فور حدوثه على صوت النذير آتيا من أعماقهم .. والذي لا يغيب أبدا على ما يقول سبحانه : (**ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطـان تـذكـروا فـاذا هـم مبصرون**) الأعراف/ ٢٠١ وتطالعنا الآية الكريمة بأمور :

١ ـ الذين صارت لهم التقوى ملكة راسخـة .. لن يكونـوا بمفازة من الشيطان أبدا .. ويمكن لـيـده أن تناوشهم لحظة ..

٢ ـ وأن هجمة الشيطان على حمى المتقي تنحسر في النهاية عن مس خاطف واجف .. لا يحدث في بنائهم صدعا .. ولا في قلوبهم وهما .. ولا في بصيرتهم غيما .

٣ ـ وان حسـاسية قلـوبهم تجاه المعصية تجعل رد الفعل صحوة كبرى يخنس لها الشيطان بعيدا ..

٤ ـ وهذا الضمير الصاحي لا يغيب أبدا كما يفيد التعبير القرآني : (**فاذا هم مبصرون**) .

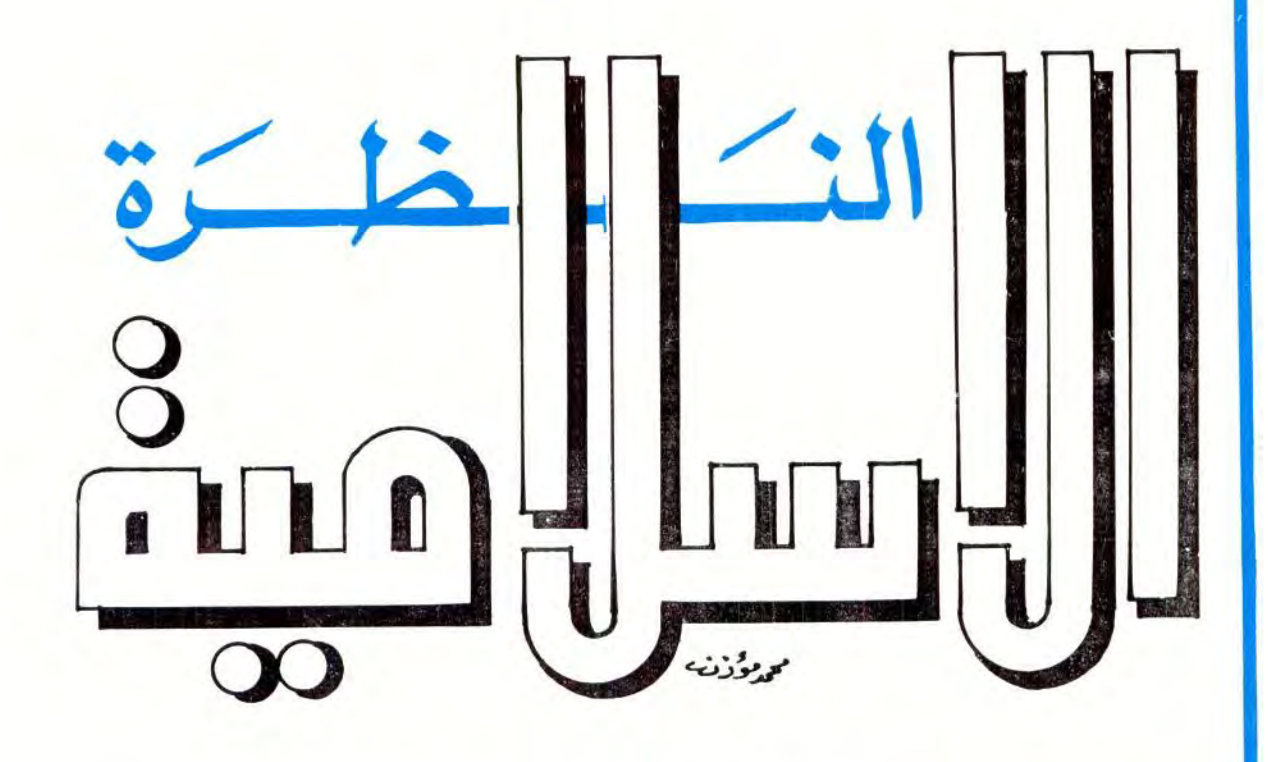
وكيف ؟! :

اذا ضاعت ساعتك .. ثم بحثت عنها فوجدتها .. فمعنى ذلك أنها غابت عنك زمنا .. ثم ردها البحث اليك . أما اذا تفقدت ساعتك التي ظننتها قد ضاعت فاذا هي في يدك .. فمعنى ذلك أنها لم تغب .. ولكن الغفلة أذهلتك عنها ! فاذا قال الحق تبـارك وتـعـالى : (**فـاذا هـم مبصرون** ..) أي : اذا هم على العهد مبصرون .. لم يحرموا وهج البصيرة لحظـة من زمان .. مهمـا وسوس الشيطان ! في الوقت الذي يظل اخوان الشيطان من الغاوين في غمرة لا تنجلي من الضلال ..

أما الذين اتقوا فمس الشيطان لهم على ما عرفت ـ مثل سحابة الصيف . أو عارض الطيف سرعان ما ينجلي باذن الله .. « بل اننا اذا أمعنا النظر في حكمة ابتلاء المؤمنين بهذه الزلازل السطحية . وجدنا فيها كثيرا من الذكرى والتبصرة : فانما يريد الله بها أن يصهر قلوبهم بنار الخوف على ايمـانهم . ليزدادوا حـرصا عليـه والتجاء الى الله في حفظه .

اذ من ذا الذي يرى اللصوص يطوفون حول حصنه ، ويطوقون بابه ثم يأمن أن يلجوه أو يظهروه أو يستطيعوا له نقبا ؟ فكذلك المؤمن : اذا مسه طائف من لصوص الشياطين أوجس منهم خيفـة أن يتسـوروا محراب قلبه ، وأن يسرقوا منه أنفس ما فيه ، وهو جوهرة ايمانه ، لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . ولأن الله الذي أقدر هؤلاء الشياطين على الوصول الى باب الحصن قادر على أن يفتح لهم ويمكنهم منه » .

ومن هنا يظل المسلم على حذر .. وعلى أهبة الاستعداد دائما ليرد كيد الشيطان .. فلا ينام عن قلبه .. عن عقله .. ليظل آمنا من عبث الذئاب .



تمهيد :

الحديث في هذا الموضوع جد شيق وذو اهمية بالغة ووزن عظيم في عالم الاقتصاد ، فهو من اساسيات التعامل في السوق ، فلا تعقد الصفقات ، ولا تكتب العقود ويتم البيع الا بعد الاتفاق عليه ، ويؤثر تأثيرا كبيرا في الطلب على السلع والخدمات بما ينعكس على العرض ايضا بعد ذلك ، وحديثا ظهرت له النظريات والطرق والسياسات ، واهتم به علماء الاقتصاد والادارة والمحاسبة غاية الاهتمام ، فدائما ما ينطوي التسعير على عدة اسئلة هامة واساسية الى حد كبير منها :-

- ما هو السعر الذي يجب تحديده للسلعة المعينة ؟
- ما هي العناصر التي يجب اخذها في الاعتبار الى جانب الاعتبارات المالية عند تحديد السعر المناسب ؟
- متى يجب اجراء تعديلات في السعر ؟
- كيف يتم استخدام التسعير كادارة استراتيجية لتحقيق التجانس مع



الاستراتيجيات الاخرى وزيادة الدخل وحجم المبيعات ورضاء المستهلكين ؟
- كيف تستجيب الشركة لاستراتيجيات وسياسات تسعير المنافسين ؟
- كيف تتجنب الشركة السياسات السعرية الانتقامية التي قد يتبعها المنافسون ؟

فهل اعطت الشريعة الاسلامية للتسعير هذا الاهتمام او تركته بلا رعاية او تنظيم ؟

للاجابة على هذه الأسئلة ، وفي غضون ما ظهر حديثا من سياسات وطرق سنتناول هذا الموضوع من النواحي التالية :-

(١) ما هو التسعير ؟
(٢) نظريات التسعير في الاسلام .
(٣) وجوب التسعير عند الضرورة .
(٤) سياسة التسعير الاسلامي .
(٥) مبادىء التسعير وقواعده .
(٦) التسعير في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة .
- العوامل التي يجب اخذها في الاعتبار عند اتخاذ قرار التسعير .

- استخدام نقطة التعادل في تحديد السعر المناسب
- بعض السياسات السعرية الحالية وموقف الاسلام منها .
(٧) خاتمة .

(١) ما هو التسعير :

« يعني التسعير وضع ثمن محدد للسلع التي يراد بيعها بحيث لا يظلم المالك ولا يرهق المشتري ».

ويحتوي هذا التعريف على عناصر جوهرية هي :
- تحديد السعر العادل واعلانه .
- السلع القابلة للتسعير هي تلك السلع القابلة للبيع .
- مراعاة الا يقع الظلم على البائع .
- مراعاة الا يرهق المشتري .

(٢) نظريات التسعير في الاسلام :

يمكننا بالنظرة الفاحصة والاستقراء الكامل لما كتبه العلماء والباحثون حول موضوع التسعير الوصول الى نظريتين اساسيتين هما :
الاولى : نظرية تحريم التسعير .
الثانية : نظرية جواز التسعير .

وبالقاء الضوء على بعض الاسس والقواعد التي تقوم عليها كل نظرية من النظريتين السابقتين نجد ان :
١ ـ نظرية تحريم التسعير : وتكون هذه النظرية واجبة التطبيق اذا تضمن التسعير ظلم الناس واكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه او منعهم مما اباحه الله لهم .

ويستند انصار هذه النظرية على عدة مبررات منها :
أ ـ الحديث الذي رواه أنس بن مالك ، قال : « غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله لو سعرت لنا ، فقال : ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، واني لارجو ان القى الله ولا يطلبني احد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال » رواه ابو داوود والترمذي .
ب ـ ما قاله الشوكاني :
« ان الناس مسلطون على اموالهم والتسعير حجر عليهم والامام مأمور برعاية مصلحة المسلمين ، وليس نظره في مصلحة المشتري برخص الثمن اولى من نظره في مصلحة البائع بتوفير الثمن ، واذا تقابل الامران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لانفسهم ، والزام صاحب السلعة ان يبيع بما لا يرضى به ، مناف لقوله تعالى :

(**الا ان تكون تجارة عن تراض منكم**) النساء/ ٢٩ .
جـ - يؤدي التسعير الى اختفاء السلع بما يؤدي بدوره الى ارتفاع اسعارها الذي يضر بالفقراء من الناس فلا يستطيعون شراءها ، بينما يشتريها الاغنياء من السوق الخفية « السوداء » بغبن فاحش فيقع كل منهما في الضيق والحرج ولا تتحقق لهما المصلحة .
د - ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه مر بحاطب بسوق المصلى وبين يديه غرارتان فيهما زبيب ، فسأله عن سعرهما ، فسعر له مدين لكل درهم ، فقال له عمر حدثت بعير مقبلة من الطائف تحمل زبيبا وهم يعتبرون سعرك فاما ان ترفع السعر واما ان تدخل زبيبك الى البيت فتبيعه كيف شئت . فلما رجع عمر حاسب نفسه ، ثم اتى حاطبا في داره فقال :
« ان الذي قلت لك ليس بمعرفة منى ولا قضاء ، وانما هو شيء اردت به الخير لاهل البلد ، فحيث شئت فبع ».
هـ - ما قاله الله سبحانه وتعالى في سورة النساء : (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما**) النساء/ ٢٩ .
وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الاية :
ان الله ينهي عباده المؤمنين عن ان يأكلوا اموال بعضهم بعضا بالباطل اي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كالربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل . وقال مجاهد « الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » بيعا او عطاء احد احدا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما البيع عن تراض » رواه ابن ماجة . ومن تمام الرضى اثبات خيار المجلس كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ».
و - حديث العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
- يا رسول الله سعر لنا ، فقال : بل أدعو الله .
ثم جاءه رجل ، فقال :
- يا رسول الله سعر لنا ، فقال : بل الله يرفع ويخفض ، واني لارجو ان القى الله وليس لاحد عندي مظلمة » رواه ابو داود .
ولذا يستدل من الحديث ان اجبار الناس على ذلك ظلم لهم .
ز - رفض ابن حزم التسعير ، وكذلك ابن الاثير في كتابه النهاية ، وكذلك فهو محرم عند ابي حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من الفقهاء .
ح - لو أبيح التسعير بنص صريح ، فقد يتيح ذلك لبعض الاشرار او الجهال من الحكام تقييد حرية التجارة في غير محل ، وذلك يخنقها بالتسعير في غير ضرورة مما قد يؤدي مثلا الى رأسمالية الدولة ، والدولة اذا تحكمت في شيء ظهر اشد انواع الاحتكار خطورة ، ولكن النبي ذكرنا بحساب الله في هذه المسألة وحثنا على تقوى

الله وخشيته .

٢ ـ نظرية جواز التسعير :

يستند انصار هذه النظرية اساسا الى نقص جوهري في فهم اولئك الذين حرموا التسعير لحديث الرسول حينما قال « ان الله هو المسعر » فالحديث لم ينه عن التسعير ولم يحرمه فالرسول الكريم لم يقل : « لا تسعروا » او « لا يحل لكم التسعير » وانما قال : « ان الله هو القابض الباسط » ، وقال « ادعو الله ».
أ ـ ويعني هذا ان الله سبحانه وتعالى يقبض ويبسط وبيده الامداد والعطاء ، كذلك الامساك والاخذ ، ولذا فهو المسيطر على النعم كلها يهبها لمن يشاء ومتى شاء واينما شاء بقدر منه وبرحمة منه وعدل ، ولو شاء لفاض بها على الناس جميعا في بقاع الارض كلها .

وفي مقابل تلك النعم والافاضة بها فقد زجر الله سبحانه وتعالى ونهى عن اكل مال الغير او نهبه او مجرد النظر اليه بنهم . فهو سبحانه يقول :
« **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل**)ويقول ايضا : (**ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا**) طه/ ١٣١ .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « من اقتطع ارضا ظالما لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان ». احمد ومسلم وفي رواية لمسلم : « من اقتطع حق امرىء لقى الله وهو عليه غضبان ».

من ذلك يتضح ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر لحكم العرض والطلب والقواعد العامة المنظمة لذلك واجتناب الامر بالتسعير كذلك اجتناب النهي عنه بل قال « بل أدعو الله ».
ب ـ في حالة تعدي التجار تعديا فاحشا وظلمهم الناس بغير حق مما يضر بالسوق ، وجب على الحاكم التدخل وتحديد سعر معين ، وذلك صيانة لحقوق الناس ومنعا للاحتكار دفعا للظلم الواقع عليهم من جشع التجار .

وذلك ما ذهب اليه الامام مالك كما راه بعض الشافعية في حالات الغلاء .
جـ ـ ما قاله صاحب الهداية :

« لا ينبغي للسلطان ان يسعر على الناس فان كان ارباب الطعام يتحكمون ويتعدون في القيمة تعديا فاحشا ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين الا بالتسعير فحينئذ لا بأس به بمشورة من اهل الرأي والبصر ».
د ـ ما قاله الامام ابن قيم الجوزية ايضا في كتابه الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : « ان يلزم الناس الا يبيع الطعام او غيره من الاصناف الا ناس معروفون فلا تباع تلك السلع الا لهم ثم يبيعونها هم بما يريدون ، فلو باع غيرهم ذلك منع وعوقب ، فهذا من البغي في الارض والفساد ، والظلم الذي يحبس به قطر السماء ، وهؤلاء يجب التسعير عليهم ، والا يبيعوا الا بقيمة المثل ولا يشتروا الا

بقيمة المثل ، بلا تردد في ذلك عند احد من العلماء ، لأنه اذا منع غيرهم ان يبيع ذلك النوع او يشتريه ، فلو سوغ لهم ان يبيعوا بما شاءوا او يشتروا بما شاءوا : كان ذلك ظلما للناس ، للبائعين الذين يريدون بيع تلك السلع وظلما للمشترين منهم ».

فالتسعير في مثل هذا الحال واجب بلا نزاع ، وحقيقة الزامهم بالعدل ومنعهم من الظلم هذا ، وكما لا يجوز الاكراه على البيع بغير حق فيجوز او يجب الاكراه عليه بحق .

هـ ـ التسعير امر واجب عند محاولة الاحتكار واستغلال حاجة الناس الى السلعة لجني ربح اكبر لأن التسعير يجبرهم على السعر المحدد والالتزام به لتحقيق العدل .. كما ان التسعير من افضل وسائل منع الغلاء .

و ـ قول ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام :

« ما قاله اصحاب ابى حنيفة لا ينبغي للسلطان ان يسعر على الناس الا اذا تعلق به حق ضرر العامة ، ومن ذلك ان كان ارباب الطعام يتعدون ويتجاوزون القيمة تعديا فاحشا ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين الا بالتسعير ، سعر حينئذ بمشورة اهل الرأي والبصيرة ، واذا تعدى احد بعد ذلك اجبره القاضي .

ز ـ لما غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه التسعير امتنع ، ولم يأمر ولم ينه في حين كان نهيه صلى الله عليه وسلم واضحا جليا في الا يبيع حاضر لباد ، وكذلك نهى عن تلقي الجلب ، والفرق بين الامرين واضح لكل ذي عقل .

(٣) وجوب التسعير عند الضرورة :

وبعد فقد القينا الضوء على هاتين النظريتين ويبدو لنا واضحا انهما يتفقان في ابعاد الظلم عن الناس ـ سواء كانوا بائعين ام مستهلكين ـ حيث ان الذين يحرمون وكذلك الذين يرخصون التسعير قد اعتمدوا على حديث واحد والعلة كما قالها رسول الله هي :

« اني لارجو ان القى الله وليس احد يطلبني بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال »

ويشير الحديث الى ان العلة في ترك التسعير هي ظلم الناس ، ويدل هذا على ان ارتفاع الاسعار كان بدون تدخل من التجار ، فاذا ما تبين ان التجار هم الذين رفعوا الاسعار طمعا في الربح الحرام ، فان هذا يعد ظلما يجب على ولي الامر رفعه ، والتسعير هو الوسيلة لهذا الرفع .

والله سبحانه وتعالى يقول : (**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/ ١١٠ .

ويقول ايضا : (**اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم**) النساء/ ٥٩ .

ويقول ايضا : (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**) النحل/ ٩٠ .

ويدلنا ذلك على امور كثيرة منها :

- الايمان بالله ورسوله وطاعتهما .
- طاعة اولي الامر ما دامت في طاعة الله ورسوله .
- ان الله يأمرنا ان نلتزم بالمعروف ونأمر به وان نبتعد عن المنكر وننهي عنه .
- ان الله يأمرنا بالعدل اينما وحيثما كان ، وينهانا عن البغي والظلم والتعدي .

ذلك انه مع تقدم العصور وتفشي المدنية وكثرة عدد التجار وانتشارهم وتدخل عناصر مختلفة وتعدد الاشياء - السلع والخدمات والافكار - التي يتجر فيها كان لزاما ان يكون هناك سعر معين يرتبط به التجار وتشتد الحاجة الى ذلك في بعض الاماكن عن الاخرى ، او في بعض السلع عن الاخرى ، او في بعض الازمان عن الاخرى .. الخ ، ويحدد ذلك السعر ولي الامر او المحتسب بناء على سياسة سعرية معينة .

ويوضح الاستاذ البشري الشوربجي ان الحاجة تصبح ماسة الى التسعير في الحالات الاتية :-

- ان الاحتكار محرم في الاسلام بصريح النصوص والتسعير ضرورة لمقاومته .
- التسعير سياسة شرعية تسد بها ذرائع الاستغلال والجشع ، وتكفل بها سلامة البيوع والمعاملات من الغبن والغش .
- المصلحة تقتضي التسعير وقد توجبه دفعا للضرر عن الجمهور ، وذلك عندما يحتاج الناس الى سلعة ما .
- عندما يراد حصر البيع لأناس معينين .
- عندما يتواطأ البائعون ضد المستهلكين .

فكأن التسعير من وجهة نظر الاسلام هو الوسيلة لسد الذريعة الى الاحتكار ومكافحة الغلاء ولمواجهة الظلم والبغي .

وكقاعدة عامة « كلما كان صالح الناس ومنفعتهم العامة في التسعير تعين اتخاذه ، وهذه مسألة نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان ويتسع تطبيقها ويضيق بحسب حالة الضمير والاخلاق في المجتمع ، ومدى نشاط الحركة الاقتصادية فيه ودرجة اتصال هذه الحركة بالأسس الاخلاقية للمعاملات » .

(٤) سياسة التسعير الاسلامي :

يمكننا هنا بيان كيفية تنظيم السياسة السعرية الاسلامية ، وما هي القوى المؤثرة في تحديد السعر المناسب .

* ويتضح ذلك من مقالة امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه : « يجب ان يكون البيع بأسعار لا تجرف بالبائع او المبتاع ، فيجمع الامام اهل

السوق الذي يراد وضع سعر له ، ويحضر غيرهم معهم استظهارا على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فينازلهم الى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا ».

* ويقول ابن حبيب :

« ينبغي للامام ان يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم استظهارا على صدقهم : فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون ؟ فينازلهم الى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا ولا يجبرون على التسعير ولكن عن رضا . قال : وعلى هذا اجازه من أجازه ، قال أبو الوليد : وجه ذلك أنه بهذا يتوصل الى معرفة مصالح الباعة والمشترين ، ويجعل للباعة في ذلك من الربح ما يقوم بهم ولا يكون فيه اجحاف بالناس ، واذا سعر عليهم من غير رضا بما لا ربح لهم فيه ادى ذلك الى فساد الاسعار ، واخفاء الاقوات واتلاف اموال الناس ».

* من ذلك يتضح انه لا بد من وجود هيئة تحكيم تتكون من : « المنتج ـ البائع ـ المستهلك ـ خبراء آخرين ».

أ ـ المنتج : وهو الذي انتج السلعة اصلا ويعلم حالها وبكم اعطاها للبائع « الموزع » وكم تكلفت وما هي قيمتها قبل ذلك وبعده ، فهو الذي يستطيع تقويم السلعة الى ذلك الحد .

ب ـ البائع « الموزع »: وهو التاجر الذي اتخذ التجارة حرفة له يرزق من نتاجها فينتفع من الشراء والبيع بالحصول على قدر معين من الربح وبحضوره يمكن تحديد قيمة السلعة وما يمكن ان يتكون لها من هامش ربح حتى الآن .

جـ ـ المستهلك او المشتري الصناعي « الذي يشتري السلعة للانتفاع بها في الانتاج »: وهو الشخص الذي يحتاج الى السلعة بمقابل معين ويستطيع ان يدفع هذا المقابل للاستفادة من السلعة ولكن الواجب هنا هو الالتزام بدفع قيمة المثل للسلعة بالتغاضي عن قدرة المستهلك ، فقد يكون من الثراء بحيث يستطيع ان يدفع الاكثر مما يبغي على مستهلك اقل منه قدرة على الشراء .

د ـ الخبراء الآخرون : ويشترط فيهم الحياد الكامل وذلك بما اتصفوا به من نزاهة الخلق وطيب السيرة والمعرفة الكاملة بالشيء المراد تسعيره من ناحية قيمته وعمره وخصائصه وضروريته .. وغير ذلك . كذلك يجب ان يكونوا اكثر من واحد ، والا يكون لهم مصلحة من هذا التسعير بحيث تجر عليهم افضالا من احد الجانبين ، والبعد عن اي شبهة تقيم الظلم او تساعد على القائه على احد الجانبين .

(٥) مبادىء التسعير الاسلامي وقواعده :

هناك من المبادىء التي يجب الالتزام بها عند التسعير الكثير ، ولكن الواضح الجلي انها تدور حول مصلحة الجمهور وفائدته ونشر العدل بين العباد ، ومن هذه المبادىء :

أ - عند وجود سعر معين وارادة البعض البيع بسعر اغلى منه فانه يمنع منه في السوق وذلك في مذهب الامام مالك ، ومثل ذلك ان يبيع البعض بـ ١٥ قرشا في حين ان الاخرين يبيعون بـ ١٠ قروش للوحدة .

ب - عند وجود سعر معين وارادة البعض البيع بسعر اقل منه ، فهنا نجد ان الشافعي واصحاب احمد كالقاضي ابي يعلى والشريف ابي جعفر وغيرهم منعوا من ذلك ، وكذلك مالك واضح بما رواه في موطئه عن يونس بن سيف عن سعيد بن المسيب « ان عمر بن الخطاب مر بحاطب بن ابي بلتعة وهو يبيع زبيبا له بالسوق ، فقال له عمر « اما ان تزيد في السعر واما ان ترفع من سوقنا »» .

وكذلك قال ابو الوليد السياجي : الذي يأمر من حط عنه ان يلحق به هو السعر الذي عليه جمهور الناس ، فاذا انفرد منهم الواحد والعدد اليسير يحط السعر امروا باللحاق بسعر الجمهور ، لأن المراعي حال الجمهور وبه تقوم المبيعات .

جـ - ما روي عن اشهب عن مالك : ان لصاحب السوق ان يسعر على الجزارين وذلك اذا سعر عليهم بقدر ما يرى من شرائهم وذلك مع الاخذ في الحسبان عدم اخراجهم من السوق ولا يجبر الناس على البيع ، وانما يمنعون من البيع بغير السعر الذي يحدده ولي الامر على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمشتري ولا يمنع البائع ربحا ولا يسوغ له منه ما يضر بالناس .

د - يقول الامام ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام :

« من منع التسعير مطلقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله هو المسعر القابض الباسط ، واني لارجو ان القى الله وليس احد منكم يطالبني بمظلمة في دم ومال » فقد غلط ، فان هذه قضية معينة وليست لفظا عاما .

هـ - على صاحب السوق الموكل بمصلحته ان يعرف ما يشتري به البائعون ، فيجعل لهم من الربح نسبة معينة ، وينهاهم ان يزيدوا على ذلك ويتفقد السوق ابدا .

فيمنعهم من الزيادة على الربح الذي جعل لهم ، فمن خالف امره عوقب واخرج من السوق ، وهذا قول مالك ، واليه ذهب ابن حبيب وقاله ابن المسيب ايضا ويحيى بن سعيد والليث وغيرهم .

و - لا يجوز عند اي من العلماء ان يقول لهم :

* لا تبيعوا الا بكذا ربحتم او خسرتم من غير ان ينظر الى ما يشترون به ولا ان يقول لهم فيما قد اشتروه :

* لا تبيعوا الا بكذا وكذا مما هو مثل الثمن او اقل منه .

واذا ضرب لهم الربح على قدر ما يشترون : لم يتركهم ان يغلوا في الشراء ان لم يزيدوا في الربح على القدر الذي حدد لهم فانهم قد يتساهلون في الشراء اذا علموا ان الربح لا يفوتهم .

ز - على ولي الامر عدم الاسراف في فرض الاسعار الجبرية لا سيما بالنسبة للسلع التي لا يضر الناس حرية التعامل فيها ، لأن الافراط في التسعير فيه تقييد

للمعاملات واضرار بالمنتجين او التجار بغير خبرة او ضرورة ملحة .

مما سبق يتضح : ان النظام الاسلامي لم يفرض التسعير فرضا عشوائيا في كل حالة وعلى كل سلعة وبغير حكمة ، وانما رخصة كحكم شرعي يدور مع علته وجودا وعدما ، والعلة هنا هي دفع الضرر عن الناس ، وتنظيم المعاملات على وجه عادل .

ولذا فالقاعدة العامة هنا ان الدولة تلجأ الى التسعير كلما كان فيه صالح الناس ومنفعتهم العامة على اساس من العدل الذي هو اهم اساس من اسس المعاملات في الاسلام .

(٦) التسعير في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة :

أ ـ العوامل التي يجب اخذها في الاعتبار عند اتخاذ قرار التسعير :

هناك عوامل عديدة يجب اخذها في الحسبان عند اتخاذ قرار التسعير ، وذلك في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة ، وذلك لما طرأ عليها من تغير وعدم استقرار ، منها ما يتعلق بحالة الطلب العام على السلع محل التسعير ، كذلك ما يتعلق بالمصروفات والنفقات التي تنفق على السلعة سواء اكانت ثابتة ام متغيرة ، مباشرة ام غير مباشرة ، كذلك هناك ما يتعلق بخصائص السلعة وقدرات المستهلكين وصفاتهم وخصائصهم ، واخيرا ما يتعلق بالتجار الذين يمثلون سلسلة توزيع السلعة وهامش الربح الذي يجب تحديده لكل منهم .

١ ـ ما يتعلق بالطلب على السلعة : وذلك من ناحية ،

ـ دراسة التقلبات في مستوى الاسعار مع الدورات التجارية والتقلبات الفصلية بما هو معروف بالعوامل الموسمية والعرضية المؤثرة على الطلب بوجه عام والطلب على السلعة محل البحث بوجه خاص .

ـ مرونة او عدم مرونة الطلب على السلعة اي بيان كنه الطلب وطبيعته على السلعة بجانب السلع الاخرى في نفس خط المنتجات وفي الشركة .

ـ الاختلاف بين الظروف التنافسية وبين دوافع الشراء وبين عادات الشراء والمقدرة على الدفع في المناطق المختلفة .

٢ ـ فيما يتعلق بالنفقات :

ـ دراسة وتحليل نفقات انتاج الوحدة وتسويقها في ظل الاحجام المختلفة للسلعة .

ـ حصر وتحديد نفقات النقل والشحن .

ـ دراسة وتحليل النفقات الثابتة والمتغيرة ومعرفة نقطة التعادل .

٣ ـ فيما يتعلق بأسعار السلع البديلة والمنافسة :

ـ معرفة اسعار السلع لدى المنافسين بالنسبة للسلع المتشابهة .

ـ معرفة اسعار البيع للسلع البديلة .

- تحليل اسعار البيع بحسب تصنيف السلعة ميسرة او تسوق او خاصة ، ضرورية او كمالية ، قديمة او حديثة ، مميزة او غير مميزة ، مكان بيعها بالسوق الاهلية او المحلية او الدولية .
- الاسعار الجبرية التي تحددها الحكومة والتي لا يمكن تخطيها او الزيادة عنها .
- الاسعار الخاصة بالمنتجات الاخرى او الاصناف الاخرى التي تدخل في نفس خط المنتجات .

٤ - فيما يتعلق بالموزعين وتجار التجزئة :
- دراسة اماكنهم وتحديد نفقات النقل لكل منهم .
- الاسعار المختلفة التي يبيع بها تجار التجزئة .
- الاسعار التي يمكن للموزعين او الوسطاء البيع بها ودراسة طرق السداد .
- طرق التوزيع ومنافذه التي يمكن التعامل معها ومزايا وعيوب كل منها .
- هامش الارباح الاجمالية لكل طبقة من الموزعين والوسطاء .

٥ - فيما يتعلق بالمستهلكين :
- دراسة المستهلكين في المنطقة التي ستباع فيها السلعة ومعرفة خصائصهم .
- معرفة الاسعار التي تعود عليها المستهلكون نظرا لمعرفتهم بها .
- معرفة الاسعار التي تحافظ على شهرة او وجود السلعة في نظر المستهلكين .
- معرفة الاسعار المختلفة التي تتناسب مع فئات الدخل المختلفة وقدرة المستهلكين على الدفع .

٦ - فيما يتعلق بخصائص السلعة :
- المعرفة الكاملة بخصائص السلعة ومميزاتها عن السلع الاخرى المنافسة والبديلة .
- تحليل تركيب السلعة لدراسة عناصر تكلفتها من الاوجه المختلفة .

ب - استخدام نقطة التعادل في تحديد السعر المناسب :

قد تواجه اجهزة الانتاج بمشكلة تحديد العدد المناسب من الوحدات التي يجب انتاجها وبيعها بسعر مناسب بحيث يغطي الدخل من المبيعات - على الاقل - تكاليف الانتاج والتسويق ، وهنا يمكن للمنتج ان يحدد هذه الكمية بان يفترض عددا من الاسعار التي يرى انه من الممكن بيع الوحدة من منتجاته بأي منها .

* ثم يطرح من كل سعر افترضه قيمة ما تتكلفه الوحدة الواحدة من التكاليف المتغيرة .

* يقسم على الباقي جملة التكاليف الثابتة .

* فيكون الناتج عبارة عن عدد الوحدات التي يمكن انتاجها بالسعر المحدد ومن الممكن اضافة اي مبلغ لتحقيق الربح الذي يراد تحقيقه الى التكاليف الثابتة من اجل الوصول الى الكمية اللازم بيعها لتغطية هذه التكاليف وانتاج ذلك الربح .

وتشتد الحاجة الى استخدام نقطة التعادل عند تقديم سلعة جديدة الى السوق او عند اجراء تغييرات في هيكل الاسعار بالنسبة للمنتجات القديمة .

فنقطة التعادل تعبر عن عدد الوحدات التي يمكن بيعها بسعر معين لكي تغطي جميع النفقات الكلية ـ الثابتة والمتغيرة ـ الانتاجية واالتسويقية .

ومن امثلة النفقات الثابتة ، المرتبات ، الاستهلاك ، النور .. الخ .

ومن امثلة النفقات المتغيرة ، المواد الخام ، الاجور ، التعبئة والتغليف .. الخ .

ومعيار التفرقة بين نوعي التكاليف ، ان التكاليف المتغيرة هي تلك التي تتغير بتغير عدد الوحدات المنتجة ، في حين ان التكاليف الثابتة تتميز بالاستقرار والثبات .

جـ ـ بعض السياسات السعرية الحالية وموقف الاسلام منها :

في السنوات الاخيرة ظهرت سياسات سعرية مختلفة ومتعددة منها ما هو طيب يوافق الخلق الكريم والشريعة السمحة ومنها ما هو خبيث لا يتفق مع الشريعة ولكن همه الاكبر تحقيق الربح الطائل في الوقت القليل وذلك باستخدام كافة المغريات البيعية بالتركيز على عاطفة المستهلك ومحاولة التأثير على سلوكه وتصرفاته ، ومن هذه السياسات :

● سياسة الاستدراج : وبمقتضاها تباع بعض السلع بأسعار لا تحقق نسبة كبيرة من الربح او قد تغطي التكاليف فقط ، بينما تباع سلع اخرى بربح كبير يعوض الخسارة في الاولى ، حيث يتم عرض سلع الاستدراج في نافذة المعروضات لاجتذاب المستهلكين واستدراجهم لدخول المتجر ، ثم تعرض بالداخل السلع الاخرى التي من ورائها يحقق البائع الارباح الطائلة .

ولكن هذه الطريقة لا تتفق مع الخلق القويم لأنها تضلل المستهلكين ولا يجدر بالتاجر المسلم في المجتمع الاسلامي ان يجتذب عملاء ، عن طريق الغش والخداع .

● سياسة التحميل : ويتبعها البعض عندما تكون احدى السلع راكدة ولا يقبل عليها المستهلكون ، فهنا يجبر المشترون على قبول كمية من هذه السلعة اذ لا يسمح لهم بشراء السلع الرائجة الا اذا اقترن ذلك بكمية من السلع البائرة .

وقد يبرر ذلك البعض بقولهم اذا لم ينتهجوها لتعرضوا لخسائر فادحة من جراء السلع غير الرائجة التي تكون متوفرة لديهم ، ولكن هذه السياسة مرفوضة من وجهة النظر الاسلامية فالعامل الهام لتحقيق البيع هو التراضي : (**الا ان تكون تجارة عن تراض منكم**) يلي ذلك عدم الغش لحديث الرسول الكريم « من غش فليس منا » رواه الترمذي . ويحتم ذلك عدم اجبار المستهلك او الزامه بشراء شيء لا يقبله ولا يحتاجه ولن تتحقق له المنفعة بعد تملكه .

● سياسة كشط السوق : تقوم هذه السياسة على اساس تحديد اقصى سعر ممكن

للسلعة التي تتمتع بخصائص فريدة ، وذلك للحصول على اقصى ربح ممكن في الاجل القصير دون الاكتراث بمركز الشركة في الاجل الطويل ، وذلك بحجة كسب فئة المشترين الذين لديهم الاستعداد لدفع اسعار عالية للسلعة دون غيرهم من المشترين .

● سياسة اختراق السوق : وهي عكس السياسة السابقة ، حيث يتم تحديد اسعار منخفضة لمنتجاتها بهدف الوصول الى اكبر عدد ممكن من المستهلكين او المشترين المرتقبين والحصول على اكبر حصة من المبيعات في السوق .

وحجة هؤلاء :

- اتجاه تكلفة الانتاج والتسويق للوحدة الى الانخفاض مع زيادة الكميات المباعة .
- عدم وجود سوق مرتقبة مجزية من ذوي الدخول المرتفعة التي يمكنها الشراء بأسعار مرتفعة .
- مواجهة المنافسة القوية حاليا ومستقبلا عن طريق السعر .

ولكن هاتين السياستين يختلف الحكم فيهما ، ولكن الارجح - والله اعلم - كما قاله ابن تيميه لما رواه عن مالك :

- الذي يؤمر من حط عنه ان يلحق به ، هو السعر الذي عليه جمهور الناس ، فاذا انفرد منهم الواحد والعدد اليسير بحط السعر ، امروا باللحاق بسعر الجمهور ، لأن المراعي حال الجمهور الذي تقوم به المبيعات .

وقيل هنا من باع خمسة بدرهم والناس يبيعون ثمانية ، او قيل من باع ثمانية والناس يبيعون خمسة .

قال : وعندي ان الامرين جميعا ممنوعان .

- لأن من باع ثمانية والناس يبيعون خمسة افسد على اهل السوق بيعهم .
- ولربما ادى الى الشغب والخصومة .

ففي منع الجميع مصلحة .

● سياسة الاسعار الكسرية : وتعتمد على اساس ان يقل مبلغ التسعير عن العقد - العشرة ومضاعفاتها - التالي او المائة التالية ومن امثلتها ما يباع بـ ٢٩ قرشا ، او ١٩٥ قرشا . وحجة هؤلاء ما يتصوره المشتري فرقا كبيرا في المقدار بين السعر الكسري القريب من العقد التالي او المائة التالية ومن السعر الذي بلغ هذا العقد او المائة .

فمن الناحية النفسية يبدو للمشتري ان الفرق بين ٧٩ قرشا و ٨٠ قرشا كبير ومن هنا يسود الاعتقاد بان بيع السلعة بـ ٧٩ قرشا سيحقق مبيعات اكثر من تلك التي يحققها البيع بـ ٨٠ قرشا .

ولكن يؤخذ على هذه السياسة اعتمادها على التأثير النفسي والعاطفي والابطاء في عمليات تحصيل الثمن ، وطرح الظلم على احد جانبي عملية البيع ، فلا شك ان المكمل للعقد او المائة من حق البائع او المشتري .

● مجاراة المنافسين : وعليها فان المنتج يجاري المنافسين ويتماشى مع اسعارهم

بالنسبة لنفس السلعة متى كانت عوامل الجودة والحجم واحدة في كل منها ، وعلى ذلك لا يجوز له ان يبيع بسعر اعلى من سعر المنافسين والا انصرف المستهلكون عنه .

ولا شك ان هذه الطريقة يشوبها الكثير من العيوب ، فالمعيار الرئيسي هو قيمة السلعة اولا وما هو الربح العادل الذي يجب الحصول عليه ثم يتحدد السعر المناسب لكي لا يقع الظلم الذي حذر منه الرسول الكريم .

خاتمة :

من كل ما سبق يتضح ان سياسة التسعير الاسلامي يجب ان تبنى على اساس تحديد تكلفة الانتاج والتسويق لكل سلعة ونصيبها من المصروفات الادارية ثم اضافة هامش الربح المطلوب لتحديد سعر بيع كل سلعة هكذا :ـ

تكلفة الانتاج + تكلفة التسويق + المصروفات الادارية + الربح = السعر

ويتطلب هذا نظاما دقيقا للتكاليف بحيث يمكن معرفة تكلفة كل وحدة من السلع كاملة الصنع .

وهذا يتطلب من المسئول عن اتخاذ قرار التسعير ان يعلم الافراد الذين يهمهم هذا القرار ويعقد معهم لقاءات متعددة للخروج بأيسر الاسعار واعدلها وهؤلاء الافراد هم :

- المنتجون ـ المستهلك النهائي للسلعة
- الوسطاء ـ المسئول عن ترويج المبيعات
- المنافسون ـ الحكومة

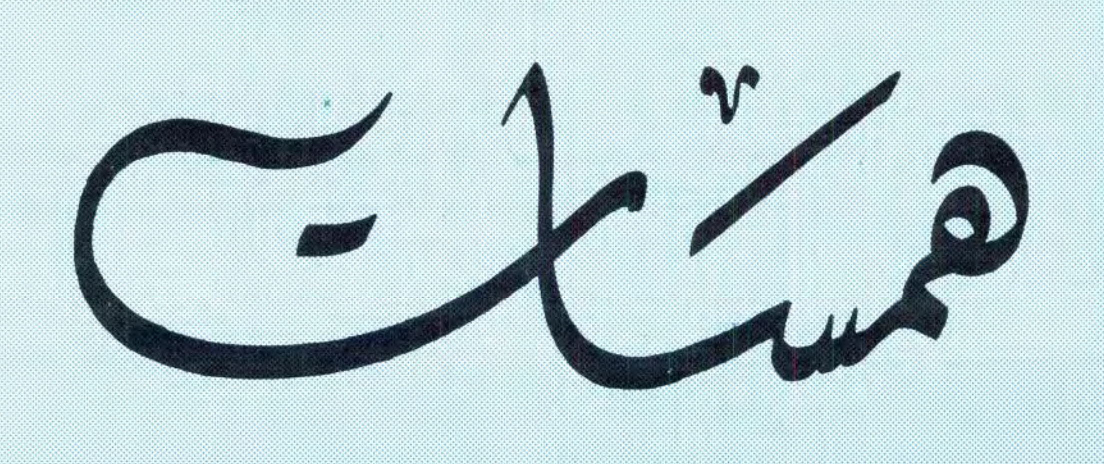
ويجب ان تكون هناك رقابة دائمة على التسعير ومتابعة تنفيذ السياسة المتبعة ، وفي الفقه الاسلامي يقوم بمهمة الرقيب على الاسعار المحتسب ، وهو احد الاشخاص الذين يمثلون الحاكم ، اذ يخول له سلطة الاشراف على السوق والنظر في مكاييله وموازينه وتحديد ومنع الاحتكار وقمع الغش والتدليس ورفع الضرر عن الطرفين وما الى ذلك من امر بالمعروف ونهى عن المنكر . وهكذا نجد ان المحتسب كما يأمر بالعبادات وادائها يراقب حسن سير المعاملات في البلد او المحلة .

وهكذا تستند السياسة السعرية الاسلامية على :

- الاعتدال في الربح المحقق .
- البعد عن الظلم لاي طرف من الاطراف المرتبطة بعملية البيع .
- الالتزام بالخلق القويم والصدق .

مراعاة صالح الجماعة وافشاء الرحمة بين الخلق .

- الخبرة العلمية والعملية في تقدير التكاليف والنفقات .
- البعد كل البعد عن احتكار السلع والغش والغبن ومحاولة رفع الاسعار .



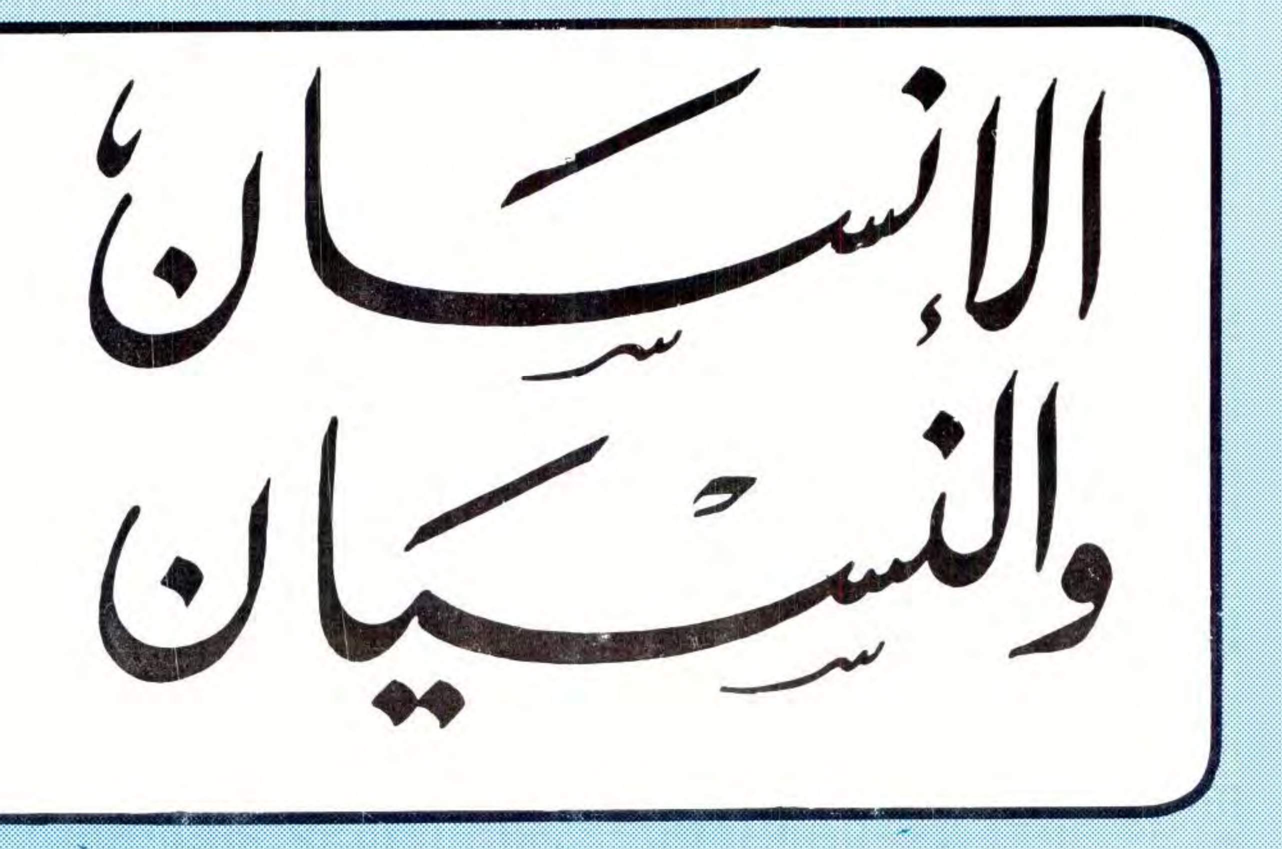
للاستاذ احمد محمد السفاريني

دواعيك يا نفس لا تنتهي
فانت الهوى ومهب البلاء
اذا ما ملكت نواصي الامور
وسيرت مقودها في غباء
تبلد وجه الحياة الجميل
وعاثت بها عاديات الشقاء
وشيطانك النهم ذاك الشقي
يقودك للغي والاشتهاء
يناجيك من منطق مفتر
يدغدغ فيك غرور الهباء
الم تعلمي كيف اغرى اباك
وفي جنة الخلد دار الهناء ؟!
ولم يرتض الحق من ربه
وغاضب حتى ارتمى في الجفاء
فكيف تسيغين وسواسه ؟
وكيف تجيبين دعوى الغواء ؟
وقد حذر الله من شره
واعوانه وافتراء المراء
وفي عالم من خداع رهيب
يشيد ابليس دار العفاء
مزخرفة بالاماني الكذاب
مسوفة البدء والانتهاء
يمني بما شاء اتباعه
وينفث فيهم بداء وداء
ويجعل منهم عبيد المتاع
ويحملهم في ظلام العناء
اولئك من حزبه ثلة
اماتوا العقول وخلق الحياء
جهنم موئلهم في الغداة
وفي الارض غول عظيم الوباء
وتمرغ في الوحل اقدارهم
وتغرق اعمارهم في العماء
ولو لم يكن مرشد للهدى
يبين درب الهدى والنجاء

الى النفس

وحكم من الله يتلى لنا
وايات ذكر حكيم روت
لكانت غواية من يرتمي
لقد خلق الله فينا الحجى
يميز بين خبيث الفعال
فللعقل فهم وفكر يجول
اذا عرف الحق عن حكمة
فقد امن المرء من مكره
واسبغ رب الورى فضله
فكانت رسالاته حجة
وتحميه من شطحات الخيال
ويا نفس هذا سبيل الفلاح
يهذب فيك انفعال الهوى
ويعطي العقول قياد المنى
عقيدة حق تفيد الانام
وشرعة رب عليم حكيم
وللمسلمين منار يشع
اذا حكموا الشرع في امرهم
وزالت غواش غوت اعيننا
ووحد من شأنهم دولة
اجل ، قد تدانت بشائرها
وهذا الهتاف على دربنا

صباحا ونقرؤه في المساء
معالم هذا السبيل المضاء
باحضانه لوثة في الهواء
وزودنا بالنهى والدعاء
ومحمودها والهوى والرجاء
وفيه احتكام ومعنى الولاء
وايقن بالرأي والاقتداء
واصبح عفا شديد الاباء
على العالمين بوحي السماء
تقوم في العقل اي التواء
ومن نكسة الشك والافتراء
ينير الحياة باجلى الضياء
ويقذف في القلب اسمى رواء
ليردعها عن شعاب الرياء
وترسم امالهم في اللقاء
ترد الزمان لحكم سواء
ودين يرسخ نهج الاداء
والقوا اليه ايادي النجاء
وظلت تحاول جهد البلاء
تطاول كل شعوب المراء
واصبح في الارض شجوى السناء
يردده الكون .. اندى نداء



النسيان :

النسيان ظاهرة نفسية من ظواهر الحياة الانسانية ، لا يسلم منها إنسان مهما سمت مكانته ، ومهما أوتي من حدة الذهن ودقة الملاحظة والسلامة البدنية والعقلية من أمراض النفس والجسد . وهكذا كان في حياة أدم وذريته الى يوم الدين ابتلاء حكيما يترتب عليه التنفيذ لقدر حكيم قدره العليم الخبير لانتظام الكون الدنيوي والكون الأخروي على ما سبق من بليغ مراده .

والنسيان في أيسر تعريف وأقرب بيان هو - كما عرفه الجرجاني - « الغفلة عن المعلوم في حالة السنة » المعجم الفلسفي ٢/٤٦٨ .

وهذه الغفلة عن المعلوم تعني احتجابه عن بؤرة الشعور في وقت النسيان ، مدفوعا عنها إلى الخلف منها بقوة المثير الجديد للانتباه الذي يأخذ دوره فيها ، حتى يزيحه فيحل محله مثير جديد .

وهذه المنسيات المتراكمة التي لا حصر لها من المعلومات عرضة لأن تعود بالاستدعاء إلى مكانها من بؤرة الشعور عند الحاجة ، وعندما يستفزها ما هي منه بسبب من مشابهة أو تضاد أو سواهما ، فيسمى رد الفعل هذا بالتذكر .

وقد يفرق بعض العلماء بين النسيان والسهو والغفلة والذهول ، كما يسوي بينها بعضهم للزوم غاية واحدة هي احتجاب صورة المعلوم عن الذهن بعد أن كانت حاضرة ظاهرة

على ضوء نصوص الشريعة


للدكتور
عز الدين علي السيد

تحت ضوء النصوص:

بعد هذا العرض الساذج البعيد عن تعقيد الفلسفة ننتقل إلى موقف الانسان من النسيان أمام نصوص الشريعة ، وهنا نستطيع أن نصنف النسيان إلى :

(١) نسيان لأمور لا يتسبب عن نسيانها الضرر فتسكت عنها الأحكام .

(٢) نسيان تتعلق به الأحكام فيكون مناطا للمثوبة أو العفو أو العقوبة .

هذا النسيان الأخير يختلف باختلاف سببه ، فهو إما نابع من داخل النفس بالتكلف له والقصد إليه ، وإما وافد عليها من الخارج بغلبة الصوارف ومرور الأحداث . فاذا تعلق كل منهما بواجب شرعي ، كان له حكم يخالف حكم صاحبه ، وعلى هذا جاءت مادة النسيان في القرآن المجيد مقترنة بأحوال غير المؤمنين شاهداً للضرب الأول ، ومقترنة بأحوال المؤمنين شاهداً للثاني .

النسيان الكافر :

فالنسيان الكافر المجتلب لسخط الله وعقابه هو في الأعم مجاز عن سببه وهو الترك المقصود استخفافاً بالفرض المفروض ، وهو أنواع في النصوص متواشجة تصور حقيقة واحدة هي الكفر ، وتلك الأنواع يمكن رؤيتها فيما يلي :

(١) النسيان لله عز وجل ـ في قوله

تعـالى : (**نســوا الله فنسيهم**) التوبة/ ٦٧ وقـوله :(**ولا تكـونوا كـالـذين نســوا الله فـأنسـاهم أنفسهم**) الحشر/ ١٩ .

(٢) النسيان لما جاءت به الرسل من التـذكـير بـالآيـات كمـا في هـذه النصوص :

(**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء**)الاعراف/ ١٦٥ .

(**يحـرفون الكلم عن مـواضعـه ونسوا حظا مما ذكروا به**)المائدة/ ١٣

(٣) نسيان العاقبة ويوم الحساب . ومنه ما يلي :

(**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم**) ١٤ السجدة

) **إن الـذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**)ص ٢٦

(**وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**) الجاثية / ٣٤

(٤)**نسيان ما قدمت أيديهم من كفر وقبائح ، ومنه ما يلي :**

(**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه**) الكهف/ ٥٧

(**يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه**) المجادلة/ ٦

(٥) نسيان الأدلة العقلية والكونية والغفلة عنها ، ومنه :

(**وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظـام وهي رميم**) يس/ ٧٨

(**وكـأين من آيـة في السمـوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معـرضـون**) يـوسف/ ١٠٥ هـذه الأضرب الكافرة من النسيان ناشئة عن الترك العمد لما فرض الله الايمان به من الأصول والفروع ، والترك المعمود إليه أمارة الانكار للمتروك أو الاستخفاف به ، ولذلك كان الجزاء من الله شديداً .

ومن القرائن الظاهرة في الأمثلة المسوقة للضرب الأول قوله تعالى في صدر مثال المنافقين :

(**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعـروف ويقبضـون أيـديهم**) التوبة/ ٦٧ وهذا قلب « مقصود » لأوضاع الشريعة ونقض « معمود » إليه لأصولها ، وهو أشد أنواع الترك للمفروض .

وفي الضرب الثاني « نسيان ما أنزل » سياق آية الأعراف في حق اليهود يوضح الجرائم الدالة على العمد الفاضح :

(**فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**)

(**إذ يعدون في السبت**)

(**لم تعظون قوماً الله مهلكهم**)

(**واخذنا الـذين ظلموا بعـذاب بئيس بمـا كـانـوا يفسقـون**) الاعراف/ ١٦٢ ـ ١٦٥ .

فـالتبديـل للآيـات والعدوان في السبت ، وغيرهما مما في السياق أشد دليل على سوء القصد ، والعدوان الواضح على نصوص التوراة بتركها إلى نقيضها .

وفي آية (**المؤمنون**) ينطق النص بسخرية الكافرين من المؤمنين الضارعين إلى ربهم يرجون منه رحمته : (**إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون**) ١٠٩ و ١١٠

وفي الضرب الثالث « نسيان العاقبة ويوم الحساب » ينطق السياق بعمدهم للترك الآثم في جانب القيامة الموعود استهزاء به واستخفافا بالنذر وجحداً للآيات : (**الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون**) الأعراف/ ٥١

وفي الضرب الرابع « نسيان ما قدمت أيديهم » نرى في المثال من سورة الكهف إعراضهم مع قيام التذكير واستماع صوت المذكر ، ولا أشد من ذلك تركا لواجب على عمد .

وفي الضرب الأخير « نسيان الأدلة العقلية » نجد المكابرة السافرة والانكار القبيح للآمر البين الذي قام في النفس ذاتها برهانه : (**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**)

نسيان المؤمن :

على قمة البشرية كمالا أقام الله الأنبياء والرسل ، ولكنهم ـ صلوات الله عليهم ـ لا تخرجهم العصمة عن ظاهرة النسيان المقيد بما لا يجر على الشريعة نقصاً أو على أنفسهم اتهاما .

والنسيان في حياة الأنبياء والمؤمنين لا يجلبه عمد بترك الأمر المشروع إلى سواه ، ولا استخفاف بأمر الله ونهيه ، وانما هو ضعف البشرية الفارق بين الخالق والمخلوق مهما ارتقى ، تقع به أحداث الحياة من المؤمنين على نسق إلهي سابق في التقدير لا تكلف له من داخل النفس ، والمتدبر لأحداثه يوقن بحكمة الحق فيه . وأول نسيان في عالم البشر ما قصه الله حديثا عن الأب الأول آدم ـ عليه السلام ـ رمزاً إلى أن هذا الأمر من خاصة الجنس إلى يوم الدين ـ (**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما**) طه/ ١١٥ فالنسيان منه انقهار بضعف العزم عن مقاومة الخادع الملح المغري ، ولعدم سبق الاصرار أو القصد إلى المخالفة (**اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**) طه/ ١٢٢ .

وعلى هذا النسق من النسيان البريء عن قصد المخالفة والترك للمفروض كان النسيان من يوشع عليه السلام للحوت : (**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره**) الكهف/ ٦٣ كما كان نسيان موسى ـ عليه السلام ـ لما عاهد عليه الخضر : (**قال لا تؤاخذني بما نسيت**) الكهف/ ٧٣

فقد أنسته المفاجأة الغريبة عهده

معه ، ولم يكن تركه العهد عن عمد ، لذلك جعل نفسه في مكان المعتذر دون نظر منه إلى سمو منزلته بالرسالة والاصطفاء بالكلام .

ومن هذا النوع نسيان نبينا - صلى الله عليه وسلم - وقد جاء فيه حديث ذي اليدين وهو مستفيض الشهرة « أقصرت الصلاة أم نسيت .... » وهو نسيان مراد لله الرحيم بعباده تخفيفاً عن المؤمنين بما ترتب عليه من جبر السهو في الصلاة بسجوده ، وقد روى عن مالك أنه بلغه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : » إني لأنسي أو أنسى لأسن » جمع الفوائد برقم ١٨٠١ .

ومثله حديث عائشة « سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلا يقرأ بالليل ، قال : يرحمه الله فقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها » رواه البخاري وهنا نرى فعل النسيان معدى بالهمزة دليل أنه وارد عليه من خارج النفس ، ولا شبهة عند المؤمن في ذلك النسيان المؤقت لآيات اشتهرت بالبلاغ وكتبت في الصحف وحفظها الصحب .

ومن ذلك حديث أبي سعيد في ليلة القدر وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « فاني رأيت ليلة القدر وإنها في العشر الأواخر من رمضان في وتر وإني أنسيتها » ٧٤ : ٣ مسند الامام أحمد وهكذا بقية ما جاء في سهوه - صلى الله عليه وسلم .

لهذا لم يبرىء النبي نفسه من هذا النسيان البريء الذي هو مظهر من مظاهر البشرية ، فقال يقرره في أنفس أمته : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني » وفي رواية ابن مسعود « أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ... » جمع الفوائد برقم ١٧٨٩ - للستة إلا مالكا .

والدليل على سلامة الشريعة من النقص بهذا النسيان النبوي قوله تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**) المائدة/ ٣ وقوله : (**سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله**) الأعلى/ ٦ و ٧ وما شاء الله متصل بقوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) البقرة/ ١٠٦ ومثل هذا قوله الحق : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)الحجر/ ٩ ولما كان النسيان من شأن البشرية ، لقن الحق رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يذكره إذا نسى ، وأن يتحول عن مجلس النسيان إذا تذكر ، فقال : (**واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا**) الكهف/ ٢٤ وقال : (**وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**) الأنعام/٦٨ وأمره - سبحانه - وأمرنا أن نسأله عدم المؤاخذة إن نسينا أو أخطأنا فلقننا أن نقول : (**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**) البقرة/٢٨٦ ورجاء عدم المؤاخذة إنما يكون عند العجز عن التذكر لا عند الاصرار والاستكبار والترك المقصود .

وهذا النسيان البرىء من المؤمن معفو عن المآخذة به في العبادات كما هو مشهور في الفقه ، وقد جاء عن ابن

عباس يرفعه : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ٤٣٣ : ١ كشف الخفا ، وقد روى بطرق وألفاظ متعددة يؤيد بعضها بعضاً ، ولذا أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبرىء ساحة المؤمن من تبعة النسيان البرىء فقال : « بئسما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي » ٤٩٥ : ٤ شروح السنة - متفق على صحته .

وجدان المؤمن حي:

والوجدان الحي من المؤمن يزعجه إذا أدرك أنه نسى أو غفل عن مهم من الأمر ، وفي ذلك يضرب لنا النبي أروع المثل فيما روته أم سلمة قالت : « دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ساهم الوجه ، فحسبت ذلك من وجع ، فقلت : يا رسول الله ، مالك ساهم الوجه ؟ فقال : من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس أمسينا ولم ننفقها » ٢٣٨ : ١٠ مجمع الزوائد .

بهذه الأسوة السامية ائتسى الصحابة ، فكان من المثل الرفيعة ما روى عبد الله بن أبي بكر : أن أبا طلحة كان يصلي في حائط له فطار دبسي فطفق يتردد يتلمس مخرجا فلا يجد ، فأعجبه ذلك فتبعه بصره ساعة ثم رجع إلى صلاته فاذا هو لا يدري كم صلى فقال : لقد أصابني في مالي هذا فتنة ! فجاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر له الذي أصابه في صلاته وقال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت » جمع الفوائد برقم ٩٦٨٠ - لمالك .

نسبة النسيان الى الحق تبارك وتعالى

ما ورد في القرآن من النسيان منسوبا إلى الحق تبارك وتعالى خارج عن حقيقة اللفظ في اللغة كقوله : (**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**) الأعراف/٥١ لأن النسيان على حقيقته عجز يتنزه جل جلاله عنه ، فهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وقد قال على لسان ملائكته : (**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا**) مريم / ٦٤ ، وعلى لسان نبيه موسى يجيب فرعون عن القرون الاولى : (**علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**) طه/ ٥٢ وإنما جاء على سبيل المشاكلة بين الجزاء والسبب ، أو على سبيل التمثيل لتركه إياهم في العذاب ترك الناسي لما نسى .

مصدر النسيان

بقى ان ننظر في هذه النصوص الكريمة لنرى مصدر النسيان ، وهو فيها على أضرب :

(١) مسند إلى الله ، ومنه : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) ومنه : (**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم**

أنفسهم) الحشر/ ١٩ .
(٢) مسند الى الشيطان ، ومنه : (**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**) و(**فأنساه الشيطان ذكر ربه**) و (**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**) .
(٣) مسند إلى غيرهما في قوله تعالى : (**فأتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري**)
والاسناد إلى غير الله في كل ذلك من الاسناد إلى السبب القريب إيذاناً بتوجيه النظر إليه لما يستحق من توجيه النظر .

من أسباب النسيان :

ترك النفس نهبأ لما ينتابها من ظروف السعادة والشقاء دون يقظة العقل الحاكم ينحرف بها عن سنن الاعتدال ، فيصيبها التمزق بالانفعال المتسلط عليها ، فتزيد الى ضعفها ضعفا قد يصل بها الى هلاكها ، وهذا التمزق يكون مع الغني بازدحام المطالب والمطامع وتشتيت الآمال بين الاكتساب والانفاق ، وقد بينه لنا ربنا الرحمن الرحيم وزهدنا فيه حفظا لأنفسنا من الضياع فقال : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**) آل عمران/ ١٤ ولذا حرص الاسلام على تقييد حرية المؤمن بالتكاليف التي يظل بها نشيط الانتباه إلى ربه والدار الآخرة ليسلم من الانجراف في سيل الحياة الغامر وراء كيد الشيطان !

وكما يكون ذلك مقارنا للغني يقترن بالفقر في صورة التبرم بالحياة والتسخط على القدر من مرضى القلوب الذين يبررون الكسل والفشل بالاعتراض على حكمة الحكيم العليم ، ولا يعرفون السر الذي يخاطبهم به قوله : (**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير**) الشورى/ ٢٧ ولا ما في قوله : (**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**) الزخرف/ ٣٣ ـ ٣٥ .

العلاج :

والعلاج الناجع من الخطر في الحالين هو الاعتصام بالتقوى للنجاة من التمزق ، وهو العلاج الرباني الذي يصلنا دائما بالطمأنينة وسعادة الروح ، والذي امتدحه الله وامتدح به فقال : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الاعراف/ ٢٠١ وكيف لا تكون التقوى سراج القلوب ونورها الهادي للتذكر والنجاة ، والحق يقول : (**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**). النحل/ ١٢٨ .



• الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا

● المؤلف هو الدكتور صابر طعيمه المدرس بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ، وقد حصل على الدكتوراه أخيرا برسالته عن « التراث اليهودي القديم وموقف القرآن منه » وله عدة دراسات اسلامية طبع معظمها في بيروت وغيرها .

● والكتاب يقع في زهاء ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد قسم المؤلف هذه الدراسة المستفيضة ثمانية مباحث ، ويتضمن كل مبحث عديدا من النقاط ، وقد يتوهم القارىء للعنوان ـ لأول وهلة ـ أن المؤلف قد خصص لكل مذهب من هذه المذاهب الثلاثة بحثا مستقلا ، الا أن المؤلف قد جعل هدفه الأول من الدراسة

الماسونية ، وحاول أن يمزج بين ثلاثتها ، كأفكار متفقة ومتعاونة على أصول واحدة ، وأسلوب واحد ، ومنهج واحد ، وتخطيط واحد ، للوصول في النهاية الى هدم الأديان ، وفي مقدمتها دين الاسلام ، وهدم المجتمعات المتدينة ، وفي مقدمتها المجتمع الاسلامي .

لذلك أشار المؤلف في مقدمته ، الى أنه منذ مطلع شمس الاسلام بمبعث الرسول (ص) لعب اليهود دورا متعدد الجهات ، مختلف المراحل على أرض الاسلام ، وحين تم للقوى المعادية للاسلام أن تجمع نفسها في تجنيد أتاتورك في حركته الانقلابية العلمانية ، اللادينية واللا اسلامية ، لكي تصبح تركيا الاسلامية نموذجا لهدر قيم الاسلام ، قامت افرازات فكرية وعقائدية في الوطن الاسلامي الكبير ، تنفث سمومها ضد مستقبل الانسان المسلم ، الذي يريد أن يبني حياته على هدي من تعاليم كتاب ربه ، وسنة نبيه الكريم ..

● يقدم المؤلف تعريفا موجزا عن الماسونية نقلا عن غيره ، فهي حركة تنظيمية خفية ، قام بها ـ على الأرجح ـ حاخامات التلمود ، وبخاصة في مراحل الضياع السياسي الذي تعرض له يهود التوراه ، ويرى المؤلف كما يرى غيره ، ان البداية العملية لتحقيق موضوع الماسونية عند مؤسسيها ، هي أن الماسونية حركة ذات هدف يهودي بحت ، وذات طابع عالمي تلبس ـ من أجل تحقيق أهدافها ـ كل صور العصر وأدواته ، وطقوس المجتمع الذي تكون فيه ..

ويشير المؤلف الى أصل الماسونية العام ، ويرى مع غيره أن المؤرخين للماسونية حتى من أشياعها لم يتفقوا ، لا على تحديد زماني أو تحديد مكاني لها ، فمنهم من وصل بها الى آدم ـ عليه السلام ـ ومنهم من جعل نشأتها في أوائل القرن السابع الميلادي ، أما الدلالة اللغوية لكلمة « الماسون » فهي مشتقة من لفظة « فرمسون » وهي مركبة من مقطعين فرنسيين : « فران » أي الصادق ، و « ماسون » أي الباني ، ويكون المعنى الباني الصادق ، والجماعة الماسونية هي : البناة الصادقون ..

● ويركز المؤلف كثيرا على كتاب « القوة الخفية » الذي عربه الأستاذ عوض الخوري ، وطبع منذ سبعين عاما في بيروت ، نقله عن الفرنسية ، وأصل الكتاب بالعبرية ، وأطلق على الترجمة العربية اسم تبديد الظلام أو (أصل الماسونية) فهذا الكتاب يقرر أن البداية العملية ، والممارسة الفعلية لعمل الماسونية المنظم ، كانت حين تم تأسيس الجمعية الماسونية في أورشليم في الرابع والعشرين من شهر حزيران ـ يونيو ـ من السنة الثالثة والأربعين بعد ميلاد المسيح ، وأن أول من فكر في الأمر هو حيرام أبيود مستشار الملك اليهودي هيردوس اكريبا ، وكان أن تم تأسيس الجمعية من تسعة أعضاء ، برئاسة الملك ، ونائب الرئيس هو حيرام مستشار الملك ، وكاتم سر أول ، وكاتم سر ثان ، ومراقب ، ومعاون أول ، ومعاون ثان ،

وكافل ، ثم حاجب ؛ أما الهدف الرئيسي فكان لمواجهة المسيحية ، ولقد وصف الملك المسيح عليه السلام في أول خطاب له بأحط الأوصاف واتهمه باحداث انقلاب روحي وزمني وسياسي عند الشعوب ، ولا سيما في طائفتهم الاسرائيلية ، والملك هو الذي اقترح أن تكون جمعية « القوة الخفية » محصورة بين مؤسسيها التسعة وذراريهم ، وأن تظل أسرارها الداخلية ، وغاياتها الأساسية في كتمان ، حتى عمن ينضوي تحت شعارها ..

قال الملك : ان أكبر واسطة نجعل بها جمعيتنا عظيمة وخطيرة ومشوقة ، هي أن نكتم عن جميع الناس سر تاريخ تأسيسها ، ونكتم أيضا أسماء مؤسسيها ـ أي أسماءنا ـ عن كل من ينخرط في سلكنا ، ويصير أخالنا ليبقى هذا السر بيننا نحن التسعة ، لا يتجاوزنا الى غيرنا كائنا من كان ، وكل منا يورثه لأحد أبنائه ، لأرصنهم وأكتمهم للسر ، وذلك بعد بلوغه سن الحادية والعشرين ، ولا يجوز لأحد من اخوته أن يعرف شيئا . »

وكان بعد ذلك العمل على انشاء فروع تابعة للماسونية ومغايرة لها اسما ، وبعد ظهور الاسلام ، أضافت الماسونية الى هدفها الأساسي « مجابهة المسيحية » هدفا آخر ، هو مجابهة الاسلام للقضاء عليه ، ووجهت الى الاسلام ذات الاتهامات التي وجهتها الى المسيحية ، وأنشأت الماسونية بعد ذلك هياكل في ايطاليا ، ثم في روسيا وبقية من بلدان أوروبا ، ثم تطورت الماسونية أساليب ، حتى جعلت من غير اليهود عبيدا لليهود ، وأخذت أسماء عدة متعددة مثال : الروتاري ، والليونز « جمعية الأسود » والبناي برت : الاتحاد والترقي ، و« شهود يهوه » وغيرها ..

● ثم يشير الكتاب الى أشهر الفرق الماسونية الثلاث : الماسونية الرمزية العامة التي تقوم على ثلاث درجات ، ومن بين بنود القانون الأساسي لهذه الرمزية ، الادعاء القائل عن الماسونية : جمعية خيرية انسانية ، تقوم على المحبة المتبادلة بين جميع أعضائها .. أما شعاراتها فخلابة : حرية . اخاء . مساواة .. وأما الدرجات الثلاث ، فهي : المبتدىء . الشغال . الأستاذ ، والفرقة الثانية : الماسونية الملوكية ، وتعتبر متممة للماسونية الرمزية العامة ، الا أنها صهيونية لحما ودما ، والفرقة الثالثة : الماسونية الكونية .. لا يعرف مقرها ولا رئيسها الا أعضاؤها ، وهي تستخدم المحافل الماسونية الرمزية كافة في تحقيق الأغراض الصهيونية تحت ستار : الحرية والمساواة والاخاء ..

ان الروحية الحديثة هي أيضا في خدمة الماسونية ، ويستشهد المؤلف بكتاب أستاذنا الدكتور محمد محمد حسين « الروحية الحديثة دعوة هدامة » ثم يشير المؤلف الى أن الصهيونية في العصر الحديث تكمن وراء كل الحركات السياسية والاجتماعية ، ومنها الروحية

الحديثة ، ويذكر المؤلف أن هـذه الـروحية تـزعم محاربـة الالحـاد والمادية ، لا مانع لديها من تمجيد الشيوعية ، ووصف روسيا بأنها دولة متقدمة .

● ويربط المؤلف بين الماسونية وبين طبيعة بروتوكولات حكماء صهيون ، فهما متفقان ، ومتعـاونان منهجـا وأسلوبا ومبدأ وغاية ، بل انهما شيء واحد بمسميين ، فهذه البروتوكولات تقرر : ان المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية ، وتكشف عن خبايا نواياها ، وترى : أن مصلحة اليهود تقضي بانحلال الشعوب غير اليهودية ، وتهدف الى ابقاء العامل في حالة تافهة وعجز دائمين ، وبذلك يخضع لمشيئة اليهود وارادتهم ، وفي البروتـوكول الرابع عشر : حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ـ لن نبيح قيام أي دين غير ديننا .. لهذا يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ..

وفي المبحث الســادس ، يكشف المؤلف عن طبيعة الماسونية ، فهي حرب على الأديان السماوية ، ترتدي ثوبا جديدا في العداء للاسلام ، فمن صيـاغتها : البـابيـة والبهـائيـة ، والسبئيـة ، والباطنيـة والماسـونية الحديثة تدعو الى الـدين الطبيعي وتمجده ، وكلمات زعماء الماسونية تؤكد : أن الماسونية ليست سوى نكران جوهر الدين ، وان قال الماسون بوجود الاله أرادوا به الطبيعة .. .

أما في المبحث الثامن والأخير ، فيشير المؤلف الى ارتباط الشيوعية بـالماسـونية اليهـودية ، وأن هـذه المـاسـونيـة هـي التي خططـت للمـاركسية ، واتخـذت قرار هـدم روسيا ـ.. وأن دور الشيوعيـة في الحـرب ضد الاسـلام ، مصـدره تخطيط الماسونية الصهيونية ..

● وبعد ..

فالحق أن المؤلف الدكتور صابر طعيمة قدم دراسة ، تتركز مهمتها في خطورة الماسونية قديما وحديثا ، ولقد لعبت في القرنين الأخيرين ، وقبلهما بقليـل أخطر الأدوار في سيـاسـة العالم ، ومنذ الثورة الفرنسية وهي مـن بنـات أفكـار المـاسـونيـة ومخططاتها ، يعتبـر التاريـخ هذه الماسونية المسؤول الأول عن سائر الحركات التي تلت الثورة الفرنسية ، ولا سيما الحركات التي اتسمت بطابع التصفيات الدموية ، بل ولم يعد خافيا على أحد أن معظم الزعامات التي تسيطر على الشعوب يدين بالولاء للماسونيـة ، ويديـر الحكم بعقلية علمانية ..

والمؤلف اعتمد كثيرا في ابـراز جهده على النقل ، ولا سيما كتاب « القوة الخفية » وبروتوكولات حكماء صهيون ، والنقل ليس في حد ذاته عيبا ، بشرط أن يكون لرأي المؤلف في التحليل والتعقيب والتفسير وجود ، وبشرط آخر ألا يجد القارىء نفسه في متاهات ، وازاء هذا وذاك ، لا مانع

من التماس بعض العذر للمؤلف ، فلم تزل الماسونية في حاجة الى مزيد من الدراسة التي تكشف مخططاتها ، وتعري أهدافاً لها لم تعر بعد ..

التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين

● المؤلف هو الفقيه الفاضل ابو محمد ، عبدالله بن السيد البطليوسي ، ولد في مدينة بطليوس سنة ٤٤٤هـ احدى مدن الاندلس وتقع غربي قرطبة ، حيث نشأ بها ، وتلقى اولى سنوات تعليمه على ايدي علمائها ، ثم يمم وجههشطر قرطبة ، حيث كانت تموج بالعلماء والادباء وحيث تابع دراساته للفقه والحديث وبعد ان اضطربت الاحوال في الاندلس انتقل الى مدينة بلنسية التي تقع شرقي قرطبة ، وظل بها علما مرموقا حتى وافته منيته سنة ٥٢١ هـ .

ويعتبر المؤلف حجة في اللغة والادب والفقه ، وقد اضفى على سائر مؤلفاته مسائل النحو حتى لقد اعتبر كتابه الذي بين ايدينا مرجعا في اللغة . وقد كان معظم مؤلفاته في الادب واللغة ، منها « اصلاح الخلل الواقع في الجمل » وهو نقد لكتاب « الجمل » للزجاجي . ومسائل منثورة في النحو ، وشرح سقط الزند لابي العلاء ، والاقتضاب في شرح ادب الكاتب ، وشرح الكامل للمبرد ، وشرح ديوان المتنبي . وغير هذا

● اما الكتاب الذي بين ايدينا فهو ـ يعد اول كتاب وصل الينا من الكتب التي الفت في اسباب الخلاف ، ويعتبر البطليوسي من اوائل الذين فطنوا لافراد هذا الفن في كتاب ومن مقدمة المؤلف·واني لما رأيت الناس قد افرطوا في التأليف واملوا الناظرين بانواع التصنيف ، في اشياء معروفة ، واساليب مألوفة صرفت خاطري إلى وضع كتاب في أسباب الخلاف الواقع بين الأمة قليل النظير نافع للجمهور عجيب المنزع ، غريب المقطع يشبه المخترع وان كان غير مخترع .. هذا وقال المحققان : وقد جاء على نمطه بعد فترة من الزمن كتاب الانصاف في بيان اسباب الاختلاف للدهلوي المتوفي سنة ١١٨٠ هـ ، ومما الف في عصرنا الحاضر في اسباب الاختلاف اسباب اختلاف الفقهاء للشيخ على الحفيف ، وايضا للدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .. ونحن نضيف ان لاستاذنا الشيخ عبدالجليل عيسى كتابا قريبا من الموضوع عنوانه : .. ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » وهو على صغر حجمه له قيمة علمية كبيرة اما كتاب

الدهلوي فهو رسالة صغيرة الحجم للغاية وقد قمت بتحقيقها وطبعها ضمن سلسلة الثقافة الاسلامية - مارس ١٩٦٥ علما بان هذه الرسالة موجودة بنصها تقريبا في المؤلف المشهور - للدهلوي وهو « حجة الله البالغة » .

● يقول المؤلف : ان الخلاف عرض لاهل ملتنا من ثمانية أوجه ، كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها » اما هذه الاوجه الثمانية فهي على الترتيب : اشتراك الالفاظ والمعاني - الحقيقة والمجاز - الافراد والتركيب - الخصوص والعموم - الرواية والنقل - الاجتهاد فيما لا نص فيه - الناسخ والمنسوخ - ثم الاباحة والتوسع .. ولكن الملاحظ ان المؤلف اسهب الى حد ما في بعض الاوجه ، حيث بلغت صفحات كل من الاوجه الاول والثاني والثالث والخامس بين اربعين وخمس وخمسين صفحة ، اذ به يوجز ايجازا الى حد ما في الوجه الرابع حيث كانت صفحاته عشرا اما الاوجه الثلاثة الاخيرة فلم يزد احدها على صفحة واحدة مع ان لهذه الاوجه اهميتها وفيها مجال واسع لاختلاف العلماء ..

وقد اشار المحققان الى منهج المؤلف وقيمة الكتاب العلمية ، فالمؤلف - كما قالا - : كان على قدر كبير من الفهم العميق للشريعة الاسلامية والاحاطة باسرارها وقد اجابا عن سؤال قد يطرح نفسه على القارىء : كيف يبرع في الفقه وعلوم العقيدة رجل كالبطليوسي ، يعد من اساطين علماء اللغة والادب حتى يخيل لمن يقرأ له في اللغة والادب انه فرغ لهما ؟ يجيب المحققان عن هذا السؤال اجابة شافية ، فالاندلسيون كان منهجهم في التعليم : الاحاطة اولا بقدر كبير من علوم الدين من حفظ للقرآن ودراسة للحديث والتفسير والفقه ، يستوي في ذلك اللغوي والفقيه والمهندس والطبيب

ولذلك كثر بينهم النحوي الفقيه والفقيه النحوي ، والطبيب المحدث والمحدث اللغوي فالامام الشاطبي ، الف في النحو بمثل البراعة والقوة اللتين الف بهما في الفقه والاصول ، وابو حيان فقيه ومفسر ونحوي واديب وشاعر ، بالاضافة الى ان الاندلسيين كان لهم من ذكائهم وقوة حفظهم اكبر عون » والحق ان ما يقال عن علماء الاندلس يمكن ان ينطبق على كثير من علماء المسلمين غير الاندلسيين ، فمثلا ابن قتيبة المتوفي ٢٧٦ هـ وهو فارسي الاصل ولد بالكوفة ونشأ في بغداد او على ارجح الاقوال ، ولقد الف في كثير من المعارف والعلوم ، حتى قال عنه بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية : « ان مصنفاته قد تناولت جميع معارف عصره » ومصداق ذلك اننا نراه قد ألف في جميع الفنون العربية التي عرفت في عصره ، ومن يجهل كتاب : الشعر والشعراء ، او كتاب ادب الكاتب او كتاب عيون الاخبار، او كتاب المعارف ، او كتاب الانواء في الفلك ، او كتابي مشكل القرآن وغريب القرآن ، او كتاب تأويل مختلف الحديث ، بل ان لابن قتيبة كتابا سبق به البطليوسي هو

كتاب ... الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ..

● والى القارىء نموذج يوضح منهج المؤلف في البحث ، وهو منهج يعتمد على الاستقصاء العميق ، والاهتمام البالغ بشواهد اللغة ، ففي الوجه الاول « الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ يقول :

« هذا الباب ينقسم ثلاثة اقسام :

احدها : اشتراك في موضوع اللفظة المفردة ..

والثاني : اشتراك في احوالها التي تعرض لها من اعراب وغيره ..

والثالث : اشتراك يوجبه تركيب الالفاظ وبناء بعضها على بعض فاما اشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة فنوعان : اشتراك يجمع معاني مختلفة متضادة - - واشتراك يجمع معاني مختلفة غير متضادة ..

ثم يشير المؤلف الى احتجاج بعض الحجازيين باثبات الهاء في « ثلاثة قروء » فدل ذلك على انه اراد « الاطهار » ولو اراد « الحيض » لقال « ثلاث قروء » لان الحيض مؤنث ويعقب المؤلف بقوله : وهذا لا حجة فيه عند اهل النظر لانه لا ينكر ان يكون القرء لفظا مذكرا يعني به المؤنث ويكون تذكير ثلاثة حملا على اللفظ دون المعنى كما تقول العرب : « جاءني ثلاثة اشخص » وهم يعنون نساء ، والعرب تحمل الكلام تارة على اللفظ وتارة على المعنى ، والا ترى إلى قراءة القراء : (**بلى قد جاءتك آياتي**) الزمر/ ٥٩ بكسر الكاف وفتحها ؟

ثم يستطرد المؤلف :

« ووقوع الاسماء على المسميات في كلام العرب ينقسم اربعة اقسام :

احدها : ان يكون المسمى مذكرا واسمه مذكر كرجل مسمى بزيد او عمرو ..

والاخر : ان يكون المسمى مؤنثا واسمه مؤنث كامرأة تسمى فاطمة ..

والثالث : ان يكون المسمى مؤنثا واسمه مذكر كامرأة تسمى جعفر ..

والرابع : ان يكون المسمى مذكرا واسمه مؤنث كرجل يسمى طلحة ..

● وبعد

فان الانصاف يفرض علينا ان نشير الى عمل المحققين العالمين الجليلين الدكتورين احمد حسن كحيل ، وحمزة عبدالله النشرتي فقد احسنا الاختيار اولا وحسن الاختيار من التراث امر له تقديره وقد اعتمدا على نسختين للاصل مخطوطتين وهناك نسخة مطبوعة بمصر منذ ثمانين عاما ، لكنهما وجدا بها تصحيفا كثيرا وسقطا ، ولدى نسخة منها ، وهي تقريبا بلا تحقيق وهي رسالة صغيرة اما النسخة المحققة التي نقدمها الى القراء فهي في ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير وهذا يشير الى الجهد العلمي العظيم الذي بذله المحققان الفاضلان ، فالى جانب ضبط الاصل

والتعريف بالمؤلف والكتاب والترجمة للاعلام شرحا الالفاظ وحققا الاحاديث والشواهد من اللغة والفقه والشعر ووضعا في نهاية الكتاب فهارس للاحاديث النبوية والقوافي والاعلام واهم المصادر ثم الموضوعات ..
ولا يسعنا ازاء هذا الجهد العلمي العظيم سوى تقديرنا للمحققين العالمين الباحثين .

الخصائص العامة للاسلام

● المؤلف ليس في حاجة الى التعريف به ، فهو الدكتور يوسف القرضاوي الاستاذ بكلية التربية في جامعة قطر ، والذي سبق ان قدم – وما يزال يقدم – للمكتبة الاسلامية دراسات اسلامية امتازت بالاصالة ، والمرونة ، وسعة الافق ، فالقراء يعرفون جيدا كتابه « الحلال والحرام في الاسلام ، وقد طبع بضع عشرة مرة ، وكتابه « الحل الاسلامي فريضة وضرورة » وكتابه « الحلول المستوردة ؛ وكيف جنت على امتنا » ثم « فقه الزكاة » في مجلدين كبيرين ، وهو الدراسة التي حصل بها على الدكتوراه من كلية اصول الدين بجامعة الأزهر .

● والكتاب يقع في زهاء مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وهو مقسم الى سبعة فصول ، بعد الخصائص التي اختارها المؤلف – ليس على سبيل التحديد او الحصر – وهذه الخصائص هي : الربانية – الانسانية – الشمول – والواسطية – الواقعية – الوضوح – ثم الجمع بين الثبات والمرونة ، وقد كان للخصائص الثلاث : الاولى والثانية والاخيرة ، نصيب اوفى من الدراسة ، بينما احتلت الخصائص الثلاث : الرابعة والخامسة والسادسة ، نصيبا وسطا من حيز الدراسة ، اما الخصيصة الثالثة ، فقد كان نصيبها من الدراسة اقل الانصبة ، وهي خصيصة « الشمول » .

○ **في الخصيصة الاولى** « الربانية » يشير المؤلف الى أن الربانية ، معناها : الانتساب الى الرب – على غير قياس – أي الله سبحانه ، ويطلق على الانسان انه « رباني » اذا كان وثيق الصلة بالله ، عالما بدينه وكتابه ، معلما له ، اما

المراد من الربانية هنا ، فأمران : ربانية الغاية والوجهة ، ثم ربانية المصدر والمنهج ، ويعني بـربانيـة الغاية والوجهة : ان غاية الانسان ، وهدفه البعيد ، هو حسن الصلة بالله ، والحصول على مرضاته ، وما عدا هذه الغاية الرئيسية من غايات انسانية واجتماعية ليست إلا خادما للهدف الأكبر ، وكل ما في الاسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد ، إنما يهـدف إلى إعداد الانسان ليكون عبدا خالصا لله ، لا لأحد سواه ، ولهذا كان روح الاسلام وجوهره هو التوحيد .

ويثير المؤلف قضية ليست جانبية ، فمما يقال مثلا : ان الأحمق يعيش ؛ ليأكل ، والعاقل يأكل ليعيش ، ولكن السؤال الذي يعجز المـاديون عن الاجـابة عنـه ، هو : لمـاذا يعيش العاقل ؟ ويجيب عنه المؤمنون : ان الانســان يعيش ليعـرف خــالقـه سبحانه ، ويعبده ، ويقوم بخلافته في الأرض .

اما ربانية المصدر والمنهج : المعنى الآخر للربانية ، فيعني به : ان المنهج الذي رسمه الاسلام للوصول الى غايته وهدفه منهج رباني خالص ؛ لأن مصدره وحي الله تعالى الى خاتم رسله ، لم يأت المنهج نتيجة لارادة فرد او ارادة اسرة ، او طبقة او حزب او شعب وانما جاء نتيجة لارادة الله .

وإذا كان الله سبحانه هو صاحب هذا المنهج ، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الداعي الى هذا المنهج ، ليس له من القرآن الا التلقي والحفظ ، ثم التبليغ والدعوة ، والسنة التي بينت القرآن هي نفسها وحي الهي ، ولكنه وحي غير متلو ولا معجز ، وما جاء في السنة عن طريق الاجتهاد ، فالله لا يقر رسوله على الخطأ فيه ، بل ينزل الوحي مصححا ومصوبا ، أو مثبتا ومؤكدا .

ثم يشير المؤلف الى ميزة منهج الاسلام بين المناهج القائمة في العالم ، فالاسلام هو المنهج الوحيد في العالم الذي مصدره كلمات الله وحدها ، غير محرفة ولا مبدلة ، ولا مخلوطة بأوهام البشر ، واغلاط البشر ، وانحرافات البشر ، واذا نحن نظرنا الى المناهج القائمة في العالم ، وجدناها **ثلاثة** : : **المنهج البشري المحض** ، ومصدره التفكير العقلي او الفلسفي لبشر فرد ، او مجموعة من الافراد ، كالشيوعية والرأسمالية والوجودية ، **والمنهج الديني البشري** ، كالديانة البوذية ، لا يعرف لها اصل الهي ، او كتاب سمـاوي ، فمصـدرهـا اذن فكـر بشري ، **ثم المنهج الديني المحرف** ، الـذي عملت فيـه يـد التحـريف والتبديل ، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر ، فلم يبق ثمت ثقة بربانية مصدره ، كاليهودية والنصرانية ، اما الاسلام فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر وتحريفهم ، وهذه الميزة ، كـان من ثمراتهـا : العصمة من التناقض والتطـرف ـ البراءة من التحيز والهوى ـ الاحترام وسهولة الانقياد ـ التحرر من عبودية الانسان للانسان .

● هذا مجرد عرض للخصيصة الاولى : الربانية ، للتعرف على منهج

البحث عند المؤلف الذي يعتمد على الاستطراد والتحليل والمقارنة الى حد ما ، وهكذا فعل في بقية الخصائص ، فأشار في الخصيصة الثانية « الانسانية » الى أن الاسلام يمتاز بنزعته الانسانية الواضحة الثابتة ، الاصيلة في معتقداته وتوجيهاته ، وليس هناك تناقض بين الربانية والانسانية فالاسلام مع ربانيته في غايته ووجهته ، هو انساني ايضا في الغاية والوجهة ، ومن هنا نقول : ان للانسان مكانا - أي مكان - في غايات الاسلام العليا ، واهدافه الكبرى ، مع تقرير غايته الربانية ، وابرازها وتثبيتها ، اذ لا تنافي بين الغاية الربانية ، والغاية الانسانية ، بل هما متكاملتان .

وفي الخصيصة الثالثة : « الشمول » يشير المؤلف الى أن هذه الخصيصة تميز الاسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان ، والفلسفات والمذاهب ، بكل ما تتضمنه كلمة « الشمول من معان وأبعاد ، انه شمول يستوعب الزمن كله ، والحياة كلها ، ويستوعب كيان الانسان كله ، انه رسالة للانسان في كل مجالات الحياة ، وفي كل مجالات النشاط البشري ، والخصيصة الرابعة « الواسطية » انما يعبر عنها بـ « التوازن » اي التوسط او التعادل بين طرفين متقابلين او متضادين ، ومثال الاطراف المتقابلة او المتضادة : الروحية والمادية - الفردية والجماعية - الواقعية والمثالية - الثبات والتغير - وما شابهها ، ومعنى التوازن بينها ، ان يفسح لكل طرف منها مجاله ، ويعطي حقه بالقسط ، بلا وكس ولا شطط ، ولا غلو ولا تقصير ، والانسان عاجز عن انشاء نظام متوازن بعقله المحدود ، وعلمه القاصر ، فضلا عن تأثير ميوله ، ونزعاته ، ولهذا لا يخلو منهج او نظام يصنعه بشر من الافراط والتفريط كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ .

ويشير المؤلف الى الخصيصة الخامسة : « الواقعية » فهي لا تعني في الاسلام ما يعنيه بعض الفلاسفة من الماديين او الوضعيين ، من انكار كل ما وراء الحس ، وما بعد الطبيعة ، واعتبار الواقع هو فقط ، الاشياء المحسة ، والمادة المتميزة ، فلا إله عندهم للكون ، ولا روح للانسان ، كذلك يرفض الاسلام الواقعية التي تعنى قبول الواقع على علاته ، وانما تعني الواقعية لدى الاسلام ، مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعية ، ووجود مشاهد ، ولكنه يدل على حقيقة اكبر منه ، ووجود اسبق وابقى من وجوده ، ومراعاة واقع الحياة من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر ، تنتهي بالموت ، وتمهد لحياة اخرى بعد الموت ، ومراعاة واقع الانسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة ، والواقعية بهذا المعنى ليست نقيضا للنزعة المثالية المعتدلة في الفلسفة والاخلاق .

وبعد ان عرض المؤلف للخصيصة السادسة : « الوضوح » سواء فيما

يتعلق بالاصول والقواعد ، ام بالمصادر والمنابع ، بالاهداف والغايات ، ام بالمناهج والوسائل ، عرض للخصيصة السابعة والاخيرة « الجمع بين الثبات والمرونة » فأشار الى ان الذين يكتبون عن الاسلام ورسالته وحضارته في عصرنا فئتان متقابلتان : الأولى تبرز جانب المرونة والتطور في احكام الاسلام وتعاليمه ، حتى تحسبها عجينة لينة قابلة لما شاء الناس من خلق وتشكيل بلا حدود او قيود ، اما الفئة الاخرى فتبرز جانب الثبات والخلود في تشريعه وتوجيهه ، حتى يخيل اليك انك امام صخرة صلب لا تتحرك ولا تلين ، ولا جدال في الاسلام انه دين وسط ، يتميز مجتمعه بالتوازن بين الثبات والتطور ، او الثبات والمرونة ، فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع ، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح ، الثبات والمرونة ، فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع ، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح ، الثبات فيما يجب ان يخلد ويبقى والمرونة فيما ينبغي ان يتغير ويتطور ، وهذه الخصيصة البارزة لرسالة الاسلام لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية فالسماوية كانت تمثل الثبات بل الجمود احيانا وقد سجل التاريخ على كثير من رجالها توقفهم في وجه الحركات العلمية والتحررية الكبرى ، ورفضهم لكل جديد في ميادين الفكر او التشريع او التنظيم ، والوضعية تمثل عادة المرونة المطلقة ، ولهذا تراها في تغير دائم ، ولا تكاد تستقر على حال . اما الاسلام فقد اودع الله فيه عنصر الثبات والخلود ، وعنصر المرونة والتطور معا .

● وبعد ـ فقد اشار المؤلف في مقدمته الى كتاب الشهيد « سيد قطب » خصائص التصور الاسلامي ومقوماته » وقال عنه : انه يعني بجانب واحد من جوانب الاسلام الرحب ـ كما يبدو من عنوانه ـ وهو جانب التصور والاعتقاد ، اما خصائص المنهج او المذهب او النظام الاسلامي كله ، فلم يكن ذلك هدف المؤلف في الكتاب » ولقد احس الدكتور القرضاوي بهذا القول الذي اقتضته منه الامانة العلمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان المقارنة التي ابداها بين مؤلفه ومؤلف الشهيد سيد قطب مقبولة ولكن الى حد ما ، فالمنهج لدى كليهما في تقديم هذه الخصائص يكاد يكون متقاربا غير ان الدكتور القرضاوي عنى عناية اكبر بابراز الوجه المشرق للاسلام بهذه الخصائص اما الشهيد سيد قطب ، فقد عني عناية اكبر بالعمل على انقشاع السحب التي هي من صناعة الفكر المادي ، والتي تحول دون ابراز الوجه المشرق للاسلام لدى الغربيين انفسهم ، وهناك شيء آخر هو ان كتاب الشهيد سيد قطب هو القسم الاول ، اقصد ان ما طبع ليس كل الكتاب ، الذي لم يتم ، وازاء هذا تكون المقارنة بين المؤلفين غير وافية ، وهذا لا يحول دون ان نقدر في الدكتور القرضاوي ان قدم للمكتبة الاسلامية دراسة تعتز هي ويعتز الشباب المسلم معها به .



اولا : الاسلام وعلم الطب

● ـ علاقة الاسلام بالطب هي عنصر جزئي ينطلق من حقيقة كبرى تحكم نظرة الاسلام للانسان فالانسان في القرآن الكريم هو خليفة الله في الارض ، وهو مخلوق الله المكرم الذي أمر الملائكة فسجدت له وسخر له الارض ليبني فيها ويعمر .

هذه القيمة العظمى للانسان هي التي فرضت احاطة مخلوق الله المكرم بسياج من الضمانات التي قررتها الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لدرجة ان العدوان على الانسان هو اعتداء على المجتمع بأسره . يقول القرآن الكريم : (**من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة/٣٢ .

ويقرر الرسول : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم وازاء هذه القيمة العظمى والمسئولية الكبرى للانسان فان الله تعالى قد سلح الانسان بالمعرفة : (**الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان**) الرحمن/١ ـ ٤ .

وهكذا تتضح الصورة : انسان كرمه الله ، ثم حمله مسئولية كبرى وهي حمل امانة الله في الارض ثم اعطاه السلاح الاساسي وهو : « العلم والمعرفة ».

● ـ وعلم الطب هو ابرز وسائل المعرفة لحماية ذلك المخلوق الذي كرمه الله لكي يؤدي رسالته على الارض فالطب ترجمة لحق البدن على صاحبه كما يقول الرسول :

« إن لربك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا » رواه البخاري .

● ـ والعلم الحق هو الذي يهدي الى الايمان والايمان الحق هو الذي يعطي مجالا للعلم وهذا هو العلم الذي يريده الاسلام ، يريده علما في ظل الايمان وفي خدمة مثله العليا وفي ذلك أشار القرآن (**اقرأ باسم ربك**) العلق/١ وهكذا طلب القرآن قراءة مقيدة بقيد خاص وهو ان تكون باسم الله . وبهذا تكون موجهة الى الخير .

● ـ الاسلام يفضل طلب العلم على العبادة غير المفروضة . فعن رسول الله قوله (فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم) رواه الترمذي .

وذلك ان معظم العبادات قاصرة النفع لا تتجاوز صاحبها فالذاكر وتالي القرآن يتعبدون بما يزكى انفسهم ويزيد في حسناتهم ، ولكن المجتمع لا ينال من عبادتهم فائدة مباشرة تحقق له النفع ، اما العلم فنفعه متعد لا يقتصر على صاحبه بل يفيد منه الناس .

● ـ لذلك كان للعلوم التطبيقية مثل الطب مكانة رفيعة في الاسلام . ففي الآية الكريمة : (**ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/٢٧و٢٨ . كانت خشية الله عائدة على العلماء المشتغلين بالعلوم التطبيقية التي وردت في الآية الكريمة مثل الجيولوجيا والطب والاحياء .

● ـ بل ان العلم النافع للبشرية يتميز على العبادات بان ثوابه لا ينقطع بانتهاء الحياة قال رسول الله : « « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه البخاري ومسلم .

● ـ وعلى ذلك نقول اذا كانت العبادات وسيلة الى رضا الله فان العلم ايضا وسيلة الى رضا الله والى نفع العباد وهذا يستلزم من العلماء ان يوجهوا علمهم الى ما يرضي الله : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عوضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » رواه احمد وابو داوود و « من طلب العلم ليجاري به العلماء او ليماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله جهنم » رواه ابن ماجه والسيوطي . ولكي لا يكون العلم سلاحا ذا حدين دعا الرسول الى تقوى الله في استخدامه حيث يقول « العلم الخشية وتقوى الله » رواه الطبراني .

● ـ وبالرغم من اهتمام الاسلام

بالطب فان هناك توضيحا للعلاقة بين القرآن والعلوم الطبية . ان القرآن ليس كتابا في الطب او الفلك كما يحاول بعض اعدائه ان يجدوا فيه تباينا مع هذه العلوم . ان مادة القرآن اكبر من تلك المعلومات الجزئية فمجال القرآن هو الانسان ذاته ، اعتقاده ومشاعره وسلوكه واعماله وعلاقاته بخالقه وبما حوله ، وبذلك يصحح له مفاهيمه وتصوراته عن الحياة ، ويضعه على الطريق السليم ليستخدم طاقاته ومنها طاقته العقلية لتعمل بالبحث العلمي في الحدود المتاحة للانسان ، كما يعالج بناء المجتمع الانساني الذي يسمح لهذا الانسان بان يحسن استخدام طاقاته في الخير بما يرضي الله .

ان القرآن الكريم كتاب هداية ، يهدف الى تكوين المجتمع المسلم الذي يقيم رسالة الله في الارض والسنة النبوية التي تعتبر شرحا وتطبيقا لكتاب الله تناولت من الجوانب الطبية ما يهم صالح المجتمع المسلم كما سنوضح فيما بعد . فرسول الله ليس طبيبا ولم يدع لنفسه القدرة على الشفاء بل كان يقول لاهل المريض : « ارسلوا الي طبيب » رواه احمد وبعبارة اوضح فالكتاب والسنة وضعا الخطوط العريضة للتشريع في مختلف مجالات الحياة لتتناسب الشريعة الاسلامية مع كل زمان ومكان في حدود جلب المصالح وتجنب الضرر والضرار .

● - ان وجود بعض المصطلحات مثل « الطب الاسلامي » او « الطب النبوي » لا يعني ان الطب الذي يمارس اليوم في العالم طب غير اسلامي . هذه المصطلحات تحمل معنى تخليد التراث الحضاري للامة الاسلامية في عهد ازدهار الدولة الاسلامية ، ذلك الازدهار الذي انعكس على مختلف العلوم ومنها الطب ، فكانت نهضة حقيقية تستفيد بما قبلها وتناقشه وتنقحه وتضيف له خلاصة تجاربها وانتاجها ، ثم تصدره للعالم في افضل صورة متاحة للبشرية في ذلك الحين . وفي كل هذه المراحل كان الفضل للاسلام . في مرحلة الترجمة كان الدافع هو ان : « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها اني وجدها » رواه الترمذي وفي مرحلة الانتاج الذاتي كان الدافع هو دعوة القرآن والرسول للعلم في مواضعها الكثيرة .

وفي مرحلة التصدير كان الدافع هو ان الاسلام يرفض الاحتكار لاي شيء ولذا لا بد من نشر المعرفة . والآن وبعد التخلف الحضاري والتفتت الاقليمي للامة الاسلامية ، فانها مطالبة بالاستفادة من الطب الذي يتقنه الاخرون بل واللحاق بهم . ان تذكر امجاد الماضي يجب ان يكون دافعا لانجازات المستقبل لا سببا للتوقف عند الحد الذي وصلوا اليه . وكل ما ينجزه العقل البشري من علم نافع يقبله الاسلام ، بل ويباركه الرسول . مشجعا للمتخصصين في علوم الحياة رافضا ان يفرض عليهم اية وصاية حين يقول : « انتم اعلم بأمور دنياكم » رواه مسلم .

ثانيا : الاسلام ومهنة الطب

● ـ الاسلام يحترم العمل المهني من اجل الكسب الحلال . فالرسول يقول : « ان اطيب ما اكل الرجل من كسب يده » رواه البخاري والطب مهنة للكسب الحلال امتدحها رسول الله : « نعم العبد الحجام » وورد انه « احتجم واعطى الحجام اجره » رواه البخاري .

● ـ والمسلم في عمله الحلال له ثواب العبادة . فرسول الله اعاد شابا من الجهاد لكي يعمل لتوفير الرزق لوالديه المسنين وقال له : « ففيهما جاهد » رواه البخاري ولكي يكون العمل في منزلة العبادة لا بد ان تتوفر في ممارسته نية صادقة بأنه موجه الى رضا الله فالرسول يقول : « من ابتغى وجه الله فان نومه ونبهه اجر كله » » ابو داوود والنسائي .

● ـ لذلك فان الاسلام يدعو الطبيب المسلم لأن ينطلق في ممارسة مهنة الطب من قواعد ثلاث :ـ

★ دفع الضرر عن المجتمع المسلم بتوفير مقومات الصحة للمجتمع . والرسول يقول : « ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البخاري والطبيب في مجال تخصصه مطالب بان يقدم علمه وخبرته لصالح المجتمع المسلم . يقول الرسول : « اعزل الاذى عن طريق المسلمين » رواه مسلم « والله يكره اذى المؤمن » رواه الترمذي .

★ اداء واجب الاخوة في الله نحو اخيه المسلم المريض ففي الحديث الجامع عن رسول الله : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة » رواه الترمذي ومسلم وبذلك يكون هدف الطبيب في تخفيف الام المريض اسمى من الرغبة في الاجر والجزاء الدنيوي وارفع من اشباع النفس بلذة الشعور بالمهارة في المهنة .

★ الرحمة الانسانية التي تتسع لكل البشر مسلمين وغير مسلمين بل تتسع لكل كائن حي كما يقول الرسول : « لكم في كل ذات كبد حرى اجر » رواه الطبراني « لن تؤمنوا حتى تراحموا » . قالوا كلنا رحيم يا رسول الله . فقال الرسول « ليست الرحمة ان يرحم الرجل قومه انما يرحم الناس جميعا » رواه الطبراني .

وموقف الطبيب في العملية العلاجية هو انه اداة الرحمة الالهية والوسيلة التي يخفف الله بها آلام الناس ، فعندما قال ابو رمثة لرسول الله : « دعني اعالج ما بظهرك فاني طبيب » فقال له الرسول : « انت رفيق والله الطبيب » رواه ابو داوود واحمد ان ذلك يجعل الطبيب دائم الصلة بالله يسأله التوفيق في عمله . كما انه يقيه من الغرور المهني عند نجاحه في عمله لأن ذلك يحبط العمل ويزيل الاجر .

ثالثا : نظرة الاسلام للمرض

● يعترف الاسلام بالمرض كحالة غير طبيعية تصيب اعضاء معينة من

الجسم . فرسول الله يقول لسعد بن ابي وقاص حيث اصيب بمرض القلب : « انك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة اخا ثقيف فانه رجل يتطبب) » رواه ابو داوود . اذن ليس المرض ناتجا عن الشياطين والنجوم والارواح الشريرة . لذلك منع الاسلام كل الممارسات المبنية على هذه المعتقدات الخاطئة ، مثل التطير والتمائم والعرافة وغيرها . يقول الرسول في احاديثه : « من علق تميمة فقد اشرك » رواه احمد « من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد » رواه احمد « لا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة » رواه الترمذي « ان الرقي والتمائم والتولة شرك » رواه الترمذي .

● صحيح ان الاسلام لم يوضح العوامل والاسباب المرضية بالصورة التي نفهمها الآن ، لأن الحضارة الانسانية في هذا العصر لم تكن لتستوعب هذه المعلومات . ومع ذلك فقد اعطى ارشادات محددة تهدف لسلامة المجتمع المسلم مثل ما ذكره الرسول في العدوى وصحة البيئة والتغذية والنظافة الشخصية . وهذه لا تختلف عما يقوله عالم في العصر الحديث يعرف مسببات الامراض ووسائل مكافحتها . وحديث الرسول عن الطاعون ما هو الا اسلوب الحجر الصحي الحديث للامراض الانتقالية ولكن دون ان يذكر العامل المرضي « الميكروب » وطريقة انتقاله بصراحة . عن اسامة بن زيد قال رسول الله : « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها » رواه البخاري .

● المسلم مطالب بحفظ صحته والمجتمع مطالب بوقاية نفسه من الامراض بل وتوفير الصحة الايجابية بمفهومها الحديث يقول الله تعالى : **(إن خير من استأجرت القوي الأمين)** القصص/٢٦ . ويقول الرسول : « لو لم يكن لابن آدم الا اسلامه والصحة لكفاه » رواه الترمذي .

وليس ذلك بغريب فالمؤمن القوي الصحيح اقدر على اداء الرسالة التي خلق الله الانسان من اجلها ليعيش على الارض ويؤدي الامانة التي تقبل ان يحملها . ان القرآن يعيب على اولئك الكافرين الذين يريدون الحياة - اي حياة - لمجرد الحياة **(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)** البقرة/٩٦ .

ان الاسلام لا يقبل ان تكون امة المسلمين غثاء كغثاء السيل ، تعيش على هامش الحياة في عجز جسماني وفكري . فعندئذ يكون بطن الارض خيرا لها من ظاهرها .

● بل ان كره المرض امر طبيعي يقبله الاسلام فعندما ما قال ابو الدرداء لرسول الله « لأن اعافي فأشكر احب

الى من ابتلى فأصبر » فقال الرسول : « الله يحب معك العافية » رواه الترمذي « اسألوا الله العافية فانه ما أوتي احد بعد يقين خيرا من معافاه » رواه الترمذي .

● ولكن اذا ما حدث المرض فان المسلم اقدر على تقبل هذا الواقع المؤلم بصبر ينبعث من ايمانه بنظرية الابتلاء . فالمرض ليس غضبا من الله او عقابا من السماء لكنه ابتلاء يكفر الذنوب ويرفع الدرجات اذا تلقاه المسلم بصبر واحتساب . يقول الرسول : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها خطاياه » رواه البخاري ومسلم واحمد .

● بل ان هناك جانبا يتميز به الاسلام في موقفه من المرض وهو وان بدا امرا ـ يتعلق بالسلوك الا انه في نهاية الامر نوع من العلاج النفسي لنا ان نصنفه في جانب العلم بأكثر مما يصنف في جانب الآداب والاخلاقيات . فللمريض حق على الصحيح وهو حق العيادة ، كما ان له حقا على الطبيب هو حق الطبابة . وهذه الحقوق تستمد من التأكيد الشديد الذي ركزت عليه احاديث الرسول في عيادة المريض الى ما يشبه الوجوب ، وانها من حقوق المسلم على المسلم ، انها ليست مجرد تخفيف عنه وصله له ولكنها قربى الى الله .

يقول الرسول في الحديث القدسي : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال : يارب : كيف اعودك وانت رب العالمين ؟ قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده . اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده » رواه مسلم وهكذا فالمريض قريب من الله كما يقول الرسول الكريم : « عودوا المرضى ومروهم فليدعو لكم فان دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور » رواه الطبراني « اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاءه كدعاء الملائكة » رواه ابن ماجه .

● بهذه الفلسفة يكون المريض قادرا على التماسك والتحمل ولا يكون المرض البدني سببا في تولد المرض النفسي او الاضطرابات العضوية النفسية . بل ان صلابة النفس ـ كثيرا ما تساعد في شفاء المرض الاصلي .

● ويتفرع من تلك الفلسفة ايضا ان الازمات الصحية مهما اشتدت لا تقود المسلم الى التفكير في التخلص من حياته . بل لا يجوز له ان يتمنى الموت . عن انس بن مالك عن رسول الله : « لا يتمنين احدكم الموت من ضر اصابه فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي » رواه البخاري ومسلم .

● اعطى الاسلام المريض رخصة تعفيه من الالتزامات الشرعية حسب ما تمليه الضرورة . ففي القرآن الكريم : **(ولا على المريض حرج)** النور/٦١ ولذا يباح الذهب في العلاج التعويضي كما امر رسول الله عرفجة بذلك ، كما يباح استعمال الحرير في

المرض الجلدي فرسول الله رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير لحكة كانت بهما مع ان كليهما محرم على الرجال .

رابعا : نظرة الاسلام للوقاية والعلاج :

● دعا الاسلام الى تطبيق اسس الرعاية الصحية الثلاثة وهي الوقاية والعلاج والتأهيل .

● وحيث ان الطب الوقائي يهدف الى تدعيم الصحة الايجابية لذلك اولاه ـ الاسلام اهمية خاصة . فالمجتمع المسلم الصحيح اقدر على حمل الامانة واداء رسالة الله في الارض . وعلى ذلك نجد ان احاديث الرسول في الصحة الوقائية تتميز بالتفصيل وتنتهج اسلوبا اقرب الى الالزام . اما الطب العلاجي فقد تناولته بالمنهج العادي في التشريع وهو وضع القواعد الاساسية التي تضمن السير في الطريق الصحيح دون الدخول في التفاصيل .

● ففي مجال البيئة نجد الاسلام قد وضع انموذجا رائعا لارتباط كل فرد مسلم بأمة الاسلام ، ويتمثل ذلك في مسئولية كل فرد عن سلامة المجتمع والتزام كل مؤمن بسلامة اخيه تماما كالتزامه لنفسه فالقرآن الكريم وضع القواعد الاساسية : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) الحجرات / ١٠ . والرسول يقول : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري . « والمسلم للمسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . رواه مسلم .

وانطلاقا من ذلك فان المحافظة على الصحة الشخصية لا تكفي بل لا بد من الحرص على صحة البيئة ويتمثل ذلك في الاحاديث « ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم فنظفوا افناءكم وساحاتكم » رواه الحاكم . « انظر ما يؤذي الناس فاعزله » رواه احمد . « لا يبولن احدكم في الماء الدائم » رواه البخاري .

● وفي مجال الوقاية من الامراض المعدية وضع الرسول قيودا على حركة المريض : « لا يحل الممرض على المصح وليحل المصح حيث شاء » رواه مالك . بل ان المسلم مطالب بالالتزام بقواعد الحجر الصحي في حالة الوباء ، ولو ادى ذلك الى التضحية بنفسه فالرسول يقول : « الطاعون شهادة لكل مسلم » رواه البخاري ومسلم .

● وفي مجال الصحة الشخصية فان طهارة البدن شرط لدخول الاسلام والنظافة شرط لاداء اهم اركانه وهي الصلاة . ونظرا لأهمية صحة الاسنان وانعكاساتها على اجهزة الجسم المختلفة جعل العناية بها تكاد تكون ملزمة كما في قول الرسول : « لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك قبل كل صلاة » رواه البخاري ومسلم . . وكثير من احاديث الرسول تناولت صحة الغذاء والاواني والطعام .

● وفي مجال السلامة والوقاية من الحوادث : وضع الاسلام القاعدة الاساسية لهذا العلم الذي لم يتبلور الا في اواخر القرن العشرين : فلكل حادثة سبب ولتجنب الحوادث يجب على المسلم ازالة اسبابها وقاية لنفسه . في القرآن الكريم : **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** البقرة ١٩٥ **(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)** النساء/ ٢٩ .

وحديث الرسول « لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون » رواه البخاري « ارشادك الرجل في ارض الضلال - صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة » رواه الترمذي .

● وفي الطب العلاجي امر الاسلام بالتداوي امرا صريحا وحازما فالمسلم ليس قدريا يهمل العلاج ويترك نفسه للاقدار بل لا بد من العلاج الذي جعله الله سببا للشفاء .. وعندما سئل الرسول عن دواء يتداوى به هل يرد من قدر الله شيئا فقال الرسول : « هي من قدر الله » رواه ابن ماجه . وحديث الرسول المعروف عن العلاج « يا عباد الله تداووا . ان الله عز وجل لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » رواه احمد . « فاذا اصاب الدواء الداء بريء باذن الله » رواه مسلم .

هذه التعليمات الواضحة غيرت مفاهيم البشرية نحو المرض والعلاج ووضعت حدا للخرافات الشائعة عن اسباب الامراض ووسائل علاجها . ووضعت الناس على الطريق الصحيح ليبحثوا في الداء والدواء ليعلم من لم يكن يعلم .

● واستكمالا للدقة في تحديد المسار الصحيح للطب العلاجي دعا رسول الله الى احترام التخصص في فروع الطب فينادي الحارث بن كلدة للمريض المفؤود . وعندما يواجه طبيبين متقدمين لعلاج مريض يسألهما : « ايكما اطب بهذا » رواه مالك . حتى يتلقى المريض افضل رعاية متخصصة .

● هناك ادوية معينة كانت شائعة في عهد الرسول وبطبيعة الحال فانه استعملها في مرضه مثل سائر الناس ومن هنا بدأ بعض الكتاب والمؤرخين في استعمال تعبير « الطب النبوي » وبمرور الزمن ظهر اتجاه الى تقديس كل ما مارسه رسول الله من طعام وشراب وعلاج والالتزام به ، مع ان حديث رسول الله صريح في انه امر بالالتزام بما جاء به الوحي من امور الاسلام . اما الممارسات الدنيوية التي لا تتعلق بالعقيدة ، فالاجتهاد فيها مفتوح في اطار الالتزام بحدود الاسلام : « انتم اعلم بأمور دنياكم » فالاسلام لا يقبل ان يمتنع المسلم عن استعمال دواء حديث لمجرد ان الرسول لم يستعمله لأنه لم يكن موجودا في ذلك العصر . واعتقد ان احاديث الرسول فيما يتعلق بالعلاج تلتزم ايضا بالمنهج العام للتشريع وهو اعطاء الاطار الواسع للعموميات . فعندما علم رسول الله ان سيدة تستعمل مادة مهيجة للامعاء كوسيلة مسهلة ، نصحها بان تستعمل

السنا . وارى انه يقصد بذلك ان يضع قاعدة التداوي بما لا يضر او بما هو اقل ضررا اكثر مما يقصد ان يلزم الناس باستعمال السنا .

وهكذا نرى ان التشريع يقترب من الالزام في جانب الوقاية ودفع الضرر عن المسلمين - ويتجه الى وضع القواعد العامة التي تتمشى مع روح الاسلام فيما يتعلق بالعلاج .

● اما التأهيل فيهدف الى منع العجز بسبب المرض . والاسلام يعود المسلم الا يستسلم للعجز بل يصلي ولو بجفن عينه . الكل مطالب بالعمل حسب طاقته فالحديث : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه مسلم . والاسلام لا يرضى للمسلم ان يعيش عالة على غيره والحديث يقول : « اليد العليا خير من اليد السفلى » رواه مسلم . حتى في مجال التأهيل بالجراحة التعويضية اباح الاسلام استخدام الذهب في العلاج التعويضي رغم انه محرم على الرجال . اما الممارسات التي يقصد بها تشويه جسم الانسان او تغيير صورته الجميلة مثل الوشم فان الرسول حرمها بقوله : « لعن الله الواشمات » رواه مسلم . وقديما كانوا يكسرون جزءا من الاسنان اذا كان بارزا لاغراض التجميل وبذلك يزيلون طبقة المينا الواقية على سطح الاسنان وهذا فيه ضرر وهنا يتغلب دفع الضرر على التجميل فيحرمها الرسول بقوله : « لعن الله الواشرات والمستوشرات » رواه الترمذي . اما الجراحة بقصد التجميل اذا لم يكن فيها ضرر او احتمال واضح للضرر فانها تدخل في القاعدة العامة : « ان الله جميل يحب الجمال » رواه البزار .

والمرأة المسلمة مطالبة بان تبدو بأجمل صورة في عيني زوجها .

خامسا : الاسلام وآداب ممارسة مهنة الطب :

● لا يجوز فصل آداب المهنة عن الاخلاقيات العامة التي يجب ان يتصف بها كل مسلم في سلوكه . فالاسلام يهدف الى تكوين الذات الاسلامية منذ الطفولة بحيث يمتزج الخلق الاسلامي مع تكوين الفرد وطباعه . ومن واجب الاسرة والمدرسة والدولة ان يوفروا البيئة الصالحة التي لا يشيع فيها المنكر ، ويكون المثل الاعلى فيها قول الله تعالى : (**وإنك لعلى خلق عظيم**) القلم/ ٤ . وبذلك ينشأ الجيل منسجما مع فطرته النقية بسهولة بلا تناقضات ويجد طريق الخير امامه سهلا وبذلك يتحقق قول الله تعالى : (**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنابهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين**) الطور/ ٢١ .

والطبيب المسلم الذي يحمل امانة الاسلام اولا وامانة المحافظة على صحة المسلمين ودفع الضرر عنهم ثانيا ، اولى الناس بان تكون تربيته اسلامية وسلوكه محمديا .

وعندما سئلت عائشة زوجة الرسول عن اخلاقه قالت : (كان خلقه القرآن » رواه مسلم وابو داوود . وبذلك يكون الالتزام بخلق الاسلام جزءا من طبع الطبيب ،

يمارسه بلا تكلف في جهره وعلانيته ، ونذكر قصة المعلم الذي قال لتلميذه الصغير : « اذبح هذا الطائر في مكان لا يراك فيه احد » فغاب الغلام ثم عاد ومعه الطائر حيا وقال لاستاذه « لم اجد المكان الذي اكون فيه وحيدا تماما لأني كلما اختبأت في مكان شعرت ان الله معي » والطبيب المسلم الذي يشعر ان تعامله مع الله وان عليه رقابة دائمة : (**عن اليمين وعن الشمال قعيد**) ق/١٧ . لا بد ان يتقي الله في التعامل مع خلق الله . اذا تذكر قول رسول الله : « عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا » رواه البخاري ومسلم . فان نظرته الى الكائنات الحية كلها ستكون نظرة رحمة فأولى به ان يكون رحيما مع الانسان ـ افضل مخلوقات الله ـ الذي كرمه الله وجعله خليفة في الارض . لقد جرت العادة منذ عهد ابقراط ، ان يبدأ الطبيب حياته المهنية بترديد قسم يلتزم بادابه في ممارسة الطب . ان قضية السلوك المهني لا تحل بقسم ولا تستوفى بدراسة مقرر علمي في آداب ممارسة الطب ولا تحكمها قواعد قانونية تقررها نقابة طبية او دستور وضعي ان الرعاية بالمريض تحمل التزامات اخلاقية . والطبيب في ممارسته اليومية ستواجهه كثير من المواقف تستلزم استفتاء الضمير . وهنا ستتأثر قراراته بمدى التزامه تجاه ربه . وهنا ينبعث حكمه من قول رسول الله : « والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس » رواه احمد . ان مفهوم الواجب في الاسلام هو ان تعمل لا بقصد رضاء الناس بل يقصد به وجه الله : (**إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**) الانعام/١٦٢ .

● هذه القاعدة الاساسية تندرج تحتها كل الفضائل والاخلاقيات التي اوصى بها القرآن والرسول الكريم ومنها :

★ الصبر : (**واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين**) هود ١١٥).

★ الاحسان في العمل : (**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**) البقرة/ ١٩٥) : (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان**) النحل/ ٩٠).

★ السمت الصالح : « ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » رواه ابو داوود والترمذي .

★ الكلام الطيب : « الكلمة الطيبة صدقة » رواه الترمذي .

★ الابتسام : « تبسمك في وجه اخيك له صدقة » رواه الترمذي .

★ الحياء : « ان لكل دين خلقا وخلق الاسلام الحياء » رواه ابن ماجة ومالك .

★ الرحمة : « ارحموا اهل الارض يرحمكم من في السماء » جامع الاصول .

★ الرفق : « لا يحل لمسلم ان يروع مسلما » رواه احمد وابو داوود .

★ التواضع : « من احب ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » رواه ابو داوود والترمذي .

★ الصحبة الطيبة : « لا تصاحب الا

مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي » رواه احمد والترمذي .

● ولكن هناك بعض جوانب اخلاقية معينة تمس عمل الطبيب اكثر من غيره ، ويلزمه ان يتذكر دائما حكم الاسلام فيها . ومن ذلك جوانب علاقته بالمريض كما يلي :

★ غض البصر : يقول القرآن : **(قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم)** النور/ ٣٠ . فلا يجوز ان يكون الترخيص بالاطلاع على عورات الناس عند الضرورة مبررا للتخلي عن الحياء الواجب على كل مسلم . وعلى الطبيب الا يطلع الا على ما هو ضروري . وان شعور المريض بحياء الطبيب في هذا الموقف يعطيه ثقة اكثر في طبيبه .

★ لا يجوز اخبار المريض بخطورة مرضه ولو كان ميئوسا من شفائه . ان حالة المرض من الحالات القليلة التي رخص فيها الاسلام باخفاء الحقيقة قال رسول الله : « اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في اجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه » رواه الترمذي وابن ماجه .

★ وتطبيقا للقاعدة الشرعية : « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد وابو داوود . فإن الطبيب عليه ان يخطر المريض المصاب بمرض معد ويدعوه الى الاعتكاف لمنع الضرر عن المسلمين ، وهناك فرق بين ان يفقد المريض الامل في الشفاء وان يعرف انه مصدر ضرر للاخرين فيبتعد عنهم . اذا تعارضت مصلحة المجتمع مع مشاعر الفرد تفضل مصلحة المجتمع . فعندما علم رسول الله ان مريضا بالجذام قادم اليه ليبايعه مع المسلمين ارسل اليه ليرجع قائلا : « ارجع فقد بايعناك » رواه مسلم .

★ والطبيب في مهنته معرض للاطلاع على اسرار المريض فيجب ان يتخلق بخلق الاسلام في هذا المجال « من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة » رواه مسلم .

★ واذا استشاره المريض فليتزم بالامانة في ابداء المشورة وليحافظ على ما استشير فيه ، فالرسول يقول : « المستشار مؤتمن » رواه الترمذي وابو داوود .

★ فحص الطبيب للمريضة يجب ان تحضره ممرضة او احد محارم المريضة تطبيقا لقول الرسول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ذو محرم » رواه البخاري .

● وهناك جانب آخر من سلوك الطبيب يمكن ان نسميه اسلاميات ممارسة المهنة ـ ومنها ما يلي :ـ

★ بدء الفحص او العلاج بذكر اسم الله فان ذلك له عدة اعتبارات :

ـ ادعي للتوفيق في العمل فالرسول يقول : « كل عمل ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر » رواه ابو داوود .

ـ استشعار لدوره كسبب نفاذ ارادة الله في العلاج وهذا هو موقف العبودية لله .

ـ توجيه عمله لله حتى يثاب عليه .

ـ منح المريض دفعة روحية وهو في موقف حساس : **(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)** الذاريات/ ٥٥ .

★ قد يشهد وفاة المريض وبصفته

مسلما قبل ان يكون طبيبا فعليه ان يلقنه الشهادتين كما يقول : « لقنوا موتاكم لا اله الا الله » رواه مسلم .

★ تجنب ما حرم الله في العلاج تنفيذا لقول الرسول « ما جعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم » رواه البخاري .

وفي الطب الحديث لكل علاج محرم بديله الحلال .

★ تجنب الممارسات كالاجهاض والوشم فقد قال الرسول : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والواشرات والمستوشرات » رواه الترمذي .

★ الا يقدم على ممارسة الا اذا كان مطمئنا الى كفايته لتنفيذها فالرسول يقول : « لا حكيم الا ذو تجربة » رواه البخاري والترمذي . ويحترم التخصص المهني تنفيذا لقول الرسول : « من تطبب ولم يعلم عنه طب فهو ضامن » رواه ابو داوود .

★ ان يحافظ على كفاءته العلمية بالتعليم المستمر فان مهنته تتعداه الى غيره وعلمه من النوع التطبيقي والرسول يقول : « الحكمة ضالة المؤمن اني وجدها ينشدها » رواه الترمذي .

★ ان يتعامل مع زملائه الاطباء على اسس من تعاليم الاسلام فيتجنب الغيبة والتجريح ويحترم الكبير : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا ـ عباد الله اخوانا » رواه مسلم . ولا يتعالى على الصغير : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » رواه ابو داوود والترمذي . ويقدم النصح لمن يحتاجه : « الدين النصيحة » رواه البخاري ومسلم .

وان يسعى لتعليم زملائه الاقل خبرة : « من دل على خير فله مثل اجر فاعله » رواه مسلم : « يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون فاذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرا » رواه الترمذي .

★ ان يفيد بعلمه كل مريض يمكنه مساعدته فالرسول يقول : « اللهم اني ـ اعوذ بك من علم لا ينفع » رواه الترمذي : (من كتم علما عن اهله الجم يوم القيامة لجاما من نار » رواه السيوطى .

★ ان يذيع ما يكتشفه من جديد في العلاج تعميما للفائدة ولا يحتكر طريقه في العلاج بقصد الكسب منها فالرسول يقول : « لا يحتكر الا خاطىء » رواه مسلم .

★ وان يراعي حرمة الميت كما يراعي حرمة الحي فالرسول يخاطب الكعبة قائلا : « والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك » رواه الترمذي .

ويقول : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحي في الاثم » رواه ابن ماجة ومالك .

ان آفاق التعاليم الاسلامية تتسع لكل ممارسة طبية يقصد بها الخير للانسان وحتى في المواضع التي لم يرد فيها نص صريح فان التشبع بروح الاسلام يعطي الطبيب المسلم امكانية التصرف طبقا للمصالح المرسلة التي يراها نافعة للبشرية .

وهذا يزيد من حاجة المجتمع المسلم لأن يكون الاطباء اقرب الى الله واكثر التزاما بما انزل الله وجاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .



مفهوم القوامة في الأسرة

تحت هذا العنوان كتبت الاستاذة/فتحية محمد توفيق تقول :

لابد لكل مجتمع من المجتمعات الانسانية من رئيس يدير الشؤون ، ويرعى المصالح . ويتولى الامور بالرعاية والتوجيه ..

والاسرة هي المجتمع الصغير ، الذي يتكون منه المجتمع الانساني الكبير .. وبما ان الاسرة مجتمع ، فهي في اشد الحاجة الى قائد ، يصرف الامور بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ويقود هذا المجتمع الصغير . الى شاطىء الامن . ومرفأ السلام . ويساعد في بناء وتوطيد دعائم المجتمع الكبير .

ولئن كان القرآن الكريم . قد سوى بين الزوجين في الحقوق والواجبات .. فلا ينبغي ان نفهم اطلاقا من هذه المساواة : المساواة المطلقة التي تتعدى حدود القدرة والامكانيات ..

وفي سبيل تحقيق هذه المساواة ، في حدود الطاقة . كانت الدرجة التي فضل الله بها الرجال على النساء ، في قوله تعالى (**وللرجال عليهن درجة**) والاسلام الحنيف في اعطائه الرجل الحق . في القوامة على الاسرة ، قد بنى ذلك على سببين رئيسيين :

احدهما : ان الرجل هو المكلف بالانفاق على الاسرة . ولا يستقيم مع العدالة في شيء ، ان يكلف الانسان بالانفاق على هيئة ما دون ان تكون له القوامة عليها والاشراف على شؤونها .

وثانيهما : قوامة الرجل على المرأة . هو : ان المرأة مرهفة العاطفة . قوية الانفعال . شديدة التأثر .. وان ناحية الوجدان لديها تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسية ..

وقد سوى الله سبحانه وتعالى المرأة على هذا الوضع . حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها الاساسية وهي وظيفة الامومة والحضانة والتربية على خير وجه ..

فلا يخفى ان هذه الوظيفة تحتاج الى عاطفة مرهفة ووجدان رقيق وحنان رحيم . اكثر مما تحتاج الى التفكير . والادراك . والتأمل . على حين ان الرجل لا يندفع في الغالب مع عواطفه ووجدانه اندفاع المرأة . بل تغلب عليه ناحية الادراك والتفكير ..

فصفات القوامة والرياسة . متوفرة ـ

اذن ـ في الرجل بطبعه . اكثر من توافرها في المرأة ..

وقوامة الرجل ، قائمة على الرحمة . والمودة . والمحبة . وحسن التصرف ، فهي قوامة تهدف الى الرعاية والعناية والتوجيه . وليست بسلطان مفروض .

وهي بمعنى اخر : تدبر . وارشاد . وليست بسيطرة ..

قال الله تعالى في سورة البقـرة :

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) . ويقول ابن كثير في قوله تعالى « **بما فضل الله بعضهم على بعض** » اي لان الرجال افضل من النساء ، والرجل خير من المرأة .. ولهذا كانت النبوة مختصـة بالرجال .

وكذلك الملك الأعظم ـ رئاسة الدولة ـ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، « لن يفلح قوم ولوا امرهم امـرأة » رواه البخاري .

وقال تعالى في سورة النساء « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم** » .

قال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في كتابه ـ المرأة في القرآن ـ : « والقـوامة هنـا في الآية السـابقة ، مستحقة بتفضيل الفطرة ، ثم بما فرض على الرجـال من واجب الانفاق عـلى المرأة ـ وهو واجب مرجعه الى واجب افضل ، لمن هو دونه فضلا وليس مرجعه الى مجرد انفاق المال والا لامتنع الفضل اذا ملكت المرأة مالا . يغنيها عن نفقة الرجل ، او يمكنها من الانفاق عليه .

وحكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين ، من تاريخ بنى ادم ، منذ كانوا قبل نشوء الحضارات ، والشرائع العامة ، وبعد نشوئها .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سألت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اي الناس اعظم حقا على المرأة ؟

قال : زوجها .

قلت : فأي الناس اعظم حقا على الرجل .

قال : امه رواه البزار والحاكم .

وعن الحسن رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « ان الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن اهل بيته » رواه ابن حبان في صحيحه .

فأنت ايها القارىء الكريم ، ترى من كل هذا ، ان هذه الرئاسة والقوامة تعني فيما تعني : قوامة متجهة الى خير من يدخل في نطاقها ، وتحقيق السعادة له .

وتعني فيما تعني : الارشاد والهداية التي تجعل من التفاهم والاقناع وسيلتها الفعالة في بناء الأسرة .

اجـل : انها ريـاسـة ، ودرجـة ، وقوامة ، تتوارى وراء البحث والتفكير الحر ولا تظهر الا عند الضرورة القصوى للفصل في المواقف المعقدة .

درجة ، وقوامة ورياسة : لا تتضمن حيفا على الزوجة ، ولا مساسا بحريتها ، ولا نقصا من حقوقها . ولكنها وسيلة لابد منها لحسن سير الامور ، في الأسرة ، وهكذا نرى الحكمة واضحة في التشريع الاسلامي .

بريد الوعي الاسلامي

شبابنا .. والتبشير الصليبي

كتب الينا من تونس الصديق/ رمضان الفارس يقول : جاءتني من فرنسا رسالتان تبشيريتان من رسائل (دروس بالمراسلة) والرسالتان تدعوانه الى اتباع المسيحية بالمراسلة ، وارسل لنا النموذج الداعي الى المراسلة وباللغة التي يريد ، ومجانا تصله المنشورات والكتيبات التبشيرية (وننشر صورته مع التعليق)
ورد الصديق على الرسالتين مسترشدا بقوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .
فكان مما قال :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الملوك والأمراء في عهده فقد كتب الى هرقل امبراطور الروم والى كسرى ملك الفرس والى المقوقس عظيم القبط في مصر ، ونجاشي الحبشة والى سائر أمراء العرب يدعوهم الى الاسلام فماذا فعلنا نحن ؟ وصلتني رسالة تبشيرية من فرنسا تدعوني الى اتباع الديانة المسيحية عن طريق المراسلة وهي الثانية من نوعها ولقد قمت بالرد على الأولى في العام الماضي ولكن دعاة الشرك يواصلون بث سمومهم فماذا فعلنا نحن ؟ انشغلنا باللهو والحياة الفارغة ، ونسينا ما كان عليه السلف الصالح فرق ، كبير بين اناس قال الله في حقهم (**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**) وبين اناس انحرفوا عن جادة الصواب ، قد أضاعوا ليلهم في المعاصي في حين أن أعداءنا يخططون لنا ويبرمجون وبعد ذلك نطلب النصر من الله ! فواجبكم يا حماة الاسلام وحراس العقيدة أن تنتبهوا الى خطورة هذا الأمر ، وأن تضعوا حدا لهذا التيار قبل أن يكبر ، وهل آن لنا أن نستفيد من دروس الماضي القريبة منها والبعيدة كما استفاد بها أبطالنا من قبل فنعود الى قرآننا ونجمع القلوب التي تفرقت . أما آن لنا أن نتوقف عن البكاء على ماض ضيعناه ونشرع في التخطيط لمستقبل نطمئن به على أبنائنا من بعدنا ويكفينا فخراً أن يكون جيلنا هو الجيل الذي يرد الخطر ويؤمن المستقبل ، ولا يتم هذا الا بالاستفادة من دروس التاريخ وبخلق هدف نبيل يعتمد على كتابنا الكريم . وواجب المسلمين في كل عصر أن ينتبهوا لما يحيط بهم وما يحاك لهم من مؤامرات

ودسائس ، وما أكثرها وصدق الله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران/٨٥ .

المحرر :

ونطمئن الصديق رمضان .. بأن الله سبحانه وتعالى ناصر دينه ، وحافظه من كل تحريف أو تبديل ، ولأن الاسلام هو دين الفطرة فانه يكتسب كل يوم أنصارا وأتباعا .. ذاك لأنه ما من فضيلة الا ودعا اليها ، وما من رذيلة الا ونفر منها .. والاسلام دين البساطة : اله واحد بلا تعدد ولا شبيه ، ولا ميوعة في الفكرة .. وتشريع يهدف الى صالح الانسانية جمعاء في الدنيا .. ويعد المتقين بنعيم مقيم في الآخرة .. العدل فيه هو الميزان .. والحق هو المتبع .. والعقل والشرع يسيران معا في طريق النور .. ورسوله هو خاتم الأنبياء والمرسلين ..

الاسلام بقوته الذاتية ينتشر في ربوع العالم ليبدد الخرافات .. ويدعو أهل الديانات السابقة الى كلمة سواء .. اخلاص العبادة لله .. والدخول فيما بشر به الأنبياء السابقون جميعا من أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله الى الناس كافة وعلى الجميع اتباعه ، والايمان برسالته .. ليجدوا الخير في الدنيا والآخرة ، والا فلن يقبل الله من الأديان الا الاسلام ..

وواجب المسلمين اليوم أن يكونوا قدوة ومثلا طيبا .. فقد كان السلف

الصالح قرآنا متحركا .. في معاملاتهم ، وقـوانينهم ، واجتماعيـاتهم ، وسياستهم ، وكل شؤون حياتهم .. فدخل الغير في الاسلام لما رآهم على هذا المستوى من صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ..

وهذا هو أول الطريق للدعوة الى الله ، سلوك مستقيم ، وطهارة في الظاهر والباطن ، وبعد ذلك تؤتي الكلمة الطيبة ثمارها ..

وعلى علماء المسلمين وأغنيائهم أن يضعوا في ميزان حسناتهم ما يرفع درجتهم عند الله فبالعلم والمال تقف الدعوة الى الاسلام في وجه المنحرفين والعابثين .. وعن طريق الكتيبات البسيطة في أسلوبها الواضحة في معناها يمكن أن ندعوا الى الله .. أرأيت أخي المسلم كيف أنهم في كفرهم على استعداد لارسال تعاليمهم بأية لغة لأي شخص ومجانا !! ما أحرانا ـ ونحن دعاة الخير ـ أن نبذل في سبيل الدعوة الى الله بعض أموالنا .. ونوجه رسائلنا عن طريق الاذاعة والتلفزيون والصحافة ، والرسائل الى انسان العصر الحاضر حيث الاتصالات سهلة ، والمسافات قد تلاشت بين أقطار الأرض ، والعقل البشري يستطيع تمييز الخبيث من الطيب .. متى حمل أمانة التبليغ علماء أكفاء مخلصون للحق ..

« والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

احلام مزعجة

رسالة جاءت من العريش ـ ج . م . ع ـ يقول صاحبها : انه يعاني من احلام مزعجة ، وتسيطر عليه افكار غريبة ، ويجد نفسه في اوضاع لا يرضاها لنفسه ، ويحرمها الدين الاسلامي الحنيف ، ثم يفيق من نومه ليجد آثارا في ملابسه ، توجب عليه الاغتسال ، ويسأل عن حل ؟ ..

المحرر : الاخ السائل لا ترهق نفسك ، ولا تحملها فوق ما تطيق ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم » .

من هنا فلا اثم عليك فيما يصدر منك ، او تجده في منامك ، فلتهدأ نفسا ، ولتقر عينا ، هذا وبالمداومة على الصلاة وتلاوة القرآن الكريم خاصة قبل النوم ، تذهب عنك باذن الله وساوس الشيطان ، واذا وجدت شيئا مما تكره ، فحاول الاستيقاظ من نومك ، واستغفر الله ، وادعوه ، وفوض الامر عليه ، وحاول ان تشغل نفسك بالطاعات دائما ، فيصح نومك ، وعلى اية حال فانه لا اثم عليك فيما تجده في منامك ، ويجب عليك الغسل من خروج المنى فقط .. والله يصرف عنك ما يسوء ، واستشر طبيبا فقد تكون اعصابك مرهقة والشفاء من عند الله .



حاربوا التبشير بالسلاح الذي دخل به

○ كتبت جريدة الدعوة السعودية في عددها رقم ٨١٣ كلمة حول هذا الموضوع جاء فيها

التبشير نقطة هامة يرتكز عليها الاستعمار وينطلق منها ، ومجلة الدعوة الغراء في عددها رقم «٧٩١» تحت عنوان : « ضرورة انشاء مدارس اسلامية في العالم الاسلامي » ، ذكرت ناحية هامة لمحاربة الاستعمار الا وهي انشاء مدارس اسلامية مقابل مدارسه التبشيرية المنتشرة في كل مكان من العالم الاسلامي ، وبذلك تكون قد فتحت ملف هذا الموضوع الهام الذي يجب ان يبحث من جميع نواحيه .

ولعلي في الكلمة التالية اسهم في الافصاح عن بعض النواحي التي استطاع به الاستعمار ان يدخل الى بلاد الاسلام افكاره ومعتقداته .

لقد نفذ من ابواب كثيرة فغزا العقول وافسد المعتقدات ، وبنظري ان اوسع الابواب التي دخل منها « الفقر » ذلك الاخطبوط المفزع الذي يمسك بخناق الانسان فيحاول التخلص منه بأية طريقة فالفقير ككل انسان يريد ان يؤمن الدواء لولده والكتاب لفلذة كبده ، واللباس لعائلته ، والرغيف لمن يعول ، يبغي تهيئة المناخ الصالح لحياة يسعد فيها وعائلته يطوي بها ايام حياته . وهنا ، وجد الاستعمار مرتعا خصبا يرتع فيه كيف شاء فأمن للفقراء كل هاتيك المتطلبات الضرورية الملحة والتي لا يستطيع المرء ان يعيش بدونها ، امنها لهم باسم الانسانية ، وهو بلا شك كاذب ، امنها لهم باسم العطف والحنان وحقوق الانسان وهو ثعلب مراوغ انها طريقته التي استطاع ان ينجح فيها الى حد كبير واسلوبه في العمل لتنفيذ المخطط الذي قرره دهاقنة المبشرين المتأمرين على الاسلام .

وبحكم الحاجة انزلق الفقير المحتاج لتأمين الكتاب والدواء والغذاء وكان فساد عقيدته واولاده .

نحن لا نلتمس كبير عذر لهؤلاء ولكن الغريق يريد ان يمسك بمن ينقذه بلا تمييز ولا خيار حتى ولا ادنى نظر الى ما يترتب عليه لقاء نجاته من الغرق .

ـ والجوع امهر الطباخين ـ / والحاجة ام الاختراع / (وكاد الفقرأن يكون كفرا) .

ولا يعقل ان يترك انسان في اليم تتقاذفه الامواج ونقول له : اياك اياك ان تبتل بالماء !!!

ان الكثير من الشعوب الاسلامية التي غزاها التبشير تشكو الفقر ، فقر في الرجال فقر في المال فقر في كل الامكانيات ، وبعملية حسابية بسيطة يتبين لنا ان الزكاة المفروضة على الموسرين في العالم الاسلامي المترامي الأطراف تكفي لسد حاجيات تلك الشعوب وبالتالي توصد بابا واسعا أمام الغزو التبشيري المتزايد .
اقول عندنا في لبنان ، في الخليج ، في كثير من بلاد الاسلام تبذير بين للاموال واسراف متزايد ، اناس يصرفون المال هنا وهناك بلا حساب واخرون يفتقدون الدرهم لاطعام جائع او كسوة عار او معالجة مريض .
ان الذي ينفق الملايين في حفلة زفاف !! يستطيع ان يبني مستشفى ، والذي يصرف مليوني ليرة في اشهر الصيف !! يستطيع ان يؤسس جامعة ، والذي يصرف مليون ليرة في رحلة استجمام تدوم عدة ايام فقط !! يستطيع ان يطبع عدة الاف من كتاب إسلامي - في العقيدة مثلا - يوزع مجانا على شبابنا في العالم الاسلامي .
نحن لسنا بحاجة الى الاستعمار ، لسنا بحاجة الى مدارسه وجامعاته ، لسنا بحاجة الى مستشفياته ومصحاته ، لسنا بحاجة الى ماله وثروته ، لسنا بحاجة الى عطفه وحنانه ، فعندنا كل شيء موجود ومتوفر - **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** - ولا ينقصنا سوى الاهتمام بأمور المسلمين استجابة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .
فهل يفكر اصحاب الثروات الضخمة في امور المسلمين ويتنادون لوضع دراسة شاملة كاملة لجمع الزكوات والتبرعات ووضعها في مكانها المجدي المثمر ضمن خطة يشرف عليها العاملون في الحقل الاجتماعي والاسلامي العام والامراء والعلماء من ذوي الهمم العالية والغيرة الاسلامية الصحيحة ؟؟

المسلمون بخير

○ **نشرت جريدة النور المغربية بتاريخ ١٩٨٢/١/١٢ هذه الكلمة :**

على امتداد التاريخ الاسلامي كان العلماء يقفون في وجه كل طاغية ، ومحرف ، ومبتدع ، وقدم العلماء الصورة الناصعة للتضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل ربهم ، ومع انصرام القرون فان اسماء : سعيد بن جبير ، واحمد بن حنبل ، والثوري ، وغيرهم وغيرهم لا تزال تثبت للعالمين ان مهمة العالم في الاسلام هي ان يقف في وجه كل انحراف وزيغ ، وان يكون صوت الحق المدوي الذي لا يخشى في

الله لومة لائم .
والمسلمون اليوم بخير لماذا ؟ .. لان السجون تستقبل افواج العلماء بين فينة واخرى ، ولأن حبال المشانق ، والرصاص المستورد تزهق ارواحهم التي ترتفع الى الله ضارعة .
كل هذا يبشر بخير فالمسلم الحق هو الذي يبتلي فيصبر ويجاهد ، ولينصرن الله من ينصره .

الوصول الى الحق

○ **قالت جريدة الانباء الكويتية في عددها رقم ٢١٩١ تقول :**

لقد اصبح واضحا اليوم انه لا بقاء لهذه الامة ولا نصر لها ، ولا علاج لمشاكلها المعقدة الا بالعودة الى الاسلام وتطبيق احكامه العادلة وتعاليمه الكريمة بحذافيرها .. ويوم اعتصم العرب بالاسلام منذ اربعة عشر قرنا من الزمان عزوا بعد ذلة ، وقووا بعد ضعف ، واهتدوا بعد ضلال فعلت رايتهم ، واحترمت كلمتهم ، واتسعت دولتهم وعظم سلطانهم ، وانهارت امامهم كل قوى . وتلاشى امام هيبتهم كل نفوذ ، وتحطم امام غضبتهم كل جبروت ، وطأطأ الرأس لمطالبهم كل طاغية عنيد .. كيف حصل هذا ؟ كيف تبدلت الاحوال ؟ كيف صار الضعف قوة ؟ كيف اصبح الاعراب المتقاتلون المتباغضون اخوة متآلفين متحابين ؟.. انه الاسلام ، وانه القرآن ، انه نور الله العظيم ، انه كلامه الحكيم من اتبعه فقد اهتدى ، ومن استمسك به فقد عز وساد ، وبالمقابل فان من ينحرف عنه يضل ويشقى ومن يبتغ العزة من غيره يذله الله .
نعم هذا ما فعله الاسلام ، وهذا ما فعله العرب بعد ان اسلموا ، وهم بعد ذلك كلما ابتعدوا عن دينهم وعن اسلامهم ، كلما اذاقهم الله لباس الجوع والخوف ، وكلما حادوا عن الطريق المستقيم ، كلما نكبوا وابتلوا بالقحط والمرض والذل والهزيمة والخذلان ، وكلما اقبلوا على الدنيا كلما اعرض عنهم الله وتخلى عنهم يقول جل شأنه « **ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا** » .. ويقول : « **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون** » .
ان ما اصاب العرب والمسلمين اليوم من ذل وهوان ، وما الم بهم من ضعف وانحطاط هو نتيجة حتمية لتخليهم عن تعاليم دينهم واقبالهم على الدنيا ، واعراضهم عن الاخرة ، بخلاف ما كان عليه اباؤهم الاوائل ، وسلفهم الصالح رضوان الله عليهم . ولن يكشف الكرب ، ولن يرد الخطر الداهم ، الا اذا عرف المسلمون وخاصة العرب منهم كيف يعودون الى الله تعالى وكيف يقيمون حدوده ، وكيف يتخلصون نهائيا من حب الدنيا ، وحب المال ، وحب الشهوات والا فسوف تكون ـ لا قدر الله ـ الضربة قاضية والهزيمة منكرة .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

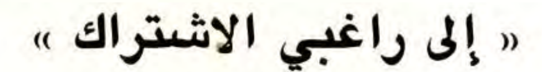
○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .



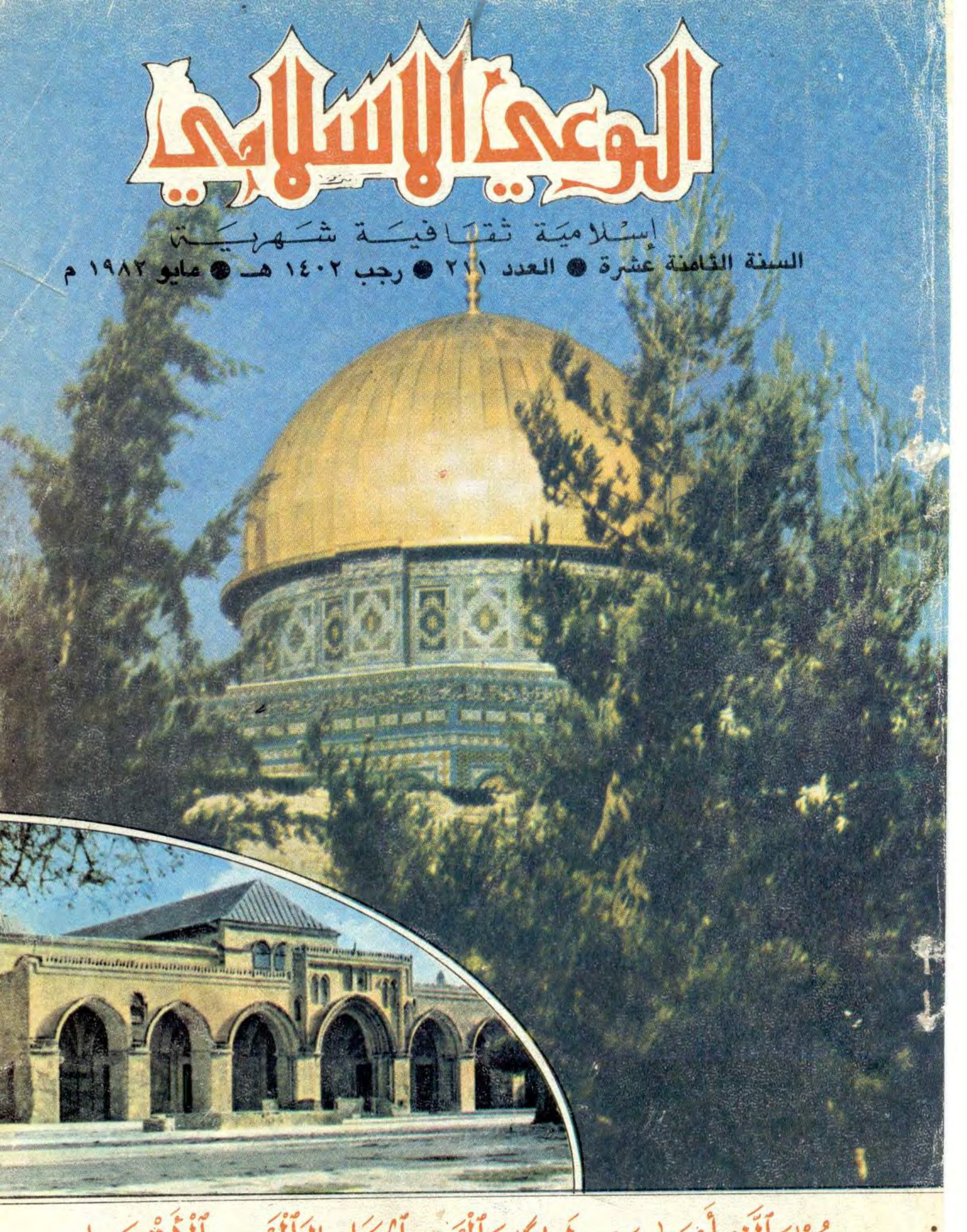
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ــ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

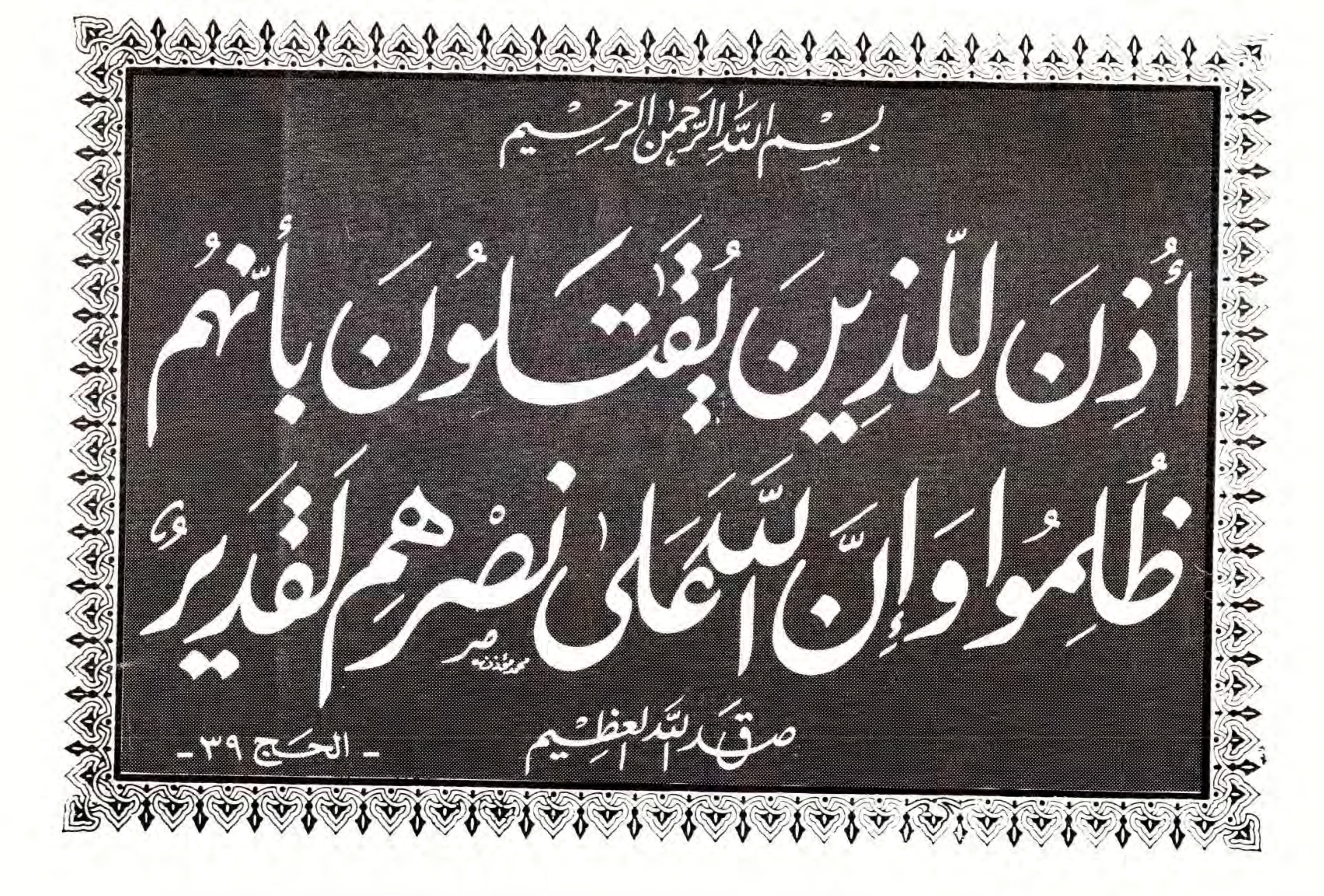
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد





سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا
ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ


بسم الله الرحمن الرحيم
أذن للذين يقاتلون بأنهم
ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير
صدق الله العظيم
- الحج ٣٩ -



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١١ ● رجب ١٤٠٢ هـ ● مايو ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كيف نستعيد فلسطين ؟

أوحى الله إلى بني إسرائيل في التوراة وحيا مقضيا بحصوله بأنهم سيفسدون في أرض الشام وبيت المقدس مرتين ، وأنهم في هاتين المرتين سيعلون علوا كبيرا ؛ ويتجاوزون حدود الشرع والعقل بالبغي والظلم والغرور والكبر ، وأنهم كلما ارتفعوا واتخذوا من الارتفاع وسيلة للافساد سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم ويدمرهم تدميرا ، وإن عادوا بعد المرتين للافساد عاد الله لهم بالعقوبة .

وقد حكى الله تعالى هذا الإخبار في القرآن الكريم حيث يقول : (**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم**

لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا).

ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعد طبقا للعلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وانتشار الفساد فيها .. فمن قبل ثلاثة آلاف سنة وفلسطين بلاد العرب الكنعانيين ، فلما غزاها بنو إسرائيل عند هروبهم من مصر اعتبروا أهلها أعداء لهم ، واعتدوا عليهم . وعاملوهم بالبطش والحقد والقسوة والتقتيل . وصورت لهم نفوسهم المطبوعة على الفساد والافساد أن أرض كنعان وما حولها من البلاد ـ من الفرات إلى النيل ـ هبة لهم من إلههم حسب وعوده لأجدادهم ، وملأوا التوراة بتلك العهود المفتراة ، وقرنوها بأوامر لليهود ان يقتلوا غير اليهود دون تمييز بين رجل وامرأة ، وطفل وشاب ، ومحارب وغير محارب ، وأن يكون القتل والابادة دون سابق إنذار أو دعوة لاعتناق اليهودية .

وقد مكثت تلك المحنة العاتية تفعل فعلها بالكنعانيين حتى بعث الله على اليهود من قوض ملكهم وشتت شملهم نتيجة فسادهم وإجرامهم ، ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض .

غزاهم الأشوريون سنة سبع وسبعين وستمائة قبل الميلاد ، وذبحوهم ، وأسروا ملكهم وسبوه إلى « بابل » .

وفي سنة عشرين وثلاثمائة قبل الميلاد حكمهم « بطليموس » وأرسل مائة ألف منهم إلى الأسر في مصر .

وفي سنة سبعين ميلادية دمر القائد الروماني القدس . وفتك بهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك التاريخ ، وتفرقوا شذر مذر في أنحاء العالم ، فكانوا في كل مكان حلوا فيه أداة فساد وإفساد ، مما جعل الشعوب والحكومات تضيق بهم وتطاردهم .

ضاق المسلمون بغدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق ، فأخرجوهم من الجزيرة العربية كلها .

وفي سنة ألف ومائتين وتسعين ميلادية طردهم ملك الانجليز بعد أن أحرق الشعب البريطاني عددا كبيرا منهم .

وفي سنة ألف وثلاثمائة وأربع وستين ميلادية حذت فرنسا حذو الانجليز ، فشردت اليهود وطردتهم حتى لم يبق في فرنسا يهودي واحد .

وعذبتهم اسبانيا على يد محاكم التفتيش .

وأقيمت لهم المذابح في روسيا وبولندا وايطاليا ورومانيا وبلغاريا وهنغاريا .

ولا ينسى التاريخ الحديث ما حدث لهم على يد « هتلر » .

والوجود الاسلامي في بيت المقدس وما حولها بدأ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلبية للاشارة الالهية بالاسراء برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام .
وقد ظل الوجود الاسلامي ـ منذ ذلك التاريخ ـ متصلا طوال القرون ، ولم يهتز إلا في فترة الاحتلال الصليبي ثم عاد راسخا قويا إلى أن وقعت الكارثة سنة ألف وتسعمائة وثمان وأربعين ميلادية باحتلال اليهود لأرض فلسطين !!

ويكشف لنا التاريخ أن اليهود لم يكونوا طرفا في النزاع على بيت المقدس طوال مدة الوجود الاسلامي في فلسطين .. ذلك أن اليهود لم يكونوا موجودين في البلاد بشكل يجعل منهم مشكلة . بل كانوا قلة ضئيلة تنعم ـ بين المسلمين ـ بسماحة الاسلام وعدله ، لها ما للمسلمين وعليها ما عليهم .
وباحتلال اليهود لأرض فلسطين عام ١٩٤٨ عادوا إلى الإفساد في الأرض ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فالهمجية التي تعرض لها أهل فلسطين على أيدي اليهود في غزوهم الأول لها قبل ثلاثة آلاف سنة ، من فنون الكيد والمكر والبغض والحقد والتقتيل والابادة ، يتعرض لها أصحاب فلسطين اليوم ومنذ سنة ١٩٤٨ ... وما مذبحة « دير ياسين » وغيرها من المذابح التي اقترفها اليهود ، وما ضروب الوحشية التي ترتكب الآن مع أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة الا نمط من انماط قبائح اليهود ... وما صمود اهل فلسطين امام تلك الهجمات الوحشية التي يدعمها الطغاة في كل مكان ، إلا امتداد لكفاح الاجداد ، يدعمه الايمان بالله والثقة في نصره ، واليقين بوعده : (**وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**) .

إن تاريخ أمة من الأمم لم يشهد ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وجحود وتنكر للهداة ، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عددا من أنبيائهم ، وهي أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين ، ولا ينتظر من أصحاب هذه الفعلة إلا استباحة دماء البشر ، واستباحة كل وسيلة قذرة تنفس عن أحقادهم وفسقهم .

على الأمة الاسلامية التي اعتدى عليها اليهود وسلبوا أرضها ومقدساتها ، أن تدرك أن ذلك ما تم لهم إلا لنجاحهم في تضليل هذه الأمة عن دينها ، وصرفها باللؤم والمكر عن قرآنها ، كي لا تأخذ منه أسلحتها الماضية وعدتها الواقية ، وعليها ـ كي تسترد ما سلب منها ـ أن تعود إلى دينها ، وتطبق شريعة خالقها ، فتستقيم لمن يستقيم لها امتثالا لقول الله تعالى : (**فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين**) وتقاتل من

يعتدي عليها امتثالا لقوله جل شأنه : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم**) .

ولتعلم الأمة الاسلامية أن قضية فلسطين ليست قضية إنسانية تتمثل في لاجئين يستحقون العطف والاحسان ، ويستحقون أن يوطنوا في البلاد العربية بعد طردهم من وطنهم ـ كما حاول اليهود وأعوانهم أن يجعلوها ـ وليست قضية عنصرية تخص العرب دون باقي المسلمين ، او قضية إقليمية تقتصر على اهل فلسطين كما ينبىء عن ذلك الأسلوب المتخذ حاليا لمعالجتها ، وكما يحاول اليهود وأعوانهم أن تكون .. وإنما هي قضية إيمانية يوجهها الايمان بالعقيدة الاسلامية ، والجهاد في سبيل الله . ويوم أن توضع في هذا الموضع الحقيقي تدنو ثمار النصر ، لأن الأعداء لا يبلغون من الأمة المسلمة شيئا مما يريدون وهي متمسكة بعقيدتها ، ملتزمة بمنهج دينها ، مدركة لكيد أعدائها .

وكل من يحاول صرف هذه الأمة عن دينها وعن قرآنها فإنما هو من عملاء يهود سواء عرف أم لم يعرف ، أراد أم لم يرد .

وعلى العلماء المخلصين أن يبصروا الشعوب الاسلامية بحقيقة العداء اليهودي وأنه عداء للاسلام يبغي القضاء عليه في كل مكان ، وأن يشخصوا لها بصورة واضحة الحقائق التاريخية عن فلسطين والقدس حتى لا تكون فريسة للتضليل .

إن اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين والحرب بينهم وبين المؤمنين هي حرب بين اليهودية المختلقة المزيفة « التي تحض اتباعها على الظلم والاعتداء والحقد والغدر والجشع والقسوة والبطش والغرور » والاسلام الحنيف « الذي يأمر بالعدل والاحسان والرحمة وينهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

وانتصار الاسلام في هذه المعركة أمر حتمي بعون الله لأن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ، وسقوط بيت المقدس وما حوله ما هو الا سحابة صيف عن قليل تزول ، متى استخدمنا قارورة الدواء ، ولم نضن على أنفسنا بالعلاج : (**والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



هو من عند الله

للاستاذ / عمر الراكشي

تعلم يا أخي القارىء العزيز ان القرآن الكريم كتاب هداية ، ودستور عمل ، ونظام حكم ، وشريعة فرد ودولة ودول .

وهو وان لم يكن كتاب علوم لكنه تضمن ـ في مجال مخاطبة العقل ومنهجية التدليل على أنه من عند الله ـ آيات علمية ادركناها بما أفاءه علينا العليم الخبير سبحانه من علم .

ولسوف تدرك الاجيال من بعدنا ، بعلمها المتجدد ، معانى جديدة للقرآن لا ندركها نحن الان ، وسيظل الامر كذلك جيلا من بعد جيل .. فعطاء القرآن لا ينفد ، وصدق الرحمن إذ يقول : « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم** » فصلت / ٥٣

وفي التفسير الذي أخرجته وزارة الاوقاف في مصر بواسطة لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بعنوان « المنتخب » اشارات كثيرة الى العديد من آيات الله ذات السمة العلمية التي ادركناها نحن مؤخرا بعلمنا الحديث .

ولقد أردت لك يا أخي القارىء العزيز ان تتابع معي إشارات ومشاهد من هذه الآيات أقتطفها لك من التفسير المذكور ، لتزداد ايمانا على ايمانك ، وليعلم المرجفون أن الله نزل الذكر وأنه حافظ له ، وأنه كتاب لا تنفد آياته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

المن والسلوى :

« **وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما**

رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » البقرة/٥٧
« **و إذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير** » البقرة/٦١

● في قوله تعالى في تلك الآيات ذكر لحقيقة علمية كشفها العلم أخيرا وهي أن المواد البروتينية التي تكون من أصل حيواني كلحوم الحيوانات والطير ، ومنها السمان « السلوى » أفضل في تغذية الانسان من بروتينات البقول النباتية من حيث التمثيل الحيوي واستفادة الجسم ، كما أن المن أساسه مواد سكرية حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس تعد من أهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الإنسان .

الجغرافيا والفلك :

« **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » البقرة/ ١٦٤

● سبقت هذه الآية ما قرره العلم من أن الكون المرئي يعج بأجرام سماوية ، وتوجه الآية نظر الانسان الى ما في الوجود من حقائق علمية ينطوي تحتها خلق اجرام السماء المتباينة والنظم التي تحكمها ، والأفلاك التي تسير فيها ، وكذلك دوران الأرض حول محورها مما يسبب تتابع الليل والنهار ، ثم تشير الآية الى المواصلات المائية على الأرض ، والى الماء الذي ينزل من السماء في دورات متتابعة تبدأ بتبخر ماء البحر ثم تكاثفه ثم هطوله وهو ما يسبب الحياة على الارض ، وكذلك تشير الآية الى الرياح ودوراتها . وان الدارس لهذه الحقائق لابد أن يلمس قدرة الله تعالى :

الميتة والدم ولحم الخنزير :

« **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم** » البقرة/ ١٧٣

● سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتحريم الميتة ، لأن ما يموت بشيخوخة أو مرض يكون موته بسبب مواد سامة ضارة تصل الى من يأكله ، وفوق ذلك فان الموت بالاختناق او المرض ينجس فيه الدم بما يحتويه من مواد ضارة كثيرة كالعرق والبول .

والخنزير ينقل الامراض الخطيرة مثل التنيا ، كما أنه الحيوان الوحيد الذي يصاب بالتركينا التي تصيب آكله إذا أكله .

ومن هنا فعلى المضطر ألا يتجاوز حد الضرورة ولا يبغى ما اضطر اليه .

الصـــيام :

(أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنت تعلمون) البقرة/ ١٨٤

● علاوة على فوائد الصيام الروحية والتهذيبية فقد اهتدى الطب الحديث الى ان للصيام فوائد طبية عديدة ، فهو يفيد في علاج كثير من الامراض كضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والبول السكري . كما أنه يصلح الجهاز الهضمي وهبوط القلب والتهاب المفاصل ، ويعطي الجسم والأنسجة فرصة للراحة والتخلص من كثير من الفضلات الضارة بهما ، كما أنه وقاية من كثير من الامراض المختلفة .

الأهــلة :

(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) . البقرة/ ١٨٩

● إن القمر يعكس ضوء الشمس نحو الارض من اجزاء سطحه المرئية والمضيئة فتظهر الأهلة . فاذا كان القمر في حالة (الاقتران) أي بين الشمس والأرض فهو في المحاق ويبدأ ميلاد الهلال الجديد لجميع سكان الأرض .

وإذا كان القمر في حالة (الاستقبال) اي الجهة المقابلة للشمس بالنسبة للأرض فانه يظهر بدرا ، ثم يأخذ في التناقص حتى الاقتران التالي ، وتتم الدورة الاقترانية أي الشهر العربي في مدى ٥٣٠٩ و٢٩ يوما . وعلى ذلك فانه يمكن تعيين التاريخ العربي من ساعة الهلال وشدة إضاءته : فاذا شوهد الهلال خطا رفيعا عند الافق الغربي وغرب بعد الغروب ببضع دقائق تمكن الرؤية بعد هذا الغروب ، وتثبت بداية الشهر ويتيسر تعيين التاريخ من هذا الشهر للناس . ودورة القمر هي التي علمت الناس حساب الشهور ومنها شهر الصوم وشهر الحج .

العـــدة :

(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا) البقرة/٢٢٨

● شرعت العدة استبراء للرحم اولا ، واستبراء الرحم من الحمل لا يكون

الا بعد ثلاث حيضات ، والحامل لا تحيض عادة ، وإن حاضت فان ذلك يكون مرة او اثنتين على الاكثر ، إذ أن الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة الى درجة يملأ معها تجويف الرحم فيمنع نزول دم الحيض . ذلك تقدير الله في خلقه وما كان معلوما عند العرب ، وما كان للنبي الأمي أن يعلمه ، ولكن الله أنزل عليه القرآن فعلمه وعلم أمته .

وشرعت العدة ثانيا ليكون عند المطلق فرصة لمراجعة زوجته إذ قد يكون طلقها في غضب جامح فاذا ثاب اليه رشده ندم وحينئذ يجد رحمة الله واسعة ، وشرعه حكيما ، قد أعطاه الحق في أن يراجع زوجته قولا أو فعلا ولكن تحتسب عليه الطلقة من ثلاث طلقات .

الرضاعة :

(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم) البقرة/ ٢٣٣

النص القرآني المتقدم يعتبر وجوب الارضاع على الام ، ولا يكون الاسترضاع الا حيث لا يمكنها الارضاع ، وقد اتفق الفقهاء على وجوب الارضاع عليها ديانة ، لأن الارضاع هو المطعم الطبيعي للمولود ، إذ لبن الام يلائم حياة الطفل كل الملاءمة فيزداد كمية بزيادة حجم المولود . وتتنوع محتوياته بحسب تقدم الطفل في السن ، والرضاعة تفيد الأم ولا تضرها إلا في أحوال شاذة ، فالرضاعة تعمل على تحسين الحالة الصحية العامة للمرضع بتنشيط الجهاز الهضمي للحصول على المواد الغذائية اللازمة للمولود ، وكذلك تعيد الرضاعة تدريجيا الجهاز التناسلي الى اوضاعه الطبيعية بعد عملية الولادة .

ويجوز ان يفطم الصغير لاقل من عامين من ولادته .

ربوة خصبة :

(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) البقرة/ ٢٦٥

● في تعبير القرآن الكريم بكلمة ربوة وهي الارض الخصبة المرتفعة اشارة ـ وهو ما كشفه العلم الحديث ـ الى انها بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص المجموع الجذري في التربة من غير ماء يضره ، ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة لأكبر كمية من الغذاء لسيقان المجموع الخضري ، فيتضاعف المحصول . وللوابل من الامطار فائدة فوق التغذية ، إذ أنه يذيب بعض المواد التي تحتاج اليها

النباتات مما يزيد نموها كما يغسلها من الآفات .

التصوير في الارحام :

(**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم**) آل عمران/٦

● تشير الآية الكريمة الى وجه من الوجوه المعجزة لقدرة الباريء المصور ، وهو تحول البويضة المخصبة وهي خلية واحدة ضئيلة الحجم الى انسان سوى بكل ما يحويه جسمه من اجهزة واعضاء وانسجة بملايين الخلايا مختلفات في البنيان والوظيفة .

وسوف تتوالى في القرآن الكريم آيات تفصل بعض أطوار النمو الجنيني . ولكن الذي تنوه به هذه الآية الكريمة على وجه الخصوص : هو المشيئة الالهية المطلقة في تصوير الجنين ، إذ أن الله يودع في البويضة الدقيقة الحجم جميع الموروثات « الجينات » التي تحدد جنس المولود ونصيبه من الخصائص الجسمانية ، بل ومواهبه العقلية والفلسفية ، والسمات الرئيسية في تكوين الشخصية الوارثة . وهي وان كانت تسير على قوانين ثابتة ، إلا أن هذا التحديد للصفات الوراثية لكل فرد بذاته نتيجة التقاء بويضة بعينها وحيوان منوي بعينه من بين الملايين من أقرانه ، هو من دلائل المشيئة الالهية المطلقة حتى انه لا يتماثل فردان في العالم تماثلا كاملا اللهم إلا في توائم البويضة الواحدة تكاد تتطابق .

اخراج الحي من الميت والعكس :

(**وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي**) آل عمران/ ٢٧

● دورة الحياة والموت هي معجزة الكون وسر الحياة نفسها . والسمات الرئيسية في هذه الدورة ان الماء وثاني اكسيد الكربون والنتروجين والاملاح غير العضوية في التربة تتحول بفضل طاقة الشمس والنباتات الخضراء وانواع معينة من البكتريا الى مواد عضوية هي مادة الحياة في النبات والحيوان .

أما في الشق الثاني من هذه الدورة فتعود هذه المواد الى عالم الموت في صورة نفايات الاحياء ونواتج « أيضها » - التمثيل الغذائي - وتنفسها .

كما تعود هذه المواد بتحلل الاجسام كلها بعد الموت ، فتستسلم لعوامل التحلل البكتيري والكيماوي التي تحيلها الى مواد غير عضوية بسيطة مهيأة للدخول في دورة جديدة من دورات الحياة وهكذا في كل لحظة من الزمان : يخرج الخالق القدير حياة من الموت وموتا من الحياة .

وهذه الدورة المتكررة لا تتم الا في وجود كائن أودعه الله سر الحياة .

والآية الكريمة تذكر أولى الالباب بالمعجزة الاولى وهي خلق الحياة من مادة الارض الميتة ، ثم تكرار الدورة كما سبق .

وهكذا جاء في الآية الكريمة اخراج الحي من الميت سابقا لإخراج الميت من الحي وهذا هو الاعجاز بعينه .

آيات لأولى الالباب :

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) آل عمران/ ١٩٠

● في هذا النص تنبيه الى حقائق كونية تدل على عظمة الخالق . ذلك أن السماء هي آية من آيات الله بدت لنا بتأثير الاشعة الشمسية على الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض . فعندما تسقط هذه الأشعة على ذرات العناصر الكيماوية التي يتألف منها الجو وعلى ما فيه من أتربة دقيقة تتشتت الاشعة في جميع الجهات .

ومن المعلوم ان الضوء الابيض يتألف من جميع الالوان المرئية ولكن الذرات تمتص الالوان من بعضها البعض .

وينشأ تعاقب الليل والنهار من دوران الارض حول محورها ويتفاوت طول الليل والنهار نتيجة ميل هذا المحور عن مستوى مدار الأرض فاذا أضيف الى ذلك دورة الأرض حول الشمس نتج اختلاف الفصول . وتعاقب الليل والنهار وتعاقب الفصول يهيىء البيئة الصالحة للحياة والاحياء .

أنصبة المواريث :

(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما . ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم) النساء/ ١١و١٢

● نظام الميراث الذي بينه القرآن الكريم بكسوره الرياضية الدقيقة وحجب

البعض حجب حرمان أو حجب نقصان أعدل نظام للتوريث عرف ، وقد اعترف بذلك كل علماء القانون في اوربا ، وهو دليل على أن القرآن من عند الله ، إذ لم يكن هناك قريب منه لدى الفرس والرومان ولا في أية شريعة اخرى قبله ، ويستظهر من هذا النظام القواعد العادلة الآتية :

١ ـ انه جعل التوريث بتنظيم الشارع الحكيم لا بارادة المالك ، من غير ان يهمل هذه الارادة فجعل له الوصية في حدود ثلث ما يملك .

٢ ـ في توزيع الثلثين من التركة بعد الوصية او الدين ، أعطى سبحانه الاقرب فالاقرب من غير تفرقة بين صغير وكبير .

٣ ـ انه في التوزيع يلاحظ مقدار الحاجة ، ولذلك كان نصيب الفروع اكبر من نصيب الاصول لانهم اكثر احتياجا ، اذ هم مقبلون على الحياة بينما الآباء والامهات مدبرون عنها .

كما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ، حيث تقع عليه التكاليف والاعالة المالية واعباء المعيشة .

فالعطاء على قدر الحاجة هو العدل ، والمساواة مع تفاوت الحاجة ظلم .

٤ ـ ان الشرع الاسلامي في توزيعه للتركة ـ يتجه الى التفتيت دون التجميع ، ويندر في مسائل الميراث ان ينفرد بالتركة واحد ، فالملكية في الاسلام تتوزع جيلا بعد جيل بالتوريث .

٥ ـ انه لم يحرم المرأة من الميراث كما كان يجري عند العرب ، بل ورث القرابة التي من جانبها ، فالاخوات والاخوة لأم يأخذون عندما يأخذ الاشقاء ..

انه الشرع الحكيم ، الا انه من عند الله العليم الحليم .

الكلالة :

« **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك و إن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الآنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم)** النساء/١٧٦

● يسألونك أيها النبي عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد : ان حكم الله في ميراث هؤلاء ، ان كان للمتوفى أخت فلها نصف تركته ، وان كان للمتوفاة أخ فله تركتها ، وان كان للوارث اختان فلهما ثلثا التركة ، وان كانوا اخوة من ذكور واناث فنصيب الذكر مثل نصيب الانثيين . والله بكل شيء عليم .

التحريم بالرضاعة :

(حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) النساء/٢٣

● اختصت شريعة القرآن دون غيرها بالتحريم بسبب الرضاعة ، لان الرضيع يتغذى من جسم المرضع كما يتغذى من جسم أمه في بطنها فكلاهما يكون اجزاء جسمه . وتسبق هذه الآية الشريفة بعشرات المئات من السنين ما تبينه علم الوراثة مؤخرا في زواج الاقارب فقد ثبت علميا ان زواج الاقارب يلد ذرية ضعيفة ، أفرادها على استعداد للامراض الوراثية وبهم عيوب خلقية . وقد تقل لديهم درجة التناسل حتى تصل الى العقم .

تحريم المنخنقة والموقوذة :

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب) المائدة/٣

● تخاطب الآية الشريفة المؤمنين فتحرم عليهم الميتة أي ما فارقته الروح من غير ذبح شرعي ، وأكل الدم السائل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه ، وما مات خنقا ، او التي ضربت حتى ماتت ، وما سقط من علو فمات ، وما مات بسبب نطح غيره له ، وما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه ، وأما ما ادركتموه وفيه حياة مما يحل لكم أكله وذبحتموه فهو حلال لكم بالذبح . وحرم عليكم ما ذبح للاصنام .

وعلة التحريم فيما تقدم أن موت الحيوان قد يكون لشيخوخة او مرض عضوي او طفيلي ، او نتيجة تسممه ، ومن هنا يشتمل لحمه على مواد ضارة تضر من يأكله ، فضلا عن ان الحيوان الذي يموت دون تذكية ينحبس فيه دمه وقد يمضي على موته وقت طويل لا يستطاع تحديده فيتعرض للتحلل والفساد .

والدم هو المجرى الذي تلتقى فيه مواد « الايض » ـ اي التمثيل الغذائي ـ كلها ، ففيه ما هو مفيد وما هو ضار مؤذ كالسموم التي تفرزها الكائنات المتطفلة في الجسم ، كما ان كثيرا من الطفيليات يمضي في الدم مراحل من دورة حياته في عائله ، ولهذا كله كان تناول الدم كغذاء محرما .

أما الخنزير فهو الرجس والرجس هو النجس والقذر والمأثم ، فالرجس كلمة جامعة لمعاني القبح والقذر وهي تلصق بالخنزير حتى عند الشعوب التي تأكله . والخنزير حيوان قارت رمام . يأكل ما يجده من قمامة ونفايات وفضول الانسان والحيوان وهذا هو السبب الرئيسي في قيامه بدوره في نقل الامراض وهو لذلك معرض للاصابة بعدد كبير من الطفيليات التي تصيب الانسان من الفيروسات والسبيروكينات :

(اللبتوسبيرا) والحيوانات الاولية (البروتوزا) والديدان الشعرية الحلزونية والمفلطحة والاسطوانية وشوكية الرأس .

ويعتبر الخنزير هو العائل الخازن لها . وتنتشر الامراض التي تسببها هذه الطفيليات والديدان في الصين والولايات المتحدة الامريكية واليابان وكوريا وغيرها وهي تصيب الجهاز الهضمي والمخ والنخاع الشوكي والقلب ، ولا تعرف هذه الامراض في البلاد الاسلامية حيث يحرم أكل لحم الخنزير .

وبعض تلك الامراض يسبب الوفاة بين الاسبوعين الرابع والسادس .

وقد بذلت محاولات مضنية في الولايات المتحدة الامريكية لتربية الخنازير بطريقة (صحية) وفحص ذبائحها ومعالجة لحومها بوسائل باهظة التكاليف غير مجدية من الناحية العملية ، ومع ذلك ففي الولايات المتحدة ثلاثة أمثال الاصابات التي في العالم أجمع نتيجة تربية وأكل الخنازير ، فان متوسط الاصابة في ولاياتها المختلفة هو ١٦٪ مع الوثوق بأن هذا الرقم أقل كثيرا من الحقيقة .

يضاف الى هذا ان دهن الخنزير مختلف تماما في درجة تشبعه عن الزيوت النباتية والدهون الحيوانية الاخرى ، ومن هنا فصلاحيته للغذاء موضع شك كبير ، وينصح الاستاذ « رام » عالم الكيمياء الحيوية الدنماركي الحاصل على جائزة « نوبل » بعدم المداومة على تناوله حيث ثبت بالتجربة ان هذا الدهن يسبب حصى المرارة وانسداد قنواتها وتصلب الشرايين وبعض امراض القلب الاخرى .

أما ما أهل به لغير الله وما ذبح على النصب فهي اوامر تعبدية .

والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع فحكمها حكم الميتة وان اختلف سبب موتها .

الخمر والميسر :

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة/ ٩٠ و٩١

● ذكر الله سبحانه وتعالى في الخمر والميسر في هذه الآية أموراً أوجبت تحريمهما :

أولها : انها خبث وشر في ذاته اذ لا يمكن ان توصف بالخير لان عنصر الضرر فيها واضح : ففي الخمر فساد العقل وفي الميسر فساد المال .

وفيهما معا فساد القلب ، والشيطان هو الذي يحسنهما .

ثانيها : انها تنشر العداوة والبغضاء ، فالميسر كثيرا ما ينتهي الى نزاع ، واذا لم ينته اليه فانه يثير الحقد والضغينة .. والخمر أم الكبائر ، وعلة تحريمها تنحصر في أن الله كرم الانسان بالعقل بأن جعل له خلايا ارادية عليا في المخ تهيمن على الارادة والذكاء والتمييز وكل الصفات العليا في الانسان ، والخمر خاصة والمخدرات عامة تحجب مراكز الارادة والتمييز وتعطلها وتبطلها ، فتنشط المراكز

التي هي دونها فينفعل الانسان بها ، فاما ان يطغى او يعتدى وأما ان يفتر ويخمد ، وهذا معناه فقد التوازن العقلي ، وتتعطل الاعمال والمصالح .

وكذلك تؤثر الخمر تأثيرا بالغ السوء على الجهاز الهضمي والدوري وعلى الكلي وتؤدي الى تليف الكبد .

ثالثها : اذا فقد العبد الاتزان انصرف عن ذكر الله الذي تحيا به القلوب .

رابعها : وبالتالي فالخمر والمخدرات تصد عن الصلاة أو عن ادائها على الوجه الاكمل .

وقد أجمعت المذاهب الاسلامية على ان الخمر هي كل مشروب او غير مشروب ، يسكر في ذاته ، استنادا الى حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي يقول فيه : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) رواه احمد ومسلم والى ما اخرجه ابو داوود في صحيحه ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « نهى عن كل مسكر ومفتر » .

فسبحان المشرع الحكيم ، والمبدع القدير الذي يكشف للناس عن آيات علمه المكنونة في كتابه ، يكشف بقدر عنها لجيل بعد جيل الى أن يرث الأرض وما عليها .

علة الجزية :

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة/ ٢٩

كانت الجزية من الموارد الهامة في الدولة الاسلامية ، وكانت هذه الضريبة تتراوح ما بين ثمانية واربعين درهما ، واثنى عشر درهما للفرد الواحد ، تؤخذ من اليهود والنصارى ومن في حكمهم ، وكانت واجبة على الذكر البالغ الصحيح الجسم والعقل بشرط أن يكون له مال يدفع منه ما فرض عليه . وأعفى منها النساء والاطفال والشيوخ لان الحرب لا تعلن عليهم ، ولا يدفعها أيضا العمى والمقعدون إلا إذا كانوا أغنياء ، ولا الفقراء والمساكين والأرقاء ، ولم يكن يطالب بها الرهبان إذا كانوا في عزلة عن الناس .

وكانت علة فرض الجزية هي حماية أهل الذمة ودفع العدوان عنهم ، لأن أهل الكتاب ومن في حكمهم لم يكلفوا الحرب او الدفاع عن انفسهم وعن غيرهم ، فكان من العدالة أن يدفعوا هذه الضريبة نظير الحماية والمنفعة ، ومقابل انتفاعهم بالمرافق العامة في الدولة .

وهي أيضا توازي ما يؤخذ من المسلم من الغنائم وهو الخمس ، ومقابل ما يجود به المسلم من صدقة الفطر وما يفرض عليه من زكاة في الركاز وفي الاموال والزروع وعروض التجارة والصناعة الى جانب الكفارات المختلفة للذنوب ، فكان

من المتعين والحال كذلك أن يؤخذ من غير المسلم ما يقابل ذلك الذي يفرضه الشرع على المسلم .

وكانت الجزية تنفق في المصالح العامة وعلى فقراء أهل الذمة . ومما تقدم يبين بجلاء أن هذه الضريبة لا تهدف الى اذلال أحد ، كما أنها ليست عقوبة مقنعة ، فان عدالة الاسلام وسماحته تأبى مثل ذلك وهو الذي لا يتوخى الا ما يتفق وغاياته السامية .

الصورة المثلى للتكافل الاجتماعي :

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) التوبة/ ٦٠

الزكاة في الاسلام هي الصورة المثلى للضمان وللتكافل الاجتماعي في أي مجتمع ينشد الكمال في هذا النطاق .

فلا تصرف الزكاة المفروضة الا للذين لا يجدون ما يكفيهم ، والمرضى الذين لا يستطيعون كسبا ولا مال لهم ، والذين يجمعونها ويعملون فيها ، والذين تؤلف قلوبهم لانهم يرجى منهم الاسلام والانتفاع بهم في خدمته ونصرته ، والذين يدعون الى الاسلام ويبشرون به ، وفي عتق رقاب الارقاء والاسرى من ربقة العبودية وذل الاسر ، وفي قضاء الديون عن المدينين العاجزين عن الاداء اذا لم تكن هذه الديون ناشئة عن إثم أو ظلم أو سفه ، وفي امداد الغزاة بما يعينهم على الجهاد في سبيل الله وما يتصل بذلك من سبيل الخير ووجوه البر ، وفي عون المسافرين اذا انقطعت اسباب اتصالهم بأموالهم وأهليهم .

شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده والله سبحانه عليم بمصالح خلقه ، حكيم فيما يشرع .

وبعد ان استعرضنا مع النص القرآني مصارف الزكاة وأوجه انفاقها ، فقد بدا جليا أن الزكاة نظام وضع لتجمع بعض أموال من الغني وترد على الفقير ، فهي حق الفقير في مال الغني يجمعها ولي الامر ، وينفقها في مصارفها التي يعد أجلها خطرا محاربة آثار الفقر في المجتمع الاسلامي ، فالزكاة تعطى للفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، كما ان فيها بابا للقرض الحسن ، ومنها يسدد دين من عجز عن سداده بعد أن اقترضه .

وفي صدر الاسلام لم تجعل الزكاة في المجتمع الاسلامي جائعا يبيت على الطوى ، ولا شحاذا أو سائلا تذله الحاجة ، حتى انها لكثرتها كان يشكو عاملها من أنه لا يجد من ينفق عليه منها ، فلقد شكا عامل الصدقات على افريقية الى خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز أنه لا يجد فقيرا ينفق عليه ، فقال له

عمر : سدد الدين عن المدينين ، فسدد ، ثم شكا ثانية ، فقال له اشتر عبيداً وأعتقهم فذلك مصرف من مصارفها .

والحق أن الزكاة لو جمعت من وجوهها بأمانة ، وصرفت في مصارفها كما ينبغي ، لتبين ـ عملا ـ عندئذ أنها أكمل وأعظم نظام للتكافل الاجتماعي حسبما بدا ذلك جليا في عهد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين رحمه الله

ولتخرس ألسنة واضعي النظم الاجتماعية الحديثة من اصحاب اللون الاحمر بدرجاته المتفاوتة الذين لم يزيدوا الفقير الا فقرا واستأثروا بالنعمة لطبقة الحكام ، ولعلك يا أخي قد قرأت وشهدت أمثلة من ذلك في بلادهم والدول التي اخضعوها وأذلوها لسيطرتهم .

الوفاء بالعهد :

(**والموفون بعهدهم اذا عاهدوا**) البقرة/ ١٧٧

(**وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون**) النحل/ ٩١

في هاتين الآيتين وفي عديد غيرهما من آيات القرآن الكريم حض التشريع القرآني على الوفاء بالعهود التي يقطعها الفرد المسلم على نفسه ، أو العهود التي تبرمها الجماعة الاسلامية في شكل مواثيق دولية .

وفي الحالتين يطلب التشريع القرآني الوفاء بالعهد المقطوع على النفس ، اي المبرم ، والله شهيد على هذا الوفاء طالما ان العهد والوفاء من بعده متسقان مع شرع الله .

كما نهى التشريع القرآني عن نقض الأيمان بالحنث فيها بعد تأكيدها بذكر الله وبالعزم أو التصميم عليها ، لان الله يعلم أيها المسلمون انكم قد راعيتم في عهودكم وحلفكم ان الله يكفل وفاءكم بها ، وانه سبحانه رقيب ومطلع عليكم في هذا الشأن وغيره ، فكونوا عند عهودكم وأيمانكم لأن الله يجازي على الحنث كما يجزي عن الوفاء .

وهذه الأحكام القرآنية في العهود تشف عن أن العلاقات بين الأفراد بعضهم وبعض وبين الدول بعضها وبعض لا تستقيم الا بالوفاء بالعهد ، وتنفيذ المواثيق ، فان الدول الاسلامية إذا عقدت عهدا او أبرمت ميثاقا فانما تعقده باسم الله فهو يتضمن يمين الله وكفالته .

وتدل الآيات المسرودة آنفا على قواعد مستخلصة من أحكامها هي : ـ

١ ـ أنه لا يصح ان تكون المعاهدات سبيلا الى الخديعة والا كانت غشا ، سواء أكانت علاقات آحاد أم علاقات جماعات ودول .

٢ ـ أن الوفاء بالعهد قوة في ذاته ، وأن من ينقض عهده يكون كمن ينقض ما بناه من أسباب القوة كالحمقاء التي تفك غزلها بعد تقويته وتوثيقه . وقد جاء هذا

التشبيه في الآية ٩٢ من سورة النحل .
٣ ـ أنه لا يصح ان يكون الباعث على نكث العهد الرغبة في القوة أو الزيادة في رقعة الارض او نحو ذلك .
ولا يخفى ان ربط الوفاء بالعهود والمواثيق الدولية برقابة المولى سبحانه وتعالى وبكفالته هو الامر الذي تفتقده القوانين الوضعية بصفة عامة ، والقانونان المدني والدولي العام بصفة خاصة .

حكم التشريع القرآني في الزنا :

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزاني لا ينكح إلا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين . والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون) النور/ ٢ ـ ٤

يبين الله في هذه الآيات بعض أحكام الزنا في الاسلام ، فقد بين سبحانه وتعالى وجوب تطهير المجتمع من الزنا واشاعة الفاحشة بالفعل وبالقول بين المؤمنين ، وشرع لذلك عقوبات رادعة ، كما شرع في زنا الزوج تشريعا خاصا لتتوفر الثقة بين الزوجين .
وتطرقت الأحكام في الزنا بعد ذلك الى معالجة الكذب في هذه المواقف عند الاتهام بالزنا ، وما يجب على المؤمنين ازاء قولة السوء التي يعوزها الدليل ، ويتبع التشريع القرآني ذلك بآداب دخول البيوت .
وسوف نجمل في بحثنا هذا بمناسبة بيان أحكام تلك الآيات من سورة النور ، مقارنة عقوبة الاسلام في جريمة الزنا بمثلها في القانون الفرنسي بايجاز شديد مع استعراض سريع لمصالح الاسلام الخمسة ، ولأنواع العقوبات الثلاثة في الاسلام ، وللحدود السبعة فيه .
واذا كان حكم الزنا لمن لم يسبق له الزواج هو الجلد فان عقوبة المحصن ـ أي المتزوج وقت الزنا أو من كان متزوجا قبله ـ هي الرجم . أما اذا اختلى بزوجته خلوة صحيحة بدون أن يدخل بها حقيقة فلا يكون محصنا وتكون عقوبة الزنا عندئذ هي الجلد .
وقد أوجب الله سبحانه وتعالى تنفيذ العقوبة بالجلد وقضى بألا يمنعنكم شيء من الرأفة بطرفي الزنا عن تنفيذ الحكم عليهما ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، لأن مقتضى الايمان ايثار رضا الله على الرأفة بالناس أو استجلاب رضاهم بهذه الرأفة التي تعطل حدود الله .
كما أوجب الله سبحانه وتعالى أن يحضر تنفيذ الحكم فيهما جماعة من المؤمنين ، ليكون العقاب منطويا على ردع لغيرهما كما انطوت على زجر الآثم

وايلامه .

وتلفت الأحكام في الآية الثالثة التي مر ذكرها الى أن الخبيث الذي من دأبه الزنا ، لا يرغب الا في نكاح خبيثة عرفت الزنا أو الشرك ، كما ان الخبيثة التي اعتادت الزنا لا يرغب في نكاحها الا خبيث عرف بالزنا أو الشرك . ولا يليق هذا النكاح بالمؤمنين لما فيه من التشبه بالفسق والتعرض للتهم . هذا اذا لم يعقب ذلك توبة نصوح ، والتفسير على هذا يكون لبيان طبائع أهل الشرك والزنا في أنهم لا يرغبون الا في المفاسد ، ورأي الحنابلة والظاهرية عدم صحة الزواج من الزاني أو الزانية قبل التوبة .

ثم تتعرض أحكام الآية الثالثة والأخيرة لبيان حكم الذين يتهمون العفيفات بالزنا ، ثم لم يأتوا بأربعة شهود يثبتون صدق الاتهام ، فأوجبت عقابهم بالضرب ثمانين جلدة وبعدم قبول شهادتهم على أي شيء مدى الحياة ، فهؤلاء هم الفاسقون الفجرة .

المصالح والعقوبات والجرائم في التشريع الاسلامي :

وبمناسبة أن جريمة الزنا أولى جرائم الحدود السبع ، وأن عقوبتها داخلة في النوع الأول من تقسيمات العقوبات في الاسلام وهي الحدود ، وأن المحافظة على العرض هي خامس المصالح المعتبرة في الاسلام ، فقد لزم أن نصنف هذه المجموعات الثلاثة فنقول :

ان الجرائم في الشريعة الاسلامية هي محظورات زجر الله عنها بحد أو تعزير . وهذه المحظورات تقع اما بارتكاب فعل نهت الشريعة عن ارتكابه أو بترك فعل أمر الشرع باتيانه .

وعلة تحريم هذه المحظورات أنها تمثل اعتداء سافرا على احدى **المصالح المعتبرة في الاسلام وهي خمس** :

المحافظة على النفس والدين والعقل والمال والعرض .

فالقتل مثلا عدوان على النفس ، والردة اعتداء على الدين ، وتعاطي الخمر جور على العقل ، والسرقة اعتداء على المال ، والزنا اعتداء صارخ على الأعراض .

وقد قسم الفقهاء الجرائم الى تقسيمات عدة تختلف باختلاف وجهات النظر اليها . ونورد فيما يلي تقسيمها من حيث جسامة العقوبة وهي تنقسم الى أقسام ثلاثة :

١ ـ الحدود ، ٢ ـ القصاص أو الدية ، ٣ ـ التعزير .

١ ـ فالحدود هي الجرائم التي تعتبر في ذاتها اعتداء على حق الله ، أو يغلب فيها حق الله على حقوق العباد . ولذلك حددها الله وحدد عقوبتها بنص في القرآن أو في السنة .

٢ ـ أما جرائم القصاص والدية فهي جرائم تغلب فيها حقوق العباد . وتولي الله

سبحانه وتعالى تحديد عقوبات بعضها بالنص ، وترك البعض الآخر لتقدير ولي الأمر ، ومثلها جرائم الدماء ، مثل جريمة قطع الأطراف والجراح .

٣ ـ أما جرائم التعزير فاكتفى الاسلام فيها بتقرير مجموعة من العقوبات بحديها الأخف والأشد وترك للوالي اختيار العقوبة في كل جريمة بما يلائم ظروفها وحال الجماعة التي وقعت بها .

وجرائم الحدود سبع هي :

١ ـ الزنا ، ٢ ـ قذف المحصنات ، ٣ ـ البغي ، ٤ ـ السرقة ، ٥ ـ قطع الطريق ، ٦ ـ شرب الخمر ، ٧ ـ الردة .

وقد جاء تعدادها جميعا في نصوص القرآن الكريم ، كما حددت نصوصه عقوباتها أيضا . عدا عقوبة الزاني المحصن وهي الرجم ، وعقوبة شارب الخمر وهي ثمانون جلدة ، وعقوبة الردة وهي القتل فقد نصت عليها السنة وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الاسلام .

○ الزنا في بعض الشرائع الأوروبية :

وجدير بالاشارة الى أن القوانين الوضعية وان جرمت الزنا الا أنها أباحته في بعض صوره ، ولم تغلظ عليه العقوبة فاكتفت أغلبها بالحبس ، الأمر الذي أشاع الفاحشة بين الناس ، ونشر الفسق والفجور ، وهانت بسببه الأعراض ، وكثرت الأمراض ، واختلطت الأنساب ، وكثر اللقطاء .

ومن عجب أن أكثر الشرائع الحديثة تشدقا بالحرية الشخصية في البلاد المتمدينة تحمي هذه الجرائم ، فقانون العقوبات الفرنسي مثلا لا يعاقب الزاني والزانية غير المحصنين ما داما قد بلغا سن الرشد ، حيث تقتضي حريتهما الشخصية في رأيه تركهما يفعلان بنفسيهما ما يشاءان ، أما زنا المحصن من الرجال والنساء فعقوبته الحبس ، وليس للهيئة الاجتماعية ممثلة في النيابة العامة أن تتصدر للجريمة بالتحقيق الا بناء على طلب أحد الزوجين ، وترتب على اعتبار الجريمة واقعة في حق الزوج وحده أنه اذا أبلغ الحادث فله أن يسحب بلاغه فيقف التحقيق ، وله أن يعفو عن زوجته فتخرج من السجن قبل انقضاء العقوبة ولو صار الحكم عليها نهائيا .

وان عجبت فاعجب معي أن يعيب البعض على الاسلام تشدده في عقوبة الزنا ، وأغفل هذا البعض تشدد الاسلام في الوقت عينه في طرق اثبات الجريمة ، فبينما تكتفي الشريعة الاسلامية في اثبات جريمة القتل بشهادة شاهدين عدلين ، نراها تحتم في اثبات جريمة الزنا شهادة أربعة شهود عدول رأوا الواقعة أمامهم رأي العين ، أو تثبت باعتراف الجاني ـ

هذا ونلاحظ أن القرآن الكريم ـ كما سبق التنويه ـ أوجب علانية عقوبة الجلد ، لما في ذلك من تشهير بالجاني وتخويف لغيره .

ثلاث عورات :

(يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) . النور/٥٨ .

يوجب التشريع القرآني في هذه الآية على الذين آمنوا أن يأمروا عبيدهم وصبيانهم الذين لم يصلوا الى حد البلوغ ألا يدخلوا عليهم الا بعد الاستئذان في ثلاثة أوقات هي :

١ ـ قبل صلاة الفجر .

٢ ـ وقت التخفيف من الثياب في القيلولة .

٣ ـ بعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم .

فهذه الأوقات يتغير فيها نظام اللبس باستبدال ثياب النوم بثياب اليقظة ، ويبدو عندئذ من عورات الجسم مالا ينبغي أن يراه غير الزوج أو الزوجة . فضلا عن أنها أوقات خلوة بين الزوجين .

وقد رفع النص القرآني الحرج في الدخول بغير استئذان في غير هذه الأوقات ، ذلك أن العادة جرت بأنه يتردد بعض من في البيت على بعض لقضاء المصالح .

وبمثل هذا التشريع الحكيم فيما ينبغي وفيما لا ينبغي يفصل الله الأحكام القرآنية فهو الحكيم الذي يعلم ما يصلح لعباده فيشرع لهم ما يناسبهم ثم يحاسبهم بمقتضاه ، وفي هذا التشريع لفت لأعضاء الأسرة الى اتخاذ الملابس اللائقة بمقابلة بعضهم البعض ، حتى تظل كرامتهم مصونة ، وحريتهم مكفولة ، وآدابهم مرعية ، والقرآن آخر الأمر جدير بهذه التوجيهات التي تنهض بأخلاق المجتمع الى المستوى الرفيع .

وجعل بينكم مودة ورحمة :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) . الروم/ ٢١ .

من دلائل رحمة الله أن خلق لكم أيها الرجال زوجات من جنسكم لتألفوهن ، وجعل بينكم مودة وتراحما ، وفي ذلك آية من آيات الله لمن يتفكر ويتدبر . فقد خلق الله تعالى النوع البشري وقدر لبقائه في هذه الدنيا أجلا ينتهي اليه ، وقضت سنة الله في خلقه والفطرة التي جبل عليها الناس بضرورة اجتماع الذكور والاناث للتوالد والتناسل ، وبغير نظام الزواج الذي وضعه الاسلام لا تحفظ الأنساب ولا

الأعراض ، ومن هنا فقد رسمت الشريعة الاسلامية اطارا للزواج وأحكاما ، وللزوجين حدودا لا يجوز لأحدهما أن يتعداها ليأمن كل منهما ظلم صاحبه ، وليشتركا في تحمل أعباء الحياة بما يسر له ، فتسود بينهما المودة والرحمة وتثمر الحياة الزوجية الثمرة المرجوة منها .

وللزواج شروط وأركان : فأما الأركان فهي الايجاب والقبول ... أما الشروط الشرعية التي تشترط في عقد الزواج فتنقسم الى أربعة أنواع رئيسية هي :

١ ـ شروط لانعقاد الزواج و أهمها التمييز واتحاد مجلس الايجاب والقبول .

٢ ـ شروط لصحة عقد الزواج وأهمها أن تكون المرأة حلا لمن يتزوجها وبحضور شاهدين للعقد .

٣ ـ شروط لنفاذ عقد الزواج وأهمها اكتمال أهلية الزوجين وأن يكون للعاقد ولاية شرعية .

٤ ـ وشروط للزومه وهو ما يعرف بجواز فسخ العقد لعيوب شابت الرضاء فيه .

ولا نود أن نشغل القارىء الكريم بالتطرق الى التفصيلات الفقهية لهذه الشروط فهي تتطلب شرحا وافاضة لا يتسع لها المقام وتخرجنا عن الخط المرسوم لما نود أن نعرضه من بيان حكمة التشريع بالقدر الذي تتصل به الأحكام .

ومن أسف أن أضاف القانون الوضعي في احدى البلاد العربية الى أحكام الشريعة الاسلامية في الزواج والطلاق والحضانة والنفقات قيودا لم تعرفها ، لا يتسع المجال للخوض فيها ، فهي على كل حال موضوعات حيوية تؤثر في الأسر وتمس من قريب حياة الناس جميعا ، وعلى المسلم أن يحيط بشرع الله فيها ولو باجمال ، ويدرك دور المشرع الأرضي في تقحمه شرع السماء فجمح به الخيال وهو يحسب أنه يحسن صنعا فيما أخل بحكم هنا وبحكم هناك .

الكيل والميزان :

(**وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها**) الأنعام/ ١٥٢

(**وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم**) الاسراء/ ٣٥

(**ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم**) هود/ ٨٥

(**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**) .الرحمن/ ٩ .

في هذه الآيات ـ وغيرها كثير ـ تشريع قرآني ينص على اعتبار انقاص المكيال والميزان جريمة يعاقب عليها شرعا بالتعزير ، ويقابل هذا في التشريعات الوضعية ما يسمى بجريمة تزوير المكيال أو الميزان .

وهذا التشريع القرآني وسيلة من وسائل حماية المال ، لأن المال ولو كان مالا خاصا مملوكا للأفراد فهو مال الله وهم مستخلفون فيه ، هذا وحتى لا يقع الناس في عنت ومشقة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التسامح بين المسلمين حيث

قال : « رحم الله عبدا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا اقتضى » . رواه البخاري وابن ماجة

الظهار :

(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم) . المجادلة/ ٣ - ٤ .

تقضي الآيتان المذكورتان بأحكام الظهار موجبة على الذي يظاهر من امرأته ثم يرجع عن قوله ويتبين خطأه ويود بقاء الزوجية ، أن يعتق رقبة قبل أن يتماسا ، عقوبة له كيلا يعود . فمن لم يجد رقبة أي عبدا فعليه صيام شهرين متتاليين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع الصوم فعليه اطعام ستين مسكينا . هذا شرع الله وتلك حدوده . فمن تجاوزها كان بمثابة الكافر وله عذاب شديد .

خاتمــــة :

وبعد يا أخي المسلم فقد سقت اليك بضعة أمثلة تبينت منها بعض ملامح من التشريع القرآني وهو المصدر الأول من مصادر التشريع في الاسلام .

واذا كان هو شأن التشريع القرآني حكمة وعدلا ورشادا ، تنضح بها الأمثلة التي استعرضناها سويا فان هذا التشريع بما تضمنه من أوامر ونواهٍ تنظم حركة حياة المسلمين أفرادا وجماعات ، يستهدف أولا وأخيرا سعادة الانسان في الدارين ، فليس بغريب عندما تقرأ في محكم التنزيل قوله تعالى :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة/ ٤٤

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) المائدة/ ٤٥

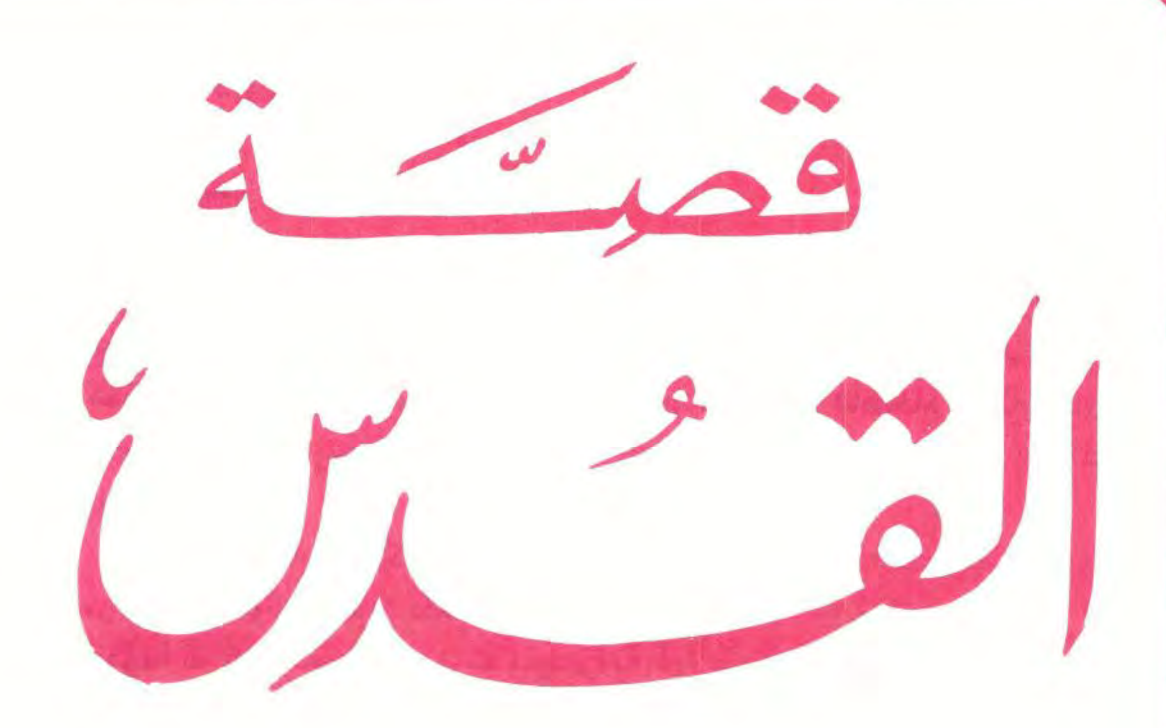
(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) المائدة/ ٤٧ .

هذا ولقد علق جل وعلا الايمان على مطلق الرضا ، واكتمال الارادة في الاحتكام الى شرع الله بقوله تعالى :

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . النساء/ ٦٥ .

كما كان حقا وعدلا ورشادا أن يأمرنا بالعمل بأحكام القرآن والسنة معا بقوله :

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء/ ٥٩ وصدق الله الحكيم .



للاستاذ / محمد فوزي حمزه

هل تسمعون ؟

يا اهل هذه البلاد ، يا ساكني تلك الديار هل تسمعون ؟ يا ارض منزلتي واول امتي ، يا من اختاركم الله لتبلغوا رسالتي ، يا (خير امة اخرجت للناس) !، يا من دخلتم بعزتي ارض الخليل ، هل تسمعون ؟ ، انا اليوم غريب هنا ، شريد من هنا ، أحييكم ، اناديكم ، أنادي نخوتي فيكم ، يا قادة امتي اين انتم ؟ فيم انتم ؟ كم انادي ولا مجيب . هل تسمعون ؟ من المنادي ، من سامع الليث الأسير ؟ هذا الزئير ، انه الاسلام ، ينادي من ارض الخليل ، الاسلام الذي صار غريباً في القدس ، من على مئذنة المسجد الأقصى ، يرسل هذا النداء ، ولا مجيب ، والقدس تترنح ، تتهاوى ، تستجير تشتكي ، ولا حمى ، ولا سهر ، لا مجيب الا الصدى يقول :

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

يؤذن في القدس :

هل ذهبت الى القدس ، انا لم يقدر لي ان اسافر اليها بالقطار ولا بالطائرة وفاتني ما يفوت غيري في هذا الزمان ، من حرص على اتيانها ، والصلاة فيها ، صلاة كألف صلاة ، لم اسافر اليها ، ولكنها هي التي تسافر الى في كل يوم وفي كل ساعة ومع كل خبر ، وكل حدث ، من احداث الساعة ،

كما يرويها التاريخ

الساعة المجنونة ، التي لا تفتأ تتغير تتبدل بسرعة ، بسرعة عجيبة لتأتي بجديد ، غريب عجيب ، كل ساعة ، حيا الله القدس ، انها تأتيني تطرق بابي ، وتعيش معي ، في فكري ، وفي بدني ، وفي قلبي ، وكل جوارحي ، واذان من المسجد الاقصى ، ينادي بالجهاد ، ولا من يسمع ، ولا من يقرأ ، ولا من يجيب ، رغم انه يؤذن في القدس ، ولا « يؤذن في مالطة » .

من اين تدخل الى القدس :

نحن الآن على « جبل المشارف » الذي يشرف على المدينة وما حولها ، فهيا بنا نمتع انظارنا بمشاهد المدينة المقدسة ، ولنتحمل اذا اصطدمت اعيننا بالجامعة العبرية التي اقيمت عليه ، وامامنا « جبل الزيتون » سمي كذلك لما عليه من اشجار الزيتون واشجار التين ، انه يواجه الحرم الشريف ، الى الشرق من القدس ، دائما كان اليهود يضايقون المسيح عليه السلام ، ودائما كان يلوذ بالصعود الى هذا الجبل ، وبعده « جبل بطن الهوا » ، ثم « جبل صهيون » ، و « جبل موريا » واخيرا « جبل المكبر » الذي وقف عليه عمر ابن الخطاب منذ ١٣٨٥ عام ، واخذ ينادي « الله اكبر الله اكبر » وجموع المسلمين تكبر معه .

من اين ندخل الى القدس ، من على هذه الجبال ، المحيطة بالقدس نرى

مداخل المدينة كلها ولها سبعة ابواب ، باب المغاربة ، باب النبي داود ، باب الخليل ، باب العمود ، باب الساهرة ، باب الاسباط او باب الملك الظاهر ، وباب السلسلة . هذه هي الابواب التي يدخل منها الناس الى المدينة ، ولكن دعك منها كلها فالدخول منها الآن يتطلب المرور على السلطات ، والحصول على بعض الاوراق ، والخضوع للاجراءات والوقوف امام التفتيش ... الى آخر ما يمكن ان تقابله في هذه الايام ، فالمسألة لم تعد بهذا اليسر المعروف في الاسلام ، فدعنا من هذه الابواب ، وهيا ندخلها من اعظم بواباتها على الاطلاق ، هيا الى ... بوابة التاريخ الاسلامي .

الا معاليها : تاريخ القدس مسألة غير سهلة ، فهو وعاء كبير ، يحتوي الكثير من الاحداث الكبيرة المتلاطمة ، كثيرة التداخل ، بالغة التعقيد ، تناولها المؤرخون والمعلقون والمراقبون وكل الناس ، كل منهم يتناولها من ناحية ويهمل ناحية ، ويترك احداثا ويركز على غيرها ، ويبدأ من حيث لم يبدأ غيره ، وينتهي حيث غيره لم ينته ، والمؤرخ له طريقته ، والمعلق له طريقته ، والمراقب والمحامي والصحافي والسياسي كل منهم له طريقته ، والله سبحانه وتعالى « له في ذلك حكم » .

وقد اعجبني تعبير يقول : « ان تاريخ القدس اشبه بمخطوط قديم تناوله النساخ عدة مرات ، وهو على اي حال مخطوط ضخم ، تتفاوت محتوياته ، بين الكبير والصغير ، ولكن احداثه الصغيرة ، تتضاءل بشدة ، حتى لا تكاد القدس تحسبها في تاريخها والناس - في هذا الزمان - يركزون على هذه الصغائر ، والقدس ترفضها ولا تقبل من الأمور الا معاليها .

١٥ هجرية :- تاريخ الاسلام في القدس ، هو احداثها الكبرى ، الجميع هناك يتواضع امامه ، سبعون عاما مثلا ، في العهد القديم لا بد تتضاءل وتنزوي امام ١٤٠٠ عام والقدس في الحكم الاسلامي ، الهيكل المزعوم زعم يتلاشى امام المسجد الاقصى بحجمه المعروف ، ووضعه المعروف في ضمير الف مليون مسلم ، الوعد الباطل ، لا بد يتضاءل امام الوعد الحق . اي حدث في القدس ومهما يحمل من معنى لا بد يتضاءل ، ويبدو حدثا صغيرا جدا امام قدوم النبي في ليلة الاسراء والمعراج ، والمعنى الذي يحمله كل شيء يتلاشى هناك ، ويبقى فقط ، الاسلام ، تلك حروف مكتوبة على ربوع القدس .

نحن الآن في سنة ١٥ هجرية ، جموع القدس ، مسلموها ، ونصارتها ، وبقية سكانها ، أئمتها ، وبطاركتها احتشدوا ينتظرون الزائر العظيم ، انظر ، هذا عمر يدخل المدينة ومعه قادة المسلمين وجنودهم وسماء المدينة تهتز تحت تهليل

الجموع « الله اكبر . الله اكبر» هذا المشهد سبقته رسالتان متبادلتان ثم معركة ، ثم اشرقت على المدينة راية ابي عبيدة . فأما الرسالتان فالأولى من الخليفة البسيط العظيم ، الحليم القوي الذي سارت جنده الى الشام فاهتزت تحتها الوهاد والجبال والارض والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق ؟ ـ من الطارق ؟ـ بريد المدينة ـ وماذا معك ؟

ـ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر ، الى عامله بالشام أبي عبيدة ، اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه ، فقد وصلني كتابك ، تستشيرني الى اي ناحية تتوجه « يقصد بعد انتصار اليرموك » وقد اشار ابن عم رسول الله بالمسير الى بيت المقدس ، فان الله يفتحها على يديك ، والسلام » .

والثانية ، « بسم الله الرحمن الرحيم » من ابي عبيدة بن الجراح ، الى بطاركة اهل ايلياء وسكانها ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وبالرسول ، اما بعد فانا ندعوكم الى شهادة الا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور ، فان شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم واموالكم وذراريكم وكنتم لنا اخوانا ، وان ابيتم فأقروا لنا بالجزية عن يد وانتم صاغرون ، وان انتم ابيتم ، سرت اليكم بجنود هم اشد حبا للموت منكم لشرب الخمر واكل لحم الخنزير ، ثم لا أرجع عنكم ان شاء الله حتى اقتل مقاتليكم واسبي ذراريكم » .

هاتان الرسالتان ، وبعدهما المعركة ، ثم راية ابي عبيدة ، وحضور عمر والمشهد العظيم ، وبعد المشهد العظيم « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا ما أعطاه عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الأمان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ... » والى آخر ما جاء في العهدة العمرية ، وضمت القدس الى الشام في العصر الاموي واصبحت مع سائر فلسطين جزءاً من الدولة الأموية .

الى الاسلام :

اما القدس وكيف دخلت الى مقدسات الاسلام ، فانها دخلت من البوابة الكبرى التي يدخل الناس منها افواجا في دين الله ، اقصد الطابع الابراهيمي للرسالة الاسلامية : (**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما**) ال عمران/٦٧ ومن هذه البوابة ، خطت القدس خطوات كبرى الى داخل المقدسات الاسلامية ، في الليلة المشهودة : (**سبحان الذي**

اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) الاسراء/١ وفي الحديث الشريف « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الاقصى » متفق عليه

القدس اتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشرقت عليها راية ابي عبيدة ودخلها عمر ، وقادة جنده ، خالد بن الوليد ، عبد الرحمن بن عوف ، ابو عبيدة عامر بن الجراح ، معاوية بي ابي سفيان وغيرهم ، ودفن فيها عدد من الصحابة الأجلاء ومن التابعين والمجاهدين ، وقدم اليها الخلفاء واستقبلوا بها الوفود ، وحرصوا عليها وعلى الاحتفاظ بها في حوزة المسلمين ودافعوا عنها وردوا العداة .

من اجل هذا ، واكثر من هذا ، القدس تعتبر نفسها من مقدسات الاسلام وفي المدينة المنورة ، يقف مسجد القبلتين ، ليشهد على ان القدس كانت قبلتنا الاولى ، الى ان تحولت قبلتنا الى المسجد الحرام ، وقال الله تعالى : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام)** البقرة / ١٤٤

دينا ووطنا :

ثم على القدس تعاقبت العصور الاسلامية ، العصر الاموي ، العصر العباسي ، الفاطميون ، عهد صلاح الدين ، المماليك سلاطين مصر القاهرة ثم العهد العثماني الى ان سقطت في يد الانجليز بعد الحرب العالمية .

وخلال هذه العصور ، كم حاولت جيوش اوروبا لاهداف استعمارية تتستر وراء الصليب - ان يحصلوا على القدس ، وظلوا يهاجمونها ويردهم المسلمون عنها ، وتسقط احيانا في ايديهم ، فلا يقر للمسلمين قرار حتى يجلوهم عنها وينصرهم الله عليهم ، فينتصرون ، ولا غرو انهم كانوا حريصين على عهد الله اكثر من حرصهم على اموالهم واهليهم وانفسهم ، وكانوا يحبون الموت ، كحب غيرهم للحياة .

واخيرا سقطت القدس ، في يوم اسود ، من عام اسود « من ريش الغراب » اسمه في التاريخ ١٩٦٧ ، ثم في مشهد اخير اعلن اليهود ضم القدس ، ولكنه ليس مشهد الختام ، فالقدس ما تزال ترفض وما تزال تأبى ، الا الاسلام والعروبة ، الم اقل انها لا تقبل من الامور الا معاليها ؟ ومهما كان ومهما حدث ، فسوف تتضاءل جميع الاحداث امام عظمة التاريخ الاسلامي ، وستبقى القدس كما هي عربية اسلامية ، دينا ووطنا وتاريخاً ، والله ناصر جنده ، ومؤيد حقه ، فالقدس للاسلام ، القدس للاسلام عبارة مكتوبة ، على ربوع القدس .

وقفة تأمل

في سبيل وحدة اسلامية

قالوا : لكي تتحقق الوحدة بين مجموعة من الناس لا بد من توافر عدة عوامل اما ان تجتمع كلها .. فتكون وحدة متكاملة قوية الدعائم .. واما ان يتحقق بعضها فتنشأ صور متعددة من صور الوحدة ..

وامتنا العربية متوافر لها عوامل اتحادها مجتمعة من اهمها :

اولا : انها ذات لغة واحدة .. يفهمها القاصي والداني .. ويتعامل بها ابناء المدن والريف ، فلسان الجميع عربي مبين .

ثانيا : وتجمعها رقعة من ارض الله واسعة بلا عوائق بين اقاليمها من بحار او جبال او سدود .. تنبع منها ينابيع الخير بشتى صوره .. وتستطيع بوسيلة انتقال برية ان تطوف بكل بلاد الامة العربية .

ثالثا : عنصر الامة هو العنصر العربي .. فالدماء العربية تسري في شرايين الوطن العربي الكبير .. وان كان العرق الخالص الصافي لأية أمة لا وجود له الان .. والعربية كما علمنا رسول الانسانية هي اللسان .. فمن نطق العربية فهو عربي .

رابعا : ودينها هو الاسلام ـ هذا هو الأهم ـ. وفي ظل الاسلام نشأت الامة العربية .. بل هي امة انبثقت من القرآن الكريم .. « وانه لذكر لك ولقومك » .. وفي التمسك به حياة الامة العربية .. فقد نزل بلسانها « بلسان عربي مبين » .. وكلفها الله حمل مشاعل النور لتأخذ بيد الانسانية الى طريق الهداية ..

وهكذا تجتمع للأمة العربية كل اسباب الوحدة والعزة والقوة .. والعقيدة اقوى الروابط في ظلها تاخي الانصار والمهاجرون لبناء الدولة المحمدية في المدينة المنورة .. فكانت رابطة العقيدة اقوى من رابطة الدم .. وهكذا ينشأ البيت العربي المسلم من جديد على اساس العقيدة .. ثم يمتد البناء .. بناء الصرح الاسلامي الشامخ ويتسع ليشمل الأمة الاسلامية كلها في وحدة إسلامية شاملة .. وساعتها يعيد التاريخ ذكرى سلمان الفارسي عندما حاصر حصنا من حصون فارس ـ وهم ابناء جلدته ـ ثم قال لهم : اني رجل منكم اسلمت . فقد ترون اكرام العرب اياي ، وانكم ان اسلمتم كان لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، وان ابيتم فعليكم الجزية ، فان ابيتم قاتلناكم .

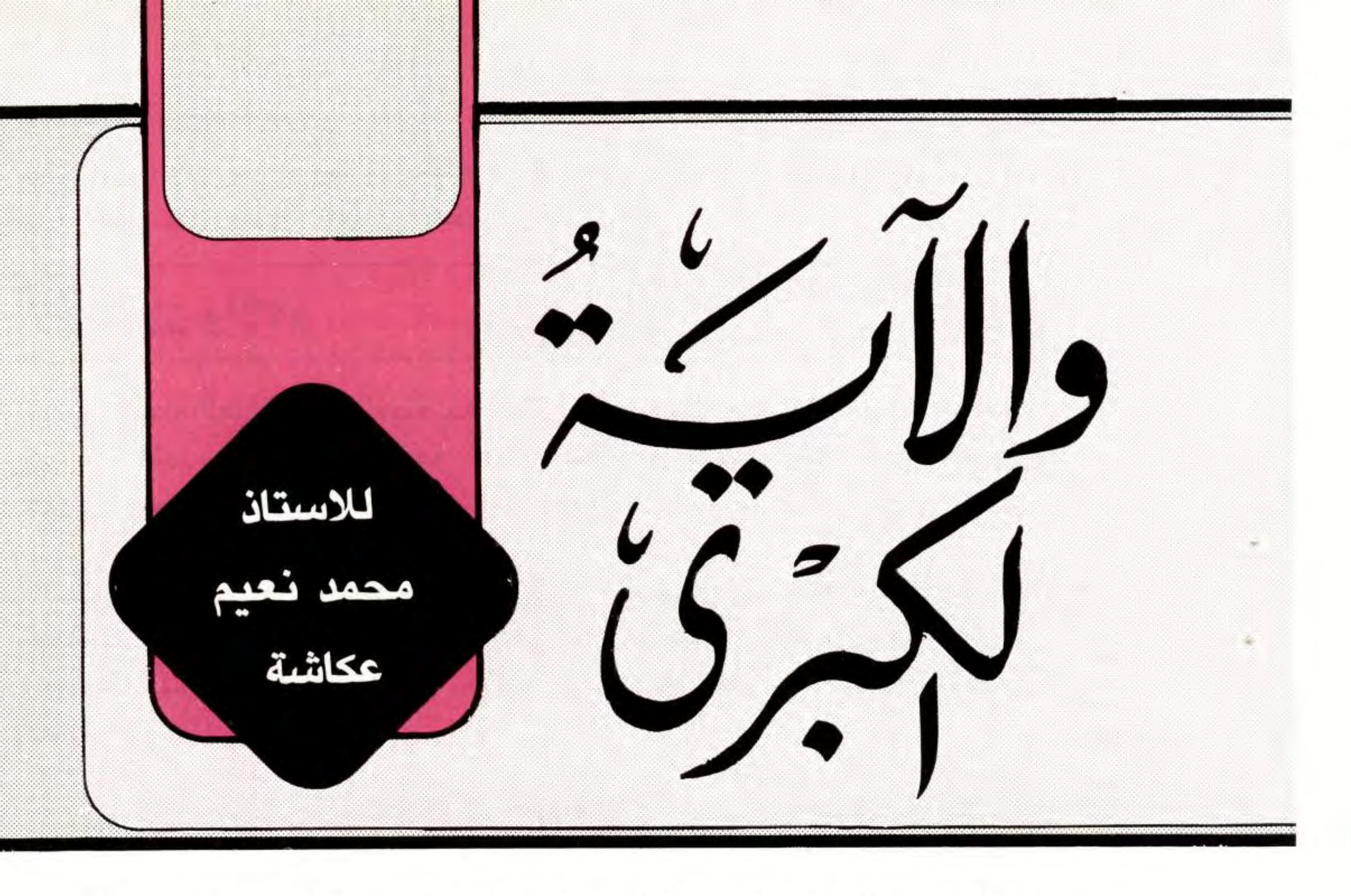
فماذا يمنع ان تتوحد الامة العربية في ظلال دينها بعد ان جربت انظمة من الحكم مختلفة ، فما زادتها الا نفورا وضياعا ؟!.



في السابع والعشرين من شهر رجب كل عام يتجدد ذكرى الاسراء والمعراج .. تلك الليلة الفضلى في تاريخ الدعوة الاسلامية التي فتحت فيها ابواب الآمال امام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .. واخرجته من همومه واحزانه .. وبها استبشر المؤمنون الصابرون ، واطمأنت قلوبهم بنصر آت ..

.. ما اضعف حيلة الانسان .. وما اعجزه امام قوة الله وبأسه .. فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم قومه بالهدى ودين الحق .. رسالة خاتمة تخرج الناس من ظلمات الجهل والعبودية ، الى نور الحق والمعرفة ، وتوطد اركان المجتمع البشري كله على اساس العدل والحرية والمساواة ..

ولكن القوم تمردوا على الهدى ، وصدوا عن سبيل الله .. **(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)** البقرة ـ آية/ ١٧٠ .



كانت العقول جامدة مظلمة ، والقلوب قاسية متحجرة .. فكيف يعبدون إلها واحدا وقد طبعت نفوسهم ونفوس آبائهم وأجدادهم على الشرك وعبادة الأصنام دهورا وأجيالا !!..

وكيف يتقبلون وقد نشأوا في العصبية واعتادوا أن الحق للقوة ، أن ينصفوا ضعيفا .. او يقروا بالمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات !!..

كما ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعوهم : أن يجتنبوا المنكرات والموبقات .. والا يقتلوا بناتهم خشية املاق .. وألا يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .. وان يصونوا كرامة النساء .. وان يوفوا الكيل والميزان .. وألا يأكلوا اموال اليتامى .. وهذه كلها امور تغاير ما ورثوه من عادات ، وتخالف ما درجوا عليه من شهوات النفس الجامحة ..

وناضل رسول الله قومه بالدليل ، وقارعهم بالحجة ، وأخذهم بالنصيحة .. بذل وصبر صبرا جميلا ، ولكن القوم جمدوا على عاداتهم المنكرة ، وأخلاقهم السيئة ، وآذوا الداعي ومن استجابوا له بأشد واقسى ألوان الأذى والإيذاء ..

فلم يخضع رسول الله او يلين ، بل زاده ذلك ثباتا وإصرارا على إظهار دعوته ،

حتى قال : « والله : لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ».

عام الحزن والآلام ..

وفي السنة العاشرة من البعثة بلغ الحزن من الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا كبيرا .. فقد ماتت زوجه خديجة ، ومات عمه أبو طالب ، وفقد بذلك نصيرين كبيرين وعضدين قويين له ضد طغيان قريش ...

يقول ابو الفداء : « وتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما المصائب ونالت منه قريش ، ولا سيما ابو لهب والحكم بن العاص وعقبة بن ابي معيط ، فانهم كانوا جيران النبي ، وكانوا يؤذونه بما يلقون عليه وقت صلاته وفي طعامه من القاذورات »..

وبعد عشر سنين من المشاق والمعاناة والآلام في سبيل اصلاح قومه ، وجد ان دعوته في مكة توشك ان تذهب صرخة في واد .. اذن ففيم المقام في أرض محكومة بالوثنية .. وبين قوم صمت آذانهم وأظلمت قلوبهم .. أليس هو مبعوث الله الى الناس كافة .. فليذهب الى بلدة أخرى قريبة من مكة ولتكن الطائف ؟.. وهناك دعا « ثقيف » الى الاسلام ، ولكن القوم أعرضوا عن دعوته وتهجم عليه السفهاء يمطرونه بالشتائم ويرشقونه بالحجارة حتى سال الدم من عقبيه ..

آمن الجن .. وكفر الإنس

وفي رجوعه من الطائف الى مكة بات بنخلة ، وفي جوف الليل قام يصلي فأرسل اليه تعالى نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين ، وقد آمنوا بالقرآن : (**وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا**) الى قوله تعالى : (**ومن لا يجب داعيَ الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين**) الأحقاف / ٢٩ ـ ٣٢ .

يقول ارفنج في كتابه « حياة محمد ».. إن هذه الزورة من الجن فيها عزاء وتسلية لمحمد بعد رجوعه من الطائف تلك الرجعة المؤلمة ، إذ فيها إشارة الى انه اذا كانت دعوتك وتعاليمك قد نبذت ورفضت من معشر الإنس ، فقد قوبلت باحترام واعجاب من عالم الجن ، عالم الذكاء الغيبي غير المرئي !

.. ويجيء العون والمدد من السماء :

ووسط الهموم والاحزان يتجه الرسـول الى العلي القديـر لا ليعلن يأسه وقنوطه ، ولكن ليستمد منه العون ويسأله الحول والقوة :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، انت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا ابالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .. اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، او يحل علي سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » سيرة ابن هشام ص ٦١ ج٢ .

.. فيا له من سمو روحي .. ويا له من صفاء نفسي .. ويا لها من احاسيس نبيلة في مزدحم الآلام وشدة الكروب .. فكل أذى يهون في سبيل إظهار دعوة الحق ..

ويجيئه مدد السماء ، فيكرمه ربه بما لم يكرم به نبيا قبله .. يدعوه سبحانه الى حضرته القدسية في رحلة مباركة في السموات والأرض يرى فيها من آيات الله ما شاء ان يطلعه عليه .

ويبدأ الرسول رحلته الخارقة بمسراه من المسجد الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الاقصى ببيت المقدس : **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)** الإسراء/١ .

ثم يزيده الله في الفضل والتكريم فيرفعه الى السموات العلى في معراج إلهي حتى سدرة المنتهى ليرى من آيات الله الباهرة ، ومشاهد الكون العظيم ما قصه على قومه ، وما عرفه للناس من اتساع الوجود وامتداد نطاقه .

يقول ابن اسحاق : « كان في مسراه وما ذكر فيه بلاء وتمحيص ، وأمر من الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لاولي الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وكان لأمر الله على يقين . فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما اراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد » .

حدث بالخبر فكذبوه ..

ويرجع الرسول من إسرائه ومعراجه وقد خرج من همومه وأحزانه ..

يروي علماء السيرة : انه ما كاد يغدو الى المسجد ليحدث الناس بالخبر ، حتى مر به ابو جهل فقال له : هل كان من شيء ؟

قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: لقد أسرى بي الليلة الى بيت المقدس ..

فقال ابو جهل متعجبا : ثم اصبحت بين أظهرنا !!..

قال الرسول : نعم ..

فصاح ابو جهل مناديا القوم : يا معشر بني كعب بن لؤى .. تعالوا فاسمعوا ما يقوله محمد .

ويحدثهم الرسول بالخبر : فكانوا ما بين مصدق ومكذب ..

وقال اكثرهم : ان هذا والله الامر البين ! والله إن العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة ، وشهرا مقبلة ، افيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة ..!!

وهذا المطعم بن عدي يقول للرسول : إن أمرك قبل اليوم كان امرا يسيرا غير قولك اليوم هو يشهد أنك كاذب ..

.. وشهد ابو بكر بصدقه :

وسعى القوم الى أبي بكر ، فقالوا له : هل لك يا ابا بكر في صاحبك ؟ يزعم أنه جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع مكة !..

فقال أبو بكر : والله لئن قاله لقد صدق افما يعجبكم في ذلك ؟ فوالله انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء في ساعة من ليل او نهار فأصدقه ، فهذا ابعد مما تعجبون منه ..

ثم تحول الى المطعم بن عدي مخاطبا : يا مطعم بئس ما قلت لابن اخيك جبهته وكذبته ! أنا اشهد انه صادق ..

واقبل ابو بكر حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : هل حدثت هؤلاء القوم انك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟

قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : نعم ..

فقال أبو بكر : فصفه لي ، فإني قد جئته .. فجعل رسول الله يصفه لابي بكر ،

وأبو بكر يقول : صدقت ، اشهد انك رسول الله فما وصف شيئا الا قال له : صدقت ، أشهد انك رسول الله .. فمن يومئذ سمي الصديق ..

وكان في القوم غير أبى بكر من يعرف بيت المقدس ، فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم بعد التكذيب والإنكار ان يستوصفه فوصفه لهم .. ثم سألوه عن أشياء في المسجد فذكرها حتى عدد ابوابه باباً باباً ، فيطابق ما عندهم .. وسألوه عن بعير لهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها ، فكان ما أخبر ..

وعجبوا !! وبالغوا في السؤال عسى أن يعجزوه ، ولكنه ذكر لهم الدلائل الواضحة ، والاخبارات الصحيحة ، فما لبثوا ان قالوا : ما هذا الا سحر مبين !!.. بينما استبشر المؤمنون ، واطمأنت قلوبهم الى نصر قريب ..

أحوال أهل الجنة وأهل النار :

وفي حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار والبيهقي وابن جرير وابي يعلي .. ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى وشاهد في السموات العلى صورا واشكالا ورموزا للحال التي عليها أرواح الناس بعد الموت ، وما سيكونون عليه من نعيم مقيم ، أو عذاب اليم .

وكان مما شاهده عليه الصلاة والسلام :

□ المجاهدون في سبيل الله :

مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يزرعون ويحصدون في يوم واحد ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة سبعمائة ضعف ، وما انفقوا من شيء فهو يخلفه ، والله خير الرازقين ..

□ المتكاسلون عن الصلاة :

ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم وتكسر بالصخر ، وكلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ».

□ مانعو الزكاة :

ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع « الشوك اليابس » والزقوم « ثمر شجر كريه الطعم » ورضف جهنم « الحجارة المحماة »، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما الله بظلام للعبيد »..

□ الزناة والزانيات :

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ، ولحم نيء خبيث في قدر ، فجعلوا يأكلون من النيىء الخبيث ويدعون النضيج ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال جبريل : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيباً فتأتي رجلاً خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح »..

□ أكلة أموال اليتامى :

ثم رأى عليه الصلاة والسلام قوما يطعمون من النار ، فتحرق صدورهم وتمزق احشاءهم ، فسأل عنهم جبريل ، فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما : إنما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا .

□ مثيرو الفتنة :

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون .

وبعد ..

فإن ليلة الإسراء من الليالي المباركة التي بذكرها تحيا القلوب ، وبمغزاها ينتفع أولو الالباب .. وما أحرانا ونحن نعيش في رحاب هذه الليلة أن نتخذ من سيرة رسول الله الزكية قدوة صالحة ، ونبراسا يضيء لنا طريق العمل في الحياة .. وأن نحيى سنته وننصر شريعته .

جزاء الخيانة !

كان ابن داوود يقرب في مجالسه حمامه
خدمته عمرا مثلما قد شاء صدقا واستقامة
فمضت الى عماله يوما تبلغهم سلامه
والكتب تحت جناحها كتبت لها فيها الكرامه
فأرادت الحمقاء تعرف من رسائله مرامه
عمدت لأولها وكان الى خليفته « برامه »
فرأته يأمر فيه عامله بتاج للحمامه
ويقول وفوها الرعاية في الرحيل وفي الاقامه
ويشير في الثاني بأن تعطى رياضا في تهامه
وأتت لثالثها ولم تستحي ان فضت ختامه
فرأته يأمر أن تكون لها على الطير الزعامه
فبكت لذاك تندما ، هيهات لا تجدي الندامه
وأتت نبي الله وهي تقول يارب السلامه
قالت فقدت الكتب يا مولاي في أرض اليمامه
لتسرعي لما اتاني الباز يدفعني امامه
فاجاب بل جئت الذي كادت تقوم له القيامه
لكن كفاك عقوبة . من خان خانته الكرامه

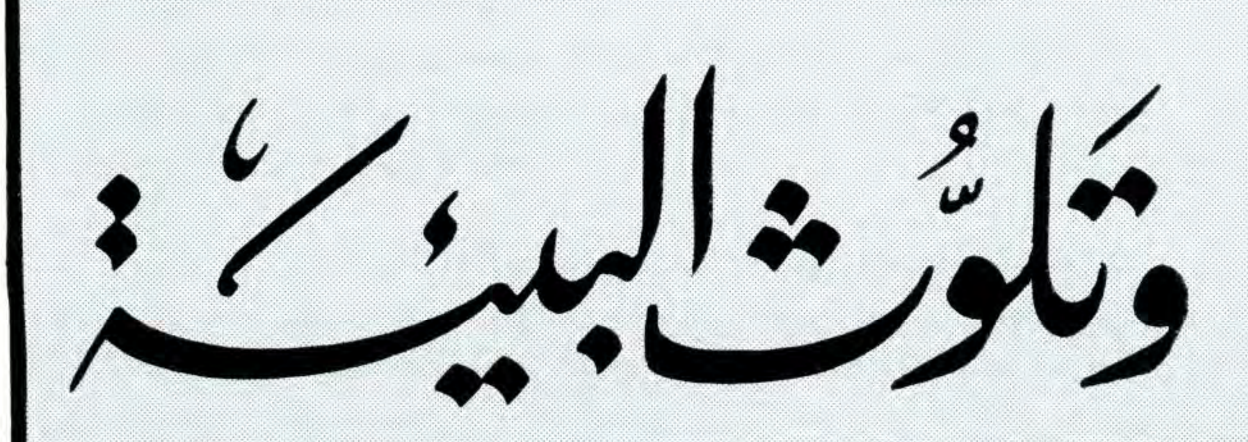
الاستاذ / محمود زيدان السفاريني



تحت هذا العنوان سبق « للوعي الاسلامي » ان نشرت لنفس الكاتب في عددها الصادر في غرة المحرم ١٤٠١ هـ . حيث استعرض حجم مشكلة التلوث ثم تعريفه ، وقسم التلوث الى قسمين : تلوث حسي ، وتلوث معنوي ، وقارن بين التلوث والفساد ، وقسم الملوثات من حيث مسبباتها الى : طبيعية ، وصناعية ، وكيميائية ، وفيزيائية . وبيولوجية .
وفي العدد الصادر في غرة جمادي الاولى ١٤٠١ هـ ، فصل الكاتب الحديث في هذا الموضوع فاستعرض التلوث في الهواء ومدى تأثيره على النباتات والحيوانات والانسان والتربة ..
وفي عددنا هذا نمضي مع الكاتب حتى نهاية بحثه ، فيقول :

تلوث الماء

يعتبر موضوع تلوث البيئة واحدا من اهم الموضوعات التي تشغل بال الانسانية الآن ، ويعتبر تلوث الماء من اوائل الموضوعات التي اهتم بها العلماء المختصون بمجال التلوث ، وليس من الغريب اذن « ان يكون حجم الدراسات التي



للمهندس/محمد عبد القادر الفقي

تناولت هذا الموضوع اكبر من حجم تلك التي تناولت باقي فروع التلوث .

ولعل السر في ذلك مرده الى سببين :ـ

الاول :ـ اهمية الماء وضروريته ، فهو يدخل في كل العمليات البيولوجية والصناعية ، ولا يمكن لأي كائن حي ـ مهما كان شكله او نوعه او حجمه ـ ان يعيش بدونه ، فالكائنات الحية تحتاج اليه لكي تعيش ، والنباتات هي الاخرى تحتاج اليه لكي تنمو ، « وقد اثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية ، وهو وحدة البناء في كل كائن حي نباتا كان ام حيوانا ، واثبت علم الكيمياء الحيوية ان الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل اجسام الاحياء ـ فهو اما وسط او عامل مساعد او داخل في التفاعل او ناتج عنه ، واثبت علم وظائف الاعضاء ان الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها »

ان ذلك كله يتساوق مع الآية الكريمة التي تعلن بصراحة عن ابداع الخالق جل وعلا في جعل الماء ضروريا لكل كائن حي ، قال تعالى : (**وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون**) الأنبياء/ ٣٠ .

الثاني :ـ أن الماء يشغل اكبر حيز في الغلاف الحيوي ، وهو أكثر مادة منفردة موجودة به ، اذ تبلغ مساحة المسطح المائي حوالي ٧٠,٨٪ من مساحة الكرة

الارضية ، مما دفع بعض العلماء الى ان يطلقوا اسم « الكرة المائية » على الارض بدلا من الكرة الارضية . كما ان الماء يكون حوالي « ٦٠ ـ ٧٠٪ من اجسام الاحياء الراقية بما فيها الانسان ، كما يكون حوالي ٩٠٪ من اجسام الاحياء الدنيا » وبالتالي فان تلوث الماء يؤدي الى حدوث اضرار بالغة واخطار جسيمة بالكائنات الحية ، ويخل بالتوازن البيئي الذي لن يكون له معنى ولن تكون له قيمة اذا ما فسدت خواص المكون الرئيسي له وهو الماء .

ومن المؤسف ان الانسان قد امتدت يداه الى مياه الانهار والبحار والبحيرات والمحيطات ، فراح يلوثها بما يلقيه فيها من مخلفات ، وهناك بعض الانهار التي فسدت تماما ولم تعد صالحة للاستعمال الآدمي ولا للاستعمال الصناعي ، واذا كان الشاعر العربي القديم يقول :ـ

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والمـاء فـوق ظهـورهـا محمـول

فان هذا الوصف يناسب تماما ما وصلت اليه الحالة اليوم بنا ، بعد أن : (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس**) الروم/٤١ .

من اجل ذلك اتجهت بعض الحكومات الى انشاء بعض الاجهزة المختصة او المعاهد العلمية او المؤسسات الحكومية التي تهدف الى دراسة مصادر التلوث ومعرفة حجمه ، وسن القوانين التي تحرم القاء المخلفات والنفايات في الماء ، ومعاقبة الشركات والهيئات التي تخالف المعدلات المسموح بها ، حتى تتم المحافظة على الماء الصالح للشرب ، والصالح لنمو الكائنات البحرية : النباتية منها والحيوانية ، وقد عقدت الامم المتحدة في مارس عام ١٩٧٧ مؤتمرا دوليا تناول بالدراسات قضايا الماء واصدر هذا المؤتمر عدة توصيات تتناول تأمين الماء الصالح لجميع الاستعمالات المنزلية والصناعية والزراعية .

بيد ان الفساد اذا ظهر في البر او البحر ، لا تكفي القوانين او التشريعات او المؤتمرات ان تحد منه ، او ان تضع الضوابط التي تتحكم فيه ، ذلك : (**ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الرعد/١١ ، : (**وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين**) الزخرف/٧٦ ، واذا لم يقف الانسان مع نفسه موقف المحاسب واذا لم يراع الله فيما يصنع وفيما كسبت يداه ، وفي هذا الاسراف الزائد في انتاج الكماليات التي لا طائل وراءها ، او التي يعود نفعها على فئة محدودة من البشر ، فان العاقبة ستكون وخيمة ، خاصة وانه ينتج عن تصنيع هذه الكماليات كميات كبيرة من الملوثات ، واذا لم يتدارك الانسان ذلك فانه سوف يعض بنانه ندما حين لا ينفع الندم .

وليس بالهين ان تحل مشكلة التلوث جزئيا بالنسبة للماء او الهواء او التربة ، او ان تقوم بذلك كل دولة على حدة ، ذلك ان المسطحات المائية تتصل ببعضها البعض ، فمياه الامطار الملوثة تلوث الانهار التي تصب بدورها في البحار التي تتلوث مياهها هي الاخرى ، وعندما تتصل مياه البحار بالمحيطات ينتقل التلوث الى المحيطات ايضا ، ولا يشمل التلوث الماء وحده ، ولكن يشمل الماء وما حوى ، لهذا يجب على الانسانية كلها ان تحافظ على الماء ، وان تتعاون من اجل هذا الغرض .

ومن الجدير بالذكر ان تلوث الهواء يؤدي الى تلوث مياه الامطار ، وبالتالي يتلوث ماء الانهار والبحار والمحيطات ، كما ان تلوث الارض يسبب تلوث مياه المصارف والترع والقنوات والانهار التي تجري في هذه الارض .

★ الماء في القرآن :

ورد ذكر الماء في القرآن الكريم في ثلاثة وستين موضعا ، وقد جاء فيها بمعان مختلفة ، فهو طورا يعني مياه الامطار التي تسقط من السحاب مثل قوله تعالى :
(**الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون**) البقرة/ ٢٢ .
ومثل قوله تعالى :
(**انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام**) يونس/ ٢٤ .
وهو يعني المادة الاساسية التي خلقت منها السموات والارض ، والتي ايضا كان عليها العرش الالهي كما في قوله تعالى : (**وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا**) هود/ ٧ .

وهو يعني ايضا السائل المنوي للرجل او الكائنات الحية الاخرى كما في قوله تعالى :
(**فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب**) الطارق/ ٥ ـ ٧ .

وهو قد يعني المادة النووية المنصهرة او غير ذلك ، والتي تسقى للعصاة والكافرين في جهنم ، والتي تشبه المهل او النحاس المصهور كما في الآية الكريمة الآتية :
(**وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا**) الكهف/ ٢٩ .

وما يعنينا في هذا المقام هو الماء الذي نعرفه جميعا ، والذي لا بد منه لحياة كل الكائنات الحية ، والذي يسقط من السماء ليكون الانهار والبحار والمحيطات .

الماء كما هو معروف سائل لا لون له ولا طعم اذا كان نقيا ، وهو مركب من اتحاد عنصري الهيدروجين والاكسجين .

ويلعب الماء دورا هاما في الطبيعة ، فهو كسائل : له حرارة نوعية عالية ، وبذلك يعتبر الماء وسطا ممتازا لانتقال الطاقة الحرارية ، وبذلك فانه يلعب دورا هاما ورئيسيا في ضبط درجة حرارة جسم الانسان ودرجة حرارة اجسام الكائنات الحية ، والماء يعتبر مذيبا جيدا لكثير من المواد والمركبات الكيميائية ، وهو بذلك يعد وسطا مناسبا لعديد من العمليات البيوكيميائية داخل جسم الانسان ، ومن بين ملايين المركبات والمواد الكيميائية الموجودة في الطبيعة ، لا تتواجد مادة تناظر الماء في خواصها ، ولم تتوصل البشرية بكل تقدمها العلمي والتكنولوجي الى بديل آخر يمكن ان يحل محل الماء .

(خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) لقمان ١٠ و ١١ .

ومن بين المشاكل التي تواجه البشرية هذه الايام **مشكلتان رئيسيتان** تتعلقان بالماء :

الاولى : وهي ندرة المياه الصالحة للشرب او اللازمة لري المحاصيل والنباتات التي يزرعها الانسان ، ومن العجيب ان الكرة الارضية كما قلت سابقا تحتوي على اكثر من ٧٠٪ من مساحة سطحها الخارجي ماء ، ومع ذلك فان كمية المياه الصالحة منها للاستعمال لا تتجاوز ١٪ من كل هذا الحجم الهائل .

ويعبر القرآن الكريم في اسلوب بياني رائع عن هذه المشكلة ، ويتنبأ بها قبل ان تحدث ، تأمل قوله تعالى : **(قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين)** الملك / ٣٠ .

وفي اللغة فان « الغور » مصدر « غار الماء » اي نضب وذهب في الارض ، و« الماء المعين » هو الماء الظاهر الجاري على سطح الارض بحيث تراه العين .

والآية السابقة تعني ان الماء الذي نستقي منه ونسقي به الأرض والانعام والنباتات لو اراد الله ان يغيضه او ان يذهب به في باطن الارض لفعل ، وتأمل ايضا الاستفهام في قوله تعالى : **(فمن يأتيكم بماء معين)**؟ ، والذي يدل هنا على التعجيز والاستحالة ، فما كان لبشر مهما اوتي من علم او اوتي من قدرة اذا شاء

الله امرا ان يتحدى مشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ او ان يقف امامها .

ومن اروع ما ذكره المفسرون في شرح الآية الكريمة السابقة ما قاله المرحوم الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه « تفسير جزء تبارك »:

« وماء معين : اي جار على وجه الارض منظور بالعين ، ووزنه : مفعول ، من عانه اذا نظره بعينه ، او : فعيل ، من معن الماء في جريه اذا اطرد وتسلسل ، فكان ذلك اعون على نقائه وطهارته ، وتخليصه من الشوائب ».

وفي الحقيقة فان الحصول على الماء النقي الظاهر الخالص من الشوائب يكاد يصبح عسيرا هذه الايام نظرا للتلوث ، وهو المشكلة الثانية التي تتعلق بالماء .

★ مصادر تلوث الماء :

يتلوث الماء بكل ما يفسد خواصه او يغير من طبيعته ، والمقصود بتلوث الماء هو تدنيس مجاري الماء والآبار والانهار والبحار والامطار والمياه الجوفية مما يجعل ماءها غير صالح للانسان او الحيوانات او النباتات او الكائنات التي تعيش في البحار والمحيطات ، ويتلوث الماء عن طريق المخلفات الانسانية والنباتية والحيوانية والصناعية التي تلقى فيه او تصب في فروعه ، كما تتلوث المياه الجوفية نتيجة لتسرب مياه المجاري اليها بما فيها من بكتريا وصبغات كيميائية ملوثة ، ومن اهم ملوثات الماء ما يلي :

١ ـ مياه الامطار :

تتلوث مياه الامطار ـ خاصة في المناطق الصناعية ـ لأنها تجمع أثناء سقوطها من السماء كل الملوثات الموجودة بالهواء ، والتي من اشهرها اكاسيد النتروجين واكاسيد الكبريت وذرات التراب ، ومن الجدير بالذكر ان تلوث مياه الامطار ظاهرة جديدة استحدثت مع انتشار التصنيع ، والقاء كميات كبيرة من المخلفات والغازات والاتربة في الهواء او الماء ، وفي الماضي لم تعرف البشرية هذا النوع من التلوث ، وأنى لها هذا ؟

ولقد كان من فضل الله على عباده ورحمته ولطفه بهم أن يكون ماء المطر الذي يتساقط من السماء ، ينزله الله خاليا من الشوائب ، وان يكون في غاية النقاء والصفاء والطهارة عند بدء تكوينه ، ويظل الماء طاهرا الى ان يصل الى سطح الارض ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز مؤكدا ذلك قبل ان يتأكد منه العلم الحديث :

(وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء

طهورا) الفرقان/٤٨ .

وقال ايضا :

(اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ما ء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) الانفال/١١ .

كم من المعاني تشعها كلمتا « طهورا » و « ليطهركم »، ولعل هاتين الكلمتين احسن وقعا واشمل معنى من كلمتي الصفاء والنقاء ، فالماء الطاهر يجب ان يكون حاويا لكل هذه الصفات ، والطهور في اللغة « ما يتطهر به كالفطور والسحور والوقود » وهو يعني التطهر والطهارة ، جاء في مختار الصحاح في مادة « طهر » : « قلت : ونقل المطرزي في المغرب ان الطهور بالفتح مصدر بمعنى التطهر واسم لما يتطهر به وصفة في قوله تعالى : **(وانزلنا من السماء ماء طهورا)** .

واذا كان ماء المطر نقيا عند بدء تكوينه فان دوام الحال من المحال ، هكذا قال الانسان وهكذا هو يصنع ، فكما قلت سابقا ، لقد امتلا الهواء بالكثير من الملوثات الصلبة والغازية التي نفثتها مداخن المصانع ومحركات الآلات والسيارات ، وهذه الملوثات تذوب مع مياه الامطار وتتساقط مع الثلوج فتمتصها التربة لتضيف بذلك كما جديدا من الملوثات الى ذلك الموجود بالتربة ، ويمتص النبات هذه السموم في جميع اجزائه ، فاذا تناول الانسان او الحيوان هذه النباتات ادى ذلك الى التسمم : **(ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)** الروم/٤١ .

كما ان سقوط ماء المطر الملوث فوق المسطحات المائية كالمحيطات والبحار والانهار والبحيرات يؤدي الى تلوث هذه المسطحات والى تسمم الكائنات البحرية والاسماك الموجودة بها ، وينتقل السم الى الانسان اذا تناول هذه الاسماك الملوثة ، كما تموت الطيور البحرية التي تعتمد في غذائها على الاسماك .
انه انتحار شامل وبطيء ، يصنعه البعض من بني البشر ، والباقي في غفلة عما يحدث حوله ، حتى اذا وصل اليه تيار التلوث افاق وانتبه ، ولكن بعد ان يكون قد فاته الاوان .

٢ ـ مياه المجاري :ـ

وهي تتلوث بالصابون والمنظفات الصناعية وبعض انواع البكتريا والميكروبات الضارة ، وعندما تنتقل مياه المجاري الى الانهار والبحيرات فانها تؤدي الى تلوثها هي الاخرى .

٣ ـ المخلفات الصناعية :ـ

وهي تشمل مخلفات المصانع الغذائية والكيمائية والبترولية والالياف الصناعية والتي تؤدي الى تلوث الماء بالدهون والبكتريا والدماء والاحماض والقلويات والاصباغ والنفط ومركبات البترول والكيماويات والاملاح السامة كأملاح الزئبق والزرنيخ ، واملاح المعادن الثقيلة كالرصاص والكادميوم .

٤ ـ المفاعلات النووية :ـ

وهي تسبب تلوثا حراريا للماء مما يؤثر تأثيرا ضارا على البيئة المائية وعلى احيائها ، مع احتمال حدوث تلوث إشعاعي لاجيال لاحقة من الانسان وبقية الكائنات .

٥ ـ المبيدات الحشرية :ـ

والتي ترش على المحاصيل الزراعية او التي تستخدم في ازالة الاعشاب الضارة ، فينساب بعضها مع مياه الصرف الى المصارف ، كذلك تتلوث مياه الترع والقنوات التي تغسل فيها معدات الرش وآلاته ، ويؤدي ذلك الى قتل الاسماك والكائنات البحرية كما يؤدي الى نفوق الماشية والحيوانات التي تشرب من مياه الترع والقنوات الملوثة بهذه المبيدات ، ولعل المأساة التي حدثت في العراق عامي ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ اوضح دليل على ذلك حين تم استخدام نوع من المبيدات الحشرية المحتوية على الزئبق مما ادى الى دخول حوالي ٦٠٠٠ شخص الى المستشفيات ، ومات منهم ٥٠٠ .

٦ ـ التلوث الناتج من تسرب البترول الى مياه البحار والمحيطات :

وهو اما نتيجة لحوادث غرق الناقلات الضخمة التي تتكرر سنويا ، واما نتيجة لقيام هذه الناقلات بعمليات التنظيف وغسل خزاناتها والقاء مياه الغسل الملوثة في عرض البحر .

ومن اسباب تلوث مياه البحار ايضا بزيت البترول تدفقه اثناء عمليات البحث والتنقيب عنه ، كما حدث في شواطىء كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية في نهاية الستينيات ، وتكون نتيجة لذلك بقعة زيت كبيرة الحجم قدر طولها بثمانمائة ميل على مياه المحيط الهادي ، وادى ذلك الى موت اعداد لا تحصى من طيور البحر

ومن الدرافيل والاسماك والكائنات البحرية نتيجة للتلوث .

هكذا رأينا كيف ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ، والخطورة الكبرى من تلوث الماء تكمن في تلوث المياه الصالحة للشرب ، ومما يؤسف له ان هناك بعض الانهار لم تعد تصلح لهذا الغرض مثل نهر الرور بالمانيا ، كما أن القاء مخلفات المجاري في مجاري الانهار دون معالجة يؤدي الى تغير لون الماء ، والى نمو الطحالب والنباتات المائية بصورة كثيفة ، مما يؤثر على الملاحة وعلى سرعة التيار ، بالاضافة الى ان الماء الراكد يكون مركزا خصبا لنمو وتكاثر الطفيليات المسببة للامراض كالكوليرا والبلهارسيا والحمى التيفودية والدوسنتاريا وغيرها من الامراض ، واذا نحن تأملنا قوله تعالى :

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم) محمد / ١٥ .

لوجدنا ان الآية الكريمة « توجه الانظار الى ان الماء الآسن الراكد المتغير ماء ضار ، وقد قررت الآية الكريمة ذلك قبل كشف المناظير المكبرة ـ ميكروسكوب ـ بقرون عدة حيث تبين ان الماء الراكد المتغير مستودع لملايين البكتريا الضارة وغيرها من الطفيليات التي تصيب الانسان والانعام بأضرار شتى » .

○ تلوث التربة والارض

يشكل تلوث التربة والارض جانبا هاما من جوانب مشكلة التلوث التي منيت بها البشرية في القرن العشرين كنتيجة للتدخل غير المدروس من جانب الانسان في خلق الله ، ومحاولاته المستمرة افساد النظام والسنن الكونية بغرض الزيادة المؤقتة في انتاج الارض الزراعية .

وفي واقع الامر فانه من الصعب على الباحث في موضوع التلوث ان يفرق بين الجوانب المختلفة لهذا الموضوع ، اذ يرتبط كل شق من هذه الجوانب ارتباطا وثيقا بالجوانب الاخرى ، وبمعنى آخر فان ما يلوث الهواء قد يلوث الماء ويلوث التربة ، ذلك ان نظم الماء والهواء والتربة ترتبط ارتباطا وثيقا ببعضها البعض ، واذا اتخذنا التربة كمثال سنجد ان الهواء يتخلل حبيباتها ، كما ان مياه الري والامطار والمياه الجوفية قد تغمرها او تبللها ، وبالتالي فان اي اضطراب في احد النظم يؤدي الى فساد الباقي ، لهذا فان الحديث عن تلوث التربة والارض يعتبر امتدادا لما قلناه عن تلوث الهواء والماء ،

★ التربة والارض في اللغة :ـ

جاء في المعاجم ان التراب و (التوراب) و (التورب) و (التيرب) و(التيراب) و (الترباء) بفتح التاء ، و (الترب) و (التربة) بضم التاء كله بمعنى واحد ، وترب الشيء اصابه التراب ، و (تربه تتريبا فتترب) اي لطخه بالتراب فتلطخ واتربه اي جعل عليه التراب .

هذا هو المفهوم اللغوي لكلمة التربة الذي لا يختلف عن معنى التراب ، ولم ترد لفظة التربة في اي موضع بالقرآن الكريم ، وانما وردت في الآيات التي تتعلق بالخلق والبعث كلمة « التراب ».

اما الارض فهي اسم جنس ، وهي لفظة مؤنثة ، ولغويا تطلق على كل ما سفل ، وقد ورد ذكرها في آيات كثيرة بالقرآن الكريم .

★ المفهوم العلمي للتربة :ـ

تعرف التربة بأنها الطبقة العلوية السطحية من القشرة الارضية ، والتي تكونت مع الزمن نتيجة لتفتت الصخور المكونة للارض بفعل القوى والعوامل الخارجية التي ادت الى حدوث هذا التفتت مثل ارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها في الليل والنهار ، ومثل تأثير عوامل التعرية من رياح وامطار وغيرها ، وتنقسم التربة على اساس حجم الحبيبات المكونة لها الى : طينية ورملية وطميية ، والتربة الزراعية تكون عادة خليطا من التربتين : الطينية والرملية ، وهي تتكون من مزيج من الحبيبات الصغيرة والكبيرة ، وتعتبر مادة الدبال الناتجة من تحلل المواد العضوية التي كانت تعيش على سطح الارض احدى المكونات الرئيسية للتربة الزراعية ، وهذه المادة غنية بالمعادن اللازمة لنمو النباتات ، كما انها تساعد على تفكك التربة ، مما يساعدها على ان تحتوي قدرا من الهواء اللازم لنمو

الجذور .

★ الارض في القرآن الكريم :ـ

ورد ذكر الارض في القرآن الكريم في عدة مواقع بمعان مختلفة ، فهي قد تدل على الكوكب الذي نعيش عليه مثل قوله تعالى :ـ

(واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) سورة هود / آية ١٠٨ .

وقوله تعالى :ـ

(يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) سورة الرحمن / آية ٣٣ .

كما قد تدل على الاماكن التي يعيش فيها الانسان ، وينتشر فيها العمران على سطح الارض مثل قوله تعالى :ـ

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) سورة النساء / آية ٩٧ .

وجاءت بمعنى الأرض المنبسطة الممهدة مثل قوله تعالى :

(الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) سورة البقرة / آية ٢٢ .

وجاءت بمعنى التراب كما في قوله تعالى :

(قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) سورة البقرة / آية ٧١ .

وجاءت ايضا بمعنى المفهوم الحديث لكلمة التربة في ايات كثيرة مثل :

(واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) سورة البقرة/آية ٦١ .

وايضا قوله تعالى :ـ

(وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) سورة الحج/آية ٥ .

اذ انه من المعروف ان القشرة الخارجية لسطح الارض المكونة من الصخور الرسوبية والمعروفة باسم التربة هي التي ينمو فيها النبات وتمتد فيها جذوره .

★ تلوث الارض :ـ

يتلوث سطح الارض نتيجة لتراكم المواد والمخلفات الصلبة التي تنتج من المصانع والمزارع والنوادي والمنازل والمطاعم والشوارع ، كما يتلوث ايضا من مخلفات المزارع كأعواد المحاصيل الجافة ورماد احتراقها ، واذا تأملنا الآيتين الكريمتين التاليتين :

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) سورة البقرة/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، واللتين نزلتا في الاخنس بن شريق الذي اقبل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واعلن اسلامه ، ثم خرج فمر بزرع فأحرقه ، وحمر فعقرها ، فذكر الله امره ، وعطفت الاية الكريمة هلاك الحرث والنسل على الفساد ، والذي يقصد به هنا الضرر الذي لحق بصاحب الزرع والحمر ، وايضا التلوث الذي حاق بالارض التي احترق فيها الزرع ، وتخلف فيها رماده .

ولعله من المفيد ان نذكر هنا ان الملوثات والمخلفات التي تختلط بالتربة والارض الزراعية ، تفقدها خصوبتها ، وتؤثر تأثيرا سيئا على البكتريا الموجودة بها .

ولكي تتصور ضخامة هذه المشكلة يكفي ان تعلم ان ملوثات البيئة اذا تمكنت من القضاء على ستة انواع من البكتريا الموجودة في الدورة البيئية لعنصر النتروجين الضروري جدا لنمو النباتات ، فان الحياة على الكوكب الارضي تؤذن بالفناء .

ولتوضيح مدى تأثير الملوثات الكيميائية على الزراعة والانسان يجب ان نشير هنا الى تلك الظاهرة الغريبة التي حدثت في اليابان حيث اصيب الناس هناك بمرض

عجيب يهاجم العظام ويقلل من احجامهم ويجعلهم غير قادرين على الحركة ، واصبحوا اقصر قامة ، واختلف الاطباء في معرفة السر في ذلك المرض الى ان اتضح ان السبب وراءه هو سم الكادميوم الذي كان يلقى مع مخلفات احد المصانع المستخدمة لصهر الخارصين في مياه احد الانهار ، وانتقل السم الى حقول الارز حيث لوث نبات الارز الذي يستخدمه اليابانيون في طعامهم .

ولا يقتصر تلوث سطح الارض او التربة على الملوثات الناتجة من نفايا المصانع والمزارع والمنازل ، ولكنه يتلوث ايضا نتيجة لاستخدام طرق الزراعة الحديثة ، والتي تؤثر على تركيب التربة ، وتضعف من خصوبتها ، مما يؤدي الى هلاك الحرث والنسل ، او الى خبث التربة .

وكم هي رائعة تلك المقارنة التي يعقدها القرآن الكريم بين الارض الكريمة التربة التي يخرج نباتها باذن ربها ، وتلك التي خبثت فلا يخرج نباتها الا قليلا نتيجة للملوثات التي افسدت تكوينها ، انظر وتأمل قوله تعالى :

(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) سورة الاعراف/ آية ٥٨ .

الا تشير هذه الآية في جلاء واضح وبيان ساطع الى تلوث التربة ، وهل خبث الارض الا ندرة المعادن والاملاح اللازمة لنمو النباتات فيها ، او فساد التركيب الكيميائي للأرض بحيث لا يساعد الجذور على امتصاص الغذاء والماء ، او ان تمتد بين حبيبات التربة ؟

ان التكنولوجيا الحديثة التي تدعى انها تساهم في حل مشاكل الانسان قد افسدت في سنوات قليلة كثيرا من الاراضي الزراعية بما جاءت به بدعوى زيادة انتاج الارض وتحسين خواص التربة . ان افسد ما جاءت به هذه التكنولوجيا في مجال الزراعة ما يلي :

١ ـ المبيدات الحشرية :ـ

والتي من اشهرها مادة د . د . ت ، وبالرغم من ان هذه المبيدات تفيد في مكافحة الحشرات الضارة ، الا انها ذات تأثير قاتل على البكتريا الموجودة في التربة ، والتي تقوم بتحليل المواد العضوية الى مركبات كيميائية بسيطة يمتصها النبات ، وبالتالي تقل خصوبة التربة على مر الزمن مع استمرار استخدام هذه المبيدات ، وهذه طامة كبرى ، وخاصة اذا اضفنا الى ذلك المناعة التي تكتسبها الحشرات نتيجة لاستخدام هذه المبيدات والتي تؤدي الى تواجد حشرات قوية لا تبقى ولا تذر اي نبات اخضر اذا هاجمته او داهمته .

ان مادة الـ د . د . ت تتسرب الى جسم الانسان خلال الغذاء الذي يأتيه من

النباتات والخضروات ويتركز هذا المبيد في الطبقات الدهنية بجسم الانسان الذي اذا حاول ان يتخلص منها ادت الى التسمم بهذا المبيد ، وتتركز خطورة مادة الـ د . د . ت في بقائها بالتربة الزراعية لفترة طويلة من الزمن دون ان تتحلل ، ولهذا ازدادت الصيحات والنداءات في الآونة الاخيرة بضرورة عدم استعمال هذه المادة كمبيد .

إنه لمن المؤسف ان الاتجاهات الحديثة في مكافحة الحشرات تلجأ الى استخدام المواد الكيميائية ، ويزيد الطين بلة استخدام الطائرات في رش الغابات والنباتات والمحاصيل الزراعية . ان ذلك لا يؤدي الى تساقط الاوراق والازهار والاعشاب فحسب ، بل يؤدي الى تلوث الحبوب والثمار والخضروات والتربة ، وذلك قد يؤدي الى نوعين من التلوث :ـ

الاول :ـ تلوث مباشر وينتج عن الاستعمال الآدمي المباشر للحبوب والثمار الملوثة .

الثاني :ـ تلوث غير مباشر وهذا له صور شتى وطرق متعددة .

١ ـ فهو اما ان يصاب الانسان من جراء تناوله للحوم الطيور التي تحصل على غذائها من التقاطها للحشرات الملوثة بالمبيدات الحشرية حيث تنتقل هذه المبيدات الى الطيور وتتراكم داخلها ويزداد تركيزها مع ازدياد تناول هذه الطيور للحشرات فاذا تناولها الانسان كانت سما بطيئا ، يؤدي الى الموت كلما تراكم وازدادت كميته وساء نوعه .

٢ ـ وهو اما ان يصاب به نتيجة لتناوله للحوم الحيوانات التي تتغذى على النباتات الملوثة .

٣ ـ كما يمكن ان يصاب به نتيجة لسقوط هذه المبيدات في التربة وامتصاص النبات لها ، ودخولها في بناء خلايا النبات نفسه .

ومن اشهر المبيدات الحشرية التي تضر بصحة الانسان تلك المحتوية على مركبات الزئبق ولقد سمى المرض الناتج عن التسمم بالزئبق بمرض « الميناماتا » وذلك نسبة الى منطقة خليج « ميناماتا » باليابان والتي ظهر فيها هذا المرض لاول مرة عام ١٩٥٣م ، وذلك كنتيجة لتلوث المياه المستخدمة في ري الاراضي الزراعية بمخلفات تحتوي على مركبات الزئبق السامة الناتجة من احد المصانع الكيميائية الموجودة في المنطقة ، وترجع خطورة هذا التسمم الى تأثيره السيىء ـ وحتى ولو كان بكميات صغيرة ـ على جسم الانسان ، حيث ترتخي العضلات وتتلف خلايا المخ ، واعضاء الجسم الاخرى ، وتفقد العين بصرها ، وقد تؤدي الى الموت كما تؤثر على الجنين في بطن امه . فهل بعد هذا فساد ؟ انه لمن المزعج ان دعاة التقدم والتطور يعتقدون ان استخدام المبيدات الكيميائية والحشرية تساعد على حماية

النباتات من خطر الحشرات والفطريات التي تهاجمها . وانهم بذلك يزيدون الانتاج ويصلحون في الارض .

(واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون . الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ـ سورة البقرة/١١ ـ ١٢ .

٢ ـ الاسمدة الكيميائية :ـ

من المعروف ان الاسمدة المستخدمة في الزراعة تنقسم الى نوعين :ـ

الاسمدة العضوية :

وهي تلك الناتجة من مخلفات الحيوانات والطيور والانسان ، ومما هو معروف علميا أن هذه الاسمدة تزيد من قدرة التربة على الاحتفاظ بالماء ، اما الاسمدة غير العضوية وهي التي يصنعها الانسان من مركبات كيميائية فانها تؤدي الى تلوث التربة بالرغم من أن الغرض منها هو زيادة انتاج الاراضي الزراعية ، ولقد وجد المهتمون بالزراعة في بريطانيا ان زيادة محصول الفدان الواحد في السنوات الاخيرة لا تزيد على الرغم من الزيادة الكبيرة في استعمال الاسمدة الكيميائية ، كما وجد ايضا ان سطح التربة في حالة استخدام هذا النوع من الاسمدة الكيميائية يؤدي الى تغطية التربة بطبقة لا مسامية اثناء سقوط الامطار الغزيرة ، بينما تقل احتمالات تكون هذه الطبقة في حالة الاسمدة العضوية الى الثمن وكأن ذلك ما تنبأ به القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا في قصة صاحب الجنتين . قال تعالى : **(فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا)** الكهف/ ٤٠ ـ ٤١ .

إن هاتين الآيتين الكريمتين تشيران الى حقيقتين علميتين في منتهى الاهمية :ـ

الاولى :ـ اشارت الآية الاولى الى ظاهرة تعرية التربة حيث تصبح صعيدا زلقا اي ملساء لا شيء عليها نتيجة للصواعق .

الثانية :ـ اشارت الآية الثانية الى ظاهرة عدم قدرة التربة على الاحتفاظ بالماء حين يصبح ماؤها غورا ، فلا تصل اليه جذور النباتات ، ولا يمكن استخراج الماء منها بطرق الرفع العادية ، وذلك نتيجة للفساد والتلوث الذي يصيب التركيب الميكانيكي لحبيبات التربة والذي يساعد عليه في وقتنا الحالي استخدام الاسمدة

الكيميائية والملوثات التي تصيب الارض .

وتجدر الاشارة هنا الى ان ظاهرة تعرية التربة تحدث نتيجة للرياح القوية والتي تزيد حدتها خاصة في المناطق الجافة او اذا لم تكن هناك محاصيل او نباتات في الارض ـ ومن هنا تأتي خطورة استخدام مزيلات الاعشاب او حرق الغابات كما يحدث في مناطق كثيرة بالعالم ويشير القرآن الكريم الى ذلك في سورة الحاقة حين يتحدث عما اصاب قوم عاد من رياح شديدة الصوت وشديدة البرودة استأصلت كل ما صادفها ، بحيث عرت التربة وتركتها قاعا صفصفا . قال تعالى :

(واما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية) ـ الحاقة/٦ ـ ٨.

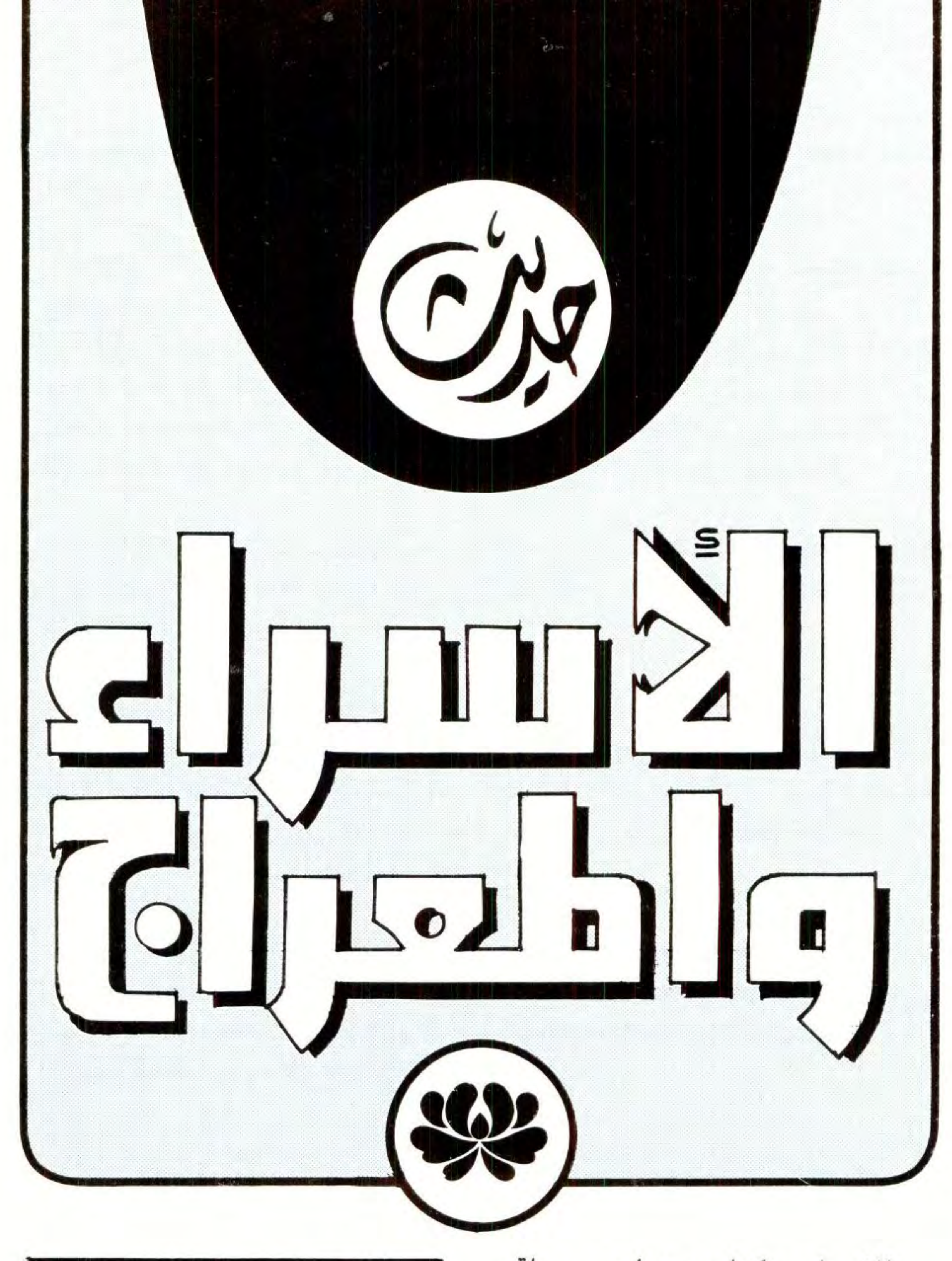
واذا كنا اشرنا قبل ذلك في حديثنا عن تلوث الهواء عن تأثير الملوثات على المناخ ، واشرنا الى الاضطرابات الناجمة من استعمالها في درجات الحرارة ، فانه من المفيد ان نذكر هنا ان هذه الملوثات تؤثر ايضا على الرياح وان الرياح شديدة البرودة لها اثر ضار على الزرع ، حيث تؤدي الى هلاك النباتات والخضروات ويشير القرآن الكريم الى ذلك في قوله تعالى :ـ

(ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) آل عمران/١١٦ ـ ١١٧ .

والريح التي فيها صر : هي الريح الباردة الشديدة ، والحرث : الزرع .

ونقول : في الوقت الذي فقدت فيه المجاعات والاوبئة كثيرا من قسوتها وضراوتها في ارعاب البشرية نجد ان تلوث البيئة قد حل محل هذه الاوبئة ، وخطورة التلوث هو انه من صنع الانسان وان آثاره السيئة تعود عليه وعلى زراعته وصناعته ، بحيث تؤدي في النهاية الى قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق ، والى تغيير شكل الحياة على الارض ، ومن الواجب علينا كمسلمين ان نحاول منع ذلك بشتى الطرق الممكنة عملا بقوله تعالى :ـ

(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) ـ المائدة/٣٢ .



للاستاذ
عبدالستار محمود الهواري

الاسراء - كما هو معلوم - رحلة من الأرض للأرض من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس .

والمعراج رحلة من الأرض إلى السماء ، من بقعة مباركة فيها هي المسجد الأقصى ، إلى بقعة مباركة في السماء هي سدرة المنتهى .

وهذا الحادث المعجز قد تم فعلا بشقيه على النحو الذي أشار إليه القرآن الكريم ، وأسهبت فيه كتب السيرة ، وأفاضت وثائق التاريخ .

والمعجزة فيه ظاهرة باهرة ، فما كان لحادث مثل هذا أن يتم إلا بمعجزة خارقة ، والمعجزة بلغة الناموس الكوني : أمر لا يجريه إلا رب الكون على يد من يشاء من عباده ، وقد شاء الله أن يجريه على يد خاتم رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**) الاسراء/١ .

سجلت هذه الآية الكريمة من سورة الاسراء حدثا عميق الأثر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ، كما كان له - ومازال - أهميته القصوى في دنيا المسلمين منذ فجر الدعوة الاسلامية حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فقد كانت هذه الرحلة القدسية من أم القرى مكة المكرمة ، إلى زهرة المدائن قدسنا العربية ، ثم العروج من بيت المقدس إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى ، إلى الفيوضات القدسية والأنوار الالهية . وقد زالت الحجب .

وكانت النفحات الالهية التي حيا بها المولى عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم حفاوة وتكريما للرسول ليطمئن قلبه ويستمر في دعوته . وليعلم عن قرب أن الله سبحانه قد اختاره بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وأن الله قد اجتباه : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) الأنعام/١٢٤ . لتبليغ رسالة الاسلام خاتم الرسالات السماوية ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لقي في سبيل ذلك صنوف الأذى وشتى الآلام ، فان الله حافظه وناصره ، وإن فقد من آل بيته الناصر والمعين .. لقد أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كثير من عنت قريش ، فصبروا واحتملوا وقاطعهم المشركون وحاصروهم حتى فروا من مكة إلى شعاب الجبل ، وظلوا ثلاث سنوات متتابعة ووطأة الحصار لا تفت من عزيمتهم . ولا تضعف من إيمانهم ، بل كانت تزيدهم تمسكا بالدعوة وإصرارا على نشرها والتفاني في سبيل ظهورها ، وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين سبقوا إلى الاسلام ، واحتملوا في سبيله الأذى والألم ، يخططون للأجيال المتلاحقة من المسلمين ، ويلقنونهم دروسا في التضحية وقوة الاحتمال في سبيل العقيدة والمبدأ والصبر على المكاره ، وصدق الله العظيم حيث يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/٢١ ، وما كاد الحصار ينتهي ويعود الرسول ومن معه من الشعب يبشر بالدعوة ويدعو الناس إليها حتى فجع بموت عمه أبي طالب ، وكان أبو طالب حمي لابن أخيه وملاذا من أعدائه ، وفي نفس العام ماتت الزوجة الوفية خديجة رضي الله عنها ، وكانت للرسول صلى الله عليه وسلم نعم الزوجة . تهون عليه

كل شدة ، وتـزيل من نفسـه كل خشية .. لقد كانت في بيت رسول الله تعطيه من برها ورقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها ما يزيده إيمانا بنفسه وثقة بنصر ربه ، أليست هي التي كانت تقول : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكـل ، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم .

وفي ليلة سبع وعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بسنة ، بات النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم هاني بنت عمـه أبي طالب وأختـه من الرضاع ، مهموما مكروبا على ما نزل به من إيذاء أهل الطائف عندما دعاهم إلى الايمان بالله ، فوق ما أصابه من موت زوجته رضي الله عنها ، وموت عمه أبي طالب ، حيث حـزن على فقدهما حزنا عميقا ، وعلى منع أهل مكة رسول الله من الدخول إليها بعد عودته من الطائف ، وعلى ما ناله من تزايد عداء قريش له ، وهو يدعوهم إلى الحق والعـدل وإلى الهـدى ، وسعـادتهم في الـدنيـا والآخـرة ، فأحاطت به أسوار من الغموم كثيفة ، لا يدري كيف يخرج منها ؟ وقد ضاق ذرعا مما ألم به من الكرب ، فنام بعد صـلاتـه للعشـاء وصـدره مـلىء بالأحزان ، وأسلم وجهه إلى الله ، وأمره لعالم السر والنجوى ، الذي يقول للشيء كن فيكون .

وبعد لحظات هبط إليـه الأمين جبريل عليه السلام ، وأيقظه وأخذ بيده مسرعا إلى حيث الحطيم حول الكعبة ، فوجد البراق معدا ومهيأ لركوبه صلى الله عليه وسلم خاصة ، فقاده الملك « ميكائيل » وأخذ بركابه جبريل ، وصحباه إلى حيث القدس الشريف . في خطوة خاطفة ، فدخل المسجد الأقصى ، فإذا بلفيف من الأنبياء يتقدمه سيدنا ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمـان عليـهـم الصلـوات والتسليم ، وقد تهيـأوا لاستقباله صلى الله عليـه وسلم . استقبالا يليق بقدره ومنزلته عنـد ربه ، وفي صورة رائعة من الجلال والمهابة ، ودعوه الى إمامة الصلاة . فصلى بهم إماما ، فكان ذلك إجماعا من الأنبياء على إمامته وقيـادته . وميثاقا بمبايعته صلى الله عليه وسلم عـلى رسالتـه الكبرى لـلانسانيـة وإصلاح البشرية ، يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف/آية ١٥٨ : **(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)** . وبعد الصلاة قام كل نبي مثنيا على خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن شئت فاقرأ وتحدث عن تلك الصورة الروحانية العظيمة النورانية الزاهرة ، التي كانت في المسجد الأقصى ليلة الاسـراء ، احتفـالا بسيـد الخلق وتكريما لليلة العروج إلى السماء كما روى القاضي عياض في كتابه : « الشفا في التعريف بحقوق المصطفى » قال : عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وصلت ليلة

أسرى بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة » وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء ببيت المقدس ، وبعد الصلاة قام كل نبي وأثنى على الله ورحب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم خطيبا ، وألقى هذه الكلمة المشرقة « كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي .. الحمدلله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع ذكري وجعلني فاتحا وخاتما » قال سيدنا ابراهيم مخاطبا الأنبياء « بهذا فضلكم محمدا » ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إمام الأنبياء وخطيبهم بلا نزاع ، ثم عرج به صلى الله عليه وسلم من المسجد الأقصى إلى الملكوت الأعلى .

والمسجد الأقصى لم يكن على تلك الصورة المعروفة اليوم ، ذات السقف الموشي والقباب المستديرة والاسطوانات المسوقة ، وإنما كان بقعة واسعة اختارها الله لتكون متعبدا للناس ، ومكانا بدائيا للعبادة ، شأنه في ذلك شأن المسجد الحرام بمكة المكرمة الذي لم يكن به سوى الكعبة ذات البناء البدائي المربع الشكل ، ويحده من الشرق بئر زمزم وحول الكعبة دار الندوة ، وفضاء فسيح تناثرت فيه الأصنام ، ومع ذلك فقد سماهما الله مسجدا بحسب الحقيقة الشرعية حيث كانت موضعا للسجود .

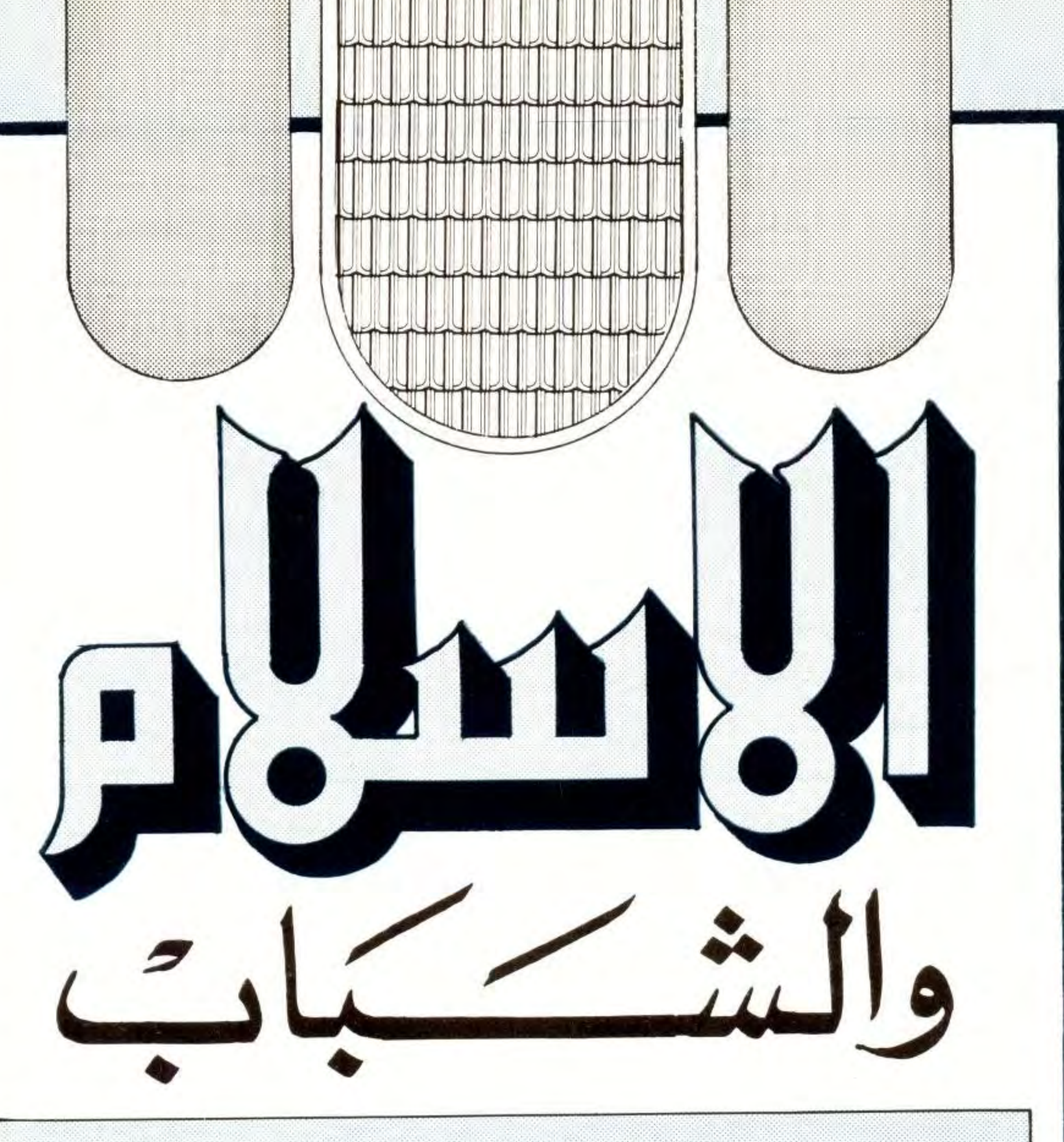
والمسجد الأقصى بالقدس منتهى رحلة الاسراء ، ومبتدأ رحلة المعراج ، حيث عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى ثم إلى سدرة المنتهى عند جنة المأوى حيث كان اللقاء بربه فوق الكون جميعا ، وفوق العالم والدنيا تحت رجليه ، وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم من سورة النجم ـ الآيات ٨ ـ ١٨ : (**ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى**) .

تحدثنا أم هانيء ، هند بنت عمه أبي طالب وقد أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتها فتقول : « إن رسول الله نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال ياأم هانيء لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم كما ترين ، فقلت له يانبي الله لا تحدث بها الناس

فيكذبوك ويؤذوك ، قال لا والله لأحدثنهموه » .. ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ثوبه لتمنعه رحمة به وشفقة عليه من أذى المشركين ، ولكنه كان مصرا على مقابلة القوم وإلقاء حديثه على جموعهم غير مبال بما يترتب على ذلك من أحداث جسام ، لذلك ضرب الثوب بكل ما يملك من قوة ، فخلصه من يدها واندفع نحو الكعبة حيث يجتمع القوم ، فأرسلت خلفه جاريتها نبعة لترى مايفعله القوم ثم تعود فتخبرها الخبر .. وتسترسل أم هانىء في الحديث فتقول : فلما رجعت نبعة أخبرتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى نفر من قريش في الحطيم ، فقص عليهم ما كان في ليلته ، فلم يصدقه واحد منهم ، واستقبلوه بالسخرية والاستهزاء ، وذهب جماعة منهم إلى أبي بكر يقصون عليه ما سمعوا من محمد ، فقال لهم إنكم تكذبون عليه فقالوا : ها هو جالس في الكعبة يحدث الناس بما حدثناك به ، فيذهب أبو بكر إلى المسجد مسرعا ويسمع من محمد ما يقول فيسرع قائلا : صدقت يارسول الله إننا نصدقك في الخبر يأتيك من السماء في ساعة من ليل أو نهار فلم نكذبك في هذا .. فقاس أبو بكر صعود محمد إلى السماء بهبوط جبريل ثم صعوده مخترقا الحجب والله ييسر لعباده ما يشاء وهو على كل شيء قدير .

لم يكن بدعا أن يختلف الناس في الماضي ، ويكثر الجدل وتشتد المنازعات في موضوع الاسراء والمعراج : هل كان بالروح أو بالجسد ، أو بالجسد والروح جميعا سواء في ذلك الاسراء والمعراج .. لقد سأل الكفار النبي عن بيت المقدس فأخذ يصفه لهم ، ويصف أبوابه ومبناه ، علما أنه لم يذهب إليه في يوم من الأيام ، ولكي يؤكد لهم حقيقة هذه المعجزة ، أخذ يصف لهم ما رآه في الطريق ، وكيف أنه مر بقافلة من الابل يمتلكها بعضهم وذكر لهم أوصافها ، وقال لهم إن القائمين عليها وجدهم نياما فشرب من مائهم ، ثم أخبرهم بأن القافلة ستقدم في صبيحة هذا اليوم ، ومع طلوع الشمس بالتحديد ، يتقدمها جمل رمادي اللون .. فخرج القرشيون ليتأكدوا من هذه الحقيقة فوقعت أنظارهم على الابل .. فأيقنوا أنه صادق وأمين ، ومع ذلك كذبوه استكبارا وحسدا .

إن معجزة الاسراء صورة فريدة في نوعها ، اختص الله بها نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام ، وكرمه برحلتها تكريما ، وقد حفلت بتأملات واعتبارات جديرة بأن تصدقها القلوب المؤمنة ، وتعتبر بها الأبصار الواعية ، وقد طاف الرسول ليلتها بالجنة ، ورأى فيها الأبرار وما وصلوا إليه من نعيم مقيم .. ورأى الأشرار وما وصلوا إليه من هم شديد .. وهذا أكد للنبي عليه الصلاة والسلام أنه سينتصر ، وأن دينه الحق سيبلغ أقصى الأرض وأطراف المعمورة ومشارف القارات : (**ولسوف يعطيك ربك فترضى**) الضحى/٥ ، وصدق الله العظيم .



الاسلام والشباب

للاستاذ / محمد خطاب عقيلي

شباب كل أمة هو عمودها الذي تبنى عليه قبة مجدها وفخارها ، انهم القلب النابض ، والعقل المتقد ، والساعد القوي الذي يحمل التبعات فلا ينوء بها وهو الحركة البانية ، ودرع الامة في كل زمان ومكان . واذا كانت حكمة الشيوخ وحنكتهم وخبرتهم لا ستستغني عنها أية أمة حية ، فان جانب التنفيذ والتطبيق والقدرة المركزة الدءوب على التفكير العلمي المتواصل والتجربة المتلاحقة المفضية الى النتائج المهمة هي من عمل الشباب ، فللشباب حياة تتفجر منه كل القوى . ومن هنا يقاس تقدم الأمم بعدد العاملين فيها من الشباب ، ويكون تقدمها مزدهرا لو كان هؤلاء الشباب على قدر من المهارة والاخلاص والقدرة على الاختراع والابتكار والعطاء .

والدول كل الدول ـ حريصة على أن يكون لديها طاقات كافية من الشباب المؤهل .. وهذا أمر لا مشاحة فيه . وأمة العرب أكثر

حاجة الى الشباب اليوم من أي وقت مضى ، به تبني نفسها وتسند حقها في الحياة ، وترد عن أرضها الطامعين ـ « والجيل الجديد الذي تنتظره الامة العربية أمام امتحان عسير .. عليه أن يقاوم التيارات الجارفة المنحرفة التي تريد أن تكتسحه في طيات أمواجها .. عليه واجب لا يعفيه منه ، أن أداه السابقون قدر استطاعتهم ، فكل جيل من أجيال الأمة ، لا بد أن يؤدي ثمن وطنه » .

.. لا بد أن يضحي ويستهدف للموت ، ليثبت حقه في أرضه ، وفي الحياة الكريمة العزيزة ، واذا أهمل حق الدفاع جيل من الاجيال ، كانت النكسات .. والنكبات . وكان على الاجيال التالية ، أن تبذل الثمن مضاعفا ، ليعود للعروبة مجدها .. وتسترد كل شبر من أرض العرب ممن اغتصبوه ، وتصبح كلمة الحق هي العليا .. وكلمة الباطل هي السفلى ..

ترى من هذا الشباب الذي تحتاجه الامة العربية اليوم وهي تعيش أحرج فترات حياتها حين تتجمع من جديد لتقوى وتتقدم .

انه ذلك الذي يملك الثروة الروحية الجليلة ، التي تكرم في الانسان معنى الانسانية ، وترفع في عينه الفضائل وتقيم ميزان العدل . وبها يملك القوة التي تمكنه من الاحتفاظ بحقه ، ولن يستطيع أن يكتسب قوته وصلاحيته للحياة ، الا من روح هذا الدين العظيم .. دين محمد بن عبد الله .. عليه أفضل الصلاة والسلام .

والدين بما له من سلطان على القلوب ، والنفوس ، وتأثير على المشاعر والاحاسيس ، وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة ، قادر على أن يحقق القوة للشباب دون تعثر أو انحراف ، وحين يقوى الشباب بدنيا وروحيا . تقوى الامة ، ولا يغلبها غالب ، فتربية الاسلام تغنينا عن كل شيء متى عرفنا كنهها ، وفهمنا معانيها وأهدافها . فهي ليست تربية محدودة ، بل تربية دينية ، وتربية خلقية ، وتربية عقلية ، وتربية اجتماعية ، وتربية بدنية ، وكلها للمسلم من باب الضروريات التي لا غنى عنها ، ولا بديل لها .

... الاسلام وتكريم الشباب

ولقد كرم الله تعالى في كتابه العزيز الشباب في مواطن كثيرة مما يدل على مكانته وأهميته .. وهذا واضح في قوله تعالى : صفة لإبراهيم عليه السلام :

(قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) الأنبياء/ ٦٠

وفي قوله تعالى ثناء على أصحاب الكهف :

(إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا)

الكهف/ ١٠ .

فقد كانوا عصبة الاستمساك بالحق والايمان أمام الكفر والطغيان وهم الذين قال عنهم القرآن بعد ذلك :

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا) الكهف/ ١٣ و ١٤

وفي وصف يوسف عليه السلام قال الله تعالى :ـ

(وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) يوسف/ ٣٠ . فهو فتى ضرب أروع الأمثال في الصمود امام الاغراء ، وكمال العفة وتمام الفضيلة .

وفي ثناء القرآن على موسى عليه السلام على لسان بنت شعيب قوله :ـ

(إن خير من استأجرت القوي الأمين) القصص/ ٢٦ . قوة في الجسم ، مكنته من ان يرفع بها غطاء البئر في القصة المشهورة ، وامانة في النفس ، جعلته يمشي أمامها ، حتى لا يكشف الهواء عن بعض اجزاء جسمها فيراها لو سار خلفها .

وقال جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة (أي في إبان شبابنا وقوتنا) فتعلمنا الايمان قبل ان نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا » رواه ابن ماجه .

.. شباب الاسلام والعلم الحديث

يدلنا التاريخ ويعطينا ما يفيدنا في مستقبلنا ، فيحكي لنا أن المسلمين حين قتربوا من الاسلام ، وعاشوا له ومعه في وئام .. يأخذون تعاليمه ويدافعون عن حقوقه ، صاروا أعزة وسادة ، ومنارات للعلم والمعرفة . فأشهر الاسلام سلاحه ضد الجهل ، ووضع مبادىء لمحاربته ، واعلن شعار محو الأمية في أول كلمة نزلت من السماء الى الأرض .. وتلقاها محمد في غار حراء ، أمرا صارما ، مؤكدا :ـ

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق/ ١ ـ ٥ . وليس أدل على قدر العلم . وشرف التعليم من أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بانه المعلم :

(الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان) الرحمن/ ١ ـ ٤ . وآيات القرآن الكريم في سور مختلفة توضح مكانة العلم والعلماء ، وما لهما من شأن في حياة الناس .. قال الله تعالى :ـ

(يرفع الله الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة/ ١١ .

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر/ ٩

(إنمـا يخشى الله من عبـاده العلماء) فاطر/ ٢٨ .

وما هذه الآيات ، وما تحمل من معان جليلة الا ربط للايمان بالعلم وتوثيق صلة بين العلم والاسلام فاذا كان المسلمـون قد تخلفـوا لبعدهم عن الاسلام ، فهو تخلف لبعدهم عن العلم الذي يعتبـره الاسلام من وسائل قوته بل اهم تلك الوسائل . والى جانب نداء القرآن الكريم ، نداءات من محمد صـلى الله عليه وسلم الى كـل الناس .. هي في واقع الامر حرب على الجهل أينما كان .

● فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم :

« من خرج في طلب العلم فهو في سبيـل الله حتى يرجـع » رواه الترمذي .

● وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال :ـ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله : ان الله ومـلائكته واهـل السمـوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير » رواه الترمذي .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :ـ

« فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد » رواه الترمذي .

● وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » .

وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر » رواه أبو داوود والترمذي .

● وعن معاوية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ». رواه البخاري ومسلم .

● وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال .. سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقـول : « الـدنيـا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما » رواه الترمذي .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثـام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم » رواه مسلم .

● عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا

مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

● وعن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير .

وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا » . رواه البخاري ومسلم .

الشباب ودور العلم في اعادة بناء كيان امتنا العربية والاسلامية

ليس صحيحا ان العلم المقصود هو علوم الشريعة الاسلامية وحدها من فقه وتوحيد وتفسير وحديث ومذاهب مختلفة ، ولكنه العلم بمعناه العام الواسع الذي يفيد الانسان في دينه ودنياه ..

.. في حياته وآخرته .. كما انه ليس العلوم المدنية وحدها .. ويجب ان يعرف شبابنا ان الاسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان ينادي بالعلم لأنه القوة التي تكشف عن أسرار الكون . وتسخرها لمنفعة الانسان وبه نستخرج كنوز الارض ونستغلها لخير البشرية ، لا لدمارها .. وهلاكها وعذاب هذا الانسان .

لذا فان بين العلم والعبادة ارتباطا وثيقا فالله سبحانه وتعالى . امرنا ان نعمر الارض ونستغل خيراتها ، ومن كان جاهلا عاش محدود المكان والافكار .. فلا ارضا زرع .. ولا مصنعا اقام .. ولا انسانا أفاد !

وحين يدرك الشباب المسلم انه ما تخلفت شعوب العالم الاسلامي عن ركب الحضارة الا ببعدها عن العلم الذي حثهم الاسلام عليه . فانه لا بد ان يضاعف الجهد . ليلحق بالركب وليعوض ما فات ولعل تفوق بعض شبابنا الذي نال حظه من العلم وسعد بالفرصة التي تهيأت له ، حتى اصبح ممن لهم شأن في جامعات الخارج ، يغري بقية شبابنا على اعطاء العلم وقتا اطول . وجهدا اكبر فنحن لا نقل ذكاء عن غيرنا .. ولا مقدرة في اكتساب العلوم .. كل العلوم .. ولكن ما جرى في عهود الاستعمار والتفكك ، لا يمكن ان يعود مرة اخرى . واذا كانت للشعوب من قبل حاجة ماسة الى العلم فانها اليوم بعد تضاعف عدد السكان فوق هذه الارض ، اصبحت اشد حاجة من قبل الى العلم بمختلف انواعه وضروبه ..

« وليدرك شباب الاسلام والعروبة ان الغرب أو الشرق لم يكن بتقديم المساعدات لأمتنا سباقا بالفضل ولا مبتدئا به .. وليس أبناؤه من عنصر ناضج يفوق عنصرنا .. فالتاريخ هو صاحب

القول الفصل في هذا الموضوع ... وتطوي سجلاته بل مستنداته حقائق تؤكد أن الحضارة الاسلامية ، هي صاحبة الفضل الاول في المدنية الاوروبية ، ومن لا يعترف بذلك من اصحاب هذه المدنية فهو مكابر ، ومن اعتقد منا اننا اقل شأنا منهم فهو مريض .. مصاب بعقدة نفسية »

● وقد قال أبو الاسود الدؤلي « ظالم بن عمرو التابعي » رحمه الله :

العلم زين وتشريف لصاحبه
فاطلب هديت فنون العلم والادبا
العلم كنز وذخر لا نفاد له
نعم القرين اذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالا ثم يحرمه
عما قليل فيلقى الذل والحربا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
لا تعدلن به دراً ولا ذهبا

★ ويذكر التاريخ ان « جابر بن حيان » هو صاحب علم الكمياء بلا منازع وضع اصولها ونشر قوانينها .

« وأبو بكر الرازي » من رواد الطب في العالم وما زالت أجمل أبنية جامعة برنستون الامريكية تحمل اسمه اعترافا بفضله على الطب والعلاج . ولا يزال . « ابن الهيثم » يعتبر واضع علم الطبيعة والرياضة قال عنه المؤرخ العالمي سارتون « انه اكبر عالم طبيعي مسلم ، ومن أكبر المشتغلين بعلم الضوء في جميع الأزمان » .

ويذكر التاريخ « الخوارزمي » رائد علم الجبر ، و « الشريف الادريسي » ـ الجغرافي الذي وضع اول مصور للعالم ، و « ابن خلدون » مؤسس علم الاجتماع واشتهر بمقدمته الخالدة . و « ابن بطوطة » رائد الاستكشافات والرحلات و « ابو الريحان البيروني » في الفلسفة والرياضة والجغرافيا و « ابن سينا » اشهر مشاهير العلماء العرب في الطب و « عباس بن فرناس » وأول محاولة للطيران في تاريخ البشرية .

مشاكل الشباب ومعالجة اسلامية ايجابية

وما اجل الاسلام في حكمته ، وما اعظمه في منهجه التربوي لشباب الامة الاسلامية ذلك المنهج الذي يريده شبابا طاهرا مطهرا ، لانه ـ اي شباب الامة ـ عتادها وقوتها ، وعمادها ، تقوى بهم شوكتها ، وتحفظ هيبتها ، وتدفع بهم من يريد إذلالها واستعبادها ، ولن يكون كذلك الا اذا كان :-

* طاهر النفس .
* صحيح البدن . .
* سليم الجسد .
* اذا صارعته المصائب صرعها .
* واذا دكت الأهوال أرض وطنه . أنشأها وعمرها .

ولكن للشباب نزوة ، ولشهوته جموح ، ولرغباته اغراء ، وللذاته افتتان ، ولنفسه رغبات يتشتت لها عقله ويتبلبل فكره فتزل قدمه في حمأة الشرور فلا يبالي سوء المغبة فتستعبده في حريته وتغلبه في قوته ، وتشقيه في سعادته فيصبح جريئا على الله معتديا على الناس ، مستخفا بالشرائع . مستهزئا بالفضائل ، حق الشهوة عنده اعظم من حق أخيه الانسان .

« فجعل الاسلام الخمر رجسا من عمل الشيطان ، لأنها تزلزل أركان الاخوة الاسلامية وتحل الروابط الاجتماعية وتهدم البدن ، وتفقد الكرامة وتدهور الاخلاق وتوقع العداوة والبغضاء في النفوس .

قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**) المائدة/ ٩٠ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » رواه أبو داوود .

والى جانب ذلك اثبت الطب ان الخمر تسبب للانسان امراضا كثيرة مثل : الشلل ، والجنون ، وضعف النسل ، والتهاب الكبد ، وهزال الجسد « وعليك أيها الشاب . اذا كنت حزينا او مهموما ، وحدثك قرين السوء ، أن الخمر تذهب الهم والحزن وتجلب السرور . فاعلم أن للهموم والأحزان علاجا غير الخمر ، وهو الصبر ، قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**) البقرة/ ١٥٣ .

وقال تعالى : (**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم**) الاعراف/ ٢٠٠ .

فانظر ايها الشاب ـ هداك الله ـ يا معقل الرجاء ! وعدة الوطن وفخار الشعب ، ومجد التاريخ الى الطريق السوي التي عبدها لك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنهج الاسلامي الحنيف فاسلكها تسلم صحتك وتهنأ عيشتك ، وتحفظ مالك ويسعد حالك ، واعلم أن الانسان يمتاز عن الحيوان بعقله وتفكيره الذي جعله الله حكما في كل شيء ، فأراد تعالى أن يكون ذلك العقل سليما ، لا يتسرب اليه ما يؤثر عليه ..

قال تعالى : (**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى**) النازعات/ ٤٠ و ٤١ .

وقال تعالى : (**يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل**) يونس/ ١٠٨ .

ونهى الاسلام عن الزنا لانه يسرق الشرف ويهدر العفة ويقطع

حبل الاخوة الطاهرة بين الافراد .

قال تعالى : (**ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا**) الاسراء/ ٣٢ .

قال تعالى : (**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**) النور/ ٣٣ .

وقال تعالى : (**والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**) المعارج/ ٢٩ ـ ٣١ .

وقال تعالى : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**) النور/ ٣٠ و ٣١ .

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا شباب قريش ، احفظوا فروجكم لا تزنوا ، الا من حفظ فرجه فله الجنة » رواه الحاكم والبيهقي .

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » رواه البخاري ومسلم .

ويقبل الله التوبة من عباده ويعفو عن كثير .

يقول تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار**) التحريم/ ٨ .

(**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) الزمر/ ٥٣ .

ويقول تعالى : (**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون**) الشورى/ ٢٥ .

ويقول تعالى : (**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**) طه/ ٨٢ .

ويقول تعالى : (**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) آل عمران/ ١٣٥ و ١٣٦ .

فاربأ ـ ايها الشاب المسلم ـ بنفسك ان تدنسها ، واعتز بدينك ، وحافظ على عقلك ، واحتفظ بجسمك سليما ، وبشبابك نضيرا ، فلا تظلم نفسك بهواها ، واغتنم شبابك قبل هرمك ـ والله

سبحانه سيحاسبك على عمرك فيم افنيته وعن شبابك فيم اضعته وعن مالك من اين اكتسبته وفيم أنفقته .

الشباب والدين والدنيا

عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ! ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا ، فإن الدنيا بلاغ الى الآخرة .. ولا تكونوا كلا على الناس » اخرجه النسائي .

يطلب الحديث من المسلم ان يعمل لدنياه ولآخرته جميعا من غير افراط ولا تفريط في حق احداهما .

والمسلم الكامل هو الذي ينظم وقته ، ويقسمه بين العمل للدنيا وللآخرة ، يعطي كلا منهما نصيبه في اعتدال ، فعمل الدنيا يتحقق بالسعي للرزق والعمل للكسب والقيام بما يحفظ للجسم قوته وصحته ويجعله قادرا على العمل والكسب ، وأداء الفرائض التي افترضها الله علينا .

ومن عمل الدنيا التمتع بالطيبات من الرزق في المأكل والمشرب والملبس وهي حلال للمسلم ما دام ذلك في حدود الاعتدال .

يقول تعالى : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) الاعراف/ ٣١ .

وعمل الدنيا واجب على كل مسلم لنفع الناس ، وتعمير الارض التي جعله الله فيها خليفة ، وجعل رسالته ان يعمرها .

أما عمل الآخرة فيتمثل في صدق الايمان وطهارة الروح وصفائها ، ونظافة القلوب من الحقد والتمسك بالفضائل ومراقبة الله في السر والعلن واداء الفرائض التي اوجبها الله تعالى في إحسان ، وسبيل ذلك ان تعبد الله كأنك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك .

وهذا هو الجانب الايجابي اما الجانب السلبي فهو كف الاذى والبعد عن منكرات الاقوال والافعال .

فالدنيا مزرعة الآخرة ، يستطيع الانسان ان يقدم فيها من الخير ما يثاب عليه في الآخرة ، ويبلغه رضا الله تعالى في مستقر رحمته .

ونستشف من الحديث احترام الاسلام للفرد فيحثه على العمل لينفع نفسه ويكسب من المال ما يحتاج اليه فيغنيه عن السؤال ، ولا يكون عبئا على غيره وبذا يصون كرامته ويحقق الخير للمجتمع الذي يعيش فيه .

قال تعالى :(**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذي من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**) النور/ ٥٥ .



للشيخ / محمد الأباصيري خليفة .

أشار القرآن الكريم إلى الاسراء في قول الله تبارك وتعالى : (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**) .

وأشار إلى المعراج في قوله جل شأنه : (**ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى**) .

وقد حدثا لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في وقت اشتطت فيه قريش في إيذائه بعد موت عمه أبي طالب الذي كان يدافع عنه ، ويقف سدا منيعا دون عدوان قريش عليه .. فقد رأت قريش أن موت أبى طالب فتح أمامها طريق الايذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تدخر وسعا في الايذاء .. ولقد عبر رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن هذه الحال بقوله : « ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

ولقد حمل هذا الايذاء رسول الله على التوجه إلى الطائف يدعو أهلها إلى الاسلام رجاء أن يهتدوا فيكونوا ردءا له ضد عتو قريش . ولكن أهل الطائف ردوه ردا غير كريم ، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه الشريفين ، فتوجه إلى ربه شاكيا ضعف قوته إزاء هذا الطغيان وطالبا منه العون والعافية ودخل مكة في جوار أحد المشركين .

اقتضت حكمة الله تعالى ان يبث السكينة في نفسه والطمأنينة في قلبه فكان الاسراء والمعراج عقب عودته عليه الصلاة والسلام من الطائف ، وفيهما أراه الله من آياته الكبرى ، فقد انتقل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في لحظات ، وهناك وجد الأنبياء السابقين في استقباله ، واتخذوه إماما لهم في الصلاة ، كما رأى الملائكة تزحم السموات ولا يعلم عددهم إلا الله ، وهم جند الله الأشداء الذين لا يغلبون ، وكأن الله تعالى يقول لرسوله : لا تبتئس بسفه قريش ولا بخسة أهل الطائف ، واعلم أنك بعين الله ورعايته ، وأنه سينصرك نصرا عزيزا .

وقد كان توقيت الاسراء قبيل الهجرة ، فقد اقتضت حكمة الله تعالى تمييز الصادقين في إيمانهم من الكاذبين ، حتى تتطهر صفوف الدعوة من ضعاف الايمان ، ولا يبقى فيها إلا أقوياء العقيدة الذين يصلحون لشرف الهجرة وتبعات الكفاح بعدها . وهذا التمييز عامل مهم في تثبيت الخطى على طريق النصر . « وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول لما حدث قريشا بالاسراء ارتد عن الاسلام بعض المسلمين فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل » .

ولتحديد بدء رحلة الاسراء ونهايتها معنى عظيم ، فهذه الرحلة من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام تدل على أن الايمان الذي درج في رحاب بيت المقدس قديما على يد الرسل السابقين على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هو الايمان نفسه الذي نزل عليه ، وأن هذا الرسول ورث تعاليم ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب بعد أن أهدرها اليهود ، فقضى الله بلعنتهم وسلب القيادة الدينية من أيديهم وتسليمها إلى سلالة اسماعيل .. وبذلك انتقل ميراث النبوات إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - وكان دينه آخر الأديان ، ورسالته خاتمة الرسالات .. فهي رحلة ربطت بين عقائد التوحيد من لدن ابراهيم الى محمد خاتم النبيين ، وربطت بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا ، وكأنما أريد بهذه الرحلة إعلان وراثة محمد - صلى الله عليه وسلم - لمقدسات الرسل قبله ، فهي رحلة تشير إلى أبعد من حدود الزمان والمكان .. ومن هنا كان اسراء الله برسوله إلى المسجد الأقصى ومنه إلى السموات ، والنزول من السموات إلى بيت المقدس ، ثم العودة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام وليد الصلة القائمة التي لا انفصام لها بين المسجد الحرام وبيت المقدس ، وبينهما وبين السموات .

وإذا كان بعض الناس يقولون : إن الاسراء والمعراج وقعا مناما ، فهي رؤيا

رآها رسول الله . فاننا ـ بيانا للحقيقة ـ نسوق الأدلة على أن الاسراء والمعراج وقعا يقظة لا مناما بقدرة الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ونرجو أن تكون محل التأمل والتدبر .

أولا ـ ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما حدث قريشا بالاسراء كذبته ، ولو كان الامر رؤيا منامية ما كان محل تكذيب ، ولما ارتد بعض المسلمين .

ثانيا ـ قال الله تعالى : (**سبحان الذي أسرى بعبده**) فكلمة (**عبده**) للجسم والروح كما قال تعالى : (**أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**) .

ثالثا ـ الاسراء يقظة بالروح والجسم عبارة عن حركة سريعة ، والحركة السريعة أمر ممكن في نفسه ، والتعجب منها لا يقتضي إنكارها ، ولحركة الاسراء والمعراج أمثلة في معجزات الرسل السابقين : فانقلاب العصا ثعبانا ثم عودتها في الحال عصا كما كانت ـ في معجزة موسى ـ حركة سريعة .. وإحضار عرش بلقيس ـ من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في لحظة ـ حركة سريعة .

ولقد فهم المسلمون الأولون أن اختيار المسجد الأقصى نهاية للاسراء وبداية للمعراج إعلام من الله بأن بيت المقدس من بيوت عبادتهم يجب أن يحافظوا عليه وأن يجعلوه في رعايتهم ، وأن يصونوا الأرض المباركة التي حوله .. وقد جعله رسول الله أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها فقال : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى** » .

ولقد دخل الفتح الاسلامي القدس وما حولها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعاش شعب فلسطين في رحاب الاسلام ينعم بالحرية والأمن والعدل والطهر .

ولما استولى الصليبيون والتتار على بيت المقدس وما حوله عمد المسلمون إلى إجلائهم وبذلوا في سبيل ذلك غالي التضحيات من النفوس والأموال . وعادت القدس وما حولها إسلامية عربية كما كانت إلى أن حدث عدوان اليهود على فلسطين سنة ١٩٤٨ بمعاونة جبهات الكفر التي تعمل على الكيد للمسلمين ، وهم منذ احتلالهم يرتكبون مع أهل البلاد أشنع الجرائم ، وغرورهم يزين لهم أنهم باقون ، ولكن هيهات ثم هيهات . فالأمة العربية المسلمة عملاقة حين تلوذ بعقيدتها وتعاليم دينها ، وإن ذلك واقع لا محالة مهما بذل اليهود وأعوانهم في بذر بذور الخلاف والشقاق بين الدول العربية .. وإذا كان اليهود قد عادوا للافساد في الأرض المقدسة فسيعود الله عليهم بالتدمير والهلاك على يد عباد له ، أولى بأس شديد .

أيها العرب المسلمون : إن اعتداء اليهود على بيت المقدس وما حوله من أرض فلسطين تخطيط إجرامي بين الصهيونية والصليبية والشيوعية لضرب الاسلام في معقل عزيز من معاقله ، والعدو ـ بجميع جبهاته ـ يعمل على عزلكم عن عقيدتكم التي هي مصدر قوتكم كي تضلوا الطريق الذي رسمه الله لكم وبينه في قوله تعالى : (**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير . الذين**

أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) وفي قوله جل شأنه : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)** وفي قوله سبحانه : **(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم)** .

إن العدو الخبيث يعمل جاهدا على أن يكون جهادكم مجرد شجب لعدوانه، واستنكار لجرائمه ، واستنجاد بالدول الكبرى والمحافل الدولية ، لتضيع جهودكم وأوقاتكم في جدل لا جدوى من ورائه ، وقد وقعتم في الفخ الذي نصبه لكم ، فوضعتم الندى في موضع السيف ، وتركتم طريق الله واتبعتم السبل الأخرى فتفرقت بكم عن سبيله ناسين قول الله تعالى : **(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** .

ولقد استشرى الداء ، ويوشك أن يسري في كثير من الأوطان الاسلامية ، ولا قضاء عليه إلا بالعقيدة الاسلامية الحية تقود طاقاتكم وقدراتكم إلى الجهاد المسلح ، وحينذاك لن يكون أمامكم إلا الفتح المبين والتأييد من الله العزيز الحكيم .. فأطوار التاريخ كلها منذ وجد الاسلام تدل على أن الاسلام أقوى ما يكون مراسا ، وأشد ما يكون مقاومة إذا أحدقت به الاخطار ، وأحاطت بأممه وشعوبه المحن .. إذ ذاك يتجلى ما في نفوس أهله من إيمان قوي وعزم حديدي ، ويهبون للجهاد ليحفظوا به أنفسهم من الذل والهوان ، وحقوقهم من الضياع ، وقيمهم ومقدساتهم من الدمار .. كذلك كان أجدادنا أيام التتار حين حطمت الخلافة ، وقضى على الجند ، وظن الناس الظنون ، فتحقق النصر على يد قائد من قادة الاسلام هو سيف الدين (قطز) ونزلت الهزيمة الماحقة بالغازين في موقعة (**عين جالوت**) .. وكذلك كان الحال حين تألبت أوروبا المتعصبة على حضارة المسلمين الزاهرة ، وانهالت أفواج الغزاة من الصليبيين صوب الشرق ، فقذفت بهم قوات الحاكم صلاح الدين الأيوبي وخلفائه إلى البحر ، وكانت موقعة (**حطين**) من أزهى المواقع في تاريخ الاسلام ، وتندر بهم الشاعر يذكرهم بأسر ملكهم (لويس) فيقول :

دار ابن لقمان على حالها   والقيد باق والطواشي صبيح

وليست محنة اليوم بأقسى من محن الأمس ، فأعداء اليوم جبناء أحرص الناس على حياة .. وسبيل دحرهم وتخليص بلادنا من اعتدائهم سهل ميسور يتجلى في الاعتصام بحبل الله ، والوحدة على الحق الذي أنزل الله ، وإعداد القوة المادية والمعنوية ومن وراء ذلك النصر العزيز ، الذي وعد الله به المؤمنين الناصرين لدينه في قوله تعالى : **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** وفي قوله سبحانه : **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** ، ومن وراء ذلك أيضا تحقيق الوعد القاطع بتدمير اليهود كلما عادوا للافساد في قوله جل شأنه : **(وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)** .



رحلة بالجسد والروح

كان الاسراء والمعراج بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جسدا وروحا .. والدليل آيات سورة النجم .. منها قوله تعالى : « **إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى** » .

فلا يزيغ البصر ولا يطغى الا وهو في الجسم ، ولا ينتفى عنه الزيغ والطغيان الا وهو في الجسم ايضا .. فلم يزغ البصر عن الحق ، ولم يتجاوز الحقيقـة بتسلط الخيال عليه . بل كانت رؤية حقيقة مدركة كما اراد الله لها ان تكون .

قصة الاسراء والمعراج

كان صلى الله عليه وسلم مضطجعا ، فأتاه جبريل ، فأخرجه من المسجد ، فأركبه البراق ، فأتى بيت المقدس ، ثم دخل المسجد فصلى فيه ، ثم عرج به الى السموات ، فاستفتحها جبريل واحدة واحدة ، فرأى فيها من آيات ربه ، واجتمع الانبياء (صلوات الله عليهم) وصعد في سماء بعد سماء الى سدرة المنتهى ، فغشيها من أمر الله ما غشيها ، فرأى صلى الله عليه وسلم مظهر الجمال الأزلي ، ثم زج به في النور فأوحى الله اليه ما أوحى .

"من كتاب وحي القلم"

الناس والحياة

فما كل قيل قيل علم وحكمة　　وما كل أفراد الحديد حسام
وللدهر تارات تمر على الفتى　　نعيم وبؤس صحة وسقام

الرضا .. والغنى

سأل عبدالملك بن مروان ، عبدالله بن يزيد بن خالد عن مقدار ما يملك من الثروة والمال ؟

فقال : « ياأمير المؤمنين : شيئان لا عيْلة عليَّ معهما : الرضاء من الله ، والغنى عن الناس » .

فلما خرج عبدالله سأله أحدهم : « لماذا لم تخبر الخليفة بمقدار ثروتك ومالك ؟

فأجابه : لأن ما أملكه ، لا يعدو أن يكون قليلا فيحقرني ، أو كثيرا فيحسدني .

الإسلام والعلم

قال معروف الرصافي :

يقولون في الاسلام ظلما بأنه ... يصد ذويه عن طريق التقدم

فان كان ذا حقا فكيف تقدمت ... أوائله في عهدها المتقدم

وان كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا على الاسلام من جهل مسلم

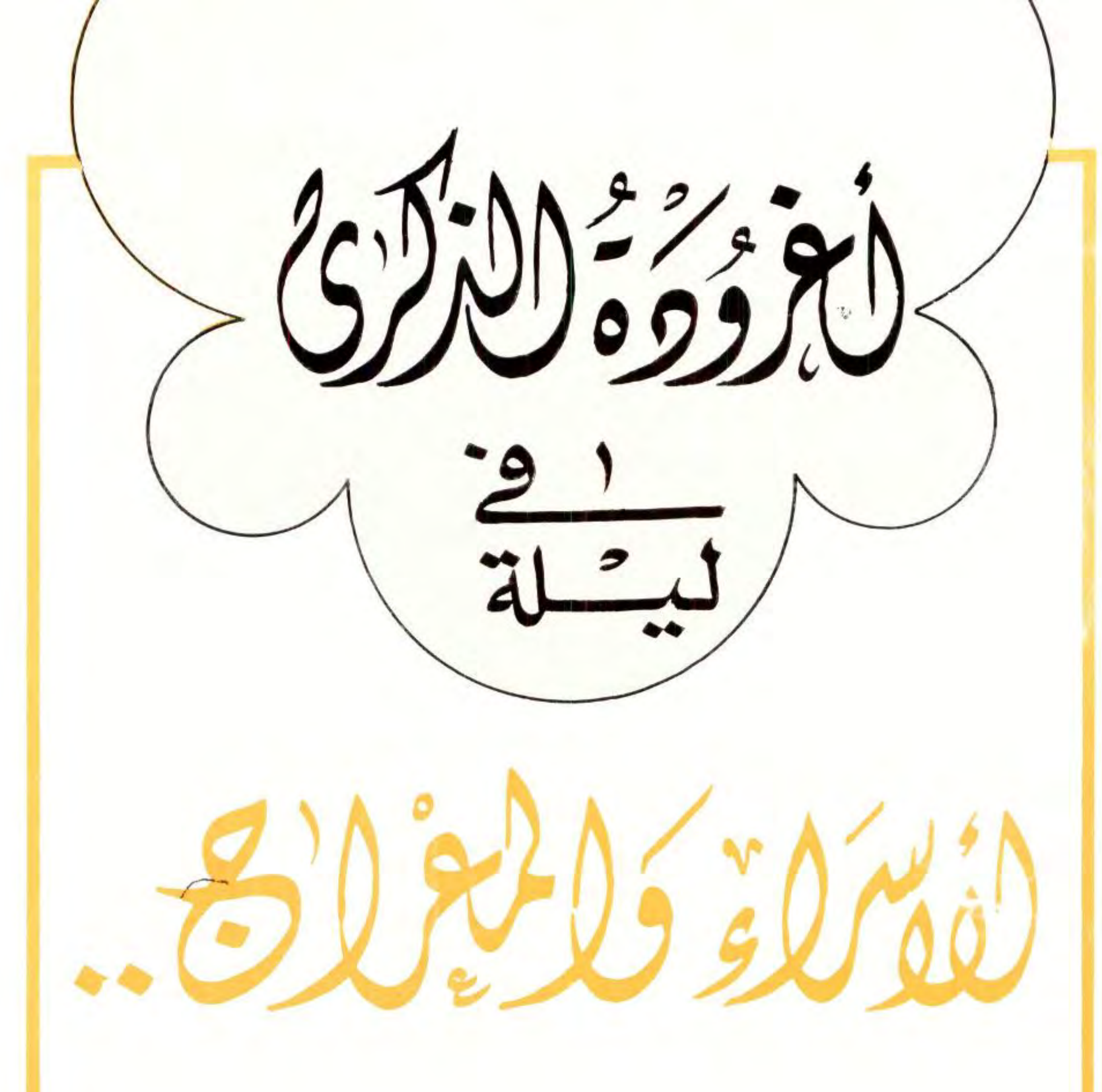
هل العلم في الاسلام الا فريضة ؟ ... وهل أمة سادت بغير التعلم

لقد أيقظ الاسلام للمجد والعلى ... بصائر أقوام عن المجد نوم

من جرائم اليهود

اليهود هم اليهود منذ القدم .. يعيشون في الأرض فسادا ، وينشرون الخراب والدمار أينما حلوا .. فمذبحة دير ياسين مشهورة في التاريخ .. ففي ١٩٤٨/٤/٩ باغت اليهود من عصابة الأرغون وشترن سكان القرية الآمنين ، وفتكوا بهم دون تمييز بين الأطفال والشيوخ والنساء ، ومثلوا بجثث الضحايا الأبرياء وألقوا بها في بئر القرية وبلغ عدد القتلى « ٣٠٠ » .

ونشير إلى أن قائد عصابة « الأرغون » هو مناحيم بيغن .. رئيس وزراء الكيان الصهيوني الغاشم الآن .. وبيغن هو الذي نادى في حشد يهودي بلغ « ١٥ » ألف مستمع بأن تكون القدس عاصمة لإسرائيل . كان هذا في صباح ١٩٤٨/٨/٤م ، هذا هو العدو .. فماذا نحن فاعلون ؟!!



للشاعر : محمود محمد بكر هلال

نور من الله العلي سما به ... وسرى فكان الروح ظل ركابه

اسرى به مولاه في غسق الدجى ... فشأى البدور وكن من اترابه !!!

هبوا صباحا يسألون عن السرى ... يتهامسون : من الذي اسرى به ؟

قيل : الملائك والبراق وقدرة ... جعلت وجود الكون من أسبابه !!

هي منحة رب السماء افاضها ... نال النبي بها جزيل رغابه

نور تجسد للرشاد وللهدى ... ملأ الوجود الرحب من آدابه

والله سخر للنبي عوالما ... ما كان يغلبها سوى احبابه !!

اخذوا البراق من البروق لانه ... برق سرى بين الورى وهضابه

فرأى النبي من الحياة عجائبا ... حازت لديه منتهى اعجابه

الفى فئات يحصدون زروعهم ... فيعود غرسا ناضرا لشبابه !!

سأل الأمين : فقال : قوم جاهدوا ... في الله أعطاهم جزيل ثوابه
وأتى على قوم تهشم هامهم ... بالصخر يصليهم اليم عذابه
من هؤلاء ؟ فقيل : قوم فرطوا ... تركوا الصلاة فعمَّهم بعقابه
وهناك في البيت المقدس أقبلت ... زمر الهداة وجمعت برحابه
تخذوا رسول الله مصباح الهدى ... علما يؤم الناس في محرابه !!
لا غرو ان ترقى الى هام العلا ... تسري كما يسري السنا بسحابه !!
قد كنت انسانا ولكن من هدى ... وسنا وكان الوحي ظل ركابه !!
ونشأت في ظل الهدى مترفعا ... عن زخرف الدنيا وعن اربابه
نقيت من كدر الحياة وزورها ... وعزفت عن كأس الهوى وشرابه !!
وصدفت عن لهو الشباب فلم تكن ... يوما وان اغراك من طلابه !!
وحملت اعباء الحياة فلم تهن ... وسخرت من عنت الزمان وصابه !!
خلق كأن الزهر من نفحاته ... عبقت ازاهره على اصحابه
صيغت من الأدب الرفيع خلاله ... فالطهر والآداب ملء إهابه
من كان مثلك في السمو وفي الهدى ... قالت له الأفلاك يا مرحى به !!!
فلأنت نجم اطلعتك عناية ... ماذا يصد النجم عن آرابه ؟!!
هل في سرى نجم الى افلاكه ... في الليل ما يدعو الى استغرابه ؟!!
هل كان من عجب وانت سنا الورى ... معراجك السامي الى ابوابه ؟!!
قد كنت اشبه بالهواء اذا سرى ... بين السماء وطار بعد حجابه !!
ان الهواء او الأثير او السنا ... ما كان افق الكون من حجابه !!
والمستحيل على الكفيف ميسر ... في دولة البصراء عند طلابه !!
حياك سكان السماء وهللوا ... لبزوغ نجم شع بعد غيابه
وغدوت في هذا العروج حقيقة ... كونية فازت على احبابه
خلصت من الدنيا ومن اظلامها ... وسمت على عبث الورى وترابه !!
فأراك من آياته ما لم يكن ... ليجول في خلد الحصيف النابه !!
صور يسجلها الزمان حقيقة ... وتخطها الأقدار بين كتابه
غلبت اشعتك الأثير فحلقت ... وسمت الى ملكوته وجنابه !!
وغمست في نور الجلال وافرغت ... حلل الجمال عليك عند خطابه
ورأيت ربك جل في ملكوته ... سبحانه عن حادث ومشابه
فرض الصلاة عليك تطهيرا لنا ... من اثم اخطاء الزمان وعابه
تزع النفوس عن الضلال اذا صفت ... بأدائها وتزيل حجب ضبابه
من شك في تلك الخوارق فليفق ... فالأمر لا يدعو الى استغرابه
قد طبق المذياع آفاق الورى ... من « لندن » يسعى الى (بنجابه)
يطوي المكان فلا مكان لصوته ... من أودع الاعجاز في اخشابه ؟!!
والتلفزون ترى وتسمع سره ... من آخر الدنيا ولا تعيا به !!

وسل المنوم عن حديث وسيطه ... ينبيك عن عجب النهي وعجابه !!
او ما سمعت بأن قوما سارعوا ... في رحلة للبدر بين سحابـه ؟
طلعوا على القمر المضيء واخبروا ... عن ارضه وبحاره وتـرابه !!
افهل تشك بـان رحلة احمـد ... لله رب العرش من اسبابـه ؟
سبحانه وله الجلال اذا قضى ... امرا يكون الأمر عند حسابه !!
عجبـا لأبناء الحنيف ودينهم ... جعل الملوك الصيد من اعرابه ،
والله سخـر للنبـي عـوالمـا ... من ريحـه وسمائـه وسحابـه
يتقاعسون ودينهم عرف الألى ... كانوا ـ اذا نادى ـ الأسود بغابه !
لكنه الضعف الذي ازرى بنا ... والشرق يا للشرق من احزابه !!؟
لعبت به الاهواء فهو مسخر ... وهـواه منعقد الى اربـابـه !!
ازرى به الغرب القوي وسامه ... سوء العذاب فصار من اذنابه !!
والله مـا ظلم الالــه عبـاده ... لكن تناهى الظلم من اوشابه
اغرتهم اللذات فـانقادوا لهـا ... والغرب خادعهم بحلو سرابه
فتأخروا عن ركب دهر عامـل ... وغدوا فرائس جهزت لذئـابه
مسرى الرسول عدت عليه عصبة ... تبغي على الأعراض في محرابه !!
والقدس مثوى الأنبياء ومهدهم ... أمسى يئن من اللظى وعذابه !!
حيران مضطرب الجوانح صارخا ... من بغي صهيون ومن أوصابه !!
ارض السلام يغيب عن آفاقها ... نجم السلام ويختفي بسحابه ؟
من ذلك الباغي اليس مشردا ... لعبت به الأطماع من آرابه ؟؟
فمتى نرى جيش العروبة غازيا ... ويعيد ما اغتصبوا إلى أربابه
إنى لآمـل ان سيبـرم في غـد ... أمراً يعيد الحق عند نصابـه
ومحرق الأقصى سيقصي في غد ... وغدا يذوق الويل عند حسابه !!
وعلى الذين تخلفوا ان يلحقوا ... فـالبيت مفتوح عـلى ابـوابـه
والشرق ان لم تتحد عزماتـه ... جعل الاله الذل في اعقابـه !!
وتحكم الباغي الدخيل بأرضه ... ومشت جيوش الغرب فوق رقابه
يـا أمـة الاسـلام اول دينكم ... نشر الهدى فرض على طلابه ،
لم لم تكونوا النور بعاث الهدى ... ونبيكم بعث الورى بكتابه ؟!!
نهل الرعاة من الحنيف فملكوا ... وغدا جفاة البيد من أقطابـه
عفوا رسول الله ان جمحت بنا ... سفن الحديث ولم تقف بعبابه
يـا منقذ الـدنيا اليـك تحيـة ... من مسلم رؤيـاك كل رغـابـه
ذكـراك عطر بيـانـه وعبيـره ... وهـداك سر الحسن في آدابه
لازال دينـك للبـريـة منهـلا ... عذبا يريح القلب من أوصابه
ومنارة تهدي الحيـاة سبيلها ... وهدى يشع النور من محرابه
صلى عليك الله ما طلع الضحا ... او غرد الشادي عـلى شبابـه

للدكتور

عبد الله بن محمد الصديق



من المعلوم بالضرورة أن الاسلام مبني على ثلاث دعائم : العبادات ، والمعاملات ، والسلوك . والمقصود بالسلوك الآداب والاخلاق الفاضلة

ولا شك ان **الامانة** من اهم الأخلاق الكريمة ، بل هي اساسها وخلاصتها ، وهي من صفات الانبياء والمرسلين ، فقد تقرر في علم الكلام انه يجب في حق النبي والرسول ان يكون امينا ، لان الأمين يسمع قوله ويقتدي بفعله ، ويهتدي بهديه . وقد كان النبي منذ شبابه يدعى الامين

والايمان والأمانة قريبان في الاشتقاق ، وهما متلازمان في الشرع ، **فالمؤمن لا بد ان يكون امينا** ، ومن فقد الامانة فقد ايمانه ، ففي الحديث : « لا ايمان لمن لا امانة له » .

وصح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال : « اية المنافق ثلاث ، اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا اؤتمن خان » .

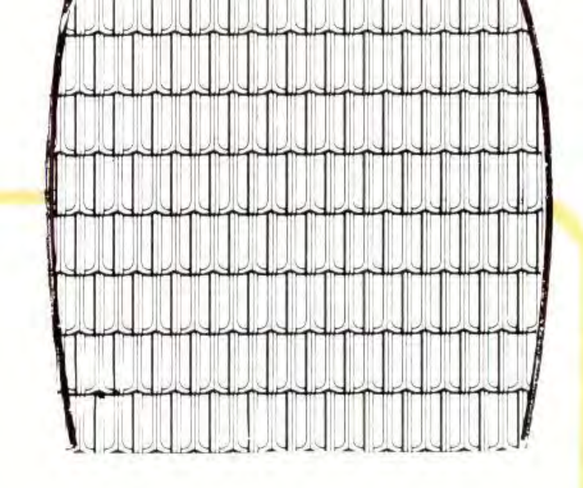
فأفاد ان فاقد الامانة ثلث منافق ، وانما جعل الشرع الامانة جزءا من الايمان لما لها من اهمية كبرى في سلوك الافراد والجماعات ، فأي مجتمع تسوده الامانة يكون مجتمعا راقيا في قمة الاخلاق الفاضلة .

ذلك ان **الامانة** يلازمها الصدق والوفاء وحسن المعاملة ، وبقدر اجتماع هذه المعاني في الأفراد يكون المجتمع سعيدا خاليا من المشاكل ، بعيدا عن الخلافات والمنازعات ، وانظر الى عهد عمر بن الخطاب حين كان المجتمع يغلب عليه الامن والوفاء ، والصدق .. كان عهدا زاهيا ، راقيا ، فيه تحققت المدينة الفاضلة التي طالما حلم بها الفلاسفة .

واذا فقدت **الامانة** تبعها فقد الوفاء والصدق والامن ، وصار المجتمع مليئا بالخيانة والغدر والكذب واصبح الفرد غير آمن في مجتمعه .

واحوال المسلمين اليوم غير احوالهم بالامس ، فقد كانوا منذ عهد قريب امرهم مجتمع ، وكلمتهم واحدة ، ووفاؤهم مضرب الامثال ، ثم غزاهم الاستعمار ، بمخازيه ومفاسده ، فتغيرت اخلاقهم ، ووهنت كلمتهم ، وفقدوا **الامانة** ، فصدق **فيهم** قول النبي : « اول ما يرفع من دينكم الامانة » وبرفعها من المسلمين اصبح مجتمعهم فوضى كاملة : **فوضى في الاحكام** ، في الاخلاق ، في العادات ولا احد من المسلمين يؤدي واجبه بأمانة الا القليل

ولأجل هذا الف صديقنا الاستاذ الفاضل السيد عبد اللطيف بن عبد الغني حبسوس بطنجة كتابا سماه : (**ازمة امانة**) بين فيه بالدلائل والشواهد المسموعة ، والمقروءة ، ان ما اصاب المسلمين من انحلال خلقي ، وتفريط في واجبهم **الديني** و الدنيوي منشؤه فقدان الامانة ، واستدل على ذلك بدلائل عقلية ونقلية ، فسد بذلك ثغرة في هذا الموضوع لم يُسبق اليها





استطيع ان اقول : إن الرعاية التي اعطاها الاسلام للمرأة ، ما زالت وستبقى كذلك درة في جبين الانسانية ونجوما في سماء الخلود ، تعطي الف دليل ودليل على أن الحقوق التي اعطاها الاسلام للمرأة لم يعطها قانون ولا نظام غيره قديما وحديثا .. كيف لا والاسلام دين الانصاف والعدل وقد جاء ليقيم موازين القسط بين الناس ، ويعطي كل ذي حق حقه ..!! وكما أن للرجل حقوقا فإن للمرأة حقوقا كذلك ، اذ المرأة تمثل نصف المجتمع او اكثر ، ويقع على عاتقها تبعات جسام ، وتتخرج الأجيال من مدرستها ، فهي التي تربي العباقرة والأفذاذ الذين يقومون باصلاح المجتمعات ... كذلك اعطى الاسلام المرأة اهمية بالغة في جميع ما يخصها ولا سيما التربية والتعليم .

لقد جاء الاسلام فوجد المجتمع الجاهلي ينظر الى المرأة نظرات جائرة مليئة بالغبن والحيف والظلم .. يحتقرها ويزدريها ، بل كانت الجاهلية تتشاءم من المرأة حتى قالوا : **((الطيرة في ثلاث : في المرأة والدابة والدار))** . ويفسر لنا الخليفة الحكيم العظيم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ما كانت عليه المرأة في الجاهلية



فيقول : (والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء امرا حتى انزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم) .

في هذا المجتمع البائس الذي انحطت فيه عيشة المرأة النكدة الى الحضيض ، اذن الله بشروق شمس الاسلام وارسل رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي نوه بالمرأة كثيرا ، ورفع من شأنها في شتى المجالات ، وأمر الناس بالعناية والاهتمام بها ، وحض على احسان تربية البنات ، ورغب المسلمين في الأجر الكبير الذي ينتظر من يعنى بتربية البنات ويحسن اليهن فقال ـ عليه الصلاة والسلام : **((من عال جاريتين دخلت انا وهو الجنة كهاتين واشار بأصبعيه : السبابة والتي تليها"** رواه مسلم والترمذي .

وقال : **((من بلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار))** رواه البخاري ومسلم . وقال : **((من كانت له ثلاث بنات ، او ثلاث اخوات ، او بنتان ، او اختان ، فأحسن صحبتهن ، واتقى الله فيهن ـ وفي رواية فأدبهن ، وأحسن اليهن وزوجهن فله الجنة))** رواه ابو داود وابن حبان والترمذي .

وكان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتبع أساليب فذة في رفع مكانة المرأة بأفعال عرف كيف يغرسها في قلوب الناس ، حضهم فيها على أن يسووا بين الذكور والاناث من اولادهم في التربية والخلق والادب والفضائل والمكارم والمطعم والملبس .. حتى وعد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الآباء الذين يحسنون تربية بناتهم ، ولا يؤثرون الذكور عليهن بأن لهم الجنة فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **((من كانت له انثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر وُلْده ـ الذكور ـ عليها ادخله الله الجنة))** رواه ابو داود والحاكم ..

وقد ضرب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أروع مثال وخطا اعظم خطوة في مجال العلم يوم حض المسلمين على تعليم الإماء اللواتي لا يعنى بأمرهن احد فقال : **((ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم اعتقها وتزوجها فله اجران))** رواه البخاري ومسلم .

ولم يكتف ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذلك بل اعطى ذلك المجتمع دروسا عملية في الرفع من شأن البنت ، فقد حدث أن صلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ إماما بالناس وهو رافع احدى البنات .. ففي الحديث : (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب ، فاذا سجد وضعها ، واذا قام حملها) رواه البخاري ومسلم .. هذا في الوقت الذي كان الناس يتشاءمون من البنات تشاؤما يصوره القرآن اجمل تصوير فيقول : (**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون**) النحل/٥٨ ـ ٥٩ ..

على ان الاسلام لم يكتف بذلك بل خطا خطوة اخرى رائعة لم يصل اليها اي نظام او مبدأ أرضي منذ ان خلق الله البشر والى يومنا هذا وذلك جعله طلب العلم فريضة على كل مسلم ! ففي الحديث الشريف : **((طلب العلم فريضة على كل مسلم))** رواه ابن ماجة والطبراني . واجمع المسلمون على ان المسلمات يدخلن كذلك في فريضة طلب العلم الذي سيأتي بيانه .

وكان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتخول الناس بالمواعظ ويعلمهم ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وقد التمس النساء من الرسول أن يجعل لهن يوما يفقههن في الدين ، ويعلمهن امور الاسلام ، فاستجاب لالتماسهن ، وحدد لهن يوما وعظهن فيه ، وعلمهن شيئا من امور الاسلام .. ففي الحديث : **((جاءت امرأة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يا رسول الله : ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله . فقال : اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله ..))** رواه البخاري ومسلم ..

هكذا غرس الاسلام في نفس المرأة المسلمة حب طلب العلم حتى اباح لها شهود خطب الجمع والعيدين وهي من وسائل التعليم والتربية وتهذيب النفوس. فقد امر الرسول - عليه الصلاة والسلام - ان تخرج البنات البالغات، او اللائي قاربن المحيض واللائي تكن في حال الحيض في عيدي الفطر والأضحى ليتعلمن ما ينفعهن من تعاليم الاسلام. تقول أم عطية الأنصارية - رضي الله عنها -: (أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نخرجهن في الفطر والاضحى: العواتق والحيض، وذوات الخدور. فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين ... قلت يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: لتلبسها أختها من جلبابها) متفق عليه. فكانت هذه الاحاديث وغيرها دروسا قيمة القاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك المجتمع الذي غرق في ازدراء المرأة الى الاذقان .. وقد اثمرت دروسه تلك وأتت نتائج طيبة حيث اقبلت النساء في صدر الاسلام على رواية الحديث اقبالا عظيما، حتى اتى ابن سعد في الجزء الذي عقده من طبقاته لرواية الحديث من النساء على سبعمائة امرأة روين عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - او عن بعض اصحابه. وترجم ابن حجر في كتابه (الاصابة في تمييز الصحابة) لثلاث وأربعين وخمسمائة والف من المحدثات، وشهد لهن بالعلم ووثقهن. وقد كتب كثير من العلماء الاوائل عن مراكز بعض النساء العلمية كالخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) والنووي في (تهذيب الأسماء واللغات) والسخاوي في (الضوء اللامع) ... الخ، ونبغ في التاريخ الاسلامي عالمات خلد التاريخ ذكرهن، فكانت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - عالمة جليلة، تحدث الناس، وتصحح للصحابة وتفتيهم، بل وتستدرك على فتاواهم واقوالهم .. حتى الف الامام بدر الدين الزركشي كتابا سماه «الاجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة».

وكانت السيدة فاطمة بنت الشيخ علاء الدين السمرقندي مثلا من آلاف الأمثلة التي يزخر بها تاريخنا الاسلامي، فقد درست العلوم والفنون حتى صارت الفتوى تخرج من بيت والدها وعليها خطها وخط والدها، فلما تزوج الشيخ علاء الدين الكاساني صارت الفتوى تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها. بل كانت ترد زوجها الى الصواب اذا اخطأ وهو من هو في العلم، هو الذي شرح تحفة الشيخ السمرقندي حتى قيل: شرح تحفته وزوجه ابنته.

ومن العالمات اللائي خلد التاريخ ذكرهن: أم الواحد: ستيتة بنت القاضي الحسين بن اسماعيل الضبي المحاملي التي كانت من احفظ الناس للفقه الشافعي، وكانت تحدث ويكتب عنها الحديث، وكانت تفتي مع العلماء. توفيت سنة ٣٧٧ هـ.

وكانت أم الفتح بنت القاضي ابي بكر احمد بن كامل بن خلف بن شجرة من أعلم زمانها . كانت تتسم بتمسكها الشديد بتعاليم الاسلام ، وكانت عاقلة رزينة حصيفة . أخذ عنها كثير من العلماء كثيرا من العلوم . توفيت سنة ٣٩٠ هـ .

وكانت زينب بنت عبد الرحمن الشعري عالمة جليلة . وقد اخذ عنها اعيان العلماء رواية واجازة . وممن اجازها الحافظ ابو الحسن الفارسي ، وابو القاسم الزمخشري صاحب تفسير الكشاف . وقد اجازت هي ابن خلكان وكان صغيرا تشجيعا له .

اما كريمة بنت احمد المروزي ، فكانت من اعلم الناس بالحديث بمكة ، وقد قرأ عليها الخطيب البغدادي صحيح البخاري .

وكانت عنيدة جدة ابي الخير التيناني الاقطع (تجلس للتدريس فيجلس امامها خمسمائة تلميذ من الرجال والنساء) . وقل مثل ذلك عن الشيخة شهدة التي كانت تلقب بـ (فخر النساء) . ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسين بن علي ... الخ ...

ويكفينا ان نذكر في هذا المقام ان ابن عساكر عد أساتذته الذين اخذ عنهم ، فكان منهم إحدى وثمانون امرأة كما قال ياقوت في معجم الادباء .

وذكر عبد الواحد المراكشي انه (كان بالربض الشرقي في قرطبة ١٧٠ امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي) علما بأن عدد أرباض - احياء - مدينة قرطبة (واحد وعشرون) ربضا كما يقول المقري في (نفح الطيب) .

وكان لبعض الشواعر أثر كبير في الاسلام منهن ليلى الأخيلية ، وحميدة بنت النعمان ، وسكينة بنت الحسين التي كانت تنقد الشعراء في قصائدهم وتكون حكما بينهم . وبدانية مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون التي كانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي الفاسي وتشرحهما ، ومريم بنت ابي يعقوب الانصاري التي من شعرها حين كبرت :

وما يرتجى من بنت سبعين حجة
وسبع ، كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا
ويمشي بها مشي الأسير المكبل

وقل مثل هذا عن رابعة العدوية ، وزبيدة أم جعفر زوجة الرشيد ، وحفصة بنت الحاج الدكوني ، وتقية أم علي بنت ابي الفرج ... وقد الف السيوطي كتابا قيما في أشعار النساء عنوانه (نزهة الجلساء في أشعار النساء) .

هذه امثلة اقل من القليل ، تدلنا على مكانة المرأة العلمية في العصر الاسلامي ، ومشاركتها في شتى العلوم والفنون .. فقد كان كثير من النساء اساتذة للرجال ، يدرسونهم ، ثم يجيزونهم . ونجد في الاجازات العلمية اسماء عدد من النساء اللاتي اجزن الرجال . واذا كان التاريخ لم ينقل الينا اخبار كثير منهن ، فان من ذكرهن شاهد على المنزلة العلمية الكبيرة التي وصلت اليها المرأة

المسلمة ، في الوقت الذي كانت المرأة في اوربا تباع وتشترى ، وقد سموها رجسا وجعلوها من سقط المتاع وقالوا عنها : إنها كائن لا نفس له بل كانوا يبيعون زوجاتهم ويـأخذون جميـع أموالهن . يقول (سان بونا فنتور) من رجال الكنيسة الى تلاميذه : (اذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون كائنا بشريا بل ولا كائنا وحشيا ، وانما الذي ترون هو الشيطان بذاته والذي تسمعون هو صفير الثعبان) .

ويقول : ترتوليان من أقطاب المسيحية عن المرأة : (انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان . وانها دافعة بالمرء الى الشجرة الممنوعة ، ناقضة لقانـون الله ، ومشوهة لصورة الله ـ أي الرجل ـ) .

وقد اعترف كثير من المستشرقين المنصفـين والمستشرقـات بالمنـزلـة العالية التي كـانت تتبوأهـا المرأة المسلمة .

يقول بعض الذين أرخوا الحكم الثاني في الاندلس : (إن نساء ذلك الزمن (الذي كان للعلم والأدب شأن عظيم فيه ببلاد الاندلس) كن محبات للدرس في خدورهن ، وكـان الكثير منهن يتميزن بدماثتهن ومعارفهن ، وكان قصر الخليفة يضم لبنى ، اي هذه الفتاة الجميلة العالمة بالنحـو والشعر والحساب وسـائر العلـوم والكاتبة البارعة التي كان الخليفة يعتمد عليها في كتابة رسائله الخاصة والتي لم يكن في القصر مثلها دقة تفكير وعذوبة قريض ، كما كان يضم ايضا فاطمة التي كانت تكتب بإتقان نادر ، وتنسخ كتبا للخليفة ، ويعجب جميع العلماء برسائلها ، وتملك مجموعة ثمينة من كتب الفن والعلوم .

وتقـول المستشـرقـة الالمـانيـة (زيغريد هونكه) : (وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشـرع ويلقين المحـاضـرات في المساجد ويفسرن احكام الـدين . فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء ثم تنال منهم تصريحا لتـدرس هي بنفسها مـا تعلمته ، فتصبح الاستاذة الشيخة . كما لمعت من بينهن اديبات وشاعرات ، والناس لا ترى في ذلك غضاضة أو خروجا على التقاليد) .

على أن أحدا لا يستطيع ان يجد نصا واحدا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في اقوال سلفنا الصالح يحرم تعليم البنات او النساء ، بل وجدنا على العكس نصوصا كثيرة تحث وتحض على طلب العلم . يقول ابن حزم في كتابه (الأحكام في اصول الأحكام) : (ويجبر الامام ازواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهن ما ذكرنا ـ يعني الطهارة والصلاة والصيام وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس والفروج والدماء والاقوال والاعمال ـ اما بأنفسهم واما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهن ، وفرض على الامام ان يأخذ الناس بذلك ، وان يرتب اقواما لتعليم الجهال) .

هذا هو الحد الادنى الذي ينبغى توفيره في التعليم ، والمسئول عن كفالة حق التعليم للفرد رجلا كان او امرأة ، حرا كان أو عبدا هي الدولة . واكثر

من هذا ، فقد جعل الاسلام للمرأة الحق في ان تخرج طلبا للعلم الذي يجب عليها ان تعلمه ان كانت جاهلة ولم يعلمها زوجها ، ذلك ان الاسلام كلف المـرأة ببعض المسئـوليـات ، ودعاها في الوقت نفسه الى طلب العلم لتتمكن من القيام بمسئولياتها على خير ما يرام . ومن أوائل ما دعا الاسلام المرأة الى معرفته هو الحلال والحرام في سائر التصرفات . ومعرفة العقائد والعبادات والأخلاق الفاضلة وتهذيب النفوس . وقد أمـر الله المؤمنـين والمؤمنـات معا أن يقـوا انفسهم واهليهم النار فقال تعالى (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**) التحريم/٦ ولا يمكن ان يقوم الرجل او المرأة بالوقاية ما لم يكن كلاهما قد تعلم كي يستطيع وقاية نفسه وغيره . وحكم الذين آمنوا في هذه الآية تشمل المؤمنين والمؤمنات معا .

لقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ **((والمـرأة راعية في بيت زوجهـا ومسئولة عن رعيتها))** متفق عليه فكيف تستطيع المرأة إدارة شئون منزلها اذا كانت جاهلة ؟

وكيف تستطيع أن توجه طفلها توجيها سليما صائبا هادفا اذا لم تكن عـارفـة مطلعـة عـلى التعـاليـم الاسلامية ؟.

وقد مهد الاسلام السبيل لطلب العلم ، وجعل من واجب الحكومة الاسلامية ان تقـوم بالإنفـاق على الأولاد ذكـورا واناثـا أذا ضاقت بآبائهم سبل الحياة ، وكانوا فقراء عـاجزين عن الانفـاق عـلى تعليم أولادهم وبناتهم . ان الاسلام لم يمنع المرأة من تعلم شتى العلوم والفنون ، ولم يحرم هذه العلوم عليها ، ولكن المصلحة العامة ـ مصلحة الامة ـ تقضي بأن تمارس المرأة بعض هذه العلـوم دون البعض كـالتـدريس والتطبيب والتمريض وما شابه ذلك ، مما ينسجم وطبيعة تكونها ومقتضيات وظيفتها كأم ... والاسلام يراعي دائما وأبدا مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ... واذا كان الاسلام قد دعا المرأة الى طلب العلم فقد أمرها في الـوقت نفسه بـان تلبس الملابس المحتشمة .

وبعد :

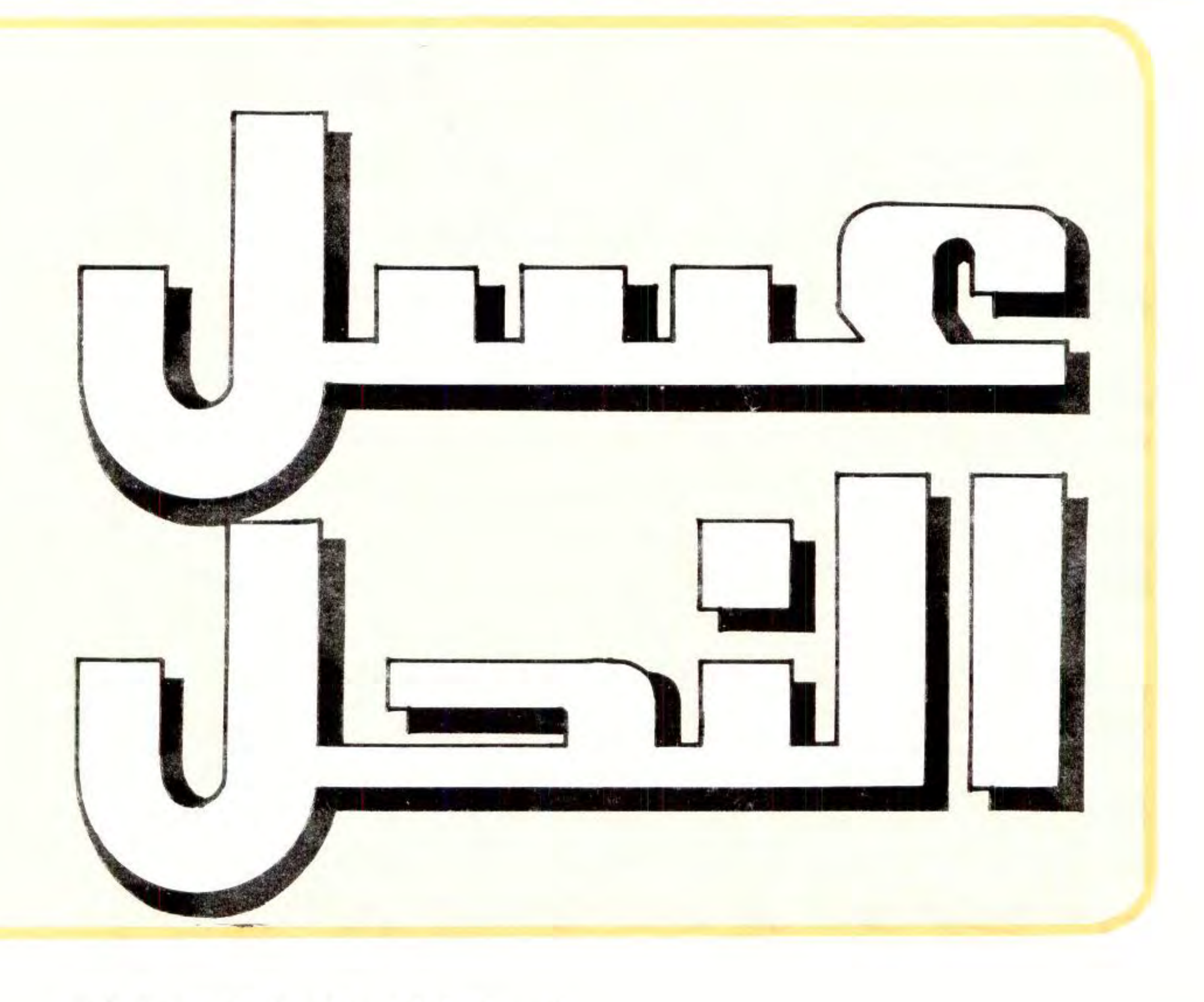
فان المسلمين في عصرنا هذا وقد ابتعدوا عن روح الاسلام الحقيقية وخبـا من نفوس كثـير منهم نـور الايمان ، صار بعض العامة منهم يعتقدون ـ جهلا وخطأ ـ بحرمة تعليم المرأة ـ ولو رجع هؤلاء الى سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوجدوا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أول من دعا الى طلب العلم .

وكان هذا الشعور الخاطىء تجاه تعليم المرأة المسلمة هو الذي استفاد منه أعداء الاسلام إذ صار المجال أمامهم فسيحا واسعا يسرحون فيه ويمرحون ويسممـون أفكار بنـاتنا ونسائنا بما يأتون به من الشرق أو الغرب حتى رأينا ثمراته الخبيثة في أيامنا هذه .

نسأل الله تعالى أن يهدينا سبل الرشاد ويوفقنا لما فيه حبه ورضاه .

بيان اسلامي مسيحي

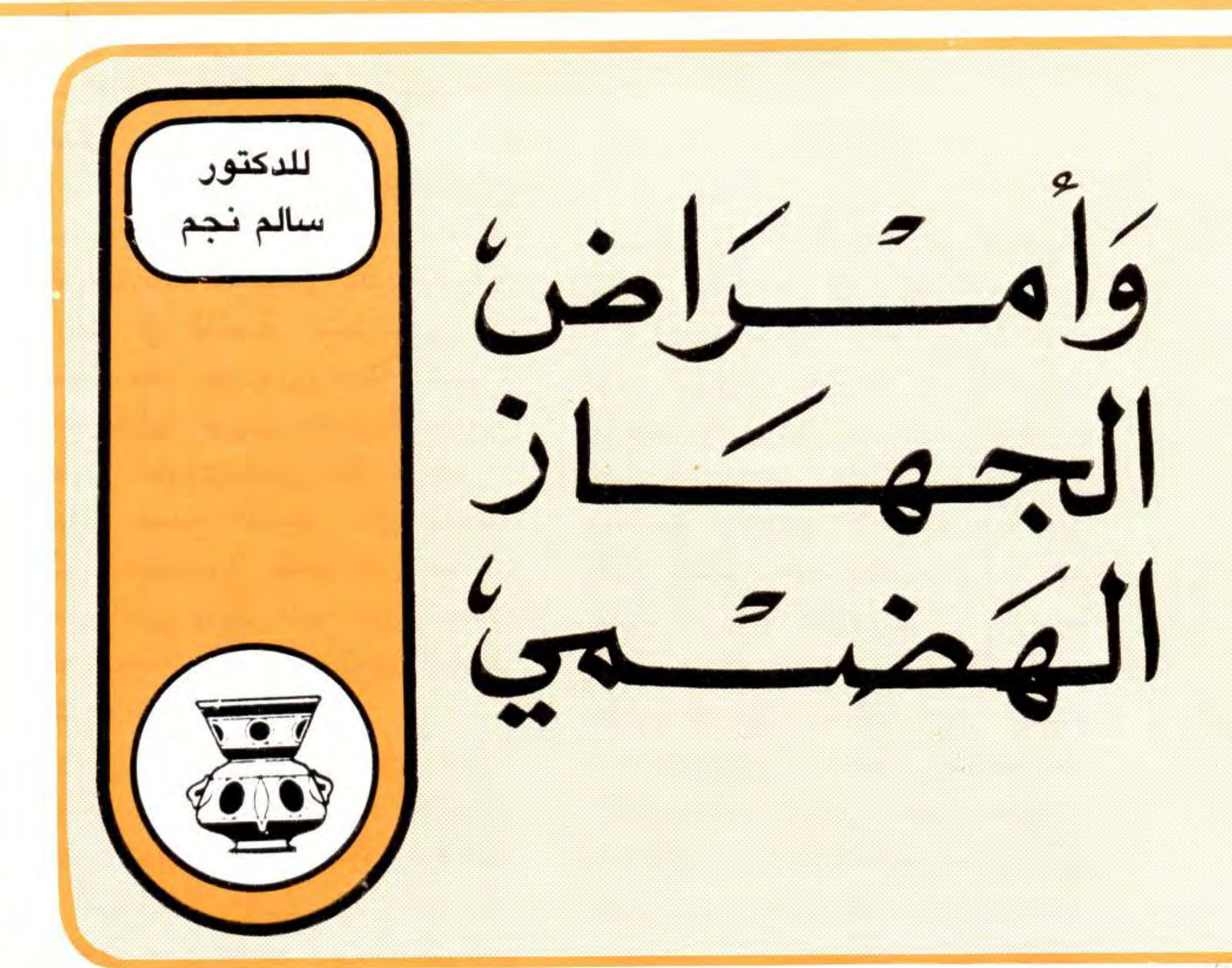
عقد مكتب المؤتمر الاسلامي العام لبيت المقدس (في عمان) لقاء اسلاميا ـ مسيحيا في مقر المؤتمر حضره عدد من العلماء المسلمين ورؤساء الطوائف المسيحية وجمع من رجال الفكر والمثقفين .
واستعرض المجتمعون التطورات التي تواجهها المقدسات في الاراضي المحتلة ، والظروف العصيبة التي يمر بها الاخوة المواطنون حيث تتحدى سلطات الاحتلال الصهيوني المشاعر الوطنية والدينية ،
كما ناقش المجتمعون آخر تطورات القضية المقدسة في المحافل العالمية واخذوا علما بما يجري من حوار مسيحي ـ يهودي في الفاتيكان واصدرو البرقية التالية الى حاضرة الفاتيكان :
ـ تناقلت وكالات الانباء العالمية نبأ الحوار المسيحي ـ اليهودي الذي يجري حاليا في الفاتيكان . كما نقلت وسائل الاعلام المختلفة التوقعات التي رأتها عن طبيعة هذا الحوار وأهدافه .
ان المجتمعين يذكرون بان التعايش بين الاديان السماوية كان سمة حضارية في تاريخ الامة العربية الاسلامية ، وان هذا التعايش كان قائما في الارض المقدسة في فلسطين عبر عصور التاريخ العربي الاسلامي ، حيث كان يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود .
ـ كما يؤكد المجتمعون ان الصهيونية تعمل على استغلال جميع المواقف لصالحها وتسخيرها لخدمة اطماعها واهدافها العنصرية .
ولذا ، فانهم يذكرون بخطورة الظروف التي يجري فيها هذا الحوار وما يخشى ان ينجم عنه من نتائج يمكن ان تستغلها الصهيونية للقيام بمزيد من ممارسات التهويد للمقدسات الاسلامية والمسيحية في فلسطين ، ومزيد من ممارسات الاضطهاد ضد المواطنين .
ويتمنون الا يقع هذا الحوار في هذه الظروف حيث يؤدي هذا الحوار الى المزيد من الدعم السياسي للصهيونية في الوقت الذي تواجه فيه الصهيونية العنصرية عزلة دولية .
كما يؤكد المجتمعون ان هذا الحوار سيؤدي بصورة حتمية الى ايذاء مشاعر المسلمين والمسيحيين العرب الذين يعيشون جنبا الى جنب في العالم العربي . ويواجهون الاضطهاد من العدوان الصهيوني .
وان المجتمعين ليبعثون بالتحية والتقدير الى اخوانهم في المحتل من الارض المقدسة لوقفتهم البطولية امام العدوان الصهيوني الغاشم .



مقدمة :

لقد ورد في صحيحي البخاري ومسلم حديث شريف عن استعمال عسل النحل في علاج امراض الجهاز الهضمي يعتبر بحق اول تقرير علمي موثق عن حالة مرضية ثبت فيها فائدة عسل النحل وظهور اثره الطيب في علاج امراض المعدة والامعاء . روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري ان رجلا جاء الى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال : ان اخي استطلق بطنه . فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « اسقه عسلا » فسقاه عسلا . ثم جاء فقال يا رسول الله ـ سقيته عسلا فما زاده الا استطلاقا . قال : « اذهب فاسقه عسلا » . فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال : يا رسول الله ما زاده ذلك الا استطلاقا قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « صدق الله وكذب بطن اخيك اذهب فاسقه عسلا » . فذهب فسقاه عسلا فبرىء ».

يروعنا في هذا الاثر يقين رسول الله « صلى الله عليه وسلم » امام ما بدا واقعا عمليا من استطلاق بطن الرجل



كلما سقاه اخوه عسلا وقد انتهى هذا اليقين بتصديق الواقع له في النهاية . منذ ذلك الزمن السحيق والمسلمون يستعملون عسل النحل في امراض الجهاز الهضمي والبولي التناسلي والجهاز التنفسي ويستعملون عسل النحل في الامراض الجلدية وغيرها .. ولقد سجلت بعض نتائج هذه الابحاث وظهرت المؤلفات العديدة على توالي العصور ؟ وهنا في هذا البحث نعرض نتيجة المحاولة العلمية عن استعمال عسل النحل في حالات عسر الهضم وقرحة الاثنى عشر بطريقة التجربة والملاحظات السريرية والشعاعية وكذا باستعمال منظار المعدة ذي الالياف الزجاجية .

« **طريقة البحث** »

لقد تم اختيار خمسة واربعين مريضا متتاليا من المصابين بعسر الهضم سواء ـ ممن ثبت لديهم قديما قرحة بالاثنى عشر او لم يثبت ذلك . ولقد وضعت شروط اختيارهم للمقاييس التالية :ـ

أ ـ توفر الاعراض المرضية والتحاليل المعملية التي تشير الى امراض في

الجهاز الهضمي .
ب ـ الفحص بالاشعة الملونة على اعلى الجهاز الهضمي .
جـ ـ الفحص بالمنظار الضوئي ليشمل المعدة والاثنى عشر ، ولقد طبقت هذه المقاييس عند ادراج المريض في قائمة التجربة وعند الانتهاء منها بعد مرور ستة اشهر ، يعالج خلالها المريض بعسل النحل مع الفحص الدوري شهريا لكل مريض .

ولقد نصح المريض بان يشرب ثلاثين سنتيمترا مكعبا من عسل النحل الذي يتوفر لديه دون تحديد صنف بعينه ـ وذلك قبل تناول الطعام ثلاث مرات يوميا .

ولكي تتم المقارنة العلمية بصورة سليمة ، فقد قمنا باختيار عشرين مريضا اخرين ممن تتماثل صفاتهم مع المجموعة الاولى عدا انهم لا يتعاطون عسل النحل .. وذلك لكي تتم المقارنة بين المجموعتين لاستنباط الاثار المفيدة لعسل النحل في المجموعة الاولى غير ان العشرين مريضا قد اعطوا اقراصا « لايهامهم بالعلاج » من مادة خاملة لا تضر ولا تنفع ، ولكن نظرا لعدم استجابة العشرين مريضا لهذه الاقراص الدمي ـ ونظرا لاستمرار شكواهم المرضية وخوفا من حدوث مضاعفات مرضية قد تلحق بهم الضرر ـ ولدوافع انسانية ومهنية ، فاننا اكتفينا بوضع هؤلاء العشرين تحت التجربة لمدة ثلاثة اشهر فقط ، وليست ستة اشهر كما هو الحال في المجموعة الاولى قيد التجربة وبعد تلك الفترة عولجوا بالوسائل التقليدية .

النتائج

اقتصرت النتائج هنا على المجموعة الاولى المكونة من ٤٥ مريضا ومريضة « ٢٦ من الذكور ، ١٩ من الاناث » ممن تتراوح اعمارهم بين العشرين والخمسين ربيعا غير ان ـ معظمهم يقع في العقدين الثالث والرابع . ونلاحظ ان اهم الاعراض المرضية التي يشكون منها وقت بدء علاجهم كانت النزيف المعدي في ٦٢ مريضا فقط ، ولكن الاغلبية المطلقة كانت علتهم اعراضا مختلفة لعسر الهضم « اوجاع بطنية ـ احساس بالحموضة وانتفاخ باعلى البطن ـ غثيان ـ قيء » كما ظهر ان نصف المرضى يعانون من فقر الدم ، حيث تقل نسبة خضاب الدم عن ٥٠٪ ـ وكذلك ـ الدم المخفي بالبراز ارتفعت نسبته الى ٨٢٪ . اما نتائج الفحص الشعاعي بالمادة المعتمة « الباريوم » فقد ثبت ان ٧٥٪ من هؤلاء المرضى مصابون بقرحة او التهاب في الاثنى عشر او التهاب في جدار المعدة . اما نتائج الفحص بالمنظار الضوئي للمعدة والاثنى عشر فقد تشابهت النتائج مع تلك التي ظهرت بالاشعة الملونة .

اما المقاييس التي بمقتضاها فتحت نتائج البحث والشروط التي توفرت للحكم على شفاء او تحسن الحالة المرضية نتيجة لاستعمال عسل النحل . فقد لاحظنا ان ثلثي المرضى تماثلوا للشفاء التام كما ان سبعة

اخـرين تحسنت حـالتهم بشكـل ملحوظ . فقد حدث التئام لقرحة الاثنى عشر في خمسة مرضى ، كما تـأكـد ذلـك بـالكشف الشعـاعي والمنظاري . وكذلك لوحظ ان نسبة خضاب الدم قد تحسنت بدرجة كبيرة وان الدم المخفي في البراز قد اختفى من جميع المرضى الا اربعة فقط .

التعليق والاستنتاج

ان المعلومات التي زودتنا بها هذه الدراسة التجريبية ، اعطتنا الدليل القوي على ان عسل النحل له مكان بارز في علاج الحالات المرضية لاعلى الجهاز الهضمي .

ولقد جربنا كذلك عسل النحل في صورة حقن شرجية للمرضى المصابين بتقرح الامعاء الغليظة ، وثبتت فائدته في التئام هذه القـروح واستجابـة المرضى لهذا العلاج .

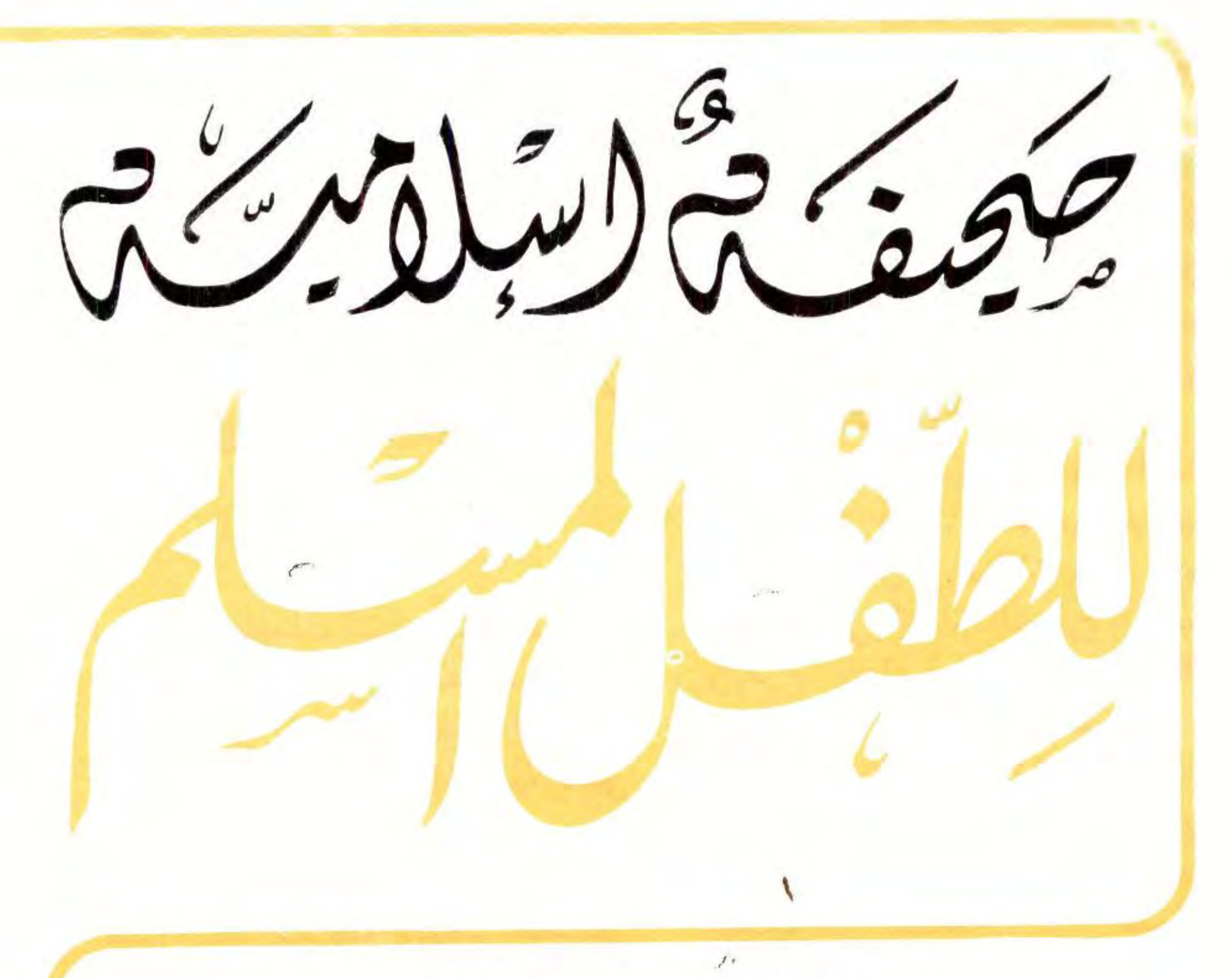
ومن الملاحظ ان عسل النحل تظهر فائدته بوضوح في الحالات المرضية العضوية « التهابات وقروح الجهاز الهضمي » عـلى حين ان فـائدتـه محدودة او منعدمة في الحالات التي يلعب فيها العامل النفسي دورا رئيسيا تقلص اسفل المريء او احدى نهايات المعدة او في حالات انقباض عضلات الامعاء .

وبمراجعة ما كتبه الأولون عن عسل النحل نجد ذخيرة من المؤلفات اثبتوا فيها نجاح عسل النحل في علاج الكثير من امراض الانسان مثل « التسمم بـالمعـادن الثقيلـة قسم سلبولينا ـ امراض كبدية ـ امراض جلدية ... الخ ».

ففي دراسة حديثة عن اثر العسل على إفرازات المعـدة من احماض وخمائر تبين ان العسل يهبط بافراز حامض « الهيدروكلوريك » الى معدل طبيعي وبذلك يساعد على التئام قرحة المعدة والاثنى عشر .

وقد درس اخرون خواص العسل ضد البكتيريا ومركباتها ومنهم احمد الزواوي الذي اوضح ان عسل النحل يساعد على التئام الجروح المتقيحة والقرح الجلدية المزمنة وقد تكون المكونات الاساسية للعسل « ٤٠٪ دكستروز » العامل المؤثر في استجابة انسجة الجسم له حيث لا يشابهه غذاء اخر في هذه الصفات وعـلى العموم فان الحاجة لا تزال ملحة في اجراء المزيد من الابحاث الجـادة المتأنية لكي نفهم بالدليـل العلمي الاثار المفيدة لعسل النحل في جميع احوال الجسم من صحة ومرض .

ولكننا نستطيع القول ان العسل من الاغذية المفيدة في يد الطبيب لكي يعالج بها الكثير من امراض الجهاز الهضمي . وحيث انه يفضل اي نوع اخر من العلاج وذلك لكونه : طعاما طبيعيـا ـ بـه نسبـة عـاليـة من الـدكستروز ـ ليست لـه الاضرار الجانبية للعقاقير ـ وفوق ذلك فانه رخيص الثمن ويسهـل الحصـول عليه . لكل هذه الاسباب فاننا نرى ان عسل النحل يجب ان يحتل المقام الاول في الاختيار لعلاج الحـالات المرضية للبهاز الهضمي .



للاستاذ : محمد عبدالحميد

رعاية الطفولة والاهتمام بها ليست مظهرا حضاريا أو جهدا انسانيا او عملا تنال به الميداليات والجوائز المتنوعة مهما كانت قيمتها .. ولكنها امانة واجبة على كل مسلم ومسلمة يتحملها الأب والأم من موقع الأبوة والاقارب من رابطة الرحم والمودة والمربون من موقع التعليم ، ورجال الاعلام من منطلق امانة وصدق الكلمة .

ويتحملها اولياء امور المسلمين في كل زمان ومكان كواجب اصيل في رعاية المسلمين .. وهي كذلك واجبة على المواطن المسلم والمواطنة المسلمة من منطلق النصيحة والمشورة وحب الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

نحن الآن في أشد الحاجة الى توسيع رقعة الأرضية الثقافية التي تقف عليها براعمنا الصغيرة ، التي تتطلع الى مستقبل أفضل في

كل مناحي الحياة .. ان الواجب الديني يحتم علينا رعاية هذه الأجيال وتعهدها ومعاونتها كي تصلب عودها ليس أمام المغريات الحديثة فحسب ، وانما أمام المد الاعلامي في شتى صوره ، والذي يركز على تشويه القيم والمثل التي نادى بها الاسلام .

الكلمة المكتوبة دورها مؤثر وأثرها فعال ، وهنا تبرز أهمية الصحافة ، باعتبارها لغة اجتماعية تأخذ من الناس وتعطيهم .. تعرض للمجتمع وتعبر عن حياة الجماهير وقيم المجتمع ومثله .. انها أيضا تهدف الى ربط الجماهير بالأحداث المحلية والعالمية مع تعريفهم بما يدور حولهم في العالم كله .. ان الاعلام في حد ذاته ليس الهدف الوحيد للصحافة .. بل هناك ما هو أشد أثرا وتأثيرا كالتثقيف والتوجيه والتسلية .. وهذه النقطة الأخيرة كانت الباب الذى دخلت منه صحافة الغرب المتخصصة للأطفال الى نفوسهم وقلوبهم وعقولهم .

لا شك أنه قد آن الأوان وحان الوقت لكي تتجه الكتابات الخاصة بالأطفال وعنهم في العالم الاسلامي اتجاها ينطلق من مبادىء الدين الاسلامي الحنيف .

الأسوة الحسنة

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في معاملته للأطفال .. نسوق ذلك من منطلق أن المدرسة المحمدية سبقت ما يقول به خبراء التربية والاجتماع من ارجاع سلوك الرجال وتصرفاتهم من الخطأ والصواب ، من النجاح أو الفشل الى التربية الأولى التي شبوا عليها رؤية وسلوكا ومعاملة في البيت والمدرسة والمجتمع . المدرسة المحمدية أكدت بالكلمة والممارسة والسلوك أهمية هذه الفترة في حياة الطفل باعتبارها سن النضج والتكوين ونشدان المعرفة بشتى صورها المتعددة .

● في بيته مع أبناء فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، كان يحمل الحسن والحسين رضي الله عنهما .. كان يلاطفهما ويتيح لهما فرصة المرح واللعب حتى ولو كان في صلاته وعبادته : أخرج النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ) عن عبد الله بن شداد عن أبيه : قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي العشى ، وهو حامل حسنا ـ أو حسينا ـ فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه .. ثم كبر للصلاة ، فصلى ، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها . قال أبي : فرفعت رأسي ، فاذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ساجد ، فرجعت الى سجودي ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال الناس : يا رسول الله ، انك سجدت بين ظهراني

صلاتك سجدة أطلتها ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يوحى اليك ، قال : « كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته » . (جامع الأصول ١٠ : ٢٢) .

● رأى عليه الصلاة والسلام رجلا ينادي طفلا لم يبلغ سن التمييز والادراك ، فيقول له : خذ .. مشيرا اليه بيده التي تمثل شيئا فيها تحمله ، ليؤنسه فيقترب منه .. فيسأل عليه الصلاة والسلام مستوضحا : عماذا يريد أن يعطيه لهذا الطفل ؟! فيقول الرجل « انها تمرة معي أريدها له . فتنفرج أسارير الرسول الكريم مبينا خشية أن يكون كذب على الطفل . لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف من الكذب على أمته .. والطفل الصغير يحاكي من هو أكبر منه .. فاذا كذب الأكبر شب الأصغر على هذه العادة بالاحتذاء والمحاكاة .. وهذا ما لا يرضاه لأنه كان ينشد لهذه البراعم الصغيرة الروح العالية والسلوك المثالي الحسن ، وهي جزء من تعاليم ربهم العلي القدير .

● كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل أسامة بن زيد رضي الله عنه معاملة حسنة عندما كان طفلا .. كما كان يعامل أنس بن مالك نفس المعاملة .. هذان الشابان ترعرعا في بيت النبوة وقاما على خدمته وهما صبيان صغيران .. عاملهما كأحب أبنائه وأعطاهما الرسول صلى الله عليه وسلم من حنانه الكثير .

يقول انس بن مالك - رضي الله عنه : لم يقل لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في يوم من الأيام عن امر فعلته لم فعلته ، ولا عن أمر تركته لم تركته ، وكان أحب الأمور إليه أيسره .

ذلك معناه أن الرسول الكريم كان القدوة الحسنة لأنس بن مالك ، فسار على هديه .. وكيف لرسول الله الكريم أن يخطيء وهو المعصوم من الخطأ ، أدبه ربه فأحسن تأديبه . ان الطفل متى وجد المثل الأعلى سار على دربه . أما أسامة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما آنس منه نضج الرجال ، وبروز ثمرة التربية النبوية المبكرة عهد اليه بقيادة أحد الجيوش الاسلامية ، وسار تحت إمرته كثير من كبار الصحابة من مهاجرين وأنصار .

● ومن حب الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال والاهتمام بهم ، أنه كان لا يفرق في السبي بين الوالدة وولدها . يقول عليه الصلاة والسلام : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » . (رواه الترمذي والحاكم والدار قطنى) .

● يقول صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود يولد الا على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » صحيح البخاري (٢ : ٩٧) . وهذا يؤكد

ضـرورة توجيـه الأطفال بشتى الصور المختلفة ورعايتهم عقليا وثقافيا ودينيا .

● لقد كان العرب في الجاهليـة لا يحترمـون الا القـوي ، القـوة سـلاحهم حتى ضـد الأطفـال الصغار .. كانوا يئدون البنـات ويقومون بدفنهن أحياء : **(وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم)** النحل/ ٥٨ . **(واذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت)** التكوير/ ٨و٩ . قال أحد سادة قريش يسأل الرسول الكريم وقد رآه يلاطف ويداعب ويقبل أحد أحفاده : يا رسـول الله ! أتقبلون الصبيان ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « نعم» ، فقال : ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرأيت أن نزع اللـه من قلبك الـرحمـة » رواه البخاري ومسلم .

أفكار مستوردة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم الأب العطوف الحنون .. كان الانسان الرقيق الشفوق .. كان أيضا المثل الأعلى للكبار والصغار على حد سواء .. واذا كان يعطي الصغار الطعام بيده ، ويسهر على المريض يعالجه ، ويحسن العناية والرعاية وتوجيههم .. فانما كان يفعل ذلك ليحذو كل أب حذوه .. ويكون قدوة لكل مسلم مع ولده .

ان أطفال اليوم هم شباب الغد ورجـاله ، سيحملـون الأمانـة ، ويجب أن يقوموا بها على أكمل وجه من واقع دينهم وبيئتهم .. من واقع قيمهم ومثلهم الاسـلاميـة دون تدخل وسيط دخيل لا يعرف شيئا عن الاسلام .. بل يحاربه من خلال بـراعمنا الصغيـرة حتى يشبوا ويسلكـوا مسالـك تنهانـا عنها التربية الاسلامية .

حتى الآن لا توجد في عالمنا الاسـلامي صحيفـة اسـلاميـة للأطفال .. كل ما هو قائم وموجود يحمل اسم المجلة الدورية ومعظم المواد الموجودة تعتمد على ترجمة القصص في هذه المجلات .. الأمر لا يقف عند هذا الحد .. ولكن البطل الذي تقدمه معظم هـذه المجلات يعبر عن مجتمعات أخرى غير مجتمعاتنا .. انه ذلك الانسان الخارق يحلق بعقول أطفالنا الى عالم الخيال .. انه يبتعد بهم عن الواقع .. يبتعد بهم عن البيئة والأسرة والدين والمثل التي ينادي بها الاسلام . ان التأثير على عقول أطفالنا بهذه الأشكال الفنية من التعبير عن طريق الكلمة والصورة شيء خطـير .. ان الطفل يـولد ضعيفا .. قواه العقلية ما زالت في طور النمو .. استعداداته الذهنية في طور التشكيل .. كيانه النفسي لم يستكمل بعد .. فعندما يصطدم واقعه بهذا النـوع من المجلات المستـوردة وبشكـل تكـراري ومستمر .. فكيف نطلب منه أن

يعيش مجتمعه المسلم .. وهو في اللاشعور يأخذ تشكيلا آخر لا هو قريب من مجتمعه ولا هو بعيد عن المجتمع الذي صدر اليه مثل هذه الأفكار التي كونت في عقله وتفكيره نسيجا من الصعب محوه .

ان جسم الطفل يحتاج الى تربية صحية ، وعقله يحتاج الى تربية عقلية أساسها الدين الاسلامي ، وقلبه يحتاج الى تربية روحية ، ونفسيته تحتاج الى تربية أخلاقية سلوكية بكل المبادىء والقيم التي جاءت في الرسالة المحمدية .. ان كل أمر من هذه الأمور يحتاج الى فهم تام .. يحتاج الى دراسة علمية متأنية حتى يمكن الوصول الى استراتيجية اعلامية اسلامية تخدم الطفل المسلم في جميع البلاد الاسلامية .

ولا شك أن صحافة الأطفال بما تحتويه من الصورة والكلمة ، تشبع رغبة الطفل في المعرفة والثقافة والتسلية عن طريق القراءة التي تعتبر دائرة معارف للطفل بنواحي الحياة وألوانها .. وتساعده في الحصول على الانطباعات الجديدة .. وتصل به الى الغايات التي نريدها في معرفة البيئة التي يعيش فيها ، والدين الذي يجب أن يعرف قواعده وشروحه .. وأخلاقياته ومثله .. والسلوك الذي يجب أن يباشره والقواعد التي يجب أن يتبعها .. ولن يتأتى لنا ذلك .. ولن نحقق هذا الهدف الا عن طريق صحيفة اسلامية للطفل .. وصحافي أو كاتب يعيش هذه الغايات والأهداف ويعايشها مع كونه في نفس الوقت قدوة حسنة دارسة وعارفة ومؤمنة بالدور الذي سيلعبه لخدمة الطفل .

البطل المسلم

تعتمد صحافة الأطفال الغربية على أسطورة الرجل الخارق للطبيعة التي يطلق عليها « السوبرمان » .. ونظرا لما صادفته هذه الشخصية من نجاح ساحق اضطرت الصحف التي تكتب للطفل في كثير من الدول الى استخدامها بعد أن أدخلت عليها الكثير من التعديلات من خلال المغامرات المتنوعة التي يقوم بها والتي تجذب انتباه الطفل وتثيره الى أبعد الحدود . يقول «شرام » ان الاتصال بالجماهير يلعب دورا فعالا مؤثرا في أعمال الطفل متفاعلا في ذلك مع قوتين هامتين .. الأولى مكونات شخصية الطفل ، وثانيتهما علاقاته الاجتماعية . فالطفل الذي يقرأ في صحيفته عن مغامرة من النوع العنيف يتصرف بأحد طريقين : اما أن يحاول تقليد ما رآه وقرأه ، واما أنه لن يجد له صدى في نفسه وفي أعماله . والطفل المقلد صاحب نفسية معقدة .. والطفل الذي لا يقلد يعيش عاديا في مجتمعه . ونحن في الصحافة الاسلامية من أجل الطفل نريد أن نصل به الى

التقليد .. أو تقليد المثل الأعلى الذي نقدمه له .. حتى يكون هذا التقليد شيئا طبيعيا في سلوكه .. يصل به الى الشخصية المثلى .. شخصية الطفل المسلم الذي يعرف الله .. ويعرف القرآن الكريم .. والنبي المصطفى محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ان النظريات الغربية الاعلامية تشطر نفسية الطفل الى قسمين .. ونحن نريد دمج هذه الشخصية وتكوينها بالشكل والجوهر والصورة التي تجعلنا نقدم الطفل النموذج .. أو نموذج الطفل المسلم الذي يعرف طريق الخير وينبذ طريق الشر للمهالك التي يؤدي اليها ..

كيف ؟ .. ومرة أخرى كيف ؟ .. لقد احتوى القرآن الكريم نماذج رائعة ثابتة وقوية من القصص الجامعة .. التاريخ الاسلامي مليء بقصص الرجال والمواقف التي لا تحصى ولا تعد .. لا يكفي أن نقدمها كما هي .. لا يكفي أن نبسط الكلمات .. ونقول هذه قصص تلائم الطفل . ولكن اذا كان الغرب قد نجح في الاثارة ليجذب الطفل .. فلنسلك هذا السبيل ولكن الفرق بيننا وبينهم ان اثارتنا هادفة .. لن نحلق بطفلنا المسلم في عالم الخيال الواسع .. وانما سنجعله يعيش واقع المسلمين في الماضي .. ونربط ما بين الماضي والحاضر بشكل مشوق وجذاب .. على سبيل المثال .. من الممكن أن نختار بطلنا في شخصية تقدس الحق .. وأخرى تقدس عمل الخير .. وثالثة تقدس مساعدة القوي للضعيف ولنا في الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة .. ولنا في الخلفاء الراشدين خير الأمثلة . أليس ذلك أجدى وأنفع من أن نقدم للأطفال قصص الخرافات والروايات البوليسية والجاسوسية والعصابات والقتل وسفك الدماء ؟ ماذا ننتظر من أطفالنا بعد هذه القراءات ؟ هل نقول لهم حلقوا في آفاق الفضيلة واتركوا الرذيلة التي نقدم نماذجها اليهم في الكلمة والصورة الملونة بشكل يومي ومستمر .

يجب أن نسعى جاهدين لتغيير صورة البطل عند الطفل في الصحافة التي يمكن أن تقدمها في المفهوم أو الاطار الاسلامي النموذج الجديد .. البطل هنا يجب أن يتغير .. يتعدد سواء كان في صورة انسان أم حيوان هذا الى جانب الصفات التي يجب أن تلتصق به .. صفات الاخلاص والبسالة والقوة والغيرة على الاسلام والتمسك بالمبادىء القويمة والشجاعة واحترام الصغير للكبير .. وفهم معنى المسؤولية وأهمية العلم .. واحترام الأسرة والمجتمع والآخرين .. والكف عن الأذى .. والفهم الحقيقي لمعنى الحرية الملتزمة بحدود الدين والشريعة الاسلامية .

الكاتب ... والصورة

اذا كان البطل له هذه الأهمية فان المحرر الصحفي أو الكاتب المتخصص للكتابة للأطفال يصبح أكثر أهمية .. لأنه الانسان القادر على ترجمة هذه الأفكار والمعاني والمبادىء الاسلامية الى واقع ملموس من خلال الكلمة التي يكتبها .. لذلك لا بد أن تتوافر فيه العديد من الصفات .. أن يكون رجلا مسلما عارفا لدينه متفهما له .. دارسا الدراسة الأكاديمية الاعلامية الدينية التي تعطيه الأساس السليم ليكون الجسر الآمن بين الطفل والصحيفة المتخصصة ، التي تؤدي الهدف المنشود .. يضاف الى ذلك الايمان النابع من الأعماق بأن يلعب هذا الدور بشكل دائم ومستمر .. ذلك وحده لا يكفي ، انما يجب أن نخلق الوسيلة أو الوسائل التي تساعد على التعديل ، حتى نضمن أن رجع الصدى المباشر أو غير المباشر يحقق الاستراتيجية المطلوبة في هذا المجال . لأن الهدف الذي نرغبه .. أن يصير البطل ليس مجرد شخصية يرغب فيها الطفل أو يتابعها .. بل أن يحس ويشعر انه صديقه يشاركه أحاسيسه ويشاطره رغباته وأعماله وواقعه وامكانياته ، حتى تصير المثل العليا التي نريد أن نغرسها في سلوكياته شيئا طبيعيا نابعا من قناعاته الشخصية والحسية دون أي انفعال يفسد الهدف المنشود .

واذا كان البطل عنصرا ضروريا .. واذا كان الكاتب شيئا هاما ـ.. نجد أن الصورة المرسومة التي رسمها الفنان جزء ضروري في تكوين شكل الجريدة أو صحيفة الأطفال .. ان الصورة شكل من أشكال التعبير واذا لم يكن هناك توافق بين الصورة والكلمة ضاع المعنى وتفسخت الفكرة .. ان الصورة مع النص المكتوب تشكل لغة جديدة أو شكلا من أشكال التعبير المتحرك الذي يمكن أن يتعلق بالمقروء والمنظور ، حيث يتعين على الرسم أن يغني النص بتكوينه وحدة معه . وهنا ينبه بعض الباحثين الى أن المعاني المنقولة باللغة اللفظية تفهم بتتابع وتوالي الرموز اللفظية .. فتفهم الجملة بقراءة كلماتها كلمة كلمة بترتيب كتابتها أو نطقها .. بينما المعاني المنقولة بوسيلة غير لفظية كالصور والرسوم تفهم بعرض الوسيلة ككل دفعة واحدة وادراكها ككل دفعة واحدة أيضا .. ثم لتمعن بعد ذلك في أجزائها وربطها بهذا الكل . ولذلك نفهم المعنى الذي تنقله الصورة بالنظر اليها دون اتباع منا لتسلسل أو قواعد معينة تحكم انتقال العين في مشاهدة أجزائها واحدا بعد الآخر ، كما تحكم القواعد قراءة الجمل في اللغة اللفظية الا من خلال المعنى الكلي لهذه الوسيلة

وبطريق التحقق منها في اطار البناء الكلي للوسيلة أيضا .. كما تعتمد طبيعة الجزء على كونه داخلا في عرض متكامل فوري لحظي .. وذلك كله يشكل صعوبة لا نهاية لها للعمل المنطقي الفكري في تحديد قضاياه .. مع أن العقل يستطيع باستعمال اللغة اللفظية أن يحفظ بداية كل قضية ونهايتها .

وهناك رأي يتفق عليه الكثيرون فحواه أن الصورة تناسب الطفل أكثر من الكلام .. وتمتاز الصورة على الكلمة بقوة تأثيرها وطول مدة التأثر بها .. كما تقوم بدور أساسي في كل ما تقدمه صحافة الأطفال .. لذلك أصبحت ركنا رئيسيا للدور الذي تؤديه وتقوم به أكثر من الكلمة .. كذلك فان الصورة تساعد على توضيح معنى الكلمة .. ولا شك أن الصورة الملونة أكثر تأثيرا من الصورة العادية التي نطلق عليها (أبيض وأسود) .. وقد أكد الخبراء أهمية اللون لأنه يجذب انتباه الطفل .

ان اصدار صحيفة للأطفال يحتاج الى إسهام الكثيرين كل في مجاله .. مثل الكاتب والصحفي والرسام لاصدار صحيفة على المستوى الذي يرضى عنه الجميع .. بمعنى أنه لا ينبغي أن ننظر الى الطفل كأنه عميل يجب ارضاؤه والاستجابة الى ذوقه والرضوخ لرغباته .. ذلك شيء مطلوب ولكن ليس بمقاييس القارىء العادي .. فالطفولة لها حقوقها الواجب احترامها والعمل على تطويرها على أساس أن الطفل كائن يحتاج منا الى التوجيه والارشاد في هذه المرحلة الحاسمة من حياته .

من هذا المنطلق يجب أن يساير ذلك كله صدور تشريعات خاصة بصحف الأطفال .. تحميه من الدخلاء والناشرين الذين لا يهمهم سوى الاثارة والتوزيع لكسب المال دون ضابط أو رابط أو وازع من ضمير .. على سبيل المثال صدر في فرنسا عام ١٩٤٩ قانون خاص بالمطبوعات المعدة للأطفال وتحدد المادة الثانية القواعد التي يسترشد بها في الحكم على إضرار صحيفة للأطفال أو عدم إضرارها بالصغار .. ويرى البعض لضمان وجود كتابات تتناسب مع الأطفال ، أن يتدخل المربون مباشرة في مضمار صحافة الأطفال أو تنسيق جهودهم مع الناشرين للعمل على تحسين مستوى ما يصدر للأطفال من صحف .. وقد نص مشروع قرار المؤتمر الدولي لصحافة الأطفال عام ١٩٥٢ على أن يحرم على أي شخص صدرت ضده أحكام قضائية الاشتراك بأي شكل من الأشكال في انتاج مطبوعات للأطفال .

بعد ذلك كله .. هل آن الأوان لاصدار أو صدور صحيفة عصرية للطفل المسلم ملتزمة بمبادىء الشريعة الاسلامية في إطار متطور جاذب ومشوق ؟؟.

تربية الطفل

والآثار النفسية لحياة التدين

للدكتور
عبدالرحمن عيسوي

تقوم التربية الحديثة على المبادىء المستمدة من الدراسات النفسية الحديثة . وتمتاز التربية الحديثة بالشمول ، حيث تتناول جسم الطفل وعقله وروحه ونفسه حتى يشب شخصية ناضجة متكاملة جسميا وعقليا واجتماعيا ونفسيا وخلقيا وروحيا . واذا كان لدينا ما يعرف باسم التربية البدنية والتربية الدينية والفنية والقومية والزراعية فلماذا لا نهتم بما يمكن أن **نسميه التربية النفسية للطفل** تلك التي تتناول نفسية الطفل بحيث يشب متمتعا بالصحة النفسية السليمة ، فاذا كانت التربية الجسمية تعني بتربية جسم الطفل وصقله وتكوينه ونموه نموا سليما فان التربية النفسية تعني بنفس الطفل وسعادته وتكيفه وانسجامه مع نفسه ومع المجتمع المحيط به وتمتعه بالصحة النفسية والعقلية السليمة ، إذ لا بد أن نهتم بعقل الطفل وانفعالاته واحساساته ومشاعره ودوافع سلوكه واهتماماته وميوله واستعداداته وقدراته واتجاهاته وجميع سمات شخصيته وخصائصها .

ان اطفالنا هم فلذات اكبادنا فوق ذلك فهم رجال الغد وحملة مشعل التقدم في المستقبل وورثة الحاضر ومن ثم وجبت العناية بهم والاهتمام بتنشئتهم اجتماعيا وخلقيا وروحيا وجسميا وعقليا ، ذلك لأن مرحلة الطفولة تمثل ركيزة أساسية في حياة الانسان الراشد الكبير فالخبرات والمواقف التي يمر بها الطفل في حياته الاولى تترك آثارا باقية في حياته . فالطفل اذا تمتع بطفولة سوية فاغلب الظن ان يحيا مراهقة سوية والمراهق السوي يميل الى أن يتمتع بشباب

سوي وهكذا نلمس اتصالا وثيقا في حياة الفرد عبر مراحل النمو المختلفة . فالخبرات التي يعيشها الطفل تترسب في لاشعوره وتظل باقية على شكل عقد نفسية او امراض ومن اجل ذلك وجبت العناية بتربية الطفل وصقل شخصيته لان الطفولة هي المرحلة التي تضع جذور أو بذور شخصيته الاولى .

واذا اردنا ان يشب أطفالنا أسوياء فعلينا أن نهتم بتربيتهم على اسس نفسية سليمة من ذلك اعتدال الاباء والامهات والمعلمين في معاملة الطفل فلا يسرفون في تدليله وتلبية مطالبه وترك الحبل على الغارب له لان الحرية المطلقة هي في النهاية فوضى . ومن شأن هذا النمط التدليلي من التربية أن يخرج لنا شخصية هيابة مدللة أنانية لا تهتم الا باشباع حاجاتها ودوافعها . وسرعان ما يصطدم الطفل مع المجتمع الخارجي عندما يفشل في تحقيق رغباته على النحو الذي تعود عليه في المنزل فيشعر بالفشل والاحباط والاضطهاد والسخط والتبرم .

اما الاسراف في القسوة على الطفل ومحاصرته بالعديد من الأوامر والنواهي والقيود والسلاسل والتحريم فان ذلك من شأنه ان يؤدي الى تكوين شخصية عدوانية حاقدة او قد يتقمص الطفل العدوان منهجا لتحقيق رغباته وقد ينشأ خائفا مترددا غير واثق من نفسه ، يكثر من لوم نفسه على كل كبيرة وصغيرة وقد يؤدي كثرة الضغط الى الانفجار فيثور ضد هذه القيود عندما يشب عوده فضلا عن ضعف مشاعر الحب تجاه من يمارس القسوة عليه .

ولذا فان الموقف المثالي هو **الاعتدال والتوسط** بين الحزم الزائد والتدليل المفرط .

ونحن اذا كنا ننادي باشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والاجتماعية كالحاجة الى الطعام والشراب والدفء والحب والحنان والقبول الاجتماعي واحترام الذات .. الا اننا ينبغي ان ندرب اطفالنا على ان هناك بعض الحاجات التي لا يمكن اشباعها في الحال والتو وأخرى لا يمكن إشباعها اطلاقا وثالثة لا يمكن إشباعها بالكم والكيف الذي يرغبه الطفل وذلك حتى يتعود الطفل على تأجيل اشباع بعض حاجاته حتى تتوفر الفرصة المناسبة وتتوفر الامكانات . وعليه ان يتدرب على تأجيل الاشباع الآلي المباشر والسريع لبعض حاجاته في سبيل تحقيق اهداف اكبر واكثر قيمة وابعد مدى . ولقد دلت البحوث النفسية على انه ليس للاشباع المادي قيمة في حد ذاته ، فالطفل يحتاج الى العطف والحنان والحب والدفء والشعور بالانتماء وبأنه مقبول لا منبوذ ، محبوب لا مكروه ، والشعور بان له قيمة ولقد وجد ان هذه الحاجات اكثر

قيمة من مجرد الاشباع المادي لحاجاته اذا تم هذا الاشباع بصورة ميكانيكية آلية .
وهناك من يتذبذب في معاملة الطفل فيتراوح بين المبالغة في الشدة والمبالغة في التدليل والعطف ولا يقل هذا النمط في التربية سوءا عن الافراط في القسوة او الافراط في التدليل لانه يفقد الطفل الشعور بالامان ويعجز عن توقع الثواب او العقاب نتيجة لاعماله ويشعره بالالم اكثر من السير على نمط واحد .
ومن الاخطاء الشائعة في تربية الاطفال تركيز الاباء والامهات على جانب واحد من جوانب شخصية الطفل ، ونعني به الاهتمام والالحاح على الطفل للتحصيل الدراسي فقط . ونحن لا ننكر اهمية هذا الجانب من النشاط في حياة الطفل بل وفي حياة الاسرة كلها ولكن لا ينبغي ان يطغى على كل الجوانب الاخرى ذلك لأن الوضع المثالي من الناحية السيكولوجية هو خلق الشخصية المتكاملة ، ولذلك فلا بد من تربية ضمير الطفل والاهتمام بجسمه ورياضته وروحه الاجتماعية ، وقدراته ، ومهاراته الحركية والذهنية ، وإشباع هواياته ، وتعويده الاعتماد على نفسه والثقة فيها والثقة في المجتمع والتعاون والأخذ والعطاء واحترام القانون والطاعة والنظام وتحمل المسئولية وتقدير الصالح العام على المصلحة الشخصية ، والقدرة على اقامة علاقات ايجابية وصداقات مع اقرانه وممارسة الرياضيات وتنمية قدراته على اكتساب العلم والمعرفة والاهتمام باوضاع المجتمع المحلي .
ان حياة الطفل او شخصيته لا تتكون فقط من الجانب العقلي وانما هناك الجوانب النفسية والاجتماعية والخلقية والجسدية والروحية ، ولا بد من العناية بها عناية متناسقة .
ولعل القارىء يتساءل في هذا الصدد هل أستخدم الضرب أو العقاب البدني في تربية الطفل أم لا ..؟
هناك كثير من الدراسات والجدل في هذا الصدد ولقد وجد ان الطفل يتعلم اذا نال الثواب او الجزاء الطيب او المكافأة والتشجيع او التعزيز والتدعيم لما يبذله من جهود ، وانه امكن اقلاع الاطفال عن بعض العادات السيئة كالاهمال او الكذب عن طريق العقاب ايضا ولكن مع ذلك يفضل ان نعتمد في تربية اطفالنا وتكوين عاداتهم الايجابية على تقديم المديح والثناء والجزاء الطيب والمكافأة المادية او المعنوية لان العقاب يؤدي الى ان يكره الطفل المادة او المدرسة او المدرس والاخطر من هذا ان يتعود عليه ويتبلد احساسه ويصبح الضرب عديم الجدوى معه ، ولا يؤثر فيه بل الادهى من ذلك انه قد يتعود عليه الى الحد الذي يجعله يسعى بطريقة

شعورية او لا شعورية لكي يناله ..فاذا استخدمنا العقاب وتبلد احساس الطفل وتعود عليه فماذا نفعل ؟ سنكون في موقف صعب ولذلك ينبغي الاعتماد على الحب والعطف والحنان والدفء وتشجيع الطفل وحثه على الاستذكار والعادات الايجابية الاخرى واستحسان اعماله الطيبة وتهيئة الجو الملائم للاستذكار امامه بتوفير الاضاءة والتهوية والجلسة المناسبة والهدوء اللازم وابعاد العوامل التي تشتت انتباهه . ومن الاخطاء الشائعة معايرة الطفل وتعنيفه وزجره ومقارنته بغيره من الأطفال .. ان كل طفل عالم في حد ذاته له قدراته واستعداداته وميوله وحدوده ، وليس جميع اطفالنا نسخة واحدة ولذلك من الخطأ بمكان معايرة الطفل ومقارنته باخوته او اخواته انما نقارنه بنفسه ونحكم عليه في ضوء مدى استخدامه لقدراته هو او هدرها وتبديد وقته . ان مقارنة الاطفال بعضهم بعضا تجعلهم يشعرون بالغيرة ويفقدون الشعور بالثقة في النفس . ان اطفالنا هم اغلى ما نملك في هذا الوجود ، ولذا وجب ان نبذل كل جهد في سبيل اسعادهم ومن ذلك ضرورة توفير مكتبات للاطفال بل وللآباء والامهات ونشر الوعي النفسي والتربوي بين الآباء والمعلمات انفسهم ، وتوفير دور الحضانة التي تستقبل الطفل وتوفير الحدائق والملاعب واللعب والمستشفيات والعيادات والملابس الخاصة بالاطفال . على اننا نطالب ان تدعم ملابس الاطفال وأغذيتهم كما هو الحال في معظم بلاد العالم الراقي . ان سعادة الطفل تنعكس على كل الاسرة ومن ثم فهي جديرة بكل عناية واهتمام .

وفي ضوء هذا ينشأ الطفل المسلم ، ويكون للدين دور هام في تربيته ونشأته ، فللآثار النفسية لحياة التدين في شخصية الفرد والجماعة في هذه الدنيا دور بارز الى جانب قيمتها الأكيدة في الحياة الاخرة .

واذا كان للدين ، اي دين ، قيمة في الحياة الدنيوية فان لديننا الاسلامي قيمة اعظم عن كافة الاديان باعتباره دين دنيا وآخرة . فالدين الاسلامي الحنيف ينظم حياة الفرد والجماعة تنظيما قائما على اساس من العدل والحكمة والتعاون والاخاء والتكافل .

واذا ما تأملنا في الآثار التي يتركها الدين الاسلامي سواء في جوانبه العقائدية او السلوكية ، لوجدنا ان له اعمق الاثر على نفسية الفرد وحياته العقلية والروحية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية . فلقد دلت الدراسات النفسية الحديثة أن حياة التدين تساعد المؤمن على التمتع بالصحة العقلية والسلامة النفسية ، وتحميه من الاصابة بالأمراض النفسية والعقلية الى الحد الذي جعل بعض العلماء من أمثال عالم النفس « كارل يونج »

يستخدم الدين منهجا في علاج مرضاه ، وذلك باعادتهم الى حظيرة الدين ومظلته الظليلة والى فكرة الايمان .
فالانسان المؤمن يشعر دائما بأن هناك سندا قويا ورحيما يقف بجانبه ، يرعاه ويشد أزره في الشدائد ، ففكرة القضاء والقدر تجعله يتحمل في صبر ما قد يعن له من أزمات ، ويتغلب عليها دون ان تنال منه بقدر ما تنال من الشخص الملحد فاقد الايمان . لذلك فان فكرة الثواب والعقاب وفكرة الجنة والنار ، تدفعه الى أن يسلك راضيا وطائعا مختارا السلوك القويم ، وينبذ سلوك الشر والخطيئة ، وتجعله يؤمن أنه سيلقى جزاءه الحسن في الحياة الآخرة . ومن شأن فكرة الخلق والبعث ان تجعل للحياة الحاضرة قيمة ومعنى ومغزى في نفس المؤمن . وبدون هذه الافكار فان الحياة تضحي مجرد عماء مادي صرفا لا هدف لها ولا قيمة من ورائها ومن ثم يشعر الفرد بالضياع في وسط محيط من الفوضى والاضطراب .
والواقع ان الدين الاسلامي مدرسة روحانية وسلوكية وخلقية واجتماعية شاملة تصقل شخصية المؤمن وتهذبها وتنمي فيها دوافع الخير والعفة والفضيلة والرحمة والتعاون ، وتغرس فيه مبادىء خلقية قويمة كالاخاء والاخذ والعطاء والتعاون : « حب لاخيك ما تحبه لنفسك » ومن شأن الايمان الديني ان يجعل صاحبه يتحلى بالتواضع والشعور بالمساواة : « لا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى » لذلك يلعب الدين دورا اساسيا في شعور الفرد بالاطمئنان والرضا والقناعة والزهد في الملذات والشهوات وفي مطالب الحياة المادية ومغرياتها .
ويساعد الدين صاحبه على الشعور بالامن والامان النفسي ، الذي يقف سدا منيعا ضد الاصابة بالامراض النفسية التي يساعد على انتشارها في عصرنا الحاضر نزعات المادية والنفعية والفردية والانانية والوصولية والطمع ، وتؤدي العبادات بمن يؤديها الى ان يشعر بالحب تجاه اخوته بني الانسان والى ان يمد لهم يد العون .
والمعروف ان الانسان اذا استطاع ان يسعد غيره من الناس فانه يشعر هو بدوره - عن هذا الطريق - بالسعادة . وتؤدي حياة التدين الى الشعور بالصفاء والنقاء والطهارة والهدوء والراحة .
فالصيام يعود الصائم على الطاعة .. طاعة الله تعالى ويعوده على الصبر والجلد وينمي فيه قوة التحمل والصلابة وقوة الارادة .
وهو في جوهره تطويع للقوى الشهوانية في الانسان للقوى الروحانية السامية فيه ، بحيث يكون لها السيطرة والغلبة ، كذلك فان الصيام يجعل الصائم يحس بما يحس به الفقير او المحروم من الجوع والحرمان ، فيعطف عليه

ويعطيه مما ملكت يداه مما يؤدي الى شعورهما معا بالسعادة والرضا ، كذلك فان الصلاة والوضوء يساعدان على شعور المؤمن بالنظافة والطهارة ، ان لم تكن رأس العبادة الصلاة لكانت من العادات المحبوبة : طهارة اجسام ورياضة ابدان . وهي فوق كل ذلك عبارة عن مناجاة روحية بين الرب والعبد واتصال روحي بين الخالق والمخلوق . وعن طريق الصلاة تنمو مشاعر الخشوع والتقوى والورع . وفي سجود الكبير مع الصغير ازكاء للشعور بالمساواة والتواضع ونبذ التعالي والمكابرة ، فالجميع سواسية لا فرق بين غني وفقير وهي فرصة لجمع الشمل وتوحيد الصف . وهي بحق تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وفي ذلك تقويم واصلاح لسلوك الفرد ، والسلوك القويم علامة من علامات الصحة النفسية وعن طريق هذا الاتصال الروحاني بين العبد وربه ، يشعر المخلوق بالسعادة والرضا ، اللذين ينعكسان على صحته النفسية والعقلية والوجدانية ، وتنمو مشاعر المشاركة الوجدانية عن طريق هذا النشاط الجماعي الديني ولا سيما في صلوات الجماعة ، والتدين يعد غذاء صافيا للروح . والانسان المؤمن تختفي عنده مشاعر الخوف والهلع لانه لا يخشى الا الله تعالى ومن يخاف من الله لا يخاف من العبد ولذلك يتسم سلوكه بالشجاعة الأدبية والاقدام والشجاعة من علامات الصحة العقلية : فالايمان سلاح المؤمن في معركة الحياة . وتؤدي الزكاة الى تماسك المجتمع وتكافله وشعور افراده بالتعاون وبالانتماء الى جماعة بشرية واحدة ، حيث يساعد القوي الضعيف ويعطف فيه الغني على الفقير ويسد حاجته ، واشباع الحاجات المادية او النفسية من العوامل المؤدية الى التمتع بالصحة النفسية ، واعطاء الغني للفقير يزيل مشاعر الحقد في نفس الفقير . كذلك فان من يخرج الزكاة يشعر بالرضا والسعادة والغبطة نتيجة لاسعاده غيره وللوفاء بتكليف من التكاليف الدينية التي فرضها الله تعالى علينا . وفيها اذكاء لروح الطاعة والمثول لأوامر الله تعالى ، ذلك لأن العقوق والعصيان ، من بشائر المرض النفسي .. والانسان الممتثل للاوامر الشرعية انما هو انسان سوي ، واذا وجهت الزكاة للاقارب من الفقراء فان ذلك معناه توطيد لصلات الرحم ، وفي فريضة الحج تحقيق لمبدأ المشاركة الوجدانية بين طوائف المسلمين في شتى مشارق الارض ومغاربها . وفيه اذكاء للروح الجماعي الاسلامي بدلا من الروح الفردي ، وهنا تنمو مشاعر انتماء المسلم الى جماعة الاسلام الكبرى ، مما يساعد على زيادة الوحدة الاسلامية التي هي

ولا فخر اقوى الوحدات ، سواء كانت وحدات جغرافية ام سياسية ام قومية . وتساعد فريضة الحج على شعور الفرد بالتوبة والغفران وزوال ذنوبه ، فيبدأ حياته من جديد على أسس من الأخلاق والتراحم والسلوك القويم والطهارة ، هذا ولقد دلت الدراسات الميدانية التي أجريت في معظم بلاد العالم ومنها عالمنا العربي على وجود ارتباط قوي جدا بين الايمان الديني والسلوك الديني من ناحية ، والتحلي بالقيم الخلقية . ومن ذلك ما لمسته من دراساتي عن الشباب العربي من وجود ارتباط قوي جدا بين بعض القيم الخلقية كالصدق والامانة وقوة الضمير والشعور بالذنب والوفاء والولاء والمسالمة والتعاون والاخذ والعطاء وحب الناس والعطف عليهم .. بين كل هذه القيم والايمان بالقيم الدينية وممارسة الانشطة الدينية كالصوم والصلاة والزكاة والحج . كذلك دلت الدراسات على وجود ارتباط قوي بين المعرفة الدينية كمعرفة مبادىء الدين الاسلامي مثلا والشخصيات الدينية وبعض الآيات القرآنية والسلوك الخلقي . ومعنى ذلك ان الدين له اكبر الاثر في النمو الخلقي والتمسك بمبادىء الفضيلة والعفة والصدق والامانة والولاء والوفاء والاخلاص والطاعة واحترام الصغير للكبير والايثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة واحترام القانون والنظام ونبذ عادات سلبية كالسرقة والكذب والرياء والنفاق والغيبة والنميمة والعدوان والتسلط والغطرسة والتعالي والدسائس والوقيعة والمكر والدهاء والأنانية والفردية والطمع والجشع .. وكلها من السمات التي ترتبط بالمرض النفسي اكثر من ارتباطها بالصحة النفسية .

فالدين عاصم من الزلل وعاصم من الاصابة بالامراض النفسية

وهناك بعض الامراض النفسية التي تعد انحرافا خلقيا بحتا ، ومن ذلك ما يعرف باسم انحراف السيكوباتية وتعني العته الخلقي او الجنون الخلقي او فقدان الاحساس الخلقي . وينشأ هذا الاضطراب من عدم نمو ضمير الطفل نتيجة لانعدام التوجيه الابوي في مرحلة الصغر ، ذلك لان ضمير الطفل يتكون نتيجة لما يلقاه الطفل من اوامر ونواه من الوالدين ، فيعرف الحرام والحلال والصواب والخطأ وبمرور الوقت يمتص الطفل قيم الآباء ومعاييرهم وتصبح قيمه هو ومعاييره هو . وتضحي جزءا لا يتجزأ من كيانه الذاتي ومن ثم يعزف عن ارتكاب الخطأ حتى في غياب الوالدين ، او من يمثل السلطة الخارجية ويصبح ضميره هو القوي الداخلية الرادعة التي تعاقبه على كل ما يرتكبه من اخطاء ، بل التي تمنعه وتجعله يقاوم اغراء السرقة او

المعصية ، ولكن في حالة ضعف تكوين هذا الضمير يصاب المريض بالسيكوباتية ، فلا يشعر بالذنب ولا يلوم نفسه ، ويصبح مغرما بارتكاب المعاصي والجرائم ، وتتملكه مشاعر ودوافع الانانية والحقد والحسد والعدوان الخفي والعلني ، ويصبح الناس عنده مجرد أدوات او وسائل مادية لا شعور لها .. يمتص رحيقها ويستغلها ثم يلقي بها في سلة المهملات .. ويمتاز هؤلاء المرضى بعدم الاستفادة من التجارب والخبرات السابقة بل إن العقاب نفسه لا يؤثر في سلوكهم وتكثر حالات السيكوباتية هذه بين محترفي الاجرام ومرتكبي جرائم التزوير والتزييف والاختلاس والنصب والاحتيال والخداع والغش ومن الواضح ان السيكوباتية لا تؤثر على ذكاء المصاب فيظل ذكيا ، ولكنه يستغل ذكاءه في الشر وفي اشباع دوافعه الأنانية والفردية والحقد والحسد والغيرة والعدوان . والاخطر من كل ذلك أن السيكوباتي لا يصلح معه العلاج .. وتظهر اهمية الدافع الديني منذ نعومة اظافر الطفل في حمايته من الاصابة بهذا المرض الخلقي الخطير ، ذلك لان الدين يقدم للطفل المثل الاعلى والقدوة الحسنة التي يقتدي بها ويقدم له نظاما كاملا من القيم والمبادىء وانماط السلوك ومعاييره التي تعمل بمثابة المنار الذي يرشده نحو السلوك السوي السليم خلقيا وصحيا من وجهة نظر الصحة النفسية البحتة . فالسلامة الخلقية مدعاة الى الصحة العقلية وكلاهما يرجعان الى التراث الاسلامي الحنيف . **وعلى ذلك فالدين عامل من اقوى العوامل في الحفاظ على الصحة العقلية وسواء من حيث الوقاية او العلاج** . ولذلك وجب توفير أقصى درجات العناية بالتربية الدينية ونشر الوعي الديني القائم على اساس الفهم الصحيح ، للدين البعيد عن الفتور والاهمال والبعيد ايضا عن التزمت والتعصب الديني .. انما التعاليم الدينية السمحة التي يتعلم المسلم من خلالها رحابة الصدر وحب افراد البشر بل والتي يتعلم فيها حب نفسه والرضا عنها ذلك لان الغالبية الساحقة من علماء النفس قد استقر رأيها على ان حب الفرد لنفسه هو اساس حبه للاخرين ولا يوجد فرد يكره نفسه ويحب الاخرين والسلوك القويم مظهر من مظاهر التمتع بالدين والتمتع بالصحة العقلية والنفسية على حد سواء .

إننا نعيش في عصر مادي حيث يكثر فيه التنافس والتكالب وما احوجنا الى العودة الى واحة الدين برحابة صدره الفسيح لتجد ذواتنا الغذاء الروحي المشبع .. ولنجد فيه الشفاء والدواء الناجع والعاصم من الزلل .



للاستاذ / احمد حامد احمد

القوة الكامنة في الاسلام ، ليست قوة عادية وليست الا شيئا خفيا يحسه القلب فيؤخذ بهذه القوة ويصبح شيئا غير عادي في حياة المسلم المؤمن ايمانا حقيقيا ، وهذه القوة الخفية غير العادية ، تكمن في الايمان الكامل بكل تعاليم الاسلام ، وكتابه الكريم ، وما يحويه من شريعة لو طبقت بحذافيرها ، لأصبح المجتمع الاسلامي ، بحق ، مجتمع التكافل الاجتماعي الكامل ، بلا منازع .

ولا شيء اقوى من ان تطبق الشريعة الاسلامية ، ليكون لدينا الانسان المسلم الذي يعمل بهذه الشريعة ، فيعيش حياته آمنا على يومه وغده فيكون قدوة صالحة لغيره من المسلمين ، وغير المسلمين .

والدولة الاسلامية ، التي تطبق شريعة كتاب الله ، وتعاليم الاسلام ، هي المملكة العربية السعودية ، فالكل سواء امام شريعة الله ، ابتداء من الحاكم الذي يسيطر بقوته المعنوية على الدولة ، الى اصغر فرد في المملكة . الكل امام الله سواء .

ولهذا نجد ان الحياة الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية تسير هادئة ، خالية من العناصر الشاذة التي قد تؤرق حياة المستقرين هناك .

والذي يرتكب جريمة ، اي جريمة ، حسابه امام الشريعة الاسلامية ، لا مهرب منه ، فابن الملك ، او الملك

نفسه ، كابن العامل او العامل نفسه ، امام شريعة الله ، وقد شاهدت في ساحة القضاء بالرياض ، عاصمة المملكة العربية السعودية ، عدة احكام ، على مشهد ومرآى من جماهير الناس المحتشدة لترى ، كيف تطبق شريعة الاسلام ، ليكون في ذلك عبرة للرائى والسامع ، وليقل كل واحد لغيره ، ماذا رأى وشاهد وسمع .
وتمنيت ان تطبق شريعة الله في كافة انحاء العالم الاسلامي ، حتى يطمئن الجميع على حياتهم وأرزاقهم .
فالناس بالمملكة العربية السعودية ، ليسوا بحاجة لمن يحفظ لهم تجارتهم ومنازلهم وحياتهم ، رغم وجود كل الأجهزة العصرية التي تعمل على ذلك .
لكن شريعة الله ، هي السائدة هناك ، وادعوك عزيزي القارىء لتشاهد المحلات مفتوحة بما فيها من اشياء ثمينة ولا احد يحرسها ، طيلة وجود اصحابها للصلاة بالمسجد .
اليست هذه ظاهرة صحية ، جاءت نتيجة ايجابية لتطبيق الشريعة الاسلامية .
والتساؤل الذي يجرفنا هو ، متى تطبق الشريعة الاسلامية في مختلف الدول الاسلامية والعالم الاسلامي ؟
معذرة عزيزي القارىء ، فقد يأخذني الحديث عن شريعة الله وانا اقدم لك شخصية جديدة دخلت دين الشريعة الاسلامية .
والسبب في ذلك هو الشريعة الاسلامية .
فلنأخذ من هذه الشخصية القيمة الحقيقية التي اخذته الى الاسلام ، بقوة العقل والقلب .
هو الصحفي الالماني جلبرت شانديس ، يقول كنت في زيارة للمملكة العربية السعودية ورحت اتجول في انحاء المملكة ، وفي الأماكن المسموح فيها بالتجول لغير المسلمين ، وكان يوم جمعة ، هو الاجازة بالمملكة حيث يصلي الجميع في المساجد جماعات .
وقال لي مرافقي ، اتحب ان ترى كيف تطبق المملكة العربية السعودية شريعة الله ؟
ووافقته ، فأخذني الى ساحة القضاء حيث المسجد الجامع .
ووقفت مع مرافقي انتظر خروج جماعات المصلين ، الذين سيقفون لرؤية تنفيذ حكم بالاعدام في ساحة القضاء .
واخرجت كامرتي استعدادا لتصوير هذا المشهد الذي لم اره في حياتي لا ضربا بالرصاص او صعقا بكرسي الكهرباء او شنقا ، او ضربا حتى الموت ، او ذبحا بسيف او سكين .
وقال مرافقي ، ان تصوير هذا الذي سيحدث من المخالفات التي يحاسبك عنها قانون البلاد .
واقنعت مرافقي ان العمل الصحفي لا يمكن ان يكون هكذا بالكلمة ، ويجب على الناس في بلدي من قراء مجلتي المصورة ، ان يعرفوا الشريعة الاسلامية ، وحاولت اقناعه لأصور ما سيحدث ، لكنه لم يوافق على ذلك ابدا .
ويقول الصحفي الالماني :
بعد قليل خرجت الجموع ، واحتشد

الميدان بجموع غفيرة أتت من مساجد اخرى لتشاهد في ساحة القضاء ، حكم الاعدام بالسيف ، الذي سيقع على رقبة احد المذنبين .
وبعد قليل ، شاهدت المذنب يسير بخطى ذليلة ، وكلمات لم اعرفها من رجل بجواره قالها له ، وبعد لحظات ، هوى الرجل بسيفه على عنق المذنب ، فانفصلت رأسه عن جسده في ثوان او اقل .
ولم استطـع ان اخفي ارتبـاكي وانزعاجي بهذا المنظر الذي قلت فيه « انه بشاعة وامتهان للانسان » .
وحزنت انني لم اصور هذا الذي حدث .
وناهيك عن الواقفين يشاهدون هذا الحكم الذي تم امامهم وفي بساطة ، لم ار في عيون او في وجوه احد الواقفين اية علامة من علامات الضيق ، او التأثر .
وسألت مرافقي عن عـدم اكتراث الواقفين بما حدث فكانت اجاباته هو الآخر ، ولم نتأثر بانسان لم يحترم كلمة الله وشريعته ؟!.
ويقـول الصحفي الالماني جلبـرت شانديس :
لم تقنعني اية اجابات على الاطلاق ، لا من مرافقي ، ولا من اي انسان اخر ذكرت امامه ما شاهدت في ساحة القضاء بالرياض .
وكان كل همي ، ان انقل لقارئي ، مشـاعري ليس بـالكلمة فقط بـل وبالصورة ايضا .

لـذا .. طلبت البقاء مـدة اخـرى بالرياض ، حتى اذهب وحدي لأشاهد هـذه المحاكمـة العلنيـة ، وانقلهـا بالصورة لقارئي ، حتى يتعرف على شيء لم يسمع به من قبل .
وبـالفعل ، بقيت مـدة قمت فيهـا بتصوير اكثر من محاكمة في ساحة الرياض القضائية .
وسافرت ، وكتبت ، ونشرت بالصورة الملونة ، على صفحات مجلتي استنكر فيهـا كل مـا شاهـدت من هـذه المحاكمات .
وجاءتني رسائل كثيرة تستنكر هذا الذي كتبت وشاهـدت وصورت في السعودية .
ونشـرت ذلك ايضـا ، واعتبـرتـه استنكارا لما يحدث على ارض المملكة العربية السعودية . وذات يوم جاءني شاب في مقتبل العمر ، كان قد سأل عني بالتليفون كثيرا ، ولم اعرف انه عربي مسلم ، الا بعد ان التقيت به ، وطلب مني ان انشر لـه ردا على استنكاري لما رأيت من تنفيذ لشريعة الله بالمملكة العربية السعودية .
واخذت منه مقاله الذي كتبه ، واذا به يدفع لي بعدد من الصور ، التي يظهر فيها حكم الاعدام ، صعقا بالكرسي الكهربائي ، وضربا بـالرصـاص ، وشنقا .
ووجدتني امام حجج وامام مدافع عن الذي استنكرت .
وقال لي ان هذه الطـرق ابتدعهـا الانسان ، ليحافظ بها على مجتمعه من الخارجين عن القانون .
وراح الشاب العربي المسلم ، وكان مصريا يشرح لي ان الذي استنكرته ،

يتمني المسلمون في شتى انحاء العالم ان يطبقوه في بلادهم ، وهذا هو الاسلام ، وهذه هي شريعته .

ورحنا نتناقش سويا ، ونشرت له كل كلمة كتبها ، علاوة على الصور التي جاء ليستكمل بها مقاله ، الذي دافع فيه بقوة الحجة ، عن تطبيق الشريعة الاسلامية في المملكة العربية السعودية .

وكان هذا الشاب يعمل طبيبا في احد مستشفيات برلين ، وبالطبع لاقى مقاله القوي الحجة ، استحسانا كبيرا من قراء المجلة ، وطالبوه ان يكتب لهم عن الاسلام وشريعته حتى يعرفوه اكثر واكثر .

واتصلت به انقل له رغبة قراء المجلة ، لكنه ببساطة شديدة ، طلب مني ان اتصل بالمسؤولين عن المركز الاسلامي في برلين ، ليقوموا هم بالتقديم عن الاسلام بالمجلة .

وبالفعل ، تم الاتصال بالمسؤولين عن المركز الاسلامي واصبح بالمجلة ثلاث صفحات اسبوعية ، عن الدين الاسلامي .

ووجدتني اقرأ وأقرأ ، واتعرف على الدين الاسلامي ، واحسست بقوته الخفية تسري في جسدي ، وتعلقت روحي به ، وتمنيت ان تكون الشريعة الاسلامية ، هي الحكم العدل ، في شتى انحاء العالم ، حتى لا يكون هناك قهر للذين لا يقدرون ، وحتى لا تكون هناك غلبة للذين يقدرون .

ويقول الصحفي الالماني :

وترددت على المركز الاسلامي في برلين ، حتى اقتنعت بالاسلام دينا ، وبشريعته حكما عادلا ، واعلنت اسلامي ، وكتبت مقالا اعلن فيه اسلامي ، في مجلتي ، وانهالت خطابات القراء الراغبين في تطبيق الشريعة الاسلامية ،والراغبين في اعلان اسلامهم ، وتولى المركز الاسلامي عملية كبيرة في دخول العديد من قراء المجلة الدين الاسلامي .

واصبح اسمي بعد ذلك سالم محمد سالم ، وقد اخترت هذا الاسم ، لانه لصديقي الذي دافع بكل قوة عن شريعة الاسلام ،؛ التي اتمنى ان تسود العالم ، ذات يوم قريب ان شاء الله واسلم على يدي صديقتي التي اصبحت زوجتي بعد ذلك ، وزرت السعودية بعد ذلك لاداء فريضة الحج ، مقتنعا تماما بشريعة الله .

وبعد ..ليت منظمة العفو الدولية التي تحاول ان تطمس المعلم الرئيسي للاسلام وهو الشريعة الاسلامية ، بتحريض الاطباء في العالم الاسلامي ، ضد هذه الشريعة تدرك ، اهمية الشريعة ، وما تؤديه للانسانية من خير ، وتكف عن هذا التعصب الاعمى الذي لا يقوم على حجة ولا يسنده برهان ولا تدع نفسها لهذا التحريض السافر الذي يستنكره المسلمون في شتى انحاء العالم إننا ندعو كل المثقفين في العالم الى دراسة الشريعة الاسلامية والتعرف على حقيقتها بنزاهة وبراءة ، وبعد عن العصبية ، انهم ان فعلوا ذلك اسعدوا انفسهم وسعدت بهم الانسانية .



صانع السيوف

للدكتور : عبدالحي الفرماوي

قال الأميركي لرفيقه العربي وهما يجلسان في شرفة السكن الجامعي عصر يوم من ايام الربيع :
اتدري يا اخي ما سبب إسلامي ؟

اجاب الزميل العربي : لا ، وأحب ان اعرف هذا السبب .

قال الاميركي : أتعرف صحابيا يسمى « خباب بن الأرت » ؟

قال العربي : نعم اعرفه جيدا . ثم اضاف قائلا : هو اول من اظهر اسلامه بمكة ، في وقت كان ذلك مخاطرة ولذلك : عذب عذابا شديدا ، كما كان سادس ستة يعتنقون الاسلام ، ما على وجه الارض غيرهم ، وشهد بدرا ، وما بعدها ونزل الكوفة وبها مات سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، قال علي بن ابي طالب لما مر بقبره « رحم الله خبابا ، اسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهدا ، وابتلى في جسمه احوالا ، ولن يضيع الله اجره » .

وقال الاميركي : وكان ماهرا في صناعة السيوف منذ الجاهلية

قال العربي : لكن ما علاقة هذا بسبب اسلامك يا اخي ؟

فقال الامريكي : قصة صغيرة ، وقعت بيدى ، وأنا على دين

أهـلي ، قرأتهـا ، فكانت سبب اسلامي .
قال العربي : أكانت عن خباب ابن الأرت ؟
فقال الاميركي : نعم ، عن خباب وعن بعض ما صادفه فترة إيذاء الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، حينما كانوا بمكة مستضعفين .
قال العربي : وما هي هذه القصة يا اخي .؟

واخرج الاميركي بعض وريقات من جيبه ، وهو يقـول : إني اسميها : صانع السيوف ومنذ اسلمت وانا احتفظ بها معي .
ثم صار يتلو وزميله يرنو اليه وينصت بكل اهتمام .

يا خباب : انت كثير الطلب »
واتسعت حدقتا خباب ، وهو يسمع هذا الكلام من العاص بن وائل ، ثم ضبط اعصابه وقال : وانت كثير المماطلة !!
واضاف قائلا : الست قد صنعت لك ما طلبت ؟
قال العاص بن وائل :
« بلى »
قال خباب : لم إذن لم تعطني اجر ما صنعت لك ؟
وهنا أحس العاص بوقع اقدام تقترب من البيت فتغيرت لهجته في الحديث مع خباب وقال له :
« أمهلني مـرة أخيـرة لمـدة اسبوع ، أؤدي لك بعدها حقك »

وقبل أن يجيب خباب : دخل صديق للعاص ، وهـو يقول : « عم صباحا يا ابن وائل » .
وقبل أن يجيب العاص تحية صديقه ، قال خباب للعاص : وهو يشير بسبابته « أسبوع فقط ! »
ثم اتجـه صوب بـاب البيت وخرج ، تشيعه نظرات العاص وصديقه ، الذي لم يبال بعدم رد العاص ، قدر انشغاله بمعرفة سبب وجود خباب عند العاص ، حيث قال :
« ماذا كان يفعل صانع السيوف هنا ، هذا الصابىء عن ديننا ودين آبائنا ؟ »

قـال العـاص : إنـه يطـالبني ببعض حقـوق له عنـدي من صناعة السيوف ، وأنا أراوغه واماطله ، تعذيبا له ، ونكاية بصاحبه محمد .
قال الصديق : لو كنت مكانك ما اعطيت هـذا الصابىء شيئـا أبدا ، ولو كرر المطالبة لألقيته خارج البيت ، وأنكرت حقوقه لـدي ، وما وجـد نصيرا لـه ولا معينا وليذهب ساعتها الى صاحبه الذي سفه أحـلامنا ، وبـدل ديننا ، ولن يستطيـع صاحبه أن يفعـل له شيئـا ، وبذلك يكف عن المطالبة .

ومـرت عجلـة الايـام بـدورة الاسبـوع ، وحضر خباب الى

العاص الذي امتقع لونه ساعة رؤيته لخباب ، ودخل عليه وذكره باتفاقه السابق ، ومهلته التي انتهت .
فقال العاص : ما عندي اليوم يا خباب ما أسدد به لك .
فقال خباب : ولست اليوم يا ابن وائل بمفارقك حتى آخذ حقي .
قال العاص : في دهاء ، ومكر ، وتحايل ، وضعف المدين يكسر حدة غروره ، والابتسامة الباهتة تتهرأ بين شفتيه ، « ما لك يا خباب ؟ ما كنت هكذا قبلا !! بل كنت حسن الطلب ، رفيقا به » !!
فقال خباب : في صراحة ، ووضوح ، وقوة موقف الدائن تزين تواضعه وأمارات الجد تكتسي بها طلعته ، وقوة الايمان تلقنه ما يقوله « ذاك اني كنت على دينك ، فاما اليوم فانا على الاسلام مفارق لدينك »

قال العاص : اسمع يا خباب ، اني على استعداد لان ادفع لك حقك بشرط واحد .
قال خباب : وما هو هذا الشرط الواحد ؟
قال العاص : ان تكفر بمحمد .
قال خباب : وقد امتزجت ملامحه بمشاعر متباينة ، يستشف الرائي لها ، مصارعة في كظم الغيظ ، وضبط الانفعالات « لا والله لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث »

قال العاص : في تهكم واضح « أو أني سوف ابعث ؟ »
قال خباب : نعم سوف تبعث .
قال العاص : وامارات التهكم تزداد وضوحا « اذا قد خطرت لي يا خباب فكرة جيدة سوف تجعلنا نصل الى حل وجيه »

قال خباب : وهو يجاريه ويجاهد صبرا فوق الطاقة « وما هي هذه الفكرة ؟ »
قال العاص : وهو يفتعل الجد « اليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي انت على دينه ان في الجنة ما ابتغى أهلها : من ذهب ، او فضة ، او ثياب ، او خدم » ..؟؟
قال خباب : بكل ثقة وفخار .. بلى يا ابن وائل ...!!
قال العاص : « إذا فانظرني الى يوم القيامة يا خباب ، حتى ارجع الى تلك الدار وسيكون لي بها مال وولد ، فاقضيك هناك حقك ، فوالله لا تكون انت واصحابك يا خباب آثر وأفضل عند الله مني ، ولا اعظم حظا في ذلك » .

وهنا انفجر بركان الغيظ من خباب ، وانطلقت سهام الكلمات من فمه ، وقال دون تمهل او روية :
« اخرس يا عدو الله ، خسئت وخسرت ، إن مكانك جهنم ، بها مثواك ، وإليها مصيرك ، هلم

اعطني حقي الذي عندك »
قال العاص : انت تعرف شرطي لأخذ حقك .
قال خباب : تبا لك ، ولشرطك ، ولمالك .

ولما كان يعلم خباب انه من المستضعفين ، وان قوى الشر تنشب مخالبها للفتك بأمثاله ، الذين يزلزلون دعائم الكفر ، ويقوضون اركانه ، فقد فوض امره الى الله ، وانصرف يؤلمه تهكم العاص بن وائل اكثر مما يشغله عدم أخذه حقه منه ، ويحزنه ما هو عليه والمسلمون من استضعاف في هذه الفترة ، أكثر مما اصابه من إيذاء ومراوغة .
وذهب من فوره الى من يجد عنده الراحة في هذا العالم المجهد المكدود ، ويجد عنده السكينة في هذا العالم اللاهث من العدو في سباق الشرور والآثام ، الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال له الحبيب عليه الصلاة والسلام حال دخوله :
ماذا بك يا خباب ؟

فقص عليه القصص .

قال عليه الصلاة والسلام .
لا تألم يا خباب .
فقد نزل في شأنه الآن قرآن يتلى ، يرد عليه كذبه ، ويهتك تهكمه ، ويدحض قولته ويثبت وحدته في بعثته ، وطول عذابه يوم القيامة في رقدته .

قال خباب بشوق ولهفة : بماذا أنزل يا رسول الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام :
قال الله تعالى في شأن العاص بن وائل ، وبسبب مقالته لك بخصوص البعث ، وتهكمه علينا ، ومحاولات إيذائه لنا :
(افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لأوتين مالا وولدا . اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) . مريم / ٧٧ - ٨٠ .

قال خباب : صدق الله العظيم ، ولعنة الله على الظالمين ، وما يزيدنا الحق تبارك وتعالى يا رسول الله بكل ما ينزل عليك من القرآن الا يقينا فوق اليقين .
وفرح المسلمون ، وطابت نفوس المستضعفين ، حينما رأوا أن السماء تنتصر لهم من المشركين على هذا النحو الذي يجعل طاعة الله خالق الانسان والايمان به هو المعيار الوحيد ، الذي يرتفع بالتحلي به هذا وينحدر بالتخلي عنه ذلك ، دون نظر الى الجنس او اللون أو المركز الاجتماعي او ما شابه ذلك .



للاستاذ/محمد عبد الواحد حجازي

منذ بداية الانقلاب الصناعي الذي حدث في اوروبا في القرن التاسع عشر والعالم يسير بخطى واسعة ، بل وبقفزات خطرة في ميادين العلم والكشوف والاختراعات حيث اخذت في اندفاعها العنيف السريع الذي لم يتوقف ـ ولن يتوقف ـ حتى اصبح العالم اليوم وهو يعيش عصرا من الازدهار الصناعي والعلمي ، لم يسبق لأي عصر من العصور السابقة او لأية امة من امم الحضارات الشامخة ان شهدت نظيره من قبل .. وانه لعصر حقق فيه الانسان باختراعاته ما لم يكن يحلم به او يتخيله ، او تصوره له اساطير الجن وشطحات آلهة الوثنية .

لقد حقق الانسان باختراعاته وكشوفه ما زاد من رخائه ورفاهيته ، بل واطال من عمره فهو يعيش اليوم عمرا اطول ممن سبقوه ويستمتع بالدنيا ويعمرها اكثر مما عمرها واستمتع بها من سبقوه .. انها ـ اي

الكشوف العلمية والاختراعات الحديثة ـ اثارت فيه الرغبة الحادة والامل المتحرر من كل قيد في ان يشبع رغباته الى اقصى ما يستطيع ـ ولو بخع نفسه من اجلها ـ وان يتطلع الى المستقبل الى اقصى ما تثيره رغباته من شطحات وخيالات . فهل كان لكل ذلك اثره في حياة الانسان فيكون عصرا من ازدهار الامن والسلام والرخاء لشعوب العالمين التي طالما شقيت بالحروب او اشقاها زعماؤها وقادتها بالحروب ؟

لقد عاش العالم حربين عالميتين (١٩١٤ ـ ١٩٣٩) كانتا وبالا عليه وعلى ما شادته الشعوب وانشأته من حضارة لها فكرها وثقافتها واخلاقها .. ولها امانيها في اليوم والغد والحياة بأسرها .. كانتا وبالا عليه ، وان كانت الثانية اشد هولا واخطر نذيرا للبشرية ومستقبلها بسبب الاسلحة الحديثة التي بلغت رعيب تطورها في القنبلة الذرية تلك التي وضعت خاتمة الحرب العالمية الثانية وحسمت الموقف نهائيا .

واذا كانت النزعة الاستعمارية التي خلقتها وسعرت ضراوتها الكشوف الجغرافية والعلمية والانقلاب الصناعي من الاسباب الرئيسية للحربين العالميتين ، الا ان هذه النزعة في ذاتها كانت محنة العالم كله ، للمستعمرين وشعوبهم وللشعوب التي غلبها الاستعمار على امرها ورصد مقوماتها الاقتصادية وثرواتها الطبيعية لخدمة اهدافه التي كان يؤامر دائما على تنفيذها بشتى سبل التآمر وانواع التخريب .

كانت محنة للشعوب الاوربية ذاتها لأن نزعة حكوماتها الى المغامرة الاستعمارية ، وان حققت ثراء وقوة ورخاء ونهضة علمية ، الا انه بسبب التنافس الانتحاري بينها ، وجدت الشعوب وقد جند شبابها واقتصادها وكل مقوماتها الحضارية لخوض الحربين العالميتين . ولئن كانت للحكومات حجتها في دفع شعوبها الى خوض الحرب العالمية الثانية بسبب العقيدة العنصرية التي دبرها النازي واعدها لغزو العالم واخضاعه لسيطرته او دكتاتوريته الرهيبة ، الا ان ذلك لا يمنعنا من ان نقرر ان النزعة الاستعمارية التي تفشت بين الدول الاوروبية كانت سبب شقاء شعوبها بخوضها لغمار معاركها الشرسة .. وكانت سبب شقاء تلك الشعوب من جانب لا يقل عن المعارك العسكرية شراسة وخطرا .. ذلك ان التماسك الاجتماعي الذي كان يتميز به المجتمع الغربي بدأ يهتز ويترنح ومن ثم كان ان حدث تفسخ وتمزق بين عناصر البناء لما شاع فيه من تدهور وانحلال بدرجة اصبحت تهدده بالضياع .

وعلى ذلك يمكننا ان نقول انه بسبب الحرب العالمية الثانية وما جرى فيها وما انتهت اليه ان بدأت الشعوب بأجيالها تفقد الثقة في ميراثها من القيم الاخلاقية والتقاليد الاجتماعية ، وتفقد كذلك ثقتها في الدين من ناحية وسائله واهدافه .. يضاف الى ذلك محنة النظم السياسية

الاوربية العتيدة فيما كان لها من حق الهي متوارث ، كانت لـه اصداؤه وتقاليده الراسخة في البناء الاجتماعي للشعوب الاوربية فان ما اصيبت به تلك النظم من جراء الحروب التي شنتها الدول على بعضها البعض مما غير كثيرا من الخريطة السياسية لاوربا .. ومن قبل هذا بسبب الهزة العنيفة التي اصابتهـا جميعا من الثورة الفرنسية ، وتلك الهزة التي كانت لها اصداؤها العميقة في نفوس الحاكمين والمحكومين على حد سواء .. كان لذلك كله انطباعاته وآثاره في نفـوس المجتمعـات الاوربيـة عـلى اختلاف حظوظها من الثقافة والفكر والمرتبة الاجتماعية والتقاليد التي تتمسك بها وتحترمها ، آثاره من حيث موقف هذه المجتمعات من التقاليد الاجتماعية والقيم الاخـلاقية التي ارتفعت في ضميرها وسلوكها الى حد التقديس .. وكذلك من حيث نظرتها الى حاضرها الذي تقاسيه ونظرتها الى المستقبل الذي يحيرها ويخيفها في آن واحد ، وان كانت تتمنى ان يكون خيرا من ماضيها .

وفي العدوة الاخرى كان الشرق الماجد العتيد يعاني من الاستعمار اشـد ضروب القهـر والاستغـلال والاستعباد ، تلك التي مارستها الدول الغربية تظاهرها جيوشها وتمهد لها بالمؤامرات والدعاوي الملفقة .. كانت الدول الاستعماريـة تضرب بتلـك الاسلحة المتنوعـة شعوب الشـرق لتتمكن من احكـام خططـهـا في استنـزاف خيـراتهـا وثـرواتهـا واستنزاف قواها بما يوهن ارادتها ويحطم قدرتها فلا يبقى لها امل في التخلص من الأغلال التي قيدتها . ومن ثم فان الامم الشرقية التي وطئها الاستعمار الغربي كانت تعاني محنة ذات ثلاث شعب هي :

اولا : محنة احتلال ارضها .

ثانيا : محنة الوصاية على مستقبلها الحضاري .

ثالثا : محنة الفتنة الاخلاقية التي اوقعها فيها الغرب بما نقله اليها اما مباشرة او غير مباشرة من الاساليب المعاشية والازياء الفكرية والثقافية التي تخالف ثقافـة تلك الشعـوب وفكرها مخالفة اجتماعية وعقائدية . فهي من ثم بذور افساد وتضليل وانحلال وان غلفت في اردية من المنطق الذي ، ان لم يغر بالاقناع ، والاخذ بما يشير ، فلا اقل من انه يوقع المستمعين اليه والمشاهدين له في بلية الشك واساءة الظن بتراثهم الاخلاقي من حيث قيمته وجدواه .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية تفجرت الانتفاضات التحرريـة بين الشعـوب الشـرقيـة لتتخلص من السيطـرة الاستعماريـة ، وتستقل بارادتها وحـريتها في وطنهـا وعلى ارضها فتصبح مقاليده ومصـائره بيدها وحدها .. ولم يكن من السهل على تلك الشعوب الثائرة التي نجحت ثـوراتها ان تحتفظ بـاستقـلالهـا السياسي والاقتصادي خـالصا من تدخل الدول الاستعمارية ، ولكنها اصطدمت بابتلاء جديد هو ابتلاء مقاومة التآمر الاستعماري الذي اخذ

يتزيا بأزياء سياسية جديدة ويختلق من المبررات ما يمكنه من ان يعيد سيطرته او تدخله في شئـون هذا الشعب او ذاك ولو من بعيد .. فان لم يستطع فالمؤامرات كفيلة ببث بذور الفتنـة والشقاق بـين قادة الامـة وزعمائها وبين طبقات الشعب وطوائفه مما قد يمكن الاستعمار من ان يعيد الامة الى دائرة فلكه الاستعماري .

وفي خضم تلك الصراعات الدولية والعالمية من ثورات شعبية وافكار تحررية ومذاهب سياسية وعقائدية جديدة .. وما واكب ذلك من تفجر الـعلـم التطبيقـي بفيض مـن الاختراعات والانشاءات الصناعية في كافة مجالات الظواهر الحضارية ان اصبح العالم كله اليوم يعيش حربا جديدة ـ وان لم تعلن فتكون عالمية ـ هي حرب المذاهب الاجتماعية ـ او حرب الايدولوجيات ـ والجديد في هذه الحـرب انها تصطنـع من الفكـر الانساني والقيم الانسانيـة ، كما تصطنـع من التـآمـر وبث فتن الصراعات الاجتماعية بتأليب طائفة على طائفة او زعامة على زعـامة ، اسلحة استعمارية حديثة تبسط بها سيطرتها على شعب او مجموعة من الشعوب بدعوى المناصرة السياسية او المناصرة الاقتصادية ، او المحافظة على المصالح الاستراتيجية .. وخلال ذلك الصراع او تلك الصراعات لم تنس الدول الاستعمارية ان تستعين في حربها بأحدث الاسلحة واشدها فتكا من اجل مناصرة رجالها وشد أزرهم ثم تحقيق اهدافها من خلالهم عنـدما تضعهم في قمـة السلطـة المتحكمة .

وكانت النتيجة لكل تلك الصراعات ان نشبت في نفس الانسان ـ وفي البناء الاجتماعي بالضرورة ـ فتنة كبرى ، اذ فقدت المبادىء الاخلاقية سواء اكانت دينية ام اجتماعية ، وهي التي تكفل الاستقرار النفسي والفكري للافراد والجماعات ثقلها وقيمتها في الضمـير . ومن هنا فقـد اصبـح الانسان يعتقد ان من حقه ان يترك نفسه على سجيتها وحريتها ، فيطلق لنزعاته الحرية في ان تفعل ما تشاء وتشتهي ما تشاء .. ولقد وقر في نفسه انه بسلوكه هذا لا يعبر عن هوى طارىء او نزعة غريـزية جـامحة ولكنه ، وهنا موطن الخطر ، يعبر بعملـه وفكره وتفضيلـه عن ثورة اخلاقية اصيلة من حقها الذي لا يستطيع ان يماري فيه احد ، ان تثبت وجودها وان تؤكد حقها في الحياة بالوسيلة التي تجد انها اكثر تعبيرا واسـرع تحقيقا لـما تهـدف اليـه وتتوخاه .

ومما سبق يمكننا ان نلخص العلل التي كانت السبب في اضرام وتسعير الثـورة عـلى القيـم الاخـلاقيـة والاجتماعية والانسانية وزيادة عنفها على الوجه الآتي :

اولا : الازدهار الصناعي متمثلا في مخترعات الترف والمتعة التي نوعت في اساليب فنون التعبير عن نزعات الانسـان ونـزواتـه وعـن قلقـه وحيرته ... .

ثـانيـا : التخطيط الصهيـوني

الشيوعي الاستعماري (الصليبي)، لافساد الشباب جسميا ونفسيا وفكريا وعقائديا بواجهات من المذاهب التحررية جند لها كل الوسائل التعبيرية من فنون وثقافات .

ثالثا : اخفاق السياسات التربوية المعاصرة في تنشئة جيل مقتنع بالقيم الاخلاقية والانسانية والاجتماعية ومن ثم فقد اخفقت هذه القيم في مواكبة الازدهار الحضاري الحديث واخفقت بالتالي في تلبية تطلعات الشباب الثائر النافر ..

رابعا : عدم التزام الكثيرين من قادة الامم وزعمائها بتلك القيم ، ولعل الحروب المحلية التي اصبحت تشن او تتفجر في بقاع متفرقات من الارض وما يمهد لها به او ما يصحبها من دعايات المذاهب الاجتماعية والسياسية التي تزيف الحقائق على الشعوب والعالم كله .. لعلها اوضح دليل واكبر دليل على ذلك .. وبين صخب الازدهار الصناعي وما ابدعه من وسائل الترف وبواعث الفتنة .. ووسط ضجيج الحروب المتفجرة وقصفها القاتم الرعيب ..

ومن خلال الاصوات الثائرة على الخارجين على التقاليد والآداب المحمودة .. وكذلك من خلال اصوات اولئك الثائرين المحتجين على البالي العتيق من القيم الاخلاقية والتقاليد الاجتماعية ..

من خلال ذلك الرهج الثائر المختلط حتى ان المرء اصبح وهو لا يستطيع ان يميز بين الصواب والخطأ ، وبين الصحيح والمضل المبين ، تخرج دلالة واحدة او تساؤل واحد وكأن الجميع ينطق به في لحظة واحدة ، وهو : لماذا الاحتجاج على الاخذ بأسباب الحياة الحديثة وما فيها من متعة ونعيم ؟ لماذا الاحتجاج على القيم الحديثة والسلوك الحديث الذي نتمثله او يتمثل لنا من الفنون الحديثة التي هي اليوم خير تعبير عما في صدورنا من آمال واحلام والتي هي انضر تعبير واعمقه عن حريتنا وارادتنا ودوافعنا الحرة ؟!

فان قيل لهم : نحن لا نعيب عليكم اخذكم بفنون المتعة والتسلية التي تعمق الحياة في النفوس والتي تعين الانسان على الحياة .. ليس احتجاجنا على الفنون في ذاتها او عليكم في ذاتكم ولكن على ما تقدمه الفنون .. ان ما تقدمه هو في جملته حرام ، لا يخدمكم لو احسنتم النظر واصبتم في التقدير . ولا يخدم مجتمعاتكم ولا الناس اجمعين لو نظرتم نظرة اشمل واوسع ..

وربما كان جوابهم : فماذا نفعل وهذا هو ما يقدم لنا ويعرض علينا ؟ هلا خاطبتم وعاتبتم وزجرتم اولئك الذين يؤلفون ويقدمون ؟ هلا بصرتموهم بما هو حلال وما هو حرام ؟ هلا وضعتم لهم المعايير او الموازين التي يضبطون بها فنونهم ويراقبونها مراقبة ذاتية عند الابداع والانشاء ومراقبة موضوعية عند العرض والتقديم ؟ ان التثريب علينا في كل شيء ليس من الحكمة في شيء ..

وما كان المسلمون بعيدين عن هذه الفتنة بل كانت اوطانهم هي مواطن

الابتلاء والمحن التي قصدها الاستعمار بجيوشه وثقافاته ، وقصدتها الصهيونية والشيوعية بتآمرهما ومكائدهما لإيهان قوة المسلمين وإزالة وجودهم .. ولذلك فاننا نجد الأصداء التي ذكرناها متمثلة في المجتمع الاسلامي تتجاوب بها أركانه من أقصاها الى أقصاها ؛ وهي الاجتراء على القيم الاخلاقية وفقدان الثقة فيها ، والاقبال في نهم شهواني على الفنون لاسيما تلك التي تشبع فيهم نزعاتهم الفطرية وتكون بما تعرضه خير تعبير عن نفوس ثائرة وخائرة معا .

إنهم يثورون في تهجم واجتراء على المحتجين عليهم باسم الدين أو المبادىء الاخلاقية وكأنهم في احتجاجهم واجترائهم يقولون اقنعونا فنيا بما يبصرنا بالحلال والحرام .. وقدموا لنا الفنون وهي ملتزمة بمعايير الحلال والحرام .. راقبوا فنونكم قبل أن تراقبونا وزنوا أعمالكم قبل أن تزنوها علينا بشرط ألا تميتوا في أنفسنا فطرة الحياة .

ومن هنا فاننا نخطىء غاية الخطأ إذا اصطنعنا من مبادىء الاسلام أسلحة دفاعية فحسب ، ندفع بها عنه تهمة إنكاره للفنون وتعطيله أو مهاجمته لها ؛ ولكن ينبغي أن يكون عملنا إبداع وخلق فن اسلامي تتجسد فيه حيوية الاسلام من حيث محتواه ومضمونه لا ان يكون مجرد واجهة تزيينية كتلك التي تميز العمائر الاسلامية .. ولذلك فانه لأساس جوهري لابداع فن إسلامي أن يقوم العمل فيه على مراعاة مبدأين ضروريين هما :

أولا : أن الاسلام رسالة انسانية عالمية فلا بد من ثم أن تتسامى فنونه الى المستوى العالمي لاسيما وأن المحنة عالمية ؛ يقول سبحانه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران / ١١٠ .

ثانيا : أن الامة الاسلامية هي أمة الريادة العقائدية والفكرية والانسانية للبشرية كلها .. وإنها لريادة لا تعرف الجموح أو التطرف الغرائزي ولا تعرف التعالي التعصبي العقيم .. ولكنها قصد السبيل . فعلى الفنون الاسلامية إذن أن ترتفع الى مستوى الريادة المعتدلة في تصوير القيم الانسانية وتصوير أشواق الفطرة وآمال الانسان وآلامه ؛ يقول سبحانه : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** البقرة/ ١٤٣

وبناء على هذين المبدأين فانه يجب لانشاء فن اسلامي أن يكون محققا وملتزما في إبداعه بقيمتين إسلاميتين إنسانيتين وهما :

١ - تبيين أوجه الحلال وأوجه الحرام .

٢ - تحديد الموازين التي تحكم الرقابة الذاتية في حالة الابداع الفني والرقابة الموضوعية في حالة صناعة الأثر الفني وإخراجه

فهل يا ترى يسمع المشتغلون بالفنون هذا النداء ؟



بر الوالدين في الاسلام

جاءنا من الاستاذ صلاح أحمد الطنوبي كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

قال الله جل ثناؤه : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا** » آية ٣٦ النساء .

وقال الله سبحانه وتعالى : **﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾** آية ٢٣ ، ٢٤ من سورة الاسراء .

وقال الله جل جلاله : « **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** » آية ٨ - العنكبوت .

قرن الله جل ثناؤه حق الوالدين بالتوحيد في كثير من الآيات : لأن النشأة الأولى من عند الله تبارك وتعالى ، والنشأة الثانية القائمة على التربية والتوجيه والتهذيب من جهة الوالدين .. واحترام الوالدين في الاسلام أدب انساني رائع يتسم بالتربية الصادقة التي تربي النفوس وتزكي العقول وتصقل الأفئدة .. وطاعة الوالدين من أوجب الواجبات ، وأفضل القربات ، وأن عقوقهما من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب .. والبر حق لازم الا ما حرم حلالا أو أحل حراما فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فضل بر الوالدين :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب الى الله ؟ (وفي رواية : أي العمل أفضل ؟) قال : « الصلاة على وقتها » .قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم) .

وسأل ابن عمر (رضي الله عنهما) : رجلا فقال : أتفرق من النار ؟ (أي

تخافها) وتحب أن تدخل الجنة ؟ قال : إي والله . قال : أحي والدك ؟ قال : عندي أمي قال : فو الله لو ألنت لها الكلام ، وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر (رواه الطبري) .

بر الوالدين يزيد في الرزق ويطيل العمر :

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ، ولا يزيد في العمر الا البر » (رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم) .

بر الوالدين بعد موتهما :

عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله : هل بقى لي من بر والدي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم خصال أربع : الدعاء لهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، (تنفيذ وصيتهما) واكرام صديقهما (وصل أصدقاء الأب والأم) ، وصلة الرحم (كالعم والجد والخال والخالة وغيرهم من أقارب الأبوين) التي لا رحم لك الا من قبلهما » (رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان) .

دعاء الوالدين مستجاب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث دعوات مستجاب لهن لا شك فيهن ـ دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالدين على الولد » أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وحسنه و رواه ابن ماجه بلفظ «ودعوة الوالد لولده » .

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر :

عقوق الوالدين : هو الخروج على طاعتهما ، واهمال حقهما ، وفعل ما لا يرضيهما وايذاؤهما ولو بكلمة «اف » ، أو نظرة تحقير لهما ، أو تهوين لشأنهما .. وقد شدد القرآن الكريم في أمر العقوق ، فنهى عن التأفف والضجر فقال : « ولا تقل لهما أف » وتوعد من قال ذلك بقوله : **« والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين . أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين »**

وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر فعن أنس رضي الله عنه قال : ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال : « الشرك بالله وعقوق الوالدين »(رواه البخاري والترمذي)



تكرار آية .. وسبب نزول

جاء في سورة الرحمن تكرار آية « فبأي آلاء ربكما تكذبان » فما السر الالهي في ذلك ؟ وما سبب نزول آيات سورة التحريم : « يأيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك » ؟

• سعيد احمد الشيحى - ج . م . ع .

اولا : سورة « الرحمن » هي سورة كريمة تستعرض نعم الله في الكون وفي خلقه ، نعمه الظاهرة ، ونعمه الباطنة ، نعمه في الدنيا ونعمه في الآخرة ، وعقب كل نعمة من نعمه سبحانه يأتي التعقيب بقوله الكريم هاتفا بالإنس والجن « فبأي آلاء ربكما تكذبان » وهذا السؤال المقصود به التسجيل والاقرار والإشهاد بنعم الله سبحانه على الإنس والجن .. فما يملك مخلوق أن يكذب بآلاء الرحمن سبحانه ..

وهذا التكرير من اجل التقرير والتأكيد والتذكير بنعم الله له مثيله في اللغة العربية ، قال ابن قتيبة : من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والافهام ..

« كم نعمة كانت له وكم وكم » .

« هلا سألت جموع كندة يوم ولوا اين اينا »

قال ابن قتيبة : فلما عدد الله تعالى في هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه ، ونبههم على قدرته جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نعمتين ، ليفهمهم النعم ، ويقررهم بها .

وذلك مثل قولك : ألم ابوئك منزلا وكنت طريدا ؟ أفتنكر هذا ؟

الم أنفق عليك وكنت فقيرا ؟ أفتنكر هذا ؟

وهكذا يا أخ سعيد .. تمضي بنا سورة الرحمن تذكرنا بفضل الله وإحسانه في الكون وفي الخلق وفي الآخرة فعاود تلاوة السورة الكريمة وتدبر آلاء الله فيها ، حتى تأتي الى ختامها فتسبح باسم ربك ذي الجلال والإكرام .

ثم قل معنا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد .

ثانيا : أنت تعلم ان الدين الاسلامي

جاء ليكون آخر دين الى البشرية قد ارتضاه الله لعباده دينا الى يوم الدين .. ولذا جاء شاملا لكل جوانب الحياة معترفا بواقعها .. اخذا بيد البشرية الى المستوى اللائق الكريم ، ومرتفعا بها الى السمو والأفق الأعلى وخير مثال للانسان الكامل هو محمد صلى الله عليه وسلم وخير بيت من بيوت المسلمين هو بيت محمد صلى الله عليه وسلم ، لذا كانت حياة محمد المصطفى مسرحا تجري فيه أحداث الاسلام ذات الشأن حتى يتخذ المسلمون من ذلك العبرة والقدوة في حياتهم ، ونحن أمام « سورة التحريم » نشاهد حادثا من تلك الأحداث التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يعالجها في بيت أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضي الله عن أمهات المؤمنين ، وهذا الحادث الذي نزلت بشأنه السورة الكريمة تعددت فيه الروايات نختار منها ..

ما رواه البخاري عن عائشة قالت : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير ـ المغافير : صمغ حلو الطعم كريه الرائحة ـ إني أجد منك ريح مغافير . قال : لا ، ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » ويبدو أنها أخبرت زميلتها فأطلع الله رسوله على الأمر .

وهكذا تأتي السورة الكريمة لتعلم المسلمين جميعا .. ولذلك لم تذكر حقيقة الموضوع بل اكتفت بدلالته وآثاره لأن ذلك هو المهم ، وحكت السورة أنه لا يجوز للنبي ولا لأي إنسان طبعا ـ أن يحرم على نفسه شيئا أحله الله من أجل إرضاء شخص ما ـ مع العلم بان الرسول لم يحرم العسل بمعنى التحريم الشرعي ، إنما كان قد قرر حرمان نفسه مما كان حلالا ـ ولا يجوز حرمان النفس من الحلال عن تعمد وقصد، إرضاء لأحد .

ويستفاد من السورة الكريمة :

أولا : لا تحريم لما احله الله .. فلا يملك التحريم والحل الا الله سبحانه .

ثانيا : تربية الزوجات وتعويدهن على كتم الأسرار .

ثالثا : من أقسم على أمر وكانت مخالفته أولى فقد جعل الله له تحلة لقسمه .

رابعا : أن الله مطلع على السرائر ، ولا تخفى عليه خافية ، فليراقب كل مسلم نفسه وليخش الله ويتقه .

فعاود النظر يا أخ سعيد في السورة الكريمة لترى تعاليم الاسلام السامية وامثلة الايمان الحق ، وبشرية محمد أفضل خلق الله ، والطبيعة النسائية في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وتسليمهن الأمر لله سبحانه ، ثم مثال الكفر في بيت الإيمان

حيث أمرأة نوح وامرأة لوط ومثال الايمان في بيت الكفر ، حيث أمرأة فرعون ، والطهر والعفاف في مريم ،

والله يوفق الى سواء السبيل .

أجر المحامي

○ السيد / عبدالحميد احمد الجمل .. القليوبية ـ مصر

عندما يقف « المحامي » للدفاع عن متهم هو في الحقيقة بريء ، ويعمل على رد الحقوق الى أصحابها ، او ازالة الظلم الذي يكاد يلحق بغير مذنب ، فعمله هذا مشروع ، لانه إحقاق للحق ، ومساعدة لمحتاج ويستحق الأجر على ذلك .

في الرضاع

● القارىء : م. ع. م من الاردن

اذا كان والد الفتاة قد رضع من والدتك خمس رضعات متفرقات مشبعات أو أكثر وهو في سن الرضاع ـ فإنه بذلك يصير أخا لك من الرضاع وابنته تصبح بنت أخيك من الرضاع ـ ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ـ ولذا لا يجوز لك الزواج من الفتاة .

الاخ : ابو الوفاء عبدالمحسن .. المغرب ..

بإرضاعك من صديقة والدتك .. صارت أمك من الرضاع .. إذا كنت قد رضعت خمس رضعات مشبعات متفرقات في سن الرضاع .. ويصير كل أولادها إخوة وأخوات لك من الرضاع .. وابنة ابنها هي ابنة أخيك من الرضاع .. ويحرم عليك الزواج من ابنة أخيك .

والله أعلم .

تنويه

وقع خطأ غير مقصود بالآية الكريمة رقم ـ ٤٤ ـ من سورة الأعراف .. في مقال بعنوان « بين متاعين » منشور بالعدد ـ ٢٠٨ ـ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ .

والآية جاءت هكذا : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ..»

وصحتها : ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » .

نقول هذا لقرائنا الكرام ونخص بالشكر الأخ البشير الرقيقي ـ من تونس ـ الذي نبهنا لهذا الخطأ .. فلزم التنويه .. ومعذرة .

وأيضا

وقع خطأ غير مقصود بالعدد رقم ٢٠٧ ـ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ . أرشدنا إليه القارىء العزيز احمد مسلم احمد الحسنين ـ مصر . في مقال بعنوان « معسكر القرآن » حيث جاءت الآية الكريمة رقم ٢١٤ من سورة البقرة هكذا « أم حسبتهم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم » والصحيح « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم » فمعذرة .. وشكرا للأخ القارىء .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .



من توصيات المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي

رفع المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي ، الشكر الى الكويت أميرا وحكومة وشعبا على استضافتها المؤتمر وأوصى في ختام اجتماعاته التي عقدها في الكويت ، بإنشاء « صندوق للطب الاسلامي » وبتوحيد الجهود لرسم الخريطة الصحية للعالم الاسلامي ، واوصى بدراسة النباتات الطبية الصالحة للاستنبات في أرجاء العالم الاسلامي ، وبإنشاء شركات إسلامية للادوية تستثمر الموارد النباتية الدوائية .

وفي مجال التراث الاسلامي ، اوصى المؤتمر بتحقيق التراث الطبي تحقيقا علميا ، وتتبع المصطلحات الطبية التي استخدمها العلماء المسلمون في كتب الطب ، وإعداد فهرس شامل لكافة المخطوطات الطبية ، كما أوصى بإنشاء مكتبة طبية تراثية . وفي مجال التعليم الطبي أوصى المؤتمر بان تكون السياسة التعليمية في كافة مراحلها ذات طابع إسلامي وغاية إسلامية ، وبإعداد الطبيب المسلم ، واستخدام الطب والمؤسسات الطبية في الدعوة الى الاسلام والهداية الى الله ، وأوصى بتوثيق الفقه الطبي وبيان الأحكام الفقهية في السابق واللاحق والآتي ، ثم الحرص على اعداد وانتقاء هيئة التدريس ممن يتوفر لهم الجانبان الاسلاميان من حسن اسلام ومن كفاءة علمية ، وأخيرا أوصى المؤتمر بنشر وثيقة الكويت عن الدستور الاسلامي للمهنة الطبية وتدريسها وتبني القسم الوارد بها لتكون ملتقى للأطباء المسلمين جميعا .

عن جريدة الرأي العام الكويتية ١٩٨٢/٤/٣

الاسلام هو الهدف

« كلما أقرأ عبارة الصراع العربي الصهيوني أو الصراع العربي الاسرائيلي أحس بانه ليس بالضبط كما يكتب بل هو صراع بين الاسلام والصليبية الحاقدة والشيوعية البغيضة وسلاحهما في هذه الحرب هذه العصابة الصهيونية والا :

١ ـ لماذا سلم الانجليز فلسطين للعصابة اليهودية ضاربين عرض الحائط بوعودهم للعرب الذين آزروهم في الحرب وأطعموهم ؟

٢ ـ لماذا أكد الاتحاد السوفياتي على

مصر ، بعدم البدء في القتال عام ١٩٦٧ رغم علمهم بالأخطار التي تحيق بالعرب من الحشود الاسرائيلية المتخذة وضع القتال حينئذ ؟
٣ ـ لماذا يرفض الاتحاد السوفياتي إمدادنا بالأسلحة الهجومية المتطورة ؟
٤ ـ لماذا يتدفق على إسرائيل المهاجرون الروس والأسلحة الصليبية والمعونات الاقتصادية الأوروبية والأميركية ؟
٥ ـ لماذا ترفض الدول الأوروبية الاعتراف بمنظمة التحرير وبحق الدولة الفلسطينية .
٦ ـ لماذا يرفض اعضاء مجلس الأمن الاوروبيون الغربيون وأميركا فرض عقوبات على إسرائيل لضمها الجولان وهل سيوقف الاتحاد السوفياتي الهجرة اليهودية من أراضيه الى اسرائيل إذا كانت العقوبات اختيارية ؟
وما هو العمل المطلوب من المسلمين ؟

فلنبدأ من البداية من المدينة المنورة من مسجد سيدنا رسول الله تعقد القمة العربية ولتكن عودة الى ديننا الحنيف المستهدف من قوى الشر عملاء الشيطان « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » قلبوا صفحات التاريخ ستجدون أن الاسلام حارب الدولة الرومانية والدولة الفارسية في آن واحد ، ثم كم من الزمن مر على أسر لويس التاسع الصليبي في المنصورة ، ومعركة عين جالوت .
والآن روسيا تحتل افغانستان واميركا تؤجج الحرب العراقية الايرانية وتمد اسرائيل بكل ما تحتاج له لأخضاع منطقة الشرق الاوسط لأطماعها وتمزيق شمل المسلمين وإبعاد مصر وجيشها عن التصدي لحماية الاسلام ونصرة الدين .

عن جريدة الشرق الأوسط
١٩٨٢/٣/١٨

الخلافات العربية وسلاح الاستنكار

كتبت جريدة القبس الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

ملايين البشر يموتون كل عام جوعا بسبب حروب اشعلتها ايد دخيلة وخفية خوفا على مصالحها ـ الحروب لا ترحم والزلازل والكوارث لا ترحم ، والفقر لا يرحم ، والانسان نفسه لا يرحم ـ والدول العربية والاسلامية تحظى بالنصيب الاوفر من هذه

الحروب والزلازل والكوارث والانقسامات ، بينما ملايين الدنانير والدراهم والريالات تملأ البنوك العالمية ، الى متى ؟ واذا كانت هذه الاموال الطائلة قد اودعت في البنوك لليوم الاسود كما يقول المثل فلا اظن ان هناك يوما او عصرا اسود وأسوأ من هذا العصر وهذا الوضع المتردي

الذي يمر به العالم العربي والاسلامي على السواء في الوقت الراهن ـ عوضا من ايداع تلك الاموال في البنوك فانه بالامكان الاستفادة من تلك الاموال تدريجيا على مستوى كل دولة اولا ، فالدول العربية ثانيا والدول الاسلامية ثالثا ـ نستفيد منها في مشاريع تعود

علينا وعلى شعوبنا بالخير الوفير .

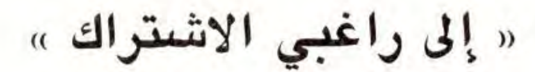
صحيح ان المال هو عصب الحياة وعمودها الفقري .. ولكن ما الفائدة من المال اذا لم يشبع جائعا ، او يبني وطنا تسوده الطمأنينة والرخاء . وما الفائدة من المال اذا لم يرسم الابتسامة على شفاه اولئك الذين تهزهم اصغر الازمات . يجب ان لا ننسى « أن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ومثل ما خلقنا نعود اليه جل جلاله دون ان نحمل معنا فلسا واحدا .

ان عالمنا العربي والاسلامي اكبر واقوى من ان تعتدي عليه دويلة صغيرة مثل اسرائيل ولكن تشتتنا وسلبياتنا وانقساماتنا هي التي اتاحت الفرصة لعدونا الصهيوني الغاشم بان يتوغل بين صفوفنا وينشر سمومه ويضرب يمنة ويسرة ، شيبا وشبابا ، ابرياء وغير ابرياء ، نساء واطفالا ، مدنا وقرى دون هوادة ولا من رادع ان انبياءنا وخلفاءنا وائمتنا لم يكونوا اغنياء ماديا ابدا ولكنهم كانوا اغنياء دين ، معتصمين بحبل الله جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا وهدفا واحدا لنصرة الاسلام واعلاء كلمة الله والمحافظة على وحدة المسلمين ودولتهم ـ ضحوا بما هو غال ورخيص من اجل الدين والعدالة والحق .

اما اليوم فنحن مسلمون ونعتز بديننا واسلامنا ولكن لا نفعل شيئا سوى ان نطلق اجهزة اعلامنا ، دنست مقدساتنا وجئنا نستنكر ، دمرت مساجدنا وجئنا نستنكر ، احتلت اراضينا ونحن لا نزال نستنكر ـ ننتظر ليضربنا العدو في عقر دارنا ، ، يدمر ويقتل وينهب ثم نذهب نحن الى مجلس الامن وبكلمات رنانة ومؤثرة نقول إننا نستنكر هذا الاعتداء الصارخ على اراضينا ومقدساتنا و « اننا نناشد كل الدول المحبة للسلام في العالم ان تقف معنا في ادانة هذا العدوان » ويصفق الحاضرون وتدين بعض الدول في المجلس العدوان مجاملة لنا وعلى ورق فقط .. ولكن سرعان ما يرتفع اصبع متين ملطخ بالدم معلنا الفيتو ضاربا بكل القرارات عرض الحائط ويتحول الاستنكار الدولي الى فيمتو نشرب نخبه نحن ، ونحن مسلمون .

لقد حان الوقت لان نضع خلافاتنا جانبا وان نراجع حساباتنا وان نتحد ونحمي بلادنا واراضينا وديننا من اعدائنا بكل وسيلة نملكها فثرواتنا كثيرة وايماننا بربنا قوي وكل ما نحتاج اليه هو ترجمة القول الى فعل حينئذ فقط سيعرف عدونا من نحن .

وكفانا استنكارا وكفانا مديحا وكفانا قولا وخطبا ونفاقا نحن لا نريد من يصفق لنا او يعلن تأييده الشفهي لنا .



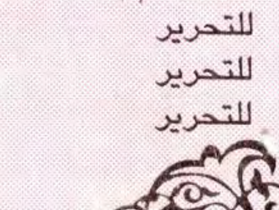
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

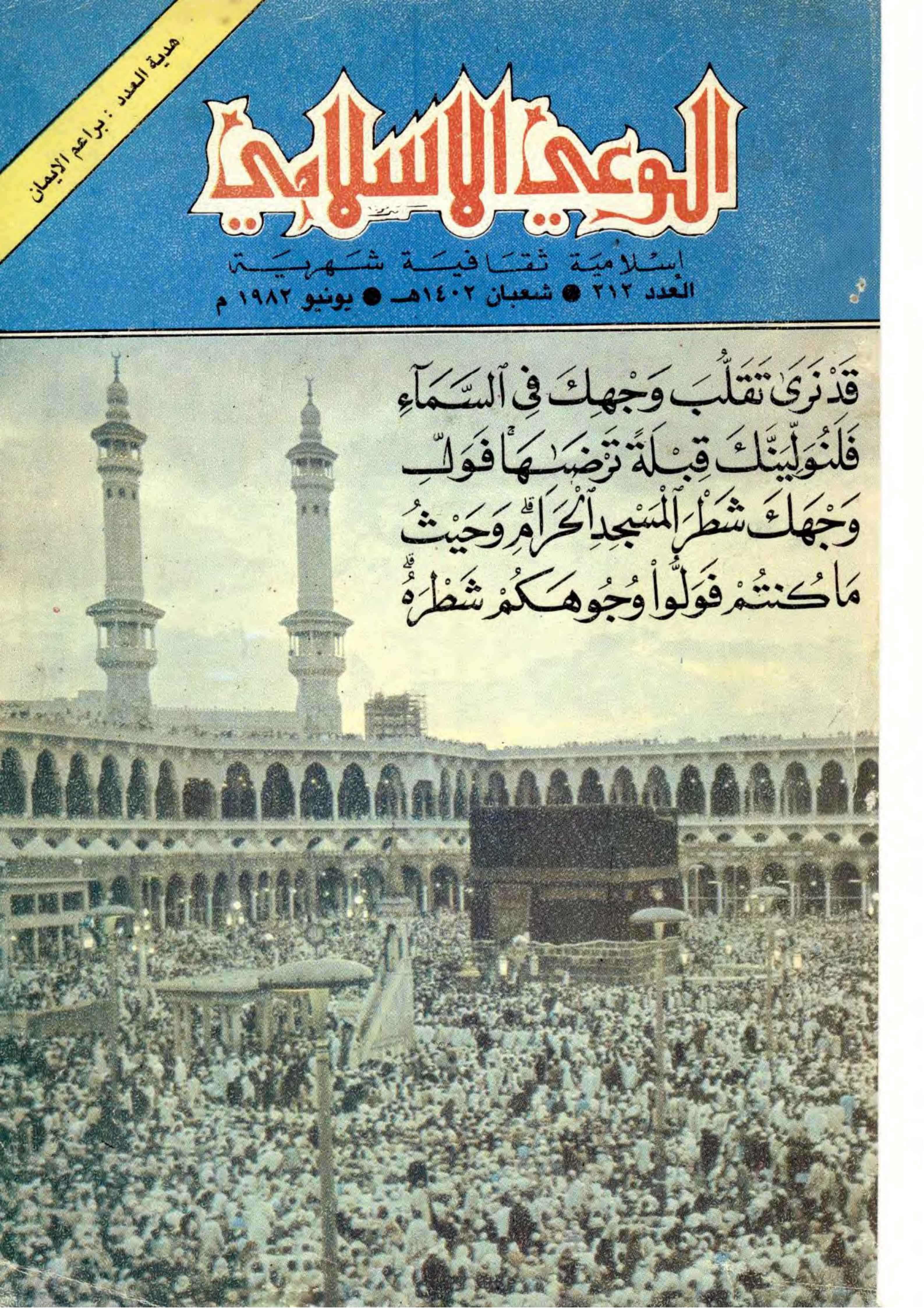
مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

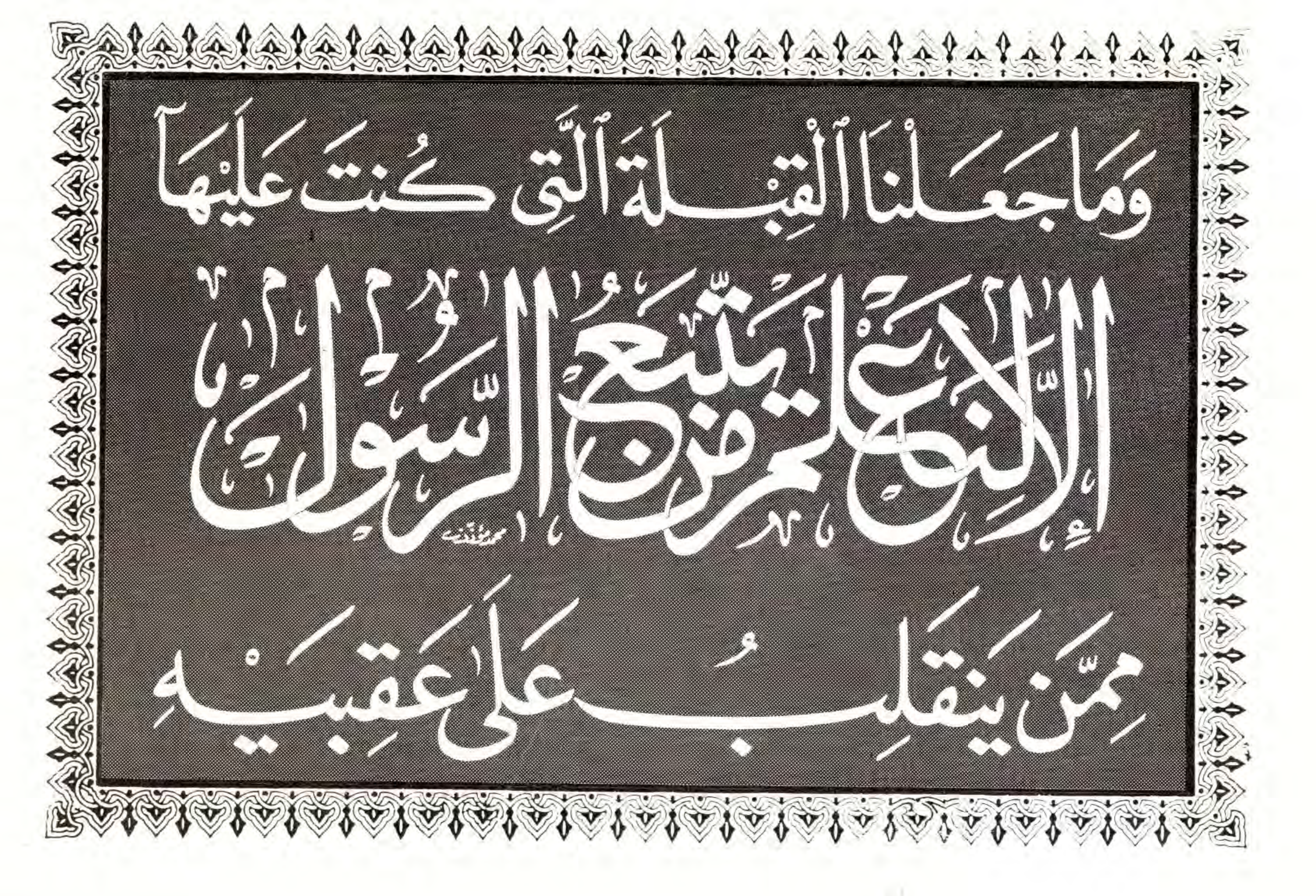
محتويات العدد







هدية العدد: براعم الإيمان
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢١٢ • شعبان ١٤٠٢هـ • يونيو ١٩٨٢ م
قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ
مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ


وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٢ ● شعبان ١٤٠٢هـ ● يونيو ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الأمّة الوسط

صراط الله المستقيم الذي ندعو الله في كل ركعة من ركعات صلاتنا أن يهدينا اليه ، هو طريق الاعتدال في الأفكار والأخلاق والعبادات والأعمال والارتباطات والعلاقات ، وهو المنهج الالهي الذي أوحى الله به الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس ، ، والذي كلفت الأمة الاسلامية بتحقيقه في الأرض ، وقيادة البشرية كلها اليه : (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**)

وقد كان الناس قبل الاسلام على قسمين ، قسم تقضي عليه تقاليده

بالمادية المحضة ، فلا هم له إلا الحظوظ والمتع الجسدية ، ولا يلتفت بحال إلى المزايا الروحية ، وذلك القسم كان يمثله اليهود والمشركون .. وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية البحتة ، وترك الدنيا وما فيها من الملذات الجسدية ، وهذا القسم يمثله النصارى الذين ابتدعوا الرهبانية قائلين : إن هذا الوجود حبس للأرواح وعقوبة لها ، فعلينا أن نتخلص منه بالتخلي عن جميع الملذات الجسمانية ، وتعذيب الأبدان تقربا لله .

وقد جاء الاسلام بالمنهج المعتدل في كل شئون الحياة ، وقامت الأمة المؤمنة به ، المنطبعة في سلوكها بتعاليمه ، شاهدة على الماديين بالتفريط في جانب الدين ، والتعطيل لأحكامه وهداياته .. وشاهدة على المغالين بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال ، وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية .

نعم منح الاسلام البشرية تشريعا يمتاز بالاعتدال الذي يقوم عليه حفظ الحياة وامتدادها ورقيها ، كما يبني عليه عزة الأمة ومجدها .. تراه في مجال العبادة يأمر بالأمر الوسط ، فلا إفراط ولا تفريط ، فمن حديث رواه الامام أحمد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » .

وفي الحياة المعيشية يقيم الأمر على منزلة بين الاسراف والبخل ، لأن كلا الأمرين يقعد صاحبه قعدة الملوم المحسور قال تعالى : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**)

وفي تناول الطعام والشراب ينهي عن المبالغة في الاكثار ، وعن المبالغة في الاقلال لما لذلك من نتائج سيئة ، فالمبالغة في الاكثار تسبب كثيرا من الأمراض ، والمبالغة في الاقلال تلحق بصاحبها الضعف والهزال ، وتفقده طاقة العمل والانتاج قال تعالى : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**)

وفي العلاقة بين الفرد والمجتمع يصون التشريع الاسلامي للفرد شخصيته وكيانه ، لينطلق في الحياة معمرا ومنتجا ، ولكنه يحول دون جشعه وأنانيته ، لأنه لبنة في بناء المجتمع ، وعليه واجبات يلزمه القيام بها .. كما يصون للمجتمع شخصيته كذلك ، فيمنحه القدرة على موازنة الأوضاع ،

ولكنه يحول دون طغيانه على حقوق الفرد ، بل يجعله كافلا للفرد ومسئولا عنه .

ولتحقيق الحياة الفاضلة المشرقة بكل أسباب التقدم والنهوض يجمع الاسلام بين الموعظة والعقوبة ، فيرفع ضمائر الناس بالتوجيه والتهذيب : (**وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا**) ويكفل نظام المجتمع بالقصاص والتأديب : (**ولكم في القصاص حياة**) (**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**)

والأمة التي تعتمد هذا التشريع الالهي منهجا لحياتها ، وطريقا لتصوراتها أمة معتدلة في تفكيرها وشعورها ، لا تجمد على عمل جزئي ، ولا تقلد تقليد الببغاء ، وإنما تتمسك بما لديها من أصول وقواعد وأحكام ، ثم تنظر في كل الأفكار والتجارب ، وتزنها بميزانها الذي لا يخطىء ، وشعارها : (الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق الناس بها) .

وهي الأمة التي تحرس العقل والضمير من ضلال الخرافات وعبث الأهواء فتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله وتتواصى بالحق والصبر .

وهي الأمة القائدة التي تشهد على الناس جميعا ، فتقيم بينهم العدل ، وتضع لهم الموازين والقيم ، وتقعد منهم مقعد الأستاذ من تلميذه ، تعلم وترشد ، وتعطى ما عندها من نتاج الروح والعقل لأهل الأرض قاطبة ، وتتحمل التبعة في إقامة الحق الذي لاتصلح الحياة بغيره .. وبينما هي تشهد على الناس بالحق والعدل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يشهد عليها ، فيحكم على أعمالها ، ويزن مايحدث منها بميزان الوحي الذي نزل عليه من ربه وبلغها إياه : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) .

تلك هي الأمة المسلمة التي ميزها الله بشخصية خاصة وقبلة خاصة .. وهي الأمة التي جعلها الله أمة وسطا بين الأمم تشهد على الناس ويشهد عليها رسولها .

وقد بقيت هذه الأمة منذ تكوينها على يد رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم - محافظة على دينها ومجدها وسلطانها بين أمم العالم قرونا ، حتى إذا عزفت عن دينها ، وتركت رسالتها واتبعت الشهوات ، وجد أعداء الاسلام الفرصة مواتية للوثوب عليها ، وغزو بلادها والتهام خيراتها ، وتمكين المنافقين من إفساد أمورها ، (فاحتلت الصهيونية فلسطين ومقدساتها) .. (وغزت الشيوعية أفغانستان) ونشط الطغاة في إيذاء الأقليات المسلمة في كل مكان !!

وكان حقا عليها - وقد رأت ما حاق بها نتيجة ما كسبت أيديها - أن تثوب

إلى رشدها ، وتعود لهداية خالقها ، ليستخلفها في الأرض من جديد ، ويكشف عنها الضر ويزيل الغمة ، ويبدلها من بعد الخوف أمنا ، ومن بعد الذلة عزة ، ومن بعد شتات الأمر تجمعا ووحدة ، ومن بعد الهوان كرامة ومجدا فقد قال وقوله الحق : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا**)

نعم كان حقا أن تفعل ذلك ،ولكن مما يحز في النفوس ويملؤها ألما أن بعض الدول في الأمة المسلمة ما تزال - رغم هذا البلاء - قاسية القلب ، شاردة عن هداية الله ، تحكم بغير ماأنزل الله ، وتستخدم الظلم والطغيان في قهر الشعوب وإذلالها والتبعية والفساد على تدنيس حياتها . وفيها يصدق قول الله تعالى : (**فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون**) .

ومع هذا الظلام المخيم في بعض الدول فلا يمكن أن ييأس المؤمنون من روح الله : (**إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**) .والله عزيز غالب على أمره ، وكم أتى على الاسلام من محن شداد ظن الناس بها الظنون فأزالها الله بجهاد المؤمنين وكفاح العاملين ومعاونة جنده الأشداء الذين لا يعلمهم أحد سواه : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**)

ستعود الأمة المسلمة أمة وسطا ، لها حقيقتها الكبرى ، وشخصيتها المستقلة ومهابتها المحفوظة ، وسلطانها الممتد بالحق والعدل .. والطريق بين واضح ، وسلوكه سهل مريح . اعتصام بكتاب الله وسنة رسوله وعمل دائب في بناء المجتمعات على أسس الحق والعدالة ، وجهاد في سبيل الله لتأمين الدعوة لدينه ، وكبح جماح الأعداء ورد الحقوق المغتصبة .

والدول العاملة بالاسلام رائدة الخير وسبيل الرشد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي) .

وقال جل شأنه : (**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) وقال تعالى : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



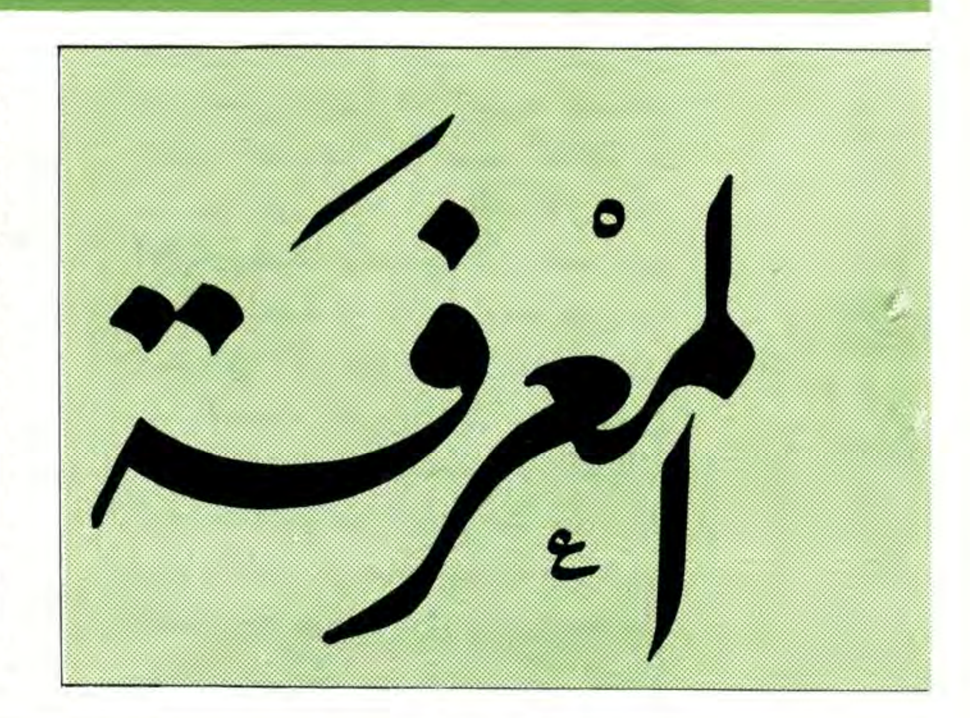
الدين مصدر

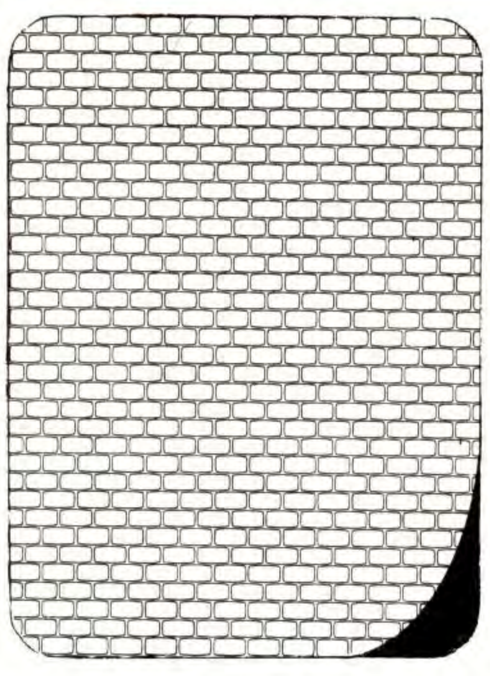
للمعرفة عدة مصادر منها الفطرة ، ومنها الشرع الالهي ، ومنها التجربة الآتية من الحس الظاهر أو الشعور الباطن . والعقل مرآة تنطبع فيها الأشياء فهو قابل ، وأحيانا تكون قوته الفاعلة التجميع والتأليف . وقد يتورط العقل بسبب استناده كليا الى ألفاظ اللغة ، فينسى أنها وضعت للصور الذهنية قبل أن توضع للأعيان الخارجية . وربما نسى العقل هذا الملحظ وتصور أن كل لفظ في اللغة له مدلول في الخارج . فيحتكم في وجود اللفظ ويبني عليه أحكاما كلفظ « العنقاء » له معنى في الذهن ولا وجود له في الخارج : (**ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن**) النجم/٢٣ .

والانسان يخدع نفسه حين يظن أن الألفاظ أفكار ..

وليس المشاهد المحس هو المقياس الوحيد الذي لا تقاس صحة الأفكار الا عليه . بل المقياس الصحيح لصحة الأفكار أو فسادها تعاليم معصومة لا يأتيها الباطل ولا يقترب منها .

ولو أن الاسلام منع العقل من التجوال والنظر أو أطلق له العنان ، لكان العقل اما إلها يتصرف كما يشاء واما عدما لا أثر له ولا حركة فيه . لقد أنزله المنزلة الخليقة به تريض واسبح وصل نفسك بخيط الأمان حتى لا تنجرف بك الأمواج وحتى لا تحرم من رياضة فيها غذاؤك ومنها قوام حياتك : (**قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**)





للأستاذ/محمد عبد المنعم القيعي

يونس/١٠١ .

وهذه الهجمة العنيفة التي نسمعها ونراها مصوبة سهامها نحو الدين لا تهز منه شعرة واحدة من نفوس المؤمنين به ، فليس من اليسير أن تهز ايمانا يحمل معه التفاؤل والأمل . قد أمد جذوره في أفئدة الناس وقلوبهم . وهيهات للعقل أن يقتلع بعاصفته هذه الدوحة المتأصلة الراسخة : (**أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**)ابراهيم/٢٤و٢٥ .

(**أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه**) المجادلة/٢٢ .

فالحكم العقلي أحدث من ذلك الميل الغريزي عهدا وأضعف بناء . وأية أزمة تحدث في الحياة فانها تكف من جماح العقل وغروره ، ولا يبقى مع الانسان الا ايمانه . يبصره ان عمى في الحادثة ، ويهديه ان ضل عن السكينة ، ويجعله صديق نفسه متعاونا بها على ما يصادفه من أزمات . والويل للانسان حينما تنشق عليه نفسه ويقع فريسة بين نفسه وبين المصيبة : كحبة القمح تحت حجر الطاحون الضخم لا يبقي ولا يذر ...

وهل من طبيعة العقل التي فطر عليها ما يمكنه من الوصول الى بعض المعرفة دون اعتماده على ما تاتي به الحواس من العالم الخارجي ؟ ..

اذا كان له ذلك فلا مصدر له الا الايمان الذي يتجلى طورا في الفطرة وطورا في الشعور أو الاحساس

الداخلي . واننا نجهل كثيرا من ماهية الأشياء وحقيقتها المستقبلة عن ادراك الحواس جهلا تاما ، ولا ندري منها الا كيفية ادراكنا لها : (**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا**) الاسراء/ ٨٥ .

وعلى العقل أن يوقن بأن الزمان والمكان والعلة ليست الا وسائل للادراك الحسي والادراك العقلي ، فان دخل في قدم العالم وقع في التناقض . اذ هو لا يتصور شيئا لا نهائيا تصورا صحيحا . فان تصور على سبيل الفرض نقطة الابتداء تصور أيضا أن من قبلها أخرى : (**وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون**) الجاثية/ ٢٤ .

ان عقولنا السليمة تبيح لنا أن نعتقد أن وراء الأشياء الها أوجدها وسيرها على ما هي عليه ، وشعورنا الأخلاقي يحتم علينا هذه العقيدة . وعجز الانسان عن استلهام عقيدته آية الفناء وافلاس الأحياء ، وشعور القلب أسمى من منطق العقل ، وان للقلب أسبابا خاصة به لا يمكن أن يفهمها العقل : (**ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**) ق/ ٣٧ .

وان في الطبيعة جمالا ولكن على حساب كثير من ألوان التعذيب والموت . ولا شك أن في العالم قصدا أو تصميما ، ولكنه قد وضعه الكل لأجزائه . فما أحوج رجال العلم أن يفسروا أجزاء الكائن العضوي بأن لها معنى يقصدها الكل ، وبذلك ينقذون أنفسهم من هذه المغالاة في فكرتهم عن آلية الحياة ، لأن هذه الآلية وحدها يستحيل أن تفسر نمو برعمة واحدة من نبات . فحينما يوجد الجزء في الكل على وضعه المعين يكون مما اقتضاه تكوين الكل . ولن يكون الكل كلا الا بانضمام كل أجزائه اليه . فاذا وقف العقل عند جزء من أجزاء الكل غير مستسيغ له فعليه أن يتفطن أنه جزء من كل وليس مستقلا والعالم هو الكل وما يقع فيه من أجزاء تبدو شاذة اذا فصلناها عن الكل وتبدو ملائمة كل الملاءمة اذا لاحظنا أن بها يتم الكل .

فوجود مرضى بين الأصحاء تجميل لنعمة الصحة . ووجود أصحاء بين المرضى تأميل لهم بالشفاء . فمن الجمال والأمل يتكون عالم الأصحاء والمرضى .

فاذا أضفنا الى هذا المشهد أن عدم الغرور بالصحة مطلوب ، أصبح بناء الفضائل متكاملا بالمرض والصحة معا .

ولا يجوز أن يقام الدين على أساس من العقل النظري فقط ، بل يجب أن يبنى على العقيدة التي هي تكملة للمجهود العقلي ، ثم السلوك العملي . فليس الايمان بالتمني وانما الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

والاسلام يعيب على معتنقيه أن يقولوا قولا غير مصحوب بعمل ، كما يهدر أي قول أو عمل غير قائم على عقيدة : (**يا أيها الذين آمنوا لم**

تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلـون) الصف/٢ و٣ .

وليس للعالم معنى إلا ما يراه الادراك ، وليس لهذا الادراك من معنى إلا مايبدو فيما تأتي به الارادة من عمل .

والذات لاتشعر بنفسها إلا إذا قيدت نفسها بقيود وحدود . ومـا التكاليف الشرعية إلا قيود تتقيد بها النفس لتعرف بها نفسها ومالها وما عليهـا . وهي بين حـرام لاتقترب حـدوده ، وحـلال لاتتجـاوزه ولا تتعداه : (**تلك حـدود الله فـلا تقربوها)** البقرة / ١٨٧ . (**تلك حدود الله فلا تعتدوها)** البقرة / ٢٢٩ ،وللـذات في إدراك نفسها ثلاث خطوات : التقرير لتـدرك به وجود نفسها ، ثم التبيين لتدرك به أنها ليست معدومـة ، ثم التأليف لتدرك به وجودها وعدمها : (**هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)** الانسان / ١ (**كل شيء هالك إلا وجهـه)** القصص / ٨٨ (**إنك ميت وإنهم ميتون)** الزمر / ٣٠

وإن الذات لاتشعر بوجودها إلا بمقدار ما هي قوة مجاهدة تغالب قيود العالم .

ولا يميز الانسان عن غيره إلا أنه كائن مسئول . فإن طالب بوضع التكاليف عنه أهدر نفسه وتخلى عن رسالته وأخلد إلى العجماوات : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فـأتبعـه الشيطـان فكـان مـن الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثلـه كمثـل الكلب)** الاعـراف / ١٧٥ و ١٧٦

والطبيعة التي هي مجال النظر عقل منظور ، والعقل الذي ينظر فيها طبيعة خفية . والعقل لا يحقق نفسه في أسمى صورة إلا في الخلق والابداع وإفادة نفسه وغيره من بني جنسه . وفي الحديث : (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها) رواه مسلم وفي حديث آخر : (إذا قامت الساعة على أحدكم وفي يده فسيلة فليغرسها حتى ينتفع بها غيره) رواه أحمد

وليست وظيفة العقل إنكـار ما يستوعبه الرجل العادي في رأسه ، بل واجبه أن يعمل على توسيع أفقه وتصحيح مالديه من أفكار . وكم كان الاسلام يعمل دائبا على إزالة الأمية وتوسيع الثقافة المثمرة . ويوجب على الآبـاء أن يعلموا أولادهم فـإنهم مخلوقون لزمان غير زمانهم . . .

والفكر وحدة عضوية الاجـزاء متصلة بعضها ببعض . وما فكرة تداعي المعاني وترابط الأفكار بغريبة عن الاسلام . فعندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى صديقة خديجة بعد وفاتها ، يذكرها .

وما تاريخ العالم الاعملية عقلية . وروح العـالم هي القوة الـرائـدة لتقدمه ، والأدوات التي تتخذها تلك الروح للوصول إلى أغراضهـا هم زعماء الاصلاح في أي زمان أومكان .



لقد أيد الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن معجزة دالة على صدق رسالته ونجد في هذا الكتاب الكريم وجوها كثيرة للاعجاز كلها تدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يأتي به بشر ـ أيا كان ـ فضلا عن أمي لا يقرأ ولا يكتب .

ومن وجوه الاعجاز في هذا الكتاب الكريم : اعجازه التشريعي المتمثل في تشريعاته وأنظمته التي قررها والصالحة لكل زمان ومكان . وسأتحدث هنا بايجاز شديد عن بعض السبق للاسلام في بعض التشريعات :

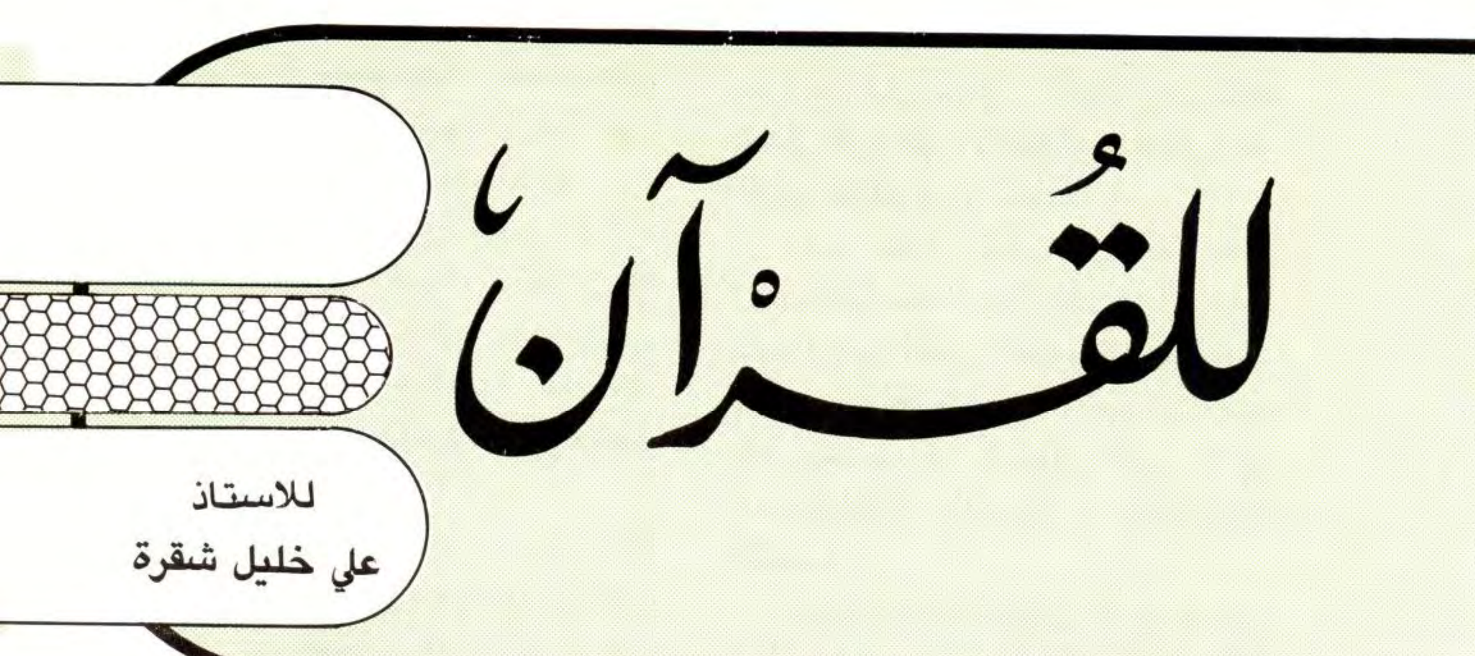
أ ـ المجال الاقتصادي : وفي هذا المجال نجد تشريعا معجزا وسبقا مذهلا في كل ما قرره الاسلام ، وسأقصر الحديث على ثلاث نقاط فقط :

١ ـ **الملكية الخاصة** : فالملكية الخاصة في الاسلام ناتجة عن ايجاب العمل على الأفراد حيث يمتلك الشخص نتيجة عمله قال تعالى : **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)** الجمعة ١٠ . والملكية في الاسلام حق فردي مقيد ، مقيد بأسباب التملك فلا يجوز التملك عن طريق الربا أو الغش أو الاحتكار ... ومقيد بوجوه التصرف كتحريم الكنز والاستثمار بالمحرمات ..

وللملكية وظائف شخصية كتحقيق مستوى معيشة لائق للمالك ووظائف أسرية : كالإنفاق على الأقارب في حالة الضرورة قال تعالى : **(وعلى الوارث مثل ذلك)** البقرة/ ٢٣٣ .

ووظائف اجتماعية كأداء الزكاة والانفاق في سبيل الله .

واذا نظرنا الى النظامين المعاصرين نجد في الرأسمالية ان الملكية حق فردي مطلق ونتيجة لذلك وجدنا في ظل هذا النظام الثراء الفاحش والفقر المدقع وما ينتج عنهما من آثار سيئة .



وفي الشيوعية نجد مبدأ إلغاء الملكية الفردية وقد طبق هذا في تلك المجتمعات مما أدى الى قلة الانتاج ونقصان جودته وارتفاع أسعاره مما اضطر بعض الدول الشيوعية كالاتحاد السوفيتي الى السماح بقدر من الملكية الخاصة .

٢ ـ **الميراث** : ونجد أن الميراث في الاسلام مقرر وفقا لنظام دقيق معجز ، بينما نجد أن هذا الحق في الرأسمالية متروك للحرية المطلقة ، لا تضبطه قواعد فللشخص أن يورث أمواله لابنه الأكبر فقط أو لأي شخص حسبما يشاء أو حتى لطلبة !

بينما نجد في النظام الشيوعي منع الميراث بسبب منع الملكية الخاصة ولكن الاتحاد السوفيتي تراجع بعد أن سمح بقدر من الملكية الخاصة فسمح بحق الشخص في توريث ملكيته .

٣ ـ **تحريم الربا** : وقد حرم الاسلام الربا بأي شكل من الأشكال لما له من دور كبير في خلق التفاوت الفاحش بين الناس واستغلال حاجتهم .

ونجد أن الربا ممنوع في الشيوعية ، ولكن شتان بين النظامين : فان التزام المسلمين بالامتناع عن الربا ناتج عن إيمانهم بالله ومراقبتهم له .

ولكن في الشيوعية التي تطلب من الانسان الكفر بالله والأديان وألا يؤمن الا بالماديات ، فكيف يمتنع الانسان في ظل هذا النظام عن الربا ؟ !

ولا نجد في الرأسمالية ما يمنع من التعامل بالربا بل يعتبر الربا في هذا النظام « سعر فائدة » حقا لصاحب المال .

وهكذا نجد السبق المعجز للاسلام في كل ما قرره ، ونجد فشل الأنظمة التي تعارضت تشريعاتها مع ما قرره الاسلام بسبب اصطدامها بالفطرة الانسانية مما جعلها تتراجع وتلتقي

مع الاسلام في بعض النواحي .

٤ ـ **الناحية السياسية** : فيما يتعلق بنظام الحكم : وسأتحدث هنا عن دعامتين من دعائم نظام الحكم :

ـ الشورى : وهي مقررة بنص القرآن الكريم ، ومارسها المسلمون الأوائل في حياتهم العملية قال تعالى : (**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**) الشورى/٣٨ .

وطبقا لهذه القاعدة يشترك المسلمون في اختيار خليفتهم ويأخذ الخليفة رأي المسلمين قبل الاقدام على أي عمل .

بينما نجد هذا مقررا في الاسلام ، نجد في الدول التي تدعي الديمقراطية ـ كالولايات المتحدة ـ كثيرا ما يصل الرئيس للحكم بالرشاوي والتهديد ويعزل بمثل هذه الأساليب .

وفي الدول الشيوعية التي تؤمن بالدكتاتورية كنظام للحكم وتسميها ـ دكتاتورية البروليتريا ـ نجد هذه الفلسفة تقضي بسيطرة الحزب على الحكم وتنتهي السيطرة الى شخص واحد يتولى تنفيذ ما يريد ويعمل على تصفية معارضيه ، كما حدث عندما صفى ستالين رفاق دربه مثل تروتسكي وكامينيف .

● ـ **العدالة** : وهي من أهم دعائم نظام الحكم في الاسلام وتعني هذه : القضاء بين الناس بالحق واعطاء كل ذي حق حقه أيا كان قال تعالى : (**واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) النساء/٥٨ .

والعدل يكون بين جميع رعايا الدولة الاسلامية مسلمين وغير مسلمين قال تعالى : (**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**) المائدة/٨ .

نجد هذا مقررا في الشريعة الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا ، بينما نجد في هذا القرن العشرين تميزا ضد بعض المواطنين بسبب لون بشرتهم كما يحدث في الدول التي تدعي الديمقراطية والحرية ـ كالولايات المتحدة ـ .

أو نجد ظلما لبعض الناس بسبب معارضتهم لنظام الحكم القائم كما يحدث في الاتحاد السوفيتي .

وفي مجال الحرب نجد سبقا للاسلام بتقرير عدم التعرض للمواطنين المسالمين قال تعالى : (**وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله**) النحل/١٢٦ ، ١٢٧ .

وفي معاملة الاسرى نجد تقريرا لمعاملة الأسرى بالحسنى والرفق بهم قال تعالى : (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**) الانسان/٨ ـ ٩ .

ونجد للاسلام سبقا عجيبا في معالجة مشاكل تعتبر من أهم مشاكل العصر :

* قضية التمييز العنصري : وتشغل هذه القضية جزءا كبيرا من المناقشات في المؤتمرات الدولية واجتماعات الأمم المتحدة .

ونجد في القرآن الكريم علاجا

ناجعا لمثل هذه المشكلة فقد قرر القرآن قبل أربعة عشر قرنا ان الناس من أصل واحد قال تعالى : (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**) النساء/١ .

* وقرر القرآن الكريم أن الناس متساوون لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ، قال تعالى : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » الحجرات/١٣ .

* وقد نهى القرآن حتى عن مجرد اللمز أو السخرية من الآخرين قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**) الحجرات/١١ .

ولم يقم الاسلام أي وزن لاختلاف لغات الناس أو ألوانهم بل اعتبر ذلك آية من آيات الله الدالة عليه قال تعالى : (**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين**) الروم/٢٢ .

وقد طبق الاسلام هذا في الواقع العملي للمجتمع المسلم الأول فنجد في هذا المجتمع الفارسي والحبشي والعربي والبربري الكل سواء ، ولا تفاضل الا على أساس التقوى .

وبينما نجد هذا مقررا في الاسلام منذ ١٤٠٠ سنة نجد اليوم في أكثر الدول ديمقراطية وحرية كما تدعي - كما في الولايات المتحدة - نجد التمييز العنصري ضد السود - بسبب البشرة فقط - وضد البروتوريكو .

ومنذ عدة أسابيع قامت قبائل الهنود الحمر في أمريكا بمظاهرة للمطالبة بمعاملتهم كمواطنين من الدرجة الأولى .

وفي الدول الشيوعية كالاتحاد السوفيتي نجد الاضطهاد للمطالبين بحقوق الانسان والنفي الى معسكرات العمل .

● - **قضية المرأة** : لقد رفع الاسلام منزلة المرأة وقرر المساواة بينها وبين الرجل في النسب البشري وفي الحقوق والواجبات الدينية ومنح الاسلام للمرأة المسلمة حقوقا لم تحصل عليها المرأة حتى الآن في المجتمع الغربي .

فقد قرر الاسلام أهلية المرأة المالية وفصل أموالها عن أموال زوجها وجعل مالها ملكا لها فقط قال تعالى : (**للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن**) النساء/٣٢ . وقال تعالى : (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**) النساء/٤ .

ونتيجة لذلك نجد استقلال المرأة واحتفاظها بشخصيتها واسم عائلتها .

وبينما نجد هذا مقررا في الاسلام منذ قرون ، نجد اليوم بعض الدول الغربية - كبريطانيا - التي قام فيها مؤخرا اتحاد نسائي رفع شعار « لماذا رفضت الزواج » وجمع الاتحاد عيوب الزواج في ميثاق ويرفض الميثاق « ان تفقد المرأة اسمها بسبب الزواج ،

وأن يشار اليها باسم مدام فلان ، وأن تضيع عليها حقوق مالية ناتجة عن الـزواج ... » . وقد قـرر الاسلام حقوقا كثيرة للمرأة لا تزال حلما بـالنسبة للمـرأة الغربيـة تحتـاج للـوصول اليهـا الى نضال وقيـام اتحادات وجمعيات ... الخ .

وبعد ، فهل يستطيع أمي أن يأتي بمثل هذا القرآن ؟

بل هل يستطيع بشر أيا كان أن يأتي بمثل هذا الكتاب الكريم ؟ ان الانسان مهما بلغ من الذكاء والعبقرية لا بد أن يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ولا يستطيع أن يضع من التشريعات والنظم مـا يصلح لتنظيم الحيـاة البشرية في غير بيئته وغير عصره .

لنأخذ مثلا في التاريخ ـ كارل ماركس ـ الذي وضع المذهب الماركسي وادعى أن تشريعاته هي وهي فقط الصـالحة والكفيلـة بحـل جميـع مشكلات الانسانية ، هذا المفكر قد تأثر ببيئته وعصره ، فهو قد عاصر الثـورة الصناعيـة ، ورأى انقسام المجتمع الى طبقتين ـ الرأسماليـة والعمال ـ ورأى استغلال الرأسمالي للعامل في مصنعه فظن ماركس أن هذا الوضع سيستمـر الى الأبد فقـال بضـرورة الثورة من العمـال عـلى أصحـاب العمـل للحصـول عـلى حقوقهم . بينما نجد اليوم في الدول الرأسمالية أن الشقة بين أصحاب العمل والعمال تضيق بسبب تدخل الدول لتحديد الأجور وساعات العمل ووضع نظام لـلاجازات والضمـان الاجتمـاعي وحتى المشـاركـة في الأربـاح ... أرأيتم كيف اختلـف الوضع الآن عنه عند وضع النظرية الماركسية ؟

فكيف نطلب من العمال الآن الحقد على صاحب العمل ومن ثم الثورة ؟

وأهمية البروليتاريا التي دعا اليها ماركس ورأى ضرورة اتحاد عمال العـالم لمواجهـة الرأسمـاليين مـا مصيرها ؟

لقد منيت بالفشل فقد انفصلت عدة أحزاب شيوعية عن مـوسكو وطالبت بانتهاج سياسـات مستقلة بينمـا ازداد التقارب بـين الـدول الشيوعية والرأسمالية .

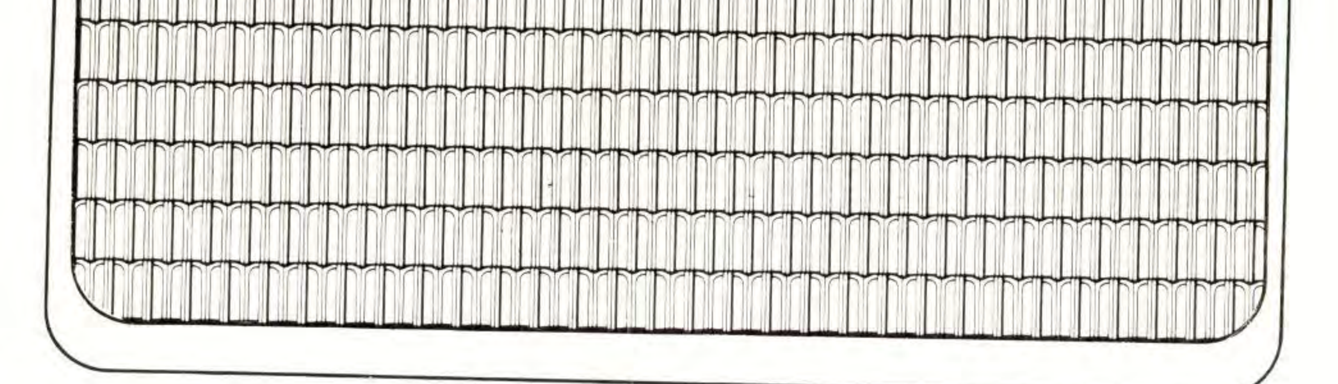
والملكيـة الفرديـة التي حسبها ماركس سبب الشرور والآثام فقد رأينا كيف تراجع الاتحاد السوفيتي عن هذا المبدأ وسمح بقدر من الملكية الخاصة .

أرأيتم قصر نظر البشر ؟ لقد منيت التشريعات الماركسية بالهزيمة بعد أقل من قرنين من وضعها لأن واضعها بشر تحكمه الآراء والأهواء وظروف العصر ...

فكيف استطاع محمد صلى الله عليـه وسلم أن يأتي بتشـريعات صالحة لتنظم الحياة بعد عدة قرون ؟

لقد تغيرت الحياة الآن عما كانت عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لا زالت تشريعات القرآن الذي أتى به صالحة لتنظيم الحياة بل هي وحدها الكفيلة بتنظيم الحياة .

ان الفعل المجرد من الهوى وان الحكم الموضوعي النزيه لا يمكن الا أن يسلم بصدق نبوة محمد وصدق رسالته .



نحن قسمنا بينهم معيشتهم

للدكتور/ عبد المحسن صالح

المؤمن الحصيف هو من استفاد مما حوله .. علما كان ذلك او عقيدة أو بحثا او تطبيقا .. او ـ بأضعف الايمان ـ تأملا يبصره بحقائق الخلق والمخلوقات ، فالايمان يتطلب منا ان نكون على دراية ببعض ما يجري في زماننا من أحداث وانجازات وعلوم تنطلق الآن كسيل جارف ، ولو فعلنا ، فان ذلك يمنحنا حسنات في ديننا ودنيانا ، لأن الدين المرتكز على علم وهدى ، لهو خير وابقى ، ولقد حسم

هذا الأمر بآية كريمة توضحه أعمق توضيح : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر/ ٩ اما عن حسنات الدنيا ، او بمعنى اوضح نقول : الحسنات التي تعود على الانسان بالخير والقوة والعزة ، فان مردها الى العلوم التجريبية التي تبحث في أسرار الطبيعة ، ذلك ان تقدم الدولة او تخلفها يرجع اساسا الى أخذها بأسباب العلم ، او تخلفها عن ركابه ، لأن العلم نفسه قوة يُخشى بأسها ، ولو جمع الانسان بين القوتين : قوة العلم ؛ وقوة الايمان ، فلا شك ان ذلك هو المراد ، من رب العباد : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » - على حد ما اشار الحديث الشريف رواه مسلم وابن ماجه .

والواقع ان الدافع الذي يدفعنا لتقديم دراسات علمية ، في مثل هذه المجلة الاسلامية ، يرجع الى كون ديننا يحضنا على البحث والتأمل في آيات الخلق ، وفي هذا وردت آيات قرآنية كثيرة ذكرناها قبل ذلك في دراسات سابقة ، لكن لا مانع من ذكرها هنا مرة اخرى ، تذكيرا وتثبيتا : (**وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**) الذاريات/ ٥٥ .. نذكر من هذه الآيات البينات : (**وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون**) الجاثية/ ٤ : (**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**) الملك/ ٣ : (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**) لقمان/ ١١: (**ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون**) يونس/ ٥: (**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**) الفرقان/ ٢ الى آخر هذه الآيات التي لا تتجلى معانيها العميقة ، واشاراتها الاصيلة ، الا اذا عرفنا بعض ما ينطوي عليه الخلق من اسس تشهد بجلال الذي خلقها فقدرها ، ثم سيرها وسخرها لصالح الانسان ، ولصالح الحياة .

ميكروب يأخذ منا ويعطينا

فلقد كشف العلماء عن ظواهر غريبة تحدث بين الكائنات ، وفيها تبرز صور من التآلف والتعاون التي تجعل الحياة فيها ميسرة ، لأنها تقوم على مبادىء الأخذ والعطاء ، او التبادل الذي تبارك أحداثه السماء ، وهو بطبيعته يستلزم وجود كائنين لا يمتان لبعضهما بأدنى صلة ، اذ قد يكون احدهما في قمة الخلق ، والآخر في القاع ، ومع هذا الفرق الشاسع جدا في درجات سلم الخلق بين الكائنين اللذين يتبعان نوعين مختلفين ، الا أن احدهما لا يستطيع ان يعيش بدون الآخر ، فالحياة بينهما مشتركة من المهد حتى اللحد ، ومن اجل هذا يحتفظ احدهما بصاحبه ويؤويه ، ولا يستطيع التفريط فيه ، لأن غياب هذا عن ذاك يؤدي الى المرض والموت ؛ وهكذا قسم الله بينهم الرزق والمعيشة .

ونحن معشر البشر لا نشذ عن هذه القاعدة ، لأننا نستضيف داخل امعائنا جيوشا من الميكروبات التي

تعيش اما مع بعضها ، واما مع أمعائنا في توازن تام ، ولو اختل هذا التوازن ، لأدى الى خلل في الأمعاء خاصة ، والجسم عامة ، لكن ذلك موضوع آخر ، فالذي يهمنا هنا ان وجود هذه الميكروبات في أمعائنا ، وفي كثير من الحيوانات كذلك ، لازم لحياتنا وحياتها كلزوم الماء والطعام والهواء ، لأن هذه الكائنات الدقيقة - اي البكتريا - تقوم بتكوين بعض الفيتامينات ، وعلى الأخص مجموعة فيتامين « ب » المركب ، حيث لا تستطيع اجسامنا تكوينها او صناعتها ، ولهذا نعتمد في التمويل على مصادر الطعام المختلفة ، او على هذه البكتريا التي تمنحنا اياها في مقابل ان نمنحها القليل من مخلفات الطعام المهضوم ، هذا بالاضافة الى درجة حرارة مناسبة ، وحماية من التشرد الذي قد نتعرض له في البيئة الطبيعية ، اذ ان بعض انواعها لا يستطيع ان يعيش خارج امعائنا الا لفترات محدودة .

انه - اذن - تعاون تجاري محمود .. اسواقه الأمعاء ، وسلعه المتبادلة تتمثل في المواد الكيميائية النادرة والغالية « بعض الفيتامينات » ، او قد تكون السلع رخيصة ومتوافرة ، « بقايا الطعام الذي لا نحتاجه ، ولا بد ان نتخلص منه كفضلات » .. اي ان البكتريا هي التي تأخذ الرخيص ، وعليه تعيش ، في حين اننا نحصل منها على النفيس ، ليكون لنا سندا وعونا في وظائف انسجة أجسامنا !

الدليل على ذلك قد يكون معروفا لنا جميعا ، فعندما نتناول المضادات الحيوية لفترات طويلة عن طريق الفم لنحارب بها ميكروبا ممرضا في امعائنا ، فان المضاد الحيوي قد يبيد الضار والنافع ، او الدخيل والضيف الملازم لنا طوال حياتنا ، وعندئذ قد تنتاب عضلاتنا رعشة ، او قد يحل بها تقلص او ضعف عام ، وليس ذلك من فعل المضاد الحيوي المباشر في اجسامنا ، بل يرجع ذلك غالبا الى موت البكتريا التي كانت تمدنا ببعض الفيتامينات المعروفة باسم مجموعة فيتامين « ب » المركب ، ومن اجل هذا كان لا بد من تناول المقادير المناسبة من هذه الفيتامينات لنعوض بها ما توقف داخل امعائنا ، وهذا ينبئنا باهمية الميكروبات التي نستضيفها داخل امعائنا من المهد الى اللحد ، اذ ان اول جرعة نحصل عليها ، تأتينا - اول ما تأتي - اثناء خروجنا من بطون امهاتنا ، فتتلوث بها شفاهنا ، ومنها الى افواهنا فأمعائنا ، لتعيش معنا العمر كله ، وهو تلوث محمود على اية حال .

تجارب هادفة

ويبدو أن كل الكائنات العليا قد تخيرت « ضيوفها » من الكائنات الدنيا ، وسهلت لها في امعائها الحياة التي تهواها ، ومن اجل هذا كان لكل نوع من الحيوانات ميكروباته التي تناسب نمط الحياة في امعائه ، لكن الاختيار هنا له اصول ، ويخضع

لمنفعة متبادلة بين الاثنين ، فاختيار « الـرفيق قبل الطـريق » ـ طريق السفر ، على حسب المثل الشائع ، اكثر وضوحا بين هذه الكائنات ، لأن الميكروب قد يكون رفيق سوء في رحلة الحياة ، فيؤدي الى قلب الموائد على رأس من آواه ، لكنه في رحلة التعاون في الحياة ، لا بد ان يكون رفيقا حسنا ومضبوطا ، ليعرف كيف يأخذ ويعطي بحساب ومقدار ، ولا بد ان تكون المنفعة بينهما متبادلة وقائمة ما قامت الحياة !

ان ترجمة هذا الكلام الى تطبيق حقيقي له مغزاه ومعناه ، لن يتأتى الا بتجارب هادفة توضـح ما قـدمنا فأوجزنا ، والتجارب التي اجريت كثيـرة ومتنوعـة ، والنتـائـج التي تمخضت عنهـا اكثـر ، وهي ـ في مجموعها ـ توضح ان عالمنا الذي نعيش فيه محكوم بروابط وعلاقات قدرت تقديرا مذهلا ، وهي تشهد بقدرة الله : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**) الأعلى/ ٢ و ٣ ، ثم سخر الكائنات من اعلاها الى ادناها ، لتتعاون وتتآلف فيما بينها ، وكأنما هي خيوط منسوجة في نسيج لا خلل فيه ولا فروج .

فمـاذا لو امكن الحصـول على حيوانات خالية تماما من الميكروبات ، سواء في جلودها ام انوفها ام افواهها او بالأخص في أمعائها ؟

من الصعب جدا الحصول على مثل هذه الحيوانات ، لكن العلماء ـ رغم ذلك ـ قد تمكنوا من الوصول الى هذا الهـدف بعـد محـاولات مضنيـة وعويصة ، ولا يهمنا ذلك في هذا المجال ، ثم ان الحديث فيه قد يتشعب ويطول ، لكن الذي يهمنا ان دراسة العـلاقة بـين الحيوان والميكـروب تستلزم ذلك ، ومن اجل هذا توجد انواع من الحيوانات الخالية من اية ميكروبات ، وهي تعيش في معامل العلماء تحت ظروف معقمة ، وتتناول غذاء معقما كذلك ، وبحيث لا يقربها اي ميكروب ارضي .

فالمعرفة الحقة بأسرار الحيـاة تستلزم ركوب الصعاب ، لأن الأسرار ذاتها جميلة وجذابة ، وهي لا تتفتح الا للعقول الواعية ، لا اللاهيـة ، فغياب بعض العناصر الغذائية عن المخلوق ـ خاصة الفيتامينات ، نتيجة لغيابها من طعامه ، قد تؤدي الى كارثة ، لكن الكارثة لا تحدث ، لأن كل شيء قد نظم لاصلاح هذا الخلل ، اذ تقوم بعض الميكروبات التي تعيش في امعاء الحيوان بامداده بما يحتاج اليه او يهواه ، فيسد النقص ، وتسري به الحياة .

لكن الأمـر ليس كـذلـك مـع الحيوانات الخالية خلوا تامـا من الميكروبات ، اذ قد تضعف وتموت بعد ايام او اسابيع ، يتوقف ذلك على نوع الحيوان ، وهي لا تموت من جوع ، لأنها تأكل من اطايب الطعام الذي تهواه ما تشاء ، بل يرجع ضعفها وموتها الى غياب بعض انواع خاصة من الميكروبات ، التي كانت تمدها بمواد كيميائية اساسية لازمة لنموها وحيويتها ، سواء في انسجتها او في دمائها ، لكن ذلك لا يحدث مع أترابها

التي تعيش في الطبيعة ، وتتناول نفس غذائها ، لأن الميكروبات التي تعيش في امعائها تصنع لها ما هي في حاجة اليه ، وتمدها به ، لتسير الامور سيرها الطبيعي .

ليس ذلك فحسب ، بل ان غياب الميكروبات من امعاء الحيوانات قد يؤدي الى شذوذ في تكوين انسجتها واعضائها ، او ضمور في نموها ، او تخلف في امخاخها ... فالجهاز الليمفاوي المسؤول عن المناعة لا يجد ما يستفزه ويحفزه ، ولهذا لا ينمو بنفس الدرجة التي ينمو بها مع الحيوانات الوليدة التي تحيا بميكروباتها ، كما ان امعاءها تصبح رقيقة ، وينقص معدل بعض بروتينات الدم « وبالأخص بروتينات من مجموعة جاما جلوبيولين المسؤولة عن خط من خطوط الدفاع والمقاومة » ، كما ان امعاءها الغليظة تتمدد وتتضخم على غير العادة ، وقد يصل وزنها الى خمسة اضعاف وزن امعاء الحيوانات التي تعيش بميكروباتها ، فيؤدي ذلك الى الضغط على ما حولها ، مما قد يترتب عليه موت اكيد ، لكن الأمور قد تعود الى مجراها الطبيعي ، لو ان الحيوان المحروم من الميكروبات قد حصل عليها .

والموضوع بعد ذلك طويل جدا ، لكن فيما قدمنا الكفاية ، لأنه يوضح بجلاء معنى العلاقات الوطيدة بين حيوان وميكروب ، وبدونها لا تستقيم الحياة ، لأن الحياة ذاتها ، وفي اية صورة من صورها ، تقوم على مبدأ التعاون فيما نطلق عليه نحن « خذ وهات » .. او المعروف والفضل المتبادل ، فالحيوان يعطي الميكروب بيئة مثالية للتكاثر والحماية ، وكانما الميكروب يرد له الجميل بمركبات تحل محل ما غاب عنه في طعامه ، وخدمة بخدمة .. عملا وتطبيقا ، لا شعارات وكلاما .

فيتامينات للفقراء بالمجان

ولا شك ان مبدأ التعاون الذي ارسيت قواعده بين المخلوقات بهذا النظام ، له حكمة بالغة ، وقد وجد اساسا لتخطي ازمات طارئة ، ذلك ان الفيتامينات من المواد الكيميائية الاساسية التي تقوم عليها اعمدة الحياة ، وغياب واحد منها او اكثر ، يؤدي الى مرض ، وطبيعي ان المورد الاساسي لهذه الفيتامينات يكمن في الطعام ، لكن ليست كل انواع الطعام مزودة بكل الفيتامينات ، ولهذا ينوع الناس في احتياجاتهم الغذائية ، حتى تسير الأمور في اجسامهم متوازنة .

لكن فقراء العالم اكثر بكثير من الاغنياء ، وقد لا يحصلون من انواع الطعام على ما يحصل عليه المقتدرون ، ومع ذلك فرب فقير اقوى صحة وحيوية من غني يعجبك طعامه وملبسه وسكنه ، اذ غالبا ما يقتصد الفقير في طعامه ، ويسرف الغني فيه ، والله لا يحب المسرفين ، حتى ولو كان الاسراف في طعام وشراب ، لكن ماذا يفعل الفقير الذي لا يستطيع ان يدفع ثمن طعام غني بالفيتامينات كما يفعل الاغنياء ؟

لا تحمل له هما .. فما ينقص في طعامه ، قد تكفلت به ميكروبات تعيش في امعائه ، فتعطيه نصيبه بالمجان ، خاصة في مجموعة فيتامينات « ب » المركبة ، فاذا اضطر الانسان للحياة على غذاء فقير في هذه المركبات الحيوية ، ولمدة طويلة ، فلن تحدث الكارثة ، اذ انه يمتلك داخل امعائه « شركات » ادوية من نوع فريد ، فكيميائيوها قد وجدوا على هيئة كائنات دقيقة تشتغل في الوقت المناسب ، لتمد من آواها بالفيتامين المناسب ، والجرعة المناسبة .

لكن هذه الحقيقة تتضح لنا اكثر في كائنات أضأل من الانسان ، فالحشرة مثلا لا تذهب الى الطبيب لتشكو له من اضطراب حل بها نتيجة لنقص فيتامين ، ومع ذلك فلم تترك هكذا لقدرها ، بل يسر الخالق لها امورها ، وامدها من خلال نظام فذ بما تهوي ، وبهذا تستقيم امورها ، وتحيا كما نحيا ، رغم انها لا تنوع في طعامها كما نفعل نحن في حياتنا ، اي انها فقيرة في الطعام عامة ، وفي الفيتامينات خاصة ، لكن الفقر في هذا المجال ، قد تحول الى غنى ، والفضل يرجع الى تقديرات مذهلة من صنع حكيم خبير .

ان بعض الحيوانات الأولية البسيطة ليست لها ـ بطبيعة الحال ـ امعاء كامعاء الانسان او الحيوان ، لأنها مجرد خلية واحدة ، ومع ذلك فهي تعيش بكيان مستقل وضئيل للغاية ، وهي كأي حيوان آخر تحتاج لبعض الفيتامينات ، لكنها لا تستطيع ان تصنعها لنفسها ، او تحصل عليها من طعامها البسيط ، ولهذا عقدت مع بعض انواع خاصة من البكتريا مواثيق غير مكتوبة ، ولها بنود وشروط نافذة المفعول ، فعلى الحيوان الأولي ان يحتضن بعض هذه الميكروبات داخل جسمه الدقيق ، او خليته الوحيدة ، ويزودها بما تشاء من حماية وغذاء ، وهي تزوده مقابل ذلك بالفيتامينات اللازمة لحياته ، وخدمة بخدمة ، ومنفعة بمنفعة ، فتسري الحياة بين هذه المخلوقات الدقيقة دون فلسفة او لف او دوران .

توازن له اصوله ومغزاه

العلماء الذين اكتشفوا هذه الظاهرة ، تحيروا فيها اعظم حيرة ، ولقد ظنوا باديء الامر ان الحيوان الأولي مصاب بالميكروب ، ومع ذلك لا يمرض ولا يموت ، بل رأوه في غاية الصحة والعافية ، والحيرة الثانية ان عدد افراد البكتريا في داخل جسمه لا تنقص ولا تزيد الا في حدود ضيقة ومرسومة ، اذ من المعروف ان البكتريا اذا غزت خلية او نسيجا ، فانها تتكاثر فيه بسرعة رهيبة ، وتدمره تدميرا ، او قد تباد البكتريا ذاتها بخطوط دفاعية يمتلكها الحيوان ، ونحن نعرف ذلك ايضا في اجسامنا تمام المعرفة ، صحيح اننا نحتضن هذه الميكروبات في افواهنا وانوفنا وحناجرنا وامعائنا ، لكنها ممنوعة من الدخول بفضل خط دفاعي يقف لها بالمرصاد ، فاذا حدث لأي سبب ، واخترقته ، لتنفذ الى خلايانا

او دمائنا ، فانها تتكاثر فيها وتهلكها ، ما لم يتصد لها خط دفاعي آخر ليبيدها قبل ان تبيده ، ونتيجة المعركة تتحدد بأيهما القوي ، وأيهما الضعيف .

ان هذا يوضح لنا سبب حيرة العلماء في وجود ميكروبات داخل خلية الحيوان الاولي البسيط ؛ دون ان تتكاثر وتبيده ، ومن اجل هذا دفعهم فضولهم للمعرفة لعزل خلايا هذا الحيوان بميكروباته في الدوارق ، ثم امدادها بمضاد حيوي مناسب يبيد البكتريا ، ويحافظ على الحيوان الأولي ، وعندئذ ظهرت عليه اعراض الضعف والهزال ، فسارعوا بامداده بالميكروب الذي يهواه ، فاحتضنه في داخل خلاياه ، وبعدها عادت اليه حيويته ونشاطه ، وسار كل شيء داخل مادته الحية بحساب ومقدار ، وكما قدر الخالق من قديم الأزل .

وعند هذه الحدود ، عرف العلماء انهم يقفون امام ظاهرة من ظواهر التوازن ، ومبدأ من مبادىء التعاون ، فلا الميكروب يتكاثر بدون حساب ، حتى لا يؤذي من احتضنه وآواه ، ولا كذلك يأكل الحيوان البكتريا ، وهو على ذلك بقادر ، لأن الكثير من انواع الحيوانات الأولية تعيش على التهام البكتريا ، وتتخذها كطعام مستساغ ، الا هذه الانواع التي تعيش معها في تعاون دائم ، لأن البكتيريا تصنع لها ما تشاء من فيتامينات ، وتقدمها لها جزاء وفاقا ، وبهذا لا تجازيها جزاء سنمار ، لكن ما اكثر ما يتخلى الانسان عن مواثيقه ، ولا يفعل ذلك مخلوق على مستوى حيوان اولي دقيق .

لكن .. كيف حدث هذا التوازن المثير ، ورسمت له حدوده المقدرة ، وبحيث لا يطغي صاحب على صاحبه ، خاصة وأن ظواهر الطغيان على مستوى الانسان والحيوان والميكروب كثيرة ومتكررة في الزمان والمكان ؟

الواقع ان احدا لم يستطع تقديم تعليل معقول لذلك ، لكن ظواهر الأمور تشير الى ذلك ، اما بواطنها فتنطوي على اسرار ود العلماء لو يحصلون عليها ، لكن ما بالتمنيات نحصل على ما نريد ، بل يستلزم ذلك عقولا ذكية ، وبحوثا عميقة ، وطموحا صادقا للكشف عن هذه النظم التي توجد فينا ، او تمتد حولنا بغير حدود ، ويوم نكتشف المزيد من هذه الأسرار ، فان ذلك يبصرنا بحقيقة الخلق ، وتجليات الخالق الذي جعل كل شيء يسير بمقدار ؛ ويتفاعل بمعيار ، ويسري بحسابات لا خلل فيها ولا فوضى ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة الا العلماء الذين وهبوا انفسهم للبحث والتنقيب في كل خلق خلقه الخالق فقدره تقديرا مذهلا .

واخيرا ، فانه لا يسعنا الا ان نقدم هنا ما عبرت عنه الآية الكريمة من اجمال مقتضب لما قدمنا فأوجزنا : **(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)** الحجر/ ١٩ : **(وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)** يونس/ ٩٢ .



الكون سفر الله المنظور ، والقرآن الكريم سفر الله المقروء ، وكلا السفرين أمام أعين الناظرين ، من أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها .

وسفر الله المقروء يوجه إلى سفره المنظور ، أرضه وسمائه ، أفلاكه وكواكبه وأبراجه ، شمسه وقمره ، بره وبحره ، جباله ووهاده ، أنهاره ووديانه ، نباته وحيوانه وجماده ،.. يوجه إلى ذلك وغيره ، للنظر والتدبر والعبر ، ومعرفة المنافع والمضار ، والحكم والأسرار .

وللحيوان في القرآن الكريم دولة ، ولم لا ؟، أليست الحيوانات أمما أمثالنا ؟ ألم يقل المولى جل وعلا في سورة الأنعام في الآية/٣٨ : **(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)** .

أو ليست الحيوانات تسبح بحمد ربها كما قال المولى : **(والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه)** ٤١/النور وكما قال : **(ياجبال أوبى معه والطير)** ١٠/سبأ .

ألم ينتقد الهدهد كفر أهل



للاستاذ/محمد عبدالفتاح محمود علم الدين

سبأ ، وعدم سجودهم معه ، وسجودهم لما خلق الله ؟ فيقول لسليمان : (**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموٰت والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**) ٢٤ ـ ٢٦/النمل .

ألم تأمر زعيمة النمل قومها بالدخول في المساكن حتى لا يحطمنهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون .

ولقد شرفت الحيوانات باطلاق أسماء بعضها على سور من القرآن الكريم ، طواله وأوساطه وقصاره ، مثل : البقرة ، الأنعام ، النحل ، النمل ، العنكبوت ، العاديات ، الفيل .

ولقد ذخر القرآن الكريم بذكر أنواع الحيوان : البري ، والجوي ، والمائي ، والبرمائي ،

الأليف والمتوحش ، والزواحف والحشرات .

ومن الأليف الدواب والأنعام والكلب ، ومن المتوحش الأسد والذئب ، ومن الحشرات ، النمل والنحل والجراد والعناكب والقمل ، ومن الطير الهدهد والغراب ، ومن المائي الحوت ، ومن البرمائي الضفادع ..

هذه الأنواع وغيرها جاءت في القرآن الكريم للنظر في خلقها ، سواء منها ما عظم في الخلقة كالابل والفيل ، أو دق وتناهى في الصغر كالجراثيم التي لا ترى إلا بالمجهر ، ولفوائدها الجمة للانسان ، فمنها ركوبه ، ومنها أكله اللحم وشربه اللبن ، ومنها يكسى من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ويتخذ البيوت الخفيفة من جلودها .

ويتطبب بعسلها الذي فيه شفاء للناس .

وهي تفتح له باب الأمثال وضربها ، المعتمدة على التشبيه بما في هذه الحيوانات من قوة وضعف ، وذكاء وغباوة ، وعزة وخساسة ، وجمال وقبح ، وأنس ونفور ، ولئن كان الانسان قد روض الحيوان ، وذلله لمنافعه بارادة الله ، فلقد كان الحيوان معلما للانسان الأول ، ومعرفا إياه ما يجهل ، كالغراب الذي أرسله الله ليعلم ابن آدم كيف يواري سوأة أخيه ، وقال عنه في القرآن الكريم : (**فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين**) ٣١ / المائدة .

ولقد علم الحيوان الانسان البكور والسعي الى الرزق ، وعلمه الصبر والدأب على العمل وبناء المنازل وهندستها ، وحياة الأسرة والدفاع عنها ، وادخار القوت ليوم المخمصة ، والنظافة وإخفاء الفضلات .

انظر إلى الطيور كيف تسرع في البكور والبحث عن الرزق ، تغدو خماصا وتروح بطانا ، وانظر إلى أعشاشها التي بنتها في بقعة محصنة من الشجرة ، تثبت للريح والمطر على ضعفها وضعف موادها ، وفيها تحيا حياة الأسرة المتعاونة في تربية الصغار وإطعامها وحراستها وتعليمها الطيران .

وانظر إلى النمل والنحل ، كيف يدأبان على العمل ، وكيف يهندس النحل خلاياه ويدخر فيها العسل ؟ وكيف يدخر قوت الصيف للشتاء ؟ وانظر إلى الهرة كيف تنظف نفسها وصغارها بلسانها ويدها ، وكيف تخفي فضلاتها بالحفر والردم ؟ وغير ذلك ثم احكم بأن الحيوان علم الانسان .

ونبدأ الآن في ذكر ما ورد في القرآن الكريم من الحيوان والأغراض التي من أجلها ورد

ذكرها .

الدواب

الخيل : جاءت في القرآن الكريم في عدة مواطن : منها أنها من دواب الركوب وهي : الخيل ، والبغال والحمير ، وذلك في سورة النحل التي امتلأت بنعم الله تعالى على الانسان ، ابتداء برسالات الله إلى الانسان عن طريق الانبياء ومرورا بصنوف من الدواب والأنعام والنحل والطير مما سيرد في حينه إن شاء الله ، يقول الله تعالى : **(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)** ٨/النحل .

وجاءت في سورة الأنفال لحكمة أخرى وهي القوة الحربية وذلك في قوله تعالى في الآية/٦٠ : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)** وهؤلاء الآخرون هم المسمون الآن ، بالطابور الخامس وفي هذا الغرض وردت في سورة العاديات : **(والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا)** ففي هذه الآيات الكريمة يصف الله تعالى الخيل مقبلة على الاغارة ، تسابق الريح ، وتضرب الأرض بحوافرها فتقدح شررها إن صادفت أرضا وعرة ، وتثير غبارها إن صادفت أرضا متربة حتى تتوسط أرض الأعداء ، ويتم بها الانتصار .

وذكرت الخيل في سورة « ص» لبيان منزلتها عند نبي الله سليمان ، وكان بالخيل معنيا وبخاصة الجياد منها ، يحبها لأن الله تعالى جعل فيها خيرا كثيرا فقال جل شأنه : **(إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق)** ٣١ ـ ٣٣
والصافنات هي الجياد العربية يقوم كل واحد على ثلاث قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر ، وهي الخير في الآية الكريمة مصداق قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الاجر والمغنم » رواه أحمد . ومسح سليمان لسوقها وأعناقها اعتزاز بها لا كما يقول الخراصون ضربا بالسيف لأنها ألهته عن صلاة العصر ..!!

البغال : لم ترد إلا في سورة النحل مقرونة بدواب الركوب في الآية التي مرت وهي : **(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)** .

الحمير : ذكرت كثيرا في القرآن الكريم مفردة وجمعا ، كما جاءت في الآية السابقة للركوب والزينة جمعا .

وجاءت في سورة المدثر في الآية ٤٩ ـ ٥١ بلفظ الحمر في قول الله

تعالى : (**فما لهم عن التذكرة معرضين . كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة**) وقد شبه الله تعالى من يدعوه الرسول محمد عليه الصلاة والسلام الى الاسلام ثم ينفر من الدعوة ويعرض عنها مدبرا ، شبهه بالحمر الوحشية التي رأت أسدا فنفرت منه وولت الادبار فرارا ، وفي تشبيه المعرضين عن الدعوة للاسلام بالحمر إشارة إلى أن النفور سببه الجهل وهو تشبيه ذم وتهجين .

وجاء لفظ الحمار مفردا في الآية ٢٥٩ من البقرة في قول الله تعالى : (**وأنظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس**) وذلك أن الذي مر بقرية بيت المقدس بعد أن خربها بختنصر أو غيرها ورآها خاوية على عروشها استبعد إحياء أهلها فأراه الله من ذات نفسه ومن حماره ومشاهدته لعظامه كيف يحييها الله ويجمع ما تفرق منها ويكسوها لحما ثم يبعثها حمارا سويا ليعلم أن الله على البعث وعلى كل شيء قدير .

وجاء لفظ الحمار كذلك مفردا في سورة الجمعة في الآية الخامسة : (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا**) فقد شبه الله تعالى اليهود الذين حملهم أمانة التوراة ليعملوا بها ويعلموها الناس ، فلم يستجيبوا لذلك حملا أو إبلاغا بالحمار الذي حمله صاحبه كتبا على ظهره وهو لا يدري ما بها ، وحظه منها الحمل فقط مع انها أسفار أي كتب علمية كبيرة ، وهذا مثل للجهل وبلادة الذهن وعدم الانتفاع بالمحمول ، وهذا التشبيه ينبه المسلمين أنهم إذا لم يعملوا بالقرآن الكريم ولم يبلغوه للناس فإن هذا التشبيه ينطبق عليهم .

الأنعام

وهي الابل والبقر والغنم جاءت جملة في بعض الآيات ومفصلة في البعض الآخر .

جاءت بلفظ الأنعام في قول الله تعالى (**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم**) ٥ ـ ٧/ النحل .

ولقد سردت هذه الآيات الكريمة مزايا الأنعام في ضمن ما أنعم الله به على الانسان من نعم لا يحصيها إذا حاول عدها ، وما أجمل أن يرى الانسان الأنعام في المراعي تأكل وتخور وتهدر ، أو يراها تسير إلى مراحها أو حظائرها ، وما أعظم منة الله على عباده عندما تحملهم الابل وتحمل أثقالهم عبر الصحاري والقفار والكثبان ، والوديان صابرة على الجوع والظمأ ، تطأ الأرض بأخفافها فلا تغوص في الرمال ، وتشرف برأسها المرتفع على رقابها

الطويلة فترى من بعد ، ثم تأكل الشوك فلا يؤذيها لأن شفتها مشقوقة ، وما اطيب للانسان من أن يأكل لحومها ويشرب من ألبانها ، ثم يجد في جلودها وأوبارها وأصوافها وأشعارها ما ينسجه ملابس وأغطية وأخبية تقيه الحر والقر ولولا الدفء لآذاه البرد بأمراض الصدر والحميات ، فشكرا لله الرءوف الرحيم .

وذكرت الأنعام في الآية ١٢ من سورة محمد في معرض التعريض بالجاهلين الغافلين الساهين عما خلقوا من أجله وعن مآلهم في أخراهم : (**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**) فهؤلاء الكفار همهم في ملذاتهم ، وعقلهم في بطونهم ومتعهم ، والنار عاقبتهم ومآلهم .

وذكرت في معرض الذين أنعم الله عليهم بأشرف الحواس من السمع والبصر والفؤاد مما يمكنهم من الاتصال بملكوت الله وقرآنه ، ودعوات أنبيائه للهدى والرشاد ودين الحق ، ولكنهم أغمضوا عيونهم وأصموا آذانهم فلم تغن عنهم حواسهم شيئا وكانوا بذلك أضل من الأنعام ، يقول الله تعالى فيهم (**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) ٤٤/الفرقان .

وذكرت في معرض الكفار في الجاهلية يحرمون ويحللون في الأنعام كما شاء لهم الهوى والضلال : (**وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم**) ١٣٨ و١٣٩/الأنعام .

وجاءت الأنعام متفرقة إلى أنواعها الابل والبقر والغنم في مواضع منها :

قول الله تعالى (**ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين**) **إلى أن قال** (**ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين**) ١٤٤/الأنعام .

والمقصود بالاثنين الذكر والانثى والآية في معرض تكذيب الذين حرموا وحللوا باهوائهم فالله تعالى هو الذي يحل ويحرم ، وهو لم يحرم ما حرموه وكفى بذلك جرما عظيما .

كما جاءت آية تحرم على اليهود بعض ما كان حلالا لهم عقابا لهم على بغيهم هي قوله تعالى : (**وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما او الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون**) ١٤٦/الأنعام .

وقد جاءت الابل وحدها في آية الحج ٣٦ في قوله تعالى : (**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون**) .

والبدن جمع بدنة وهي الناقة والله أمر ان تساق هذه الشعائر لتذبح باسم الله في مكة ومنى ، ثم يطعم منها الذي يحبسه الحياء عن السؤال والذي يعترض بالسؤال وذلك مضادة لما كان يفعله المشركون من الذبح للاصنام ، على النصب كما جاءت كلمة الابل في معرض حث الناس على النظر إليها والتدبر في خلقها وما امتازت به من نعم على سكان الصحاري وغيرهم . وذلك قوله تعالى : (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت**) ١٧ / الغاشية .

وجاءت كلمة البقرة مفردة في سورة البقرة التي سميت باسمها في الآية ٦٧ (**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**) وذلك لما قتل قتيل في بني اسرائيل وادارأت اليهود في قتله كل ينفي عن نفسه القتل ، فأوحى الله إلى نبيه موسى عليه السلام أن يأمرهم بذبح بقرة ثم يضربوا القتيل ببعضها ويكون ذلك سببا في إحياء الله للمقتول فيخبر باسم قاتله ويقتص منه .

الغنم : جاءت في الآية ٧٨ و ٧٩ من سورة الانبياء في قول الله تعالى : (**وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان**) وذلك ان داود عليه السلام حكم بالغنم لاصحاب الحرث مقابل ما اتلفوه ، ولكن سليمان عليه السلام قضى بدفع الغنم لاصحاب الحرث ينتفعون بألبانها ريثما يصلح اصحاب الغنم ما أتلفوه من الحرث ثم يترادان بعد الاصلاح .

وجاء ذكر النعجة واحدة النعاج وهي الغنم في الآية ٢٣ و٢٤ من سورة ص : (**إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه**) والله أعلم أهم يقصدون النعاج حقيقة أم يكنون بها عن النساء ، أن افتعلوا هذه القصة ليبرروا بها تسورهم للمحراب وكانوا يريدون به سوءا .

الأوابد وحيوان الغاب

الأسد : جاء ذكره في آية المدثر ٥٠ و ٥١ (**كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة**) يقول الزمخشري في الكشاف ان قسورة قيل إنه الأسد ، يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة ، وقد سبق ذكر ان الحمر الوحشية أشد ما تكون نفورا إن رأت أسدا فانها تلوذ بالفرار ، وأنه

قد شبه بهم المعرضون عن الدعوة للاسلام .

السبع : هو كل حيوان متوحش آكل للحوم سواء في ذلك الأسد أو النمر أو الضبع أو الذئب وإن كان يطلق على الأسد كثيرا ، وجاء ذكره في قوله تعالى : (**وما أكل السبع إلا ما ذكيتم**) ٣/المائدة ، وذلك في صدد المحرمات من المطعومات ومن بينها الحيوان الذي افترسه سبع لطعامه فهو حرام أكله ، إلا إذا أدركه الانسان وفيه حياة وذكاه بالذبح ، أما حيوانات الصيد المعلمة من الكلاب والفهود والصقور فما صادته لصاحبها فحلال له ، وحق عليه أن يذكر اسم الله وقت إطلاق الجارح ، وما صاده لنفسه فحرام .

الذئب : هو الذئب المظلوم الذي نسب إليه إخوة يوسف أنه أكله وهو من دمه بريء فانه لم يكد سيدنا يعقوب يقول لأبنائه : (**وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**) ١٣/يوسف حتى عادوا إليه عشاء يبكون ويقولون : (**إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**) ١٧/يوسف .

القردة : وردت في القرآن الكريم في كفرة بني اسرائيل : (**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**) ٦٥/البقرة .

وذلك أن اليهود أمروا بأن يجردوا يوم السبت للعبادة ، وابتلاهم الله تعالى بجعل الحيتان تكثر يوم السبت أمام أعين اليهود فاذا انتهى السبت غابت الحيتان في البحر ، فلم يصبروا على هذا الابتلاء ورسبوا في الاختبار عندما قرروا أن يصطادوا في السبت فجعلهم الله قردة أو كالقردة مهانة وذلة .

القردة والخنازير : جاء ذكر القردة ثانية مع الخنازير في قوله تعالى : (**قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبدالطاغوت أولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل**) ٦٠/المائدة .

قيل المسخان كانا لمعتدي السبت من اليهود وقيل مسخ القردة لهم ومسخ الخنازير لكفار عيسى من اهل المائدة والله اعلم .

الخنزير : جاء في اللحوم المحرمة في آية المائدة ٣ : (**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**) وآية الانعام ١٤٥ : (**قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير**) وتحريمه كما جاء في تفسير هيئة العلماء المختصة بالمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، لما فيه من طفيليات وفيروسات وديدان ، تصيب الكبد والامعاء وبخاصة

الـدودة الشـريطيـة والـدودة الشعرية ، وتنتشر يرقات الأولى في عضلات المصاب مسببة أعراضا قاتلة إذا ما أصابت المخ أو النخاع الشوكي أو القلب .

وتنتشر يـرقـات الثـانيـة في العضـلات مكونـة حمى وآلاما روماتزميـة عضلية مبـرحة مـع صعوبة المضغ والتنفس والتهاب المخ ، ودهنه يسبب حصى المرارة وتصلب الشـرايين ، والحمـدلله الذي وقى المسلمين .

الفيل : ورد ذكره في السـورة المسماة باسمه في قولـه تعالى : (**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيـل . ألم يجعل كيـدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيـراً أبـابيل . تـرميهم بحجارة من سجيـل . فجـعلهـم كعصـف مأكول**) .

والتاريخ يذكر ان ابرهة وكان يحكم اليمن باسم ملك الحبشة ، بنى بيتا بصنعاء وأراد أن يصرف الناس عن الكعبة إليه ، فأعد جندا لهدمها ، وخـرجوا ومعهم فيـل ضخم لعملية الهدم ، ولمـا كان العـرب لا يستعملون الفيلـة في الحروب ولا يعرفـون إلا الخيل والابل ، فقد هـابوه وأفسحـوا للجيش وللفيل الطريق ، حتى اذا وصل إلى مشارف مكة أرسل أبرهة الى سيد أهل مكة عبد المطلب بن هاشم يخبره انه لم يأت محاربا لهم وانما لهدم الكعبة ..

وقد رأى عبد المطلب انه لا قبل له بملاقاة هذا الجيش فخرج من مكة هو وقومه تاركين البيت الحرام لربه يحميه .

ولما أصبح الطاغية أبرهة ووجد الطريق ممهدا أمامه سار بجيشه والفيل ، لينفذ ما اعتزمه ، ولكن رب البيت أعجله بالطيور الأبابيل ترميه بحجارة من سجيل ، قيل إنها جراثيم مرض الطاعون فتكت بـه وبجيشه فتكـا عظيما حتى أصبحوا منثورين في الأرض كورق الشجر الجاف الذي أكله الدود ، وبذلك نجى رب العـالمين بيتـه وحماه ، ودرأ عن أهله ما كان شرا لهم فازدادوا بالبيت الحرام تعلقا وتعظيما ، وبهذا الحادث أرخت العرب وولد سيد البشر في اول عام من حادث الفيل ، عليـه أفضل صلاة وأزكى سلام .

الطيور

وردت في القرآن الكريم بلفظ الطير في عدة مواضـع :

منها قوله تعالى : (**ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**) النحل/ ٧٩ .

والطيور يساعدها على الطيران اشياء في تكوينها ، أهمها شكل جسمـهـا الانسيـابي وبسطـة الاجنحـة المـزودة بـالـريش ، وعظـامهـا المجـوفـة الخفيفـة ، واكياس الهواء بين احشائها معلقة

بالرئتين حيث تمتلىء بالهواء عند الطيران فيخف وزن الجسم .

ومنها : (**ألم تر أن الله يسبح لـه من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه**) النور/ ٤١ ، والصف في الطيور أن يطير باسطا جناحيه دون ان يحركهما والطير الصافات لخفة وزنها ومتانة بنائها وعلو كفاءة قلبها وجهاز تنفسها وانسياب جسمها وقوة الأوتار والأربطة المتصلة بأجنحتها تستخدم التيارات الهوائية لفترات طويلة دون جهد كبير .

عكس الطيور الصغيرة التي تعتمد على تحريك أجنحتها كلما طارت .

وجاءت في سورة سبأ آية ١٠ :

(**ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير**)

وجاء في سورة النمل آية ١٧ :

(**وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون**)

وجاء في سورة الحج في آية ٣١ :

(**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**) .

الطيور اذا من نعم الله التي لا تعد فما يؤكل لحمه منها من أشهى انواع اللحوم ، وهي تسبح بحمد ربها : (**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**) الاسراء/ ٤٤ وطيرانها ابهج الانسان وألهمه ان يحاكيها ، واستمر يدرس تركيبها وانسيابها وحركاتها واستخدامها لتيارات الهواء ، وما زال يحاول حتى استطاع ان يصنع مركبات الهواء ويطير فيها بعد ان عجز هو عن الطيران بنفسه .

وجاءت من الطيور انواع مفردة منها :

الهدهد : وهدهد سليمان أخذ حيزا كبيرا في سورة النمل فانه لما غاب وتوعده النبي سليمان بالعذاب الشديد او بالذبح ما لم يأته بعذر مقبول - أتاه ليعلمه انه احاط بما لم يحط به النبي وانه كان في سبأ وشاهد ما شاهد من كفر اهلها بالله وسجودهم لمخلوق له هي الشمس ، وكان بعد ، رسولا لسليمان يحمل رسالة مكتوبة لحاكمة سبأ فأدى الرسالة ، وظهر انه صادق في عذره فعفا عنه سليمان .

الغراب : وقد جاء ذكره في سورة المائدة في الآية ٣١ عندما ارسله الله تعالى ليعلم ابن آدم كيف يواري سوأة أخيه وفي ذلك يقول الله تعالى : (**فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين**) .

ومن الحيوان الاليف **الكلب** وله دور كبير في حراسة الانسان : منزله ودوابه وغنمه ، ولبعض أنواعه دور كبير في الصيد كالكلاب السلوقية وغلب اسمه على حيوانات

الصيد من الفهود في قول الله تعالى : (**وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم**) المائدة/ ٤ .

وجاء في القرآن الكريم في الآية ١٧٥ و ١٧٦ من سورة الأعراف مشبها به من آتاه الله علما ، وابلغه آياته فأعرض عن علمها واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه ودنياه على أخراه ، فالكلب في طبعه شراهة وحرص ، ويمشي وخطمه في الأرض يتشمم ما فيها ؛ ويحتمل الهوان ، وربما أكل الجيف فقال المولى في هذا التشبيه :

(**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**)

ولا شك ان من انسلخ من آيات الله بعدان بلغته واتبع هواه لشدة لهفته على الدنيا جدير بهذا التشبيه

المائي والبرمائي

من الحيوان المائي **صيد البحر واللحم الطري** : وهما كناية عن السمك ثم الحوت وقد جاء في القرآن الكريم في الآية ٩٦ من المائدة : (**أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما**) .

كما جاء في الآية ١٢ من سورة فاطر : (**وما يستوي البحران هذا عذب فرأت سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا**)

اما **الحوت** فقد جاء مرتين ، دلت اولاهما على انه حوت صغير وهو الحوت الذي كان معدا لغذاء سيدنا موسى وفتاه وجاء في سورة الكهف آية ٦٣ : (**قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا**) يقول ذلك الفتى ردا على طلب موسى تناول الغداء بعد أن لقيا في سفرهما نصبا وتعبا .

وأما الثانية فهي حوت سيدنا يونس الذي التقمه بفمه ثم حمله باذن الله الى البر فنجا من الغرق ولا شك انه كان حوتا كبيرا ، يقول المولى جل وعلا في الآية ٨٧ و ٨٨ في الأنبياء : (**وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**) وذا النون هو سيدنا يونس صرح به الله تعالى في سورة الصافات الآية ١٣٩ وما بعدها :

(**وإن يونس لمن المرسلين . إذ أبق إلى الفلك المشحون . فساهم**

فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم) ولومه انه ترك قومه يأسا منهم دون اذن ربه .

ومن البرمائي **الضفادع** : وقد جاءت في سورة الاعراف في الآية ١٣٣ ضمن الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه كي يؤمنوا برسوله موسى عليه السلام ، لكنهم لكفرهم وعنادهم وكبرهم وخشيتهم ان يكون لموسى وقومه الكبرياء في الارض ـ كانوا كلما وقع عليهم الرجز طلبوا من موسى ان يدعو ربه لرفعه ويؤمنوا ، ولكنهم بعد رفعه يعودون للكفر فلم يبق الا ان اغرقهم الله جميعا ، والله تعالى يقول في هذه الآيات :

(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) وهذه خمس آيات والاربع الباقيات : السنون ونقص من الثمرات والعصا واليد التي نوه الله بها في قوله في سورة الاسراء آية ١٠١ :

(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا)

الحشرات والهوام

الحية والثعبان : ورد ذكرهما في القرآن الكريم مقرونتين بعصا موسى في سورة طه في الآية ٢٠ :

(فألقاها فاذا هي حية تسعى)

وفي الآية ٣٢ من سورة الشعراء :

(فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) .

النمل : ورد ذكره في السورة المسماة باسمه تفهم وتتحدث ولها صوت مسموع يعرفه من يعرف لغة الحيوان وذلك هو نبي الله سليمان حيث استمع لزعيمة النمل وهي تحدث سائر النمل بقولها : **(يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها)** النمل/ ١٨ و ١٩ .

النحل : ورد ذكره في سورة النحل المسماة باسمه في معرض فائدته من صنع العسل الشافي في الآية ٦٨ و ٦٩ حيث يقول المولى جل وعلا :

(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس)

وحياة النحل فيها آيات للمعتبرين ، فقد اعدها الله تعيش على رحيق الازهار ، تطير لها مسافات طويلة وتمكث في الامتصاص ساعات حتى اذا

امتلأت عادت الى بيوتها لا تضل السبيل اليها ولا تحيد عنها ، وفي هـذه البيوت تخطط وتهنـدس ، وتعمل دائبة عـلى نظام الملكـة والشغالة ، وتفرز العسل النقي الشهي الشافي باذن الله ومواده السكرية لا تضر ابدا ، يتغذى به مرضى السكر فلا يزيد في مرضهم بل يساعد على شفائهم ، ويقال ان النحل يمتص رحيق (٥) آلاف زهرة كي يفرز جراما من العسل ، فهـو اذاً يضني نفسـه ليفـوز الانسان بجناه وهو لم يكابد شيئا ، وهـذه من كبرى نعم الله عـلى النـاس ، الوان العسـل مختلفة باختلاف الازهار .

العنكبوت : ورد ذكره في الآية ٤١ من سورة العنكبوت ، وفيها يقول الله تعالى : (**مثل الذين اتخذوا مـن دون الله أوليـاء كمثـل العنكبـوت اتخذت بيتـا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**) .

وهذا مثل يملأ القلب روعة فان الذين اتخذوا من دون الله اندادا يعتصمون بهم ، ويرجـون منهم المساندة والمساعدة ، ليسوا في ذلك الا كـالعنكبـوت اتخـذت بيتـا واستنـدت اليه ، فهي ضعيفـة استندت الى ما هو أشد منهـا ضعفا ، وهؤلاء استندوا الى ما لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا ، فتوليهم غير الله عبث وكفر ، ولا يزيدهم الا خسارا .

الذباب : ورد في الاية ٧٣ و ٧٤ من سورة الحج وفيها يقول الله تبارك وتعالى : (**يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز**) .

يقول الامام ابن القيم تعليقا على هذه الاية الكريمة : حقيق على كل عبد ان يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره ، فانه يقطع مواد الشرك من قلبه .

وذلك ان ادنى درجات المعبود ان يقدر على ايجاد ما ينفع عابده واعدام من يضره . والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعت لخلقه ، فكيف ما هو اكبر منه ؟ ولا تقدر على الانتصار منه اذا سلبهم شيئا . فلا اعجز من هذه الالهة ولا اضعف منها . فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله ؟

الجراد والقمل : ورد في الآية التي ورد فيهـا ذكر الضفـادع وقـد سبقت ، كما ورد الجراد في سورة القمر : (**يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر**) /٧ .

البعوض : ورد في الآية الكريمة ٢٦ من سورة البقرة وهي قول الله تعالى :

(**ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها**) .

وذلك ان البعوض من خلق الله وكل ما خلق الله كبيرا او صغيرا فهو

جليل لا حقارة فيه الا في اعين المستهزئين ، والحيوان كلما دق كان أدل على القدرة ، فكيف بهذا الجسم الضئيل يحتوي اجهزة الحياة والحركة والتكاثر ؟... والحقارة لا تأتي للانسان الا اذا امتهن نفسه وارتكب الاثام فهي شيء غير الخلقة . وما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بل كله إبداع واعجاز .

حكمة خلق الحشرات الضارة

قال لي صاحبي يوما ما : أرأيت إلى الزرع النضير ، بينما يأخذ جماله بالعقول وتنعقد على نضرته النواظر ، وقد اخرج شطأه فآزره واستغلظ واستوى على سوقه ـ يحتنكه الجراد او تفتك به الحشرات ، فيزوي ويصير هشيما تذروه الرياح ؟

أرأيت الى الانسان اجمل المخلوقات والذي خلقه المولى جل وعلا في احسن تقويم ، بينما هو بالغ القوة جم النشاط شديد الاسر ... تدلف اليه جراثيم الامراض فتفت في عضده وتضعف من قوته ، وما تزال تتكاثر عليه حتى تودي به ويصبح في خبر كان مخلفا لآله الاحزان ؟ لكأن بين الحشرات والجمال في العالم عداوة : الجراثيم والفيروسات لا تفتأ تعلن عليه الحروب واذا كتب لها الانتصار على الانسان بصفة خاصه صار العمار الى خراب والجمال الى المسخ والتشويه . فما الحكمه في خلقها وضررها محقق وشرها مستطير ؟

فاطرقت ساعة افكر ثم أقبلت عليه اقول بما فتح الله علي :

١ ـ انت تعرف ان الخير لا يدرك الا بالشر ، وان النور لا يتصور الا بالظلام ، وانه بضدها تتميز الاشياء ، فهب الحشرات شرا محضا فهي سبيل الى إدراك الجمال .

٢ ـ وتعلم أن الانسان يطغى أن رآه استغنى ، يملؤه الشر والزهو ويغره بالله الغرور ، يمشي مرحا ويبطش جبارا ويتعالى حتى ليحارب ربه وينازعه الوهيته ـ فيسلط الله عليه اضعف مخلوقاته بعوضة فما دونها من جراثيم الامراض تخضد من شوكته وتعرفه قدر نفسه كما فعل ربك باصحاب الفيل ، عندما أرسل عليهم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، ربما كانت جراثيم مرض الطاعون فجعلتهم كعصف مأكول

٣ ـ وتعلم ان الانسان يتعالم ، يدعي علم الأول والآخر ويذهب يخايل ويفاخر حتى ليقول أن كل ما يملكه أتاه على علم عنده كما قال قارون .. ولكن حشرة واحدة كحشرة القطن بلبلت عقل الانسان وحيرته واتعبت عقله وتفكيره ، فقد سلخ في محاربتها ومحاولة الفتك بها عشرات السنين ، يسلط عليها المبيدات وينفق الجهد الكثير والمال

الوفير ، ثم هو يبوء بعد كل هذا بالفشل الذريع ولا تزال كلما ابتكر مبيدا تتأقلم معه ، هذه حشرة واحدة فعلت به هذا ، أفبعد هذا يتطاول بعلمه ولا يعترف بأنه لم يؤت من العلم الا القليل ؟

٤ ـ وتعلم ان الانسان مغرم بالكسل لا يحركه الى العمل الا داع ملح ، وقد لعب الخوف من الهوام والحشرات دورا كبيرا في رقي الانسان ، فلخوفه منها بنى المنازل وحصنها ونظفها وسد شقوقها وثقوبها وأضاءها بعد أن جرب أنها تعيش في الشقوق وفي الظلام ، فهو مدين لها بهذا الرقي وان كان لها من الكارهين .

٥ ـ والحشرات في حد ذاتها معجزة كيف تحيا وكيف تتكاثر وكيف تنتقل وكيف تؤدي دورها وما أجزاؤها ووظيفة كل جزء وهي على هذا القدر من الصغر والدقة بحيث لا ترى بعض الأنواع الا بالمجهر والآلاف منها تجتمع على رأس دبوس ، اليس ذلك باعثا على البحث والكشف والاعتراف بعجز الانسان وإعجاز الخالق .

٦ ـ وبعد هذا فالحشرات والهوام والجراثيم مدد للتشبيه في اللغة لا ينفد ، وأثر التشبيه في الكشف والايضاح والتقرير والتمليح والتقبيح لا يجحد .

كما شبه المولى جل وعلا متخذي الأولياء من دون الله بالعنكبوت تستند الى بيت هو أوهى البيوت ، وكضعفهم عن خلق الذباب وقد مر هذا فلا اعيده .

وفي غير القرآن الكريم جرت الالسنة بتشبيه بعض الناس بالهوام والحشرات لجامع بينهما سواء في ذلك الشعر والنثر ، ومن الشعر قول عنترة العبسي :

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

وهذا مثل لكل من يغتر بمن ظاهره لين وفي باطنه الموت الزؤام .

وكان ابو الشمصمق المصري قد سكن دارا بالفسطاط بها عقارب فقال :

وبها عقارب كالأقارب رتع
فبها كفانا الله شر حماتها

وقد قلب التشبيه فجعل العقارب مشبها والأقارب مشبها به وهذا يدل على ان ايذاء الاقارب اشد من ايذاء العقارب .

وانت خبير بأن بعض الناس لهم لون خاص من حقهم ان يشبهوا بما يناسب لونهم ومن يتلون كثيرا يشبه بالحرباء والدءوب على العمل يشبه بالنمل والنحل وهكذا ..

على اني سمعت ان بعض العلماء استخرجوا من بعض السموم ترياقا لبعض الامراض فيكون نقمة تحولت الى نعمة ، وما بظاهره العذاب في باطنه الرحمة ، وكلها من جند الله .

(وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر) ٣١ المدثر .

هذا ما لدي ذكرته وعسى من يزداد علما يبدي ما عنده وفوق كل ذي علم عليم .

وقفة تأمّل

من أجل صناعة عربية

○ افتتح السيد / عبد العزيز حمد الصقر ـ رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت ـ الدورة السادسة للجمعية العمومية للاتحاد العربي للصناعات الهندسية يوم ١٣ / ٤ / ١٩٨٢ ..

○ وكان مما قال : يأتي اجتماعنا بعد أسبوعين فقط من انعقاد المؤتمر الأول لرجال الأعمال والمستثمرين العرب .. وأشار إلى أن هذا المؤتمر قد خرج بعدة ملاحظات منها : أن كبرى المنشآت الصناعية العربية الحيوية ـ كمصافي النفط ، ومعامل تحلية المياه ، والمصانع البتروكيماوية ـ ليس وراءها صناعة لتزويدها بقطع الغيار والتجهيزات التي تقوم عليها ، وهذا أمر بالغ الخطورة لأنه يضع مصير هذه المنشآت كلها في أيدي جهات خارجية ، ثبت مرارا أنها قادرة على التحلل من التزاماتها في أشد أوقات حاجاتنا إلى تنفيذها .

○ وأضاف : لقد لاحظ المؤتمر أيضا : أنه ليس لدى الأقطار العربية كلها قدرة حقيقية على صناعة محرك شاحنة ، أو جرار زراعي ، أو مضخة ماء ، أو توربين كهربائي ، رغم ضخامة ماتستورده منها

○ ومضى يقول : إنه رغم وجود سوق ضخمة لصناعة هندسية رابحة في حركة البناء الهائلة ، وفي حاجات القطاع الزراعي ، وفي الحاجات الدفاعية التي يرتبط مصيرنا كله بتلبيتها ، فإن كل الصناعات الهندسية العربية لاتزال في مرحلة بدائية بحيث أن وصفها بأنها مجرد صناعات تجميعية لا يكفي لايضاح تخلفها ،

○ ودعا السيد الصقر إلى تكاتف جهود حكوماتنا وشعوبنا جميعا من أجل الوصول إلى مستوى أفضل في مجال الصناعات الهندسية ، وقال : إن الاتحادات الصناعية النوعية .. مثلها مثل كافة المؤسسات العربية الاقليمية التي تهدف إلى النفع العام وتحقيق المصلحة ، لا تملك السلطة أو القدرة التنفيذية اللازمة والكافية ،

« والوعي الاسلامي » تتساءل لمصلحة من هذا التخلف الصناعي والكفاءات العربية والاسلامية متوافرة ، ورأس المال بفضل الله ميسور ، والتكامل بين الدول العربية حقيقة موجودة ،

وعلماؤنا على العطاء قادرون ، والعدو يستفزنا كل يوم بإهاناته التي لا تقابل منا إلا بالشجب والاستنكار ، وأخيرا تعطيل الأعمال ، والرد على استهتار العدو واعتدائه على الأهل والوطن والمقدسات لا يكون إلا بمزيد من الترابط والعمل والتطور الحضاري ، والجهاد في سبيل الله ، وعلى عاتق حكامنا المسلمين يقع العبء الأكبر .. فهل من وقفة تعيد للمسلمين ماضي عزهم وأمجادهم ؟ ؟ ..

تحقيق وتصحيح بين ليلة القدر

ان الله تعالى انزل القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الناس واسعادهم ، ذكر ذلك في كثير من الآيات بصورة مطلقة لم يحدد الله لهذا النزول وقتا في اكثرها .

وكان ذلك بلفظ القرآن ، والكتاب ، والذكر ، والنور ، واحسن الحديث واحسن ما انزل اليكم

وحدد لهذا النزول وقتا بلفظ ليلة في آيتين

الآية الاولى ـ قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم**) الدخان / ٣ ، ٤

الاية الثانية ـ قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) سورة القدر

ولم يذكر في كل من الآيتين شهرها الذي نزل فيه وحدد الله نزول القرآن بوضوح بشهر رمضان ، فقال تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقرة / ١٨٥

وبقي نظر الفكر في تحديد شهر ليلة القدر . وليلة النصف من شعبان التي يقال انها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل امر حكيم فأما ليلة القدر فقد اجمع علماء التفسير ، وائمة الحديث ورجال الدين على أنها من ليالي شهر رمضان ، لان الله ذكر نزول القرآن فيه ووردت في ذلك احاديث صحيحة معتبرة فلم يبق فيها خلاف واما الليلة المباركة فقد ذكر بعض المفسرين وفريق من العلماء انها ليلة النصف من شعبان ، واستندوا في ذلك على ما ورد في فضلها من الاحاديث ، وما قام فيها بعض التابعين للاجتهاد بالعبادة وبالتحقيق والتدقيق يظهر فضل ليلة القدر وعظمة ما وقع فيها من النزول وما كان لها من خصائص مهمة ، كما تظهر حقيقة ليلة النصف من شعبان

وليلة النصف من شعبان

للشيخ
احمد العجوز

على خلاف ما جرى عليه المسلمون في الاعوام الكثيرة الى وقتنا هذا .

★ ليلة القدر

ليلة القدر هي ليلة مباركة فيها الخير العميم والبركة التامة قال الله تعالى : **(إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر)**
وهذه الليلة هي ليلة العظمة والشرف الرفيع ، فالقدر معناه العظمة والشرف ، وعظمة هذه الليلة لا لخصوصها المجرد بل لما وقع فيها من نزول القرآن الكريم ، وأي خير اعظم من ذلك ؟ فالقرآن يهدي به الناس في متاهات الحياة الى سبيل الخير والاسعاد والفلاح والرشاد .
فكان نزول القرآن نقطة تحول من حياة حالكة الظلام الى حياة انسانية مثلى ، واضحة المعالم ، تظللها السكينة والطمأنينة دائما ، فالقدر ليس لليلة نفسها لانها مضافة والقدر مضاف اليه ، والمضاف غير المضاف اليه ، فاكتسبت بذلك شرف الاضافة فكانت خيرا من الف شهر .
ثم ان التفاضل يقتضى التماثل النوعي بين الفاضل والمفضول ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (رباط ليلة في سبيل الله خير من الف ليلة فيما سواه من المنازل) اخرجه احمد .
وهنا لم يقل : ليلة القدر خير من الف ليلة ، لان الف ليلة يساوي ثلاثا وثلاثين شهرا ونصف الشهر بل قال : (خير من الف شهر) ، ليكون فضلها على اضعاف مضاعفة جدا من الليالي فالف شهر يساوي ثلاثا وثمانين سنة

ونصف السنة تقريبا ، وهذا ابلغ ، ويدل على عظمة القرآن وسموه ، وعلى قدره سبك سورة القدر الرائع ، وأسلوبها الحكيم الذي يظهر للعقول جلاله ، وبهاؤه وجماله فقد ذكرها الله اولا ، ثم سأل عنها سؤال تفخيم ، ثم بين قدرها بانها خير من الف شهر فقال :

(إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر)

وكانت اعادة لفظ القدر ثلاث مرات اشارة الى ثلاث مراتب فخمة كما يلي يعني : انا انزلنا كتابا ذا قدر بين الكتب السماوية ، وهو القرآن بواسطة ملك ذي قدر بين الملائكة وهو جبريل الى نبي ذي قدر بين الانبياء وهو محمد بن عبدالله . فضلا عما يفيد القرآن عظمة من التعبير الرائق ، والاسلوب الفائق من صيغة الجمع في قوله تعالى : (**إنا انزلناه**) دون ان يقول : انني انزلته بصيغة المفرد وصيغة الجمع للمفرد تكون للتعظيم ، كما هو معلوم في اساليب البلاغة ، فكان ذلك كله دلالة العظمة الذاتية وايضا ذكر ضمير القرآن بدل التصريح باسمه في قوله : (أنزلناه) دون ان يقول انزلنا القرآن ، لانه لعظمته ، ولشدة وقعه على الاسماع انتشر ذكره ، وارتفع امره ، فصار معلوما للجميع ، وغنيا عن التصريح والتعريف ، فجاء بضميره الدال عليه .

وايضا فان الله الذي انزله اضافة الى ذاته العلية لا الى من نزل به وهو جبريل تعظيما له ، فقال (انزلناه) ثم انه حدد انزاله بوقت ذي شأن وقدر وهو ليلة القدر فبذلك كله تضافرت دلائل العظمة بهذه الاعتبارات ، وهذه الاشعاعات السنية بما اوضحناه في كشف اسرارها واشعاع انوارها ففي ليلة القدر ، حين انكشفت حجب العلاء عن هبوط الملك جبريل الامين على سلالة الانسانية محمد عبدالله باول ما نزل من القرآن وهو : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)** العلق / ١ ـ ٥

ماد الكون لهذا التنزيل هيبة وجلالا ، ورنت الابصار الى المختار توقيرا واجلالا واصغي الوجود الى صوت القرآن ، يتنزل بلسما شافيا ونظاما وافيا ، يرسم خطط الاجتماع الكامل ، والاسعاد الشامل ، فيمهد للانسان سبل الحياة الرضية ، ويقرر له كنه المحبة الاخوية ويسهل للعيش الهنيء وعرة المسالك ، ووحشة المضايق ، والناس اذ ذاك كالغريق الذي يغالب البحر بأمواجه ، ويصارع الموت بهياجه فتدركه سفينة النجاة الى شاطيء الأمان .

فكان نزول القرآن بليلة القدر صرخة السماء المدوية التي أيقظت شعوب الجاهلية من غفوتها ، فوثبت الى الهدى والرشاد وبارقة العلاء المشعة فكشفت لهم حقائق الكون ، وكنه الوجود ، فطرحوا الخرافات والاباطيل ، ونبذوا الاوهام والاراجيف ، وآمنوا بالله رب

العالمين ، وتهافت على رحابه العقلاء ، واصغى الى آيه النبلاء ؛، يستهدون بهديه ، ويتجردون من أهوائهم وميولهم ويقلعون عن النقائص التي لوثت الفكر وعن الشوائب التي شوهت الفطر ، فكانت معاول تهديم ، وعوامل تخريب .

وظهرت عظمة ليلة القدر بما كان من آثار نزول القرآن فيها من الهداية لدين الله المبدع الحكيم إذ لم تمض فترة قليلة من الزمن حتى تنقلب النفوس الشريرة الى نفوس خيرة ، وتصبح العقول الضالة عقولا رشيدة نيرة ، وتتغير الاوضاع المنحطة الى اوضاع منتظمة راقية فبدد هذا القرآن بهداه ونوره دياجير الاوهام ، وقضى على التعسف والطغيان ، وكسر شوكة الجور والكبرياء ، وأصلح المجتمع المضطرب ، وهدد صروح الاستعباد والاستبداد ـ فصير الظلام ضياء ، والشقاء هناء والضلال ايمانا والجهل عرفانا والقنوط عزما واملا ، والخمول جدا وعملا ، وجعل التفرقة اتحادا والبغض ودادا ، والقساوة حنوا ، والانحطاط سموا ، والتحقير اكراما والتقهقر اقداما ، والاجحاف انصافا والشره عفافا .

فاقام دينا قويما ، وأسس دولة عادلة ، وكون أمة صالحة ، ونظم مجتمعا مثاليا ثم خرج المسلمون من بطحاء مكة والمدينة الى آفاق الارض ، واطراف المعمورة يحملون بايديهم دستور الاخوة ويرفعون قانون المساواة الشاملة ، ومشعل العلوم والحرية ، ليهدوا الناس ويعلموهم وليرشدوهم ويثقفوهم وليأخذوا بايديهم الى الصلاح ، ومعالم الخير ، وليزيلوا من بينهم تفاوت الطبقات ، واختلاف المراتب وليقضوا على العنصرية والعصبية ، والقبلية ، والاقليمية وليعلنوا للجميع ان لا فرق في الاسلام بين عربي وعجمي ، ولا بين ابيض واسود ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين ملك ومملوك ، ولا بين غني وفقير فكلهم اخوان على سواء في حقيقتهم الانسانية ، وهكذا امتزج روح القرآن بارواحهم ، فاستأصل من نفوسهم الحسد والطمع والكبر والصلف ، وأمات فيها الأهواء ، فلا يغضبون الا لله ولا يرضون الا لله فكان شعارهم شعار المساكين ، وعيشهم عيش الزاهدين ، ثم كانت فتوحاتهم فتوح الملوك العادلين ، دون أن يفتنهم ما نالوه من ملك وسلطان وجاه عن دينهم وصلاحهم . كل هذا كان من الخير العميم ، والبركة التامة في ليلة القدر ، فكانت بذلك حقا خيرا من الف شهر لذلك وردت الاحاديث الصحاح بفضلها وطلب إحيائها بعبادة الله ، وتؤكد الاحاديث انها في العشر الاواخر من رمضان ، وتذكر أنها في ليلة المفردات منها ، وترجح بعضها انها في ليلة السابع والعشرين منه .

عن عائشة رضي الله عنها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) رواه البخاري ومسلم والترمذي

وعن زر بن حبيش قال : سألت أبي بن

كعب قال : إن اخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر . فقال اراد الا يتكل الناس ، اما انه قد علم انها في رمضان ، وانها في العشر الاواخر ، وانها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين . فقلت : باي شيء ذلك يا ابا المنذر ؟ قال : بالعلامة أو بالآية التي اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انها (**اي الشمس**) تطلع يومئذ لا شعاع لها) رواه الخمسة الا البخاري ، وغير ذلك من الاحاديث الواردة فيها .

ليلة النصف من شعبان

يظن بعض المفسرين وفريق كبير من المسلمين ان هذه الليلة هي المقصودة في قوله تعالى : (**إنا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم**) الدخان / ٣ ، ٤ وأن الله تعالى يقدر فيها الأعمار ، والأرزاق ، والشقاوة والسعادة الى مثلها من العام القابل وان الله يمحو من ذلك ما يشاء ويثبته وعنده أم الكتاب فعظموها كثيرا ، وهم يحتفلون بإحيائها بالعبادة في المساجد وفي البيوت ، ويتلون سورة يس ، ويدعون بدعائها الخاص ويصلون صلاتها الخاصة ، وهم يطلبون من الله محو الشقاوة وضيق الرزق ، وأن يقدر السعادة والتوفيق وسعة الرزق ، وهذا كله لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عهد أصحابه ، وسبب ذلك ان رجلين من التابعين : وهما خالد بن معدان ، ومكحول الشامي كانا يجتهدان في العبادة كثيرا ليلة النصف من شعبان ، واشتهر ذلك عنهما ، فاختلف الناس في فضل هذه الليلة لذلك على فريقين .

فريق اقرها ، واستحب إحياءها في المسجد كاسحق بن راهويه ، واستند لذلك الى أحاديث وردت في فضلها ، كحديث : ان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لأكثر من شعر غنم « كلب » . اخرجه الدارقطني واحمد في مسنديهما .

وحديث « ان الله عز وجل يطلع الى عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ، ويدع أهل الحقد لحقدهم حتى يدعوه » رواه الدارقطني ايضا في السنن .

وحديث « ان الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك او مشاحن - اي مخاصم - » رواه ابن ماجة واحمد

وفريق انكرها وانكر تخصيص هذه الليلة بتعظيم كعطاء بن ابي رباح وابن ابي مليكة من علماء الحجاز واغفلها أهل المدينة من اصحاب مالك وغيرهم وقالوا : انها بدعة منكرة اذ لم يثبت عندهم في فضلها حديث - وهذه الاحاديث قد صرح علماء الحديث بضعفها وطعن كثير منهم بصحتها وقيل إنها موضوعة

قال القاضي ابو بكر بن العربي في كتاب الاحكام : وليس في ليلة النصف من

شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا اليه .
وقال القاضي المذكور ايضا في كتاب العارضة : وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه .
ثم ان الصلاة الخاصة الموضوعة لهذه الليلة جاء حديثها في كتاب احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي وفي كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي لكن قد صرح جماعة من الحفاظ بان حديثها موضوع لا أصل له .
وذكر الامام النووي في كتابه (المجموع) قوله : الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي ثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ، ليلة أول جمعة من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان ولا يغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب ، وإحياء علوم الدين ولا بالحديث فيهما فإن كل ذلك باطل ولا يغتر بمن اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات في استحبابهما فانه غالط في ذلك .
وقد صنف الامام ابو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي كتابا نفيسا في إبطالهما .
واما قوله تعالى : (**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**) الرعد / ٣٩
التي ادخلوها في دعاء ليلة النصف من شعبان فليس المراد محو ما قدر من الاعمار والارزاق والشقاوة والسعادة واثبات ما يريد منها ، وانما هي رد على قول الكفار الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آية (معجزة) من آيات الرسل السابقين كابراهيم وموسى وعيسى لتدل على صدق رسالته فاجابهم الله بقوله : (**يمحو الله ما يشاء** - اي من الآيات السابقة - **ويثبت** - اي من الآيات التي تناسب مقتضى الحال - **وعنده أم الكتاب**) اي اصله وهو علمه تعالى باحوال خلقه فيقدر ما فيه الحكمة .
وذلك بدليل الآية قبلها وهي قوله تعالى : (**وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب**) الرعد/٣٨ .
فالله تعالى جعل لكل رسول آيات ومعجزات خاصة تناسب زمانه وما شاع فيه من العادات التي تناسبها تلك المعجزات
والخلاصة ان ليلة القدر هي في العشر الأواخر من رمضان وفي المفردات منه أو في ليلة السابع والعشرين منه صراحة
وان الليلة في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين**) هي ليلة القدر لا غير وفي شهر رمضان فقط ، لقوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس**) لا كما روى عن عكرمة .
وان الاحاديث الواردة في ليلة النصف من شعبان ضعيفة وباطلة وقيل إنها موضوعة لا اصل لها وراويها وضاع كما قال شيخ الازهر محمود شلتوت وان الصلاة في ليلة النصف من شعبان بدعة منكرة و لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد أصحابه .

اليهود وميلهم

كان الاسرائيليون أو اليهود « كما غلب على تسميتهم » في ابتداء أمرهم أمة توحيد تدين بعقيدة الاله الواحد ـ وقد جاء في التوراة ما يشير الى ذلك عند إبلاغ موسى عليه السلام قومه من اليهود وهو في الجبل بالوصايا التي يجب أن يسيروا عليها في حياتهم ليكونوا مؤمنين وأهم هذه الوصايا الاعتقاد بالله الواحد مثال ذلك القول المنسوب الى الله في سفر الخروج .

★ ★ ★

(انا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة اخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا ـ ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني انا الرب الهك اله غيور) انظر سفر الخروج الاصحاح ٢٠ من عدد ٢ الى عدد ٦ من العهد القديم في الكتاب المقدس .

★ ★ ★

الا انه مع مرور الزمن اضمحلت عقيدة اليهود في التوحيد ومالوا بطبعهم الى الوثنية ، فاستبدلوا بجلال الوحدانية وسمو تكريمها لله الواحد الاحد الخالق القديم عبادة الحجر الذي لا يسمع ولا يبصر وعبادة البشر الذي لا يغني لهم شيئا فخرجوا بذلك على التعاليم الالهية حتى سموا في اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس بالبيت المتمرد .

فقد ورد عنهم في سفر حزقيال قوله (قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصوان فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم لأنهم بيت متمرد) سفر حزقيال اصحاح ٣ عدد ٩ ـ وهذه الروح الوثنية التي كانت متسلطة على اليهود جعلتهم لا يرعون لنبي الله موسى ولا لأخيه هارون عليهما السلام حرمة إذ انحرفوا الى عبادة الأصنام في حياة هذين النبيين الكريمين دون أي حياء وقد ورد ما يشير الى ذلك في سفر الخروج في الاصحاح ٣٢ من عدد ٧ الى عدد ٩ القول المنسوب الى



بطبيعتهم للوثنية

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

الله لموسى عليه السلام خلال صعوده الجبل لمناجاته (فقال الرب لموسى اذهب انزل لانه قد فسد شعبك الذي اصعدته من ارض مصر ـ زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة) وعبادة اليهود للعجل المسبوك على شكل الحيوانات تمثل ديانة التوتمية في تقديس الحيوانات .

ولما توفي موسى وهارون عليهما السلام تمادى اليهود في عصيان اوامر الله والانسياق الى عبادة الاصنام ، فجلبوها من الأمم المحيطة بهم واقاموها في انحاء شتى بمدنهم في المرتفعات وعلى الطرق ، بل أقاموا لبعضها سدنة وكهنة يقدمون لها النذور ويحرقون لها البخور ولم يستمعوا لنصح انبيائهم لهم حتى لقد هددهم الله بالقتل في قوله لهم (وأضع جثث بني اسرائيل قدام أصنامهم وأذرى عظامكم حول مذابحكم) انظر سفر حزقيال في الاصحاح ٦ عدد ٥ .

شغف اليهود بعبادة العجل :

ثم ان شغفهم بالعجل وتقديسهم له أدى بهم الى انه كان لا يخلو عند اليهود معبد ملكي من وجوده فيه او وجود صورته فيه ـ وقد اشار الى ذلك سفر الملوك الاول في الاصحاح الثاني عشر عدد ٢٥ ـ ٣١ في قوله .

(وبنى بريعام شكيم في جبل افرايم وسكن بها .. فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثير عليكم ان تصعدوا الى اورشليم ـ هوذا آلهتك يا اسرائيل الذين أصعدوك من ارض مصر ـ ووضع واحدا في بيت إيل

وجعل الآخر في دان وكان هذا الامر خطية وكان الشعب يذهبون الى امام احدهما حتى الى دان) .

وفي معبد اورشليم كان حتى عصر الملك حزقيا ملك يهوذا « القرن الثامن ق . م » يشتمل على حية معدنية تعرف باسم « نحشتان » وهي تمثل الاله وترمز اليه وكان خادم المعبد يبخرها ويزعمون انها ترجع الى عهد موسى عليه السلام فقد ورد في الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثاني عدد ١ ـ ٤ قوله :

(وفي السنة الثالثة لهوشع بن أيله ملك اسرائيل ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا .. وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود ابوه هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لان بني اسرائيل كانوا تلك الايام يوقدون لها ودعوها « نحشتان » .

كما كانوا يقدسون صورا ترمز الى الاله وتعرف باسم « ترافيم » يزعمون ان بيت النبي داود عليه السلام كان عامرا بها .

فقد ورد في سفر صموئيل الاول اصحاح ١٩ عدد ٩ ـ ١٣ قوله (وكان الروح الردي من قبل الرب على شاول وهو جالس في بيته ورمحه بيده وكان داود يضرب باليد فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح .. فهرب داود ونجا تلك الليلة .. فاخذت ميكال الترافيم ووضعته في الفراش ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب) .

بل انهم عبدوا النار وبنوا المرتفعات التي في وادي ابن هتوم ليجيزوا ابناءهم وبناتهم في النار « لمولك » الذي كان وثنا من أوثان الفينيقيين والى هذا اشار سفر أرميا في الاصحاح ٣٢ عدد ٣٤ ، ٣٥ فيقول :

(بل وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعى باسمي لينجسوه وبنوا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هتوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم في النار لمولك الامر الذي لم أوصهم به ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا الرجس ليجعلوا يهوذا يخطىء) .

فكانوا يضعون الأطفال فوق ذراعي الصنم مولك الممدودتين فتهبطان به بعد إيقاد النيران تحته وبذلك قتل اليهود كثيرا من أطفالهم بهذه العبادة الحقيرة وهم بذلك تشبهوا بالمجوسية في تقديسهم للنار .

ثم نقل اليهود عبادة الأصنام الى البيت المقدس في اورشليم « مدينة القدس » فملأوا بها مقاصير العبادة وحجراتها والى هذا يشير سفر حزقيال في الاصحاح ٨ عدد ١٠ ، ١١ فيقول (قد خلت ونظرت واذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت اسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة وواقف قدامها سبعون رجلا من شيوخ بيت اسرائيل .. وكل واحد مبخرته في يده وعطر عنان البخور صاعد) .

ثم تطرق الحال ببعضهم الى أن عبدوا الشمس وسجدوا لها وقد نص على ذلك سفر حزقيال في الاصحاح ٨

عدد ١٦ فيقول عن أحد أماكن الصلاة (عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق) .

وهذه العبادة تمثل عقيدة الصابئة في عبادتهم للكواكب والنجوم ثم عبدوا البعليم والبعل وعشتاروت والى هذا يشير سفر القضاة في الاصحاح الثاني عدد ١١ ، ١٢ ، ١٣ فيقول (وفعل بنو اسرائيل الشرف عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب اله آبائهم الذي اخرجهم من ارض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدو' لها واغاظوا الرب تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت) .

ولم يكتفوا بذلك بل انهم عبدوا (كوشان رشعتايم) ملك آرام والى هذا يشير سفر القضاة في الاصحاح الثالث عدد ٨ فيقول (فحمى غضب الرب على اسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام فعبد بنو اسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين) .

كما عبدوا عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة فيقول عنهم سفر القضاة في الاصحاح الثالث المشار اليه عدد ١٤ .

(فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة) واخيرا انتهى الامر بفريق من اليهود الى عبادة بعض البشر فعبدوا كاتب الشريعة (عزرا) الذي قيل عنه انه كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب بعد رجوعه من الأسر في بابل قال تعالى في القرآن الكريم : (**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**) التوبة / ٣٠ .

وعبادتهم لعزرا كانت بناء على نظرية الحلول ونظرية الاتحاد الفاسدتين فقد اعتقدوا ان الله حل او اتحد في عزرا ـ هاتان النظريتان اللتان يستند اليهما النصارى ايضا في عبادتهم للمسيح عليه السلام ، فهم يعتقدون ان الله حل او اتحد فيه مستندين الى ما ورد في انجيل لوقا مثلا بالاصحاح الاول عدد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ (فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وهأنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع .. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلا فاجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك) .

مع انه ورد في الاسفار اليهودية أن روح الرب حلت على بعض الأنبياء الآخرين ولم يعتقدوا رغم ذلك ان الله حل فيهم مثال ذلك ما ورد في سفر حزقيال بالاصحاح ١١ عدد ٥ قوله على لسان ذلك النبي (وحل على روح الرب) ولم يقل احد من اليهود او النصارى ان الله حل او اتحد في حزقيال .

ما هو سبب انحرافهم ؟ :

يبدو أن السبب في انحراف اليهود والنصارى الى عقيدة الاتحاد والحلول ، هو ما تطرق الى مفاهيمهم بناء على ما اندس في كتبهم بأن الله روح ، وانها التي تقوم بها الحياة مع ان روح القدس او روح الرب لا يعدو ان يكون الملاك المرسل بالوحي او بالبشارة ، واضافة الروح الى الله هي اضافة تشريف ، فيقال عنه روح الرب او روح الله والاضافة كاضافة البيت والكتاب الى الله فيقال (بيت الله وكتاب الله) وقد يرد روح الله او روح الرب في اسفار اهل الكتاب بمعنى الفكر المستقيم فقد ورد بسفر أشعيا اصحاح ١١ عدد ١ وما بعده في قوله (ويخرج قضيب من جزع يس ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب) .

اما في عقيدة الاسلام فان الله حي بذاته فحياته صفة من صفات ذاته زائدة على بقائه وهي صفة كمال لأن الموت صفة نقص والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع النقائص وواجب له الكمال .

قال تعالى : **(الله لا اله الا هو الحي القيوم)** البقرة / ٢٥٥ .
وقال سبحانه : **(هو الحي لا اله الا هو)** غافر / ٦٥ .

القرآن الكريم يذكر عن اليهود شيئا من طبيعتهم المتمردة :

١ ـ لقد أخذ الله على ذلك الشعب اليهودي الميثاق على أن تكون عبادتهم لله وحده خالصة ، وكلفهم بأعمال الخير مثل بر الوالدين والاحسان اليهما وللاقارب واليتامى والمساكين والكلام الطيب مع الناس وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومع ذلك فقد تولوا عن ذلك كله واعرضوا قصدا وعمدا مع انهم يعرفونه ويذكرونه .
قال تعالى : **(وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون)** البقرة / ٨٣ .
٢ ـ وقال سبحانه : **(أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون)** البقرة / ١٣٣ فهذا يعقوب جد اليهود ويسمى اسرائيل واليه ينتسبون ـ لما حضرته الوفاة جمع بنيه الأسباط وسألهم عن الإله الذي سيعبدونه من بعده ، فأجابوه بأنهم على عهدهم حتى بعد وفاته في القيام بعبادة الله وحده كما كان يعبده جدهم ابراهيم وجدهم اسحق وعم

ابيهم اسماعيل عليهم السلام (وقد ذكر اسماعيل ضمن الآباء من باب التغليب لان اسماعيل هو عم ليعقوب) كما قرروا امام ابيهم انهم مطيعون خاضعون لله تعالى وحده باسلامهم لله ، اذ الاسلام هو ملة الانبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم .

٣ ـ بعد ان خرج اليهود من مصر صحبة نبي الله موسى عليه السلام ، حاول فرعون مصر وقتئذ اللحاق بهم ، وورد البحر هو وجنوده على إثرهم بعد ان فرقه موسى لقومه وجاوزوه جميعا ، الا ان البحر اطبق على فرعون وجنوده امام أعين اليهود ، مما كان يقتضي منهم التمسك بطاعة الله والحفاظ على عقيدة التوحيد ، الا ان الشخصية اليهودية انقلبت الى شخصية غادرة تنزع بطبعها الى الشر والابتعاد عن مواطن الخير ، لذلك فما إن اطمأنوا بنجاتهم من عدوهم فرعون ، حتى طلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم « الها مجسما » ليعبدوه كتلك الاصنام التي تعبدها الاقوام التي صادفوهم بعد عبورهم البحر ، ففزع موسى من جاهليتهم التي عادت اليهم بعد اكرام الله لهم ، ولم يملك موسى الا ان حذرهم من ذلك التفكير السيىء والوهم الباطل الذي راودهم ، والى هذا يشير قوله تعالى :

(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون . وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله ابغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) سورة الاعراف / ١٣٧ ـ ١٤٠ .

وهذا التفضيل كان من الله لهم في زمانهم ـ وقبل أن تشرق على العالم دعوة الاسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ختام رسالات السماء والتي بفضلها ، اصبحت الأمة الاسلامية خير امة اخرجت للناس قال تعالى عن أمة الاسلام : **(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران / ١١٠ .

٤ ـ ثم ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ليتلقى كتابا فيه بيان ما يصلح قومه بعد اربعين ليلة من الصيام ، وقد استخلف على قومه اخاه هارون عليه السلام ، وهناك تلقى موسى من ربه الالواح فيها مواعظ وتفصيل لكل شيء من اصول الحياة المستقيمة ، ولما رجع رأى من قومه ما اسف له واثار غضبه ، فقد رأى قومه قد اتخذوا لهم عجلا من حلي ، أتقنوا صنعه وعكفوا على عبادته ، وبذلك كشف اليهود عن شخصيتهم المريضة ، تلك الشخصية التي تنسلخ سريعا عن الحق انقيادا لما جبلوا عليه من طبع كله الشر ،

فوبخهم موسى عما ارتكبوه من جرم كبير في حق الله ، وبلغ به الغضب حدا اذ القى الالواح من يده ، واخذ برأس أخيه يجره اليه ، وكأنه استشعر تقصيرا من جانب أخيه ، الا أن هارون عليه السلام بين له ان اليهود استضعفوه وكادوا أن يقتلوه ورجاه الا يفعل به ما يشمتهم فيه ، فلم يتمالك موسى عليه السلام الا أن يدعو الله سبحانه وتعالى ان يغفر له ولأخيه ويدخلهما في رحمته بعد أن ظهرت له براءة أخيه قال تعالى : (**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين . قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين . سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون . واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت ارحم الراحمين . ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذله في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين . والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم**) الاعراف / ١٤٢ ـ ١٥٣ .

٥ ـ وكيف تستقيم الطبيعة اليهودية او تثبت على الحق ؟ لقد انتهى بها الامر بأن قضي العدل الالهي على تلك الشخصية المتمردة ان تطرد من رحمة الله الى يوم القيامة بسبب ما اختاره اليهود لأنفسهم بسوء نيتهم واعمالهم ـ ولعل حكمة الله الحكيم الخبير والعليم بطبائع النفوس اقتضت تقطيعهم تخفيفا لشرهم على العالمين ، فوزعهم الله هنا

وهنـاك ليداولهم النـاس بـالاذلال والتنكيل والحاق سوء العذاب بهم الى أن يرث الله الارض ومن عليها قال تعالى : (**وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**) الاعراف /١٦٨ .

٦ - وحتى في وقتنا الحاضر لم تتغير طبيعة الشخصية اليهودية عما كانت عليه في تطاولها على قدسية الالوهية ومقام رب العالمين ، فهذه جولدا مائير التي كانت رئيسه لوزراء اسرائيل ابان حرب اكتوبر ١٩٧٣ وقد استغاثت بامريكا وقتئذ تقول : « ان امـريكا هي الـه اسـرائيـل الوحيد » ذلك ان امريكا اقامت بينها وبين دولة اسرائيل جسرا جويا خلال حرب اكتوبر نقلت اليها بواسطته احدث السلاح والعتاد .

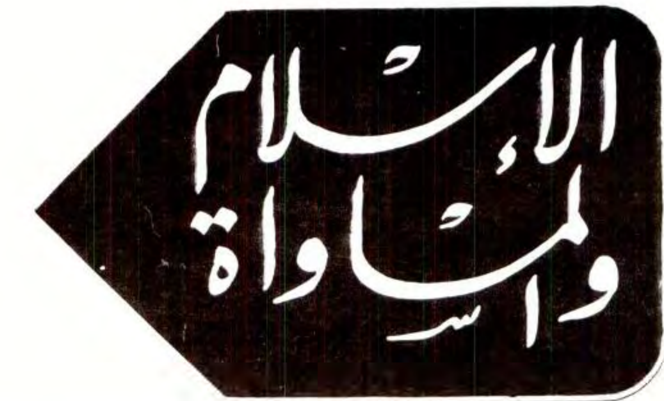
وتقول مائير في كتابها - حياتي : « انه ليس صحيحا ان الله هو الذي اختار اليهود - ولكن اليهود هم الذين اختاروا الله - فلقد كان الناس يعبدون الاصنام - ولكن اليهود عبدوا الاله الواحد فهم الـذين اختاروا الالـه الـواحـد - وهم الـذين اختـاروا التوحيد - ولذلك فليس الله هو الذي يستحق الشكر لانه اختار اليهود - ولكن اليهود هم الذين يستحقـون الشكر من الله لانهم هم الذين فضلوه على بقية الحيوانات والأوثان » .

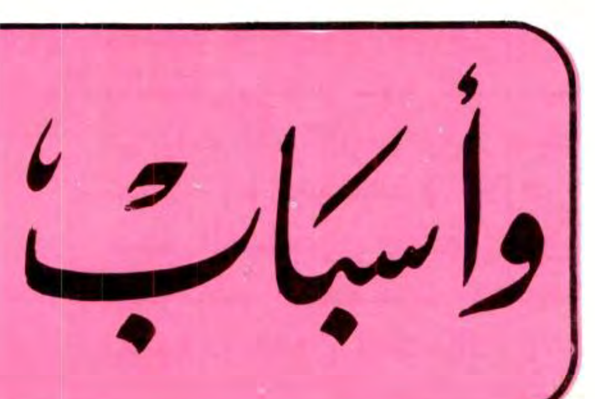
٧ - وما ذكرته جولدا مائير عن الله سبحانه ليس بمستغرب منها فهي من شعب اليهود الذي انحرف بطبعه عن جادة الحق منذ فجر تاريخه حتى لتجد في « التلمود » وهو كتاب اليهود الثـاني بعد التـوراة تجد اليهـود « يعاتبون الله ويلعنونه ويشتمـونه ويتهمونه بأن السن تقدمت به - وأنه لم يعد قادرا على الرؤية والسمع وحسن التقدير - وأنه منذ تخلي عنه اليهود اختلت في يده موازين كل شيء - وكثيرا ما بكي الله بين أيديهم وطلب منهم المغفرة وقليلا ما غفروا له » **تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا** - وقد ذكر القرآن الكريم شيئا مما قالوه عن الله بما لا يليق فمرة يقـولـون : (**ان الله فقـير ونحن اغنياء**) ال عمران / ١٨١ - ومرة يتطاولون عليه بقولهم انه بخيل :

(**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا**) المائدة / ٦٤ .

قضاء العدل الالهي في اليهود :-

لذلك قضي العدل الالهي ولا راد لقضائه بطرد هذه الفئة الضالة من رحمة الله - وأن يبعث عليهم الى يوم القيامة من ينكل بهم ويسومهم الوانا من العذاب ، مهما حاول أعوانهم من الكافرين امثالهم مد يد المساعدة والمعاونة لهم فان حبلها مقطوع يوما ما طبقا لوعيد الله ، وتاريخ اليهود حافل باحداث العذاب الدنيوي الذي تصبه البشرية عليهم صبا منذ بداية وجودهم حتى يومنا هذا





لقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات في جميع الأمور التي تتماثل فيها المرأة مع الرجل ، بينما قاست النساء في المجتمعات غير الاسلامية حيث كانت تباع المرأة وتوهب وتورث حتى القرن الماضي ، لهذا تضمن الاعلان العالمي لحقوق الانسان مبدأ المساواة أمام القانون ، دون تمييز بسبب الأصل أو الجنس او الدين او اللغة او المركز الاجتماعي .

هذه المساواة لا تعني مساواة المجد بالكسول ، ولا تعني المساواة بين الامي والمتعلم او المساواة بين المتخصص وغير المتخصص ، بل تعني ان تطبق الدولة على الجميع قانونا واحدا بغير استثناء بسبب اللون او الجنس او الدين ، بمعنى ان تنعدم الامتيازات الخاصة وليكون امام الجميع فرص متكافئة امام هذا القانون فإذا وضع القانون شروطا للاشتغال بالتجارة او الصيدلة أو المحاماة أو القضاء ، فلا يحرم من هذا القانون من انطبقت عليه هذه الشروط بدعوى انه من الملونين او الفقراء او النساء .

كما لا تعني هذه المساواة ان تطالب المرأة زوجها بالتناوب معها في الحضانة و الرضاعة او ان يطالب الرجل زوجته ان تشاركه مهامه ومسئولياته لأنه لا تماثل بين الرجل والمرأة في هذه الامور ، فالمساواة بين غير المتماثلين هي الفوضى بعينها ، هذه المساواة قد توصلت اليها الشعوب بعد كفاح ونضال طال واستمر حتى بعد الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في ديسمبر ١٩٤٨ ، ولكنها ما زالت حتى اليوم مساواة لمصلحة الرجال ، ولهذا فالمرأة في المجتمعات الغربية ما زالت تحصل على نصف اجر الرجل وما زالت تابعة له في شخصيتها الاجتماعية وذمتها المالية ، ولكن منذ أربعة عشر قرنا من الزمان كانت المرأة في الاسلام تطعن على قرار اصدره امير المؤمنين عمر بن الخطاب حين خطب الناس فقال : « لا تزيدوا في مهور النساء على اربعين اوقية ، ومن

الفوارق بين الجنسين

زاد القيت الزيادة في بيت المال » فقامت امرأة كانت تجلس في صفوف النساء وقالت : « ما ذلك لك يا عمر » لأن الله تعالى قد قال : (**وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا**) النساء/ ٢٠ . فنزل أمير المؤمنين الى رأيها وقال : « كل الناس أفقه من عمر » ثم عاد فخطب الناس وقال لهم : « ايها الناس كنت نهيتكم ألا تزيدوا النساء في صدقاتهن أي مهورهن ـ فمن شاء ان يعطي من ماله ما احب وطابت به نفسه فليفعل »، والجدير بالذكر ان هذه المرأة كانت من عامة النساء ، فلا تستند الى عصبية وليس لها أي تجمع تحتمي به ، إنما احتمت بدستور الله واستمسكت بقول الله ، اي انها طعنت بانعدام دستورية قرار الحاكم .

وهذه القصة قد وردت في كتب التاريخ وليس سندها كسند الحديث ، الا ان هدفها هو حق المرأة في الطعن على قرارات الحاكم ولو لم تكن لها مصلحة حالة ومباشرة ، غير ان

للأستاذ / سالم البهنساوي

الرواية لا تصلح ان تكون لاولئك الذين يتغالون في المهور ولو أدى ذلك الى عدم الزواج .

ان الحرية بمفهومها الاسلامي لا تترك مجالا لصمويل بتلر وغيره ، ليحرضوا الأبناء على الآباء وعلى التقاليد ، لأنه في ظل الاسلام يدرك الرجال والآباء ، ان الاسلام يخول البنت ان تراجع اباها وتوجه اخاها وترد زوجها الى دستور الله إن نسى او تخطاه ، ويجب على الاب والزوج قبول ذلك بقبول حسن ، لأنه بهذا يطيع ربه ويذعن لشريعة خالقه ، وها هي الفتاة المسلمة قد مكنها الاسلام من ممارسة المفهوم الصحيح للحرية ممارسة جعلتها تعترض على ابيها او زوجها ، اذا وجدت منهما مساسا بحقها المشروع فيرضى الاب والزوج منها هذا الموقف لأن الاسلام هو الذي خول ذلك للفتاة والله تعالى يقول : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله**

ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الاحزاب/ ٣٦ . لقد روى احمد وابو داود وابن ماجة عن عبد الله بن بريرة عن ابيه قال : « جاءت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابي زوجني لابن اخيه ليرفع بي خسيسته ، قال : فجعل الامر اليها قالت : قد اجزت ما صنع ابي ، ولكن اردت ان تعلم النساء أن ليس للاباء من الامر شيء ». والحديث قطع بصحته في مجمع الزوائد .

وحتى يـرد الله الانسـان الى انسانيته جعل الابن يوجه الاب إذا ضل سبيل الفطرة الإنسانية .

وقد سجل الله موقف نبي الله ابراهيم من أبيه ، هذا الموقف الذي قـال الله تعالى عنـه : (**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبـين)** الانعام/ ٧٤ . كمـا سجل السبب الذي يخول الابن الحق في أن يقود أباه وفي ذلك يقول الله حاكيا مناظرة ابراهيم لأبيه : (**يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صـراطا سـويا)** مريم/ ٤٣ .

وفي ظل الاسلام اصبحت نسيبة بنت كعب علما من « اعلام النساء » ، فقد هاجرت مع الصحابة الى المدينة ، ثم في غزوة أحد بعد أن انفض الرجال من حول النبي صلى الله عليه وسلم وقفت نسيبة تقاتل وتدفع المشركين عنه وقد اصيبت في هذه الغزو بثلاثة عشر جرحا ولم يغير ذلك من ثباتها ودفاعها عن النبي الذي قال لابنها بعد المعركة : اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت خير من فلان وفلان كما سجلت كتب السيرة لها ايضا هذا الموقف دفاعا عن الرسول : فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقمت اباشر القتال ، واذب عنه بالسيف . وقد روى البخاري عن أنس : انه عندما انهزم المسلمون في غزوة احد لمخالفة الرماة اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ، كـانت عائشـة وأم سليم مشمرتين ، تسرعان بـالقرب عـلى ظهورهما . ثم تفرغان الماء في أفواه القوم .

وبعد

فهذه أمثلة قليـلـة عن مساواة الاسلام بين الرجل والمرأة وطبيعة هذه المساواة وحدودها ونطاقها .

يخلص منهـا ان المسـاواة في الاسلام حق في الامور التي يشترك فيها الرجال والنساء دون أن توجد بينهما فوارق طبيعية وغير مصطنعة ، ومن خلال هذه المساواة تكون الحرية الاسلامية في ممارسة هذا الحق وهي حرية تختلف عنها في المفهوم الغربي والاوروبي وكـذا عن الحـريـة في القاموس الشيوعي .

لأنها الحرية التي وضعها رب الرجال والنساء وخالقهم والذي وضع

لهم ما يصلح حياتهم في الدنيا والآخرة سواء ادركوا ذلك ام جهلوه ، جهلا جعلهم يخالفون او يعاندون وينكرون خلق الله لهم وإحيائهم واماتتهم وبعثهم .

الفوارق المالية بين الجنسين

يحلو لبعض الرجال والنساء ممن انتسبوا الى الاسلام بشهادة الميلاد ، ان يرددوا ان الاسلام جعل حق المرأة نصف حق الرجل في الشئون المالية ويضربون على ذلك مثلا بحقها في الميراث وحقها في الدية الشرعية ولقد غاب عن هؤلاء ان اصحاب الديانات السابقة على الاسلام لا يجعلون للبنت ميراثا اذا كان لها اخوة من الذكور ، كما ان المجتمعات التي لا دين لها تحرم المرأة من الميراث فجاء الاسلام واعطى المرأة حقها قال الله تعالى : **(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا)** النساء/٧ .

ولكن هذا النصيب تختلف احواله وفقا لاختلاف الاعباء المالية وغيرها مما لا يدركه البشر ، ومثال ذلك .

(١) يكون نصيب المرأة مثل نصيب الرجل وذلك كما في حالة ميراث الأم والأب اذ قال تعالى : **(ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث)** النساء/١١ .

(٢) وقد يكون نصيب المرأة مثل نصيب الرجل كما في حالة ميراث الاخوة لأم قال تعالى : **(وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث)** النساء/١٢ .

(٣) تأخذ البنت نصف التركة وتأخذ البنتان فاكثر ثلثي التركة إذا لم يكن للمتوفى فرع وارث ذكر - ويئول الباقي للورثة رجالا ونساء ، قال تعالى : **(فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس)** النساء/١١ .

(٤) كما تأخذ البنت نصف الابن لقول الله تعالى : **(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)** النساء/١١ وهذا الفارق له سبب لا يدركه بعض الناس ، لهذا قال الله تعالى : **(آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما)** النساء/١١ .

والملاحظ من هذا التوزيع أن الفوارق في الميراث لا تتعلق بالذكورة والأنوثة ، لهذا قال الله تعالى : **(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)** ، فامر الوالدين بالوصية بأولادهم توجيه من الله برعاية البنات حيث كانت القاعدة هي حرمانهن من الميراث ، اما تقرير الفوارق بين الابن والبنت فقط وليس بين كل رجل وامرأة ، فيرجع الى ان الاسلام قد كلف الابن بأمور كثيرة

تتطلب ان تزداد موارده لمواجهة هذه الأعباء فهو المكلف بالانفاق على زوجته وأولاده وعلى اقاربه المحتاجين رجالا او نساء ، وهو المكلف بأعباء الجهاد بماله ونفسه وهو المكلف بأعباء الضيافة للقريب والبعيد وهو المسئول عن تأثيث منزل الزوجية وعن تقديم جانب من المال الى من سيتزوجها كمهر لها قال الله عنه : (**وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا**) .

فوارق الدية الشرعية :

الدية هي مال يجب دفعه من الجاني او اقاربه الى المجني عليه اوورثته من بعده ، ويقصد بذلك تعويض المصاب أو ورثة القتيل مع جبر الخطأ . قال الله تعالى : (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا**) النساء/٩٢ .

ولقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم قيمة الدية الشرعية بقوله « في النفس مائة من الإبل » رواه مالك والنسائي وهذا النص عام يشمل نفس الرجل ونفس المرأة فلا تخصيص الا بدليل ولقد ذكرت كتب الفقه ان الشريعة الاسلامية تجعل الدية الشرعية عن وفاة المرأة نصف الدية المقررة عن وفاة الرجل ، بل قال ابن المنذر : « اجمع اهل العلم على ان دية المرأة نصف دية الرجل » ولقد تضافرت كتب الفقه على إثبات هذا الحكم .

وقد أفصح هؤلاء عن أن هذه التفرقة سببها ما ورد في صحيفة عمرو ابن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم « دية المرأة على النصف من دية الرجل »، ولكن بالبحث عن صحة هذه الرواية تبين ان العبارة ليست ضمن فقرات صحيفة عمرو بن حزم ، قال الحافظ ابن حجر « هذه الجملة ليست في حديث عمرو بن حزم الطويل إنما اخرجها البيهقى من حديث معاذ بن جبل واسناده « غير ثابت » كما اثبت المحققون المعاصرون ان هذه العبارة ليست ضمن حديث عمرو بن حزم المعروف بصحيفة عمرو بن حزم التي ورد بها ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن « ان الرجل يقاد بالمرأة » ، فالصحيفة المنسوب اليها التفرقة بين الرجل والمرأة في الدية الشرعية ثابت فيها التسوية بينهما في العقوبة في القتل العمد ، والدية الشرعية عقوبة عن القتل الخطأ،ومن ثم يتساوي فيها الرجل والمرأة كما هو الحال في عقوبة القتل العمد .

كما أن هذه الصحيفة ليس فيها التفرقة بين الرجل والمرأة في الدية الشرعية على ما ذكرناه من قبل وبالتالي تتساوى المرأة مع الرجل في هذه الدية .

هذا والجدير بالذكر ان المقلدات لنساء اوروبا في مطالبتهن بالمساواة بالرجال ، قد غاب عنهن او تناسين ما يأتي :ـ

اولا : ان الاسلام يجعل القوامة على الاسرة للرجل ، وجعل في مقابل ذلك ان يتحمل المهر والنفقات السالف ذكرها ، بينما التشريعات التي يقلدها هؤلاء تجعل رئاسة الاسرة للرجل ولا تعفي المرأة من النفقات ، حيث ينص القانون المدني الفرنسي على ان الالتزامات في الاسرة متبادلة بين الزوجين ، وهذه القاعدة تسود جميع التشريعات غيرالاسلامية ، بل نظام الزواج في المجتمعات الغربية يجعل المرأة تقدم مبلغا من المال لزوجها عند الزواج او ان تخلط اموالها بامواله ، ويكون الزوج هو المتصرف وحده في الاموال المقدمة منها او المختلطة بينهما .

ثانيا : ان التشريعات غير الاسلامية لا تعرف نظام الميراث إنما تأخذ بنظام الوصية ، وهذا من شأنه ان يتصرف الشخص في أمواله قبل وفاته فيوصي بها لمن شاء من اقاربه او غيرهم ، بل له ان يوقف هذه الاموال على الكلاب والقطط ويحرم منها بناته وبنيه .

ثالثا : ان الاسلام يساوي بين المرأة والرجل في الاجر وغيره وذلك بخلاف الغرب .

رابعا : ان المساواة المطلقة قد تضر بالمرأة نفسها ، لهذا نجد موقفا آخر للمنظمات النسائية الامريكية ، واهمها جمعية سعادة المرأة ، فقد وضع الكونجرس الامريكي مشروعا لتعديل الدستور بما يكفل للمرأة المساواة الكاملة مع الرجل وصدر بذلك قرار بتاريخ ٢٢/٣/١٩٧٢ لكن توقف تنفيذه على موافقة أغلب الولايات الامريكية ، ولكن الحقيقة كانت مخالفة لكل التوقعات فإن المنظمات النسائية نفسها او بعبارة أدق : فإن عددا لا بأس به منها ، قام بالاعتراض على القانون .

وكانت وجهة نظر المعارضة كما لخصها أنصار المرأة هي :ـ

(١) المساواة بالرجل تلزم المرأة بالعمل فلا تستطيع التفرغ للبيت إن شاءت .

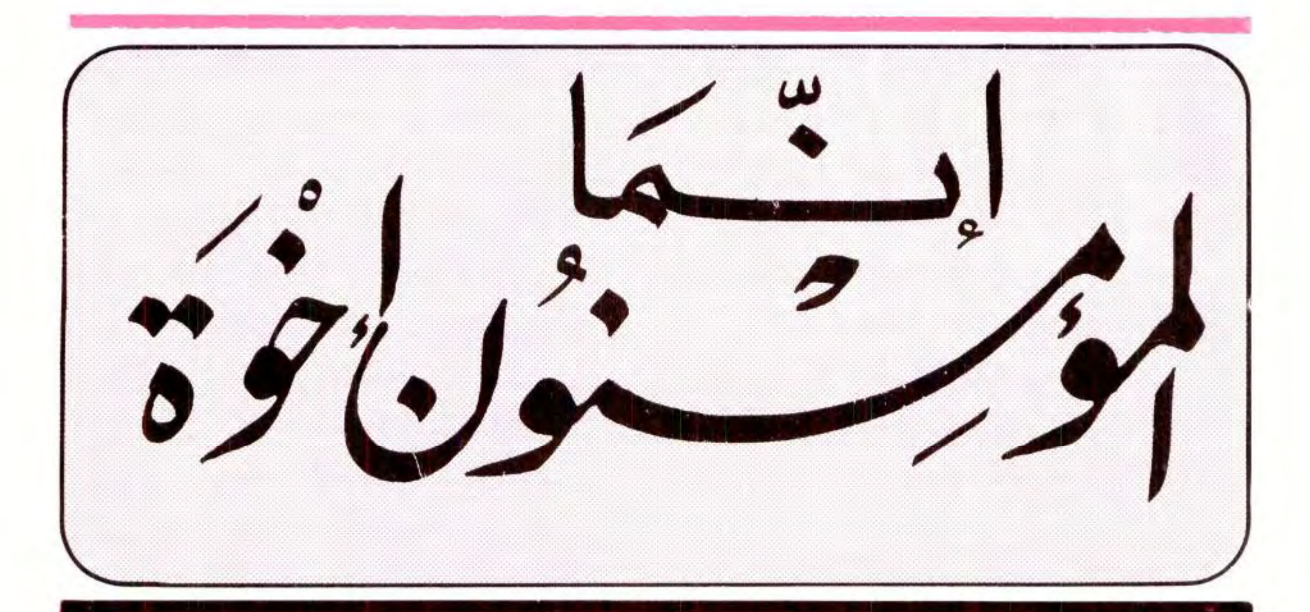
(٢) المساواة تلغي وجوب النفقة على الرجل بل تجعل له حقا في النفقة .

(٣) المساواة تلغي امتيازات المرأة في السجون .

(٤) المساواة تستلزم وجوب تجنيد المرأة في الجيش .

وامام هذه المعارضة لم توافق أغلبية الولايات فتوقف التعديل . وفي أمريكا ايضا قضت المحكمة العليا ان من حق الولايات افتتاح معاهد خاصة بالبنات ، وذلك بناء على طلب من بعض الرجال للالتحاق بهذه المعاهد تحقيقا للمساواة ، كما قضت المحكمة أيضا بأن من حق ولاية ميتشيجان منع النساء من العمل ساقيات في الحانات .

وفي المجر تمردت المرأة على تبعات الاسرة والاطفال بسبب استقلالها في حياتها بعملها واكتفائها بالعلاقات غير الشريفة ، فاضطرت الحكومة لمنح اجازة حضانة بمرتب كامل للراغبات في البقاء في البيت ، فهل يدرك ذلك المقلدون والمقلدات .



للدكتور/الحسيني ابو فرحة

أمر المولى عز وجل المؤمنين أن يكونوا اخوة متحابين . جاء ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم . إذ يقول : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » متفق عليه .

هذا والسنة شطر الوحي . فما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو مما امر به الله عز وجل . قال صلى الله عليه وسلم : « من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله » رواه ابن ماجه . وما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مثل ما نهى عنه الله في تحريمه . قال صلى الله عليه وسلم : « يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل . فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا وإن ما حرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل ما حرم الله » رواه ابن ماجة .

هذا وقد صرح صلى الله عليه وسلم في حديثه . بالأمر بالاخوة في الله بقوله :

« وكونوا عباد الله إخوانا » .

ونرى في الآية القرآنية الكريمة . التي اقتبسنا منها عنوان المقال . وهي قوله تعالى : **(إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/ ١٠ . نرى فيها قصر المؤمنين على صفة الاخوة في الله . وهو وان كان قصرا غير حقيقي . لأن قصر الموصوف على صفة واحدة لا يتصور غالبا . فالمؤمنون لهم غير وصف الاخوة في الله اوصاف كريمة اخرى كثيرة .. وكأن الآية تقدم وصف الأخوة في الله على غيره من الصفات الكريمة الأخرى بعد وصف الايمان ، الذي جعل عنوانا للمؤمنين وعلما عليهم .

ويصور صلى الله عليه وسلم اثر الاخوة في الله . وانهـا تؤدي الى تماسك المسلمـين في وحدة رائعـة بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البخاري ، وشبك بين أصابعه .

ومن هنا نلمس ثمرة سريعة دانية القطوف للاخاء في الله هي ما يثمره الاخاء في الله من قوة لكل فرد من المتآخين في الله .

ويشير القرآن الكريم الى منة الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بتأليفه بين قلوبهم حتى صاروا بنعمته إخوانا . فيقول تعالى : (**واعتصموا بحبـل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**) آل عمران/١٠٣ .

وذلك ان جمع القلوب وتأليفها حتى تتآخى في الله بعد طول خصام يحتاج الى جهد كبير . بل قد يكون فوق طاقة البشر .

يقول تعالى : (**والف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**) الأنفال/٦٣ .

ولقد حرص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . اول ما نزل المدينة المنورة على بذر بذور الاخـاء بين المسلمين . بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

قال ابن اسحاق : « وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار [illegible] : ـ فيما بلغنا . ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ :

تآخوا في الله اخوين . ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ، (سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٥٠) .

وذكر القرآن الكريم من بين ما أنعم به على عباده في الجنة . نعمة الاخاء في الله فقال عز من قائل : (**ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين**) الحجر/٤٧ .

ولم يبتل الله قوما ببلاء أخطر من ابتلائهم بحرمانهم من نعمة الأخوة في الله . فيتركهم متدابرين متنافرين . يبغي بعضهم على بعض ، ولا يأمن بعضهم البعض . فهم في صـراع دائم . وخوف ملازم . حرموا نعمة الأمن . قال تعالى : (**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون**) الأنعام/٦٥ .

فجعل بأس الأمة بينهم من أخطر ما ينزله الله بالناس . ولقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا أشد الحرص على أن يجنب أمته هذا البلاء . الذي يحرمهم من نعمة الأخوة في الله . ولكن سبق القدر بأن يذيق الله أمتنا الاسلامية من هـذا البلاء . روى الامام أحمد بسنده عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه . قال :

« أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا

معه . فناجى ربه عز وجل طويلا . ثم قال : سألت ربي ثلاثا ، سألته ألا يهلك امتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها . وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » رواه أحمد ومسلم في صحيحه .

وما كان المولى عز وجل وهو الرحمن الرحيم ليذيق الأمة الاسلامية هذا العذاب إلا بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما أمر عز وجل بالأخوة الاسلامية . فقد نهى عن أخوة الكفار وموالاتهم وهدد من يؤاخي الكفار من المسلمين . فقال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**) التوبة/ ٢٣ .

كما قال تعالى : (**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**) المجادلة/ ٢٢ .

وانما نهى الله عن مؤاخاة المسلم للكافر . لأن ذلك يضر بالأخوة الاسلامية ويناقضها . فهما لا يجتمعان أبدا . فمن امتلأ قلبه بالاسلام . لا يبقى فيه مكان لأخوة كافر . بل يمتلىء قلبه لا محالة ببغض الكافرين . وبمقدار ما يجد في قلبه من مودة وأخوة للكافرين يجد نقصا في قلبه في أخوته للمسلمين .

وهنا أحب أن أنبه إلى أن ترك مؤاخاة المسلم للكافر . لا يمنع من بر المسلم للكافر ومعاملته بالعدل . قال تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**) الممتحنة/ ٨ و٩ .

ولقد شرع الاسلام لنا الكثير مما يغذي الأخوة الاسلامية . نجد ذلك منثورا في الكتاب الكريم . والسنة النبوية المطهرة . ولا يتسع مقال للاحاطة بذلك .

وبحسبنا أن نذكر طرفا من ذلك . كنموذج يشير إلى غيره .

من ذلك تشريع الاسلام للجمعة والجماعة .. حيث يلتقي المسلم بأخيه المسلم . في ظلال رحمته تعالى . في الصلاة . وبين يدي الصلاة . وعقب الصلاة .

ولقاء المسلم بأخيه المسلم خير كله قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » متفق عليه .

ومن ذلك التبسم في وجه اخيك المسلم . وزيارته في الله . وصلته بما

تيسر قال صلى اللـه عليه وسلم : « يانساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » متفق عليه . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« أن رجلا زار أخا له في قرية أخـرى . فأرصـد الله تعـالى على مدرجته ملكا .

فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه ؟ قال : لا . غير أني أحببته في الله تعالى .

قال : فاني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » رواه مسلم .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه منادٍ : بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا » رواه الترمذي .

فنراه صلى الله عليه وسلم يحث في حديثيه هذين على التزاور في الله . ذلك أن المودة جسم روحها الـزيارة . فـالزيـارة تغذي المـودة وتنميها . وخاصة الزيارة ابتغاء وجه الله . وفي الحديثين نرى من ثمرات الزيارة لله وفي الله محبة الله عز وجل للزائر . وإعلامه بها عن طريق ملك يبشره بها .

كما نرى من ثمرات الزيارة في الله دعاء الملك لـه بأن يطيب ويطيب ممشاه . وأن يتبوأ من الجنة منزلا . ودعاء الملك مقبول .

وبهذا فقد جمع من زار أخا له في لله قياما بحق الأخوة عليه بين هذه المثوبات كلها . وبهذا يشيـع بين المسلمـين الاخاء في اللـه . وسقيا الاخاء في الله بالزيارة . طلبا لهذه المثوبات . واكرم بها من مثوبات . وخاصة حب الله لمن زار أخاه في الله .

أخـي أيهـا المسلـم . يتـزاور المسلمـون فيمـا بينهم والجمهـرة الكبيرة منهم لا تظفر بمثوبة الله على هذه الزيارة . فصحح النية تظفر بهذه الزيارة . واقصد وجه ربك عندما تأتي عملا حتى ترزق المثوبة عليه . قال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنية وإنما لامرىء ما نوى ، فمن كـانت هجرتـه الى الله ورسـوله . فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » متفق عليه .

وكما شرع الاسلام الكثير مما يغذي الأخوة الاسلامية . فقد شرع كذلك الكثير مما يحفظ صفو الأخوة الاسلامية .

فنهى عن سخرية المسلم من أخيه المسلم . كمـا نهى عن التنـابـز بالألقاب . ونهى كذلك عن الغيبـة والنميمة . وعالج كذلك ما يثور بين المسلمين من خصومات .

وهذا قليل من كثير . مما شرعه الاسـلام للحفـاظ عـلى الأخـوة الاسلامية . ذكرته كنموذج فحسب . ففي النهي عن السخرية وعن التنابز بالألقاب يقول تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من**

نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات/ ١١ .

وفي الآية نهي صريح عن السخرية بالناس . فان ذلك مما يشيع بينهم العداوة والبغضاء ، والسخرية ثمرة من ثمرات الكبر . قال صلى الله عليه وسلم : « الكبر بطر الحق وغمط الناس » الكبر أضر المعاصي على صاحبه . ذلك أنه أول معصية عصى بها الله عز وجل . حيث امتنع إبليس عن السجود لأبينا آدم كبرا قائلا : **(أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)** ص/ ٧٦ . ومن هنا قال السادة العلماء : « كل معصية أصلها من الكبر لا يرجى زوالها . وكل معصية أصلها من الشهوة يرجى زوالها » .

وهكذا نرى مبلغ خطورة السخرية من المؤمنين .

ويتفرع عن السخرية لونان من السلوك هما الهمز واللمز . والهمز : هو السخرية بالفعل ، واللمز : هو السخرية بالقول . فالذي يسخر من إنسان بتقليد حركاته مثلا . هماز . والذي يسخر منه بلسانه لماز . وكلاهما مستهزىء .

ولقد أمهى المولى عز وجل للكافرين . غير أنه لم يمل للمستهزىء منهم بنبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى : **(إنا كفيناك المستهزئين)** الحجر/ ٩٥ .

قال ابن اسحق : « إن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمستهزئون يطوفون بالبيت . فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن عبدالمطلب . فرمى في وجهه بورقة خضراء . فعمى . ومر به الأسود بن عبد يغوث . فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا . (والحبن: انتفاخ البطن) ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين . وليس بشيء فانتقض به فقتله . « وانتقض الجرح : إذا تجدد بعد ما برىء » .

ومر به العاص بن وائل . فأشار إلى أخمص رجله . فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبارقة . فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته ، « والشبارقة » الشجرة العالية . سيرة ابن هشام ج٢ ص٥١ .

ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه . فامتخض قيحا فقتله .

هذا وقد قال سادتنا العلماء : « كل آية وردت في وعيد الكافرين تنسحب بذيلها على عصاة المؤمنين » فما كان الله عز وجل ليعجل عقوبة الاستهزاء للكافرين ويمهل المستهزئين بالمسلمين من المسلمين .

فحذار أخي المسلم من الاستهزاء بأخيك المسلم . تنل رضوان ربك وتظفر بمثوبته .

هذا ونهى الاسلام كذلك عن التنابز بالألقاب . صيانة للأخوة بينك وبين أخيك المسلم أن تنتهك حرمتها . وأي خير للمسلم في إيذاء أخيه المسلم

بتلقيبه بما يكره إنه لا يحصل إلا على إيغار قلب أخيه المسلم فيتربص به هو الآخر لينال منه متى سنحت له الظروف .

ولقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم ينادي أصحابه بأحب أسمائهم إليهم . ويغير من أسمائهم ما يكره منها .

ونهى الاسلام كذلك عن كثير من الظن . فان الظن أكذب الحديث . عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها في الخير محملا » . وصدق أمير المؤمنين . فان ذلك أجمع لقلوب المؤمنين . ويذهب بالكثير من وساوس الشيطان . ويحفظ حرمة المؤمن أن تنتهك بسبب الظن .

وحرمة المؤمن عند الله عظيمة . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة وهو يقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك . ما له ودمه وأن يظن به إلا خيرا » وتفرد ابن ماجة من هذا الوجه .

وينهى الاسلام كذلك عن ثمرات الظن من التحسس والتجسس والتباغض والتدابر كما ينهى كذلك عما يدور في فلك الظن من تقطيع روابط المحبة من التنافس والتحاسد يقول صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخاري .

وينهى الاسلام كذلك عن الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره . عن أبي هريرة قال : قيل : يارسول الله ما الغيبة ؟. قال صلى الله عليه وسلم : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان في اخي ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » رواه أبو داود والترمذي وحسنه .

نهى الاسلام عن ذلك كله صيانة للأخوة الاسلامية أن تنتهك حرمتها . وحفاظا عليها من كل ما يصدع بنيانها .

ويبلغ الاسلام الذروة في الحفاظ على الاخوة بين المسلمين ، وذلك بعلاجه لما يثور بينهم من خصومات يعتدي فيها المسلم على أخيه المسلم . فنراه يضع الحل الأمثل لذلك فيخاطب المعتدي عليه الذي جرح شعوره . واعتدى على كرامته . فثارت ثائرته يخاطبه أولا باعطائه الحق في الثأر لكرامته . فيرضى بهذا شعوره . غير ان القرآن يشير إشارة خفية إلى عدم الرضا الكامل على رد الاعتداء . والانتقام من المعتدي ، تلك الاشارة هي تسمية القصاص من المعتدي اعتداء عليه . ويقول البلاغيون إنها مشاكلة فحسب لأن صورة القصاص تشبه صورة الاعتداء .

ولكن من يتدبر القرآن يجده يهدف إلى أبعد من ذلك . إنه يهدف إلى التنفير من القصاص . حيث سماه اعتداء هو الآخر .

ثم بعد أن تهدأ ثائرة المعتدي عليه . بإعطائه الحق في القصاص . يخاطبه القرآن بتفضيل الصبر على القصاص وهنا ينشرح صدر المعتدي عليه بعض الشيء للعفو إيثارا للصبر وكريم عاقبته على القصاص .

ثم تأتي المرحلة الثالثة آمرة بالصبر لنفس قد تهيأت تماما لقبول الأمر بالصبر . في المرحلتين السابقتين .

نقرأ ذلك كله في قوله تعالى : **(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله)** النحل/ ١٢٦ و١٢٧ ولو أمعنا النظر في هذه الآيات الكريمة ، وأطلنا التدبر فيها لرأينا فيها الكثير مما يصرف عن القصاص في غير القتل . كالضرب مثلا والجرح وغير ذلك .

فالآية أباحت القصاص في هذه الأمور بشرط المثلية ، والمثلية متعذرة بل قد تكون مستحيلة . فلطمة تختلف عن لطمة . لاختلاف القوة بين الضارب والمضروب . واختلاف الدافع . إلى غير ذلك .

كما أن الآية سمت الايذاء ابتداء عقوبة . ولا أفهم لم سمى عقوبة هنا ، إلا أن يكون ذلك إشارة إلى أن ما ينزل بالانسان إنما ينزل غالبا بسبب جرم منه ، فهو يعاقب من الله بتسليط هذا الذي اعتدى عليه .

كما سمى القرآن القصاص في آية اخرى اعتداء لما ذكرت سابقا . وهو التنفير من القصاص . قال تعالى : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)** البقرة/ ١٩٤ .

هذا ولم يقف الهدى القرآني في علاج ما يثور بين الناس من الخصومات عند حد الأمر بالصبر . بل جاوز هذا المقام إلى مقام أعلى منه بكثير . إنه أمر بالاحسان إلى من أساء اليك . ذلك أن إحسانك إليه في مقابل إساءته إليك يجتث جذور الخصومة . ويجعل الخصم تنقلب عداوته لك إلى محبة .

يقول تعالى مشيرا إلى هذا المقام مقام الاحسان إلى من أساء إليك :
(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصلت/ ٣٤ و٣٥ .

هذا قليل من كثير مما شرعه الاسلام لبذر الاخاء بين المسلمين . وتغذيته بعد بذره . وصيانته من كل ما يضره . ويوقف نماءه .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل :

(ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) الحشر/ ١٠ .



منهاج الإسلام في ترشيد الاستهلاك

للاستاذ / مجدي عبدالفتاح سليمان

يعد الاستهلاك في واقع الامر ، سمة مميزة من سمات هذا العصر ، اذ لا يكاد يخلو أي نظام اقتصادي من ارتفاع متزايد في معدلات الاستهلاك سواء كان هذا النظام رأسماليا أم اشتراكيا ، متقدما ام نامياً ، ومع التسليم بعمومية هذه الظاهرة ، الا انه من الملاحظ تزايد معدلات الاستهلاك في البلاد الاسلامية بصورة خطيرة ، باتت تهدد مصالح هذه الدول ، وتعوق مجهوداتها الانمائية ، وفي مواجهة هذه الظاهرة وضع الاسلام قيوداً محكمة على الاستهلاك ، ايمانا بأن حرية

الاستهلاك تؤدي في النهاية إلى اصابة الاقتصاد القومي بأفدح الأضرار .

ويؤكد خبراء الاقتصاد ان ظاهرة الاستهلاك الكبير والمتضخم قائمة ومستمرة ، ومعنى استمرارها هو إنفاق كل الدخل الفردي والقومي ، وتسرب مدخراتنا وأموالنا إلى الخارج لتمويل شراء السلع الاستهلاكية ، ايضا سنواجه مصاعب امام التنمية ، تؤدي إلى مزيد من المشاكل الاقتصادية ، وتزداد الصعوبة امام المسئولين عن حل تلك المشاكل ، من هنا نؤكد ان ترشيد الاستهلاك يعتبر من الامور الحيوية التي يجب التفكير فيها جديا ، بسبب ما سيترتب عليه من آثار في مصلحة الاقتصاد القومي ، وكفى بالمرء اسرافاً ان يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه ، فكثرة الطعام تميت القلوب فقد قال صلى الله عليه وسلم : « **لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء** » احياء علوم الدين للامام الغزالي ج ٣ ص ٧٨ دار احياء الكتب العربية

ينبغي ان نترك هذا التقليد الأعمى المدمر ، وهذه العادات السيئة والجري وراء أوهام وسراب الاستهلاك ، وأن نعود إلى تعاليم هذا الدين الحنيف فهو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية من أزماتها وهو وحده كفيل بأن يحقق للانسان ما ينشده من كمال ورفعة وتقدم ورخاء .

○ الاستهلاك وتعاليم الاسلام :

جاء الاسلام بمنهج شامل لتنظيم الحياة الانسانية ، وجعل الاستهلاك والاستفادة والانتفاع بما خلق الله تعالى أمرا طيبا في الاسلام ، طالما أنه لا يقوم على ادخال الضرر بالنفس او الاضرار بالغير ، والاسلام يكلف المسلم تمتيع ذاته في الحدود المشروعة ، ويكره للناس ان يحرموا في غير محرم ، لان الحياة لا بد ان تستساغ وأن تجمل ، وان تكون بهيجة في غير لهوولا اسراف ، فهو يأمر بني آدم أن يتزينوا الزينة اللائقة فقال تعالى : **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** الاعراف / ٣١ - ٣٣ « فالاسلام يطلب الاستمتاع بمباهج الحياة المعقولة للناس جميعا ، كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم لذلك وجه الخطاب هنا الى « بني آدم » فاذا دعا في بعض الاحيان إلى الصبر والرضا فليست هذه دعوة الى الحرمان ، انما هي دعوة لاحتفاظ النفس بطمأنينتها

علىّ الشدائد إلى ان تزول او تزال ، اما بعد ذلك فكل فرد مطالب بأن يستمتع المتاع الحلال ، والجماعة مطالبة بأن تهيء هذا المتاع لافرادها جميعا فلا تحرمهم مما يدعوهم الله ان يستمتعوا به في الحياة ، هذا كله من ناحية ، اما ان يتضخم هذا التمتع والتنعم كما هي صفة المجتمع غير الرباني ، فأمر لا يقره الاسلام ولا يعترف به ويصفه بالاسراف والتبذير ، من هنا فان الامة الاسلامية مطالبة باتباع منهج الاسلام في ترشيد وتنظيم الاستهلاك ، هذا المنهج الذي حرم حياة الترف ، ونهى عن الاسراف والتبذير والسفه ، وأمر بالتوسط والاعتدال في الانفاق على الاستهلاك » .

○ تحريم الاستهلاك الترفي :

حرم الاسلام الاستهلاك الترفي بكافة صوره واشكاله ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما فانها لهم في الدنيا ولكم في الاخرة** » متفق عليه ، والحديث دليل على تحريم الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة وصحافهما سواء كان الاناء ذهبا خالصا ام مخلوطا بالفضة ، اذ هو مما يشمله انه اناء ذهب وفضة ، وقال الامام النووي : « **انه انعقد الاجماع على تحريم الاكل والشرب فيهما ، واختلف في العلة فقيل للخيلاء ، وقيل لكونه ذهبا وفضة** » سبل السلام للصنعاني ج ١ ص ٢٩ ويصور لنا الرسول صلى الله عليه وسلم عقاب من يخالف ذلك فيقول : « ان الذي يشرب في آنية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم » متفق عليه. ولمسلم : « **ان الذي يأكل او يشرب في اناء الذهب والفضة** » **نيل الاوطار للشوكاني ج ١ ص ٦٨**

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير والذهب بالنسبة للرجال اما النساء فأبيح لهن الحرير والذهب ، فعن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **احل الذهب والحرير للاناث من أمتي وحرم على ذكورها** » رواه احمد والنسائي والترمذي ونهى عليه الصلاة والسلام عن الجلوس على الحرير فعن حذيفة رضي الله عنه قال : « **نهانا النبي صلى الله عليه وسلم ان نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليه** » رواه البخاري ومن يلبس الحرير في الدنيا يحرم منه في الاخرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة** » رواه البخاري .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التعالي في البنيان والتوسع فيه لغير ضرورة ، فقد روي ابو داود وابن ماجة والطبراني : **انه عليه الصلاة**

والسلام خرج يوما في بعض صحابته فرأى قبة مشرفة فقال : « ما هذه ؟ قالوا : هذه لفلان فقال : كل ما كان هكذا فهو وبال على صاحبه ، وعلم الرجل فهدمها وسواها بالارض ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يجدها ، فسأل عنها فأخبر بما صنع صاحبها فقال : « يرحمه الله ، يرحمه الله » .

ونهى صلى الله عليه وسلم عن ستر جدران الحجر او تزيينها بستائر او اشياء ثمينة وما الى ذلك مما نسميه اليوم « بالديكور » فكلها أمور غير ضرورية وكمالية تدل على الترف ، فقد روي مسلم ان عائشة رضي الله عنها **زينت بيتها بستار فلما رآه صلى الله عليه وسلم جذبه ، وصار يفركه بين يديه حتى هتكه وقال : « يا عائشة » : ان الله تعالى لم يأمرنا فيما رزقنا ، ان نكسو الحجارة والطين »** . **و** الرسول صلى الله عليه وسلم ـ **يسمي بيوت المترفين بيوت الشياطين** لما ينبع فيها من الفساد ، ولما يخرج منها من الفتنة « تكون ابل للشياطين ، وبيوت للشياطين فأما ابل الشيطان فقد رأيتها يخرج احدكم بنجيبات معه قد اسمنها ، فلا يعلو بعيدا منها ، ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله ، واما بيوت الشياطين فلا أراها الا هذه الاقفاص التي تستر الناس بالديباج » رواه ابو داود واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ رآها ابلا للشياطين فلا حاجة بأصحابها الى ركوبها ، بينما المنقطعون لا يجدون ما يركبون ، ونحن نجد السيارات الفخمة تروح وتغدو للتافه الصغير من الامور ، والوف لا يجدون اجرة المواصلات ، ومئات لا يجدون حتى ارجلهم للمشي بها ، فهي مقطوعة ذهبت بها الآفات !

اما البيوت التي رآها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الاقفاص التي تستر الناس بالديباج : فنحن نراها ووسائل الترف فيها لم تخطر على قلب بشر في ذلك الزمان وخلاصة القول : **ان الترف منبع شر يملأ القلوب حقدا وضغينة ، ويقضي على حياة الامن والاستقرار ، يصل بأصحابه إلى جحود الحق وانكار الشرائع ، ويغرس في نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقات ، اذا فلا جرم ان يكون الترف سبب العذاب في الآخرة ، فيقول الله تعالى في سورة الواقعة / ٤١ ـ ٤٨ : (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . في سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . انهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . أو آباؤنا الأولون)**

ولكن هذا الهلاك والعذاب لا يصيبان الفرد المترف وحده ، بل يصيبان الجماعة التي تسمح بوجود مترفين : **(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق**

عليها القول فدمرناها تدميرا) الاسراء ١٦ ذلك ان وجود المترفين في الجماعة ، وسماح الجماعة بوجودهم ، وسكوتهم عليهم ، وقعودها عن ازالة اسباب الترف وتركها المترفين يفسدون .. كل ذلك اسباب تؤدي حتما إلى الهلاك والتدمير .

○ تحريم الاسراف والتبذير والسفه :

○ **الاسراف** :« هو الانفاق في الحلال بصورة تزيد كثيرا عن الحاجة والمعقول وهو محرم ، وحقيقة هذا الاسراف مجاوزة الحد في كل فعل او قول .

يقول الحق تبارك وتعالى : (**كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) الانعام/ ١٤١ فقوله « **لا تسرفوا** » نهى عن الاسراف في كل شيء ولا شك انه صحيح ، وقد ورد في تفسير ابن كثير : اي لا تسرفوا في المأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد** » احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٥٩ ونظر المصطفى صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال : « **لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك** » احياء علوم الدين ص ٨٦ ج ٤ اي لو قدمته لاخرتك وآثرت به غيرك . وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم : اي الناس افضل قال : « **من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته** » احياء علوم الدين ص ٧٨ ج ٤

● **اما التبذير** :فهو النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق وفي الفساد وقال مجاهد « لو انفق انسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ولو انفق مدا في غير حق كان مبذراً » وقد شبه القرآن الكريم المبذرين بالشياطين اعداء البشرية ، فيقول الله تعالى : (**ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**) الاسراء / ٢٦ ، ٢٧ .

○ **اما السفه** : فهو التبذير وعدم حسن التصرف في المال ، والسفيه عند الشافعية : « المبذر في ماله والذي ينفقه فيما لا يعود عليه بمنفعة عاجلة او آجلة ، كأن يقامر به ، او ينفقه في اللذات المحرمة الضارة بالبدن والعرض والدين كالزنى ، وشرب الخمر ، او ينفقه في المكروهات كأن يشتري به الدخان او يضيعه بسوء تصرفه ، كأن يبيع أو يشتري بالغبن الفاحش » ويقول الحق تبارك وتعالى : (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**) النساء/ ٥ . وفي تفسير هذه الاية يقول الامام النسفي : (**ولا تؤتوا**

السفهاء) أي المبذرين اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها ، والخطاب للاولياء واضاف الى الاولياء اموال السفهاء بقوله **(اموالكم)** لانهم يلونها ويمسكونها ، فالاموال التي بأيدي السفهاء إنما هي في الحقيقة اموال المجتمع ، وتوجب الشريعة الاسلامية على ولي الامر معاقبة السفيه بالحجر عليه وغل يده عن امواله » .

○ تحريم استهلاك السلع والخدمات الضارة :

يحرم الاسلام كل ما يضر بالمجتمع من سلع وخدمات ضارة بالجسم او العقل أو تؤدي الى تبديد الموارد من غير فائدة حتى لو لم تكن نفسها ضارة ، فحرم الاسلام أكل الميتة والدم ولحم الخنزير .. وحرم شرب الخمر والميسر وحرم الاسلام الخبائث .

يقول تعالى : **(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق)** المائدة ٣

« نهى المولى سبحانه وتعالى عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة وهي ما مات من الحيوان حتف انفه من غير ذكاة ولا اصطياد ، وما ذاك الا لما فيها من المضرة ولما فيها من الدم المحتقن ، فهي ضارة للدين وللبدن لهذا حرمها الله عز وجل ، وقد أحل الله لنا ميتتين ودمين فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « **احل لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالسمك والجراد ، واما الدمان فالكبد والطحال** » رواه احمد بن حنبل وابن ماجة وحرم « الدم » اي المسفوح وهو السائل ، وحرم لحم الخنزير وكله نجس **(وما اهل لغير الله به)** اي رفع الصوت به لغير الله . **(والمنخنقة)** التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بالشبكة او غيرها **(والموقوذة)** التي أثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت **(والمتردية)** التي تردت من جبل او في بئر فماتت **(والنطيحة)** المنطوحة وهي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح **(وما اكل السبع)** بعضه ومات بجرحه **(الا ماذكيتم)** الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب ، اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا ادركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت **(وما ذبح على النصب)** كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ، ويتقربون اليها تسمى الانصاب » .

● اما بالنسبة للشراب فقد حرم الاسلام شرب الخمر وما اشتق منها وما شابهها ليضمن بذلك سلامة عقول المسلمين ، فتكون تصرفاتهم في اطار

احكام الشريعة الغراء ، فالحق تبارك وتعالى يقول : (**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**) المائدة / ٩٠ ويوضح لنا القرآن الكريم تحريم كل الخبائث « اي الاشياء الضارة » فيقول تعالى :(**الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم**) الاعراف / ١٥٧

○ التوسط والاعتدال في الانفاق على الاستهلاك :

يهدف النظام الاقتصادي في الاسلام الى تحقيق رفاهية المجتمع ودعم قدرته الاقتصادية حتي يتمكن من تحسين مستويات المعيشة ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بالاعتدال والتوسط .

وقد جاء القرآن الكريم يقرر ان الحد الوسط في عملية الانفاق على الاستهلاك هو النمط المطلوب ، وذلك في قوله تعالى : (**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) الفرقان / ٦٧ فالقوام هو العدل والاعتدال ويقول الله تعالى : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً**) الاسراء / ٢٩ ويقول ابن كثير في تفسيرها : يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذا ما للبخل ناهيا عن السرف : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**) • أي لا تكن بخيلا منوعاً لا تعطي أحداً شيئا : (**ولا تبسطها كل البسط**) اي لا تسرف في الانفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج اكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا اي فتقعد ان بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك » وقال صلى الله عليه وسلم « **كلوا واشربوا وتصدقوا ما لم يخالطه إسراف ولا مخيلة** » رواه النسائي وابن ماجة وهذا الحديث يدل على تحريم الاسراف في المأكل والمشرب فهو جامع لفضائل تدبير الانسان نفسه ، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والاخرة .

يتضح لنا مما تقدم ان اتباع منهج الاسلام في عملية الاستهلاك يؤدي حتما الى الحد من التنوع والتطور المستمر في الحاجات الانسانية غير الضرورية « الكمالية » ، وذلك من خلال تأثير هذا المنهج في سلوك المستهلك ، كما وان اتباع هذا المنهج يعد من العوامل الاساسية في بناء اقتصاد الامة وقوة بأسها ، اذ يغنيها عن الاستيراد الذي يشكل عبئا ثقيلا على ميزانية الدولة ، وقد يفتح لها آفاقاً جديدة في التصدير .

تجارة لن تبور

قال تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » الآيتان ٢٩ و ٣٠ من سورة فاطر

استغنى عن

قال حكيم : استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به .

اللهم اغفر لي

ورد أن الحجاج قال عند موته : اللهم اغفر لي فانهم يقولون انك لا تغفر لي ، وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ، ولما حكى ذلك للحسن البصري ، قال : قالها ؟ فقيل له : نعم ـ قال : عسى

في السكوت بيان

قال الشاعر :

وفي النفس حاجات وفيك فطانة
.. سكوتي بيان عندها وخطاب

النفس اولا

مواعظ الواعظ لن تقبلا
حتى يعيها قلبه اولا
يا قوم من اظلم من واعظ
خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الخلق احسانه
وخالف الرحمن لما خلا

الرحمة أولا

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه ، فهو عنده ، فوق العرش ، إن رحمتي غلبت غضبي »
أخرجه البخاري

ثقيل الظل

أطال ثقيل الظل إقامته عند رجل ، فلما امسى وأظلم البيت لم يأته بسراج ، فقال ثقيل الظل : أين السراج ؟
قال صاحب البيت : إن الله تعالى يقول : « **وإذا أظلم عليهم قاموا** » .
فقام وخرج .

في اللغة

الجنب : يستوي فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، صرح به صاحب الكشاف في قوله تعالى : « ولا جنبا الا عابري سبيل » وعلله بانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجتناب .

يموت غنيا

يعيب البعض منا على أناس تقدمت بهم السن ، وما زالوا ينصبون من أجل الرزق الحلال ، ونقول لهم : لقد سئل حكيم : اتدخر المال وانت ابن سبعين سنة ؟
قال : يموت الرجل فيخلف مالا لعدوه خير من ان يحتاج في حياته لصديقه .



إعفاء اللحية في

للدكتور / نجاشي علي ابراهيم

على الرغم من أن إعفاء اللحية : من خصال الفطرة ، فقد كثر كلام الناس عن اللحية ، وشغلوا بها لدرجة أن الحديث عنها : أخذ حيزا كبيرا من تفكيرهم ، وقدرا عظيما من كلامهم ، حتى خيل لبعض الناس ، أن لها وضعا : يختلف عن بقية خصال الفطرة ، وأن إعفاء اللحية ينفرد بحكم : دونه حكم هذه الخصال .

وذكر إعفاء اللحية ، ضمن خصال الفطرة : كان وحده كافيا لعدم الاسراف في القول الذي يحلو لبعض الناس أحيانا .

وخصال الفطرة : أمور يميل إليها الانسان بطبيعته ، ويهتدي إليها بفطرته ، ومن ثم يستوى فيها الناس جميعا : مسلمهم وكافرهم ، إذا لم تنحرف بهم فطرهم .

وما ذكر النصوص الدينية في مثل هذه الأمور : إلا تذكير للانسان ، وتنبيه له ، حتى يعود إلى هذه الفطرة السليمة ، ولا ينساق في تيار مخالف لها .

وقد أرشدنا التاريخ قديما ، عن



العرب وغيرهم ، إلى أن إعفاء اللحية : كان عادة مستحسنة ، ولا يزال كذلك عند كثير من الأمم :

ـ في علمائها .

ـ وفلاسفتها .

ـ وشعرائها .

مع مابينهم من اختلاف : في الدين ، والجنسية ، والاقليم .

وهم يرون أن في إعفاء اللحية : مظهرا لجمال الهيئة ، وكمال الوقار ، وحسن الاحترام .

والمتأمل في بدن الانسان ، ذكرا كان أو أنثى ، يستطيع أن يدرك أن الله سبحانه وتعالى : قد زين رأس الانسان بالشعر ، وجعله لباسا له ، لاحتياجه إليه ، كما زين الوجه : بما أنبت فيه من الشعور المختلفة :

ـ فزين الوجه بالحاجبين ، وجعلهما وقاية لما ينحدر من بشرة الرأس إلى العينين ، وقوسهما وأحسن خطهما .

ـ كما زين أجفان العينين بالأهداب .

ـ ثم اختص الرجل ، بأن زين الله وجهه : باللحية ، وجعلها كمالا ، ووقارا ومهابة .

ـ ثم زين الشفتين من الرجل : بما أنبت فوقهما من الشارب ، وبما أنبت تحتهما من العنفقة .

وكان ذلك متناسقا مع تكوين الرجل وما تتطلبه رجولته ومسئولياته في الحياة من خشونة وهيبة واحترام .

كما كان خلو وجه المرأة من اللحية والشارب والعنفقة متناسقا مع تكوينها وما تتطلبه أنوثتها من رقة ونعومة .

المقصود باللحية :

اللحية بكسر اللام فقط : مفرد

اللحى بكسر اللام أيضا ، وحكى ضمها ، ثم إن اللحى وهو جمع ، يأتي مقصورا وممدودا .

واللحية : الشعر النابت على اللحيين .

وإعفاء اللحية : توفيرها لتكثر ، وهذا يعني تركها من غير حلق ، ولا نتف ، ولا قص للكثير منها .
فالاعفاء : توفير اللحية وتكبيرها ، لأن الاعفاء بمعنى الترك ، وكما يكون الاعفاء من الرباعي : يكون من الثلاثي .
فيقال مثلا : « عفوا » إذا كثروا وكثرت أموالهم ، قال تعالى : **(حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء)** / الأعراف / ٩٥ .
كما يقال : عفا بنو فلان ، إذا كثروا ، ويقال : عفا الشيء ، بمعنى كبر .
- وعلى هذا يكون : « أعفوا » بهمزة قطع مفتوحة ، إن كان رباعيا ، وهو الأكثر ، ويكون مصدره : الاعفاء .
- كما يكون : « اعفوا » بهمزة وصل ، إن كان ثلاثيا ، ويكون مصدره : العفو .
قال ابن دقيق العيد : تفسير الاعفاء بالتكبير ، من إقامة السبب مقام المسبب ، لأن حقيقة الاعفاء : الترك ، وترك التعرض للحية : يستلزم تكثيرها .

الاعفاء وما في معناه :

إذا كان إعفاء اللحية هو : توفير شعرها ، وتكثيره بتركه ، وأن الانسان لايأخذ منه شيئا ، فإن هذا مايدل عليه لفظ : « اعفوا » كما في حديث ابن عمر .

وترك شعر اللحية هكذا ، اختلفت الروايات في التعبير عنه :
- ففي رواية : اعفوا ، كما سبق .
- وفي رواية : أوفوا ، أي اتركوها وافية .

- وفي رواية : وفروا ، أمر من التوفير ، وهو الابقاء ، أي اتركوها وافرة .

- وفي رواية : أرخوا ، أي أطيلوها .
- وفي رواية : أرجوا ، من الارجاء ، وهو الترك والتأخير ، أي أخروها ، وأصل « أرجوا » : أرجئوا بالهمزة ، فحذفت تخفيفا ، كما في قوله تعالى : **(ترجى من تشاء منهن)** الأحزاب / ٥١ .

المغالاة في إعفاء اللحية :

الكلام عن إعفاء اللحية ، وتركها دون أن يتعرض الانسان لها ، بحلق أو نتف ، كثر كلام الناس عنه في هذه الأيام ، حتى وصل إلى درجة المغالاة والمبالغة ، مما جعل بعض الناس : يجاري هؤلاء المغالين والمبالغين ، ويوافقهم على مايقولون ، بينما البعض الآخر يصمت ، ولا ينبس ببنت شفة ، حتى لا يتهم في دينه .
ونحن لانشك أبدا ، في أن إعفاء اللحية وتركها ، وعدم حلقها : كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد

روى النسائي عن البراء قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كث اللحية ، وكان أصحابه رضوان الله عليهم ، يتابعونه عليه الصلاة والسلام في ذلك ، كما كانوا يتابعونه : في مظهره ، وهيئته ، حتى مشيته » .

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أحاديث ترغب في إعفاء اللحية وتوفيرها ، وكان ورودها بصيغة الأمر مثل :

- قوله عليه الصلاة والسلام : « أحفوا الشوارب ، واعفوا اللحى » رواه مسلم .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : « جزوا الشوارب ، وأرخوا اللحى » رواه مسلم .
- وما روى عن ابن عمر أنه قال : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحفاء الشوارب ، وإعفاء اللحى » . رواه مسلم .
- وروى الامام أحمد في مسنده ، عن أبي أمامة ، وقد جاء في حديثه : فقلنا يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ، ويوفرون سبالهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « قصوا سبالكم ، ووفروا عثانينكم ، وخالفوا أهل الكتاب » .

والعثانين جمع : عثنون ، وهي اللحية .

- وعن ابن عمر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خالفوا المشركين ، أحفوا الشوارب ، وأوفوا اللحى » . رواه مسلم .

قال ابن العربي : أما قص الشارب ، وإعفاء اللحية : فمخالفة للأعاجم ، فإنهم يقصون لحاهم ، ويوفرون شواربهم ، أو يوفرونهما معا ، وذلك عكس الجمال والنظافة .

هذا إلى جانب ، أن إعفاء اللحية وتركها ، يضفي على الرجل : الهيبة والوقار ، مما يسبب احترام الناس له ، واستماعهم لقوله ، وإقبالهم عليه دون غيره .

فإعفاء اللحية : مظهر لتمام الرجولة ، وكمال الفحولة ، ومدعاة للمهابة والتعظيم ، والاجلال والاحترام .

مذاهب الفقهاء في إعفاء اللحية :

المتأمل فيما ذكرنا ، يستطيع أن يدرك أن الحديث عن إعفاء اللحية :

- ورد بصيغة الأمر .
- وأن هذا الأمر معلل : بمخالفة المجوس والمشركين ، فقد كان من عادة الفرس : قص اللحية ، فنهى الشارع عن ذلك ، وأمر بإعفائها .

فهل يعني هذا : وجوب إعفاء اللحية ، وبالتالي يكون حلقها حراما ، لايجوز لمسلم أن يفعله ؟

لقد اختلف أهل العلم في ذلك :

- فرأى بعضهم : وجوب إعفاء اللحية وتركها ، وعدم حلقها ، وأن حلقها من المنكرات ، وأنه سفه وضلالة ، وفسق وجهالة .
- ومنهم رأى : عدم وجوب إعفاء اللحية ، وإنما إعفاؤها سنة فقط ، وبالتالي يكره حلقها .

فما دليل كل فريق على ماذهب إليه ؟

دليل القائلين بوجوب إعفاء اللحية :

الذين ذهبوا إلى وجوب إعفاء اللحية وتركها ، استدلوا بما يأتي :

ـ أولا : بالأحاديث التي وردت في الاعفاء ، وهي كثيرة ، وقد وردت بصيغة الأمر ، والأصل في الأمر : أن يدل على الوجوب .

ـ ثانيا : أن الأمر بإعفاء اللحية وتركها ، معلل بمخالفة المجوس والمشركين ، ومن كان على شاكلتهم من الكفار .

وإذا كان إعفاء اللحية واجبا ، فإن حلقها حرام ، لايجوز لمسلم أن يفعله ، حتى لايكون مخالفا لأمره صلى الله عليه وسلم بإعفائها ، وحتى لا يتشبه بالكفار الذين يحلقون لحاهم ، والذين أمرنا بمخالفتهم ، فإنهم كانوا يقصون لحاهم ، ومنهم من كان يحلقها .

ومن ثم قال القرطبي : لايجوز حلق اللحية ، ولا نتفها ، ولا قص الكثير منها .

وفي حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : يحرم على الرجل حلق لحيته . تلك هي أدلة القائلين : بوجوب إعفاء اللحية وتركها .

دليل القائلين بعدم وجوب إعفاء اللحية :

الذين ذهبوا إلى القول : بعدم وجوب إعفاء اللحية ، ورأوا أن إعفاءها سنة ، استدلوا بما يأتي :

ـ **أولا** : بأن إعفاء اللحية من خصال الفطرة ، وأنها ذكرت ضمن أمور تتصل كلها بالنظافة ، وتحسين الهيئة ، وإظهار الوقار ، وفي المحافظة على هذه الأمور : محافظة على المروءة ، وعلى التآلف المطلوب ، لأن الانسان إذا بدا في الهيئة الجميلة : كان أدعى لانبساط النفس إليه ، فيقبل قوله ، ويحمد رأيه ، والعكس بالعكس ، وخصال الفطرة هذه ، قد رواها مسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة : قص الشارب .. وإعفاء اللحية .. والسواك .. والاستنشاق بالماء .. وقص الأظفار .. وغسل البراجم .. ونتف الابط .. وحلق العانة .. وانتقاص الماء .. قال زكريا ، قال مصعب : ونسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة » .

ومن ثم فإن هذه الأشياء إذا فعلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله العباد عليها ، وحثهم عليها ، واستحبها لهم ، ليكونوا على أكمل الصفات ، وأشرفها صورة .

ـ **ثانيا** : إذا كانت أحاديث إعفاء اللحية ، وردت بصيغة الأمر ، فإن الأمر كما يكون للوجوب ، يكون لغيره ، فإنه عليه الصلاة والسلام : من دأبه إرشاد أمته إلى ما يجعلهم في مقدمة أرباب العادات المستحسنة التي توفر لهم : مظاهر الوقار

والاحترام ، وجمال الهيئة ، وحسن المنظر .

وأحاديث إعفاء اللحية وتوفيرها : من هذا القبيل ، بدليل ذكرها مع أمور تشبهها في الغاية والهدف ، ويميل إليها الانسان بفطرته . ومن ثم نستطيع أن نقول : إن الأشياء التي مقصودها مطلوب لتحسين الشكل ، وتجميل المنظر ، وتزيين الهيئة : لا تحتاج إلى ورود أمر إيجاب للشارع فيها ، اكتفاء بدواعي الأنفس ، فمجرد الندب إليها كاف .

ـ **ثالثا** : إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد أمر بإعفاء اللحية ، مخالفة للمجوس والمشركين ، ومن على شاكلتهم من الكفار ، فإن هذا يقتضي أن الحكم يدور مع العلة : وجودا وعدما ، حتى تتحقق المخالفة .

ونحن لو قلنا : بوجوب إعفاء اللحية ، وتحريم حلقها ، حتى لانتشبه بالكفار : لوجب علينا الآن تمشيا مع هذه العلة ، وهي المخالفة وعدم المشابهة للكفار القول : بتحريم إعفاء اللحية ، ووجوب حلقها ، لأن إعفاء اللحى الآن : شأن الرهبان في سائر الأمم والشعوب غير المسلمة .

ـ **رابعا** : أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل مخالفة الكفار في شيئين هما ، إحفاء الشارب ، وإعفاء اللحية ، التعبير عنهما بلفظ الأمر ، في جميع الأحاديث مثل :

ـ أحفوا الشوارب ، وأوفوا اللحى .

ـ جزوا الشوارب ، وأرخوا اللحى .

ـ وروى عن ابن عمر أنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحفاء الشوارب ، وإعفاء اللحى .

فهل إحفاء الشوارب واجب ؟ لأنه جاء التعبير عنه بلفظ الأمر ، حتى نقول : إن إعفاء اللحى واجب كذلك ؟

إن الجواب واضح ، لمن يبتغي الحق ، ويبحث عنه ، ومن ثم قال القاضي عياض : يكره حلق اللحية وقصها .

ـ **خامسا** : حينما تحدث الفقهاء عن الخصال التي تكره في اللحية ، عدوا منها : حلق اللحية ، إلا إذا نبتت للمرأة لحية ، فيستحب حلقها .

فلم يبق إذن أمام هذه الأدلة والقرائن إلا أن يقال : إن إعفاء اللحية سنة .

ومن ثم نرى : أن القول بوجوب إعفاء اللحية ، مبالغة في القول ، وإسراف في الاستدلال ليس له مايبرره .

ولا يمنعنا من القول بالسنية : أن غير المسلمين ، يعفون لحاهم ولا يحلقونها ، إذ من العبث : التخلي عن التمسك بالسنة ، والتحلي بها إذا رأينا غيرنا يقلدنا ويجارينا : في بعض ما سنه لنا ديننا الحنيف . ويكفينا شرفا ، أن نفعل مانفعل ، ونتمسك به : لأن الدين رغبنا فيه ، وحثنا على فعله ، والتمسك به ، وغيرنا يفعله مجاراة وتقليدا .

ومن ثم يكون فعلنا : مصطبغا بالصبغة الدينية ، وفعل غيرنا مصطبغا بالصبغة التقليدية ، وشتان ما بين الأمرين ، وهو من وراء القصد ، والله الموفق والمعين ، والهادي إلى سواء السبيل ...



للدكتور/ غريب جمعة

أصبحت الأمراض النفسية تقف على رأس قائمة الأمراض التي يشكو منها الانسان في المجتمعات المتمدنة بسبب « أزمة الايمان » إن صح هذا التعبير - التي تعاني منها تلك المجتمعات .

فالمجتمعات الشيوعية كافرة بالله ساخرة من المؤمنين به ، ولم تقف عند هذا الحد بل راحت تشن الحرب على المؤمنين في وحشية تخجل منها الوحوش في الغابة ، والمجتمعات الرأسمالية تعبد بنوك المال ستة أيام من كل أسبوع وتقضي ساعة من يوم

واحد في كنائس لتعبد الله على حد زعمها وعلى طريقتها .

وتقــدم العلم وتخلف الايمــان وأصبحت تلك المجتمعات تعيش في ظلال المدنية الحديثة التي أعطتها باليمين ثم أخذت منها بالشمال ، أعطتها من وسائل الراحة البدنية ومن وسائل الترفيه ما يفوق الوصف ، وغني عن البيان مايراه الانسان من معطيات هذه المدنية في الجسم والبيت والمجتمع ، ولكنها أخذت منها الراحة النفسيــة والطمــأنينــة القلبيــة أو الاحساس بالسعادة ، وذلك بسبب إفلاسها المشين في الجانب الروحي أو الايماني ، ولما كانت تلك المجتمعات محجوبة عن ربها ـ والعياذ بالله ، فقد تفشت فيها كما يتفشى الوباء نظريات لرجال حاولوا أن يدرسوا النفس البشرية ، ثم خرجوا عـلى الناس بتلك النظريات التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب .

وكان من بين تلك النظريات نظرية أصحاب مدرسة التحليل النفسي التي يتـزعمها « سيجمـونـد فـرويـد » اليهودي ، لقد هبط أولئك الناس بالانسان هبوطا مشينا حيث قالوا « بقانون الغاب » الذي يحكم دنيا الناس « دنيا النفس الانسانية » وعلى ضوء هذا القانون فإن النفس في حاجة مستمرة الى إشباع غـرائزهـا ولا تتوقف عن محاولة تحقيقها سواء بـالطـرق السـويـة أو العمليـات التحويلية ، وحتى إذا ما تسامت النفس وارتفعت على غرائزها فإنها تفعل ذلك اضطرارا وخضوعا لضغوط البيئة وقوانين المجتمع ولكنها حينما تجد الفرصة مواتية بعيدا عن الأعين وفي غفلة من القانون فإنها تبادر إلى إشباع حاجاتها الأنانية ضاربة عرض الحائط بالقيم والدين والأخلاق .

وعلى ذلك فإن أصحاب الخلق الطيب مــرضى نفسيــون في نظــر « فرويد » وأتباعه ومـا تظاهـرهم بالتقوى واحترام المثل العليا إلا أقنعة يخفون بها نواياهم الذئبية وأغراضهم الشهوانية ، وكـذلك فـإن الصحة النفسية تتحقق عندما لا توجد عوائق تحول دون إشباع غرائز الانسان الحيوانية أو حواجز تمنع من النفاذ الى تحقيق الحـاجات البيـولوجيـة (الحيوية) العاجلة والأصحاء في نظر « فرويد » هم الذين يؤمنـون بشعار : « كل أو أنت مأكول » « إذا لم تتذأب أكلتك الذئاب » وقد تولى اليهـود كبر النفـخ في « فرويـد » والترويج لنظريته الهدامة وإشاعتها في مختلف أنحاء العالم كما جاء ذلك في كتابهم المعروف باسم « بروتوكولات حكماء صهيون » حيث يقول الكتاب : « نحن الذين روجنا لفرويد ونحن الذين روجنا لماركس »

تولى اليهود خلع لباس العبقرية على « فرويد » حتى يحطموا القيم والمثل العليا والأخلاق الكريمة داخل الانسان ، فيسقط صريـع الأهواء والشهوات والقلق والفزع ، وتنقطع صلته بالله ، ويصبح كالدميـة في أيديهم ، يلعبون به متى وأين شاءوا .

ولننظر الى واقع المجتمعات التي آمنت بهذه الشعارات وعملت على

تنفيذها ومنها على سبيل المثال المجتمع الامريكي ومن حقنا أن نتساءل هل انخفضت نسبة الامراض النفسية في ذلك المجتمع ؟ وهو المجتمع الذي ينعم بوسائل مادية ربما لم تتوافر لغيره من المجتمعات . إن الاحصائيات الدقيقة تثبت أن ٨٠ ٪ من المرضى بشتى أنواع الأمراض في جميع المدن الأمريكية ترجع أمراضهم الى حد كبير الى مسببات نفسية ونصف هذه النسبة من الأشخاص ليس لديهم مرض عضوي على الاطلاق ويرجع سبب هذه الأمراض كما يقول الخبراء الى :

١ ـ القلق ، ٢ ـ الخوف ، ٣ ـ التردد ، ٤ ـ الشك ، ٥ ـ الغيرة ، ٦ ـ الملل ، ٧ ـ الشعور بالخطيئة .

ودعنا أيها القارىء من نظريات « فرويد » وما جرته على أصحابها ومن تبعهم في الغرب والشرق وهيا بنا ننظر الى الأمراض النفسية في ضوء الاسلام لنرى كيف عالجها علاجا كافيا وشافيا بعيدا عن فلسفة المتفلسفين وتعقيد المعقدين الذين يصفون الدواء وهم أولى الناس به ؟ إذ لا يزالون هم ومجتمعاتهم يقذفون بمئات الأطنان من المهدئات والمنومات في بطونهم ، ويكرعون ملايين البراميل من الخمور بحثا عن الراحة النفسية والسعادة ، ولكن هيهات .. هيهات .

إن علاج الاسلام للأمراض النفسية يمس الجانب الروحي في الانسان حيث يدعوه الى معرفة ربه وبالتالي معرفة رسالته في هذا الكون ، وهذه قضية من أقدم القضايا التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر البشري ألا وهي : **لماذا نحن هنا ؟ ما الهدف من هذه الحياة ؟**

ولم ينجح في حل هذه القضية الحل الكامل الذي يأخذ بنواحي العقول ومجامع القلوب إلا الاسلام .

وإذا ماعرف الانسان ربه وعرف رسالته في هذه الحياة ، فقد انحلت أمامه أعقد القضايا في نظر البعض وبالتالي فإنه يحسن صلته بالله وبالوجود من حوله باتباع ما أنزل الله والسير على نهج الاسلام الصحيح ، الذي اقتنع به عقله ، وتمتع به قلبه ، فيحسن أداء رسالته في الحياة ، ولا يهيم على وجهه في الأرض ، مبلبل الفكر ، شارد الذهن ، معقد النفس ، خرب القلب ، يتبع كل ناعق ، ثم يودع دنياه مفلسا خاسرا .

وهكذا يبدأ العلاج في الاسلام بتصحيح العقيدة ووصل الانسان بالله فيستشعر برد اليقين وسلامة الطمأنينة وقوة الشخصية ويحس بأنه ليس وحده في هذه الحياة وإنما يؤيد ربه ، ويتغلب على مشكلاته وينظر الى الحياة نظرة المتفائل لأن الاتصال بالله يطرد الوساوس والشكوك والخوف من القلب ويظهر أثر ذلك على الجوارح :

وضاءة في الوجه واستقامة في السلوك وصدقا في الحديث وحسن معاشرة لخلق الله واستعلاء على الشهوات ورفضا لسيطرة مخلوق عليه ،سواء كان شيوعيا أم يهوديا أم صليبيا أم غير ذلك ـ أي أن الانسان يكون على خير حال حينما يكون على حسن

اتصال بالله ومن عجب أن يدرك علماء الغرب « غير المسلمين » هذه الحقيقة ونحن نورد هنا أقوالهم لأن فريقا من الناس إذا جاءهم القول من الغرب قالوا : آمنا به إنه الحق ! ! !

يقول الدكتور « كارل يونج » وهو من أعظم أطباء النفس في كتابه الانسان العصري يبحث عن نفسه :

« إن كل المرضى الذين استشاروني خلال الثلاثين سنة الماضية من كل أنحاء العالم كان مرضهم هو نقص الايمان وتزعزع عقائدهم ، ولم ينالوا الشفاء إلا بعد أن استعادوا إيمانهم »

ويقول الدكتور « ماير » أحد أطباء مستشفى ماير بأمريكا :

« إن القلق يجعل العصارات الهاضمة تتحول الى عصارات سامة تؤدي في كثير من الأحيان الى قرحة المعدة ! ! ! »

ويقول « ديل كارنيجي » :

« إن أطباء النفس يدركون أن الايمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا الأمراض »

وتأمل الامام ابن القيم رحمه الله وهو يصور هذه الحقيقة في كلمات من ذهب حيث يقول :

« في القلب شعث لا يلمه إلا الاقبال على الله

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله

وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار اليه

وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك الى وقت لقائه وفيه فاقة لايسدها إلا محبته والانابة إليه ودوام ذكره وصدق الاخلاص له ولو أعطى الدنيا وما فيها لم يسد تلك الفاقة أبدا »

وليت المرض بالقلق من المسلمين يدركون هذه الحقيقة حتى لا تطول مدة علاجهم شفاهم الله وعافاهم وبعد ذلك نجد أنفسنا أمام سؤال هو :

ماهي أسباب القلق والتوتر العصبي لدى الانسان ؟

إن أسباب القلق تكاد تنحصر في **خمسة** امور وهي أمور وجدت مع وجود الانسان على ظهر الأرض وهي ملازمة له الى يوم أن ينفض سرادق الحياة ويقف الناس بين يدي خالقهم ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، يوم يقول السابقون بالخيرات : **(الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب)** فاطر / ٣٤ و ٣٥

هذه الأمور هي :

١ ـ الخوف من الفقر
٢ ـ الخوف من الناس
٣ ـ الخوف من الموت
٤ ـ الهم
٥ ـ اليأس من رحمة الله (عقدة الذنب)

ويأتي الاسلام ويعالج هذه الأمور

كأشفى وأوفى ما يكون العلاج :
ـ أما الخوف من الفقر فإنه يؤكد للانسان أن رزقه على الله وقد ضمنه له وأكده ذلك بالقسم عليه وما هو بحاجة الى قسم جل شأنه ولكنه أراد أن ينتزع الهلع والطمع المركوزين في البشر يقول تعالى :

(وفي السمـاء رزقكـم ومـا توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ماأنكم تنطقون .) الذاريات / ٢٢ و ٢٣

ومن طريف مايروى أن أحد الأعراب حينما سمع هذه الآية قال :ياسبحان الله من الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟ ألم يصدقوه في قوله حتى ألجأوه الى اليمين ؟ وعلى ذلك فلا يصح لمسلم حسن الاسلام أن يريق ماء وجهه أمام مخلوق ظنا منه أنه يستطيع أن يمنح أو يمنع ، وإنما يمد يديه الى الله وحده وهوأكرم من أن يرد يديه صفرا .

وحينما يؤكد الاسلام هذه الحقيقة فإنه لا يطلب من أبنائه أن يتحولوا الى فريق من المتثاقلين الى الأرض أو الثقلاء على الناس ، ولكنه يطلب منهم أن يهبوا خفافا في طلب الرزق بعد الفراغ من شأن العبادة قال تعالى :

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغـوا من فضل اللـه واذكـروا اللـه كثيـرا لـعلكـم تفلحون .) الجمعة / ١٠

ومع هذا السعي الحثيث لابد من اللجوء الى الله ودعائه أن يعيذهم من الفقر كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت . رواه أبو داود والحاكم

ـ وأما الخوف من الناس فهو ثمرة ضعف الايمان بالله وجهل بقدره جل وعلاوأن الكلمة الأخيرة في كل شأن من شئون الحياة هي له وحده وهو غالب على أمره . ويؤدي الخوف من الناس الي الجبن والى التخاذل في نصرة الحق بالقول أو العمـل وياليت الجبـان المتخاذل يعلم أن المخلوق أعجز من أن يملك من أمر نفسه شيئا بل أمر الآخرين ورحم الله الشاعر حين قال :

اذا لم يكن من المـوت بـد
فمن العار أن تموت جبانا

واقرأ توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يرسم ملامح شخصية المؤمن الواثق بربه المتوكل عليه .

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :

»كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي : ياغلام إني أعلمك كلمات :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف «رواه الترمذي

وقد رأى أحد العارفين رجلا يبكي بين يدي رجل آخر وهو يشكو إليه ماأصابه فقال :

ياهذا أتشكو من يرحمك الى من لايرحمك ؟

وكان من دعاء الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

« اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك ، فصنه عن المسألة لغيرك ، فإنه لايقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك »

★ ـ وأما الخوف من الموت فكثيرا ما ينتهي بصاحبه الى الموت ، لذلك قال أسلافنا :

« احرص على الموت توهب لك الحياة » وقد دفعهم حرصهم على الموت الى خوض غمارحروب كثيرة لرفع لواء الاسلام ونشر كلمته في شجاعة لا نظير لها فكتب الله لهم الحياة وأحيابهم الأمم .

وقد كان الامام علي رضي الله عنه يلقي بنفسه في صفوف الاعداء لايبالي أ وقع على الموت أم وقع الموت عليه ! فلما سئل في ذلك قال : من أي يومى أفر ؟ أمن اليوم الذي كتب الله لي فيه النجاة ففيم الخوف ؟ أم من اليوم الذي كتب االله علي فيه الهلاك فكيف أفر من قضاء الله ؟ وكم رأينا أناسا يموتون من الوَهم أكثر من مرة في اليوم ، ولو علموا أن نفسا لن تموت إلا بإذن الله :

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا . آل عمران / ١٤٥

لو علموا ذلك لسلموا أمرهم الى االله ولأراحوا أنفسهم من إماتتها موتا بطيئا وأولى بهم أن يسألوا أنفسهم :

ماذا أعددنا لما بعد الموت ؟

وتلك هي قضية القضايا وهم عنها غافلون .

★ ـ أما الهم . فربما لم يخل منه إنسان ولكن أثره على الناس يتفاوت بتفاوت درجات إيمانهم ، وعلى الانسان الذي يشكوهما أن يبحث عن سببه بحثا هادئا ، ويحاول إزالته فيما بينه وبين نفسه ، وهو أعرف بها من غيره ، ولا داعي للهروب من الواقع .

وجرب هذه التجربة الطريفة :

هات ورقة وقلما ثم سجل خواطرك ومن بينها همومك وأسباب هذه الهموم ، ثم رتب هذه الأسبابا حسب شدتها ثم ضع مجموعة من الحلول وأبدأ في تنفيذها وسوف تجد أن الأمر أهون مما كنت تتصور .

ومن العجب أن كثيرا من الأمور يبدأ صغيرا ثم يكبر إلا الهم فإنه يبدأ كبيرا ثم يصغر شيئا فشيئا حتى يتلاشى نهائيا ، وذلك من رحمة الله بعباده ، وتذكر حالة من حالاتك كنت تتميز فيها غيظا وقد أطارت النوم من أجفانك وما هي إلا عشية أو ضحاها وإذا الغيظ قد أصبح انشراحا والضيق قد أصبح فرجا . والعسر قد أصبح يسرا .....

ولله در القائل :

وكم لله من لطف خفى
يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم أمر تسوء به صباحا
فتأتيك المسرة بالعشى

أما إذا عجز الانسان عن حل مشكلته بنفسه فعليه أن يشرك معه من يطمئن اليهم ، ومن يحبون الخيرله ، ويعلمنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسلك الفريد حيث يروي الامام البخاري رضي الله عنه أن : « ضمضم بن قتادة أتى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال : يارسول الله ولد لي غلام أسود وكان ضمضم أبيض اللون ، وكأنه يستنكر أن يولد للأبيض أسود ، وهذا تعريض ينفي نسبه له وإلحاق التهمة بأمه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هل لك من إبل ؟ » قال :نعم قال صلى الله عليه وسلم : ماألوانها ؟ قال : حمر . قال : « فهل فيها من جمل أورق ؟ (أي لونه بياض الى سواد) قال : نعم .

قال : « فأني ذلك ؟ » أي من أين أتاه هذا اللون الذي ليس في أبويه ، فقال الرجل : لعله نزعه عرق . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لعل ابنك هذا نزعه عرق » . وهكذا اطمأن الرجل وزال الشك من نفسه ولو بقي يجتر شكه بينه وبين نفسه لطحنه طحنا وربما كان سببا في تدمير حياته الزوجية .

ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل أبا أمامة في المجلس في غير وقت صلاة فقال له : « مالي أراك يا أبا أمامة في المسجد في غير أوقات الصلاة ؟ » فقال يارسول الله : هموم لزمتني وديون . فقال عليه الصلاة والسلام : أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك ،؟ « فقال بلى يارسول الله قال : « قل اذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » قال ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني . أخرجه أبو داود

★ - أما اليأس من رحمة الله والوقوع تحت وطأة الذنب وتأنيب الضمير فإن من فضل االله على عباده أنه وسع كل شيء رحمة وعلما وأنه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وأنه يفرح بتوبة التائبين وماذا يريد المسرفون في المعاصي بعد هذه الآية الحانية الرحيمة التي يخاطبهم الله فيها بقوله : **ياعبادي** « مع عصيانهم » يقول تعالى :

(قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم .) الزمر / ٥٣ .

ومن هنا فإن الاسلام لا يعرف العقد النفسية بسبب الوقوع في معصية كما أنه لا يعرف احتراف الدجل باسم الجلوس على كرسي الاعتراف أو بيع صكوك الغفران . **وما على المذنب إلا أن يتوب الى الله توبة نصوحا مع الثقة الكاملة في عفو الله ومغفرته وهو سبحانه غفور رحيم** .

وهكذا نرى في هذه العجالة أن الاسلام يعالج أمراض النفس بطريقة تحفظ عليها اتزانها وصحتها وتجعلها تنطلق في الحياة متجاوزة كل العقبات وكأن لسان حالها يقول :

(إن معي ربي سيهدين) الشعراء / ٦٢



للاستاذ / محمود ابراهيم طيرة

(ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) آل عمران / ١٩٣ .

حينما أمسكت بالقلم . وبدأت الكتابة فعلا في موضوع آخر غير هذا الموضوع ، على حين طالعتني بالصدفة عدة صور قبيحة من جشع الناس . وتهافتهم على المادة تهافت الفراش على المصباح : يلف حوله ويدور ، وتكون خاتمة المطاف أنه يسقط فيه ، ويحترق بناره ، وبالاضافة إلى الأخلاق ، وخراب الذمم ، واختفاء الكثير من المثل والقيم ، حتى صارت الحياة مليئة بالنفاق الشائع ، والظلم الواقع ، والنفوس المتخاصمة ، والأنانية المتحكمة والرذيلة الغاشمة ، والهموم القاعدة القائمة !!

من أجل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان تمثلت أمامي هذه الصور المحزنة ، فرأيتني على الفور أعدل عن الكتابة في الموضوع الأول وأباشر الكتابة في موضوع « الانسان المثالي في نظر الاسلام » لعل فيه عبرة بالغة وموعظة

نافعة ، عملا بقول الحق جل جلاله : **(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)** الذاريات/ ٥٥ . لقد شاءت إرادة المولى سبحانه أن يخلق الانسان من عنصرين مختلفين كل الاختلاف : روح نورانية ، علوية ، سماوية ، في إطار من جسم مادي أرضي مظلم .. ولقد تفضل الله جل وعلا على الانسان ، فمنحه العقل الرشيد ، نبراسا يهتدي به في ظلمات الحياة ، ويميز النافع من الضار ، والطيب من الخبيث والحق من الباطل ، ويواكبه في مساره على النهج القويم إلى حيث يكون النجاح والفلاح إذا توفرت في نفس المرء دوافع الخير ، وخلصت رغبته في الصلاح والاصلاح ، كما جعل فيه النفس البشرية والغريزة الحيوانية ، نزاعة للشر ، أمارة بالسوء ، تحاول دائما أن تقوده إلى الأخطاء والفحشاء ، والفساد والافساد ، بل إلى حيث الهلاك وسوء المصير وعلى هذا يستطيع المرء أن يكون ملاكا رحيما ، وأن يكون شيطانا رجيما .. أجل يستطيع أن يكون من وفد الآخرة في لباس أهل الدنيا ، وأن يكون من شر أهل الأرض في لباس أهل الآخرة !! يسمو الانسان بروحه وعقله إلى منازل الأبرار والقديسين وينحط بجسمه وغريزته إلى دركات الأبالسة والشياطين .. ومن ثم كانت المعركة في ساحته أبدا ودائما عنيفة ، بين روحه وعقله من جهة ، غريزته ونزوته من جهة أخرى ، وهو الذي يرجح كفة إحداهما على الأخرى ، وعلى هذا يكون ثوابه أو عقابه ، وخيره أو شره ، وحسنه أو قبحه .. هذا هو الانسان ـ كما خلقه ربه وسواه ، وبالعقل فضله وكرمه ، وبالغريزة الحيوانية اختبره وابتلاه ..

فلعمر الحق إن الانسان لمخلوق عجيب حقا : اجتمع فيه النور والظلام ، والخير والشر ، والتقت فيه السماء والأرض ، والملائكة بالشياطين ، وهذا هو موضع الاعجاز في خلق الانسان .

هذا وإن حياة كل امرىء في هذه الدنيا ترتبط بثلاثة أمور : علاقة المرء بنفسه ، وعلاقته بربه ، وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه ، وعلى مبلغ تنظيم هذه العلاقات ، تكون سعادة المرء أو شقاؤه ، وسلامته أو بلاؤه ، واستقامته أو اعوجاجه وعلى قدر ما يكون هذا التنظيم سليما دقيقا ، تكون قيمة المرء وقدره ، وحظ الانسانية من وجوده ، ومن أجل هذا نزلت الشرائع السماوية ، وسنت القوانين الوضعية ، وقامت المذاهب الاصلاحية ، وكرس الفلاسفة والمصلحون والمرشدون حياتهم ، يتنادون بالاصلاح ، ويدعون إلى التسمك بالمبدأ القويم ، وسلوك الطريق المستقيم ، والتذرع بالعمل النافع العظيم ، مقرونا بالاخلاص من القلب السليم . وتختلف هذه العلاقات باختلاف الناس ، فالانسان العادي يعيش في مد وجزر بين روحه وعقله من جهة ، غريزته ونزوته من جهة أخرى ، فحينا تبهره مظاهر الخير ، ويروقه اصطناع المعروف ، فيقبل عليها في غبطة ونشوة وشغف ،

منتصرا لروحه ، حتى تكون لها الغلبة في المعركة ، وحينا آخر يستهويه الشيطان ويغويه ويغريه ، فيزين له المناكر والشهوات بجمال زائف ، وبريق خادع ، فينكب عليها ، مترديا في حمأتها ، فما أن يثوب لرشده ، حتى يرى نفسه في هوة سحيقة ، وقد انقضت لذته ، فان لذة النزوات والشهوات تمضي سريعا وتزول ، وتبعتها تبقى وتطول ، كما تنطق بذلك الحكمة الصادقة فتقول : إياكم والشهوة التي تعقبها تبعة ، تمضي لذتها وتبقى تبعتها » ويحس على الفور بتبعة الجرم تلدغه كأنها عقرب ، وبوخز الضمير يقض مضجعه ، وينغص عليه حياته ـ وهذا ما يسمونه بعقدة الذنب ـ فيندب حظه العاثر ، ونجمه الآفل ، ولا يملك إلا الحسرة والندامة ـ ولات ساعة مندم ـ على أنه بمرور الزمن قد ينسى هذا الدرس القاسي ويعاود الكرة من جديد ، فينتصر لغريزته الحيوانية ثانيا ، كما انتصر لها أولا . ويقضي حياته على هذا المنوال لا يعتبر ولا يتعظ ولا يتذكر ، وتلك حالة لا يرضى بها عزيز ، ولا يقيم عليها إلا كل ممقوت مرذول يبوء بالخيبة المرة واليأس العقيم . ولو أنه استفاد من الدرس ، واكتشف أسباب الخطأ وتحاشاه لتغير وضعه وانصلح حاله ، فان الخطأ ليس عيبا في ذاته ، لأنه طبيعة في سائر البشر ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، ولكن العيب الحقيقي هو في التمادي في الخطأ ، وعدم الافادة من درسه ، ولرب فشل هو النجاح بعينه إذا عرف الفاشل أسباب فشله وتجنبه ، فيكون النجاح حليفه طوال حياته . ورب نجاح هو الفشل بعينه ، إذا داخل صاحبه الغرور ، ولعبت نشوة النجاح برأسه ، فلم يتخذ نجاحه ذريعة إلى المحافظة والاستزادة ، بل وسيلة إلى الكسل والخمول ، فتنطفىء جذوة نشاطه ، وتضعف رغبته في العمل شيئا فشيئا ، حتى يكرهه أخيرا ، وينتهي أمره بالفشل الذريع ، وقاتل الله الغرور ، فانه مجلبة المضرة والشرور !!.. وليس بمستبعد على العاصي أن يستيقظ ضميره يوما بعد أن يحفه الله بلطفه ، فيحاسب نفسه ، ويستغفر ربه من ذنبه ، وينيب إليه في توبة نصوح ، يقلع فيها عن الذنب ويقرر في عزم صادق وإصرار وتصميم ، ألا يعود إلى مثله أبدا ، فيتقبل الله توبته ، ويغفر له . ويدخله في رحمته ، ويفيض عليه من فضله ، كما وعد سبحانه بذلك في الآيتين الكريمتين : (**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) آل عمران/ ١٣٥و ١٣٦ ، أما الانسان المثالي ، فانه فوق هذا المستوى بكثير : حيث يتبوأ مكانته السامية في أعلى الدرجات ، بكماله النفسي وجماله الروحي ، ولا يسمح لنفسه أبدا أن تنزل به إلى مواطن الشر والفساد ،

حيث يطل من عليائه على دنيا الناس ، فيراهم خليطا من البشر ، يموج بعضه في بعض ، وقد اختلط حابله بنابله ، وهم يتهالكون على المادة ـ كما أسلفنا ـ وماتت روحانياتهم أو كادت ، وانحطت أخلاقهم ـ وأخشى أن أقول إن موازينها قد اختلت بينهم ـ حتى صارت الحياة هما وعذابا ، والدنيا سعيرا يفور بأهله ! يرى كل هذا فيعز عليه هوان البشرية وشقاؤها ، وعذابها وبلاؤها ، ولكنه لا يملك إلا قيثارته ، يمسك بها ويعزف ألحان المثالية الأخاذة بمجامع القلوب ، المحركة لأنبل العواطف ، وأرق الشعور ، لعلهم يسمعون فيطربون ، ويتعشقون المثالية في أروع صورها ، فيحاولون اللحاق بركب المثاليين ، فهل ياترى هم فاعلون ؟ شيء بظهر الغيب ، والعلم عند الله .

إن علاقة المسلم المثالي بنفسه تقوم على أساس متين من الأخلاق الفاضلة ، والآداب العالية ، التي هي للنفوس إصلاح وتهذيب ، وللحياة الفاضلة قوام وترتيب ، ولهذا لم يثن المولى سبحانه وتعالى على الرسول عليه الصلاة والسلام بأحسن مما أثنى عليه به في شهادته له بقوله : (**وإنك لعلى خلق عظيم**) القلم/ ٤ ، وليس أثر الأخلاق في الاصلاح والتهذيب قاصرا على الأفراد والجماعات ، بل هو أيضا ضروري لحياة الأمم ونهضات الشعوب .

فانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أجل ـ إن صلاح حال المرء ، وإستقامة أموره ونيل مراده ، ونجاحه في صناعته ، أو تجارته ، أو زراعته ، أو وظيفته ، إنما يكون بجد وعمل ، وأخلاق وقيم ، ورحم الله شوقي إذ يقول في نهج البردة :ـ

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها في خير عافية
والنفس من شرها في مرتع وخم !

والمثالي يصون نفسه عما يشين ، يحملها على ما يزين ، وهو في الرخاء والسراء شاكر ، وفي الضراء واللأواء صابر ، لا يشكو ولا يتبرم ، بل يتحمل ويتجمل ، وكأنما كان الشاعر يتغنى بصفات الانسان المثالي حينما قال :

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما ، والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجملا
نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول

ويقول سيد الوجود مولانا الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه مسلم واحمد عن ابي يحيى صهيب ابن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ! إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا

له » والمثالي يخدم نفسه ، ولا يخدم جسمه ، ولا يحقق لغرائزه ما تصبو إليه من الشهوات والنزوات ، إنما يخدم نفسه فيقبل عليها ويستكمل فضائلها ، يزينها بالعلم يصونه بالعمل ، ويكملها بالأخلاق ، ويتوجها بالاخلاص ، وما أصدق ما يقوله الشاعر ابو الفتح البستي :ـ

ياخادم الجسم ـ كم تسعى لخدمته
اتطلب الربح مما فيه خسران ؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

ويحدثنا العارفون أن رجلا من الحكماء ، دخل على أحد الخلفاء ، فقال له الخليفة . عظني عظة تقى عني الخيلاء ، وتعرفني قدر نفسي ، فقال له الحكيم ، تفكر في خلقك ، واذكر مبدأك ومصيرك ، فاذا فعلت ذلك ، صغرت عندك نفسك ، وعظم بصغرها عقلك ، فان النفس أزينهما لك صغرا ، والعقل أنفعهما لك كبرا ، فقال الخليفة للحكيم . إن كان ثمة شيء يدل على الحكمة ، فصفتك هذه . فقال الحكيم : صفتي دليل ، وفهمك محجة « طريق » والعلم حلية ، والعمل مطية ، والاخلاص زمامها فخذ لنفسك ما يزينها من العلم ، وللعلم ما يصونه من العمل ، وللعمل ما يحققه من الاخلاص !

كما أن المثالي رقيق القلب ، دقيق الحس ، نبيل العاطفة ، لا يطيق أن يرى مشاهد الظلم أو الضيم ، أو إذلال النفوس : يساعد الضعيف ، ويبسط كف الندى للفقير ، ويحمل الكل ، ويحنو على البائسين ، ويكفكف دموع المكروبين والمحزونين .

يحدثنا التاريخ أن بلالا الحبشي من أصحاب مولانا الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان عبدا مملوكا لرجل فظ غليظ القلب من مشركي مكة يدعى أمية بن خلف ، وكان هذا المشرك يسومه سوء العذاب أملا في أن يترك الاسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، ويضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتوضع على صدره ، ثم يقول له مهددا ـ لا تزال هكذا حتى تترك دين محمد فلا يزيد بلال على أن يقول أحد أحد « يعني الله أحد ، الله أحد » ، ويمر سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه على هذا المسكين مرارا ، ويشاهد ما ينزل به من ظلم فادح ، فيحس بالألم يعتصر قلبه ، وما هي إلا أن يتقدم من مالكه هذا الجاهلي الغاشم فيشتريه منه ثم يعتقه ويفك رقبته لوجه الله الكريم ، فينعم بالحرية كما ينعم بها سائر المخلوقين !، ويروي أرباب السير أن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتفقد أحوال الرعية ليلا ، فرأى بصيصا من نور ينبعث من بيت تبدو عليه أمارة الفاقة ، فطرق الباب واستأذن في الدخول ، فوجد أطفالا يبكون ، وأمامهم الأم توقد نارا تحت قدر ، فسألها ، ما بال أطفالك يبكون ؟ فقالت : من شدة الجوع ، فقال : وما الذي في القدر ؟ فقالت : فيه ماء

أعللهم به ليناموا ، فقال : وأين عمر أمير المؤمنين ؟ فقالت : قد شغلته الدنيا عنا ؟ فبكى سيدنا عمر ، وانطلق من فوره إلى داره ، وما لبث أن عاد وهو يحمل على رأسه وعاء فيه دقيق وسمن وتمر ، وجلس يهيىء الطعام للأطفال بنفسه ، وينفخ في النار والدخان يتخلل لحيته ، حتى نضج الطعام ، فجلس الأطفال إليه يأكلون ، ثم صاروا يلعبون ويتضاحكون ، وعمر واقف في المكان لا يبرحه ، فقيل له لماذا تنتظر ؟ فقال : رأيتهم يبكون ويصيحون وهم جياع ، فأحببت ألا أنصرف حتى أراهم يضحكون ويلعبون بعد أن أكلوا وشبعوا !!

والمرء المثالي يعفو اذا قدر ، لأنه يؤمن بالحكمة التي تقول « إذا قدرت على عدوك ، فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه .. وتعجبه ولا شك القصة الانسانية الطريفة لأمير من الأمراء . كان عنده ضيف ، فجاء الخادم بالشراب ، وفيما هو يهم بتقديمه للضيف ، عثرت رجله بالبساط ، فانقلب كوب الشراب ووقع على البساط ، فاستشاط الأمير غضبا ، ورأى الخادم شرر الغضب يتطاير من عينيه ، فبادره على الفور قائلا له ـ اذكرك بقول الله عز وجل « والكاظمين الغيظ » فقال الأمير كظمت غيظي ، فقال العبد وبقوله تعالى « والعافين عن الناس » فقال الأمير : عفوت عنك : فقال العبد ، وبقوله جل شأنه « والله يحب المحسنين » فقال الأمير : اذهب فأنت حر لوجه الله !! هذا هو مجمل القول في علاقة الانسان المثالي بنفسه . اما علاقته بربه تبارك وتعالى ، فتتمثل في السمع والطاعة : يسمع اوامر الله ونواهيه ، فيطيعه فيهما كليهما بنية خالصة ، وعزم صادق بحيث لا يراه الله إلا حيث أمره ، ولا يفقده إلا حيث نهاه ، وهو دائم التفكير في صنع الله الذي أتقن كل شيء : في تقلب الليل والنهار ، في آيات الله البينات في ملكوت الأرض والسموات ، وعجائب المخلوقات ، مرددا قول الله سبحانه : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) آل عمران/ ١٩٠ و ١٩١ . ومن ثم يذكر ربه في ليله ونهاره ، في سره وجهاره ، في قعوده وقيامه ، في سفره ومقامه ، لسانه بذكر الله رطب ، وفي الدعوة الى الخير مجد ، ويده عاملة في كسب المعيشة ، ونفع الخليقة ، فتشرق روحه ، وينشرح صدره ، وتصفو نفسه ، ويعمر قلبه ، ويرتاح ضميره ، ويقينه لا يتزلزل ، بانه ليس غير ذكر الله يوقظ الوجدان ، ويزيد الايمان ، ويبعث في النفوس الاطمئنان ، وينسى المرء آلام نفسه ، ويمسح عن فؤاده آثار الهموم والاحزان ، ولعل الشاعر اصاب هذا المعنى العظيم الذي يجول في نفس المرء المثالي ويعتمل في صدره ، حينما قال :ـ

يشفي الصدور ، ويوقظ الوجدانا
ذكر الآله ، يزيدنا إيمانا
ويفرج الهم الثقيل عن الفتى
ويرد خوف الذاكر اطمئنانا
نارت بصيرته ، وتشرق روحه
ويعزه بين الورى مولانا
يمضي على نهج الشريعة مذعنا
لله جل جلاله ، إذعانا
والله نور ، يجتليه الذاكرو
ن اولو البصائر ، يملأ الأكوانا

والانسان المثالي يستحي من الله ، ولكن حياءه منه سبحانه ليس حياء شكليا ولا عاديا ، بل هو حياء مثالي حقيقي كما وصفه سيد الوجود مولانا محمد (ﷺ) في حديثه الذي رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو حق الحياء ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « استحيوا من الله حق الحياء ، من استحيا من الله حق الحياء ، فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن اراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » وهو يتعامل دائما مع الله عز وجل ، يحاول مرضاته وحسن القبول ، سواء بعد ذلك عنده رضي الناس ام غضبوا ، متمثلا بقول الشاعر :ـ

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى ، والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود ياغاية المنى
فكل الذي فوق التراب تراب

أما علاقته بالناس في المجتمع الذي يعيش فيه ، فتحكمها ثلاثة أمور هي : الاخوة ، والمحبة ، والتعاون ، فانه يشعر شعورا نابعا من أعماقه ، بأنه أخ لكل مسلم على ظهر هذه الارض ، وأنهم جميعا اخوانه ، كما يقول الله عز وجل : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**) الحجرات/ ١٠ ، فلهم عليه حقوق الأخوة : لا يعتدى على أحد منهم ، في جسمه أو عرضه ، أو ماله ، ولا يستهزىء بأحد ، ولا يسخر من أحد ، فلربما كان المستهزأ به خيرا منه ، ولا يعيب أحدا ، ولا يلقبه بلقب بكرهه ، فما أصدق الحكمة التي تقول ، ثلاثة تبقى لك الود في صدر أخيك ، أن تبدأه بالسلام ، وان توسع له في المجلس ، وأن تناديه بأحب الأسماء إليه ، كما انه لا يسيء الظن بغيره من غير دليل ، ولا يتجسس على الناس ، ولا يتتبع عوراتهم ، فان من تتبع عورة أخيه ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته ، ولا يغتاب الناس ، ولا يسعى بالنميمة بينهم ، وإذا كان كثير من الناس يرى القشة في أعين غيره ، ولا يرى المدراة في عينه ، فان الانسان المثالي ليس كذلك ، فهو لا يبحث عن عيوب الناس وينسى عيبه ، بل هو يحاول دائما أن يكتشف عيوبه فيعالجها ، فذلك أجدى به وأنفع فان مولانا الرسول ينعي على الذين يشغلون انفسهم برؤية عيوب الناس ، عن النظر في عيوب أنفسهم ، يقول الرسول فيما يرويه أبو نعيم عن أبي

هريرة رضي الله عنه : « يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ، وينسى الجذع في عينه »! إن المسلم المثالي يترفع عن كل ما سبق ، استجابة لقول الحق تبارك وتعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم**) اي لا تعيبوا اخوانكم ، فان ما يعيب الاخ يعيب اخاه فكأنكم تعيبون أنفسكم (**ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**) الحجرات/ ١١ و ١٢ .

ويعجبني في هذا المقام قول القائل : -

إذا شئت ان تحيا سليما من الأذى
وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكلك عورات وللناس السن
وعينك إن أبدت إليك مساوئا
فصنها ، وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
والا ، ففارق بالتي هي احسن

والانسان المثالي محب للناس كل الناس ، يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها ، لا يعرف العداوة ولا البغضاء ، قلبه نقي كالشاشة البيضاء ، طاهر لم يلوثه حقد ولا حسد ، ولا غل ولا ضغينة ، يحب جيرانه ، ويؤدي حقوقهم عليه ، ولا يحسن اليهم فحسب بل ويتحمل اذاهم ، وذلك منه تنفيذا لأمر مولانا الرسول ﷺ في حديثه الشريف الذي رواه الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اتق المحارم ، تكن اعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس ، وأحسن الى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر من الضحك ، فان كثرة الضحك تميت القلب** ،» وهو اذا قال صدق ، واذا وعد وفى ، واذا عاهد اوفى ، واذا استنصح نصح ، واذا استشير اشار بما يرى انه الرأي الصواب ، ويحفظ اسرار الناس ، ويحافظ على اماناتهم ، ويحل مشاكلهم ، ويفض بالحسنى منازعاتهم ، ويصلح ذات بينهم ، ويقضي حوائجهم ، ويعود مرضاهم ، ويشيع موتاهم ، ويتعاون معهم في مجالات الخير والبر ، والاصلاح والنفع ، ويشاركهم في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، وعلى العموم يعتبر الانسان المثالي في محيطه ظلا ظليلا ، يتفيؤه الناس في هجير الحياة ، بل انه في مجتمعه اشبه ما يكون بملك له عرش وتاج ، فأما عرشه فقلب كل أخ ومريد ، واما تاجه فهو حبهم الأكيد ، وهو مع هذا كله من عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، مسالم لا يجازي المسيء ، متواضع لا يعجب بنفسه ولا

يتكبر ، ولا يطغى ، ولا يتجبر ، لانه يؤمن بان العظمة والكبرياء لله وحده ، ويعي جيدا قوله جل جلاله : **(ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور)** لقمان /١٨ ومن كان هكذا فانه يحيا في بلهنية من العيش ، قرير العين ، مطمئن النفس ، آمنا راضيا ، ينام ملء جفونه ، ليس له ولا عليه ، واني لأتخيل الانسان المثالي مقبلا في هالة من نور ، بكماله النفسي وجماله الروحي ، تحفه الهيبة ، ويجلله الوقار ، فأراني مأخوذا بهيبته ، ووقاره ، مبهورا بكماله وجلاله ، واقفا بين يديه وقفة ادب واحترام ، وقفة تمعن واستلهام ، استجلي فيه هذه الروعة وذياك الجلال ، واستميحه العذر ان اسأله عن اصله ونسبه ، عن ابيه وامه من يكونان ؟ وعن مسلكه في الحياة ، ماذا ، كان وماذا يكون ؟ وعن احب شيء الى نفسه في هذا الوجود ، فيجيبني من فوره ويقول : -

أبي الاسلام ، لا اب لي سواه
اذا افتخروا بقيس او تميم
وأمي السمحة الغراء تهدي
الى الايمان ، والخلق القويم
أخاف الله في سر ، وجهر
كما ارضيه بالعمل السليم
وفي حب الرسول حياة نفسي
والا صرت اشبه بالهشيم !

إن المثاليين هم أحباب الله ، والصفوة الممتازة على ظهر هذه الأرض ، ومصابيح الهدى والرشاد في دياجير الجهالة والضلالة ، بل هم اشباه الملائكة : لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يشغلهم عن الله شاغل ، ولا يلهيهم عن عبادته لاه من مال او ولد ، او متاع : اما الليل فصافون اقدامهم في الصلاة ، تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونه ترتيلا ، واما النهار ، فحكماء علماء ، ابرار اتقياء ، لا يرضون من اعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، قلوبهم من الله وجلة ، ونفوسهم من خشيته مشفقة ، صبروا اياما قصيرة ، اعقبتهم راحة طويلة . ارادتهم الدنيا فلم يريدوها وتعرضت لهم فأفلتوا من حبائلها . واجتنبوا الذهاب في مداحضها ، يقول رب العزة جل جلاله فيهم : **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب)** النور/٣٧ و ٣٨

ايها الاخوة الأعزة - هذا بيان لمنهج المثالية في الاسلام ، ادعو نفسي وأدعوكم ، وأدعو كل اخواني المسلمين ، الى الالتزام به والسير عليه ، كي نحظى جميعا بسعادة الدنيا ، ونعيم الآخرة .

ان امل كل مسلم في هذه الدنيا ، هو رضوان الله ومثوبته ، وهما قمة المجد وذروته ، وايم الله - ليس بيننا وبين هذا المجد الا خطوة او خطوتان ، فهل لنا ان نخطوهما فنحقق الآمال في المجد المنشود ؟ لعل وعسى .



للاستاذ/ سيد خليل الابوتيجي

يـا إخوة الـدين في سهـل وفي قمم
نفسي تـذوب أسى مـن شـدة الألم
فهذه « القدس » في البـأساء داميـة
تسـح دمعـا وتـدعـو يـا لمعتصم
وذي « فلسطين » تشكو البؤس باكية
لمـا تـراه مـن الأغـلال والشكـم
وهـذه ساحـة الأحـداث تـدهمنـا
بـواقـع مـؤلـم يـأبـاه ذو شمـم

★ ★ ★ ★

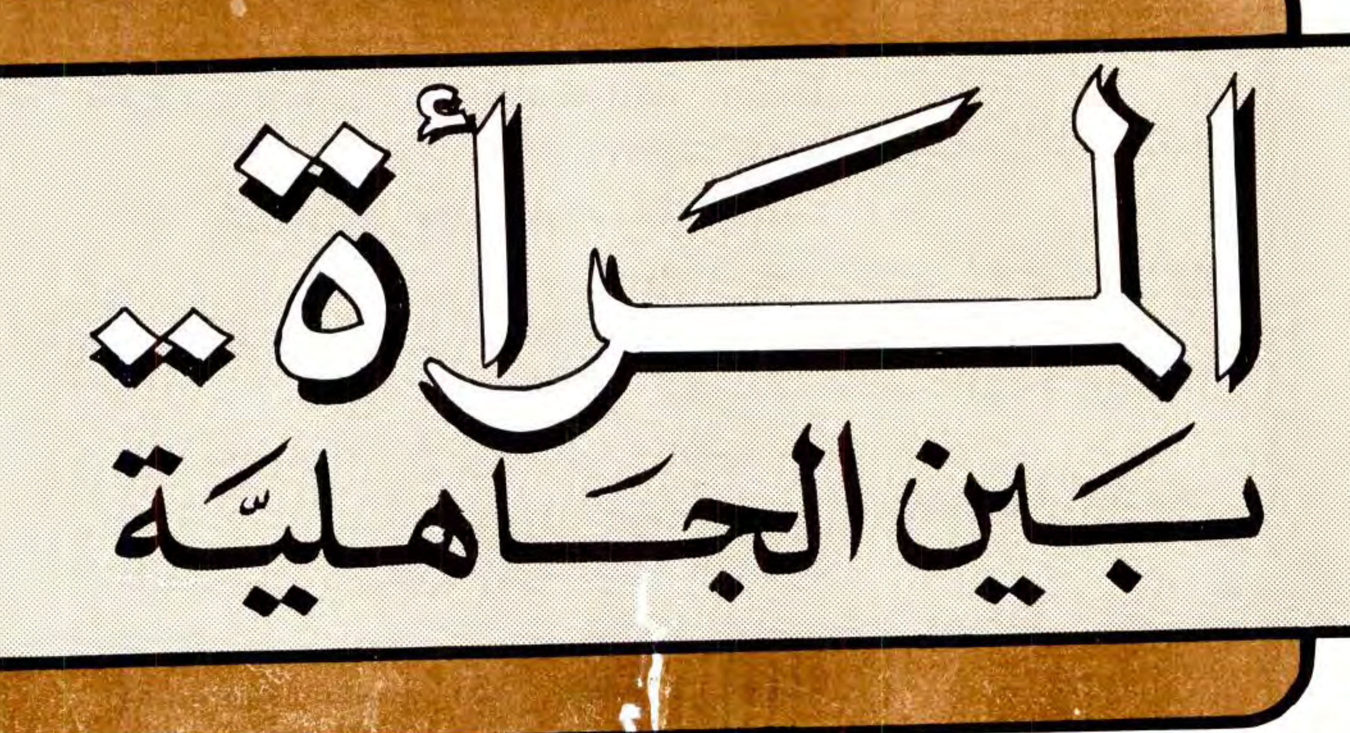
ما طأطـأ الرأس أجـدادي لجائحـة
والكـون يـعلـم أنـا أمـة الشيـم
قد شع منهـا ضياء العلم وانبلجت
كـواكب الحق تمحـو غيهب الظلم
وأشـرق النـور في الآفـاق قـاطبـة
والمسلمـون غـدوا في أرفـع الأمـم
وأقبـل النـاس أفـواجـا لـروضتهـا
كي ينهلـوا علمهـا شـوقـا وفي نهم
كنـا سراة تـروع الكـون وحـدتنـا
بـالحق ، بالعلم ، بـالأعمـال والكلم
رمـاحنا في جبـين الشمس مشـرعـة
كم أنقـذت أممـا من حمـأة الـوصم

واليـوم قـد بليت بـالخلف أمتنـا
فضعضعت مجدها السامي إلى النجم
إن المطـامـع والأهـواء تـدفـعنـا
إلى الـوراء فما نجني سـوى الندم
وعـزة الله لا تـؤتـى لمنفـرد
يقضي الحيـاة حليف الوهم والحلم
فضـع يمينك في يمنـاي وامض بنا
إلى الجهـاد .. إلى العليـاء والعظم
لنجـعـل الأرض بـركـانـا نفجـره
في وجـه مـغتصب في كـل ملتحـم
لنـرفـع الهـام نبني صـرح أمتنـا
ونعلن الحـق وضـاحـا لـذي قتم
روابط الحـب والاسـلام تجمـعنـا
ووحـدة الـدم والتـاريـخ والقيـم

فمن أراد شقـاقـا فـاقطعـوا يـده
لترجعوا الشـرف الموروث من قـدم

★ ★ ★ ★

تـاريخكم حـافـل والخـير أجمعـه
في الالتقـاء عـلى هـدى وملتـأم
فـالجرح وحـدنـا .. والثـأر جمعنـا
هبـوا لنـأخـذه مـن ظـالم غشـم
إن تنصـروا الله تنصـركم كتـائبـه
حتى تهـزوا الدنـا هـزا بكـل كمي
اني نـذير لكم يـا قوم فـاعتصمـوا
وسطـروا صفحـة الإقـدام والهمم
ويـا أسود الحمى لا تهجعـوا أبدا
حتى يـرف لـواء الـدين في القمم



وضع المرأة قبل الاسلام :

من ينظر الى تاريخ المرأة قبل بزوغ فجر الاسلام ، يجده مليئا بما يثير الاشجان ، من حال المرأة وقتذاك .

كانت المرأة تحيا في الجاهلية حياة لاتقل عن حياة الحيوانات العجماوات ، كانت مرهقة بالظلم في القرى و'الامصار ، لافرق بين جيل وجيل ، أو قبيل وقبيل ، كانت مهيضة الجناح ، ذليلة النفس ، قليلة الرجاء ، لاكيان لها ، ولا ميزان ، ولا آدمية لها محترمة ولا شخصية معتبرة .

ويحسن بنا أن نوضح وضع المرأة في جاهلية ماقبل العرب ، ليتضح لنا حالتها في كل المجتمعات الجاهلية . .

المرأة عند الاغريق :

كانت المرأة عند الاغريق تعد من المخلوقات المنحطة ، لا عمل لها سوى الانجاب ، ورعاية شئون البيت فكم من زوجة كانت تكره على الاستبضاع من غير زوجها فكانت تلد للوطن أولادا من رجل آخر ..

وكم من أم تكره على البغاء وأخت تنكح مكرهة بغير رضاء ..كان أرسطو ينظر الى المرأة كنظرته الى العبيد ، فالمرأة عنده كائن ناقص ضعيف الارادة ..

أما أفلاطون ، فقد وضع المرأة في

والإسلام

للاستاذ
سعد صادق محمد .

كتابه « الجمهورية » في مكان وضيع ، فقال : شجاعة الرجل في الأمر ، وشجاعة المرأة في تأدية الأعمال الوضيعة .

المرأة عند اليهود :

عامل اليهود المرأة معاملة الخدم ، وأعطت تشريعاتهم الظالمة الحق لأبيها أن يبيعها وهي قاصرة ، ولم تكن ترث الا اذا لم يكن لأبيها بنين ..

المرأة عند الهنود :

نصت شرائع الهند أن الوباء والموت خير من المرأة ، كذلك جاء في تشريع « مانو » الهندية ، أن المرأة تعد زانية اذا خلت بالرجل مدة تكفي لانضاج بيضة وأوجبوا عليها أن تموت مع زوجها اذا مات ، وتحرق جثتها مع جثته ، فاذا هربت من الموت حلت عليها لعنة الأبد ..

المرأة عند الرومان :

والمرأة عند الرومان كان ينظر اليها على أنها سلعة مملوكة للرجل له أن يتصرف فيها كما يشاء ، يملكها أبوها .. ثم زوجها .. ثم بنوها ، يتصرف فيها كل واحد منهم ، كما يتصرف في الرقيق ، أو الحيوان ، أو المتاع ..

فكم من حرة كانت تباع وتشترى ، وكانت تورث ولا ترث وتملك ولا تملك ، ويقول الرجال حينذاك : انما يرث من يحمي الذمار ، ويدافع عن القبيل ، أي أن الذي يستحق أن يرث هو الرجل لأنه يقوم بحماية الحمى

ورعايته والدفاع عن القبيلة ، أما المرأة ، فهي للبيت ، لرعايته ورعاية الاولاد ..

كانوا ينظرون الى المرأة نظرة احتقار وازدراء ويعاملونها معاملة الحيوانات العجماوات ويتشككون في انسانيتها ، ويتمارون في آدميتها ..

لقد بلغ من المهانة التي لحقت بالمرأة عند الرومان أن قرر أحد مجامعهم في روما أن المرأة لاروح لها ولا خلود ، ولكن يتحتم عليها العبادة ، وتلزم بالخدمة ، وأن يُكَّم فوها كالبعير ، والكلب العقور ، حتى لايتأتى لها الضحك ولا الكلام وكأن الله حرم عليها أن تنطق ولو بخير أو تدل عليه ..

المرأة في فرنسا وأنجلترا :

وفي المجتمع الفرنسي ، ضاعت أفكارهم عن المرأة ، هل هي انسان أم شبه انسان ، أم أنها مجردة حتى من الانسانية ؟ فرأوا أن يمنحوا المرأة شيئا من الانصاف فقرروا بعد جدال ونقاش وخلاف أن المرأة انسان ، الا أنها خلقت للذل والهوان ، وخلقت لتكون في خدمة الرجل ، وتحت أمره ونهيه ، وصدر هذا القرار عام ٥٨٦ م .

وقد سنت المحاكم الكنسية ، في القرن الحادى عشر قانونا ينص على أن للزوج أن يعير زوجته لرجل آخر لمدة يرتضيها المستعير ، وكان من حق كل حاكم أن يستمتع بامرأة الفلاح الى أربع وعشرين ساعة من تاريخ العقد على هذا الزواج ..

وفي عصر هنرى الثامن ملك انجلترا - أصدر البرلمان الانجليزي قرارا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد ..

وفي عام ١٥٦٧ م أصدر البرلمان الاسكوتلاندي قرارا يقضي بأن المرأة لايجوز أن تمنح أي سلطة على أي شيء من الأشياء ، وأن تسلب الولاية عن نفسها كما تسلب الولاية على غيرها ..

تاريخ طويل للمرأة التي لم تستظل بشريعة الاسلام ، مشحون بالذل والهوان والاستعباد ، مملوء بالعار والخزى والاستبداد والظلم ..

المرأة في مجتمع جاهلية العرب :

أما المرأة عند الجاهلية العربية ، فقد تخلصت من بعض متاعبها ، ولكنها ظلت ترزح تحت ظلم كبير ، وتئن تحت تعسف مرير ، ويتجلى ذلك فيما يأتي : -

● كانت البنت حين تولد في القبائل العربية يخيم على البيت جو حزين ، ويلحقه عار كبير ، حتى يشتد ذلك عليهم ، فيدفنونها وهي حية دون ذنب جنته ، الا لأنها بنت ، ويتضح هذا من قول الله عز وجل (**واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء**

مايحكمون » النحل : ٥٨ و ٥٩ ..

وقوله سبحانه (**قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين**)الأنعام ١٤٠ ..

● كان الرجل يقاطع الدار التي بها زوجته ، أن هي حملت له انثى فتراسله متوسلة راجية :

● مالأبي حمزة لايأتينا
● يظل في البيت الذي يلينا
● غضبان الا نلد البنينا

● قال ابن عباس رضي الله عنهما ، : كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت حفرت لها حفرة ، وتمخضت على رأسها ، فإذا ولدت جارية رمت بها في الحفرة ، وردت عليهاالتراب ، وأن ولدت له غلاما حبسته ..

ولم تقف مهانة الجاهلية العربية للمرأة عند وأد البنات خوفا من العار الذي كانوا يتوهمونه ، بل تجاوزوهالى صور أخرى حملت كلها معاني العسف والظلم ، ومن هذه الصور ..

١ ـ الأنكحة مثل : نكاح الاستبضاع ، البغايا ، الشغار ، البدل ، وغير ذلك من الأنكحة التي لايثبت بها نسب ، ولا ارتباط شرعي ولا يتحقق بها عدل ولا رحمة للمرأة ..

٢ ـ حرمانها من الميراث ، وكانوا يرون : انه لايعطي الارث إلا من قاتل على ظهر الخيل ، وطاعن بالرمح ، وضارب بالسيف ، وحاز الغنيمة .

٣ ـ حرمانها من المهر ، وكان والدها يأخذ مهرها ، ولا يعطيها شيئا ..

٤ ـ تعدد الزوجات بلا حدود ، وكان الرجل يجمع في عصمته ما يشاء دون تحديد .

٥ ـ الطلاق مع العضل وكان الزوج يطلق زوجته ، وله أن يراجعها عدة مرات وهي في العدة ، ويمنعها من التزوج بغيره ، ومن أنواع الطلاق عندهم : الظهار والايلاء ..

هذه هي النظرة الجاحدة الظالمة التي أعطتها المجتمعات التي قامت قبل الاسلام ، وهي نظرة كلها ازدراء ، وتعسف ، وجور ، كانت المرأة عندهم لا وزن لها ، ولا كيان ، ولكن وجدت مجتمعات رفعت المرأة الى مرتبة التقديس مثل : قدماء المصريين ، والبابليين ، فقدماء المصريين عبدوا « ايزيس » آلهة الأمومة والجمال وكانت « حتشبسوت » أول ملكة في التاريخ ، أما البابليون فقد رفعوا منزلة المرأة بموجب قانون « حمورابي » ..

الا أن كل هذا التقديس والاعزاز ، لم يصل بالمرأة الى المستوى اللائق بها ، وبإنسانيتها ، وكرامتها ، كما فعل معها ولها الاسلام ..

المرأة في ظل الاسلام :

حين اذن الله لشمس الاسلام أن تطلع ، ولنور الرسالة المحمدية أن يسطع أخذت ظلمات الجاهلية تنحسر ، وقوافل الشر والبغي في الأرض بغير الحق تختفي وتزول ، وجنود العصبيات الزائفة تندحر ، ونادى منادى الله : **إن الدين عند**

الله الاسلام ، ذلك الدين القيم الذي ارتضاه الله لعباده نظاما صالحا ، ودستورا فاضلا ملائما لجميع العصور والأزمنة ، لأنه صنع الله الذي اتقن كل شيء ، دين جاء بتشريعات عادلة ، رحيمة ترسم لكل فرد في المجتمع ـ رجلا أو امرأة ـ ماله من حقوق ، وما عليه من واجبات ارتضى الله هذا الدين لخلقه ، يسرى على أغنيائهم كما يسرى على فقرائهم ويتحتم على عظمائهم ، كما يتحتم على صعاليكهم ، ويتكلف به رجالهم كماتتكلف به نساؤهم ، ويتحاكم به رعاتهم ، وكما تتحاكم اليه رعيتهم ..

فالاحتكام به وإليه واجب ، والوقوف عند حدوده فرض لازم **(ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)** ٢٢٩ : البقرة ..

لقد جاء هذا الدين لاصلاح ما أفسدته الاهواء ، وعلاج ما أمرضته الجاهلية فدعا الناس جميعا الى كل ما يصلح معاشهم ومعادهم ، ونبههم الى كل مايسعدهم في دنياهم وآخرتهم ، فهو تشريع الله ، ومن أحسن من الله تشريعا ، وهو حكم الله ومن أعظم من الله حكما !

لم يصدر ناموسه عن هوى ، ولم يحكم في قضية عن ميل ، إذ هو الحق ، لايزيغ ولا يضل ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ..

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوائل القرن السابع من ميلاد المسيح عليه السلام بالشريعة الصالحة ، يدعو الناس الى خالقهم ، ويدلهم على بارئهم ويرشدهم الى اصلاح نفوسهم بآيات الله تعالى ، ويوجه دعوته في كل هذا للرجال والنساء ...

ونادى الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه التشريعات وكان منها ما هو خاص بالمرأة (**يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) ١٩ : النساء ..

وطبقا لهذا التشريع العظيم ، قرر الاسلام أن المرأة (انسان محترم) لايجب أن تورث ، ولا تحبس كرها ، وطلب من الرجل أن يحسن معاملتها ، وأن يصبر على أخلاقها ، إن كانت شرسة الاخلاق ، سيئة الطباع ، وحبب اليهم عشرتها بقوله تعالى (**فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) ..

فكان ذلك طفرة ، خرجت بها المرأة من رق الجاهلية ، الى حرية الاسلام ومن أعماق المهانة والاستكانة الى مراتب الاعزاز والحرية ..

وتقرر في صلب الدستور أن المرأة مشكورة السعي ، أن هي عملت الصالحات كالرجال ، في حدود ماتطيقه أنوثتها ، وطبيعة تكوينها ، فتجازى كالرجل بنعيم الله ورضاه (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون**) ٩٧ : النحل (**من عمل**

سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) غافر/٤٠ .

○ المرأة نعمة :

كانت المرأة في مجتمعات الجاهلية مصدر نقمة وفزع وحزن كما كانت نسيا منسيا وكما مهملا ، أما الاسلام ، فقد اعتبرها نعمة وسكنا ورحمة للرجل ، قال تعالى (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** ٢١ : الروم ..

○ المرأة ورثت في ظل الأسلام :

تقدم أن المرأة في عصور ماقبل الاسلام ، كانت تورث ولا ترث وتملك ولا تملك ، لأنها ملك للرجل وخلقت لخدمته ولأنها لا تحمى الذمار ولا تدافع عن القبيل ..

وعندما جاء الاسلام بتشريعاته أصبحت مالكة بعد أن كانت مملوكة ، فتقرر لها نصيب في الميراث وأن قل عن الرجل ، وتقرر لها نصيب في القليل أو الكثير لقوله الله :(**مما قل منه أو كثر)** ٧ : النساء

وبهذا صار للأنثى أن ترث في عباءة الرجل وسيفه ، وعمامته وعصاه ، وقرر الاسلام للذكر في الميراث مثل حظ الانثيين لقول الله تعالى : (**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين)** ١١ : النساء ..

وحكمة جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ؛ أن الشريعة أوجبت على الرجل أن ينفق على المرأة ، وعلى البيت بماله من قوامة .. فنصيبه زائد عليها تارة ، ومساو لها تارة أخرى ..

★ مهر المرأة :

من الميراث التي حصلت عليها المرأة في الاسلام ، أن جعلت لها شريعة الاسلام مهرا تملكه ، وتطالب به ...

ولئن كانت شريعة اليهود تفرض للمرأة مهرا ، فانها لاتملكه لها بالفعل ، الا اذا مات زوجها ، أو طلقها ، لأنها في نظر اليهود ليس لها أن تتصرف في مالها وهي في كنف زوج ..

أما الشريعة الاسلامية ، فقد أعطت للمرأة الحق في أن تتصرف فيما فرضته على الزوج من مهر ، كما أعطت لها الحق في أن تمنحه لمن تشاء وقد ورد في هذا قول الله تعالى:(**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا)** ٤ : النساء

وحين ننظر الى لفظة « نحلة » نجد أنها تعني « العطاء الذي لايقابله عوض ، واذن فهذا العطاء الذي يعطيه الرجل للمرأة » « ليس في مقابل الاستمتاع ، وانما هو عطاء يعبر عن

الود والحب المتبادل بين الرجل والمرأة ،

● كذلك أشركتها الشريعة مع الرجل في الميراث ..

● فقال تعالى (**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا**) ٧ : النساء وقال جل شأنه (**للذكر مثل حظ الانثيين ..**) ١١ : النساء

○ الاسلام صان المرأة وحفظها :

عمل الاسلام على صيانة المرأة ، وحفظها من الابتذال ، اذ بصيانتها ترتفع منزلة الاسرة الى أعلى الدرجات ، وبابتذالها تنحط الى أسفل الدركات ..

والاسلام قدس العرض وحافظ عليه ، وطالب أهله بالدفاع عنه والاستماتة في سبيله .

ولقد أوجب الله على المرأة ـ صيانة لها ـ أن تلتزم حدود الحشمة ، وأن تحافظ على الكرامة ، وطالبها بالوقار ، بعدم ابراز محاسنها ، حتى لايفتتن الرجل بها ، ويتضح هذا من قول الله لنبيه الكريم (**يـأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**) ٥٩ : الأحزاب ، وفي وجوب تحشم المرأة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حين دخلت عليه في ثياب رقاق « ياأسماء إن المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه ، رواه أبو داود .

كذلك يتحتم على المرأة ـ مثل الرجل ـ غض البصر ، وحفظ الفرج ، وفي هذا يقول الله (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بمايصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن**) ..الخ الآية ٣٠ ، ٣١ النور

وفي إطار صيانة المرأة منع الرسول النساء من التشبه بالرجال ، حتى لاتضيع أنوثتها حين تلبس زي الرجال ، أو تبدو بشيء من مظهره ..

ونهى الرسول أن يختلي الرجل بالمرأة ، لما في هذا الاختلاء من فرصة لاغواء الشيطان لهما ..

ونهى رسول الله المرأة الا تسافر وحدها من غير زوج أو غير ذي محرم ، ولو كان هذا السفر من أجل فريضة الحج لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لاتسافر المرأة الا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل الا ومعها محرم » متفق عليه

وحفاظا على المرأة من المهانة أمرها الاسلام الا تخرج من المنزل لتزاحم الرجل في كل مجال ولكن هناك مجالات لها أن تشارك الرجل فيها ومنها التعليم فلها أن تتعلم من العلوم ما

يناسب أنوثتها مثل التدريس والتمريض وغير ذلك مما يجعلها تحيا حياة كريمة ، وبوجه عام فان المرأة مكانها البيت ، كما أمرها ربها حيث تقول الآية (**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**) الأحزاب/٣٣

فالآية الكريمة تأمر المرأة بأن تستقر في البيت ، لأن هذا هو مكانها الذي خلقها الله له ، لتتولى شئونه ، وترعى من فيه والذي حدد لها هذه الوظيفة هو خالقها الذي يعلم أين مصلحتها ، وأين الخير بالنسبة لها » ..

والمرأة في البيت واحدة من أربع : فهي أم ، أو زوجة ، أو بنت أو أخت ، وعلى كل واحدة منهن واجبات في الحياة ، ولكل واحدة منهن تقدير واعزاز ممن يعولها .

الكتاب .. وقضية المرأة :

هذه هي نظرة الاسلام للمرأة ، وهذه هي مكانتها في نظر الشريعة الاسلامية ، ونحن كما تقدم نرى أن الاسلام كرم المرأة بأكثر مما تطمح اليه من حقوق ، وجعلها في مكان عزيز كريم بعد أن ذاقت ألوانا من المهانة في التشريعات السابقة ..

ولكن فريقا من الكتاب بدأ منذ سنوات مضت ، يتباكى على ما أسماه « حقوق المرأة » وأخذ بنشر المقالات الطويلة التي يزعم أنه يدافع بها عن هذه الحقوق .

ولا شك أن أصحاب هذه المقالات ، لو يعلمون حقوق وواجبات المرأة في الاسلام ، ووعوها حقا ، لما اتعبوا أنفسهم وتحدثوا عن هذه الحقوق ، ولكنهم يجهلون ماجاء به الاسلام للمرأة ، ثم هم مقلدون للغرب ، تابعون له .. أنهم يقلدون الغرب ، لا فيما يفيد ، ولكن فيما لايفيد وعلى أساس الانسلاخ من ديننا ، والابتعاد عن مقومات إسلامنا ، ونبذ تقاليدنا ، فنادوا بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة ، ومن هنا دفعوا المرأة الى كل معترك للحياة في غير ضرورة داعية ، وزجوا بها الى كل ميدان ، ولأن طبيعة أنوثتها لا تصلح لكل الأعمال ، كانت عائقا لما اقتحمته من ميادين خاصة بالرجل ، فلم تنتج وقد أثبتت الأيام والأحداث عجز المرأة عن اقتحام ميادين الرجل ، واثبتت عدم صلاحيتها للعمل في هذه الميادين .

والاسلام حين ألزم المرأة بالبيت انما أراد من وراء ذلك تكوين مجتمع سليم قوي ، فحرص على أن يدعم بنيانه من لبنات قوية ولبناته هي الأسرة ، وانشغال المرأة خارج بيتها ، هو غياب لاحدى لبنات الأسرة وبالتالي هدم لها ، وكثير من الأسر اليوم يعاني من غياب الام العاملة ، وتشقى بخلو مكانها في المنزل ..

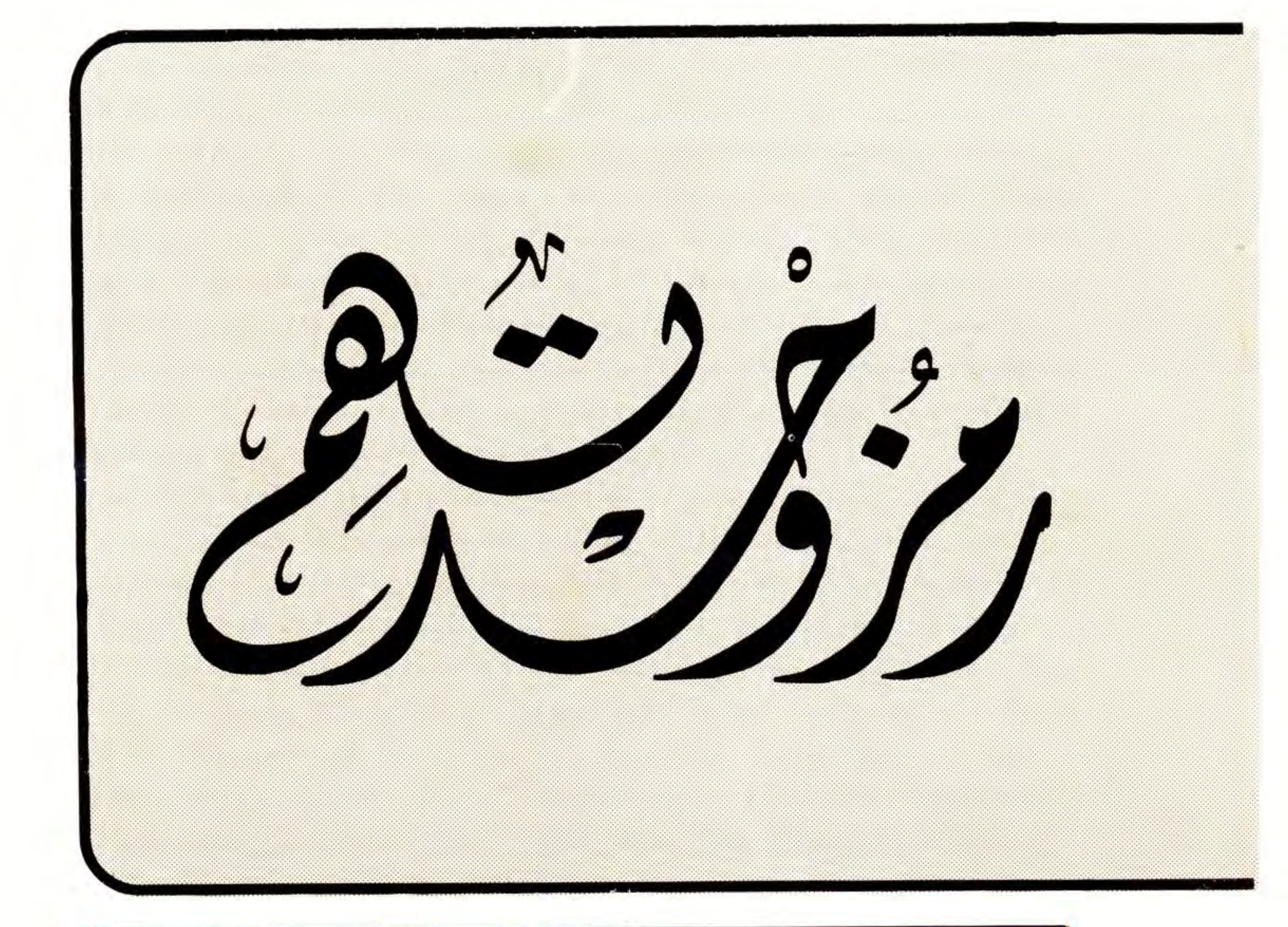
اننا اذا أردنا لأسرنا حياة ، ولمجتمعنا سعادة واستقرارا فلنعد الى اسلامنا ، فاسلامنا أعطى لكل من المرأة والرجل وظيفته المناسبة له ، وأنزله المنزل اللائق به ..

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ..



من الاحداث العظيمة التي حدثت في مجال التشريع الاسلامي حادث تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، واكثر المؤرخين على ان ذلك حدث في ليلة النصف من شعبان،فقد كان رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وهو في مكة يتوجه في صلاته الى الكعبة ، فلما هاجر الى المدينة امره ربه ان يتوجه الى بيت المقدس . فتوجه اليه ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا كان فيها دائب الحنين الى الكعبة مكثرا من الدعاء ان يوجهه الله اليها ، وقد استجاب الله دعاءه فجمع المسلمين حيثما كانوا على قبلة خاصة بهم ، لها عند الله مكانة الاعزاز والتكريم ولها في نفس الرسول الكريم مشاعر الرضا والحب ، وانزل عليه قوله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) البقرة / ١٤٤

والمسجد الحرام اول بيت وضعه الله للناس ، وجعله مثابة وامنا، تشمله بركة الله وتقوم فيه آياته (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**) آل عمران / ٩٦



للشيخ / محمد الاباصيري خليفة

والجمهور على ان اول صلاة صلاها رسول الله الى الكعبة صلاة العصر فقد روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت ، وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال : اشهد بالله لقد صليت مع النبي قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل ان تحول قبل البيت رجالا قتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله : (**وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم**) البقرة / ١٤٣

واما اهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم التالي كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال : ان رسول الله قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل

الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة » واهل الكتاب يعلمون ان هذا التحويل من بيت المقدس الى الكعبة حق . من عند الله لانه احد اوصاف الرسول في كتبهم : (**وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) البقرة** / ١٤٤ ولكنهم ـ حسدا وكفرا وعنادا ـ كتموا هذا العلم واشتركوا مع المنافقين والمشركين في السخرية بالرسول والمؤمنين وقالوا : ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا ، فهددهم الله بمجازاتهم على هذا الكتمان بقوله : (**وما الله بغافل عما يعملون**) ورد الله على الساخرين جميعا بان الامر كله لله ، وجميع الجهات من خلقه وايجاده وأينما تولوا فثم وجه الله (**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم**) البقرة / ١٤٢ .
وقد اثبت الله كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفون من شأن الرسول وانهم بسبب ذلك حقت عليهم كلمة الله فهم لا يؤمنون ولو قدم لهم رسول الله كل دليل على صحة ما جاء به : (**ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك**) البقرة / ١٤٥ كما اثبت شدة تمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بالحق الذي جاءه من عند الله ، ورفضه ، اتباع اهواء اليهود « **وما انت بتابع قبلتهم** » وقد حذر الله المؤمنين من اتباع اهواء اليهود بعدما اعلمهم الله بامرهم ، والا كانوا ظالمين لانفسهم مسقطين لمنزلتهم فان الحجة على العالم اقوى من غيره . ومسئوليته بين يدي الله اشد من مسئولية سواه ، وخاطب الله الرسول بهذا التحذير وهو يريد امته فقال تعالى : (**ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين**) البقرة / ١٤٥ .
وقد كشف الله عن ان اختيار الكعبة قبلة للمسلمين ، يتجهون اليها في صلاتهم ، ويرتبطون بها بقلوبهم من تمام وسائل التميز لهذه الامة . بما حباها الله من نور وبما مكن لها من هداية ، فمكانها في الامم مكان العلم الهادي والسراج المنير ، ترشد الى دين لا غلو فيه ولا تقصير ، وتقوم على افضل النظم وخير المبادىء واقوم المناهج ، وتقعد من الانسانية مقعد الاستاذ من تلميذه ، تعلمها وتهديها . فهي خير الامم واعدلها ، ويوم القيامة تشهد على الامم بان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم ورسول الله يشهد عليهم مزكيا ومصدقا : (**وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) البقرة / ١٤٣ روى البخاري بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول : نعم فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما اتانا من نذير وما اتانا من احد ، فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وامته : قال : فذلك قوله « **وكذلك جعلناكم امة وسطا** » قال : والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم اشهد عليكم ».
كما بين الله تعالى انه صرف رسوله عليه الصلاة والسلام عن القبلة التي كان عليها وهي بيت المقدس الى الكعبة ليميز اتباعه ويظهر مؤمنهم من منافقهم ، لان ذلك

التحويل امر عظيم وشديد على النفوس لا يتقبله الا المؤمنون ، فمن اتبع رسول الله عن ايمان ويقين استقبل كل شيء يحدث بالرضا والطمأنينة تملؤه الثقة بان كل ما جاء به هو الحق من عند الله ، وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .. اما من في قلوبهم مرض فانه كلما حدث امر احدث لهم ريبا وشكا ، قال تعالى : (**وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون . واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون**) . التوبة / ١٢٤ و ١٢٥ وتميز الاتباع عامل كبير في سلامة الصف من الخلل والاضطراب ، وضرورة لتثبيت الخطا على طريق النصر .

وقد اشار الله الى هذه الحكمة في قوله تعالى : (**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم**) . البقرة / ١٤٣

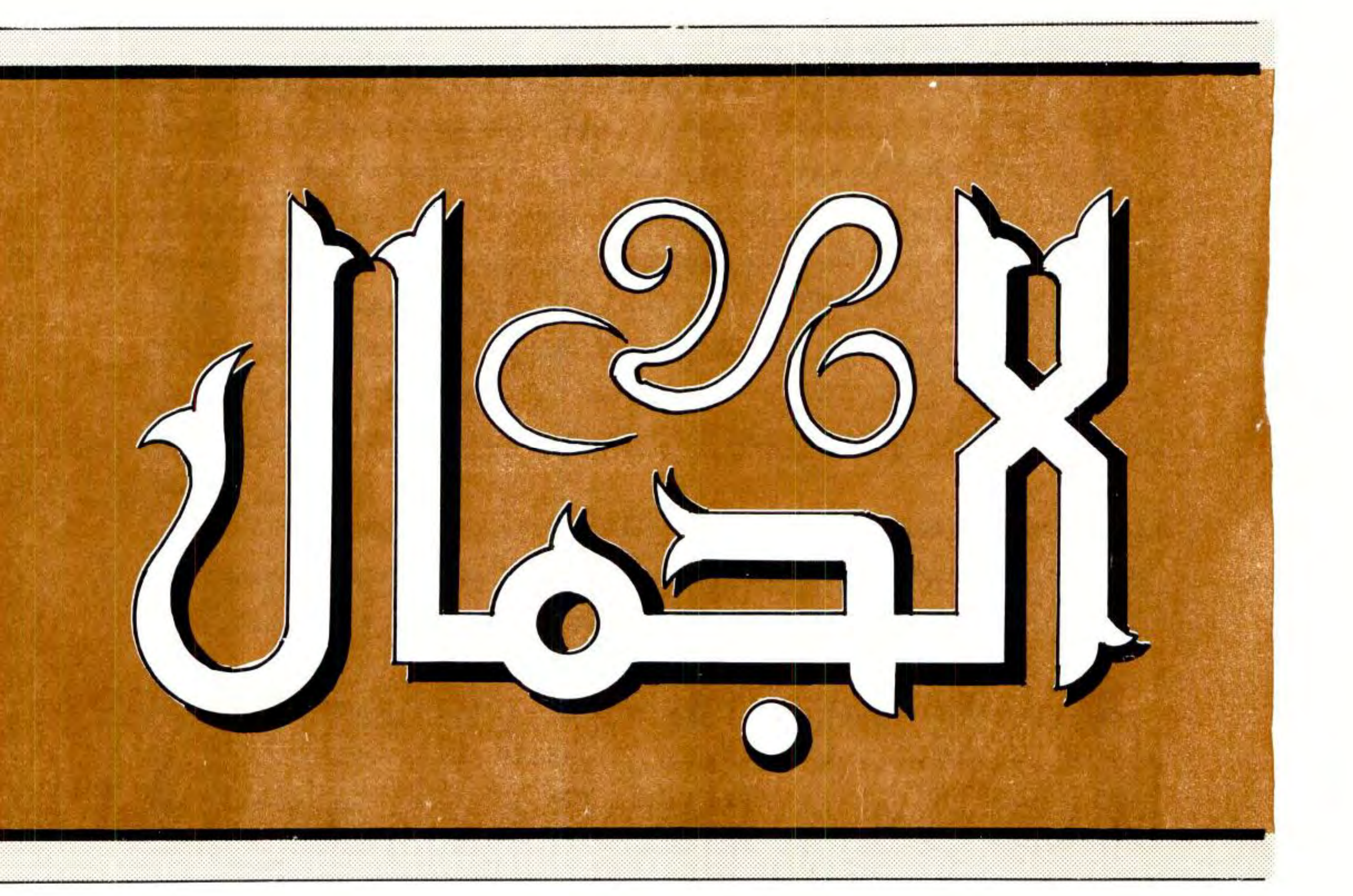
والى جانب ان تحويل القبلة الى الكعبة قد حقق رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وميز الامة الاسلامية بقبلة خاصة ونقى صفوف اتباعه من المنافقين فان الله قطع بهذا التحويل حجة اليهود التي كانوا يقولون فيها : ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت !!؟ وحجة المشركين الذين كانوا يقولون : يزعم محمد انه على دين ابراهيم فلماذا يتجه الى غير قبلته .

نعم قطعت الحجة ، وكان الانصاف يقضي بترك العناد ، واتباع الرسول والايمان برسالته . ولكن الظالمين استمروا على كفرهم وجادلوا بالباطل فقال اليهود : لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه ، وقال المشركون رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه ، وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا .

وقد امر الله رسوله والمؤمنين الا يعبأوا بالظالمين وان يتمسكوا بالحق الذي تمت به النعمة عليهم ليكونوا من المهتدين قال تعالى : (**ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون**) . البقرة / ١٥٠

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعني في اهل الكتاب ـ انهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين » ومنذ ان اختار الله الكعبة قبلة للمسلمين وهي علم وحدتهم ورمز اخوتهم ووجهة عبادتهم . وستظل قلوب المسلمين موصولة بها ووجوههم متجهة اليها ما دامت الحياة استمساكا بالحق وحفاظا على الدين .

والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .



(١)

عن الجمال كمصطلح اسلامي ، وعن الجمال والعلاقات الانسانية ، وعن الجمال في مطلق الخلق ، وعن الجمال كقيمة شوهها الخابطون ، يدور الحوار في هذه السطور .

والجمال من المنظور الاسلامي ، ليس مجرد مصطلح ، او مجرد علاقة ، او مجرد خيوط مرئية او مدركة .. وانما هو جزء من صميم البنية الوجودية ، وكل الاجزاء في علاقة الخلق بالخالق ، والكون بالتكوين .. لان وجودا يصدر عن واهب كل الوجودات ، لابد ان يتسم في بدئه وختامه بالجمال الخارق .

وللجمال في المفهوم الاسلامي ابعاد متناغمة ، فهو جمال موضوعي اول الأمر ، بما هو تجسيد لقدرة الخالقية في الخلق ، ثم هو جمال اسنادي ـ اذا جاز أن يقال ـ بمعنى ان هناك قيما معينة يمكن اذا اضيفت الى وضعيات وجودية او انسانية ان ترتفع بهذه الوضعيات عن مستوياتها العادية الى مستويات اخرى جمالية كما يضاف التواضع ـ مثلا ـ الى القوة ، فتصبح به قوة جميلة ، وليس قوة غاشمة . وكما يضاف التفكير العاقل الى الحركة العارمة ، فتستحيل به حركة عاقلة ، وليس حركة رعناء .



ومادام ذلك كذلك ، اي مادام الجمال قيمة موضوعية نراها في الشجر ، والمطر ، والسحاب ، والجبل ، والفراش ، والورد ، والاصوات ، والألوان .. وكل ما برأ الله من وجود جمالي يتعالى على مر العصور .. ومادام الجمال كذلك قيمة اضافية ترتفع بكل ما تسند اليه فاذا هو رائع الجمال .. فان الاسلام لا يمكن ان يستهين به ، او يتجاوز قيمة كونه جزءا من صميم البنية الوجودية ، وكل الاجزاء في علاقة الخلق بالخالق ، والكون بالتكوين .

يرى النبي صلى الله عليه وسلم المطر ، فيستقبله استقبالا جماليا رائع الايحاء : ففي صحيح مسلم عن انس رضي الله عنه قال : اصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر ، فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، حتى اصابه المطر ، فقلنا : يارسول الله ، لم صنعت هذا ؟ قال : « لانه حديث عهد بربه » . قال النووي في شرح مسلم : انه حديث عهد بتكوين ربه ، ومعناه : ان المطر رحمة ، وهي قريبة العهد بخلق الله لها ، فيتبرك بها .

ويرى النبي صلى الله عليه وسلم الهلال بازغا ، فيستقبله استقبالا جماليا رائع الايحاء كذلك ، فعن عبدالله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال : « الله اكبر ، اللهم اهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله » رواه احمد والترمذي !!

وفي سنن ابي داود عن قتادة انه بلغه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال : هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، آمنت بالذي خلقك .. ثلاث مرات .

ان هذا الحس الجمالي الذي يتوقل فيه المخلوق حتى يصل الى رحاب الخالق ، يجسد حقيقة الجمال في الكون والانسان على السواء .. فاذا كان الجمال معطى كونيا يتألق في المطر الهاطل ، او الهلال البازغ ، فان هذا الجمال معطى انساني يتألق في الاحساس بجمال الكون ، والتعبير عن هذا الاحساس وهذا الجمال .

ولكن الاسلام يضع الجمال في اطاره المتحدد ، فاذا جاوز تخومه الى تخوم اخرى ، كان دميما ومرفوضا كذلك : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا ، قال : « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس » رواه مسلم والترمذي .

هنا يتحدد الجمال في الشكل والمحتوى كذلك .. فاذا ند عن سوائه القاصد كان جمالا مغلوطا ، او قل : كان غير جمال وغير جميل .

ـ ٢ ـ

وتوشك العلاقات الانسانية كلها في الاسلام ان تكون نابعة من قيم الجمال ، وهادفة الى قيم الجمال كذلك ، لان مجمل العلاقات الانسانية هو : علاقة الانسان بنفسه . وعلاقة الانسان بالآخرين ، وعلاقة الانسان بالكون ، وعلاقة الانسان بالله .. وما لم تكن هذه العلاقات جميعها مبنية على أسس جمالية شاملة ، فان صرحها المهتز يوشك باستمرار على مزيد من التداعي حتى الانهيار !!

فالجمال يطهر علاقاتنا بأنفسنا ، حين يوحي إلينا نزعة التعادل العاقل ، الذي لا يدمر في ارتفاعه الشاهق إلى أعلى ، ولا يكظم في إيغاله المرهق إلى تحت .. إنه يقفنا أمام تناسق الاشباع المادي من أعراض الحياة ، والاشباع الروحي من تعاليات العبادة ، ويحفظ علينا هذا التناسق الفذ في إيقاعه المتوازن ، فاذا نحن نمضي على الدرب في حراسة هذا التوازن الجميل .

والجمال يطهر علاقاتنا بالآخرين ، حين يقيمها أساسا على وطائد من الفهم المتبادل ، والتضامن الواثق ، والأخوة العقيدية ، والسلام الأرحب ، والتبادل النظيف .. إنه يغرينا بالعدل ، والحب ، والتسامح ، والفكر ، والايثار ، والتضحية ، وإضاءة كل المصابيح .. إنه يعمق فينا حس المتاع الجمالي في كل ما نشكل من جمال ، وحس التقزز الرديء من كل ما نسوى من رداءة وقبح .. فهو يغرينا ـ مثلا ـ بالعدل ، حين يوحى إلينا أن لا شيء أجمل من العدل ينشر أجنحته البيضاء فيحتضن بها الأنا والآخرين ، ولا شيء أوبل من الظلم الذي هو في النهاية افتيات صارخ على طبيعة الخلق فينا ، وتشويه هابط لفطرة البراءة ، وبراءة

الفطرة ، وانهيار بالمستوى الآدمي إلى مستوى وحشي دميم .
والجمال يطهر علاقاتنا بالكون ، حين يقيمها على أساس من التجاوب المحب ، فنحن حين نستشعر الجمال في نجمة أو نسمة ، نفتح كل مغاليق ذواتنا على جمال الوجود ، وحين نستشعر الجمال من مشهد طبيعي أو مشهد إنساني ، نرفض أن نقدم بالتدمير على روائع هذا الجمال .
والجمال يطهر علاقاتنا بالله ، حين ينهضها اساسا على الاحساس الوثيق بأن الله واهب كل ما في الكون من جمال ، وهو أقمن قمين بالعبادة الحقة لأنه خالق الجمال الانساني والطبيعي ، وما وراء الانساني والطبيعي على السواء .
وليس عبثا أن يلفت القرآن الكريم إلى كل ما في الكون الهائل من أناشيد الطبيعة ، ولوحات الجمال ، لأنه من هنا يستثير أروع ما في الحقيقة الانسانية من ميول مركوزة إلى تعشق الجميل ، ويحرك أعرض ما في الطبيعة الانسانية من تشوف شامل إلى روعة الخلق ، ولأنه حين يفعل ذلك يترقى بالقضية كلها من مستوى تأمل الجمال في الطبيعة والكون ، إلى مستوى التسبيح الفاهم بآلاء خالق الكون والطبيعة والجمال :
(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ق/٦ ـ ٨ .. **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)** النحل/٥ و٦ .. **(والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها)** الشمس/١ ـ ٨ .. **(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين)** لقمان/١١ .

ـ ٣ ـ

وحين يركز الباحثون في قضايا الاعجاز الالهي على تأمل الجمال في خلق الانسان ، فانهم يقلصون بذلك رقعة الحركة التي يمكن ان تجسد قضايا الاعجاز الالهي في الخلق بلا حدود .. لأن خلق الانسان معجز نعم ، ولكن خلق الفراشة معجز كذلك بلا جدال .. واذن فقضية الخلق معجزة بذاتها ، والاعجاز فيها متوجه الى القوة الخالقة ، وليس الى نوعية ما خلقت هذه القوة فحسب . لان النوعيات المخلوقة كلها تؤكد اساسية الاعجاز في الخلق بلا تفريق .. ويمكن ان يكون الدقيق الدقيق من هذه النوعيات المخلوقة ادل على قضايا الاعجاز في الخلق ، لان ما فيه على دقته وضآلته من روعة التصميم ، وجمال التشكيل ، وابداع الخلق ، ينطق بأثر الخالقية المقتدرة التي تضع اسرارها المعجزة على الهامد الجامد ، فاذا هو كون من الحركة يغلي بالاندفاع ، وتلمس الساذج الغفل ، فاذا هو يتألق بهندسة

التشكيل الجمالي البديع .

وربما كان تركيز الباحثين في قضايا الاعجاز الالهي في الخلق على الانسان ، لأن الجمال المخلوق في الانسان وحده هو الجمال الحر الذي يستطيع ان يضيف إلى ماهيته المخلوقة ماهيات أخرى مكتسبة ، فحين يسدد الانسان طاقاته المادية والروحية والفكرية في الاتجاه الأنفع والأرقى ، يصبح جماله الانساني بحجم الوجود الفاضل بأسره ، وحين يسدد هذا الانسان كل طاقاته المخلوقة في اتجاه الأسوأ والأردأ ، يصبح جماله الانساني بلا حجم وبلا وجود على السواء .. وإذن فالجمال الانساني هنا جمال يتسم بحرية الخبط والرشاد ، فان وافق فطرته السوية كان على طريق الرشاد بلا ارتباك ، وإن صادم فطرته السوية كان على طريق الخبط بلا فكاك !!

وإذا كانت هذه هي وضعية الجمال الانساني ، فان الجمال في غير الانسان جمال سكوني قابل فحسب ، لا يستطيع تطوير ذاته إلى أعلى ولا إلى أسفل ، ومن هنا كان جمالا قابلا لا فاعلا ، جمالا يتسم بجمود الحركة أو بتكرارها إلى ما لا نهاية .. على النقيض من الجمال الانساني ، الذي يستطيع أن يتألق في فاعليته حين يبدع الأشياء والأفكار ، وأن يتألق في موضوعيته حين يكون مجلى من مجال تأمل الاعجاز الالهي في الخلق ، أي أنه صائر بلا توقف ، إذا شاء فالى أعلى ، وإذا اشاء فالى أحط ..

شيء آخر يميز الجمال الانساني ، وهو قدرة هذا الجمال على تأمل ذاته ، والعروج من هذا التأمل الذاتي إلى حقائق الايمان ـ فالانسان وحده يستطيع أن يتأمل جمال الخلق في ذاته ، ويستطيع من خلال هذا التأمل ، أن يصل إلى بارىء هذا الخلق الجميل ، أما غير الانسان فلا يستطيع تأمل ذاته على الاطلاق ، فلا البحر يستطيع أن يتأمل أمواجه الهادرة ، ولا العصفور يستطيع أن يتأمل تكوينه الفاتن ، ولا الشمس تستطيع أن تتأمل غدائر ضوئها الشلال .. الانسان وحده هو فارس هذا التأمل ، ومن هنا كان جماله جمالا واعيا بذاته ، وقادرا على تطوير ذاته بذاته ، ومطلا من خلال وعيه واقتداره على جلال الخلق الأول ، وروعة الخالق الأول ..

ولعل هذا الفهم يستلهم تكوينه البدئى من هتاف القرآن الكريم بالانسانية جمعاء : (**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات/٢١ ، فهي دعوة إلى تأمل الاعجاز الالهي في الخلق من خلال الانسان ، لأن هذه نقطة الانطلاق إلى تأمل الاعجاز في كل شيء ، والترقي إلى الايمان بقدرة المعجز التي لا تحدها تخوم الأبعاد !!

ـ ٤ ـ

ولا نشك في أن مصطلحات إسلامية قد ظلمها الاستعمال العرفي ، فضاع من

جلالها الكثير ، وأحجم ـ حتى الفاهمون ـ عن تداولها أو التعامل الفكري معها ، وكأنها ـ حين أساء إليها الآخرون ـ أصبحت وضعية هابطة ، هبوط تصور الخابطين لحقائقها وإيماءاتها كذلك .

من هذه المصطلحات ، أو فلنقل في طليعة هذه المصطلحات ، مصطلح الجمال ، فقد زور الاستعمال العرفي هذا المصطلح ، حتى أصبح مرادفا للتسيب الخلقي . أو اللذاذات الجسدية النازلة ، تماما كما حدث لمصطلح آخر شبيه هو مصطلح الحب ، فقد زوره الاستعمال العرفي حتى صار مرادفا لدعارة الجسد وتفلت العلاقات .

وما هكذا ينبغي أن نفهم نحن عن مصطلح الجمال ، أو عن مصطلح الحب ، فالجمال هو فحوى الاعجاز في الخلق الالهي في كل شيء : في الصامت ، والصائت .. في الجامد ، والنامي .. في العاقل والغفل .. في الأشياء والأحياء .. والحب هو فحوى علاقة الكائن بالمكون ، مرورا بعلاقة الكائن بالكائن ، والكائن بالكون ، فلولا الحب لاستحالت الأرض إلى غابة تتهارش فيها قوى الظلام !!

على أن الاسلام لا يصادر الجمال في التكوين الآدمي ، بل إنه يحتفي به احتفاء غير مقيس على ما سبقه ، وغير مقيس به ما لحقه كذلك ، لأنه إحتفاء فذ يتعالى على النظائر والأشباه .. يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة : إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه . وخطب المغيرة ابن شعبة امرأة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « اذهب فانظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » رواه الترمذي .. ونصح الرسول رجلا خطب امرأة من الأنصار وقال له : « انظر إليها فان في أعين الأنصار شيئا » أخرجه مسلم .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل بعض النسوة ليتعرفن ما يخفى من العيوب ، فيقول لها : « شمي فمها ، شمي إبطيها ، شمي عوارضها ، وانظري إلى عرقوبها » رواه احمد . ولما تزوج جابر بن عبد الله ثيبا قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « هلا جارية تلاعبها وتلاعبك » متفق عليه . وهذه طبيعة الفطرة الصحيحة التي ترنو الى الجمال في كل شيء .. ولعلنا نستجلي غوامض هذه الحقيقة في إطلالنا على ما ذكره القرآن الكريم من حفاوة بجمال حتى واحد من أنبياء الله ، في سورة يوسف ، لنرى إلى أي حد يقف الجمال الخلقي والجمال الخلقي في جبهة معا ، ليكونا دلالة على نبوة نبي وعصمة رسول .. وهل نستطيع أن نتجاوز ما تناقلته كتب السيرة والحديث والتاريخ من صفات وملامح ، وتكوينات النبي محمد عليه الصلاةوالسلام ، وما حرصت عليه هذه الكتب من تجسيد حقائق الجمال التكويني في البنيه المادية التي تنطق باستواء البنية الروحية فيه ، ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها ، واحسنهم خلقا ، ليس بالطويل

الذاهب ، ولا بالقصير » وعنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين ، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه ، عليه حلة حمراء ، ما رأيت شيئا قط أحسن منه » رواه البخاري ومسلم ، وفي البخاري : وسئل البراء : « أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا . بل مثل القمر » . وفي حديث أم معبد المشهور لما مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، هو وأبو بكر ، ومولاه ، ودليلهم . وجاء زوجها فقال : صفيه لي ياأم معبد ، فقالت : « رجلا ظاهر الوضاءة ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هزر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن » . وروى أبو زرعة باسناده عن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للربيع بنت معوذ بن عفرا : صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يابني لو رأيته رأيت الشمس طالعة » رواه الدارمي .

فاذا انتقلنا إلى تأمل حفاوته صلى الله عليه وسلم بالجمال والجميل ، طالعنا قوله الجليل : « من الغيرة ما يحب الله ، ومنها ما يبغضه الله ، فأما التي يحبها الله : فالغيرة في الريبة ، وأما التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة ، وإن من الخيلاء ما يبغضه الله ، ومنها ما يحب الله ، فأما الخيلاء التي يحب الله : فاختيال المرء نفسه عند القتال ، وإختياله عند الصدقة . وأما التي يبغضها الله : فاختياله في البغي والفخر » رواه أبو داود والنسائي وأحمد .. كما يطالعنا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رجلا جميلا ، فقال : يارسول الله ، إني رجل حبب إلى الجمال وأعطيت منه ما تراه ، حتى ما أحب أن يفوقني أحد ، إما قال : بشراك نعلي ، وإما قال : بشسع نعلي ، أفمن الكبر ذلك ؟ قال : لا « ولكن الكبر من بطر الحق ، وغمط الناس » رواه أبو داود .. وليس يبعد عن استلهام النزعة الجمالية ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم من تحسين الأسماء الرديئة ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اسم عاصية فسماها جميلة » رواه الترمذي وابن ماجة وما كان يمارسه كذلك من ترجيل الشعر ، وسدله ، وفرقه ، أو التطيب والدهن ، ومخالة النظافة .. وما كان يأمر به من جمال الصحبة ، وجمال الحديث ، وجمال الوفاء ، وجمال المعاملة ، وجمال التفكير ، وجمال العبادة .. هذا تركيز على مجمل الجمال في مجمل حياة وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو شئنا لاستطردنا مع كثير مما تناقله التاريخ في هذا المجال .

نخلص إلى أن الجمال ، كالحب ، مصطلح ظلمه الاستعمال العرفي ، فأحجم حتى الفاهمون عن تداوله أو التعامل الفكري معه .. وأن الجمال ينبغي أن يظل مناط الاعجاز في الخلق الالهي ، لا أن يصير مناط التعلق الجسدي ، أو مناط الخلق في حقائق الأشياء .. وأن الجمال كما يتبدى في الطبيعة الصامتة ، والطبيعة الصائتة ، يتبدى كذلك في الكائن البشري الذي يعطى جماله لسانا ، فاذا هو يتحدث إلى الكون بآلاء واهب الجمال ، وإذا هو يحدد مسيرة العقل في اتجاهه إلى الأعلى ، بدءا من نقطة جمالية معينة ، وانتهاء إلى عالم الجمال والجلال والكمال !!

بأقلام القراء

يا شباب الأمة الوقت أمانة

بعث الينا الاستاذ خالد السيد علي بلاسي بهذه الكلمة :
ان الحقيقة المرة التي يعاني منها اسلامنا اليوم هي عدم فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولا عجب فتلك نهاية قوم سلكوا مسلكنا ولعل اول من ينظر إليهم إسلامنا هم الشباب ، والشباب بخاصة - إن جاز التعبير - وما ذلك الا لانهم القوة والفتوة ولديهم العقل الناضج والحيوية التامة ولا غرو ، فهم الذين نصروا رسولنا - صلى الله عليه وسلم - بينما خذله الشيوخ ، من هنا فإن واجب تربية الشباب - التربية السليمة - واجب لا مفر منه ، كي يحمل الامانة حمل الفعال لا حمل الحمال ، واول عامل يهز كيان شبابنا هو الوقت وقد يعجب البعض .. كيف ذلك ؟!!
ان الوقت نعمة من أجل النعم على بني الانسان . ذلك لأنه اغلى من الذهب لان الذهب اذا فقد فانه يمكن العثور على غيره والعكس - بالنسبة للوقت - كائن وصحيح ، حتى ان حساب المرء متوقف على وقته وهذا ليس بجديد فقد ورد في السنة :
« لن تزولا قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم افناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » ولخطورة عامل الوقت فقد ذكر مرتين ، ولعل للشباب وزمنه داعياً لذكره مرة بعد المرة .. المهم ان الوقت بمكان خطير في حياة الانسانية جمعاء لا في حياة الفرد فحسب وللعجب فلا يشعر بهذه النعمة الا الانسان . ان كان يشعر - لكن - والاسف يملأ الدنيا - اصبح الانسان يتفنن في قتل وقته في اللهو واللعب وفي الحقيقة هو لا يقتل وقته وانما يقتل نفسه فالانسان ما هو الا وقته فان استغل وقته الاستغلال السليم فاز وربح والا كان من الخاسرين ..
وما ربط العبادات بالاوقات الا شاهد مبصر على صدق تلك القضية :
﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ ١٠٣ : النساء
﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ ١٨٩ : البقرة
﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ ١٨٥ / البقرة

﴿الحج أشهر معلومات﴾ ١٩٧ : البقرة

﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ ١٤١ : الانعام

حتى ان العبادة في ذاتها لا تطلب من الشخص الا عند سن معينة فالامر ليس كما نرى اليوم .. فوضى .. ضياع للوقت .. قتل للفراغ .. لا .. ان الوقت هو حياة الانسان ووعاء الحياة وبعد :

فلعل الصورة وضحت في اذهانكم فهيا بنا لنرى ماذا يصنع شباب الاسلام في تلك النعمة ؟

لقد أضاع شباب الاسلام تلك النعمة العظيمة ولعل العامل الاساسي في ذلك هو اتباع الشباب لشيطانهم المريد ولكن كيف ذلك ؟

ان الشيطان المريد - لعنه الله - يعلم تمام العلم أن حياة الانسان موقوتة بالثانية وباللحظة ومن هنا فانه يريد ان يحقق مأربه المتمثل في قوله تعالى :

﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين﴾ ٨٢ و ٨٣ / ص

ولا يتحقق هذا المأرب الا بتضييع هذه النعمة العظيمة من مسلمي الدنيا كي يفوز فيما اراده .

ثم يأتي بعد ذلك شبابنا بأعمال هدامة مدعيا بأن ما يفعله هو قمة الحضارة ، لا والله انها لقمة القذارة ، فينشغل شبابنا بأشياء لا تفيد لا في الدنيا ولا في الاخرة بل لعلها القواصم لظهور شبابنا وفي النهاية يضيع الوقت دون ما جدوى ويسير عمر الشاب في شارع الحياة ويصطدم بموج المتاعب فيتحطم وينهار وما ذلك الا لانه اضاع وقته فهل نتنبه ..؟!!

ان شبابنا اليوم أضاع وقته وبضياع الوقت ضاع كل شيء ، لقد انصرفوا الى اللعب في وقت يعيش فيه المسلمون في رعب دائم ، والعدو يعبث بحرمات الاسلام ويعتدي على مقدسات المسلمين .

يا شباب الامة

وقتكم أمانة فنظموه كي يسعد الاسلام والمسلمون ولعل تنظيم الوقت عامل جد خطير في حياة كل شاب فعليكم باستغلال وقتكم وتنظيمه التنظيم الدقيق الذي يعود بالفائدة على الاسلام والمسلمين ، ولا يغرنكم طول الوقت فعقارب الساعة لا تسير الى الخلف واعداء الاسلام لاينامون فأستغلوا الوقت في تحصيل المعارف والعلوم كي نسد ونضيق على الشيطان بابه فننجو ويسعد الجميع .

واخيرا اقول بأن السعادة كل السعادة ما هي الا في العمل المرضي لربنا وخالقنا كي يمن علينا بتقواه

ولست ارى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

فأمامكم وقتكم ومعكم عقولكم فاستغلوا الوقت ولا تضيعوه حتى نصل الى تمام النعمة .

الشكوك المتصاعدة تحجب الرؤية الاسلامية

تحت هذا العنوان يقول السيد / فاروق عبد العزيز سلام :

اذا كانت حياة الرسول محمد « صلى الله عليه وسلم » والرسالة حافلة بالتضحيات الجسام .. والصبر .. والمثابرة ، في مواجهة عنت ومروق الطغيان الذي غمر الحياة .. واعداء الاسلام .. فإنها فاضت بالنور الذي عم الكون وبالضياء الذي غمر الحياة .. وامدها باعظم زاد ، واكرم عطاء .. وسما بنفوس البشرية وطباعها الى كل عظيم .. ونبيل .

ولكن - في مواجهة النفوس الامارة بالسوء ، والساعية لمآرب ذاتية تحكمها المصلحة والهوى ، تصاعدت شكوك مريبة .. وطغت افكار مادية بحتة تلح في اصرار عنيد .. تحجب حقيقة الرؤية الاسلامية في الامة العربية في مواجهة كيل الاتهامات المتبادلة .. وتخبط الآراء العقيمة .. التي دفعت بالالحاد والشرك الى أن يصول ويجول على أشلاء المسلمين .. ويسبح في بحور دمائهم الزكية .. كما هو الحال في افغانستان ..

ونحن في مجون الحياة بين الاحجام والاقدام .. تتسع هوة التردي - ومن ثم يزداد الموقف سوءا وتعقيدا .. ويصبح غير قابل لتحقيق التقارب الروحي - طالما نحن في غينا سادرون نهمل تعاليم ديننا الحنيف بنظريات مستوردة تجعل سلوكنا محكوما بسياسة التبعية .. لاننا تعامينا بصرا وبصيرة عن قول الحق :

﴿ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ المائدة ٤٩ وليعلم العرب والمسلمون ان ريح التربص التي تهب عليهم . ان لم تجد من المقاومة .. والتحدي ما يدفع بها في اتجاه مغاير .. فسوف تتحول الى اعصار ومدمر

○ وعلينا (حكاما وقادة وشعوبا) أن نتربص بأعدائنا ..

○ ﴿قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾ الطور/٣١ حتى يتحقق فينا قوله تعالى : ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾

○ وليدرك العرب والمسلمون : ان اي مشكلات مصطنعة يمكن ان تؤثر على سلامة وامن امتنا ووحدتها .. هي مصيبة في ديننا ، لانها تفرق بنا السبل ، وتجعلنا فريسة سهلة ، وصيدا ثمينا لأعداء الحق . .

كذلك يؤثر النزاع الناتج عن تصادم المصلحة الشخصية والنفع الذاتي على مصالح الجماعة ووحدة المسلمين .. وفي هذا يقول الله تعالى :

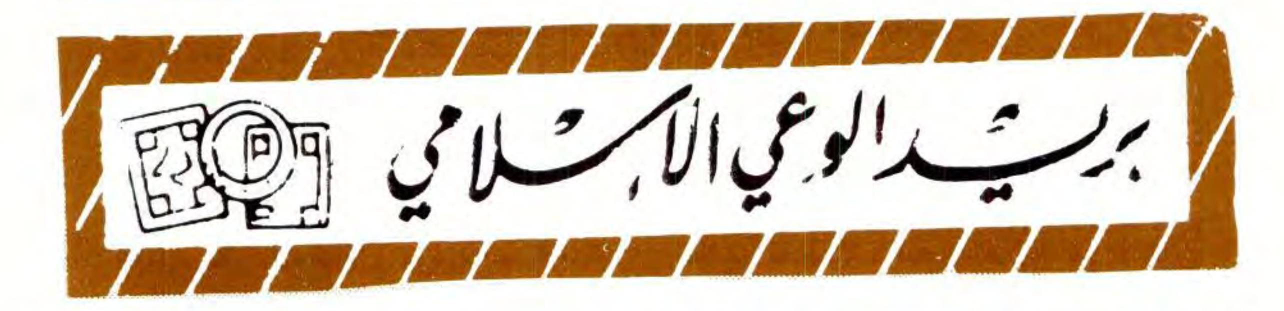
﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾

الامر الذي يدعو الى تدخل العقل والحكمة لوقف الاقتتال بين المسلمين وتضافر الجهود العربية والاسلامية لوقف حمامات الدم .

وايضا يدعو الى وحدة امة العرب والاسلام لتحقق القوة المؤمنة ..

واخيرا ان ابتعادنا عن الاسلام وشرعه خيانة ستجر علينا الكثير من الهزائم .. والخسران المبين وستجعل المخاوف تطغى على كل تصرفاتنا . وستكون وبالا .. وعاقبة المصير سيئة ..

فهل آن الأوان لأن ينقشع ضباب الشك ، ونسلم قيادنا لله طائعين .. ونعمل بكتابه المجيد وسنة نبي الرحمة ؟!.



مرة اخرى
شبابنا .. والتبشير المسيحي

كنا قد اثرنا هذا الموضوع في اعقاب رسالة وردت من القارىء رمضان الفارس ـ من تونس وكان ذلك في عدد جمادى الاخرة ـ رقم ٢١٠ لسنة ١٤٠٢هـ .

ودار الحديث حول ما يقوم به المسيحيون من التبشير والدعوة لما هم عليه من فساد . وانهم لا يدخرون جهدا في سبيل ذلك حتى وصلت كتيباتهم « دروس بالمراسلة » الى بلاد المسلمين واصبح من المألوف ان يحمل الينا البريد هذه الكتيبات « بدون طلب » و « بدون مراسلة » . » وذاك واقع ..

وقلنا : ان واجب المسلمين ان يقاوموا ذلك .. وان يعملوا للدعوة الاسلامية .. وهم على الحق .. وان يجندوا جزءا من اموالهم للدفاع عن الاسلام ، ونشر مبادئه السمحة .. وجسمنا الخطر الذي يواجهنا بنشر صورة النموذج الداعي الى المراسلة حتى تصل المرسل الرسائل والكتيبات التبشيرية المسيحية بالمجان .. وذلك حتى يعرف القارىء اننا نواجه عدوا حقيقيا .. وليس ما نقوله مجرد كلام ..

وبعد : انقسم القراء تجاه ما قلنا الى فرق ثلاث :

الفرقة الاولى : لم تفهم ما قلناه بعد ان قرأت .. ولا شأن لنا بهؤلاء .. فالذنب ذنبهم .. او هم لم يكلفوا انفسهم عناء القراءة والفهم .. وننصحهم بمعاودة المطالعة .

الفرقة الثانية : مؤيدة لما قلناه غير انها حذرة متشككة ورأيها انه ما كان ينبغي لنا ان ننشر صورة « دروس بالمراسلة » ويمثل هذا الاتجاه الاستاذ احمد حامد .. فكان مما قال :

● لقد حزنت اشد الحزن لمساهمتكم في الدعوة للمسيحية .
● كان المفروض ان تنشر رسالة

القارىء فقط .
● ويرى ان المسيحيين يستغلون غيرة البعض منا على دينه ، فيرسلون ما يرسلون باسماء اسلامية وهمية لينشروا نشاطهم من خلال الصحف والمجلات الاسلامية .
● واخيرا يرجو الا نقع في هذا مرة اخرى .

وباختصار نقول للاستاذ حامد .. مع تقديرنا له ككاتب وصحفي اسلامي ، غيور على دينه ، كما يقول في رسالته .
اولا : ان اساليب التبشير المسيحي ليست في حاجة الى دعاية منا .. فهي منتشرة بشتى الاساليب والصور .. عن طريق الافلام ، والاذاعات ، والتلفزيون ، والصحف ، والمجلات ، والنشرات ، وصناديق البريد .. وان الذي قلناه هو دعاية مضادة وليست دعاية لهم ، وتحذير من خطرهم ، وسوء مسلكهم .. وليس وراء ذلك شيء اخر . فلا تحزن صديقي .

ثانيا : نشرنا ما نشرنا حتى نعرف بموطن الخطر فنحذره ، ونعرف من أين يأتي فنقاومه ، ونوجه دعايتنا ضده ، ونبين زيفه وباطله ، حتى لا يقع شبابنا في شراكه ..
وهذا هو هدفنا .. ودعونا الى ان يجند رجال الدعوة الاسلامية طاقاتهم من اجل الذود عن حياض الاسلام ، ونشر تعاليمه الحقة ، وينفق الأغنياء منا بعض اموالهم في سبيل ذلك لتكون لهم مثاقيل في موازينهم يوم الحساب ، ونطالب بطبع كتيبات اسلامية تعالج قضايا معاصرة ، وتأخذ بيد الشباب الى دائرة الهدى والرشاد ..
ثالثا : ونطمئن الأخ الاستاذ احمد حامد بأن الأخ رمضان الفارس .. صديق قديم للمجلة ، ويراسلنا باستمرار .. فهو شخصية حقيقية ، وليست وهمية .. والذي يهمنا اساسا هو الموضوع الذي نناقشه ، ونعرضه ، واذا حاول البعض استغلال غيرتنا الاسلامية ، فلن يجد ذلك منها ، وما ينبغي لهذا الاستغلال ان يوقف نشاطنا الاسلامي .. ونحن على يقين من ان المسلم فطن يميز الخبيث من الطيب ، ويعرف الدافع الحقيقي ، ويدرك المكر والخداع ، وله من سلامة الطوية ، وصفاء العقيدة ، وقوة الايمان ، ما يجعله في مأمن من مكر الصليبية ، وحقد اليهود ..
وها نحن نقول .. ليكون شبابنا على بصيرة مما يدور حولهم ..
رابعا : اننا لم نقع في فخ ، ولم نصب بالغفلة ، ولم ندع الى صليبية .. حتى تحذرنا من الوقوع مرة اخرى . بل ازلنا شبهات ، واتصفنا باليقظة والحذر ، ونبهنا الى اوكار الشر .. ودعونا الى مخاطبة الناس بالعقل والحكمة ، وان يقف وراء الدعوة الاسلامية من يمدها بالمال اللازم حتى تؤدي دورها على اكمل وجه .. ولذا ترانا لن نألو جهدا في الكشف عن وجه الكفر القبيح ، وبيان زيفه ، وضلاله ، هذا مع تقديرنا واعتزازنا بالأخ الاستاذ احمد حامد ، وملاحظته موضع اعتبار فيما اذا كان هناك ما

يستدعي ذلك ، وتبقى النوايا الطيبة هي الدافع من وراء كل جهد مخلص .

ومن الله نستمد التوفيق والعون .

الفرقة الثالثة : مؤيدة لما قلناه ونشرناه بلا خوف ولا حذر ، بل وعلقت عليه واضافت اليه ، ويمثل هذا الفريق الأخ/زين احمد

حسانين .. وكان مما قال :

وكثير من الدول ترسل الكتيبات المسيحية مجانا الى من يريدها ، ولقد نشرتم انتم في مجلتكم الوعي الاسلامي في العدد رقم ٢١٠ في بريد الوعي الاسلامي رسالة الصديق/رمضان الفارس وان دل هذا على شيء فانما يدل ما يدبره الحاقدون ضد الاسلام والمسلمين ، ونحن للأسف لا نأخذ عبرة مما يحدث حولنا . فلماذا لا نبذل نحن المسلمين جهدا وفيرا لنشر ديننا الحنيف .

وديننا هو الصالح لكل زمان ومكان . لماذا لا نوزع كتيبات اسلامية فيها ما ينفع المسلمين في عصرهم هذا ، لماذا لا نوزعها مجانا على فقراء المسلمين عن طريق المراسلة مثلا ؟

إني أحيي فيكم هذه الروح الاسلامية الوثابة ، واقدر هذه اليقظة من مجلتنا « الوعي الاسلامي » وأرجو أن ترسلوا الكتب عن طريق البريد لكل من يريد المزيد من تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، ولكي يصل شبابنا الى المزيد من الوعي وايقاظ الروح الاسلامية .

واخيرا انني شاب مسلم يريد النصرة لدينه ، وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خيرا .

ونكتفي بهذا القدر .. والله ناصر دينه ولو كره الكافرون .

مقالات مختصرة

جاءت عدة رسائل من بعض كتاب المجلة وقرائها من اكثر من وطن عربي اسلامي يدعو اصحابها الى ان تكون المقالات المنشورة مختصرة بقدر الامكان ، والا تزيد عدد صفحات المقالة الواحدة عن ست صفحات ، ويرى البعض الاقتصار على ثلاث صفحات فقط .

ونقول للأخوة القراء والكتاب الذين عابوا على المجلة نشرها لابحاث طويلة ومقالات تجاوزت عدد صفحاتها العشرين صفحة .. نقول لهم :

ان المجلة كانت وما تزال حريصة على الا تنشر مواضيع متسلسلة الحلقات .. حتى لا تضيع قيمتها العلمية وفائدتها الفكرية عندما ينتظر القارىء شهرا كاملا حتى يتابع ما بدأ قراءته قبل شهر ، وقد يأتي النسيان على ذاكرته فلا يتذكر شيئا مما قرأه ..

ويضطر لمعاودة القراءة من جديد .. وهكذا .. هذه واحدة .

والاخرى ان المجلة عندما تنشر موضوعا مسلسلا فانها تلتزم بالنشر لكاتب واحد لمدة قد تصل الى ستة شهور او اكثر .. وبذلك تضيق المساحة المتاحة امام نشر مواضيع اخرى لكتاب اخرين ..

ومن هنا فان المجلة رأت ان تنشر المقالات والابحاث دفعة واحدة تحقيقا للفائدة وبعدا عن التجزئة المخلة .. وبعد ذلك ناشدت المجلة كتابها الاختصار ما امكن عند كتابتهم لان كثرة الكلام ينسي بعضه بعضا ، وخير الحديث ما قل ودل .

ونطمئن القراء الى اننا لن ننشر مقالات طويلة الا في الحدود الضيقة جدا ، وحسب اهمية الموضوع المطروح للبحث .. ونناشد كتابنا الاعزاء ان يتعاونوا معنا في ذلك .. والخير نريد .. وبالله التوفيق .

« الاقتصاد الاسلامي »

حمل الينا البريد هذه النشرة العلمية المتخصصة في الأمور الاقتصادية من الوجهة الاسلامية ، تصدر عن بنك دبي الاسلامي في مطلع كل شهر عربي .. وقد جاءت الاعداد التي صدرت حتى الان حافلة بشتى المواضيع التي تهم المسلمين في تجارتهم ومعاملاتهم وبيعهم وشرائهم .. يشرف على كتابة هذه المواضيع علماء مسلمون متخصصون في علوم الاقتصاد وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض هذه المواضيع :

- الاقتصاد الاسلامي وعلم الاقتصاد الحديث

- الادارة في الاسلام

- عقد التأمين في ضوء الشريعة الاسلامية

والوعي الاسلامي اذ تنوه بايجاز لهذه النشرة انما تفعل ذلك انطلاقا من واجبها الاسلامي تجاه كل قضايا المسلمين المعاصرة وتقدم شكرها الجزيل للاخوة القائمين على اصدار هذه النشرة لما يبذلونه من جهد في خدمة الاسلام والمسلمين .. والله الموفق ..



احـــراق الاقصى .. الى متى ؟

ان امتنـــا الان تـعـــاني مـن الخلافات والفرقة وتثقلها هموم الاحزاب والاراء والعدو امـامنا يعتز ويخلص لعقيدته الباطلة ، ويفدي نفسه وماله من اجلها بعدما بث في القلوب المريضـة الخوف والرعب من تقدمه التكنولـوجي وصناعته للقنابل الذرية . ونحن لدينا ترسانة من الاسلحة لو وزعت على العالم لكفته ، وزراعة وصناعة لو القيت في البحر لفاض وطغى على الارض . مـاذا يريـد المسلمون ؟ اعطاهم الله من النعم ما لا يحصى ولا يعد ، فكيف لشرذمة من المرتزقة اليهود ان ينجسوا ديارهم ويعبثوا بأعراضهم ويسفكوا دماءهم وهم سـامدون لاهـون وكـأن الغيـرة الانسانية والاسلامية انعدمت في نفوسهم ، ولماذا لا يخلصون لدينهم كما يخلص اليهود الى اعتقادهم ، بل لماذا بعض المسلمين ليس لديه الوطنية والولاء لاهله وعرضه ؟ ذلك والله العجب .. نسوا دينهم الذي هو عزتهم ودعوا الى احزاب الشياطين وما تملي لهم الاهواء الضالة ومصالحهم الفاسدة . لماذا لا تفتح ابواب الجهاد تحت كلمة لا اله الا الله ، والله اكبر . يقودها مسلم براية خفاقة لا تـدعو الى حمية ، مرجعها الكتاب والسنـة واثر الصحابة والتابعين ؟ نحن لا نسمع الا نداء الجهاد والابواب مقفلة تنادي هل من قائد يحمل الراية وينظم الجيوش في نظام تتشامخ له الانوف وتعز به الهمم ، هذا هو الاسلام الذي نريده .

عن القبس الكويتية

القدس يستصرخكم

تطالعنا الصحف اليومية والنشرات الاخبارية الاذاعية بتهديد دولة صهيون « لعنة الله عليهم » بغزو جنوب لبنان والقضاء على مراكز الفدائيين وملاجىء الفلسطينيين .

ولكي نعلم قوة هذا الهجوم وشدته

ننظر الى مقدار ما حشدته اسرائيل من قوات يهودية على طول حدود لبنان الجنوبية ، وكل الصحف ذكرت مقدار هذه القوة الكبيرة .

ثم يعلن اليهود بكل جرأة استعدادهم لغزو جنوب لبنان ومراكز القوات المشتركة ، كأنها تستهزىء وتسخر من طول باعنا في الجهاد .

ان العرب لو يفهمون ما في اعلان اسرائيل بغزو جنوب لبنان وتهديدنا بذلك ، لعرفوا ما يتضمنه ذلك من سخرية واستهزاء بالعرب وقواتهم المكدسة الى اجل غير معلوم .

متى نستيقظ يا عرب ؟ متى تحين الساعة ونضرب الطغاة في عقر دارهم ؟ متى ومتى ومتى ولن يحدث شيء الا بالرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه .

عن ثوبان رضي الله عنه قال :ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :« لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي امر الله وهم كذلك » .

والحديث معناه انه لا تزال هناك جماعة من الناس منصورين على اعدائهم ما داموا ملتزمين بالحق حتى قرب يوم القيامة . فهل نكون نحن هؤلاء ؟ ندعو الله بذلك .

ولعله كان من الافضل بدلا من الاحتجاج والتشجيب على المجزرة التي حدثت في الحرم الشريف ارض الاسراء والمعراج ، والشكوى الى هيئة الامم وطلب ادانة اسرائيل ، التي يعلمون انهم وان حققوا الادانة وما هم بمحققيها الا باذن الله ، فلن تستجيب لها اسرائيل او حليفتها الولايات المتحدة ، وقد كنت اعتقد ان العرب قد استفادوا من طول الخبرة في هيئة الامم ومجالس الامن لدورهم البارز في طلبات ادانة اسرائيل وتوقيع العقوبات عليها بسبب جرائمها المتعددة على العراق وسوريا ولبنان وداخل فلسطين نفسها ، واسرائيل في كل هدا "واضعة في بطنها بطيخة صيفي" ولا تهمها الادانات ولا قرارات مجلس الامن لانها معتمدة على حق الفيتو لأمها الولايات المتحدة .

الافضل من ذلك كله ، بل الافضل من اعلان الاضراب تضامنا مع الشعب الفلسطيني في يوم الاربعاء ، هو ان نعود الى حظيرة الايمان ، ونوحد الصفوف ونقضي على الخلافات الداخلية وندعو الى حمل السلاح والجهاد في سبيل الله ونعلن الجهاد المقدس والحرب على عدو المسلمين وعدو الله من الازل البعيد ، وعلينا الاعتماد على الله خير العماد وصدق رسول الله اذ يقول :« لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها » .

كم فرحت عندما سمعت ان العرب والمسلمين يساندون الشعب الفلسطيني ويعلنون التضامن معه ، ولكن سعادتي وفرحتي لم تدم ولم تلبث ، كأنها وميض برق وزال عندما سمعت ان ذلك سوف يكون عن طريق الاضراب لمدة يوم واحد .

وكان من الاجدر بالعرب بدلا من ان يمر ذلك اليوم بلا فائدة ، ان يجلسوا مع بعض ويتشاوروا ويتباحثوا في كيفية رد الاعتداء الصهيوني الغاشم على الحرم الشريف معتمدين على الله وعلى امكاناتهم الهائلة . يا شباب العرب ان

القدس يستصرخكم ويستغيث بكم ـ وهو يعلم النتيجة سلفا متمنيا من الله ان تتغير احوال المسلمين العرب ويهبوا لنجدته فاغيثوه وانصروه ينصركم الله قبل ان يستفحل خطر اليهود وينتشر كالسرطان اللدود ، والقدس لم يقطع فيكم الأمل فما زلتم من جيشه ولحمه ودمه ، ام ان الترف والبطر قد غيركم ،

إن القدس يصرخ ويستنجد بكم منذ اكثر من ثلاثين عاما وانتم لا تفعلون شيئا فهل حان وقت الجد والعمل ، ام مازال هناك مجال لانتظار قرارات هيئة الامم ومجلس الأمن .

عن القبس الكويتية

الاسلام جبهة صلبة في الشرق الاقصى

مندناو ، والمسلمون في الفلبين :

مندناو ، هي ثاني اكبر جزر الفلبين ، تقع في الجزء الجنوبي ، مساحتها ٣٦,٥٣٧ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها : ١,٨٩٨,٠٠٠ نسمة ، وينمو عدد سكانها بسرعة ، وتضم الكثير من القمم العالية الى ما فوق الخمسة الاف قدم ، مثلا (جبل آيو : ٩٥٤٠ قدما) وهو اعلى قمة في الفلبين ، وفيها سهول ومروج متسعة خصبة في وديان الانهار كنهر (مندانو) في (كوتاباتو) وحول نهر (اغوسان) ، وهنالك سهول ضيقة على الشواطىء تحيط بالجزيرة ، وتتسع قرب (دافو) ـ وهي اكبر مدنها ـ وباغاديان ، ومعدل الامطار فيها يبلغ الفي ملم سنويا .

تعتبر الجزيرة جبهة الفلبين الرئيسية وقد ازدادت الهجرة اليها عام ١٩٢٠ وازدادت اكثر عام ١٩٣٩ وما بعده تبعا للحرب الثانية ، حيث جاءها المهاجرون من سيبو ومانيلا .

واهم محصولاتها : القمح والارز وجوز الهند والقنب وياتي القطن والقهوة والكاكاو في المرتبة الثانية ، وانتاج الاخشاب عال لاسيما في اغوسان ومقاطعة زامبونكا ، وفيها احتياطي واسع من الحديد .

واكثر سكانها من المسلمين ، ويمتاز مسلمو الفلبين بالامانة والنزاهة وقوة الشكيمة ، وطالما ازعجوا المستعمرين والسلطة الظالمة التي تريد القضاء عليهم ، ولقد اكسبتهم حياة الادغال والحروب الكثيرة التي مروا بها مزيدا من الخبرة في حرب العصابات والقوة في التمسك بالحق والسعي الى اقراره ، ولقد كان منهم ابطال مجاهدون ، ومازالوا في مواجهة التعصب الذميم ضدهم يحققون صمودا عجيبا وقوة لا يستهان بها .

عن الرأي العام الكويتية

نداء الى العالم الاسلامي

أنقذوا صرح الدين والعلم في الهند

ناشدت المنظمة الاسلامية العالمية في نيودلهي بالهند ضمير العالم الاسلامي التحرك لانقاذ الجامعة الاسلامية « دار العلوم بديوبند » من موجة العداء التي تواجهها من بعض الفئات والطوائف الهندية ، وقالت المنظمة الاسلامية في رسالة بعثت بها الى « الوطن » ان الجامعة هناك لا تزال مغلقة منذ اواخر شهر مارس الماضي اثر الحوادث المفتعلة التي وقعت في الحرم الجامعي يوم ٢٤ مارس الماضي وتسببت باصابة عدد من الطلبة والموظفين بجراح ، واعتقال عدد اخر من الاساتذة والمدرسين .

واوضحت الرسالة الواردة لـ « الوطن » بأن الصراع بين بعض ابناء الجالية الاسلامية في الهند قد سمحت للعناصر المندسة بافتعال المشاكل والتدخل في الشؤون الداخلية للجامعة الاسلامية واضافت الرسالة : ان رغبة البعض في احكام السيطرة على الجامعة ورغبة بعض اعضاء الحزب الحاكم في تعطيل هذا الصرح الاسلامي ، وكذلك الميل الدائم لدى بعض الفئات الحزبية والسياسية الاخرى لتخريب اي نشاط او جهد اسلامي ناجح ، كل هذا جعل من احداث ٢٤ مارس الماضي خطرا يهدد بشل كل عمل يعود بالفائدة على الاسلام والمسلمين في الهند .

وادانت الرسالة عضو البرلمان الهندي المدعو اسعد مدني ، الذي استخدم انتسابه للحزب الحاكم في جني المكاسب الشخصية من خلال السيطرة على الجامعة الاسلامية ومؤسساتها المختلفة ، وكذبت ما يدعيه هذا النائب من صلة بالمدينة المنورة ، واكدت انه مواطن هندي الاصل ومن مدينة فيض اباد ، يعمل جاهدا على تنصيب نفسه زعيما دينيا وسياسيا للجالية الاسلامية في الهند .
هذا واكدت الرسالة الواردة من ديوبند على ان الجامعة الاسلامية هناك ، قد مضى على انشائها ١٢٠ سنة ، كانت خلالها مركزا للاشعاع الثقافي ، وقد تلقى الطلبة والدارسون خلال الاجيال الماضية في هذا المركز علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واصول الدين الاسلامي الحنيف والشريعة السماوية السمحة ، واصول الفقه واللغة والادب ، اضافة الى تخريج عدد كبير من الاطباء .

عن جريدة الوطن الكويتية

البحرين : انشاء « بيت القرآن » بكلفة مليـون ونصف مليون دينار

دعا الدكتور عبد اللطيف كانو وكيل وزارة الاسكان في دولة البحـرين المسلمين الى دعم مشروع انشاء بيت القرآن الكريم في البحرين والذي بدأ العمل فيه مؤخرا على ان يفتتح في شهر رمضان المقبل .

وقال عقب زيارته للبلاد ان هذا المشروع يمثل مؤسسة دينية ثقافية حضـارية هـدفها افـادة المسلمين وطلاب العلم في جميع انحاء العالم .

واضاف بان المشروع سيضم كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من مصاحف ومخطوطات وترجمات ومطبوعات في مختلف اللغات العالمية . واشار الى ان هذا المركز الديني يتألف من خمسة اقسام هي : مسجد للصـلاة وحفظ القرآن ، ومكتبة اسلامية جامعة ، ومتحف يتكون من خمس صالات للعرض ، ومدرسة لتحفيظ وترتيـل القرآن ، وقاعة للاجتماعات وإلقاء المحاضرات اضافة الى مكتب لتأمين الخدمات المـرتبطة بنشـاط المركـز ومتطلباته .

وقال ان هذه الفكرة بدأت منذ عشر سنوات وذلك من منطلق ثقافي .. وقد كانت هوايتي اقتنـاء المخطوطـات القرآنية من مختلف انحـاء العالم وجمعت منها ما يقارب ١٥٠٠ وحدة قرآنية معظمها نادر الوجود .

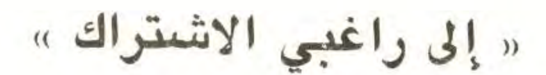
وتابع الدكتور كانو قائلا : « بعدها فكرت بأهمية حفظ هذه المجموعة النـادرة ووضعها بتصـرف العالم الاسلامي لينهل منها كل محب ومهتم بهذا الدين العظيم » .

وحول كيفية حصوله على مجموعة المخطوطات القـرآنية النـادرة قال : « كنت اسافر كثيرا وعند وصولي الى بلد ما ، كنت ابحث فيها عن هذه المخطوطات وافتديها » .

اما عن المصاعب التي واجهته في عمله قال : « انها مصاعب بديهية حيث ان القرآن الكريم عزيز ومقدس ولا يقدر بثمن ويستحيل العيش بدونه لان مجرد وجوده في البيت بركة وخير كبير ..

وعن تكـاليف المشروع .. قـال الدكتور كانو « التقديرات الموضوعة للمشروع تبلغ حوالي مليون ونصف مليون دينار بحريني تم حتى الآن جمع نصف مليون دينار منها من اهل البحرين ونعمل على جمع باقي المبلغ عن طريق الاكتتاب من المسلمين في جميع البلدان الاسلامية والعربية .

عن جريدة الوطن



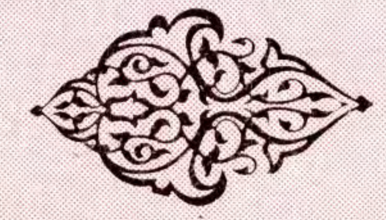
« إلى راغبي الاشتراك »

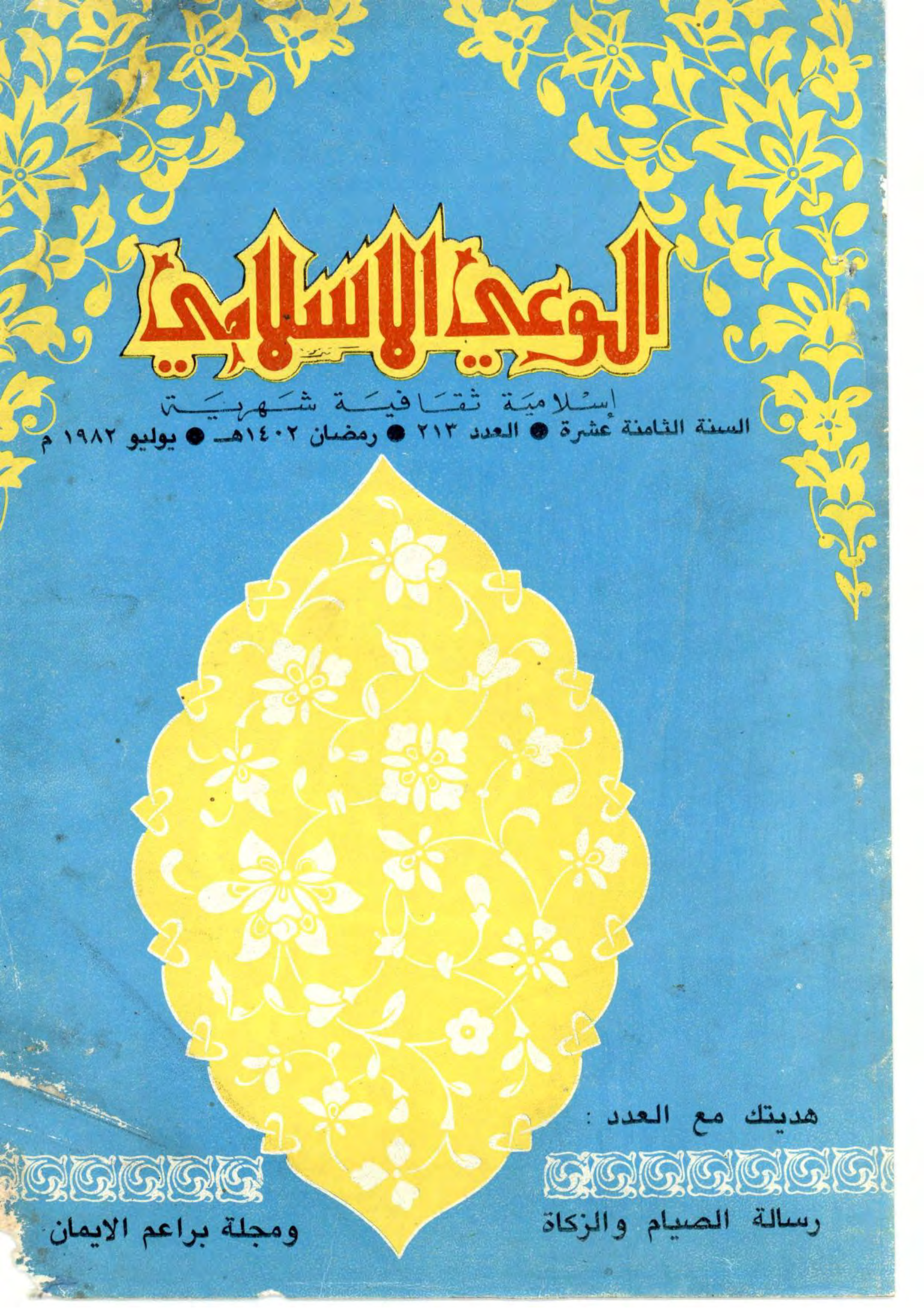
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

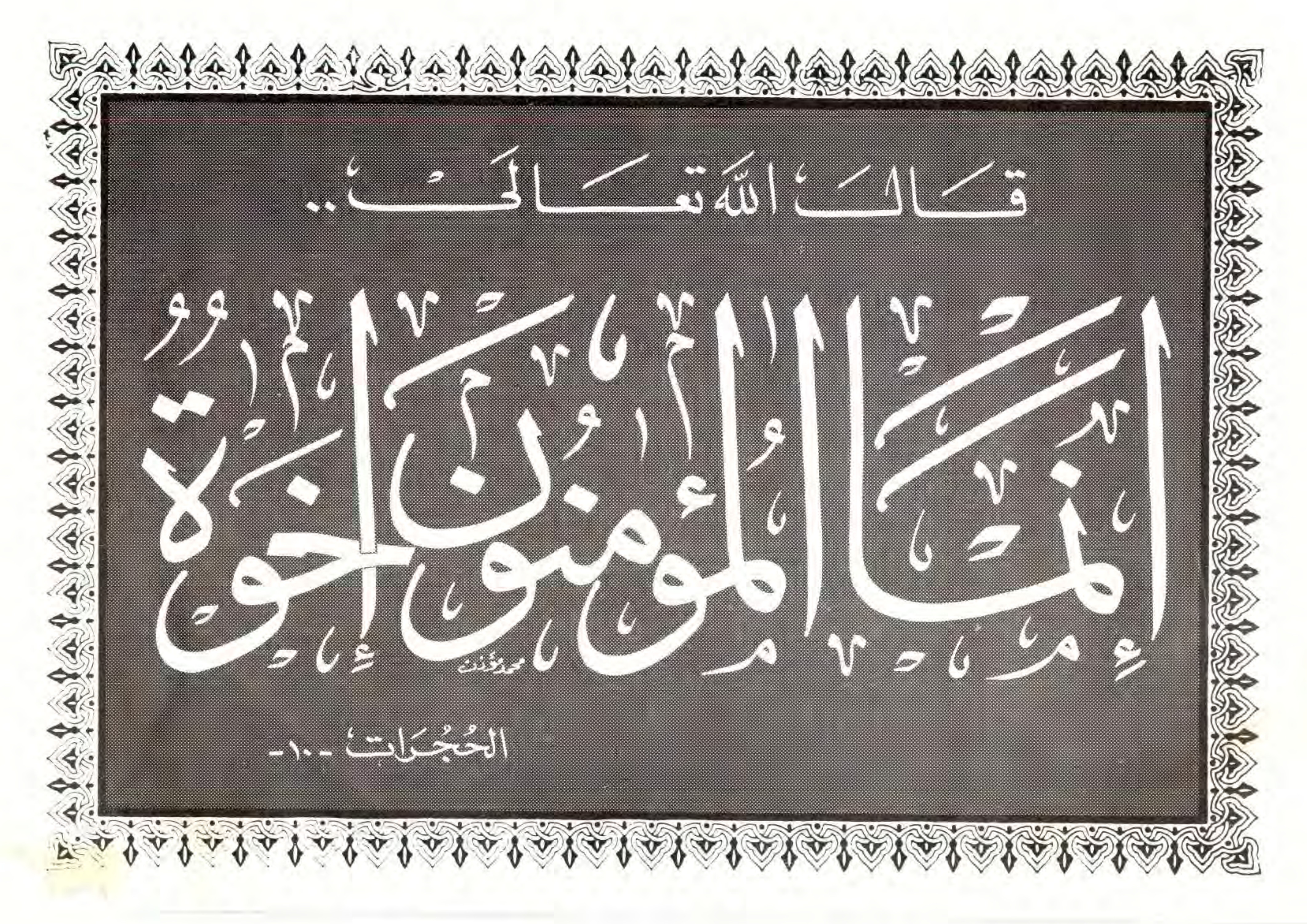
مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد




الوعي الاسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
السنة الثامنة عشرة ● العدد ٢١٣ ● رمضان ١٤٠٢هـ ● يوليو ١٩٨٢ م
هديتك مع العدد :
رسالة الصيام والزكاة
ومجلة براعم الايمان


قال الله تعالى..
إنما المؤمنون إخوة
الحجرات -١٠-



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٣ ● رمضان ١٤٠٢هـ ● يوليو ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيـدا عن الخلافـات المذهبيـة والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميـة بالكويـت في غرة كل شهـر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقـاف والشئـون الاسلامية
صندوق بريد رقـم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقـم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطـر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغـرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



المسلمون وفريضة الصيام

فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام فقال تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**).

وعده رسول الاسلام محمد (ﷺ) من الأركان الخمسة التي يقوم الاسلام عليها فقال : (بني الاسلام على خمس:شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا)

والمسلمون أمام فريضة الصيام أنواع :

منهم من تجري كلمة الاسلام على ألسنتهم دون أن يكون لها أثر في قلوبهم ، فيلقون أسماعهم لكل هاجس غريب عن الاسلام ، مخالف لتعاليمه .. وهؤلاء يرون الصيام حرمانا لا فائدة فيه ، وتقليدا دينياً لا مسوغ له مع تقدم الحضارة وتطور الفكر الانساني الذي يأبى قيود الصيام ، ومن ثم فهم يفطرون في رمضان ، ويسخرون بعقول الصائمين وتفكيرهم » ويوم يقف هؤلاء بين يدي الله للحساب لن يجديهم أنهم تسموا بأسماء المسلمين ، ودرجوا معهم في تعداد المواليد .

ومنهم من يؤمنون بفريضة الصيام ، ولكن تخور عزائمهم إزاء الجوع والعطش في نهار رمضان فيفطرون مستخفين من الناس ، ولا يستخفون من الله وهو معهم .. ونذكر هؤلاء بأن من يضعف عن تحمل تبعات الايمان ، وينهزم أمام صبر ساعات في نهار رمضان ، يكون أشد ضعفا ، وأكبر هزيمة أمام تحمل الكفاح في مختلف شئون الحياة .. ذلك أن المنهزم في ميدان صغير ليس أهلا لأن يحرز النصر في ميدان كبير ، ومن ضعف عن تحمل الجوع والعطش ساعات ينطلق بعدها الى تناول ما أحل الله من الطيبات ، لا يمكن أن يكون انسانا يرجى في معارك الحق والشرف ، أو يعتمد عليه في مواطن الشدة والبأس .

ومنهم من يرون شهر الصيام موسما سنويا للموائد الزاخرة بألوان الطعام في كل ليلة ، وللسهر واللهو أكثر الليل ، والقعود والتراخي والكسل في النهار الى قبيل غروب الشمس ، وهؤلاء يخطئون الطريق في تقدير شهر الصيام ، ويفوتهم الفهم الصحيح لما خصه الله به ، فيمضي عليهم الشهر وقد زودوا أنفسهم بالخطايا !!

أما المؤمنون الصادقو الايمان ، فيدركون أن الله تعالى جعل شهر رمضان فترة تدريبية تجدد في نفوس المسلمين الصبر على المكاره ، والطاعة الخالصة لله ، والنظام في شئون الحياة ، والعطف على الفقراء والبائسين .. كما تعبىء فيهم القوى النفسية والخلقية ليسيروا في الحياة أعزة لا يقبلون الذل ، وكراما لا يرضون المهانة ، وأباة يرفضون الضيم ، فتصلح بهم الأوضاع ، ويتحقق بجهادهم النصر ، وتسعد بسلوكهم المجتمعات .. وأولئك هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان ، وتتلقاهم الملائكة بالبشرى والسلام ، وأولئك هم الذين فهموا من كتاب الله وسنة رسوله ما سدد خطاهم على طريق الحق ، فانتهزوا فرصة حلول شهر رمضان ، وكانوا صائمين لنهاره ، قائمين لليله ، مكثرين فيه من الدعاء ، ومن البر والعطاء . وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتحدث عن أبواب الخير المفتحة للصائمين في رمضان ، التي تسعد من يغتنم ما فيها . ومن الغيض في هذا المجال أنه (ﷺ) خطب صحابته يوما وكان مما قال : « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ،من أدى فيه خصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الخير ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة

ماء أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار . فاستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله الا الله وتستغفرونه . وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما ، فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار »

وفي حديث آخر يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل رحمته ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى الى تسابقكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل »

هذا هو شهر رمضان كما بينه رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، يمد الله فيه يده للمؤمنين ، ويبسط رحمته على المستجيبين ، ويمنح غفرانه للمذنبين التائبين فلنعد أنفسنا لاغتنام فضله وخيره ولنستجب لأمر الله تعالى (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) .

ولندائه جل شأنه في قوله (**يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون**) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



نزل القرآن مفرقا ، وفي أوقات متباعدة ، وتاريخه هو تاريخ الرسالة المحمدية ، ومدته هي مدتها أو قريبا من ذلك .

وقد صرح القرآن بأن نزوله كان في رمضان ، وفي ليلة القدر منه على الخصوص كما قال تعالى :
(**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**) البقرة/ ١٨٥ .
وقال : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) القدر/ ١ .

وأكد ذلك بالنسبة الى الليلة المذكورة قوله في الآية الأخرى :
(**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**) الدخان/ ٣ .

ورمضان مختص بانزال الكتب السماوية السابقة ، فقد جاء في مسند الامام أحمد من حديث وائلة بن الاسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله تعالى القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » .

ومعنى إنزاله لاربع وعشرين خلت أنه نزل بعد تمام أربع وعشرين ليلة فيكون انزاله في ليلة خمس وعشرين .

وهذه الكتب المنزلة ما عدا القرآن نزل كل منها على الرسول الذي نزل عليه جملة واحدة .

وأما القرآن المجيد فمعلوم أنه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مفرقا من حين رسالته الى قرب وفاته ، بيد أن ظاهر هذه الآيات يدل على أنه نزل كله جملة واحدة في ليلة من ليالي شهر رمضان ، وهو أيضا ظاهر حديث وائلة السابق .

وهذا يثير في النفس تساؤلا :

كيف يتسنى القول بنزول القرآن كله جملة واحدة مع ما هو معلوم يقينا من أنه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مفرقا في اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر تقريبا ، حتى أن الكافرين قالوا كما حكى الله تعالى عنهم في سورة الفرقان/ ٣٢ : (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**) .

وقد يجيب بعض الناس عن هذا التساؤل فيقول : ان الذي أنزل في ليلة القدر انما هو أول القرآن نزولا وهو قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ١ ـ ٥ فيكون قوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**) معناه شهر رمضان الذي ابتدىء فيه إنزال القرآن ، وقوله : (**إنا أنزلناه**) معناه إنا ابتدأنا إنزاله .

وهذا الجواب ليس بسديد لأنه فيه حمل الآيات على غير ظاهرها والجواب السديد هو ما أجاب به ابن عباس في آثار صحيحة مروية عنه نكتفي منها بما يلي :

اولا : أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي » صلى الله عليه وسلم ومعنى قوله « فصل القرآن من الذكر » أن الملائكة كتبوا القرآن المجيد نقلا من اللوح المحفوظ ثم أنزلوا ما كتبوه الى مكان في السماء الدنيا يسمى بيت العزة .

ثانيا : أخرج النسائي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد في عشرين سنة ». وقوله « في عشرين سنة » فيه ايجاز بالاقتصار على ذكر العقدين الكاملين وحذف الكسر وهو سنتان وخمسة أشهر تقريبا .

ثالثا : أخرج ابن مردويه والبيهقي وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله عطية بن الاسود ، فقال : وقع في قلبي الشك قول الله تعالى : « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** » وقوله : « **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** » **وقوله** :« **إنا أنزلناه في ليلة القدر** » وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : « إنه انزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام » ، وقوله : « وقع في قلبي الشك » لا يقصد به حقيقة الشك ، فان القرآن لا يشك فيه مسلم انما مقصوده أن هذا التعارض الذي يبدو لأول وهلة يثير في النفس حيرة في الفهم مع إيمان بأن القرآن حق لا ريب فيه . وقوله : « أنزل على

مواقع النجوم » معناه أنزل مفرقا مثل مساقط النجوم فان النجوم تسقط أمام الانظار في أوقات مختلفة يتبع بعضها بعضا .

وقوله : « رسلا » بكسر الراء ـ معناه : « تؤدة » أي في زمن طويل .

ولا شك أن نزول القرآن من اللوح المحفوظ الى موضع مخصوص في السماء الدنيا يسمى بيت العزة ـ لا يقوله ابن عباس رضي الله عنهما اجتهادا ، ولا تخمينا فانه من علم الغيب الذي لا يطلع الله عليه الا رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا النزول الغيبي إن كان مما يحمل على القول به هو إبقاء الآيات الواردة في نزول القرآن على ظاهرها من نزوله جملة واحدة ، فانه لا يعارض نزوله الحسي في التاريخ المذكور ، أي ابتداء نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقا ، بل ان الرواية نفسها تشير الى ذلك وتبين المراد به ، فهما اذن نزولان ، غيبي وحسي وتاريخهما واحد ويتساءل العلامة الزركشي في « البرهان في علوم القرآن » عن السر في هذا النزول ، ويجيب عن ذلك بقوله : « فان قيل : ما السر في انزاله جملة من السماء ؟ قيل فيه تفخيم لأمره وأمر من نزل عليه وذلك باعلان سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قربناه اليهم لننزله عليهم » .

ويقرر النيسابوري« أن نزول القرآن بحسب الوقائع والحوادث أوفق في باب التكاليف والاستبصار » ويدلل القسطلاني على هذه الحكمة من نزول القرآن مفرقا بقوله : « إن الوحي في الزمن الأخير من الحياة النبوية كان أكثر نزولا لأن الوفود بعد فتح مكة كثروا ، وكثر سؤالهم عن الأحكام » .

وقد بين الله تعالى حكمة نزول القرآن مفرقا لا جملة واحدة في موضعين في الكتاب العزيز :

الموضع الاول : قوله تعالى في سورة الاسراء/ ١٠٦

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) .

الموضع الثاني : قوله تعالى في سورة الفرقان/ ٣٢ و ٣٣

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) .

وصدر آية الاسراء : (**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث**) يرشد الى حكمة من حكم التفرقة وهي أن يتيسر على الناس حفظه وفهمه ، وتخليهم عن عقائدهم وأعمالهم الفاسدة بالتدريج وتحليهم بالعقائد والاعمال الصالحة بالتدريج أيضا وآخرها « ونزلناه تنزيلا » يرشد الى حكمة أخرى من حكم التفرقة وهي الدلالة على أن القرآن منزل

من الله تعالى وليس من قول البشر ، فانه مع نزوله مفرقا حسب الحوادث واعجازه بهذا الترتيب الزمني كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر الكتبة كلما نزلت آية أن يضعوها بأمر الله تعالى بعد آية كذا في سورة كذا ، فكان ترتيبه في التلاوة غير ترتيبه في النزول وكان مع ذلك متناسبا أعظم التناسب ، بل معجزا للخلق جميعا أن يأتوا بمثله ، فهذا إعجاز متكرر مرتين : اولاهما : بترتيبه النزولي الزمني المتسق مع الوقائع .

وثانيتها : بترتيبه في التلاوة آيات وسورا طوالا وقصارا وأوساطا .

والآية الاولى من آيتي « الفرقان » : (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**) . ترشد على حكمة ثالثة وهي « تثبت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بتجدُد الوحي ونزول الملك ، وهو أمر يدعو الى طمأنينة القلب وانشراح الصدر مع ما في ذلك من تيسر الحفظ وتكرار انتصاره على الأعداء بتكرار عجزهم عن الاتيان بمثله كلما تحداهم .

والآية الكريمة الثانية من آيتي الفرقان : (**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**) ترشد الى حكمة رابعة وهي مسايرة الحوادث باجابة السائلين ، وبيان حكم الله تعالى في الوقائع المتجددة وتوجيه أنظار المسلمين الى ما يقعون فيه من أخطاء أولا فأول ، وهتك أستار المنافقين والمشككين كلما هموا بأمر فيه كيد للاسلام والمسلمين .

وكان أول ما نزل هو قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك**) كما تفيده السنة الصحيحة ، ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية ،حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال: اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق** . اقرأ وربك الاكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ... الحديث » .

لكن جاء في صحيح مسلم عن جابر : « أول ما نزل من القرآن سورة المدثر » وهذا محمول عند العلماء على ما بعد فترة الوحي

التي تلت النزول الأول .

وإذا كان أول ما نزل هو قوله تعالى :« **اقرأ باسم ربك** » كما ثبت لدينا بالدليل القاطع فان آخرها ما نزل على الراجح والمعتمد هو قوله تعالى : (**واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله**) البقرة/ ٢٨١ أخرجه النسائي وابن مردويه والطبري عن ابن عباس .

وهذا يرشدنا الى أن ثمرة المعرفة هي التقوى التي تعني حسن السلوك ومحاسبة النفس . فالعلم في الاسلام ليس غاية في ذاته ، ولكنه وسيلة الى تزكية النفس ونفع العباد ، حتى يكون الانسان خليقا بهذا المنصب الرفيع ، الذي أهل له منذ وجود أول فرد منه ، وهو خلافة الله في أرضه ، المقتضية لاعلاء منار شريعته الكفيلة بسعادة الدنيا والآخرة .

وقد نزل القرآن بأرقى صور الوحي ، إذ ورد في القرآن أن الله تعالى يكلم الناس في صور ثلاث . قال تعالى :

(**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء**) الشورى/ ٥١ .

فأول صورة لكلام الله سبحانه وتعالى للانسان ، هي الايحاء ، ومعناه الاشارة السريعة ، تلقى في روع الانسان ، وفي هذه الحالة يتكلم الأنبياء وغيرهم من المتقين بنفث من روح القدس ، فيلقي في نفس الموحى اليه .. فكرة تشع في روعه بنور خاطف كأنه البرق ، ولا يكون الايحاء في هذه الصورة مصاغا بكلام ، بل يكون خطرة تخطر بالبال لا يسبقها تفكير وتجلي بها شكوك .

وثاني صورة لكلام الله سبحانه وتعالى للانسان : هي الكلام من وراء حجاب .

وثالث صورة لكلام الله للانسان : الحالة التي يرسل الله سبحانه وتعالى بها كلاما منه يحمله ملك رسول الى الموحى اليه .

وهذه الصورة هي أعلى مراتب التنزيل حيث اختص الله تعالى بها أنبياءه ورسله دون سواهم لتبليغ رسالاته الى الناس ، وأما الصورتان الأوليان : الايحاء والكلام من وراء حجاب ، فتقل مرتبتهما عن الصورة الثالثة ، ويشترك فيها الأنبياء ومن عداهم ممن سلكوا نهجهم من عباد الله المتقين . وأما الرسل فقد أمرهم الله بأن يبلغوا رسالاته الى الناس وينذروهم بها ، وذلك لتجنيبهم مواطن الضلال ، وهدايتهم الى الصراط المستقيم المفضى الى نجاتهم وسعادتهم . ورسالة هذه غايتها تكون أشد شأنا مما عداها ويكلم الله فيها رسوله بأعلى صورة الكلام مرتبة ، فلا تكون فكرة عابرة ، ولا كلا ما يسمعه الرسول وينطق به بنفث من روح القدس ، بل يرسل الله تعالى كلاما يحمله روح القدس الى الرسول ويسمى

كلام الله هذا الوحي المتلو ، وبه نزل القرآن كله بدون استثناء . فالقرآن وحي متلو على النبي نزل به الروح الأمين عـلى قلب النبي ، بكلام عربي مبين وبأرقى صور الوحي .

وهناك صور أخرى للوحي فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى قبل نزول القرآن الرؤيا الصادقة : « **إن أول ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقـة ، فكان رسول الله لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح** » .

ويتبع هذه الصورة من الوحي ما ورد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتا خفية ، وهذه الصورة يعبر عنها بالوحي الخفي يوحي بها الله الى الرسول .

وتختلف حالة الانسان أثناء تلقي الوحي باختلاف صوره ، ففي القسمين الاولين تعتري الانسان حالة غير عادية ، سواء أتاه الايحاء في وقت النوم ، أو اليقظة ولا يحدث تغيير بين في الموحى اليه ، وأما في الصورة الثالثة وهي التي اختص الله بها أنبياءه ورسله ، فتتغير حالة الموحى اليه تغييرا كبيرا ، فينتقل معها من عالم الى آخر ، ولا يزال الموحى اليه يقظا تمام اليقظة غير مصروع ولا غائب عن وعيـه ، شاعرا بوطأة الوحي ، ويستطيع من حوله من الناس أن يشاهدوا هـذا التغـير المحسـوس أثنـاء الوحي . عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال الرسول : « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقا .

وبهاتين الحالتين نزل القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ففي كلتيهما كان الرسول يرى جبريل ، وفي كلتيهما كان جبريل ينقل كلام الله فيفصم عنه فيعي ما يقول ، ولا فرق بين الحالتين سوى أنه في أحدهما كان جبريل يظهر على صورة رجل ينقل كلام الله بصوت هادىء لين ، وأما في الحالة الثانية فكان الوحي يأتي كصلصلة الجرس ، أي أن جبريل كان ينقل كلام الله بصوت قوي شديد .

وسـواء أظهر جبـريل عليـه السلام في صورة رجل أم لا ، وسواء أبلغت الرسالة في صوت هادىء لين أم في صـوت قوي شديد . فانه لا ريب في أن الموحى به كان كلا ما من الله يحمله جبريل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن جميعه بهذه الصيغة منجمـا على الـرسول بـواسطة جبريل . وقد كان الرسول يتلقى التنزيل بصورتيه وهو جالس مع

أصحابه أحيانا ، ويستخلص من ذلك أن الرسول كان يرى جبريل ويسمع منه التنزيل .

وكـان القرآن ينـزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات واكثر واقل . وقد صح نزول عشر آيات في قصة الافك جملة . وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، وصح نزول جملة « غير أولى الضرر » وحدها وهي بعض آية .

والحكمة في نزول الآيات قليلة العدد على هذا النحو هي في أن يتمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من حفظها ومن تعليمها للناس ومن إملائها على كتابه ليدونوها .

ولنزول القرآن حسب الحوادث الجارية شواهد كثيرة وهي كل القرآن تقريبا فمن ذلك مثلا ما اتصل بعمر بن الخطاب ، وكان هو سببا في نزوله فقد روى عنه أنه قال : وافقت ربي في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقـام ابـراهيم مصلى فنـزلت الآيـة : (**واتخـذوا من مقام ابـراهيم مصلى**) البقرة/ ١٢٥ .

وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجـر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله نسـاؤه في الغيـرة فقلت لهن : (**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن**) التحريم/ ٥ فنزلت كذلك .

وفي رواية أخرى أنه لما نزلت الآية : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**) المؤمنون/ ١٢ قال عمر بن الخطاب قلت أنا : (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون/ ١٤ فنزلت الآية كما نطق عمـر : (**فتبـارك الله أحسـن الخالقين**) .

كانت الآيات التشريعية وهي آيات الاحكام تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في الغالب جـوابـا لحـوادث في المجتمـع الاسلامي ، وتعرف هذه الحوادث بأسباب النزول وقد اعتنى بها جماعة من المفسرين وألفوا فيها كتبا وجعلوها أساسا لفهم القرآن ، وأحيانا كانت تنزل الآيات جوابا عن أسئلة يسألها بعض المؤمنين وقليلا ما كـانت تنزل الأحكـام مبتدأة .

ولنضرب أمثلة لكل من هذين القسمين :

١ ـ ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها قوما مسلمين مستضعفين ، فلما وصلها عرضت امرأة مشركة نفسها عليه وكـانت ذات جمال ومال ، فأعرض عنها خوفا من الله ثم أقبلت عليه تريد زواجه فقبل ووقف ذاك على اذن الرسول صلى الله عليه وسلم فلما قدم المدينة عرض قضيته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب اجازة ذلك النكاح فنزل قوله تعالى في سورة البقرة : (**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا**

المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) البقرة/ ٢٢١ .

٢ - ورد في القرآن أحكام كثيرة عقب أسئلة صدرت من المؤمنين أو من غيرهم من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة :

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) البقرة/ ٢١٩ و ٢٢٠ .

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة/ ٢٢٢ .

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) البقرة/ ٢١٧ .

وفي سورة النساء :

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) .

الى غير ذلك من الآيات .

أما الأحكام التي أنزلت بدون حادث أو سؤال فقليلة وقلما نرى حكما لم يذكر له المفسرون حادثا أنزل الحكم مرتبا عليه .

وكان من أعظم مقاصد القرآن أن شرع للناس ما ينظمون به أحوالهم المعاشية ويضبطون به أمور الحياة الدنيا من قوانين وأحكام صانت مصالح الفرد والجماعة وحمت حقوق الناس ، وكان رائدها العدالة الاجتماعية والحرص على المساواة بين عباد الله ، فانها لم تقم للانسان ميزانا الا ميزان التقوى أي الاستقامة : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات/ ١٣ .

كما وضع القرآن دستور الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن والمعاملة الطيبة للناس : **(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)** النحل/ ٩٠ و ٩١ .

إن القرآن يهدي الناس من الضلال ، وينير لهم سبيل الحياة الراضية المرضية في الدنيا



للمهندس / محمد عبدالقادر الفقي

لا مراء في اننا نعيش في عالم يتكون الى درجة كبيرة من المعادن .
ومنذ غابر الازمنة ، في عصور ما قبل التاريخ ، منذ ان كان اسلافنا القدامى يبحثون عن حجر الصوان لكي يستخدموه في صناعة الأدوات البدائية الى زماننا الحالي ، الذي استطاع الانسان المعاصر فيه ان يجتاز طبقات الغلاف الجوي للأرض ، وان يصل بسفنه الفضائية الى الكواكب المجاورة ، كانت المعادن ولا تزال ، تلعب دورا بارزا ورئيسيا في التطور البشري .
لا مراء في هذا ولا جدال اذا قلنا ان الانسان في العصر الحديث قد اصبح يعتمد اعتمادا كبيرا على المواد والمنتجات المعدنية التي تتغلغل في كل شيء وتدخل في كل الصناعات ، بحيث يصبح من العسير ان نتصور عالمنا بدونها ، وذلك لان المعادن تمدنا بالمواد الضرورية لكل الاغراض الصناعية والتجارية والمنزلية وغيرها ، فهي تدخل في انشاءات المباني وفي مصادر الاضاءة وفي الآلات المحركة ووسائل النقل

والمواصلات المستخدمة برا وبحرا وجوا ، كما تدخل في صناعة الأسمدة اللازمة للزراعة بالاضافة الى قيمتها الكبرى في صناعة الالات والادوات والاجهزة والمعدات التي تستعمل على نطاق واسع في شتى ميادين السلم وفي جميع مجالات الحرب .

○ المعادن بين اللغة والعلم :

جاء في المعاجم : « عدنت » البلد : اي توطنته وعدنت الابل بمكان كذا اي لزمته فلم تبرح ، ومنه « جنات عدن » اي جنات اقامة ومنه سمي المعدن ـ بكسر الدال ـ وهو المكان الذي يثبت فيه الناس لان اهله يقيمون فيه ولا يتحولون عنه شتاء ولا صيفا ، ومركز كل شيء معدنه ، والمكان الذي يستعدن منه معدن والجمع معادن والعرب تقول : فلان معدن الخير والكرم .

وفي العلم يعرف المعدن بانه مادة نتجت بفعل عوامل طبيعية اما من اتاح لهذه العوامل الطبيعية ان تمارس تأثيرها فان العلم يقف عاجزا امام ذلك ويترك ذلك لمجرد الصدفة الطبيعية البحتة ، ولكن العالم المؤمن بالله يقف امام ذلك خاشعا متأملا لعظمة الله الذي ابدع كل شيء والذي قدر كل الامور بقدرته وهيأ كل الظروف للحياة بكلمته ، فهو الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وصدق تعالى حين يقول : (**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**) ـ سورة الانبياء / الآية ١٦ . (**هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون**) النحل/ ١٠ ـ ١٣ .

وتتميز مادة المعدن بالتجانس والتركيب الكيميائي الثابت ، والمعادن مواد غير عضوية بمعنى انها ليست ذات اصل حيواني او نباتي لانها تتركب من عناصر او مركبات كيميائية ، ومادة المعدن قد تتكون من عنصر كيميائي واحد ـ كالذهب والفضة والنحاس ـ او تتكون من عدة عناصر متحدة معا كالجبس والتلك والحجر الجيري ، ولكل معدن خواص طبيعية تفرقه عن غيره وغالبا ما يكون ذا شكل بلوري خاص به ، واحيانا يشترك اكثر من معدن في خاصية واحدة كاللون والبريق والتشقق ولكن يمكن التفريق بين الأنواع المختلفة للمعادن بمعرفة التركيب الكيميائي والشكل البلوري لكل معدن على حدة ، ولا يمكن ان يتأتى ذلك إلا لخبير او مختص ، والمعادن هي الوحدات التي تتكون منها الصخور المختلفة المكونة للارض ، وكل صخر يتكون من معدنين او اكثر فعلى سبيل المثال يعد صخر الجرانيت المعروف والشائع استخدامه كأحد احجار الزينة ، مكونا من ثلاثة معادن على الاقل هي الكوارتز والفلسبار والميكا ، وقد يتكون الصخر من معدن

واحد فقط مثل صخر الهالايت المعروف باسم الملح الصخري او ملح الطعام ، والذي يستخدمه الانسان في اغراض الطبخ وحفظ المواد الغذائية وفي بعض الاغراض الصناعية الاخرى .

ويمكن تقسيم المعادن الى نوعين رئيسيين هما :

١ ـ مجموعة معادن السيلكات والمسماة بالمعادن المكونة للصخور وهي اكثر المجموعات المعدنية انتشارا اذ تكون اكثر من ٩٨,٥٪ من القشرة الارضية .
٢ ـ مجموعات المعادن الاقتصادية والمسماة بالمعادن المكونة للخامات المعدنية ، وهي تشمل المعادن التي يستخلص منها الحديد والذهب والفضة والنحاس والألومنيوم والرصاص والزنك وغير ذلك .
ولما كنا بصدد دراسة المعادن التي ورد ذكرها في القرأن لا بد من الاشارة اولا الى الصخور والحجارة وتعريف كل مصطلح منهما .

○ الصخور بين اللغة والعلم والقرآن :

ان المعادن التي عرفها الانسان على سطح الأرض كثيرة حتى ليتجاوز عددها الالفين وبتجمع تلك المعادن مع بعضها تتكون الصخور ، والصخور في اللغة هي الحجارة العظام ، وهي ايضا الصخر بسكون الخاء وفتحها الواحدة منها تسمى صخرة .ـ
ويعرف الصخر علميا بانه كل مادة طبيعية تتكون من جمع من جسيمات معدنية سائبة او ملتحمة ، وتكون الصخور جزءا هاما من قشرة الارض ، وتنقسم الصخور الى ثلاثة انواع رئيسية هي :

١ ـ الصخور النارية :

وهي التي نتجت عن تبريد المواد المنصهرة الموجودة تحت أو داخل القشرة الارضية وتعتبر الصخور النارية المصدر الرئيسي لاغلب المعادن والصخور الاخرى ، ومن امثلتها الجرانيت والبازلت .

٢ ـ الصخور الرسوبية أو الصخور الطبقية :

وهي التي ترسبت نتيجة لتراكم مواد جمعتها عوامل التعرية المختلفة حيث تتهشم الانواع الاخرى من الصخور بفعل الرياح والامطار والسيول والانهار وامواج البحر .. وتتفتت ثم تنقلها بعد ذلك الرياح لترسبها على شكل حبيبات صلبة او تنقلها مياه الامطار والانهار على شكل محاليل لترسبها اثناء سريانها على شكل طبقات ويتراكم معظمها في البحر على هيئة مواد مفككة غير متماسكة ، ثم تتعرض بعد ذلك لعوامل مختلفة تجعلها اكثر ترابطا واكثر صلابة واندماجا ، ومن اهم هذه العوامل الضغوط التي تقع على هذه الطبقات نتيجة لتراكم الصخور ، او نتيجة لتراكم المواد التي تفرزها بعض الكائنات الحية التي تعيش في البحار ـ.
ويكون الطين الصفحي والصلصال ما يعادل ٨٠٪ من جميع الصخور الرسوبية ،

اما الاحجار الرملية فهي تكون حوالي ١٥٪ منها ، والنسبة الباقية تمثل الاحجار الجيرية وباقي الانواع الاخرى للرسوبيات .
وتكمن اهمية الصخور الرسوبية في انها تعد البيئة الصالحة للزراعة ، كما انها تعد المكان المناسب الذي يمكن ان تتواجد فيه الثروات الطبيعية الهامة كالذهب والفضة والبترول وغير ذلك .
ويشير القرآن الكريم الى ذلك حين يبين ان الله هو الذي ينزل المطر من السحاب فتسيل به الأنهار والجداول ، كل بالمقدار الذي قدره الله تعالى لها لكي يكفي لانبات الزرع واثمار الشجر ، وعلى قدر الماء تتفتح الاودية كما يبين القرآن ان المعادن التي يوقد عليها ابتغاء حلية او متاع لها زبد كزبد الماء قال تعالى : **(انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) الرعد / ١٧** .
واذا تأملت كلمة « رابيا » في الآية الكريمة لادركت انها تعني هنا تراكم الزبد وتراكبه طبقة فوق طبقة في نهاية المطاف ، حينما يلقي السيل بحمله ، ونهاية المطاف قد تكون مصبات الانهار او تكون على طول الطريق ، حيث يعجز السيل عن حمل ما علق به ، اذ ان هذه المقدرة تتناسب مع سرعة المياه ، والسرعة تتعلق بالميل او الانحدار وكلما ازدادت سرعة المياه كلما ازداد مقدار ما تحمله معها ، وكلما قلت السرعة كلما زاد معدل ترسيب المواد العالقة بالمياه ، ولذلك فانه حينما تصطدم مياه الانهار ـ عند المصبات ـ بمياه البحر فان كل المواد التي تحملها المياه معها تترسب على القاع ، ومع مرور آلاف السنين تتراكم طبقة الرسوبيات ويظهر ما يعرف باسم دلتا النهر ، حيث تزحف الشواطىء على البحر . كل هذا نستشفه من قوله تعالى : (فاحتمل السيل زبدا رابيا) ولتأكيد ذلك نذكر ان « الربا » في اللغة يعني الزيادة ، تقول ربا الشيء اذا زاد ، والرابية ما ارتفع من الارض .
كذلك يقارن القرآن الكريم بين شبيهين بالحق وهما الماء الصافي والمعدن الصافي ، حيث ينتفع بهما وبين شبيهين للباطل وهما زبد الماء وزبد المعادن المنصهرة ، فزبد الماء يتشابه مع الزبد الذي ينتج من صهر المعادن التي يوقد الناس عليها في النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص طالبين صنع حلية او متاع ينتفع به كالاواني ، حيث يطفو كل منهما فوق مصدره فاما الزبد الناشيء عن السيل والمعادن فيذهب مرميا به غير مهتم به لحقارته ، واما ما ينفع الناس كالماء الصافي وخلاصة المعدن فيبقى في الأرض ، وكذلك يضرب الله الامثال لايضاح الشبهات وليعرف الناس الحق من الباطل .
٣ ـ الصخور المتحولة :
وهي تنشأ نتيجة لتحول الصخور الرسوبية او النارية نتيجة لتعرضها لدرجات

حرارة عالية او ضغوط عظيمة ، او الاثنين معا ، فاكتسبت من جراء ذلك خواص جديدة ميزتها عن غيرها فعلى سبيل المثال تتحول الاحجار الجيرية النقية الى رخام كما تتحول الصخور الطينية الى صخور صلبة دقيقة الحبيبات تعرف باسم الهورنفلنس .

ولم ترد لفظة « المعدن » في القرآن بل وردت لفظة « الصخرة » و« الصخر » كما وردت لفظة « الحجر » و« الحجارة » اما لفظة الصخر فهي لم ترد الا مرة واحدة حين تحدث القرآن عن قبيلة ثمود التي كانت تقيم بالحجر بين الشام والحجاز ، وحيث قاموا بقطع الصخر ونحته حيث صنعوا لأنفسهم بيوتا منه بالوادي الذي كانوا يقيمون فيه . قال تعالى : (**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**) الفجر / ٨ .

اما لفظة (الصخرة) فقد وردت مرتين :

الاولى في الحوار الذي دار بين موسى بن عمران وفتاه « خادمه » وذلك في قوله تعالى :

(**قال أرأيت اذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا**) الكهف/ ٦٣ .

والثانية : في الحوار الذي كان يعظ فيه لقمان ابنه :

(**يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير**) لقمان / ١٦ .

والخردل نبات له حب اسود صغير جدا ، يضرب به العرب المثل في شدة ا لصغر .

وتعبر الآية السابقة عن خاصتين من اهم الخواص التي تتميز بها الصخور : ألا وهما المسامية والنفاذية :

١ ـ **المسامية** : وهي النسبة المئوية لحجم الفراغات او المسام الموجودة في الصخور بالنسبة الى حجمها الكلي ، وهذه الخاصية ذات اهمية كبرى في مجال البحث عن البترول في الطبقات الصخرية الرسوبية ، حيث تتجمع قطرات زيت البترول داخل هذه المسام ، كما ان هذه المسام ايضا تقدم المكان المناسب لتواجد المياه الجوفية في الارض .

٢ ـ **النفاذية** :

وهي مقدرة الطبقات الصخرية على امرار السوائل المختلفة في المسام المتصلة الموجودة داخل الصخر ، ولا يوجد بالضرورة علاقة بين النفاذية والمسامية حيث ان صخرا معينا قد يكون عالي المسامية ولكنه غير منفذ ، اذا لم يكن هناك ممرات موصلة بين المسام ، ويعود ذلك الى وجود المواد اللاصقة التي تربط حبيبات الصخر بعضها ببعض ، وتغلق الطريق امام السوائل والمواد الموجودة داخل الفراغات ، بحيث تمنعها من الخروج من الحيز الموجودة فيه ، وبمعنى اخر يمكن ان تعرف النفاذية بأنها مقياس السهولة التي يمكن ان تتدفق بها السوائل خلال

المسام والفراغات المتصلة الموجودة بين حبيبات الصخور .
واذا تأملنا الآية الكريمة السابقة لوجدنا انها تعبر عن هاتين الخاصيتين في بلاغة فائقة واسلوب موجز ينم عن دقة كبيرة ويكشف عن اعجاز علمي باهر ، ففي قول الحق جل وعلا : (**ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة**) يدل على ان الصخور مهما كانت صلابتها فانها تحتوي على مسام ، اي على فراغات بين حبيباتها - بحيث يمكن ان تتواجد داخلها الجسيمات المتناهية الصغر كحبة الخردل ، اما النفاذية فيدل عليها قوله « تعالى : (**يأت بها الله**) اي يظهرها ويخرجها من مكمنها واذا كان الانسان قد تمكن حديثا من استخلاص المياه وزيت البترول من مسام الصخور الرسوبية فان استخلاص حبة الخردل من بين مسام هذه الصخور عملية شاقة جدا لا قبل للجن او الانس بها نظرا لصعوبة حركة المواد الصلبة بالنسبة للسوائل والغازات ، وهذا هو التحدي الكبير ، والبرهان العظيم على قدرة الله التي لا تحدها حدود ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات او في الارض ، ويؤكد ذلك قوله تعالى في ختام الآية : (**ان الله لطيف خبير**) اي لطيف لا تخفى عليه دقائق الاشياء مهما صغر حجمها وتضاءل وزنها ، خبير يعلم حقائق الاشياء كلها بحيث لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء .
وهناك آية كريمة أخرى تتحدث عن هاتين الخاصيتين هي قوله تعالى : (**وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون**) المؤمنون/١٨ ، حيث تشير هذه الآية الكريمة الى معان علمية خاصة بالدورة المائية في الارض ،؛ ولكن الاعجاز العلمي العظيم في هذه الآية يتجلى في قوله تعالى : (**فأسكناه**) والذي يوحي بعدة حقائق على درجة كبيرة من الأهمية :
اولا : ان اسكان الماء يعني استقراره واتزانه سواء كان هذا الماء على ظهر الارض في المحيطات والبحار والانهار او غير ذلك من المسطحات المائية وسواء تسرب هذا الماء إلى باطن الارض ليكون المياه الجوفية التي تنتقل من مكان الى آخر او استقر في احواض تركيبة شاسعة تحت سطح الارض كتلك التي توجد تحت الصحراء الغربية الليبية ، والتي كشفت البحوث الحديثة عن اصلها القديم ، وقد تعتري مثل هذه التراكيب الجيولوجية الخازنة تغييرات جذرية يسميها العلماء بالثورات الجيولوجية فتذهب بها وما بها من ماء الى امكنة اخرى ، فتحيي ارض الصحراء الميتة اذا سيق الماء اليها . قال تعالى : (**أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون**) السجدة / ٢٧ .
ثانيا · ان لفظة (**الاسكان**) تعني انه لا بد من وجود الفراغ الذي يمكن ان تشغله المياه وفي حالة المياه الجوفية فان هذا الفراغ ما هو الا المسام الموجودة بين الصخور ، ومن الجلي ان من اوجد هذه المسام وخلقها هو الخالق سبحانه وتعالى ، فما كان للصخر ولا للطبيعة ان تخطط ذلك او ان توجد ذلك من تلقاء نفسها .
ثالثا : ان قوله تعالى : (**وانزلنا من السماء ماء بقدر**) يعني ان مقدار الماء الذي

انزل على الارض لم يكن صدفة او اعتباطا او جزافا ، ولكن انزل بقدر معلوم بحيث يكفي احتياجات الارض وسكانها على مدى تاريخها الطويل لسنوات مضت وسنوات ستأتي الى ان يشاء الله ، فمن ذا الذي قدر هذه الاحتياجات ومن ذا الذي يقدر كميات هذه المياه بالنسب الكافية لحفظ التوازن الحراري على الأرض ؟ ولحفظ حياة الكائنات الحية التي تعتمد على الماء ، ومن ذا الذي حدد نسبة المياه في المحيطات وفي البحار والانهار وبين الصخور وفي تركيب المعادن ، وفي كل ما يدب على الارض غير القادر الرزاق المهيمن الذي وسع علمه كل شيء واحاط بكل شيء علما ؟؟

رابعا : ان قوله تعالى : **(وانا على ذهاب به لقادرون)** يدل دلالة اكيدة على امرين في منتهى الاهمية :

الاول : انه لا بد من وجود مسارات بين الصخور يمكن ان ينساب خلالها الماء بل ان هذه المسام تتواجد في الصخرة الواحدة ، ويعرف الجيولوجي هذه الخاصية جيدا حيث لا تتواجد اي مواد لاصقة تربط حبيبات الصخر ببعضها البعض فتعوق سريان الماء عبر المسام .

الثاني : امكان حدوث الثورات الجيولوجية او حدوث صدوع وفوالق والتواءات وارتفاعات وانخفاضات في قشرة الارض او في جنبات الاحواض التركيبية الحاوية للماء الموجود تحت سطح الارض مما يؤدي الى هجرة المياه الجوفية في الطبقات الصخرية الرسوبية الى مسافات طويلة ، بحيث تصبح هذه المياه غائرة في الارض فلا يمكن للانسان ان يصل اليها بأدواته او آلاته ، وهذا يتسق مع قوله تعالى : **(قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين)** الملك / ٣٠ . وقوله ايضا :

(اويصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) الكهف / ٤١ .

وفي قوله تعالى « غورا » وجهان : احدهما ان يكون « غورا » بمعنى غائر والثاني ان يكون تقديره (ذا غور) فحذف المضاف كقوله تعالى : **(واضرب لهم مثلا رجلين)** الكهف / ٣٢ . اي مثل رجلين وايا كان الوجه الذي يمكن ان نأخذ به ، فان غور المياه يحدث كثيرا في بقاع مختلفة بالعالم ، حيث نرى بعض الأراضي التي لا يصلها الماء في الوقت الحاضر بعد ان كانت فيما مضى جنات مزروعة تتدفق فيها العيون واصبحت الآن جافة تماما لا ماء فيها .

★الحجر والحجارة :

الحجر في اللغة ـ معروف وهو يجمع في القلة على احجار وفي الكثرة (حجار) و« حجارة » وفي العلم تستخدم لفظة الحجر لتضاف الى انواع مختلفة من الصخور لتميز بينها مثل حجر الصوان وحجر المغناطيس وحجر القمر او لتصف انواعا اخرى من الصخور كالحجر الجيري والحجر الرملي والاحجار الكريمة .

ولقد وردت لفظة « الحجر » في القرآن الكريم في موضعين وذلك في الآيات التي تتحدث عن نبي الله موسى حين طلب منه بنو اسرائيل السقيا حينما اشتد بهم

العطش في التيه ، فامر الله موسى ان يضرب بعصاه الحجر فانفجر الماء من اثنتي عشرة عينا بقدر عدد قبائل بني اسرائيل ، قال تعالى : **(واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)** البقرة / ٦٠

وقال تعالى :

(وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أ ناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الأعراف/ ١٦٠ .

أما لفظة (الحجارة) فقد وردت عشر مرات في كتاب الله الكريم ويمكن أن تقسم على النحو التالي :

أولا : الحجارة المستخدمة كوقود لنار جهنم وقد وردت بهذا المعنى في آيتين كريمتين هما قوله تعالى :

(فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) البقرة/ ٢٤ .

وقوله تعالى أيضا :

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم/ ٦ .

ولقد اختلف العلماء في تفسير المراد من هذه الحجارة ، ويقول القرطبي في هذا المقام في تفسيره لآية سورة البقرة السابقة : « والحجارة هي حجارة الكبريت الأسود ـ عن ابن مسعود والفراء ـ وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الاتقاد ، نتن الرائحة ، كثرة الدخان ، شدة الالتصاق بالأبدان ، قوة حرها اذا حميت ، وليس في قوله تعالى : **(وقودها الناس والحجارة)** دليل على أن ليس فيها غير الناس والحجارة بدليل ما ذكره في غير موضع من كون الجن والشياطين فيها ، وقيل المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى : **(انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)** الأنبياء/ ٩٨ أي حطب جهنم ، وعليه تكون الحجارة والناس وقودا للنار ، وذكر ذلك تعظيما للنار انها تحرق الحجارة مع احراقها للناس » . . وسواء كان المقصود بالحجارة : الأصنام أو حجارة الكبريت الأسود أو غيرها من الحجارة ، التي لا يعلم كنهها غير المولى سبحانه وتعالى فان الشيء الجديد بالذكر هنا هو الوصف القرآني للحجارة بأنها وقود النار ، والوقود في اللغة هو الحطب ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على قابلية هذه الحجارة للاشتعال ، وعلى درجة الحرارة الهائلة التي تستعر بها جهنم ، حتى لترمي بشرر كالقصر .

ثانيا : الحجارة التي استخدمت في اهلاك قوم لوط عليه السلام . وقد وردت بهذا المعنى في كتاب الله الخالد في ثلاثة مواقع هي :

١ - (**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود**) هود/ ٨٢ .

٢ - (**فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل .ان في ذلك لآيات للمتوسمين**) الحجر/٧٣ - ٧٥ .

٣ - (**لنرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين**) الذاريات ٣٣و٣٤ .

وقد قيل ان السجيل كلمة ذات أصل فارسي دخلت العربية وهي تعني الطين المتحجر ، وقيل أصله من سجين أي جهنم فأبدلت نونه لاما ، وقيل أن هذه الحجارة قد صنعت من طين وطبخت بنار جهنم ، وقيل : (من سجيل) أي مما كتب عليهم أن يعذبوا به - مشتق من السجل .

وقد تكون هذه الحجارة من بعض أنواع النيازك المعروفة باسم النيازك الحجرية ، والتي تشبه في تركيبها الاحجار الأرضية الى درجة كبيرة بحيث يكون من الصعب على المرء أن يفرق بينهما ، الا أنها تكون سوداء محروقة بفعل انصهارها أثناء مرورها في الغلاف الجوي للأرض ، وفي واقع الأمر فان كوكبنا الأرضي يتعرض يوميا لوابل من القذائف الحجرية النارية بمعدل عدة ملايين حجر أو حبة رمل ، الا أن حكمة الله سبحانه وتعالى قد جعلت الغلاف الجوي للأرض بمثابة الدرع الواقي ، حيث يتولى حرق هذه الأحجار بالاحتكاك وتبخيرها أثناء مرورها خلاله على ارتفاعات تتراوح بين ثمانين وخمسين ميلا من سطح الأرض ، ويعبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى :

(**وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون**) الأنبياء/ ٣٢ . وتعرف الأحجار التي تشتعل في الغلاف الجوي للأرض باسم الشهب ، الا أن بعضها ينجح في الوصول الى سطح الأرض بعد أن ينجو من رحلة الموت ، التي تتعرض لها النيازك خلال مرورها في الغلاف الجوي ويقدر ذلك بنحو ألفي حجر في السنة الواحدة .

وأحيانا ما تمطر السماء حجارة بمعدل عشرات من الشهب المرئية كل ساعة أو كل دقيقة ، ويرجع ذلك الى مرور الأرض أثناء سيرها خلال سحب من الأحجار ، وقد اكتشف عام ١٨٦٢م أن هذه الأمطار الحجرية هي بقايا الأحجار المتخلفة عن المذنبات ، وهي أجرام سماوية ، لها رأس سديمي المنظر ، به نواة أو أكثر ، وقد يمتد منه ذيل يربو أحيانا على مائة مليون ميل ، ويتكون المذنب من صخور أو حبيبات رملية تتخللها مجموعات غازية ، ولقد كان من المعتقد قديما أن المذنبات تأتي من خارج المجموعة الشمسية ولكن الآراء الحديثة تتبعها للمجموعة الشمسية التي ينتمي لها كوكبنا الأرضي .

ولا يزال الفلكيون يذكرون في أبحاثهم ذلك الحادث الذي تعرضت له الأرض عام

١٨٣٣م حيث أمطرت السماء سيولا من الأحجار حتى قدر عدد الشهب المرئية حينئذ بنحو ٢٠٠ ألف شهاب حتى ظن أنها نهاية العالم .

وتجدر الاشارة هنا الى أن معظم أحجار الشهب تكون في حجم حبة الرمل ، واذا تخيلنا حبة من الرمال تسير بسرعة ٤٠ ميلا في الثانية وتعرض لها جسد الانسان فان هذه الحبة سوف تثقب هذا الجسد ، أما اذا تعرض الجسد لمجموعة كبيرة من هذه الشهب الصغيرة ، فانه سوف يبدو بعد ثقبه كأوراق الزرع التي أكلتها الديدان ، أو على حد تعبير القرآن : كالعصف المأكول .

ثالثا : الحجارة التي طلب مشركو مكة أن تنزل عليهم من السماء وذلك لمحادة الله ومحادة الرسول قال تعالى : (**واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**) الأنفال/٣٢ .

رابعا : الحجارة الصلبة التي تتفجر منها الأنهار أو تتشقق فيخرج منها الماء عيونا فوارة . قال تعالى : (**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون**) البقرة/ ٧٤ .

وتتحدث الآية الكريمة السابقة عن بني اسرائيل وتبين أنهم لم تكن قلوبهم لتخضع أو تخشع بعد ما رأوا من آيات الله بل غلظت وتصلبت وبقيت على قسوتها ، فهي كالحجارة ، بل أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها المياه الكثيرة فتجري أنهارا ، ومنها ما يتشقق فيخرج الماء منها ، ومنها ما يتأثر بقدرة الله فيتردى من أعلى الجبال انقيادا لأمر الله ، وكلا من الحالتين : الأولى والثانية يفسران لنا بأجلى المعانى وأفصح الالفاظ المياه الجوفية التي تغور في القشرة الأرضية ، فهي تجري في المسام الموجودة بين الصخور والأحجار حتى اذا زادت الضغوط الواقعة عليها تمكنت من الخروج على هيئة مياه متدفقة من بين الصخور ، بحيث يمكنها أن تكون الأنهار أو الينابيع ، وهذا يتساوق مع قوله تعالى :

(**وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون**) يس/ ٣٤ .

وتفجير المياه : انبجاسها ، أي انطلاقها من مكامنها بين الصخور وصعودها الى أعلى ، ولا يمكن أن يتم ذلك ما لم تكن تلك الصخور ذات مسامية عالية ونفاذية كبيرة ، وقد سبق أن أشرت الى تلك الخاصيتين في موضع سابق ، والانفجار : الانشقاق ومنه انشق الفجر ، ولغويا فان الانبجاس أضيق من الانفجار ، لأنه يكون انبجاسا ثم يصير انفجارا .

خامسا : الحجارة التي أرسلها الله على أصحاب الفيل بقيادة أبرهة ملك الحبشة الذين أرادوا أن يعتدوا على الكعبة المشرفة ويهدموها ، وذلك ليمنعوا العرب من الحج اليها ، فأرسل الله عليهم جماعات من الطيور ترميهم بحصى متحجرة ، فكانت الحصاة تثقب الذي تنزل عليه حتى هلكوا عن آخرهم .

قال تعالى :

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول) سورة الفيل .

ولقد تضاربت الآراء حول الحجارة التي كانت تتساقط عليهم ، قال عكرمة : كانت ترميهم بحجارة معها - أي الطيور - فاذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري ، وكان الحجر كالحمصة وفوق حبة العدس وقال ابن عباس : كان الحجر اذا وقع على أحدهم نفط جلده فكان ذلك أول الجدري .

ويذهب الامام محمد عبده في تفسيره لجزء عم ان الطير من جنس البعوض أو الذباب ، وان الحجارة كانت ملوثة بميكروبات الجدري أو الحصبة يقول الامام في هذا المقام :

« وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح - فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد دخل في مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم وتساقط لحمه » ، ويختتم الامام تفسيره قائلا : « هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير الصورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ، وان صحت روايته ... ، ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر ، حيث ساقه القدر ، لا ريب عند العاقل ان هذا أكبر وأعجب وأبهر » .

غير أننا لسنا مع الامام في رأيه الأخير حيث أنه يقصر تفسير الآيات الكريمة على ما رآه هو بفكره ، واستدل عليه برأي ابن عباس وغيره ، ذلك أن كنه هذه الحجارة هو أحد الأسرار التي لا يعلمها الا خالق السماوات والأرض . وما علينا الا الاجتهاد لمعرفتها ، وما دام باب الاجتهاد مفتوحا ، فمن الغبن أن يغلقه الامام أمام الآخرين أو يغلقه غيره ، فمن الجائز أن هذه الحجارة تتشابه مع أحجار الشهب التي تكون في حجم حبة الرمل ، والتي سبق أن أشرت اليها ، وقلت إن جسد الانسان اذا تعرض لها أصبح كالعصف المأكول ، والعصف ورق الزرع والمأكول : أي الذي أكله الدود أو السوس أو أكلته الدواب وتناثر من بين أسنانها بعضه .

ومن الجائز أيضا أن تكون هذه الأحجار من المواد المشعة على غرار الغبار الذري ، وقد تكون من أضداد المادة التي اذا التقت مع المادة أدت الى فنائها وتلاشيها ، أو غير ذلك والله وحده أعلم ، وهنا تتجلى عظمة القرآن في أن الكلمات البسيطة تحتمل عدة معان وكلها تؤدي الغرض المطلوب منها ، ويمكن لاى انسان

أن يفهمها بقدر ثقافته وقدر علمه المحدود ، بل وبقدر عمره أيضا .
سادسا : الحجارة التي يمكن أن يتحول اليها الانسان بعد وفاته ، قال تعالى : **(وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)** الاسراء/ ٤٩ ـ ٥١ .

ويتجلى الاعجاز القرآني هنا في هذا التحدي السافر للمنكرين للبعث والمتشككين في الحياة الآخرة ، حيث تأمر الآية الكريمة **(قل كونوا حجارة أو حديدا)** رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول لهم : لو أنكم كنتم حجارة لا يمكنها أن تقبل الحياة بحال أو حديدا وهو أصلب وأقسى من الحجارة أو أي خلق آخر غيرها مما تكره قلوبكم أو يكبر شأنه في صدوركم فان الله قادر على أن يعيدكم كما خلقكم أول مرة ، وليس ذلك بغريب فالانسان قد خلق من تراب ، والتراب ما هو الا فتات الصخور والحجارة المكونة للقشرة الأرضية ، ولذلك فان قوله تعالى : **(كونوا حجارة)** يتضمن كل العناصر المكونة للتراب بما فيها الحديد ، ولقد أثبت العلم الحديث ان جسم الانسان يتكون من نفس العناصر المكونة للتراب ، كما قرر فينوجرادوف في عام ١٩٣٣ أن التركيب الكيميائي لكل الكائنات الحية ـ نباتية كانت أو حيوانية تتشابه جدا ـ لو أخذت في الاعتبار عناصر مثل الكربون والهيدروجين والاوكسجين والنتروجين والفوسفور والكبريت ، وفي واقع الأمر فان كلما يدب على الأرض أو يزحف على سطحها أو يسبح في مائها أو يطير في هوائها من مخلوقات متباينة الأجناس والأنواع تجمعها جامعة واحدة وتشترك جميعها في وحدة واحدة ، ان دلت على شيء فانما تدل على وحدة الخالق سبحانه وتعالى ، ان عدد الأنواع المختلفة للمخلوقات التي تعيش على سطح الأرض يزيد عن مائتي مليون ، وكلها تعيش على سطح الأرض ، وكلها تشترك في أنها تمتص غذاءها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من تربة الأرض ومعادنها ، أو من هوائها حيث تقوم النباتات بتحويل غاز ثاني أوكسيد الكربون الى مواد غذائية في عملية التمثيل الضوئي المعروفة ولا شك أن المعادن تلعب دورا كبيرا في حياة كل الكائنات الحية .

واذا كانت المعادن الموجودة في التربة ضرورية لنمو النباتات التي يتغذى عليها الانسان والحيوان والطير أيضا ، فان القرآن الكريم يوضح ذلك في آيات كثيرة مثل قوله تعالى :

(الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهي . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) طه/ ٥٣ ـ ٥٥ .

(والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها) النازعات / ٣٠ ـ ٣١ .

○ الفلزات في القرآن :

لقد جرى جمهور الناس على تسمية العناصر كالذهب والفضة والنحاس والحديد معادن ، ولكن الكيميائيين والمجامع اللغوية يصرون على تسميتها بالفلزات ، والفلز في اللغة ضرب من النحاس أبيض ، أو هو خبث الحديد ، أو هو يطلق على جواهر الأرض كلها ، وأغلب الظن أنه لفظ غير عربي .

أما الفلز فهو عنصر كيمائي له بريق خاص ويتميز بقابليته لتوصيل الحرارة والكهرباء ، وتتحد الفلزات منع الاوكسجين لتكون الأكاسيد ، وتوجد الفلزات في الطبيعة في صورة منفردة أو متحدة مع غيرها من العناصر ، ويتم استخلاص الفلزات من معادنها وذلك بصهرها في أفران خاصة ، حيث يتم رفع درجة الحرارة فيها الى الدرجة التي تنصهر عندها الخامات المعدنية التي تحتوي على هذه الفلزات ، والشوائب والمواد غير المرغوب فيها . والتي تعرف باسم الخبث أو الزبد وهي تطفو على سطح المادة المنصهرة ، بينما يتجمع الفلز في القاع حيث يمكن سحبه على فترات وصبه في قوالب منتظمة لتعطي أشكالا وصورا مختلفة من الأدوات التي يمكن للانسان أن يستخدمها في شؤون حياته .

وعادة ما يحتوي الفلز المستخلص ـ بعد عملية الصهر ـ على شوائب يجب ازالتها بطرق التنقية قبل أن يصبح الفلز صالحا للتسويق ، والفلزات الثمينة مثل الذهب والفضة قد توجد مختلطة بنواتج صهر النحاس والرصاص والزنك ، مكونة بذلك نواتج جانبية قيمة يمكن للانسان أن يستفيد منها ـ هي الأخرى ـ في أغراض صناعية كثيرة .

وهناك طريقتان لتنقية الفلزات ، وهما التنقية بالنار والتنقية بطرق التحليل الكهربي ، فعلى سبيل المثال ينقى الرصاص بالنار للحصول على الفضة التي يحتوي الرصاص عليها في غالب الأحيان ، وقد عبر القرآن الكريم عن استخدام الانسان للنار في صهر الفلزات التي تستخدم في صناعة الحلي والأدوات والمعدات وفي تنقيتها وذلك في الآية الكريمة التي سبق الحديث عنها وهي قوله تعالى : **(ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)** الرعد / ١٧

ولقد أشار القرآن الكريم الى فلزات أربعة هي الحديد والنحاس والذهب والفضة ، وسوف نتناول كل فلز من هذه الفلزات بالدراسة البسيطة الموجزة .

أولا : الحديد :

ورد ذكر الحديد في القرآن الكريم في ستة مواضع ، واحدة منها جاءت فيها لفظة الحديد بمعنى حدة البصر وذلك في قوله تعالى :

(**لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**) ق/ ٢٢ ، أما المواضع الخمسة الأخرى فهي قوله تعالى :

١ - (**وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا**) الاسراء / ٤٩ - ٥١ ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى : (**قل كونوا حجارة أو حديدا**) : « ان عجبتم من انشاء الله لكم عظاما ولحما فكونوا انتم حجارة او حديدا ان قدرتم » ، ومع هذا التحدي القرآني للكافرين والمتشككين في البعث ، يأتي الاعجاز العلمي ليتساوق مع القرآن الكريم وليؤكد ذلك ، فقوله تعالى : (**كونوا حجارة**) يتضمن كل العناصر المكونة للتراب ، والتراب ما هو الا فتات الاحجار والصخور المختلفة ، ولذلك فليس بمستحيل على من خلق الانسان من تراب أن يعيد خلقه مرة أخرى لو تحول الى حجارة في منتهى الصلابة والقسوة والغلظ والشدة ، او تحول الى أي مواد أخرى أكثر صلابة من الحجارة كالحديد .

٢ - قوله تعالى : (**ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير**) سبأ ١٠ و ١١ ، حيث تتحدث الآية عن كيف صير الله الحديد لينا لنبيه داود ليشكله كما يشاء ، وان يصنع منه دروعا واسعة تحميه وجنده من بأس الاعداء ، وان يحكم نسج هذه الدروع بأن يجعل حلقاتها تتداخل في بعضها البعض ، وهذه الآية تدل على صلابة الحديد وقدرته على تحمل الضربات والصدمات اثناء الحروب ولذلك من الله على داود بأن ألان له الحديد .

٣ - قوله تعالى : (**حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا**) الكهف/ ٩٣ - ٩٧ .

ويذكر القرآن الكريم في هذه الآيات كيف أن ذا القرنين بنى سدا منيعا وذلك بأن ساوى بين حافتي ا جبلين بما وضعه بينهما من قطع الحديد ، ثم أمر رجاله أن يوقدوا النار على الحديد حتى درجة الانصهار ، وهي درجة حرارة عالية تبلغ ١٥٣٥° مئوية ، فلما انصهر الحديد صبوا عليه القطر : (والقطر في اللغة هو النحاس المذاب) ، فأصبح بذلك السد قويا صلبا منيعا ، ولذلك لم يمكن ليأجوج ومأجوج أن يتسلقوه نظرا لارتفاعه الكبير ولا أن يثقبوه نظرا لصلابته العالية ومن المعروف ان الحديد يتميز ايضا بصلابة عالية ، والصلادة تعني قدرة المعدن على مقاومة الخدوش التي يمكن أن تحدث فيه ، وقد وجد أن الحديد له صلادة أعلى

من باقي الفلزات كالنحاس أو الالمنيوم أو الرصاص .. الخ .
٤ ـ قول الحق ـ جل وعلا ـ في سورة الحديد : (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) الحديد/ ٢٥ .

لقد كان من الشائع بين الكيمائيين أن الحديد لا يتواجد على سطح الأرض في صورة منفردة بمعنى أنه يتواجد فقط على شكل مركبات كيمائية كالاكاسيد والكبريتيدات ، ولكن ثبت أن هناك أنواعا من النيازك التي تتساقط على سطح الأرض تبلغ نسبة الحديد الفلزي فيها إلى نحو ٩١٪ ، كما توجد أنواع أخرى تقل فيها نسبة الحديد « حوالي ٣٥٪ » ، ولقد كان المفسرون القدامى يقصرون معنى الانزال على الخلق كما فعل القرطبي حين رجح أن الحديد قد خلق مع الارض واستدل على ذلك بقوله تعالى :

(**وأنزلنا الحديد**) أي أنشأناه وخلقناه ، كقوله تعالى (**وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج**) وهذا قول الحسن فيكون من الأرض غير منزل من السماء) وسواء كان (**إنزال الحديد**) يعني خلقه او يعني اسقاطه من السماء ، فان الآية الكريمة السابقة تحتمل كلا المعنيين ، وهذا هو سر عظمة القرآن وسر اعجازه .

٥ ـ قوله تعالى : (**هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد**) الحج/ ١٩ ـ ٢١ .

والمقامع في اللغة هي السياط ، وأصل المقمعة : ما يقمع به : أي يكف بعنف .

والآية الكريمة : (**ولهم مقامع من حديد**) تتساوق مع قوله تعالى في الآية التي سبق الاشارة اليها : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**) ولذلك يستخدم الحديد لقمع الكافرين والمشركين في النار كلما حاولوا أن يهربوا من هول جحيمها ، فتردهم الملائكة بسياط من حديد الى حيث كانوا ، ولم يتوصل العلم الى الآن الى اكتشاف فلز أو معدن له خواص الحديد في بأسه وقوته ومرونته وشدة تحمله ، بيد أنه تجدر الاشارة بنا هنا الى أن الحديد المستخدم في المقامع التي تستخدمها الملائكة في جهنم يختلف في خواصه ومميزاته عن الحديد الذي نعرفه ، تماما كما تختلف الفاكهة التي ينعم بها المؤمنون في الجنة عن الفاكهة التي نعرفها في حياتنا الدنيا ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : (**مقامع من حديد**) ، حيث نلاحظ دخول حرف الجر (من) على كلمة (حديد) ليدل على أن الحديد المستخدم في هذه المقامع انما يتجانس فقط مع الحديد الذي نعرفه في الدنيا ، ولكنه يختلف عنه في الخواص والاغراض التي يستعمل فيها وهذا يتمشى مع المنطق والمنهج العلمي ، اذ لا يمكن للحديد الدنيوي أن يتحمل درجات الحرارة العالية جدا في جهنم دون أن يتغير شكله أو ينصهر ، ثم قد يكون الحديد الذي تصنع منه المقامع مكونا من عدد من العناصر التى لا يعلمها الا الله وتحتوي على الحديد كعنصر رئيسي فيها ، ولذلك قال

تعالى : (**ولهم مقامع من حديد**) ولم يقل « ولهم مقامع حديدية » لان الصفة في الجملة الثانية تقصر المواد التي تصنع منها المقامع على الحديد وحده ، والله وحده اعلم .

★**النحاس** :

ورد ذكر النحاس في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى : (**يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**) الرحمن/ ٣٣ ـ ٣٥ .

وهي تبين أن كل من تسول له نفسه من الجن أو الانس أن يخترق أقطار السماء ، فانه سوف يتعرض لأقسى أنواع العذاب ، حيث سيصب عليه نار ونحاس مصهور فلا يقدر على اتقائه أو دفعه ، ومن الجدير بالذكر أن الانسان قد توصل إلى صنع نوع خاص من الذخيرة المضادة للدبابات تعرف باسم « الحشوة الجوفاء » وتعتمد نظرية عملها على تجميع الموجات الانفجارية الناتجة من تفجير المادة المحطمة داخل المقذوفات أو الصواريخ في نقطة واحدة هي البؤرة وقد وجد خبراء المفرقعات أن استخدام النحاس كمادة مبطنة للمادة المحطمة في هذا النوع من الذخيرة ، يزيد من كفاءة اختراق المقذوفات للدروع السميكة للدبابات والعربات المجنزرة ، ولم يتوصل الانسان بعد الى معدن آخر يضاهي النحاس ـ في هذا المجال عمليا واقتصاديا ، وأي خبير في الذخيرة يدرك أن قوله تعالى : (**شواظ من نار ونحاس**) ينطبق تماما على نواتج تفجير مقذوفات الحشوة الجوفاء التي تستخدم ضد المدرعات ، فالشواظ في اللغة لسان اللهب ، ومن البديهي أن الانسان اذا حاول اجتياز أقطار السماوات والارض فسوف يتعرض لهذه المقذوفات من مصدر مجهول ـ ويدل على ذلك أن الفعل (**يرسل**) في الآية الكريمة مبني للمجهول ـ كما أن دقة التصويب في اطلاق هذه المقذوفات كبيرة جدا بحيث لا يمكن للجن أن يتفاداها ؛ أو للانس أن يتحاشاها ، ولذلك كان قوله تعالى (**فلا تنتصران**) تعبيرا عن ذلك ، وكانت الآية الكريمة السابقة التي ورد ذكر النحاس فيها تعد سبقا علميا كبيرا للقرآن في مجال المقذوفات .

★ **الذهب والفضة** :

يعد معدن الذهب من المعادن التي خلبت لب الانسان منذ قديم الزمان ، ولذلك يعتبره القرآن الكريم أحد الشهوات التي زين للناس حبها وكذلك الأمر بالنسبة للفضة ، قال تعالى : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع**

الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) آل عمران/ ١٤ .
ولقد قدس الانسان هذين المعدنين ـ أحيانا ـ وما عجل بني اسرائيل الذهبي الذي عبدوه ببعيد عن الأذهان ، ولقد بلغ حب القدامى للذهب أن طلب فرعون من موسى أن تلقى عليه أسورة من ذهب لكي يؤمن بربه ، قال تعالى : (**ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين**) الزخرف/ ٥١ ـ ٥٣ .

ونظرا لأن الذهب له منزلة كبيرة عند البشر وكذلك الفضة ، فان الصراع كان دائما منعقدا بين بني البشر من أجل تملك هذين المعدنين ، ولذلك يحذر القرآن الكريم هؤلاء الذين يقومون بكنز الذهب والفضة ، قال تعالى : (**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**) التوبة/ ٣٤ ـ ٣٥ . والآيتان الكريمتان السابقتان ترسمان لنا صورة من أبشع صور التعذيب الجسدي والنفسي لهؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا ، وجذبهم رنين الذهب وبهاء الفضة ، ومن المعروف أن المراكز الحسية والعصبية للانسان تتواجد في الجلد ، ولذلك فإن كي الجباه والجنوب والظهور يمثل نوعا من أقسى انواع العذاب الجسدي ، خاصة وان الذهب والفضة معدنان يتميزان بقدرتهما الكبيرة على توصيل الحرارة وامتصاصها ، ومما يزيد هذا العذاب الجسدي ضراوة عذاب نفسي يتمثل في أن هذين المعدنين اللذين كانا طوع يد الانسان في الحياة الدنيا قد تحولا إلى مصدر للالم في الآخرة ، وعلى النقيض من ذلك تشير آيات أخرى الى النعيم الذي ينتظر المؤمنين في جنة الخلد ، قال تعالى :

★ (**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير**) الحج/ ٢٣ .

★ (**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا**) الكهف/ ٣٠ و ٣١ .

★ (**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير**) فاطر/ ٣٢ و ٣٣ .

★ (**الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس**

وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) الزخرف/ ٦٩ ـ ٧١ .

★ (**ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا . قواريرا من فضة قدروها تقديرا**) الانسان/ ١٥ و ١٦ .

★ (**وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا**) الانسان/ ٢١

والآيات الكريمة السابقة تتحدث عن النواحي التي يستخدم فيها الذهب والفضة في الآخرة ، فمنهما تصنع الأساور والأواني والقوارير والصحاف والأكواب ، وتجدر الاشارة الى أن الذهب لا يعتريه الصدأ كالحديد ، ولا يتفاعل مع الرطوبة والهواء كالنحاس ، ولا يتأثر بالاحماض كباقي المعادن ، ومن ثم فلا خوف على الطعام او الشراب الذي يوضع في الأواني والاكواب من التلوث ، وكذلك الأمر بالنسبة للفضة فهي تقاوم عملية التأكسد « الصدأ » كما تفيد الفضة في قتل الجراثيم والكائنات الدقيقة ، وعلى سبيل المثال ، فقد اثبت العلم الحديث ان جزءا واحدا من الفضة يكفي ـ اذا وضع في مصفاة ـ لقتل الجراثيم الموجودة في عشرة ملايين جزء من الماء دون ان يسبب خطرا على حياة الانسان ، كما أن ملعقة صغيرة من الفضة تطهر أكثر من ٣٦ مليار لتر ماء ، وبذلك تفوق فاعلية الفضة في تعقيم المياه فعالية الكلور عشرة اضعاف .

وبالاضافة الى قيمة الفضة في تطهير الغذاء ، فان الفضة هي ايضا افضل موصل للكهرباء والحرارة ، واذا اعطينا الفضة رقم ١٠٠ فسوف نجد أن المعادن الاخرى لها القيم التالية في نقل الحرارة :

الفضة	١٠٠	الحديد	١١,٦
النحاس	٧٣,٦	البلاتين	٨,٤
الذهب	٥٣,٢	الرصاص	٨,١
الزنك	١٩	البزموث	١,٨

ولهذا تستخدم الفضة في امتصاص الطاقة الشمسية حديثا ، وقد قام العلماء في مختبر اوديو للطاقة الشمسية في جبال البيرنيه بفرنسا ، باستخدام صفوف من المرايا الفضية المغطاة بطبقة رقيقة من الزجاج لعكس نور الشمس مركزا داخل فرن ضخم ، تبلغ درجة حرارته ٣٨٠٠ درجة مئوية ويمكن لهذه الحرارة العالية أن تذيب طبقا فولاذيا سمكه ١٣,٥ ملليمترا ، والأهم من ذلك ان الحرارة الناتجة لا تلوث الجو ، وكأن ذلك هو ما تنبأ به القرآن الكريم حين قال :

(**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و معارج عليها يظهرون**) الزخرف/ ٣٣ .

وبالرغم من أن الآية السابقة تشير إلى أن هذه الدنيا من الهوان عند الله بحيث كان يجعل سقف الكافرين من الفضة ، الا ان الشيء المثير للانتباه هو اختصاص الفضة بالذكر في الآية دون الذهب ، والذهب أغلى وأقيم . لا بد أن في الأمر سرا يرتبط ـ والله اعلم ـ باستغلال الطاقة الشمسية عن طريق المرايا الفضية ـ ويؤكد

ذلك أن لفظة (سقف) هي جمع الجمع لكلمة (سقف) بسكون القاف ، كما أن بعض المفسرين يرون ان « اللام » في « لبيوتهم » بمعنى على ، اي على بيوتهم ، وبذلك يمكن القول بان صفوف المرايا الفضية التي توضع على سطوح المباني والمنشآت هي السقف التي اشار اليها القرآن الكريم وتنبأبها منذ أربعة عشر قرنا .

وتتبقى آية أخيرة تتحدث عن العذاب الأليم الذي ينتظر الذين كفروا وكذبوا بلقاء ربهم ، وتبين انه من المحال ان تقبل التوبة من احدهم لو افتدى نفسه بملء الارض ذهبا ، قال تعالى : (**ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين**) آل عمران / ٩١ .

★ الحلى والمعادن :

تستخدم لفظة « الحلى » لتدل على المواد التي يستخدمها الانسان لأغراض الزينة سواءكانت هذه المواد ذات اصل معدني كحجار الزينة والاحجار الكريمة اوكانت ذات اصل حيواني كاللؤلؤ والمرجان ، وما يهمنا في هذا المجال هو الحلى ذات الاصل المعدني كالذهب والفضة والياقوت ، وقد تحدث القرآن الكريم في مواقع عن مصادر استخراج هذه الحلى وبين انها تستخرج من مياه الانهار والبحار ولا تستخرج فقط من المياه المالحة كما كان الناس يعتقدون قديما ، قال تعالى :

١ ـ (**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها**) النحل / ١٤ .

٢ ـ (**وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها**) فاطر / ٢٢ .

٣ ـ (**مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**) الرحمن / ١٩ ـ ٢٢ .

وعلى سبيل المثال يحصل الانسان على معظم الذهب الذي يتم انتاجه في العالم من رواسب الوديان كما هو الحال في منطقة نهر اللينا والأورال ، وفي مناطق ياكوت ونهر يينساي بالاتحاد السوفياتي ، وكذلك حقل ذهب بحيرة كيركلاند باونتاريو في كندا ، ورواسب الوديان الحاوية للذهب بكاليفورنيا .

ومن الاحجار الكريمة التي تستخدم في عمل الحلى معدن الزيركون وهو حجر كريم جذاب وتتقارب خواصه من خواص الماس ومعظم انواعه تستخرج من الرواسب النهرية كذلك فان حجر التوباز يوجد ايضا في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة في العالم ، اما الياقوت فانه يتواجد هو الآخر في الرواسب النهرية في « كوجوك » في بورما العليا وفي الرواسب النهرية بتايلاند وسيريلانكا وقد تحدث القرآن الكريم عن **نوعين من الحلى** :

الاول : الحلى المصنوعة من المعادن وذكر منها القرآن الذهب والفضة والياقوت .
والثاني : الحلى المصنوعة من مواد عضوية وذكر منها القرآن : اللؤلؤ والمرجان .
واللؤلؤ مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية التي تعيش في مياه البحار والانهار وهذه المادة تكون على شكل حبات ذات بنيان صلد املس براق من كربونات الكالسيوم ، ولقد كان الرأي المعروف الى فترة بسيطة ان اللؤلؤ انما يستخرج فقط من المياه المالحة الى ان تمكن الانسان اخيرا من استخراج بعض أنواعه من المياه العذبة في انجلترا واستكلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان ..
اما المرجان فهو عبارة عن صخر تبنيه في البحر أحياء مائية غاية في الصغر ،لتتخذ منه بيوتا لها في الماء وهي تبني هذه البيوت من مادة الحجر الجيرى الموجودة في البحر .

★ **الياقوت** :
تحدث القرآن الكريم عن الياقوت في موضع واحد في كتابه الكريم وذلك في قوله تعالى :
(فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان) الرحمن / ٥٦ ـ ٥٨ .
يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآيات الكريمة في كتابه الشهير الجامع لاحكام القرآن : « روى الترمذي عن عبدالله بن مسعود عن النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال : « ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها » .
وذلك بان الله تعالى يقول : كأنهن الياقوت والمرجان ، فأما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمرو بن ميمون : ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك ، كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء وقال الحسن : هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان) .
وما يقوله القرطبي في تفسير قوله تعالى : (كأنهن الياقوت والمرجان) يتساوق مع ما اثبته العلم من ان الياقوت يتميز بان له شفافية عالية ، وكلما كان الياقوت شفافا كلما زادت قيمته ، ولذلك تعد **الشفافية عاملا هاما** في تقدير الجواهر والحلى .

خاتمة :
هكذا طفنا في رحاب كتاب الله الخالد ،والقينا الضوء على الآيات الكريمة التي تشير الى المعادن ، واشرنا الى ما فيها من اعجاز ان دل على شيء فانما يدل على ان القرآن الكريم من عند الحق ـ سبحانه وتعالى ـ وانه كتاب لا يأتيه الباطل أبدا ـ ولا يمكن للجن او الانس ان يأتوا بآية من آياته مهما أوتوا من علم ، ومهما أوتوا من قدرة ، والله يهدينا الى صراط الحميد .

وقفة تأمل

عقدة الأجنبي

واقـع الامة المسلمـة : صورة عجيبـة ، مضحكة ، مبكيـة .. صورة غـير واضحةالمعالم ، وبلا اطر ، ولا ابعاد .. خليط من :

الشاب المستهتر اللاهي .. الذي يعيش يومه .. بلا امل في غده ، ولا تفكير في مستقبله ، ولا حرص على وقته ، بل حياته بين لهو بريء وغير بريء تحيط به رفقة السوء فتزين له الباطل فيراه حقا .. ويسيء الى نفسه من حيث يظن انه يحسن صنعا .. فلا يرعى للدين حرمة ، ولا للأهل حقا ، ولا للوطن واجبا .. وهذا وبال على نفسه وعلى امته ..

○ وشاب اخر يسارع الى مرضاة ربه ، قلبه معلق بالمساجد .. يفيض الايمان على جوارحه ، عف اللسان ، طاهر الثوب ، نقي الباطن .. يعرف لله حقه ، وللاهل واجبهم .. وللوطن حرمته .. يعيش من اجل نفسه وامته ، تجده في طرق الخير دائما حامل مشعل نور ، يهدي الى التي هي احسن ، ويجد في رمضان فرصة فينشط لعبادة الله تعالى صوما بالنهار ، وقياما بالليل ..

○ والفتاة ممن أنار الله بصيرتهن .. تتمسك بأهداب الدين ، فتحرص على كل فضيلة وتأنف من كل رذيلة .. فهي مسلمة في ظاهرها ، وباطنها .. تعرف لكل ذي حق حقه .. وتساهم في بناء صرح امتها الاسلامية الخالدة .

○ واخرى لا يهمها الا تقليد الغرب سلوكا ومظهرا .. اذا كانت « المودة » في الملابس القصيرة .. فهي سباقة اليها ، واذا كانت في الملابس الطويلة فهي مقلدة لها .. الى غير ذلك ..

○ من هنا فان واقعنا متناقض عجيب : ايمان صادق .. وصور زائفة .. اصحاب تقوى .. واصحاب سيئات ، عفاف وشرف ، واستهتار بالقيم .. فمتى يستقيم واقعنا هذا ؟! ام ستظل تصدق فينا هذه العبارة « عقدة الخواجة » : والتي تفسد واقعنا ، وتشوه مظهرنا ، وتنشر القبح في حياتنا ..

○ يحكى ان الشيخ حسن البنا كان في زيارة للشيخ المراغي ـ شيخ الازهر الاسبق ـ ودار حديث بينهما عن واقع المسلمين ، وعن كيفية نجاح الدعوة الى الله . وكان مما قال الشيخ المراغي : ان ابنته جمعتها صحبة السفر بالقطار باحدى الاجنبيات .. ودار حديث بينهما .. وقالت الاجنبية عن احد الصحابة الشيء الكثير مما شد انتباه ابنة الشيخ .. فما كان منها الا ان طلبت من ابيها كتابا يتحدث عن الصحابي الجليل .. فقال لها والدها الشيخ : طالما حدثتك عن الصحابة الكرام وتاريخهم وامجادهم . فلم تعطي حديثي اهتماما .. حتى اذا جاءت تلك الاجنبية فحدثتك عن صحابي جليل استمعت لكلامها وشدك حديثها !! ثم اردف قائلا : « اترانا يا شيخ حسن لن نسلم حقا الا اذا اسلم الاجنبي اولا ؟!! شيء عجيب .. فهل ان لحكامنا ان يطبقوا شرع الله في كل جوانب حياتنا .. ام علينا ان ننتظر حتى نأخذ ذلك عن الغرب ، كما اخذنا قوانيننا الوضعية !! .

من انتصارات رمضان

موقعة عين جالوت

للأستاذ : علي القاضي

يبدو أن الطبيعة البشرية بما فيها من أثرة تتغلب في كثير من الأحيان على المصلحة العامة وبخاصة حين لا يكون الايمان عميقا في النفس ـ ويكون من نتائج ذلك ما نقرؤه في كتب التاريخ وما نراه ونسمع عنه في عصرنا الحاضر من تنافس وتناطح وحروب ـ وكل ذلك يشقى به الفرد كما يشقى به المجتمع .

ونحن نقرأ في كتب التاريخ أنه حين وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٩ هـ توزعت المملكة بين أولاده وأفراد أسرته ، وأراد كل واحد منهم أن يثبت ذاته ، فنشأ لذلك الصراع بينهم ، وبدلا من أن يستخدموا مؤهلاتهم وكفاءاتهم في أداء رسالتهم الاسلامية ـ اذا بهم يتجاوزون هذا كله ـ ويبدأ بعضهم في الاستعانة بالصليبيين لتدبير المؤامرات ضد اخوانهم ـ وكان لابد من جني الثمار لهذا السلوك ـ فاضطربت الدولة سياسيا ، وانحلت اخلاقيا ، وانتشرت الفوضى في الولايات التابعة للمملكة ، وافتقد الناس الأمن وهو أهم حاجات الناس في هذه الحياة .

وتجرأ الصليبيون على المسلمين

فبدأت غاراتهم على المدن الاسلامية التي استردها صلاح الدين منهم بعد تضحيات كثيرة .

○ داخل المجتمع الاسلامي :

نحن نعرف أن الهزيمة تأتي من الداخل قبل أن تأتي من الخارج ، ولذلك فلابد وأن نلقي نظرة على المجتمع الاسلامي في الفترة التي سبقت موقعة عين جالوت لنرى ما وصل اليه وأثر ذلك في طمع أعدائه فيه .

حدثت منازعات بين الملك العادل والملك الأفضل - كان من نتائجها اشتداد الغلاء ، وهلاك كثير من الاهالي حتى يقال كما روى بعض المؤرخين : ان الملك العادل كفن من ماله في شهر من سنة ٥٨٩ هـ نحوا من مائتي الف ، كما أكل الناس لحوم الكلاب .

وفي بلاد الشام والعراق وغيرها حدث زلزال عظيم كان من نتائجه موت نحو ثلاثين الفا في نابلس وقراها ، وقد قدر صاحب مرآة الزمان انه مات في هذه السنة بسبب الزلزال نحو مليون ومائة الف انسان قتلا .

أما بغداد - مركز الخلافة - فقد سيطرت عليها مظهرية الملك ، وتغلغل نفوذ الخدم والحشم في قصور الخلفاء ، وبلغت الثروة والاسراف والمدنية ذروتها الى درجة ان المواكب الملكية كانت تشغل الناس عن الصلاة ، وكثرت مصادرات الاملاك وتفشت الرشوة وعزل كبار الموظفين وألقى القبض عليهم وصودرت املاكهم .

وتفاقم أمر الباطنية والشطار - واشتد النزاع الطائفي والتفكك الخلقي والانصراف الى اللهو والتكاثر في الاموال .

وهكذا كانت الحالة الداخلية في المجتمع الاسلامي : فرقة ونزاعا وعدم استقرار - وهذا ما هيأ الجو لأن تكون الدولة الاسلامية منهزمة من الداخل قبل ان تهزم من الخارج على يد اعدائها .

في هذه الفترة كان جيش بغداد يبلغ عشرة آلاف فارس - قلة في العدد وضعف في العزيمة وخور في الهمة - والخليفة سلبت منه كل سلطاته ، فلم يعد الا مجرد رمز ، هكذا أرادوا له أن يكون كالببغاء لا ينطق الا بما يريدون .

وملوك خوارزم الذين قامت دولتهم القوية في الجزء الشرقي من العالم الاسلامي في اخر القرن الخامس ، واصبح أكثر العالم الاسلامي خاضعا لسلطانهم لم يبذلوا قواهم الا في توسيع رقعة الحكم ودعمه وقمع خصومهم ، ولو انهم وجهوا اهتمامهم في تبليغ رسالة الاسلام الى من يجاورهم ، لأمكنهم بذلك أن يضموه الى عقيدتهم وأن يستأنسوا وحشيته ، ولأقاموا بذلك لأنفسهم سياجا يحميهم .

○ خارج المجتمع الاسلامي :

في هذه الفترة من التاريخ ظهر على

المســرح الخارجي التتــار ـ القوة الجديدة في العالم ـ والتي عرفت بالوحشية المتناهية في معاملة البلاد التي تغير عليها ، لقد استولوا على فارس وتركستان ـ وكانت ابصارهم شاخصة الى بغداد مركز الخلافة الاسلامية ، وكانت الاحوال الداخلية المضطربة تجعل الوضع الداخلي على درجة كبيرة من الفوضى في كل ناحية .

ومما زاد الطين بلة أن الخليفة المستعصم استوزر محمد بن العلقمي سنة ٧٤٣ هـ ولم يكن وزير صدق ، فزاد نظام الحكومة اضطرابا ـ ولما وقعت الحــرب بــين أهــل السنــة والرافضة سنة ٦٥٥ هـ نهبت الكرخ ومحلة الرافضة ـ ووصل الامر الى نهب دور قرابات الوزير ، فــاشتد حنقه ، ودبر للاسلام وأهله ما وقع من الامور التي لم يؤرخ أبشع منها منذ بنيت بغداد .

○ زحف التتار :

بدأ التتار زحفهم بقيادة ملكهم جنكيز خان نحو الجزء الشرقي للعالم الاسلامي ـ ايران وتركستان ـ حتى وصلوا الى بغداد وقاموا بتدميرها وابــادة علمائهــا سنة ٦٦٥ هـ ـ والدافع المباشر لما قام به التتار هو قتل تجار قافلة كان افرادها جميعا من التتار بحجة أنهم جواسيس ـ ولما شكا جنكيز خان الى خوارزم شاه ما حدث للتجار ـ انتهز خوارزم شاه الفرصة فقتل رئيس السفراء ، وأمر باحراق لحي الباقين الذين رجعوا الى جنكيز خان ، وقتل الرسل عمل لا يقره اي قانون ، وهذا يدل على عدم تقدير للامور الذي هو أهم شيء في القيادة السياسية لدولة من الدول .

وثار جنكيز خان لهذا العمل وقال قولته المشهورة « اذا كانت السماء لا تحتمل وجود شمسين ، فإن الأرض كذلك ـ لا تحتمل ملكين .

بدأ التتار زحفهم على بخاري فأتوا عليها من كل جانب حتى أصبحت كومة من تراب ، ثم سمر قند حتى أحرقوها وأبادوا أهلها ـ وهكذا في جميع المدن التي مروا بها مثل همدان وقزوين ومرو ونيسابور وخوارزم .

وكان من نتائج هذا كله أن خوارزم شاه ، الذي كان يعتبر الملك الوحيد للعالم الاسلامي ، واقوى الرجال في عصــره ـ أصبح يعيش في خــوف وهلع ، وأصبح ينتقل من بلد الى بلد فارا بنفسه والتتار من خلفه يبحثون عنه ، حتى توفي في جزيرة مجهولة .. وقد دخل رعب التتار قلوب المسلمين جميعــا حتى أصبح اسمهم يهــز النفوس ويبعث فيها الرعب ..

وهــزت غــارات التتــار العــالم الاسلامي هزا عنيفا وغلب على الناس اليأس ـ حتى دخل في قلوب الناس أن مقاومتهم مستحيلة ، وشاع في الناس أن التتار لا يهزمون ، ولذلك فقد أصبح كل شيء مصدقا ، وقد قتلوا في مدينة ري وحدها اكثر من سبعمائة الف مسلم ـ وفي بغداد استمر التتار يقتلون الأهالي أربعين يوما ـ حتى أصبحت خاوية على عروشها ـ ولم يرع التتار عهدا ولا ذمة ، وقد أنزل

هولاكو الخليفة المستعصم في خيمة - ثم دخل الوزير واستدعى التتار أهل الحل والعقد ، ليحضروا المعاهدة فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم - وهكذا تخرج طائفة وراء أخرى لتلقي نفس المصير - وكما فعلوا في بغداد فعلوا في حلب سنة ٦٥٨ هـ حيث استولوا عليها وأحرقوا مساجدها ، وجرت الدماء في الأزقة - ثم وصل التتار الى دمشق وسلطانها الناصر يوسف بن ايوب - فخرج هاربا ومعه الأغنياء ، ودخل التتار دمشق وتسلموها بالأمان ، ثم غدروا بأهلها ، ووصلوا الى نابلس والكرك وبيت المقدس وغزة .

وقد استثمر التتار حرب الصاعقة وحرب الأعصاب الى أقصى حد فنشروا الذعر والخوف من بطشهم في كل مكان - وحيثما اتجهت قواتهم كانت تسبقهم الأقاصيص عن طغيانهم وقسوتهم ومذابحهم - وقد تدفق على مصر جموع الفارين من التتار ناشرين الرعب والفزع بين أفراد الشعب من هول ما يروونه من أخبار وفظائع المغول .

وقد كان للنصارى موقف غريب - فقد استقبلوا التتار خارج مدينة دمشق ، وقدموا اليهم الهدايا ، وكان معهم صليب يحملونه على رءوس الناس وهم ينادون بشعارهم ويقولون : « ظهر الدين الصحيح - دين المسيح » . ويذمون الاسلام وأهله - ومعهم أواني الخمر يرشون منها على وجوه الناس ، ويأمرون كل من يجتاز الأسواق ان يقوم لصليبهم - فتكاثر عليهم المسلمون وردوهم الى كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم يمدح دين النصارى ويذم دين الاسلام وأهله ، ودخلوا الى الجامع بخمرهم ، فاجتمع قضاة المسلمين وفقاؤهم ودخلوا القلعة يشكون هذا الى متسلمها « ايل سيان » فأهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم - كما أمر جنكيز خان بقتل كل من يذبح الحيوانات على النحو الذي قرره الاسلام وسار على هذا النهج خلفاؤه .

ويلاحظ أن حاشية جنكيز خان كانت تضم عددا كبيرا من المسيحيين من بينهم قائده « كتبغا » وفي الوقت الذي ذبح فيه قوات التتار المسلمين في مذابح بغداد وغيرها لم يمس المسيحيون في تلك المدن .

○ موقف أوربا

وقد أيد المسيحيون في أوربا التتار تأييدا تاما - ذلك لانهم كانوا أصدقاء لهم ، كما كان لهولاكو زوجة مسيحية ، وكان لذلك أثره في سلوك التتار ، فولى سوريا رجل مسيحي بعد أن دخلها التتار - وكانت نظرة المسيحيين في أوربا على أنهم حلفاؤهم - من هنا فكر البابوات في نشر المسيحية بين التتار - كما فكر ملوك أوربا في تأليف حلف بين التتار والمسيحيين لتدمير البلاد الاسلامية .

وقد دعا لويس رجال التتار الى فرنسا ، حيث فاوضهم على عقد

اتفاقية عسكرية ، تنص على أن يقوم طرفاها بعمليات حربية على المسلمين ، يكون دور التتار فيها غزو العراق وتدمير بغداد والقضاء على الخلافة الاسلامية ، ويكون دور الصليبيين حماية هذا الغزو من الجيوش المصرية ، وتجريد جيوشهم لمنع نجدة القوات المصرية للمسلمين في آسيا ، وبذلك تعزل مصر عزلا تاما ، يقول الأسقف « دي مسيل » في كتابه عن الكنيسة والحملات الصليبية « لقد كانت الحملة التترية على الاسلام والعرب حملة صليبية بالمعنى الكامل لها ـ وقد هلل لها الغرب وارتقب الخلاص على يد هولاكو وقائده المسيحي « كتبغا » الذي تعلق أمل الغرب عليه ليحقق له القضاء على المسلمين ـ وهو الهدف الذي أخفقت في تحقيقه الجيوش الصليبية ـ ولم يعد للغرب أمل في بلوغه الا على أيدي التتار خصوم المسلمين » .

○ **قطز** :

في هذه الفترة كان يحكم مصر قطز ـ ترى ماذا كان يحدث لو أن رجلا غيره كان يحكم مصر في هذه الفترة ؟ ـ لكن الله سبحانه وتعالى كان رحيما بعباده ، فقيض للأمة الاسلامية في هذه الفترة ذلك الرجل الذي عزم على أن يقوم بدوره كاملا في إعادة مجد المسلمين ومحو الآثار التي ترتبت على الأحداث التي قام بها التتار في البلاد الاسلامية .

أرسل التتار رسلا الى مصر ـ ليشيعوا بين أهلها أن التتار خلقوا ليحكموا ويتحكموا في الرقاب وعلى الناس أن يقبلوا ذلك ساجدين ـ وقد أثار هؤلاء المبعوثون الفتنة في البلاد منذ حلوا في ضيافة الملك ـ وقد كانوا يمنونه ويعدونه ـ وكان رد قطز على ذلك أن أمر بقتل الرسل : فتم شنق أربعة منهم عند باب الساحة من ناحية الأزهر ـ وترك الخامس ليعود الى هولاكو فيبلغه ما رأى .

وقد كان مع هؤلاء الرسل رجال مخصوصون للتجسس ، وليعرفوا مداخل الحصون ومخارجها واستحكامات المدينة ، وما الى ذلك من الأماكن الحربية ـ وكان مع الرسل كتاب من هولاكو يهدد فيه ويطلب التسليم ، وقد جاء فيه « يعلم الملك قطز أنه من جيش المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم وأنا نحن جند الله في أرضه ـ خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه ـ فاتعظوا بغيركم وأسلموا لنا أمركم ـ فنحن لا نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكر ـ وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد ـ فعليكم بالهرب وعلينا الطلب فما لكم من سيوفنا خلاص ـ فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال » .

وقد عزم قطز على قطع أي أمل في حل غير القتال من المترددين والمنهزمين فقتل الرسل وقال قولته الحاسمة : ان الرأي عندي هو أن نتوجه جميعا الى القتال ـ فاذا ظفرنا

فهو المراد والا فلن نكون مسلمين أمام الخلق ـ ومن هنا فقد بدأ يعد العدة المتكاملة لمقابلة التتار ـ فأرسل الى ملوك المسلمين لتحقيق وحدة الغاية في مواجهة التتار وانقلبت القاهرة الى صناعة تعد للحرب عدتها .

○ العز بن عبد السلام :

وجمع قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه من أمر التتار ، وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم ، وحضر أصحاب الرأي في دار السلطنة بقلعة الجبل وقال ابن عبد السلام : « انه اذا طرق العدو بلاد الاسلام وجب على المسلمين قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم ـ بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء ، وتبيعوا ما لكم من الحوائج المذهبة والآلات النفيسة ، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه ويتساووا هم والعامة » وقد وافقوا على قوله ، ولكن الكلام شيء والتنفيذ شيء آخر ـ وشرح قطز لابن عبد السلام صعوبة الأخذ من أموال الأمراء فقال العز : لا أرجع في فتواي لرأي ملك أو سلطان ، وذكره بالله وبالعهد الذي قطعه على نفسه على أن يقوم بالعدل وينظر في حال المسلمين ومصلحتهم وأغلظ له في القول ـ وقد اغرورقت عينا قطز بالدموع ، وقام الى الشيخ فقبله على رأسه قائلا : بارك الله لنا ولمصر فيك ، وان الاسلام ليفخر بعالم مثلك ، لا يخاف في الحق لومة لائم .

وقد عهد قطز الى الشيخ الاشراف على التعبئة المعنوية والى وزيره ابن عبد الرفيع بالاشراف على جميع الاموال وتسليح كل قادر على حمل السلاح وشملت التدريبات العسكرية كل قرية ـ كما شملت البلاد روح من التشوق الى المثل العليا والتوبة من الذنوب والاقبال على الله ، وكل واحد أصبح يتمنى لو مات شهيدا ، وسارع أصحاب دور اللهو الى إقفالها ، وأصبحت القاهرة كأنها محراب عبادة .

وقد صفى قطز مشكلاته مع المتقاعسين من المماليك حين عرض أمرهم على الأمة ، فأشارت بحبسهم حتى تنتهي المعركة ـ كما طلب من الافرنج أن يحددوا موقفهم واتفق معهم على الحياد .

○ عين جالوت :

أحس قطز بأن التتار سيزحفون الى مصر بعد الشام ـ فقد تواترت الأخبار بأن التتار قد استولوا على سورية وفلسطين ، كما وصل الى القاهرة كمال الدين عمر بن النديم رسولا من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام ، يطلب من قطز النجدة على قتال الكفار ، ورأى الملك قطز ان خير وسيلة للدفاع الهجوم ـ فرأى أن يخرج من مصر بالجنود ويشن عليهم الهجوم في الشام ، وقد كان خروجه في يوم الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨ هـ بجيوش مصر ومن انضم

اليهم من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم ـ ونودي في القاهرة والفسطاط وسائر أقليم مصر بالخروج الى الجهاد ـ وتقدم قطز الى جميع الـولاة بحث الاجناد للخـروج الى القتـال ، وسـار حتى وصـل الى الصالحية . فجمع الأمراء وكلمهم في الرحيل فأبوا وامتنعوا على الرحيل ـ فقال يا أمراء المسلمين : لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزو كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد فليصحبني ومن لم يختر فليرجع الى بيته فإن الله مطلع عليه ـ وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين .

وقد كان قادة قطز يريدون الدفاع لا الهجوم للصيت الذي بلغهم ، وبذل قطز جهودا ضخمة في رفع معنويات الجماهير والقادة على حد سواء ـ وكان عليه ان يزيل آثـار الحرب النفسية المغولية التي تمثلت في قول بعض الأمراء « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومة التتار » وهنا قال قطز : « ان الرأي عندي أن نتوجه جميعا الى القتال ـ فاذا ظفرنا فهو المراد والا فلن نكون مسلمين آمام الله » وعمل جهده على حشد كل طاقاته المادية والمعنوية للحرب ـ فلا يعلو صوت على صوت المعركة ولا يقبل عذر من قادر على الجهاد بماله وروحه ـ وقد كان هو قدوة لهم فسار على رأس جيشه حتى وصل مدينة غزة والقلوب وجلة ـ وفي غـزة كانت جمـوع التتار بقيـادة « بيدر » الذي كان ينتظر لقاء قطز بأمر من كتبغا الذي أمره بحرب قطز ـ وبعث قطز طلائع قواته بقيادة ركن الدين بيبرس لمناوشة التتار واختبار قوتهم وتحصيل المعلومات ـ فالتقى بيبرس بطلائع التتار في عين جالوت بالقرب من نابلس ، وشاغل التتار حتى وافاه قطز على رأس القوات الأصلية من جيشه .

وفي يـوم الجمـعـة الخـامس والعشرين من شهر رمضان نشبت بين الجيشين معركة حاسمة ـ وقد كان التتار يحتلون مرتفعات سهل « عين جالوت » فانتصروا على جيش قطز في أول الأمر ـ وكانت طبيعة معاركهم الانقضاض عـلى الأعداء تطبيقـا لحـرب الصـاعقـة التي يمارسونها في حروبهم معتمدين على سرعة الخيل ـ وكان القتال شديدا لم ير مثله حتى قتل من الطائفتين جموع كثيرة وتغلغل التتار عمقا في مسيرة قطز فانكسرت انكسارا شنيعا ـ ولكن قطز حمل بنفسه في طائفة من جنده وأسرع لنجدة المسيرة حتى استعادت مواقعها ، وأستأنف قطز الهجـوم المضاد بقوات القلب التي كان يقودها وكـان يتقدم جنـوده وهو يصيـح « واإسلاماه » .

واقتحم القتال وباشـره بنفسه وأبلى في ذلك اليوم بلاء عظيما ـ وكانت قـوة القلب مؤلفة من المتطـوعـين المجاهدين الـذين خرجـوا يطلبون الشهـادة ويدافعـون عن الاسلام بايمان ـ وكان قطز يشجع اصحابه ويحسن لهم الموت ويضرب لهم المثل بما يفعله من إقـدام ويبديـه من استبسال .

وكان من ذكاء قطز أنه أخفى معظم

قواته النظامية في شعب التلال لتكون كمائن ـ وبعد أن كر بالمجاهدين مرة وأخرى تزعزع جناح التتار ، وبرز المماليك من كمائنهم وأداموا زخم الهجوم بشدة وعنف ـ وكان قطز أمام جيشه يصيح « واإسلاماه » يا الله انصر عبدك قطز على التتار ـ وكان جيشه يتبعه مقتديا باقدامه وبسالته ـ وقتل فرس قطز من تحته ـ وكاد يعرض للقتل لولا ان أسعفه احد فرسانه فنزل له عن فرسه وسارع قطز الى قيادة رجاله متغلغلا في صفوف أعدائه حتى ارتبكت صفوف التتار وشاع أن قائدهم « كتبغا » قد قتل فولوا الأدبار ـ وقد نصحه اتباعه بالهروب ولكنه قال : « الموت مع العزة خير من الهرب مع الذل والهوان » ولم يضيع المسلمون وقتا فبدأ المسلمون فورا في مطاردة التتار حتى دخل قطز دمشق في اواخر رمضان ، فاستقبله أهلها بالابتهاج واستمرت المطاردة الى قرب مدينة حلب ـ فلما شعر التتار باقتراب المسلمين منهم تركوا ما بأيديهم من أساري المسلمين ورموا اولادهم فتخطفهم الناس وقاسوا من البلاء ما يستحقون .

○ **لماذا انتصر المسلمون ؟ :**

ان كل الحسابات العسكرية تجعل النصر في جانب التتار ـ فقد كانت تجاربهم في الحرب طويلة ، ولم يكن لقطز ولا لقادته مثل هذه التجارب ولا ما يقاربها ، كما كان جيش التتار في عدد لا يحصيه الا الله تعالى كما يقول المؤرخون ـ كما انهم اشتهروا بالوحشية فكانوا يقتلون الرجال ويستاقون الأسرى ـ ولذلك فقد هرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر الى المغرب ، كما هرب جماعات الى اليمن والحجاز والباقون بقوا في خوف شديد يتوقعون الهزيمة ـ وهكذا كانت الروح المعنوية في جيش المسلمين منهارة ـ أما التتار فلم يهزموا في معركة قط ، وقد استغل التتار حرب الاعصاب فكانوا يشيعون الشائعات المختلفة التي تؤثر في نفوس أعدائهم ـ وقد ازداد جيش التتار بالذين التحقوا بهم من المرتزقة والصليبيين بعد احتلال الشام .

كما أن جيش التتار كان يتميز بفرسانه المدربين ـ وكان تعداد فرسانه كبيرا مما يسر له سرعة الحركة وتطبيق حرب الصاعقة التي كانت من سمات حرب التتار .

ثم ان مواقع جيش التتار في عين جالوت كانت افضل من مواقع الجيش المصري ـ لأن تلك المواقع كانت محتلة من التتار قبل وصول الجيش المصري الى المنطقة حيث كانت تحت سيطرتهم ـ كما ان جيش التتار كان متفوقا في قضاياه الادارية ـ اذ انه كان يستند على قواعده القريبة في ارض الشام وهي التي استولى عليها واستثمر خيراتها ـ بينما كانت قواعد الجيش المصري الادارية بعيدة عنه ـ لانه كان يعتمد على مصر وحدها في اعاشته ، والمسافة بين مصر وعين جالوت طويلة وبخاصة في تلك الايام التي كانت القضايا الادارية فيها تنقل

على الدواب والجمال مخترقة الصحاري والقفار .

وعلى الرغم من هذا كله انتصر الجيش الاسلامي - انتصر لأنه سار في اتجاه الاسلام ، فالعلماء وعلى رأسهم العز قدموا ارشاداتهم التي نفذت بكل اخلاص وأمانة ، والشعب اتجه الى الله تعالى مستغفرا من ذنوبه طالبا من ربه النصر ، وقطز القائد كان البطل والقدوة ، وكان يتميز بالشجاعة وارادة القتال والتصميم على محاربة التتار مهما كلفه ذلك - فليس امامه الا النصر او الاستشهاد ، وحين اطمأن الى نصر الله لم يأخذه الغرور - بل ترجل عن فرسه ومرغ وجهه في التراب وسجد شكرا لله على ما أولاه من نصر باهر ، وحمد الله وأثنى عليه ثناء عاطرا .

ولاول مرة في تاريخ الزحف المغولي الذي امتد نصف قرن يخرج اليهم شعب ليقاتلهم قبل ان يصلوا اليه ، وينتصر عليهم انتصارا ساحقا - وهم القوة الجبارة التي اعتادت ان تستسلم لها الشعوب قبل ان يصلوا اليها .

○ خاتمة :

يقول « دي ميستيل » تعليقا على هذه المعركة « وهكذا نرى الاسلام الذي اشرفت قوته على الزوال يستعيد قوته ويصبح اشد خطرا من ذي قبل » .

وقد بدأت بعد ذلك . دعوة الاسلام تنتشر فجأة بين افراد هذا الشعب ويتحقق على ايدي دعاة الاسلام دخول هؤلاء في الاسلام - اذ بدأ حبه يتسرب الى نفوسهم حتى دخلوا في دين الله افواجا بعد ان فعلوا ما فعلوا بالمسلمين .

لقد نشأ التتار على حياة الهمجية وفتحوا بلاد المسلمين ، وقتلوا منهم من قتلوا وشردوا من شردوا - ومع ذلك فقد دخلوا في الاسلام وهم في ذروة قوتهم وسلطانهم ، وهذا من العجائب التي لا تحدث الا بالنسبة للاسلام ، اذ ان العادة قد جرت على ان يعتنق المغلوب دين الغالب . ولكن الاسلام غير ذلك .

وقد توزعت مملكة جنكيز خان بعد وفاته الى اربعة فروع - وبدأ الاسلام ينتشر في هذه الفروع الاربعة ، ولم يمض قرن من الزمان حتى كان التتار قد اسلموا جميعا .

وقد كان اول من اسلم منهم بركةخان ١٢٥٦/ ١٢٦٢ م ، وكان رئيسا للقبيلة الذهبية في روسيا ، وسبب اسلامه انه تلاقى يوما مع عير للتجار آتية من بخاري - ولما خلا بتاجرين سألهما عن اعتناق هذا الدين والاخلاص له - وقد كان أصغر اخوته .

ان الاسلام يملك اكبر قوة ، ويتمتع بأكبر موهبة في كسب الانصار ، وقد اسلم التتار وبرز فيهم عدد كبير من العلماء والفقهاء والمجاهدين والدعاة الربانيين واهل الصدق ، ادوا دورهم في حماية الاسلام في ظروف دقيقة ولحظات عميقة في التاريخ .



للدكتور / محمد زكي عبدالبر

يلفت النظر الآن ميل كثير من النساء المسلمات إلى التسمي باسم اسرة زوجها باضافة اسمها الى لقب زوجها تاركة لقبها هي اي اسم اسرة ابيها ، لدوافع لعل في مقدمتها شهرة الزوج او حب الناس له وخمول الاب او كره الناس له الى غير ذلك من البواعث .. ونحن ننبه الى ان هذا خطأ فاحش لا يقره الاسلام ، ولو جاز لكان اولى به امهات المؤمنين رضي الله عنهن وكن زوجات لخير خلق الله ، ولكنهن لم يفعلن واحتفظن باسمائهن واسماء آبائهن . قال الله تعالى : (**وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق**

وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما . النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم) . الاحزاب / ٤ ـ ٦ .
وجدير ان نبين سبب نزول هذه الآيات الكريمة ثم المراد منها

اولا ـ سبب النزول

كانوا في الجاهلية وأول الاسلام يقرون التبني ، وهو أن يتبنى الرجل ولد غيره ، فكان الرجل إذا أعجبه من الرجل جلده وظرفه ضمه ونسبه الى نفسه فيقال : فلان ابن فلان ، وجعل له من ميراثه نصيب الذكر من أولاده ، وحرم عليه نكاح زوجه اذا طلقها او مات عنها ، أي أن المتبني كان يأخذ ـ فوق النسب ـ حكم الولد من حيث الميراث ومن حيث حرمة النكاح .
وجريا على هذا العرف تبنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قبل المبعث ، زيد بن حارثة ، فكان يقال له « زيد ابن محمد » الا انه بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم نزل القرآن الكريم يحرم التبني ، فصار يدعى « زيد بن حارثة » قال القرطبي (١٤ ، ١١٨ ـ ١١٩) « اجمع اهل التفسير على ان هذا نزل في زيد بن حارثة » .
وقصة زيد هذه جديرة بالذكر لنزول القرآن الكريم فيه .
كان زيد فيما روى عن انس بن مالك وغيره ، مسبيا من الشام ، إذ كانت العرب في جاهليتها يغير بعضهم على بعضهم ويسبى ، وكان زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أخواله بني معن من بني ثعل من طيء فأصيب في غلمة من طيء ، فقدم به سوق عكاظ ، وكان حكيم بن حزام بن خويلد قد انطلق الى عكاظ يتسوق بها وقد أوصته عمته خديجة رضي الله عنها أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا إن قدر عليه . فلما جاء حكيم الى عكاظ وجد زيدا يباع فيها فأعجبه ظرفه فابتاعه فقدم به عليها وقال لها : إني قد ابتعت غلاما ظريفا عربيا فإن اعجبك فخذيه والا فدعيه فانه قد اعجبني ، فلما رأته خديجة رضي الله عنها اعجبها فأخذته . ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجب النبي صلى الله عليه وسلم ظرفه فاستوهبه منها فقالت « هو لك ، فإن أردت عتقه فالولاء لي » فأبى عليها ، فوهبته له : ان شاء اعتق وان شاء امسك ، فشب عند النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ان زيدا خرج في ابل لأبي طالب الى الشام فمر بأرض قوم فعرفه عمه فقام اليه فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : غلام من اهل مكة : قال : من انفسهم ؟ قال : لا ، قال : فحر انت او مملوك ؟ قال : بل مملوك .

قال لمن ؟ قال : لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فقال له : أعربي انت ام اعجمي ؟ فقال : بل عربي - قال : فمن اهلك ؟ قال : من كلب . قال من أي كلب ؟ قال : من بني عبدود قال : ويحك ! ابن من انت ؟ قال : ابن حارثة بن شراحيل ، قال : وأين اصبت ؟ قال : في اخوالي . قال : ومن اخوالك ؟ قال : طيء ، قال : ما اسم امك ؟ قال : سعدى - فالتزمه وقال : « ابن حارثة » ودعا أباه وقال : يا حارثة ! هذا ابنك ، فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه . قال : كيف صنع مولاك اليك ؟ قال : يؤثرني على أهله وولده ، ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت ، فركب معه أبوه وعمه وأخوه حتى قدموا مكة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له حارثة : يا محمد ! انتم اهل حرم الله وجيرانه وعند بيته : تفكون العاني وتطعمون الاسير : ابني عبدك فامنن علينا واحسن الينا في فدائه فانك ابن سيد قومه ، فانا سنرفع لك في الفداء ما احببت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعطيكم خيرا من هذا ، قالوا : وما هو ؟ قال : اخيره : فان اختاركم فخذوه بغير فداء ، وان اختارني فكفوا عنه . قالوا : جزاك الله خيرا فقد احسنت . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا زيد ! اتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا ابي وعمي واخي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا من عرفته ، فان اخترتهم فاذهب معهم ، وان اخترتني فانا من تعلم . فقال زيد : ما انا بمختار عليك احدا ابدا ، انت مني بمكان الوالد والعم ، قال له ابوه وعمه : يا زيد ! تختار العبودية على الربوبية ؟ قال : ما انا بمفارق هذا الرجل . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه واختياره الرق معه على حريته وقومه قال عند ذلك : « يا معشر قريش ! اشهدوا انه حر وانه ابني يرثني وأرثه » وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك . فطابت نفس ابيه وعمه لما رأوا من كرامته عليه وانصرفا . وقد رباه النبي صلى الله عليه وسلم كالأولاد واخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب . ولم يزل زيد يدعى « زيد بن محمد » في الجاهلية وفي بدء الاسلام حتى نزل القرآن الكريم : **(ادعوهم لآبائهم)** فدعى « زيد ابن حارثة » ومن ذلك ما جاء في كلام ابن عمر رضي الله عنهما ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنا ندعوه الا زيد ابن مجمد حتى نزل القرآن الكريم : **(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)** فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انت زيد بن حارثة بن شراحيل .

وكذلك حذيفة بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، وكان ممن شهد بدرا ، تبنى سالما وانكحه ابنة

اخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الانصار فكان يسمى « سالم ابن ابي حذيفة » .
وكذلك كان عامر بن ربيعة يقال له : عامر بن الخطاب واليه كان ينسب وكذا المقداد بن عمرو البهراني : كان يدعى : المقداد بن الاسود وغير هؤلاء ممن تبنى وانتسب إلى غير أبيه ، فانزل الله في زيد بن حارثة وفي سالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن عمرو ، (**ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله**) فردوا الى آبائهم فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخا في الدين .
ولما كان زيد يدعى زيد ابن محمد قال الله تعالى : (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**) الأحزاب / ٤٠

ثانيا : جملة المراد بالآية الكريمة

(وما جعل أدعياءكم أبناءكم)

ادعياء جمع دعي ، فعيل بمعنى مفعول ، كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يدعى ولدا ويتخذ ابنا اي المتبنى .
والمقصود ما جعل الله من ادعيت انه ابنك ، وهو ابن غيرك ، ابنك بدعواك اي ما جعل الله الدعوة والبنوة في رجل لان الدعوة عرض والبنوة اصل في النسب ، ولا يجتمعان في الشيء الواحد .
اي ما جعل ادعياءكم أبناءكم حقيقة في حكم الميراث والحرمة والنسب .
فهو رد ما كانوا يزعمون من أن دعى الرجل ابنه ، فيجعلون له من الميراث مثل نصيب الذكر من أولادهم ، ويحرمون نكاح زوجه اذا طلقها او مات عنها .

(ذلكم)

اي دعاؤكم الدعى بقولكم « هذا ابني » مجرد قول لا حقيقة لمدلوله ، اذ لا يواطىء اللفظ الاعتقاد ، إذ يعلم حقيقة أنه ليس ابنه .

(قولكم بأفواهكم) :

اي دعاء الرجل من ليس بابنه انه ابنه انما هو قولكم بأفواهكم أي لا معنى ولا حقيقة له في الاعيان ، يعني انه لا حكم له ، فتبنيكم لهم قول لا يقتضى ان يكون ابنا حقيقيا ، فانه مخلوق من صلب رجل آخر ، فلا يمكن ان يكون له ابوان ، كما لا يمكن ان يكون للبشر الواحد قلبان ، فلا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعيت بنوته فهو كقول الهازل اذ هو بمعزل عن احكام البنوة كما زعموا .

(والله يقول الحق)

اي الله هو الصادق الذي يقول الحق اي العدل . وهو ما يوافق ظاهرا وباطنا أي الكلام المطابق

للواقع ، لأن الحق لا يصدر الا من الحق . وهو ، ان غير الابن لا يكون ابنا . اي : الله هو الصادق الذي يقول الحق ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه .

(وهو يهدي السبيل)

أي يبين لعباده سبيل الحق ويرشدهم الى طريق الرشاد والصراط المستقيم لا غير وهو قوله : **(ادعوهم لآبائهم)** أي فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله هذا . والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك وما فيه سهولة :

(ادعوهم لآبائهم)

اي انسبوهم الى آبائهم . ووقوع اللام للاستحقاق . يقال : فلان يدعى لفلان أي ينسب اليه .

وقد وردت « ادعوهم » بصيغة الامر « افعل » وجمهور الفقهاء على ان الاصل في الامر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بوصفهما مبينين لشرع الله تعالى ان يكون للوجوب اي الطلب على وجه اللزوم والحتم ، بحيث يثاب المكلف على فعله ويأثم إذا تركه لانه طلب على جهة الاستعلاء ، اذ هو من الخالق للمخلوق ، الا اذا قامت قرينة على انه يراد غير ذلك ، والظاهر لنا انه لم تقم قرينة على انه يراد غير الوجوب .

فالحكم اذن هو الوجوب اي وجوب النسبة والعزو الى الآباء بحيث يثاب المكلف على فعل ذلك ويعاقب على تركه .

(هو) :

اي دعاؤهم لابائهم أو دعاؤكم إياهم لآبائهم .

والضمير في « هو » عائد على المصدر المفهوم من قوله « ادعوهم لآبائهم » اي « دعاؤهم لآبائهم » كما في قوله تعالى : **(اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة / ٨ .

(أقسط عند الله)

القسط بالكسر العدل . يقال أقسط الرجل إذا عدل . واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة المطلقة . والمعنى بالغ في العدل والصدق . وفي كشف الأسرار : هو اعدل واصدق واصوب من دعائهم إياهم لغير آبائهم .

ولا يراد هنا ـ والله أعلم ـ تفضيل هذا على ذاك ، بل الانفراد بالقسط من غير مشارك فيه ، يؤكد ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام » متفق عليه وقوله : « ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر » رواه احمد وقوله في خطبة حجة الوداع : « من ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » سيرة ابن هشام ج ٤ ـ ص ٢٥٣ وهذا تشديد وتهديد ووعيد اكيد في التبرى من النسب المعلوم .

(فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم)

امر سبحانه وتعالى ان يدعى المتبني لابيه ان علم . وتطبيقا لهذا قالوا : زيد بن حارثة فان لم يكن له اب معروف نسبوه الى ولائه . ولذلك قالوا : سالم مولى ابي حذيفة بعد ان كانوا يسمونه سالم بن ابي حذيفة لتبني ابي حذيفة له .

فان لم يكن له ولاء معروف : قالوا له : يا اخي يعني في الدين ـ قال الله تعالى : (**انما المؤمنون اخوة**) الحجرات / ١٠ وهذا بطبيعة الحال يعني من اسلم منهم . أي فان لم تعلموا آباءهم فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية فيه (**اي في الدين**) فقولوا : هذا اخي . وهذا مولاي بمعنى الاخوة والولاية في الدين ـ فهو من الموالاة والمحبة ، فاخوانكم خبر مبتدأ محذوف تقديره اخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين يعني من اسلم منهم .

(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به)

أي لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ عن غير تعمد .

(ولكن ما تعمدت قلوبكم)

اي ولكن الاثم فيما تعمدت قلوبكم وهو ما قلتموه على طريقة العمد من نسبة الأبناء الى غير آبائهم ، مع علمكم بذلك قال قتادة : لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه ، لم يكن عليك بأس وقال ابن كثير : « فاما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهى عنه في هذه الآية » .

(وكان الله غفورا رحيما)

اي يغفر للمخطىء ويرحمه ويتجاوز عنه او غفورا للذنوب رحيما بالعباد .. ومن جملة من يغفر له ويرحمه من دعا رجلا لغير أبيه خطأ او قبل النهي عن ذلك .

وخلاصة ذلك أن الابن يدعي الى أبيه إن عرف فان لم يعرف ابوه فالى مولاه ان عرف ، فان لم يكن له مولى او لم يعرف ـ فضلا عن عدم معرفة الاب ـ فالى الاخوة والولاية في الاسلام . ويأثم من يخالف ذلك . ويستوي في ذلك الذكر والأنثى . فلا يجوز أن تنتسب المرأة الى غير ابيها . وهو ما قصد أصلا بيانه في هذا المقال .

وغني عن البيان أن قصة زيد بن حارثة التي أتينا عليها فيما سبق ، لها دلالات كثيرة لا تخفي على القارىء منها كمال خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك الخلق الذي جعل زيدا يؤثر العبودية عنده على الحرية مع أبيه ، وخلق الوفاء عند زيد رضي الله عنه ، والإسراع في تنفيذ حكم الله عن طواعية واختيار .



للأستاذ / محمد عبدالله السمان

الوحدة التي تجاهلناها :

لبثت الدعوة في مكة ثلاث عشرة سنة من أجل إرساء العقيدة ، لأنها بمثابة الأساس للبناء الذي كان مقدرا له أن يقوم في المدينة ، وهذا البناء يعني الدولة الاسلامية الناشئة ، ولكن بكل عناصرها ومقوماتها ، وقبل أن يعرف القانون الدولي الوضعي الحديث هذه العناصر والمقومات الأساسية عرفها الاسلام منذ نشأته . .

إن هذه العناصر تشمل : الأرض ، والشعب ، ثم نظام الحكم ، وقد توافرت هذه العناصر كلها في الدولة الاسلامية الناشئة في يثرب ، وزاد الاسلام إليها عنصرا رابعا ، هو عنصر العقيدة ، هذا العنصر لم يبرز إلا مؤخرا ، أضفوا عليه مصطلحا حديثا ، أطلقوا عليه لفظة « أيديولوجية » كما في الدول الاشتراكية ، وشتان بين هذه وتلك ،

فالعقيدة الاسلامية تمثل كيان المسلم بأسره ، تربطه بالخالق - عز وجل - وتربطه بالأمة المسلمة أينما وجد ، وحيثما كان ، أما « الايديولوجية » في النظم الاشتراكية ، أو الشيوعية ، فهي مجرد نزعة مؤسسة على الصراع الطبقي ، وقد فرضت فرضا بقوة السلطة .

ومن منطلق العقيدة - كعنصر أساسي من عناصر الدولة المسلمة - تتجلى فكرة الوحدة الاسلامية ، التي تشمل الأرض والشعب والنظام ، بالنسبة للأرض لا حدود وهمية أو حقيقية بين بلد مسلم وآخر ، فالأرض الاسلامية كلها دار الاسلام ، وبالنسبة للشعب ، لا فوارق في الجنس أو اللون ، لا مانع أن ينتمي المسلم إلى مسقط رأسه ، لكن انتماءه الأكبر الى الاسلام ، وبالنسبة للنظام ، لا تبعية للشرق أو الغرب ، وإنما التبعية للاسلام ، ولا يفهم من ذلك أن وحدة النظام تعني أنه نظام مغلق لا يسمح بالانفتاح على غيره من النظم الحديثة الوضعية التي لاتكن للاسلام عداء ، ولا يقبل التطور بحال من الأحوال ، بينما تعني وحدة النظام وحدة الجوهر ، بمعنى أنه نظام يستمد من الاسلام جوهره لا شكله ، والجوهر يعني المبادىء العامة التي أقرها الاسلام في مجال السياسة : الداخلية والخارجية ، خذ مثلا مبدأ « الشورى » إنه مبدأ عام مقرر في الاسلام ، فالمهم أن توجد الشورى ، وليس أسلوبها ، ومثلا آخر ، مبدأ « العدل الاجتماعي » فالمهم أن يتحقق العدل الاجتماعي ، وليس الشكل الذي يتحقق به ، لأن الجوهر ثابت خالد ، أما الاسلوب والشكل ، فيخضعان لتطور الحياة نفسها . .

• الحقيقة تتحول الى ذكرى :

لاشك أن الوحدة الاسلامية حقيقة لا تقبل الجدل بحال من الأحوال ، وقد ظلت كذلك عدة قرون ، وهي من صميم الاسلام ، بل من منطلق العقيدة التي هي أساس البناء الاسلامي ، وهذه الوحدة لا تقوم على وحدة المشاعر والأحاسيس - فحسب - بل هي وحدة عملية حركية تعاونية ، وكون هذه الحقيقة قد تحولت اليوم إلى مجرد ذكرى ، بأيدينا نحن - المسلمين - لا بيد عمرو أو زيد ، فهذا لا يمس الحقيقة من قريب أو بعيد ، والحقيقة أن أمة الاسلام أمة واحدة . .

إن المنتمين إلى الاسلام هم المسلمون أو المؤمنون ، وإطلاق هذا اللفظ أو ذاك ، لم يكن اعتباطا ، بل هو ذو مغزى ، ليدرك كل مسلم أن انتماءه الأكبر إنما هو لدينه ، وفي كتاب الله عز وجل ، عشرات الآيات توجه الخطاب إلى المؤمنين بـ « **ياأيها الذين آمنوا** ...» وليس في كتاب الله آية واحدة توجه الخطاب بـ « ياأيها المسلمون .... لماذا ؟

لأن إيمان المسلم يذكره دائما بأخوة الاسلام التي تربط بينه وبين إخوته في أي مكان ، والتي عبر عنها

القرآن بقوله : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات / ١٠ كما أوضح رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - مدلول هذه الأخوة ، حين قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه مسلم وحين قال : « مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . » رواه مسلم

وإذا كان مما لا مراء فيه قيام دولة في الاسلام وللاسلام والمسلمين ، ابتداء من الهجرة النبوية ، فالذي لا مراء فيه كذلك أن وحدة الأمة المسلمة : أرضا وشعبا ونظاما أصل من أصول الاسلام يستمد وجوده من عقيدة الاسلام ، ولقد عبر القرآن عن ذلك بهذه الآية الكريمة : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) الانبياء / ٩٢ فقد ربطت الآية الكريمة بين وحدة الأمة والعقيدة ، برباط غير قابل للانفصام . .

ولكن مما يدعو إلى الأسى المرير ، أن هذه الوحدة قد تحولت فيما بعد لدى المسلمين إلى تاريخ وذكرى ، والذي يثير ماهو أشد من الأسى المرير ، أننا نحن - المسلمين - اليوم نجتر هذا التاريخ وكفى ، ونحتفل بالذكرى - ذكرى الهجرة التي مهدت لتأسيس دولة الاسلام وأعلنت وحدة الأمة المسلمة - دون أن يمر بأذهاننا ، أو يطوف بخواطرنا ، أننا نحن الذين قوضنا الدولة ، ومزقنا الوحدة ،ورضينا لأنفسنا أن تفقد الأمة ذاتيتها ، وتدين بالتبعية لغيرها .

○ الوحدة حقيقة وواقعا

إن الوحدة الاسلامية حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها فضلا عن تجاهلها أو إنكارها ، لكن هذه الوحدة كانت فيما مضى واقعا ثم أسدل عليه ستار التاريخ ، وهذا هو الفرق بين الحقيقة والواقع ، فالحقيقة خالدة ما بقيت السموات والأرض ، أما الواقع فغير خالد ولا ثابت ، لأنه قابل للتطور والتغيير ، ولأن الحقيقة من صنع الله ، أما الواقع فنحن نصنعه بأيدينا ، فالقرآن مثلا حقيقة ، بل حقيقة خالدة ، لكن تطبيقه يظل في إطار الواقع ، والاسلام - كما يقول الشهيد سيد قطب - **منهج إلهى للحياة البشرية** ، لكن تحقيق هذا المنهج إنما يتم في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم . »

لنبدأ الحديث عن الوحدة الاسلامية - كحقيقة - ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن الاسلام - كمنهج إلهى عام للبشرية قاطبة ، وللأنسانية جمعاء - لم يقتصر على الدعوة إلى الوحدة الاسلامية - فحسب - بل الدعوة إلى الأخوة الانسانية ، والأخوة الدينية ، ثم الأخوة الاسلامية في خاتمة المطاف ، هذا ما يقرره منهج الاسلام ، ويوضحه لنا عالم جليل فقدناه بالأمس ، ونفتقده اليوم ،هو الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله :

« إن الاسلام دين الوحدة ، كما هو دين الوحدانية . . فإذا كان شعار الاسلام الخالد إلى يوم القيامة هو وحدانية المعبود ، ووحدانية الخالق ، ووحدانية الذات الالهية :(**ليس كمثله شيء**)فكذلك أحكام الاسلام كلها تتجه نحو الوحدة الانسانية لا فرق بين جنس وجنس ، ولا لون ولون : « كلكم لآدم وآدم من تراب : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات / ١٣ كذلك يقرر الاسلام الوحدة الدينية في أكمل مظاهرها ، فهو يقرر أن الرسالة الالهية واحدة . . . وإذا كان ابراهيم ـ عليه السلام ـ أبا للأنبياء في عهود الرسالة الالهية من بعد نوح ـ عليه السلام ـ فإن القرآن يذكر في أكثر من آية أنه يدعو إلى ملة ابراهيم : (**وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**) الحج / ٧٨ وإذا كان الاسلام دين الوحدة في الرسالة الالهية ، والوحدة في الانسانية ، فإنه من المؤكد دعا إلى الوحدة بين الذين آمنوا به ، ولم يرتابوا ، واتبعوا أوامر الاسلام في كل أمر جامع لوحدتهم ، واعتبرهم إخوة فيما بينهم . »

إن الاسلام بهذه الوحدة ، يهدف الى أن يكون للمسلمين أمة ذات شخصية مستقلة متميزة ، إذن فالوحدة هي المحور الذي يرتكز عليه بناء الأمة المسلمة ، وهذه الوحدة ليست مجرد واجب ، بل هي فرض عيني لأن أرباب العقيدة الواحدة ـ كما يقول الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ـ يجب أن يكون كتلة واحدة متماسكة ، ويدا واحدة عاملة تربط العقيدة بين قلوبهم والأخوة بين عواطفهم » .

ونعود فنكرر أن فرضية الوحدة لأنها من منطلق العقيدة ، وبدون رابطة العقيدة .. لا أمة .. وأية آصرة غير آصرة العقيدة ، كالجنس أو النسب أو الأرض . . لا علاقة لها بجوهر الانسان ، إنما هي أعراض طارئة على جوهر الانسان ، ويقول لنا الشهيد **سيد قطب** : « إن آصرة التجمع هي العقيدة ، لأن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الانساني ، فأما إذا انبتت هذه الوشيجة ، فلا آصرة ولا تجمع ، ولا كيان . . إن الأمة هي المجموعة من الناس تربط بينها ، وهي جنسيتها ، وإلا فلا أمة ، لأنه ليست هناك آصرة تجمعها .. والأرض ، والجنس ، واللغة ، والنسب ، والمصالح المادية القريبة ، لا تكفي واحدة منها ، ولا تكفي كلها لتكوين أمة ، إلا أن تربط بينها رابطة العقيدة »

هذه هي حقيقة الوحدة الاسلامية ، التي كتب لها الخلود لأنها من صنع الله ـ عز وجل ـ أما الوحدة الاسلامية واقعا ، فقد رافقت الدولة المسلمة منذ تأسيسها في يثرب ، وظل هذا الواقع قائما حيا ، في

عصر النبوة وعصور الخلفاء الراشدين ، وشطرا كبيرا من عصر الأمويين ، ثم تعرض هذا الواقع للاهتزاز حتى وصل الى مرحلة الانهيار كنتيجة لعاملين رئيسيين : ضعف العقيدة لدى الرعية والرعاة ، وضعف العقيدة لدى الرعية أدى الى السلبية المطلقة ، وضعف العقيدة لدى الرعاة أدى الى الأهواء المطلقة كذلك : أما العامل الآخر ، فهو تقصير علماء الدين ، حيث انهم تجاوبوا مع سلبية الرعية ، واسترخوا لأهواء الرعاة ، صحيح أن التاريخ قد سجل لبعض العلماء مواقف مجيدة ، ولكنها كانت مواقف فردية تلاشت في خضم السلبية لدى الرعية والأهواء لدى الرعاة .. !

○ الوحدة بين المخاوف والعقبات :

يقول القس سيمون نقلا عن كتاب : « كيف هدمت الخلافة » :

« ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب الاسلامية . وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية .. والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة .. من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية » .

ويقول المبشر لورنس براون :

يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير »

ويقول المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي :

« أن الوحدة الاسلامية نائمة .. لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ . »

هؤلاء هم أعداء الاسلام ، ولا غرابة في أن يبدوا مخاوفهم ، ويملأ الرعب صدورهم من يقظة الوحدة الاسلامية ، ويعملوا جهد استطاعتهم بالتخطيط والتآمر للحيلولة دون أن تقوم لهذه الوحدة قائمة ، ويتمثل هؤلاء الأعداء في الصليبية ، والشيوعية ، والهندوكية ، والصهيونية على وجه أخص ، ومهما اختلفت هذه الأنماط سياسة أو فكرا أو حتى عقيدة ، فانها متفقة تماما على مواجهة الاسلام ، متعاونة تعاونا كاملا خطة وتنفيذا على ضرب الاسلام في معاقله حتى يظل عاجزا عن الحركة ..

هذا أحد المبشرين يقول :

« ان القوة الكامنة في الاسلام هي التي وقفت سدا منيعا في وجه انتشار المسيحية ، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية » .

وهذا محرر احدى الصحف الشيوعية يقول :

« من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسلام »

وهذا الصهيوني الوقح بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل الأسبق ، يقول :

« ان أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد » .

وهذا المبشر لورنس براون يصرح بقوله :

« كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة ، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل تلك المخاوف .. كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي والخطر الياباني ، والخطر البلشفي .. لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا ، والبلاشفة الشيوعيين حلفاؤنا .. أما اليابانيون فان هناك دولا جغرافية كبيرة تتكفل بمقاومتهم .. لقد وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الاسلام .. » .

قلت : لا غرابة في موقف أعداء الاسلام بكل فئاتهم من بعث الوحدة الاسلامية ، ولكي نكون صرحاء مع أنفسنا ، يجب ألا يغيب عن أذهاننا ، أن المسلمين أنفسهم هم الذين قضوا على هذه الوحدة بأيديهم ، وقبل أن يتسلل الاستعمار الى ديارهم ، صحيح أن دور الاستعمار كان ـ وما يزال ـ قاصرا على الحفاظ على الشلل الذي أصاب الوحدة وأعجزها عن الحركة ، ولكن ما كان في استطاعة الاستعمار أن يفعل شيئا ، لو لم يكن كل شيء ممهدا له ..

ولكن أليست لدى الأنظمة في ديار المسلمين مخاوف من قيام الوحدة الاسلامية ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال بالنفي لا تصدر الا عن جاهل أو متجاهل ، بيد أن هناك فرقا بين تلك المخاوف لدى الأعداء ، وبين هذه المخاوف لدى أنظمتنا ، فمخاوف أولئك مبعثها الحقد على الاسلام ، أما مخاوف هؤلاء فمبعثها الأهواء ، وحب السلطان والجاه ، ولا مانع من أن تتظاهر بعض الأنظمة برفع شعار الوحدة الاسلامية ، حتى ما كان منها معلنا حرب الابادة على الحركة الاسلامية وأتباعها في داخل سلطانه ، لكن رفع الشعارات شيء ، والنوايا شيء آخر ..

يقول الشيخ محمد أبوزهرة :

« ان الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان ذي سلطان يقوم بالحق والعدل في المسلمين ، ولا شكل الحكم في الأقاليم الاسلامية ، فلكل اقليم أسلوب حكمه ما دام يؤدي الى اقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق المعاني الاسلامية السامية ، وانما معنى الجامعة الاسلامية أن نعتبر أنفسنا ـ مهما تناءت الديار مرتبطة بروابط وثيقة ، تمتد جذورها في أعماق أنفسنا ، وهي أحكام الاسلام وشعائره ، وعبادته وعقائده » ان ما يقوله الشيخ ـ رحمه الله ـ هو مفهوم الوحدة لدى سائر الداعين الخلص اليها ، ولكن المهم أن تقتنع الأنظمة ، التي جعلت من أهوائها سدا منيعا يحول دون الاقتناع بمنطق صريح أو حق جلي ..

ولا جدال في أن مجرد التفكير في احياء الوحدة الاسلامية يواجه عقبات كأداوات ، ومثل هذه العقبات تخطط لها القوى المعادية للاسلام ، بدافع من الخوف الذي زرعه الحقد في صدورها ، وتشرف على هذه المخططات في مجال التنفيذ الأنظمة في ديار المسلمين ، بدافع من الخوف الذي يسيطر على قلوبها ومشاعرها .. والذي جعلها تتوهم ضياع جاهها اذا قامت الوحدة الاسلامية .

مخططات المؤامرة عليها

○ **في وجه الطوفان** :

ان اخشى ما يخشاه اعداء الاسلام من الشرق والغرب ، هو ان تقوم قائمة للوحدة الاسلامية ، واذا كان الفزع يملأ نفوسهم حتى من مجرد التفكير الجاد في قيامها وبعثها من جديد فإن اليقظة تملأ ادمغتهم وعقولهم ، حتى لا يؤخذوا على غرة ، وهم لا يقفون عند حدود اليقظة والحذر ، بل انهم يخططون وينسقون ويرسمون ، ويرصدون كل نشاط اسلامي يمكن ان يثير فكرة الوحدة الاسلامية في اذهان المسلمين ..

هؤلاء الاعداء يجترون احقادهم احيانا ، تنزبها اقلامهم ، او تتفوه بها السنتهم ، لقد صرح مورو بيرجر في مؤلف له بقوله : ان خوفنا من العرب واهتمامنا بالامة العربية ليس بسبب وجود البترول عندهم بغزارة وانما بسبب الاسلام .. يجب محاربة الاسلام والتصدي له ، للحيلولة دون وحدة العرب ، التي تؤدي الى قوة العرب .. لان قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام ، وعزته وانتشاره » .

ولك ان تتصور - على سبيل المثال - ان ابشع ديكتاتور في العصر الحديث كان اعجز من ان يكتم حقده على الاسلام انه سالازار ، ديكتاتور البرتغال الذي هلك منذ سنوات صرح بقوله : « ان الخطر الحقيقي على حضارتنا ، هو الذي يمكن ان يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم ..

وعندما سأله احد الصحفيين في المؤتمر « لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ، ونزاعاتهم » فأجاب : اخشى ان يخرج منهم من يوجه خلافاتهم الينا » .

ولا غرابة في ان يكون الطوفان وارداً الينا من خارج ديارنا ، لان وراء هذا الطوفان اعداء الاسلام والمسلمين ، ومهما اخلصنا النوايا لهم ، ورفعنا الراية البيضاء ايذانا منا باننا نريد التعايش السلمي معهم ، فانهم ماضون في سياستهم العدوانية علينا ، السياسة التي يصوغها الحقد الدفين ، وبالرغم من ان الحروب الصليبية العسكرية قد انتهت منذ قرون ، وبالرغم من انهم كانوا هم البادئين بالعدوان علينا ، الا ان الحروب الصليبية السياسية والفكرية ما تزال مستمرة ، ان « أيوجين رستو » رئيس قسم التخطيط في وزارة خارجية الولايات المتحدة والذي ظل مستشارا لشؤون الشرق الاوسط للرئيس الاسبق جونسون حتى سنة ١٩٦٧م ، هذا الرجل قال :

« يجب ان ندرك ان الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ، ليست خلافات بين دول او شعوب .. بل هي خلافات بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والاسلام منذ القرون الوسطى .. وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة .. ومنذ قرن ونصف .. خضع الاسلام لسيطرة الغرب .. وخضع التراث الاسلامي للتراث المسيحي .

ولا مجال هنا للرد على ترهات هذا الاميركي الآفن .. لان الاسلام ليس هو الذي خضع لسيطرة الغرب ، بل بعض الانظمة العميلة ، كما ان التراث الاسلامي ليس هو الذي خضع للتراث المسيحي ـ ان كان للمسحية تراث ذو اهمية ـ بل ان التراث الاسلامي تعرض ـ وما يزال يتعرض ـ لحملات التشويه ، من قبل المبشرين والمستشرقين ، ودوائر المعارف الغربية والشرقية .. وحسبنا بعد ذلك اعتراف هذا الاميركي بان الصراع مستمر حتى هذه اللحظة .. ولكن بصور مختلفة ، وفي هذا رد على اولئك الذين يرون ان نحسن الظن .. ونرحب بفكرة اللقاء الاسلامي المسيحي ، أو التقارب الاسلامي المسيحي ..

○ **خطوات التنفيذ :**

من المؤكد ان اعداء الاسلام يحسبون الف حساب لفكرة الوحدة الاسلامية ، بل حتى للوحدة العربية باعتبارها منطلقا الى الوحدة الاسلامية الشاملة ، كان الافغاني اول داعية في العصر الحديث الى ضرورة بعث الوحدة الاسلامية ، فهل تركه الاستعمار وشأنه ؟ لم يدعه يستقر في بلد ، حاك له المؤامرات ، ودس بينه وبين بعض الحكام المسلمين ، وبتخطيط من الاستعمار دس له السم في دار الخلافة الاسلامية ، فاراح واستراح ..

لقد بدأ الاستعمار الصليبي يغزو ديار المسلمين منذ اكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، وقد سبقته الارساليات التبشيرية تمهد له ، حتى اذا تمكن زادت كثيرا من نشاطها وتحدياتها في ظل حمايته ، ومما يحز في النفس ، ان كتب التاريخ التي تدرس في مدارسنا حين تعرض للاستعمار تشير الى دوافعه او اهدافه وتتجاهل ـ عن عمد ـ الدوافع أو الاهداف الجوهرية ، وفي مقدمتها السيطرة على بلاد المسلمين وارهاق شعوبها ، وتحطيم الروح المعنوية الاسلامية فيها ، بل وتحطيم كل امل في ان تقوم قائمة لوحدة المسلمين .. تتجاهل كتب التاريخ التي ندرسها في مدارسنا ، ان الاستعمار الغربي الصليبي ليس الا امتدادا للحروب الصليبية وانه كان يتحرك حاملا معه عقيدته الصليبية ..

يقول « باترسون سميث » لقد باءت الحروب الصليبية بالفشل .. لكن حادثا خطيرا وقع بعد ذلك .. حينما بعثت انجلترا بحملتها الصليبية الثامنة ، فانتصرت هذه المرة .. ان حملة .. اللنبي على القدس خلال الحرب العالمية الاولى .. كانت هي الحرب الصليبية الثامنة والاخيرة .

ومسيو « بيدو » وزير خارجية فرنسا ، يصف احتلال المغرب العربي ، بانها معركة بين الهلال والصليب وعلى اثر سقوط القدس في ايدي الصهاينة في معركة عام ١٩٦٧ ، صرح « راندولف تشرشل » بقوله :

« لقد كان اخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم المسيحيين

واليهود على السواء .. بل ان سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود .. ان القدس خرجت من ايدي المسلمين الى الابد .. ولن تعود الى المسلمين في اية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود » .

واذا كان الاستعمار الصليبي اولى الخطوات التنفيذية للحيلولة دون ان تقوم للاسلام والمسلمين قائمة ، فان الخطوة الثانية كانت القضاء على الخلافة الاسلامية ، ومهما قيل عن سلوك اواخر السلاطين ـ ومعظمه اختلاق وافتراء اسهمت فيه وسائل الاعلام التي يملكها الاستعمار فان الخلافة الاسلامية كانت رمزا ـ على الاقل ـ يعيش في وجدان كل مسلم ، والذي يثير كوامن الاسى ، اننا نحن ـ المسلمين ـ أسهمنا في مأساة الخلافة الاسلامية قولا وعملا ، لقد اعتبرنا العهد العثماني عهد استعمار يجب التخلص منه ، وفي كتب التاريخ التي وضعت مناهجها تحت اشراف الاستعمار لتدرس في مدارسنا ، شوه تاريخ الخلافة ، حتى تنفر من مجرد اسمها الاجيال الجديدة ، بل وما هو ابعد من ذلك ، استغلال المسرح والسينما والاذاعة والشاشة الصغيرة في تشويه صورة الخلافة الاسلامية ، والتنديد بها والتهكم عليها ، والاشادة بكمال اتاتورك ، الذي كان صنيعة الماسونية العالمية ، ومن ورائها الصهيونية والصليبية معا .

في الحرب العالمية الأولى احتلت قوات انجلترا وفرنسا ، وايطاليا واليونان ، أراضي الدولة العثمانية باعتبار أن تركيا كانت حليفا لألمانيا ، وفي مؤتمر «لوزان» للصلح اشترطت انجلترا ـ مقابل الانسحاب ـ أن تلتزم تركيا بتنفيذ عدة شروط منها :

أولا ـ الغاء الخلافة الاسلامية ، وطرد الخليفة ومصادرة أمواله ..

ثانيا ـ أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام ..

ثالثا ـ أن تتعهد تركيا باخماد أية حركة يقوم بها أنصار الخلافة ..

رابعا ـ أن تختار تركيا لها دستورا مدنيا بعد الغاء دستورها الاسلامي ..

والعجيب أن أتاتورك بعد أن قام بتنفيذ كل الشروط بحذافيرها ، اعترضت المعارضة في مجلس العموم البريطاني على اعتراف انجلترا باستقلال تركيا ، ووجهة نظر المعارضة ، أن تركيا المستقلة قد تجمع حولها الدول الاسلامية مرة أخرى ، وقال «كرزون» وزير خارجية انجلترا يومئذ ، قال في رده على المعارضة : « لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين : الاسلام والخلافة » .

○ **ثم إعداد البدائل** :

لم يغب عن أذهان الذين خططوا للحيلولة دون بعث الوحدة الاسلامية ، وقد تم لهم تمزيق الأمة الى دول ودويلات عن طريق الاستعمار الصليبي ، والذي حل محله نفوذ القوتين العظميين ، لم يغب عن

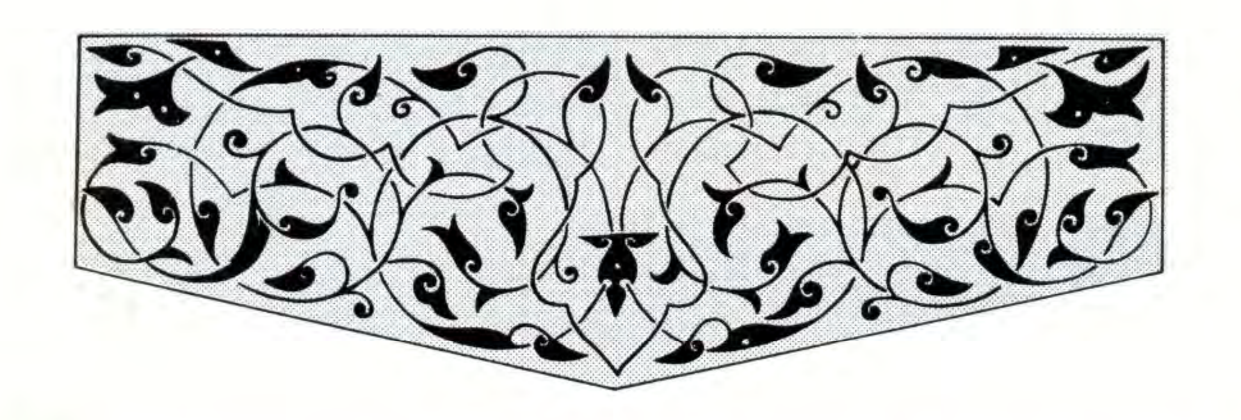
أذهانهم أن يعدوا البدائل عن الوحدة الاسلامية . فعملوا على انشاء أحزاب تستقطب عددا من الناس وتمزق الأمة حتى لا تقوم لها قائمة تحت مسميات مختلفة ، محاولين بذلك فصل العروبة عن الاسلام وايجاد كيانات صغيرة تستولي على مقاليد الأمور لصالح الاستعمار ، يقول الشيخ محمد الغزالي :

« أن المحاولات ناشطة للاجهاز على الاسلام ، تارة بتسويغ الارتداد عنه عقيدة وشريعة ، وتارة باحلال العروبة مكانه بعد تجريدها من أربطة الايمان ، ووشائج التاريخ ، ليكون مفهوما فارغا ميتا ، ثم افتعال يقظة عربية يلتف حولها المخدوعون .. لقد أبرزوا « القومية العربية » على أنها وليد أجنبي احتضنته بيئات نافرة من الاسلام أو مبغضة له ، وان هذا الوليد يستمد نماءه من الثقافات الدخيلة ، وتتسع دائرته على أنقاض مواريثنا الروحية والخلقية .. » .

وحاول الاستعمار بث فكرة فصل الدين عن الدولة في الأمة الاسلامية ، وتعتبر انجلترا وفرنسا رائدتين في هذا المجال ، وقد استطاعتا أن يكونا لهما تلاميذ وعملاء في ديار المسلمين ، بل ومن المنتمين الى الاسلام بمجرد أسمائهم وشهادات مواليدهم ، والمؤسف أن الكتب الدراسية المقررة على الطلبة في بعض الدول العربية ، اعتمدت الجنس واللغة والتاريخ المشترك ، والمصالح المشتركة هي وحدها مقومات القومية العربية .

وكثير من الدول العربية والاسلامية ، يرحب بالانضمام مثلا الى : كتلة عدم الانحياز ، أو الى الكتلة الافريقية ، ومنها ما هو عضو في الكومنولث البريطاني .. لكن حين تعرض فكرة الوحدة الاسلامية ، فلا تجد أي ترحيب من هذه الكثرة من الدول ، بل البعض منها يضيق الخناق على الداعين الى هذه الفكرة ، وهذا راجع الى أن هذه الدول لا تملك اراداتها ، فهي تتحرك وفق هوى الذين تدين لهم بالتبعية والولاء .. !

ولا يأس مع ذلك **فالوحدة الاسلامية هي الأصل والأساس** ، والله غالب على أمره ...



مائدة القارئ

كن مع هؤلاء

قال تعالى : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .الآية ٣٥ من سورة الأحزاب .

حسن الخلق

قال السيوطي : علامة حسن الخلق عشرة أشياء :
قلة الخلاف ، وحسن الانصاف ، وترك طلب العثرات ، وتحسين مايبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير ، ولطافة الوجه للكبير والصغير ، ولطف الكلام لمن هو دونه أو فوقه .

مهداة إلى حاكم

على الحاكم أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة في سلطان الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن ، والأناة فيما يحدث ،فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالاحسان المسارعة بالطاعة من الرعية والجند ، وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب .

امتلاء المعدة

قال لقمان : يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء ، عن العبادة .

إصلاح ذات البين

قال رسولنا الحبيب : « **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟**
قالوا :بلى ، يارسول الله ! قال:إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذوات البين هي الحالقة،لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».رواه أبو داود .

قل عند الافطار

في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر يقول : ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله .
وكان يقول : الحمد لله الذي أعانني فصمت ، ورزقني فأفطرت .
وكان يقول : اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم .
وكان يدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي .

دعاء أعرابي

وقف الأعرابي يناجي ربه ـ سبحانه ـ فقال :

اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أذل في عزك ، أو أضام في سلطانك أو أضطهد ، والأمر لك .

الجدي . . . والذئب

وقف جدي على سطح ، فمر به ذئب ، فأقبل الجدي على الذئب يشتمه ، فقال له الذئب : لست أنت الذي تشتمني ، إنما يشتمني الموضع الذي أنت فيه . ضربنا ذلك مثلا لمن يستغل منصبه فيلحق الأذى بغيره .

قصص القرآن وقصص القصاص

للدكتور/احمد علي المجدوب

كانت القصة ولا تزال بضاعة القصاص ، مع اختلاف بسيط ، فقد كانوا في الماضي يبيعونها شفاهة ، فأصبحوا يبيعونها كتابة وطباعة . وهم في الحالين قصاص .

والقصة لغة من قص الأثر أي تتبعه . وفي لسان العرب ، القصة : الخبر وهو القصص وقص على خبره يقصه قصا وقصصا : أورده . والقصص : الخبر المقصوص ، بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه . والقصص ، بكسر القاف : جمع القصة التي تكتب . والقصة الأمر والحديث .

ويعرف أبو هلال العسكري القصص ، عند بيانه للفروق بينها وبين الحديث ، فيقول : « إن القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا عن سلف ، ومنه قوله تعالى : (**نحن نقص عليك أحسن القصص**) يوسف/٣ ، وقوله : (**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق**) طه/٩٩ ، ولا يقال لله قاص لأن الوصف بذلك قد صار علما لمن يتخذ القصص صناعة ، وأصل القصص في العربية أتباع الشيء الشيء ، ومنه قوله تعالى : (**وقالت لأخته قصيه**) القصص/١١ ، وسمى الخبر الطويل قصصا لأن بعضه يتبع بعضا حتى يطول ، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص » .

ويتبين لنا من تعريف أبي هلال العسكري انه يقصر القصص على ما كان متعلقا بأحداث أو أخبار ماضية وهو ما صرح به في أول الكلام ثم كرره عند تعريفه للحديث والفرق بينه وبين القصص فهو يقول : « والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر ، ويكون طويلا وقصيرا ، وهذا يعني عند أبي هلال أن القصة لا تكون قصيرة لقوله أن القصص ما كان طويلا ، ثم قوله أن الحديث يكون طويلا وقصيرا .

ويمضي في تعريفه للقصص

فيقول : « ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضا .. والقصص قطع يستطيل ويتبع بعضه بعضا مثل قص الثوب بالمقص وقص الجناح وما أشبه ذلك ، وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره وسميت القصة لأنها يتبع بعضها بعضا حتى تحتوي على جميع أمره ويلاحظ على تعريف أبي هلال العسكري أنه يجمع إلى المعنى اللغوي لكلمة قصة ، ما يمكن أن نعتبره تجاوزا معنى اصطلاحيا ، ونقول تجاوزا لان ابا هلال لم يقصد منذ البداية وضع مثل هذا التعريف وإنما كان يحدد الفروق اللغوية بين الحديث والقصة فوجد نفسه منساقا وراء فروق تعد من عناصر المعنى الاصطلاحي وإن كانت في الواقع لصيقة بالمعنى اللغوي لكلمة قصة أو قصص .

والعناصر أو الفروق التي ذكرها ، منها ما يتعلق بشكل القصة من حيث الطول والقصر ومنها ما يتعلق بالموضوع الذي تدور حوله القصة . ومن حيث الطول فانه يشترط لاعتبار العمل جديرا بوصف القصة أن يكون طويلا وهو يتخذ من الحديث معيارا لقياس طول القصة ، فهي على الأقل يجب أن تكون أطول منه ، وهي أما أن تكون حديثا طويلا أو أن تكون خبرا طويلا أو عددا من الأخبار التي ترتبط فيما بينها ويتبع بعضها بعضا وهي في هذا تختلف عن الحديث الذي يتضمن عادة موضوعا واحدا كنصيحة أو توجيه أو أمر أو نهى أو خبر ولكنه قصير . وفيما يتعلق بموضوع القصة ، فان ابا هلال يرى أن يكون متعلقا بأحداث أو أخبار ماضية على خلاف الحديث الذي يكون عمن سلف وعمن حضر . ولكن لا يجب أن نفهم من هذا أنه يقصد أن تكون الأحداث أو الأخبار تاريخية أو لها صلة بالتاريخ ، فيكفي أن تكون متعلقة بالماضي حتى ولو كانت تدور حول أشخاص عاديين ويدل على هذا قوله : « وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره » فالقصة قد تتناول موضوعا اجتماعيا أو عاطفيا أو سياسيا أو دينيا وغير ذلك وهو ما نجده في قصص العرب سواء في الجاهلية أم في الاسلام .

وربما ينشأ الظن لدى من يقرأ تعريف ابي الهلال العسكري للقصة أنه لم يفطن إلى ما يجب توافره من شروط أخرى تتعلق بالشكل الفني للقصة ، سواء من حيث تركيب الأحداث أو ارتباط الأخبار بحيث يتكون منها سياق عام يتضمن كما هو معروف مقدمة ونهاية وتقع بينهما عقدة أو بؤرة تتجمع فيها الأحداث التي اشتملت عليها المقدمة ، ولكنا لا نظن أنه لم يفطن إلى هذا الأمر الذي نلمس إلى أي حد أصبح جزءا من خبرة أصغر صبي يقرأ القصص أو يشاهد الروايات السينمائية والتلفزيونية ويميز فيها بين المشوق الذي يتضمن موضوعا معقدا ومشكلة غامضة ونهاية مثيرة ومعقولة وبين القصص الساذج الذي يشعر أن كاتبه يستخف بعقله أو لا يقدر

ذكاءه . ولا شك أن ابا هلال وغيره من العلماءالمسلمين قد سمعوا وقـرأوا كثيرا من القصص الذي كان شائعا بدرجة كبيرة في أزمانهم ولكنه ، كما سبق أن قلنا ، لم يكن يضع تعريفا اصطلاحيا للقصة وإنما كان يحدد الفروق اللغوية بينها وبين الحديث .

ولعله يجدر بنا أن نسوق للقارىء تعريفا حديثا لعالم مسلم محدث هو الشيخ محمد متولي الشعراوي فهو يقول : « كلمة قصة في ذاتها مأخوذة من قص الأثر . ومعنى قص الأثر أن يسير المتتبع للأثر على الأثر نفسه ، بحيث لا يتجاوز الأثر أبدا ، ليصل إلى مراده من نهايـة الأثر . » ويـريد فضيلته أن يزيـد الأمر وضـوحا فيضيـف إلى مـا تقـدم قـولـه « فقصاصو الأثر حينما نأتي بهم ليكشفوا لنا جريمة وقعت ، ويرون آثار أقدام ، يسيرون مع الأقـدام ليعـرفوا أين ذهب صـاحب هـذه الأقدام ؟ أو يفحصون بصمة صاحب القدم حتى يستطيعوا أن يعـرفوه فمعنى قص الأثر : أن نتبع الأثر بدون تصرف . اذن كلمة « قصة » يجب ألا تقال أبدا في أمر خيالي ، ولا في أمر متوهم ، ولا في أمر لا واقع له ، ويجب أن تطلق على واقع لا يتعداه القاص بخيال أو بغيره أبدا » .

ومعنى هذا أن القصة ، في رأي الشيخ الشعراوي يجب أن تدور حول حـادث واقعي أو خبر حقيقي أو كليهما . كذلك فانها أي القصة ، يجب أن تتناول تاريخا فهو يقول : « القصة لون من ألوان التاريخ . فما التاريخ أولا ؟

التاريخ ربط الأحداث بالأزمنة وإن كان تاريخا لشخص يقول قائل : قد يكـون التاريـخ لحياة شخص من الاشخاص . نقول لـه : الشخص نفسه حدث من أحداث الحياة أيضا . إذن فما دام التاريخ هو ربط الأحداث بأزمانها فهو كذلك سواء كان فعلا أم فاعل فعل ، إذن فقد يكون التاريخ مرة لحدث ، ثم تدور الأشخاص حول الحدث » .

ولكن فضيلته لا يلبث أن يحدد بشكل أكثر وضوحا ما يعنيه بأن التاريخ قد يكون تاريخا لشخص ، مما يجعل القارىء يتبادر إلى ذهنه دخـول القصص العادي أي غـير التاريخي بالمفهوم الضيق في المعنى الذي قصده الشيخ الشعراوي . فهو يقول : « إذن الفكرة في الحدث ذاته ثم نأتي بالأشخاص الذين يدورون حول الحدث » ويضرب مثلا بالثورة الفرنسية فيقول : إذا أرخت للثورة الفرنسية فانك تتعرض للأشخاص الذين كانوا حول هذا الحدث .. إذن فالحدث يتطلب أشخاصا .. وقد يكون التاريخ مقصودا به الشخص ، وتدور الأحداث حوله ، مرة نريد الحدث ، وتأتي الأشخاص الذين يدورون في فلك الحدث ، ومرة نريد الشخص وتـأتي الأحداث التي تـدور حول الشخص » فهو حين قال إن القصة يمكن أن تتناول أشخاصا إنما قصد الأشخاص التاريخيين الذين تدور الأحداث حولهم أو الذين يدورون حول الأحداث .

كذلك فانه يجعل القصص وقفا على ما كان من الأحداث على درجة من الاثارة ، لم يحددها ، وإن اشترط أن تكون مثيرة ، واستبعد الأحداث غير المثيرة ولذلك فانه يقول : « والقصة لابد أن تكون حدثا مثيرا من التاريخ ، ودائما تكون فيها عقدة ويوجد فيها الحل للعقدة .

إذن القصة لون خاص من التاريخ ، لا تتعرض لمطلق التاريخ ، بل تتعرض لحدث مثير» ومن الواضح أن فضيلته يقصد إلى قصر كلمة « قصة وقصص » على ما كانت موضوعاته تاريخية حقيقية ، تفوق غيرها في الاثارة أو الأهمية بمعنى أصح وهذه الشروط مجتمعة لا تتوفر إلا في قصص القرآن الكريم الذي يقول فيه الله سبحانه : (**نحن نقص عليك نبأهم بالحق**) الكهف/١٣ ، ويقول : (**إن هذا لهو القصص الحق**) آل عمران/٦٢ ، ويدعو فضيلته من يسمون القصص الذي يكتبه البشر « قصصا » ان : « يفطنوا جيدا إلى أن ما يضعون من القصص يجب أن يوضع له اسم غير هذا الاسم . »

وعلى الرغم من أننا لا نختلف مع الشيخ الشعراوي فيما قاله من أن قصص القرآن هو القصص الحق وما عداه ليس كذلك إذ تتفاوت فيه نسبة الحق إلى الباطل بل وقلما يرجح فيه الحق على الباطل . الا اننا نختلف معه فيما عدا هذا . فمن ناحية ، فان القصة والقصص ليست بالتسمية الحديثة التي سميت بها الأعمال الأدبية التي تتناول أحداثا أو أخبارا وما يسمى بالعقدة وما إلى ذلك ، وإنما هي تسمية قديمة ، فقد وجد في الجاهلية قصص كثير ، تنوعت موضوعاته فمنه ما كان يدور حول الحروب والغزوات ومنه ما كان يدور حول العشق والحب ومنه ما كان يدور حول الجان والسحر . والأمر الذي اختلف فيه العرب في الجاهلية ثم في القرون الأولى من الاسلام عما هو شائع اليوم ، هو التأليف أي وضع القصص ، فهم لم يكونوا يؤلفون قصصا ، ولكنهم كانوا يحفظون أحداثا ويتناقلون أخبارا تتميز على غيرها من حيث ما فيها من إثارة وغرابة . كذلك فانهم لم يدونوا تلك الأحداث والأخبار بعد أن صارت قصصا ولكنهم حفظوها في ذاكرتهم ورددوها فيما بينهم فانتقلت من جيل إلى جيل مع ما اقترن به هذا الانتقال من إضافات وزيادات وتعديلات كانت تضفي على القصص قدرا أكبر من التعقيد والتشويق والاثارة ومن ثم المبالغة في الوصف والتصوير .

ولم تقتصر رواية القصص على ما كان منها ذو صلة بالأحداث المحلية ، ولكنه شمل ضروبا من القصص مما كان شائعا في المجتمعات المجاورة للجزيرة العربية مثل فارس والشام ومصر والهند وغيرها ، والتي كان التجار العرب يترددون عليها للاتجار مع سكانها فكانوا يعودون منها محملين لا بالمال والسلع فحسب ، بل وبما تلتقطه آذانهم وتعيه ذاكرتهم من القصص التي كانوا يسمعونها اثناء

إقامتهم في هذه البلاد . ولذلك نجد أن التراث الأدبي للعرب قبل الاسلام يتضمن الكثير من القصص الأجنبي المنقول من مصر والشام وفارس والهند . وبعضه بقي كما هو أي في صورته وشكله الأجنبيين والبعض الآخر وإن احتفظ بمضمونه ، إلا أنه تعرض لما يمكن أن نسميه عملية تعريب بحيث استبدلت فيه أسماء الأشخاص والأماكن باسماء أخرى عربية ، وربما أدخلوا بعض التعديلات عليه بحيث يبدو كما لو كان قد حدث في البيئة العربية .

ولما جاء الاسلام لم يتغير من الأمر شيء ، اللهم إلا من حيث الموضوعات التي يدور حولها القصص . ذلك أن الاسلام جاء بضمن ما جاء به إلى العرب ، بفيض من القصص التي وجدوها ملائمة أشد الملاءمة لمزاجهم وميولهم ، ففضلا عن قصص القرآن وهو كثير يشمل الأحداث التي وقعت للأنبياء والصالحين ، أتت الفتوحات بفيض آخر من القصص الذي يدور حول بطولات المسلمين وإيمانهم وحسن خلقهم ومروءتهم ، بالاضافة إلى السيرة النبوية التي تعد نوعا قائما بذاته حيث أنها وإن كانت تشبه القصص إلا أنها ليست منه .

ولعب القصاص دورا كبيرا وهاما في نشر هذا القصص ، حيث كانوا يترددون على المساجد والجماعات والمنتديات يروون قصصهم مقابل الحصول على هبات المستمعين . وهكذا يتبين لنا أن القصص أو القصة وجدت منذ زمن بعيد ، وكانت تسمى بهذا الاسم وظلت تسمى به دون أن يلقي هذا اعتراضا من أحد العلماء أو الفقهاء حتى في الأوقات التي فقد فيها القصاص ثقة هؤلاء وأولئك وهاجموهم بعد أن خلطوا القصص الذي ورد في القرآن موجزا بالاسرائيليات والخرافات والأساطير فلم يقل لهم أحد : غيروا اسم هذا اللون الذي تقصونه لأنه كذب وباطل ولا يجوز أن يحمل نفس الاسم الذي يحمله قصص القرآن .

وإذا كان فضيلة الشيخ الشعراوي يرى أن القصة معناها اقتفاء الأثر أي تتبع الحدث الحقيقي ، وهو مالا ينطبق على القصص الذي يكتبه الناس ، سواء في زماننا هذا أو فيما مضى من أزمنة . فان هذا الاختلاف بين النوعين يعني أن النوع الثاني ليس بقصص ، حتى ولو كان يقوم على الخيال أو الكذب كالاسرائيليات ودليلنا على هذا أن الله سبحانه وتعالى قد وضع هذه التفرقة حيث قال : (**إن هذا لهو القصص الحق**) وقوله : (**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**) وبمفهوم المخالفة يكون القصص الذي يكتبه الناس هو القصص غير الحق والقصص السيء ، ونظن أنه إذا منعنا تسمية القصص الذي يكتبه الناس بهذا الاسم ، فان النتيجة ستكون استحالة المقارنة أو المقابلة بين : القصص الحق والقصص غير الحق أو الكاذب ، وبين القصص الحسن والقصص السيء لأن اسم القصص سيكون قاصرا على

إقامتهم في هذه البلاد . ولذلك نجد أن التراث الأدبي للعرب قبل الاسلام يتضمن الكثير من القصص الأجنبي المنقول من مصر والشام وفارس والهند . وبعضه بقى كما هو أي في صورته وشكله الأجنبيين والبعض الآخر وإن احتفظ بمضمونه ، إلا أنه تعرض لما يمكن أن نسميه عملية تعريب بحيث استبدلت فيه أسماء الأشخاص والأماكن باسماء أخرى عربية ، وربما أدخلوا بعض التعديلات عليه بحيث يبدو كما لو كان قد حدث في البيئة العربية .

ولما جاء الاسلام لم يتغير من الأمر شيء ، اللهم إلا من حيث الموضوعات التي يدور حولها القصص . ذلك أن الاسلام جاء بضمن ما جاء به إلى العرب ، بفيض من القصص التي وجدوها ملائمة أشد الملاءمة لمزاجهم وميولهم ، ففضلا عن قصص القرآن وهو كثير يشمل الأحداث التي وقعت للأنبياء والصالحين ، أتت الفتوحات بفيض آخر من القصص الذي يدور حول بطولات المسلمين وإيمانهم وحسن خلقهم ومروءتهم ، بالاضافة إلى السيرة النبوية التي تعد نوعا قائما بذاته حيث أنها وإن كانت تشبه القصص إلا أنها ليست منه .

ولعب القصاص دورا كبيرا وهاما في نشر هذا القصص ، حيث كانوا يترددون على المساجد والجماعات والمنتديات يروون قصصهم مقابل الحصول على هبات المستمعين . وهكذا يتبين لنا أن القصص أو القصة وجدت منذ زمن بعيد ، وكانت تسمى بهذا الاسم وظلت تسمى به دون أن يلقي هذا اعتراضا من أحد العلماء أو الفقهاء حتى في الأوقات التي فقد فيها القصاص ثقة هؤلاء وأولئك وهاجموهم بعد أن خلطوا القصص الذي ورد في القرآن موجزا بالاسرائيليات والخرافات والأساطير فلم يقل لهم أحد : غيروا اسم هذا اللون الذي تقصونه لأنه كذب وباطل ولا يجوز أن يحمل نفس الاسم الذي يحمله قصص القرآن .

وإذا كان فضيلة الشيخ الشعراوي يرى أن القصة معناها اقتفاء الأثر أي تتبع الحدث الحقيقي ، وهو مالا ينطبق على القصص الذي يكتبه الناس ، سواء في زماننا هذا أو فيما مضى من أزمنة . فان هذا الاختلاف بين النوعين يعني أن النوع الثاني ليس بقصص ، حتى ولو كان يقوم على الخيال أو الكذب كالاسرائيليات ودليلنا على هذا أن الله سبحانه وتعالى قد وضع هذه التفرقة حيث قال : (**إن هذا لهو القصص الحق**) وقوله : (**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**) وبمفهوم المخالفة يكون القصص الذي يكتبه الناس هو القصص غير الحق والقصص السيء ، ونظن أنه إذا منعنا تسمية القصص الذي يكتبه الناس بهذا الاسم ، فان النتيجة ستكون استحالة المقارنة أو المقابلة بين : القصص الحق والقصص غير الحق أو الكاذب ، وبين القصص الحسن والقصص السيء لأن اسم القصص سيكون قاصرا على

كذلك فانه يجعل القصص وقفا على ما كان من الأحداث على درجة من الاثارة ، لم يحددها ، وإن اشترط أن تكون مثيرة ، واستبعد الأحداث غير المثيرة ولذلك فانه يقول : « والقصة لابد أن تكون حدثا مثيرا من التاريخ ، ودائما تكون فيها عقدة ويوجد فيها الحل للعقدة .

إذن القصة لون خاص من التاريخ ، لا تتعرض لمطلق التاريخ ، بل تتعرض لحدث مثير» ومن الواضح أن فضيلته يقصد إلى قصر كلمة « قصة وقصص » على ما كانت موضوعاته تاريخية حقيقية ، تفوق غيرها في الاثارة أو الأهمية بمعنى أصح وهذه الشروط مجتمعة لا تتوفر إلا في قصص القرآن الكريم الذي يقول فيه الله سبحانه : (**نحن نقص عليك نبأهم بالحق**) الكهف/١٣ ، ويقول : (**إن هذا لهو القصص الحق**) آل عمران/٦٢ ، ويدعو فضيلته من يسمون القصص الذي يكتبه البشر « قصصا » ان : « يفطنوا جيدا إلى أن ما يضعون من القصص يجب أن يوضع له اسم غير هذا الاسم . »

وعلى الرغم من أننا لا نختلف مع الشيخ الشعراوي فيما قاله من أن قصص القرآن هو القصص الحق وما عداه ليس كذلك إذ تتفاوت فيه نسبة الحق إلى الباطل بل وقلما يرجح فيه الحق على الباطل . الا اننا نختلف معه فيما عدا هذا . فمن ناحية ، فان القصة والقصص ليست بالتسمية الحديثة التي سميت بها الأعمال الأدبية التي تتناول أحداثا أو أخبارا وما يسمى بالعقدة وما إلى ذلك ، وإنما هي تسمية قديمة ، فقد وجد في الجاهلية قصص كثير ، تنوعت موضوعاته فمنه ما كان يدور حول الحروب والغزوات ومنه ما كان يدور حول العشق والحب ومنه ما كان يدور حول الجان والسحر . والأمر الذي اختلف فيه العرب في الجاهلية ثم في القرون الأولى من الاسلام عما هو شائع اليوم ، هو التأليف أي وضع القصص ، فهم لم يكونوا يؤلفون قصصا ، ولكنهم كانوا يحفظون أحداثا ويتناقلون أخبارا تتميز على غيرها من حيث ما فيها من إثارة وغرابة . كذلك فانهم لم يدونوا تلك الأحداث والأخبار بعد أن صارت قصصا ولكنهم حفظوها في ذاكرتهم ورددوها فيما بينهم فانتقلت من جيل إلى جيل مع ما اقترن به هذا الانتقال من إضافات وزيادات وتعديلات كانت تضفي على القصص قدرا أكبر من التعقيد والتشويق والاثارة ومن ثم المبالغة في الوصف والتصوير .

ولم تقتصر رواية القصص على ما كان منها ذو صلة بالأحداث المحلية ، ولكنه شمل ضروبا من القصص مما كان شائعا في المجتمعات المجاورة للجزيرة العربية مثل فارس والشام ومصر والهند وغيرها ، والتي كان التجار العرب يترددون عليها للاتجار مع سكانها فكانوا يعودون منها محملين لا بالمال والسلع فحسب ، بل وبما تلتقطه آذانهم وتعيه ذاكرتهم من القصص التي كانوا يسمعونها اثناء

ما ورد في القرآن الكريم . ولو اننا أخذنا بمنطق الاستاذ الشعراوي لكان معنى هذا أن نغير اسم كل شيء أو كائن أو مخلوق سيء فالرجل الشرير مثلا ننفي عنه صفة الرجولة وكذلك المرأة السيئة والماء غير العذب لا يسمى ماء والكلب العقور لا يسمى كلبا وهكذا . وهذا في غاية الغرابة ونستدل في هذا المقام بقوله تعالى : (**يانساء النبي لستن كأحد من النساء**) الأحزاب/٣٢ ، فقد دعاهن نساء على الرغم من تمييزه لهن عن غيرهن من النساء وكذلك القصص الذي يكتبه الناس ، هو قصص ولكنه خيالي أو غير حقيقي أو قائم على التضليل والأباطيل كالاسرائيليات وغيرها . فالقصص اسم نوع من أنواع الأعمال الأدبية يدخل تحته مفردات منها السيء ومنها الحسن كثمار الفاكهة منها ما هو ناضج صالح ومنها ما هو غير صالح للأكل ولكنه يظل يحمل اسم النوع الذي هو منه .

كذلك فاننا لا نتفق مع فضيلة الشيخ الشعراوي فيما ذهب إليه من أن القصة لا تكون إلا تاريخا سواء أكانت تاريخ حدث ام تاريخ شخص أم أشخاص . ولعله كان متأثرا في إبدائه لهذا الرأي بما يعتقده من أن قصص القرآن ليست إلا تاريخا ، إما لحدث هام ومثير أو لأشخاص عاشوا حدثا أو أحداثا مثيرة . وهذا غير صحيح ، فالقصص القرآني فيه ما هو تاريخي بالمعنى العلمي وهو المعنى الذي قصده الشيخ الشعراوي ، وفيه ما ليس بتاريخي ، ومن النوع الأول قصص الأنبياء عموما وقصة موسى عليه السلام على وجه الخصوص . أما ما عدا هذا فليس تاريخا وإنما هو من قبيل الأحداث التي تقع لأشخاص عاديين ، وهي على الرغم من غرابتها أو خروجها على المألوف لا ترقى إلى درجة الحدث التاريخي مثال ذلك قصة صاحب الجنتين ، وقصة أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر أو الرجل الصالح وقصة أيوب ، فضلا عن قصة يوسف وامرأة العزيز وغيرها من القصص الذي وإن كان يصدق عليه وصف الحدث التاريخي ويأخذ وضعه كحلقات في سلسلة الأحداث التاريخية ، إلا أنه لا يعتبر كذلك إلا من حيث شغله لحيز من الزمن باعتباره ، أي الزمن ، مرادفا للتاريخ ولكنه لا يعد قصة تاريخية بحسب مقاييس أو مواصفات هذا النوع من الأعمال الأدبية . ولذلك فان قصص القرآن لا يعد كله تاريخيا ، فنحن نجد فيه القصص الاجتماعي والقصص العاطفي الذي يعرض لمشاعر الناس وعواطفهم وميولهم ونزعاتهم في المواقف المختلفة . من ذلك مشاعر امرأة العزيز نحو يوسف وزوجة فرعون نحو زوجها وأيوب إزاء ما نزل به وغير هذا وذاك مما يحفل به قصص القرآن الكريم .

ولعل من يقرأ كتاب **التصوير الفني في القرآن** للاستاذ سيد قطب يدرك هذه الحقيقة على وجهها الصحيح فلو أن ما ورد في القرآن من قصص ينتمي إلى نوع القصة

التاريخية لوجدناها كلها في صورة فنية نمطية ولكن العكس هو الصحيح وهو ما يمكن أن يلاحظه من يقرأ قصص القرآن .

وأخيرا فان الشيخ الشعراوي يرى أن يكون مناط كل قصة : تثبيت فؤاد قارئها لمعنى من المعاني يجب أن يعيشه ، ويجب أن يتفانى فيه ، ويجب ألا يحيد عنه وهو ما انتهى إليه من تفسيره لقوله تعالى : (**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**) هود/ ١٢٠ ، ولعله قد فاته تخصيص هذا « المناط » بالمناسبة التي نزلت فيها هذه الآية على الرسول صلى الله عليه وسلم . وإلا ما لجأ إلى التعميم فقال « أن يكون مناط كل قصة » علما بأن القصص وردت في القرآن لأسباب أخرى غير تثبيت فؤاد الرسول من ذلك قوله تعالى : (**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) الأعراف/ ١٧٦ ، وقوله : (**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب**) يوسف/ ١١١ ، وقوله : (**ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي**) الأنعام/ ١٣٠ وللقصص أغراض أخرى فضلا عن غرض تثبيت الفؤاد من بينها الانذار والعظة والعبرة والتذكير وبيان قدرة الله سبحانه وتعالى وغير ذلك من الأغراض وهو ما ينطبق على القصص الذي يكتبه الناس أيضا والذي يجب أن تتنوع أغراضه وتتباين أهدافه ومراميه . ونتفق مع فضيلة الشيخ الشعراوي فيما قاله من أن القصص لا ينبغي أن يهدف إلى قتل الوقت أو للاتجار أو لزخرف يراد تزيينه للناس ولا لإ باحية ولا لغير ذلك ، مما لا فائدة فيه ولا جدوى منه . وقبل أن أنهي هذا الموضوع أجد نفسي ملزما بابداء ملاحظة هامة على ما قرأته منسوبا لفضيلة الشيخ الشعراوي وهو الداعية الذي نكن له كل تقدير ونحمل له كل ود وحب .

ذلك أن سوق الكتب تمتلىء بكتيبات كثيرة تحمل اسم الشيخ الشعراوي وهي في الواقع ليست من نوع الكتيبات التي يضطلع مؤلفوها بتأليفها ، بما يتضمنه ذلك من دقة في الكتابة وحرص على المراجعة إلى غير ذلك . وإنما هي محاضرات أو أحاديث ارتجلها فضيلته هنا أو هناك وتولى فرد أو أفراد تسجيلها كتابة أو على شريط ثم أعادوا كتابتها ونشرها في كتيبات بقصد تعميم الفائدة باتاحة الفرصة لمن سمعها بالاحتفاظ بها والرجوع إليها ولمن لم يسمعها بقراءتها . وأظن أن فضيلته لم يراجعها المراجعة الكافية .

ولعله لو فعل لأعاد النظر في كثير مما قاله ارتجالا ، والارتجال ليس كالكتابة المتأنية التي تتيح للمرء إعادة النظر مثنى وثلاث فيما كتب وتيسر له إجراء ما يراه مناسبا من تعديل أو إضافة . لذلك فانني أتوجه بالرجاء إلى فضيلة الشيخ الشعراوي أن يعطي مزيدا من الاهتمام لما ينشر منسوبا إليه نظرا لما تصادفه هذه الكتيبات من رواج ملحوظ وما يعطيه القراء لما تتضمنه من اهتمام عظيم وقبول شبه مطلق .

فلسفة التوبة في الاسلام

للشيخ / عبدالحميد السائح

في القــرآن الكــريم والحــديث الشريف إرشاد واضح ، وتوجيه بين ليكون المسلم عنصر خير في هذا العالم ومصدر هداية ، سائرا الى مدارج الرقي والفلاح وسالكا سبيل النجاح والنجاة في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : **(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الـذين من قبلكم لعلكم تتقون)** البقرة / ١٨٣ فهدف الاسلام من فرضية الصيام أن يهيىء المسلم الصائم ليكون في عداد المتقين ، ولا يكون كذلك من اختار لنفســه ان ينحـرف عن طريق الله التي هي الصراط المستقيم ، صراط الـذين أنعم الله عليهم بنـعمـة الايمـان والاستقامة والهداية والرشاد ، كما لا يكون كذلك من اعرض عن تعاليم الله ، وسار وراء شيطانه واتبع هواه ولا يكون كذلك أيضا من استمر في غوايته وأمعن في أعراض الناس والاعتداء عليهم وعلى حقوقهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري وغيره وفي حديث آخر :« رب صائم حظه من صيـامـه الجـوع والعطش » رواه الطبراني

وكذلك في الصلاة قال سبحـانه : **(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت** / ٤٥ **ولا يحقق حكمة الله في فرائضه الا من اقبل على الله مخلصا مقدرا جلاله وعظمته ومثل ذلك في الزكاة والحج ، وسائر شرائع الاسلام ، قال تعالى** : **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** التوبة / ١٠٣ وقال أيضا **(ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة)** الاعراف / ١٥٦ وقال عز شـأنه : **(لن ينـال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينـاله التقوى منكم)** الحج / ٣٧

فالتقوى والأخذ بشرائع الاسلام ، من الأهـداف التي قصـد اليهـا

الاسلام ، لانها تدخل صاحبها في رحاب الله وتجعله من الحائزين على رضاه .

والله سبحانه خلق الانسان على الفطرة التي تشده الى إدراك النعمة وتقديرها ، والإيمان بعظمة الخالق وارتباط القلوب على محبته ، كما جعل فيه غرائز تجذبه الى الترف والبطر والتمتع بالشهوات والانغماس في الملذات ، ولذلك يكون الانسان في صراع بين قوى الخير ، التي تحاول أن تضمه الى صفوف الناجين والمتقين ، وقوى الشر التي تحاول أن تدفع به الى الهاوية حتى يكون في بعد سحيق تحجز بينه وبين الهداية والسعادة الحقيقية ، وهنا تبرز قوة الإيمان عند من هداه الله الى أن يحوز رضاه .

قال تعالى : (**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**) آل عمران / ١٤٢ وهذا الوضع ميز الله به عباده من بني آدم على الملائكة لانهم خلقوا مطبوعين على الطاعة : (**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) التحريم /٦ ومن اجل هذا قال بعض العلماء إن خيار البشر أفضل من خيار الملائكة ، لأن طبيعة البشر أشق ومكافحتهم أصعب ، وجهادهم أضنى .

والله سبحانه يريد لعباده المؤمنين ان يكونوا مجندين لطاعته متباعدين عن معصيته حتى يكون ذلك اقرب الى الاذعان بقوة الله وعظمته وواسع علمه وخبرته ، ولكن هذه الحال قد لا تكون ميسورة ، ولا الطريق اليها معبدة ولا تكوين النفس البشرية وخلقتها مما يسهل ذلك فإذا زلت القدم وانساقت النفس وراء غريزتها ، وغرها شيطانها ووقعت في معصية الله ، حرص خالق الأكوان على ألا يطول الفراق بين هذا النوع من البشرورحمة الله ومحبته ورضوانه ، فأمر سبحانه عباده المؤمنين ان يثوبوا الى رشدهم اذا انحرفوا ، وان يعودوا الى ربهم اذا غفلوا وأن يشعروا بعظمة خالقهم ودقيق علمه وواسع اطلاعه . قال تعالى : (**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**) النور / ٣١

ولا يجوز لهم أن يستمرئوا الانحراف ، ولا أن يستمروا على الغفلة والتغافل ، لانه لا سبيل الى اخفاء الحقائق عن علام الغيوب ، الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور : (**إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير**) لقمان / ١٦ ولذلك يبادر المؤمن الى الأوبة الى الله ، والعودة الى حظيرة قدسه ورضاه ، حالما يصحو من غفلته كما قال سبحانه : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الأعراف / ٢٠١ .

والمؤمن يشده إيمانه الى ان يعود الى صوابه ويربط قلبه بخالقه ، حتى يتغمده بفضله ورحمته ، ويدخله في حوزة المتقين التائبين : (**إن الله يحب**

التــوابــين ويحب المتطهــرين) البقرة / ٢٢٢ كما يبعده عن مواقف المتخــاذلــين الــذين يستمــرئــوم العصيان ، ويدأبون على الانغماس في الترف ولذائذ الشهوات ولو أغضبوا الرحمن ، ولذلك كانت التوبة الى الله من واجبات الاسلام عملا بآيــات القرآن وأحاديث خير الأنام ، صلوات الله وسلامه عليه .

التوبة النصوح

قال تعالى : (**يأيها الــذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفــر عنكم سيئــاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير**) التحريم / ٨

والتوبة النصوح هي ما يتوافر فيها العناصر التالية :

١ ـ الندم على ما حصل .
٢ ـ الاقلاع عن المعصية .
٣ ـ العزم على ألا يعود .
٤ ـ الاستغفار ,

وبذلك يتجلى ان الاستغفار هو عنصر من عنــاصر التوبــة ، فــاذا استغفر الانسان بلسانه ، وهو مصر على عصيانه مستمرىء ما هو فيه من المحرمات ، لا تصح توبته ولا قيمة لاستغفاره ، بل هو استغفار يحتاج الى استغفار بمعنى ان الاصرار على الذنب خصوصا اذا كان من الكبائر ، يعني انغماس صاحبه في غضب الله ومعصيته ، ولا بد أولا من الندم ، حتى يستقر في قلب المؤمن شعوره بخطئه وانه لا بد أن يعود الى الطريق الصحيح ثم لا بد من الاقلاع عن المعصية ، اما اذا استمر في العصيان مثل أكل الربا وشرب الخمور ولعب القمار والطعن في اعراض النــاس وانكــار حقوقهم ، فــان استغفــاره لايجديه الا اذا اقلع عن عصيانه ثم يعزم بقلبه ألا يعود للمعصية ، اما اذا اضمر في نفسه ان يعود الى ذنبه ، فلا تنفعه توبته ولكن اذا استوفى عناصر التوبة ثم زلت به القدم مرة اخرى فان فضل الله عظيم : (**وهو الذي يقبل التــوبة عن عبــاده ويعفــو عن السيئات**) الشورى / ٢٥ والعنصر الاخير في التوبة هو الاستغفار اي طلب المغفرة والعفو من الله سبحانه .

المعاصي والسيئات

ـ ١ ـ

يقصد بالسيئات والمعاصي المحرمات والمحظورات شرعــا ، سواء كــانت محرمة لذاتها ، وهو ما يعبر عنه بتحريم المقاصد **او كانت محرمة لغيرها** ،وهو ما يعبر عنه بتحريم الوسائل مثل النظر الى المرأة الاجنبية بشهوة ، ومع ان هذا النوع محرم ايضا الا انه اقل اثما . قال تعالى : (**والذين إذا فعلوا فــاحشة أو ظلمــوا أنفســهــم ذكــروا الله**

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) آل عمران / ١٣٥ و ١٣٦

وكلا النوعين تجب التوبة منه ، وعدم الاصرار عليه ويعبر عنهما بالكبائر والصغائر ، واعدل الاقوال في التمييز بينهما ، ان الكبيرة ما ترتب عليها حد او توعد عليها بالنار ، او اللعنة او الغضب ، والصغيرة ما دون ذلك ويدخل في الكبيرة كل ما ثبت بالنص انه كبيرة مثل الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، والزنا ، وقذف المحصنات وشهادة الزور ، والفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين واليمين الغموس ، ويرجح هذا القول لانه هو المأثور عن السلف مثل ابن عباس وابن عيينة واحمد بن حنبل رضي الله عنهم جميعا ، واذا اجتنبت الكبائر تكفر الصغائر ، كما تكفر الصغائر بالاعمال الصالحة مثل تقديم العون لمن يحتاجه والصدقات وجميع أعمال الخير . قال تعالى : (**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)** النساء / ٣١ وقال أيضا : (**إن الحسنات يذهبن السيئات)** هود / ١١٤ وقال صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » رواه احمد

المعاصي والسيئات ايضا

- ٢ -

وتنقسم المعاصي والسيئات أيضا الى :

١ ـ المعاصي والسيئات التي تتعلق بحقوق الله

٢ ـ المعاصي والسيئات التي تتعلق بحقوق الناس

اما القسم الاول : فسبيل التوبة منه ما ذكرناه آنفا ، وهو الذي دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، قال ابن حزم : والتوبة من الكفر والزنا وفعل قوم لوط والخمر واكل الاشياء المحرمة كالخنزير والدم والميتة وغير ذلك تكون بالندم والاقلاع والعزيمة على ألا يعود ابدا واستغفار الله ، وهذا اجماع لا خلاف فيه .

واما القسم الثاني : فسبيل التوبة منه ما ذكرناه في القسم الاول ، ويضاف اليه ضرورة رد المظالم واعادة الحقوق الى اهلها قال ابن حزم ايضا : «والتوبة من ظلم الناس في اعراضهم وأبشارهم لا تكون الا برد اموالهم اليهم ، ورد كل ما تولد منها معها او مثل ذلك ، ان فات ، فان جهلوا ففي المساكين ووجوه البر ، مع الندم والاقلاع والاستغفار والتحلل من الاعراض والأبشار الخ .

وقد افاض الامام الغزالي في كيفية خروج التائب من المظالم المالية .

فاذا اقرضك شخص عشرة دنانير مثلا فانكرت عليه حقه او ماطلت في رد

الحق الى صاحبه ، او اضعته عليه او حلفت يمينا كاذبة ، تكون ظالما ولا يقبل الله توبتك من ذنبك هذا ، ما لم ترد الحق الى صاحبه .

قل لي بربك ايها الصائم الكريم ، اذا كان هذا هو حكم الله في حق الشخص الذي ينكر على غيره حقه مهما كان ضئيلا او يضيعه عليه فما بال الذين يخونون امانات الجماعة والامة ، ويضيعون عليهم حقوقهم او يفرطون في حفظ ما ائتمنهم الله عليه ؟ فانهم لو استغفروا في اليوم الف مرة فلن يغفر الله لهم ولن يقبل توبتهم ما لم يردوا حقوق الامة اليها ، ويعيدوا للمظلومين حقوقهم ايضا ، فليحذر الذين يتولون شؤون العامة اذا فرطوا او ضيعوا او اهملوا او ارتشوا ، فان ذممهم لا تبرأ امام الله الا اذا ردوا الحقوق والامانات لاصحابها واعادوا للمظلومين ظلاماتهم .

قال تعالى (**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**) الأحزاب / ٧٢

متى يتقبل الله التوبة ؟

ان الله سبحانه يريد لعباده ان يسارعوا الى توبته وطلب مغفرته ورحمته ، كلما وقعت خطيئة أو زلت القدم حتى لا يتلبس المؤمن بالمعصية ولا يبقى بعيدا عن رحاب ربه ، ولذلك فانه لا يقبل توبة من يؤخر توبته الى آخر الوقت ، كما قال سبحانه : (**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**) النساء / ١٨ وانما يتقبل توبة من تتصل توبته بزلته ، وتقترن أوبته بمعصيته كما قال تعالى : (**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**) النساء / ١٧ .

فيكون وقت قبول التوبة محددا بما ذكر ، ولذلك فان الله لم يقبل من فرعون توبته وايمانه حين أدركه الغرق ، كما قال سبحانه : (**حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**) يونس / ٩٠و٩١

هدف الاسلام من التوبة

يهدف الاسلام من الحض على التوبة ان يشعر المسلم أن عليه أن يكون دائما عنصر خير ومصدر نفع للبشرية ، ومنطلق هداية لجلب الاخرين الى حوزة المؤمنين المتقين ، وألا تشيع المعاصي والمنكرات ، ولا تنتشر الموبقات ، حرصا على صلاح المجتمع ، والاقلال من المظالم والمفاسد ، فاذا بادر المؤمن الى التوبة تجمعت عناصر الخير وتناثرت قوى الشر والطغيان واتجه المجتمع الى ما فيه الخير والمصلحة العامة . قال تعالى : (**نبىء عبادي أني أنا**

الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم) الحجر / ٤٩ و ٥٠
فالآية الاولى تبشر المؤمنين بأنهم مهما ارتكبوا من المعاصي فان الله يغفره ويشمل التائبين برحمته ، والثانية نبهت المؤمنين بان عليهم ألا يسترسلوا في عصيانهم ولا يغفلوا عن ان الله يعاقب المعرضين عن مراقبته والمتخاذلين عن تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : **(غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب)** غافر / ٣
وفي البصائر ، حين بيان سرائر التوبة ان المقصود بها خوف الله وخشيته والقيام بامره واجتناب نهيه ، فيعمل بطاعة الله على نور من الله ، يرجو ثواب الله ويترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله وقد اخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما : « **أن ناسا من اهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فاكثروا ، ثم اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الى قوله : (غفورا رحيما) ونزل : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)** .
وفي رواية للطبراني عن ابن عباس ايضا قال : « **بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي قاتل حمزة يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني وانت تزعم ان من قتل او زنى او اشرك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، وانا فعلت ذلك فهل تجد لي من رخصة ؟ فانزل الله : (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا)** ـ الاية فقال وحشي ، هذا شرط شديد « إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ، فلعلي لا اقدر على هذا فانزل الله (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فقال وحشي : هذا أرى بعد مشيئته ، فلا ادري أيغفر لي ام لا ؟ فهل غير هذا ؟ فانزل الله : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) قال وحشي : هذا نعم فأسلم »

ايها الصائم الكريم :
انظر ـ رحمك الله ـ كيف يحرص رسولك العظيم صلى الله عليه وسلم على هداية رجل اقدم على قتل عمه حمزة رضي الله عنه مما يدل على أن مبادىء الاسلام ، وأهداف الاسلام في ذروة المبادىء الانسانية السامية ، التي تهدف الى اصلاح المجتمع وانقاذ العصاة من عصيانهم والمنحرفين من غواياتهم ورحم الله محدث الشام الاكبر وعلامتها المرحوم الشيخ بدر الحسني ، فقد سمعته في احد دروسه يلفت انظار طلابه ، ويرشدهم الى ان العصاة والمذنبين يحتاجون منا الى عناية واهتمام بامرهم حتى يعودوا الى صوابهم ورشدهم . حبذا لو ان دعاة الاسلام والوعاظ والمرشدين يأخذون من ذلك عبرة ودرسا ، ويعملون على تيسير الدعوة الى الاسلام ويستعملون الحكمة في عرض مبادىء الاسلام واحكامه حتى ينجذب الآخرون اليه

ويقبلوا على تفهم مبادئه عن طواعية واختيار وقناعة ، ونفتح الحوار بينهم اذا اقتضى الامر على اساس من ارشاد الله بقوله سبحانه : **(وإنا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين)** سبأ / ٢٤ وقوله عز شأنه : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** النحل / ١٢٥

واختم هذا البحث بالاشارة الى الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري ، قال : « لما قضي الله الخلق كتب عنده فوق عرشه ، إن رحمتي سبقت غضبي » ، والى الحديث القدسي الاخر الذي رواه البخاري ايضا « ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » .

وفي رواية لمسلم « وإن تركها (السيئة) فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من جرائي » وان هذا الحديث القدسي روى بالفاظ متعددة متقاربة ، في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والذي تبين من مجملها ما يلي :

١ ـ ان الهم على الحسنة يكافىء الله عليه فضلا منه ورحمة

٢ ـ ان الهم على السيئة ، بمعنى الخاطر الذي لا يصحبه توطين النفس على العمل ولا عزيمة لا يترتب عليه مؤاخذة واذا هم بالسيئة ثم تركها وأعرض عنها إرضاء لله وخوفا منه تكتب له حسنة كاملة

٣ ـ العزم على الحسنة يكافىء الله عليه لأنه يربي الإنسان على خير العمل وطريق الهدى والرشاد ، وأما العزم على السيئة ، اذا لم يعملها فانه يؤاخذ عليه على ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني وغيره ، وقال القاضي عياض ، إن عامة السلف على ما قاله ابو بكر .

وقد تضافرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر ، قال تعالى : **(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة)** النور / ١٩ ومما يدل على المؤاخذة بالعزم والتصميم على السيئة وإن لم يعملها ، ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » ، والمقصود في الحديث ان احدهما قتل الآخر كما وقع التصريح به في بعض الروايات .

أسأل الله ان يهدينا رشدنا ، ويختم لنا بخاتمة السعادة والحسنى ، وأن يتقبل صيامنا وأعمالنا ، وأن يوفقنا لما فيه رضاه ، فانه نعم المرتجى والأمل : **(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)** آل عمران / ٨



العلم مقدس في نظر الاسلام ، وهو أسمى شيء في الحياة ، لأنه حياة القلوب ونور الأبصار ، به يبلغ الانسان الغاية ويربو على النهاية ، وقد حث علي بن أبي طالب على التعليم فقال « علموا اولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » . ولم يفرق الاسلام في طلب العلم بين الأبناء والبنات . كيف وقد قال رسول الاسلام « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » رواه ابن ماجه

وليس ادل على اهتمام الاسلام بالعلم ، من اطلاق الرسول سراح الأسرى المتعلمين من الكفار ، إذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة . وحسبنا ان نذكر ان العلم في نظر الشافعي ، قوام الدنيا وقوام الدين رحمه الله تعالى « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معا فعليه بالعلم » بل لا نغالي اذا قلنا ان الرسول كان يمنح الأوسمة والدرجات العليا للمتفوقين في العلوم ، ويكرم الممتازين من المتعلمين ، من الرجال والنساء ، فها هو ذا يمنح معاذ بن جبل ، درجة الامتياز في الفقه ، فيقول « اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، رواه ابن ماجه جـ ١ ص ٥٥ ويمنح زيد بن ثابت ، درجة الامتياز في علم الميراث ، فيقول « افرضكم زيد ابن ثابت » ، رواه ابن ماجه جـ ١٠ ص ٥٥ ويمنح ابا عبيدة بن الجراح



للاستاذ / حسنين نعيم

درجة الامتياز في علم الشريعة والقضاء ، فيقول « أقضاكم ابو عبيدة »

هذا وقد رأى ابن مسكويه والغزالي ، وهما من علماء الاسلام ، ان العلم غذاء للروح وغذاء للعقل ، وعد ابن خلدون العلم والتعليم طبيعيا في العمران البشري ، وقال إن الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته ، من الحس والحركة والغذاء ، وغير ذلك ، وإنما تميز عنها بالفكر ، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصناعات .

وقد أفاض الحكماء والأدباء والفلاسفة في هذا السبيل ، فالغزالي يقول « من أصاب علما فاستفاده وافاده ، كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضيئة » . يستوى في ذلك الكبير والصغير ، ولا شك أن الطفل أولى من الشيخ في التعلم ومن الواجب ان نعلمه فان العلم سبيل الرقي والنهضة ، ولقد قيل لأبي عمرو ابن العلاء هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ، قال : إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي اخرج رجال الحضارة وجهابذة العلم واساتذة الدنيا وعمالقة العلماء وافذاذ الفكر امثال ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والرازي والقزويني والخوارزمي والجاحظ وابن النفيس

وابن حيان وابن بطوطة ، هذا كله في الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش في ظلمات الجهل والفوضوية والهمجية والتأخر ولم ينقذ اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور الاسلام ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية بإعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه ، الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة العلم في ذاته ، والذين لا تسيطر عليهم العصبية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى القارىء بعض ما جاء على لسان فلاسفة العالم ، والتي تشهد صراحة وضمنا لمجد الحضارة الاسلامية .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتورة « سيجريد هونكه » : ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم ، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري ، فسيادة أبناء الصحراء ، التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة ، وحيدة في نوعها ، وإن الإنسان ليقف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة ، والتي يحار الانسان في تعليلها وتكييفها .

وقالت « وان اوربا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في عنق أوربا وسائر القارات للعرب كبير جدا » .

وقال العلامة « كاربنسكي » : إن الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين ، وان الابحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين ، الذين نشروا العلم بينما كانت أوربا في ظلمات القرون الوسطى .

كما قال العلامة « سديو » في كتابه « تاريخ العرب » : كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى اوربا ، فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها » .

هذا وقد نقل عن ليبرى قوله « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ ، لتأخرت نهضة اوربا الحديثة ، عدة قرون » .

كما نقل عن جوستاف لوبون قوله « ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولم يتجل تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها بل كان لهم الاثر البالغ في ثقافته العلمية أيضا » .

ان هذه الأقوال التي جاءت على لسان علماء افذاذ ، لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمنا وجملة وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الاسلامية الانسانية ، التي لمست الانسانية فيها معاني السيادة ، ومست القلوب فيها معاني السعادة ، واعتلت في ظلها صروح المجد .

وهذه الحضارة ستظل خالدة خلود الأبد ، باقية بقاء الدهر ، مدوية دوي

الآذان ، لا ينضب لها معين ، ولا ينتهي لها مدى ، ولكن ذلك رهين برجوع العرب الى منابع عزهم .

يقول الدكتور جورج سارطون :

« إن المسلمين يمكن أن يعودوا الى عظمتهم الماضية ، إذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الاسلام ، والعلوم التي حث الاسلام على الأخذ بها » .

ومن هنا استطاع المسلمون في سرعة لم يعهد لها مثيل في تاريخ النهوض أن ينتقلوا من امة الأمية الى أمة العلم والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا أساتذة العالم وقادة الفكر ، ورواد العلوم والفنون ، يدرسونها للأجيال المعاصرة ، كأحسن ما يكون الدرس والتعليم ، ويدونونها للأجيال المقبلة ، كأحسن ما يكون التأليف والتدوين ، وينشرونها في شعوب كانت تائهة ، في عماء الجهل وظلمته ، فقد كانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية ، فيأخذون عن علمائها ما شاءوا من أفانين العلوم ، والوان المعرفة ، ثم يعودون الى بلادهم حاملين إليها مشاعل الهداية .

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء ، والطب والفلسفة والزراعة وسائر أنواع الفنون الحضارية .

يقول العلامة « دربير » المدرس بجامعة هارفارد بأمريكا :

« ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم . لطلب العلم وكان ملوك اوربا وامراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

ومن هنا رأينا الاسلام يدعو الى البحث والتنقيب وتصيد الحكمة والمعرفة أنى وجدت « الحكمة ضالة المؤمن » ، « خذ الحكمة ولا يضرك من اي وعاء خرجت » ، كما رأينا الاسلام يرفع درجة الذين يعلمون ويفضلهم على غيرهم ممن يتقاعس عن التزود من العلم والاغتراف من مناهله ، كما رأينا المسلمين قد اندفعوا الى ميادين العلوم حتى ألموا بكل ما وصل اليه التفكير البشري وزادوا عليه ولم يتحرجوا من تلقي العلم والمعرفة عن غيرهم من الملل الأخرى لان الاسلام اباح لهم ذلك يقول الاستاذ « محمد أسد » وهو رجل اوربي هدى الله قلبه للاسلام :

« لم يقف الاسلام يوما سدا في وجه التقدم العلمي انه يقود الجهود الفكرية في الانسان الى درجة يرفعه فيها فوق الملائكة وما من دين ذهب أبعد من الاسلام في تأكيد غلبة العقل وبالتالي غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة » .

ولقد جاء الاسلام داعيا الى العلم لأن العلم يرفع من شأن الفرد والأمة . اذ ينبه الانسان الى ما ينفعه وما يضره ولان العالم يعد في نظر الاسلام رفيعا حسيبا اذ الاسلام لا يفكر في نسب او حسب ولأن العلم اساس النجاح في الحياة وبه يستطيع الانسان ان يصل الى ارقى المناصب كما ان بالعلم قلت الفوارق الاجتماعية في الاسلام بل ذابت وظهرت المساواة

في تكافؤ الفرص ولم يكن الفقر أو الحسب عقبة في الوصول الى المراتب السامية والمناصب العالية .

فها هوذا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه يزوج ابنة عمته زينب بنت جحش سليلة قريش الهاشمية من مولاه زيد بن حارثة ثم يبعث الرسول بزيد مولاه قائدا لغزوة مؤتة ثم بابنه أسامة قائدا لغزو الروم .

ثم تمضي عجلة الزمن فنرى عمر ابن الخطاب يستعمل على مكة نافع بن الحارث ثم يلقاه عمر فيقول له : من استخلفت على اهل الوادي ؟ . فيقول نافع استخلفت عليهم ابن أبزى ، قال : ومن ابن أبزى ، فقال : رجل من موالينا عندئذ قال عمر استخلفت عليهم مولى . فقال : نعم انه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض ، فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : « **ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين** » . مختصر صحيح مسلم رقم ٢١٠٢ .

ولهذا رأينا المسلمين الأولين اقوياء اعزاء يضرب بهم المثل في العلوم والمعارف ، يقول احدهم يصف الأمة العربية بعد الاسلام : « قوم يضربون في الصحراء لا يعتنى بهم عدة قرون فلما جاءهم النبي صاروا قبلة أنظار في العلوم والمعارف وكثروا بعد أن كانوا قليلين وعزوا بعد أن كانوا أذلاء ولم يمض قرن بعد الاسلام حتى استضاءت اطراف الارض بعقولهم وعلومهم » .

ويقول غيره « استطيع ان اجهر بمنتهى الجرأة بعد ان قرأت كتاب المسلمين المقدس وعرفت ثقافة الاسلام بانه لا يوجد في تعاليم هذا الدين كلمة واحدة او عمل واحد من شأنه ان يعوق تقدم المسلم او يمنع زيادة حظه من الثروة والمعرفة والقوة . ومن ثم لا يزال كثير مما عرفه العلماء المسلمون وكشفوه واخترعوه في سائر فروع العلم والمعرفة وبخاصة في الطبيعة والكيمياء والفلك والصيدلة والطب والجراحة موضع الاعجاب والفخر على مر الأزمان ، بل ولا يزال حتى اليوم مقدرا كل التقدير من العلماء الغربيين » ، وحسبنا ان يشهد بذلك علماء غربيون ، ليسوا من المسلمين حتى يتهموا بالتعصب للاسلام او بالعاطفة الدينية نحو القرآن فهذا رينورت يقول :

يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوروبا في القرن التاسع عشر مقتبسة من القرآن .

كما يقول احد المفكرين « من الصعب جدا ان نجد علما لا يدين بفضله للاسلام » وليس ادل على اثر الاسلام في المعرفة وانه دين العلم من ظهور طائفة من العلماء والباحثين كانوا جهابذة في العلم وعمالقة في الفكر وروادا في المعرفة قد أوقفوا حياتهم على البحث من امثال ابن الهيثم ، الذي وضع قواعد علم الضوء بعد أن ظل زمنا يبحث في السهول والأودية ، ومن امثال ابن النفيس الذي اجرى التجارب والاختبارات حتى اثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الأوردة

والشرايين المبثوثة في الكائن الحي بل هو سائل متحرك يدور في جميع أجزاء الجسم ، وذلك قبل ان يكتشف « هارفي » الدورة الدموية بثلاثة قرون تقريبا ، وهكذا نرى ابن مسكويه يسبق فلاسفة اوربا وعلماءها بثمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهذيب والبيلوجيا ، كما نرى جابر ابن حيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، ونرى ابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة .

هذا الى جانب ان وجدنا علماء افذاذا في التاريخ والاجتماع والجغرافيا كالمسعودي وابن حيان وابن بطوطة والبيروني وابن خلدون كما وجدنا علماء للرياضيات من امثال الخوارزمي الذي اسس علم الجبر والهندسة التحليلية والميكانيكا وعلماء للفلك من امثال يحيى بن ابي منصور والطوسي وابن جابر البستاني وابناء موسى بن شاكر . حتى الموسيقى كان لها علماء وضعوا اصولها وقواعدها والتاريخ يذكر لنا عشرات العلماء الذين اسهموا في هذا الميدان .

يقول جوستاف لوبون « ان النشاط الذي ابداه العرب في الدراسة كان مدهشا جدا ولئن ساواهم في ذلك كثير من الشعوب فلم يكن منهم فيما اظن من سبقهم وكانوا اذا ما استولوا على مدينة وجهوا عنايتهم في الدرجة الاولى الى تأسيس جامع وإقامة مدرسة » . ويستمر لوبون قائلا وعدا مدارس التعليم البسيطة فان المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة كان فيها جامعات علمية مجهزة بالمخابر والمراصد والمكتبات الفنية ، وكان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة ، وكانت مكتبة الخليفة في قرطبة تحتوي كما ذكره المؤلفون العرب على ستمائة الف مجلد ، كان منها أربعة واربعون مجلدا للفهرس فقط . على انه قد لوحظ ان « شارل الحكيم » لم يستطع بعد اربعمائة سنة من هذا التاريخ ان يجمع في مكتبة فرنسا الملكية اكثر من تسعمائة مجلد .

وهكذا وعلى ضوء هذا كله استطاع الاسلام ان يخرج الى الدنيا فلاسفة وخطباء ومؤرخين واطباء يفخر بهم المسلمون ، وقد افادوا البشرية وأدوا خدمات جليلة للانسانية بمؤلفاتهم ومخترعاتهم التي خطت بالعالم خطوات واسعة نحو التقدم والمعرفة .

ولا يفوتنا ان نشير الى ان المنبع الاول والأصيل الذي استمد منه الفكر الاسلامي اسباب تقدمه هو القرآن الكريم ، الذي لم يكن كتاب دين يحث على العبادة والتوحيد لله والتقرب اليه فحسب ، وانما كان القرآن الى جانب تأكيده وحدانية الله وما يتبعها من عقائد وعبادات وأوامر ونواه دستورا من اعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم ، كما لا يفوتنا اخيرا ان نذكر ان العلم هو مرآة نهضة الأمم وعنوان حضارتها وتقدمها ورقيها .



رمضان : أهلا حادي الأرواح — لعوالم البركات والأفراح
أكبرت فيك تجلدي وتصبري — ومخافتي من فالق الاصباح
فحييت محمود السلوك مسالما — متنائيا عن مزلق لجناح !
فيم النزاع على حطام زائل ؟ — أولست معدودا من النصاح ؟
هيهات يادنيا أريق فضائلي — فأعيش عيش أذلة وشحاح !
أنا عبد ربي قد ملكت جوارحي — وملأت من نبع الهدى أقداحي
فاذا شعوري بالنعيم مسيطر — واذا الملائك اخوتي ببراح
يسقونني شهد الحقيقة صافيا — يا فرحتي ! أنا منتش أو صاح ؟
والروح إن تشرق تجد بشعاعها — فردوسها بغدوها ورواح !!
رمضان : يا شهر الهداية مرحبا — يا موسم الانعاش للأرواح
ما أنت موسم بطنة وتكاثر — إلا لدى المنهوم والملحاح
فشريعة الاسلام نهج ترفع — وتعاظم بالروح لا الألواح !
وإذا لزمت الدين صرت مؤهلا — للفوز بالتوفيق كل صباح
وأعدت أرضي حرة عربية — والدين للتحرير خير سلاح
وأعنت إخواني ضحايا (كابل) — والصامدين على أذى المجتاح !

***

الشيب في رأسي أطل منبئا — أن التزام اللهو غير مباح
فهرعت للرحمن أرجو عفوه — ومدامعي تدعو جميل سماح !
ربي : بسطت يدا لتوبة تائب — أتردني في مدمعي ونواحي ؟

حادي الأرواح

للأستاذ /

محمود عبد اللطيف فايد

من للذنوب يزيل عني عارها ... إلا جناب الغافر الفتاح
من جاءنا رمضان فيض نعيمه ... بل بلسما لمتاعبي وجراحي !
رباه : قد أزف الرحيل فهب لنا ... من صومنا زادا وأقرب راح
واجعله فلك نجاتنا في محشر ... والناس في فزع بأرهب ساح
لم لا أصوم عن الدنايا كلها ... والفحش والتزوير والالحاح ؟
أو بالفسوق تشوه بيض صحائفي ... يا قبح ليل بعد شهر ضاح

***

رمضان يا شهر الهدى بك مرحبا ... حررت روحي من قبيح جماحي !
وجعلتني عبدا منيبا خاشعا ... وكتاب ربي مؤنسي وقراحي
أحييته في خاطري فاذا به ... من شبه موتى مطلق لسراحي
سحر حييت على بديع بيانه ... وشددت في ترتيله ألواحي
يأيها الذكر الحكيم تحية ... في شهر نور بالهدى فواح
يا فجرنا من بعد ليل دامس ... كم مدلج يحتاج للمصباح !
أنعيش مرضى في ظلام تجاهل ... وعلاجنا دان دنو وشاحي ؟

***

رمضان : يا شهر الفضيلة : هذه ... سبحات روح طوفت ببراح
خذها تحية تائب مستغفر ... وجد الأمان بموكب الصلاح
أسرت إليك شموعه بدموعه ... في موسم البركات والأفراح

***



ارهفوا آذانكم للقرآن الكريم ، فهو يتلو كتاب المجد ..

﴿ وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فصلت/ ٤١ ـ ٤٢ .

﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ الانبياء/ ١٠ .

﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ الزخرف/ ٤٤ .

وصوغوا من جديد ، باسم الله ، يومكم وغدكم في نور الشهر الذي كان مولد خير امة اخرجت للناس ، وميقات اصطفاء الرسول الخاتم ، وابتداء الرسالة المهيمنة .. على رسالات الله جميعا باعتبارها كلمة الله الاخيرة التي لم يعوز البشرية من بعدها الى سواها ، ولن تجد الحياة في غيرها أمنها وهداها ..

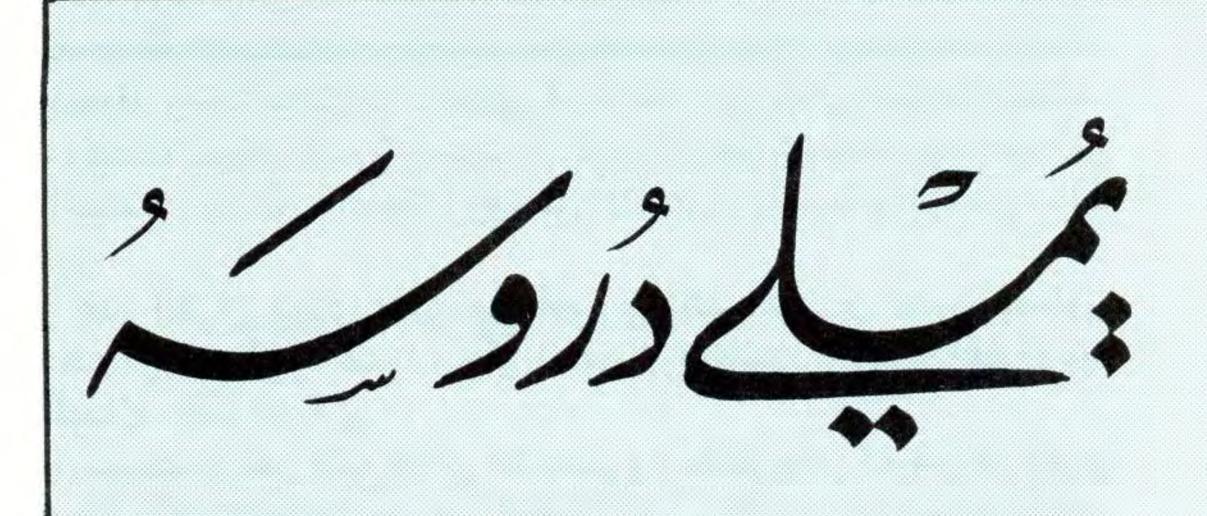
ان المسلمين احوج من اي وقت مضى ، الى اقامة حاضرهم في اضواء ماضيهم ، ليتابعوا المسيرة راشدين على الاساس الذي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اوائلهم عليه ، ملائكة يسيرون على ارض الله ، يتعاونون على البر والتقوى ، ويتناجون بالحق ، ويتواصون بالصبر ، « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ».

واذا جاز لاحد ان يقول في سكر هواه .. قال الشاعر :

ما مضى فات ، والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها !!

فهو ينتهب اللذات انتهابا ، ثاني عطفه ، غير آبه بماض ، ولا مكترث بآت ، فما يجوز ذلك ولا شيء منه للامة الوارثة التي يهتف بها كتاب ربها . وله الفضل والمنة .. كلما عميت عليها الانباء ، وتداخلت في نظرها مسالك الحياة بما يردها الى ما كانت عليه ، وما هي احق به واهله في قول الله تعالى :

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران/ ١١٠ .



للشيخ / معوض عوض ابراهيم

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا بعدي ابدا ، كتاب الله وسنتي ».

- ان الأفكار والمبادىء تتغير في اقطار واعصار كما تتغير الالبسة ، ويقوم بعضها على انقاض بعض ، ويهيل المتأخر منها على المتقدم التراب ، وتختلف من عصر الى عصر ، وقد يرى الناس في جديد ما يتفتق عنه العقل البشري عوضا عما تركوا من امثاله وفي مجاله ، لكن القيم الاسلامية تبقى ارفع وامنع ، واوفى واجمع من ان يرقى الى مستواها سواها ، فضلا عن ان يكون بديلا عنها ، لأنها وضع الله الذي يعلم من خلق وشرع الذي يعلم السر في السموات والارض وهو بكل شيء عليم

وما يستوي وحي من الله منزل وقافية في العالمين شرود ..

ورمضان فرصة متاحة لامعان النظر في هداية الاسلام ، وتأمل وصاياه وتكاليفه والتعرف على المدى الذي اخذنا به انفسنا من ذلك ، والعودة الجادة الى جادة الاسلام في الشهر الذي عرفت الحياة فيه الاسلام ، واستجلت البشرية فيه نور الشريعة الهادية الحانية ، فبددت من غواشيها ، وبثق الأمن في نواحيها ، وكان النبي صلى الله عليه بهذا الدين ، رحمة الله المهداة ، ونعمته المسداة .. اذ ايقظهم من سبات ، ونبههم من غفلات ، وجمعهم من فرقة وشتات ، واخذ بحجزهم فأقالهم مما ترد وا فيه من شرك وضلالات ، وردهم في حنو وايناس الى ما اراد الله لهم من معاني الانسانية ، والكرامة الذاتية ، بالعقيدة الحقة ..

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ آل عمران/ ١٠٣

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ الجمعة/ ٢ .

- والارتباط بالاسلام ، والتذكير بتوجيهاته في العقيدة وتكاليف العبادة ومنهج السلوك لا يقترن بزمان دون زمان ، ولا بمكان دون مكان ، فحاجتنا الى الاسلام -

واقعا وتطبيقا واخذا والتزاما ـ ضرورية ودائمة ، في شتى شئوننا ومختلف امورنا ، وكيف لا يحكم الأسوياءَ دينهم ؟! وكيف لا يأخذون منه ما زوده الله به من حوافظ المجتمع ، واسلوب الحياة ، ووسائل الاستقرار والسعة والازدهار ، والله تعالى يقول :

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ الاسراء/ ٩ و ١٠ .

ويقول سبحانه: **﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾** طه/ ١٢٣ ـ ١٢٦ .

لكن رمضان يجيء كل عام في ابانه ، ليجدد ذكرى الشهر الذي انزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فكان تنزيله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ وجود الامة الفاضلة التي كانت ونبيها صلوات الله عليه وسلامه دعوة ابراهيم واسماعيل وهما يرفعان القواعد من اول بيت وضع في الارض لعبادة الله وحده ، قال تعالى :

﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ البقرة/ ١٢٨ و ١٢٩ . وتلقت الأمة من نبيها أول ما أوحى الله إليه في الشهر الكريم من كتابه: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾** العلق/ ١ ـ ٥ .

فعرف المسلمون منذ اللحظة الأولى ، أن الاسلام دين العلم ، يلحظ المسلم وهو يأخذه جهده ، ويعمل به ، ويبني الحياة على قواعده ، أن الله يراه ، ويعلم سره ونجواه ، فلا يقرأ حين يقرأ لهوى ، أو نزوة أو استعلاء ، ولكنه يقرأ باسم ربه الذي خلقه ، وخلقه كما قال تعالى :

﴿كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ المعارج/ ٣٩

وكرم الله بني آدم ، وشرف الذين اختار لهم مصطفاه صلوات الله عليه وسلامه رسولا وكانوا باتباعه ، والتزام سنته يباهون ويقولون كما روى ابن تيمية رحمه الله :

ومما زادني شرفا وتيها ... وكدت باخمصي أطأ الثريا
وحولي تحت قولك ياعبادي ... وأن صيرت احمد لي نبيا

وحرص المسلمون على تحصيل العلم ، ووهبوه في عصور الخير نشاطهم ،

وذهبوا في شتى فنونه المذاهب البعيدة ، وكانوا بحق الرواد الصادقين لكل من أخذوا منهم ما اخذوا ، فطوروه وطبقوه ، واعترف كثير من علماء الشرق والغرب بفضل السبق لأولئك الأوائل الذين انطلقوا من الاسلام دين العلم الى ما وفقهم الله اليه ، فاقهين دلالة اتزان الايمان بالعلم في آيات ذوات عدد من القرآن الكريم ، وأن الايمان والعمل يسبقهما العلم في دين الله ، والامام البخاري رحمه الله يقول في كتاب العلم من صحيحه « باب » العلم قبل القول والعمل ثم استأنس بقول الله تعالى :

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ محمد / ١٩ .

ورمضان والقرآن حجتا الاسلام في أنه دين العلم ، كان جبريل يلقي رسول الله عليهما السلام في رمضان من كل عام فيدارسه القرآن ، تلاوة وترتيب آيات ، وتسمية سور ، على الصورة التي حفظ بها الصحابة القرآن وجمع بها في عهد الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه ، ثم نسخ على أساسها المصحف الامام ، مأثرة ذى النورين عثمان رضي الله عنه ، وكان عمل عثمان ذلك جلاء لعدة الله الكبرى: **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾** الحجر/ ٩ .

وبقي القرآن الكريم بعد ذلك وإلى يوم الدين ، وكأن عهده بالسماء السابعة جلالا وسناء ، يلقي الله بذلك كله منه التراب في وجوه أقوام في نفوسهم من القرآن كحز المدى ، وهم يشغبون عليه كالذين حكى الله مقالتهم فقال تعالى: **﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾** فصلت/ ٢٦ . وإن زعم المعاصرون بما زيفوا من أفكار ، وبما ادعوا أنهم يميطون اللثام عن بعض ما استكن فيه من إعجاز واسرار ، ألم يقل بعضهم :

- فلنرتب القرآن فنكتبه من جديد على حسب نزول آياته ، دونما تواتر عبر الأجيال !!

- وقال آخرون إن قول الله تعالى في سورة المدثر « **عليها تسعة عشر** » من خلال الآيات ٢٦ - ٣١ التي بدأت بقول الله تعالى « **سأصليه سقر** » فهي في وعيد الله للوليد بن عتبة النار وزبانيتها وأهوالها فيجيء الذين في قلوبهم مرض فيلوون عنق الآيات ليا ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون في « تسعة عشر » مالا يتسم وحكمة الله في انزال القرآن انه كتاب هداية لا كتاب احاجي وألغاز ، وصرف للجلى الواضح المنسجم مع السياق إلى ما لا يستقيم في عقل ، ولا صح في نقل ، ولا يثبت بحال أمام النظر المستبصر .

وقال آخر فلنحذف كلمة قل من التي خاطب الله بها مصطفاه في مثل قوله تعالى:

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾ الكهف/ ١١٠ .

﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادي ﴾ سبأ/ ٤٦ .

لقد طاشت سهام صوبها هؤلاء إلى مصدر الاسلام الأول ، وارتدت إلى نحورهم قسطا وعدلا ، بعد أن كشف الله عما في صدورهم بهذه الألفاظ .: **﴿ وما يعلم**

جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر) المدثر/ ٣١ . أيكون الذين يهرفون بما لا يعرفون أعلم بالله وكلماته ، وإن كانوا دكاترة وأباطرة .. من ابن كثير رحمه الله وهو يقول في قوله تعالى :

(وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) الآية قال :

(وما جعلنا أصحاب النار: أي خزانها ، إلا ملائكة :أي زبانية غلاظا شدادا) إلى أخر ما قال وصرح فيه بمضلين ضالين من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم ممن انزلوا الآيات على العقول العشرة والنفوس التسعة التي لم تك إلا اسماء سموها بغير علم من الله ولا برهان !!

لقد اخرج الامام البخاري بسنده أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان يغازي أهل الشام ، ثم فتح أرمينية وأزربيجان مع اهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما « ياأمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة ، أن أرسلى إلينا بالصحف لننسخها ثم نردها إليك ، وكان القرآن قد جمع في صحف زمن أبي بكر بعد أن خيف أن يستمر القتل بالقراء في المواطن التي تفرقوا فيها ، وبقى عند أبي بكر حياته ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :

« إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن - أي رسم كتابة - فاكتبوه بلسان قريش ، فانما أنزل بلسانهم » .

ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة وارسل إلى كل أفق .. إلى قطر إسلامي .. بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » !

وكانت الحكمة في حرق ما سوى المصحف الامام ، خشية ان يكون في وجود غيره من الغلط ما يعلق بألسنة الناس وقلوبهم ، أو تكون سببا للكذب والاختلاف الذي يظل-رغم كل هذا الجهد الكبير - برأسه ، ثم تسحقه حقيقة القرآن ترتيبا وفقها ..

وإذا كانت همم الأبناء قد قصرت عن متابعة السير بالقرآن تطبيقا وحكما وتشريعا وعلما ، حتى انتقل صولجان العلم إلى غيرهم ، بعد أن أخذوا عنا ما أخذوا وتفتقت أذهانهم عن المفيد الجديد الذي رفعوا به ركائز الحضارة المعاصرة في بعض جوانبها ، وراحت ركائزها الأخرى تعصف بالأخلاق ، وتمتهن القيم والمواريث الصالحة ، ونعوذ بالله كما كان يدعو رسول الله - من علم لا ينفع .. فان بواكير صحوة مباركة تشرق بها الآفاق ، برغم ما ينسج حولها من خيوط الزور ، وما يفترى عليها من أكاذيب ..

وما ينبغي أن تذهلنا الفرحة بهذه الصحوة عن الحذر اليقظان ، أن تنفذ إلى كيانها دسائس الأعداء ومكائد الخصوم ، ووساوس أقوام يلفظهم الحق أبدا يلفظ الجسم ما يحاول أن تلحقه به من المضاد الآخرين ..

لقد آن أن نستقبل رمضان بوعي جديد ، وان نرهف له الأسماع وهو يتلو كتاب المجد ، ويتيح الفرصة لنذكر أنه قادر على أن نعود معه مرة اخرى إلى جادة الاسلام من ضلال وحيرة وضياع ، حين تصح منا العزائم على أن ننزل الاسلام منزله من دنيانا ، فيهيمن على شتى شؤوننا ثقة منا أنه دين الله ووحيه وسبيله إلى عز الدنيا وأمن الآخرة ، وحين يشد الاسلام منا الأواصر ، ونتآخى ونتناصر ، ونعود كعين وأختها وكتف ومعصم ، أمنع من أن تكون عرضا لأعادينا من كانوا وأين كانوا وكتاب الله تعالى يدعونا .

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ آل عمران/ ١٠٣

وما يكون الاعتصام بحبل الله إلا ونحن نستجيب لأمره بطاعته ، والانتصار على أنفسنا بالاستجابة لله ورسوله كما قال تعالى :

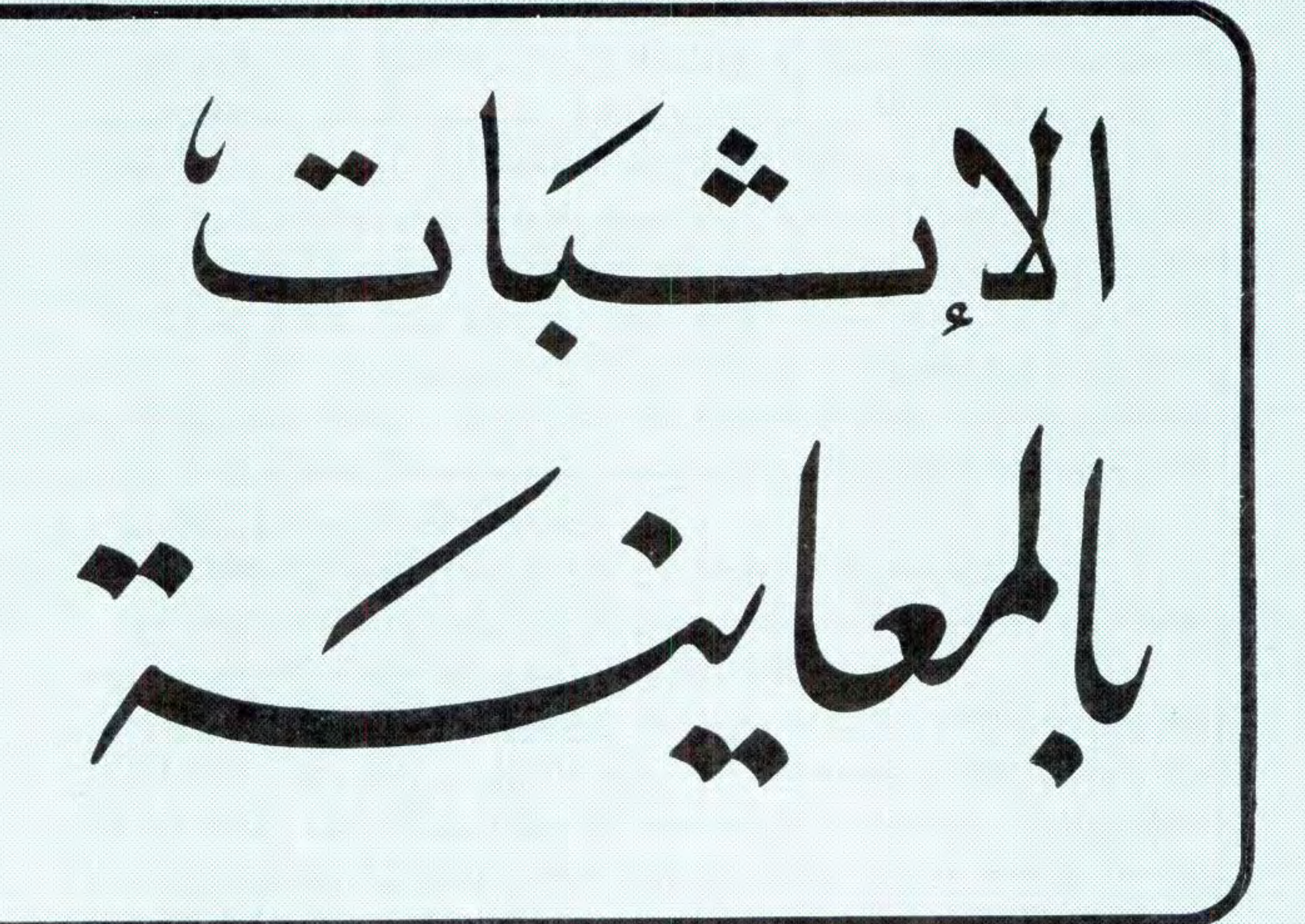
﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ الانفال/ ٢٤ . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل رمضان فرحا جذلان يناجي ربه « اللهم سلمه لنا وتسلمه منا » والمسلمون يقولون بقوله ، ويحاولون جهدهم أن يعملوا بعمله فنهارهم صائم ، وليلهم قائم في المحاريب بالصلاة الخاصة ، صلاة التراويح ، ويدهم تسخو بالبر ، وألسنتهم بذكر الله رطبة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشد المئزر في العشر الأواخر من رمضان ويوقظ اهله ، ويشمر للعبادة ، فيعلم امته كيف تخرج من مدرسة الصوم بمنهج التقوى ، والارادة الخيرة التي ينطلقون بها من النصر على انفسهم وإيقافها عند حدود الله ، إلى ساحات القتال على قلب رجل واحد للنصر على الأعداء في مشاهد الحق ، وميادين إعلاء كلمة الله تعالى .

كان وهب يؤم الناس في قيام رمضان ويوتر بهم فاذا رفع رأسه من الركوع قنت ، فيقول :

« اللهم لك الحمد الدائم السرمدي ، حمدا لا يحصيه العدد ، ولا يقطعه الأبد ، كما ينبغي لك ان تحمد ، وكما أنت له أهل ، وكما هو لك علينا » .

ثم يرفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فلا يسمعون ما يقول ، وكان من أئمة اللغة العربية من إذا دخل رمضان هجرا إنشاد الشعر والتمثل به .. وإن من الشعر لحكمة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه البخاري في الأدب المفرد ليخلص قلبه ولسانه للقرآن الكريم في الشهر الكريم كما فعل أبو عمرو بن العلاء رحمه الله .

وطوبي للذين يخلصون في رمضان ومن بعده قلوبهم ومشاعرهم جميعا للقرآن ليصوغهم مرة أخرى صياغة « ربانية » يعودون بعدها (خير أمة أخرجت للناس) .



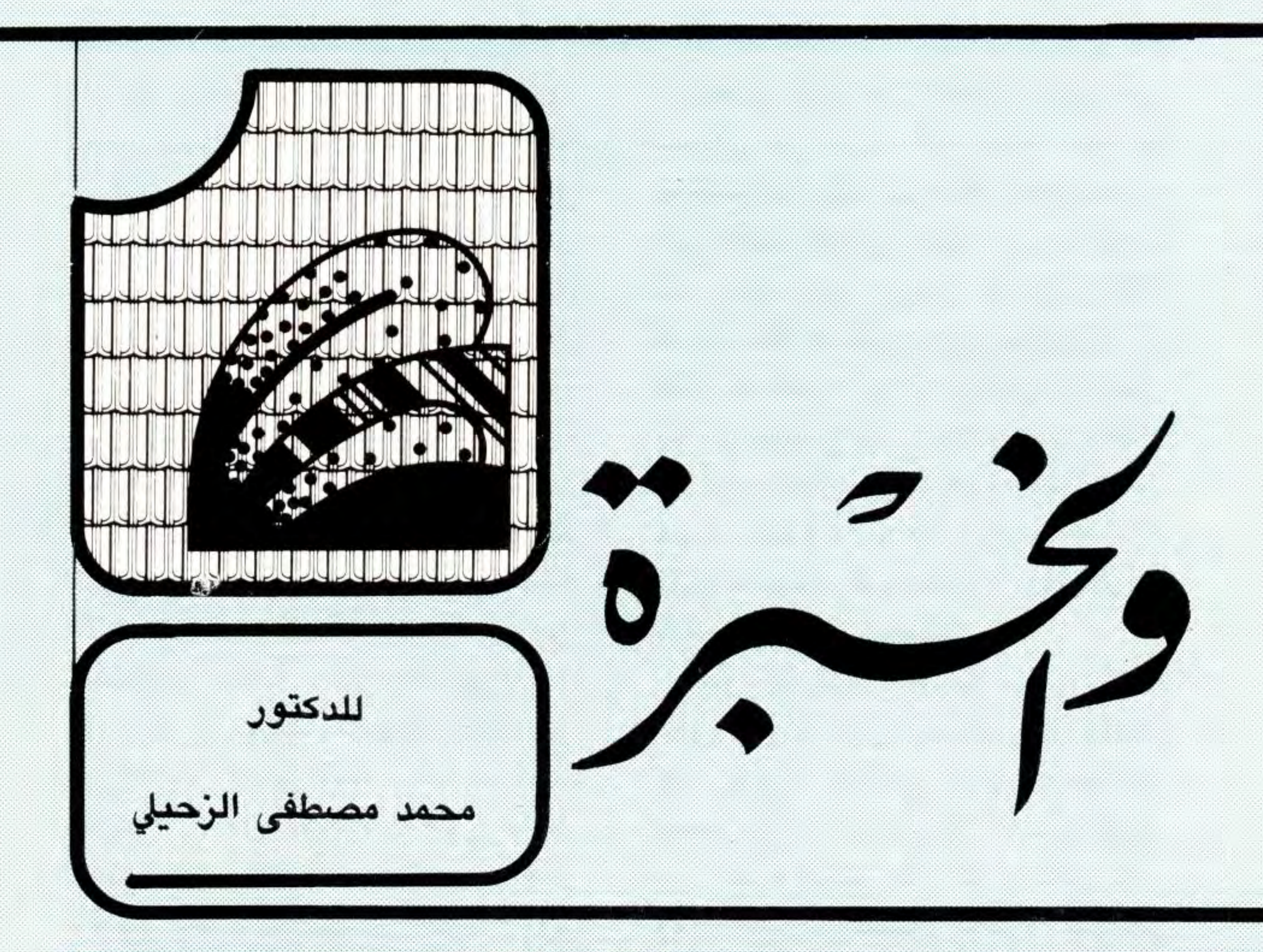
الإثبات بالمعاينة

المعاينة هي أن يشاهد القاضي بنفسه أو بواسطة نائبه محل النزاع بين المتخاصمين لمعرفة حقيقة الأمر فيه .

والمعاينة تختلف عن علم الحاكم المسبق بأنها نتيجة مترتبة على رفع الدعوى في شيء يحتاج الى رؤية ومعاينة ، لبيان الحقيقة ، وادراك الواقع الملموس فيه .

والمعاينة يقوم بها القاضي بصفته قاضيا ، فكأنه نقل محل القضاء من المحكمة الى مكان المدعي به ، وجعله مجلسا للقضاء ، فيعتبر القاضي في عمل رسمي يمارس وظيفته في الكشف عن المدعي به بحضور الطرفين ، ليشرح كل منهما وجهة نظره ، ليستطيع القاضي تكوين قناعته ، ويظهر أمامه الحق جليا واضحا ، ويحكم بالواقعة بناء على هذه المعاينة .

والعلم بمحل النزاع بالمعاينة أقوى من طرق الشهادة والكتابة فيه ، لأن المعاينة دليل مباشر ، باشره القاضي بنفسه ، ويختلف عن القضاء بعلم القاضي الذي يكتسبه بنفسه خارج مجلس الحكم ، وبشكل انفرادي وقبل النظر في الدعوى ، فالمعاينة تشبه الى حد بعيد العلم الذي يحصل عليه القاضي في مجلس القضاء ، مع فارق بينهما ، وهو أن المعاينة تستند الى



للدكتور

محمد مصطفى الزحيلي

رؤية أمور مادية لا مجال الى انكارها ، ولا تتغير أوصافها .

وقد تكون المعاينة في مجلس القضاء نفسه بأن يعاين القاضي المدعى به ، ويقوم بفحصه اذا أمكن احضاره الى مجلس القضاء . ويكون علمه الذي حصل من المعاينة في مجلس القضاء كالعلم في البينة ، وكالعلم في الحلف والاقرار ، وهذا ليس قضاء بعلمه ، وإنما هو قضاء بما يثبت عنده في مجلس القضاء ، كما اذا فحص البضاعة ووجدها تالفة أو فاسدة ، وكما اذا رأى البنت التي لم تبلغ ١٧ سنة ، ووجد أن جسمها يتحمل الزواج مثلا ، تطبيقا لنص قانون الأحوال الشخصية السوري بأن أقل سن للزواج عند البنت سبع عشرة سنة ، ويجوز زواجها وهي بنت خمس عشرة سنة اذا كان جسمها يتحمل ذلك ، فيطلب القاضي رؤيتها ليحكم بصلاحها للزواج أم لا .

وتتحقق المعاينة أيضا والحكم بها في مسائل الحسبة ، بحيث إذا رأى القاضي منكرا أو شاهد مخالفة للشرع ، أو أبصر غشا في السوق فانه يعتمد على معاينته ، ويحكم بموجبها ، وهو ما يطبقه رجال التموين والشرطة والأمن اليوم .

وان المعاينة لم يعقد الفقهاء لها

بابا مع وسائل الاثبات ، لكنهم ذكروا بعض الحالات التي تحتاج الى المعاينة في أبواب الفقه المتفرقة ، ويجب على القاضي أن ينتقل الى معاينتها ، أو أن يرسل نائبه أو أمينه للنظر فيها ، ونقل صفة المدعى به الى القاضي ليصدر الحكم فيها ، والقاضي بالخيار بأن يذهب بنفسه ، أو أن يستخلف غيره ، فيبعث خليفة عنه للرؤية والمشاهدة .

فان كان المدعى به من المنقولات التي لا يمكن نقلها الى مجلس القضاء الا بمؤونة وكلفة ، أو كان من العقارات الثابتة ، فان القاضي ينتقل الى مكان وجودها لمعاينتها وللتحقق من ادعاء المدعى فيها ، أما اذا كان المدعى به من المنقولات التي يمكن احضارها بدون كلفة ولا مؤونة فان القاضي يعاينها في مجلس القضاء ، ولا يعتبر ذلك حكما بعلمه ، مثل معاينة العيب في المبيع ، وتلف البضاعة وغيرها .

ومثال **القسم الأول** : اذا حكم على الزوج بتهيئة البيت المناسب للزوجة « البيت الشرعي أو بيت الطاعة » ثم ادعت المرأة بأن البيت الذي أعده لسكناها غير صالح ، فالقاضي يذهب بنفسه ليطلع على البيت ، ويحكم بعد معاينته بالمناسبة أوعدمها .

وهذا يدل على مشروعية المعاينة باتفاق الفقهاء ، ويؤيد ذلك قصة أبي سفيان ورجل من بني مخزوم عندما تحاكما الى سيدنا عمر ، فقد أخرج ابن التركمان في الجوهر النقي وابن عبد البر في التمهيد عن عروة وعن مجاهد أن رجلا من بني مخزوم استعدى عمر بن الخطاب على أبي سفيان بن حرب أنه ظلمه حدا في موضع كذا وكذا من مكة . فقال عمر : اني لأعلم الناس بذلك ، وربما لعبت أنا وأنت فيها ونحن غلمان ، فاذا قدمت مكة فائتني بأبي سفيان ... ، فقال له عمر : يا أبا سفيان ، انهض بنا الى موضع كذا ، ونظر عمر ، فقال يا أبا سفيان ، خذ هذا الحجر من ههنا ، خذه لا أم لك ، وضعه ههنا ، فانك ما علمت قديم ظلم .... فأخذ أبو سفيان الحجر ووضعه .

فلو لم تكن المعاينة مشروعة لما ذهب سيدنا عمر الى ذلك ، قال الامام السرخسي : وللقاضي أن يلزمه بمعاينة سبب ذلك ، لأن معاينة السبب أقوى من افادة العلم من اقرار المقر به ، وهذا اذا رأى ذلك في مصره الذي هو قاض فيه ؛ فأما اذا رأى ذلك قبل أن يتقلد القضاء ثم استقضي ، فليس له أن يقضي بعلمه في ذلك عند أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : له أن يقضي بعلمه في ذلك ، لأن علمه بمعاينة السبب لا يختلف بما بعد أن يستقضي وقبله ، وهو أقوى من العلم الذي يحصل له بشهادة الشهود ، فان معاينة السبب تفيد علم اليقين ، وشهادة الشهود لا تفيده ذلك .

*** الاثبات بالمعاينة في القانون :**

أما القانون الوضعي فقد أجاز للمحكمة حق اللجوء الى المعاينة من نفسها أو بطلب الخصوم ، وجعل المعاينة من أهم الوسائل العادية ،

لأنها تمكن المحكمة من معاينة محل النزاع بنفسها ، وتكون اعتقادها عن المدعي به لاستخلاص الحكم فيه ، وقد تكون المعاينة في بعض الأحوال الدليل القاطع الوحيد في الدعوى ، وهذا ما بينه قانون البينات السوري مع بيان الاجراءات المقررة لاجراء المعاينة وتحديد وقتها ، وتحرير محضر فيها ، والاستعانة بخبراء فيها « المواد ١٣٤ ـ ١٣٧ » .

وهذا مما يتفق فيه القانون مع الشريعة تمام الاتفاق في الأخذ بالمعاينة والاعتماد عليها في وسائل الاثبات .

ولكن يصعب على القاضي في بعض الحالات الفنية الدقيقة معرفة الحقيقة فيها ، فيستعين بأهل الخبرة والتجربة ، فهل تعتبر معاينة أهل الخبرة مثل معاينة القاضي ، وتكون دليلا وحجة في الاثبات والحكم والقضاء ؟ والجواب عن هذا السؤال هو موضوع الخبرة .

* الاثبات بالخبرة ؟

الخبرة لغة : هي الاختبار ، وهو العلم بالشيء على حقيقته ، والخبير العالم ، والخبرة هي الاخبار عن حقيقة الشيء المتنازع فيه بطلب من القاضي ، والخبرة عامة تقدم في جميع المجالات العلمية والعملية ، ولا يهمنا من ذلك الا الخبرة التي تقوم عن أمر متنازع فيه أمام القضاء لاختلاف الخصوم فيه ، وادعاء كل منهما الحق لجانبه ، فيطلب القاضي ممن يثق بهم ويعتمد عليهم معرفة حقيقة الأمر بتجرد ، وتقديمه الى القاضي ، دون تحيز لأحد أطراف النزاع . فاذا قدم أحد الخصوم خبرة فلا تقبل منه .

وقول الخبير إخبار يحتمل الصدق والكذب ، ولكن خبره يعتمد على معرفة حقيقة الشيء وفحص كنهه نتيجة لتجاربه واختصاصه في ذلك وممارسته وقيامه بهذا العمل ، ولذلك فلا يشترط فيه العدد ، وقال بعض الفقهاء : لا تشترط فيه العدالة أو الذكورة .

وقد ذكر الفقهاء كثيرا من الأحكام التي يجب الرجوع فيها الى أصحاب الاختصاص والخبرة في مختلف فروع الفقه ، فاذا اختلف شخصان في نسب ثالث رجعوا الى قول القائف ، وعند الاختلاف في عيب المبيع يرجع الى أهل الخبرة في تحديد العيب ومقداره ، وهل هو قديم أو جديد ؟ وفي ادعاء التزوير في الخطوط والكتابة تلجأ الى أهل الخبرة في مضاهاة الخطوط ، ونقبل قول القاسم والخارص في الشهادة في الثمار ، ونقبل قول الأطباء في الجنون والعته في دعوى الحجر عليهما ، وهكذا في معظم الحالات ، فان الأمور الفنية والعلمية والدعاوي الدقيقة التي لا يستطيع القاضي معرفة حقيقتها بناء على اطلاعه وثقافته الخاصة فانه يرجع الى أهل الخبرة والاختصاص ، لأن أحوال الكون لا يمكن لانسان أن يلم بها ، وانما يتخصص في كل فرع منها فريق من الناس يدرسون حالاته ويعرفون خباياه ، ويطلعون على تفصيلاته ،

سـواء في ذلك أحـوال الانسان ، وأعـراض الحيـوان ، وصفـات الأشياء ، وخواص المواد ، وتكوين العمران ، فاذا حصل في هذه الأمور الخاصة خلاف بين شخصين ، وأراد القاضي الوصول الى الحقيقة فيها ، فانه يستعين بأهل الخبرة وأصحاب التجربة في ذلك . ويأخذ برأيهم ، ويكون رأي الخبير هو الوسيلة في الاثبات ، في النسب والعيب والصحة والمرض والجروح والضرر وغيرها ، كما أن أعمال الخبير تكون هي المستند في الدعوى .

والأصل في كل ذلك قوله تعالى : **(فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)** الانبياء /٧ ، فـالخبرة والعمـل بمقتضى ما يـراه الخبراء مشروع باتفاق الفقهاء ، وأن فروعهم الفقهية المختلفة تدل صراحة على مشروعيتها واعتبارها في الاثبات ، وللحكم بموجبها ، وان لم يعقدوا لها بابا مستقلا .

ولتوضيح ذلك نذكر بعض الفروع المتفرقة في أبواب الفقه :

١ **ـ الرد بالعيب** : اذا ابتاع شخص من آخر دابة أو دارا ، ثم ظهر عيب في المبيع لم يذكره البائع ، ولم يسبق للمشتري رؤيته ، وكان العيب يؤثر في رضاء المشتري ويخل بقيمة البيع ، فأراد المشتري رده ، فأنكر البائع العيب ، ورفض رد المبيع ، فترافعا الى القضـاء ، فيجب على القاضي الرجـوع الى أهل الخبـرة والاختصاص للنظر في العيب الخفي وتحديده فيما اذا كان قديما ، ليحكم القاضي للمشتري برد البيع ، أو كان حديثا عند المشتري فترد الدعوى ويثبت البيـع ، ويكفي في الخبـرة الواحد ، والاثنان أولى للاحتياط ، ويجوز الرجوع الى النساء ، لأنه يجوز من المرأة الخبر والفتيا ، قال ابن فرحون : « ونجيز شهادة أهل المعرفة في اختـلاف المتبـايعـين في صفـة المبيع » .

٢ **ـ عيوب الزواج** : اذا تزوج شخص بامرأة بكر على مهر معين ، وتبين أنها ثيب ، وطلب من القاضي التفريق والحكم على المرأة للتغرير به ، وأنكرت المرأة ذلك ، فتعرض عـلى القابلة أو الطبيب المختص لبيـان حقيقة الأمر ، والفصل فيه بناء على نتيجة الفحص ، وكذلك الحال اذا ادعى الزوج القرن والرتق وغيرهما ، فان القاضي يؤجل الزوج سنة كاملة لتمكينه من الاتصال بزوجته خلال فصول السنة المختلفة ، فاذا أصرت الزوجة على دعواها بعد ذلك ، فانها تعرض على أهل الخبرة في ذلك ، فان قالوا : لا تزال بكرا ، فرق القاضي بينهما .

٣ **ـ يرجع الى الأطباء** المختصين بالجراحة في معرفة طول الجرح وعمقه وعرضه عند دعاوي الجروح ، ويرجع الى أهل المعرفة من النساء أيضا في قياس الجرح وقدره اذا كان مما تجوز فيه شهادة النساء .

٤ **ـ يرجع الى أهل المعرفة في** عيوب الدواب ، ويقبل قول البيطار في عيوب ومرض الدابة ، وكذلك يرجع الى المختصين في عيوب الدور وما فيها

من الصدوع والشقوق وسائر العيوب ، ومثله عيوب السيارات والآلات الحديثة ، فان القاضي يستعين بأهل الخبرة والاختصاص .

٥ ـ يرجع القاضي الى أهل المعرفة من التجار في تقويم المتلفات وعيوب الثياب .

٦ ـ يرجع الى أهل المعرفة بالجوائح ، وما ينقص من الثمار ، ولمعرفة مالا يتكرر سببه ، أو مما يتكرر في التنازع بين الخارج وذي اليد ، قال ابن نجيم : « فان أشكل يرجع الى أهل الخبرة » .

٧ ـ ويرجع الى أهل المعرفة بمسائل الضرر بما يحدثه الانسان على جاره في الطرقات والبناء وحقوق الجوار ، ومثل ذلك يقبل الخارص الواحد فيما يخرصه عند الامام مالك ، ويقبل قول الملاح في القبلة اذا خفيت أدلتها ، وكان عدلا عارفا السير في البحر ، وكذلك من كانت صناعته في الصحراء وهو عدل ، وكذا خبر الواحد في دخول الأوقات .

وهكذا كل ما قبل فيه قول الشخص الواحد فانه من قبيل الاخبار الذي يقبل أمام القضاء لما تحف به من القرائن التي تجعل سبيله الخبرة ، قال أبو الوليد الباجي : احتج أصحابنا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع السلب الى أبي قتادة بقول واحد دون يمين ، فدل على أنه يقبل فيه الواحد ، وان كان كذلك فيكون طريقه الخبر لا الشهادة .

قال العز بن عبد السلام : « الاعتماد على قول المقومين العارفين بالصفات النفيسة الموجبة لارتفاع القيمة ، وبالصفات الخسيسة الموجبة لانحطاط القيمة ، لغلبة الاصابة على تقويمهم ، وكذلك الاعتماد على قول الخارصين لغلبة اصابتهم في ذلك ، حتى لا يكادوا يخطئون » .

ويعتبر من الخبرة جميع الكشوف والعمليات والاجراءات العلمية والمختبرات التي يقوم بها أخصائيون في معرفة حقائق الأشياء المتنازع فيها ، وأهم هذه الأمور الطب الشرعي ، ويراد به العمليات التي يقوم بها أخصائيون لتحليل الدماء وفحص البصمات والكتابات والملابس لمعرفة أصحابها وفحص الحرائق لمعرفة أسبابها ، والقنابل لمعرفة مصدرها ، حتى فحص التراب والحجارة وما يمكن أن يترك أثرا ، وقد أقيمت المعامل والمعاهد لهذه الغاية ، ونستطيع أن نجد له أمثلة في التاريخ الاسلامي فالامام علي كرم الله وجهه ميز بياض البيض عن المني باستعمال الماء الساخن عندما اتهمت امرأة شابا باغتصابها .

وان تقدم العلوم وتفرع البحوث وزيادة التخصص ، وتقسيم العمل في جميع فروعه ، يؤكد الحاجة إلى الخبرة وفائدتها وأهميتها ، فان القضاة بأشد الحاجة الى أهل الخبرة والاختصاص في جميع الأمور اليومية اذا أرادوا الوصول الى حقائق الاشياء ، فيطلبون الاستعانة بذوي الاختصاص في النواحي العملية والتطبيقية في مجال العمران والتقدم وأعمال الدولة والظواهر العلمية .

والخبير يبين حقيقة الشيء بعد التجارب والبحوث العلمية التي استغرقت سنوات كثيرة في حياته ، بحيث يزول معه العامل الشخصي تقريبا ، وبذلك يكون رأي الخبير هو الخبرة ذاتها ،! ولا ينظر الى التكوين الشخصي له ، وخاصة اذا كانت الخبرة معتمدة على الآلات العلمية والطرق المادية والظواهر الثابتة المسلمة ، ويقدم رأيه بناء على النظر والاستدلال .

ويشترط في الخبير أن يكون من أهل المعرفة فعلا في صنعته ومهنته واختصاصه الذي يسأل فيه ، ولا يشترط فيه غير ذلك عند المالكية الذين قالوا يصح من الرجل والمرأة والمسلم والكافر والفاسق ، ولا يشترط فيه العدد ، فيجوز الرجوع الى خبير واحد أو أكثر ، لأنه يشبه الشهادة من جهة ، لأنه الزام معين ، ويشبه الرواية من جهة ثانية لأنه إخبار ، ويشبه الحكم من جهة ثالثة لأن حكمه ينفذ .

وانما يشترط العدد أو العدالة عند المالكية اذا تعلق بالاخبار حد من الحدود كتقويم المسروق ، أو تعلق به عبادة كالهلال في رمضان ، فيشترط اثنان عدلان ، لأنه من باب الشهادة عندهم .

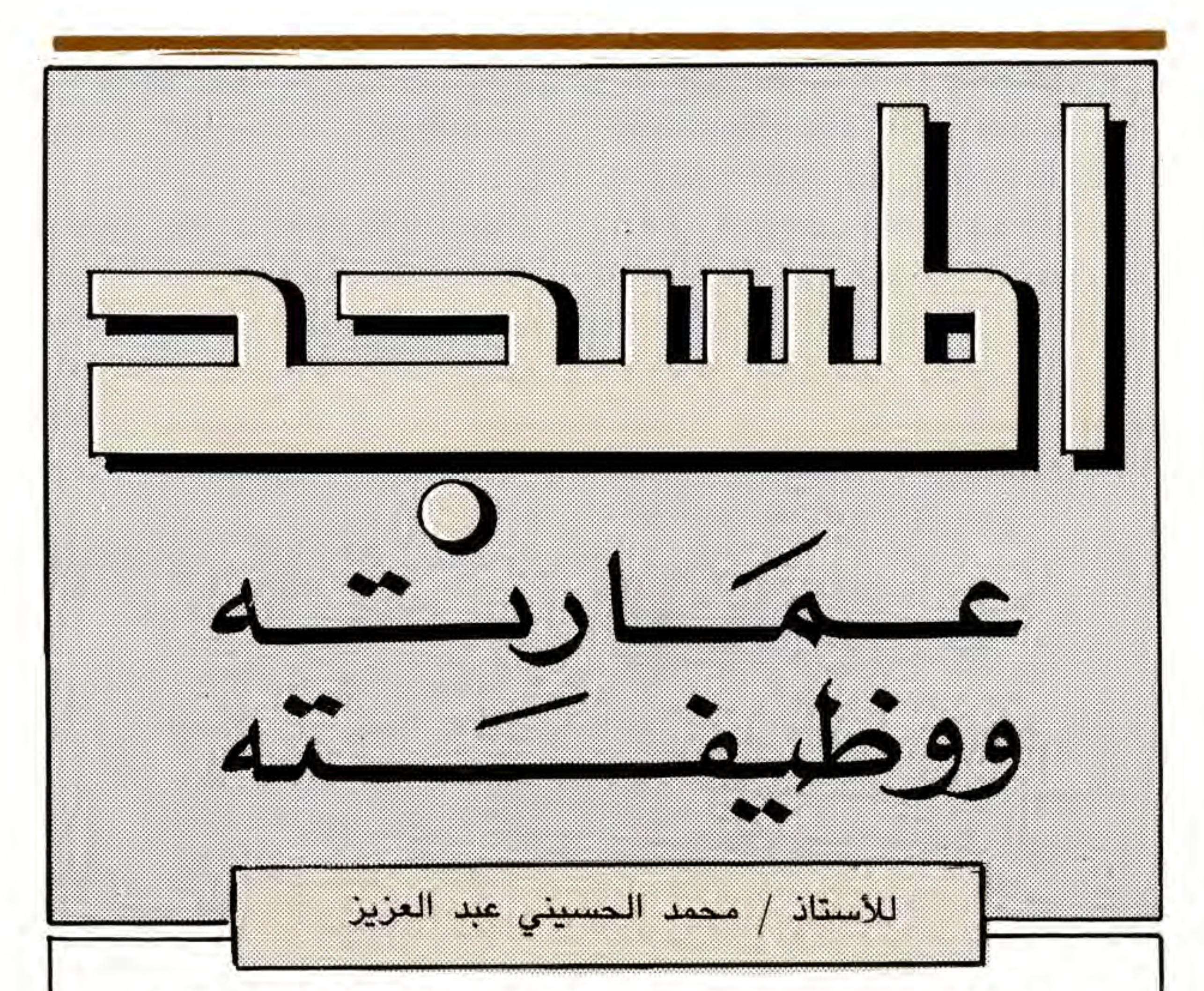
وكذلك قال الحنابلة يقبل قول الواحد ، والاثنان أولى ، فيقبل قول طبيب واحد في الجروح والأمراض ، وقول بيطار في الدواب وغيرها ، وتقبل شهادة امرأة واحدة عدل فيما لا يطلع عليه الرجال ، كعيوب النساء تحت الثياب والبكارة والثيوبة والحيض والولادة والرضاع والاستهلال ونحوه ، وكذلك جراحة وغيرها في حمام وعرس ونحوهما مما لا يحضره الرجال ، والأحوط اثنتان ، خروجا من الخلاف ، وتعتبر شهادة المرأة في هذه الحالات من قبيل ابداء الخبرة فيما يختص بها .

ونرى أن كل شهادة أجازها الفقهاء بدون نصاب فهي من قبيل الخبرة ، كالقابلة وغيرها .

واذا تعدد الخبراء ثم اختلفوا في الرأي أو اختلف القومان ، أو اختلف القائفان . فاما أن تسقط أقوالهما لتعارضها ، واما أن يقضي بأعدلهما . أو يعين خبير ثالث ليعمل بقوله .

*** الخبرة في القانون الوضعي :**

الخبرة وسيلة هامة في الاثبات القانوني ، والأصل أن الاستعانة بالخبرة أمر اختياري للقاضي حسب تقديره ، وللمحكمة مطلق الحق في تقدير ما أدلى به الخبير ، بالأخذ برأيه أو رفضه ، ورأي الخبير لا يقيد المحكمة ، ولها أن تحكم بما يخالفه ، لأنها تقضي بما تقتنع به وترتاح اليه ، ولها أن تناقش الخبير ولو بنى حكمه على اعتبارات مقبولة ومعقولة ، ولا جديد في القانون في موضوع الخبرة الا ما نص عليه من الاجراءات الخاصة بهذا العمل مما تقتضيه الظروف ، وتوجبه المحكمة في العمل ، وهو ما جاء مفصلا في قانون البينات السوري ، « المواد ١٣٨ ـ ١٥٧ » .



للأستاذ / محمد الحسيني عبد العزيز

اقام المعمار المسلم المساجد ، لتتناسب مع متطلبات الانسان المسلم ، وتتفق مع طبيعة البيئة وتتلاءم مع الظروف المناخية ، وتراعي الظروف الدينية في توجيه المسلمين في صلاتهم الى جهة معينة فقد كانت تتجه الى بيت المقدس شمالا في اول الامر ، فلما كانت السنة الثانية من الهجرة امر الله نبيه ان يولي وجهه صوب المسجد الحرام ، ولهذا نجد ان مسجد قباء له قبلتان احداهما في الجهة الشمالية والاخرى في الجهة الجنوبية صوب المسجد العتيق بمكة .

أولا : ايوان المحراب والفناء :

وقد روعي في تصميم عمارة المسجد هذا النظام والتنسيق ، فلما حولت القبلة الى الجنوب اقيمت سقيفة ناحية الشمال ليستظل بها المسلمون كما شيدت سقيفة في الجهة الجنوبية (ايوان المحراب) واصبح للمسجد سقيفتان احداهما شمالية والثانية جنوبية ثم اقتضت ظروف التنسيق ان يوصل بين هاتين السقيفتين باخريين شرقية وغربية ، واصبح للمسجد فناء

في الوسط يحف به من كل جانب سقيفة او ايوان ، وغدا هذا التصميم هـو اساس تصميم المســاجـد في الاسلام فلا بد للمسجد من فناء وايـوان محراب وبـاب في الشمال يتعامد مع محور المحراب او منتصف حائط القبلة ثم فتح في كل من الجهة الشرقية والغربية باب في منتصفهما ليدخل منه المصلون .

ثانيا : المحراب :

كان الرسول الكريم يتقدم صفوف المسلمين ليصلي بهم اماما وخلفـه جموع المؤمنين ، ولم يكن محراب مسجـد المدينـة مجوفـا بل كـان مسطحا ، ولم يشيد محراب مجوف الا في العقد الرابع اي بعد اربعين سنة ليقف فيه الامام ولا يأخذ مكانا ، ويصطف المصلون خلفه في صفوف منتظمة ، كما فتح في جدار القبلة بجوار المحراب بـاب ليدخـل منه الامام ، الذي كان بيته يشيد بجوار جدار القبلة بحيث لا يتخطى صفوف المصلين ليصل الى مكانه بالمحراب . ولـمـا زاد رخاء الـدولة الاســلامية وعظمت ثروتها بولغ في زخرفة المحراب فصار يبنى من الطوب المحروق ، ويكسى بالرخام المتعدد الالوان او بالفسيفساء النادرة الجميلة ، وتعلوه او تحف به آيات من كتاب الله مثل قوله سبحانه (**فول وجهك شطر المسجد الحـــرام وحيثمـا كنتم فـولــوا وجوهكم شطره**) البقرة / ١٤٤ والآية الكريمـة : (**حافظـوا على الصلـوات والصلاة الـوسطى**) البقرة ٢٣٨ ، و: (**إن الصلاة كانت عـلى المؤمنين كتـابا مـوقـوتـا**) النساء / ١٠٣ وسجل الحكام الولاة اسماءهم ونقشوهـا على المحـراب تخليدا لذكـراهم ، وكانت الكتـابة تتنوع حسب العصر فكانت بالخط الكوفي او الكوفي المزهر بالاضافة الى الزخارف النباتية والهندسية ،

ثالثا المنبر :

كان مسجد النبي في المدينة المنورة لا منبر له حيث كـان عليه الصــلاة والسلام يخطب مستندا الى جذع نخلة ثم اتخذ منبرا من خشب الأثل يتكون من ثلاث درجات ، حيث كان يجلس على الدرجة الثالثة وقدماه الطاهرتان على الدرجة الثانية ، ولما تولى ابو بكر الخلافة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام كان يجلس الصديق على الدرجة الثانيــة ورجلاه فـوق الدرجة الاولى ، ولما ولي امور المسلمين امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يجلس فوق الدرجة الاولى ورجلاه على ارضية المسجد .

وتطور المنبر وعظمت اهميتـه لانه المكان الذي كان يحظى بجلوس النبي الكريم ومن فوقه يستمع الناس الى شرح لامور دينهم ، كما ينادي من فوقه للجهاد والتطوع لقتال اعداء الله ورسوله وتفنن الصانع في تنميق المنبر وزخرفته فصنع من خشب الساج ، ثم

اتخذ من قطع هندسية مكعبة او اشكال سداسية او خماسية الى جانب زخارف نباتية على هيئة الشجر واغصانه ، فضلا عن الآيات القرآنية ، ومن الأمثلة على الزخرفة المنبرية ، عديد من المنابر المتقنة الصناعة الجيدة الزخرفة ففي مسجد العمري بمدينة قوص بصعيد مصر منبر رائع ينسب الى ايام الخليفة الحافظ الفاطمي نقشت عليه : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**) النحل / ١٢٥ بخط كوفي مورق .

وهكذا جاء اهتمام النجار بصناعة المنبر وزخرفته لانه من افضل الاماكن التي تدعو الناس الى الامر بالمعروف والتحلي باخلاق القرآن والصفات الحميدة .

رابعا : المنارة :

لم يكن للمسجد النبوي وقت بنائه مئذنة ، فقد كان بلال مؤذن الرسول يؤذن للصلاة من فوق سطح مجاور للمسجد النبوي ، ولما رأي المسلمون برج معبد دمشق مرتفعا ويمكن الاستفادة منه لهذا الغرض ، وسمع الناس في دمشق الأذان هرعوا للصلاة ، وبدأت استخدام الابراج المربعة منارات للاذان ، وانتقل هذا الى شمال افريقيا (بالقيروان) وبالاندلس ولا زال اسم صومعة معروفا عن المنارة في هذه البلدان .

وتطور شكل المنارة في شرق الدولة الاسلامية فاصبحت لها قاعدة مربعة تعلوها قاعدة اخرى مثمنة وثالثة مستديرة وبين كل طبقة واخرى اقيمت شرفة ليقف بها المؤذن اثناء الاذان ..

كما اتخذت المنارات في فارس وبلاد الافغان انماطا اخرى ، فكانت هناك منارات مستديرة كالمدخنة او رفيعة ذات قمة مدببة كالمنارات العثمانية التي تشاهد في مساجد اسطنبول وغيرها ، وكان المؤذن يصعد الى المئذنة عن طريق درج داخلي اما منارة جامع سامرا التي شيدها الخليفة المتوكل فكان يصعد اليها من خارجها وعلى مثالها شيدت منارة جامع ابن طولون بمدينة القطائع بالقاهرة .

خامسا : مكان الوضوء :

هذا الجزء ضروري في المسجد وأحد عناصره الهامة ، فكان يجلب الماء الى المسجد عن طريق قنوات تتصل بمياه جارية او يرفع من بئر يحفر في احد اركان المسجد ، ليتوضأ المصلي ويتطهر قبل كل صلاة

، وهذه الميضأة تطورت الآن فاصبحت تمتد عبر انابيب من الحديد او النحاس على حين كانت في السابق تبنى وتصنع من الفخار .

سادسا : القباب :

اصبحت القبة عنصرا هاما من عناصر العمارة الدينية للمسجد ومن اقدم القباب قبة الصخرة ببيت المقدس

التي شيدت عام ٧٢ هـ والتي شيدت ايام الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان وكان قطرها نحو ٢٠,٤٤ مترا ، وقد ارتفعت القبة على قاعدة تتكون من قوائم اربعة « دعائم » . بين كل دعامة واخرى اعمدة ثلاثة ، وكلها تحمل ستة عشر عقدا مدببا ترتفع فوقها رقبة اسطوانية وهذه الرقبة هي منطقة الانتقال الى القبة المستديرة او ذات القنوات وغيرها .
وقد تنوعت القباب وابتكر المعمار المسلم انماطا كثيرة فكانت منها البصلية الشكل او المستديرة كما تعددت اساليب منطقة الانتقال فكانت اما ان تقام مثلثات كروية مقلوبة في كل ركن من الاركان او تقام حنايا اشبه بالمحارة على قمة المحارات في الاركان يكون الشكل مستديرا ويغطي المبنى بطاقية القبة . وزخرفت الاجزاء الداخلية من القباب بزخارف كتابية وآيات قرآنية ، واخرى هندسية لتجميلها وهذه الزخرفة يهدف بها المعمار المسلم الى عدم ترك مساحات كبيرة دون زخرفة لان الفراغ ليس مقبولا لدى الفنان والصانع المسلم .
هذه هي العناصر الرئيسية التي يتكون منها تصميم المسجد فالفناء يؤدي الى ادخال الضوء والهواء الى ايوان المحراب ، والمئذنة مكان لدعوة المسلمين للصلاة والمنبر مكان للخطبة ايام الجمع والاعياد والمحراب موضع لوقوف الامام في صدر المسجد او ينادي فيه ويدعو المسلمين للجهاد وقتال اعداء الدين ونشر الدعوة الاسلامية .

وظيفة المسجد :

كانت وظيفة المسجد مكانا لاداء الصلوات الخمس ، وفي رواق المحراب وايوانه كانت تعقد الندوات العلمية والدينية التي يتولى فيها الفقيه شرح غوامض الآيات القرآنية وتفسيرها وشرح الاحاديث النبوية ، ليكون المسلم على المام بامور الدين وتعاليمه ،؛ ففي المسجد النبوي كان الرسول وخلفاؤه يشرحون الآيات القرآنية وهكذا كان الفقهاء الذين ارسلوا الى الولايات ، فكان ابو موسى الاشعري يؤدي هذه المهمة في مسجد البصرة ايام الخليفة عمر بن الخطاب ، كما تولى هذه المهمة التابعون امثال « المقداد بن الاسود وابو الدرداء » في بلاد الشام ، وكذلك الحال كان في المسجد الكوفي حيث قام عبدالله بن مسعود برواية الاحاديث وقراءة القرآن وتفسيره ، وعلى هذا النحو كان المسجد معهدا للعلوم الدينية ، ولما ظهر الجدل وعلم الكلام وكثر النقاش في المساجد ؛ اقتضى الامر اقامة مدرسة في احد اركان المسجد لتكون مكانا للجدل والعلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث ولغة عربية وغزوات الرسول واخبار الخلفاء ، وعلم الجغرافيا الذي تطور الى دراسة المناخ وطبقات الارض ، بالاضافة الى العلوم العقلية كالكيمياء والفيزياء والطب والصيدلة والنجوم وما اليها .
وهكذا كانت للمسجد أدوار هامة اولها العبادة ثم جاء الدور الثقافي العلمي للمسجد حيث يجلس الطلبة في حلقات

حول استاذ يعلم ابتغاء مرضاة الله ، فكان سعيد بن المسيب القرشي من التابعين الاوائل الذي كان له دور نشط وجهد في مدرسة المدينة الفقهية ، ورفض مغادرة المسجد فلم يبرح مكانه ومجلسه بقرب المحراب ليعظ المسلمين في امور دينهم ودنياهم ، وكان لقرار الخليفة الوليد بن عبدالملك أثره في تشجيع الاقبال على دراسة علوم القرآن وحفظه باعتبارها الاساس الذي يقوم عليه قضاء طلباتهم ونيل عطاياه وعلى نفس الاسلوب في كل المساجد بدأ الدور العلمي وتطور وازدهر ففي المسجد الاموي بدمشق مركز للحركة العلمية والدينية وكذلك في مساجد عمرو بن العاص وابن طولون والازهر في مصر وفي مسجد الزيتونة والقيروان بتونس ، وفي مسجد القرويين بفاس ، وفي المسجد الجامع بقرطبة في الاندلس ، فاصبح لهذه المساجد الاولى في صدر الاسلام حركة دينية ادت الى ظهور مذاهب « المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية » وانتشارها في العالم الاسلامي وبجانب هذا كان الاهتمام بالنحو والصرف والبيان والادب حتى لا يخطىء الانسان في قراءة القرآن .

وفي رحلات الرحالة امثال المقدسي ما يشير الى حلقات الدراسة والمناظرات التي كانت تعقد في المساجد بين وقت وآخر ، فقد ذكر انه حضر احداها بقوله كنت يوما في مجلس ابي الميكالي رئيس نيسابور حين حضر الفقهاء للمناظرة التي كانت تتم وفق اصول ثابتة وهي احترام المسجد ومراعاة لقدسيته » .

وقد كان الدين الحنيف حافزا للعرب والمسلمين على طلب العلم والتفكير في خلق السموات والارض ، ادراكا منهم بقدر العلماء ومكانتهم والتأمل في الكون واسراره مشجعا لمواصلة التعمق والتحصيل العلمي **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** المجادلة / ١١ ولانه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ودعوة القرآن الكريم للرسول صريحة وللمسلمين كافة .

(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) آل عمران / ١٦٤ كل هذه الآيات كانت سببا فيما توصل اليه العرب من تقدم حتى اصبحوا روادا في ميادين العلم المختلفة ولم يقتصر دور المسجد على الدين والعلم بل كانت تعقد به مجالس القضاء للفصل بين المتخاصمين طبقا للكتاب والسنة النبوية .

كما كانت تعقد فيه ألوية الجهاد .

وهكذا فقد حملت المساجد رسالة سامية دينية وعلمية وقضائية وساهمت في حفظ التراث العربي فمكتباتها كانت تضم انفس المخطوطات وظلت مشاعل تضيء وقبسا يحتذي ومنهلا فياضا للفكر والعلم والدين ومنارا للمعرفة واسهمت في تقدم الحضارة الانسانية وازدهارها .



النفاق خلق ردىء ووصف خبيث ، تتلوث به الانفس الدنيئة الفاسدة الفطرة فلا يرى اهلها وسيلة الى مطامعهم في المال ومطامعهم الى الجاه الا الكذب والرياء ، ولقاء الناس بوجوه مختلفة ، والتصنع والخداع ولين القول ، كما قال تعالى فيهم

« واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم » المنافقون / ٤ وهم يوجدون في كل شعب وكل قبيلة لا تخلو منهم بادية ولا حاضرة .

والنفاق صفة النفوس الضعيفة

الملتوية التي تضعف عن المواجهة ، فتلجأ الى الدسيسة ، وتصعب عليها الاستقامة فتداور وتحاور وتتثنى كالديدان والحيات .

والنفاق قسمان/عقيدة وعمل ، فان كان في إبطان الكفر وإظهار الايمان فهو نفاق العقيدة والا فهو نفاق العمل ، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه .

والنفاق يتكون من خصال كما أن الايمان يتكون من شعب . روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا ائتمن خان » وروى ايضا بسنده عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » وقال سأل سائل كيف جاءت خصال النفاق في الحديث الاول ثلاثا وفي الحديث الثاني اربعا ؟

وفي الجواب عن ذلك نقول : قد جمع العلماء بين الحديثين فقالوا : إن الرسول صلى الله عليه وسلم ربما اخبر ببعض العلامات في وقت وببعضها في وقت آخر : وقال النووي : حصل من مجموع الروايتين خمس خصال ، لانهما تواردتا على الكذب في الحديث والخيانة في الامانة وزاد الاول الخلف في الوعد ، وزاد الثاني الغدر في المعاهدة والفجور في الخصومة ، وقال العيني : انها بالنظر الى الحقيقة ثلاث ، وان كانت بحسب الظاهر خمسة ، لان قوله : « اذا عاهد غدر » داخل في قوله : « اذا ائتمن خان » وقوله : « اذا خاصم فجر » يندرج في الكذب في الحديث .

وانما خص الشرع هذه الخصال بالذكر لأنها منبهة على ما عداها ، إذ اصل الديانة منحصر في ثلاث : القول والفعل والنية ، فنبه على فساد القول بالكذب ، وعلى فساد الفعل بالخيانة ، وعلى فساد النية بالخلف ، إذ الخلف المذموم شرعا ما كان مبنيا على العزم وسبق الاصرار بان اقترن الوعد بالعزم على الخلف ونية عدم تنفيذه ، اما لو كان عازما على الوفاء فعرض له مانع أو بدا له رأي ، فهذا لم توجد فيه صفة النفاق ، يشهد لذلك ما رواه الطبري بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وعد الرجل وهو يحدث نفسه أنه يخلف » « اي فهو منافق » وما رواه ابو داوود والترمذي في سننهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي له فلم يف فلا إثم عليه » .

نعم قد توجد هذه الخصال في المسلم المصدق بقلبه ولسانه فكيف يكون منافقا خالصا كما سماه الحديث ؟ لهذا وجه العلماء قوله صلى الله عليه وسلم « كان منافقا خالصا » بتوجيهات كثيرة منها : ـ

١ ـ ان المراد من النفاق نفاق العمل لانفاق الاعتقاد الذي هو كفر .

٢ ـ ان الكلام على التشبيه ، اي كان

كالمنافق الخالص ، لا أنه منافق في الاسلام مبطن الكفر ، فصاحب هذه الخصال شبيه بالمنافق فيها ، اذ النفاق اظهار ما يبطن خلافه ، وهو موجود في صاحب هذه الخصال :

٣ ـ ان هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه وعادة له ، يدل عليه التعبير بـ « اذا » فانها تدل على تكرر الفعل ، والتعبير بـ (كن فيه) يدل على تمكنها منه .

٤ ـ ان الغرض من هذا تحذير من اعتاد هذه الخصال خوفا ان يفضى به الى النفاق فعلا .

٥ ـ ان المراد النفاق في هذه الخصال فقط دون غيرها . ولا جدال في ان المتمسك بالنفاق العملي ، المداوم على خصاله يؤدي به ذلك الى النفاق العقيدي حتما ان لم يرجع عنه .

والنفاق من جهة اخرى ينقسم الى قسمين : خاص وعام ، فالنفاق العام ، هو ما يكون في الدين والدولة ، وخيانة الامة والملة ، واما النفاق الخاص ، فهو الشخص الذي يحاول صاحبه لقاء كل احد بما يرضيه عنه ويجيبه اليه ، ولا سيما الحكام واصحاب الجاه والمناصب والثراء ، الذين يرجو الانتفاع منهم او يخشى ضرهم ، فهو يلبس للصالحين لباس التقوى والصلاح ، ويخلع للفساق جلباب الحياء ، ويفرغ على المتكبرين حلل الاطراء ، وهو أهون النفاقين .

لم وجد النفاق بالمدينة ولم يوجد بمكة ؟ ولم يكن بمكة منافقون لأن كبراء قريش المغرورين بثروتهم الواسعة وجاههم في العرب ، بسدانة البيت الحرام ، واستكبارهم على سائر الناس واسرافهم في التمتع بالكفر وأكل الربا واتباع الشهوات ، اقول : لان كبراء قريش اعتبروا هذا الدين من اول يوم مناهضا لمصالحهم الدينية والدنياوية ، ولسيطرتهم على الحرم ، وكانوا يرون ان الاسلام يسوي بينهم وبين سائر الناس في جميع الحقوق ، ويفضل الفقير المتقي على الغني المسرف في الفسوق ، ويقتص للسوقة من الامراء والملوك ، ويحقر المتكبرين ويكرم المتواضعين ، ويزدري الظالمين والفاسقين فيسلبهم بهذا جميع ما يمتازون به على دهماء الناس ، فلهذا اعلنوا عليه حربا لا مداراة فيها ولا خفاء ، ولهذا كان اكثر من اهتدى به في مكة الفقراء وبعض اصحاب الفطر السليمة والعقول الحرة من الطبقة الوسطى ولأن طبيعة العرب الخلص تأبى النفاق ، فاما ايمان صادق واما كفر ظاهر .

وانما نجم النفاق في المدينة لما يأتي :

١ ـ فقد ظهر الاسلام وفشا في المدينة وأسلم الأنصار بظهور نور هذا الدين القويم ، ولم يكن لهم مصلحة دنياوية تحجب هذا النور عن بصائرهم ، أو تحملهم على مكابرة الحق وجحوده ككبراء قريش ، بيد ان من المعقول ألا يكون نور الاسلام قد ظهر لكل فرد منهم على سواء ، وان يكون منهم من اضطر الى الدخول فيما دخل فيه قومهم مواتاة لهم ، فاضطر افراد كثيرون ـ ومعظمهم من ذوي المكانة في

قومهم ـ ان يجاروا قومهم احتفاظا بمكانتهم فيهم ، حتى اذا كانت وقعة بدر قال كبيرهم : هذا أمر قد توجه .
٢ ـ وكان يساكن العرب في المدينة يهود ، وهم قوم مخادعون منافقون بطبيعتهم ، وعنهم أخذ عرب المدينة الذين لم يسلموا هذا الخلق المرذول ، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وصارت له الكلمة النافذة على المسلمين جميعا ، وصارت اليه الرئاسة الدينية والدنيوية والقيادة السياسية والاجتماعية ، حقد عليه وعلى دينه بعض العرب الذين كانت لهم الزعامة في المدينة ، واليهود الذين حقدوا على العرب أن يكون منهم النبي المبعوث في آخر الزمان ، فقد عاهدهم النبي على حريتهم في دينهم وأنفسهم وأموالهم ، ولكنهم كانوا ينقضون عهدهم في كل مرة ويظاهرون عليه المشركين كلما جاءوا لقتالهم ، بل كانوا يغرونهم ويحرضونهم عليه ، فكانوا في اظهار الوفاء بعهده منافقين ، وكان لهم احلاف مع عرب المدينة فحافظ على مودتهم منافقوها ، وتآمر من هؤلاء واولئك فئات على الشر وعداوة الاسلام ولم يكن في استطاعتهم ان يعلنوا عن الحقدوالشر الخبىء في قلوبهم فلم يجدوا بدا من التستر بالاسلام ، يظهرونه ويبطنون الكفر والحقد والضغينة على الاسلام والمسلمين .

زعيم المنافقين وبعض أتباعه :

وقد تزعم هؤلاء رجل من العرب كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ويملكوه عليهم ، فلما انصرفوا عنه ومنهم اهله وولده ، حقد وضغن ونافق وداهن وهو عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي ، وانضوى تحت لوائه ـ لواء النفاق ـ جماعة منهم ابو عامر ، وكان يقال له في الجاهلية « الراهب » ، ولبس المسوح ، قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق » سيرة ابن هشام ومات بالشام غريبا طريدا وحيدا ، وكان ابنه حنظلة من خيار المسلمين ، استشهد يوم أحد وهو غسيل الملائكة . وجلاس بن سويد بن الصامت قال ابن اسحاق : وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير . ونبتل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احب ان ينظر الى شيطان فلينظر الى هذا » ابن هشام في السيرة وكان جسيما ثائرا شعر الرأس احمر العينين اسفح الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله الى المنافقين ، وهو الذي قال : انما محمد أذن ، من حدثه بشيء صدقه فأكذبه الله ، وعباد بن حنيف ، وكان ممن بنى مسجد الضرار . ومربع بن قيظى وكان اعمى ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاز في حائطه وهو ذاهب الى احد : لا احل لك ان كنت نبيا ان تمر في حائطي ، وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : لو اعلم

اني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوه فهذا الاعمى اعمى القلب اعمى البصر » ابن هشام وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقوس فشجه .

وأخوه اوس بن قيظي ، وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد آمن في الجاهلية ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب ، أثخنته الجراح فاستشهد . وهؤلاء من الأوس . ومن الخزرج . رافع بن وديعة ، والجد بن قيس ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو .

ومن المفارقات العجيبة ان عبد الله ابن أبي رأس المنافقين كان له ابن من خيار المسلمين وأصدقهم ايمانا يقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي ، حتى لقد عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتل اباه فأبى النبي وقال : « لا ، بل نحسن صحبته ما دام بيننا » .

وتبع ابن أبي من اليهود قوم اظهروا الاسلام نفاقا وتقية ، منهم سعد بن حنيف وزيد بن الليث ورافع ابن حرملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات « لقد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » ورفاعة بن زيد بن التابوت ، اخبر النبي بموته مرجعه من تبوك ، ونعمان بن اوفى ، وعثمان ابن اوفى وغيرهم . « **البداية والنهاية ج ٣** »

وهذا الخليط المنافق المزوج من عرب المدينة ويهودها ، وان لم يعلنوها حربا سافرة فقد كانوا اشد خطرا على الدعوة من غيرهم ، لان العدو المكاشف اهون شأنا من العدو المخالط المتستر تحت ستار من الخداع والتمويه ، وكان هؤلاء المنافقون بحكم ظاهرهم يحضرون المسجد ويسمعون احاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ويتسقطون الاخبار وينقلونها الى الأعداء ، ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد ، فما بيتوا امرا الا اظهره الله وفضحه ، وما دبروا مكيدة الا رد الله كيدهم في نحورهم ، وانزل في شأنهم آيات كثيرة في سور متعددة كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والأحزاب والمنافقون ، وأخيرا معظم سورة براءة ، فما زال يقول فيها « ومنهم » « ومنهم » حتى اخزاهم وكشف نذالة نفوسهم وخبث طواياهم ولؤم طباعهم وفساد نواياهم تجاه الاسلام والمسلمين .

سياسة الاسلام مع المنافقين :

وقد كانت سياسة الاسلام تجاه المنافقين ، ان من اظهر الاسلام يعامل كما يعامل سائر المسلمين لأن قاعدة الاسلام : ان الحكم على الظواهر ، وان الله تعالى وحده هو الذي يحاسب ويعاقب على السرائر ، فهو الذي يعلمها وحده وهو الذي يجازي عليها ولا يباح لحاكم ولا لنبي أن يحكم على انسان بانه يسر الكفر في نفسه ، ولا ان يتهمه بذلك ويعاقبه عليه ، ولا

يثبت الكفر على من ظاهره الاسلام الا باقرار صريح منه او صدور قول او فعل يدل عليه دلالة قطعية لا تحتمل التأويل كتكذيب القرآن او النبي ، او جحود كونه خاتم النبيين لا نبي بعده ، والشرك بالله بدعاء غيره ، وغير ذلك مما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، لا يقبل فيه تأويل كجحود فرضية الصلاة والحج والزكاة ، او استحلال الزنا والربا وشرب الخمر ، واما حكمة ذلك وفائدته فهي ان من يلتزم شعائر الاسلام واحكامه ولو بغير ايمان يقيني فانه يرجى له بطول العمر ان ينشرح صدره للايمان ويطمئن به قلبه ويوقن به عقله ، والا كانت استفادته وإفادته للأمة دنيوية فقط .

وقد يقال : ان مقتضى حرية الدين التي امتاز بها الاسلام في معاملة اهل الكتاب ـ اذا اقرهم على العمل بدينهم حتى فيما بين لهم انهم خالفوا فيه ما جاء به رسلهم ـ ان يفتح للمنافقين بان يظهروا كفرهم .

ونقول في الرد على هذا : ان الجمع بين اظهار كفرهم وحسبانهم من المسلمين لهم ما لهم من الحقوق وليس عليهم ما عليهم من الواجبات ، تناقض لا يقول به عاقل ولا يحكم به عادل ، ومثلهم فيه كمثل من يسمح له بحقوق الجنسية السياسية الوطنية ولا يطالب بالخضوع لقوانينها ولا يعاقب على انتهاكها ومخالفة احكامها ! وانما تكون حرية الدين المعقولة لأهله في دائرة محيطه ، بألا يحاسب احدهم احدا على عقيدته ووجدانه فيه ، ولا اجتهاده في فهمه الا من طريق البحث العلمي ، وليس منها ان يخالف اصوله القطعية التي لا يكون المسلم مسلما بدونها ، ويعد مع ذلك مسلما ، واذن ليس لأحد ان يطالب حكومته المتدينة بالسماح له بالخروج عل دينها ، كما لا يصح له ان يطالبها بالسماح له بالخروج على قوانينها ، فتكون حريته هنا متعارضة مع حريتها هي وحرية أمتها .

وقد يقال : إن القرآن قد فضح بعض المنافقين وحكم بكفرهم ولم ينفذ النبي عليهم احكام المرتدين عن الاسلام ، بل بقي يعاملهم هو واصحابه معاملة المسلمين ، ونقول : إن ما بينه الله تعالى من حال المنافقين إنما كان وصفا لأناس غير معينين بأشخاصهم انذارا وزجرا لهم ، ليعرفوا حقيقة حالهم ويخشوا سوء مآلهم ، عسى ان يتوب المستعدون للتوبة منهم ، وقد تاب الكثيرون منهم بما ظهر لهم من اخبار القرآن عنهم بما لا يعلمه الا الله تعالى من أمرهم . وكان الذين عرف النبي صلى الله عليه وسلم وبعض اصحابه اشخاصهم قليلين جدا كالذين هموا باغتياله صلى الله عليه وسلم ، بتشريد راحلته في عقبة في طريق منصرفه من تبوك ليطرحوه عنها .

نسأل الله أن يجنبنا هذا المرض الخطير المستشري في الأفراد والجماعات وفي الدول والحكومات ، وندعو بدعاء اسلافنا :

« اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش » .



اعداد : سعد عوض المر

الدعاء يحبه الله :

يقول الله عز وجل : (**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**)البقرة / ١٨٦ ، (**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) (**وادعوه خوفا وطمعا**) (**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**) الأعراف / ٥٥ و ٥٦ و ١٨٠ ، (**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى**)الاسراء / ١١٠ ، (**قل مايعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**)

الفرقان / ٧٧ ، (**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**) (**هو الحي لاإله إلا هو فادعوه مخلصين**) غافر/ ٦٠ و ٦٥ .

ان هذه الآيات النورانية تبين لنا مقام الدعاء عند الله تبارك وتعالى ، كيف لا .... وقد تجلت فيها هذه الربوبية الكريمة على عباد الله ، وتلك الالوهية الرحيمة على كل الناس من رب الناس القادر على كل شيء .

فقليل من الخلق اذا سألته أعطاك ... أعطاك اذا كان يملك ، بل إن عطاءه هذا قد يكون على مضض ، أو يكون قد سبقه فكر فيما سيعود منك عليه ، وما من أحد طلبت منه وأخذت ولم ينقص .

أما الله سبحانه وتعالى فانه يحب من عباده أن يدعوه دائما ، ويرضى على من يطلب منه ليل نهار ، فكلما زاد االطلب من العبد زاد الرضا من الرب ، لأن العلاقة هنا هي علاقة بين عاطى وآخذ ، عاطى خزائنه لا تنفد وآخذ لايشبع ولا يقنع بل دائما هو الى مطمع ، إنها علاقة بين خالق قوى ومخلوق ضعيف : (**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**)النساء / ٢٨ .

ان الله جل شأنه يصيب بعض الناس ببعض المصائب أو بعض الشدائد بغية أن يتذكروه ، فاذا تذكروه ذكروه ، واذا ذكروه دعوه ، واذا دعوه عبدوه ، فاذا عبدوه حمدوه ، واذا حمدوه أحبوه ، حينئذ يكشف ماألم بهم من سوء فيكونون بذلك قد كسبوا رضاه : (**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون**)الانعام / ٤٢ ، (**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**)المؤمنون / ٧٦ ، (**وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون**) الأعراف / ٩٤ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين كثيرا على أن يدعوا الله ولا يكلوا في دعائهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**) . رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الاسناد .

الله يأخذ بأيدينا في دنيانا :

لقد خلق الله عز وجل ذلك الانسان ولم يتركه في هذا الكون يواجه هذه الحياة وحده ، فبرحمته جل جلاله وهب له عقلا يستطيع به أن يفكر من أجل ممارسة كرامته التي وهبها الله له ، فبه يستطيع أن ينال قدرا كبيرا من النعم التي تحيط به بأقل جهد بدنى يبذله في سبيل حياة أفضل ينعم بها ، ولقد أسبغ هذه النعمة على جميع الناس وخص المزيد من رحمته على عباده المخلصين الذين يدعونه ، وفتح الباب دون غلق لمن يريد ، ولم يحجب مفاتيح هذه الرحمة عن كافة الناس

لمن يشاء منهم أن يدخل في عباده المؤمنين عندما وعدهم الاجابة حينما يدعونه ليستزيدوا من فضله وليأمنوا من محاذير المقادير ، ان الكافر الذي لا يؤمن بوجود الله هل يكون في طمأنينة أو راحة بال ؟ .... كلا إنه حينما يجد نفسه في مخاطر ، ومحاطا بظروف قاسية ، أو أن يكون قد وقع في مصيبة ، فانه يكون من الصعب عليه أن يجد ملجأ منها الا الاستسلام لها ، فيصير ضعيفا مهينا ذليلا أمامها لاأمل له ولا نجاة ولا مهرب ولا مغيث منها غير الجبن والخوف أو الانتحار ، عكس ذلك المؤمن الذي عرف أن له ربا قادرا وعده أن يستجيب له حينما يفر اليه مستغيثا به رافعا يديه اليه طالبا العون منه ، فهو بقدرته وقوته وجبروته يستطيع أن يأخذ بيد من يدعوه الى بر الأمان وأن ينجيه مما يحذر منه ، ويبعد عنه مايضره : (**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**) النمل / ٦٢ .

الدعاء عبادة :

ان الدعاء عند الله عبادة : (**وقال ربكم ادعوني أستجبْ لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**)غافر / ٦٠ ، فحينما أمرنا ربنا المعبود أن ندعوه ، وبين لنا صفة الذين لا يمتثلون لهذا الأمر بأنهم يمتنعون عن أداء عبادته باستكبارهم واعراضهم عن الدعاء ، حيث أن شعورهم بعدم الحاجة الى طلب المدد من صاحب القدرة والجبروت قد ألبسهم ثوب الباطل والكبر ، أو أنهم ظنوا أنهم قادرون على نفع أنفسهم ناسين أو متناسين بأنهم من صنع الله ، وأن عقولهم التي علموا بها وفكروا بها هي أيضا من صنعه عز وجل ، حيث أنه لا سكون ولا حركة الا به ، وبذا يكونون قد أوقعوا أنفسهم في شراك الشرك الأصغر فيكون الجزاء العادل لهم هو هلاكهم كما ورد بسورة القصص آية / ٧٨ : (**قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا**) .

ان الدعاء عبادة يبتهل بها العبد الى خالقه في أي وقت وعلى أي حال ، والدعاء غير السجود غير التسبيح : (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين . إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**)الأعراف / ٢٠٥ و ٢٠٦ ، فالملائكة الكرام يقومون بالتقرب الى الله عن طريق أفعال ثلاثة : العبادة ، والتسبيح ، والسجود ـ وهذا يوضح معنى كلمة عبادة التي تتمثل في الدعاء بسبب ورودها بلفظ منفصل ، ولعل الآية ٦٠ من سورة غافر قد قربت هذا المعنى حينما أخبرت بأن الذين يستكبرون عن دعاء الله انما يستكبرون عن عبادته .

هذا وقد قال الحبيب المصطفى

صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة) أخرجه ابن حبان ، وقال أيضا : (الدعاء مخ العبادة) أخرجه الترمذي ، وقال أيضا (الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ونور السموات والأرض) أخرجه الحاكم .

فعندما يقف العبد بين يدي الرب يدعوه فانه يكون بذلك قد وصل الى مرحلة العبودية والافتقار اليه جل علاه ، حينئذ يكون قد تأكد بأن له ربا قادرا على اجابة دعوته ، وأنه ملجؤه الذي يفر اليه وقت الشدائد .

ان معنى العبادة في اللغة هي خضوع وخشوع المخلوق لخالقه وكل مايحبه الله من الأعمال والأقوال الباطنة والظاهرة ، فاذا نظرنا الى أركان الاسلام الخمسة نجدها جميعا تتمثل في مناجاة المسلم لربه وكأنه واقف في حضرته وبين يديه ، حقا انه لايراه بعينيه ولكنه يؤمن به بعقله وبصيرته ، ان تلك الاركان ما هي الا دعاء يرفعه العبد الى بارئه راجيا منه أن يتقبله قبولا حسنا ـ فالصلاة دعاء متصل منذ بداية الوقوف حتى نهاية التسليم ، ولا أدل على هذا من أننا اذا ما رجعنا للمعنى اللغوى للصلاة نجده الدعاء ، كذلك الزكاة حينما يؤديها العابد فانه يدعو في نفسه أن يتقبلها الله ، كذلك الحج « والحج عرفة » وما الوقوف بعرفة الا تلبية ودعاء ، كذلك الصيام ماهو الا دعاء مستمر يظل يرفعه الصائم الى الله طول النهار راجيا أن يتقبله قبولا حسنا .

وعجبا لمن ينكر أن العبادة حق لله عز وجل على الناس ، وأنه لم يخلقهم الا من أجلها : (**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**) الذاريات / ٥٦ و ٥٧ ، ان العبادة تذلل وخشوع ، خضوع بعشق ، ركوع بشوق ، خشوع بحب ، فاذا الالبـاب صفت أضاءت البصـائـر وسجدت القلوب ، فاذا كان القرب كان الحب فيرتفع العبد الى الرب ليصبح مؤمنا خالصا له : (**والذين آمنوا أشد حبا لله**) البقرة / ١٦٥ .

والمـؤمن المحـب يـعبـد اللـه باخلاص ، فاذا كان ذلك كان الدعاء ثم كانت الاجابة ، فما الدعاء الا توفيق من الله رب الانام ، والذي يؤتى الدعاء بسبب حب الله له انما يكون قد اوتى خيرا كثيرا كما ورد في الحديث القدسي : ((ماتقرب الى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه)) رواه البخاري .

ان الله خلقنا كي نعبده ، ولم يرض لنا أن نعبد من دونه ما خلقه من أجلنا ، فليس من العدل حقا أن يصير الانسان ملكا لما يجب أن يتملكه أو أن يصبح عبدا لتلك الماديات التي تحط من سمو روحه ، فلقد وهب الله بني آدم نعمة التفضل والكرامة على كثير مما خلق : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير**

ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء / ٧٠ .

لذا يجب أن نستقبل هذه النعمة بالشكر الذي يزيدها لا بالجحود الذي يزيلها ، انها عندئذ تكون قضية الشرك الذي يبغضه الله ولا يغفره أبدا ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، لذا وجب على الانسان أن يحذر وساوس الشيطان ، فلا يكون عبدا لهواه أو أسيرا لشيء يخشاه : **(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** النساء / ١١٦ .

لادعاء الا لله

لادعاء لنبي أو ولي ، ولا وساطة في الدعاء ولا لجوء لمخلوق عند التقرب الى الله ، فالله لايحب أن يكون للعبد ولي من دونه ، لأن في هذا شركا به : **(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)** الجن / ١٨ ، **(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته)** الاسراء / ٥٦ و ٥٧ ، **(والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)** فاطر / ١٣ و ١٤ ، **(فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)** الزمر / ٢ و ٣ ، **(إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين)** الاعراف / ١٩٤ ، **(والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون)** الاعراف / ١٩٧ .

ان الله عز وجل لا يحب اذا دعاه داع أن يكون بينهما ثالث ، فالله يعلم السر وأخفى ، يعلم ما أخفاه ذلك الانسان من قبل ان ينطق به لسانه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايستطيع أن يجيب على بعض الاسئلة التي تطرح أحيانا عليه الا عن طريق الوحى ، فكانت الآيات القرآنية تتنزل باذنه بالسؤال ثم تليها الاجابة مسبوقة بكلمة (قل) أي قل يامحمد :

(ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) البقرة / ٢٢٠ . **(يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي)** الاعراف / ١٨٧ ، **(يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول)** الأنفال / ١ .

ولكن جاءت حالة واحدة فقط تمثلت في سؤال ـ وياله من سؤال : سؤال واحد عندما اقترب منه العباد اقترب الله أكثر فعجل الاجابة عليه حتى من قبل أن ينطقوا به ، بل انه عز وجل أخبر به حينما أجاب عليه ، وجاءت الاجابة عليه مباشرة من الله الى عباده دون أن ترد كلمة (قل) لأن الامر هنا قد تمثل في علاقة بين مخلوق وبارئه ، فاذا وقف بين يديه يسأله

ويرجوه ، كان هذا الوقوف عبادة ودعاء :
(وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) البقرة ١٨٦

الدعاء والقدر :

منذ الأزل وأقدار الناس مكتوبة بعلم الله العلي القدير ، فبقدرته سبحانه وتعالى علم ماسيتم منهم من أفعال من قبل أن يتنسموا نسيم الحياة ، بل وقد علم ما سيترتب عليها من نتائج وأحداث ، ولا عجب من ذلك فانه رب الانام وواجد الحياة ، فانت أيها المخلوق قد تستطيع أن تنظر الى السماء فترى سحابة سوداء مثقلة بالماء ، قادمة من هناك فتقول لمن حولك من الصحاب : ان المطر سينزل من السماء بعد ساعة من الزمان ، لقد قلت ذلك بعلمك المحدود الذي رآها سحابة سوداء ليست بيضاء ، جاءت متجهة نحوك من بعيد تسير ببطء شديد ، فاذا ماتحقق ذلك .. هل نقول لك لقد علمت الغيب ؟أو أن لك قوة في اسقاط هذا الماء ؟ بالطبع لا ، فهو علم علمك الله اياه قد جاء من تجارب سبق ان مرت عليك مرات ومرات فعلمت منها أن هناك مقدمات لكل حدث من قبل أن يقع ، فما بالك بعد ذلك تتعجب من أن القدر مكتوب عند الله منذ الأزل ، والله القادر الخالق العليم ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال علام الغيوب ، ألا يستطيع أن يعلم الأقدار .

وكما سبق أن نوهنا من أن أفعال الناس تترتب عليها نتائج وأحداث ، وان تلك الافعال تتم بمحض اختيارهم هم ، لأنه عز وجل أعطاهم عقلا صالحا قادرا على التمييز بين الخير والشر ، ومن ثم كانت حرية اتخاذ القرار نابعة منهم أنفسهم ، وهذا ما نتدبره من الآية العاشرة في سورة البلد : (**وهديناه النجدين**) ، أفلا يكون من العدل بعد ذلك أن يجنوا حصائد ما زرعوا ، ولنقف هنا وقفة ،... ولنتذكر غفورا رحيما ومن ثم وجب علينا أن نغير العبارة الأخيرة ونقول : (أنه ليس من الظلم بعد ذلك أن يجنوا حصائد مازرعوا) ، فما يدريك أن يغفر الله لهم اذا شاء برحمته فقد سبقت رحمته غضبه .

ولكن هل القدر يستطيع أن يرده حذر ؟ كلا ... بل إن الدعاء هو الذي يستطيع أن يغير القدر ، فقد وعد الله عباده في قرآنه أن يستجيب لهم عندما يدعونه ولم يستثن من ذلك تغيير الاقدار أو رفع المصائب أو الشدائد من قبل وقوعها ، وهذا مانستشفه من قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : (لاينفع الحذر من القدر ، ولكن الله يمحو بالدعاء مايشاء) ، وقال أيضا فيما رواه الامام أحمد والطبراني عن معاذ رضي الله عنه : (لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم بالدعاء عباد الله) .

هذا وقد صح عن الرسول صلى

الله عليه وسلم في دعاء القنوت قوله (وقنى شر ما قضيت) وفي هذا الدعاء نلمح طلب رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يحفظه الله من شر القضاء الازلى ، ولو لم يمكن تغييره ماصح أن يطلبه النبي مصداقا لقوله عز وجل في الآية الثالثة في سورة النجم : (**وما ينطق عن الهوى**) .

وكما أخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام من أن القدر ينزل من السماء فيتلقاه الدعاء فيتصارعان الى يوم القيامة ، وان ما حدث ليونس عليه السلام بعد أن ابتلعه الحوت في بطنه ، لدليل على أن الله قادر على أن يغير الاقدار اذا ما دعاه داع أو اذا كان من يرجو رحمته من المسبحين المناجين له في السراء ، فالله يتجلى باسمه اللطيف المغيث ، الرحمن الرحيم على عبده بسبب ابتهاله له واستمرار تسبيحه لذاته العلية : (**فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**) الصافات / ١٤٣ و ١٤٤ .

ان استحالة أن يلفظ الحوت ما ابتلعه بجوار شاطىء بحر تتلاشى مع قدرة الله ووعده عباده المخلصين أن يستجيب لهم اذا مادعوه وان ينجي المؤمن منهم اذا مارفع له استغاثته بقوله : **لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** .

الدعاء الذي لايرد :

حينما يقع الانسان في مصيبة ، وتنقطع أمام عينيه الأسباب ، ولا يرى حوله أحدا من الأحباب ، ولا يجد من كان يراهم من الاصحاب ، وتضيق الدنيا أمام خطاه ، عندئذ تتحطم قلوع نفسه وأمله فوق صخور يأسه ومله ، ويصبح كريشة صغيرة في مهب الريح تعصف به كيف تشاء .

حينئذ لايجد العبد الا الله ولا يجد ملجأ الا اليه ، ولا مغيثا الا هو ، ولا قادرا الا سبحانه ، فيرفع رأسه داعيا طالبا العون والنجاة ، عندئذ فقط يكون اليقين كاملا والاخلاص شفافا ، والامل نقيا والرجوع اليه صادقا ، فيجد السميع المجيب ، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى في سورة النمل آية / ٦٢ (**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**)

كذلك الراجع الى ربه العائد الى بارئه التائب من ذنبه حينما يدعوه يجده أمامه محيطا به من كل جنب ، كذلك الصائم الذي يرجو رحمة ربه ، كذلك الامام العادل والرجل الصالح ، كذلك الولد البار بوالديه ، كذلك المسلم الذي يدعو لأخيه المسلم بظهر الغيب ، كذلك الذي يخاف الله ولا يأكل الا الحلال يطيب مطعمه فتستجاب دعوته ، اما ذلك المظلوم الذي يدعو الله ويلح في الدعاء شاكيا متوجعا ما أصابه ، رافعا شكواه الى جبار السموات والأرض مستغيثا أن ينصره ، متلهفا أن ينتقم من ظالمه ، آملا في عدل مولاه .. فهل يرده الله صفر اليدين بعد ذلك ؟ لا ... بل يعجل اجابة دعوته في دنياه ، لأنه حرم

الظلم على نفسه فكيف يتقبله أو يقبله من عباده .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة لا ترد دعوتهم : الامام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

كيف يتقبل الله الدعاء ؟

كثيرا مايدعو الانسان ربه بشيء قد يكون محببا له في لحظته يريد أن يتحقق ويأمل أن يستجاب له ، وهو لا يدري أن في تحقيقه ستكون الطامة الكبرى وستكون التهلكة والضرر .

وكثيرا ما يحزن المسلم لأنه ألح في دعائه ولم يجد استجابة ، رغم أن دعاءه هذا كان عريضا متواصلا . وقد يصيبه شيطانه ببعض وساوسه فيحاوره عما ورد بالآية الكريمة :

(وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) البقرة / ١٨٦ ، انه يذكره فقط أنه دعا وينسيه أن يسأل نفسه هل هو حقا من عباد الله ؟ فهذا هو الشرط الذي يظهر بالآية الكريمة ، لاجابة الدعاء ، وقد يكون ماطلبه العبد هلاكا له وهو لا يدري ، فعسانا أن نحب شيئا وهو شر لنا وعسانا أن نكره شيئا وهو خير لنا : (**فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء / ١٩ ، وقال تعالى : **(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)** البقرة / ٢١٦ . وقد ينسيه الشيطان أيضا أن يتفكر فيما دعا به الى الله ، هل دعاؤه هذا قد مسه ظلم أيا كان هذا الظلم ؟ أنساه الشيطان كذلك أن يتفكر في أن الله ربما يكون قد ادخر له اجابة دعائه لوقت يعلم انه خير من ذلك اليوم الذي دعاه فيه وان في تأخير الاجابة سيكون الخير الكثير ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من رجل يدعو بدعاء الا استجيب له ، فاما أن يعجل له في الدنيا ، واما أن يؤخر له في الآخرة ، واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، أو يستعجل يقول : دعوت ربي فما استجاب لي) رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه . وأياك اياك من أكل الحرام اذا اردت أن يتقبل الله دعاءك وتكون دائما مستجاب الدعوة فلحمك الذي هو منك سينبت منه ، واللحم الذي نبت من حرام تكون النار أولى به ... وانى يستجاب لصاحبه .

الله يحب الداعي الشكور :

ان اكثر الناس يعيشون يومهم فقط ولا يتفكرون ، بل لايتوقعون ماسيؤول اليه حالهم نتيجة لأعمالهم ، بل أن كثيرا منهم يحبون أن يتناسوا ما مر بهم من ضنك وعذاب ، ولا يذكرون أنهم لم يخرجوا من تلك المصائب الا

برحمة من الله وعون ... هل جحدوا أو تناسوا ماكانوا يدعون ؟ ... وكيف كان حالهم حينما كانوا يلجون ويستغيثون ، ثم الآن هم لاهون ، بل عجبا يوقنون ان ماأخرجهم من مصائبهم الا أسباب وخلائق من دون الله ، بل عموا وصموا عن قوله سبحانه وتعالى في سورة فاطر آية / ١٥ : (**يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**) ، فيارب لا تجعلنا مع هؤلاء القوم الذين نسوا وقنطوا ولم يشكروا لك أو مع الذين وصفتهم في كثير من آيات الذكر الحكيم : (**قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون**)الانعام / ٦٣ و ٦٤ ، (**وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه**) يونس / ١٢ ، (**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا**) الاسراء / ٦٧ ، (**وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون**) الروم / ٣٣ (**وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ماكان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا**) الزمر / ٨ (**فإذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم**) الزمر / ٤٩ ، (**لايسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط**) فصلت / ٤٩ ، (**وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض**) فصلت / ٥١ .

الدعاء ينفع الميت :

لقد أوصانا الله عز وجل بالوالدين احسانا ، وقد وردت هذه التوصية في كثير من الآيات بنفس الكلمات ، ففي سورة الانعام آية / ١٥١ والنساء آية / ٣٦ والاسراء / ٢٣ يقول الله تعالى : (**وبالوالدين إحسانا**) ، كذلك في سورة العنكبوت آية/ ٨ ولقمان آية/ ١٤ : (**ووصينا الانسان بوالديه**) .

وما يوصي به الرب يكون أمرا وتكليفا الى العبد ، ولقد جاء بصيغة التوصية ليكون هذا الاحسان نابعا من القلب محببا الى النفس ، كذلك ليأتي هذا العمل ممزوجا بالعاطفة والرحمة .

فعندما يصبح الانسان أبا حينئذ يحس بأن هذه التوصية لها اشعاع من الرحمة والعدل ، واذا كان الاحساس ممكنا في حياتهما .. فكيف يكون الحال بعد مماتهما ؟ وما العمل لاستمرار برهما أو تدارك مافات ؟ ... انه الدعاء وان عمل ابن آدم ينقطع عنه بعد مماته الا من ثلاثة أشياء ، وما الدعاء الا واحد منها .

المعية للداعين الذاكرين والشقاء للمستكبرين الغافلين :

ان معية الله عز وجل تكون من نصيب الذاكرين الداعين ، أما التعب والنصب فيصيب المستكبرين الغافلين ، وما دام الانسان يدعو ربه ويذكره فان الشيطان لايجد اليه سبيلا : (**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**) الزخرف/ ٣٦ ، (**فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**) البقرة / ١٥٢ .

أنواع الدعاء

الاصل ان يكون الدعاء من الناس الى رب الناس ، الا انه عندما خلق الله ادم ومن ورائه ذريته اصبحت الملائكة تدعو الله وتستغفر لذنوب المؤمنين من هؤلاء الناس .

ودعاء الناس يختلف في درجة قبوله وفقا لصلة الانسان بربه ، فكلما قرب العبد من الله كلما كانت استجابته عز وجل أقرب ، فالمؤمن من يدعو دائما لنفسه بالخير من أجل الدنيا والآخرة ، كما أنه يدعو لأهله ووالديه ويدعو لغيره من المسلمين سواء كانوا أحياء أم أمواتا كما في صلاة الجنازة أو بعد دفن الميت مهما طال الزمن ، وقد يكون الدعاء إما بخير فيتقبله الله ؛ أو بشر فلا يجني صاحبه إلا سخط الله عليه .

أما دعاء الأنبياء والرسل فانه يكون مقبولا باذن الله لما له من شفافية وإيمان : (**وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له**) الأنبياء ٨٣ و٨٤ : (**ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه**) الأنبياء/ ٧٦ :

(**وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له**) الأنبياء/ ٨٩ و٩٠ .

أفضل الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » . رواه الترمذي عن ابي سعيد رضي الله عنه ، وقد يتساءل سائل : إن الله يدعونا لأن ندعوه وهو البر الرحيم ، فكيف يشغلنا بقراءة القرآن عن دعائه والدعاء عبادة ؟.. والاجابة على ذلك لا تتطلب جهدا فان قارىء القرآن يدعو ربه بخير دعاء وخير الكلمات وفيها جوامع الكلم وما يتصوره انسان وما لم يتصوره من خير وسعادة الدارين ، فكلمات الله أنزلها عطاء ورحمة ، وان خير الدعاء ما علمه لنا قابل الدعاء ، هذا وقد وردت آيات الدعاء في معظم سور القرآن الكريم حتى تلك التي لم ترد فيها فانها تذكرنا بالعذاب او

الجنة فنجد ان قلوبنا قد انخلعت منا تدعو مولاها بما سمعت ورأت خوفا وطمعا ، فما بالك إذن اذا دعا قارىء القرآن الله بكلمات هو علمها لنا ، وأمرنا أن ندعوه بها وهو يقرؤها بين يديه طاهرا عندما لمسه ، وما بالك أيضا في أنه أخذ نفسه إلى ضيافة الرحمن ، وكان حقا على المضيف أن يكرم ضيفه ، وأنت إذا فتحت كتاب الله لوجدت أن الدعاء قد ورد في أول سورة به ، سورة الفاتحة (**إهدنا الصراط المستقيم**) .

فلنسارع إلى الدعاء

لنتعجل إليه من قبل أن يأتينا الموت بغتة ، ولنتخير الأوقات المباركة لنزيد منه متضرعين فيها بخشوع وخضوع ، ويقينا أن الأوقات كلها يستجيب الله فيها لمن يدعوه من عباده ، إلا أن بعضها يكون مفضلا ، والدعاء فيها يزيد العبد تقربا له ، فيتجلى الله بكرمه على من لاذ بحماه .

إن الله يفضل خلقا من كل شيء خلقه ، فهذا الانسان مكرم من بين خلقه في أرضه ، وهذا محمد من بين الرسل والأنبياء ، وذاك جبريل من بين ملائكة كرام : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير**) الحج/٧٥ ، وهناك جنة المأوى من بين جنات النعيم ، كذلك ساعة الجمعة وكذا جوف الليل من بين الساعات : (**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا**) السجدة/١٦ ، كذلك يوم عرفة والجمعة من النهار ، كذلك ليلة القدر ، وشهر رمضان من بين الشهور - وهذا ما يؤكده ورود آية الدعاء ١٨٦ في سورة البقرة بين آيات الصيام - كذلك الدعاء حين الأذان وعند الالتحام في سبيل الله ، وحين تلاوة القرآن الكريم وبعد ختمه ، وبعد كل صلاة مفروضة ، كذلك حين الشرب من زمزم ، وعند مجالس ذكر الله وحين السجود : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم ، مصداقا لقوله عز وجل في سورة العلق آية/١٩ : (**واسجد واقترب**) وفي سورة النجم آية/٦٢ : (**فاسجدوا لله واعبدوا**) ، لأن في السجود تقربا إلى الله ، وما القرب إلا صلة وعبادة ، وما العبادة إلا دعاء .

ثم نقف بين يدي الله تعالى مستقبلين القبلة رافعين أيدينا إليه في خشوع وخضوع مقبلين مقلبين قلوبنا بين رغبة ورهبة بين رجاء وخوف : (**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا**) الأنبياء/٩٠ ، ولنقف بين يديه عز وجل خافضين أصواتنا فهو سميع عليم : (**إذ نادى ربه نداء خفيا**) مريم/٣ ، (**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) الأعراف/٥٥ ، (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول**) الاعراف/٢٠٥ .

وقبل أن ندعوه يجب أن نكون مؤمنين موقنين بقدرته وكرمه . وبأنه

سيقبله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة » رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فالله إذا قال للشيء كن فيكون .

ولنبدأ الدعاء بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم نحمده تعالى ونثني عليه ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء » رواه الترمذي عن عبيدة رضي الله عنه .

ويجب ألا ننسى أن نذكر في دعائنا الصلاة على النبي المصطفى حيث قال : « كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم » رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه .

كما لا ننسى أن نبدأ الدعاء ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم نستغفره ونتوب إليه ، ثم ندعوا بما علمنا الله تعالى في كتابه الكريم ، أو بما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)** البقرة/ ٢٨٦ .

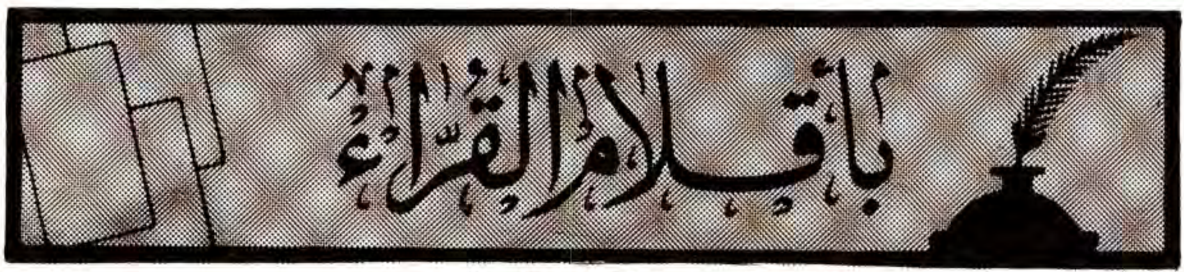
ولندعوه عز وجل باسمائه الحسنى ، ولنكثر الدعاء بالاسم الذي نأمل من الله أن يتجلى علينا بفيض منه ، ولنختر من الأسماء الحسنى الاسم الذي يوافق حالتنا في الدنيا وقت الدعاء ووفقا لظروف معيشتنا ، وما أصبحت عليه نفسيتنا فاذا طلبنا الغنى دعوناه : « ياغني يامغني » وإذا أردنا العزة والكرامة في بعض الأمور دعوناه باسمائه : « يامعز ياعزيز » ، واذا ما رغبنا في الرحمة واللطف دعوناه : « يالطيف يارحيم يارحمن » .

ولنبدأ ما ندعوا به بـ « اللهم ربنا » لان كثيرا من آيات الدعاء في القرآن الكريم بدأت بهذه الكلمات المباركة التي تذكرنا بالعلاقة بين الله والانسان ، ولنستحضر أرواحنا وقلوبنا بين يدي الله ، لأننا بين يدي الله وفي حضرته وفي رحاب ملك الملوك .

ولندعوا ولنلح في الدعاء ولا نمل فقد قال ابن مسعود : كان عليه الصلاة والسلام إذا دعا دعا ثلاثا ، ففي هذا تصفية لقلوبنا من الأمراض ، وتخليص لها من فكرة الاعتماد على النفس في البحث عن أسباب وكيفية تحقيق ما ندعوه به ، وحتى يوقن الداعى أن إجابته لدعائه هي مشيئة خالصة لله قد وفقه الله لأن يدعوه بها ليستجيب له .

وأخيرا يجب أن نؤمن على دعائنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا دعا أحدكم فليؤمن على دعاء نفسه » رواه ابن عدى عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ثم ننهيه بما انتهى به دعاء زكريا عليه السلام في سورة آل عمران آية رقم/ ٣٨ : **(إنك سميع الدعاء)** .



الصوم وتربية الصمود

كتب الاستاذ : عبد الغني احمد ناجي يقول :

دأب الناس منذ بدء الخليقة على التمدح بصفات خاصة تكسب الشخص العزة والمجادة في المجتمع الذي يعيش فيه وربما لا يستطيع الحصر أن يأتي على تلك الصفات .
ولما كان الذي يجذب ويعجب في كل شيء ذروته ومنتهاه ، فأننا لا ندهش إذا وجدنا صفة الصمود أو قوة الارادة تتسنم هرم الصفات التي تكون الشخصية القوية لدى الانسان ، اذ هي الدعامة المتينة التي تسمق فوقها الرجولة الكاملة .
والله سبحانه وتعالى خلق الانسان ضعيفا أمام نزواته وشهواته ، ولكنه أرشده إلى أمضى سلاح يستطيع به التغلب على ضعفه البشري . ووعده أجزل الثواب ان هو أحرز النجاح في استعمال ذلك السلاح الذي لا يتعدى التمرس والتدريب على ضبط النفس ، وكبح جماحها ، ويتجلى ذلك بوضوح في فريضة الصيام التي تلزم المسلم بأن يلجم شهوتي بطنه وفرجه من الفجر الى غروب الشمس ، وهي المدة التي يكون فيها يقظا ، وشهواته متفتحة ، ونزواته حية نشيطة حتى يكون للتدريب ثمرة ، وحتى يتحقق معنى الكبح للنفس ، والالجام للشهوات .
فالانسان الذي يبلغ به الجوع والعطش مشارف الهلاك ثم يمتنع عن الطعام والشراب اتباعا لارشاد ، وانصياعا لتنبيه عمق ايمانه بهما وبأثرهما ـ هو إنسان وصل الى ذروة الصمود ، وقوة الارادة ، والانسان الذي يتأبى في شمم ديني أمام شهوته وهي تحاول أن تميله هو انسان عرف الطريق الى المكانة السامية بعد أن مرن على قيادة نفسه ، وتخلص من أن تقوده نفسه ، والنفس أمارة بالسوء .
ونحن كثيرا ما نقرأ عن فقراء الهند الذين يسيرون على نظام معين في الطعام والشراب والبعد عن مباهج الحياة ليكتسبوا صفاء النفس ، وشفافية الروح بغية الاتيان بالاعاجيب ، فهم بأخذهم النفس بألوان من القسوة وشظف العيش مدة

طويلة تمكنوا من السيطرة عليها سيطرة تامة ، وكأن نزواتهم البشرية غدت ولا حياة فيها ، نذكر ذلك لنشير الى ان الانسان اذا ترك لنفسه العنان في الحياة ، وأشبع رغباتها دون ما ضغط أو إحكام كانت طفولته مستمرة ، وإن أوغل في مراحل الشيخوخة ، ومثله لا يعول عليه ، ولا يصول ابدا في مجال ، ويكون عبئا على من يعيش بين ظهرانيهم ، وأتعس بمجتمع يتكون من أمثاله .
ولما كان هدف الاسلام الأمثل تكوين مجتمع فاضل يتسم بالقوة العادلة ،

والعزة الحكيمة ، والأخوة الرشيدة ، فانه أخذ الفرد ـ وهو اللبنة الأولى في المجتمع ـ بصنوف عديدة من التربية الهادفة الراشدة التي تكون الرجل بكل ما توحي به لفظة الرجل من معان تنداح دائرتها ثم تنحصر في (الصمود وقوة الارادة) .
فكانت فريضة الصيام في الاسلام لأهداف سامية ، وحكم بالغة تجلت بعد التجريب والتدريب .

وفي قمة هذه الأهداف تكون المجتمع الصامد كالطود الراسخ ، وليس ذلك التحليل او التخريج بغريب ، فنحن لا ننكر أن من أهداف الصوم في الاسلام ما يتردد كثيرا على السنة الفقهاء والوعاظ من الحفاظ على الصحة العامة ، فقد أثبته اطباء العصر الحديث ، وهذا مفخرة للاسلام ، وان كان الاسلام ليس في حاجة الى ذلك ـ ومن حمل الأغنياء على مسح دموع البؤساء بالاحسان والمعروف ولكننا نرى ان الاسلام يهدف من وراء كل فريضة يشرعها الى أهداف متفاوتة يكون أسماها وأرقاها ما يمس كيان المجتمع او يتصل بقوة الأمة وسلامتها .

فالاسلام ربما كان الدين الوحيد الذي دعا اتباعه الى أخذ وسائل القوة تجاه أعدائه ، قال تعالى : « **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم)** وليس ببعيد ان يكون المراد بالقوة ـ والله أعلم بمراده ـ القوة المعنوية التي تتجلى في الصمود وقوة الارادة ، وعدم التزحزح عن الحق قيد أنملة ، ولو كان في ذلك الموت فهو الشهادة التي يحظى بها الأبرار يشرح ذلك قوله تعالى : « .. **ومن رباط الخيل** » بعد قوله : « .. **من قوة** » فرباط الخيل رمز للسلاح المادي بكل صنوفه وتطوراته عبر حقب التاريخ المديد ، فيتعين أن يكون المراد بالقوة ، القوة المعنوية ، لأن العطف يقتضي المغايرة كما يقول علماء النحو .

ولقد وجد الاسلام الحنيف الحصيف أن أمثل طريقة لتقوية الجماعة معنويا تقوية الفرد أولا ، فمن اللبنات المتينة يتكون البناء الحصين ، لهذا شرع الصوم ، وفرضه على المسلم القادر منذ بلوغه أي دخوله مرحلة الرجولة ، وكأنه يقول لمن ناهز البلوغ : ستدخل مرحلة

شاقة ومشرقة : شاقة بأعبائها ومتطلباتها ، ومشرقة بما يحوطها من هالات المجد والعزة ، إنها مرحلة الرجولة الحقة .

ولما كان الجندي - اي جندي - لا يستطيع استعمال السلاح من فور انخراطه في سلك الجندية الا بعد تمرين طويل وعنيف على استعمال ذلك السلاح المادي - كان كذلك من شارف الرجولة لا يستطيع القيام بما تتطلبه تلك المرحلة من صمود وقوة إرادة - وهما أخص خصائصها - الا بالمراس الطويل ، والتدريب المستمر ، وكانت حلبة ذلك التمرين على استعمال السلاح المعنوي : **(الصمود وقوة الارادة)** - فريضة الصيام التي جعلت المسلم في صموده أمام أعدائه في الحياة - بشرا كانوا أم أزمات وشدائد - يفوق الخيال ، وكأن الاسلام يقول لأتباعه : ستقابلكم في الحياة أخطار وأهوال ، ولن تتخطوا مراحلها الا بالصمود ، وكأنهم تساءلوا : ومن أين لنا به ؟ ، فكان الجواب : مما فرضه الله سبحانه وتعالى عليكم من صيام شهر كل عام .

وبعد .. فلنا - نحن المسلمين - أن نقول في مسامع الدنيا : إننا صائمون .. صامدون تجاه كل قوى الغدر والطغيان ممثلة في الاستعمار وأذنابه .

ضراعة صائم

من قصيدة للأستاذ / عبد الغني احمد زكي

يـأيها الشهر العظيم تحية ... من مسلمين أتوك بالتوبات
يرجون رب الخلق عفوا واسعا ... وقبول هذا الصوم والصلوات
يا من يصوم الشهر انت مقرب ... فادع الاله يفرج الكربات
واحرص على ارضاء ربك دائما ... فاجف الذنوب ومنكر السوءات
والنفس طهرها وزك ميولها ... تجد الاله يحطك بالخيرات
لا تخش فوت الرزق ان حظوظنا ... قد قسمت في اللوح بالميقات
يا رب هذا الشهر صمنا فارعنا ... والطف بنا يوم الحساب الآتي
واجعل جزاء صيامنا وقيامنا ... حسن الثواب لديك في الجنات



خطر جديد

ما زلنا نحذر من اساليب التبشير المسيحي ، ومحاولاتهم الخسيسة للنيل من الاسلام والمسلمين .. وها هو الدكتور عمر حسن كاسولي .. تأتينا رسالته من امريكا لتكشف لنا عن وجه قبيح من اوجه التبشير المسيحي .. وهكذا تواصل « الوعي الاسلامي » حملتها المضادة .. آملة ان تجد من اغنياء المسلمين وعلمائهم والغيورين على دينهم الاسلامي الحنيف وقفة في وجه هذا الخطر الجديد ..

يقول الدكتور/عمر حسن كاسولي :

● منذ الحادي عشر من يناير الى الرابع عشر من نفس الشهر ١٩٨٢ ، التقى « جماعة لوزان » المتخصصة في تنصير المسلمين مع اعضاء « هيئة اتباع النصرانية في العالم » و « مجموعة الدراسة الدينية » لمناقشة كيفية اكتساح العالم الاسلامى بالتبشير النصراني .

وقد عقد هذا اللقاء خارج لندن ، وترأسه « ريفراند باتريك شوكديو » الذي عين اخيرا منسقا للوصول الى المسلمين ، وكان من بين الحضور ستة آخرون ، من بينهم « ريفراند دق مكري » مدير معهد صاموال سفيمر بكاليفورنيا ، وعضو بمجموعة لوزان للعمل الاستراتيجي .

● وقد قررت هذه اللجنة ان تطلق على نفسها اسم « مرحبا بكم » وهي تدعو - « لجنة لوزان العالمية للتبشير النصراني » - الى تنصير المسلمين .. واللجنة جادة في ذلك عبر كل انحاء العالم ، وبطرق ونشاطات عديدة ، واولى هذه النشاطات تتمثل في مخطط يهدف الى فتح مراكز بحوث وتدريب في العالم وهي على اهبة فتح مراكز في اوروبا والباكستان والهند الشمالية وافريقيا الفرنكوفونية والشرق الاوسط . اما

المراكز الموجودة فقد اعترف بها كجزء من هذا العمل المشترك « معهد صاموال سفيمر بيزادنا كاليفورنيا ، و « مركز هنري مارتين للتدريب » بلندن ، وبالاضافة الى انشاء سلسلة من المراكز للبحوث والتدريب ، فان المحاضرات الاقليمية المتعلقة بتنصير المسلمين قد خطط لها . . وسيكون التركيز على الاماكن الاكثر كثافة في افريقيا ، واسيا (اي في الاماكن التي تعيش فيها اكثرية المسلمين).

بالاضافة الى تصميم رسالة استعلامية سيتم توزيعها بصورة خاصة على اعضاء اللجنة حتى يكونوا على بينة مما يجري في مختلف البقاع في العالم .

- وثمة نتيجة اخرى اسفر عنها هذا اللقاء وهي اعداد مخطط لتنسيق البحوث التي يتم تحقيقها عن المسلمين ، وهذا سيشمل جمع معلومات عن الكثافات السكانية للمجموعات المسلمة ومراقبة الحركات الاسلامية في الوقت الحاضر ، او القيام بطرق تدريسية تجلب المسلمين الى المسيحية (مع تحليلات تبين الافادة من هذه الدراسة) ودراسة الفرص لاختيار الجهات القابلة للاستجابة للتبشير النصراني . وستشجع « مرحبا بكم » استراتيجيات التنمية النصرانية ، وتعميق انواع المصادر الجاهزة على غرار الكتب والتزويد بالادوات الخاصة قصد تسهيل تنصير المسلم .

هذا هو العدو ، وتلك هي مخططاته ، ونكتفي بهذا القدر دون ذكر لعنوان تلك الجمعية ، فليعمل المخلصون لخدمة الاسلام والمسلمين .

حديث باطل

كنا قد نشرنا في عدد رجب - رقم ٢١١ - لسنة ١٤٠٢هـ - مقالا للاستاذ/محمد خطاب عقيلي - تحت عنوان « الاسلام والشباب » وقد استشهد الكاتب في معرض حديثه عن "الشباب والدين والدنيا" بحديث قال فيه : عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه ، حتى يصيب منهما جميعا ، فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس ».. ثم قال الكاتب : أخرجه النسائي ..

ولما كانت « الوعي الاسلامي » تثق في كتابها ، وفي أمانتهم العلمية ، فإنها اعتبرت تخريج الكاتب للحديث تخريجا صحيحا ..

ولكن القارىء الكريم : علي اغا محمد شفيق كتب إلينا يقول عن الحديث المروي عن انس : إنه حديث باطل .. وساق دليل بطلانه حيث قال :

رواه الخطيب في كتاب « تلخيص المتشابه في الرسم » (ج ١٣ ورقة ١٣٦/ ١) من طريق محمد بن هاشم البعلبكي حدثني ابي هاشم بن سعيد عن يزيد بن زياد البصري وكان يسكن صور ـ عن حميد الطويل عن انس بن مالك مرفوعا من هذا الوجه رواه ابن عساكر في « تاريخه » (١٨/ ١٤٣/ ١) وزاد في آخره « ولا تكونوا كلا على الناس » ومن طريق ابن عساكر فقط اورده السيوطي في « الجامع الصغير » وذكر في كتابه « الحاوي للفتاوي » (٢/ ٢٠١) انه رواه الديلمي ايضا من هذا الوجه . وهذا اسناد ضعيف جدا وآفته يزيد هذا وهو الدمشقي ويقال فيه ابن ابي زياد وهو متهم ـ قال البخاري « منكر الحديث » وكذا قال ابو حاتم ، وقال مرة « ضعيف الحديث » كأن حديثه موضوع ، وقد جزم ابو حاتم في حديث آخر ليزيد هذا انه موضوع وقد اشتهر عن البخاري انه قال « كل من قلت فيه : منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، نقله الذهبي في « الميزان » (١/ ٥) فالحديث بهذا الاسناد وآه جدا ، والحديث قد رواه ابن ابي حاتم في « العلل » (٢/ ١٢٤/ ١٢٥) من طريق الوحاظي عن يزيد بن زياد الدمشقي به وقال (وقال ابي : هذا حديث باطل) . انتهى كلام الشيخ المحدث محمد نصر الدين الالباني .

هذا والوعي الاسلامي في انتظار رد او تعليق الاستاذ عقيلي على ما ذكره الأخ القارىء علي شفيق . مع تقديرنا لمكانة الكاتب العلمية .

خطأ مطبعي

وقع خطأ غير مقصود في موضوع « تفسير سورة الحشر (٢) » للاستاذ محمد عزة دروزة ـ بعدد جمادي الآخرة ١٤٠٢هـ ـ رقم ٢١٠ ـ حيث وردت الآية رقم « ١٢ » من سورة الحشر بهذا النص : (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون الأدبار ثم لا ينصرون) .

وصحة الآية الكريمة : (**لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون**) .

ورد بذلك خطاب القارىء الشقيري عبد الرفيع .. من الدار البيضاء ـ بالمغرب ـ مع الشكر له ، واسفنا لوقوع هذا الخطأ المطبعي .



اقتراح برلماني بانشاء هيئة للدعوة الاسلامية

مهمة الهيئة : تقديم العون المادي للمسلمين ومواجهة حملات التبشير وتشجيع الاستثمارات في المجتمعات الاسلامية

قدم النواب السادة جاسم الخرافي وعيسى ماجد الشاهين وخالد السلطان وحمود الرومي مشروع قانون بشأن انشاء هيئة للدعوة الاسلامية . وقد جاء بالمشروع ما يلي :

- وافق مجلس الامة على القانون الاتي نصه ، وقد صدقنا عليه واصدرناه .

مادة اولى

تنشأ هيئة عامة ذات شخصية معنوية تسمى « الهيئة العامة للدعوة الاسلامية » تخضع لاشراف وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية .

مادة ثانية

تتولى تلك الهيئة خارج النطاق الجغرافي لدولة الكويت ممارسة الاختصاصات التالية :

ا - الدعوة الى الاسلام وحض غير المسلمين على اعتناقه بالوسائل المناسبة لذلك .

ب - اقرار وتنفيذ الخطط والمشروعات التي تهدف الى التعريف بالاسلام ونشر تعاليمه والرد على خصومه .

ج - تقديم العون للمسلمين من خلال المشاريع المتنوعة في مجالات اقامة وتهيئة دور العبادة الاسلامية واقامة المدارس والمستشفيات ورعاية الانشطة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

د ـ توفير الوسائل المناسبة لنشر العقيدة الاسلامية الصحيحة خاصة لدى المسلمين الذين تتطلب اوضاعهم ذلك .
هـ ـ تقديم العون المادي لمن يحتاج من المسلمين وخاصة في حالة التعرض لكوارث او عدوان او اضطهاد .
و ـ تقديم اوجه العون والرعاية المناسبين للاقليات الاسلامية .
ز ـ مواجهة حملات التبشير التي قد تتعرض لها بعض الجماعات الاسلامية .
ح ـ اجراء الدراسات والبحوث التي تستهدف تشجيع الاستثمارات الكويتية في المجتمعات والتجمعات الاسلامية للعمل على تنمية اقتصادياتها . وتقديم التوصيات المناسبة بذلك للجهات المعنية في الدولة .

مادة ثالثة

يكون للهيئة مجلس ادارة برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وعضوية كل من :
١ ـ مدير عام الهيئة
٢ ـ ممثلين بدرجة وكيل وزارة مساعد على الاقل لكل من
ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .
ـ وزارة التربية .
ـ وزارة الصحة العامة

ويصدر بتعيينهم بناء على ترشيح الجهات التي يمثلونها وعرض وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية قرار من مجلس الوزراء لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ما لم يفقدوا صفاتهم قبل ذلك .

٣ ـ أربعة من ذوي الخبرة والكفاءة من المهتمين بشؤون الدعوة الاسلامية ممن لا يتولون اي وظيفة عامة يصدر بتعيينهم قرار من مجلس الوزراء بناء على ترشيح وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد لمدتين مماثلتين

ويختار مجلس الادارة من بين اعضائه نائبا للرئيس .

ولمجلس الادارة ان يدعو لحضور جلساته من يراه من المختصين دون ان يكون له صوت معدود .

مادة رابعة

يختص مجلس الادارة باقرار السياسة العامة للهيئة والاشراف على تنفيذها وله على الاخص :
ا ـ اقرار خطط العمل والمشروعات التي تتضمنها هذه الخطط .
ب ـ النظر في مشروع الميزانية والحساب الختامي واقرارها قبل تقديمها للجهات المختصة .
ج ـ الموافقة على التقرير السنوي العام عن اعمال الهيئة .
د ـ اقتراح القوانين واللوائح والقرارات المتعلقة بمجالات عمل الهيئة وابداء الرأي

فيما يقترح من مشروعات تقدم في هذا الشأن .
هـ ـ اقرار نظم وقواعد قبول الهبات والتبرعات .
و- اقرار فتح مكاتب وفروع للهيئة في الخارج .
ز- تنظيم عمل مجلس الادارة من حيث مدة العضوية فيه وحالات سقوطها ونظام العمل به واجراءات ومواعيد اجتماعاته والاغلبية اللازمة لصحة انعقاده ولاصدار قراراته والاحكام المتعلقة بنفاذ هذه القرارات .
ح ـ اقرار تنظيمات الهيئة ونظمها المالية والادارية .
ط ـ وضع لائحة لشؤون العاملين في الهيئة تحدد امورهم الوظيفية بما في ذلك مرتباتهم وعلاواتهم وترقياتهم ومكافآتهم وتأديبهم .
ي ـ اي امور يرى رئيس مجلس او مدير الهيئة عرضها عليه .

مادة خامسة

يتولى ادارة الهيئة مدير عام ويجوز ان يكون له نائب او اكثر ، ويصدر بتعيينهم وتحديد مخصصاتهم مرسوم بناء على عرض وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية . ويختار الوزير المشار اليه في حالة غياب المدير احد نوابه ليحل محله في ممارسة سلطاته .

مادة سادسة

يمثل الهيئة في علاقتها بالغير وامام القضاء مديرها العام ويكون لمن يوكلهم من موظفي الهيئة او غيرهم حق المرافعة عنها امام المحاكم .

مادة سابعة

يكون للهيئة مركز رئيسي في الكويت ويجوز لها ان تنشىء فروعا او مكاتب لها في الخارج .

مادة ثامنة

تكون للهيئة ميزانية عامة ملحقة وتبدأ السنة المالية للهيئة مع بداية السنة المالية للدولة وتنتهي معها ويستثنى من ذلك السنة المالية الاولى فتبدأ من تاريخ العمل بهذا القانون وتنتهي مع نهاية السنة المالية للدولة في نفس العام المالي .

مادة تاسعة

تتكون الموارد المالية للهيئة مما يخصص لها في ميزانية الدولة سنويا ومما تتلقاه من هبات وتبرعات .

مادة عاشرة

لا تخضع اعمال الهيئة ولا تصرفاتها المالية لاحكام قانون المناقصات العامة ولا للرقابة المسبقة لديوان المحاسبة .

مادة حادية عشرة

على رئيس مجلس الوزراء ـ والوزراء ـ كل فيما يخصه ـ تنفيذ هذا القانون ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

عن الصحافة الكويتية



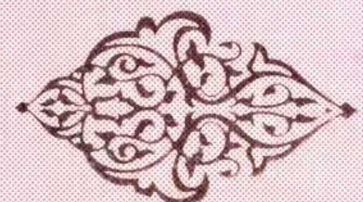
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ



إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٤ ● شوال ١٤٠٢ هـ ● اغسطس ١٩٨٢ م

هديتك مع العدد :

رسالة الصيام والزكاة

ومجلة براعم الايمان

قال الله تعالى في سورة آل عمران : ١٣٣

وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٤ ● شوال ١٤٠٢ هـ ● اغسطس ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



جاء الاسلام وفي الناس عادات وتقاليد فكان شأنه مع هذه العادات وتلك التقاليد ان يقر منها الصالح الذي يتفق مع تعاليمه الكريمة ، وان يرفض ما عدا ذلك .

ولما كانت الاعياد سنة فطرية وطبيعة انسانية . يتخذها الناس ترفيها عن النفوس بعد كفاحها في معترك الحياة وشئون العيش ، او تذكيراً لها بحادث محبب ، فقد قبل الاسلام مبدأ اتخاذ الاعياد ، ولكنه نظمها وسار بها في طريق الاعتدال ، وجعلها تجمع بين اللهو البريء الذي لا يخدش عرضا ولا يمس حرمة ، والمعاني السامية التي تقود المسلمين الى مراقي المجد والعزة .

لما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة ، ووجد

الانصار يلعبون ويمرحون في يومين ورثوا عن آبائهم واجدادهم اتخاذهما عيدين . قال لهم : قد ابدلكما الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى .. وهما يومان ارتبط بهما في تاريخ الاسلام وفرائضه ما جعلهما موضع الاعظام والاكبار ، اذ كل منهما يأتي بعد اداء المسلمين لركن من اركان الاسلام .

عيد الفطر يتلو اداء فريضة الصيام في شهر رمضان من كل عام .. وعيد الاضحى يتلو اداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام في كل عام .

والعيد يوم فرح وسرور ، لانه يعقب الانتصار على النفس واخضاعها لطاعة الله . ولكن النظرة الى العيد تختلف بين الصغار والكبار .. فالصغار لا يعنيهم في العيد سوى لبس الجديد ، وتعمير الجيوب ، واللهو واللعب لان احساسهم الذاتي قاصر لا يمتد خارج نفوسهم ، ولا يشعر بحال غير حالهم ، وهم في ذلك لا حرج عليهم .

أما الكبار فالعيد بالنسبة لهم مخبر لا مظهر ، ومعنى لا مادة ، تتسع في نفوسهم دائرته فتشمل الاقارب والجيران واهل الحي .. بل تمتد وتمتد حتى تضم كل انسان يشترك معهم في عقيدة الايمان ، وتصله بهم الامال والالام . فهم باحساسهم الصادق ، وشعورهم الحي يعيشون ـ يوم العيد كغيره من الايام ـ مع كل من ارتبط معهم برباط العقيدة بشعور الاخوة واحساس المودة ، لان الاسلام علمهم ان المسلمين جسد واحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .

واذا وجد بين المسلمين من الكبار العقلاء من يمرح في يوم

العيد ، ويتيه بما يملك او بما يلبس ، متناسيا اخوانه المحرومين من بهجة العيد ، فليس هؤلاء الكبار الا صغار في احساسهم وشعورهم ، بل وفي ايمانهم !!

ان عيد الفطر هذا العام يأتي كأعياد مضت ، والمسلمون يعيشون مأساة الخطر الجسيم على كيانهم ومستقبلهم .. يعيشون مأساة اغتصاب الصهيونية لجزء عزيز من الوطن الاسلامي الكبير هو « فلسطين » . وغزو الشيوعية لوطن حبيب من اوطانهم هو « افغانستان » . وطغيان الحكومات غير المسلمة على حقوق الاقليات المسلمة في كثير من جهات العالم ، وفقدان التلاحم بين الشعوب الاسلامية والحكام الذين لا يحكمون بشريعة الله ، ويستبدلون الذي هو ادنى (من القوانين الوضعية المصنوعة من الاهواء والشهوات والقاصرة عن تحقيق العدل والأمن ، والنظافة والطهر) بالذي هو خير (من تعاليم الحكيم الخبير الذي شرع للناس ما يصلح امرهم ويعز شأنهم ، ويجمعهم على كلمة الحق وفعل الخير). كما يعيشون فتنة عارمة دبرها الكافرون والمنافقون لتمزيق وحدة المسلمين . حين اشعلوا نيران الحرب بين دولتين مسلمتين . فاصبح المسلم يريق دم اخيه المسلم ويدمر دعائم حياته ، واصبحت الفرقة قائمة بين المسلمين بشكل يهدد حاضرهم ومستقبلهم .

والامة التي تنزل بها النوائب ، فلا تتحرك للعمل الذي يدرأ عنها ما نزل ، امة تحفر قبرها بيديها ، وتوفر على اعدائها مشقة القضاء عليها .. فهل الامة المسلمة كذلك ؟ كلا والف كلا .

ان الامة المسلمة في تاريخها المشرق يوم ان كانت تعتصم بحبل الله ، وتعمل بهدايته لم تهن ابدا ولم تضعف ، وطالما لقنت اعداء

الاسلام من الدروس القاسية ما جعلهم ينكصون على اعقابهم خائبين .. كانت اذا نجح معتد في العدوان عليها وسلب حقوقها لا تسكت على ضيم ، بل تمضي كل ايامها في تفكير دائب ، وتخطيط دقيق شامل ، وعمل جاد مثمر ، حتى اذا استكملت عدتها ، وتعبد الطريق امامها ، انقضت على اعدائها واستردت مكانتها ، ويومئذ تفرح بثمرة جهادها ونصر الله لها ، وتكون جديرة باعيادها .

فعلى مسلمي هذا العصر ان يسيروا على الدرب الذي سار عليه السلف الصالح ، وان يعلموا انه لا كرامة بغير عزة ، ولا عزة بغير جهاد ، وانهم ان صدقوا الله نصرهم .. وليتأملوا القاعدة التي رسمها الله للنجاح وخاطب رسوله بها في كتابه الكريم وهي :ـ

تقوى الله ، والتوكل عليه ، واتباع وحيه ، ونبذ طاعة الكافرين والمنافقين قال تعالى :

(يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) .

فليستمسك المسلمون بهذه القاعدة وليعلموا ان الاعيـاد الاسلامية لا تكون الا لمن انتصر في ميدان الفضيلة والشرف ، وتعاون على البر والتقوى وجاهد في الله حق جهاده ، وكافح في سبيل العدل والحق والخير .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

يا أهل العلم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نخوض في القرآن بغير علم وألا نؤوله بالهوى والمزاج وألا نقتحم غيب القرآن بتكذيب او انكار أو تحريف بزعم حقنا في الاجتهاد فان الاجتهاد في مورد النص لا يجوز والاجتهاد مع النص قطعي الدلالة بدعة والجرأة على غيب القرآن بحجة الحق في الاجتهاد ضلال واضلال .

فقد علمنا أن من الناس من حمد للقائلين باعجاز الرقم « ١٩ » بالقرآن ما قالوه تقديسا لهذا الرقم وبشروهم بالأجر إن كانوا خاطئين وبالأجرين إن أصابوا ، وغفل الحامدون عن أن القائلين بقدسية الرقم « ١٩ » وقيام سره في حروف وألفاظ وآيات القرآن وقيام القرآن عليه وصلوا بهذا الهذر الى أن جهنم ليس عليها ملائكة غلاظ شداد والى أن الله لم يتفرد بعلم الساعة ، كما قال كبيرهم أنه عرف بكرامة الرقم « ١٩ » وبفضل حسابات الأعداد علم الساعة وحدده تحديدا .

ومقالي هذا حدده عنوانه فلست أقصد به تأييد ما قرره القرآن من أن على جهنم تسعة عشر ملكا غلاظا شدادا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولا أن القرآن الكريم قرر أن الله وحده عنده غيب الساعة لم يطلع عليه ملكا ولا رسولا . فهذان الأمران معروفان من الدين بالضرورة وفيهما نصوص قاطعة محكمة .

واخاطب بهذا المقال أشتاتا من الناس منهم المسلمون الذين خالط الأيمان الثابت قلوبهم فأسلموا لغيب القرآن وجوههم ، ومنهم المسلمون مولدا ونشأة لكن حظهم من الثقافة الدينية قليل ، ومنهم المسلمون الذين تربوا على الثقافة الغربية ، وما أكثرهم ، ولم يعرفوا من دروب الفكر غير هذا الذي لقنتهم إياه هذه الثقافة

في غيب وسمعيات القرآن باطل

للمستشار / حسين ناجي محي الدين

فأصبح لهم مزاج فكري ومنحى سلوكي وعقيدي مخالفان لعقيدة المسلم الصحيحة ، ومنهم أخوتنا في الدين الذين لهم نصيب من العلم به قل أو كثر هذا النصيب،لكنهم علموا أشياء وغابت عنهم أشياء فخلطوا بين اجتهاد في فروع التشريعات لصلاح الدنيا وجرأة على الله بلغت الالحاد في كلامه عن غيبه وتحريفه عن مواضعه ظنا منهم أن الاجتهاد يتسع لهذا العبث والتلاعب بتقريرات الله في خصوص غيبه .

ألا فاني أذكر الجميع أن من منهج القرآن ألا نقفوا ما ليس لنا به علم من المغيبات وألا نحكم الظن في أمور العقيدة بالغيب ، فقد قال أصدق القائلين : « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** »**الاسراء** [٣٦] وقال : « **وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون** » يونس (٣٦) .

وسيجد ـ ان شاء الله تعالى ـ من بهرتهم الدعاية المنظمة الملحة المدروسة في ترويج خدعة الاعجاز العددي للقرآن بالرقم « ١٩ » الطمأنينة إلى الحق ، وسيدركون أن الزعم بفضل الكمبيوتر في الكشف عن الأعجاز المزعوم لهذا الرقم الجهنمي ـ ((جهنمي لأنه عدد ملائكة جهنم)) زعم كاذب قصد به التهويل والتطبيل فان العمليات الحسابية التي ساقتها هذه الخدعة عمليات ساذجة

الشريفة .

فالقول بعقيدة وأمر يتصل بها يجب أن يسنده دليل قطعي بمعنى خبر يقيني قطعي الدلالة .

وكل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب واقحاما على الله ما لم يأذن بقوله . يكفي ذلك لترتعد فرائص المسلم حين يجازف ويتجرأ على الله وعلى علمه فيقول بغيب لم يقله الله فما بالنا لو قال بغيب خلاف ما قاله الله ومعارضا له ، ويا ويل المسلم حين يزين له الشيطان فعل ذلك ويا ويله اذا زين له الشيطان تصديقه بالقبول والترحاب . فالغيب لا يؤخذ العلم به بالظن ولا بالاجتهاد ولا بالقياس ، ومن فعل ذلك من المسلمين نحاكمه الى كتاب الله ونزنه بموازين الاسلام ، ولا ريب أنه بهذه الموازين تكون أمه هاوية ، ونسأل الله له التوبة ولنا وله السلامة .

وفي القرآن وفي الخبر المتواتر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نصوص واضحة عن بعض الغيبيات ، وهذان هما وحدهما المصدر المعتمد لهذه الغيبيات وبعض الغيبيات ورد في شأنها مجرد أشارة فلا نستطيع بحال من الأحوال أن نضيف الى تلك الأشارة أية اضافات بأي دليل آخر مهما كان قدره ، وبعض الغيبيات لم يقتصر فيها النص القطعي سواء من القرآن أو من السنة بمجرد الاشارة لكنه بسط فيها البيان شيئا ما ، وما لم يقله النص القطعي لا يمكن أضافته من عندنا . وسواء ورد الخبر القطعي مكتفيا بالاشارة أو به شيء من البيان والتفصيل فأنه ليس لبشر كائنا من كان أن يورد من عنده ما يناقضه أو ينافيه أو يعد له أو يغير فيه ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وأساء الى غيره وخرج على نهج الأسلام وجعل من نفسه ـ وحاشا لله وجلت عظمته ـ ندا لله في علم غيبه ، وهذا هو الافك العظيم والخسران المبين .

فالسمعيات ، أو التي نسميها الغيبيات التي لم يتصل بنا علمها الا عن طريق السماع من رب العالمين قرآنا نزل على سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، اووحيا تكلم به سيدنا محمد بألفاظ من عنده ، هذه السمعيات نمثل لها بالساعة (القيامة الكبرى) والجنة والنار والجن والملائكة والبعث والنشور والحساب والجزاء الخ الخ ..

وانما الظاهرة التي نريد أن نسجلها هي أن الثقافة الأوروبية التي انتقلت الى امريكا وروسيا وسائر بلدان العالم انما قامت على منهج علمي مادي هو تحقيق المشاهدة وتمحيص التجربة ، والمشاهدة والتجربة لا تصلحان الا لمعالجة الأمور المادية المشاهدة والمحسة ، وقد وقر في أذهان أصحاب هذه الثقافة والمتأثرين بها والمتزودين بزادها أن الدليل العلمي هو وحده المشاهدة والتجربة ، وأن المنهج العلمي المعتبر هو الذي يقوم فقط على المشاهدة والتجربة والملاحظة والاستقراء ، وأنه بهذا المنهج ازدهرت العلوم وتقدمت المعارف وتوصل المتوصلون الى بعض أسرار الكون والى الاختراعات المذهلة .

خاشٍ لربه أن ينسب إليه ما لم يقله أو أن يحرف ما نزل على نبيه ، ثم هو مصدق لربهٍ ولرسوله لا يتحايل على هذا التصديق بتوهينه أو خلخلته ، ثم هو يستحي أن يزاحم الله في علمه أو أن يدعي أن مراد الله كان كذا .

وهكذا يرى القارىء الفاضل أن المتدخل في الغيبيات إثباتا بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني او المتدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه وافترى على الله وادعى لنفسه ما ليس لها ، هذا فضلا عن كونه ينحرف بغير الدليل القطعي اليقيني الى التكذيب والانكار أو في أدنى الدرجات الى التحريف والتزوير وهما صنوان للتكذيب والانكار .

واعلم أن الغالبية الغالبة من المثقفين بعلوم الغرب المسيحي والشرق الألحادي لا يعلمون كيف يفرقون بين المادي من الأمور والمعنوي منها فضلا عن المغيبات من حيث أثباتها أو انكارها لعدم علمهم بأنواع الأدلة وما يصلح من الأدلة لكل نوع من هذه الأمور يستوي في ذلك المسلم منهم وغير المسلم ، ويستوي في هذا الخصوص المسلم المتهاون في دينه والمسلم الحريص على دينه الغيور عليه . من هنا سولت لأحدهم نفسه أن ينكر غيب الله بانكاره ملائكة جهنم وأن يزعم مشاركته لله في علم غيب الساعة ، كما سولت للناس نفوسهم أن يصدقوا هذا الهراء وهذا الهذر .

وقد قصدنا بما كتبنا تذكير علمائنا المسلمين ببعض قواعد التفسير ، مجرد تذكير ، فان ما قلناه غير غائب عنهم ولا هم جاهلون بشيء منه .

كما قصدنا وضع المتصدين لبعض مسائل الدين من المسلمين بالتفسير والتأويل بغير علم سابق بقواعدهما ومن غير ان يتزودوا بأدواتهما أمام مسئولياتهم ، وقصدنا تذكيرهم بتبعاتهم حيث أنهم مالوا وزلوا فظلموا أنفسهم وأمالوا وأزلوا فظلموا غيرهم ، وليس ذلك باليسير بل هو الخطب الكبير والفتنة الهوجاء ، فعليهم ان كانوا سليمي القصد حسنى النية أن يكفوا عما يفعلون وأن ينتهوا عما يعملون منيبين الى الله معلنين التوبة على رؤوس الأشهاد ثم متبرئين مما جنوا على المسلمين ، ونسأل لهم الله الغفران والعافية .

أما عامة المسلمين فهم معذورون ، لا علم لهم ، ثم انهم ببراءة وحسن قصد يناصرون ويؤازرون من يكشف لهم اعجازا جديدا لكتاب دينهم الذي ارتضوه . والى هؤلاء كتبنا مقالنا هذا ، ونسأل الله لهم الهداية فانها منه وحده والصلاح فأنه ثمرة التقوى . وبعد ، فنخرج مما سبق بنتيجتين لازمتين :

١ ـ أنه ليس كل أحد صالحا أو قادرا على الافتاء في دين الله خاصة اذا كان الموضوع من مواضيع تفسير النص القرآني أو الحديثي واستخراج دلالته . فأن لذلك علوما قائمة بذاتها ودراسات طويلة يجب ان يستوفيها باتقان كل من وهب نفسه لخدمة دين الله في هذا القطاع من العلوم الدينية .

٢ ـ أنه ليس كل موضوع ورد في القرآن أو في السنة قابلا لاعمال الرأي والاجتهاد والتفسير والتأويل . فالقاعدة انه لا اجتهاد في مورد النص ، وبعبارة اخرى فأن

النص اليقيني القطعي سواء من القرآن او السنة غير قابل دائما للتأويل او التفسير والاجتهاد خاصة اذا كان متعلقا بالسمعيات وهي المغيبات ، فأن الله يأمرنا ألا نتعقب او نقفو ما ليس لنا به علم .

وهكذا نرى ـ بحق ـ ويرى معنا القارىء الفاهم أنه لا يجوز لكاتب ولا لمؤيديه ان يبحثوا بغير ادوات البحث وخاصة في مواضيع لا يجوز فيها البحث اطلاقا . هذا اذا أحســنا بهم الظن واحترمنا ظاهر اسمائهم والقابهم الاسلامية اخذا بالظاهر وان كانت المناقشة الموضوعية لصنيعهم وترويجهم الفتنة ستكون في غير صالح هذا الظاهر ، ونرجو ان يرجعوا عما هم فيه حتى يحسن بهم ظن المؤمنين .

واعود فأوجز وأحدد ما يكشف عنه إنكار ملائكة النار والادعاء بعلم وقت القيامة ، أن ذلك يكشف عن :

١ ـ تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الثابت في كتاب الله وكتب المرسلين السابقين .

٢ ـ فهو اذن تكذيب لما علم من الدين بالضرورة .

٣ ـ وتكذيب خبر الله تكذيب بالله وانكار له .

٤ ـ فهو اذن الغاء ايضا للرسل والأنبياء وعدم الاعتداد بهم .

ومن المتعاقلين ، أو المتظاهرين بسماحة العلم واتساع صدره للحوار ووجهات النظر المختلفة والمتضاربة من يجلس هادىء البال مستقر الأعصاب بين سيجارته وفنجان القهوة ويقول ان اقصى ما يقال في حق القائلين بالاعجاز العددي للقرآن الذي انتهوا به الى انكار ملائكة النار والى تحديد وقت القيامة هو انهم اجتهدوا فأخطأوا فلهم أجر .

وهؤلاء المتظاهرون بالسماحة في جانب الله لو أن أحدهم بلغه أن فلانا من الناس يرميه بالكذب وينشر عنه بين الناس أنه كاذب بكل وسائل النشر لثار كل ما فيه وفار كالمرجل وانفجر كالبركان وطار غضبا الى القضاء يقاضيه ولنشر بين الناس ـ مكلفا نفسه الكثير من مصروفات النشر ـ أنه هو الصادق الأمين وأن فلانا هذا أفاك كاذب معتد أثيم .

ثم لو انك سألت هذا المتعاقل المتظاهر بسماحة العلم عن ما هية الاجتهاد وشروطه ونطاقه في مسائل العقيدة فأنه يلوذ بالصمت عجزا عن الجواب لا يزيد عن تهتهة او تأتأة او تظاهر بالتعالي عن الاجابة لأنه اعلى واجل واعلم من ان يسأل عن توافه الأمور سؤال التعجيز والاستشكال .

فليدع المتعاقلون المتظاهرون بسماحة الصدر ووسامة العلم الكلمة الحاسمة لأهل العلم والاختصاص . فان اللعب بالعقيدة لعب بالنار ولعب في النار .

فاذا قال الفاقه لدينه ان الجرأة على الله بتكذيب خبره الوارد في كتبه المنزلة أنما هو تكذيب لله فهو فسوق ومروق وردة ، فليسمع له الجميع وليعلموا أنه لا اجتهاد لصاحب دين سماوي في خبر الله فضلا عن أن يكون انكارا له .

ولنسم الامور بأسمائها ، فالاجتهاد هو الوصول الى حكم غير معروف لواقعة لم

وقفة تأمل

صداقة العدوّ

ما اضيع الانسان عندما يتحالف مع عدو له .. حتى ولو كان هذا الحلف ضد عدو مشترك آخر .. فما بالك اذا كان البعض يتحالف مع العدو ضد أخيه او صديقه .. واقع مؤلم هذا الذي يعيشه عالمنا اليوم .
ولقد عبر عن ذلك أصدق تعبير شاعرنا الخالد الذكر احمد شوقي حيث قال مصورا ما نقصد اليه :

فأر رأى القط على الجدار
والكلب في حالته المعهودة
فحاول الفأر اغتنام الفرصة
لعله يكتب بالأمان
فسار للكلب على يديه
فاشتغل الراعي عن الجدار
مبتهجا يفكر في وليمة
يجعلها لخطبه علامة
فجاء ذاك الفأر في الأثناء
رأيت في الشدة من اخلاصي
وقد أتيت أطلب الأمانا
فقال : حقا هذه كرامة
يكفيك فخرا يا كريم الشيمة
وانقض في الحال على الضعيف
فقلت في المقام قولا شاعا

معذبا في أضيق الحصار
مستجمعا للوثبة الموعودة
وقال أكفي القط هذي الغصة
لي ولأصحابي من الجيران
ومكّن التراب من عينيه
ونزل القط ، على بدار
وفي فريسة لها كريمة
يذكرها فيذكر السلامة
وقال عاش القط في هناء
ما كان منها سبب الخلاص
فامنن به لمعشري إحسانا
غنيمة وقبلها سلامة
انك فأر الخطب والوليمة
يأكله بالملح والرغيف
«من حفظ الاعداء يوما ضاعا»



للاستاذ / صلاح احمد الطنوبي

قال الله جل ثناؤه :(**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**)٢١ / الاحزاب .

كانت ايام الرسول العظيم محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم » كلها خيرا وبركة حفلت بالامجاد والمكرمات ، وكان شهر شوال من الشهور التي شهدت كثيرا من الاحداث البارزة ، والذكريات العظيمة التي حفلت بها حياة خاتم الانبياء والمرسلين محمد « عليه الصلاة والسلام » ..

ومن ابرز الأحداث والذكريات في شهر شوال :

(١) بناء النبي « صلى الله عليه وسلم » بعائشة « رضي الله تعالى عنها » :

في شهر شوال من السنة الاولى لهجرة النبي « صلى الله عليه وسلم » دخل النبي « عليه الصلاة والسلام » بزوجه عائشة بنت ابي بكر الصديق

فانتهزا الفرصة ، ولحقا بالمسلمين .

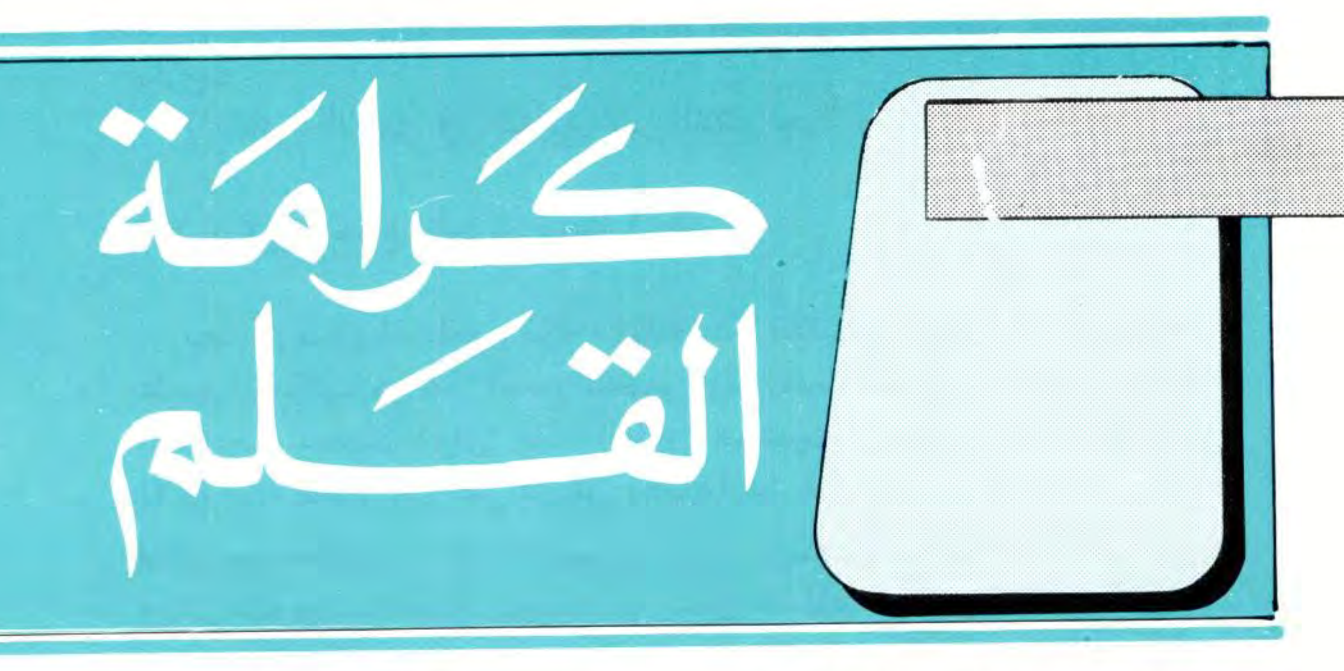
(٣) « عبد الله بن الزبير » اول مولود في الاسلام بالمدينة من المهاجرين :

في شهر شوال من السنة الاولى ولد عبد الله بن الزبير ، فكان اول مولود في الاسلام بالمدينة من المهاجرين ، ولما ولدته السيدة اسماء بنت ابي بكر الصديق « رضي الله عنهما » كبر المسلمون تكبيرة كبيرة عظيمة ، فرحا بمولده ، لانه كان قد بلغهم عن اليهود انهم سحروهم ، حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، وكان اول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة النعمان بن بشير ..

(٤) غزوة « بني قينقاع » شوال ٢هـ :

بعد النصر الالهي للمسلمين في غزوة بدر اغتاظ يهود بني قينقاع ، وبدت البغضاء منهم للمسلمين ، واظهروا مكنون ضمائرهم ، انتهكوا حرمة امراة من العرب قد قدمت الى سوق اليهود من بني قينقاع ، ومعها حلية جلست الى صائغ منهم بها ، فجعلوا يراودونها على كشف وجهها وهي تأبى ، فجاء يهودي من خلفها في غفلة منها ، فأثبت طرف ثوبها من اسفل بشوكة الى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها « عورتها » فضحكوا بها ، فصاحت فوثب احد المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود ، وهذا نقض لعهدهم مع محمد « صلى الله عليه وسلم » فانزل الله تعالي فيهم : **(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين)** ٥٨ / الانفال . وقد جمع الرسول « صلى الله عليه وسلم » رؤساء اليهود لابلاغهم عواقب اعمالهم . فقالوا له : « يا محمد لا يغرينك ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ، ولو لقيتنا لتعلمن اننا نحن الناس » .. وفي قولهم هذا تحد سافر لمحمد « صلى الله عليه وسلم » والاسلام ، فانزل الله جل ثناؤه قوله تعالى : **(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار)** ١٢ و ١٣ / ال عمران .

وقد بدأ بنقض الحلف عبادة بن الصامت احد رؤساء الخزرج ، وتشبث بالحلف عبد الله بن ابي وقال : « اني اخشى الدوائر » ، فأنزل الله تعالى فيهم : **(يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم**



كرامة القلم

ذكر الله عباده بفضيلة الكتابة ، ونعمة القلم ، وثمرة القراءة ، وجعل ذلك احدى آياته التي لا تحصى ، ونعمه التي لا تستقصي ، فقال عز من قائل : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ١ ـ ٥ .

وأقسم به تعالى في قوله : (**ن . والقلم وما يسطرون**) القلم/ ١ ولا يذكر الله سبحانه الا بنعمة جليلة انعم بها على عباده ، ولا يقسم عز وجل إلا بأمر خطير ، له في حياة عباده أبلغ الآثار .

وقد احصى ابن وهب وجوه البيان أربعة هي : بيان الاعتبار ، وبيان الاعتقاد ، وبيان العبارة الذي هو نطق باللسان ، وبيان الكتاب .

وقال عن بيان الكتاب إنه هو الذي يبلغ من بعد او غاب ، لأن بيان اللسان مقصور على الشاهد دون الغائب ، وعلى الحاضر دون الغابر ، وقد اراد الله أن يعم بالنفع جميع أصناف العباد ، وسائر آفاق البلاد ، فألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها ، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم ، وعبروا به عن ألفاظهم ، ونالوا به ما بعد عنهم ، وكملت بذلك نعمة الله عليهم ، وبلغوا الغاية التي قصدها الله في افهامهم ، وايجاب الحجة عليهم . ولولا الكتاب الذي قيد على الناس اخبار الماضين لم تجب حجة الانبياء على من اتى بعدهم ، ولا كان النقل يصح عنهم . ولذلك صارت الأمم التي ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب .

وقد قال العارفون في الموازنة بين دلالة القلم ودلالة اللسان : « القلم أحسن اللسانين ، والقلم أبقى اثرا ، واللسان اكثر هذرا » فاذا تحرى الكاتب الصدق فيما تخط يمينه جرت على اسلات قلمه آثار العلم ونفحات الايمان ، فعظمت الفائدة ، وتحققت رسالة القلم في نفع العباد ، وهدايتهم الى طريق الهدى والرشاد .

وإيمان الكاتب

للدكتور/بدوي طبانة

وما تخطه اقلام الكاتبين انما هو صورة لما تنفث صدور اصحابها مما كمن في اعماقهم ، وما انطبعت عليه نفوسهم ، وذلك مصداق القول المأثور في عالم الادب والنقد ، وهو ان الاسلوب هو الرجل !

حتى الالفاظ المختارة ، والعبارات المؤلفة ، تبدو فيها طبائع اصحابها ، والوان معارفهم ، كما تبدو فيها سجاياهم واخلاقهم . ولهذا كان لكبار الكتاب طرائقهم في الكتابة ، واساليبهم المتميزة في التعبير التي يستدل بها القارىء اللبيب على شخصياتهم ، ولو لم تذكر له اسماؤهم .

ومعنى ذلك ان ذخائر المعارف ونوازع النفوس تجد سبيلها في المداد الذي يجري على القراطيس ، ليعكس عليها آثار العقليات والنزعات ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ..

وهنالك مقياس من اهم المقاييس التي يقيس بها النقاد جودة الكلام ، ويقدرون على اساسه صناعة الكلام ، وصناع الادب . وذلك هو مقياس « الصدق » في التعبير عن النفس ، وعن المشاعر والعواطف التي تجيش في صدور الادباء او الكاتبين .

ومن هنا تستشعر الاقلام حاجتها الى ايمان اصحابها بما يكتبون ، وصدقهم في التعبير عن هذا الايمان ، لأن لذلك ابعد الاثر في تصديق ما يكتب الكاتب ؟ وفي تقبلهم لما يقول ، وذلك يؤدي الى الثقة به ، والى سمو منزلته وعلو مكانته بين انداده من الادباء والكاتبين .

والايمان هو سلامة الاعتقاد ، واطمئنان القلب الى ما تكشف له من اسباب الايمان . ومعنى ذلك ان الرأي هو الذي يمثل عقيدة صاحبه ، وان هذه العقيدة هي التي تنسج الرأي وتوجهه وتجليه ، وهي التي تمنحه بعد ذلك صفة الثبات والاستقرار .

اما الرأي الذي لا يرفده اعتقاد ، ولا يعضده ايمان ، فلا يوصف الا بأنه شقشقة لسان ، وتنسيق الفاظ ،

وتزويق كلام . ولا يستساغ وصفه بالرأي ، لأنه فقد صلته باليقين الذي لا وجود له في قلب صاحبه ، قبل ان يفقد اليقين الذي يراد له في قلوب الآخرين .

وقد يكون لفقد اليقين علامات منها انك ترى في احاديث اللسان او القلم التي لا تنبع من القلب ، ولا تنبعث عن اعتقاد ان القول يهدم في آخره ما حاول ان يبنيه في اوله ، وينقض في حديث لا حق ما اراد ان يبرم في حديث سالف ، لأنه لا عبرة عند صاحبه بحقيقة يتحراها ، او عقيدة تدفع الى التعبير عنها ، وضم عناصرها بعضها الى بعض ، ليجيء هذا التعبير محكما رصينا عن عقيدة صلبة راسخة .

ومن ذلك ايضا ان يختلف منطق القول عن واقع العمل ، لأنه لا قيمة للايمان من غير العمل الذي يقتضيه ذلك الايمان ، وهو الذي يدل عليه ويؤكده . وكأن الكاتب حينئذ يحاول ان يكتب فيما يعجب الناس ، او فيما يظن انه محبب اليهم ، من غير ان ينبع الاعجاب من ذاته .

وذلك هو السر في ان اكثر ما يقرأ الناس وما يستمعون اليه لا يقع من قلوبهم الموقع الذي يلائم بلاغة العبارة وفصاحة الاسلوب ، لأن ذلك لم يجاوز حدود الصناعة التي تدرب عليها الكاتب او المتكلم .

وذلك ضرب من النفاق الذي كرهه ربنا عز وجل ، وكبر عنده مقتا ، فقد كان الرجل يجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، وما فعل ، وكان يقول : قاتلت ، ولم يقاتل ، وصبرت ، ولم يصبر ، فأنزل الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون**) الصف/ ٢ و ٣ .

ان نظرة واحدة الى كثير من الكتابات يوقفنا على ان الكتابة - وهي صناعة شريفة - اصبحت حرفة ممتهنة ، ووسيلة الى جلب الخير ودفع الضر ، وستر النفاق ، بقدرة اصحاب هذه الصناعة الشريفة على التقلب بين المبادىء ، والتنقل بين الموارد والمصادر .

وعندئذ يصبح القلم اداة للكذب والتمويه ، ووسيلة الى الخداع والتضليل ، فيحيد عن الهدف المرجو ، ويتنكب الطريق السوي المستقيم .

ولذلك كان الصالحون يتحاشون كثرة الكلام الا اذا كان صادرا عن طبع وايمان ، لأنهم كانوا لا يريدون به الا وجه الله ، ولا يعنيهم احد سواه .

لقد عرف العلماء والحكماء فضل هذه النعمة الكبرى على عباده ، وما يسرت لهم من تحصيل العلوم والآداب ، وسائر ما يرقى بعقولهم وقلوبهم ، وما يصلح من احوالهم في معاشهم ومعادهم ، فدونوا بأقلامهم كل ما استطاعوا ان يثقفوه من دين وعلم وخلق ، وكل ما رأوا في تدوينه خيرا لغيرهم ممن لم يعلموا علمهم ، ولم يثقفوا ثقافتهم ، فأنقذوهم من ظلمات الجهالة ، وحالوا بينهم وبين اسباب التردي والهلاك .

ثم اضافوا الى تراث الانسانية ما

استطاعوا ان يضيفوه من العلم النافع والحكمة البالغة ، ومن آثار النور الذي ملأ الله به قلوبهم ، والهداية التي يسر لهم سبيلها ، والقدرة على النظر في ملكوت السموات والارض ، وما خلق الله فيهما .. وقد حفظ التاريخ لاولئك العلماء والحكماء فضل ما اسدوا الى الانسانية ، لتضيف اليه في مستقبل حياتها ما تستطيع ان تضيف ، حتى لا تبدأ التجربة من جديد .

وهناك فريق من حملة الاقلام ضلوا سبيل الهدى ، وحادوا عن منهج الحق ، فصارت هذه النعمة في ايديهم نقمة ، وجرت اقلامهم على القراطيس بما يعفي على القيم ، ويقتل روح الفضيلة ، كما تجري الافاعي تنفث السم الزعاف الذي يردى من اصابته حمتها .

وشأن القلم أو شأن الكتابة في هذا هو شأن كل شيء نافع جميل ، كالصحة والثروة والجمال ، فهذه كلها تؤدي الى الخير والصلاح اذا احسن الانتفاع بها ، وهي كلها شرور تؤدي الى الضرر والفساد اذا اسيء استعمالها .

وليست هذه الاقلام الفاسدة جديدة على عالم الكتابة ، فان الخير والشر موجودان في طبيعة البشر ، وجود الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، والفضيلة والرذيلة ، والنفع والاذى ..

ولكن ضرر هذه الاقلام الفاسدة اصبح في زماننا اشد ، وخطرها صار ابلغ في تصديع المجتمعات من ضرر ما كانت تكتب في العصور الخالية ، وذلك للدور الخطير الذي تلعبه الصحافة في اذاعة ما تنشر بين جميع الطبقات بعد ان كانت هذه الكتابات محصورة في الكتب المنسوخة التي لا تصل الا الى ايد بالغة القلة من القارئين .

ومنذ سنوات انتقلت الى اوطاننا الاسلامية والعربية تيارات من الانحلال الخلقي والاجتماعي التي انتشرت في اوربا بعد الحرب العالمية الثانية . وكان من ابرزها تلك البدعة التي فشت في شبابنا فيمن يسمونهم « الهيبز » وما نسميه « الخنفسه » . وقد قابل مجتمعنا هذه الظاهرة في شبابنا بالنفور والانكار والاشمئزاز . وكان في ذلك الانكار ما يدعو اولئك المقلدين الى الاقلاع عما انحرفوا اليه من هذه البدعة المنافية للذوق ، الخارجة عن حدود الادب .

وكنت قرأت فيما اتيح لي ان اقرأ منذ سنوات خبرين أثار أحدهما اعجابي ، وأثار الآخر اشمئزازي ..

اما الاول فقد كان يتمثل في نداء وجهه بابا المسيحيين الى نقابات الحلاقين يناشدهم فيه ان يتقوا الله في رؤوس الشباب التي يضعونها بين ايديهم ، فلا يحلقونها على نحو تأباه الفضيلة او ينتقص من مروءتهم ، او يخل بخصائص رجولتهم التي ينبغي

ان ينشـأ عليها شبـاب البـلاد ، ويـوجهوا نحـو الفضيلـة ومكـارم الاخـلاق والعمـل الجـاد النـافـع لحياتهم ، ومستقبل اوطانهم .

اعجبتني تلك الغيرة على الامة وشبـابها الـذين تنتظـرهم ليبنـوا برجولتهم ، وبسواعدهم الفتية امجاد الوطن . في حين انني لم أقرأ لواحد من رجالنا او كتابنا ما يشبه هذا التوجيه ، وكأن مثل هذا الامر لا يعنيهم في قليل او كثير .. اما الاخر فقد كان كلمة كتبها واحد من كتابنا ، اخذ فيها يفلسف ظاهرة « الخنفسة » التي انحرف اليها كثير من شباب الامة ، واخذ يصطنـع الاسباب ، ويلتمس المعاذير لأولئك المنحرفين ، ويعلل فشو هذه الظاهرة بان اولئك الشباب انما « تخنفسوا » ليعبروا عن شعورهم « بالقلق » الذي يعانونه في هذه المرحلة من مراحل حياتهم .

ومعنى ذلـك بايجـاز ان اولئك الشبان المدللين يعانون من مشاعر زعم الكاتب اللبيب انهم يحسونها في حياتهم ، وانهم لم يجدوا وسيلـة للتعبير عن هذه المشاعر التي استولت عليهم سوى هذه « الخنفسة » التي تبدو في تشبه الفتيان بالفتيات في ارسال الشعور ، واطالة الاظفار ، وتضييق السراويل ..

وسألت نفسي : اي انحدار بالفكر هذا الذي أقرأ ؟ واي اسفاف في ابتذال العلم بمثابة ذلك السخف ؟ واي تحريض على التمادي في ذلك الانحلال فوق هذاالتحريض ؟

ثم ما هذا القلق الذي يكابده شبابنا في هذا الزمان ؟ وما اسبابه ودواعيـه وهم يستقبلـون حيـاتهم بالعافية واشراقة الامل في نفوسهم ؟ ان نظرة واحدة الى هؤلاء الشباب ، والى الحياة التي يحيونها ، توقفنا على مدى ما ينعمون به من ترف ورفاهية ، وحياة كان لا يحياها آبـاؤهم ولا اجدادهم من قبل ، اللهم الا القليل من الافراد ، والقليل من ابناء الاسر التي من الله عليها بالسعة في الرزق ، والرغد في العيش ..

ان هذه النظرة الواحدة توقفنا على الفروق البعيدة بين حياة الأبناء في هذا الزمان ، وحياة آبائهم واسـلافهم الذين كانوا يلبسون ما خشن من الثيـاب ، وينامـون عـلى الحصر ، ويأكلون على الارض اقل ما تخرج لهم الارض ، ويستضيئون بلهب النار ، او بشعلة الزيت او شعلة النفط ، وعاشوا قانعين راضين بما رزقهم الله ، وبمـا قـدر لهم من نعمـة ، وانصرفوا الى العمل الجاد الصالح الذي ينفعهم في الدنيا والاخرة .

وتذكرت ما قال الصديق ابو بكر لعبد الرحمن بن عوف ، وهو يعوده في علته التي مات فيها : « والله لتتخذن نضائد الديباج وستـور الحريـر ، ولتألمن النوم على الصوف الأذربي ، كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان » ! ولقد صدق الصديق رضي الله عنه فيما توقع مما تصير اليه

احوال المسلمين اذا ابطرتهم النعمة ، وشغلتهم الدنيا .

ولو سلمنا جدلا بهذا القلق الذي يلف الشباب ، فهل « الخنفسة » هي الدرع الواقي ، والبلسم الشافي من ذلك الداء العضال ؟

ان الأمر لا يعدو في نظري ان يكون عبثا من القول ، في عبث من الفعل ، ودعوة الى الفساد ، وليس علاجا لداء من الأدواء ، او وهم من الأوهام التي يتصورها مثل ذلك الكاتب الفيلسوف ، الذي خان امانة الكتابة ، وكرامة القلم ، وانضم الى زمرة الشياطين الذين يزينون للناس ما توحي به اليهم نفوسهم المريضة ، واستهانتهم بالقيم الانسانية ، والاخلاق الفاضلة .

وبشرى للخائفين والقلقين !

ومرحى .. مرحى للكاتب الفيلسوف الذي استطاع ان يشخص لهم الداء ، ويستنبط لهم الدواء ، ويعيد اليهم الثقة بانفسهم ، وما ذهب من مروءتهم او رجولتهم !

وادهى من ذلك وامر ما كتبه واحد من كتابنا المعروفين الذي يوصفون « بالتقدميين » وهم في الحقيقة « تأخريون » ـ اذا صحت هذه النسبة ـ الى ابعد حدود التأخر ، لانهم يريدون ان يعودوا بالانسان الى البهيمية ، وقد اخذ هذا الكاتب يشجع الادباء ، بل يدعوهم الى التصريح في شعرهم وكتاباتهم بما تنكره مبادىء الدين واصول الاخلاق ، وما يأباه كل ذوق سليم .

يقول هذا الكاتب « التقدمي » ان الاديب اذا احتاج الى صراحة تامة في التعبير عن العلاقات الجنسية ينبغي ان يمنح هذا الحق ، وان له كل الحق في ان ينال الحرية في بحث مشاكل الجنس بصراحة كاملة ، كما يبحث العالم مسائل الغازات السامة .. ويقول انه ليس في الادب الجنسي ضرر نشأ عن هذه الصراحة فيه يساوي او يقارب الضرر الذي نشأ من الغازات السامة !

ويتمسح هذا الكاتب بعلم النفس الحديث الذي يدعي ان الصراحة وعدم الوقوف في وجه الغريزة الجنسية والكلام عنها ، كل ذلك لا يضر ، وقد يفيد .. الى اخر هذا الكلام الساقط الذي يشجع على الفحش ، وعلى المجاهرة بالرذيلة ، غير مبال بأثر تلك المجاهرة في اخلاق الشباب ، وتحريضهم على تنكب الطريق السوي ، والصراط المستقيم .

ان امثال هذه الكتابات المتمردة على مبادىء الحق والعدل بعيدة الاثر في تقويض المجتمعات ، وينبغي الا تجد لها طريقها الى النشر والاذاعة ، وان يؤاخذ كاتبوها على جرأتهم على الحق والخير والفضيلة ، وان يضرب على ايديهم ، ماداموا قد فقدوا الضمير الحي الذي يردعهم ، ويحول بينهم وبين الغي والفساد ، في كل امة يحرص قادتها على كرامتها ، وعلى شبابها الذين تعدهم لبناء امجادها بمثلهم الرشيدة ، وسواعدهم الفتية .

والذي نخلص اليه ان العلم الحقيقي ثروة لا تدانيها ثروة وعزة لا تدانيها عزة ، وكم من غني اذله حرصه على ماله وأهمه امر المحافظة عليه وارقه الخوف من الخسران او فوت الربح والطمع في جمع المزيد .

ولئن كان المال كالعلم في تطلع صاحبه الى الاستزادة منه حتى ورد في ذلك اثر « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » الا أن نهم العلم محمودة عواقبه سليمة نتائجه عظيمة بركته كلما زاد علم العالم ازداد بذلك استقرارا ورسوخا ونفعا . اما نهم المال فعلى العكس من ذلك وقلما سلم طامع في حطام الدنيا من الخسار ، كما انه لا يكاد يوجد مستزيد من العلم حل به كساد او بوار .

عزة العالم :

العالم من علمه في عزة ومنعة ، وفي لذة روحية لا تدانيها لذة ، وبخاصة حين يشعر بجدوى علمه ونتائج بحثه ، وهو فرح بالحق تياه بالمعرفة ـ في غير عجب ـ حتى قال احدهم : نحن في لذة لو ادركها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .

ولا بد من وضع ضابط للعالم الذي يشعر بالعزة ويدرك معناها ..

ذلك هو الذي يعرف للعلم حقه فلا يدنسه بالاطماع ولا يشوهه بالآثام ولا يحقره بالامتهان هو الذي يعمل بعلمه ويطابق قوله فعله ، لا يتناقض فيصبح امثولة بين الناس .

هو الذي يدرك انه بعلمه رفعه الله منزلة عالية دونها كل منازل الارض فهو النجمة المحلقة التي يتطلع اليها الناس ، بل هو الشمس المشرقة التي تعيش في ضوئها الكائنات ، انه كما يقول الشاعر :

ما الفخر الا لأهـل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء

ان العلم حياة والجهل موت ، ففضل العالم على غيره هو فضل الحي على الميت ولا يستوي الأحياء ولا الأموات .

فالعالم الحق هو الذي يدرك ذلك ، ويدرك معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم » رواه الترمذي .

وفي هذا الاثر لفتة كريمة بارعة ترفع قدر العالم الى منزلة النبوة المشرفة التي تأخذ بأيدي الناس من الظلمات الى النور ، والتي تستمد عزتها من عزة الاله القادر فتستنصر به فلا يرهبها سلطان ولا يزلزلها بهتان ولا يضعفها اغراء ولا يغويها استعلاء .

بهذا الفهم كان العلماء سادة الدنيا ، وبهذا الفهم رفض الامام مالك ان يسعى الى بغداد ليقرأ عليه هارون الرشيد الموطأ ـ كما حدث بذلك الشيوخ ـ بل قال حين طلب منه ذلك : العلم يسعى اليه ولا يسعى العلم الى احد . فقصده هارون الرشيد في المدينة ونصب له كرسيا ليجلس عليه في مسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، وخرج مالك الى حلقته ورأى هارون مستويا على الكرسي في المسجد ، وجلس مالك على الارض ليقرأ الحديث ـ كعادته ـ فكان اول ما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله » رواه ابن ماجة فنزل هارون وجلس على الأرض مثل بقية الناس .

هذا درس في عزة العلماء حين يعرفون قدر النعمة التي افاءها الله عليهم ، فلا يعرضونها للابتذال ، وماذا يتبقى في الدنيا اذا ضاعت كرامة العلم ..

ان الدنيا محفوظة مادامت كرامة العلماء محفوظة ، فاذا ذهبت كرامتهم ضاعت هيبتهم وضاع العلم بضياع هيبتهم ، وفي ضياع العلم ضياع للحياة نفسها .

هذه العزة التي لبس تاجها العلماء الأفاضل هي التي مكنتهم من ان يكونوا قدوة لغيرهم في الخير ومنارا يهتدى به الحكام في الاصلاح والعدل ومكنتهم من ان يجهروا بكلمة الحق لا يخشون في الله لومة لائم ، حتى قصدهم الخلفاء واستنار بهم الامراء واستضاء بنورهم الوجهاء .

وهذه العزة هي التي حلتهم بالشجاعة الأدبية ، فلم يخافوا بطش الحكومات الجائرة ولم يضعفوا امام سطوة الجهل وجبروت الطغيان .

● مثل سعيد بن جبير رضي الله عنه امام الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقال له الحجاج وكان غاضبا عليه ويريد ان يقتله ـ ما اسمك .. فقال سعيد بن جبير .
قال الحجاج : بل شقي بن كسير .
فقال سعيد : امي اعلم باسمي منك .
فقال الحجاج : شقيت وشقيت امك .
فقال سعيد : الغيب يعلمه غيرك .

قال الحجاج : لآبدلنك بالدنيا نارا تتلظى .
فقال سعيد : لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها .
قال الحجاج : الويل لك يا سعيد .
فقال سعيد : بل الويل لمن زحزح عن الجنة وادخل النار .
قال الحجاج : اختر لنفسك نوع القتلة التي تريد ان تقتل بها .
فقال سعيد : بل اختر انت يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة .

وحين ولى به ليقتل ضحك سعيد ، فقال الحجاج ردوه ، ثم سأله : ما يضحكك ؟
فقال سعيد : ضحكت من جرأتك على الله وحلم الله عليك .. وقتل سعيد ولم يبد عليه جزع .

هذا حوار دار بين رجل عالم تقي ورع متأهب للموت وبين حاكم قوي كان يتباهى بسلطانه وجبروته ، ومع ذلك لم يستطع الحجاج بن يوسف ان يرهب هذا العالم الذي استعز بسلطان العلم واستنصر بعزة الله .

لم يأبه للموت لانه يعلم بأنه نهاية كل حي ، ولأن يمضي شهيدا خير له من ان يمضي غير شهيد ، والعلم الحقيقي يكشف الحجاب عن صاحبه فيرى منزلته عند ربه فيشتاق لها ويتعجل اللقاء .. والعلم الحقيقي هو الذي يكسب صاحبه الزهد في الدنيا وايثار الاخرة على الاولى فعلام ـ اذن ـ يحرص على البقاء في الدنيا وقد اتيحت له فرصة ذهبية للمضي الى الاخرة في موكب من النور والشهادة ؟ ..

وظل هذا الموقف الذي وقفه سعيد بن جبير يؤرق الحجاج خمسة عشر يوما بعد ان امر بقتله ومات الحجاج فرقا ورعبا ، فقد كانت الدعوة التي دعا بها سعيد وهو مسوق الى القتل ، اللهم لا تسلطه على احد بعدي ..

○ مثل آخر :

وبعزة العلماء هذه واجه ابو مسلم الحولاني معاوية بن ابي سفيان حينما دخل عليه يوما فقال له : السلام عليك ايها الأجير .

وحاول الناس ـ وهم الناس في كل زمان ومكان ـ ان يوجهوه في خطاب الخليفة وجهة اخرى ، فقال لهم معاوية السياسي المحنك : دعوه فان ابا مسلم يعرف ما يقول .

ثم يقول أبو مسلم لمعاوية :

انما مثلك مثل اجير اؤتمن على ماشية ليحسن رعيها ، ويوفر لبنها ، وينمى الصغيرة ، ويسمن العجفاء ، فان هو فعل ذلك استحق اجره وزيادة ، وان لم يفعل ذلك نزل به عقاب مستخلفه ولم ينل اجرا . يا معاوية انك ان عدلت مع اهل الارض جميعا ثم جرت على رجل واحد مال جورك بعدلك .

يا معاوية ، لا تحسبن الخلافة جمع المال واغداقه ، انما الخلافة العمل بالحق والقول بالمعدلة واخذ الناس في ذات الله ، يا معاوية ان الناس لا يبالون بكدر الانهار ماصفا النبع وطاب ، وان مكان الخليفة من الناس مكان النبع الذي يرجون صفاءه .

اهناك عزة ابلغ من هذه العزة التي لم تمنع صاحبها من ان يقول قولة حق لخليفة المسلمين تحيط به حاشيته وسلطانه ، وهم يحاولون ان يطامنوا من عزة هذا الناصح ويرفعوا من كبرياء المنصوح ؟؟

ولكن الخليفة كان واعيا لبيبا عاقلا ، عرف كيف يستفيد من النصح ويحتفظ للعالم بعزته وكرامته ، فقبل منه النصح وكفكف من غرب حاشيته حين قال لهم في حزم : « ان ابا مسلم يعرف ما يقول ؟؟

لقد كان نصح ابي مسلم خالصا لوجه الله ، عارفا منزلته عند ربه ملبيا لامره حين قال في محكم كتابه : (**ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) ال عمران / ١٠٤ - ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذي وقال حديث حسن - رياض العارفين صـــ ١٠٧ .

كان هناك حكام - يستجيبون ويقدرون العلم واهله ويتعرضون للعلماء طالبين النصح والمشورة فلا يبخل عليهم احد بذلك حسبة لله وابتغاء رضوان الله واستجابة لامر الله .

عرف العلماء قدر العلم فصانوه ورفعوا قدره فرفعهم الله بالعلم الى اعلى منزلة ، واعزهم ورسم لهم هالة مشرقة فياضة بالنور . قصد هارون الرشيد مرة الفضيل ابن عياض ليستمع الى وعظه ، فوجده في مكان موحش وفي غرفة مظلمة ، فجال هارون ومعه حاجبه في الغرفة حتى وجده ، فمد اليه يده ليسلم عليه ، فقبض عليها

الفضيل وقال له : ما الينها يدا ان نجت غدا من عذاب الله .

وبكي هارون من وعظ فضيل له حتى قال له حاجبه : ارفق بأمير المؤمنين . فقال فضيل : ويحك ، تقتله انت واصحابك كل يوم وأرفق به انا .. يقصد ان بطانته بممالأته وتملقه تزين له ما يكون سببا في هلاكه في الآخرة .

واراد هارون ان يقدم لفضيل مالا ، فرفض فضيل قبوله ـ على رغم حاجته ـ وقال له : عجبا لك ادلك على النجاة وتدلني على الهلاك .

وخرج هارون يتعثر في مشيته ، ثم سمع صوت امرأة تقول لفضيل : انك تعلم حاجتنا ، افلا قبلت المال لنفرج به ضائقتنا ؟ ..

فقال لها فضيل : انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يخدمهم ، فلما كبر البعير ذبحوه واكلوه . يا اهلي موتوا جوعا ولا تذبحوا فضيلا .

ولقد اطمع هذا الحوار هارون في ان يعود الى فضيل فيقبل المال ، ولكن فضيلا غضب وتركه ولم يرد عليه ، فانصرف هارون يائسا ..

لكنه لم يغضب لأن العالم رفض هبته .. بل ازداد العالم رفعة في قلبه ، وقال هارون لحاجبه : ان اردت ان تدلني فدلني على مثل هذا ..

لقد ادرك هارون ان دولته لن تعز الا بعز العلماء وان سلطانه لن يقوى الا باكرامهم فعرف لهم منزلتهم حتى اثر عنه انه كان يصب بنفسه الماء على يد بعض العلماء اكراما لهم .

فعل ذلك مع ابي معاوية الضرير . وقال له يوما : من صب الماء على يديك ؟ قال : لا ادري . قال هارون : انا . فقال ابو معاوية : اعزك الله كما اعززت العلم واهله .

هكذا كانت عزة العلماء ، لم تهن ولم تضعف ولم تنحن امام الاغراء وما اكثره في خزائن الامراء ، وامتدت بذلك قامة اولئك العلماء حتى تضاءلت امامها القامات ...

انها العزة التي يقول الله عنها في كتابه الكريم : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) .



للاستاذ / معالي عبد الحميد حموده

لا يمكن للتاريخ ان يطوي حوادثه مطلقا .. والتاريخ اذا تبدل الزمان والمكان ـ وهما يتبدلان طبقا لسنة الله في الخلق ـ فانهم دائما يقولون ان التاريخ يعيد نفسه .

وها نحن نحيا في عام هجري جديد بعد نهاية القرن الرابع عشر الهجري وخلال هذا التاريخ الهجري وقعت حوادث جمة وتبدل الزمان والمكان وخسر من خسر وفاز من فاز ولكن علينا ان نعي تماما ان التاريخ يعيد نفسه .

وما نعيشه ـ نحن المسلمين ـ في مطلع القرن الخامس عشر الهجري يؤكد ذلك تماما ويؤكد ان هذه الاعادة التاريخية الممثلة في وقوف الاسلام بين الصليبية والمغول مرة اخرى .

وقبل ان نتعرف من التاريخ على الوقفة الاولى التي وقفها الاسلام ضد الصليبية والمغول فان المتأمل لخريطة العالم الاسلامي الان وبكل الدقة والتفصيل يجد الاعادة التاريخية

لوقفة الاسلام ضد الصليبية والمغول ولكن هذه الاعادة التاريخية حدث بها تبدل في الزمان والمكان وحدث تبدل في المواقع ولكن الاهداف الاساسية ضد الاسلام هي هي لم تتغير ولم تتبدل بل انها صارت في القرون الهجرية الاخيرة تنمو بشكل عدائي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية كلها ولكن نفس الاعداء هم هم ونفس التحالف ضد الاسلام هو هو ونفس المخططات هي هي ويتجمع هذا كله في وعاء واحد هو : ابادة الاسلام .

ومن اوراق التاريخ الذي لا يكذب نتأمل ما فعلته الصليبية والمغول ضد الاسلام في القرون السابقة ثم نتعرف على ماتفعله الصليبية « والمغول » ضد الاسلام في العصر الحديث ولن نزيد او ننقص الا ان نقدم هذه الاوراق التاريخية لشباب الاسلام الذي يقوم - والفضل لله تعالى - بحركة يقظة اسلامية وبعث اسلامي لاستعادة ما خسرناه ومن اجل التيقظ التام تجاه اعداء الاسلام .

انتصار الاسلام على المغول

المغول هم في الاصل قبائل بدوية همجية موطنها الاصلي وسط اسيا وحضارتها بدائية متأخرة ، ويتجه المغول كثيرا الى الغزو للقتل والسلب والنهب ، فكانوا يغيرون على المدن المجاورة لهم يرتكبون اعمال العنف والارهاب ، ولم يكن غزوهم من اجل نشر عقيدة او فكرة او حضارة انما كان همهم التخريب والتدمير .

وكان المغول قبائل وثنية متفرقة متنابذة وظلوا على هذا الحال الى ان تمكن « جنكيز خان » من جمع كلمة المغول وتوحيدهم ثم اتجه نحو الشرق غازيا مدمرا كاسحا ، ففتح الصين في اوائل القرن ١٣ م ثمل نقل المغول نشاطهم الى غرب اسيا ثم شرق اوربا فمنطقة الشرق الاوسط وهي ما تعنينا .

في منتصف القرن ١٣ م بعث خاقان المغول « منكوخان » اخاه « هولاكو » لفتح ايران والشام ومصر وبلاد الروم السلاجقة والارمن .

ونجح المغول في منتصف هذا القرن في القضاء على الدولة الخوارزمية والسيطرة على ايران ، بعد ان اتت الدولة الاسلامية الخوارزمية بضروب اسطورية من الشجاعة والبسالة والمقاومة .

لم تتوقف احلام المغول عند هذا الحد ، ولكن بدأ المغول يتطلعون الى القضاء على الدولة العباسية - وكانت الدولة العباسية للاسف قد وصلت الى درجة كبيرة من الضعف نتيجة الانقسامات المذهبية وانقسام القوى الاسلامية وسيطرة العناصر الاجنبية على الدولة .

ويهمنا هنا ان نذكر ان المغول لم يكن هدفهم - خاصة وان عدوهم هو الاسلام - هو التدمير والوحشية حسبما كانت اهدافهم الاولية ايام جنكيز خان ، ولكن كان المغول يختبرون المقاومة الاسلامية وفي هذا يقول المؤرخ الكبير ابن الاثير في كتابه

« الكامل في التاريخ » :

« ولا تظنوا ان هذه الطائفة التي دخلت نصيبين .. والتي وصلت الى اربل كان مقصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا هل في البلاد من يردهم ام لا ؟ فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك وعساكر فقوى طمعهم » .

وبدأ المغول تجهيز الحملة الضخمة الشهيرة لغزو الدولة العباسية والقضاء عليها .

الصليبية والمغول ضد الاسلام

تعرض الاسلام في تلك المرحلة الدقيقة الى خطرين داهمين خطر المغول من جهة الشرق وخطر الصليبيين من الغرب .

بدأ المغول في اعداد الحملة لغزو الدولة العباسية والقضاء عليها ثم المضي قدما في طريق الغزو واجتياح العالم الاسلامي العربي في بلاد الشام ثم مصر .

في نفس الوقت كان هناك الصليبيون في بلاد الشام وكانوا قد نجحوا سنوات طويلة سابقة في السيطرة على بعض مدن الشام - خاصة المدن الساحلية - لكن المسلمين العرب صمدوا وكافحوا ببسالة منقطعة النظير حتى ادرك ابناء الصليب عجزهم - امام ابناء امة لا اله الا الله محمد رسول الله - وبدت بوادر انسحابهم من الشرق العربي ، واقتصر نفوذهم على مناطق محدودة في بلاد الشام على ساحل البحر المتوسط .

رأى ابناء الصليب ان ينقذوا كرامتهم ومصيرهم ، فجهزوا حملة صليبية جديدة قادها ملك فرنسا لويس التاسع الذي جاء الى جزيرة قبرص ١٢٤٨م ليتخذ منها قاعدة هجوم على مصر باعتبار ان مصر مركز المقاومة الاسلامية العربية للصليبيين ، وقد خرجت من مصر كل الجيوش التي الحقت بالصليبيين في الشام افدح الخسائر .

علم هولاكو وهو يستعد للقضاء على الدولة العباسية بنزول لويس التاسع في جزيرة قبرص ، وكان كل فريق منهم يطمع في السيطرة على الشرق العربي ولم يكن هناك بد من الصدام بين الفريقين الطامعين حول الغنيمة .

ولكن رأي الفريقان ان يتفقا اتفاق اللصوص على اقتسام هذه الغنيمة الكبرى التي يسيل لها اللعاب ، اوفد « هولاكو » سفراءه الى لويس التاسع يعرض عليه تعاون - بل قل تواطؤ - المغول والصليبيين بل ويرى بعض المؤرخين ان لويس التاسع لم يهاجم مصر الا بتحريض من المغول ذلك ان هولاكو كان يتأهب لغزو العراق واسقاط الخلافة العباسية وخشي ان

تهب مصر كعادتها للدفاع عن الاسلام والعروبة ، فرأى ان يشغل المصريين بمواجهة الخطر الصليبي كي ينفرد هولاكو بغزو العراق ..

كانت اللحظة جريئة ومليئة بالدهاء ..

استقبل لويس التاسع سفراء هولاكو بالبشر والترحاب ، أليس الهدف هو القضاء على الاسلام ؟ وبذل كل قطيع حاقد كل جهده في تنفيذ شروط الاتفاق ، فاتجه لويس الى مصر وتقدم هولاكو نحو العراق وبدأ تنفيذ المؤامرة .

ولكن اذا بالقطيع الصليبي يتلقى لطمة مؤلمة ، اذ اخفقت حملة لويس التاسع على مدينة « المنصورة » واضطر لويس الى طلب الصلح ، بل عرض على السلطان - وقتها - « توران شاه » ان تنسحب الحملة الصليبية من مصر مقابل ان يتنازل توران شاه له عن بيت المقدس .

ورفض السلطان المسلم هذا العرض رفضا تاما فالقدس اسلامية عربية ولا بد ان تظل كذلك دائما .

واندلع القتال ثانية ونجح المسلمون المصريون في إلحاق الهزيمة الهائلة بالصليبيين عند مدينة « فارسكور » ، وقتلوا من ابناء الصليب اكثر من سبعة « الاف » بل ان الملك لويس التاسع نفسه وقع في الاسر وتم ايداعه في دار القاضي ابن لقمان بالمنصورة .

لم يكن امام لويس التاسع الا ان يدفع فدية مالية ضخمة لقاء اطلاق سراحه واخفقت الحملة الصليبية تماما ، وعاد القطيع الصليبي يجر اذيال الخيبة والفشل ..

بعد هزيمة الصليبيين واندحارهم بدأ تنفيذ الشق الثاني من التحالف الدنس ، اذ تهيأ هولاكو لغزو الدولة العباسية وعن طريق المكيدة والخيانة تقدم هولاكو على رأس جيش مغولي ضخم وتم سقوط بغداد في المحرم ٦٥٦ هجرية « ١٢٥٨م » وظل المغول يقتلون المسلمين وكبار الفقهاء وعلماء الاسلام وكبار رجال الدولة العباسية واستمر القتل والسلب والنهب في بغداد ، وكانت اخر عبارة قالها خطيب مسجد بغداد في اخر جمعة اقيمت في بغداد قبل اجتياح المغول « اللهم اجرنا في مصيبتنا التي لم يصب الاسلام واهله بمثلها وانا لله وانا اليه راجعون » .

ونجد من اقوال التاريخ ما يشير الى نقطة خطيرة ، وهي ان الغزو المغولي انما هو امتداد للغزو الصليبي ، ذلك ان زوجة هولاكو كانت مسيحية على المذهب النسطوري ، واستخدمت كل وسائلها في حث زوجها البربري الهمجي على تدمير الاسلام وقتل ابنائه وتصفية المجتمعات المسلمة .

الاسلام يقهر المغول

اجتاح المغول مدن الشام في ٦٥٧ هجرية « ١٢٥٩م » وفتح هولاكو عدة مدن هامة ، ثم بدأ المغول في غزو مدينة حلب هذه المدينة الباسلة التي دافعت دفاعا مجيدا واستشهد كثير من اهلها ولم يتمكن هولاكو من اقتحامها الا سنة ٦٥٨ هجرية « ١٢٦٠م » معتمدا على الخيانة والغدر ، واقدم المغول على كثير من المذابح والفظائع التي لم يشهدها التاريخ من قبل .

بعدها تقدم المغول صوب دمشق وبعد مقاومة اسطورية لدمشق وابنائها المسلمين ضد المغول ، استولى عليها المغول وأعملوا كعادتهم في اهلها القتل والسلب والنهب .

وصل المغول الى مدينة غزة بفلسطين - ردها الله تعالى - واصبحوا قاب قوسين او ادنى من مصر ..

كان يحكم مصر وقتئذ امراء المماليك الذين وحدهم الاسلام ، فوقفوا وقفة هائلة استعدادا للمجابهة المقبلة .

سال لعاب هولاكو بعد سلسلة الغزوات المتتالية ، وظن انه سوف يستولى على مصر في ساعات ، بيد ان الاسلام اذا خسر في مواقع فانه الدين الوحيد الذي يجعل ابناءه يسرعون بتضميد جراحهم والوقوف صفا واحدا للدفاع عن دينهم وشرفهم ووجودهم وكيانهم .

وقعت معركة « عين جالوت » والتقى الجيشان الجيش المسلم المصري بقيادة سيف الدين قطز ، والجيش المغولي في عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨ هجرية « ٣ سبتمبر ١٢٦٠ م » ودارت معركة رهيبة شرسة وابدى ابناء الاسلام بسالة منقطعة النظير ، وظل نداء « وا اسلاماه » الذي يردده سيف الدين قطز يدوي في انحاء المعركة حتى نصر الله المسلمون .

وانتهت موقعة عين جالوت بهزيمة ساحقة للمغول وبانتصار عظيم للامة الاسلامية .

والآن ..

التاريخ كما قلنا يعيد نفسه .. فها هي الصليبية متعاونة مع الشيوعية - والصهيونية على حرب الاسلام ، متفانية في الكيد له..

افرز التحالف الدنس ضد الاسلام تطبيقات عملية فرأينا زرعا لجسم دخيل في قلب الامة الاسلامية والعربية ، هذا الجسم هو ما يطلق عليه دولة اسرائيل .. اسرائيل هذه التي كانت عملا مباشرا للتحالف الصليبي والشيوعية ضد الاسلام .. اسرائيل هذه التي وقفت بريطانيا الصليبية وراء انشائها بكل ما تملك من قوى وجهد .. واسرائيل هذه التي وقف الاتحاد السوفييتي - والولايات

المتحدة الامريكية ـ منذ الوهلة الاولى لساندتها ومؤازرتها .. بل ويقوم الاتحاد السوفييتي الان باخطر ما يمكن عمله لتقديم الجهد البشري العلمي لاسرائيل ، ويتمثل في سماح الاتحاد السوفييتي بهجرة العقول البشرية الصهيونية الى اسرائيل .

ثم تولى الفريقان الشيوعية ـ احفاد المغول ـ والصليبية العدوان على الاسلام فسقطت مجتمعات مسلمة تحت نير الصليبية الحديثة ـ مثلا ـ عندما اقدم القس الكاثوليكي صاحب الاصابع الملوثة بدماء المسلمين : جوليوس نيريري على غزو اوغندا « بمعاونة الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا » وكانت « الجريمة » ان رئيس اوغندا وقتها كان مسلما وباعتبار ان الاغلبية الساحقة في اوغندا مسلمون كان هذا سببا كافيا ان يقوم نيريري بغزو اوغندا وقتل ابنائها المسلمين وهتك عرض فتيات اوغندا المسلمات ، ويقف العالم الصليبي سعيدا منتشيا مباركا لهذا الغزو .. ثم ناهينا عما تفعله الصليبية الحديثة في العديد من المجتمعات المسلمة ..

ثم ما فعلته الشيوعية هي الاخرى بالبلدان والشعوب الاسلامية وآخرها ما يدور في افغانستان المسلمة ..

والقائمة طويلة ويصعب حصرها .. ولكن اثبت التاريخ الحديث ان اي عمل يتم ضد الاسلام ـ كدين ودولة ـ فانه يكون قد تم الاتفاق عليه مسبقا بين الولايات المتحدة الامريكية « زعيمة الصليبية الحديثة » وبين الاتحاد السوفييتي « زعيم مغول القرن العشرين » وهكذا ..

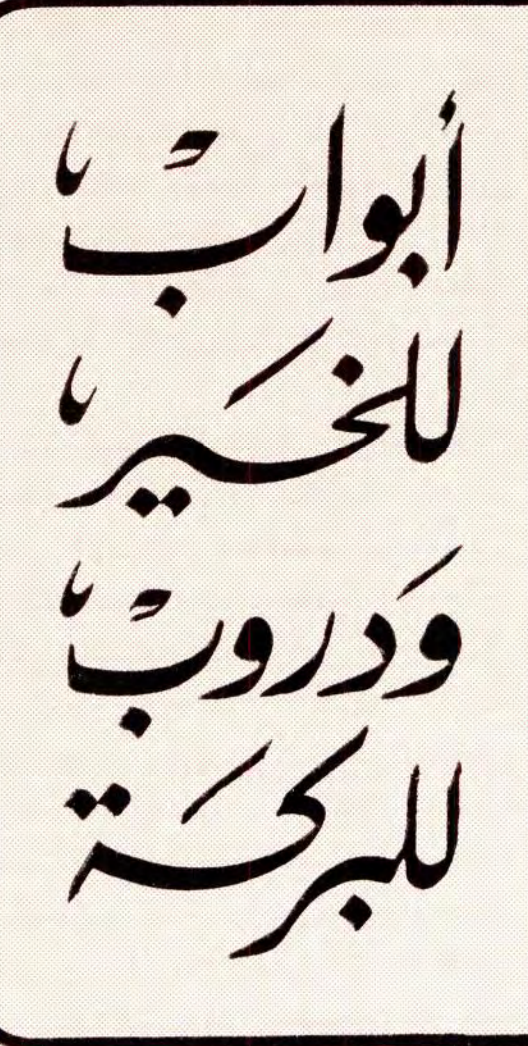
ان مسئولية العالم الاسلامي جد خطيرة في هذا القرن الخامس عشر الهجري ، هذه المسئولية التي تلزم العالم الاسلامي بأن يفيق ليرى ما تحت اقدامه وما يحمله امتداد البصر ، صحيح ان العالم الاسلامي استقل سياسيا ، ولكن علينا ان نواجه الموقف مواجهة صريحة ، فاذا كان العالم الاسلامي قد تحررت اقطاره المسلمة من الاستعمار والغزو المباشر ، الا ان بعض اقطاره مازالت تئن تحت الغزو الاستعماري غير المباشر سواء من الصليبية او المغول .

وعلى شعوب العالم الاسلامي وحكامه ان يعلموا ان التاريخ يعيد نفسه ، وان الصليبية ومغول القرن العشرين قد تحالفا ثانية ضد الاسلام .

وان الامة الاسلامية لن تعدم ان تفيق من سباتها ، وأن يعيد التاريخ نفسه ثانية وينصرنا الله تعالى على الصليبية ومغول القرن العشرين .

قال تعالى :
(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) الحج / ٤٠ .

الأعياد





للدكتور/ زيدان عبد الباقي

العيد في جوهره - ليس يوما بالذات ، أو تاريخا بالذات ، ولكنه معنى يتجسد في « **يوم** » **أو** « **تاريخ** » .. معناه المودة والصفاء والأخوة بين البشر ، وترك الأحقاد والضغائن والخلوص لله راحم الجميع ، والمهيمن على الكل . فاذا آمنا به فقد هدينا الى خير منهاج ... ومن ثم فلا نميل الى الاستعلاء أو القهر أو الطمع والجشع ، أو الجريمة والعدوان .. الخ . ولا تكون لدينا أي رغبة في الاستيلاء أو الاستحواذ على ما لدى الغير ، أو إهانة هذا الغير وإذلاله .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاسلام ـ وهو الدين الذي ارتضاه الله للبشر كافة ـ منذ خلقهم والى أن يرث الله الارض ومن عليها ... هذا الدين خطا خطوة حضارية بالحياة الانسانية وبمختلف أنماط السلوك الانساني . وذلك بصبغته للأعياد بالصبغة الانسانية ، بحيث أصبح العيد ـ في ظلاله ومع مسيرة الرسالة المحمدية ـ ميقاتا كريما ـ بما تتجلى فيه المعاني السامية والأخلاق الفاضلة والعقيدة القويمة ، والعبادة الخالصة ، التي تعد جميعا ثمرات دانية القطوف لما للدين الصحيح من أثر تربوي في التنشئة الاجتماعية ـ أو التطبيع الاجتماعي ـ للأفراد .

ارتباط الأعياد الاسلامية بالعبادة

والأعياد الاسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعبادة ، بصورة تؤكد حكمة الاسلام في مزجه بين الدين والدنيا في نسيج اجتماعي واحد محكم لحمته السلوك البشري والنشاط الانساني ، وسداته التوجيه الالهي والسنة النبوية ، ليكون هذا العمل راشدا قويما . ومن هنا :

فقد ارتبط **عيد الفطر المبارك** بعبادة الصيام ليعيش فيه المسلم تغمره مشاعر الارتياح بأداء الواجب العظيم ، والنهوض بالأعباء الثقال .

و يتكرر عيد الفطر المبارك مرة واحدة كل عام ليكون « **فرحا** » وليكون « **جزاء** » على الالتزام بآداب الدين أثناء القيام بعبادة الصوم التي كفل الله لمن يؤديها ايمانا واحتسابا ما لم يكفله للمسلم في اي عبادة اخرى فقد قال صلى الله عليه وسلم « **اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي** » :

ـ اما الاولى : فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم . ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا .

ـ اما الثانية : فان خلوف افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك .

ـ اما الثالثة : فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة .

ـ اما الرابعة : فان الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي او شكوا ان يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرمي .

ـ اما الخامسة : فانه اذا كان اخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم : اهي ليلة القدر ؟ قال : لا الم تر الى العمال فاذا فرغوا من اعمالهم وفوا اجورهم » .

وقد روي ـ ايضا ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **اذا كان**

يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على ابواب الطرق تنادي : أغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل . لقد امرتم بقيام الليل فقمتم . وامرتم بصيام النهار فصمتم واطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم » . فاذا صلوا نادى مناد ان الله قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو « **يوم الجائزة** » . وفي نطاق هذا قال تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** » (البقرة ١٨٥) .

والعيد لغة اسم مشتق من العود او من عاد يعود فهو عيد لانه مناسبة متكررة وقد فطنت العامة الى هذا المعنى بقولها - عند تبادل التهاني - في الاعياد بقولهم لبعضهم البعض « **بعودة الايام** » فما احسنه دعاء ، وما احسنها تحية . اذاً العيد هو أزهى ما يحتفل به الانسان ينتظره الصغار من أبنائنا ليصيروا كبارا مثل الآباء . و الكبار - كذلك - ينتظرونه ليسترجعوا ذكريات طفولتهم وليجتروا ازهى ذكريات الحياة وليعيشوا اجمل لحظات العمر الذي انقضى منه الكثير . ولكن حلاوته لا تزال عزاء عن كبر السن .. نعم ان العيد فرح ومرح وسرور وبهجة .. بل انه بمثابة الواحة الخصبة التي يأوي اليها المسافر المجهد ليستروح في ظلالها بعض الوقت فيسترد قوته وقدرته على مواصلة السير في الطريق المرسوم لحياته على هذه الارض .

وارتبط **عيد الأضحى المبارك** بعبادة الحج إذ يكون في اليوم التالي ليوم الحج الأكبر يوم عرفة حيث يتحلل الحجيج من إحرامهم إيذانا بانتهاء الجانب الأكبر من أعمال الحج . وبالتالي تمتلىء نفوسهم المؤمنة بالتقوى والاطمئنان ، وتعتريهم أحاسيس الراحة والرضا ، والشعور بانجاز الركن الخامس من أركان الاسلام . كما يرتبط بمبدأ « **التضحية** » موضوعا ولقد كان « **عيد الفطر** » **اول عيد احتفل به في الاسلام في المدينة المنورة** » بعد الهجرة في السنة الثانية . فقد كان لأهل المدينة يومان يحتفلون بهما ويلعبون فيهما - في الجاهلية - فسأل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما هذان اليومان ، فقالوا هما يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال صلوات الله وسلامه عليه « **ان الله ابدلكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى** » (رواه انس) فقد حرص صلى الله عليه وسلم على ان يكون للامة الاسلامية كيانها الفائق المميز حيث نهى عن التشبه بأصحاب الملل الاخرى . ونهى عن التقليد والانقياد الأعمى واتساقا مع هذه « **الاستقلالية الذاتية للامة** » فقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم ان يحتفل المسلمون بأعياد الجاهلية ومن ثم امر المسلمين باسقاط هذه الاعياد من حسابهم ومن حياتهم ايضا .

والأعياد في الاسلام اثنان لا ثالث لهما ، وكل عيد منهما مرتبط ـ كما أوضحنا ـ بعبادة من العبادات الاسلامية الأساسية ، حتى لا تكون كثرة الأعياد وعدم ارتباطها بالدين وسيلة للتفريط في الواجب أو التهاون في العمل ، أو تعظيم من ليس لهم حق في التعظيم من البشر أو الموجودات أو القيم الاجتماعية السلبية ، أو التفاهات التي يرجى لها أن تكون شيئا مذكورا في حياة الناس . ومن المعروف أن هذه الأعياد لا ترتبط بالدين ولا تنبع من القلوب وإنما تفرض على الناس فرضا ... تحشد لها الحشود والبنود وعدسات التصوير . ويجري الالحاح على الاحتفال بها ليل نهار . ولولا التذكير الدائم ما احتفل بها أحد لكثرتها ولعدم اقتناع العقل الجمعي بها ، ولانها محلية ذلك أن لكل بلد أعياده الخاصة التي لا تعرف في البلاد الأخرى ، كما أن كثيرا من هذه الأعياد يتوقف الاحتفال بها بمجرد اختفاء الذين ابتدعوها من على كراسي الحكم .

ولذلك فان الاسلام ينكر مثل هذه الأعياد المزيفة ويوجب علينا الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى فحسب باعتبارهما من الأعياد الخالدة ، التي لا تفقد جلالها مهما تجاوزتها القرون حتى ولو تعرضت للحط من شأنها والنيل من مكانتها في بعض الدول .

إن الاحتفال بالأعياد في الاسلام يترفع في جوهره وحقيقته عن أن يكون مقصورا على ما نرتديه من زينة وثياب جديدة غالية ، وما نقتنيه من تحف وآثار ، أو ما ينغمس فيه بعض الشباب من اللهو والمرح والتنزه بين أشجار الحدائق والبساتين . فيوم العيد هو اليوم الذي لا نعصى الله ، يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين ، يوم نعود الى رحاب الله فنصلح من شأننا . ذلك هو يوم عيدنا . وليس العيد لمن لبس الملابس الجديدة او الفاخرة .. وانما العيد لمن أمن عذاب الآخرة .

وترتيبا على ما حققه المسلم في شهر رمضان من انتصار على نفسه وهواه ، متغلبا على شهواته ونزواته ، فائزاً بعطاء الله .. أو ما يحققه المسلم أثناء تأدية فريضة الحج من انتصار على عادة الحياة في مستوى معيشي مملوء بالرفاهية والعودة الى حياة التقشف والبساطة حتى يحظى بغفران الله عندما يقف في عرفات أشعث أغبر ، فيشهد الله الملائكة على أنه قد غفر له ولأمثاله . صحيح أن الاسلام لا يحرم ارتداء الجديد والفاخر من الثياب ولا يحرم الفرح والاستبشار ـ في العيدين وفي غيرهما من الأيام فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى في عيد الاضحى المبارك ـ تضربان بدفين . ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجي عليه بثوب فانتهرهما فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه فقال « دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » رواه البخاري ومسلم .

واتساقا مع تلك التوجيهات الاسلامية التربوية ، ومع روح الاسلام السمحة ، مع روح الاعتدال

التي يتصف بها هذا الدين ، دين « **الوسط العادل** » الذي ينكر التزمت والتشدد في العبادة والسلوك ، نجد الاسلام قد شرع الرخص في العبادات تيسيرا على المسلمين ودفعا للمشقة والحرج عنهم . ومن تلك الرخص إباحته للعب والمزاح البريء واللهو الذي لا عصيان فيه .. يقول حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي في كتابه « **إحياء علوم الدين** » ما نصه : « المزاح مطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينه عنه فاعلم أن المنهى عنه الافراط فيه أو المداومة عليه » .

ـ أما المداومة فلانها انشغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة .

! وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار وبالتالي فان ما يخلو من هذه الأمور فلا يذم ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ـ « إني لأمزح ولا أقول إلا حقا » رواه الطبراني

وعلى ذلك نرى ان الاحساس بفرحة العيد إنما يتحقق لمن أدخل البهجة على المحزون والمهموم وأنار الظلمة للضالين والحيارى في متاهات الحياة ، وأدخل الطمأنينة على خائف أو ملهوف ... ووقف مع مظلوم يدفع عنه الظلم ، ويمشي معه ليثبت خطاه .. وتقرب من يتيم ليضع على وجهه إشراقة أمل ورجاء .

ذلك هو المفهوم الاجتماعي السليم للاحتفال بالأعياد في الاسلام . ومن هنا فان تلك الاحتفالات يمكن أن تؤتي ثمارها ، وتتحقق أهدافها . وبذلك يمتزج الدين بالدنيا ، أو يقترن الجوهر بالمظهر ... فالأعياد في نظر الاسلام ـ لا تكون أعيادا ، وهناك من يعيش بين المسلمين في تعاسة وشقاء ... ولا تكون الأعياد أعيادا وهناك صدور مكلومة تطوي على الجوع ، ونفوس يؤرقها اليأس ، ويمزقها البؤس .. ولا تكون الأعياد أعيادا وهناك عيون محرومة .

ان الاحتفال بالأعياد ـ والحالة هذه ـ يوجب علينا أن نجعل من أعيادنا مصادر للخير ومنابع للرحمة بحيث يكون المسلم عونا لأخيه ، يمده بالمساعدة ، ويمنحه المساندة .. فالله في عون المسلم ما دام المسلم في عون أخيه .. والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

الأعياد مواسم للتصافح والتسامح

وحبذا ـ ونحن نحتفل بعيد التضحية والفداء ـ لو حققنا الهدف الاجتماعي الديني للاحتفال بالعيد ، وهو أن نتصافح ونتسامح ، ونزيل الخصومات والأحقاد ... وندعم أواصر المحبة والمودة ، مستظلين براية الاسلام متوحدين في عقيدتنا ، متجمعين في رحاب ديننا القويم .. إننا إن فعلنا ذلك نستطيع أن نحيل ـ بذلك ـ الاحتفال بالعيد الى دعوة للترابط والتآلف ، دعوة تكون منطلقا الى العزة والكرامة ، الى المجد

والشرف ، فيصبح عيدنا ، عيدا في الأرض ، وعيدا في السماء .

ولقد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في هذا المجال :

- **فعيد الفطر** يبدؤه المسلم الصائم بتمرات يأكلها أو بقليل من الماء ، ثم يتجه الى المصلى لاحياء شعيرة من شعائر هذا العيد ، وهي تلك التي تبدأ بصلاة الفجر ، وتنتهي بعد صلاة العيد يوم الفطر لقوله تعالى : (**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) البقرة/ ١٨٥ .

- بينما **عيد الاضحى المبارك** لا افطار فيه الا بعد الصلاة ، حيث يأكل المضحي من أضحيته . ومن شعائر هذا العيد أداء صلاة الأضحى ويستمر التكبير حتى آخر أيام التشريق حيث يكبر المسلم عقب صلاة الجماعة في الأيام الثلاثة تكبيرات ثلاثة مصحوبة بكلمة الحمد وشهادة التوحيد . أي من صبح يوم عرفة الى عصر آخر أيام منى ، لقوله تعالى : (**واذكروا الله في أيام معدودات**) البقرة/ ٢٠٣ قال ابن عباس ، هي : **أيام التشريق وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة** .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام الثلاثة ، سواء قبل الصلاة أو بعدها ، أو في الطريق أو في المجالس وصيغة التكبير كما وردت عن ابن مسعود : **الله أكبر الله اكبر لا إله إلا الله ، والله اكبر الله اكبر ولله الحمد** .

وهناك صيغة أخرى للتكبير مزيدة بواسطة بعض المذاهب وهي : **الله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ... الى آخر الصيغة المشهورة** .

وهذه الصيغة أو تلك بل والتكبير نفسه أمر مندوب وبالتالي يجب ألا يصرفنا تفضيل هذه الصيغة أو تلك عن جوهر الدين نفسه .

ومن شعائر الأعياد في الاسلام - أيضا - العطاء فمع عيد الفطر صدقة الفطر ومع عيد الأضحى التصدق بجانب من لحم الأضحية ، حتى يعيش المجتمع المسلم في رحاب المشاركة ، البارة ، وحتى تقتلع بذور الضغينة من القلوب المسلمة ... فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يفعل كل ذلك بجوار حرصه على ارتداء أحسن ثيابه كما كان يغتسل ويتطيب ، ويسلك في ذهابه الى المصلى وعودته منها طرقا متباينة ليحيي وليهنىء اكبر عدد من المسلمين بالعيد .

اننا لا نتوقع ان ينقلب الناس - كل الناس - أخيارا أبرارا طوال العام أو طوال الحياة وانما لا أقل من أن يكونوا كذلك يوما أو يومين أو بضعة أيام أو شهور من كل عام ، لعلهم اذ يذوقون حلاوة الحياة الناعمة من غير غل او حقد او طمع أو رغبة في الاستيلاء والقهر ان تغريهم تلك الحياة بالمزيد منها بقية ايام وشهور العام ، أو على الأقل بالتخفيف من ضراوة الاستجابة السريعة لنزوات الغرائز .

الأهداف الاجتماعية للأعياد الاسلامية

وبجوار حكمة الأعياد الدينية فان لها أهدافا اجتماعية تنبع منها وترتبط بها . ومن ثم يجب على المسلمين أن يحققوا فيها معاني الاخاء والولاء بعضهم لبعض ، بمعنى أن يعطف الكبير على الصغير ويحنو الغني على الفقير . ويجود الموسر على المعسر . وينشر كل مسلم جناح الرحمة على من حوله من أقاربه بالوصل والتعاطف معهم والاغداق عليهم بروح المحبة والمودة .

ذلك أن أجل وأعظم الأعمال التي يقوم بها المسلم في العيد وفي غير العيد .. أن يطعم جائعا ، أو يكسو عريانا ، أو يمسح دموع الباكي .. فان عظمة مثل تلك الأعمال ترجع الى أن الاسلام يربط العبادة لله بأنماط السلوك مع خلق الله ... يمنحهم العطف والحنان .. بالكلمة الحلوة ... والبسمة المشرقة .. والمعاملة الطيبة .. والمعاشرة الحسنة .. ولين الجانب فاذا ما تحققت هذه الانماط السلوكية الدينية الايجابية ، والتي تنبع من اليقين والايمان .. تنتشر المحبة والمودة ، وتزداد الأواصر الاجتماعية تماسكا ، ويشتد المجتمع ترابطا واتساقا مع روح الانسانية . ويصبح المسلمون في ظلال دينهم الحنيف إخوة متحابين قلوبهم متصافحة وأرواحهم متعانقة وأياديهم متكاتفة ، فتتجلى وحدتهم ؛ وتظهر قوتهم ، ويرهبهم الأعداء .. وبالتالي تصبح الأعياد أبوابا للخير ودروبا للبركة .

وكان من أبرز الأعمال التي يأتيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم عيد الفطر المبارك أن يرسل مناديا ينادي في الناس أن أدوا الزكاة قبل صلاة العيد وفي حديث ابن عباس المرفوع أذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة الى الارض فيقومون على افواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس يقولون : **يا امة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم** . **فاذا برزوا الى مصلاهم يقول الله عز وجل يا ملائكتي ما جزاء الأجير اذا عمل عمله** ؟ **فيقولون** : **الهنا وسيدنا ان توفيه اجره فيقول سبحانه وتعالى** « **اشهدكم اني قد جعلت ثوابهم عن صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي انصرفوا مغفورا لكم** » .

ليلة ويوم في صحبته صلى الله عليه وسلم

فهيا يا أخي المسلم نبقى بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال الليلة الاولى واليوم الأول من شهر شوال عسى ان تجلو تلك الصحبة جانبا من سنة الرسول الخالدة الباقية . وتوضح لنا اعماله واقواله في ذلك اليوم العظيم .. ماذا كان يفعل عقب نهاية اليوم الأخير من رمضان ؟ وماذا كان يفعل اذا اصبح في اليوم

الاول من شوال ؟ وكيف كان يغدو الى المصلى ؟ وما الذي كان يأمر بـه ويحض على ممارسته في يوم العيد .

غير اننا قبل ان نعود الى الوراء اربعة عشر قرنا لكي نشرف ـ تصورا ـ بصحبته صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم العظيم « **يوم الجائزة** » فاننا يجب أن نلتزم بآداب ديننا الحنيف عسى ان نحظى بموافقته على صحبتنا أياه . واول تلك الاداب ان نقترب همسا من « **منبره** » وان نغض من اصواتنا وانما تهليل وتكبير في خشوع المتقين لقوله تعالى « **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** .. » (الحجرات ٣) وان نقتصد في مشيتنا فلا جري ولا هرولة وانما مسيرة الخاشعين المتقين لقوله تعالى « **واقصد في مشيك واغضض من صوتك** » (لقمان ١٩) .

ولما كانت بيوت امهات المؤمنين رضوان الله عليهم بجوار « **منبره** » صلى الله عليه وسلم فان من الآداب الاسلامية الا ندخل الى بيوتهن الا بعد الحصول على ترخيص بذلك لقوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق** .. » (الاحزاب ٥٣) . ولان « **الزمان** » لا يسمح باعداد الاطعمة والاشربة فاننا نشكر الداعي سلفا ـ على ما كان يمكن ان يقدم لنا من طعام ونلتقي بصحبتنا له خارج منزله بمعنى اننا سوف نلبي دعوته الكريمة ـ اذا تفضل بدعوتنا ـ لنستأنس بحديثه صلى الله عليه وسلم ولنحظى بتوجيهاته .. وهي دعوة ـ نعتقد اعتقادا جازما ـ انها مفتوحة للجميع .. فهاهي بيوت امهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهم اجمعين ـ تتصل ابوابها بمسجد المدينة . وها هي رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج من منزله محملة بزكاة الفطر لتوزيعها على الفقراء ثم تعود لتحمل غيرها من اجل توزيعها على المستحقين . وها هو صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ما انغمض له طرف ولا استقر به مضجع .. وعندما شاهدناه صلى الله عليه وسلم على هذا النحو اندفعنا نفعل مثله بعد ان تداعى الى أذهاننا قوله فيما يرويه ابو امامه « **من اقام ليلتي العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب** » ومن ذا الذي يرغب في موات قلبه ؟ حياك الله يا سيدي يا رسول الله يا ذا القلب الذي لم يمت ابدا .

وبعد ان افقنا من حالة الانبهار هذه ووجدنا انفسنا نصلي مثله فاذا هو يستريح قليلا حتى اذا طلع الفجر اغتسل عليه الصلاة والسلام وتطيب ولبس احسن الثياب وافطر على تمرات قبل ان يخرج للصلاة ثم صلى الصبح وتوجه الى صلاة العيد . وسار معه في

طريقه الى المصلى عدد من اصحابه اشار اليهم عبد الله بن عمر في قوله « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في العيدين مع الفضل ابن عباس وعبد الله بن عباس وعلي وجعفر والحسين والحسن واسامة ابن زيد وزيد بن حارثة وابن ام ايمن .. رافعا صوته بالتهليل والتكبير يأخذ طريق الحدادين حتى يأتي المصلى** .. » وكل ذلك ونحن منذ مطلع الفجر نفعل ما يفعل حتى اننا كنا نهتف معه ومع اصحابه بصيغة التكبير التي وردت عن عمرو ابن مسعود وهي « **الله اكبر ، الله اكبر لا اله الا الله ، والله اكبر الله أكبر ولله الحمد** »

وهالنا عندما انتهينا الى المصلى ان نجد المسلمين وقد احتشدوا رجالا ونساء حتى الكواعب والعذارى وما رأيناه أكدته عائشة رضي الله عنها بقولها « **قد كانت تخرج الكعاب من خدرها لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم في العيدين** » وقد امرهن النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العيدين فقال « **وجب الخروج على كل ذات نطاق** » لتشهد الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنسمع في ذلك رواية احمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « **شهدت الصلاة يوم الفطر مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان يصلي قبل الخطبة ثم يخطب بعد** .. » .

وبعد ان ادينا صلاة العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد من طريق غير الطريق التي جاء منها ، وهو يسلم على الناس وتسلم عليه الملائكة ويبادل الجميع التهاني حتى اذا بلغ منزله سلم على اهل بيته ، ثم خرج لزيارة المسلمين وتفقد احوالهم حتى اذا اذن بلال لصلاة الظهر اجابه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من حوله يرمزون للوحدة والمحبة ولطاعة الله ورسوله . حتى ينقضي العيد .. وهكذا انتهت صحبتنا له صلى الله عليه وسلم وعدنا من حيث اتينا .

ولكن تبقى سنته خالدة باقية حتى يرث الله الارض ومن عليها .

تلك هي الأعياد وتلك هي توقعاتنا بالنسبة للاحتفال بها ، توقعات لا نأمل منها أن يصبح الناس فيها ملائكة ابرارا ، ولكننا نأمل فقط ان يكونوا اقل ضراوة وشراسة ، واكثر انعطافا نحو الرحمة والبر والحب والتسامح . فان فعلوا ذلك فقد حققوا معنى العيد ، كما اراده الله وكما حدد ملامحه ديننا الحنيف والسنة الشريفة . مع وديان الاعياد وفي ظلال خضرتها اليانعة وأهدافها السامية وأطرها الاسلامية ، ندعو الله أن يجعل مستقبل أمتنا المسلمة مستقبلا أسعد وأن يجعل غدها ارغد . كما ندعوه أن يجعل مجتمعنا الاسلامي الكبير أعز وأقوى .



عندما ننظر اليوم الى التقدم المذهل الذي احرزته الانسانية في علوم الطب الحديث في اوروبا وامريكا وسائر انحاء العالم فقد لا يخطر ببال اكثر علماء الغرب انصافا للاسلام بل في بال العلماء المسلمين انفسهم ان الاسلام هو صاحب الفضل الأعظم في هذه الحضارة العلمية الهائلة .. فكيف كان ذلك .. وما هو دليلنا عليه ؟.

○ **الطب قبل الاسلام :**

من المعروف انه قبل ظهور الاسلام كانت الفكرة السائدة في العالم كله وفي

الاديان السابقة ان المرض شيطان يدخل جسم الانسان عقابا له على معصية ارتكبها في حق الآلهة ، وان السبيل الوحيد للشفاء هو صلاة الغفران لكي تطرد شيطان المرض من جسم المريض .

فاذا لم تشفه الصلاة فمعنى ذلك ان ايمانه ضعيف .

ولم تكن هذه الفكرة قاصرة على اوروبا المسيحية وحدها .. بل في اسيا وافريقيا .. كان الاعتقاد السائد ان هناك الها للشر والمرض ، والها للخير والشفاء وان الصراع بينهما ينتهي بتغلب احدهما على الانسان .

وفي تلك العصور لم تكن الانسانية وخاصة في اوروبا تفهم قيمة النظافة ولا فائدتها ، بل كانت القذارة تعتبر من الايمان وفي هذا يقول الفيلسوف البريطاني « برنارد شو » كانت القذارة تشكل جزءا لا يتجزأ من الورع المسيحي ..

ولم تكن كلمة التعقيم قد ظهرت في الوجود او استعملت في معناها المتداول اليوم .

وكانت محاولة الوقاية من المرض تعتبر ضربا من التحدي لارادة الله والسخط على قدره وبلائه .. ولم تكن مهنة الطب تنال احترام الناس او تقديرهم ، بل ينظر اليها كنوع من الدجل والشعوذة ولم تكن هناك نظم او قوانين لحماية المهنة من الدخلاء او تأمين العاملين بها ، ولم تكن هناك رخص طبية او شهادات رسمية .

كانت الكنيسة تمنع الناس من التداوي وتحارب الاطباء والعلماء ، وتأمر بحرقهم وبحرق كتبهم او تضعهم على الخوازيق بتهمة الشعوذة والسحر والخروج على تعاليم الدين و سلطان الكنيسة ، وكانت تقف في وجه البحث العلمي والطبي وتحرمه .. وخير وصف لهذه الفترة ما جاء في كتاب برنارد شو : « حيرة الاطباء » بقوله :

« والكتاب المقدس صريح جدا بموضوع علاج الامراض . فرسالة جيمس الاصحاح الخامس رقم ١٤ ، ١٥ تحتوي على الارشادات الواضحة الآتية :-

« أيوجد بينكم شخص مريض فليدع اذا شيوخ الكنيسة ، وليصلوا عليه وليدهنوه بالزيت باسم الرب . ثم ان صلاة الايمان سوف تبرىء المريض ولسوف يرفعه الرب الى اعلى واذا كان قد ارتكب اوزارا فسوف تغفر له » .

وقد جاء في انجيل متى ٢١ : ٨ - ٢٢ ما يأتي :-

« عندما عجز الحواريون عن شفاء رجل شفاه المسيح ، سألوه لماذا لم نقدر نحن ان نشفيه ، قال لعدم ايمانكم ، الحق اقول : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن » .

وهكذا كانت الفكرة المسيطرة في اوروبا ، والتي تبنتها الكنيسة كعقيدة راسخة هي ان الايمان له تأثير عادي على الانسان ، وان حرارة الايمان وقوته تذيب شيطان المرض وتحرك الجبال :

« بالايمان قهر اناس ممالك وسدوا افواه اسود واطفؤوا قوة النار ونجوا من

حد السيف » من انجيل بولس ١١ : ٣٣

ومن الافكار الخطيرة التي تبنتها الكنيسة ايضا ان يكون الشفاء والعلاج بأيدي رجال الدين وحدهم .. وان الله قد حباهم القدرة على الشفاء عن طريق الصلاة والدعاء .

فقد جاء في انجيل متى ١٠ : ١ وفي لوقا ٢٠/٩ .

يقول بولس : « ومن مزيته التي لا يفاضله فيها نبي ولا رسول ، انه افضى بالقدرة على اتيان المعجزات والشفاء الى تلاميذه ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الموت وصعوده الى السماء واورث كنيسته تلك القدرة ايضا . » ويعقب الكثير من المستشرقين على ذلك بقولهم : « ان المسيحي المخلص لدينه كان يهتز في ايمانه اهتزازا عنيفا عندما يمرض البابا ولا يستطيع التغلب على مرضه » .

وكانت الكنيسة تحارب النظافة ، وتعتبر القذارة جزءا من التقوى والورع . وتعتبر من يعتني بنظافة ملبسه او بيته او جسده طامعا في الدنيا ، فقد جاء في الانجيل : « من اراد الفردوس فعليه بخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب » وهذا الزهد في الطعام مما يؤدي الى سوء التغذية :ـ « لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون » .

اثر هذه التعاليم في الطب الغربي القديم :

وبديهي ان يكون لهذه التعاليم خطرها على الحالة الصحية في اوروبا ، وخاصة في القرون الوسطى عندما ساد الحكم الثيوقراطي ، وتحكم رجال الكنيسة والكهنة في كل شؤون الحياة ومن بينها الطب والعلاج . ولذلك عندما ظهر الطاعون في أوروبا سنة ١٣٤٧ ميلادية انتشر فيها بسرعة هائلة بسبب القذارة والجهل حتى قتل ٢٥ مليون نسمة من تعداد سكان القارة الذين كانوا لا يزيدون عن مائة مليون .. اي ربع سكان القارة . وكان العلاج الوحيد الذي تسمح به الكنيسة هو جلد المرضى بالسياط لتخليص اجسادهم من الشياطين ومن لعنة الله . وقد ظلت هذه الافكار سائدة في اوروبا حتى بعد نهضتها وتخلصها من الحكم الثيوقراطي الكهنوتي لفترة طويلة وفي هذا يقول برنارد شو :ـ

ان الكثير من الفلاحين في اوروبا كانوا يقدمون الى المحاكمة بتهمة القتل غير المتعمد عندما يموت احد ابنائهم من المرض بسبب استغنائهم عن الطب والاطباء واكتفائهم بدعوات رجال الدين لمرضاهم . وفي وسط هذه الظلمات التي عمت القارة الاوروبية .

وفي الوقت الذي كان رجال الدين فيه في انحاء اوروبا يحرقون الاطباء والعلماء ، ويعاقبون بالموت كل من يحاول استعمال عقله او علمه في شفاء المرضى ، ظهر في جزيرة العرب المعزولة عن الدنيا النبي العربي الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة .. فاذا به يأتي بتعاليم جديدة في كل شؤون الحياة ومن بينها مسائل الطب

والعلم . ويأتي بفهم جديد متنور عن قضية المرض والطب والدواء . بل اكثر من هذا يضع قواعد علمية للوقاية من الامراض السارية وقواعد لتنظيم مهنة الطب والعلاج تكاد ان تكون معجزة بمقاييس عصره وزمانه بل بمقاييس عصرنا هذا .

○ المفاهيم الاسلامية عن المرض والطب والعلاج :

١ ـ واول هذه المفاهيم التي جاء بها الاسلام ان الايمان لا يمنع من المرض . اي ان الانسان اذا مرض فلا يعني ذلك ضعفا في ايمانه او ان الشيطان قد خالطروحه وحال بينه وبين ربه .. ولكن المرض هو قدر الله وبلاؤه ، وقد يصيب المؤمن كما يصيب الكافر :

(**ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب**) الحديد / ٢٢ .

والمؤمن اذا صبر فله ثواب الصبر على البلاء . وكان المسلمون يسألون الرسول اذا كان يوعك مثلهم ومثل سائر البشر فيقول لهم : « إني اوعك كما يوعك رجلان منكم » رواه احمد ومسلم عن ابن مسعود .

٢ ـ ولم ينكر الاسلام ما للايمان من فضل في رفع معنويات المريض مما يساعده على التغلب على مرضه . ولكنه لا يعتبره مصدرا وحيدا للشفاء والتأثير المادي بل امر المسلم ان يبحث عن الطبيب ويتعاطى الدواء الذي يصفه له . وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تداووا عباد الله .. فان الله لم ينزل داء الا جعل له دواء » رواه أبو داود .

٣ ـ وقد جاء الاسلام لينفى عن رجال الدين الحق المقدس في شفاء المرضى او احياء الموتى ، بل نفى هذا الحق عن الرسول نفسه فيقول تعالى : (**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**) الأنبياء / ٣٤ . ويقول : (**ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء**) الأعراف / ١٨٨ ، ويقول الرسول : « انتم اعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم عن انس بن مالك .

٤ ـ وقد نفى الاسلام ان تكون الصلاة والدعاء والتفاؤل وحدها ، وسيلة لشفاء المريض او طرد شبح الموت عنه او تغيير ما قدره الله له . وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل فان ذلك لا يرد شيئا ولكنه يطيب نفس المريض » رواه الترمذي .

٥ ـ ويعلن الاسلام ان محاولة الوقاية من المرض او علاج المرض لا تعتبر هربا من قدر الله وان الانسان اذا نجا من المرض بفضل رعايته للقواعد الطبية او تناوله دواء معيناً فمعنى ذلك ان الله قد كتب له النجاة بهذا الدواء . فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : « يارسول الله ، هل في تقاة نتقيها وفي دواء نتعاطاه هل ترد [ذلك]من قدر الله شيئا قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك « هي من قدر الله » رواه احمد وابن ماجة .

٦ ـ وانطلاقا من هذه النظرية الجديدة التي جاء بها الاسلام فقد اهتم بمهنة

الطب واحترمها وامر المرضى بمراجعة الطبيب عند الحاجة . فكان الرسول اذا دعي لزيارة مريض يقول لأهله : « استدعوا الطبيب » فيقولون له « وانت تقول ذلك يارسول الله » فيقول لهم : « نعم تداووا عباد الله » .

٧ ـ وقد نظم الاسلام مهنة الطب العلاجي : فوضع لها القواعد الاخلاقية وآداب المهنة الطبية ، كما منع ادعياء الطب والمشعوذين من ممارسة العلاج فأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم : « من داوى ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهوَ ضامن» « اي مسؤول امام القانون » رواه ابو داود وابن ماجة والنسائي .

٨ ـ ومن افضال الاسلام على الطب ، انه اعلن ان كل مرض له دواء يشفيه ، وان على الأطباء مواصلة البحث العلمي في سبيل اكتشاف الدواء الأفضل والأنجع ، وانه لا يأس من الشفاء ابدا .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لم ينزل داء الا جعل له دواء علمه من علم وجهله من جهل فاذا اصاب دواء الداء برأ المرض باذن الله تعالى » رواه احمد .

٩ ـ الاسلام اول دين يأمر بالنظافة ويعتبرها مكملة للايمان ، وينفي ان تكون القذارة نوعا من التواضع والتقرب لله .. وهو اول من جاء بما يسمى في عصرنا الحاضر « التعقيم » اي ازالة الميكروب واطلق عليه « الطهارة » وحدد المواد التي يمكن ان ينتقل بها الميكروب وسماها « النجاسة » واشار الى الميكروب بأنه الخبث او الشيطان .. وحدد طرق ووسائل تطهير اي مادة سواء اكانت طعاما ام شرابا ام جسم الانسان لازالة الميكروبات منها .

١٠ ـ ومن اخطر النظريات التي جاء بها الاسلام ما يمكن ان نسميه : « بالاسلوب العقائدي في وقاية المجتمع من الامراض » . وهو اسلوب يعتمد على تأثير العقيدة الدينية في اقناع الاتباع بالتعاليم الطبية والزامهم بطاعتها ، وذلك بجعلها جزءا لا يتجزأ من تعاليم هذه العقيدة . فمن ذلك انه لا صلاة بغير وضوء ، ولا قراءة للقرآن بغير غسل وطهور .. الى غير ذلك من التعاليم الصحية المرتبطة بالعبادات .

هذه هي بعض الأفكار والتعاليم الجديدة التي جاء بها الاسلام في مجال الطب والعلاج .. والتي اختلف فيها عن كل ما سبقه من الديانات والتعاليم .

هذه المفاهيم الجديدة كانت الركيزة التي انطلق منها اطباء المسلمين في النقل والترجمة عن طب الاغريق في المرحلة الأولى ، ثم الاجتهاد والدراسة والمقارنة في المرحلة الثانية ، ثم الاكتشاف والابتكار والتأليف في المرحلة الثالثة .. كل هذا في جو من الحرية والحماية والعون الذي تقدمه لهم دولة الاسلام وتعاليم الاسلام .

هذا في الوقت الذي كان فيه من يحاول التطبيب والمداواة في اوروبا يتهم بالسحر والشعوذة ويحرق حيا او يوضع على الخوازيق .

واذا كان اكثر مؤرخي الغرب تعصبا لا ينكر ان الطب الاسلامي كان صاحب الفضل الأكبر بل الأوحد على نهضة الطب في اوروبا في نهاية العصور الوسطى فمن هنا نجد ان نهضة الطب الغربي الحديث ما كانت لتحدث لولا هذه التعاليم المتفتحة التي جاء بها الاسلام في مجال الطب .

مائدة القارئ

دعوة نبي

قال يوسف ـ عليه السلام ـ يدعو ربه ، كما حكى القرآن الكريم :
« رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث
فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة
توفني مسلما وألحقني بالصالحين » الآية ١٠١ ـ من سورة يوسف

الخير هكذا

قال الاحنف بن قيس : لا خير في قول الا بفعل ، ولا في مال الا بجود ، ولا في صديق الا بوفاء ، ولا في صدقة الا بنية ، ولا في حياة الا بصحة وأمن .

الرفق بالرعية

كتب عدي بن أرطاة الى عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ وكان عدي عاملا له :
اما بعد : فان اناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج ، حتى يمسهم شيء من العذاب فكتب الخليفة العادل الى عامله يقول :
اما بعد .. فالعجب كل العجب من استئذانك اياي في عذاب البشر كأني جنة لك من عذاب الله ، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله ، اذا اتاك كتابي هذا فمن اعطاك ما قبله عفوا والا فأحلفه فوالله لان يلقوا الله بجناياتهم احب الي من ان القاه بعذابهم .. والسلام على من اتبع الهدى .
وهكذا كانت سماحة الاسلام مع غير المسلمين ، وهكذا كان إحساس الحاكم بالمسئولية وخوفه من الله ، فما أحوجنا لمثلك يا عمر بن عبدالعزيز .. حتى تجدد للاسلام عزه ، وللمسلمين كرامتهم .

رب اغفر لي

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو بهذا الدعاء :
« رب ! اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به مني .
اللهم ! اغفر لي خطاياي وعمدي ، وجهلي وهزلي ، وكل ذلك عندي .
اللهم ! اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت .
أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير ، اخرجه البخاري

اللهم أنت أعلم

كان الصديق أبو بكر - رضي الله عنه - إذا مدحه احد من الناس قال :
اللهم أنت اعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم .
اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون .

كم عدد اصدقائك ؟

سئل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن عدد أصدقائه فقال :
« لا أدري الآن ، لأن الدنيا مقبلة ، والناس كلهم مقبلون ، وإنما أعلم ذلك إذا أدبرت عني ، فخير الأصدقاء من أقبل إذا ادبر الزمان عنك » .

نصيحة

قال معاوية ناصحا ابنه : يا بني من عفا ساد ، ومن حلم عظم ، ومن تجاوز استمال اليه القلوب ، فاذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء .

الوجود الاسرائيلي

لم يعد جديدا على أحد أن الصهونية تعلق جل آمالها في البقاء والتوسع على حماية القوى الاستعمارية ، ولا ان هذه القوى الاستعمارية تعلق أهمية كبرى على احتضان العنصر الصهيوني وأخذه في أحلافها واعتبار هذا الحلف وسيلة هامة مما تتوسل به هذه القوى الى تحقيق مطامعها ، وكم من مرة سجل التاريخ على القوى الكبرى أخذها العنصر الصهيوني كنقطة ارتكاز هامة في خططها الحربية ، وكم من مرة سجل التاريخ ان الصهيونية استطاعت التغلغل وسط هذه القوى حتى تمكنت من أن تفرض أهميتها وان توجد لنفسها مكانا في حروبها الاستعمارية ، لقد أنصف من قال ان الصهيونية الحديثة كأختها القديمة وليدة السياسة والسياسيين ، أيا كان السبب الذي تستند اليه ، وعد من أسبابها الكبرى ارتباطها بمطامع الاستعمار ، وكم « حدث غير مرة أن اليهود كانوا ينصرون كل بلد مغير على البلد الذي يقيمون فيه ، وحدث غير مرة انهم كانوا يصاحبون الجيشين المتقاتلين لشراء الاسرى وبيع المؤنة وبذل القروض ، وقد أخذ العالم بأسره عليهم هذه الخاصية التي تتنافى مع المواطنة الحقة ، هذا دأب اليهود منذ وجدوا وحيث وجدوا وأنى وجدوا ، وإذ أردنا أن نستجلي الوقائع عن هذا الحلف الشيطاني في الزمن القديم ، فقد ذهبنا نركز اهتمامنا على ما شهدت به الرواية اليهودية للتاريخ ذاته ، حتى نشهد عليهم شهودا من أهلهم ، فيكونوا أقوى حجة عليهم وأكثر الزاما لهم .

○ البداية .. مع الهكسوس

ونبدأ من حيث بدأ بنو اسرائيل يتواجدون في مصر ، لنقول : ان المعلوم عند الجميع أن يوسف عليه السلام الذي أطلقه فرعون من حبسه وجعله مقربا وبوأه منصبا كبيرا ، اذن له في أن يأتي بأبويه واخوته ليعيشوا معه في مصر وفعل يوسف واستقدمهم ، وكان أدرى بحبهم للعزلة والانطواء فاستأذن فرعون في أن يخصص لهم منطقة يعيشون فيها ، وأحلهم فرعون في أرض غوشن ـ كما تسميها النقوش المصرية أو أرض جاسان كما يسميها السفر القديم ، وأنعم عليهم وأحسن اليهم وملكهم المتاع والانعام ، فعاشوا في أكنافه مكرمين أصحاب

ومطامع القوى الكبرى

للأستاذ : محمد فوزي حمزة

وزير هام ، ولكن يعقوب لم يلبث ان لقي ربه وحمله أبناؤه الى أرض كنعان ، ولم يكادوا يفرغون من دفنه ويعودون الى مصر حتى اتى يوسف أجله هو الآخر ثم قضى ، وبوفاة يعقوب ويوسف انقضى جيلان من أجيال النبوة في بني اسرائيل ، ذهب الانبياء وبقي الشعب المشاغب ، وظلوا في أكناف فرعون يتقلبون في عزته وينعمون بنعمته ويحتفون ببقايا الكرامة التي كان قررها ليوسف ، ولكن عاداتهم السيئة وجدت في عزلتهم في أرض غوشن مرتعا خصبا تنمو فيه وتزداد تأصلا فيهم وتغلغلا بينهم ، حتى اذا أتى الغزو الهكسوسي ، والآثار التي تركتها الامبراطورية المصرية عن مشرق الاسرة الثامنة عشرة لتفصح افصاحا كبيرا عن تزامن الغزو الهكسوسي مع تواجد بني اسرائيل بمصر ، كما تفصح البرديات التي ادخرتها الايام منذ فجر الزمان عن « الترابط الواضح بين (آباء التوراة) وما يقصه سفر التكوين » فنبه هذا الغزو عادتهم المعروفة في خيانة البلاد التي تأويهم ، فنسوا ما قدمت لهم مصر واحتضنوا الجيش الغازي ، وانحازوا اليه ودلوه على طريقهم وأدلفوه بينهم وجعلوا له عيونا منهم ، وكان جل تقديرهم ان مصر بلد ليس لهم عاشوا فيها يقطفون خيراتها ما دامت فيها قوة تكفلهم ، فلما وهنت قوتها واتاها العدو وأدركوا انه غالب عليها ، انحازوا اليه ، ليضمنوا مركزا متميزا عند ملك الهكسوس ، وبالفعل كافأهم ملك الرعاة وأعطاهم ملكا وبوأهم منصبا ، وبسط عليهم من ألوان العزة ما صرفهم عن ترتيب أمورهم للعودة الى فلسطين ، بل وكاد ينسيهم فكرة الارض الموعودة ذاتها ويمحوها من أذهانهم .

○ الذلة بعد النعمة :

وأخذت بيوت اسرائيل تنمو وتنتشر ، « وكان من الطبيعي ان يتكاثر أبناء اسرائيل وان تثمر منهم الفروع عبر الزمن منذ أواسط العصر الهكسوسي وحتى حكم الامبراطورية المصرية ، حيث تهيأ لمصر ملك قوى هو أحمس الاول استطاع أن يجلي الهكسوس .. وبزوال الغبار الهكسوسي عن مصر ، فقد بنو اسرائيل مركزهم المتميز الذي ميزهم به ملوك الرعاة ، وانحسرت ألوان العزة التي رفت على أسلافهم ، وأخذت الذلة تعرف طريقها اليهم ، اذ

أن فرعون الذي تنبه لخطرهم وعرف كيدهم لم يشأ أن يطردهم من مصر ويقتلع جذورهم ، ولكن ضرب عليهم ألوانا من الذلة والاستعباد ، وحذر شعبه منهم بعد ان أصبحوا كثرة يخشى خطرها اذا أقبل الاعداء وانحازوا اليهم ، وأنزلهم منزلة مهينة حتى أن متون التاريخ المصري لم تعد تستلفتها هذه الجماعة التي تعيش منسية في حضيضها تحت نير التسخير والاستعباد ، ولكن المهم جدا ان هذا الاستعباد لم يكن اعتداء مجانيا من فرعون ، ولكن كان ـ وباعتراف الكتاب المقدس نفسه ـ لسبب وجيه جدا استحق أن يخيف منهم مملكة عظيمة كمصر وملكا مهيبا كفرعون ، وهو انحيازهم في الحرب لاعداء البلاد التي أكلوا خيراتها .

○ مجددا .. يخونون مصر :

الا أن هذه الجماعة المستذلة « ظلت تعيش في مصر الى عصر الاسرة الثامنة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثاني وظل أمرها في نمو وتكاثر ، وكانت مصر قد « قدمت اليهم عندما هاجروا اليها عام ١٦٥٦ق .م بسبب المجاعة التي حلت بأرض كنعان كل صنوف الكرم وحسن الضيافة ، ومع ذلك لم تلق منهم الا كل صنوف الجحود والتمرد والتآمر . وظلت هواية الخيانة والانحياز الى الاعداء تلازمهم الى عهد الملك منفتاح ، ذلك الفرعون الذي كان قد ورث عن أبيه تركة بالغة التعقيد أثقلته متاعبها الداخلية والخارجية معا ، والذي يعنينا هنا هو المتاعب الخارجية والدور الذي أداه فيها بنو اسرائيل من أرض جوشن حيث كانوا يسكنون ولكي نوضح نقول ان مصر في هذه الفترة كانت تواجه غزوا من ثلاث جهات ، من الشرق حيث زحفت عليها فلول آسيا ، ومن الشمال حيث هاجمتها الجماعات التي أطلقت عليها النقوش المصرية اسم « أقوام البحار » ، ومن الغرب حيث انتهز اللوبيون الفرصة وأسرعوا يداهمون الاراضي المصرية ، في هذا الوقت الذي تداعى فيه الاعداء على مصر كما تداعى الأكلة على قصعتها ، كانت خيانة جديدة من بني اسرائيل ، ولم يكن صدفة ان يدخل الجيش اللوبي من أرض جوشن بالذات ، ولكن دخولهم منها كان بعد تمهيد من جواسيسهم وعيونهم الذين ضمنوا لهم انحياز ابيات اسرائيل الساكنين فيها ، وما كان أسهل على لوبيا من أن تكسب انحيازبني اسرائيل وقد ألفوهم من قبل ينحازون للهكسوس ، وما كان أسهل على بني اسرائيل من أن يبيعوا بلدا ليس لهم وليسوا الا بعض من أووا اليه ، ولكن فرعون استطاع ـ رغم متاعبه ـ ان يسيطر على الموقف ، ويرد مهاجميه بما فيهم الغزو اللوبي ، ثم يتفرغ لتأديب بني اسرائيل ، على خيانتهم اذ انقلب عليهم من بعد ما أكرمهم آباؤه ، ولكن .. لم يكن بغير جريرة انه اضطهدهم وأنزل بهم فنونا من الذلة ومن عذاب الهون ، وسلط عليهم شعبه ليستذلوهم ويستعبدوهم

في أكثر الاعمال شقوة وصعوبة وهي أعمال البناء والهدم وصناعة الطوب ، ولنا هنا ان نلاحظ ان الشعب الذي ظل منسيا في السخرة التي ضربها عليه المصريون منذ العصر الهكسوسي الى عصر منفتاح ، اصبح الآن ملفتا للنظر وجديرا بان تهتم به سجلات الحكومة المصرية ، وهذه الجدارة لم يكتسبها بنو اسرائيل من حيث أنهم تزايدوا وأصبحوا كثرة ، ولكن من حيث أصبحت لهم أهمية سياسية أكسبها لهم عمل سياسي كبير ، وماذا في سياسة مصر - وهي تحارب على جبهة لا كمثلها عرضا وطولا تمتد من أقصى الشرق الى أقصى الغرب مرورا بالشمال كله - يكون أكبر من خيانة قوم يقيمون فيها في أرض جوشن ينحازون الى العدو ويفسحون له ليخلقوا لفرعون هماً جديدا على ما عنده من هموم ، حتى انه اضطر الى احداث خلخلة في جيوشه عندما اضطر الى سحب صفوف من المحاربين في الشرق ليرد على الهجوم اللوبي .. ان فرعون كان معذورا اذا اضطهدهم بعد ذلك وعدهم في اعدائه وتهيأ للقضاء عليهم .

ونحن لسنا بدعا فيما نقول ، فان التنزيل الحكيم يسجل أطرافا من هذا الاضطهاد ، ويشهد على هذه الانتكاسة التي حلت ببني اسرائيل على يد فرعون ، كما أن المتون التي عثر عليها في أنقاض معبد منفتاح تسجل بوضوح ان فرعون سلكهم في أعدائه وقطع شوطا كبيرا في سبيل القضاء عليهم بعد هذه الفعلة ، فان ثمة قصيدة شعرية تصف انتصار المصريين على الاعداء ، بدأها الشاعر المصري القديم بلوبيا وختمها ببني اسرائيل ، تقول هذه القصيدة التي لا نشك في أنها نظمت أبياتها ابان احتفال منفتاح بانتصاراته :

ان تحنو « لوبيا » قد أقفرت ..
عسقلان أزيلت ..
فاتي أمست مسالمة ..
جيزر قبض عليها ..
بنوم أصبحت لا شيء ..
واسرائيل قد أقفرت وبذرتها انقطعت ..

(والقصيدة كشفت عنها الباحثة فلندرز بتري ١٨٩٦ م وهي تستعرض النصر الذي حققه منفتاح في اليوم الثالث للشهر الحادي عشر من السنة الخامسة من حكمه) ويقيني ان هؤلاء اعداء فرعون ، لوبيا ، وأقوام البحار ، وفلول آسيا ، واسرائيل ، اولئك الغرباء الساكنون في أرض غوشن ..

وهذه الانقلابة الفرعونية الفظيعة ، كانت ولا شك وراء خروج بني اسرائيل من مصر ، وقد ذهبت الاستاذة (أبكار السقاف) الى أن فرعون لم يهدأ له بال حتى طردهم من مصر طردا ، وبذلت جهدا كبيرا في كتابها القيم (اسرائيل .. وعقيدة الارض الموعودة) لتثبت التزامن بين زمن الخروج وزمن الغزو اللوبي ، وأنهم بعد فشل الغزو خرجوا من مصر مطرودين بيد فرعون لا فرارا منه ، ونحن مع تقديرنا التام لجهد الاستاذة السقاف ، لا نستطيع ان نشايعها في

ان بني اسرائيل خرجوا مطرودين ، فان تزامن خروجهم مع فترة الغزو اللوبي شيء ، وخروجهم مطرودين أو هاربين شيء آخر ، ليس بالضرورة نتيجة حتمية هذا التزامن ، والاستاذة السقاف تأخذ دليلا آخر من رواية الكتاب المقدس التي قررت (المرة تلو المرة) انهم خرجوا مطرودين .. ولكن الرواية المقدسة اضطربت وتلجلجت في هذا الامر ، فتارة يفهم منها انهم طردوا من مصر وأطوارا يفهم منها انهم خرجوا هاربين ، وعندنا ان فرعون كان له سبب وجيه يدعوه لان يضطهدهم في أرضه ولا يطلقهم ، ذلك انه لا بد كان يقدر انهم اذا خرجوا من مصر ووقعوا في حبائل أعدائها .. دلوهم على مكامنها وساعدوهم على غزوها ، خاصة وان وشائج قربى تربطهم باهل الشمال في مدين وارض كنعان ؛ وفي العراق حيث الكلدانيون الذين كانوا هم الاعداء التقليديين لمصر في ذلك الزمان .. ونحن اميل الى انهم هربوا من بأس فرعون الذي جرد وراءهم حملة تحصرهم وتوسعهم النكال والقتل ، وكاد يدركهم لولا أدركه قضاء الله ، ودليلنا على هذا الهرب من بني اسرائيل والطلب من جانب فرعون قول الحق تبارك وتعالى لموسى : (**فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون**)(الدخان / ٦٢) أي يكون في أثركم من يطلبكم في البرية ، وكذلك صرخة بني اسرائيل لموسى وقد أوشك أن يدركهم جنود فرعون : (**إنا لمدركون**) الشعراء / ٦١ ومهما كان من أمر خروجهم فانه يرتبط ارتباطا وثيقا بالقضاء على الغزو اللوبي وبقية الغزاة الذين زامنوه ، كما انه يعتبر آخر المطاف في أمر وجودهم في مصر كأمة غريبة أوت الى مصر فأكرمتهم ورفعتهم وجعلت منهم وزيرا هاما يشار عليه ويدار اليه ويجاب الى ما طلب ، ثم كانت عاقبة احسانها اليهم انهم انحازوا الى أعدائها وتآمروا عليها وعلى امنها ما داموا فيها .

○ سماسرة الحرب .. في منعطف الطريق :

خرجوا اذن من مصر ، وقضوا دهرا في سيناء انزلت فيه التوراة على موسى الذي أتم مهمته وادى رسالته ولقى ربه ، وتولى من بعده يشوع بن نون الذي غزا بهم نواحي من فلسطين ودخلها بهم عنوة على أهلها ، وكان شاؤول بعد يشوع ، ثم استقرت لهم دولة في عهدي داوود وسليمان لم تدم أكثر من سبعين عاما ، هي كل ملكهم في الزمن القديم ، ويكون مناسبا هنا أن نورد من قال ان داوود انتهز « فرصة وجود خلاف بين مصر والعراق وتقسيم سوريا فوسع ملكه وقهر الاراميين في دمشق ... وجاء من بعده ابنه سليمان ... وظل تحت نفوذ مصر مسلما لها بالسيادة حتى وفاته .. » كما يكون مناسبا هنا ان نحيط بأن داوود نفسه كان في عهد استتبابه يعامل بني جلدته بحذر شديد لما علم من خيانتهم وانحيازهم

لـلاعداء ، شهـدت بذلـك الروايـة المقدسة ذاتها ، اذ اتاه بعضهم يطلب حلفه قال لهم في أصرح عبارة : « ان كنتم قد جئتم الي لتساعدوني يكون لي معكم قلب واحـد ، وان كان لكي تدفعوني لعدوى ولا ظلم لي فلينظر اله آبائنا ولينصف » (بالحرف الواحد من كتاب العهد القديم) .

وبعد سليمان انقسمت مملكته الى دويلتين صغيرتين احداهما في الشمال (مملكة اسرائيـل) ، والاخرى في الجنوب (مملكة يهوذا) ، وفي هذه البقعة ، وقفت هاتان الدويلتان في منتصف الطريق بين القوتين الكبيرتين آنـذاك ، آشـور في الـعـراق ، والامبراطورية الفرعونية في مصر ، وكان السباق بينهمـا على منـاطق النفـوذ ، يقودهمـا الى مخاصمـة سياسية كبيـرة وحروب عسكـرية طاحنة ، فماذا كان مـوقف هؤلاء الساكنين في أرض كنعان ؟؟.، انهم ظلوا يقطفون ثمار هذه الحروب ، كلما رجحت كفة انحازوا اليهـا ، وكان موقفهم يشبه وقفة السمسار الذي يجني الفائدة من الجانبين فيعنيه ان يطول أمد الحرب لكي يستفيد دون ان يعنيه ماذا يحيق بالطرفين معا أو بالانسانية جميعا ، فكانوا يعملون على اطالة الحرب ليستفيدوا ، حتى ان كلا من الفريقين المتنازعين كان قد سئم هذا الوسيط الممل الذي يـدعونـه للحرب لكي يجني هو ثمارها ، بينما لعبته على الحبل الآخر تحول دون عملية فاصلة يسوى فيها الحساب كله ، وعزم كل منهما على القضاء عليه ، وسبقت الى ذلك آشور فهاجمت المملكة الشمالية وضمتها واسـرت ملوكها وقضت عليها نهائيا ، ثم تلتها بابل ـ التي حلت محـل آشور في العراق ـ بهجوم نبوخذ نصر الكلداني على المملكة الجنوبية وتخريبه القدس وسوقه اليهود سبايا الى بابل في مشهد مأساوى فظيـع مما عـرف الزمن القديم .

○ الجولة .. مع أشور :

وفي غضون ذلك ، كانت للاشوريين أطماع استعمارية في أراضي الشام ، واتصل بهم بعض أبيات اسرائيل يتناصرون على بعضهم بعضا ، اذ في أيام الملك (يوثام بن عزيا) ملك يهوذا .. بدا من كل من (أرصين) ملك آرام و (فقح بن رمليا) ملك اسرائيل طمـع في املاكـه ، وبدا (يوثام) انهما يوشكـان للوثـوب عليه ، ولكن (يوثام) لم يلبث ان هلك وملك مكانه ابنه (آحاز) الذي كان على علم بتدبـير هذين الجـارين ، فأرسل الى ملك آشور يستنجده ، وكانت صفقة بارعة عقـدها الملـك الاشورى الذي استعانت طلائعه بهذه الدويلة التي تجسست له في الشام ومهدت لغزوه دمشق ، باثارة الفتنة وأعمال التخريب حتى دهم المدينة وقتل ملكها وضمها الى مستعمراته .

يقرر سفر الملوك أن (آحاز) هذا ظل مواليا للاشوريين عبدا لهم طيلة ملكه ، وقد ورد ذلك في اشارة الى ابنه (حزقيا بن آحاز) الذي « عصى على

ملك آشور ولم يتعبد له » كنص عبارة السفر ، بيد ان (حزقيا) هذا لم يغادر ملك آشور الا لينحاز الى ملك مصر الذي وعده بالنصرة وبفرسان ومركبات ذات خيل ، الا ان ملك آشور انزل به عقابا وحاصره حتى أرسل اليه يستعطفه ، وبلغ من تودده له انه خلع الذهب الذي على أبواب (بيت الرب) ليرشوه به ، فأرسل اليه الملك الاشورى من يفاوضه ويطلب منه أن يترك فرعون ويترك الرب ذاته وينحاز الى آشور الذي سيقدم له من العون ومن الدعم ما يحتاج لنفسه ولشعبه أكثر مما سيحصل عليه من فرعون ومن الرب جميعا ، وكان عرضا كبيرا قدره المفاوضون من اليهود ، حتى أنهم طلبوا من مفاوضيهم الاشوريين ان يحادثوهم بالآرامية وليس باليهودية التي يفهمها شعب المملكة ، حتى يستطيعوا تمرير المعاهدة بعيدا عن أعين شعبهم .

وهذه حلقة أخرى من المفاوضات في معاهدة تحالف استراتيجي اخرى يحاولها (حزقيا بن آحاز) نفسه مع ملك الاشوريين (سنحاريب) يشرحها سفر الايام الثاني مبينا نوع المفاوضات والهدف الذي دارت حوله ومسجلا اطرافا من محاضرها ، بيد انه يبدو ان ملوك آشور كانوا اذا استعصى عليهم أمر اغرائهم بالانحياز ، رفعوا عنهم حمايتهم وتركوهم لجيرانهم الذين استغلبوهم عليهم ليصفوا حسابهم معهم ، من قبيل ذلك انهم تركوا (رزاح الكوشى) يهاجمهم بجيش كبير ، ولو ان الكوشيين انهزموا في هذه الموقعة ، الا ان الثابت ان ارهاب الاشوريين كان يفرض عليهم بين الحين والحين لكي لا يفكروا في الخروج من دائرة الانحياز لهم ، وقد ورد غير مرة ان ملوك آشور كانوا يرسلون جنودهم ليعزلوا ملوك يهوذا ويسوقوهم اسرى ثم اذا لمسوا منهم توبة عن الخروج عليهم ، ردوهم الى عروشهم وحافظوا لهم عليها ، وهذا - بالضبط - ما حدث للملك (منسى) وشرحه بالتفصيل سفر الايام الثاني ، فان هؤلاء القوم لم يكونوا يملون السعي لدى البلاط الاشوري كلما انقلب عليهم ، ويبدون انحيازهم في صفه حتى يعود الى تمييزهم في هذه البقعة ومنحهم مناصب رئاسية ودينية فيها كلما احتاجت الى ذلك موجاته الاستعمارية .

الا ان هؤلاء القوم كانت طبيعة موقفهم في منتصف الطريق تفرض عليهم ان يتوددوا ايضا الى المصريين ويؤسسوا قنوات تصلح للاتصال بهم عند الحاجة اليهم ، وقد ورد انهم كانوا يزوجون المصريين بناتهم وما ذلك منهم الا لكي يكون لهم في مصر عرق ينفعهم اذا احتاجوا للاتصال بفرعون ، ولقد رأينا كيف حصل (حزقيا بن آحاز) من فرعون على وعد بالنصرة وبفرسان ومركبات ذات خيل ، وكيف أن آشور أرته من تأديبها ما رأى بسبب هذه المحاولة ، ولكن يبدو ان فرعون كان قد ضاق ذرعا بهم وبكثرة شواهدهم على التواطؤ المستمر مع القوى الطامعة في

غزو مصر والآتية من عند أبواب الفرات فحمل عليهم أكثر من مرة يريد ليس فقط تأديبهم ولكن عزلهم عن هذا الطريق الذي لا يؤمنون عليه ، ففي السنة الخامسة للملك (يـربعام) « صعد (شيشق) ملك مصر على أورشليم بألف ومائتي مركبة وستين الف فارس ، ولم يكن عدد الشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكيـين وكوشيـين واخـذ المـدن الحصينـة التي ليهـوذا واتى الى اورشليم »

○ ومع بابل :

ثم حل البابليون في العراق محل الاشوريين ، « وكما فعلت آشور من قبل بالقبائل العشر في الشمال ، فعلت بـابـل بـالقبيلتـين البـاقيتـين في الجنوب ،... فلقد ضم البابليون هذه المنطقـة الجنوبيـة الى بابـل عـام ٥٨٥قم ، وامست فلسطين بأجمعها جزءا لا يتجزأ من الدولة البابلية والى ذلك كان قد مهد نبوخذ نصر الثاني عندما أطاحت اسيافه ٥٨٦ ق م بأهل اليهودية ودمر الهيكل ، ثم حمل الرؤساء من قبيلتي يهوذا وبنيامين الى بابل اسرى وفي مقدمتهم افراد بيت داوود من سلالة يهوذا وأعضاء مملكة يهوذا ، وملكوا عليها أحد يهودها الموالين لهم هو الملك (يهوياقيم) . وحافظوا له على عرشه طالما بقي محافظا على ولائه وظلت دولتهم عينا وعونا لمطامعهم الاستعمارية ، فلما تمرد عليهم بعد ثلاث سنين ، تركوه لجيرانه من الآراميين والمؤابيين وبني عمون ليصفوا حساباتهم معه ، وازاء هذه الانقلابة البابلية أخذ اليهود يعملون دائبين على الاتصال بملك مصر ، في الوقت الذي فيه كانت طائفة منهم تعمل عملها في البلاط البابلي ، الذي لم يلبث ان اخرج يهوياكين من سجنه وكرمه ونعمه وادخـره ليوم الحاجة اليه ، وكذلك الملك حزقيا ظل موضع العناية من ملوك بابل الذين ورد في تراجمهم انهم كانوا يراسلونه وهم يستعدون لعزل آشـور ، عن سلطان العراق ، وظل اليهود في هذه المنطقة يوالون بابل ويساعدونها على التوسع ويمكنونها من الضغط على الامبراطورية المصرية التي انحصر ملكها في حدوده » ولم يعد ملك مصر يخرج من أرضه لان ملك بابل اخذ من نهر مصر الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر ، كل هذا حققه ملوك بابل بفضل استخدامهم اليهود عيونا لهم وطلائع لجيوشهم في المنطقة .

ولا يفوتنا ان فرعون مصر عندما عني بتجريد حملة عبر [illegible] الفرات عملت يهوذا على [illegible] ا[illegible] برز اليه ملكها يوشيا وكان على ولاء لملوك بابل ، فأرسل اليه الفرعون من يفاوضه ويبلغه بأنه لا يريده هو وانما يريد بابل ، ويطلب منه ان ينحاز اليه او يفسح الطريق ، ولكنهم وقفوا في وجهه فصمم فرعون على تصفية هذه القوة التي اعترضته كما لو كانت طليعة بابل ، وليس شأننا الآن ان نناقش اطرافا من اساطير بني اسرائيل ، ولكننا نجد لزاما هنا ان

نقف عند واحد من مداخل الاسطورة في العهد القديم ، لنرى كيف ان قصاص التوراة اراد لسفره ان يكون مضحكـا ، ففهم من روايتـه ان الفرعون اصطحب معه الها قـويا وسيره امام جيشـه ليساوم عليـه جيوش اسرائيل اذا هم استقدموا الههم (اله الحرب ورب الجنود) الذي يسير قدامهم ويضرب الجيوش بسيفه من أجلهم ويهديهم النصر في كل مرة ، والحوار مضحك لا نريد ان نسترسل فيه ، ولكن بدا من سياقته أن (اله الجنود) لم يكن سيفه قويا في هذه المرة ، اذ انهزم جيش يهوذا وقتل الملك (يوشيا) ، وملك من بعده أخوه آحاز فلم يلبث ان عزله الفرعون الذي ضم المنطقة وساقه اسيرا الى مصر وملك مكانه أخاه (الياقيم)

○ والفرس :

كثيرون هم الذين يجمعون على أن آشور ـ بضمها المملكة الشمالية ـ وبابل ـ بضمها المملكة الجنوبية ـ قد قضتا تماما على التاريخ السياسي لليهود وغيبتاهم تمام المغيب ، وربما كـان القصد ان الامبـراطوريتـين الاستعماريتين الكبيرتين قضتا على دولـة اليهود او عـلى دويلتيهم في الشمال والجنوب ، ولكن ، حيث انهما لم تقضيا على اليهود انفسهم ، فقد ظل حيا ذلك الدور الذي ارتبط وثيقا بكلمة (يهود) ، فانى وقعت على هذه الكلمة ، فانك ـ لاريب ـ واجد جماعة من الناس يدأبون السعي ويكثرون الجد والكد للاتصال بالقوى الكبرى والتغلغل في مصالحها والتوسط عند رؤسائها والحصول على حمايتها .

ونبدأ من حيث انتهى الكثيرون الى ان التاريخ السياسي لليهود قد انتهى بـانقضاء دويلتيهم وانتقـالهم الى اسوار السبى في أكناف العراق ، لنقول : في الفترة بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد ، كانت جماهير غفيرة من اليهود يعيشون على ضفاف الفرات اسارى في السبى البابلي ، وهذه الجماهير اليهودية لم تضيع وقتها عبثا ، وانما عاشوا يتعرفون على طرق البلاد ومسالكها وأدواتها الدفاعية ومنشآتها الحيوية المدنية والعسكرية ، ويمدون ايديهم الخفية في البلاط البابـلي ويعملون عملهم السرى عند صناع القرار السياسي والاقتصادي والعسكري ، ذلـك في الـوقت الذي فيـه كانت فـارس ـ الامبراطورية الاستعمارية المجاورة والشابة آنذاك ـ تتاهب للانقضاض على العراق لتزيل عنه ملوك بابل وتحل محلهم هناك من حيث ارادت ان تنطلق في أكبر عملية غزو استعمارية عرفها الزمن القديم ، وكان طبيعيا من اليهود ان يتصلوا بفارس ، وكان منطقيا من فارس ان تهتبل الفرصة التي اتاحتها لهم جماعة كهؤلاء هي في أشد الحاجة اليهم ، وجرت اتصالات سرية ومفاوضات بين الجانبين ، التزم اليهود بموجبها بتخريب العراق عند هجوم الفرس ، وبالفعل لم يكن قورش العظيم ليتمكن من تحطيم سيطرة

البابليين الا بمعاونة اليهود « من داخل بابل في تخريب عمليات الدفاع » .

ثم « انطلقت من العراق حركة من أكبر حركات التوسع الاستعماري في العصور القديمة ، فتحت فيها العراق وأجزاء من شبه الجزيرة العربية وكل الشام القديم (سوريا ولبنان والاردن وفلسطين) ثم هجموا على مصر واحتلوها ، وخلال هذه المهمة الحربية الطويلة كانت للفرس (في كل خطوة سلامة) بفضل خبرة اليهود بالمنطقة وانحيازهم الى الجيش الغازى وقيامهم بالتخريب أمامه في المدن والقرى المفتوحة والتجسس عليها ، حتى اذا دهمت فارس حدود مصر واحتلتها واقامت عساكرها عند أسوان ، استعانت باليهود في دخولها ثم استعمارها ، وقد شهدت الوثائق التاريخية على مدى التعاون التام بين حامية قمبيز وبين اليهود « فقد وجدت لهم بجزيرة الفيلة في أسوان مجموعة من الوثائق العسكرية الفارسية المرابطة في أقصى الجنوب من البلاد ، وهذه الجالية المتعاونة معها في شؤون التموين والخدمات والاقتصاد والجباية والترفيه عن جنود الاستعمار .

« بلفور » العهد القديم :

فاية خدمات قدمها اليهود للفرس واستحقوا عليها أن تكافأهم هذه القوة الاستعمارية الكبرى ، التي احتضنتهم بعد تمام مؤامرتها ومكنتهم من العودة الى فلسطين ، اذ منحهم ملكها (قورش العظيم) تصريحا بالعودة الى سفوح صهيون ، الى حيث يطمعون في اقامة المجد الزائل ، وسمح لهم قورش باعادة بناء الهيكل ، وملك على يهوذا ملك من بيت داوود وايده وآزره هو (زربابل بن شالتئيل) ، الذي هيأه لذلك كهان اليهود .. ومن جديد .. عاد اليهود ليحكموا اورشليم ،، ومن جديد .. « عادت تتردد في هيكلها حشرجات الضحايا المذبوحة بيد اهل الكهنوت » .

وكان هذا التصريح بالعودة يشبه (تصريح بلفور) في العصر الحديث ، وكان نص (تصريح قورش) كالآتي : « هكذا قال قورش ملك فارس ، جميع ممالك الارض دفعها لي الرب اله السماء ، وهو اوصاني ان ابني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا ، من منكم من كل شعبة ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم ، فيبني بيت الرب اله اسرائيل هو الاله الذي في أورشليم ، وكل من بقي في أحد الاماكن حيث هو متغرب في مكانه فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم ، مع التبرع لبيت الرب الذي في أورشليم » .

هكذا مكنهم قورش العظيم من العودة وأمر حكومته بمساعدتهم وحث شعبه على التبرع لهم بالمال والمتاع ، الا ان (بلفور العهد القديم) لم يكن ليصدر هذا الامر ويكلف بلاده عناء المحافظة على دولة لليهود من باب العطف المجاني أو

الحب المجرد لبني اسرائيل ، ولكن المعقول ان الهدف من هذا التصريح هو ضمان الانحياز الكامل اليه وهو في حروبه الاستعمارية في المنطقة ، ثم استخدامهم ـ بعد استتاب الامر له ـ « ليكونوا عيونا له فيها ويستعين بدهائهم على حكم أصحاب البلاد من الكنعانيين » ، وليكونوا طليعة لقواته وفصيلة متقدمة لها في المنطقة وقوة خفية متغلغلة في شؤونها وذراعا قوية له بين دولها ، يؤدب به من خرج عن طاعته منها ، وقد كلفته مصالحه الاستعمارية أن يدخل هؤلاء الناس في البلاد عنوة على أهلها الذين ظهرت عليهم موجات من الاستياء قاموا على أثرها « يقيمون العراقيل في سبيل تجديد معبدهم »

الا أن يهود السبى عمدوا الى استغلال (تصريح قورش) أفضل استغلال ، فلم يعودوا جميعا من هناك ، ولكن جماعة منهم فضلت البقاء في العراق ليكونوا على مقربة [illegible] حكومة الدولة ، يعملون عملهم في بلاط فارس ويدخرون وجودهم ليوم تصير فيه فارس الى ضعف من بعد قوة ، ويحتاجون الى الاتصال بقوة استعمارية [illegible]

سنتان على ([illegible] قورش [illegible] حتى عادت الفصيلة الاولى من يهود السبي عودتها وتتابعت من بعدها الموجات لتعيد بناء الهيكل وتجعل من تولى (قورش) نقطة تحول خطيرة في تاريخ اليهود ، وعادت جماعة أخرى في عهد الملك (ارتحشستا) بجهود سياسية بذلها كل من عذرا ونحميا صاحبي السفرين المنسوبين لهما ، فقد ظلت جماعة منهم هناك كما قلنا ، لتتغلغل في قصور الفرس وتدس كلمتها في قرارات الاكاسرة العظام ، وكانت أكبر التغلغل للنفوذ اليهودي تلك التي أفاض في شرحها سفر (الملكة أستير) ، تلك الفتاة اليهودية البارعة التي استطاع عمها (اليهودي المحنك موردخاى) أن يدسها بين محظيات الملك ، واستطاعت هي بنعومتها وجمالها ان تستحوذ على قلب الملك ، حتى تزوجها وخضع لسطوتها وجعل من نفسه ومن حكومته أدوات في أيديها والايدي الخفية التي تخفت وراءها ، فأصبح يعزل وزراءه كلما أراد اليهود ، ويقتلهم كلما أرادوا الانتقام منهم ، وأمر بتحرير اليهود ورفع مكانتهم فوق الوزراء والولاة في شئون دولته ومستعمراتها .

والجولة .. مع الاسكندر

ولم تكد شمس القرن [illegible] الرابع قبل الميلاد تشرق على الدنيا حتى بدأت [illegible] تؤذن [illegible]

[illegible] اليهود الذين رفعتهم في [illegible] الامبراطورية الاستعمارية الكبرى غفلا عن عوامل الضعف وأسباب الوهن وهي تنتشر ببطء وتستشري على مهل في أوصال الدولة الزائلة ، التي أكلوا خيرها وباعوا كهولتها . وكيف لا يدركون ذلك وهم المخربون في كل موقع ، المثلون في كل طابور

خفى .. أصحاب الايدي الخفية المتلصصة والآذان المسترقة في كل مكان ، المترقبون دائما متى تزول القوة التي يعتمدون عليها لينقلوا جهدهم ويولوا وجوههم شطر قوة أخرى ،؟؟

ولم تمض ثلاثة عقود من هذا القرن ، حتى كانت اليونان قد جهزت الاسكندر المقدونى بجيش قوى لاجتياح الشرق وازاحة النفوذ الفارسي عن الاصقاع التي دانت له ، وبينما كانت نجوم فارس تأخذ طريقها الى الأفول نجما نجما ، كان اليهود الذين عاشوا في أكنافهم حقبة طويلة من الزمن يراقبون الغزو اليوناني الآتي من الغرب ، ويتفننون في الوسيلة ويحاولون الحيلة للاتصال به .

ولما بدأ يتطلع الى الشام ليجتازه الى العراق الذي كان في خطته أن يتخذ منه قاعدة ينطلق منها لينقض على الفرس في عقر دارهم ، جاء دور يهود الشام ، فما أن بدأت طلائع الاسكندر تزاحم حدود الشام من جهة أرض كنعان ، حتى بدأ اليهود الاتصال به وعرض خدماتهم في التجسس له والاستطلاع أمامه والتخريب أمام قواته والتمهيد لها ، فضلا عن ترسيخ أقدامه في المستعمرات الجديدة ، وكان عرضا كبيرا يحتاج الى مثله الدكتاتور المقدوني الكبير الذي نجح في عقد الحلف مع هذا الطابور السري الخطير وضمه الى صفوفه ، وقد كافأهم بعد الفتح بأن أسند اليهم مناصب رئاسية ودينية في البلاد ، وبسط عليهم حمايته ، ولكن الفاتح الكبير الذي كان ولا شك قد درس أحوال الأمم في البلاد التي خطط لغزوها دفعته فكرته عنهم وحنكة مخابراته بهم الى أن يتعامل معهم بحذر ، فعندما ذهب يكافأهم بعد الفتح « أباح ليهود الشام أن تكون لهم شخصية قوية متميزة ، وأن يحكم أفراد منهم يتولون السلطة الروحية والمحافظة على الأمن ، واقامة القضاء حسب الشريعة الموسوية في محاكم خاصة بهم ..

ولكنه .. منعهم من الاشراف على السياسة الخارجية أو الاقتصاد أو الشئون العسكرية ، وسلم ذلك بحكام يونانيين . أما يهود الاسكندرية فكافأهم بأن سمح لهم بإحياء دراساتهم الشرعية والاقامة في حي خاص بهم وإقامة شعائرهم الدينية .

○ ومع الرومان :

وعندما خضعت المنطقة لسيادة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد ، كان اليهود قد أعدوا عدتهم لمغازلة القوى الرومانية الآتية من الشمال ، ولكن بدا بعد نجاح الغزو ان حيلهم وماضيهم في الجاسوسية وقدرتهم على احتواء القوى الغازية ، لم تكن على قدر الطموح الروماني نحو الاستعمار ، لذلك انقلب الرومان عليهم وجردوهم من مراكزهم المتميزة فوق بقية أهل البلاد ، فعمد اليهود الى التمرد والتخريب واثارة الفتن والقلاقل ، وقاموا بحركة تمرد على

الرومان سنة ٦٦ م ، ولم تمض سنة ٧٠ م حتى كان الرومان قد قمعوها تماما ، الا أن اليهود استطاعوا ان يحققوا مكاسب من وراء هذه الخطة ، اذ أقام الامبراطور (تيتوس) على المنطقة مملكة « أقام على رأسها أسرة الهيروديين من اليهود ، فحكمت قسما من فلسطين لحساب روما »

واذ علم ان اليهود في هذه الفترة كانوا قد انقسموا الى عدة فرق (من فريسيين وصدوقيين وأبناء داوود وغيرهم ..) ، فانه لم تلبث أن توالت الارهاصات بظهور المسيح ، حتى أخذت كل فرقة تنتظر أن يكون منها ، فلما ظهر النبي يحيى (يسمونه يوحنا المعمدان) وقام يدعو الى الله ، تآمروا عليه وفضلوا وثنية الرومان على تعاليمه السماوية ، فدفعوا نساءهم يوغرن عليه صدور الرومان حتى قتلوه اكراما ليهودية حسناء فتن بها الملك ، ثم توالت الارهاصات واخذ هديرها يشتد ، وعادت - من جديد - كل فرقة تستعد لان يكون منها ، حيث كانت فرقهم جميعا تنتظر كل منها أن يخرج من بينها مسيح عنصري صهيوني يتولى اخضاع العالم تحت أقدام اسرائيل ، فلما ظهر المسيح الحق ، لم يجدوا فيه أحلامهم ، وانما وجدوا رسولا من الله ينقض التعاليم الفاسدة التي حوتها كتبهم المحرفة والتي لم تتبدل منذ حرفها أحبار الفساد في أسر بابل ، فتآمروا عليه جميعا واتحدوا في مؤامرة ضمتهم الى البيت الهيرودي الذي رآه خطرا على عرشه ، وتآمرت عليه وعلى دعوته جحافل السلطة الدينية والزمنية معا ، وذلك - ببساطة - لأنه لم يكن عنصريا ولا صهيونيا ، وانما دعا الى عالمية الدين والى الله الحق .

○ ثم انتهى شهر العسل :

الا ان (شهر العسل) بين اليهود وبين الرومان لم يدم طويلا بعد غياب المسيح ، اذ عاود الرومان الضغط عليهم وقمعهم فعاودوا التخريب والتمرد ، الى ان كانت آخر حركة تمرد صهيونية في الزمن القديم بقيادة (بركوكبا) في القرن الثاني الميلادي ، تلك الحركة التي حمل الرومان من بعدها على اليهود حملة لم يعرف لها مثيل ، وطفقوا - فيما يشبه محو اللون اليهودي من على الارض - يوسعونهم قتلا وتشتيتا حتى لم تقم لهم من بعدها قومة الى العصر الحديث .

○ خاتمة

وكثيرون هم الذين يجمعون على أن ما بين حركة (بركوكبا) وبين عصر الصهيونية الحاضرة .. خمد اليهود تماما .. ولم تقم لهم قائمة .. ولم يكن لهم دور .. حتى العصر الحاضر ، منذ بدأ وايزمان يجمعهم في أوائل القرن العشرين في موجة صهيونية كبرى ترمي الى اغتصاب فلسطين ،... ولكن .. وقبل ان نختم حديثنا عن (شواهد الحلف في العهد القديم) ،..نرى لا بد وأن نتطرق الى

الفترة ما بين العصور القديمة وبين عصور الاستعمار الحديثة ، فانه طالما كان في الارض موجات استعمارية ... وطالما أن اليهود احياء يرزقون .. فاننا ـ حتما ـ سنجد لهم دورا مع قوى الطغيان ..واننا ـ حتما ـ سنجد لهم في الاستعمار حياة .. وعلى أي فاننا سنقصر حديث ختامنا عن دورهم في الحروب الصليبية ، ودورهم مع نابوليون بونابارت ، وسنجمل فيما يلي :

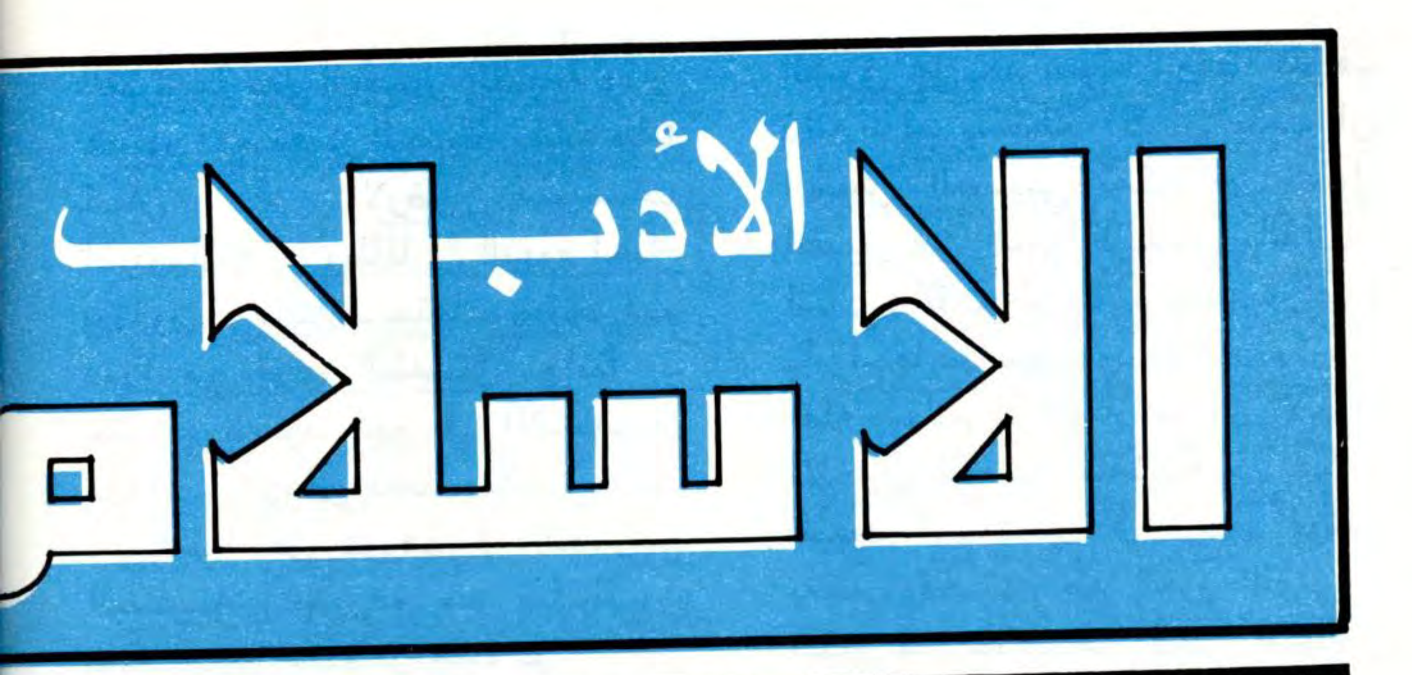
○ في الحرب الصليبية :

فمع تقدم الجيوش الصليبية في أرض فلسطين ، حاول بعض كتابهم أن يوجد لهم دورا ايجابيا في التعرض لفظائع الصليبيين التي تعرض لها أصحاب البلاد ، فلم يدخر وسيلة يفصح بها عن تعرض اليهود في أوروبا للاضطهاد على يد الصليبيين ، واسهب يشرح ما تعرضوا له في أوروبا الى ان أدرك ان حديثه عن فظائع أوروبا نحو يهود الغرب لا يعني بالضرورة أن فظائع الجيوش الصليبية التي أتت الى فلسطين قد أصابت ـ فيما أصابت ـ يهود الشرق ، فاكتفى بأن هؤلاء اليهود الشرقيين كان لهم دور سلبي للغاية ،... والى هنا يلزمنا الأمر ان نستوقف هذا المؤلف أمام نصوص كتابه ذاتها ، التي لم تستطع ان تبرر ما ذكرته من أن يهود الخليل سلموا تماما من فظائع الغزو الصليبي ، ولم يصبهم أذى الحملة هم ومسيحيو الشرق على حد سواء ، وهذا المؤلف ذاته ، لم يستطع الا أن يثبت ان الجيش الصليبي تمكن من دخول القدس من الحي اليهودي بالذات ، الذي ألقت قوات (جوديفراي) بأبراجها على سوره ودخلته ، ثم تركت أهله بسلام ثم اجتازتهم الى الاحياء الاخرى للمدينة المقدسة ... حكاية اليهود الساكنين في أرض غوشن بمصر وقصتهم مع الغزو اللوبي .. تتكرر من جديد من الحي اليهودي بالقدس وقصته مع الغزو الصليبي .

○ في الحملة الفرنسية :

وبذات الاجمال نقول ان نابليون بونابارت عندما استجمع قواه للحملة على الشرق ، كان ادرى بصلة اليهود في المنطقة واهميتهم كفصيلة متقدمة لكل جيش غازي ، اطلق نداء قويا الى يهود الشرق يدعوهم للانضمام الى حملته ويغريهم بمنافع لهم في المنطقة ،... ولكن نابليون الذي نشر ذلك في جريدته الرسمية ، لم يتمكن ـ على النحو المعروف ـ من مواصلة حملته وفك حصار عكا وعاد الى بلاده دون ان يحقق لهم شيئا .

وكان ذلك في خواتيم القرن التاسع عشر ، وطوال القرن التاسع عشر ظل الصهاينة يطرقون أبواب الاستعمار انى وجدوه .. يتغلغلون في صفوفه ، ويكتسبون يدا في قراراته .. حتى احتضنهم وأيدتهم قواه الغاشمة ، على النحو الذي نعرفه جميعا عن عصور الصهيونية الحاضرة .



اولا : تبنى الأدب الاسلامي والعناية به :

١ ـ دعوة الوزارات المختصة والجامعات الى تبني هذا الأدب ، والعناية به وتدريسه في المراحل الثانوية والجامعية ليعبر عن الاسلام وتعاليمه وينشر دعوته في الأرض وذلك عن طريق الكلمة الطيبة المؤثرة .

٢ ـ ادخال مادة الأدب الاسلامي بصفة عامة وادب الدعوة بصفة خاصة في اقسام الدعوة والاعلام وفي السنوات التمهيدية من الدراسات العليا واعداد الرسائل الجامعية التي تبرز هذا الأدب وتقعد له وتخرج الباحثين المختصين فيه .

٣ ـ دعوة الباحثين من علماء المسلمين عامة وأدبائهم ونقادهم خاصة الى اعداد البحوث في هذا الأدب ، ووضع قواعده في النقد . وحض الجامعات على تبني ما يكتب في هذا المجال وطباعته ونشره وبذل المكافآت السخية لكتابه .

٤ ـ دعوة الجامعات في الأقطار الاسلامية لانشاء فروع في مكتباتها للاثار الأدبية الاسلامية القديمة والحديثة المكتوبة باللغة العربية ولغات الشعوب الاسلامية وما كتبه المستشرقون في هذا الموضوع لتكون مراجع لدارسي هذا الأدب .

٥ ـ العمل على ترجمة هذه الآثار من العربية واليها وذلك للافادة من الطاقات الأدبية في العالم الاسلامي ، وتفاعل هذه الطاقات ورفد بعضها لبعض والسعي لطباعتها ونشرها بالوسائل المختلفة .

٦ ـ حض الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية والنوادي الادبية على تشجيع ذوي الطاقات الادبية المبدعة ، واعداد المسابقات لكتابة القصص والمسرحيات والمسلسلات النابعة من الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته ومنح الجوائز السخية لاصحاب الآثار الفائزة ، والعمل على نشرها والكتابة عنها ، وعن أصحابها في الصحف والمجلات .

يستطيعها المبتدىء في الدراسة الابتدائية وذلك يستفاد من تدبر النتائج السيئة التي وصلت إليها هذه العمليات الحسابية ومخالفتها لصريح القرآن مما يثبت أمرين معا : أن المنهج الذي اتخذه هؤلاء الحاسبون خاطىء فلا اجتهاد بغير أدوات وطرق الاجتهاد، ولا اجتهاد في الغيبيات هذا أمر وأما الآخر فهو سوء نية هؤلاء الحاسبين فانهم لم يتخلوا عن هذا العبث حين ظهرت لهم نتائجه التي تكذب القرآن ، ولو كانوا حسني النية لهالهم سوء ما وصلوا إليه فكفوا سراعا عما يفعلون ولم ينشروا افكهم بين الناس فضلا عن أن يذيعوه بكل اصرار وبكل وسائل الاعلام وفي معظم بلاد المسلمين .

ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين ، بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب أن يكون يقينيا يعني متواترا ، فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ، ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا . وذلك بخلاف الاحكام الشرعية فانه يكفي لتقريرها الخبر الصحيح الظني وهو خبر الآحاد .

وعلة التفرقة بين العقيدة والأحكام الشرعية في طريقة الثبوت وكيفية الدليل واضحة ومنطقية فان الأحكام الشرعية مستمدة إما من النص الصريح في القرآن أو بأحدى دلالات ظاهر الألفاظ أو مفهوم المخالفة الخ الخ .. وكذلك يمكن تقريرها بالنص المسموع من الرسول الواصل إلينا ولو بطريق الآحاد وذلك لأن أصحاب الرسول لم يكونوا يجتمعون كلهم به - صلى الله عليه وسلم - في وقت واحد وعلى صعيد واحد فكان منهم الحاضر وكان منهم الغائب ، والحاضر ولو كان واحدا منوط به تبليغ ما سمعه إلى من لم يسمع ولو كان واحدا ومطلوب منه ألا يخفي عند الاستفتاء حكم المسألة الذي سمعه بنفسه أو من غيره حكاية عن الرسول . ثم إن كثيرا من العلاقات والمسائل والأوضاع المستجدة على مدى العصور والأزمان قد لا تجد في القرآن نصا صريحا يعالجها ، وربما افتقدت في سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - ما ينزل حكم الله عليها فلم تجد ، أو وجدت قريبا منه ، فاحتاج الأمر الى الاجتهاد واعمال القياس بأنواعه .

أما العقيدة فلا يقررها الا القرآن وهو الدليل القطعي وإلا الحديث الموافق تماما والمطابق لحكم القرآن أو الحديث المتواتر قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ، والقرآن لم يترك عقيدة مطلوب من المسلم الآيمان بها إلا قررها فأية عقيدة تكون زائدة عما ورد في القرآن فانه لا يؤبه لها ولا يؤخذ بها .

ونتحوط فنقرر أن كلامنا هذا خاص بالعقيدة في شأن الغيبيات ، والغيبيات هي الأمور المغيبات أو الوقائع التي تحدث في مستقبل الزمان ، فلا تستنبط ولا تستنتج ولا يجدي في الوصول الى كنهها طريق الاستقراء ولا طريق القياس ، فكل دليل يصلح لتقرير حكم شرعي أو حقيقة علمية لا يصلح أبدا لتقرير المغيبات ، فدليل المغيبات هو وحده الخبر القطعي اليقيني من القرآن أو من السنة المطهرة

وظن الظانون أنه لا علم الا عن طريق منهج التجربة والاستقراء ، وبلغ بهم الزهو بهذا المنهج أن حاولوا أن يطبقوه لاستفادة العلم واستنباطه في غير المسائل المادية المشاهدة المحسة فباءوا بالفشل والتخبط فان مصادر العقليات والفكريات غير مصادر الماديات . وما هية هذه غير ما هية تلك ، وبالتالي فان أدلة الماديات غير أدلة المعنويات ، وشتان بينهما وما اعظم الفرق .

بل الأدهى أن بعض أدعياء العلم المنبهرين بدليل التجربة والاستقراء ظنوا في أنفسهم القدرة على أن ينقلوا دليل المشاهدة والتجربة من حقله المادي لا الى حقل معنوي فحسب بل الى حقل الغيبيات فأضحكوا الثكلى ولم يزيدوا على أن قاموا ببهلوانيات لا تصدر الا من صبية غير مميزين أو من مأفونين استبدبهم الهوس والحمق والغفلة ، ونضرب لهؤلاء مثلا بهذا الذي قدس الرقم « ١٩ » وفي سبيل أثبات قداسته لجأ الى ماديات الجمع والقسمة والضرب فضل وأضل .

وان كان العلم الغربي لم يحتج في تحقيقه إلا الى الدليل المادي المستمد من عملية الاستقراء والمشاهدة والتجربة لأنه علم مادي فان علم المسلمين في جانبه الديني اعتمد الدليل المستمد من الخبر حيث كان القرآن والسنة هما المنهلين الرئيسيين والمصدرين المعتبرين لعلم العبادات والتشريعات فضلا عن علم الغيبيات ، وحيث كان الأمر كذلك فقد نهضوا بالخبر فجعلوا منه علما قائما بذاته وقعدوا له القواعد ووضعوا له الموازين والمصطلحات . ولم يكن الغربيون في حاجة الى مثل هذا العلم ، بينما المسلمون أخذوا في علومهم الدنيوية بكل الأدلة العلمية المعروفة الآن وعلى رأسها الاستقراء والتجربة والمشاهدة ، لكنهم لمهارتهم فرقوا بين علم تنزل أصوله من السماء فهو قائم على الخبر وبين علم دنيوي ينتفع بكل موازين العقل وقواعد الفكر السليم في استنباط النتائج من المقدمات واستخراجها من المشاهدات وهكذا وضعوا مع العلم الذي ينظم الرواية وعلوم النقل علما آخر لتنظيم قواعد الفهم السليم وسبل التفكير السوي والخروج بالنتائج الصحيحة من مقدماتها الصحيحة وبرعوا في علم الأدلة وعلم القياس براعة لم يسبقهم اليها سابق ولم يلحقهم فيها لاحق ، وذلك كله في مجال تشريع الفروع .

وهكذا يستطيع المسلم الفاقه المتبصر أن يعمل فكره ببراعة لا تباري في الأمور تعرض عليه فيعالج بالدليل المادي المشاهدات والمحسات وهو لا يعمله في غير هذا النطاق فيخرج بفكر سليم ورأي قويم ، ويعالج بالأدلة العقلية المعنويات والفكريات من فهم للنصوص وازالة تعارض ظاهري أو الكشف عن مناسبات خفية ويعمل دليل القياس الجلي وغير الجلي في مجالهما ويعالج كل حالة بنوع من الأدلة يناسبها ولا يناسبها سواه ثم هو في استنباط الأحكام الشرعية وفي فضائل الاعمال والأقوال يأخذ بالدليل القطعي كما يأخذ بالدليل الظني سواء بسواء .

لكن المسلم المتفقه الصائن لدينه من العبث المتحوط لايمانه أن يخدش لا يعمل في العلم بالغيبيات الا الخبر القطعي اليقيني الذي يفيد القطع والجزم واليقين لا الظن ولا الترجيح ، والمسلم بهذا السلوك لا يمارس الدليل العلمي فحسب انما هو

يتناولها النص الصريح من القرآن أو السنة بأي حكم ، وذلك في فروع التشريعات الدنيوية . وادوات هذا الاجتهاد نعني شروطه معروفة بين اهل الاختصاص فشروط ترجع الى علم المجتهد وشروط ترجع الى قصده نعني الى صلاحه وتقواه وخشيته من الله ثم شروط ترجع الى نفس الموضوع الذي يريد الاجتهاد في شأنه . فاذا اختل شرط من هذه الشروط أو انعدم ركن من هذه الأركان فان الأمر لا يعدو أن يكون عبث عابث او كيد كائد او ترويجا لالحاد .

اريد ان اقول : ان كان كبيرهم المنتهى من اكذوبة الإعجاز للرقم « ١٩ » الى إنكار ملائكة النار والى تحديد وقت الساعة ، ان كان يفقه شيئا ولو يسيرا في علم الأصول ومباحث الأدلة او شيئا يسيرا في كيفية تناول العقيدة الثابتة بالقرآن او السنة المتواترة ، فانه بهذا القليل اليسير يعلم تماما ان العقيدة الثابتة بالقرآن لا مجال فيها للاجتهاد خاصة اذا وصل هذا الاجتهاد الى انكار مفهوم ظاهر النص فهو بهذا العلم وان كان يسيرا ـ الا انه بديهية من بدائه العقيدة ـ يكون سجل على نفسه سوء نيته وسوء قصده نحو القرآن واهله . فلا يجوز ان يحتج له عاذر بالاجتهاد ولا يقبل منه اجتهاده لأنه غير ثقة وله خبيئة وقصد سيىء ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فإن اجتهاده لا يقبل لأن موضوعه عقيدة ثابتة في الدين بالنص القطعي اليقيني ، وكل بحوثه وجهوده مرفوضة لأنها انتهت الى انكار العقيدة .

وان كان هو ومؤيدوه لا يعلمون شيئا ولو يسيرا في أصول الفقه وعلم الأدلة ويجهلون تماما ما يجب أن يعلمه صبي الكتاب غير المميز من أمر العقيدة فان الخطب في هذه الحالة خطبان : خطب الذي يتكلم في الله وأخباره بغير علم وينتهي بجهله وشعوذته الى تكذيب الله ، وينضم اليه خطب الذين سمحوا لأنفسهم بالإنصات اليه بسعة صدر ثم شجعوه على المضي في ترهاته وأباطيله فضلا عن كونهم صدقوه او بالأقل التمسوا له عذر الاجتهاد .

ونقول انتهاء في شأن من نحجم عن ذكر اسمه ومؤيديه ان النتائج التي وصلوا اليها كان يجب أن تروعهم وأن تصدهم عن ابحاثهم وان تسهرهم ليلهم يستغفرون الله منيبين اليه في خشوع الذليل امام العزيز ورجوع الجاهل الى مصدر العلم ، لكنهم ، وللعجب وللأسف معا ، يذيعون نتائج ما وصلوا اليه فرحين مزهوين ويتخذون من الإضرار والجد في اذاعة انكار عقائد قال بها الله اسلوبا لهم في نشاطهم المشبوه .

والذي احدسه بل اجزم به ان التباهي بكشف غامض والتفاخر بالوصول الى جديد والزهو بإعطاء الناس آذانهم لهذا الذي يهذر به ، كل ذلك أطربه فأمعن فاستخف الناس ليصدقوه ، فباع آخرته بدنياه والعاجلة بالآجلة ، ولو كانت المساحة من المجلة المخصصة لهذا المقال تتسع للمزيد لكشفنا لقارئها الكريم عن الكثير مما يجب ان يعلمه فاذا علمه زهد في الاستماع الى خدعة الأعجاز العددي للقرآن عن طريق الرقم الجهنمي « ١٩ » الذي هو شعار طائفة مارقة . ونسأل لنا وللجميع الهداية وصواب القول والعمل .

« رضي الله عنهما » ، وكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » قد خطبها من ابيها الصديق « رضي الله تعالى عنه » ، وهي بنت ست ، وقيل : سبع سنين ، وبني بها بعد الهجرة وهي بنت تسع ، ولم يتزوج الرسول « صلى الله عليه وسلم » بكرا غيرها .

وقد تربت السيدة عائشة « رضي الله عنها » في منزل الوحي ، فنشأت متخلقة بأحسن الاخلاق ، فلاعجب ان كانت احب نسائه اليه ، وآثرهن عنده ، وكان صداقها اربعمائة درهم ، وروت عن النبي « صلى الله عليه وسلم » اكثر من الف حديث ؛ وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، وكنيتها ام عبد الله ، كنيت بابن اختها اسماء ، وهي أم عبد الله بن الزبير ، وكان يدعوها اما لانه تربى في حجرها .. ، وقبض رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، وهي بنت ثماني عشرة سنة ، وقبض ورأسه في حجرها ، ودفن في بيتها ، وتوفيت سنة سبع وخمسين للهجرة الشريفة في شهر رمضان « يوليو ٦٧٨م » ، وصلى عليها ابو هريرة بالبقيع ، ودفنت ليلا ، وذلك زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة في خلافة معاوية .. فرضى الله تعالى عنها وارضاها .

(٢) سرية عبيدة بن الحارث الى رابغ (شوال ـ السنة الأولى من الهجرة) :

في شهر شوال من السنة الاولى ارسل النبي العظيم « صلى الله عليه وسلم » ابن عمه « عبيدة بن الحارث » في ثمانين راكبا من المهاجرين ، وعقد له لواء ابيض حمله « مسطح بن اثاثة » ، وذلك لكي يعترض عيرا لقريش ، يحرسها مائتا رجل من اهل مكة ، على رأسهم ابو سفيان بن حرب ، فسار عبيدة ومن معه من المسلمين حتى التقوا بعير قريش ببطن رابغ « واد بين الحرمين قرب البحر على بعد عشرة اميال من الجحفة » .

قال ابن هشام « فلم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان اول سهم رمي به في الاسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم » .

(انظر : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٢٢٤ طبعة المكتبة التجارية)
وبعد انصراف كل من الفريقين عن الاخر ، ولى المشركون الادبار مسرعين السير الى مكة خوفا من ان يكون للمسلمين كمين او مدد ، وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود ، وعتبة بن غزوان وكانا قد اسلما قديما ،

الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين) ٥١و ٥٢ / المائدة .

ولما كشف بنو قينقاع نقاب العداوة للمسلمين وتحصنوا في حصونهم ذهب اليهم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في النصف الثاني من شهر شوال يحمل لواءه عمه حمزة ، وخلف على المدينة ابا لبابة الانصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، فأدركهم الرعب ، ولم يستطيعوا المقاومة ، فطلبوا التسليم والخروج من المدينة ومعهم النساء والذرية ، وللمسلمين المال ، فقبل عليه الصلاة والسلام واوكل عبادة بن الصامت لخروجهم وامهلهم ثلاث ليال ، وذهبوا الى بلدة اذرعان بالشام ولم يمض عليهم عام حتى هلكوا .

(٥) غزوة احد شوال ٣هـ :

رأت قريش بعد ان لحقت بها الهزيمة في واقعة بدر ان تثأر لشرفها وسمعتها ، ولمن قتل من رجالاتها ، لذلك كانت هي البادئة في العدوان ، ومما يدلنا على شدة حرصها على الاخذ بالثأر انها ظلت تستعد مدة سنة لحرب الرسول « صلى الله عليه وسلم » واصحابه ، وبذلت في هذا السبيل مجهودا كبيرا ، كما خصصت اموال القافلة التي حاول المسلمون اعتراضها وهي قادمة من الشام ، والتي كانت السبب في واقعة بدر للانفاق منها على تلك الحرب ، وطابت انفس اشرافها ان يجهزوا من تلك الاموال جيشا فنزل فيهم قول الله جل ثناؤه :(**ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون)** ٣٦ / الانفال .

كذلك دعت قريش حلفاءها من ثقيف وقبائل تهامة وكنانة للاشتراك معها في محاربة المسلمين .. ، ولما تم استعدادها خرجت بحلفائها الى المدينة في شوال سنة ٣ هـ بقيادة ابي سفيان بن حرب .. ، ولما بلغ النبي « صلى الله عليه وسلم » قدوم قريش على المدينة ، استشار أصحابه كعادته في مثل هذه المواقف ، فمنهم من اشار بالاكتفاء بالدفاع ، ومنهم من أشار بالخروج من المدينة ومقاتلة قريش .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى وجوب البقاء في المدينة والاكتفاء بالدفاع عنها وقال لاصحابه : « امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام « جمع اطم وهي بيوت من حجارة كان يسكنها اهل المدينة » ، فان دُخل علينا قاتلناهم في الأزقة » وقد أيده في ذلك

أكابر الصحابة من المهاجرين والانصار ، كما وافقه عبد الله بن ابي . اما انصار الرأي الثاني فكان اغلبهم من الشبان الذين لم يشهدوا بدراً ، ومن المسلمين المتحمسين للقاء العدو ، وهؤلاء قالوا للرسول : « اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا » .

قبل الرسول « عليه الصلاة والسلام » رأى هذا الفريق لكثرة عدد انصاره وقوة باسهم ، ثم خرج من المدينة في الف من المسلمين ، ولم يكد يبلغ الشوط « مكان خارج المدينة » حتى تخلى عنه عبد الله بن ابي مع فريق من الجيش بحجة ان النبي لم يأخذ برأيه ، وقد ترتب على ذلك حدوث بعض الاضطراب في صفوف المسلمين .

لم يعبأ الرسول « صلى الله عليه وسلم » بتخلف عبد الله بن ابي واتباعه ، وواصل السير حتى نزل بعدوة الوادي « شاطىء الوادي وجانبه الصلب » ، فاستقبل المدينة ، وترك جبل احد خلف ظهره حتى لا تهاجمه قريش من خلفه ، وجعل وراءه الرماة ـ وهم خمسون رجلا ـ وولى عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم « احموا لنا ظهورنا ، فانا نخاف ان نؤتي من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، اللهم اني اشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل »

(امتاع الاسماع ـ المقريزي جـ١ ص ١٢٤)

اما قريش وحلفاؤها فنزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة ، وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ..

وابتدأت الواقعة بهجوم من جيش المسلمين على كتائب المشركين حتى اختلت صفوفهم وولوا منهزمين ، فتبعهم المسلمون واخذوا يجمعون ما وجدوه في طريقهم من الغنائم ، فلما رأى الرماة رسول الله واصحابه متقدمين في جوف عسكر المشركين تركوا اماكنهم وسارعوا الى جمع الغنائم ، فعاود المشركون الهجوم بعد تفرقهم وحاصروا المسلمين من كل جهة وانتهز خالد ابن الوليد فرصة خلو الجبل من الرماة واتى المسلمين من خلفهم واعمل الرماح في ظهورهم فانتقضت صفوف المسلمين وصاروا ـ كما يقول الطبري ـ ثلاثة اقسام ما بين قتيل وجريح وفريق منهزم جهدته الحرب لا يدري ما يصنع ، وقد حاول هذا الفريق الهرب في ثنايا الجبل ، ولم يثبت مع الرسول سوى اربعة عشر : سبعة من المهاجرين ومثلهم من الانصار ..

وازمع ابو سفيان بن حرب العودة الى مكة .
(انظر : الامم والملوك للطبري جـ٢ ص ١٩٧ ، امتاع الاسماع للمقريزي جـ١ ص١٥٧)

(٦) غزوة الخندق او الاحزاب شوال سنة ٥ هـ :

وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة ، ويطلق عليها غزوة الخندق للظاهرة الحربية التي امتازت بها عن سائر الغزوات ، فقد احاط الرسول فيها المدينة بخندق ليحول دون مهاجمتها ويصد به العدو ، كما عرفت ايضا بغزوة الاحزاب لانضمام جماعات من القبائل العربية واليهودية الى قريش في محاربة المسلمين .

اجتمع طوائف من مشركي قريش وغيرهم من العرب ، وبنو النضير من اليهود لحرب المسلمين وعددهم عشرة الاف رجل ، ويرأس الجميع ابو سفيان ، لأنه كان قائدهم العام .

اما المسلمون فلم يخرجوا من المدينة بل حفر الرسول خندقا عملا باشارة سلمان الفارسي حذرا من هجوم الاعداء عليها ، واما المشركون واليهود فحاصروا المدينة ، وضيقوا عليها تضييقا شديدا ، واستمر الحصار خمسة عشر يوما ، وفي ذلك الوقت نقض بنو قريظة اليهود العهود ، وجاهروا المسلمين بالعداوة ، وكذلك المنافقون ابرزوا ما تكنه صدورهم من النفاق ، فاشتد عند ذلك البلاء وعظم الخوف على المسلمين ، لان العدو اتاهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظن المسلمون بالله الظنون فأرسل الرسول عند ذلك خمسمائة مقاتل لحراسة المدينة خوفا على النساء والذرارى .. ولم يزالوا على هذه الحال الى ان هرب الاحزاب المحاصرون من خوف اصابهم ، واراح الله المسلمين من هذه النقمة ، وذلك ان الله سلط على الاعداء ليلا ريحا شديدة ، وجنودا لم يروها .. وفي البخاري .. « دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » .
(انظر : لباب الخيار في سيرة المختار للشيخ مصطفى الغلاييني ص ٧٢)

ولا شك انه كان لفشل الاحزاب ورجوعهم عن المدينة منهزمين اثر عظيم في نفوس المسلمين والعرب كافة ، فقد تبين لهم ان المدينة لا تؤخذ عنوة وان حشرت لها الاف الجنود من الحجاز ونجد ، وقدروي ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : حين جلت الاحزاب عن المدينة : « الآن نغزوهم ولا

يغزوننا » .
(انظر : الكامل في التاريخ لابن الاثير جـ٢ ص ٦٩)

(٧) غزوة حنين شوال سنة ٨ هـ

بعد ان دخل المسلمون مكة ، اقاموا بها مغتبطين بنصر الله تعالى وفضله عليهم اذ مكنهم من هذا الفتح العظيم ، ولم يكد المسلمون يستقرون بها اياما قليلة حتى سمعت هوازن بهذا الفتح ، فخشيت ان تدور الدائرة عليها هي الاخرى ، كما دارت على قريش وغيرها من قبل .
لذلك جمع مالك بن عوف النضري : هوازن وثقيفا وبعض القبائل الاخرى ، وسار بهم وبنسائهم وذراريهم الى رسول الله لقتاله .. ، ولما علم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بامر مالك وهوازن خرج ومعه الفان ممن اسلم من قريش وعشرة الاف من اصحابه .. وعندما بلغ المسلمون حنينا في المساء نزلوا على واد بها فأمضوا هنالك ليلتهم ثم انحدروا في عماية الفجر الى اودية تهامة ، وهناك فاجأتهم كتائب مالك بن عوف اذ كانوا يكمنون في الشعاب وامطروهم بوابل من النبل وشدوا على المسلمين ، فتراجع المسلمون وتفرقوا وانحاز النبي ذات اليمين وثبت في مكانه ، فأحاط به جماعة من المهاجرين والانصار وأهل بيته لحمايته من عدوان قد يقع عليه . وحين رأى النبي ان الناس قد تفرقوا نادى فيهم : « اليّ ايها الناس انا النبي لا كذب ، انا بن عبد المطلب » ، ثم امر العباس بن عبد المطلب ان ينادي فيهم فهتف العباس يقول : يا اصحاب سورة البقرة ، يااصحاب السمرة .. وتجاوب صدى الهتاف في جنبات الوادي فاخذ المسلمون يأتون من كل صوب قائلين : لبيك لبيك .. وعاد الجميع الى ساحة الاستبسال ، والتقوا باعدائهم فقاتلوهم وشدوا عليهم ، واخذوا ينادون : ياللأنصار ياللخزرج فتفرق في الاعداء وانهزموا وهكذا نصر الله المسلمين نصرا مؤزرا وانهزم المشركون وخيب الله امالهم وقد نزل في شأن هذه الغزوة قول الله تبارك وتعالى : (**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين**) ٢٥ و ٢٦ / التوبة .

وبعد : فهذه هي صور من حياة المسلمين في شهر شوال في عهد الرسول العظيم محمد بن عبد الله « عليه الصلاة والسلام » وصدق الله العظيم اذ يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا**) ٢١ / الاحزاب



للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

★ نور العلم :

لم يبدأ الله ـ سبحانه وتعالى ـ كتابه الكريم بالدعوة الى العلم الا وهو يريد أن يرعى نظر اوليائه اليه فيوقفوا انفسهم عليه ، ثم يكتسبوا من وراء ذلك عزة الربانيين وكرامة المقربين .

اما العلم فهو نور الله لا يهتدي اليه الا الموفق السعيد ، وهو الذي يضيء قلوب العارفين فيدركون به جلال الله وجماله ، فيزدادون لله حبا وخشية ، وعلى قدر حبهم لله يكون فرحهم به وانسهم بجماله . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

ولم يجمع اهل الله على شيء كما اجمعوا على وجوب العلم الذي يثمر المعرفة وعلى وجوب الاستعداد لطلبه بالوسائل المعينة على طلبه المؤدية الى فتح ابوابه واجتناء ثماره . وليس انجح في ذلك من وسيلة الصدق في الطلب والتسلح بالطاعة . قال الامام مالك للشافعي رضي الله عنهما حين قصده لطلب العلم : ما اسمك ؟ قال : محمد .. فقال : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فانه سيكون لك شأن من الشأن .

وكان للامام مالك فراسة صادقة ظهرت آثارها في الشافعي الذي طبق علمه الارض ، ويقول بعض العلماء : انه ـ اي الشافعي ـ المقصود بالاثر الوارد : عالم قريش يملأ طباق الارض علما .

وقد نظم الشافعي وصية استاذه وكيع حين اوصاه بالطاعة التي تورث العلم في قوله :

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدي لعاصي

وقول الشافعي هذا من قبيل تواضع العلماء الذي يضيف الى جلالهم جلالا والى رفعتهم رفعة والى قدرهم سموا وعظمة .

★ ثمار العلم المعرفة :

ولا ينكر احد فضل العلم الذي ورد فيه :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب

فلا ادب الا بعلم ، وان اردت اللفظ الصريح فيكفيك قوله تعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩

ويكفي ان تكون المعرفة ثمرة العلم ، والمعرفة هي التي تمكن الانسان من ادراك حقائق الوجود والتعرف على الموجود ، ولجلال المعرفة اختص الله بها قوما وصفوا بها واصبحت فخرا لصاحبها حتى يقال له : العارف .

واسمى قطوف المعرفة معرفة الحق جل وعلا ، ولذلك دلائل تبدأ بأن يعرف الانسان نفسه في عجزها ووضاعتها وافتقارها وتقلبها وفنائها وحيرتها ، فيدل الاقرار بذلك على قدرة الخالق وعزته وقدمه وبقائه وتفرده ، ثم يدل ذلك على صدق العبودية لله والاعتماد عليه والالتجاء اليه . ورد في ذلك اثر كريم هو « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

ولا بد ان يثمر ذلك مزيدا من العلم الذي يمكنه من التقوى ، والتقوى تثمر الخشية والتقوى طريق العلم وثمرته معا ، فكما انها تفتح الطريق اليه فهي ايضا تثمره ، قال تعالى : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة / ٢٨٢ وفي الاثر « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

اما الخشية فالمولى عز وجل يقول فيها : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر / ٢٨ بأسلوب القصر الذي يفيد غاية التوكيد وقوة التأييد . فكلما استشعر

الانسان ضعفه ازداد يقينه بعظمة القادر الذي تخضع لقوته الكائنات ، فيزداد المؤمن تواضعا وخشوعا ودنوا من حضرة القدس التي تعكس على القلب الفيوضات والاشراقات ، فيرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . انه المعراج الروحي للعارف الذي ورد في حقه « لا تسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن » .

هنا يستشعر المؤمن العزة الحقيقية التي ورد فيها قول الحق تعالى : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون /٨ ـ فان للايمان هيبة تفيض من قلب المؤمن على جوارحه فما يراه احد الا هابه ، لا تكاد تقتحمه العين،تمتلىء منه رهبة وخشية له . ورد في حق الامام مالك رضي الله عنه ان القلوب كانت تهابه اجلالا له حتى قال عنه سعيد بن هند الاندلسي : ما هبت احدا هيبتي عبد الرحمن بن معاوية ـ الملقب بصقر قريش ـ فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت معها هيبة ابن معاوية .

وتعليل ذلك ميسور ، فمهابة عبد الرحمن بن معاوية مردها الى الحكومة والسلطان ، اما مهابة مالك فمردها الى التقوى التي استبطنت قلبه فخشى منها ربه ، ومن خاف الله اخاف الله منه كل شيء . وان الهيبة للامام مالك لتمتد حتى تبلغ الولاة انفسهم ، فلا يستطيعون ان يروعوه كما يروعون غيره من الرعية ، بل هو الذي يروعهم بسلطان العلم وصولجان الورع والتقوى . ولقد ذهب اليه مرة والى المدينة يحمل اليه خطاب توصية بالشافعي ارسله اليه والي مكة ، فلا يكاد يفتح له الباب ويرسل اليه مالك خادمته لتبلغه انه اذا كانت له مسألة فليرفعها في رقعة ويأتيه الجواب وان كان للحديث فانه يعرف موعده .

ولكن الوالي يخبرها بطلبته فيخرج اليه مالك ، وما ان يقرأ خطاب التوصية حتى يقول : سبحان الله اوصار علم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤخذ بالوسائل ؟ اي بالوساطات فقد استغرب مالك ان تكون هناك وسيلة غير النية الصادقة في طلب العلم ومعها الجد والاجتهاد اللذان يأخذان بيد الطالب الى مدارج الكمال . هكذا تعلم العلماء قديما انه لا وساطة للانسان في بلوغ علمه غير حسن النية : « **انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله** » رواه البخاري ومسلم وابو داود .

ومن اعظم الهجرات الهجرة في طلب العلم . قال تعالى : (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) التوبة / ١٢٢ .

لكن هذه الهيبة التي ورثها العلماء لا تحول ـ بكل اسف احيانا ـ بين بطش الجبارين حين يستبد بهم السلطان وتملي عليهم القوة ان بامكانهم ان يفرضوا القوة على العلم او ان يوجهوه لصالحهم ، وان يفعلوا ما يريدون في غيبة الضمير العادل والخشية الحقيقية لله ، وقد تعرض الامام مالك للاذى كما تعرض غيره من اجلة العلماء ، ولكن ذلك لم يخلع الهيبة عنهم ولا أزال معرفة الحق لهم ، بل ازدادوا في نفوس الناس رفعة ، وتلك ضريبة من ضرائب العلم والمعرفة . وكم اوذي الانبياء والاولياء فما ذلت نفوسهم ولا تطامنت عزتهم ولا تركوا دعوة الحق ..

وبذلك اصبح العلم اعظم قربة يتقرب بها الانسان الى ربه ، لأنه يهدي اليه ، ويعرف به ، واصبح كذلك زينة لصاحبه وتاجا فوق مفرقه ونورا يكسوه مهابة وجلالا .. فإن المشاهد في دنيانا التي فتنت الناس بمظاهرها الكاذبة ان يهاب الناس من اعتز بجاهه وماله وسلطانه وقربه من الحاكم ، ويملأ هذا الاستشعار قلب المهيب فيزيده طغيانا وعلوا واستكبارا : (**كلا إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى**) العلق /٦ ، ٧ .

ولكن غنيمة العالم اكبر ، وسلطانه اعظم ، لأنه استمده من قربه من الخالق ومعرفته به ، وشتان بين هيبة العالم التي يزينها التواضع وهيبة الطاغي التي يشينها العلو والاستكبار ، تلك هيبة محبوبة محترمة موقرة ، وهذه هيبة مكروهة محتقرة ، ويلتف الناس حول العلماء بالله طائعين وفي قلوبهم الاعزاز لهم والتواضع لهم والحب لهم ، ويلتف الناس حول الطاغين كارهين او طامعين وفي قلوبهم الحقد او الرغبة او الخوف من البطش او الحرمان ..

★ كيف يحقق العلم العزة :

ويصور لنا الجرجاني حرصه على طلب العلم حتى يستغني به ويعز فيقول :

ولو أن اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس تعظما
ولكن أذلوه جهارا وسودوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما
ولم ابتذل في طلبة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ... اذا فابتياع الجهل قد كان احزما

انه يرسم لنا الطريق امام تحقيق عزة العلم ، انها تتحقق بالزهد في المطامع والارتفاع فوق الرغبات الدنيئة ، فالعالم في قلبه غنى واسع ليس في مقدور اي سلطان تحقيقه مهما كان له من عز الغنى وسلطان القوة .

بين العلم والمال :

ان غنى العالم في صدره وروحه ، وثروته في فكره ، هي اغلى من كل كنوز العالم مجتمعة لأنها ثروة روحية باقية ، اما ثروات الناس فهي مادية زائلة ، وماذا يفيد الغني ماله في ميزان المثل ؟ وقديما وازن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بين العلم والمال موازنة دقيقة تدل على فراسة قوية والهام صادق ، قال : العلم يحرسك وانت تحرس المال ، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق . وهذه قضية شغلت الاذهان طويلا - ومازالت تشغل - حتى قال فيها العلماء والحكماء ما قالوا ، وكان مما قاله حفني ناصف وهو يصور حال الدنيا التي تجتمع الى الجاهل ويفتقدها العالم ، وما حصل العالم علمه وخبرته الا بعناء زائد وتعب شديد :

أتفنى معي ان حان حين تجاربي وما حصلتها الا بطول عناء
اذا ورث الجهال ابناءهم غنى ومالا ، فما أشقى بني الحكماء

ولكن ليس شقاء على اي حال ، لانه ورث ابناءه ذخرا طيبا وذكرا خالدا .. ولكن « شوقيا وحافظا » كليهما كادا يجمعان على اهمية المال والعلم معا ، فشوقي يقول :

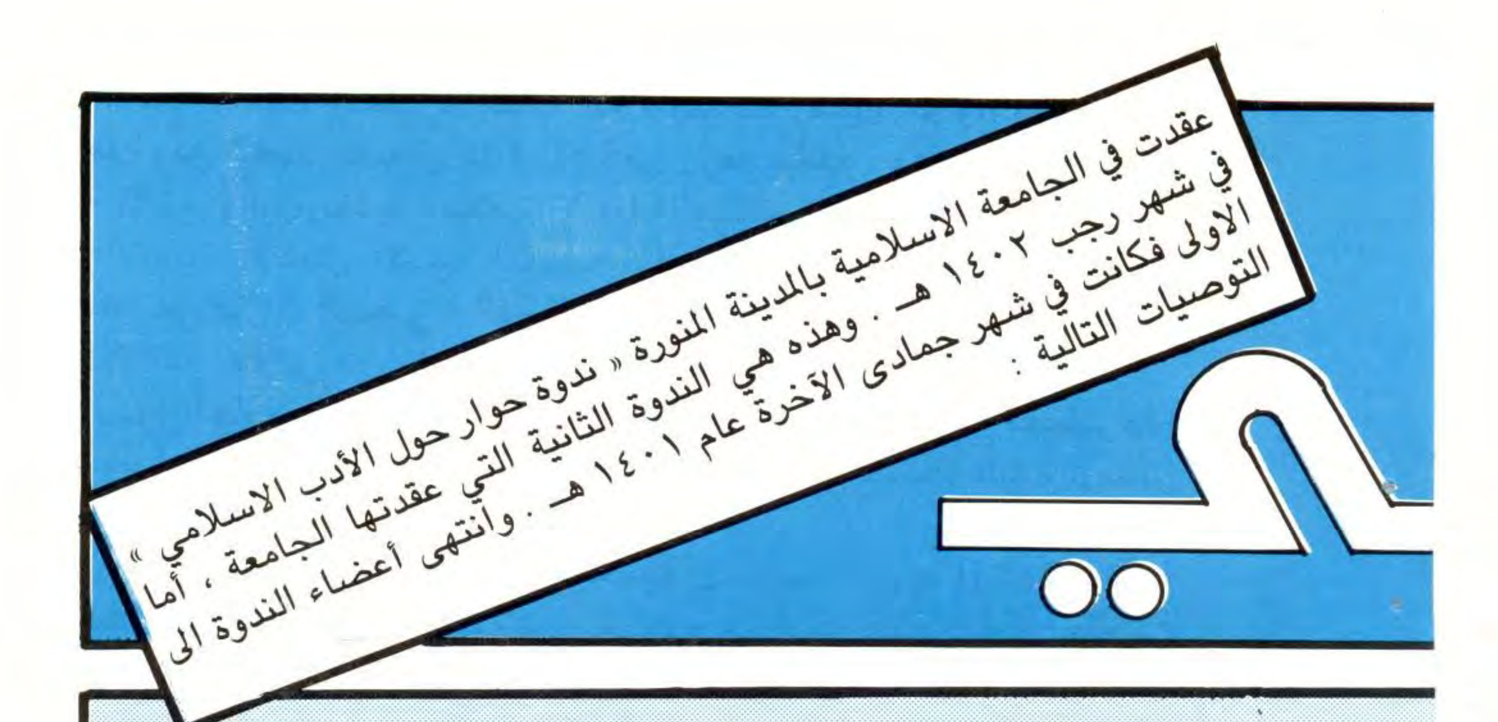
بالعلم والمال يبني الناس ملكهمو لم يبن ملك على جهل وإقلال

وحافظ يقول :

والمال ان لم تدخره محصنا بالعلم كان نهاية الاملاق

ولكن العلم عندهما مفضل في كل حال ، فشوقي يقدمه على المال في الذكر ، وحافظ ينصح بأن يجمع المرء الى ثروة المال ثروة العلم والا فان غناه فقر ووجده عدم .. الا ان الطغرائي كان صريحا حين اقتبس حكمة علي - كرم الله وجهه - المتقدمة فنظمها في قوله :

من قاس بالعلم الثراء فانه في حكمه اعمى البصيرة كاذب
العلم تخدمه بنفسك دائما والمال يخدم عنك فيه نائب
والمال يسلب او يبيد لحادث والعلم لا يخشى عليه السالب
والعلم نقش في فؤادك راسخ والمال ظل عن فنائك ذاهب
هذا على الانفاق يغزر فيضه ابدا وذلك حين تنفق ناضب



٧ ـ وضع منهج متكامل للأدب الاسلامي تتفق الجامعات المتناظرة في العالم العربي على تبنيه وتدريسه في المرحلتين العالية والعليا .

٨ ـ انشاء مجلة متخصصة بالادب الاسلامي عامة وأدب الاطفال واليافعين والشباب خاصة .

٩ ـ ان تعمل المعاهد والكليات التي تدرس المذاهب الأدبية من كلاسيكية ورومنسية وواقعية وغيرها على عرض هذه المذاهب وبيان انها كانت نتيجة لفلسفات واتجاهات اجنبية ثم الاهتمام البالغ بتفنيد وجوه مخالفة هذه المذاهب للاسلام ، وتناقضها الشديد مع قيمه وتعاليمه وان يعهد بتدريس هذه المادة الى ناقد اسلامي بصير .

١٠ ـ ان تكون الموضوعات والنصوص الادبية التي تدرس في المعاهد والكليات خالية من كل ما يخالف الاسلام ، وان تختار من الآثار الأدبية المفعمة بالحض على المثل التي تنبع من الفطر السليمة ، وتتفق مع دين الله .

١١ ـ ان تهتم الجامعات اهتماما كبيرا بالأدب الاسلامي للاطفال وذلك بتدريس هذا الادب في المرحلتين العالية والعليا واعداد البحوث المتعمقة فيه لنيل درجتي الماجستير والدكتوراة .

١٢ ـ ان تشتمل كتب الأدب والمحفوظات في المراحل الدراسية كلها على نصوص مختارة مؤثرة للشعراء المبدعين من القدماء والمحدثين الذين صوروا نكبة المسلمين في اولي القبلتين وثالث الحرمين ، وبكوا ما حل بفلسطين على ايدي الصليبيين واليهود ودعوا الى تحريرها ، كما تشتمل على نصوص تصور فرحة المسلمين باستعادة الديار المقدسة على يدي صلاح الدين .

١٣ ـ ان يكون الادب الاسلامي الذي نقدمه للطلاب في مراحل الدراسة جميعها

وثيقة الصلة ـ مادة ومعنى ـ بكتاب الله ، وحديث رسول الله واثار الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان لما في ذلك من روعة بيانية . وعمق ايماني وروح نابضة بالخير والبر وتغذية مستمرة لادبنا الاسلامي المعاصر .
١٤ ـ التنديد بالاعمال الادبية المكتوبة باللهجات العامية ومناهضة الدعوات للمحافظة على التراث الشعبي « الفولكلور » وبيان ما فيها من خطر على لغة القرآن وقطع لاواصر القربى بين المسلمين عامة والعرب منهم خاصة .
١٥ ـ دعوة الجامعات الى اقامة مراكز للأدب الاسلامي تعني بجمع مصادر هذا الأدب ومراجعة الموضوعات التي كتبت فيه والمقالات التي حضت عليه والرسائل الجامعية التي اعدت فيه .
١٦ ـ دعوة القائمين على الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة الى انشاء فرع الدراسات العليا في الادب الاسلامي وقواعده في النقد وذلك لتكوين فئة من المختصين بهذا الادب الداعين اليه عن دراية وتعمق وخبرة .
١٧ ـ تخصيص منح دراسية للادباء الاسلاميين من غير العرب في المعاهد والمراكز التي انشأتها الدول العربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وذلك لتوسيع رقعة الأدب الاسلامي وتبادل الخبرات الأدبية عن طريق الترجمة من العربية واليها .
١٨ ـ اهتمام العاملين في مجالات الأدب الاسلامي بتأصيل علم الجمال وتوجيهه وجهة اسلامية والافادة منه في الأعمال الأدبية الاسلامية ليتآزر الشكل مع المضمون .
١٩ ـ يتوجه اعضاء الندوة بجزيل الشكر الى الجامعات التي أنشأت معاهد ومراكز لتعليم لغة القرآن للمسلمين من غير العرب ، ويأملون منها ان تضاعف جهودها في هذا المجال الخير ، وان توجه التعليم في هذه المعاهد والمراكز وجهة تعتمد على قراءة القرآن الكريم والتحلي بالحديث الشريف ، ومعرفة اداء الشعائر على أكمل وجه .
كما يأملون من هذه الجامعات ان تعمل على افتتاح المدارس في تلك البلاد الاسلامية لتعليم الاطفال والناشئين لغة القرآن ودين الاسلام وتثقفهم بالثقافة التي تربطهم باخوانهم العرب وان تؤلف لهم الكتب الاسلامية التي تلائم مستوياتهم .

ثانيا : رسم بعض الخطوط العريضة للأدب الاسلامي الذي ننشده :

تقترح الندوة لتأصيل هذا الأدب واغنائه ما يلي :
١ ـ تعميق النظرة في مفهوم هذا الادب القائم على التصور الاسلامي الصحيح ،

والربط المحكم المتوازن بين قيمه الشعورية والمعنوية وبين قيمه التعبيرية .
٢ ـ دراسة النظريات والمذاهب النقدية عند القدماء والمحدثين من نقادنا الاسلاميين ، وذلك لاستخلاص السمات التي يجب ان تتوفر في الأدب الاسلامي والوصول الى مذهب أصيل في الأدب الاسلامي ونقده .
٣ ـ العناية بدراسة طائفة من النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وخطب الراشدين دراسة متعمقة وذلك لاستجلاء مكامن الروعة الفنية فيها ، وجعلها موجها ومقوما لانتاج الأدباء الاسلاميين .
٤ ـ الاهتمام بوضع القواعد والضوابط للفنون الأدبية الحديثة من قصة وأقصوصة ومسرحية ومقال وخاطرة وترجمة وغيرها لتكون هادية للأدباء في انتاج أدب اسلامي سليم .
٥ ـ دراسة منهج القرآن الكريم والحديث الشريف في القصة والحوار والتصوير الفني والتملي من خصائص هذا المنهج ومزاياه للافادة منهما في النتاج الادبي الاسلامي .
٦ ـ دراسة فنون الادب الاسلامي في عهودها الاولى وذلك كأدب الدعوة الى الله ، وأدب الغزوات والفتوحات ورصد تطورها في الخطابة وأدب المواعظ وشعر الجهاد والحماسة الاسلامية .
٧ ـ دراسة الشعراء والادباء الاسلاميين المغمورين من القدماء والمحدثين لتغذية الأدب الاسلامي وتقويته وتنويعه .
٨ ـ العمل الجاد على جمع الادب الاسلامي الحديث ونقده وذلك لتقويمه وتوجيهه ولفت الانظار اليه .

ثالثا : توصيات عامة :

١ ـ طباعة البحوث التي اعدت لهذه الندوة وتعميم توصياتها وارسالها الى سائر الجامعات في البلاد الاسلامية عامة ، والعربية منها خاصة مع الدعوة الى تبني الأدب الاسلامي الذي تبنته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وجامعة دار العلوم الاسلامية في الهند ، والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، وغيرها من الجامعات .
٢ ـ ان تعقد هذه الندوة المباركة في بلد من البلدان الاسلامية مرة كل عامين .

هذا وان اعضاء الندوة ليهيبون بجميع المسؤولين في وزارات المعارف والتربية والثقافة والاعلام وبالمجامع العلمية والنوادي الأدبية والمؤسسات الاسلامية ذات العلاقة ، ان يبذلوا كل ما في وسعهم لتأييد هذه التوصيات ، وتهيئة جميع السبل الممكنة لتنفيذها والله من وراء القصد ومنه يستلهم العون والسداد .



للدكتور / هشام ابراهيم الخطيب

مقدمة تاريخية :

موطن التبغ الأول هو القارة الأمريكية ، وحتى يومنا هذا لم يعرف بالضبط تاريخ ابتداء تلك القارة باستعمال التبغ للتدخين ، وقد وجدت في بعض الحفريات في امريكا ، يعود تاريخها الى حوالي ٦٠٠ ق. م بينها غليون من الفخار لتدخين التبغ .

عندما وصل كريستوف كولمبس مع رجاله الاسبان لأول مرة الى امريكا الوسطى مكتشفا القارة الجديدة عام ١٤٩٢م ، وهناك عرف التدخين .

وفي سنة ١٥١٩م جاء الرحالة اوفيدو لأول مرة باوراق التبغ الى اوروبا ، اما بذور التبغ فلم تصل القارة الاوروبية الا في سنة ١٥٥٩م ، وكان من البرازيل ، وفي نفس السنة استنبت جان نيكوت سفير فرنسا في البرتغال بذور التبغ في حديقة منزله وذلك بقصد الزينة لجمال اوراق نبتة التبغ الخضراء وازهارها الجميلة واخذت زراعة التبغ بعد ذلك تنتشر بسرعة هائلة في جميع انحاء اوروبا .

التبــغ نبــات مــن الفصيلــة البــاذنجانيــة ذو ساق اسطــوانية الشكل ، واوراقه بيضاوية لزجة كبيرة الحجم ، وزهوره جميلة ذات لــون احمــر وردي ، يرتفــع النبات عن الارض حوالي المترين واسم هــذا النبات هو سولاناسين .

مكونات التبغ :

يتركب التبغ من مواد عديدة تزيد عن ٣٠٠ مادة معروفة حتى الان ، وتختلف هذه المواد باختلاف نوع التبغ وطريقة التدخين ، واليك اهم هذه المكونات : -

١) النيكوتين :

في سنة ١٨٢٨م اكتشف العالمان الالمانيان بوسلت ورايمان من جامعة هايدلبرج الالمانية المادة الفعالة في التبغ وسمياها نيكوتين نسبة لجان نيكوت اول من استنبت بذور التبغ في اوروبا . والنيكوتين مادة شبه قلوية ، عديمة الرائحة واللــون في حالتهــا النقية ، قوامها زيتي لكنه يصبح مائلا للصفرة بمجرد ملامسته الهواء ، وهو مركب سام جدا وخطر على جميع المخلوقات . يستخرج النيكوتين من مــادة Nicotiana tobacum

تختلف كمية النيكوتين وفقا لنوع الدخان ، وطريقة استعماله ، ويكون امتصاصه حتى ٩٠٪ في الاشخاص الذين يستنشقونه والى ١٠٪ في عدم الاستنشاق . يمتص النيكوتــين في السجائر من الرئة ، بينما نيكوتين السيجار والغليون عن طريق الفم والبلعوم ، ولذلك يلاحظ بان مدخني السجائر يستنشقون الدخان اكثر من مدخني السيجار والغليون ليحصلوا على النيكوتين .

كل سيجارة من السجائر تحتوي ٢٠ ملغم من النيكوتين ، اذا احتوت على غرام واحــد من التبغ ، وزن السيجار حوالي خمسة غرامــات . الجرعة المميتة للنيكوتــين هي ٥٠ ملغم .

٢) البريدين :

وهو اقل سمية من النيكوتين ، واقل كمية اذ لا يتولد عند حرق غرام واحد من التبغ اكثر من ملغم من البريدين .

٣) الامونياك (مركبات الأمونيا) :

يتولد عند حرق غرام واحد من التبغ ٣ ـ ٥ ملغم من الامونياك ، وضرره الصحي انه يؤدي الى التهاب الغشــاء المخــاطي للعــين والفم والحنجرة والقصبة الهوائية ، وهو السبب في حدوث السعال والبصاق عند المدخنين .

٤) المواد القطرانية :

وهي الزفت ، ويتولد حوالي ٤٠ ملغم من كل كغم من التبغ المحروق ، وقد ثبت علميا ان لهذه المادة مفعولا

كبيرا في تكوين السرطان وخصوصا لما تحتويه مادة البنزيبرين ذات المفعول الأكيد في احداث السرطان .

٥) أول أوكسيد الكربون :

ان غاز اول اوكسيد الكربون يتولد في دخان التبغ بنسبة تتراوح بين ١ ـ ١٤٪ ، وهذا الغاز سام اذ يتحد مع الهيموجلوبين ((خضاب الدم)) ويقوم بوقف قابلية الدم لحمل الاوكسجين ، ولهذا السبب فان المدمنين على التدخين عادة ما يكون نفسهم قصيرا .

٦) وهناك مواد اخرى مثل غاز الميثان ، الكحول الايتيلي ، اجسام فينولية ، الزرنيخ يأتي من المبيدات الحشرية التي يرش بها التبغ ، السيانيد ، رماد ورق السيجارة وغيرها .

اشكال التدخين :

١) السجائر العادية وهي الأكثر شيوعا واستعمالا والأكثر خطرا على الانسان .
٢) السيجار يتألف من طبقات ثلاث الداخلية منها تتألف من تبغ الحشو العادي ، خطرها الأكبر على الفم والبلعوم .
٣) الغليون او البايب سبب استعماله هو تصفية وترشيح التبغ من النيكوتين والمواد القطرانية .
٤) الاركيلة او الشيشة
٥) استعمال التبغ بوضعه تحت اللسان (السويكة) ، وتسبب التهاب اللثة ، ناهيك عن رائحة الفم الكريهة .

مضار التدخين :

١) الجهاز التنفسي :

يؤثر التدخين على الجهاز التنفسي بالتأثيرات التالية : ـ
أ) السعال المزمن والبصاق ، نتيجة تخريش الاغشية المخاطية للقصبات الهوائية بمادة الامونياك .
ب) التهاب القصبات المزمن ، التدخين لفترة طويلة او بكميات كبيرة ينقص حركة الاهداب في القصبات ، وكذلك يثبط او يبطل عمل خلايا الدم البيض Marco Phages وهذا يؤدي الى تضخم الغدد المفرزة للمخاط وفرط تنسجها ويؤدي الى انسداد السبل الصغيرة التنفسية ، ويؤدي الى التهابها ، وأعراض المرض هو السعال المزمن مع البصاق لمدة طويلة من الزمن ، والالتهابات الحادة للمجاري التنفسية وضيق النفس ، وفي النهاية هبوط القلب وعجزه عن العمل .
جـ) انتفاخ الرئة غالبا ما يصاحب التهاب القصبات المزمن ، وكيفية حدوث الانتفاخ هي التدخين ← نقص دفاع في الجسم ← نشاط فعالية الخمائر الحالة ← انتفاخ الرئة .
د) سرطان الرئة ، وملخص الأقوال في هذا الموضوع هي :
● يندر حدوث سرطان الرئة في غير المدخنين .

● انتشار التدخين بين المصابين بسرطان الرئة انتشارا يزيد عنه بين المرضى الاخرين في السن نفسها والمستوى الاقتصادي نفسه .

● عند بحث العلاقة بين سرطان الرئة والتدخين ، تظهر حقيقة واحدة على الأقل لا تقبل الجدل ، وهي كلما خفض الشخص التدخين قلت امكانية اصابته بالسرطان الرئوي ، يصبح العكس اي انه كلما اكثر الشخص من التدخين ازداد تعرضه للاصابة بسرطان الرئة .

- ان معظم المصابين بسرطان الرئة هم بين مدخني السجائر اكثر من مدخني السيجار والغليون .

الجهاز الهضمي :

١) التقرحات ، وتصبيب اللسان (المنطقة الامامية والجانبية) ، وارضية الفم ، وممكن ان تؤدي الى تضخمات وابيضاض الغشاء المخاطي Leukoplakia ، وهذه سابقة للسرطان .

٢) التهاب اللثة واللسان وممكن ان يكون اللسان مشعرا (حليماته طويلة) .

٣) تلون الاسنان باللون الاصفر .

٤) التهاب الغدد اللعابية ، وتؤدي الى ضخامتها وبعد ذلك الى تليف هذه الغدد وحدوث التلف .

٥) التدخين هو من العوامل المساعدة والتي تسبب قرحة المعدة والاثني عشر ، وكذلك فان التدخين يؤدي الى اضطراب الحركة البوابية .

٦) سرطان الفم ، اكثر حدوثا بين مدخني الغليون والسيجار والسبب في ذلك يعود الى ان النيكوتين المجرد في السيجار هو قلوي التفاعل وبهذا فهو غير متأين ويذوب بالدهن ولهذا فانه يمتص بسهولة من الفم ، بينما تدخين السجائر وهي حمضية التفاعل ويكون النيكوتين اكثر تأينا وبهذا فان امتصاص النيكوتين من الفم قليلا ، ولهذا السبب ايضا يجعلنا نفسر لماذا مدخنو السيجار يستنشقون الدخان اقل من مدخني السجائر وان نسبة اصابتهم بسرطان الرئة اقل من مدخني السجائر .

القلب والأوعية الدموية :

١) مرض بيرجر ، يؤدي هذا المرض الى التهاب سطحي او عميق ، او تخثر للأوردة ، يصيب الشرايين الصغيرة والمتوسطة الحجم ، ومن اعراضه حدوث ظاهرة خاصة عند تعرض الجسم للبرد ويصبح لون الجلد ازرق فابيض فأحمر ، ويمكن اخيرا ان يؤدي الى حدوث وظهور التقرحات والغرغرينات .

٢) ارتفاع الضغط الدموي .

٣) التعرض للاصابة باحتشاء العضلة القلبية (الجلطة) والذبحة الصدرية .

٤) تسرع وعدم انتظام دقات القلب .

المرأة الحامل والتدخين :

يؤثر التدخين بالمرأة الحامل ما يلي :

١) يولد الطفل اقل من وزنه الطبيعي بحوالي ١٧٠ غرام ، وعزاه بعض الاطباء لمادتي اول اوكسيد الكربون والنيكوتين .
٢) قد يولد الطفل غير مكتمل النمو ولديه نقص في الاعضاء .
٣) قد تتعرض المرأة الحامل الى الاجهاض .
٤) قد يؤدي الى موت الجنين في رحم الأم .
٥) معدل موت الجنين بعد الولادة بشهر تزيد ٢٨٪ على جنين غير المدخنات .
٦) تغيرات في المشيمة وحدوث الترسبات والتكلسات تحت الغشاء المشيمي ، وكذلك وزن المشيمة في المرأة المدخنة اقل منها في غير المدخنة .

١) التهاب الملتحمة ، نتيجة تخريش اغشية العين بالمواد التي يحتويها التبغ .
٢) التهاب العصب البصري تكون مرافقة لنقص فيتامين ب ١٢ واكثر حدوثا في تدخين البايب ، وسبب ذلك هو ان مادة السيانيد في التبغ تتلف فيتامين ب ١٢ ، وتحدث له De-mylimation مرضا هذا المرض يسمى باللغة الطبية Tobacco Amblyopia .

الجهاز البولي :

١) نقصان التدرر بسبب افراز هرمون مهبط لتدرر البول ADH من الغدة النخامية .
٢) سرطان المثانة هو اكثر حدوثا بمرتين في المدخنين اذا قورنوا بغير المدخنين .

الجهاز العصبي :

١) يؤثر على عمل العقد العصبية فيحدث لها تهيجا خفيفا ثم يبطل عملها .
٢) يحث على افراز الموصلات العصبية مثل اسيتتل كولين ، ونور ادرلنالين .
٣) يؤثر على الغدة النخامية بافراز هرمون ADH ، وبالتالي يؤثر على البول فيقلل من كميته .
٤) تنبيهه للجهاز العصبي في مراكز الجهاز التنفسي ومراكز القيء وغيرهما .

تلوث البيئة :

التدخين احد مصادر تلوث البيئة ، وخاصة اذا كانت البيئة في الاماكن المغلقة الناتجة من دخان سجائر المدخنين ، وربما يحتج قائل ان من الحق الطبيعي ان يدخن سيجارته وقتما يشاء في اي مكان يشاء ، ولكني اقول اليس من حق غير المدخن ان يستنشق الهواء النقي لكي يملأ رئتيه ، ولا نتصور انه يرضى انه يرغب ان يملأ رئتيه بفضلات زفير جاره المدخن ، وهذا مطلب عادل بحق غير المدخن من الحياة النظيفة وتلك ضرورة مؤكدة .

ان نسبة غاز اول اوكسيد الكربون في التبــغ (دخــان التبــغ) بــين ١ ـ ١٤٪ ، بينما نسبة الغاز في دخان القاطرة حوالي ٣,٦٪ ، وفي الشوارع المكتظة لا تزيد بأكثر من ٠١,٪ ، وخطورة الغاز تزيد خاصة اذا كان المدخنون في غرفة او اماكن مغلقة ، وبـالتالي يؤدي الى التسمم بـأول اوكسيد الكربون .

وهذا الغاز يتحد مع هيموجلوبين الـدم (خضاب الـدم) بـدلا من الاوكسجين ، وينتج عنــه امراض التسمم ، وهناك نوعان من التسمم بهـذا الغاز ، التسمم الحـاد ومن اعراضه تورد لون الجلد وخاصة الوجنتين ، صداع في الرأس ، دوار وربما فقدان الوعي الخ ، اما التسمم المزمن فغالبا ما يكون مع الاشخاص المـدمنين عـلى التدخـين ومن هذه الاعـراض اضطرابـات هضميـة ، اضطـرابـات تنفسيــة (انقبـاض بالصدر) ، ارتخاء عام في الجسم ، نوبات من الصداع ، ارق في الليل عند النوم .

التدخين والفتق والبواسير :

الدخان هو احد العوامل المتسببة في احداث الفتق والبواسير ، والسبب في ذلك سهل جدا وهو كثرة السعال الذي ينتاب المدخن مما يؤدي الى ضعف العضلات البطنية ومنها ينتج الفتق ، وكذلك يؤدي الى ارتخـاء عضلات المعصرة الشرجية وينتج عنها البواسير .

المضار الاقتصادية للتدخين :

كل منا يعرف هذه المضار سواء كانت على البيت الذي يعيش فيه المدخن او على المصلحة العامة ، ولا احب ان اتطـرق الى شرح ذلـك بالتفصيل ونتركها وضمير المدخن .

التدخين من وجهـة نظر الـدين الاسلامي :

عند دراسة قول الله تعالى « **ويحل لـهم الطيبــات ويحــرم عليــهم الخبائث** » .

« **ولا تلقـوا بـأيـديكم الى التهلكة** »

« **ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما** »

وعند الرجوع الى حديث الرسول (ص) « **نهى رسول الله (ص) عن كل مسكر ومفتر** »

وعنـد التعـرف عـلى القـاعـدة الاسلامية العـامة « **لا ضـرر ولا ضرار** »

وعنـد كشف ومعـرفـة مضـار التـدخين عـلى المـدخن والمجتمـع والاسرة ،

افتى بعض العلماء انه مكروه وان الاصرار على المكروه حرام ، وافتى البعض الآخر انه حرام .

وقد نبه السيوطي على صحـة حديث الرسول واستدل به ابن حجر على حرمة المفتر الذي لم يكن شرابا ولا مسكـرا ومثل ذلـك الـدخـان والتنباك ، فهذه كلها محرمة عملا بهذا الحديث لما هو ملازم لها من التخدير والتفتير . والله أعلم .



للاستاذ : عيسى البي ابي بكر

يا امة انحدرت من العدنان
عاشت على الصحراء خير مكان
ارض تلألأ فوقها نور الهدى
يا مرحبا بالنور ، بالاذعان
ما ضرها شيئا جدابة ارضها
فيها ترعرع سيد الأكوان
انا غبطنا فضلها وعلوها
سبحان من يعطي بلا حسبان

المسلمون جميعهم اتباعها
قودي زمام القوم بالقرآن

لولاك ما خرج الانام وما نجوا
من ذلك البهتان والخسران
ماذا رعاك الله قولي بيني
صنعت يداك وكان من رضوان ؟
اني نظرت الى الشعوب ولم اجد
شعبا يضاهي امة القحطان
ان اللغات تعددت وتباينت
ولسان اهل الشرق خير لسان

الـوحـي اعلـن فضلـه هـذا كفـى
عـزا فبشـرى امـة الايمـان
انـي ليحـزنني كثيـراً حـالـهـا
عـاشت طـويـلا في لظى الـعـدوان
وغـدا زنيـم القـوم يقسـم ارضـهـا
مـن دون مـا حـق مـن الازمـان
عجبـا لقـوم وحـدت لـهجـاتـهـم
كـل لـه عمـل بـلا ميـزان
مـاذا وراء الاجتمـاعـات التـي
جئتـم اليـهـا مـن جميـع مكـان ؟
مـاذا وراء الاتحـاديـات مـن
اثـر الـوئـام يـرى لـدى الاخـوان ؟
والله قـد اضحكتمـوا اعـداءكـم
الشر كـل الشر ضحـك الجـانـي
انـا سئمنـا مـا يقـول مـذيـعكـم
« الحـرب في قـدس وفي لبنـان
قتلـوا صبـاح اليـوم الـف مـواطن
قتلـوا نسـاء الحـي بـالنيـران
قـذف الـعـدو من السمـاء قنـابـلا
ذاقـت سمـوم المـوت بنـت فـلان
ان الاذاعـة إن جـهـلـت امـورهـا
صنـعـت لبـث البشر لـلانسـان
يـا ايـهـا العـرب قـل لي لحظـة
هـل قـد خلقـت لـهـذه الأشجـان ؟
إنـى لآمـل ان اراك مكلـلا
يـومـاً بكـل تنـعـم وأمـان
أو أن أراك وقـد لبسـت مفـوفـاً
ثـوب العـلى وخلعـت ثـوب هـوان
يـا ايها العـرب الكـرام تضـافـروا
وتـعـاونـوا حتمـاً عـلى الإحسـان
لا تتـركـوا إبليس يفسـد جمـعكـم
وتـعـوذوا بـالله مـن شيطـان
ردوا الى الأيـام سـابـق عـزكـم
في الحكـم والأخـلاق والـعمـران .

حينما تسلم الزوجات .. ويكفر الأزواج!

لهذه الصورة وجوه متعددة ، لكل وجه منها حكمه الخاص .. وسنلقي اضواء على ما تناوله فقهاء الشريعة الغراء منها على النحو الآتي :

١ ـ لو تركت المرأة زوجها كافرا في دار الكفر .. وهاجرت مسلمة الى دار إسلام وليس في قصدها ان تعود الى حيث هاجرت ابدا .. وقعت الفرقة بينهما فورا على انها فسخ لا طلاق ، وهذا باتفاق الآراء بين الفقهاء ، ويرى ابو حنيفة رضي الله عنه انها ان كانت خالية من الحمل صح لها ان تتزوج غيره بدون عدة ولا تربص ، لأن حكمة مشروعية العدة اظهار خطر النكاح واحترام آثاره ، وافساح المجال للعودة الى زوجها بعد سكوت الغضب ، وهدوء الأعصاب ومعاودة الروية والتعقل والأناة ، وكل هذه حقوق قررها الاسلام للمسلم وللذمي وما دام في دار الاسلام ملتزما بأحكامنا ، واقعا تحت ولايتنا .. اما غيرهما فلا خطر لملكه في النكاح .. أما اذا كانت حاملا فيجب عليها قبل الزواج بغيره ان تتربص لا على وجه العدة .. بل على وجه الاستبراء حتى

للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

يرتفع المانع من النكاح بالوضع .. وذلك لأن الكافر في دار الحرب اسقط الشرع حقه في العدة على زوجته المسلمة او الذمية مادامت في ارض الاسلام بقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن**) الاية / ١٠ سورة الممتحنة .. فهذه الآية الكريمة قد أسقطت حق الكافر مادام في دار كفره في عدة امرأته التي خرجت مهاجرة باسلامها الى دار الاسلام .. وانما عليها الانتظار حتى الوضع احتراما لحق الولد الثابت النسب من أبيه الكافر .. وهذا يظهر بالنسبة الى المنع من النكاح احتياطا على ان هناك رواية اخرى عن ابي حنيفة هي اقل رجحانا في النظر من سابقتها ، وهي تبيح زواج هذه الحبلى بشرط الا

يقربها زوجها الا بعد وضع حملها قياسا على الزانية الحامل (فتح القدير ج٢ / ٣١٣ ٥) وسبب نزول الآية السابقة الذكر (كما في الكشاف ج٢ /٥١٣) ان صلح الحديبية كان يتضمن ان من أتى المسلمين مهاجرا من أهل مكة رده المسلمون اليهم ولا عكس ، وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم مازال بالحديبية .. فأقبل زوجها مسافر المخزومي ، وقيل صيفي بن الراهب فقال : يا محمد اردد علي امرأتي ، فانك قد شرطت ذلك ، وهذه طينة كتابك لم تجف فنزلت هذه الآية لبيان أنها خاصة بالرجال دون النساء .. وكان في بدء الاسلام يرد مهر زوجها الكافر اليه .. ثم نسخ هذا في آخر الاسلام بأول سورة براءة .. فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ما أسلمت الا حبا لله ورسوله .. فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق ، وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٢ ـ اذا اسلمت الزوجة في أرض الكفر دون زوجها لا تقع الفرقة بينهما بمجرد الاسلام لان الاسلام ليس سببا في الفراق والفساد .. بل عليها العدة ثلاثة اشهر ان كانت لا تحيض .. او ثلاث حيض ان كانت تحيض ثم تقع الفرقة بينها وبين زوجها بمجرد انقضاء العدة لأنها شرط البينونة .. فأقيم الشرط مقام المشروط عند تعذره .. وهذا لأن عرض الاسلام على زوجها غير ممكن لوقوعه خارج ولايتنا .. ولا بد من ايقاع الفرقة منعا للفساد المرتب على التباين في العقيدة ، ولا فرق هنا بين المدخول بها وغير المدخول بها .. لان الفرق بينهما انما هو في حال الطلاق .. اما هنا فحالة اسلام احد الزوجين لا طلاق .

٣ ـ اذا اسلمت الزوجة دون زوجها وهما في دار الاسلام لا تقع الفرقة بينهما في الحال ولكن لا تمكنه من نفسها .. ويعرض عليه الاسلام من ولي الأمر .. فان أسلم فهما على حالهما ولا يتجدد عقد النكاح .. وان أبى فرق القاضي بينهما .. وكان ذلك التفريق طلاقا .. وان لم يعرض على زوجها الاسلام .. حتى مضت عدتها .. فمن حقها ان تتزوج بغيره كما في الزيلعي ، وحيث جاءت الفرقة من جانبه بابائه الاسلام فينوب عنه القاضي في ايقاع الطلاق لولايته عليه .. وذلك لأنه لا بد من سبب تضاف اليه الفرقة ، والاسلام وحده لا يصلح سببا لوقوعها لانه عاصم للأموال والدماء والأعراض بقوله صلى الله عليه وسلم : « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم ، الا بحقها ، وحسابهم على الله » متفق عليه .. ومجرد اختلاف الدين لا يصلح سببا للفرقة كذلك ، لأنه يجوز تزوج المسلم بالكتابية ، وكفر المصر على كفره لا يصلح سببا للفرقة في أصل الزواج ، لأنه يجوز زواجه بها قبل اسلامها .. فلم يبق من الأسباب صالحا لاضافة

الفرقة اليه الا اباؤه الاسلام بعد دخول زوجته فيه ، لأنه يصلح قاطعا لعقـدة النكاح ، فكـاز هو السبب المناسب ، والدليل على ذلك ما رواه مـالك في المـوطأ عن ابن شهـاب الزهري : « أن ابنة الوليد بن المغيرة كـانت تحت صفـوان بن أميـة ، فأسلمت يوم الفتح ، وهرب زوجها صفوان بن أمية من الاسلام . فلم يفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين امرأته حتى أسلم صفوان واستقـرت عنده امـرأته بـالنكاح الأول .. وصفـوان بن أمية هـذا استأمن له عمير بن وهب يوم الفتح وقال : يا نبي الله ان صفوان سيد قومي .. وقد هرب خوفا منك .. ليقذف بنفسه في البحر (السيرة الحلبية ج٣ / ١٠٦) .. فأمنه على نفسه .. فانك أمنت الأحمر والاسود .. فقال صلى الله عليه وسلم أدرك ابن عمك فهو آمن ، فقال : أعطني يارسول الله علامة يعرف بها أمانك له .. فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة .. وكان صفوان قد رفض العودة مع ابن عمه الا بهذه العلامة .. فلحقه عمير وهو يهم بركوب البحر .. فطلب منه العودة الى مكة وله الأمان .. فقال له : اغرب عني لا تكلمني .. فقال له عمير : يا صفوان فداك أبي وأمي .. جئتك من عند أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس .. وابن عمك .. عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك .. قال : اني أخافه على نفسي قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ، فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان هذا يزعم أنك أمنتني .. فقال صلى الله عليه وسلم : صدق .. فقال يا رسول الله أمهلني بالخيار شهرين ، فقال له صلى الله عليـه وسلم : أنت بالخيـار اربعة أشهر .. ثم خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، ولما فرق الرسول غنـائمها بـالجعرانـة رآه الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر معجبـا الى شعب مـلآن أنعـامـا وأغناما .. فقال له صلى الله عليه وسلم : يعجبك هذا ؟ .. قال : نعم ، قال .. هو لك وما فيـه .. فقبض صفوان ما في الشعب وقال : ما طابت نفس احد بمثل هـذا الا نبي ثم أسلم .. وقد تأيد هذا الحكم بما ذكره الطحاوي وابن العربي (فتح القدير ج٢ / ٥٠٧) من ان عمر بن الخطاب رضي الله عنـه فرق بـين نصراني ونصرانية بابائه عن الاسلام .. كما ذكر ان رجلا من تغلب اسلمت امرأته وكانت نصرانية فرفعت الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له أسلم والا فرقت بينكما .. فأبى .. ففرق بينهما واشتهر بين الصحابة هذا الحكم بدون خلاف منهم له ، ولا اعتراض عليه .. ويدل لذلك قصة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجها ابي العـاص بن الربيع .. فانها أسلمت بمكة في ابتداء الدعوة حين دعا النبي صلى الله عليه وسلم زوجته خديجة وبناته ، واستمر ابو العاص على شركه بمكة .. الى ان وقعت غزوة بدر الكبرى .. وزينب



اما يزيد بن ابي حبيب فهو بربري الاصل ، وقد رزق الحظوة في تفهم العلم ، وكان عاقلا مهيبا حليما ، ويقول المؤرخون انه اول من نشر الفقه في مصر بعد صحابة رسول الله ، اذ ورث منهم علما كثيرا اذاعه في المسجد ، كما روى عن سالم ونافع وعكرمة ، ولم يقتصر على الفقه ، بل اهتم بالغزوات والفتوح فكان الاساس الاول للمدرسة التاريخية بمصر .

واما ابن لهيعة ، فقد كان والده من العرب الوافدين ، وقد اخذ عنه الحديث ، واكثر من روايته اكثارا لم تكن موضع القبول من بعض المحدثين ، وليس هذا بعيب ، فكل عالم يؤخذ ويرد من قوله ، واذا كان قد تولى القضاء بمصر تسع سنين ، فمعنى ذلك انه كان ثقة في احكامه الشرعية ، يطمئن الناس الى دروسه بالمسجد كما يطمئنون الى حكمه في الاموال والدماء ، ولا يمكن ان نغفل ابن وهب ، وهو ابو محمد عبد الله القرشي ، وقد امتاز بكثرة الرحلة وبرع في الحديث ، فاختار منه كتابا سماه « الجامع في الحديث » رتبه على كتب متوالية ، وقد بلغ من الشهرة مبلغا جعل مالك بن انس يراسله ، ويصفه بوصف المفتي ، ومالك - بعد - اخبر الناس بالعلماء ولا يهتم الا بذوي النفاذ والسداد .

وقد بلغ الليث بن سعد من الفقه مبلغا رفعه الى مصاف الائمة الكبار من امثال ابي حنيفة ومالك والشافعي ، وله مناظرات علمية مع الامام مالك رضي الله عنه .

على ان تلاوة القرآن كانت ذات ذيوع بالمسجد ، اذ انتشر به جماعة من القراء يتلون كتاب الله بقراءة ورش عن نافع ، وورش هذا هو عثمان بن سعيد القفطي ، مصري اصيل رحل الى المدينة فقرأ بها على نافع تلميذ عبد الله بن عمرو ، ورجع لينشر قراءته بالديار المصرية في حلقته بمسجد الفسطاط ، وعنه انتقلت قراءة نافع

الى المغرب فما زال القوم يقرأون بها الى اليوم ، وكانت المصاحف تكتب في مصر بكثرة ليتداولها الحافظون من الكبار والصغار ، وكانت اجزاؤه توضع بكثرة في المسجد لتكون يسيرة المنال على القارئين ، وقد قرأنا في تاريخ الحاكم بأمر الله أن بعث من قصره الى مسجد الفسطاط بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات ، كلها قد كتب بالذهب ، ومكن الناس من التلاوة فيها تشجيعا وترغيبا ، كما ارسل نجفا من الفضة يعلق بالمسجد حتى يتمكن التالون بالليل من القراءة على ضوئه ! ويالها عناية كبرى حين يكتب المصحف بالذهب ويقرأ في مصابيح الفضة ! وليس المكتوب عشرة مصاحف بل الف وثلاثمائة تقريباً !

وفي مجال الموازنة بين التعليم بجامع عمرو والتعليم بالجامع الازهر بمصر يقول الدارسون ان مسجد الفسطاط وان سبق الجامع الازهر في التدريس العلمي بنحو من اربعة قرون ففيه فرق واضح بين التدريس بالمسجدين ، لأن التدريس بجامع الفسطاط كان حسبة لوجه الله تعالى ، حيث يندفع المدرس والطالب تلقائيا الى ممارسة التعليم ، والتعليم حسبة لوجه الله دون مقابل ما تبذله الدولة ، اما التدريس في الجامع الازهر فكان له اجره المبذول للمدرس قل او كثر ، وذلك في الاعم الاغلب ، اذ لا يمنع احد عالما يتبرع بالتدريس في المسجد حسبة دون راتب ، كما يقولون في صدد الموازنة بين المسجدين ، ان طلاب الفسطاط يطلقون اسم « الزاوية » على مكان الدرس ، اما طلاب الازهر فيطلقون اسم الحلقة على موضع التدريس ، واصطلاح الزاوية يوحي بالاقامة المستمرة بالمسجد ، اما الحلقة فتقوم ساعة الدرس ثم تنفض عقب انتهاء الاستاذ .

وبمقارنة الحركة العلمية في مسجد الفسطاط بمثيلاتها في مساجد العواصم الاسلامية ، نجد ان حركة الفسطاط لا تتقيد بمذهب لامام خاص ، فمن علماء المسجد المصري المالكي والحنفي والشافعي ، والمنفرد بمذهب خاص كالليث بن سعد ، اما مسجد المدينة فينحو منحى المذهب المالكي وحده ، وكذلك تنحو مساجد الكوفة والبصرة منحى المذهب الحنفي ، لأن تلاميذ الامامين ، هناك يتقيدون بمنحى الامام ، اما في مصر فلكل فقيه ان يتجه وجهته الخاصة بميله العلمي ، وقد ظلت هذه الحرية بين العلماء حتى بعد وفود الامام الشافعي الى مصر ، والتفاف الناس حوله ، لأن وجود فقيه كبير ، وامام عظيم كالشافعي رضي الله عنه ، لا يمنع الدارس ان يرد ما يختار من موارد العلم ، وكلها ذات ري وغذاء .

يقول الاستاذ محمد محمد المدني رحمه الله : « لقد كان المسجد الجامع يومئذ ، وهو مسجد عمرو بن العاص اشبه بنبع صاف فياض يزدحم حواليه الوارد ، بل اشبه بجامعة علمية كأرقى ما نعلم من الجامعات الحديثة ، تلتقي فيها الدراسات ، وتدور المحاورات ، وتعقد المناظرات ، وتعرض الكتب والتأليف والرسائل ، وتنقد المذاهب ، وتمحص المسائل ، في كنف من حرية الرأي ، واستقلال الفكر ، وادب البحث وعفة المقال ، فاذا افضى الامر في شيء من ذلك الى

خصومة فهي خصومة شريفة ، غايتها الوصول الى الحق ، قد تشتد احيانا وتعظم حتى يخيل اليك انها حرب عوان ، وهي حرب اي حرب ، ولكن جندها العلماء ، وقادتها الائمة الاعلام ، وسهمها الحجة والبرهان ».

فمن اعلام المذهب الحنفي بجامع عمرو اسماعيل بن اليسع الكوفي ، وقد وفد قاضيا في عهد المهدي فأذاع فقه اصحاب الرأي ، وتوافد القضاة من الاحناف في عهود الرشيد والمأمون والمعتصم يعاونون على نشر آراء امامهم ، على حين كان فقهاء المالكية أولى حظوة في الدروس العلمية ، وكلهم اعلام ائمة من امثال عبد الرحمن بن القاسم واشهب بن عبد العزيز وهما من مذهب مالك بمنزلة ابي يوسف ومحمد بن الحسن من مذهب ابي حنيفة ، ثم جاء الامام الشافعي فأحدث حركة فقهية ذات امتداد ، وكان محور نقاش هادف بين الاعلام الكبار وقد اذكى بين المصريين روح المناقشة والجدل ، وانفردت مؤلفات كثيرة بالرد عليه ، وتلتها مؤلفات ترد على ما قيل ، ثم انتقل الى جوار ربه ، فلم يهدأ النقاش بل امتد بين تلاميذه وتلاميذ مخالفيه !! كان الشافعي رحمه الله غيثا دافقا فملأ الانهار والينابيع ، واذا كان الشافعي ذائع الشهرة فاننا سنختار من علماء المسجد النبوي عبد الله بن عمرو اذ لم ينل ما يستحقه من دراسة علمية تبرز اثره الكبير في الثقافة الاسلامية بعامة ، وفي الحركة الفكرية الناشئة بمصر عقب الفتح الاسلامي بخاصة ، لأن الصحابي الكبير كان ذا ثقافة شاملة بالنسبة لزمنه ولزملائه ، اذ انه مع اجادته الكتابة والقراءة في معشر امي كان يقرأ بالسوريانية ، وكان يطالع التوراة فاهما مقارنا ، وقد أسلم قبل ابيه ، لأنه حاول ان يدرس الاسلام فيما يسمع من نصوص القرآن ، فوجد لكلام الله عز وجل بشاشة خالطت فؤاده ، وكأني به وقد اصغى الى صدق حججه ، وقوة منطقه ، فلم يستطع صبرا على اعتناقه ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما منيبا ، وقد كان المامه بالتوراة احد دوافعه الى دين الله .

ففي صحيح البخاري عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، فقال : اجل ، والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن حيث يقول الله تبارك وتعالى : « **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر حتى يقيم به الملة العوجاء** » قال عطاء بن يسار : ثم لقيت كعب الأحبار فسألته عن ذلك فما اختلفا حرفا .

وقد عهدنا بعض الكاتبين يدرس أمثال كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام من مسلمة اهل الكتاب ليبين أثر قارىء التوراة في المحيط الاسلامي في الصدر الاول من عهد الدعوة ، ولم نجد فيهم من يشير الى عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكأن هؤلاء متعمدون ان يغفلوا دور الصحابة الخلص في سعة الاطلاع ،

وقوة الالمام لحاجات في نفوسهم ، وتلك حقيقة نبه اليها الأستاذ صادق ابراهيم عرجون ، حين قال رحمه الله :

« كان يجدر بمؤرخي الاسلام ورجال الحديث وكاتبي السيرة النبوية وعلماء التفسير أن يجعلوا علم عبد الله بن عمرو وأضرابه من الثقات والاثبات ميزانا لعلم غيرهم من رواة اخبار التوراة ومقياسا لروايات الذين اكثروا من الحديث عنها من امثال كعب الاحبار ، ونوف البكالي ووهب بن منبه ، لأن منزلة عبد الله بن عمرو من الصدق والاتقان والفقه ترفعه عن منازل الارتياب ، ولو ان العلماء تنبهوا الى مثل هذا منذ القدم لامكن تصفية التاريخ الاسلامي من هذه الأقاصيص الاسرائيلية المهلهلة التي ملأت كتب التفسير والسيرة والحديث ، واذ فات هذا فلا اقل من ان يجعل الباحثون احاديث عبد الله واضرابه بعد التثبت من صحة روايتها وسيلة لامتحان هذه القصص المسطورة في الكتب ».

ولقدرة عبد الله بن عمرو على القراءة والكتابة كان احد الذين دونوا حديث الرسول في الصحف سماعا منه ، فقد لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ان اسلم ، واستأذنه ان يكتب حديثه ، فأذن له ، فقال عبد الله : يا رسول الله ، أأكتب ما أسمع منك في الرضا والغضب ؟ قال : « نعم ، فاني لا أقول الا حقا ».

ونحن نعلم أن أبا هريرة رضي الله عنه كان من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ، اذ حرص على أن يحفظ كل ما يسمع عنه ، ولكنه اعترف بأن عبد الله بن عمرو يحفظ من حديث رسول الله أكثر مما يحفظ ، وعلل ذلك حين قال : « ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله مني الا عبد الله بن عمرو فانه كان يعي بقلبه وأوعى بقلبي ، وأنا لا أكتب ».

وأثر عبد الله في تدوين الحديث النبوي لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان موضع تردد من الذين يحاولون ان يطعنوا في رواية الحديث ، اذ يعلنون انه لم يدون الا بعد أمد بعيد من رحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصلوا بذلك الى ما يريدون من هدم لأصل ثابت من اصول التشريع ، ولكن الروايات المتواترة عن تدوين عبد الله لما كان يسمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلتهم يتململون كراهية ، ولو أخلصوا للحق لاتبعوه حين تظهر دلائله ساطعة دون التباس .

واذا كان عبد الله من رواة الحديث وحفاظه ، ومن دارسي أخبار الانبياء والمرسلين في القرآن والتوراة ، فان أثره في مسجد الفسطاط بمصر ، قد كان من الوضوح بحيث ترك تلاميذه ينهجون نهجه في المحافظة على المأثور الصادق من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي دراسة أخبار السابقين وروايات التاريخ وقصص الفتن والحروب ، لذلك عده مؤرخو الحركة العلمية في مصر اول استاذ لهذه الحركة المباركة ، وعدوه المؤسس الحقيقي للعلم في هذه البلاد ، اذ اخذ عنه كثير من اهل مصر مكبرين مقدرين ، وكان يسمى صحيفته التي دون فيها حديث رسول الله « الصادقة »، ويقول عنها : « فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليس بيني وبينه أحد »، كما كان يحج ويعتمر ويأتي الشام ثم يرجع الى مصر ، وقد شافه الصحابة ونقل عنهم ونقلوا عنه ، وحرصوا على لقائه ، وما ظنك بأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وقد علمت بمقدمه ، فقالت لابن أختها عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : يا ابن أختي ، بلغني ان عبد الله بن عمرو مار بنا الى الحج ، فقم والقه واسأله ، فانه حمل عن رسول الله علما كثيرا .

ولم يكن عبد الله عالما فحسب ، ولكنه كان عابدا من طراز متشدد ، وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال : حدثني عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبد الله ، ألم أخبر أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ، فقلت بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم وأفطر وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا ، وان بحسبك ان تصوم كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر امثالها ، فان ذلك صيام الدهر كله ، قال عبد الله : فشددت فشدد علي ، قلت : يا رسول الله اني اجد قوة ، فقال : صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه ، نصف الدهر ، فكان عبد الله ، يقول بعد ما كبر : يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ».

ولا يتسع المجال لرصد ما يحمل هذا الحديث من العبر ، ولكن الذي لا يفوتنا منها هو شدة حساسية عبد الله نحو ربه ، اذ ينهض لعبادته صائما قائما ، وهو بالأحرى ذو حساسية مفرطة حين يحدث عن نبيه ، وحين يبين الحلال والحرام لمن يجتمع حوله من السامعين .

على ان اهل مصر قد تناقلوا احاديث ابن عمرو تدوينا وكتابة ، فاقتدوا به في تسجيل المأثور عن رسول الله ! وذلك ما ينقض المتعارف من ابطاء حركة التدوين الى عهد بني مروان ، فقد روي المقريزي عن حيوة بن شريح قال : دخلت على حسين بن شفي الاصبحي ، وهو يقول : فعل الله بفلان ، فقلت له : ما له ؟ فقال : عمد الى كتابين كان ابن شفي جمعهما مما سمع من عبد الله عن رسول الله احدهما عن اقضيته والثاني أنباء يوم القيامة ، فأخذهما وأضاعهما ، ومعنى ذلك أن الحديث لم يكن مدونا فحسب بل كان مبوبا وفق الموضوعات فللاقضية باب ، ولاخبار القيامة باب ، وهكذا . ومعناه الثاني أن مصر قد أسهمت في رواية الحديث ونقله منذ عهد مبكر ، وأن مقام عبد الله بها قد ترك أثره في هذا الاتجاه ، واذا وجدنا أمثال يزيد بن حبيب ، وابن لهيعة ، وابن وهب يتجهون وجهة المأثور في الافتاء فذلك توجيه عبد الله .

واذا كان الليث بن سعد من ابرز أعلام التشريع في مصر ، حيث انتهى اليه ما تسلسل منذ عهد ابن عمرو من القضايا والأحكام وشاع ذكره حتى عد بين الأفراد ، فان التاريخ ليحفظ له مناظرة فقهية بينه وبين مالك تصور ما كان يجري من حوار بين عالم المسجد النبوي وفقيه المسجد المصري ، وفي الالمام بها ما يبرز تصاول العقول ، وتبادل الافكار مهما بعد المدى ونأت المسافات .



للاستاذ / العوضي الوكيل

الخيــام ، ونــاس يقــولــون الخيامي ، هو أبو الفتح غياث الدين ابن إبراهيم النيسابوري أما لقب الخيام أو الخيامي فقد ذكروا أنه لقب بذلك لاشتغاله أو والده بهذه المهنة ، **مهنة صناعة الخيام** .

مولده في مدينة نيسابور من اعمال خراسان في الشطر الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي .

وكانت وفاته . كما يقول خير الدين الزركلي في الأعلام سنة ٥١٥ هـ أي في سنة ١١٢٣ الميلادية ، قال الزركلي : إنه دفن في مقبرة إمام زادة المحروقي الواقعة في حي حيرة من ضواحي نيسابور ، وقد ذكر ذلك رواية عن تلميذ الخيام أبي الحسن بن عمر النظامي العروضي السمـرقندي في كتاب فارسي له اسمه « جهار مقالة » الذي يعده البـاحثون اقـدم كتاب تاريخي واوثق سند علمي عن عمر الخيام وعصره وحياته .

وقد تنبأ الخيام بموضع قبره قبل ان يموت ، قال السمرقندي :

« كان الامام عمر الخيامي . وكان السمرقندي يلقبه بالامام ـ قد نزل بسراي الأمير ابي سعيد ببلدة بلخ سنة ٥٠٦ هـ ومعه الامام الأسفزاري فالتحقت بهما وفي أثنـاء الصحبة سمعت حجة الحق عمر الخيام . وهذا أيضا لقب كان يلقبـه به تلميـذه السمرقندي يقول :

إن قبري سيكون في موضع تنثر الريح علي فيه الأزهار في كل ربيع ، فاستبعدت هذا التنبؤ ، ولكني علمت أنه لا يكذب . ولما وصلت نيسابور سنة ٥٣٠هـ ذهبت إلى ضريحه . لانه كان له حق الأستاذية علي فوجدت ضريحه في جنب سور حديقة ورأيت أشجار الكمثرى والمشمش قد نثرت عليه من تلك الحديقة نَوّارَها بحيث

تواري جيرتـه تحت أوراق النُّوار فتذكرت القصة التي كنت سمعتها منه في مدينة بلخ فبكيت ، وكنت لا أجد للخيام نظيراً في بسيط العالم وأقطار الربع المسكون اسكنه الله جناته بمنه وكرمه .

وتحدث عن الخيام شمس الدين ابن محمود الشهرَزُورِي في كتابه : نزهة الأرواح وروضة الأفراح فقال : رأيت الخيام وكان يتخلل بخلال من ذهب ، وكان يتأمل في الالهيات من الشفاء ـ يقصد كتاب الشفاء للحكيم ابن سينا ، فلما وصل إلى الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى ثم أوصى ، ولم يأكل ولم يشرب ، فلما صلى العشاء الاخيرة سجد ، وكان يقول في سجوده : إني عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي فان معرفتي إياك وسيلتي إليك » ومات بعد ذلك .

وتعلم عمر الخيام على يد كبير علماء عصره الامام موفق الـدين النيسابوري امـام أهل السنـة في عصره .

وتحدث كثير من معاصري الخيام عنه ، فكانوا يعدونه في الحكمة ثاني ابن سينا ويصفونه بأعلم أهل الفلك في زمانه .

وقال الشيخ الطرازي ، صاحب كتاب : « كشف اللثام عن رباعيات الخيام » فقال : قرأت في بعض المراجع الفارسية والعربية أن الخيام كان رجلا دينا ذا مروءة وفضل وأنه كان لا يشرب الخمر ولا يعاقر الكأس وليس في حياته إلحاد ولا مجون .

ولكن كثيرا من الباحثين من كتاب الشرق والغرب عرفوه عن طريق ما نسبوه اليه من الرباعيات المزعومة التي وصفوها بأنها فلسفة الخيام وزعم بعضهم أنه أبيقوري النزعة والميـول » وسماه بعضهم « وولتـر الشرق » ، ورأى آخرون أنه إباحي وأنه مستهزىء بالاسلام وأحكامه ، وبعضهم زعم أنه دهري أو تناسخي أو جبري أو باطني وقالوا ثائر على كل شيء ، ثائر عـلى الدين والأخـلاق والعقل .

ثم قال الطرازي : إن الخيام ليس من ذلك كله والرباعيات التي نسبت إلى شخصيته البريئـة ليست من مقولاته ولا فلسفته . وقد دام الظن بصحة نسب هذه الرباعيـات الى الخيام أكثر من مائة سنة .

ويرى صاحب كشف اللثام أن لذلك سببين : الأول:هو تفريط الكتاب والمتـرجمين الـذي أوقعوا عـامـة الشرقيين في هذا الظن ، والثاني:هو اعتماد الشرقيين على ترجمة إدوار فتزجرالد ، ذلك الانجليـزي الذي تـرجم الربـاعيات سنـة ١٨٥٦ ، ونشرها في الشرق والغرب على نطاق واسع ، ولم يفطن الشرقيون إلى ما وراء فعله هذا من أغراض مذهبية ومكايد استعمارية .

ولم يكن الخيام إلا رجل دين صحيح كما تحدث عنه علماء عصره الذين عرفوه وعايشوه .

وقد نشر الأديب التركي شمس

الدين السامي كتابه قاموس الأعلام وجاء فيه حول الخيام قوله :

« إنه لم تصح لدينا هذه الرباعيات ، يعني الرباعيات التي ترجمها فيتزجرالد ، أما الرباعيات الصحيحة فكلها يتحدث عن حكمة الله في خلقه وتكليف الناس بالعبادات وللخيام رسالة موضوعها الكون والتكليف بعضها يتضمن المعاني من الرباعيات .

وقال الأديب الكبير الدكتور شفق : إن الخيام كان ينشيء رباعياته ترفيها عن نفسه وتخفيفا لآلامه وذلك عندما يتعب إثر قيامه بحساب النجوم ، وقد ذكر ذلك الأديب العراقي المعروف عبد الحق فاضل وقال : إن الرباعيات التي نشرها إدوار فيتزجرالد تبتعد كثيرا عن أخلاق الخيام .

وأول من كتب عن الخيام من الغربيين هو « توماس هايد » أستاذ اللغتين العربية والعبرانية بجامعة اكسفورد ونشر في ذلك مؤلفا سنة « ١٨٠٠ »م ثم ترجمها بعده الفرنسي « نيكولاس » الذي كان من أعضاء السفارة الفرنسية في طهران وقد نقلها عن نسخة فارسية مطبوعة في بومباي بالهند ، وكان نيكولاس يعتقد ان عمر الخيام كان صوفيا ومشغولا بالعشق الالهي كحافظ الشيرازي وأمثاله من الشعراء المتصوفين وذلك نظراً لأن بعض الرباعيات كان يحتوي على مباديء من التصوف .

على أن أكثر مترجمي الرباعيات شهرة بين أهل الغرب هو فيتزجرالد الانجليزي (١٨٠٩ - ١٨٨٣) ويزيد ما ترجمه فيتزجرالد على سبعين رباعية ولكنه لم يتقيد بألفاظ الرباعيات « كما ذكر الطرازي » بل إنه تصرف كثيراً في الترجمة باعترافه ، قال فيتزجرالد : إن ترجمتي ليست مطابقة لألفاظ الأصل كثيرا فقد غيرت كثيراً من هذه الرباعيات ومزجت بعضها ببعض ، وأخشى أنه ربما ضاعت ناحية من بساطة المعنى وسهولة الألفاظ التي تعد من أكبر مزايا عمر الخيام ، وهذا الرأي كتبه فيتزجرالد إلى أستاذه كاول .

ويقول الطرازي صاحب كتاب « كشف اللثام عن رباعيات عمر الخيام : إذا نظرنا إلى الرباعيات وما فيها من معان بعين التحقيق وطبقناها على ما أثبته المؤرخون من مؤلفات الحكيم النيسابوري عمر الخيام ورسائله وأقواله المنثورة والمنظومة نجد أن أكثرها - إن لم نقل كلها - لا ينطبق على مبدأ الخيام الحقيقي ومسلكه الذي سلكه في حياته ودعا الناس إليه نستطيع أن نقول بكل جرأة وثقة أنها موضوعة ومختلقة لاسم عمر الخيام ، أو نقول إنها لخيام آخر غير الحكيم النيسابوري .

فأذا ثبت عن الحكيم النيسابوري قوله في رسالة ألفها بناء على طلب فخر الملك ابن الملك المؤيد : لقد صنفت في

رسالة طالبي معرفة الله عز وجل أربع طوائف هم : المتكلمون ، والفلاسفة ، والاسماعيليون - وهي طائفة كانت معروفة في عهد الخيام وليست فرقة الاسماعيلية المعروفة - ثم المتصوفون ، وقد رجح المتصوفين على سائر المذاهب لأنهم لم يطلبوا معرفة الله عز وجل عن طريق الفكر والبحث وإنما طلبوها عن طريق تصفية الباطن وتهذيب الأخلاق فانهم نزهوا النفس الناطقة عن كدورة الطبيعة والهيئة البدنية ، ولما تنزه الجوهر ووقف أمام الملكوت ، ظهرت الحقائق فقد علم أن أي كمال من الكمالات غير ممنوع من حضرة الله تعالى ، وقد علمنا أنه إذا زال الحجاب ابتعد المانع كما يقولون ولهذا تظهر حقائق الأشياء كما هي .

إذا ثبت مثل هذا الكلام عن عمر الخيام فكيف ثبت عنه في الرباعيات قوله :

« إن جرعة من الخمر خير عندي من بلاد جم « يعني إيران » وإن رائحة الكأس أحسن من غذاء مريم ، وان تأوها سحريا يخرج من قلب السكران أحسن من مناجاة بو سعيد وأدهم ، وهما من كبار رجال الصوفية .

أو قوله في رباعية مفتراة أخرى :

[illegible] رأس

[illegible]

[illegible] في الدرس .

أهذا كلام يمكن أن يقوله من قال :

أصوم عن الفحشاء جهراً وخفية
عفافاً وإفطاري بتقديس فاطري
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت
لطرق الهدى من فيضي المتقاطر
فـان صراطي المستقيم بصـائـر
نصبن على وادي العمى كالقناطر

وهل يمكن أن يتفق هذا الكلام مع قول المفترين على لسان الخيام في إحدى رباعياته « مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم » :

أيها السيد الهـاشمي « يقصد الرسول » :

لماذا هذا الدوغ الحامض « وهو لبن فيه حموضة » حلال في الشرع والخمرة حرام ؟ وهل يصح أن يقوم بهداية الضالين بفيضـه المتقاطـر وبدعوته إلى الله ورسوله من تنسب إليه تلك الرباعيات ؟

ومن الرباعيـات التي افتراهـا فيتزجرالد قوله :

إلى متى نتحـدث عن الصـلاة والصوم ، اسكر في الحـانات ولـو بالتسول واشرب الخمر واغتنم الحياة فبعد موتك سيصنعون من ترابك مرة كأساً ومرة قلة وثالثة كوزاً .

او : يقولون إن هناك خمراً وحوراً عينا ، وهناك خمر وعسل مصفى فأي بأس إذ نحن اخترنا الخمر والحور من الآن فالنتيجة هي هي .

الحق أن الرباعيات المنسوبة إلى الخيام موضوعة لبعض الأغراض الدينية والاستعمارية ، وأن الخيام كان إماماً في الدين وواعظا ، ولم يكن رجل شراب ولا غزان ولم يكن ملحداً .



لا يوجد مثل كتاب الله كتاب يربى ويسعد ويشفى النفوس والأبدان . ولا عجب فالله الخالق أعلم بخلقه من أنفسهم وأعلم بما ينفعهم وما يضرهم وما يسعدهم وما يشقيهم وهو الهادي وهو الذي عليه الاعتماد .

قال تعالى : (**وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا**) النجم/٤٣و٤٤ . فهو الذي يضحك ويسعد من يشاء ويبكي ويشقي من يشاء . وهو الذى يحيى موات قلوبنا ويعلي همتنا ، فان الطموح إلى المعالي والتمسك بالمثل العليا فيه صحة النفوس وعزتها . والله هو الهادي الذي يشرح صدور المؤمنين : (**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء**) الأنعام/١٢٥ . والصحة النفسية هي في انشراح الصدر بالايمان .

والأيمان بالله يمدنا بالقوة المعنوية



للاستاذ/سعد حسن لطفي

التي نجابه بها مشاكل الدنيا وهمومها ونقاوم بها الأعداء ولو كانوا متفوقين علينا في العدة والعدد . وعدم الايمان يؤدي إلى الجبن والتخاذل والخوف فتكثر الأمراض النفسية . والمؤمنون يهبهم الله الأمن ويذهب عنهم الخوف : (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**) الأنعام/٨٢ . أما الكفار فيذيقهم الله لباس الجوع والخوف .

والمؤمن لا يخاف إلا الله في حين يخاف غير المؤمن من كل شيء .

والأيمان فيه الرضا عن الله ورضى الله عن المؤمن وفي هذا كمال السعادة والعافية والشفاء للروح والنفس والقلب والصدر والبدن ، وهدوء الفكر والأعصاب . أما عدم الايمان بغية السخط والتبرم بالحياة والضيق في الصدر والشقاء والتعاسة . والايمان فيه الأمل والثقة في الله وفي المستقبل وفي الجنة ، والكافر يائس قانط من رحمة الله ومن جنته والمستقبل مظلم

في نظره . والثقة في الجنة تهب الشجاعة فلا يهاب المؤمن الموت لأنه واثق من الجنة ، أما الكافر فيرعب من الموت ويحزن عند ملاقاة العدو ، لأنه يعلم أن مصيره إلى النار ، فلا يريد أن يفارق الدنيا هربا من الموت .

والايمان يجعلنا نترفع عن الدنيا ولا نحبها كحبنا لله بل نكون أشد حبا لله . وفي هذا تمام الصحة النفسية فان معظم الأمراض النفسية إن لم تكن كلها ، هي بسبب حب الدنيا أكثر من حب الله .. فيصاب الذين يحبون غير الله بالانهيارات النفسية التي قد تؤدي إلى الجنون ، بسبب فقدان حطام الدنيا أو امرأة يحبها أو وظيفة لم يستطع الحصول عليها أو فقدها .

والمؤمن عزيز النفس لا يتزعزع إذا رفضته امرأة ، فالنساء غيرها كثير ، ولا يجزع إذا إفتقر أو مرض أو مات أحبابه وأولاده . والاسلام يأمرنا باعزاز أنفسنا وعدم الذل والعبودية لمخلوق أو للدنيا ، فقال الرسول : « **تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة** » رواه البخاري .

فيتحرر المؤمن من أسر الشهوات من الطعام الطيب واللباس الفاخر والذهب والفضة إمتثالا لقوله تعالى : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**) آل عمران/ ١٤ .

والمؤمن لا يحزن أو ينتحر إذا رسب في امتحان أو فشل في حياته .

ويسقط غير المؤمن في أسر الخمور والمخدرات والنساء فيفسد عقله وأعصابه وبدنه ويفقد ماله ، ويفقد إحترامه للمجتمع كما يفقد هو إحترامه لنفسه ، ويصير ذليلا يستجدي الناس ليحصل على الخمر والمخدر ، ويكون محتقرا ، وفي هذا غاية الشقاء النفسي والعلل والاضطرابات التي لا يزيلها أطباء النفس جميعا . وليس إلا الله من يتوب على العاصي ويغفر له ويشفيه من الأمراض التي ألمت به بسبب ذنوبه . فالطبيب لا يملك المغفرة .

وعلم النفس هو محاولة لفهم النفس البشرية وليس فيه مبادىء ومثل عليا وأخلاق فاضلة . ولا يملك الطبيب النفساني ما يريده المريض من مال أو امرأة أو نجاح أو وظيفة أو غير ذلك . وهذا كله بيد الله مالك الملك ، فهو الذي يعطي المريض ما يصبو إليه فيشفي ويسر . وفوق ذلك فهو علم ملىء بالأخطاء والتناقضات والنظريات المتضاربة شأنه شأن سائر علوم البشر . فهو مادي إلحادي ينكر وجود الله وينكر الوجدان الديني كما ينكر العقل الذي يسيطر على الغرائز ويعتبر الانسان حيوانا تسيره الغرائز وحدها .. وهو أربعة مذاهب متضاربة .

● وأحد هذه المذاهب وأشهرها : يعتبر الغريزة الجنسية هي المهيمنة على كل تصرفات الانسان فيضع البشر في مرتبة أقل من مرتبة الحيوان . وهذا التفسير الخاطىء يجعل الحياة كلها خلافا حول الجنس وعلى النساء إلى درجة أن غاية الانسان في الحياة هي إشباع الغريزة الجنسية ، وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس !!

والمعروف أن الحيوانات لا تجعل الجنس همها الأول ولا تهتم به إلا وقت الحاجة للتلقيح .

ومن المؤسف أن هذا المذهب دون غيره من المذاهب هو المعمول به في التحليل النفسي والعلاج وفي التربية والتعليم مع أنه أكثرها خطأ وأبعدها عن الدين والخلق القويم فانهم يقولون أن المريض يشفى بسرعة إذا أشرفت على علاجه ممرضة جميلة ، وهذا يعتبر دعوة صريحة إلى الاباحة والتحلل من الدين والأخلاق .

ومن المسلم به أن الصحة الجنسية هي في العفة والسيطرة على النفس . بعكس ما يقول فرويد أن الصحة في الاباحة وأن الأمراض النفسية في العفة حيث تسبب ما يسميه بالكبت . وأن يكبت الانسان شهواته ويلجمها أحكم وأشد حزما من الاباحة . والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة المخ والادراك ، ويزيد قوة البدن أيضا ومقدرته على مقاومة الأمراض بعكس الحال عند المسرفين في العلاقة الجنسية . ناهيك عن مضار الزنا كالأمراض التناسلية الفتاكة وكثرة أبناء السفاح ، والعداء بين الناس والجيران والأصدقاء والشك وعدم الثقة في بعضهم البعض وكثير غير ذلك مما يقوض المجتمع .

ولا يعرف فائدة العفة « روحيا وعقليا وبدنيا إلا الأتقياء الذين جربوها » .

● والمذهب الثاني : يجعل الانسان عبدا للدنيا والمال وتسيره غريزة التملك ، فيكون سعيدا وصحيحا نفسيا إذا كان غنيا ، ويكون مريضا نفسيا إذا كان فقيرا . وهذا مخالف للواقع والعقل ، فان الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله . وصحتهم البدنية والنفسية أحسن من صحة الأغنياء باجماع الآراء . والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لها ، فشتان ما بين الأثنين .

● والمذهب الثالث : يجعل الانسان خاضعا للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة في إرضاء الناس .

وهذا المذهب يشجع على الرياء والنفاق . فان القوة والمكانة في المجتمع هي في إرضاء الله ولو باغضاب الناس ، لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فيرضى الله الناس عمن أرضاه باغضاب الناس ويغضب الله الناس على من يرضي

الناس باغضاب الله ، وإذا أحب الله عبدا حبب فيه خلقه . والمؤمن لا يهاب الحساد والأعداء وألسنتهم السوء .

● والمذهب الرابع : يعتبر الايمان مسألة خاصة ونسبية . فهو ينكروجود الله ويقول إن الانسان لو اعتقد في أي شيء فانه يتأثر به ، كما قال الملحدون « من اعتقد في حجر لنفعه » . وعلى هذا فيكون الدين وهما وليس حقيقة . وهذا عكس كلام الله من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم ولا تنفع ولا تضر ، وفي أن النافع والضار هو الله وحده .

ويلاحظ الخلاف بين هذه المذاهب حيث يفسر كل منها الانسان تفسيرا مخالفا لتفسير الاخر . ولا يمكن أن تكون كلها صحيحة جملة واحدة ، فيجب إذن رفضها جملة وتفصيلا بسبب تضاربها . كما أنه لا يجوز

التوفيق بين هذه المذاهب وإيجاد مذهب وسط ، لأن الحقيقة ليست وسطا بين خطأين .

فيجب الاعتماد على الله في شفاء النفوس فهو خالقها والخبير بها : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك/ ١٤ . والا نكباب على تلاوة القرآن ففيه الشفاء والسعادة : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) الاسراء/ ٨٢ .

والدين فيه تهذيب الأخلاق وقواعد السلوك بين أفراد المجتمع فيكون الفرد والمجتمع في صحة نفسية كاملة ولا يوجد شجار أو إحتقار أو تكبر أو ظلم مما يسبب الأمراض النفسية .

والشخص المستقيم يسير مرفوع الرأس ومحترما ومحبوبا بين الناس ، أما الفاسق فيخاف أن تفتضح أعماله الشريرة الخفية ويكرهه الناس ويحتقرونه لمجونه ولهوه . فمن وجهة نظر الطب النفسي نرى أن الاستقامة هي أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو أساس الأمراض النفسية ، وأن الايمان بالله هو العزة والقوة والصحة ، وعدم الايمان هو أصل كل الأمراض . **وأثنى الله على الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** .

والمؤمنون يتغلبون على السحر والشعوذة ولا يخافون من السحرة ولا ينخدعون فيهم . والتعليم الديني هو الضمان الوحيد لعدم انتشار السحر والدجل ، فان ضحايا الدجالين والسحرة كلهم من المتعلمين تعليما مدنيا حتى أساتذة الجامعات ، بعكس خريجي وطلبة المعاهد الدينية الذين

يوقنون بأن السحر كفر بالله وباطل وخرافة . وتكثر الأمراض النفسية بسبب الخوف من السحر وبسبب العداوة والشر والحقد والرغبة في المضرة .

ولا يوجد شيء يدفع النفوس إلى فعل الخير والبعد عن الشر مثل الوازع

الديني ، والطمع في رحمة الله ورضاه وجنته ، والخوف من عقابه وناره . ولا ينكر اثر الوعظ في النفوس حيث يقوم أساسا على الترغيب والترهيب ، ولا يوجد في علم النفس التربوي أو خلافه هذا الباعث الذي يجعل الناس يتسابقون ويتنافسون في أعمال الخير والصلاح . وفي الغرب حيث يسود الالحاد ، لا يجدي الوعظ كثيرا لضعف اعتقادهم بوجود الجنة والنار أو وجود الله ، وبسبب عدم حبهم لله .

أما الفضائل فكلها في القرآن ما فرط فيها من فضيلة . ويكفي منهاجا للتربية الكاملة بعض آيات من القرآن ، مثل سورة الحجرات ، وسورة الاسراء من قوله تعالى : (و قضى ربك)

وسورة لقمان ومواعظه لابنه ، وسورة الفرقان صفة عباد الرحمن . فلو ربينا التلاميذ والأبناء على هذه القطع وحدها لكفتهم ، فما بالك بكتاب الله الذي يحمل بين دفتيه كل آية تهز الوجدان وتضىء الجوانح وتعلم الانسان مركزه ومكانته في الدنيا وأهميتهما ، والمسؤولية التي عليه في إصلاح ما في الأرض ، وتجعله سباقا إلى فعل الخيرات ، ويبعث الهمم وتحيي موات القلوب ، وتعلم المبادىء والمثل العليا والقيم الشريفة السامية ، وكل هذا لا يوجد في علم النفس ولا أي علم بشري حيث يجعل الناس غايتهم في الحياة إشباع الشهوات .

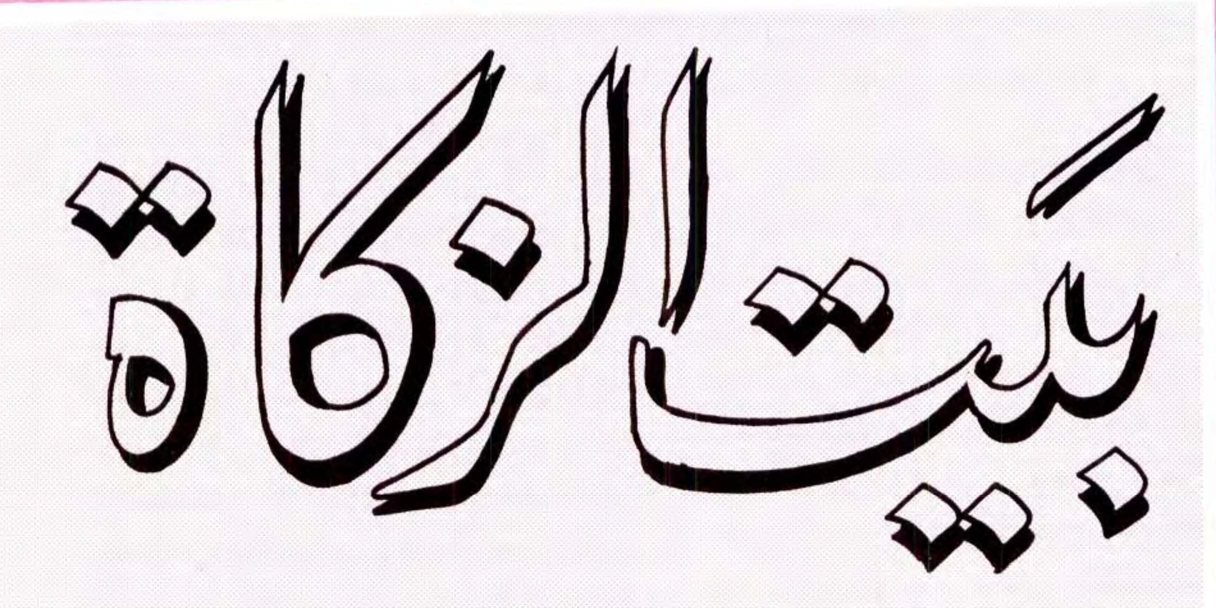
والتربية الاسلامية تنطوي على التربية الوطنية والاجتماعية ، وتحض على حب الوطن والدفاع عنه ضد المعتدي المستعمر الذي يفسد الدين والدنيا ، ويحطم المعنويات والماديات ويشيع الجهل والفقر والمرض ، ويحض الشباب على الرذائل والموبقات ويثير الفتنة والعداوات بين القبائل .

والطوائف الدينية ، ويخلق الشقاق بين فئات الشعب بكل الأسباب الواهنة .. ولا يمكن محاربة هذا الاستعمار إلا بالابتهال إلى الله ، فانه وحده الذي يلقي في قلوبنا السكينة ، ونثق في نصره .

والدين يحث على العدل والمساواة والنهضة بالفقراء والطبقات السفلى ، ورحمة الفقير والضعيف .. كما يحض الدين على العلم والتفكير .

وقد آن الأوان للرجوع إلى التمسك بكتاب الله الذي أكرمنا به ، ففيه الحضارة والهداية والعلم وصلاح الدنيا والآخرة ، ويجب أن نرفض كل ما هو غربي ، فهو إلحاد وعلوم خاطئة ومبادىء ضالة منحرفة ، ولا نسمع لقول الغربيين في ديننا ولغتنا وتراثنا .

● ●



الزكاة فريضة اسلامية فرضها الله على أغنياء المسلمين .. تؤخذ من أموالهم وترد على فقرائهم ولها مصارف ثمانية حددها القرآن الكريم .

ومع ذلك فالناس أقسام ثلاثة في موقفهم من أداء فريضة الزكاة :

○ قسم : يعطي حق الله في ماله عن طيب خاطر .. شاكرا لله فضله .. وعارفا لكل ذي حق حقه ..

○ وقسم : يعطي القليل من ماله .. دون أن يؤدي كل المطلوب منه .. وكأنها مجرد صدقة تطوع ، فلا يلتزم بما فرضه الله عليه .

○ وقسم : امتنع عن أداء الزكاة .. لا جحدا لفرضيتها .. والا كان كافرا .. بل بخلا وشحا .. والنفس بطبعها شحيحة الا من رحم الله ..

وفي عهد الخلافة الراشدة ، وفي عصر السلف الصالح .. كانت الدولة تجمع الزكاة بواسطة « العاملين عليها » من أغنياء المسلمين .. وكانت تودعها « بيت المال » ثم تنفقها في أوجه انفاقها .. وبذلك نعم المجتمع كله بالرخاء واليسر ..

ثم مرت بالأمة الاسلامية أعوام وأعوام .. ضعف فيها الوازع الديني .. وأهملت السلطة واجبها في جمع الزكاة .. وانفاقها في سبيلها .. وصرنا في وضع أحوج ما نكون فيه الى الصديق رضي الله عنه ليقول في اصرار المؤمن : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ..

وليقول لمانعي الزكاة : والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .

ومع بدء الصحوة الاسلامية التي يعيشها العالم الاسلامي اليوم وحرص المسلمين على أداء فريضة الزكاة كما أمر الله عز وجل كان لا بد من قيام هيئة عصرية منظمة على أحدث الاسس تنوب عن الافراد واللجان المتعددة في جمع الزكاة لتكون اللبنة الاولى في قيام بيت مال

معاصر للمسلمين وبفضل الله أولا وبفضل الجهود الخيرة تم انشاء « بيت الزكاة » الذي تم تأسيسه مؤخرا كهيئة مستقلة وقد عقد أول اجتماع له بحضور كل من السادة :

أحمد سعد الجاسر وزير الاوقاف والشئون الاسلامية .
ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .
عيسى ياسين وكيل وزارة الشئون الاجتماعية والعمل .
حمد الجوعان مدير عام المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية .
هزاع جاسم الحسينان مدير ادارة شئون القصر .
أحمد بزيع الياسين ـ طارق سامي العيسى ـ عبد الله دخيل الجسار ـ محمد هادي العوضي ـ يوسف جاسم الحجي ـ يوسف محمد النصف .

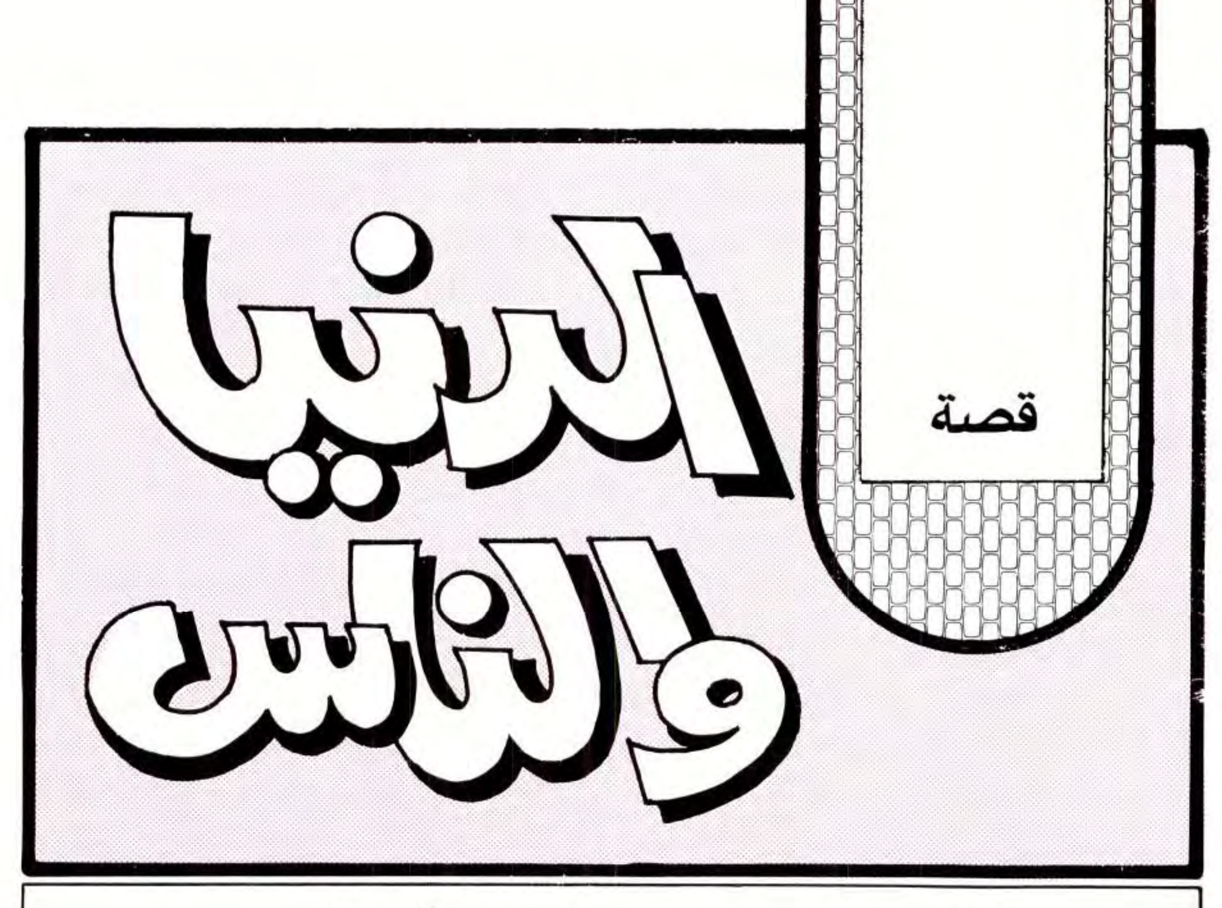
وقد ناقش المجتمعون مجموعة من الامور المتعلقة بدفع عجلة بيت الزكاة الى الأمام وشكلوا لجنة لوضع النظام الاساسي ولوائح العمل والشئون التنظيمية لبيت الزكاة . وفي ختام الاجتماع عقد السيد وزير الاوقاف والشئون الاسلامية مؤتمرا صحفيا وضح فيه بعض الأمور المتعلقة ببيت الزكاة حيث قال :

لقد آن الأوان لقيام هيئة عصرية منظمة تنوب عن الأفراد والهيئات والمؤسسات في جمع الزكاة وتوزيعها حسب النصوص الشرعية بعد الرجوع الى هيئة اختصاصية في الشريعة . وقد تم فتح حساب لدى بيت التمويل الكويتي تحت رقم ٥٨٠٠ـ٠٢ لتسهيل الامر امام الراغبين في صرف زكاتهم .

وسيتم افتتاح حسابات للبيت في جميع فروع بيت التمويل الكويتي . كما سيجري تعاون وتنسيق وتكامل بين بيت الزكاة والمؤسسات الحكومية الرسمية المشاركة في مجلس ادارة البيت لتلافي الازدواجية وسيتم أيضا تنسيق وتعاون مع بيوت الزكاة القائمة في بعض البلدان الاسلامية والاستفادة من تجربتها في هذا المضمار . وسيعمل بيت الزكاة على دعم لجان الزكاة القائمة في مساجد الكويت والتعاون معها الى أبعد الحدود بما يحقق مصلحة المجتمع الاسلامي عامة . وبإمكان جهاز الوقف في وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ان يسهم بتمويل بيت الزكاة مع الأخذ بعين الاعتبار ان اموال الوقف ستصرف حسب وصية الواقف .

والوعي الاسلامي انطلاقا من واجبها الاسلامي تهيب بكافة المواطنين والهيئات والمؤسسات ان يبادروا لدعم بيت الزكاة تحقيقا لركن عظيم من أركان الاسلام فيه مصلحة المجتمع المسلم ، وبه استقراره ، وبأداء الزكاة ينتشر الحب والخير بين أفراده ويعيش الجميع حياة التكافل المثالية ..

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »



للاستاذ : محمد لبيب البوهي

كان اوغلي اعظم انسان جمع مالا وعدده في مدينة داركوك ، وكان علي حيدر افقر انسان فيها ، فاذا اردت ان تعرف كيف دارت امور الدنيا مع كل منهما فاليك هذه القصة :

★ ★ ★

كانت اكبر مشكلة تشغل بال السيد / اوغلي اغا هي مسألة الموت ، كيف يتسنى له ان يجمع ثلاثة ملايين دينار ثم يتركها ويموت ؟! لماذا اذن اجهد نفسه عشرات الأعوام ؟ ولماذا اذن ارتكب المخاطر والأهوال وغل يده الى عنقه فلم يدع دانقا من امواله ينفذ الى مسكين ؟ ولماذا اذن كان يطير النوم من عينيه اذا قيل له ان هناك فرصة متاحة في اقصى البلاد لجمع مال جديد ؟ ولماذا اذن كان يزحف النوم الى عينيه في عجلة اذا جاءه كتاب من جمعية خير تطلب معاونة في شأن من شئون الناس ؟ .

لماذا اذن كل هذا ، اذا كان الموت له بالمرصاد ..!؟ .

قرأ اوغلي اغا ذات يوم ان قيمة الانسان تتمثل في قدر ما يعطي او يبذل للاخرين ، وبما انه تعود ان يأخذ .. ويأخذ .. ويأخذ .. دون ان يفكر في اي عطاء . فقد ادرك ان الخيط الذي يصله بالناس قد اصبح مقطوعا . من اجل ذلك لم يكن السيد / اوغلي اغا يعيش مع الناس وانما كان يعيش في جو عمائره .. ومتاجره .. وسياراته .. ونواعيره ولم يكن له من صاحب او صديق .

ماذا اذن سيصنع اوغلي اغا بالمال الكثير ؟
وما معنى ان يأتي الموت فيخطفه من كل هذا ؟

لقد كان الموت هو شاغله الشاغل ، او بمعنى اكثر دقة ، الخوف منه والبحث عن مخرج ، اذا كان الموت مشكلته الكبرى اليس هناك من علاج يطيل امد البقاء !؟ اليس من طريقة وجدها العلم لاطالة العمر وتأخير الأجل المحتوم ؟ اليس هناك نظام للراحة والاستجمام .. والغذاء الجيد والرحلات .. وتدليك العضلات .. والأبحاث الالكترونية ؟ اليس من شيء من هذا كله امكن التوصل به ليضمن لاصحاب الثروات المخزونة التمتع بها الى نهاية الدهر ؟ ما فائدة العلم اذن اذا لم يكن قد ضمن هذا ؟ وماذا يفعل العلماء والالكترونيون .

لقد هز اوغلي اغا رأسه وتولى غاضبا وهو يردد : فليسقط اذن كل شيء ..

★ ★ ★

وراح اوغلي اغا يفكر في طريقة ينتقم بها من الدنيا ، ويغيظ اولئك الذين يتطلعون الى ماله ليرثوه من بعده ، وبما انه لا مفر من الموت فليأخذ الى أخراه كل ما جمع في دنياه .

وتذكر نظرية الفراعنة ، وسر بها سرورا عظيما ، كان الميت يطلب بان يدفن معه كل ما جمعت يداه .

ولما كانت ثروته عظيمة المقدار فقد جمع نفرا من المهندسين وطلب اليهم ان يقيموا له قبرا تطلى جدرانه بالذهب ويفرشوه بالسجاجيد والبسط ، ويقيموا له سريرا عليه وسائد من حرير ، حتى اذا مات السيد الوقور ونقل الى مقره الاخير ، كانت ثروته كلها قد نقلت معه .

★ ★ ★

اخذ المهندسون في بناء اروع واعظم قبر رأته داركوك ، وكان الناس يأتون من كل مكان للوقوف عن كثب ، وامتاع العين بالنظر الى القبر الذهبي العجيب . تحفة مقابر الدنيا في هذا الزمان ، وكثيرا ما كان اوغلي اغا يقف بالقرب منهم ، وهو يستمتع برؤية نظرات الحسد والتمني مرتسمة على وجوه الناس ، فقد كان منهم من يقول في نفسه : ليت لنا مثل ما أوتي اوغلي اغا ، انه لذو حظ عظيم .

واحيانا كانوا يجهرون بهذا التمني فيسخر منهم علي حيدر افقر فقراء المدينة ويتولى وهو يضحك ساخرا مما سمع ..

★ ★ ★

وذات يوم كان اوغلي اغا يتأمل قبره الذهبي ، فلما رأى علي حيدر الفقير جالسا مستندا الى حائط من جدران الضريح تغيرت نفسه واشمأزت وصاح في حاشيته قائلا :

انه لأمر معيب ومغيظ ان يقع ظل هذه الحشرة على قبري الذهبي ، احملوا هذا المخلوق والقوا به خارج داركوك . وطرد علي حيدر من المدينة ، وحرم عليه دخولها ، حتى لا يقع ظله على القبر الذهبي العظيم .

ومـرت أيـام وأيـام ، وشهـور واعوام ، وكان السائحون يأتون من بقاع مختلفة من الارض لرؤية القبر الذهبي في داركوك ، والتطلع في وقت الشروق الى القبة اللامعة وهي تتموج بلون الذهب كما يزداد المنظر بهاء حين تقع على القبة اشعة الغروب .

وذات صباح في يوم من ايام الشتاء دق ناقوس الهـاتف في دار منظم الجنازات وكان هناك صوت نسائي ناعم يتحدث في الهاتف واسرع حارس المكان الى سيده منظم الجنـازات يوقظه في عجلة . قم سيدي واستقبل اسعد ايامك ، ان السيدة رانجا امنجا هي التي تتحدث .

وهب منظم الجنازات من نومه مسرعا الى الهاتف ، ان السيدة رانجا امنجا هي امرأة اوغلي اغا ، ترى هل اقبلت الدنيا ..؟ وهل مات اوغلي اغا ؟ وحـان لمنظم الجنـازات ان يجني مكاسب اروع حفل جنائزي حين يزف السيد المبجل الى قبره الذهبي ؟.

وجاءه الصوت النسائي حزينا يردد : نعم .. لا تقل ان اوغلي اغا قد مات وانما قل انه قد انتقل الى امجاد القبة الذهبية .

قال منظم الجنازات في ادب كبير :

نعم بكل تأكيد ، وسوف تنظم اعظم الاحفال الجنائزية التي شهدتها داركوك .. سوف يكون زفافا يضرب به الامثال حين يسعى به الى قبره المكين ويوضع سيادته في اجلال تحت القبة التي تكسوها الشمس كل يوم بلون الذهب حـين الشروق وحـين الغروب .

وعاد صوت السيدة رانجا يقول : اسمعني جيدا ايها الرجل .

قـال منظم الجنازات : كـلي اذان سيدتي .

قالت السيدة ، تعلم ان اوغلي آغا عاش ايامه الارضية وهو يلقي الاوامر فيطاع وقد اوصى ان يدخل عالم القبة الذهبية طبقا لأمر اصدره ، لقد اوصى ان يوسد جثمـانه فـوق السريـر الحريري الـذي في القبر في نفس اللحظة التي تشرق فيها شمس الغد ، لا يتأخر الموعد عن ذلك دقيقة ولا يتقدم .. في نفس لحظة الشروق ، انه يريد ان يدخل عالمه في ظلال آية من آيات الكون واعلم جيدا ايها الرجل انه اذا تأخر الموعد لحظة او تقدم فسوف تحرم من اجرك الكبير الذي وعدك اياه .

★ ★ ★

حاول منظم الجنازات ان يشرح لها الامر ، فان الوفا من الناس سوف يأتون افواجا لمشاهدة هذا الحدث التاريخي الهام ، فكيف يسهـرون الليل في زمهرير هذا الشتاء ؟ وهم

ينتظرون ..
قالت السيدة رانجا في حزم :
هكذا قرر اوغلي اغا .. اعني المرحوم اوغلي العزيز . المسجي ، امامي الان فوق منضدة من ذهب وشاربه العظيم يتدلى في وقار ، وعلى شفتي جثمان سيادته علامة تصميم لارادته .
قال منظم الجنازات :
ولكن الناس .. الالوف الذين سوف يأتون ، ما ذنبهم ؟ كيف نطلب اليهم ان ينتظروا حتى مشرق الشمس ، اني اخشى ان ينصرفوا يا سيدتي فتفقد الجنازة شطرا من مهابتها .
قالت السيدة رانجا .
امر اوغلي اغا بأن يمنح كل من ينتظر حتى الشروق مكافأة قدرها خمسون دينارا ، ان زوجي المرحوم عرف كيف يسجد الناس للمال ، فأتاهم من حيث يحبون .
قال منظم الجنازات :
يا للمرحوم اوغلي اغا من بعيد النظر حكيم ...!!

★ ★ ★

وضع الجثمان في تابوته ، وشيع الى المسجد بعد صلاة العشاء واعلن المنادي ان اوغلي اغا قد اوصى بان تمنح خمسون دينارا لمن يبقى الى جوار المسجد حتى يشارك في تشييع الجنازة عند الشروق .
ولبث جمع من الناس في زمهرير ليل هذا الشتاء ينتظرون ، بعد ان وضع الجثمان في رحبة المسجد ، ولكن شيئا عجيبا قد لفت الانظار ؛ ذلك انه كان هناك في المسجد جثمان اخر لم يدفن بعد .
فلما تساءل الناس عن ذلك قيل لهم انه قد مات في هذه الليلة انسان لم يدر به احد ولم يحفل به انسان ، انه المرحوم علي حيدر افقر فقراء المدينة ، انهم لم يجدوا له قبرا وان جثمانه ينتظر حتى يحمل في الصباح الى قبور الصدقات .
وتلفت منظم الجنازات يمينا ويسارا ، وهو يهمس لمن حوله لا تذكروا للسيدة رانجا ان هناك صعلوكا مسجى الى جوار جثمان اوغلي العظيم .

وراحت ساعات الليل الباردة تمر بطيئة قاسية ، ولاذ الناس بالاركان يلتمسون الدفء .. وغلب عليهم النعاس واستغرق منظم الجنازات في نوم عميق وهو يحلم بالاجر الكبير فلما بدت تباشير الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر هب منظم الجنازات مذعورا يدعو الناس الى صلاة الجنازة ثم حمل الجثمان الى القبر الذهبي .

وما ان وضع التابوت في القبر وكشف منظم الجنازات عن وجه الرجل حتى كاد ان يصعق من هول ما رأى ، لقد اخطأ الناس في لهفة العجلة فجاءوا بجثمان علي حيدر افقر فقراء داركوك ليدفن في القبر الذهبي بينما حمل جثمان السيد اوغلي اغا الى مقابر الصدقات .



حديث أجرته جريدة السياسة الكويتية مع وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية حول : الحركات التبشيرية في افريقيا ننشره في مجلة « الوعي الاسلامي » امتدادا لحملتنا في هذا المجال ولتعم فائدته :

وبدأ مندوب الجريدة بهذه التساؤلات :

كيف تتحرك الحركات التبشيرية الان في قارة افريقيا ، وكيف يتم الوصول الى المناطق الافريقية النائية ؟ وما هي استراتيجية هذه الحركات الحديثة بخلاف الدعوة الى غير الدين الاسلامي ؟ وما هو الدور الكويتي

في هذا المجال ؟ وهل تقوم الدول الاسلامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة بكامل واجباتها في مكافحة هذه الحركات التبشيرية في افريقيا ؟

فأجاب عليها الاستاذ/محمد ناصر الحمضان وكيل الوزارة بعد ان قام مؤخرا بتوقيع عقد انشاء وتنفيذ وتشييد قرية الحنان في السودان .. وعن هذه القرية ، والدور الذي ستقوم به لخدمة الاطفال الافارقة خصوصا ابناء اللاجئين من الحرب الاريترية وغيرها .

قال الاستاذ/محمد ناصر الحمضان وكيل الوزارة .. سأبدأ الحديث عن قرية الحنان التي قمت بتوقيع عقد الانشاء بالنسبة لها .. ثم اتطرق للحديث عن الحركات التبشيرية وما يتعلق بها لأهميتها وخطورتها في طعن الدين الاسلامي في القارة الافريقية .

○ **حول قرية الحنان يقول :**

● لقد قمت مؤخرا بتوقيع عقد انشاء هذه القرية النموذجية في السودان .. والفكرة في حد ذاتها اكبر من الكلمات الرنانة التي تعارف عليها علماء اللغة العربية .. القرية ستتسع لـ (١٠٠٠) طفل من الذكور والاناث .. السن المسموح به في بداية الالتحاق بالقرية يبدأ من الرابعة حتى الرابعة عشرة .. مناهج الدراسة وفق ما هو متبع في الدول العربية مع تكثيف شديد في تعليم اللغة العربية واصول الدين .. يحصل الطالب او الطالبة في نهاية المرحلة التعليمية على شهادة الابتدائية .

منظمة الدعوة الاسلامية

○ **وحول الهدف من بناء القرية يقول :**

● الملاحظ ان اطفال اللاجئين الاريتريين عامة يعانون من الأحوال الاجتماعية السيئة .. وتقوم الهيئات التبشيرية وسط هذه الحاجات والظروف المتدنية بالدخول وسط المعسكرات والعمل في حل العديد من المشاكل وتقديم الخدمات التي تجعل الأطفال يلتفون حول هذه الحركات التبشيرية ويلتصقون بها باعتبارها الصورة التي تقدم لهم ما يحلمون به من طعام وشراب وملابس وخدمات . ذلك يحدث ويتم في غياب تواجد اسلامي عربي داخل هذه المعسكرات .. علما بأن اغلبية الأطفال الذين يعيشون داخل هذه المخيمات من المسلمين ..

واقول ان انتشار هذه الحركات التبشيرية يتزايد داخل معسكرات المسلمين النازحين من جراء الحروب او الحرب الاثيوبية الاريترية .. وغيرها كاللاجئين الأوغنديين والتشاديين سواء في شرق السودان او جنوبها وغربها .

○ **يواصل حديثه قائلا :**

● المشكلة الآن ان بعض اللاجئين يجري تنصيرهم .. اي تحويلهم من الدين الاسلامي الى الدين المسيحي .. ذلك يحدث في غياب تواجد عربي يرتكز على خطط مناهضة

لما تقوم به جمعيات التبشير التي اصبحت كالاخطبوط داخل القارة الافريقية وفي هذه الناسبة اشيد تماما بالجهود التي قامت بها وما زالت تقوم بها الجمعية الثقافية النسائية في الكويت ومجلة اسرتي .. فقد كان للقائمات عليهما دور ايجابي ورائد في دخول هذه المناطق في السودان بزيارة مواقع اللاجئين الاريتريين .. ومن هنا كان التفكير في انشاء هذه القرية لخدمة الاطفال وتقديم كافة الخدمات لهم من غذاء وسكن وتعليم وعلاج كله بالمجان .. ونحمد الله ان هذا الجهد وذلك المجهود تم تتويجه بانشاء قرية الحنان .

○ يقول محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية :

● لقد قمت بتوقيع عقد انشاء قرية الحنان نيابة عن الأخوات الفاضلات وبصفتي عضوا في مجلس امناء منظمة الدعوة الاسلامية التي انشئت في السودان وبعض الاخوة من الدول الافريقية ودول الخليج العربي . ان منظمة الدعوة الاسلامية ستقوم بتقديم الخدمات لجميع الاخوة اللاجئين في السودان وافريقيا على نفس المنوال الذي تقدمه الهيئات التبشيرية .

التبشير والمواصلات الحديثة

○ وحول منظمة الدعوة الاسلامية يقول :

● انها منظمة خيرية مقرها الخرطوم تعمل لمساعدة المحتاجين واللاجئين في افريقيا .. ولا شك ان التبرعات ستكون جزءا هاما من تزايد نشاطها .. انني اطالب الهلال الاحمر في كل بلد اسلامي وعربي ان يثبت وجوده في هذا المجال الاسلامي الخطير .. اننا نجد الهيئات ومجامع الكنائس وهيئات الصليب الاجنبية تعمل ليل نهار وتقدم كافة امكانياتها المادية والأدبية وغيرها من اجل نجاح المهمة التبشيرية في افريقيا .. وفي المقابل يجب ان تتكاتف الجهود في البلاد الاسلامية والعربية من اجل وضع استراتيجية مناهضة لدور الحركات التبشيرية .

○ ويقول محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية :

● التبشير في افريقيا ليس جديدا .. انه قديم منذ مئات السنين .. ولكن الجديد فيه .. تطور استعمال المخترعات الحديثة باختصار اي فترة زمنية من اجل الوصول الى اي بقعة داخل افريقيا منعزلة عن وسائل الحضارة والمدنية .. على سبيل المثال لا الحصر نجد ان الهيئات التبشيرية تستعمل الطائرات العادية والعمودية والسيارات (الجيب) والدراجات النارية والدراجات الهوائية من اجل الوصول الى التجمعات السكانية .. يواصل حديثه قائلا :

● عندما يتم الوصول الى هذه التجمعات البشرية او داخل معسكرات اللاجئين (وغالبيتهم من المسلمين او بدون عقيدة يرتبطون بها) يكون هدفهم الأول دراسة احتياجاتهم .. ثم على الفور يجري تقديم كافة الخدمات التي يحتاجون اليها على سبيل المثال : تقدم لهم خدمات طبية بالمجان .. خدمات زراعية في زراعة انواع مفيدة من المحاصيل الزراعية .. خدمات بيطرية عن طريق علاج المواشي وزيادة ما تدره من البان .. لقد وصل الأمر في بعض المناطق الى بناء مدارس وكنائس ومشروعات مفيدة .. المواطن الافريقي في هذه الحالة لا يملك سوى الايمان بهم باعتبارهم مصدر رخاء وسعادة لهم .. وهذا هو بداية الطريق الى دخول التعاليم المسيحية داخل عقولهم ..

○ **يقول محمد ناصر الحمضان :**

● الخدمات التبشيرية في افريقيا لا تقف وحدها .. جميع المنظمات والهيئات في اوروبا وامريكا تقف خلفها .. تلبي حاجاتها واحتياجاتها .. وفي المقابل لا يوجد لنا دور مؤثر .. او بمعنى اخر وجودنا في حالة (صفر) او هو اكثر من ذلك بقليل جدا .

حل المشاكل

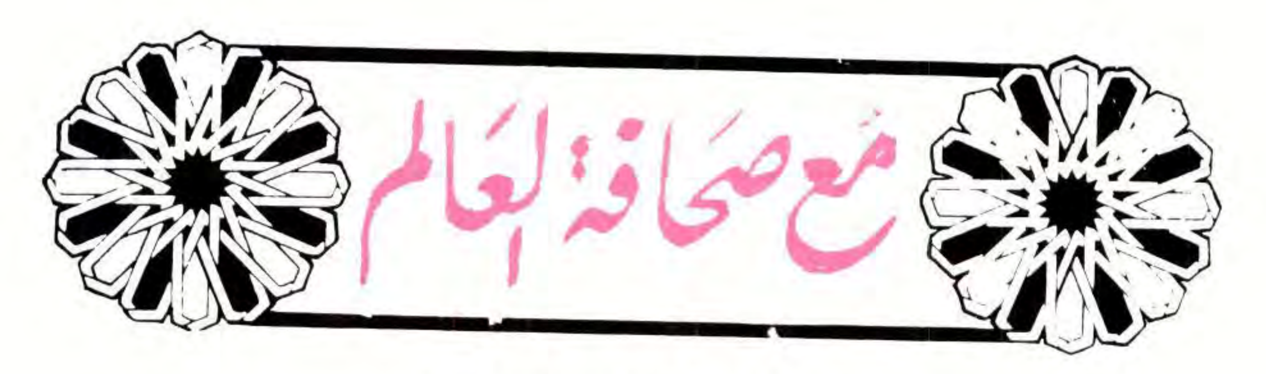
○ **وحول الطريقة المثلى (العصرية) التي يجب ان تسود ويجري اتباعها من جانب الدول الاسلامية والعربية للوقوف ضد الحركات التبشيرية والقيام بعمل اسلامي جماعي يقول :**

● اسلوب الدعوة الاسلامية داخل القارة الافريقية يجب ان يتغير انني اطالب بوجود الداعية (الواعظ) المسلم ووجود الطبيب والمهندس والطبيب البيطري .. اطالب ايضا بخدمات اجتماعية نسائية مكثفة .. انني اعتبر هؤلاء ايضا دعاة .. وهذا ما سنقوم به .. ونتبعه في منظمة الدعوة الاسلامية التي مقرها السودان الشقيق ..

○ **يختم حديثه بقوله :**

● ان دور الجمعية الثقافية النسائية الكويتية ومجلة اسرتي كان ومايزال رائدا في المجال الخيري الاسلامي انني ادعو جميع الهيئات والأفراد من المسلمين ان يقوموا باعمال مماثلة في ميادين مختلفة مثل بناء المدارس والمستوصفات والمساجد .. بل لا مانع من تقديم الماكينات والآلات الحديثة التي تساعد على الزراعة .. لأن مردودها سيعود على كل مسلم في القارة الافريقية ..

ان الحركات التبشيرية في القارة الافريقية تسير وفق استراتيجية عالمية .. ونحن يجب ان نتحرك وفق استراتيجية اسلامية عربية للوقوف ضد هذه الهجمة العالمية ضد الاسلام والمسلمين .



حقائق تكشفها الحرب اللبنانية

○ كم هي كثيرة تلك الأوهام والأكاذيب التي كشفها الغزو اليهودي للبنان والتي لا تزال وللأسف تعتلج وتعشعش في نفوس بعض أبنائنا وإخواننا العرب .

ومن أكبر هذه الأوهام اعتقاد بعضهم أن الاتحاد السوفياتي هو حليفنا وناصرنا في قضية فلسطين أولى القضايا العربية ، فهو وإن كان قد تعود أن يحل جميع مشكلاته وأزماته وتدخلاته في بقاع كثيرة من العالم بلغة القوة « التي أصبح العالم لا يعرف غيرها » إلا أنه في قضية العرب اقتصر علاجه على الطريقة العربية أي بالكلام فقط ، وذلك لأن الاتحاد السوفياتي لا يريد أن يكون عربيا أكثر من العرب ، فقد تعود هو على أن يقدم نصره الثمين إلى عمال العالم المسحوقين الذين يؤمنون بالاشتراكية العلمية وبصراع الطبقات كما يؤمنون بأن الاتحاد السوفياتي هو المخلص من هذا الصراع المرير ، ولكن يبدو أن الشعب العربي ليس من هذا النوع من المسحوقين .

كما كشف الغزو اليهودي ذلك الوهم الكبير الذي تعيشه بعض الأنظمة العربية في امكانية كسب اميركا او على الأقل تحييدها لأن زعيمة العالم الحر كما يسمونها تقبع تحت النفوذ اليهودي الاقتصادي والاعلامي والسياسي فاليهود يستبدلون رؤساء اميركا كما يستبدلون قبعاتهم والرؤساء يخافونهم ويغيرون مواقفهم تبعا لاهوائهم فهل تأمل زعماء هذه الأنظمة العربية الى تصريح « ريغان » الاخير حول الغزو حيث قال متلمسا العذر للغزاة : « انه يجب القضاء على الارهاب » أي العمل الفلسطيني . اما هيغ وزير الخارجية فقد صرح : « ان لاسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها » . هكذا يفكر قادة الغرب او يهددون بأن قتل الابرياء من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال وتدمير لبنان هو المصير المحتوم اذا لم تطرد المقاومة من لبنان كما طردت من باقي دول المواجهة .

وما قيل عن الولايات المتحدة يمكن ان يقال ايضا عن حلفائها الذين تعلق بعض العرب بحبال الأمل التي يرسلونها بين الحين والآخر فقد أثبت الغزو خرافة ما يسمى بالحل الأوروبي وإمكانية كسب تأييد أوروبا .

كما أثبت الغزو الخطورة الحقيقية للحلول السلمية مع اليهود الذين أخبرنا المولى عز وجل أنهم ينقضون العهد والميثاق ويقتلون الأنبياء ويعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وأطماعهم في استغلال الشعوب الأخرى لا تقف عند حد « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » فكيف لعاقل أن يعتقد أن بامكان شعب مسلم أن يعيش بسلام مع دولة هذه هي صفاتها وأخلاقها .

كما كشف الغزو اليهودي للبنان ذلك الضعف المهين الذي يهيمن على الدول العربية وهو الذل الذي أخبرنا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم رغم ما تذيعه الأبواق الاعلامية من تقدم وقوة وكرامة،ذلك الذل الذي منع جميع الأنظمة العربية أن تطلق الرصاص على الغازي اليهودي .

فقد قال صلى الله عليه وسلم « اذا تبايعتم بالعينية واخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلالا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم » . ولقد روى التاريخ أن المغولي كان يلقي المسلم في أبان حروب التتار فيقول له قف مكانك حتى أذهب أتي بسيفي لأقتلك فيقف المسلم حتى يأتي المغولي بسيفه ويقتله . ونحن نرى ذلك يحدث اليوم فرغم الهزائم في المعركة تلو الأخرى إلا أن الأمة العربية لا تتعلم وحكامها لا يتعظون فهم لا يعودون إلى تحكيم شرع الله ولا يعدون العدة لاستقبال الأعداء ولا ينشرون العدل والمساواة بين أفراد شعوبهم ولا يضعون المال الوفير الذي تجود به الأرض في مكانه المناسب

كما كشف الغزو لعبة المحاور التي تمارسها بعض الأنظمة العربية المتاجرة بالقضية الفلسطينية والتي تزعم أنها تتصدى للعدو الصهيوني وتصمد في وجهه بينما لم تفلح هي الأخرى فلم تحاول فعل الشيء اليسير في سبيل منع العار الذي يجري اليوم في لبنان .

كما يضع الغزو الكثير من علامات الاستفهام حول تلك التجمعات المسلحة في لبنان التي كانت تقاتل بعضها بعضا قبل الغزو ولكنها إكتفت بعد الغزو باذاعة البيانات الكاذبة عن وقوفها إلى جانب المقاومة وتصديها لقتال الغازين .

إن ما يحدث اليوم في لبنان إنما هو تعرية عامة لمسلك القائمين على شعوب هذه الأمة وثرواتها أمام العالم بأجمعه وسوف يكون وقوفهم أمام بارئهم أشد خزيا وأعظم إذا لم يعودوا إلى دينهم وينصروا إخوانهم ولله عاقبة الأمور .

عن جريدة الوطن الكويتية

التشريع الاسلامي

يعتقد البعض أن الشريعة الاسلامية لا توافق حال العصر الحاضر، وانها انزلت لتوافق العصور الماضية، لذلك رأيت ان ابين أحكام التشريع الاسلامي واثبت من خلالها أن الشريعة الاسلامية الغراء توافق كل زمان ومكان.

فالقرآن الكريم لم يأت قانونا مدنيا أو جنائيا أو دستوريا حتى ترد فيه جميع التفصيلات والشروح بل جاء دستورا عاما وشاملا ثابتا لا يتغير ولا يتبدل فجاء بقواعد ومبادىء عامة مجملة دون تعرض للتفصيلات والجزئيات لأن مصالح الناس وعلاقاتهم تتغير بتغير الزمان والحاجيات، ولو جاء القرآن بالتفصيل والشرح لجميع أحكامه لوقع الناس في حرج شديد عندما تأتي أحكامه متلائمة مع عصر دون آخر وأعطى مثالا واحدا على ذلك كنظام الشورى في القرآن الذي ورد مجملا فلو جاءت احكام الشورى مفصلة وحدد القرآن طريقة الانتخاب وشروط الناخب وأهليته الى غير ذلك، فإن ذلك قد يتلائم مع العصر الذي ورد فيه فيصطدم بعد مئات السنين مع عصور اخرى فترك القرآن التفاصيل للناس من أولى الأمر بعد ان حدد الغاية والهدف ليختار كل الناس ما يتناسب مع عصرهم لتحقيق مبدأ الشورى.

كما أن القرآن الكريم ليس هو المصدر الوحيد للتشريع الاسلامي بل هناك مصدران اساسيان الى جانبه هما السنة النبوية الشريفة واجتهاد الفقهاء جاء بايجاد أحكام لوقائع لم يرد فيها نص في القرآن أو السنة على هدى من مبادىء القرآن والسنة، لذلك تكونت المذاهب الفقهية المعروفة وحصل بينها بعض الخلاف وهذا الخلاف يعطي الفقه مرونة وتطورا ومسايرة للزمن كما ان الخلاف بين المذاهب الفقهية شبيهة بالخلاف بين فقهاء القانون وشراحه ولولا ذلك لرأينا جمودا في التشريع لا يتفق مع العقل وتطوره فكم من شراح اختلفوا في شروحهم والقانون واحد وكم من قضاة اختلفوا في أحكامهم والنص واحد.

فالتشريع الاسلامي تشريع كامل شامل تناول كل ما يحتاج اليه الفرد والمجتمع والدولة من تشريعات منظمة لجميع شئون الدين والدنيا فأحكامه

تشتمل على العقائد كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر والعبادات كالصوم والصلاة والحج والزكاة وكل عمل خير يتقرب فيه العبد من ربه . كما اشتملت أحكام الشريعة الغراء على تنظيم شئون الحياة في جميع المجالات ألخصها فيما يلي :-

أولا : تشريع الاحوال الشخصية :

ويشمل الزواج والطلاق والنسب والحجر والوصية والميراث والنفقات وقد بلغت الآيات القرآنية حول ذلك - حوالي ٧٠ آية منها قوله تعالى:**﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾** آية ٢١ من سورة الروم . **﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾** آية ٢٢٨ من سورة البقرة . **﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين﴾** آية ١٨٠ البقرة .. الخ .

ثانيا : التشريع المدني :-

وهو الذي يتعلق بالعقود والتصرفات من بيع وشراء ورهن وكفالة وقد بلغت الآيات التي تنظم علاقات الأفراد حوالي ٧٠ آية منها قوله تعالى في معاملة المدين المعسر **﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾** آية ٢٨٠ من سورة البقرة . **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾** آية ١٨٨ البقرة . **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾**البقرة /٢٨٢**﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾** **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾** .

ثالثا : التشريع الجزائي :-
« القصاص والحدود والتعزير »

وهذا التشريع يتعلق بالجرائم والعقوبات وعدد الآيات حوالي ٣٠ آية كقوله تعالى :**﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾** . **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾** .
آية ١٩٤ البقرة . **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾** .**﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** آية ٨٥ النساء .

والتشريع الجزائي في الاسلام مقسم الى قسمين **الاول** جاءت أحكامه في القرآن بنصوص صريحة وقطعية وهي القصاص والحدود كحد السرقة وحد الزنا وحد القذف وحد قطع الطريق وأضافت السنة حد الشرب .

واهم مبدأ في تطبيق الحدود هو ان لا توجد شبهة لأن في الاسلام «المتهم بريء حتى يدان » وأكد ذلك الرسول الكريم بقوله « ادرأوا الحدود بالشبهات » لأن الخطأ في العفو خير من الخطأ بالعقوبة .

أما النوع **الثاني** فهو التعزير وهو ترك أمر تقدير العقوبة لولي الامر لكل جريمة لم ينص عليها فيشرع المجتمع او الدولة الاحكام الزاجرة لها على هدى من مبادىء القرآن والسنة واجتهادات الفقهاء .

رابعا : التشريع الدستوري :-

وهذا التشريع يتعلق بالحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم وبيان ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وعدد الآيات في ذلك حوالي ١٠ آيات منها قوله تعالى **(وأمرهم شورى بينهم)** آية ٣٨ من سورة الشورى .

(وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) آية ٥٨ النساء . **(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)**

خامسا : التشريع الدولي :-

كأحكام الحرب والمعاهدات والاسرى وعلاقة الدولة الاسلامية مع غيرها من الدول والقرآن الكريم أول من أعلن مبدأ الكرامة والاخرة الانسانية بين الناس حيث قال تعالى **(ولقد كرمنا بني آدم) - (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** وقال الرسول الكريم « يا معشر قريش لا يأتيني الناس بالاعمال وتأتوني بالانساب . » كم أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد حيث قال **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)** .

سادسا : التشريع المالي :-

وهذا التشريع ينظم واردات الدولة ونفقاتها وتنظيم علاقة الافراد مع الدولة وبناء التكامل الاجتماعي بين الافراد فلا فرق بين غني أو فقير أو شريف أو وضيع ومن آيات التشريع المالي قول الله تعالى: **(واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)** آية ٤١ الانفال . **(وآتى المال على حبه) (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** آية ١٠٣ التوبة . **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** آية ٢٠٤ القصص **(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)** آية ٢٩ من سورة الاسراء .

كما اشتملت الشريعة الغراء على

مبادىء وقواعد تشريعية نص عليها في الكتاب والسنة بنصوص قاطعة ثابتة منها :ـ

١ ـ مبدأ الرضا في التصرفات :ـ

ـ وجاء ذلك بقوله تعالى **(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم)** .

٢ ـ مبدأ وجوب الوفاء بالالتزامات :ـ

ـ وجاء ذلك بقوله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)**(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) . كما قال الرسول الكريم « المسلمون عند شروطهم الا شرطا احل حراما او حرم حلال » .

٣ ـ مبدأ الجزاء على قدر العمل :ـ

ـ كقوله تعالى **(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) (ولكل درجات مما عملوا) (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون)** .

٤ ـ مبدأ شخصية العقوبة :ـ

ـ أي ان العقوبة لا توقع الا على شخص المجرم الذي ثبتت ادانته وثبت ذلك بقوله تعالى **(ولا تزر وازرة وزر اخرى)** .

(كل نفس بما كسبت رهينة) وقد اخذت بهذه القاعدة كافة التشريعات الجنائية الوضعية .

٥ ـ مبدأ المماثلة في الجزاء:

ـ كقوله تعالى :**(وجزاء سيئة سيئة مثلها) (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** .

وما هذه المبادىء والقواعد الا أمثلة لمئات المبادىء والقواعد التي وردت في القرآن أو السنة واستنبطها الفقهاء من أصولها التشريعية وبنوا عليها كثيرا من الاحكام .

تلك هي التشريعات التي وردت في شريعتنا الغراء فتناولت كل ما يحتاج اليه الفرد والمجتمع والدولة من تشريعات عامة وخاصة وهي تقابل بل تفوق بقيمتها التشريعية ما يعرف حاليا بالقوانين الوضعية كالقانون الدولي والقانون الدستوري والمدني والتجاري والجزائي . وها هم العلماء والمؤرخون الاجانب يشيدون بالشريعة فالعلامة شبرل عميد كلية الحقوق بفيينا يقول ان محمدا الذي تفتخر به البشرية بانتسابه اليها استطاع ان يأتي قبل بضعة عشر قرنا بتشريع سنكون نحن الاوروبيين اسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد الفي عام (الوعي الاسلامي عدد ٢٦)

ويقول المؤرخ الانجليزي ويلز ان الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية اينما سارت هي الديانة الاسلامية وان الاسلام ساد لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الايام تقديمه وان أوروبا مدينة للاسلام بالجانب الاكبر من قوانينها (مجلة الوعي الاسلامي عدد ٢٠) .

وقول الفيلسوف برناردشو ان الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان .

عن مجلة حماة الوطن الكويتية



آداب الزيارة

اختار الأخ صلاح صالح يوسف خلقا اسلاميا من اخلاق الاسلام الرفيعة ليحدثنا عنه فقال لقد جاء الاسلام مبينا علاقة الفرد بربه ، وعلاقة الفرد بالفرد ، وعلاقة الفرد بالمجتمع ، ولقد تداخلت هذه العلاقات بعضها ببعض مما ابعد غورها في ضمير الفرد المسلم :

فالعبادة علاقة بين الفرد وربه ، ولكنها تتشعب لتصل الفرد بالفرد والمجتمع من حوله فالصلاة مثلا علاقة متينة وصلة بالله ولكنها تعتبر منهاة للفرد عن المنكر الذي هو اعدى اعداء المجتمع .

والزكاة ، عبادة من العبادات ، ولكنها تمتد لتكون أرسى قواعد الاقتصاد الاسلامي .

ولقد نظم الاسلام حياة الانسان في كل مجالاتها ،

والنظم الاجتماعية من اهم مابين الاسلام ومن اهم هذه النظم والاخلاق الزيارة التي هي من اهم وسائل التألف والتعاطف فالارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

وللزيارة في الاسلام آداب بينها القرآن ، وقد طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه واتباعه خير تطبيق .

قال تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ٢٧ ـ ٢٩ النور »

لقد جاء الاسلام حقا ومقاوما للافات الاجتماعية لا معاقبا عليها ، فهو يقطع الطريق الى ما حرم فقد حرم الزنا فحرم مثيرات الشهوة كالنظر والسمع والتميع والرقص الماجن وما الى ذلك .

وهذه الايات تحفظ للمنازل حرمتها لما تحويه من اعراض ولانها ستر للعورات فلا ينبغي لها ان تكشف .

فالايات تبين انه على الزائر ان يعرف مدى رغبة المضيف بهذه الزيارة وهذه نقطة اولية .

اما الاستئذان فهو ستر للاعراض والعورات فالاستئناس والتسليم ، تفيد الاستئذان .

ولقد كانت هذه الايات بداية لتحول

كبير في طبيعة الزيارة عما كانت عليه في الجاهلية فقد وردت بعد نزولها احاديث نبوية كثيرة تفسر اداب الزيارة .

ويبين الحديث عدم جواز النظر الى داخل المنزل الذي يقصده الزائر قبل الاستئذان حتى ان كيفية الوقوف امام باب المنزل ورد فيها احاديث .

فعن هذيل بن شرحبيل قال : « جاء رجل فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على الباب مستقبلا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا عنك او هكذا فاني الاستئذان من النظر .

وعن عبدالله بن بسر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الايمن او الايسر ويقول : السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن الهستور .

وتوكيدا لحرمة المنازل ، وحفظا لعورات المسلمين ، وسترا للاعراض تتوالى النصائح النبوية حتى يأتي هذا التنفير الشديد من النظر .

(لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته - رميته - بحصاة ففقأت عينه ، ما كان عليك جناح) .

والسمع كالنظر ، فلا يحل استراق السمع لاناس دون علمهم فلا يحق لاعمى دخول منزل دون استئذان .

والاستئذان يشمل القريب والبعيد فعلى المرء ان يستأذن على امه واخواته والبنت على ابيها واخوانها .

فعن عطاء بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم (أأستأذن على امي ؟ قال « نعم » قال : « « انها ليس لي خادم غيري افأستأذن عليها كلما دخلت ؟ » قال : « اتحب ان تراها عريانة » قال الرجل : « لا » قال : « فاستأذن عليها » ابن جرير

وعلى الزائر ذكر اسمه اذا ما سأله صاحب الدار . والاستئذان يكون ثلاث مرات .

حيث قال صلى الله عليه وسلم :

« اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » البخاري ومسلم

« واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم »

اي بدون الشعور بالمهانة والبغض ، فلعل من تنوي زيارته مشغول بعمل لا يسمح له بمقابلتك .

ولا يعتبر الاذن من الصغير والمجنون ، بل يجب الاستئذان من كبير عاقل تعرف مسؤوليته في البيت

وعلى المسلم ان يختار الوقت المناسب للزيارة ، فلا تكون في وقت القيلولة مثلا ، حيث الناس في وقت راحتهم .

وبالنسبة للدعوة للزيارة فما ينبغي للمسلم رد دعوة اخيه المسلم بدون عذر .

وبالنسبة للمضيف عليه ان يكرم ضيفه ويلاقيه بالبشاشة والوجه الطلق .

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق المسلم على المسلم ست :

★ اذا لقيته فسلم عليه .

★ واذا دعاك فاجبه

★ واذا استنصحك فانصحه .

★ واذا عطس فحمد الله فشمته

★ واذا مات فاتبعه » رواه مسلم
★ واذا مرض فعده هذا
الحديث يحوي امورا اجتماعية تعود بالتعاطف والتراحم بين افراد المجتمع .
ولا شك ان قبول الدعوة والزيارة يجلب الحب والتآلف الى القلوب .
هذا بالنسبة للاداب التي يجب ان يتحلى بها الزائر .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه » البخاري ومسلم

حتى ان على المضيف استقبال الزائر المسافر وتوفير المأكل والمنام له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)

« من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا : وما جائزته يا رسول الله ، قال : يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك صدقة »

البخاري ومسلم

ـ العيد والانسان ـ

للاستاذ / عبد الغني احمد ناجي

تشدو الخلائق أعذب الألحان — فالعيد جاء ببهجة الانسان
كالواحة الخضراء في وجه اللظى — تهب السرور لمدلج حيران
تمضي الشهور بعبئها وكأنها — صحراء تلهب وارف الأزمان
حتي يجيء العيد في انواره — وبهائه ، ومباهج الأكوان
يأتي النفوس بهالة ميمونة — من بهجة الأرواح والأبدان
فيعيد للبشر المعنى جهده — ونشاطه بعد الجهاد العاني
فيه الصفاء يعم آفاق النفو — س فتغتدي كملائك الرحمن
« الله اكبر » للنفوس نشيدها — نغم النفوس يصب في الآذان
الناس فيه تطهرت من حقدها — واستروحت ظل الرضا الفينان
نبذوا الخلاف حفاوة وعبادة — تركوا أوار البغض والشنآن
ما اروع الحب الذي غمر القلو — ب بنوره في عيدها الجذلان
ما اروع اليوم الذي من سحره — وجماله قرت به العينان
ما اروع الصفح الجميل يضمنا : — قلب يصافح غيره ، ويدان

يأيها العيد الجميل تحية — من مسلمين اتوك بالاحسان
صاموا ، وصلوا للاله وكبروا — مستلهمين الخير للأوطان
عبدوا الاله مخافة ومحبة — هم ينشدون قوافي الرضوان
يا عيد عد عود الحبيب لخله — فلعل فيك مهابط الغفران



« إلى راغبي الاشتراك »

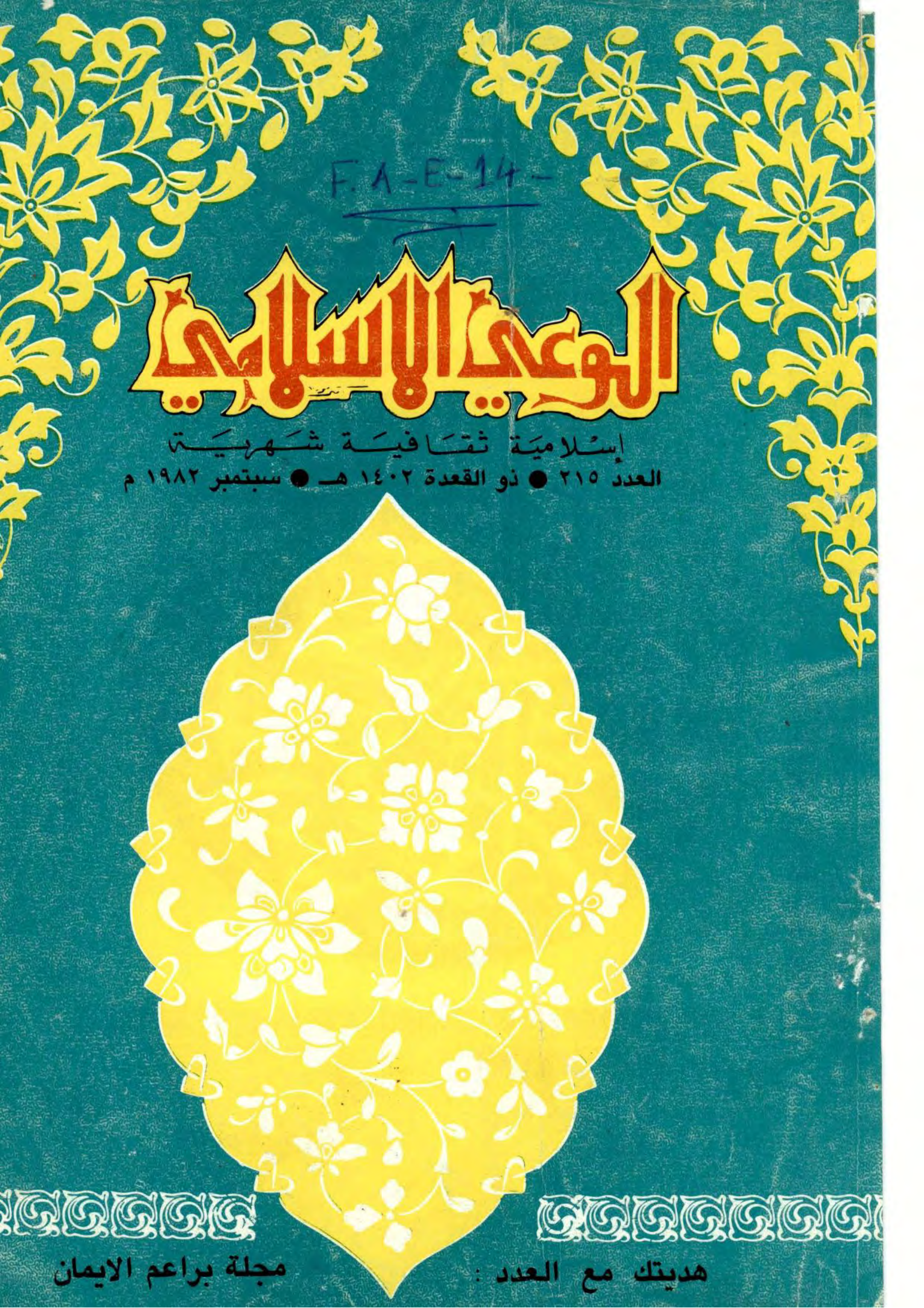
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ



F. A-E-14-
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢١٥ ● ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ● سبتمبر ١٩٨٢ م
هديتك مع العدد :
مجلة براعم الايمان


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٥ ● ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ● سبتمبر ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الاسلام والتربية النفسية

حاجة الامة الى التربية النفسية تفوق حاجتها الى قوة الابدان وكثرة الاموال ، فان قوة الأبدان من غير صحة نفسية قوة حيوانية لا تحقق خيرا ولا تدفع سوءا ، وكثرة الاموال لا تؤدي اثرا طيبا الا اذا كانت النفوس مهيأة لاستخدامها في البناء والتعمير ، واقامة العدالة الاجتماعية بين الناس ، واعداد القوة للأعداء .

ولا توجد اصول تقوم عليها التربية النفسية السليمة سوى الأصول التي اتى بها الاسلام ، فقد اقام امر الامة على الايمان بالله وطاعته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)

ودعا الى التآخي والتواد والتعاون على البر والتقوى . قال تعالى :
(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) ..

واهتم بتربيتها على الشهامة والعزة والشدة على الاعداء ، والاستعداد الدائم للمفاجآت حتى تظل مهيبة الجانب ، لا يستطيع العدو ان ينال منها او يحط من كرامتها . قال تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** ..

كما اهتم بتربيتها على الصبر والمصابرة خلال المحن والخطوب فالله سبحانه يمتحن ايمان عباده بالبلاء صقلا لنفوسهم ، وتركيزا لوجودهم واظهارا للصادقين من الكاذبين .
قال تعالى : **(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)** .

وقال : **(لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)** .
وقال : **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)** .

وامرها بالعدل حتى لا تضطرب شئونها ، وبالوفاء لمبادىء دينها حتى تسعد في حياتها .

وهذا الطريق الذي رسمه الاسلام لتربية الامة التي تؤمن به يجعل منها بنيانا واحدا ، متماسك الاجزاء ثابت الاركان ، قوي الدعائم ، فلا يستطيع اعداؤها ان يقتحموا حماها ، ولا ان ينالوا من عزتها وكرامتها .. ولذلك كان موطن اهتمام اعدائها دائما ان يعملوا على توهين هذا البناء بتفريق كلمة المسلمين ، واثارة الضغائن بينهم ، وبث روح الحقد والحسد في نفوسهم !!
والقرآن الكريم نبه على هذا وحذر من الوقوع فيه . قال تعالى : **(يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد**

إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

وقد نزلت هذه الآيات عقب فعلة منكرة قام بها يهودي خبيث يدعى (شاس بن قيس) فقد مضى على نفر من الانصار وهم متآلفون متحابون بعد ان نزع الاسلام ما كان في نفوسهم من احقاد وعداوات فغاظه ذلك ، واخذ يستدرجهم شيئا فشيئا الى ما كان بينهم من احداث في الجاهلية ، حتى أثار نفوسهم وتنادوا : السلاح السلاح !! وكادت كارثة الحرب ان تنزل بهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهض اليهم يقول : (ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام واكرمكم به واستنقذكم من الكفر والف بين قلوبكم) ؟

ففاء القوم الى رشدهم ، وعرفوا انها كيد عدوهم ، فعانق بعضهم بعضا باكين ، وانصرفوا مع رسول الله نادمين طائعين ، ونزل الوحي بالآيات السابقة لتكون دستور المسلمين الى يوم الدين .

وسياق تلك الآيات وسبب نزولها يرجحان ان المعنى : ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد وحدتكم متفرقين وكيف تتفرقون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض) اي لا ترجعوا بعدي مختلفين يضرب بعضكم وجوه بعض .

وعزوف المسلمين في هذا العصر عن هداية الله أدى بهم الى أن اختلفوا في تعاليم الدين خلاف جدل ومراء ، لا خلاف بحث واستهداء . فخفيت عليهم حقيقته ، وضاعت من بين ايديهم هدايته ، واصبحوا مسلمين بالأسماء والمواطن لا بالقلوب والأعمال .. والى ان اختلفوا في السياسة ، شيعا واحزابا . فذهبت ريحهم ، وتمكن العدو في بلادهم ، وضرب بعضهم

ببعض ، ووقف منهم ساخرا يرقب ـ في لهفة وشوق ـ نهايتهم !!..

وبهذا كفوه أمرهم ، وأراحوه من عناء جهادهم ، وفعلوا بأنفسهم ما لم يفعل بهم الخصوم .. قللوا العدد ، وأوهنوا الجلد ، وأصبحت دنياهم ذلة وخصاما ، وآخرتهم تبعات جساما !!

فالى متى والزمن يدور ويجري .. والفرص تسنح وتمضي ؟؟

ألم يأن لنا أن نعتصم بالله فنستمسك بديننا الحنيف ، ونخرج حب الكفار والمنافقين من قلوبنا ليسلم لنا وطننا ومقدساتنا ؟

ألم يأن لنا أن نتخلى عن حب الظهور ورذيلة الحسد لنشق طريقنا الى العزة في تواضع لله وتراحم فيما بيننا ، وايثار يشملنا خيره وتعمنا بركته ؟

لقد آن الأوان لأن نأخذ العبرة من تاريخنا ، ونسير على طريق النور والعدل والوحدة على الحق .. طريق الله الذي له ما في السموات وما في الارض واليه تصير الامور .

ان وحي الله ـ من كتاب وسنة ـ يهدينا سواء السبيل ويخرجنا من الظلمات الى النور (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين.يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**) .

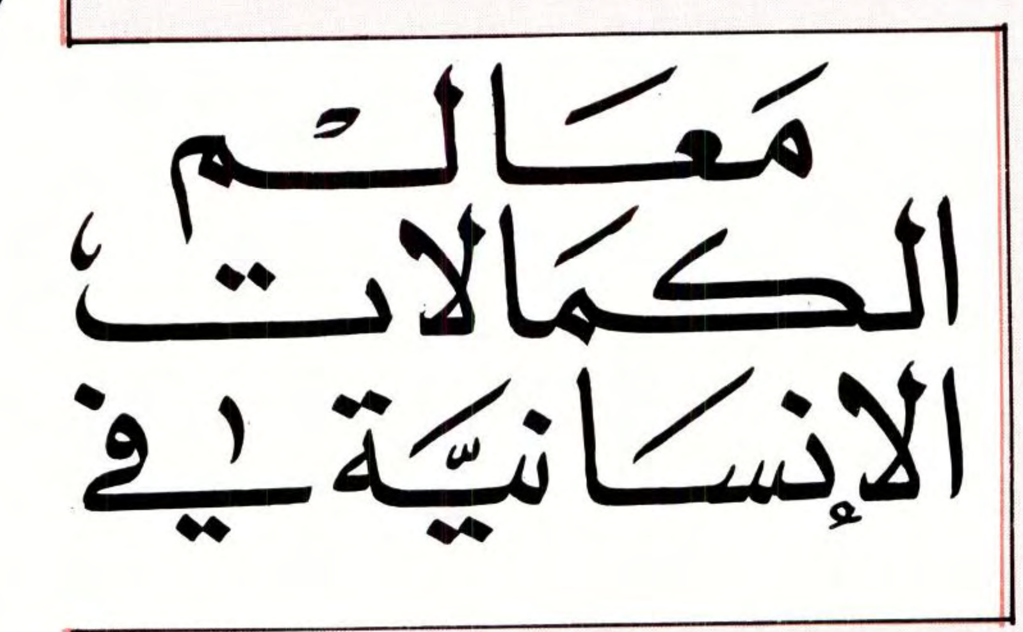
وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه بيان واضح لطريق الاعتصام بالله ، وطريق التعامل فيما بيننا ، وطريق التعامل مع أعدائنا ، قال تعالى : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود**) ..

والله تعالى ينصر من ينصر دينه وهو القوي الغالب على أمره : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) .

نسأل الله ان يهدينا سواء السبيل .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



(١)

خلق الله البشر من تراب ، ونفخ فيهم من روحه قبسا به كانت حياتهم ، وعن طريقه استقرت في أعماقهم تطلعات علوية تنزع بهم نحو الكمال في مقاومة مستمرة للخلود والى عنصر الأرض الذي خلقوا منه .

وعلى مر العصور لم تنطفىء لهذه التطلعات جذوة ، وإنما كانت نارها تخبو فترة وتتوهج فترات ، وكانت الرسالات السماوية بفضل الله ورحمته بعباده تلبي حاجة البشر في تطلعاتهم ، فتدعوهم الى هدى الله في اسمى صور الكمال ، وتبين لهم الطريق الصحيح الى سلوكه ، فمنهم من لا يغمط نزعة الكمال عنده حقها ، فيفرح بهذا الهدى ويتبع الرسل ، ومنهم من كان يخلد



للدكتور / محمد السيد جبريل

الى الأرض ويتبع هواه .

وإذا كان هذا دأب البشر في الأزمان الماضية ، فإنهم في هذا العصر أشد احتياجا الى إشعال هذه الجذوة في قلوبهم وتحريك هذه النزعة في نفوسهم ، فلقد قطعت الحضارة المادية شوطا بعيدا ، ولكنها خلفت وراءها تراكمات هائلة من شهوات الحس بكل ألوانه وصوره ، حالت بشدة دون مواصلة الانسان تطلعاته السامية ، وتركته لا يلقى اهتماما إلا إلى تحقيق متطلبات وتحصيل ما يعينه على ذلك من وسائل مهما كان لونها أو طبيعتها .

ولكن التركيبة الانسانية نفسها لم يسعدها هذا الكم الهائل من وسائل الاشباع الجسدي المندفع ، فالنفحة الالهية في الانسانية بطبيعتها الدافعة الى السمو ، لا ينفصل أثرها عن الجسد الانساني طالما بقيت فيه حياة ، ولهذا السبب نفسه ، وفي خضم ما حققه الانسان في مجال المادة جأرت الأصوات بالشكوى من جراء ما حاق بالنفوس من تخريب وبالقيم من

تصدع وانهيار وبالعلاقات الاجتماعية من تمزق وبالأرض عموما من شرور ومفاسد ومظالم أغرقتها في طوفان من الدم .

ـ ٢ ـ

ولا يحتاج العقل الى عناء ليدرك أن الكمال الانساني الذي ينزع اليه البشر ـ والذي نعنيه في هذا البحث ـ ليس ضربا من الترف الذي يمكن الاستغناء عنه والحياة بدونه ، لما ينبىء عنه الاسم من زيادة عن الحد اللازم ، ولكنه الكمال الذي يقابل النقص وعدم التمام فيما يعتقده الانسان أو يقوله أو يعمله ، وعليه فإن معرفة حقيقته وبيان سبيله تمهيدا لاستئناف إشاعته ونشره أمر لا مفر منه ولا يغني عنه علاج آخر .

وربما فهم من السطور السابقة أن تحقيق هذا الكمال لا يتم إلا على حساب الجانب المادي وأنه لكي يرقى الانسان لا بد له من أن ينحي الأمور المادية جانبا فلا يجهد نفسه في سبيل التقدم في مجالها .

ونبادر فنقول : إن شيئا من ذلك ليس مقصودا ، ولكن المقصود هو جعل هذه الحضارة المادية مظهرا من مظاهر الكمال ، وذلك لن يحدث الا بإقامة صرحها على أساس متين من القيم التي تراعى متطلبات النفس كما تراعى متطلبات الجسد ، وتجعل كل هدفها اسعاد البشر جميعا ونشر السلام والمحبة والرخاء والتعاون بينهم ، وبعبارة أخرى : فإنه لن تسلم للأنسان حياة نظيفة ، ولن يخلص له استمتاع بأي لون من التقدم الا إذا وضحت معالم الكمال في أرجاء حياته كلها : اعتقادا صحيحا ، وتعاملا طيبا ، ونفسا صافية .

ـ ٣ ـ

إن ذلك توازن جوهري لا تستقيم الحياة بدونه ، وواضح من نمط الحياة وسيرها الآن أن هذا التوازن مفقود فما هو السبيل إلى إعادته ؟

الحق أن مهمة إعادة هذا التوازن إلى حياة البشر لا تقع على عاتق أحد كما تقع على عاتق المسلمين ، فهم وحدهم الذين يستطيعون ـ بما عندهم من قرآن استحفظوا عليه وسنة أمروا باتباعها ـ أن يعيدوا هذا التوازن في أسمى صوره ، وأن يحققوا الكمال الانساني بأمثل أسلوب لو أنهم قدموا منهج الاسلام : علما واضحا ، وسلوكا طيبا ، وكذلك تطبيقا دائما ، وما ذلك الأمر ببعيد .

فلقد قرر القرآن الكريم أسس الحياة الصحيحة ، ولفت الانظار الى الأقوم والأفضل في كل مجالاتها ، ووجه الاهتمام الاكبر الى محورها الأساسي

وهو الانسان الذي خلقه الله واستخلفه في الأرض ليعمرها بالخير والنماء والحب والسلام ، فرسم له صورة تبدو فيها معالم الشخصية الانسانية كما أرادها الخالق سبحانه أن تكون .

ولأهمية هذه الصورة الانسانية بمعالمها الواضحة فقد أبرزها القرآن ، كاملة في آية واحدة من أشمل آياته جمعت أطراف الكمال الانساني في كل المجالات ، وجعل البر عنوانا لها وسماها المفسرون باسمه .

يقول الله تبارك وتعالى :(**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**) البقرة / ١٧٧

○ **بين يدي الآية** :

المشهور في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت ردا على أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكانوا قد أكثروا القول بعد تحويل القبلة من بيت المقدس في الشام الى البيت الحرام في مكة استجابة من الله تعالى لرسوله الكريم الذي مكث بعد قدومه المدينة يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهرا ـ كما ذكر البخاري ـ وهو يتطلع الى الاتجاه الى البيت الحرام في مكة ، وعلم الله تعالى ذلك منه فلبى هذا الشوق الكريم عنده في قوله سبحانه : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**) البقرة / ١٤٤

والمراد أنه ليس لأي فريق أن يعتقد حقية ما هو عليه في مواجهة تشريع جديد من الله تعالى ، فإن اليهود كانت تصلي ـ قبل المغرب ـ الى بيت المقدس من أفق مكة ، والنصارى ـ قبل المشرق ـ وادعت كل طائفة حصر البر على قبلتها ، ولما حولت القبلة كثر الخوض والتشكيك في هذا التحويل ، والمقصود من ورائه التشكيك فيما عليه المسلمون من دين بصفة عامة فنزلت الآية للرد عليهم في هذا المجال .

على أن الواحدى وغيره قد ذكر سببا آخر لنزول الآية ، فقد روى عن قتادة قوله « ذكر لنا أن رجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله تعالى هذه الآية (**ليس البر أن تولوا وجوهكم ـ الآية**) قال : وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فأنزل الله تعالى هذه الآية » أسباب النزول ص ٣٣

ونحن نميل الى الأخذ بالسبب الأول ، لا لكونه مشهورا فحسب ، ولكن لأن جو الآيات السابقة كلها وموضوع الحديث فيها يؤكد رجحانه ، ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نأخذ من مطلع الآية منهجا يصحح للبشر كثيرا من مفاهيمهم فكرا وسلوكا .

وبيان ذلك : أن طالب الحق أو قاصد الخير يجب ان تنصرف همته الى تحصيل بغيته من الفضائل والكمالات إذا اتضح طريقها ، لا أن يتوقف ليجادل في أمر لا يملك الحكم فيه بصواب أو خطأ ، فتوجيه الخلق الى طرائق العبادة ووجهتها أمر لا يملكه بشر وإنما هو من اختصاص المعبود وحده وهو الله عز وجل ، فلله سبحانه أن يتعبد الخلق بما شاء وكيف شاء ، وأن يوجههم في ذلك ان شاء ، وفي مقابلة ما أثاره أهل الكتاب من جدل عند تحويل القبلة يبين الله تعالى لهم من خلال هذه الآية : ان البر أو الايمان أو الخير ليس في التوجه الى هذا المكان أو ذاك ولكنه تحقيق أركان العقيدة الصحيحة في المعبود ، أما التوجه فهو أمر الهي محض فالمشرق والمغرب وكل الجهات والأمكنة والأزمنة ملك لله وحده ، وهي تستوي كلها بالنسبة له سبحانه في توجيه العباد اليها ، يقول تعالى : (**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم**)البقرة / ١١٥ ولذلك كان الجدل في هذه القضية فوق أنه منازعة لله تعالى في اختصاصه بالتشريع ـ مضيعة للوقت وإهدار للأهم في سبيل التمسك بما ليس مهما . إن هداية الآية في هذا الصدد لا تقتصر على سبب نزولها فقط ، وينبغي على المتعلم منها أن يفهم ذلك فينقل هذه القاعدة من دائرة السبب الخاص ليطبقها في كل مجالات الحياة ، ويرسي لنفسه ولغيره مبدأ الاهتمام بالأنفع والأجدى وتحقيق ما افترض عليه ، ويبعد نفسه عن طرائق الجدل وضروب السفسطة في أمر ليس من شأنه من جهة ، ولا يعود عليه بالنفع من جهة أخرى .

والآية بعد ذلك تبرز الكمالات الانسانية في جوانب ثلاثة تنتظم حياة الانسان كلها فيما يتعلق بعلاقته مع ربه ، وفيما يتعلق بوضعه في مجتمعه وعلاقته بأفراد هذا المجتمع ، وفيما يتعلق ببناء شخصيته وإصلاح نفسه وشأنه .

○ إنها أولا تبرز هذه الكمالات في جانب : صحة الاعتقاد .

وهي تتمثل في تحقيق خمسة أمور مكانها في الآية قوله تعالى :(**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**)

وهي أصول الايمان الخمسة ، والحديث عن الايمان بهذه الأصول ينبغي ألا يسير في نمط تقليدي يهدف في النهاية الى تقريرها وإقامة الأدلة عليها على

طريقة علم الكلام ، وإنما ينبغي أن يرتبط في تقريرها بإصلاح واقع الحياة ، وأن يجعلها هدفا يقصد في كل ما يأتي الانسان وما يذر من واقع الحياة اليومية .

إن أول هذه الأصول هو الايمان بالله تعالى .

والايمان بالله تعالى ـ في بساطة ودون تعقيد ـ يعني أن يعتقد الانسان ـ على سبيل اليقين والقطع ـ أن لهذا الكون ربا خالقا والها معبودا ، وأن ينسب لهذا الرب الخالق والاله المعبود كل صفات الكمال ، وينزهه عن كل نقص ومشابهة لخلقه ، وهذا هو جوهر عقيدة الألوهية في الديانة الاسلامية التي هي في الحقيقة جوهر كل دعوة جاء بها الأنبياء والرسل دون تحريف ولا تغيير .

إن أصول الايمان في العقيدة الاسلامية ـ خاصة تلك التي يطلب من الانسان أن يؤمن بها دون أن يرى معظمها ـ تمتاز بالبساطة وعدم التعقيد ، فالله في هذه العقيدة : واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله . والدعوة الى قضية الألوهية في القرآن الكريم تقوم على أساس اعتبار قضية وجود الله تعالى قضية محسومة لا محل للجدل فيها ، وإنما توفرت أغراض الأدلة التي وردت فيه على إثبات الوحدانية وليست الوحدانية مطلقا بل وحدانية الألوهية أي اعتقاد أنه لا ينبغي أن يعبد مع الله تعالى أحد سواه .

لقد كان العرب عند نزول القرآن يعترفون بوحدانية الله في ربوبيته وخلقه للكون وحكى القرآن ذلك عنهم في أكثر من موضع ، يقول الله تعالى: **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون)** ٦١/ العنكبوت :**(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون)**العنكبوت/٦٣ ويقول سبحانه :**(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)** الزمر / ٣٨

وبالرغم من ذلك لم يعتبرهم القرآن مؤمنين ، ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم منهم بهذا النوع من التوحيد وإنما دعاهم الى التوحيد الكامل لله ربا خالقا وإلها معبودا ، والى ذلك يشير قول الله تعالى :**(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)**الكهف / ١١٠وإليه يشير أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل : « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، قال : أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : ألا يعذبهم » رواه البخاري

والتوحيد بهذه الصورة الكاملة التي جاء بها الاسلام يضع الانسان في إطار العبودية الصحيحة لله عز وجل ويجعل مفاهيمه كلها في ممارسته لحياته تسير وفق هذا المبدأ ، فكل عمل يقوم به سوف يكون ابتغاء وجه الله ، لا عبادة الا لله ، ولا خوف الا من الله ، ولا تعظيم الا لله ، وبهذه العقيدة القوية تتغلغل جذور العزة في نفس المؤمن فلا ينافق أحدا لأنه يعلم أن النافع والضار هو الله ، ولا يغش ولا يخون لأنه يعلم ان الله مطلع عليه ، ولا يقصر في واجب لأنه يعلم أن العمل عبادة يؤجر عليها ، وبالجملة فإن الايمان الحقيقي بالله الواحد الخالق المعبود يقيم موازين الحياة على خط مستقيم لا تميل معه ولا تحيد .

● الأصل الثاني من أصول العقيدة : هو الايمان باليوم الآخر .

وقد جاء ترتيب الايمان بهذا الأصل عقب الايمان بالله تعالى في معظم آيات القرآن إشارة الى الايمان بالمبدأ الذي لا شيء قبله ، والمعاد الذي لا موت بعده ، فالايمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الذي صدر عنه هذا الكون ، والايمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي اليه هذا الوجود ، وما ينتظر الجميع فيه من حساب وجزاء نعيما للمؤمنين وعذابا للكافرين .

إن الايمان باليوم الآخر - إلى جانب أنه ركن أساسي لا يتم الايمان بدونه - هو ضرورة لازمة لا تستقيم الحياة بدونه أيضا .

إنه ضرورة يقتضيها تحقيق العدل الذي قد لا يتم في الدنيا بصورة قاطعة في مجال الصراع بين الخير والشر ، وإظهار بطلان ما عليه أنصار الالحاد ، وقد نص القرآن على ذلك : (**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين**) النحل / ٣٨ و ٣٩

وهو ضرورة تقتضيها الحكمة الالهية من خلق الانسان الذي خلق لعبادة الله تعالى وعمارة الأرض ، وسوف يحاسب على أداء هذا التكليف ، ولقد خلق الله تعالى في الانسان خاصية التفكير والنظر في عواقب الأمور ليطلعه على ما أعده له وراء هذه الحياة الفانية من الدار الآخرة الباقية ، ولم يكله الى هذه الخاصية وحدها ، ولكنه ألح وصرح له بأنه لم يخلقه عبثا ، يقول تعالى مقررا هذه الحقيقة :(**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم**) المؤمنون / ١١٥ و ١١٦

وهو أيضا ضرورة لتربية الوازع الوجداني في الانسان ، لأن حياة البشر تتأرجح بهم بين الخير والشر ، ومشكلة السلوك الانساني منذ الأزل تتمثل في إيجاد طريقة لحمل البشر على طريق الخير والصواب وابعادهم عن طريق الشر والخطأ ، وعلى طول مسيرة التاريخ الانساني وضعت للجماعات قوانين يعيش الناس بمقتضاها ، ولكن هذه القوانين لم تخل من كثير من النقص

والقصور في أية مرحلة من المراحل ، لأنها تفتقر الى الوازع الداخلي الذي يدفع الى الخير ويحول دون الشر ، وهذا الوازع لا يربيه شيء سوى الايمان باليوم الآخر ، وعندئذ سوف تكون حراسة هذا الوازع الوجداني للانسان مستمرة بالليل والنهار ، في السر والعلن ، لأن الخشية عندئذ تكون من الله المطلع على كل خفايا الانسان والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهذه الحراسة المستمرة التي تعين الانسان على سلوك سبيل الخير دائما تؤتي ثمارها لأنها واءمت طبيعة الانسان الذي يطمع في النعيم ويرغب فيه ، ويخشى العذاب ويرهبه .. وأي عذاب .. عذاب الآخرة الشديد الذي لا ينجو منه آثم ،وبهذا يدخل الايمان بالآخرة واقع الحياة ليحيلها الى مثالية في العمل والسلوك ، وبدونه كانت تبدو بعيدة المنال .

● الأصل الثالث : هو الايمان بملائكة الله .

وأنهم خلق لله ذوات طبيعة مغايرة لطبيعة الانسان ، تتم أعمالهم كلها في اطار قوله تعالى :(**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**)التحريم / ٦

أما هذه الأعمال فهي كما بينها القرآن ووضحتها السنة النبوية الشريفة تتمثل ـ على الاجمال ـ في :

○ التسبيح والخضوع التام لله سبحانه :(**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**)الأعراف / ٢٠٦

○ والنزول بالوحي :(**قل نزله روح القدس من ربك بالحق**)النحل / ١٠٢

○ وتدبير أمور الكون من إرسال الرياح ، وسوق السحاب ، وإنزال المطر ، وانبات النبات ونحو ذلك من الأعمال .

○ وتسجيل أعمال الانسان خيرها وشرها :(**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**) ق / ١٨:(**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**)الانفطار / ١٠ ـ ١٢

○ وصلاتهم على المؤمنين :(**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما**)الاحزاب / ٤٣

○ وحفظ الانسان بالليل والنهار ، وحضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم :« فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» رواه البخاري

○ ونزولهم عند قراءة القرآن ، واستماعهم اليه ، وتأمينهم مع المصلين ، واعلانهم عمن يحبه الله تعالى وعمن يبغضه ، وتثبيتهم المؤمنين ، وقبض الأرواح ، وتحية الطيبين وبشارتهم بالجنة .

فمن صميم الايمان الاعتقاد بأن ذلك كله حق لا ريب فيه ، وان لم يره الانسان فانه يدرك أثره ، وهم بهذا يلازمون الانسان في كل لحظاته ،

ومراعاتهم واكرام صحبتهم واجبة ، وهو ما يجعل واقع الانسان قائما على أساس من الخشية لله والتفكير في العمل قبل فعله ، وتحرى الخير في كل عمل حتى لا يسجل عليه شرا يحيل صحائفه الى سواد كأنها قدت من ظلمة والعياذ بالله .

● الأصل الرابع : الايمان بالكتب السماوية وأنها من عند الله أنزلها على رسله .

والذي يؤمن بالقرآن هو في الحقيقة مؤمن بها جميعا لأن الله تعالى قال عنه :(**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله**)المائدة / ٤٨

فتعاليم القرآن هي كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله تعالى لها البقاء والخلود ، فصانها من التحريف والتبديل .

ويبين العلامة الألوسي أن لفظ الكتاب يشمل جميع الكتب ، وإذا أريد القرآن صح المعنى لأنه يهيمن عليها ، فيقول ما نصه : « والكتاب » أي جنسه فيشمل جميع الكتب الالهية لأن البر : الايمان بجميعها وهو الظاهر الموافق لقرينه ، ولما ورد في الحديث : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » أو القرآن لأنه المقصود بالدعوة والكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا ، والايمان به إيمان بجميع الكتب لكونه مصدقا لما بين يديه » روح المعاني حـ ٢ ص ٤٥

الأصل الخامس : هو الايمان بجميع النبيين المرسلين .

وأن الله تعالى أرسلهم إلى عباده يدعونهم الى عبادته سبحانه ، وإقامة دينه ، وتأدية فرائضه ، وأنهم قد بلغوا رسالاتهم ، وأدوا أمانتهم ، ولم يفرطوا في شيء منها ، وكانوا قدوة لأقوالهم فيما دعوا اليه من عبادات وأخلاق وعقائد وشرائع ، وأنهم جميعا اتفقوا في الدعوة الى هذه الاصول الخمسة السابقة .

يقول الله تعالى : (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**)النحل / ٣٦

ويقول عز وجل :(**إنا أرسلناك بالحق بشيرا و نذيرا وإن من أمة الا خلا فيها نذير**) فاطر / ٢٤

ويقول سبحانه :(**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) الشورى / ١٣

والايمان كذلك بأنهم معصومون منزهون عن السيئات والمعاصي كبيرها وصغيرها أمناء في تبليغ كل ما في رسالاتهم لا يخونون ولا يغشون أقوامهم ، ولا يخفون عنهم شيئا ، ولا يهادنونهم في باطل ، ولا يسارعون في هواهم .

والايمان كذلك بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتمهم ، لا يأتي بعده

نبي ورسالته خاتمة الرسالات ، والقرآن خاتم الكتب ، وأن الله قد أتم به الدين ، وأكمل به النعمة صلوات الله وسلامه عليه .

وذلك الايمان إذا اتصل بواقع الحياة جمع الناس على كلمة سواء لا يختلفون ولا يتشاحنون ، فالحق واضح والحجة ناصعة .

بهذه الاصول الخمسة يصح اعتقاد الانسان ، ويحقق كمالات نفسه في هذا الجانب ، وهو أولى الجوانب بتحصيل الكمال فيه ، فعلى أساسه يقوم البناء الانساني ، وبسلامته تستقيم الحياة .

○ وتنتقل الآية ثانيا لتبرز الكمالات الانسانية في جانب : حسن معاشرة العباد .

فمن المعروف أن أسلم المجتمعات بناء هو الذي يقوم صرحه على قاعدة قوية من التكافل الاجتماعي بين أفراده ، فيرعى بعضهم بعضا ، ويتعاونون فيما بينهم على ما فيه خير المجتمع واسعاد كل طوائفه .

ومن بين كل المجتمعات ينفرد المجتمع الاسلامي بضرب المثل وتحقيق أسمى الصور في هذا المجال ، فبناؤه يقوم على قواعد عامة تتمثل في الرحمة ، ليست الرحمة الخاصة بالأهل أو الأقارب أو الجيران فحسب ، ولكنها الرحمة العامة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم تجسيدا حيا لها في حياته كلها ، بل ما بعث الا بها :(**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء / ١٠٧ وهو القائل يبين أساس البناء الاجتماعي في الاسلام : «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه .

ومن قواعد هذا البناء أيضا : التعاون :(**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**) المائدة / ٢ والتناصح : يقول عليه الصلاة والسلام : «الدين النصيحة ، قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، وكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم» رواه مسلم. والتآخي والمحبة والصفاء : يقول الله تعالى : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات / ١٠. ويقول صلى الله عليه وسلم : «المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» متفق عليه. ويقول أيضا عليه الصلاة والسلام : «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم.

ثم إن هذه المبادىء كلها يحيطها إطار من التكافل الاجتماعي الذي يطالب المسلم فيه ببذل العون كاملا للمحتاج اليه ، وآية البر التي معنا قد أرست هذا المبدأ متمثلا في إبراز كمالات النفس في حسن معاشرة العباد ، ومكان ذلك فيها قوله تعالى :(**وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى**

والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) ويرجح المفسرون أن المقصود هنا صدقة التطوع لأن الآية نفسها بعد ألفاظ معدودة سوف تذكر الزكاة المفروضة صراحة ، وانما المسألة هنا بذل العون للمحتاج ما دام الانسان مستطيعا من غير وقوف عند فرض أو تقيد بنصاب ، لأنه يرى أن عليه التزاما تجاه أفراد المجتمع ـ وهم إخوته ـ ينبغي ان يؤديه .

والمسلم يتميز عن غيره في نظرته الى المال ، فالمسألة الاقتصادية عنده محاطة بأصول ينبغي ان تراعى ، فهو يستجلب الرزق بطاعة الله ، ويتحرى في ذلك الحلال ، وإذا كانت الأمم السابقة قد نصحت باستجلاب الرزق عن هذا الطريق فلم تنتصح ، فإن المسلم يحقق هذا الارشاد وقد أقره القرآن ، يقول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام :(**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)** نوح / ١٠ ـ ١٢ ويقول سبحانه :(**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)الأعراف / ٩٦ ويقول أيضا : (**ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون**) المائدة / ٦٦

ثم إن المسلم إذا جاء الرزق عرف أولا : أن الله تعالى هو واهبه ومانحه ولو شاء أخذه أو أباده وترك الناس في شقاء : (**قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**)الملك / ٣٠ (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون.بل نحن محرومون**)الواقعة / ٦٣ ـ ٦٧

★ وعرف ثانيا : دوره بالنسبة لهذا الرزق :(**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**)الحديد / ٧

★ وعرف ثالثا : وظيفة هذا المال عموما ، وأنه ينبغي أن يجعل في أيدي تعرف هذه الوظيفة :(**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**)النساء / ٥

★ وعرف أخيرا حق الفقراء فيه : (**والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**)المعارج / ٢٤ و ٢٥

من أجل ذلك كله أبرزت الآية معالم الكمالات الانسانية في علاقات المسلمين بعضهم ببعض ، وبينت أن الفرد في هذا المجتمع لا يمنعه حبه لمال حصله بكد ونصب ، ودخل ملكه ، وأصبحت النفس شحيحة به ـ أن يبذله تطوعا لمن هو في حاجة اليه من : ذوى قرباه ، يقول صلى الله عليه وسلم : «**اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن**

ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله» رواه البخاري

● واليتامى ، قال تعالى : (**فأما اليتيم فلا تقهر**) الضحى / ٩ وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » رواه البخاري وأشار صلى الله عليه وسلم بالسبابة والوسطى وفرج بينهما دليل على رفعة منزلة من يفعل ذلك .

● والمساكين ، قال عز وجل : (**فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة**) البلد / ١١ ـ ١٦ وقال سبحانه أيضا :(**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**) الانسان / ٨ وقال عليه الصلاة والسلام : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » قال الراوي وهو أبو هريرة رضي الله عنه : وأحسبه قال : وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر » متفق عليه .

● وابن السبيل : الذي انقطعت به الطريق وحالت ظروف سفره بينه وبين ما قد يكون له من مال في بلده : « ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة » متفق عليه

● والسائلين : يقول الله تعالى لرسوله الكريم يوصيه بالسائل : (**وأما السائل فلا تنهر**) الضحى / ١٠

● وفي الرقاب : أي في تخليص الرقاب وفكاكها بمعاونة المكاتبين أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها ، والرقبة مجاز عن الشخص كما هو معروف .

على أن ذلك كله ينبغى ان يتم في جو من الاعتقاد بأن الانسان مهما فعل فإن نعمة الله عليه غامرة ، وأنه بهذا الانفاق إنما يقوم ببعض الشكر لهذه النعم الالهية .

إن حقا على كل مسلم اليوم كما كان حقا عليه في كل وقت أن لا يقتصر على نظرة الاعجاب أو عزة الفخار بهذا المنهج القرآني في معالجة قضايا المال في الحياة ، ولكن ينبغي عليه أن يتجاوز ذلك الى تطبيق هذا المنهج في واقع الحياة ، فإنه بذلك يساهم في بناء المجتمع على الصورة التي أرادها الاسلام ، ويشارك أيضا في إبراز هذه الكمالات الانسانية عند كل فرد مؤمن .

○ ثم تنتقل آية البر أخيرا : لتصور معالم الكمالات الانسانية فيما يتعلق بتهذيب النفس

وذلك يتحقق بأربعة أمور مكانها في الآية قوله تعالى :(**وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس**)

لكن قبل بيان هذه الأمور يجدر بالمسلم أن يعرف أن ما افترضه الله تعالى

عليه من عبادات إنما شرع من أجل العابد ولمصلحته من : تهذيب نفس وصفاء سريرة واعتدال سلوك وتقويم طباع ، أما الخالق المعبود سبحانه فإنه غنى عن ذلك كله ، لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة ، وقد ورد في الحديث القدسي : (يا عبادي : إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا أدخل في البحر ، يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرافليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) رواه مسلم .

إقام الصلاة :

وتطبيقا لهذه القاعدة الالهية تسوق الآية في مفتتح كمالات الانسان ـ لتهذيب نفسه ـ اقامة الصلاة ، ومكانة الصلاة في الدين غير منكورة ، فهي عماده وأساس بنائه ، ومخ عباداته ، انها حياة القلوب وجلاء الابصار وطهارة الابدان وحرب الشيطان ، لذلك اهتم القرآن بشأنها أعظم اهتمام ، وتابعه في التوصية بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويكفي لايضاح ذلك ذكر طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ففي القرآن : يبين الله تعالى أنه أمر بها الأنبياء السابقين قبل أن يفرضها على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فإبراهيم عليه السلام يقول : (**رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء**)ابراهيم / ٤٠ واسماعيل عليه السلام يحكي عنه القرآن اهتمامه بشأنها :(**وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا**) مريم / ٥٥ وموسى عليه السلام يتلقى الأمر من ربه بإقامتها :(**وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي . إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى**) طه / ١٣ و ١٤ وخاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم يقول له رب العزة :(**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**)طه / ١٣٢ ويقول له أيضا : (**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**)العنكبوت / ٤٥

ويأمر الله تعالى المؤمنين بالحفاظ عليها وأدائها مقومة خاشعة ، فيقول :(**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا**)المزمل / ٢٠ ويقول أيضا :(**قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون**))المؤمنون / ١ و ٢ ثم يبين سبحانه أن إضاعتها تكون مقدمة للغرق في خضم الشهوات وبالتالي تورث أوخم العواقب : (**فخلف من**

بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)مريم / ٥٩

وفي السنة النبوية المطهرة : يعطي الرسول عليه الصلاة والسلام للصلاة قدرها من التوصية بها والاهتمام بشأنها ، فيبين أنها تغسل خطايا العبد المتوالية : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل كل يوم فيه خمس مرات هل يبقى من درنه شيء»؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال :«فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » متفق عليه.

ويوضح أيضا أنها تعلم الطاعة والنظام والتماسك بأدائها في جماعة : « ما من ثلاثة في قرية ولا بلد ولا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية » رواه أبو داوود وأحمد والنسائي

ويبين أيضا أنها تجعل الانسان نشيطا وثابا الى الخير : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها وأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه.

★ إيتاء الزكاة :

وتشير الآية إلى أداء الزكاة بنفس الاهتمام وتبرزها لنفس الهدف ، والزكاة هنا هي الزكاة المفروضة التي لا يقبل بدونها الايمان ، وإليها أشار القرآن في قول الله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**) التوبة/١٠٣ . وهي وإن افترقت عن صدقة التطوع بضرورة أدائها دون وجوب الأولى ، إلا أنها تنطلق معها من منطلق واحد هو إقامة المجتمع الاسلامي على قاعدة صلبة من التكافل الاجتماعي وقد سبق الكلام في ذلك ، لكنا نزيد هنا أمرا هاما يلزم التنبه له عند إخراجها وهو أن تكون هذه الزكاة من طيب المال الذي يحبه الشخص لا من رديئه : (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) آل عمران/٩٢ ، وأن يتحرى في إخراجها أيضا أن تكون من الطيب الحلال لا من الخبيث الحرام : (**ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون**) البقرة/٢٦٧ .

★ الوفاء بالعهد :

والوفاء بالعهد ساقته الآية أيضا وصورته معلما من معالم الكمال

الانساني الذي يدل على نفس خيرة مستقيمة ، لأنه فوق كونه فضيلة خلقية تثمر الخير في المجتمع هو أمانة يحاسب المؤمن على أدائها ، يقول الله تعالى : **(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)** الاسراء/ ٣٤ . ويقول ايضا : **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)** النحل/ ٩١ .

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل في الوفاء بالعهد ، فكان لا يغدر ولا يخون ولا ينقض العهد وإن فعل أعداؤه ذلك ، والناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم مع قومه يجدها دوما وفاء وأمانة والتزاما ، وأمثلة عهوده مع اليهود في المدينة ، ومع قريش في الحديبية ومع غيرهم في كل المواقف أبلغ شاهد ودليل على ذلك ، ولولا خشية التطويل لأفضنا القول فيها ، ولكنها مبسوطة في كتب السيرة فليرجع إليها من شاء .

وأمام ما كان يحدث من معاهديه من اليهود وغيرهم من خيانات لم يؤمر صلى الله عليه وسلم أن يقابل هذه الخيانات بمثلها ، وإنما أمر بعلاج ذلك باعلام من يخاف منهم خيانة في المستقبل وتبدو منهم بوادرها أن ينبذ إليهم ويعلمهم جهرا بما ينتوون وأن يبادر مع ذلك إلى إجهاض ما تحمله هذه النوايا من بغي خاصة إذا كان ذلك قد ألف منهم ، يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن : **(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)** الأنفال/ ٥٨ .

ولا غرو فهو القائل صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » متفق عليه .

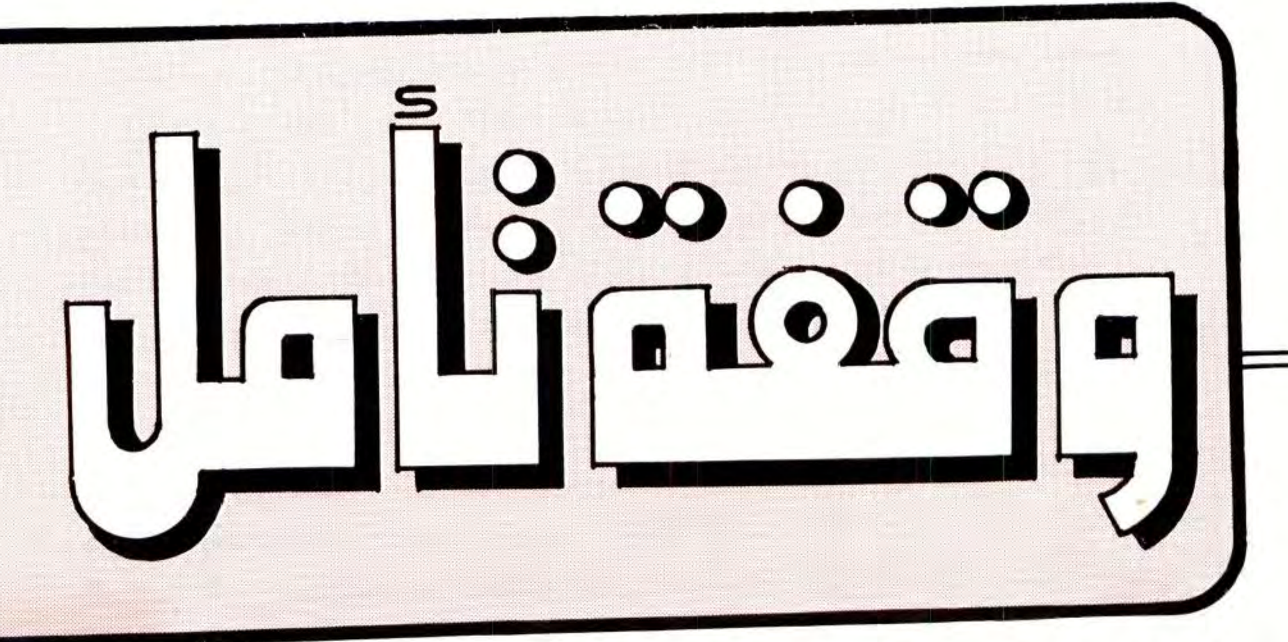
الصبر في البأساء والضراء وحين البأس :

وتختتم الآية الكريمة معالم الشخصية الاسلامية في كمالها الانساني ببيان مظاهر القوة والعزة والصبر فيها على كل حال وفي مواجهة كل الظروف .

وأشد ما يؤلم النفس وتجزع له ، بل جماع المشاكل الانسانية كلها ترجع إلى أسباب تتعلق بالرزق أو العمر ، فالفقر والمرض أمران يؤرقان الانسان ، لكن المؤمن في مواجهتهما يكون دائما صابرا صامدا ، لأنه ينظر إلى المسألة من خلال أمرين :

الأول : أن أمر الرزق والصحة بيد الله وحده سبحانه ، فما أصاب الانسان فيهما فمن الله ، وينبغي ألا يوجه إلى الخالق اعتراضا أو احتجاجا .

الثاني : أنه يرجو بصبره الأجر من الله تعالى ، واليسر بعد العسر .
ولقد صور القرآن هذه النظرة الايمانية للمؤمن عند وقوع الضر في حياته اختبارا ، وذلك في قول الله تعالى : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**) البقرة/ ١٥٥ ـ ١٥٧ .
وفي مقابل هذا الصبر يعطى الله للمسلم أملا مستمرا في فرج كربه فيقول تعالى : (**فان مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا**) الشرح/ ٥ و٦
ولقد أبرز النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفة من صفات المؤمن في قوله : « عجبا لأمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) رواه مسلم .
فاذا ما جاوز الخطر والضرر مرحلة التوقع والاحتمال إلى مرحلة الرجحان بل والاقتراب ، وذلك عند لقاء العدو في ميدان الجهاد ، وهو المقصود بقوله سبحانه : (**وحين البأس**) لم يتغير صبر المؤمن في مواجهة الموقف ، بل يزيد ويثبت انصياعا لأمر الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**) الأنفال/ ٤٥ و٤٦ .
ثم هو بعد ذلك يثق فيما عند الله تعالى : إما رجوع بأجر مع غنيمة ، وإما شهادة تعدل في منزلتها في الآخرة منزلة الأنبياء والصديقين .
وبهذه الأمور الأربعة تضع الآية ملامح شخصية المؤمن في إطار الكمال الانساني المنشود ، لكنها قبل أن تترك المجال تضع آخر اللمسات في لوحة هذا الكمال وتبرز ألوانها مشرقة صافية واضحة بهذا الوصف : (**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**) .
فمن حقق لنفسه منازل الخير الواردة في سائر الآية هو إنسان صدق الله تعالى : في عهد الايمان ، وإخلاص الطاعة ، وطلب مرضاته سبحانه ، وإلى جانب ذلك : طبع كل تصرفاته بطابع التقوى التي هي في أبسط معانيها : الخوف من الله تعالى .
بقي أن نقول : إن القرآن الكريم في تصويره لهذه الكمالات لم يجعلها ضربا من المثاليات بعيد المنال ، ولم يسقها ـ في ثوب من التجريد ـ معاني غامضة لا يفهمها المكلف فضلا عن استطاعة تطبيقها ، وإنما قدمها تشريعات عملية مستطاعة عالج بها الواقع الاجتماعي : إصلاحا لشأنه ، واهتماما بأمره ، وبناء لأركانه على أسس من الخير والمحبة والتعاون .



أ ـ ضرورة الراحة من الشواغل :

أحيانا تنسينا شواغل الحياة أنفسنا ، ويشقينا اللهاث في طلب الرزق ، والسعى على العيال ، فنأوى الى كتاب الله نتفيأ ظلاله ، ونتدبر جلاله وجماله ، وما أحوج المسافر الى محطات يستريح فيها !! ويلم فيها أشتات نفسه الممزقة ، ويجمع خواطرها المتفرقة وهل نجد الأمان الا في ظلال القرآن ؟ ونعانق الاطمئنان الا في رحاب الايمان ؟ :(**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**)٢٨ / الرعد .(**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**)٨٢ / الاسراء .

وبقراءة القرآن الكريم ، وذكر الله العظيم يتدفق المدد ، وتتفتح أبواب المنعم الصمد ، فيرفع عنا ما يتعب الظهر ، ويؤود الصدر ، ويعلو قدرنا ، وينتظم أمرنا :(**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**)١٥١ و ١٥٢ / البقرة .

ب ـ باب التوفيق والنصر :

فإذا أردنا بهجة الروح ، واستشرفنا فيض الفتوح سعدنا بمنحة القرب ، وحلاوة المناجاة .. ولا بد لهذا المقام من الانقطاع الكامل عن الشواغل ، والتهيؤ النفسي ليكون الانسان بعيدا عن الأغيار ، نقيا من الأكدار ، صالح القلب لشروق



الأنوار « فليست حقيقة الذكر باللسان بل لا بد أن ينشأ أولا في الشعور والوجدان ، ثم يفيض على اللسان مناجاة وحمدا ، وتسبيحا وتنزيها ، فحينئذ يكون المسلم من الذاكرين حقا الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما . والمسلم الذي يذكر ربه يذكره ربه كما يقول الله عز وجل في حديث قدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأذكرته في ملأخير منه » رواه الشيخان ص ١٣٠ ، ١٣١ من شخصية المسلم كما يصورها القرآن للدكتور مصطفى عبد الواحد .
والقرآن الكريم ذكر :(**هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب . جنات عدن مفتحة لهم الأبواب**)٤٩ و ٥٠/ص

جـ ـ عظمة الذاكرين :

المسلم الذي يذكر ربه يناجيه بقلبه ، ويملأ فؤاده بحبه ، ويستضيء بنوره ، ولهذا فإن الذكر حياة للقلب ونور ، والغفلة عنه موت وظلام لأن الذي يغفل عن ذكر ربه ينسى حقيقة الوجود ، وسر الحياة وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت) رواه البخاري وهو تصوير صادق لما ينشئه ذكر الله في نفس المسلم من قوة وحياة ، وما يمده به من زاد ، وما يفتحه أمامه من آفاق الايمان الداعي الى العمل .

د ـ جملة فياضة بالأضواء :

وفي القرآن الكريم ينابيع ثرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. هذه

الينابيع لا يغيض ماؤها ، ولا ينفد عطاؤها ، ولا يذبل رواؤها - ولنقف - أخي القارىء الكريم ، وأختي القارئة الفضلى - لنقف وقفة تأمل في ساحة قول الله عز وجل : (**و آتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ٣٤ ابراهيم .

قالت لي نفسي - الامارة بالسوء : النعمة مفردة فما الداعي الى العد المعجز ؟ وفكرت مليا لعل ربي يهديني ويقربني نجيا ، واستغفرت الرحيم التواب فعدت الى الصواب .. وثاب الى رشدي فأدركت أن نعم ربي متعددة فكيف أحسبها مفردة ؟ وكيف أفصل القطرة من بحرها ؟

إن اللقمة الواحدة من الطعام نعمة يسرها الله لي - وكلنا يأكل في اليوم مرتين أو أكثر - أمسكها بأناملي وهي من نعم الله ، ومظهر من مظاهر قدرة الله وعظمته وإبداعه في خلقه : (**أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه**)٣ و ٤ / القيامة . هذه اللقمة أراها بعيني ، وهما نعمتان ، بل إن كل لمحة من إحداهما في كل ثانية نعمة !

وأقضم اللقمة وأصحنها بفمي ، وفيه عديد من النعم .. وأتنفس والتنفس لازم للحياة وللانتفاع بالطعام .. فكل نسمة هواء أستنشقها نعمة .. وتنفسي لا ينقطع ليلا ونهارا .. ومن زرع ؟.. ومن روى ؟.. ومن حصد ؟ ومن طحن ؟ ومن حمل ؟ ومن عجن ؟ ومن خبز ؟ أليس كل هؤلاء بعض المسهمين في صنع اللقمة ، والفضل للخالق المنعم الوهاب : (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون**) !

(تفكهون : تندمون) ٦٣ - ٦٥ / الواقعة

وسألت نفسي هل استطعت عد النعمة ؟

وجال فكري جولة أخرى : هذه لقمة تضمنت عديدا من النعم أدركت في نورها فيضا من فضل الله وكرمه .. أليس العقل الذي أدرك نعمة ؟ وما قيمة الانسان إذا حرم العقل الواعي المفكر المتدبر ؟ هل يزيد كثيرا عن الأنعام التي تأكل وتشرب ، وتلهو وتلعب ؟

وساح عقلي في أنوار الآية سياحة أخرى :

هذه كلمات مباركات هي بعض آية حفظتها وحاولت فهمها ، وإدراك معانيها ومراميها - فمن الذي علمني القراءة والكتابة ؟ ومن الذي زج بي في قافلة النور لأدراك أغراض التنزيل ، ومرامى التأويل ؟ أليس شيوخي وأساتذتي ، بعض توفيق وفيض المنعم الجليل ؟

هـ - وكلما تكرر حلا

يا صاحب الأمداد ، وباسط الاسعاد .. لا علم لي إلا ما علمتني سبحانك ! قلت

في كتابنا العظيم القرآن الكريم :
(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)
جملة مكونة من ستة وعشرين حرفا ، تقف في أنوارها المعاني صفا صفا !! روى ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ص ٣٠٢ ـ رياض الصالحين ط المكتبة الأهلية ببيروت . أمامنا ستة وعشرون حرفا وكل حرف بعشر حسنات فجزاؤنا مائتان وستون حسنة و : **(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)** ٤ / الجمعة
وهذا الجزء من الآية صدر بإن الشرطية وهي غالبا تدخل على المشكوك فيه كما يقول أهل البصر بالبلاغة ـ فهل تستغرق الدنيا الناس حتى يشغلوا بالنعم فيذهلوا عن واهب النعم ، والانسان كثير النسيان .. وهأنذا حاولت عد نعمة الله فأدركت أني كمن يحاول إحصاء ذرات الرمال أو وزن الجبال !!

و ـ وجهة نظر بعض العارفين

شغلتنا اللقمة ، وحسبناها نعمة صغيرة ، فإذا هي نعم كبار كثار وكأنها عين الانسان تحسبها حيزا ضيقا لكنه يرى بها الكون كله ، ويقرأ مؤلفات الأسلاف ، ويرى بها مظاهر العظمة والقدرة على الأرض ، ويرنو بها إلى النجوم في خشوع وإجلال للحي القيوم ، فإذا ما ترقينا في السلوك ، وفكرنا في نعم ملك الملوك وجدنا بعض شيوخنا يجد نعم الله في كل حالة ، ويلمحها في عسره ويسره ، فهو من وجده واجد ، ومن إغماضه عينيه عن الدنيا مشاهد لجلال ربه ، وما أجمل قول شيخنا العارف بالله ابن عطاء الله السكندري في (لطائف المنن) : (ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك ، وإذا عرفك سر المنع فقد أعطاك) !! يعني ـ والله أعلم ـ ربما أعطى الله لبعض الناس مالا وأولادا وزخرفا فشغل بالوسيلة عن الغاية ، وبالموهوب عن شكر الواهب فكان ماله سببا في الوبال ، وسوء المآل .. وربما كان الرزق بقدر القوت حتى لا يذهل العبد عن القيام بحق خالقه ورازقه ، ومعتقه من أسر الماديات ـ فيجد المرء سكينة النفس في الاقبال على الله ، ويسعد بعبادته مخلصا بلا رياء : **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** ١١٠ / الكهف .
وإذا عرفنا الله سر المنع فقد أعطانا ، وهل في الدنيا متعة تعدل متعة العلم والمعرفة بجلال الله ، وما ينبغي له من ذكر وشكر ـ إن ابن عطاء الله رأى في المنع منحا ؛ فكل ما يصنع الجميل جميل : **(ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)** ٥٤ / الأعراف .

ز ـ من هدى سلفنا الصالح :

وإذا كان بعض أجدادنا الصالحين قال شاكرا لأنعم الله عليه وقد قدم إليه طعامه وكان يأتدم بزيت وخل ، ويقيم في المدينة المنورة : (زيت الشام بخل البصرة ! إن هذه نعمة ما نطيق شكرها) !! فماذا يقول من يأتيه دقيق خبزه من كندا أو استراليا جوابا بحارا ، متجشما أسفارا ؟.. وأما الادام والفواكه فمن أركان الدنيا .. كيف يذكر ويشكر ؟ وكيف ننسى أن الاسلام دعانا الى الاهتمام بالزراعة والغرس ؟ ومن أقوال سلفنا الصالح (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيل فليغرسه) وعن جابر وأنس ـ رضي الله عنهما ـ قالا : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم (لا يغرس مسلم غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كانت له به صدقة) (رواه البخاري ومسلم) ولم لا نغرس ونزرع حتى لا نشعر بالحرج والضيق إذا تأخر الدقيق أو ارتفع السعر ؟.. لنزرع حتى نشعر بعزة الايمان والاطمئنان : (**و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) ٨ / المنافقون .

ألا يشعرنا ما تزدحم به أسواقنا ، وتمتلىء به مخازننا ـ بعظمة أنعم الله علينا مع تكاسلنا أو تغافلنا ؟.. والأمر حيوي يتعلق بالطعام والزاد وهو من ضرورات الجماعات والأفراد !

ح ـ مثل محسوس

إن نعمة الله حينما تفكر فيها يا أخي بقلب سليم ، وفكر مستقيم حينما تضعها في حنايا الصدر ، وتجعلها بين مرآتين من ذكر وشكر .. هذه النعمة أشبه بشمعة بين مرآتين ترى في ضوئها صفا من الشموع لا تدرك آخره ، وبقدر إخلاصك في التأمل ، وشفافيتك في التدبر تنثال عليك المعاني ، وتتداعى اليك الرؤى ..!! وأنت تدرك يا أخي الكريم : « أن غاية التلاوة هي اتصال القلب بأنوار القرآن ، ووقوف العقل أمام ما تحويه آياته من حق وهدى ، فهي عبادة تحتاج الى قلب سليم ، وعقل مستقيم » كما جاء في كتاب : « شخصية المسلم كما يصورها القرآن) ص ١٤٣

ولذلك نشفق على قومنا الذين يقفون بعيدا عن معين القرآن منشغلين بألحان ونغمات لا معنى لها ، ولا حقيقة من ورائها إننا نريد خشوع القلب ، وحضور اللب ، واستحضار جلال القرآن ، ولأمر ما قال الله عز وجل : (**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**) ٢٠٤ / الأعراف . تأمل يا أخي قوله عز وجل :(**وأنصتوا**) بعد : (**فاستمعوا له**) لأن الانشغال باللهو يحجب نور القرآن ، والغرق في هموم الدنيا لا يتفق مع جلاله ، وإذا لم يكن القلب مصغيا الى هداية القرآن فلا جدوى من تلاوته ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن ماائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » رواه الشيخان .

ط ـ الأسوة الحسنة

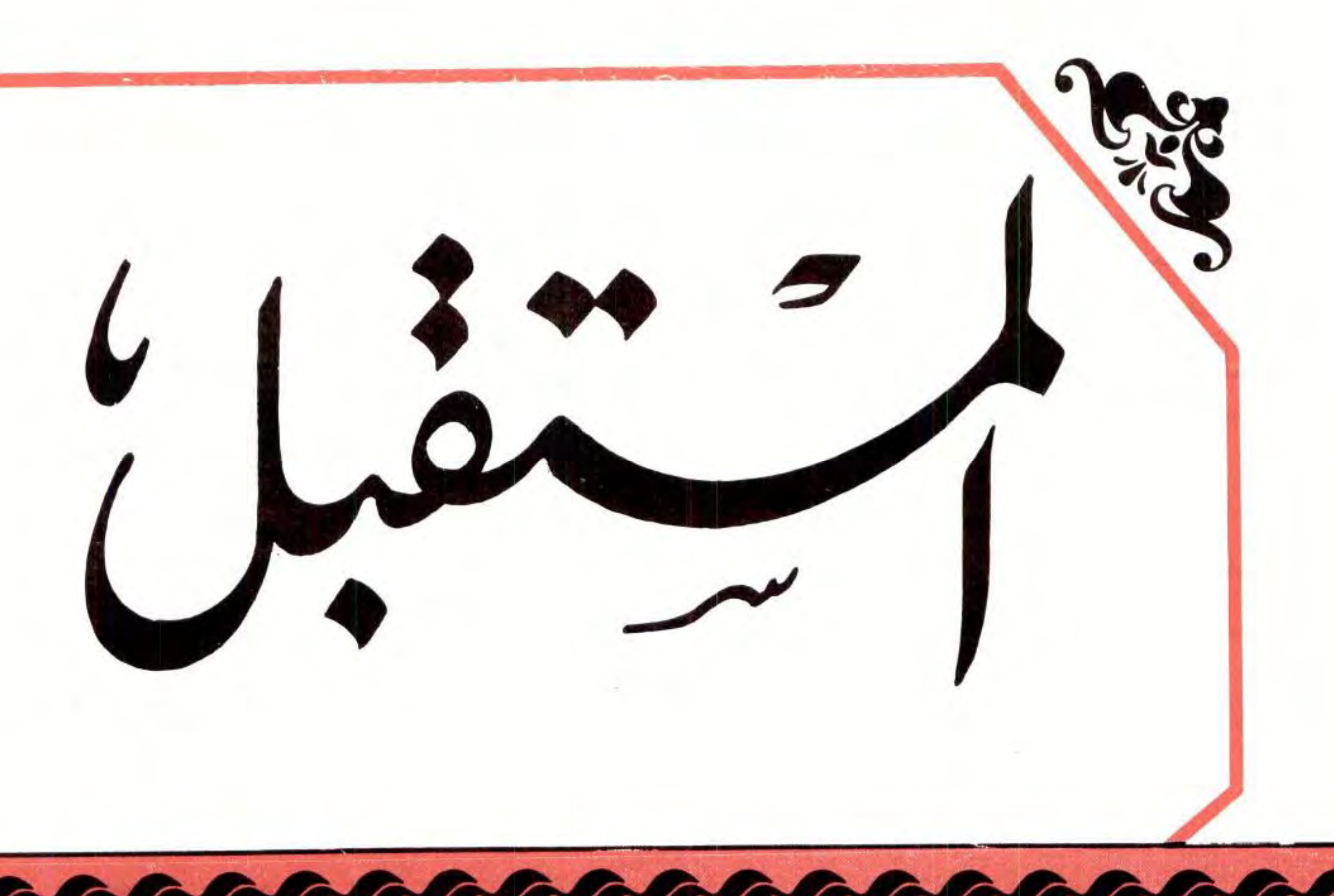
ولقد كان رسولنا الحكيم صلى الله عليه وسلم ـ الأسوة الحسنة ـ يخاطب الناس على قدر عقولهم مبينا عظمة القرآن لأنه الهدى والنور، والمنهج والدستور .. يقول عليه الصلاة والسلام : « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله ، وحرم حرامه أدخله الله به الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » رواه الترمذي .
فهل رأيت نفعا أعظم من هذا النفع ، وغرسا يعطيك أبرك من هذه الثمرات ؟
إن تعلم القرآن يعود على المسلم بثمرات تفضل كل عرض من أعراض الدنيا ..وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه فقال : « .. أفلا يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل ـ خير له من ناقتين ، وثلاث خير من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الابل » رواه مسلم .

● ـ وبعد ..

فهل توافقني يا أخي على ما ذهبت اليه من أن نعم الله سلسلة ، كل نعمة منها لا تدرك مفردة .. فلا ندرك نعمة الا بنعم ؟ هي أشبه بزرع أخرج شطأه فآزره ؟ أم تقول كما قال بعض شيوخنا من أهل العلم أن (نعمة) يراد بها النعم كأنهم قاسوها على (كلمة) قد يراد بها أحيانا (الكلام) قال ابن مالك
(وكلمة بها كلام قد يؤم)
يؤم : يقصد . وفي القرآن الكريم (**حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها**)٩٩ و ١٠٠ / المؤمنون
وما أحوجنا إلى شكر نعم الله علينا ، وتقدير آلائه لدينا عسى الله أن يزيدنا هدى ، ويكشف عنا حجب السهو والغفلة ويزودنا بزاده الأبقى والأرقي : (**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**) ١٩٧ / البقرة . ورحم الله شاعرنا الحكيم الذي قال :

شكر الاله نعمة موجبة لشكره
فكيف شكري بره وبره من شكره ؟

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، ودليل أعمالنا ، ودافعنا الى طريق الصلاح والفلاح :(**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور**) ٢٩ و ٣٠ / فاطر .

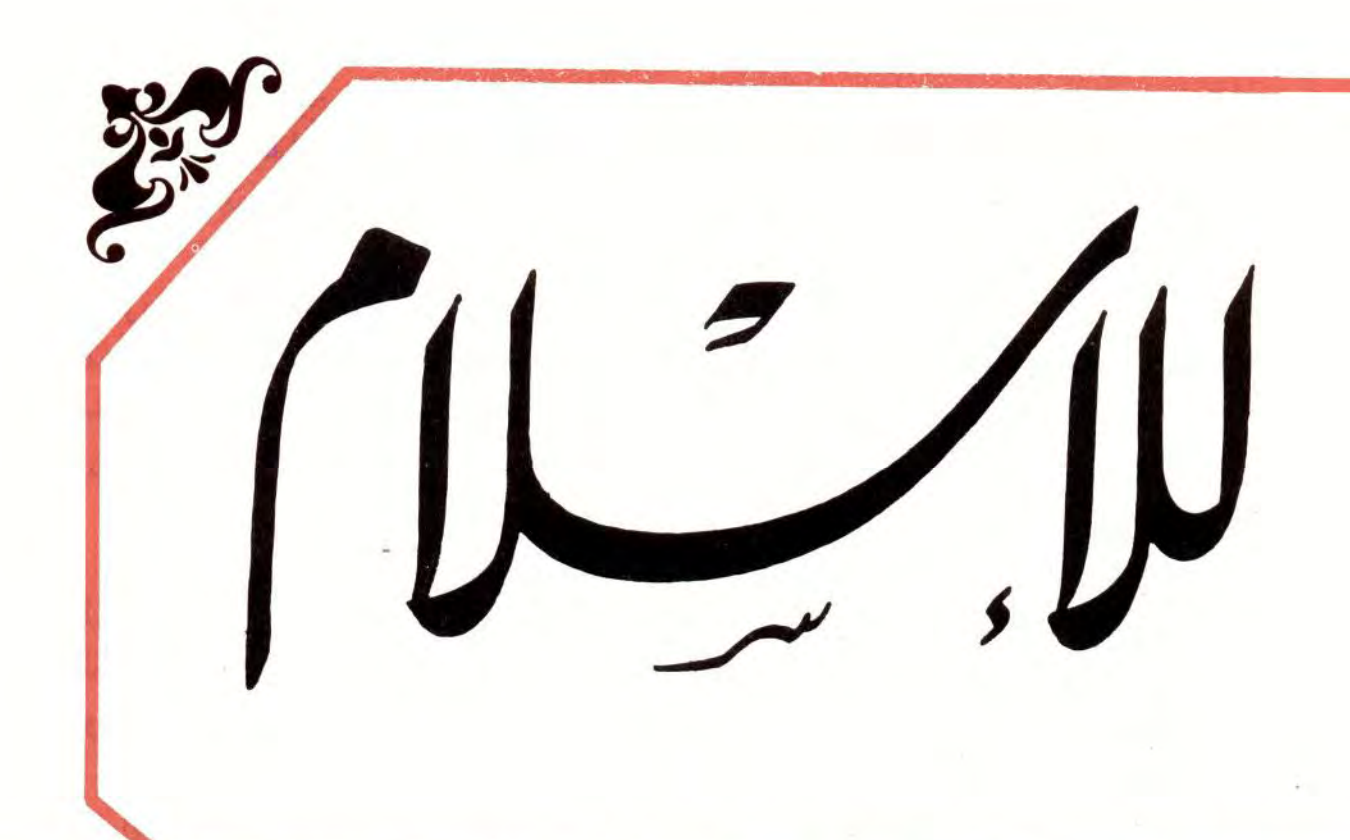


تشير التقارير الصادرة عن الدوائر الغربية او الشرقية او العربية والاسلامية الى عودة جماعية الى الله ، تتم كل يوم في مختلف بقاع العالم الاسلامي ودخول جماعات جديدة في البلدان الاجنبية للاسلام .

فعلى الصعيد العربي والاسلامي هناك ظاهرة ايجابية بارزة بدأت تأخذ طريقها وسط محاولات التخريب التي تجري بفعل عوامل موضوعية وذاتية وخارجية في العديد من البلدان الاسلامية ، الا وهي عودة الشباب الى الله سبحانه وتعالى ، ويبرز هذا من خلال المواظبة على صلاة الجمع والجماعات في كل وقت . وانتشار الحجاب الاسلامي بين فتياتنا في الجامعات والمعاهد والمؤسسات والشركات ذات الطابع الاسلامي ومؤسسة الاستثمار الاسلامية وغيرها .

نعم ان المستقبل للاسلام داخليا على الصعيد الاسلامي ، وعلى الصعيد العالمي بحول الله تعالى **لاسباب ابرزها** :

١ ـ افلاس الحضارة الغربية القائمة على الرأسمالية الليبرالية التي تضحي بالجماعة والمجتمع مقابل الفرد ، والتي قسمت المجتمع الى طبقتين متميزتين لا ثالث لهما ، طبقة



للاستاذ / محمود قظام

البرجوازية حتى التخمة ، والفقيرة حتى العدم ، وما ترتب على ذلك من صراع طبقي وحقد اجتماعي ترسب مع الايام نتيجة احتكار فئة البرجوازية لكافة المقدرات الحياتية لجميع ابناء الشعب بمن فيهم الفقراء ، وما تمخض عنها من قيم مادية متعفنة وفلسفات مادية اتخذت الاجرام والادمان على المخدرات والهوس والشذوذ الجنسي طريقا لها تحت ستار جماعات متعددة الاسماء والمسميات كجماعة الهيبز والباكنز وهاري كريشنا وجماعات السلاسل الحديدية والبيتلز .. الخ مما ادى بالتالي الى ازمة قيم وازمة ضمير حادة لن تنتهي قبل ان تقتلع الاخضر واليابس في المجتمع الغربي .

يقول ليولد فلم دانز في كتابه « الانسان والضمير المأساوي الممزق » « ان الانسان المنتمي الى عصرنا هذا لا يؤمن بشيء ولا يفكر ، انه لم يفكر بعد ولكنه يعلم كثيرا ان نهاية المسيحية تشمل ايضا نهاية الايديولوجيات الاخرى كالماركسية التي تجتاز من اجل ذلك ازمة عميقة وان هذه الازمة ليست ابدا علامة حياة بل علامة موت » .

ويرى المفكر لاموني « ان الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة الى الهلاك انه في النزع الاخير كذلك

الانسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء فكثرة الاخطاء في حضارتنا تجرها الى الغرب . »

ويقول د . عبد الله عزام ان سبب انهيار الحضارة الغربية واضح بسيط هو انها قامت بلا دين واتخذت ربها وراءها ظهريا .

ويقول برنارد شو الفيلسوف البريطاني « كنت اعرف دائما ان الحضارة تحتاج الى دين وان حياتها او موتها يتوقفان على ذلك » .

اما الكسيس كاريل في كتابه الانسان ذلك المجهول فيقول « ان القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فكأن البيئة التي اوجدها العلم للانسان لا تلائمه لانها انشئت دون اعتبار ذات الانسان». ويقول برتراند راسل « ان حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح على حين كان الناس اجدر من الحيوان بهذه السعادة ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم الحديث ، واليوم اصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة » .

اما ماكنيل فيقول « ان الحضارة الغربية في الطور الاخير من اطوار حياتها اشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه لكل ما هو معنوي وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدس ومحرم قمته ثم انشب مخالبه في امعائه فانتزعها واخذ يمزقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفي . »

اما ارثر شوبنهاور فقد وصف الحياة الغربية بايجاز قائلا « ان الحياة تتأرجح من اليمين الى اليسار من الالم الى الملل ، ويستغيث هذا الغرب المسكين الهه اذا شاء انه سيظل فريسة مصيره فالقدر لا يرحم » .

ويقول شبنجلر « ان للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك ، وان حضارة جديدة اوشكت على الشروق في اروع صورة هي حضارة الاسلام ، الذي يملك اقوى قوة روحانية عالمية نقية . »

من هنا يمكن القول ان المستقبل للاسلام ، فعلى سبيل المثال بعض البلدان التي كانت في الماضي القريب جدا حاملة لواء الحروب الصليبية بدأ التيار الاسلامي يزحف اليها ، ففي بريطانيا ازداد الاتجاه الاسلامي بشكل لم يسبق له مثيل فقد ذكرت صحيفة صنداي اوبزيرفر البريطانية ضمن مقالة خصصتها عن الحركة الاسلامية في بريطانيا ، « ان هناك ٥٠ الف بريطاني اعتنقوا الاسلام ، وان الدين الاسلامي يزداد شعبية في بريطانيا حيث يعتبر الدين الاسلامي هو الثاني في بريطانيا . ومع ذلك لم تعترف الحكومة البريطانية به حتى

الان خوفا من ان يكتسح الساحة البريطانية » .

وفي اسبانيا وبعد هزيمة المسلمين التي مضى عليها زهاء سبعة قرون تم وضع حجر الاساس لاول مسجد في اسبانيا في التاسع من اكتوبر ١٩٨٠ بالقرب من مدينة قرطبة التاريخية .

كما ازداد عدد المسلمين في سويسرا خصوصا مدينة جنيف حيث جرى مؤخرا بناء اول مسجد كبير لسد حاجة المسلمين هناك . كذلك ازداد الاقبال على الاسلام في الهند وفي فلسطين المحتلة هناك تصاعد موجة المد الاسلامي بين المسلمين في الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ و١٩٦٧ من جهة ومن جهة اخرى تزايد دخول اعداد كبيرة تقدر بالمئات من الفئات اليهودية للاسلام ، بحيث استدعى هذا الامر بحث هذه المسألة من قبل هيئة حاخامين صهاينة لبحث هذه المسألة الخطيرة في نظرهم ، كذلك في امريكا حيث ازداد دخول الزنوج الامريكيين للاسلام .

٢ ـ تراجع الشيوعية الالحادية حتى في اقوى معاقلها عن العديد من المبادىء والمنطلقات التي اعتبرت اساسية في فلسفتها ، كما حصل في روسيا حين تحول شعار دكتاتورية البروليتاريا الى شعار دكتاتورية الحزب والرجل الواحد منذ عهد ستالين الى عهد برجينيف ، ودكتاتورية العشيرة والعائلة الواحدة كما هو الحال في رومانيا الاشتراكية حيث تسيطر عائلة شاوشيسكو على مقدرات الامور في رومانيا .

كذلك بدأ العد العكسي للشيوعيين في العديد من البلدان الاشتراكية من خلال الثورات المضادة في كل من تشيكوسلوفاكيا والمجر التي قمعت بالحديد والنار والعنف الدموي في حينها . وكذلك سير يوغوسلافيا نحو الاستقلال بعيدا عن موسكو والتوجه صوب معسكر دول عدم الانحياز . كذلك الحال في بولندا التي تعيش الان في ظل احكام عرفية بعد سيطرة الجيش على السلطة لقمع الاضرابات العمالية التي تنظمها نقابة التضامن على اعتبار انها ثورة مضادة تهدد المكتسبات الاشتراكية .

٣ ـ زيف وتراجع المذاهب والتيارات القومية التي روج لها الاعداءوالاستعمار بشكليه القديم والحديث ، فالقومية التي توهم المروجون لها انها ستوحد العرب وتجعلهم امة واحدة وتعيد للعرب مجدهم التليد ، ما فتئت تكرس الاقليمية والتجزئة التي خلفها الاستعمار ، وما برح دعاة القومية يقصرون نضالهم وكفاحهم ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية من خلال التمسك بكراسي الحكم حتى الرمق الاخير من حياتهم . وكأن النضال ضد الصهيونية والامبريالية يكون من خلال التشبث بكراسي الحكم وقمع كل حركة شعبية تطالب بضرورة العمل الاسلامي لتحرير الارض والمقدسات .

٤ ـ صلاحية الاسلام لكل زمان

ومكان ونظرته العامة الشاملة لكافة المناحي الحياتية وثباتـه في نهايـة المطاف كدين ومنهج حياة متكامل من خلال الصراع الطويل مع المذاهب والايديولوجيات الاخرى ومن خلال مسيـرة التطـور الاجتمـاعي التي ستفرض البقاء للاصلح والاقـوى والانسب والاقدر على التكيف .

فلقد جرب المسلمون الديمقراطية الغربية فـأخفقوا في الـوصول الى استقرار سياسي وسـلام اجتماعي ورخـاء اقتصادي . ثم لجـأوا الى الاشتراكية تعويضا عن فشلهم في تجربة الديمقراطية الغربية دون ان ينتبهوا الى نتيجة تضمن لهم مـا يتطلعـون اليه من كفـاية وعـدالة ومساواة وتكافؤ الفرص وقضاء على الفوارق ومحو للطبقات .

كما قامت في البلاد الاسلامية تجارب شتى شرقية وغربية مدنية وعسكرية متطرفة ومعتدلة يسارية ويمينية فلم يبلغوا شأوا ولم ينالوا حظا من التوفيق ولم يزدادوا الا انحرافا وزيفا عن الصراط المستقيم وطريق الحق وسبيل الرشاد .

من هنا يمكن القول ان الوضع الراهن للمسلمين يبشر بالخير ذلك ان الازمات الخانقة التي تعيشها الامة الاسلامية لا يمكن ان تكون الا ايذانا بزوال اسباب التخلف وقرب الخروج من المأزق . وما هذه الفتن والقلاقل والاضطرابات والفواجع التي تملأ الساحة الاسلامية الا الام المخاض وقمة العسر الذي كتب الله ان يعقبه يسر ، طال الوقت او قصر وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

يقـول برنـارد شـو الفيلسـوف الانجليزي الشهير « ان انجلترا بل اوروبا لو احتاجت الى دين تتبعه لينقذها مما هي سائرة اليه من دمار محقق ودمار لا مناص لها منه فليس امامها الا الاسلام » ويضيف اني اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه ولقاده الى الخير ولحل مشاكله على الوجه الذي يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة».

ويقـول البـر مشـادق : مـن يدري .. ؟ ربما يعود اليوم الـذي تصبـح فيه بـلاد الغـرب مهـددة بالمسلمين يهبطون اليها من السماء لغزو العالم مرة ثانيـة وفي الوقت المناسب . ويضيف لست متنبئا ولكن الامارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها .

ان المسلم قـد استيقظ واخـذ يصرخ هانذا انني لم امت ولن اقبل بعد اليوم ان اكون اداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها .

٥ ـ عودة الناس الى الله عز وجل بعد خوضهم غمار تجـارب عديـدة في الالحاد والاباحية والفوضى والعبثية ، ولاقتناع البشرية الراسخ ان السبيل الوحيد للقضاء على الفراغ والعلاج

الناجع لامراض العصر ، يكون من خلال الايمان بالله الذي يؤدي الى السكينة والطمأنينة مصداقا لذلك قوله تعالى : (**هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما**) الفتح / ٤ وبهذا الصدد يقول الفيلسوف الغربي كارل ياسبرزان : الانسان في حالة غياب مبدأ او عقيدة يعتنقها يجد نفسه تائها ضائعا وغيرها من حالات الوجود الحادة .

٦ ـ الحتمية التاريخية والجدلية للاسلام مصداقا لذلك قوله تعالى : (**يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) التوبة / ٣٢ و٣٣ كذلك تأكيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره بسيادة الاسلام على كافة البقاع حيث روى ثوبان رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها » رواه الترمذي وقال حسن صحيح . كذلك قوله صلى الله عليه وسلم:ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله هذا الدين بعز عزيز او بذل ذليل عزا يعز الله دين الاسلام وذلا يذل به الكفر رواه احمد وقال حسن صحيح .

وعن ابي قبيل قال : كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل اي المدينتين تفتح اولا القسطنطينية او رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق قال : فأخرج منه كتابا قال : فقال عبد الله بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اي المدينتين تفتح اولا القسطنطينية او رومية ؟ فقال صلى الله عليه وسلم مدينة هرقل تفتح اولا . يعني القسطنطينية رواه احمد والدارمي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وقد فتحت القسطنطينية عام ٨٥٧هـ على يد القائد الاسلامي محمد الفاتح في عهد الدولة العثمانية اي بعد البشارة النبوية بثمانية قرون ونصف وستفتح روما باذنه تعالى قريبا . لان رسولنا الكريم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اليه .

فمثل هذه التأكيدات الالهية والنبوية لا تدع مجالا للشك في ان المستقبل للاسلام حتما لا محالة ، وهي بذات الوقت تطمئن القلب والنفس الانسانية المضطربة وتبشرها بنور الاسلام من جديد بعد سبات عميق وظلام ظن البعض انه سرمدي .

وخلاصة القول ان تاريخ هذه الامة بمراحله المختلفة اثبت حقيقة واحدة ان الاسلام كان الوسيلة الوحيدة القادرة على جمع هذه الامة وتحرير ارضها وتوحيد صفها واشاعة العدل والرخاء والخير في ارجائها .



أوحى الله عز وجل إلى ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل أن يرفعا قواعد البيت الحرام أول بيت وضع للناس ليكون مثابة لهم وأمنا .

وقصد الخليل ابراهيم وجه ربه ليتقبل عمله داعيا أن يجعل هذا البيت المحرم مناط رجاء القصاد وموضع حب عباده المخلصين ، وأن يحفظه من بطش الطغاة والآثمين على مر الزمان وكر السنين .

وعام تلو العام تزحف القوى البشرية المسلمة تلبية لأذان الخليل ابراهيم الذي أمره خالق الخلق ومالك الملك ، بأن يؤذن في الناس بالحج ، ويدعوهم لزيارة أول بيت وضع للناس يقول : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**)الحج/ ٢٧ .

ولقد ملأت الدهشة نفس الخليل ابراهيم ، وقال يارب : كيف أؤذن في الناس بالحج ؟ وماذا عسى أن يبلغ صوتي في هذه الآفاق ؟

فيجيبه المولى القدير : يا ابراهيم عليك الأذان وعلينا الابلاغ . وفي مواقف الحج الرائعة يتجلى الحق تبارك وتعالى على عباده القاصدين ويباهي ملائكته الابرار ويقول : يا ملائكتي ما طلب هؤلاء ؟ فتجيبه الملائكة يا ربنا أنت أعلم بهم منا إنهم يطلبون منك العفو والمغفرة فيقول أحكم الحاكمين عز وجل أشهدكم يا ملائكتي اني قد عفوت عنهم ، وغفرت لهم وأنا الغفور الرحيم .

وعظم الله بيته وقدسه وكرمه وشرف البلد الأمن مكة المكرمة ، وزادها من



للشيخ/ سليمان أحمد التهامي

فضله ، بأن بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من قلبها ، فكان شرفها شرفين ، وفضلها فضلين . وشرع الله الحج وفرضه على كل مسلم ومسلمة في كتابه الكريم وسنة نبيه الصحيحة المتواترة قال تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) آل عمران/ ٩٧ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان ، متفق عليه .

والحج باجماع المسلمين من القواعد الخمس التي بني عليها الاسلام .

قد يتوارد على ذهن البعض بأن الحج حديث العهد ولم يكن معروفا من قبل دعوة المصطفى عليه أفضل السلام والحق أنه عادة قديمة موجودة في الشرائع السابقة حتى لقد قيل : ان آدم عليه السلام حج عدة مرات ، وان جبريل أخبره بأن الملائكة كانوا يطوفون قبله بالبيت ، وادعى ابن اسحاق ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم إلا حج ، وادعى غيره انه ما من نبي إلا حج ، وكان الحج معلوما عند العرب ، وصار ذلك واجبا عليهم بامر ربهم منذ الخليل ابراهيم عليه السلام .

وكانوا في الجاهلية يعظمونه ، ويعدون سدانته وخدمته من أشرف القربات ، وأجل الصالحات ، وهذا شاعر قبيلة جرهم يتفجع من ترك قبيلته سدانة البيت الحرام بقوله شعرا :

وكنا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بهذا البيت والامر ظاهر

الى أن يقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بل نحن كنا اهلها فابادنا   صروف الليالي والجدود العواثر

ومن تاريخ تعظيم هذا البيت انه لما باعت قبيلة خزاعة سدانته التي كانت لهم بزق خمر عيرها كثير من الشعراء على ذلك وقال أحدهم :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت   بزق خمر فبئست صفقة البادي

وكانوا يطلقون على مكان فيه حجر عليه أثر قدم ، اسم « مقام ابراهيم » ويتوارد أن هذا الاثر هو أثر قدم سيدنا ابراهيم عليه حينما اعتلى لبناء الكعبة ، واتخاذه محط رحاله حين يزور هاجر وابنها ، وأمر الله تعالى باتخاذ مقام ابراهيم تيمنا بهذا المكان الطاهر ، وتبركا بموضع وقف عليه رسول كريم ؛ هو أبو الانبياء الخليل ابراهيم ، كما قال تعالى في كتابه الكريم (**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**) البقرة/ ١٢٥ .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة منها ما فيه دليل صريح ، ومنها ما فيه قرينة قوية ، ومنها ما فيه إلهام بأن الحج كان معلوما وممارسا قبل الاسلام .

فلما جاء الاسلام فرضه ووضع احكامه وضوابطه ونواهيه لينهل منها المسلمون من كل فج عميق .

وللحج معنيان الاول هو المعنى اللغوي فقد وردت كلمة الحج في المعاجم اللغوية بمعنى : القصد للزيارة : يقال حج الينا فلان ، أي قدم ، ورجل محجوج ، أي رجل مقصود .

وجاء في مفردات غريب القرآن للاصفهاني :

أصل الحج ، القصد للزيارة .

وأما معنى الحج من الناحية الشرعية فهو أعمال مخصوصة تؤدي في زمان مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص .

أي القصد في أشهر معلومات الى البيت الحرام للنسك والعبادة فرضا كانت أو سنة » .

والحج فرض على الفور : أي أن على المستطيع أن يؤديه في أول عام استطاع فيه ويأثم بالتأخير لأن الله أمر المسلمين أن يبادروا ويسارعوا ، واتفق الأئمة على أن المبادرة للمستطيع أفضل .

ولقد نص بعض المالكية على أنه اذا كان للشخص صنعة أو تجارة وربحها على قدر كفايته وكفاية عياله ومن تجب عليه نفقتهم ولا فاضل من الربح يحج به أو علم أو ظن كسادها وعدم رواجها بالسفر ، فان الحج لا يلزمه أداؤه وهو على هذه الحال ، ولا ينبغي عليه أن يقتطع من رأس المال ما يحج به ، لأن الحج إنما يجب في الفاضل من الكفاية ، وبضاعته اساس في كفايته فلا يلزم بالنقص منها ليحج .

وذهب اكثر الأئمة المجتهدين الى أنه مفروض على التراخي لا على الفور اي أن للمستطيع أن يؤديه في أي عام من اعوام استطاعته ولا يأثم اذا أخره من عام

استطاع فيه أداءه .

والشافعية قالوا هذا ولكن بشرطين (الاول) أن لا يخاف فواته اما لكبر سنه وعجزه عن الوصول واما لضياع ماله ، فان خاف فواته لشيء من ذلك وجب عليه أن يفعله فورا ويكون عاصيا بالتأخير ، (الثاني) أن يعزم على الفعل فيما بعد فلو لم يعزم يكون آثما .

والحديث عن شروط الحج نقتطف من بين آراء الائمة اساسيات شروط وجوبه فمنها : **الاسلام** فلا يجب الحج على الكافر الاصلي ولو مرتدا ولا يصح الا اذا اسلم ، واذا مات بعد اسلامه قبل أن يحج ، حج عنه من تركته .

ومنها **البلوغ** فلا يجب على صبي ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة بعد البلوغ لقوله صلى الله عليه وسلم : « ايما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه حجة اخرى » رواه الطبراني في الاوسط .

ومنها **العقل** فلا يجب على مجنون كما لا يصح منه حجه ، ومنها **الحرية** فلا يجب على من فيه رق . ومنها **الاستطاعة** .. والاستطاعة في معناها هي القدرة على الزاد والراحلة ، وامكان الوصول الى مكة ومواضع النسك امكانا عاديا لا يلحقه فيها مشقة بالغة .

والمراد بالراحلة هو ما يمكن الوصول عليه سواء كانت مختصة أو مشتركة بشرط أن يجد من يركب معه ولا بد أن تكون الراحلة هذه مهيأة بما لا بد منه في السفر .

وتعتبر القدرة على الراحلة هي : أن يتيسر للمرء ما يليق له عادة وعرفا ويختلف ذلك من شخص الى آخر .

اما القدرة على الزاد والراحلة فيشترط فيهما أن يكونا زائدين عن حاجاته ، كالدين الذي عليه والمسكن والملبس وعن نفقة من تلزمه نفقتهم مدة غيابه الى أن يعود .

أما من يعزم على الاقامة بمكة المكرمة فلا يشترط القدرة على مئونة الاياب ، ومن لم يستطع لا يجب عليه الحج ، لان في الانفاق على من تجب نفقتهم فهو واجب على الفور لا يقبل التأخير ، وذلك لان الفرائض لا تؤدي بالآثام ، ومن اشد الأثام ان يضيع الانسان من تجب عليه نفقتهم ويهمل النفس التي أوجب الله إكرامها لا إهدارها ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » رواه احمد وابو داود عن ابن عمر .

وأما القدرة على الراحلة فهي بالنسبة لمن كان بعيدا عن مكة بثلاثة ايام فاكثر ، أما القريب منها فيجب عليه الحج ولو لم يقدم على الراحلة ، متى قدر على المشي وعلى الزاد الفاضل عن حاجياته الاصلية .

وفي ذلك نرى أن المقدرة على المشي تقوم مقام الراحلة ، فمن قدر عليه وجب عليه الحج ولو كان بعيدا عن مكة المكرمة بمقدار مسافة القصر او اكثر .

ومن لا يستطيع ركوب الراحلة أو لم يجد ما يستطيع ركوبه أو قدر على راحلة

مع شريك له بحيث يتعاقبان الركوب عليها مما فيه مشقة فادحة في السفر فلا يعد ذلك مستطيعا ولا يجب عليه الحج .

وعلى ذلك فلا وجوب على من لم يجد الراحلة كما أنه لا وجوب على من لم يجد الزاد . والذين يخرجون الى مكة بغير زاد او يتكل بعضهم على بعض بالزاد او يحجون ولا يتزودون فاذا قدموا مكة سألوا الناس . أو الذين يدعون التوكل من الاغنياء والفقراء فيدعون اموالهم ويخرجون بلا زاد ولا طعام أولئك قد نهوا عن ذلك وامروا بالزاد والراحلة فعلى كل حاج ان يتزود زادا من المال والطعام يحفظ عليه حياته ، وزادا من التقوى يكسبه الحياة الاخرى . وصدق الله : (**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**) العنكبوت/ ٦٤ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الاعمال فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور » رواه البخاري .

وجعل الله اشهر الحج موسما فقد قال عز وجل : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**) البقرة/ ١٩٧ .

ويقع الحج في السنة مرة واحدة ويكون في هذه الاشهر ، وكذلك يؤديها المسلم كفريضة مرة واحدة في العمر وما زاد فهو تطوع فمن ألزم نفسه بالشروع في الحج بالنية قصدا باطنا وبالاحرام فعلا ظاهرا وبالتلبية نطقا مسموعا فليؤد ما أوجب الشارع عليه ولينته عما نهاه عنه وليلتزم فيه الحدود . وليخلع عن رقبته ما طوقها من الحقوق وليصبح عزمه أن يكون حجه مبرورا وذنبه مغفورا وليقو على ظلمات باطنه لتستحيل نورا وعلى اوساخ ظاهره لتكون نقاء وطهوراً ، روي عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس كتب عليكم الحج فحجوا » فقام الاقرع بن حابس فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟ » فقال « لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » مسلم وغيره .

وأوجب الله سبحانه وتعالى على الحاج أن يبدأ عمله بالاحرام من الميقات وهو المكان الذي حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمواقيت خمسة فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وقت (حدد) لاهل المدينة ذا الحليفة ، ولاهل الشام الجحفة ، ولاهل نجد قرن المنازل ، ولاهل اليمن يلملم فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير اهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة فمن كان دونهن فمهله من أهله وكذاك حتى أهل مكة يهلون منها . » متفق عليه والميقات الخامس ذات عرق وهي ميقات أهل العراق وبلاد العجم .

ويستحب لمن اراد الاحرام أن يغتسل قبله وأن يلبس ثوبين نظيفين ازارا ورداء ، وأن يتطيب في بدنه خاصة ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها : « كنت اطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه حين يحرم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت » متفق عليه وكان يصلي ركعتين تطوعا وينوي الحج قائلا « اللهم اني أريد الحج فيسره لي وتقبله مني » .

ويلبي بما كان يلبي به رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وان يكثر من التلبية كلما علا شرفا من الارض أو هبط واديا او لقى ركبا .

ويحرم على المسلم الرفث والفسوق والجدال . والرفث كلمة جامعة لما يريده الرجل من اهله ، والفسوق كلمة تعني اتيان معاصي الله في حالة اقدامه بالحج كقتل الصيد وقص الظفر وشبيه ذلك ، وقيل الفسوق الذبح للاصنام ومنه قوله تعالى : (**أوفسقا أهل لغير الله به**) الأنعام/ ١٤٥ . وقيل التنابز بالالقاب ومنه قوله تعالى : (**بئس الاسم الفسوق بعد الايمان**) الحجرات/ ١١ . وقيل الفسوق السباب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » متفق عليه .

والجدال : المماراة والاختلاف ، كأن يختلف الناس ايهم صادف موقف ابراهيم عليه السلام أو المماراة في الشهور حسب ما كانت عليه العرب من النسيء .

كانوا ربما جعلوا الحج في غير ذي الحجة ، وتقف طائفة بعرفة وطائفة بالمزدلفة ويتجادلون في الصواب من ذلك . أو أن تدعي طائفة ان حجها أبر من حج غيرها . وشرع الله سبحانه وتعالى الحج الى بيته الحرام دعوة الى الموحدين في آفاق الارض . والمؤمنين بالله ورسوله في أقطار الدنيا يحققون بها في موقف الحج الاكبر الوحدة الانسانية . ويؤلفون العصبة المبعوثة الى الله من الامة المحمدية ويعملون على تجديد شباب الاسلام لاحياء موات الايمان ، ولم الشعث وجمع الشتات ، وبعث رواكد الهمم ، والقضاء على عوامل الفرقة ، وتمكين أواصر المحبة والانتفاع بالجهود الانسانية في شئون الدنيا والآخرة .

هذا الاجتماع الاكبر الذي فرضه الله على الناس يستجيب المسلمون اليه استجابة للعقيدة الاسلامية المستقرة في قلوبهم المسيطرة على عقولهم الجارية فيهم مجرى الدماء يشهدون في هذه المشاعر والمواقف مجد الاسلام وعزته وسمو الدين وسماحته ، وجلال الامان وقدسيته ، ويذكرون عندها القائد الاعظم والابطال السابقين من جند الله الذين جنح الوادي بتلبيتهم من الزمن السحيق لبيك اللهم لبيك ، هذه الخلائق المجموعة لميقات الله والامم المحشودة في حرم الله .

وفيها العالم والطبيب والصانع ورجل السياسة والاقتصاد والاداب والفنون انما حشدها الله وجمعها من أقطار المشرق والمغرب لتعظم شعائره في حرمه الآمن وحول بيته العتيق ولتنظر في الامة الاسلامية .

وتعمل على توحيد جهود الافراد والجماعات ، وتعالج بما وهبها الله من علم

وحكمة ومن ورأى امراض المجتمع وتوضح السبل والمسالك لسير القافلة الاسلامية موفورة الحرية ، محفوظة الكرامة سليمة العقيدة والخلق ، ولهذا شرع الله ذلك الاجتماع المشهود ومن اجل هذا يجب أن تصدر عنه الدعوة الصادقة الى الله ورسوله ، والتوجيه الصالح لهذه الامة الشاردة التائهة في مجاهل الحياة لا تعقل لها معقدا ولا تعرف وحدة ولا تحرص على خلق .

ويجب ان يعود كل الى وطنه يبين ما رأى ، وينشر ما سمع فذلك ادعى الى أن تتلاقى نظرة المسلمين الى مصالحهم في بقاع الارض ، وتتحد آراؤهم في مشاكلهم المذهبية والوطنية والجغرافية ، وتتضافر جهودهم لتحقيق الوحدة الشاملة والاستقلال المنشود في كل ما يتصل بشؤون الدنيا والآخرة .

يجب أن تنصرف هذه الوفود الى شعوبها واممها لتكون مشاعل هداية ، ورسل اصلاح ، قادة الى الخير دعاة الى المعرفة والمحبة والحق والعدل .

وضيوف الرحمن في كل عام مئات الألوف من المسلمين في مشارق الارض ومغاربها هؤلاء جميعا يجب ان يكونوا الدعامة القوية في البناء الاسلامي والخلية الحية في الجسم الاسلامي ، وحملة اللواء للجيش الاسلامي ، ولكنهم يرجعون كما يذهبون قلوبهم شتى وبأسهم بينهم شديد .

فأي أمل يعلقه المصلحون المخلصون من المسلمين الى الله ورسوله على بعث هذه الأمة الاسلامية من جديد ، وقد استحال عليهم في موقف الحج ان يستبدلوا القطيعة الضاربة أطنابها بين المسلمين بالقربى من الرحم في الدين والوطن والجهالة المتفشية في المسلمين بالمعرفة الحقة والادراك الصحيح لشؤون الدنيا والآخرة والذلة المخيمة على المسلمين بالعزة الواجبة لله ورسوله والمؤمنين .

أي امل يعلقه المصلحون المخلصون على استرجاع هذه الامة الاسلامية لسالف المجد وسابق العهد ، وهذا الجمع المحشود في موقف الحج لا يزيل فوارق الاجناس واللغات والمذاهب ولا يطلق الروح الانسانية من عقال الاوهام ولا يخلص النفوس الاسلامية من أسر الشهوات ، ولا يشرح الصدور الاسلامية بحقائق الدين ، ولا يطهر القلوب الاسلامية من ادران النفاق ، ولا يغذي الفطرة الاسلامية بالسياحة والبذل والحق والعدل والهدى والرشاد .

أي أمل يعلقه المصلحون المخلصون على رفع الامة الاسلامية من ذلك الحضيض الاوهد والخروج بها من هذه الظلمات المتراكمة الى النور والحياة .

والوافدون على الله في كل عام لا يحققون مشروعية الحج ، لقد ابوا الانتفاع بحكمته فنزع الله المهابة منهم ، وقذف في قلوبهم الوهن ، وقطعهم في الارض أمما ، قل فيهم الصالحون وكثر المارقون فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

والاسلام دعا الى الجماعة في كل صلاة ، والجماعة في كل جمعة ، والجماعة في العيدين ، ثم دعا الى الاجتماع في موقف الحج ، هذه الدعوة الى الصلوات الجامعة والمواقف الجامعة اراد الاسلام بها تحقيق الوحدة الشاملة والمودة الخالصة

وتنمية العاطفة الاجتماعية وتقوية الغريزة الاصلاحية في نفوس المسلمين .

اراد الاسلام أيضا بهذه الجماعات والاجتماعات أن تكون السبل الواحدة التي يسلكها المسلمون ، فاذا هم قد تعاونوا وتآلفوا وتناصروا وتآزروا على اختلاف الالوان والمشارب وتباين الاجناس والطبائع وتنائي الديار والاقطار .

ولكن المسلمين أجابوا داعي الله في صلواتهم الجامعة ، ومواقفهم الحاشدة اجابة آلية آمنت بها ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، تعبت فيها اجسامهم ولم تسم بها أرواحهم انهم ينصرفون من هذه الجماعات والاجتماعات ، وفيهم العالم الذي يكتم علمه أو لا يعمل به .

والحاكم الذي انحرف عن العدل واقر الظلم والبغي ، والوالي الذي ثقل عليه الحق فلم يجهر به وخف عليه الباطل فدعا اليه وانقذه ، والقوي الذي يستذل بقوته الضعفاء والغني الذي يشح بماله على الفقراء ، والمعلم الذي عهد اليه بالنشء فلم يف بعهده ، والرجل الذي يؤتمن على الودائع فيخون الأمانات ، والزوج الذي يستغل مال زوجته او جمالها في غير طاعة الله والمرأة الغادرة التي تخون زوجها في ماله ونفسها انهم ينصرفون من هذه الجماعات الخ .. وفيهم الولد العاق والفتاة الجامحة ، وفيهم الذي يشعل نار الفتن ويفرق شمل الجماعات ويقطع أوصال الارحام ويجاهر الله بالعدوان .. يشهد هذه الصلوات الجامعة وتقف هذه المواقف الحاشدة ، هذه الطوائف الباغية الماكرة لم ينفعها ايمانها ، وقصرت بها طاعتها عن الوصول الى الله والنفاذ الى نفع الناس وذلك شأن الايمان الناقص وشأن الطاعة الزائفة ، ثم يحسب المسلمون بعد هذا كله أنهم قد أرضوا ربهم . وصدقوا برسولهم وعملوا بما في كتابهم ، وتأدبوا بآداب شرعهم ، كلا والله ولو نجحوا في ذلك وأفادوا منه لعم سلطانهم الأرض ، وفاض هديهم على المشرق والمغرب ودانت لهم امم الكفر وانار الله بهم ظلمات الضلال ، ونشر الله بهم الامن والسلام في العالمين .

فعلى هذا الجمع العمل على النجاة من هذا الطوفان المغرق في الشهوات والموبقات والخلاص من هذا الاسر المهلك بقهر النفس ونبذ عبادة الهوى ، وارغام انف الشيطان . وطاعة الولاة الناصحين واجبة والاسترشاد برشد العلماء العاملين والانتفاع بجهود أصحاب المواهب المخلصين ، فان ذلك ما يجمع القلوب على الهدى ويوحد الالسنة والايدي والعقول للخروج بالأمة المحمدية من هذا المأزق ، ورفعها الى الذروة وتمكينها من اسباب النجاح والفلاح وتحقيق العزة لها بين شعوب الدنيا وفي ذلك نصر الله : (**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد/ ٧ .

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله ، قال : لله وكتابه ، ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم عن تميم والبخاري عن ثوبان مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقفة تأمل

عاقبة الظلم

○ الظلم سبب كاف لهلاك قوم بأكملهم .. ولقد قص علينا القرآن الكريم خبر قوم اخرجهم ظلمهم من جنات وعيون ، ونعيم ومقام كريم .. ثم كان مصيرهم الغرق ليكونوا عبرة وعظة لمن يجيئون بعدهم .

○ القوم هم قوم فرعون .. تحدوا نبي الله موسى .. وقد ناداه الله ان يذهب الى القوم الظالمين .. قال تعالى : (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون) .

○ وتجبر فرعون وقومه ، ونشروا الفساد والظلم وتحدوا رسالة السماء ، ورسول الله اليهم ، فكانت العاقبة : (فأخرجناهم من جنات وعيون.وكنوز ومقام كريم) بسبب ظلمهم .. كان ما هم فيه من نعيم ميراثا للقوم الذين ساروا في ركاب المرسلين : (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) .

○ ويسدل الستار على نجاة موسى وقومه ، وغرق فرعون وقومه .. قال تعالى : (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين) .

○ ومع ذلك ـ وكما هو شأن اليهود دائما ـ تمردوا على نبيهم ، وكفروا بعد ايمان ، وعبدوا العجل ، فانزل الله بهم من البلاء والعذاب ما لم ينزله بغيرهم ، وان ربك لهو العزيز القادر على الانتقام من اعدائه ، الرحيم الذي يشمل اولياءه بواسع رحمته وفضله .

○ وهكذا تكون عاقبة الظالمين دائما في كل العصور والأزمان ـ فما بالنا لا نتدبر قصص القرآن لنتجنب اسباب الهلاك .. ولتكتب لنا السلامة ، وليتحقق لنا النصر على الاعداء ؟

○ أليس من الظلم ان يشاهد المسلمون ـ ويسمعون ـ هذا الدمار والتخريب والتقتيل والتشريد الذي يقع على اخوة لنا مسلمين في لبنان ؟ اليس من الظلم ان يقف الفلسطيني واللبناني امام عدو المسلمين الاول اسرائيل .. والعرب والمسلمون يسدون عين الشمس وكأن الأمر لا يعنيهم !!

○ بل نقول ان ظلمنا هنا وهناك على امتداد الساحة الاسلامية يقع على الافراد بل على شعب بكامله من حكومته « الوطنية » ، « التقدمية » « الثورية » .. فماذا نتوقع من نتائج ؟!

○ يقول رسولنا صلى الله عليهوسلم : «ما من مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» .

○ فالبدار البدار يا زعماء المسلمين الى نصرة المظلومين .. والوقوف في خندق المجاهدين والدفاع عن الدين ، والعرض ، والوطن ، والشرف ، والكرامة ، فوجودنا مهدد ، ومسئوليتكم امام الله عظيمة . ودعاؤنا ان يحقق الله عز الاسلام على ايديكم .. ويبدل هواننا على الناس عزا ومجدا ، وذلنا شرفا ورفعة ..
اللهم آمين



للاستاذ / سعد صادق محمد

أمل ابراهيم في اقامة القواعد من البيت :

يعود تاريخ حج بيت الله الحرام الى أيام ابراهيم عليه السلام ، حين هاجر ومعه ابنه اسماعيل من العراق هربا من النمروز ، طاغية العراق ، وحط رحاله في مكة بإذن الله ليقيم القواعد من البيت الحرام هو وابنه اسماعيل .

كان أمل ابراهيم الخليل حين قال : (**إني ذاهب الى ربي سيهدين**)الصا فات / ٩٩ وهاجر الى واد غير ذي زرع تحوطه جبال ووهاد وكثبان .. كان يأمل ان تنشأ أمة ـ كما أراد الله ـ في هذا المكان القفر ، تكفر بكل ارباب الأرض ، وتخلص العبودية لله وحده لا شريك له ، ولا تخضع لسواه :(**واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيني للطائفين والعاكفين والركع السجود**)الحج / ٢٦

وبعد ان وصل ابراهيم بزوجته هاجر ووحيده اسماعيل الى مهاجرهم الكريم ، قال يؤكد ما اراده الله من اقامة البيت ، وهو عبادة الله وحده ،

وتعمير الأرض ، قال :(**ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**)ابراهيم / ٣٧

○ رسول من امة العرب :

ولقد كانت اقامة البيت الحرام في مكة .. وكانت الدعوات الطيبة التي هتف بها ابراهيم الى ربه - وهو يضع اللبنات الكريمة في أكرم بناء - لتنشأ امة حول البيت ، هو ان يخرج منها رسول يتلو عليهم الكتاب ، ويعلمهم ويزكيهم ، وهذا ما تحكيه الآية الكريمة : (**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**)البقرة / ١٢٧ - ١٢٩

واستجاب الله لدعاء ابراهيم الخليل ، فقامت امة العرب من حول البيت ، واصطفى الله منها قريشا ، واصطفى من خيار بطونها وعشائرها محمداً صلى الله عليه وسلم .

○ ارتباط بين الرسالات :

ونلاحظ وجود ارتباط بين رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالة ابراهيم عليه السلام ، فقد جذب الحنين رسول الله الى مكة التي بها بيت الله (الكعبة) ، وأخذ يقلب وجهه تجاه المشرق (بيت الله الحرام) حنينا وتشوقا الى مسقط رأسه ، وموطن الكعبة ، ومنزل ابراهيم الخليل ، وقد قص علينا القرآن قصة حنين النبي الى البيت الحرام بقول الله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) البقرة / ١٤٤

وحين جاء الرسول الأمر حول الرسول قبلته في الصلاة من بيت المقدس الى البيت الحرام . وهنا نجد الحقد اليهودي يتحرك لاثارة الفتنة - كعادتهم في كل زمان ومكان - فعندما حدث التحويل خاضوا في الأمر ، قائلين ان هذا التحويل هزة في رسالة النبي ، ودليل على عدم استقرارها ، وقالوا كما يحكى عنهم القرآن :(**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**) ؟.. فرد الله على سفاهتهم ، وسوء تفكيرهم بقوله :(**قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**) البقرة / ١٤٢

لم يرض اليهود عن ترابط الرسالتين بهذا التحويل الذي تم قبل فتح مكة ، وكان ترابطا لا بد منه ، فهو ترابط بين أهل الأرض والسماء .. رباط يصل أهل الأرض برب البيت الحرام ، لتتجه قلوبهم .. ومشاعرهم .. وأفكارهم .. ومقاصدهم نحو هذا البيت الذي جعله الله مثابة للناس وامنا ، وليعود الحفيد محمد صلى الله عليه وسلم ـ الذي نزلت عليه الرسالة الخاتمة ـ بأمته العربية الى الجد ابراهيم الخليل عليه السلام صاحب الرسالة الاولى . وجدير بالذكر ، انه حدث ارتباط سابق بين الرسالات السماوية ، وبين السماء .. بين رب البيت الحرام ، وذلك حين اسرى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، من مكة .. الى المسجد الاقصى حيث يوجد بيت المقدس ، ثم عرج به الى السماء ، فأراد الله ان يبين للناس بهذا الترابط ، ان مهابط الوحي كلها : مهبط الوحي الأول الذي تلقاه ابراهيم واسماعيل ، ومهابط الوحي الثاني الذي تلقاه موسى وعيسى ، ومهبط الوحي الثالث الذي تلقاه محمد لتكملة الرسالات السماوية السابقة عليه .. أراد الله ان يبين ان هذه المهابط جميعها مهابط لرسالة واحدة ، في أصولها ، وعقيدتها ، وغاياتها ، ودعوتها ، وإن اختلفت ازمنتها ، وتعددت رسلها .

اذن ، فالترابط الذي حدث بتحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس الى البيت الحرام ، هو تأكيد للترابط السابق الذي حدث بين مهابط الوحي .

○ ذكريات المسلم في مناسك الحج :

وعندما يخرج الحجاج قاصدين الأراضي المقدسة لاداء فريضة الحج ، سيذكرون قول الله لخليله ابراهيم عليه السلام :(**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**)الحج / ٢٧ ـ ٢٩

ولهذا يرددون ـ وهم متوجهون الى هذه البقاع المقدسة ـ ما علمه لهم رسول الله : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »

وسيذكرون ـ وهم متوجهون الى البقاع المقدسة ـ انهم ذاهبون الى البلد الأمين ، الذي خلع الله عليه الأمن والطمأنينة ، استجابة لدعوة ابيهم ابراهيم ، واعلى شأنه ، وعظم قدره ، وذلك حين اقسم به ضمن منازل الوحي ، حيث قال (**والتين والزيتون . وطور سنين . وهذا البلد الأمين**)التين / ١ ـ ٣

وسيذكرون ان هذا البلد الذي يقصدونه ، هي أم القرى التي خرج من

شعابها وجبالها شعاع الايمان ، ونور الهدى ، وصوت الحق والتوحيد ، فكان ذلك ايذانا بذهاب عهد الشرك والباطل والوثنية ، وايذانا بمجيء عهد الاسلام والتوحيد ، فعاد به الانسان الى كرامته وشخصيته ومكانته ، وذلك حين نزل القرآن على نبيه محمد ، فأنقذ البشرية مما كانت تعانيه من الاستعباد والظلم والقهر والضياع ، :(**وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها**) الشورى / ٧

وسيذكرون ان هذه البلدة ، هي بلد السلف الصالح ، والرعيل الاول من المؤمنين الذين آمنوا بالله ، وبالدعوة المحمدية ، وواجهوا – حين اعلنوا ايمانهم واسلامهم – اقسى ما واجهته البشرية من عذاب واضطهاد وآلام في تلك العهود .. وان أبناء هذه البلدة باعوا انفسهم ، وتركوا اموالهم في سبيل الله ، وهاجروا من مكة الى المدينة مستعذبين آلام فراق الأهل والولد وكل شيء في الحياة في سبيل الهجرة الى الله ، ونصرة دينه .. وان هذا البلد ظل ابناؤه اوفياء له ، وظلوا محتفظين له بالوفاء والحب والتقدير ، رغم ما أصابهم من محن التشريد والاغتراب .. وانه عندما تيسر لهم طريق العودة اليه ، وفتحت لهم أبوابه ، دخلوا فاتحين منتصرين ، حيث يقول الله :(**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا على ربهم يتوكلون**)النحل / ٤١ و ٤٢ .

هذه الذكريات ستحضرهم وهم على أبواب مكة ، وحينئذ يشعرون انهم على صلة روحية بآثار ومكان أسلافهم الأوائل ، وهنا تأخذهم روعة الذكريات الى ماض عريق عزيز مجيد ، فتوحي اليهم هذه الذكريات العزيزة بالتجرد من مظاهر الدنيا وزخارفها ، ويخلعون انفسهم مما عرفته الدنيا من طبقات وتفاوت ومراكز ، ويعودون الى ربهم ، ويدخلون في وحدة العقيدة ، ووحدة المظهر ، فيظللهم شعور واحد ، وايمان واحد ، بأنهم جميعا أمام ربهم الواحد الذي يعاملهم هنا سواسية كأسنان المشط ، فما زالوا يهتفون ملبين تنفيذا لأمر الله وشرعه : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » .

وفي هذا المكان – البيت الحرام – تتلاشى ايضا الحواجز التي بينهم من فقر وغنى ، وقوة وضعف ، فيطوفون . متذكرين قول الله : (**وليطوفوا بالبيت العتيق**)وتحضرهم الذكريات حين يندفعون الى الصفا والمروة تنفيذا لأمر الله : (**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم**) البقرة / ١٥٨

وهنا – بين الصفا والمروة – يتذكرون هاجر زوج الخليل ابراهيم عليه السلام ، حين كانت تهرول وتجري هنا وهناك بحثا في هذا المكان عن ماء

تروي به عطش ابنها اسماعيل ، ثم نبع ماء زمزم ، فسقته ، ورطبت كبده وكبدها ، ونبع الخير هناك ، واتصل بهم الناس وعمروا المكان .

وسيذكرون وهم في عرفات ، ان الرسول وقف هنا في هذا المكان ، ودعا الله بما شاء ان يدعوه به ، فيقفون بين الجبال والاحجار والوديان .. وتحت السماء الصافية ، بقلوب مملوءة بالخشية ، ووجوه شاخصة بالضراعة ، وايد مرفوعة بالرجاء والسنة مشغولة بالدعاء ، وآمال صادقة في رب رحمن رحيم .

وسيذكرون حين يندفعون الى عرفات لرمى الحجار في العقبات الثلاث .. سيذكرون قصة الشيطان ، وهو يوسوس لابراهيم ، ويبعده عن الخضوع لأمر الله بذبح ابنه ، ويوسوس لابنه اسماعيل ليعصى امر الله بذبحه ، وكان ذلك بعد ان أطاع كل من ابراهيم واسماعيل امرربه في الذبح ، واستعدا لتنفيذ المشيئة الالهية ، يقول الله في هذا : (**فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين. وناديناه أن ياإبراهيم.قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم**) الصافات / ١٠٢ ـ ١٠٧ ، سيذكر الحجاج هذا الموقف العظيم من ابراهيم الخليل ، وابنه اسماعيل ، وهمايرجمان ابليس اللعين ، ويطاردانه من ساحتهما ليبتعد عنهما بوسوسته واغوائه ، فيعلنون تصميمهم على نبذ عوامل الشر ، ونزعات النفس والهوى ، حين تأتى لهم من وسوسة الشيطان واغرائه واغوائه ، فينغص عليهم حياتهم ، ويروع امنهم .

وسيذكرون ايضا وهم في ميدان الرمى ، نبأ التبليغ الالهي ، الذي قام به على رضى الله عنه ، نائبا عن الرسول ، وأبو بكر على رأس حجيج المسلمين لأول مرة بعد الفتح الأكبر « فتح مكة » ذلكم التبليغ الذي أعلنت به كلمة الاسلام النهائية ، والذي وضع حدا لعلاقة المشركين بالبيت الحرام ، وسجلته سورة براءة أو التوبة يقول الله تعالى : (**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله**) التوبة / ١ ـ ٣

هذا هو بيت الله الحرام « الكعبة » .. وهذه هي المعانى الحقيقية لمناسك الحج تحدثنا عنها ، ليتذكرها ويعيها كل من يريد ان ينعم بآثارها الطيبة ، ويتزود بمنافعها وثمارها ، ويعود منها منشرح الصدر ، هادىء البال ، قرير العين ، مطمئن القلب ، حائزا لرضا الله ، حاملا معه خير زاد : (**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب**) البقرة / ١٩٧



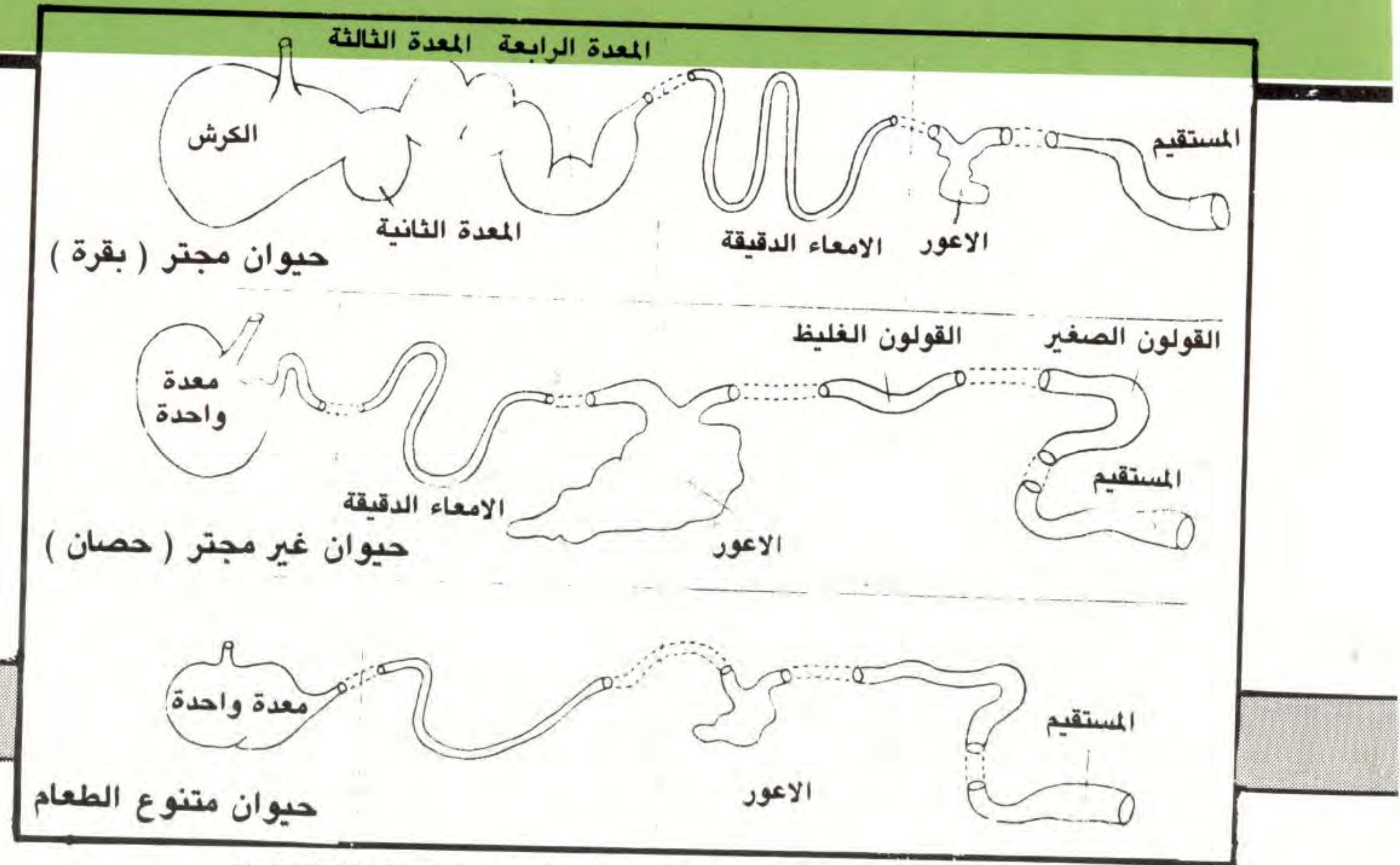
«مِن بَينِ فَرثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا

للدكتور / عبد المحسن صالح

وقفت طويلا ، وتأملت كثيرا في معاني آية من آيات القرآن الكريم هي قوله تعالى : (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**) النحل/ ٦٦ ، وهي الآية الوحيدة في القرآن التي تعرضت للفظة اللبن ، بجوار آية اخرى ذكرت لبن الجنة : (**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين**) محمد/ ١٥ .

وقد رجعنا الى بعض التفسيرات التي تناولت الآية بالشرح والتحليل ، لنستأنس بها ، فأعطتنا معاني جديدة تتوافق مع ما نعرفه من طبيعة الفرث الذي نسب الى الأنعام ، لكننا لم نحظ من هذه التفاسير الا بالقليل ، ففي تفسير الأنعام يجيء انها الابل والغنم والبقر ، وفي تفسير الفرث تذكر تلك المراجع انه « الأشياء التي اكلها الحيوان وانهضمت في معدته بعض الانهضام » .. وفي تفسير آخر « هو ما يحتويه الكرش » ، وهي - على أية حال - تفسير لمعنى الفاظ ، دون ان تشير الى لب الحقيقة التي خصتها لتجعل لنا فيها عبرة .

لكن لا بد ان نستدرك ونقول : ان الذي عولنا على تقديمه في هذه الدراسة عن معنى العبرة التي يمكن ان نستقيها من ربط الأنعام بالفرث والدم واللبن ، ليس الا اجتهادا منا ، فان كنا قد اصبنا ، فهذا توفيق من الله : (**الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**) الاعراف/ ٤٣ ، وان اخطأنا ، أو جانبنا الصواب ، فان الله غفور رحيم .



شكل توضيحي للجهاز الهضمي لثلاث حيوانات مختلفة لاحظ ان الحيوان المجتر له اربع معدات تبدأ بالكرش وتنتهي بالمعدة الرابعة والحصان حيوان غير مجتر ويعيش أيضاً على العشب لكنه بمعدة واحدة ، وفي اسفل الصورة الجهاز الهضمي لحيوانات متنوعة الطعام .. وكل جاء لما هو ميسر له .

بين حقيقتين معروفتين

فواضح من الآية الكريمة ، ومن التفاسير المتاحة لالفاظها أن الانعام عموما هي الحيوانات المجترة ، اي التي تأكل العشب او الكلأ على عجل ، ثم تحتفظ به في كروشها ، وتعيد مضغه بعد ذلك بتأن واضح في عملية يطلق عليها اسم الاجترار ، والعشب أو الحشائش المجترة هي التي تعرف باسم الفرث الذي ينتقل بعد ذلك من كرش الحيوان الى معدته الثانية والثالثة والرابعة ، ومنها الى الامعاء ، حيث يتم امتصاص نواتج الطعام المهضوم .

ورغم ان هناك حيوانات اخرى كالحمير والخيل مثلا ، تعيش على العشب ، الا ان احدا لا يستسيغ البانها ، انما اللبن المستساغ حقا هو ما نحصل عليه من الحيوانات المجترة كالماعز والاغنام والابل والغزلان والبقر والجاموس ، اي ان هناك علاقة واضحة بين لبن مستساغ مصدره فرث ، ولبن غير مستساغ ، لا فرث له ، ولا يهم بعد ذلك مصادر الطعام التي تحصل عليها الحيوانات الآكلة للعشب ، انما المهم هو الفرث الذي جاء من اجترار العشب ، ليتحول الى لحوم ودهون والبان يختلف طعمها ، واحيانا لونها ، باختلاف نوع

الحيوان .

هذه واحدة ـ أما المسألة الثانية التي نود توضيحها ، قبل ان نتعرض لاساسيات الموضوع الذي اشارت اليه الآية ، هي اختلاف التكوين العضوي او التشريحي للجهاز الهضمي بين الحيوانات الآكلة العشب ، وبين غيرها من حيوانات تعيش على مصادر متنوعة من الطعام ، وعلى رأسها الانسان بطبيعة الحال ، او هي ما نعرفه باسم الحيوانات الثديية ، او المنتجة للبن ، لكن المسألة الاهم انك لو فحصت الجهاز الهضمي للحيوانات التي تعيش على الرعي ، لوجدت اختلافاً كبيرا بين الحيوانات المجترة وغير المجترة ، فالبقرة هنا غير الحمار ، بمعنى ان البقرة لها اربع معدات « بما في ذلك الكرش » وللحصان او الحمار معدة واحدة (انظر الشكل للتوضيح) ، ويعني ذلك عموما ان الجهاز الهضمي المناسب ، قد جاء للطعام المناسب ، لينتج اللبن المناسب ، اي ان كل شيء قد قدر من البداية بحكمة بالغة تدعو للعبرة والتأمل .

لكن العبرة الواضحة تكمن في الفرث ذاته ، وما يتمخض عنه من مركبات حيوية لا نكاد نحصيها عدا ، ان لبن انثى الانسان مثلا مشتق من اطعمة مختلفة نعرفها تمام المعرفة ، لكن لبن انثى حيوانات المرعى مشتق من اعشاب ، وقد تكون هذه الأعشاب جافة في مواسم خاصة ، ومع ذلك تعطي ، (**لبنا خالصا سائغا للشاربين**) والفرق ـ كما ترى ـ واضح بين غذاء للانسان فيه تنويع كثير ، وبين عشب للأنعام هو بالنسبة لنا لا يسمن ولا يغني من جوع ، فلا أحد مثلا يستطيع ان يعيش على ما تعيش عليه حيوانات المرعى ، والا كان مآله الضعف والهزال والموت ، ومع ذلك ، فكل مخلوق قد جاء لما هو ميسر له ، او ان ما نحسبه نحن بمعاييرنا عسرا ، هو بالنسبة لغيرنا يسر ، ولهذا العسر في الأعشاب يسر للأنعام ، وله عوامل تشرف عليه ، وتضيف اليه ، فيتحول الزرع الى ضرع .

عملية الهضم في فرث الأنعام

ونحن بطبيعة الحال نأكل الخضراوات طازجة او مطهية ، لكننا لا نستفيد من مكوناتها الا بأقل القليل ، لأن بروتيناتها ودهونها وسكرياتها ونشوياتها جد قليلة ، لكنها مع ذلك تحوي بعض العناصر والفيتامينات الهامة ، الا ان اكثر ما تحتويه الخضراوات والفواكه هي مواد سليلوزية واشباه سليلوزية ، وهذه تمر في امعائنا دون هضم يذكر ، وتخرج مطحونة في الفضلات ، وسبب ذلك اننا لا نمتلك في جهازنا الهضمي الخمائر أو الانزيمات التي تهضم السليلوز ، وتحوله الى سكريات واحماض عضوية لها في حياتنا شأن يذكر ، لكن الانعام تستطيع ذلك ، بل واكثر من ذلك ، وهي لا تهضم السليلوز بذاتها ، فليست لها

عصارات او خمائر لتقوم بهذا العمل ، لكنها « تستعير » خمائر غيرها ، لتجري على الألياف النباتية عمليات هضم واذابة ، فيتحول السليلوز الى جزيئات سكرية كبيرة ، ثم تُشطر الى ما هو اصغر واصغر ، الى ان تتحول الى جزيئات بسيطة يمكن امتصاصها ، والاستفادة بها في كثير من عملياتها الحيوية .. هذه الجزيئات تتمثل في السكريات والاحماض العضوية .

لكن .. ماذا نقصد حقا بقولنا ان حيوانات المرعى تستعير خمائر غيرها ؟... وهل يعني ذلك انها تستعين بكائنات اخرى ؟ .. وما هي طبيعتها ؟.. ولماذا لا نراها ؟

الواقع ان الفرث يحتوي على جيوش من كائنات دقيقة غير منظورة ، ولهذه الكائنات انواع كثيرة جدا ، وهي التي تقوم اساسا بعملية الهضم والاذابة ، ولكي يتيسر لها عملها ، فعلى الحيوان المجتر ان يقطع لها الانسجة النباتية اربا اربا ، او يطحنها في فمه طحنا ، لتتحول الى عجينة ذات الياف مشتتة ، وكلما طحن جرعة ، أعادها الى كرشه ، ودفع الى فمه جرعة اخرى ، وهكذا تستمر تلك العملية ـ على ما رعى الحيوان ـ لساعات طويلة ، وهو في اجتراره لطعامه لا يهضم ، بل يقطع الألياف ، ليسهل على جيوش الميكروبات عملها ، اذ كلما كان القطع والطحن اكفأ ، كان عمل الميكروبات في الهضم اتقن ، والفائدة في الفرث اعظم .

وليس لهذه العملية التي تقوم بها الأنعام مثيل في اي حيوان آخر ، وربما كانت العبرة تكمن هنا ، لكن العبرة او الحكمة الكبرى تكمن بعد ذلك فيما حققته العلوم التجريبية ، او ما كشفته من اسرار تستحق ان تقدم في هذه الدراسة ، ليعلم من لا يعلم كيف دبرت الامور وقدرت ، لتستفيد بها الأنعام فائدة لا يجاريها فيها اي حيوان آخر .

بين فرث ومعامل

ولقد تساءل العلماء بدهشة : كيف تعيش هذه الحيوانات على الاعشاب ، وتستفيد بها بكفاءة تامة في حياتها ، دون ان تظهر عليها اعراض سوء التغذية ، كما يحدث مثلا للانسان الفقير في الطعام ؟

والتساؤل ـ في حد ذاته ـ بداية هامة في الكشف عن اسرار الكون والحياة ، لكن لا يكفي ان تسأل وتتعجب وتسكت ، بل لا بد من وضع تساؤلاتك في إطار التجربة العلمية ، لأنها هي التي تميز الغث من السمين ، ولقد أجرى العلماء مئات وآلاف البحوث عن مكونات هذا الفرث .. بعضها يتناول مركباته الكيميائية ، وبعضها الاخر ينصب على اكتشاف مكوناته الميكروبية ، ولقد حاول العلماء محاولات كثيرة وشاقة ، ليعزلوا ميكروبات الفرث واحدا واحدا ، ليدرسوا كل نوع منها على حدة ، علهم يرسمون للعملية صورة متكاملة ، ورغم انهم قدموا

لهذه الميكروبات بيئات غذائية غنية ، وتماثل الى حد بعيد بيئتها في الفرث ، الا انها اظهرت عنادا شديدا ، وكأنما أي شيء آخر لا يرقى الى ما ترقى اليه بيئة كرش الحيوان ، لكن الميكروبات اظهرت بعض الاستجابة ، عندما امدوا بيئاتها الغذائية الصناعية بجزء من محتويات الفرث المعقمة « اي الخالية من الميكروبات » .. المهم ان العلماء قد تعلموا الكثير ، وادركوا ان الفرث يحتوي على عشرات ، بل مئات الانواع من الكائنات الدقيقة ، وكان اهمها البكتيريا ، يليها الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، وبعض انواع فطر الخميرة .

ان الأمر يبدو وكأنما الحياة الدقيقة في الفرث ، اشبه بغابة متوازنة بنباتها وحيوانها وطيرها وزواحفها وحشراتها ، وان ما فيها يعيش على ما فيها ، وكأنما قدرت ارزاقها تقديرا ، لكن دراسة بيئة الغابة ميسرة ، في حين ان دراسة بيئة الفرث تنطوي على متاهات كثيرة ومعقدة ومتشابكة ، والحق انها اعيت العلماء حتى يومنا هذا .. فربما يعيش ميكروب على ما ينتجه في الفرث ميكروب آخر ، ثم يليه آخر وآخر ، وعشرات ، بل مئات .. فنحن في الواقع امام حياة غير منظورة ، وانتاج كيميائي غير منظور ، ودفع غير منظور ، وهذا وغيره يحتاج الى تحليلات كيميائية ، ومزارع ميكروبية ، وعقول ذكية لتخطط وتجرب وتجمع وتستنتج ، ونحن هنا لا نبالغ ، لأن لكل نوع من هذه الميكروبات بروجرامه الوراثي ، وبهذا البروجرام يحيل المادة الخام الى مادة حياة ، وهذه وحدها تنطوي على مئات العمليات الكيميائية التي تسير في سلسلة من الخطوات المنظمة اعظم تنظيم : واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

لكن الفرث لا يحتوي على نوع واحد من الميكروبات ، بل هناك عشرات او مئات ؛ وكل نوع يقوم بمئات العمليات او التفاعلات الكيميائية ، وحصيلة كل هذا معمعة كيميائية مفعمة بالاسرار ، وكانما ليس لها من نهاية او قرار وطبيعي اننا لا نستطيع ان نتعرض هنا لمثل هذه الأحداث التي تجري في الخفاء ، والتي كشف العلماء عن بعض اسرارها الحجاب ، لكن كل ميكروب - والحق يقال - بمثابة معمل كيميائي دقيق غاية الدقة ، ومع ذلك فهو يجري من العمليات الكيميائية ما هو اكثر كما ونوعا وسرعة ودقة مما يجري في اي معمل كيميائي متقدم من صنع الانسان .

فكرة الفرث سبقت افكارنا

لكن ... ماذا يعني كل هذا بالنسبة للانعام عامة ، والألبان خاصة ؟

يعني - في الواقع - الكثير ، ولكي نلم بعناصر الموضوع ، كان من الأوفق ان نشير اولا الى تلك البحوث التي يجريها العلماء ، لكي ينتجوا البروتينات من تربية او زراعة الميكروبات في مستودعات او احواض

كبيرة مجهزة ببيئات غذائية مناسبة ، فالمعروف ان هذه الكائنات تتكاثر بسرعة رهيبة طالما هي تحصل على غذائها باستمرار ، فالميكروب يتكاثر كل ٤٠ او ٣٠ دقيقة ، اوحتى كل ربع ساعة ، ويعني هذا ان الميكروب - في المتوسط - يعطي فردين بعد نصف ساعة ، واربعة بعد ساعة ، وثمانية بعد ساعة ونصف ... وهكذا يسير في متوالية عددية مضاعفة ، ليصبح في غضون يوم واحد بلايين فوق بلايين من الكائنات ، ولو استمرت هذه العملية ليومين اثنين بذلك المعدل ، لنتج لدينا بلايين فوق بلايين من اطنان المحصول الميكروبي ، لكن ذلك لا يحدث ، لأن هناك عوامل تحد من استمرار التكاثر بهذه السرعة ، ومع ذلك ، فلو ان الانسان قد نجح في السيطرة على هذه العملية ، فانها تمده بفيض هائل من البروتين الميكروبي الذي يصلح علفا للحيوان ، ان لم يكن غذاء للانسان ،، خاصة في عالم تنقصه الموارد البروتينية اللازمة لامداد مئات الملايين من الافواه الجائعة .

وطبيعي ان هذه المزارع الميكروبية تحتاج لصناعات ضخمة ، وصيانة مستمرة ، وموارد غذائية دائمة ، ومعامل للتحليل ، وعمالة للاشراف والتجهيز ، وطاقات للاستهلاك ... الى آخر هذه القائمة من التجهيزات اللازمة لأي مشروع كبير ، لكن هذه المشروعات لم يكتب لها النجاح المطلوب ، رغم البحوث الكثيرة التي اجريت في هذا المجال .

لكن الانعام قد حققت هذا الهدف قبل ان يظهر الانسان ، بعشرات الملايين من السنين ، ودون ان تلجأ الى اقامة المعامل ، واجراء البحوث ، فكروشها هي المعامل الطبيعية التي يجري كل شيء فيها بحساب ومقدار ، والفرث هو البيئة الصالحة تماما لتكاثر الميكروبات بأعداد رهيبة ، فكل شيء مهيأ حقا لهذا التكاثر والتفاعل ، فمن درجة حرارة مناسبة ، وحضانة ملائمة ، وميكروبات متوازنة ؛ وعمليات كيميائية متتابعة ، ونواتج غذائية متكاملة ، الى آخر هذه الامور المقدرة تقديرا مذهلا ، وليس ادل على ذلك من ان العلماء قد فشلوا في تقليدها ، ربما لانهم لم يلموا بكل تفاصيل هذه الاحداث المتداخلة ، ولو وصلوا ، لفعلوا وقلدوا ، لكن الفرث ينطوي على تحديات تحتاج الى كثير من البحوث والانجازات .. وهنا تكمن العبرة التي اشارت اليها الآية الكريمة .

ثم ان الانعام لا تدعي أنها تأكل اطايب الطعام ، لتجود باللحم واللبن المتكامل العناصر ، بل يكفيها عشب ترعاه ، ومن العشب تحصل على الطاقة الميسرة التي تستخدمها الميكروبات اولا ، ثم الأنعام ثانيا .. لأن الحيوان المجتر لا يستطيع ان يهضم المادة الأساسية في الاعشاب (السليلوز) - كما سبق ان ذكرنا ، بل عليه المضغ والتقطيع ، وعلى الميكروبات الهضم والتحليل ، والواقع ان كل مادة غذائية في العشب لها ميكروباتها المتخصصة ، فللسيليلوز

ميكروباته ، ولأشباه السيليلوز ميكروباتها ، وكذلك للنشويات والبروتينات .. الخ ، وكل هذا يتحول الى مواد كيميائية بسيطة وميسرة لتستفيد بها جيوش الميكروبات في بناء مادتها الحية ، وكأنما كرش الحيوان المجتر هنا بمثابة مستودع مثالي للتخمير ، او مزرعة ميكروبية ذات كفاءة عالية ، اذ عندما يصيب هذا المستودع اي الكرش » محتوياته في المعدة الثانية للحيوان ، فإن عدد الميكروبات قد يصل إلى حوالى ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميكروب في السنتيمتر المكعب الواحد ، (قدر سكان العالم بحوالي مرتين ونصف) اي ان محتويات الكرش هنا تضم اعدادا كونية من المحصول الميكروبي ، ومن هذا المحصول يحصل الحيوان على كل مقومات حياته ، اذ عندما تمر هذه المزارع في معدته وامعائه ، تموت منها نسبة كبيرة وتتحلل ، وعندئذ تتخلى له عن مادتها التي وهبتها يوما حياتها ، فيهضمها ويمتصها على هيئة بسيطة ، لتسري بعد ذلك في دمائه ، ثم تبنى في خلاياه . وأنسجته على هيئة بروتينات ودهون وسكريات بسيطة ومعقدة ، ومنها الى أثدائه ، ليصبح لبنا سائغا للشاربين ، وفي اللبن ايضا بروتيناته ودهونه وسكرياته وفيتاميناته .

تأمل له معناه

ثم انك لو تأملت قليلا في هذه العملية ، لأدركت ان حيوان المرعى بمثابة مزرعة ميكروبية كالتي يطمع فيها العلماء ، لكنهم لم يحققوا هدفهم بكفاءة حتى الآن ، ولقد حققها الحيوان ، وبأقل تكاليف ممكنة .. فمادته الخام تكمن في الاعشاب ، وطحنها تتكفل به الأسنان ، ومستودع تخميرها كرش ، وعمالتها ميكروبات متخصصة ومتوازنة ، وفي فرثها منحة غالية لم تكن موجودة اصلا في المادة الخام « اي الاعشاب » والمنحة تتمثل في بعض فيتامينات هامة للحيوان والانسان ، والذي جهز هذه المواد الثمينة ، من خاماتها الرخيصة ، مجموعة محددة من الميكروبات ، ولهذا فان ألبان الأنعام تحتوي عادة على نسبة ثابتة من الفيتامينات ، واهمها مجموعة فيتامين « ب » المركب ، ولا يهم ان اكل الحيوان عشبا خاليا من الفيتامينات ، او يابسا او اخضر ، لأن اساس صناعة هذه المواد الحيوية تكمن في هذه المعامل الحية الدقيقة - اي الميكروبات النشطة في فرثها .

والصعوبة التي تجابه العلماء الآن في بحوثهم التطبيقية هي كيفية جني المحاصيل الميكروبية من مزارعها بطريقة اقتصادية ، واصعب من ذلك ايضا فصل المكونات التي تحتويها الميكروبات ، اذ ان فيها النافع والضار ، فبجوار ما تحتويه من بروتينات وفيتامينات ، فقد تحتوي ايضا على سموم ناقعات ، وتلك مشكلة كبرى وقفت حائلا دون

الاستفادة من المزارع الميكروبية الصناعية - اي التي تتم في احواض او مستودعات كبيرة للتخمير .

لكن الأنعام قد حلت هذا الأمر بطريقة اقتصادية يسيل لها اللعاب ، فكأنما هي تحتضن في فرثها ميكروبات اختيرت لها اختيارا دقيقا ، فلا سموم فيها ، ولا نفايات ضارة ، بل قدر كل شيء تقديرا حسنا من البداية .. اضف الى ذلك ان المحصول الميكروبي ، والمكونات الغذائية التي اطلقتها الميكروبات في الفرث ، تجد لها في الجهاز الهضمي للحيوان ما يفصلها او « يغربلها » الى وحداتها ، فتمتص الامعاء منها المفيد ، وتدفعه الى الدم ، وغير المفيد ينطلق الى الخارج على هيئة فضلات .

والواقع ان عملية فصل وامتصاص المفيد من غير المفيد في امعاء الانسان والحيوان ، ثم دفعه الى الدم ، انما هي عملية معقدة ودقيقة ، فالغذاء المهضوم لا يمر من خلال اغشية خلايا الامعاء بنفس السهولة التي تمر منها المحاليل من خلال ورق الترشيح ، بل على الاغشية بناء ليس كمثله بناء ، والبناء من جزيئات كيميائية مختلفة ، لكنها متآلفة ، وهي هنا بمثابة حرس الحدود الذي يسمح بالدخول للمرغوب فيه ، ولا يسمح لسواه ، وكذلك تكون الاغشية الرقيقة غاية الرقة ، فهي تنتقي الصالح ، وتترك الطالح ، ليخرج كفضلات ، لكن هذا موضوع آخر طويل ومثير ، وقد نتعرض له في دراسة قادمة ، لنوضح بها المعنى المقصود من بين الفرث والدم ، ولنعلم ايضا شيئا عن اتقان الخلق الذي عبرت عنه الآية الكريمة : **(صنع الله الذي اتقن كل شيء)** النمل/٨٨ .

بقيت نقطة اخيرة تشير الى تلك العلاقة الوطيدة بين الانعام ، وبين ما تحوي في فرثها من ميكروبات ، فهذه الحيوانات لا تستطيع ان تعيش على الكلأ او الأعشاب بدون وجود هذه الكائنات ، لأنها بمثابة « الطاهي » الذي يجهز لها « المائدة » في كروشها من خامات بسيطة ، فيحولها الى اصناف من المركبات تدخل في اللحم والشحم واللبن ، ثم ينتقل كل هذا الى موائدنا طعاما شهيا ، ومن وراء ذلك جنود مجهولون يسكنون الفرث ... أضف إلى ذلك ان الميكروبات بدورها وكما سبق ان قدمنا - لا تستطيع ان تعيش بدون حضانة الانعام ، والتجارب الكثيرة التي اجراها العلماء توضح ذلك اعظم توضيح .

ان هذه المشاركة بين انعام وميكروبات تعرف باسم المنفعة المتبادلة ، لأن كليهما يقدم لرفيق حياته ما يحفظ عليه حياته ، وهو ما اشرنا اليه فيما تقدم من صفحات ، وهو ما اشرنا اليه قبل ذلك ايضا في دراسات سابقة على صفحات هذه المجلة ، وتعرضنا فيها لصور متقنة من التعاون بين الكائنات ، لتسير بها الحياة هينة لينة ، ولتدل على المغزي العميق ، والتنظيم الدقيق في كل شيء خلقه الله فقدره تقديرا : **(وكل شيء عنده بمقدار)** الرعد/٨ .

وقفت بالنيل

للأستاذ / كمال الوحيدي

« مهداة الى المسلمين بمناسبة الغزو الروسي لافغانستان »

وقفـت بـالنيـل في حـزن أرددهـا
آهـات وجـد مـن الأعمـاق أزجيـهـا
ونخلـة في ضفـاف النيـل فـارهـة
دقـات قلبـي كبـركـان تنـاجيـهـا
والـدمـع مـن مقلتي الحـرى لـه لـهب
يـدمـي القلـوب التـي جفـت مـآقيـهـا

شكـوت للنخلـة الخضـراء أمتنـا
سيمـت هـوانـا ولم تشـهـد مـواضيها
فـالخصـم يـعبـث في اقـداسنـا بطـرا
يـا للمـهـانـة قـد ضجـت مـلاهيـهـا
هـانت عـلى النـاس لمـا أمعنـت سـرفـا
فـأصبحـت هـدفـا تـغـزي نـواحيـهـا
فـأطـرقـت نخلـة الـوادي تنـاشـدنـي
بـأن اكـف فـان الشكـو يـدميـهـا

قـالـت : الا تبصر السكـرى بـلا سكـر
مثـل السـوائـم تلـهـو في مـراعيـهـا
لـم يعبـأوا بـدمـاء في الـوغـي نـزفت
هبـت الى المجـد إرضـاء لبـاريـهـا

هبت تصون الى الاقصى عروبته
ولم ترم بذليل العيش ترفيها
فخانها من تهاووا في ضلالتهم
صما ولم يقبلوا هديا وتوجيها

أين الشهامة أين القدس موطننا
أين الكرامة هل جفت سواقيها ؟
هذي الملايين للاسلام قد نسبت
لم تنتفض وسهام الكفر ترميها
ففي « فلسطين » اسرائيل قد رتعت
وفي « الفلبين » « ماركوس » طغى فيها
وشعبنا في « اريتريا » رأى عنتا
« مريام » يقذفها نارا ويصليها

فقلت يا نخلتي أفغاننا غزيت
فالروس قد أرهقوا كفرا مرافيها
وفي « اوغندا » دماء الأهل نازفة
دالت بها قوة كنا نرجيها
« جوليوس نيريري » غزاها وهي آمنة
حقدا فحول أنقاضا مبانيها
يا مسلمون اعدوا اليوم عدتكم
ضموا الصفوف فان الله راعيها
الكفر شن على الاسلام حملته
قتلا ونهبا وإفناء وتشويها
صفوا الجموع على اسم الله واعتصموا
بحبله وبإسم الله مجريها
ولترفعوا راية التوحيد عالية
فوق الثغور أقاصيها ودانيها
حتى تعود الى الاسلام عزته
وأرضنا بدماء الصيد نحميها



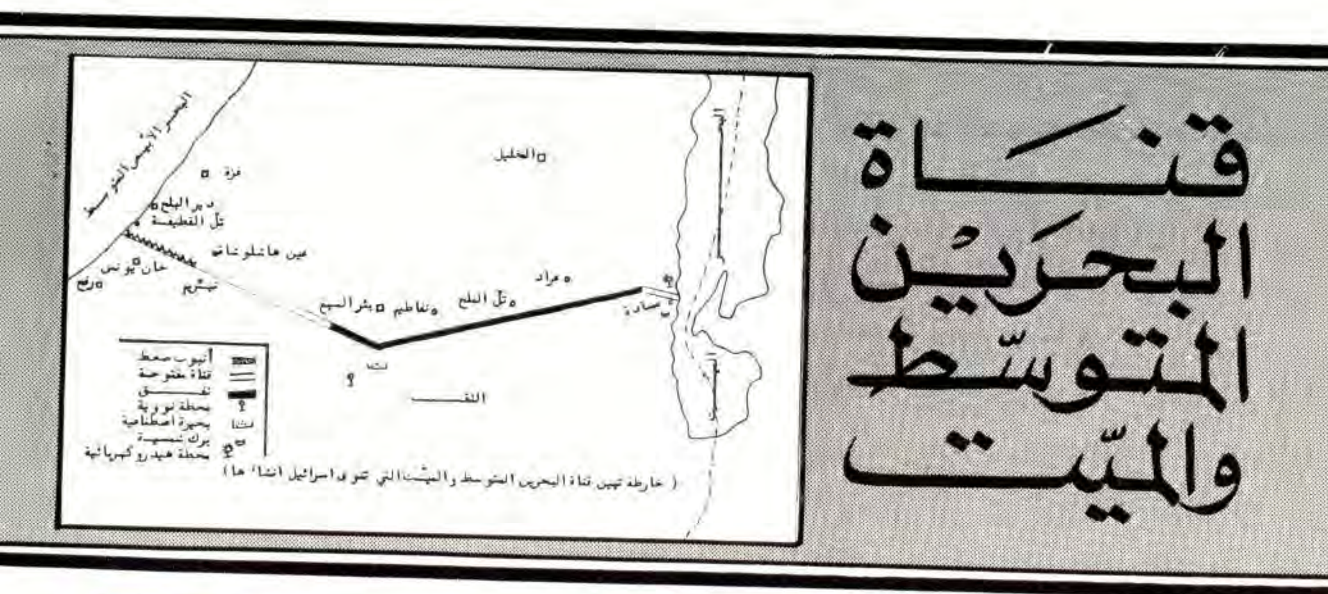
الاطماع الصهيونية في البلاد العربية وثرواتها من نفط ومواد خام ومياه وبحار وانهار ، اطماع لا حدود لها . فالمخططات التي وضعها الاستعمار للسيطرة على خيرات البلاد العربية ، سلمت للصهيونية العالمية وقاعدتها اسرائيل لتعمل على تنفيذها بالتدريج تبعا للظروف السياسية والاوضاع الاقتصادية .

ولعل واحدا من هذه المخططات هو ما يطرح الآن تحت اسم « مشروع قناة البحرين » وهو مشروع من بنات افكار الاستعمار البريطاني القديم ، وكان قد تنبأ به الزعيم الصهيوني « ثيودور هيرتسل » وتحدث عنه في كتابه « الارض القديمة والجديدة » والمقصود هو ربط البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت عن طريق قناة تستغل لاغراض مختلفة .

نبذة تاريخية :

ولعل ايجاد هذا الرابط المائي بين البحر الابيض المتوسط والبحر الميت هو جزء من مشروع كبير كان الاستعمار البريطاني - في اواسط القرن التاسع عشر - يحلم به ، من اجل الوصول الى المستعمرات الهندية بأقصر الطرق واكثرها اقتصادا ، وخصوصا ان الاستعمار الفرنسي قد خطا خطوات واسعة في مشروع قناة السويس ، ولذا فقد كلفت الحكومة البريطانية لجنة برئاسة الكولونيل « وليام آلن » للذهاب الى فلسطين ودراسة امكانية شق القناة التي ستكون موازية لقناة السويس . وبالفعل حضر آلن الى فلسطين وبدأ دراساته ولخص ابحاثه في كتاب بعنوان « البحر الميت طريق جديدة الى الهند » ويقترح فيه شق قناة تربط البحر المتوسط من خليج حيفا بالبحر الميت والذي سيرتفع منسوب المياه فيه ، ثم دعا الى استكمال المشروع

قناة البحرين المتوسّط والميّت



(خارطة تبين قناة البحرين المتوسط والميت التي تنوي اسرائيل انشاءها)

بوصل البحر الميت بخليج العقبة ، واكد ان تكون القناة من الاتساع بدرجة تسمح للسفن بالابحار فيها . نخلص من هذا الى ان مشروع القناة فكرة بريطانية قديمة ، اما الصهاينة فلم يفكروا بها الا منذ سنة « ١٨٩٩ ». وذلك حين وضع ثيودور هيرتسل الخطوط الاولى لانشاء دولة اسرائيل وبالتالي تزويدها بالماء والكهرباء لسد حاجاتها . ولعل هيرتسل استعان بمهندس سويسري يدعي « ماكس بوركات » من اجل وضع التصاميم الفنية للقناة التي ستنشأ في المستقبل .

تنفيذ المشروع :

بقي كل هذا حبرا « على ورق ، وتعاقبت الاجيال على الحكومات الاسرائيلية منذ تأسيسها ولكن الخطط والتصورات لم تهمل ، وكانت الظروف تحول كل سنة دون تنفيذها فيؤجل الى سنة اخرى لاعتبارات سياسية واقتصادية .

وجاءت حكومة الليكود برئاسة مناحيم بيغن لتشكل لجنة برئاسة « يوفال نئمان » رئيس علماء الجيش الاسرائيلي لدراسة المشروع ، حيث بدأت اللجنة اعمالها في عام ١٩٧٨ ، وبدأت بدراسة المشاريع والمخططات القديمة ، ودرست مختلف الاوضاع ورفضت عدة طرق يقترح واضعوها مرور القناة بمناطق معينة ، واستبدلتها بطرق اخرى رأت انها مناسبة لاسباب كثيرة ولاعتبارات سياسية واقتصادية وغيرها .

استقر الرأي على اعتماد الخط الذي يصل تل القطيفة قرب غزة على ساحل البحر المتوسط بالمسادة قرب البحر الميت ، وحال الانتهاء من كافة الابحاث وعلى ضوء تقارير لجنة نئمان ، فقد اتخذت الحكومة الاسرائيلية وبالتحديد يوم (١٩٨٠/٨/٢٤)، قرارا بالموافقة على مشروع القناة ،

حيث صرح بعدها « اسحق موداعي » وزير الطاقة الاسرائيلي « ان القناة التي ستصل البحر المتوسط بالبحر الميت ستؤدي الى ثورة صناعية في اسرائيل ، ولذا لم يعد في وسعنا تأخير المشروع اكثر من ذلك اولا « بسبب صعوبة التموين بالنفط . وثانيا لأن الاردن تستعد لتنفيذ مشروع مماثل يصل البحر الاحمر ابتداء من خليج العقبة بالبحر الميت .

مخطط القناة :

سوف تبدأ القناة من تل القطيفة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ـ جنوبي دير البلح وشمالي خان يونس ـ في قطاع غزة وتنتهي في منطقة مسادة بالقرب من البحر الميت ، مرورا بالنقب الشمالي جنوبي بئر السبع كما هو موضح في الخريطة .

وبالنسبة للتفاصيل الفنية لهذا المشروع ، فسوف تكون على النحو التالي : سيتم سحب مياه البحر المتوسط بواسطة جهاز خاص لادخال المياه بحيث يركب في تل القطيفة ويتوغل حوالي ٦٠٠ متر داخل البحر المتوسط بواسطة عائم بحري حيث تركب عليه مضخات للمياه بقدرة ٥٠ مترا مكعبا في الثانية ، وستسير المياه عبر انبوب ضغط يبلغ طوله ٧ كم الى منطقة التلال شرقي قطاع غزة ، ومنها ترفع المياه بواسطة مضخات خاصة الى ارتفاع ١٠٠ متر فوق سطح البحر بالقرب من عين هاشلوشاه ، وبعدها تصب المياه بفعل الجاذبية والثقل في قناة مفتوحة ذات جدران اسمنتية طولها ١١كم وعرضها ما بين ١٠ ـ ٢٠ مترا . وفي ضواحي نيريم ستتدفق المياه عبر نفق طوله ٨٦كم وقطره ٥ امتار ، ومرة اخرى تسير المياه جنوبي بئر السبع في قناة مغلقة عبر الكتلة الصخرية في عراد الى ان تنتهي في بركتي تجميع للمياه بالقرب من معاليه يائير على مرتفعات سلسلة جبال القدس التي تطل على البحر الميت ، وستقام في اسفل بركتي التخزين محطة الطاقة الهيدروكهربائية داخل الصخور مقابل لسان البحر الميت ، ثم تتساقط المياه من ارتفاع ٤٠٠ متر في انبوب ضغط لتشغيل اربعة طوربينات للمحطة وبعدها تتدفق المياه على البحر الميت .

والجدير بالذكر ان اجمالي طول القناة يبلغ ١٠٨ كم .

مدة انجاز المشروع :

لقد حدد البروفسور « يوفال نئمان » رئيس لجنة التوجيه والتنظير الخاصة بقناة البحرين ، الجدول الزمني لتنفيذ المشروع على النحو التالي :

- سنة واحدة للاعداد واستكمال التقديرات المالية .

● سنتان للتخطيط المفصل للمشروع .

اما العمل الفعلي فيبدأ سنة ١٩٨٢ وسيستغرق تنفيذ المشروع نحو ٥ سنوات وسيكون في الامكان تشغيل المحطة . وعليه يستغرق المشروع بعد بدء العمل فيه نحو ٨ سنوات .

وفي ندوة نظمتها الجامعة العبرية بالقدس حول مشروع قناة البحرين ، نوقشت المدة الزمنية التي سيحتاجها تنفيذ المشروع وقد بدا واضحا ان العمل الفعلي لن يبدأ قبل عام ١٩٨٣ وان العمل يستغرق نحو ٧ سنوات .

تكاليف المشروع :

اختلفت التقديرات حول التكاليف المتوقعة لتنفيذ مشروع قناة البحرين ، فقد ذكرت التقديرات الاولية ان تنفيذ المشروع سيتكلف مبلغا يتراوح ما بين ٧٠٠ ـ ٨٠٠ مليون دولار ، هذا الى جانب المبالغ التي ستنفق على اعمال البحث والتخطيط التي وظف فيها نحو ٦٠ مليون ليرة اسرائيلية من ميزانية ٧٩/ ١٩٨٠ .

وقد نقل اخيرا عن التقرير الاخير لـ « لجنة التوجيه والتنظير » برئاسة نئمان انه تم الجزم بأن قيمة الاستثمارات التي ستوظف في القناة ستبلغ نحو مليار دولار . ويبدو ان هذا الرقم هو الاقرب للحقيقة من سائر التقديرات التي حاولت التقليل من قيمة الاستثمار كي تبرر جدوى المشروع الاقتصادية .

تمويل المشروع :

لم تواجه اسرائيل منذ قيامها اية صعوبة في توفير التمويل لمشاريعها التوسعية القائمة على الاغتصاب ، وتمويل مشروع قناة البحرين شأنه شأن كل مشروع تقدم عليه اسرائيل كان متوقعا ان يأتي من الخارج ، وعلى حد قول يوفال نئمان : اصبح هناك اهتمام من جانب هيئات مالية ، دولية وامريكية . وهناك اموال وفيرة في العالم الذي يبحث عن استثمارات مغرية وجادة ، وفي الامكان ايضا « تأمين دعم اميركي لهذا المشروع من جانب الادارة التي لم تعد تعتبر المستعمرات غير قانونية .

وجاء على لسان « اسحق موداعي » وزير الطاقة الاسرائيلي : ان قرشا واحدا لن يأتي من ميزانية الحكومة لتمويل المشروع .

وبالفعل فقد اخذت هيئات الاستثمار الغربية التي تقع تحت النفوذ الصهيوني تتحرك في اتجاه توظيف اموالها في المشروع ، وقد عرضت مجموعة من المستثمرين من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا واسرائيل ،

نظمها المحامي الصهيوني الكندي روزنبرغ استعدادها لتمويل تنفيذ المشروع .

صعوبات امام المشروع :

الخبراء والفنيون الاسرائيليون يلقون مزيدا « من الاضواء على هذا المشروع ، ويحاولون ان يثبتوا بكل الاساليب مدى الجدوى الاقتصادية والفوائد المترتبة عليه ، ومع ذلك فهناك عقبات كثيرة وشاقة تعترض المشروع ، كما تحدث عنها بعض الخبراء منها :ـ

١ ـ ان قسما من القناة سوف يشق عبر الهضاب ، وسوف تسير المياه بواسطة انفاق ، وحفر الانفاق هذا من المشاكل الرئيسية التي تحتاج الى حلول ، اذ انها سوف تؤثر على المياه العذبة الجوفية في المنطقة التي سوف تمر بها القناة والتي تشكل مصدرا مهما بالنسبة للمنطقة .

٢ ـ استخدام مياه البحر المتوسط المالحة في التوربينات الكهربائية ، والتي تعمل بضغط الفارق بين مستوى البحر المتوسط والبحر الميت يتطلب استخدام معادن خاصة في صنع هذه التوربينات والا تعرضت للتآكل .

٣ ـ هناك سبب اقتصادي يعود ضرره على الاردن وعلى اسرائيل ، وهو ان مياه البحر المتوسط التي سوف تصب في البحر الميت تبلغ نسبة الملوحة فيها (٥٪) اذا ما قورنت بمياه البحر الميت التي تبلغ نسبة الملوحة فيها ١٥٪ ، وهذا يؤثر بل يضعف انتاج البوتاس في الجانب الاردني على الضفة الشرقية للبحر الميت .

٤ ـ هناك اسباب سياسية سوف تعرقل المشروع ، منها معارضة الفلسطينيين الاكيدة لقناة اسرائيلية تمر عبر اراضيهم ، كما سوف يلقى المشروع معارضة اردنية ، حيث ان مشروع القناة سوف يؤثر تأثيرا كبيرا على مشروع حيوي وضخم الا وهو مشروع البوتاس الاردني المقام على الضفة الشرقية للبحر الميت .

٥ ـ يعتبر هذا المشروع ـ اذا نفذ ـ خرقا للقانون الدولي ، اذ لا يحق لاسرائيل اقامة مشروع كهذا عبر اراض عربية استولت عليها بالقوة .

ولكن طالما ان قيام اسرائيل قائم على عدم المشروعية ولطالما اسرائيل ضربت بقرارات الدول العالمية وبقرارات الهيئة الدولية عرض الحائط ، فماذا يهمها مادام تنفيذ المشروع في سبيل صالحها حتى ولو كان على حساب مصلحة الغير .

ان القناة سوف تبدأ في تل القطيفة في غزة ، وغزة محتلة بالقوة وتابعة للحكم المصري ، والاردن تشترك مع اسرائيل في الحد بينهما « البحر الميت » فلا يحق لاسرائيل اقامة مثل هذه القناة دون اخذ موافقة مصر

والاردن والفلسطينيين الذين سوف تمر القناة بأراضيهم .

الاهداف الصهيونية من المشروع :

عندما يقوم الاسرائيليون هذا المشروع ، فان تقويمهم يتمحور حول ايجابياته اي الفوائد التي يتوخونها منه ، ويشدد الاسرائيليون على ان الغرض الرئيسي من المشروع هو توفير حل جزئي لمشكلة الطاقة التي تعاني منها اسرائيل ، الا انهم في الوقت ذاته يتحدثون عن فوائد ملازمة اخرى وفيما يلي عرض لابرز الفوائد التي سيجنيها الاسرائيليون من تنفيذ مشروع قناة البحرين :ـ

١ ● توليد الطاقة :

يتحدث الاسرائيليون عن استغلال القناة لانتاج ثلاثة انواع من الطاقة هي :

أ ـ الطاقة الهيدروكهربائية : ويقصد منها تشغيل المحطة المزمع انشاؤها قرب البحر الميت ، بحيث تنتج ٦٠٠ ميغاوات من الكهرباء يمكن زيادتها الى ٨٠٠ ميغاوات .

ب ـ الطاقة الشمسية : كما يتحدث الاسرائيليون عن امكان استغلال حرارة الشمس لانتاج طاقة شمسية من الممكن ان تكون في السنوات القادمة احد البدائل المقترحة للنفط ، بحيث تنتج نحو ١,٥ مليون ونصف المليون ميغاوات من الكهرباء .

جـ ـ الطاقة النووية : وثمة اهمية خاصة تعلقها اسرائيل على استخدام القناة في تبريد محطات طاقة تعمل بالذرة ، حيث ان القناة ستوفر المياه اللازمة والتي كانت دوما السبب الرئيسي والمشكلة العظمى لعدم توسيع المنشآت النووية ، لذا فان القناة ستفرز امكانات بناء محطة طاقة نووية في اسرائيل .

● انتاج الوقود من الزيت الحجري :

يشكل الزيت الحجري احد البدائل التي تحاول اسرائيل استغلالها لانتاج وقود بديل للنفط ، فهناك في منطقة الجبال المطلة على البحر الميت كميات كبيرة من الزيت الحجري ، تقدر بنحو ٢ مليار طن ، واستخراج الوقود من الزيت الحجري يتطلب كميات كبيرة من مياه التبريد وسيكون بامكان القناة توفير تلك المياه اللازمة .

● احياء المشاريع السياحية :

يتحدث الاسرائيليون عن امكانية قيام سبع بحيرات اصطناعية ستقام على امتداد القناة ، لتساهم في تغيير المنظر الطبيعي ، وستقام حول هذه البحيرات وبأساليب حديثة فنادق ، ونواد للاستجمام وبيوت للسكن ،

وسيستخدم بعضها لممارسة الرياضة البحرية كالتجديف والتزلج المائي وصيد الاسماك .

● تحلية المياه المالحة :

ان اقامة القناة قد تمكن من بناء معمل لتحلية مياه البحر في النقب ، وذلك باستخدام البرك الشمسية التي ستقام في المكان نفسه من اجل حاجات هذا المعمل الذي ستضخ اليه المياه من البحر بصورة متزايدة .

● اعمار النقب :ـ

لعل مشروع قناة البحرين سيساهم في مخططات اسرائيل الرامية الى توطين النقب وتعميره وتحويله الى قاعدة لمشاريعها التوسعية ، حيث ان القناة ستوفر المياه اللازمة للري والشرب الضروريين لاقامة المستوطنات .

● البعد الامني ـ الاستراتيجي :ـ

ان القناة في نظر الاسرائيليين ستوفر انواعا مختلفة من الطاقة ، اكثر امنا من تلك المحطات الاخرى ، وكذلك فان القناة ستشكل حاجزا مائيا يصعب اجتيازه في حال وقوع مواجهة عسكرية بين اسرائيل والدول العربية ، من جراء امتلاء منطقة البحر الميت بالمياه ، وبالتالي لن تفكر الدول العربية باجتياز هذا الحاجز المائي لما يحتاجه ذلك من اللجوء الى عملية برمائية معقدة ومنسقة تحتاج الى اعداد واسع ودقيق .

● البعد المعنوي :

يرى الاسرائيليون ان المشروع سيكون ذا مغزى رؤيوي ومعنوي ، وقد درجت اسرائيل على جذب انتباه يهود العالم نحوها كلما وجدت نفسها بحاجة الى ذلك ، وهي تستغل مثل هذه المشاريع لاضفاء طابع الهيبة والحضارة والتقدم عليها ، ينطبق هذا الحال على مشروع تحويل مياه نهر الاردن وبناء شبكة المياه القطرية التي تصب في النقب وتطوير قدرتها النووية وغير ذلك .

● الجدوى الاقتصادية :

لقد حدد الخبراء الاسرائيليون معايير حساب الجدوى الاقتصادية بما يوفره المشروع وخصوصا محطة الطاقة الهيدروكهربائية ، وقد بينت ابحاث هؤلاء الخبراء ان هذا المشروع سيمد اسرائيل بانواع مختلفة من الطاقة ، وسيكون بامكان المشروع توفير ملايين الدولارات التي كانت ستنفق على شراء الوقود واقامة محطات طاقة بديلة .

ردود الفعل العربية :

يعتبر المشروع الاسرائيلي هذا مخالفا للقوانين والاعراف الدولية لأن الارض التي ستمر بها القناة ارض محتلة بالقوة كما ان مياه البحر الميت

التي ستصب فيها القناة مياه دولية لا يجوز التصرف فيها الا بموافقة الاطراف المجاورة .

ولقد تعالت الاصوات العربية عامة والاردنية خاصة ، مستنكرة قيام هذا المشروع التوسعي الاستيطاني ، وكانت آخر تلك النداءات ، نداء الملك حسين ملك الاردن ، عند قيامه بتدشين مشروع البوتاس الاردني الذي اقيم على الضفة الشرقية للبحر الميت يوم (١٩٨٢/٣/١٨) حيث قال :

« ان اسرائيل المحتلة لكل فلسطين تأبى الا ان تعتدي على البحر الميت ، ويتمثل ذلك في اعلان عزمها على شق قناة البحرين التي تربط البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت ، وعملها هذا هو عدوان على ارضنا وحقوقنا وقيمنا الروحية ، كما انه اعتداء ونقض للشرائع والقوانين الدولية التي ترسم لسلطة الاحتلال الحدود التي يجب ألا تتجاوزها ، فقناة البحرين هذه تلحق بحقوقنا وثروتنا الوطنية اكبر الاضرار نتيجة تدفق مياه البحر المتوسط الى البحر الميت وآثارها السلبية عليه .. وما سوف تغمره هذه المياه من معالم حضارية ومنشآت انسانية . كما ان القناة نفسها تعتدي على ارض فلسطينية عربية محتلة ، وتحدث فيها تغييرات سكانية وجغرافية جائرة ومناقضة لكل حق وعدل وقانون ، كما تنطوي هذه القناة على تهديد كبير لأمن واستقرار فلسطين والاردن والدول العربية المجاورة بسبب ما تنويه اسرائيل من استغلال لمياه القناة في تبريد المنشآت النووية الاسرائيلية وتكريس استخدامها للشر والعدوان .

وختاما .

فان مشروع اسرائيل والصهيونية العالمية بشق هذه القناة التي تصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت ، يضع العرب امام تحد كبير لا يقل خطورة عن تحويل مجرى نهر الاردن . وهو استمرار لسياسة اقامة المستعمرات في الارض العربية المحتلة وخلق حقائق الامر الواقع فيها . ولا يقل هذا المشروع خطورة وتحديا عن سائر المشاريع التي تطرحها اسرائيل لفرض وجودها على العالم العربي وترسيخ اقدامها في جميع الاراضي الفلسطينية .

ان مشروع قناة البحرين الذي تطرحه الصهيونية الآن هو حلقة جديدة من سلسلة المشاريع الصهيونية الاخرى كمشروع آلون ومشروع الحكم الذاتي واحزمة المستعمرات الاستيطانية ، وهي تقوم جميعا على هدف واحد هو خلق حقائق منتهية في الضفة الغربية تمهيدا لضمها وتهجير سكانها العرب .

فماذا نحن فاعلون .. ؟؟؟

مائدة القارئ

الأمل في رحمة الله

قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ .

انفروا خفافا وثقالا

قرأ ابو طلحة الانصاري سورة « براءة » حتى بلغ هذه الآية : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله) فقال : يأمرنا ان نخرج خفافا وثقالا ، شبانا وكهولا ، ما سمع الله عذر احد ، وقال لبنيه : اي بني ، جهزوني .. جهزوني .. (يعني للجهاد) ، فقال بنوه : يرحمك الله ! قد غزوت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى مات . ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزوا عنك ! فقال : لا ، جهزوني . فجهزوه بجهاز الحرب ، فغزا في البحر ، فمات في الطريق ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها رضي الله عنه .

لا فرار

الشجاعة والحماسة من صفات العرب ، وجاء الاسلام فوجهها لنصرة الحق والدفاع عن الدين والعرض والوطن . فكانوا يكرهون الموت حتف انوفهم ، ويشتهونه في ساحات الوغى ، وميادين الشرف . قالت امرأة من عبد القيس . تصف قومها :

أبو أن يفروا والقنا في نحورهم لم يبتغوا من خشية الموت سلما
ولو انهم فروا لكانوا اعزة ولكن رأوا صبرا على الموت اكرما

لا تمسهما النار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ « عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله ».

لا حاجة للقاضي

كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قاضيا على المدينة المنورة في عهد ابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه :
وقد طلب من ابي بكر إعفاءه من القضاء .
فقال أبو بكر : أمن مشقة القضاء تطلب الاعفاء يا عمر ؟
قال : لا يا خليفة رسول الله ، ولكن ليس بي حاجة عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب اكثر منه ، وما عليه من واجب فلم يقصر في ادائه ، احب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، اذا غاب احدهم تفقدوه ، واذا افتقر اعانوه ، واذا احتاج ساعدوه ، واذا أصيب واسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففيم يختصمون ؟!

واجب الداعي الى الله

قال توماس ارنولد في كتابه (الدعوة الى الاسلام) :
« ان البلجيكيين حكموا على زعيم مسلم بالاعدام ، فقضى هذا ساعاته الأخيرة ، وهو يحاول ان يدخل الاسلام الى قلب المبشر المسيحي الذي كان قد أرسل اليه ، ليزجي اليه التعزيات الدينية »

القدوة الحسنة

قال عمر بن عتبة لمؤدب ولده : ليكن اول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بك : فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، وروهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر اعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء .



للاستاذ محمد رجاء حنفي

الحج مؤتمر سنوي عام يعقد في الحرم فرضا على كل مستطيع في كل عام ، تلتقي فيه الوفود من كل فج في حب ورحمة واخاء ، عند الحرم الآمن والبيت العتيق ، يطرح كل حاج منهم اللباس الذي اعتاده في بلده ووطنه ، ويرتدي ملابس الاحرام ، ويدخل الى منطقة التجمع متجانسا مع اخوانه وهو يردد : لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ، فيتوحد ظاهره وباطنه ، ويلتقي مع اخوانه على مبدأ الخير العام المتمثل في « لا إله إلا الله » .

والحج في اللغة : القصد للزيارة ، ومن الناحية الشرعية هو : القصد في أشهر معلومـات الى البيت الحرام للنسك والعبادة فرضا كانت أو سنة .

وهو فرض عين بالاجماع على كل مكلف مستطيع مرة في العمر ، وزعم بعض الفقهاء أنه يجب مرة كل خمس سنوات ، والصحيح انه مرة واحدة في العمر ، وما زاد على ذلك فهو نفل ، بدليل ما روي عن أبن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يأيها النـاس : قد فـرض عليكم الحـج فحجوا» ، فقال الأقرع بن حابس ـ رضي الله عنه ـ : « أفي كل عام يا رسول الله ؟ .. فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : « لو قلت : نعم . لوجبت ، ولو وجبت لم تقوموا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » رواه احمد والترمذي والنسائي .

وهو أحد الأركان الخمسة في الاسلام لقوله تبارك وتعالى : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**) ٩٧/ آل عمران - ولما يروى عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » متفق عليه عن ابن عمر بن الخطاب ، فالايمان به واجب ، ويكفر ويخرج عن الاسلام ويقام عليه الحد كفرا كل من أنكر فريضة الحج ، ذلك لأنه علم من الدين بالضرورة .

والمراد بالبيت الحرام المسجد الحرام ، بدليل قوله عز وجل : (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**) ٩٦/ آل عمران - فهو أول بيت وضع للعبادة على الاطلاق ، وباجماع العلماء بدليل النص القطعي ، وهو سابق على المسجد الأقصى بعدة قرون ، وهو كما قال المفسرون أقدم بيت للعبادة ، وليس هناك أقدم منه .

ولا يكون الحج فرضا على المسلم إلا عند الاستطاعة ، وقد ذهب الامام الشافعي - رضي الله عنه - الى اعتبار الاستطاعة بالمال ، ولذلك أوجب الاستنابة على المريض الذي لا يرجى شفاؤه اذا قدر على دفع أجرة من ينوب عنه ، معتمدا في ذلك على جواب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه على من سأله عن السبيل بقوله : « الزاد والراحلة » رواه الشافعي في مسنده والترمذي .

وذهب الامام مالك الى اعتبار الاستطاعة بالبدن ، وأوجب الحج على كل من استطاع أن يمشي ويكسب في الطريق .

أما الامام أبو حنيفة النعمان فقد ذهب الى اعتبار الاستطاعة بالصحة والمال معا ، واستدل على ذلك بما نقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : السبيل أن يصح بدن العبد ، ويكون له زاد وراحلة من غير أن يجحف به .

ويؤول الامام أبو حنيفة ما جاء في الحديث الذي اعتمد عليه الامام الشافعي بأن فيه بيانا لبعض شروط الاستطاعة ، بدليل أن من قصد أمن الطريق لا يجب عليه الحج ، والظاهر أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لم يتعرض لصحة البدن في الحديث كأحد مقومات الاستطاعة لظهور الأمر ، ويؤيد هذا ما ورد في بعض الروايات من أن سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قد قال : ان الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب عندما سئل عن السبيل بقوله : « أن تجد ظهر بعير » ولم يذكر الزاد .

كيف قابل المسلمون هذه الفريضة :

لقد كان المسلمون والمصطفى

صلوات الله وسلامه عليه في شوق وحنين الى « مكة » ، فقد مرت عليهم ست سنوات وهم في جهاد مستمر ، ولم يروا وطنهم الأول الذي أخرجوا منه ، ست سنوات عاشها المهاجرون وهم يذوقون خلالها آلام الفراق والنفي ، ومرارة الحرمان من أهلهم ومن وطنهم .

وعندما فرض الحج في السنة السادسة من الهجرة فرح المسلمون واشتد فرحهم ، لأنهم أدركوا أن تمام أمرهم قد اقترب ، وأن تحقيق ما وعد به المولى تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قد حان وقته ، وأن « مكة » الحبيبة الى القلب والى النفس مفتوحة أمام الدعوة الاسلامية لا محالة ، وأن البيت الحرام سيكون خالصا للمسلمين ، ولكلمة الله عزوجل وحده ، فكان ذلك هو مبعث فرحهم وسعادتهم ، ففرض الحج بشارة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بكمال دعوته ، ونصرة كلمته ، وتحقيق أمله ، خاصة وأن الفرائض كلها قد تمت فرضيتها ، فالصلاة فرضت في « مكة » ، والزكاة والصوم فرضا في « المدينة » ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الأول لأهل « مكة » .

في الحج وحدة في كل شيء :

لقد أرسى الاسلام بفرضيته للحج للانسانية دعامتين اثنتين :

الأولى : الاعتراف الكامل بالآثار الطيبة للنبوات السابقة ، التي لم تخالطها أهواء الناس ، ولم تنحرف بها شهواتهم ، فجميع الأنبياء والمرسلين عند المسلمين مكرمون معظمون ، ولكن أهواء الناس هي التي فرقت بينهم ، فتخاصمت باسمهم وهم من ذلك براء .

الثانية : أن الاسلام قد أنصف الحقيقة المظلومة التي شوهت على يد الأتباع الذين خالفوا رسلهم وأنبياءهم ، وردها نقية صافية ، تعانق في ساحتها جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، والتقى على فطرتها الأطهار والأبرار من الأولين والآخرين .

ومن هنا لم يكن الحج مجرد فريضة تهذب النفس وتعصم السلوك ، وتجمع أهل الجيل الواحد على الخير والبر ، بل كان عنوانا للأخوة الانسانية العامة على مر الأيام وتوالي الأزمان ، وتقديرا للنبوات التي فرقتها الأهواء وانحرفت بها الشهوات ، مطالبا باتباع ملة سيدنا ابراهيم عليه السلام حنيفا ، وما كان من المشركين .

واننا اذا تأملنا فريضة الحج من بدايتها ، وهي تفرض الاحرام من مواقيت محددة ، وللاحرام لباسه وتلبيته وآدابه الخاصة والعامة ، ومظهره الجامع الذي يجعل الناس يدخلون الى منطقة التحريم وقد طرحوا خلف ظهورهم ما به يتفاضلون ويتفاوتون ، واتجهت نياتهم وعزائمهم الى التزود من العمل الصالح الذي يقربهم من المولى تبارك وتعالى ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، بل

ذكر لله عز وجل ، وبر بالخلق ، ومنافع مشتركة تعود بالخير على الانسانية كلها ، لوجدنا وحدة في كل شيء .

وحدة في العقيدة : فالله جل شأنه واحد ، والكل يستجيب لأمره ، ويبتغي مرضاته ، وهم يهتفون متجردين « لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك »

وحدة في الاتجاه : فالقبلة واحدة .

وحدة في الزمان : فالحج أشهر معلومات .

وحدة في المكان : فالطواف ، والسعي ، والوقوف بعرفة ، ورمي الجمار ، والنحر ، والتلبية لها أماكنها المخصوصة .

وهذه الوحدة الشاملة تجعل عواطف الناس الذين أقبلوا من جهات متباعدة ومتباينة تنصهر في بوتقة واحدة ، فتمضي الى طريق واحد ، هو طريق الهدى والفلاح .

الحج أفضل العبادات :

لقد ذهب كثير من العلماء الى أن الحج أفضل من الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، مستدلين على ذلك بما روي عن ماعز ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « ايمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها » رواه احمد والطبراني ، ورواة احمد إلى ماعز رواة الصحيح .

وبما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » رواه البخاري ومسلم .

ليشهدوا منافع لهم :

ان المولى تبارك وتعالى قد أوجب الحج مرة في العمر على التراخي ، لتتعرض جماعات من الناس في كل عام لنفحات الله عز وجل ورضوانه ، ولم يكن وجوب حج بيت الله -عزوجل- الحرام عبثا ، بل هو لمنافع منشودة في كل النواحي المادية والروحية ، يقول الحق جل وعلا : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج/ ٢٨ .

وهذه المنافع عامة وواسعة ، تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وسائر الجوانب التي تقدس وحدة المسلمين ، وتشعرهم جميعا بأنهم جسد واحد ، كل أمة أو جماعة تمثل عضوا فيه ، تستمد منه كيانها ، ويقوم وجودها عليه .

وليس هناك شك في أن قمة المنافع الروحية هي توجيه الناس جميعا الى توحيد الله عز وجل ، وعبادته دون سواه ، وهذا الاجتماع السنوي ضمان لأعظم وحدة اجتماعية ، واخاء ومحبة وسلام ، فليس هناك سوى معبود واحد كلهم لبوا دعوته ، وأقروا له وحده بالنعمة ، ودانوا له وحده بالطاعة .

أثر مناسك الحج

وفي مناسك الحج يندحر الشرك وتنهزم الوثنية ، وتتطهر العقائد من الدنس ، ويعرف الجميع أنها شر كلها ولا خير فيها .

وفي مناسك الحج ينتصر الايمان على الكفر ، ويتغلب الخير على الشر ، والعلم على الجهل ، وتصفو النوايا ، وتتصافح القلوب ، وتظهر نفحات وتجليات من المولى تبارك وتعالى ، من غفران للذنوب ، واجابة للدعاء ، ورفع للدرجات .

ويتجلى انتصار الايمان على الكفر بطريقة عملية في رجم الأنصاب في « منى » ، وهذه سنة متبعة من أيام خليل الله عز وجل ابراهيم عليه السلام ، فقد حطمها في مدينة « أور » ، ثم رجمها في « منى » حين تراءى له الشيطان حولها ، ولا يزال الحجاج يرجمونها في « منى » الى وقتنا هذا ، والى أن تقوم الساعة .

وقد لمس العرب بطلان عبادة الأصنام من قديم ، يوم رجمها سيدنا ابراهيم عليه السلام في « منى » ، وهو يقول عند الرمي بكل حصاة « الله اكبر » ، ويتضح حذره من الشرك والوثنية في دعائه الذي أخبر المولى تبارك وتعالى عنه بقوله : (**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم**) ابراهيم/ ٣٥ و ٣٦ ، ولا يزال المسلمون يلمسون الى اليوم بطلان عبادة الأصنام كلما رجمها الحجاج .

ولا شك أن الاحساس بتوحيد الله عز وجل ، ونبذ الأصنام وعبادتها يتجلى أعظم ما يتجلى من الناحية النفسية عند الحجاج حين يكفرون بها عمليا برجمها في « منى » ، هنا يستشعرون عظمة الخالق عز وجل في قلوبهم ، وأنه الخالق لكل شيء بعد أن تصغر في نظرهم الأنصاب التي هي معاقل الشرك عندما يرجمونها وهم يهتفون « الله أكبر » ، ويتكرر هدم الوثنية بتكرار رجم الأنصاب في كل عام ، ويوم النحر يرجم نصب « العقبة » أكبر الأنصاب التي ترجم في الحج ، وهو النصب الوحيد الذي يرجم في ذلك اليوم ، أما بقية الأنصاب فترجم في أيام التشريق الثلاثة ، ومن تعجل في يومين فلا اثم عليه .

وقد قام وحي السماء منذ فجر التاريخ والى أن بلغت البشرية رشدها على توجيه الناس الى العقيدة الصحيحة ، وافراد الله عز وجل بالعبادة ، والتضرع والتوجه اليه دون سواه بالدعاء ، ولا خلاف بين الشرائع السماوية في حقيقة الايمان ، ولكنها تختلف في أعمال الجوارح ، وذلك راجع لاختلاف البيئات والظروف البشرية ، ولا ضير في ذلك ، فالمولى تبارك وتعالى هو الذي أنزل الشرائع كلها .

وفي مناسك الحج شرع الله عز وجل لنا جميع العبادات التي وردت في الشرائع كلها منذ سيدنا ابراهيم عليه السلام والى عهد رسولنا صلى الله عليه

وسلم ، حتى يكون الحج جامعا لأنواع العبادات البدنية ، ومظهرًا للاخاء والتواصل .

وفي مناسك الحج نجد التجرد من المخيط والاكتفاء بالازار والرداء ، والطواف بالكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والاجتماع الأكبر في عرفات ، ولأهمية هذا الاجتماع العظيم يبطل حج من لم يدركه قبل غروب شمس يوم عرفة ، ووقوف الناس جميعا سواسية أمام الخالق وبين يديه .

أطهر اجتماع انساني :

ليس هناك اجتماع على وجه الأرض في نقاء وصفاء اجتماع الحج وطهارته ، انه اجتماع منزه عن الشوائب ، شوائب الحقد والبغضاء ، والأثرة والجدال والخصام والنوايا السيئة ، يقول الله عز وجل : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**) البقرة/

والحج المبرور هو الدي يرجع منه الحجاج مغفورا لهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وهو الذي يباهي فيه المولى تبارك وتعالى الملائكة بمن لبوا دعوته ، وتحملوا مشاق السفر ، يقول الحق عز وجل لملا ئكته يوم عرفة : « **انظروا الى عبادي ، أتوني شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، أشهدكم أني قد غفرت لهم** » رواه أبو يعلي ، والبزار والبيهقي واللفظ له .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ـ قال : كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك ، فقال : « إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه ، فعلت ؛ وإن شئتما ان أمسك وتسألاني فعلت : أخبرنا يا رسول الله ، فقال الثقفي للأنصاري سل ، فقال اخبرني يارسول الله ،فقال جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ، ومالك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة ، ومالك فيه ، وعن رميك الجمار ، ومالك فيه ، وعن نحرك ومالك فيه مع الافاضة ، فقال : والذي بعثك بالحق لعنهذا جئت أسألك . قال : فانك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني اسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة فان الله يهبط الى سماء الدنيا فيباهي بكم الملا ئكة يقول : عبادي جاءوني شعثا من كل فج عميق يرجون جنتي . في نسخة « يرجون رحمتي » ـ فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ـ أو كقطر المطر ، او كزبد البحر ـ لغفرتها ، أفيضوا عبادي مغفورا لكم ، ولمن شفعتم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك ، واما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها

حسنة ، ويمحي عنك بها خطيئة ، واما طوافك بالبيت بعد ذلك فانك تطوف ولا ذنب لك ، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل ، فقد غفر لك ما مضى » رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له ، وقال : وقد روى هذا الحديق من وجوه ، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق - قال الملي رضي الله عنه : وهي طريق لا بأس بها ، رواتها كلهم موثقون .

ان الانسانية لن تشعر بسعادة وصفاء ونقاء مثل ما تشعر به في هذا الاجتماع السنوي العظيم ، الذي يحقق المحبة والألفة والمودة بين الناس ، في ظل العقيدة الصحيحة .

ان الحج تعويد للمسلم على الحياة الجادة ، وتربية لقيمة المساواة ، وهو نوع من السلوك ولون من ألوان التدريب العملي على مجاهدة النفس من أجل الوصول الى المثل العليا ، والقيم السامية التي ينشدها الانسان الفاضل في هذه الحياة .

فهل يستطيع أي منهج أرضي بشري أن يصنع أمة كتلك الأمة التي لبت نداء المولى تبارك وتعالى ، ووقفت بعرفات وعظمت شعائر الله عز وجل ؟ .. وهل تتمكن فلسفة من الفلسفات أن تغرس هذه الفضائل العالية في نفوس البشر كما تغرسها فريضة الحج ؟

لا ، ان فريضة الحج منارة الهدى الالهي ، وما أجدرنا أن نفيء الى هذا الهدى ، وأن نستنير بنور الاله الحق حتى لا نضل الطريق ، فطريق الله عز وجل واضح لا عوج فيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ولقد وردت عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أحاديث كثيرة تبين فضل الحج ، وتوضح أنه يغفر الذنوب ، منها :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » رواه احمد والترمذي والنسائي قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » رواه البخاري ومسلم والأصبهاني وزاد "وما سبح الحاج من تسبيحة ، ولا هلل من تهليلة ، ولا كبر من تكبيرة الا بشر بها تبشيرة » .

وعن جابر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » ، قيل : وما بره ؟ قال : « اطعام الطعام ، وطيب الكلام » رواه احمد والطبراني وفي رواية لأحمد والبيهقي : « اطعام الطعام ، وافشاء السلام » .

نسأل المولى تبارك وتعالى أن يوفقنا الى اجتياز مفازات الحياة برواحل الطاعة ، وأن يرضى عنا ، ويغفر لنا ويرحمنا ، فانه بعباده رؤوف رحيم .



الفكر الإسلامي بين المنهج الربّاني والمنهج الفلسفي

للاستاذ / أنور الجندي

من أخطر المنافذ التي دخل منها الاحتواء الغربي والخروج عن الذاتية والأصالة تقبل مطروحات الفلسفة الغربية والوافدة بغير مراجعة أو نقد أو تحليل من وجهة نظر إسلامية صحيحة قادرة على النظر الصحيح ، متسلحة بمفاهيم الاسلام الأصيلة ، وأخطر ما هنالك النظر إلى هذه المطروحات على أنها علم أو على أنها حقائق مسلم بها ، أو على انها من المعرفة الانسانية المقررة فانها ليست كذلك ، وأنها في حقيقتها لا تعدو أن تكون وجهات نظر بشرية وفروض قابلة للنظر ، فيها الصحيح وفيها الخطأ ، وهي تدرس في إطار عصرها وبيئتها والتحديات التي واجهت المفكرين الذين طرحوها ، وإن من أخطر عيوبنا في تلقي الفكر الغربي الوافد ، أن نظن أنه من المسلمات أو من الحقائق العلمية .

ولا ريب أن دراسة مذاهب الفلسفة الغربية المعاصرة « والفكر الغربي كله بشقيه » ضرورة ، ولكن يجب ان يحتشد لها الدارسون بمعرفة عميقة ومكثفة

لمفاهيم الاسلام نفسه الذي قدم للبشرية منهجا ربانيا اصيلا ، قادرا على العطاء على مختلف العصور والبيئات دون ان يصيبه ما يصيب الفلسفات الوافدة من العطب أو التحلل او الانهيار ، بما يدفع أصحابه إلى الأضافة إليه أو الحذف منه أو تعديله ، ومقياس آخر هو مدى ما حققت هذه الفلسفات لمجتمعاتها ، ونحن نرى المجتمعات الغربية « ليبيرالية وماركسية واشتراكية » تئن تحت وطأة الانهيار الخلقي والقهر والاستبداد والتمييز العنصري أو التحلل الاجتماعي المتمثل في حركات الرفض المعاصرة بين الشباب « كالهيبية وغيرها » .

وجميعها ثمرة نقص هذه المناهج وماديتها وإنحرافها وإبتعادها عن تكامل العطاء الاسلامي الجامع للجسد والروح ، ومصدر إنهيارهاهو إبتعادها عن المصدر الحقيقي للحياة والكون والعلم وهو الله تبارك وتعالى ، وإقصاء الدين عن واقع المجتمع أو محاربته علانية .

فاذا تعمق الشباب المسلم في دراسة مفاهيم الدين الاسلامي وقيمه الأساسية ومعطياته الربانية ، التي تهدي القلوب وتعصم النفوس وتطلق النفس بالرضا والايمان والعزم ، أمكن مجابهة هذه المذاهب الفلسفية الوافدة سواء في مجال الفلسفة ذاتها أم في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والعلوم السياسية ، ومناقشتها والرد عليها والتصدي للوافدات ، ومن هذا الفهم يصل الباحث المسلم إلى أن مذاهب الفلسفة في عالمنا المعاصر – على حد التعبير – القائل –

« ليست سوى إجتهادات قابلة للصواب والخطأ ، ومن ثم فليس لها صفة الحقائق الثابتة أو العمومية ، فلكل أمم عقائدها وقيمها وفلسفتها التابعة من واقع تراثها ، وأن نعرف بالبديهة أن ما يصلح لمجتمعات الشرق أو الغرب لا يصلح بالضرورة لمجتمعاتنا ، بل قد توقع بها أبلغ الضرر ، ولهذا لا يجوز أن نستورد فلسفات هي نتاج عصرها وبيئتها ولا تصلح لغير هذه البيئة وذلك العصر » .

والمعروف أن هذه الفلسفات مادية الأساس ، فهي تلتمس ماديتها من فلسفة العلم وليس من العلم الطبيعي نفسه ، الذي لا يتعارض مع الاسلام وفلسفة العلم ، هذه المادية هي وحدها التي تعارض مفهوم الدين المنزل وهي التي تقوم على إبعاد فكرة الاله الخالق عن مجال البحث وحصر اليقين في دائرة الحس .

ومن هنا يأتي فصل هذه الفلسفات ، ويأتي ذلك الفارق العميق البعيد بين النظرة الاسلامية الجامعة القائمة على الروح والمادة ، والعلم والدين ، والدنيا والآخرة ، وهي النظرة التي تؤمن بالله تبارك وتعالى ، خالقا ورازقا ومدبرا لكل أمر ، وهو الذي علم الانسان ما علم من ثمرات العلم ، وكشف له من سنن العلم

والحياة والحضارات ما مكنه من إنشاء هذه الدائرة من المعرفة .

ومن هذا المنطلق المادي المنحرف يجيء الخطر ، الذي لا تكشف عنه دراسات الفلسفة التي يتلقاها أبناؤنا في الجامعات والمعاهد ، من حيث يتلقون هذه النظريات المادية على أنها علم ومسلمات في محاولة لاحتواء العقول الشابة وراء تفسير مادي للوجود أو تفسير مادي للتاريخ أو هما معا . وعلينا أن نعرف أن

الفلسفة الهلينية القديمة حين غزت الفكر الاسلامي في القرن الثالث ، طرحت هذه السموم من الالحاد والاباحية ، وخلقت جوا ملبدا بالاضطراب العقلي والروحي الذي كافحه علماء الاسلام وازالوا خطره وأبانوا عن سمومه وفساده ،وها هي الفلسفة الأوروبية المعاصرة تعود اليوم ، لتغزو عالم الاسلام تحت تأثير سيطرة النفوذ الأجنبي على بلاد الأسلام ، وهي فلسفة غلب على مدارسها ومذاهبها « الالحاد الصريح » نتيجة الغرور بتقدم العلوم المادية والصناعات في أوروبا ، ثم أفرزت مفاهيم الوجودية والهيبية ، نتيجة التشاؤم الذي ساد المجتمعات الاوروبية بعد الحرب العالمية الثانية ، ولقد كان لانتشار هذه المفاهيم التي طرحتها فلسفات الرأسمالية والماركسية أثرها في نشر الفرقة والصراع وتعدد المذاهب مع الجدب والجفاف ، مع الحيرة والقلق ، فأصابت المسلمين سنة التشتت ، وما كان من غلبة العقلانية غير المسؤولة ، بينما يدعو القرآن للايمان بالغريزة . والفطرة والاكتساب .

ومن هنا كانت دعوة الاسلام صريحة في أن العقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة الله تبارك وتعالى ولا أن يهتدي إليه ، إلا إذا صحب في تطوافه إلى تلك الغاية قلبا يتلقى عنه كل مدركاته ، وقد اعتمد دعاة الاعتزال على العقل ، فانحرف بهم عن الجادة ، وعن وسطية الاسلام الجامع بين الروح والعقل .

وقد كان الاسلام أوفى ما تكون العقائد حقائق تمس شغاف القلب وأشواق الروح وتقنع العقل ، ولذلك فان الذين كتبوا عن الاسلام عن طريق الفلسفة « فريد وجدي ، محمد عبده ، العقاد » لم يستطيعوا أن يصلوا إلى القلوب .

وكما جاء هذا الخطر من جانب العقليين ، فقد جاء الخطر الآخر من بعض المتصوفة ، حين انحرفوا إلى تفسيرات فلسفية حلولية وعنوصية غاية في الغرابة ، أما الطريق الصحيح فقد رسمه القرآن الكريم الذي جاء المثل الأعلى في العطاء العقلي والروحي للنفس الانسانية ، فقد صقل القلوب وهذب النفوس وقوم الأخلاق ، وبذلك تكشف خطر الدراسات المصبوبة في قوالب المنطق الجدلي ، الذي أدى إلى تعدد الفرق والمذاهب وتوسيع شقة الخلاف .

وهذه غاية دعاة الفلسفة والعقلانية في العصر الحديث .

ولقد كان الاسلام سهلا ميسرا ، من روح الفطرة ، فهو لا يحتاج إلى منهج فلسفي ليكشف جوهره اليسير ، كما احتاجت تفسيرات الأديان المعقدة ، وكان موضوع الفكر الاسلامي الدعوة إلى عبادة الله تبارك وتعالى وحده ، وغايته إقامة النظام الاسلامي الذي يضمن إستمرار هذه العبادة وعلى هذا الاساس لم يكن في حاجة إلى فلسفة ميتافيزيقية لكي يثبت صلاحيته أو يركز دعائمه .

وقد قيل : « ان الفكر الاسلامي ينطلق من الايمان بالله لينتهي بمزيد من الايمان ، أما الفكر الفلسفي فيبدأ من نقطة الصفر بتساؤله عن المصدر الأول للكون والأشياء لينتهي بانكار الخالق والايمان به على الطريقة الفلسفية ، هذه النتيجة تجعلنا نرفض الفكر الفلسفي في أصوله وامتداداته ، لأن الفكر الاسلامي

فكر مؤمن منذ البداية ، موضوعه الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وغايته إقامة النظام الاسلامي الذي يضمن استمرار هذه العبادة ، ومن ثم فليس في حاجة إلى الفلسفة ليثبت صلاحيته ، ولا في حاجة إلى مسايرة الفلسفة المادية الحديثة والأخذ بمعطياتها الفكرية والعلمية ، والاسلام يرفض جميع الاتجاهات التي توصف بالعلمية ، إذا قدمت مفاهيم مغايرة لمفاهيمه عن الله تبارك وتعالى وعن الحياة والمجتمع والانسان . ومحاولة التوفيق بين مبادىء الاسلام والفلسفات الديمقراطية أو الماركسية ، هي محاولة باطلة وزائفة وقديما فشلت محاولة التوفيق بينه وبين الفلسفة اليونانية » .

ولما كانت مطروحات الفكر الغربي كلها مطروحات بشرية فانها تعجز عن العطاء المتجدد ، وعن العطاء الجامع ، وتعجز عن أن تقدم أحكاما مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى فضلا عن أن الغرب لا يملك منهجا متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع ، وأن النظرية المادية هي رد فعل الكهنوت ، وأن الماركسية هي رد فعل الرأسمالية ، وأن الفلسفة الغربية تعتمد على معطيات العلم التجريبي المتغير والذي يفسد بسرعة .

ويقرر بعض الباحثين أن جميع الفلسفات التي نادى بها مفكرو العصر ، تقوم على تقويض دعائم الاعتقاد بوجود إله واحد بغض النظر عن البديل المقترح فمنها من يقترح ألوهية المادة ، ومنها ألوهية الانسان ، ومنها من يجعل الغريزة محور تفسير الوجود وأن الدين الوحيد الذي صفت فيه عقيدة الوحدانية من شوائب الشرك ، إنما هو الاسلام ، وترمى طرح هذه الفلسفات الى تدمير العقيدة الاسلامية ، لأنها العقبة الكؤود على طريق سيطرة الأهواء الحديثة على مصائر البشر ، وإذا كانت الماركسية في حقيقتها تدميرا لفكرة « الالوهية » ، وربطا للانسان ومصيره بمصير المادة المحسة ، وتفسيرا لحركة التاريخ بعوامل ليس

منها « ارادة الله » على أية حال فان عداءها الصريح لم يتوجه في الحقيقة إلا إلى الاسلام باعتباره معقل الفكر الديني ورمزا يجسد العلاقة بين الله الواحد والمخلوق . وهي تعد في ذلك أصرح حملة وجهها الفكر الحديث إلى معقل الوحدانية ، وإن بدت عاجزة عن تحقيق أهدافها بعد أن شاخت : « وهناك محاولة أقل غلوا منها ولكنها أشد مكرا ، هي محاولة الفلاسفة الوضعيين الذين يهونون من شأن الاسلام وحركة التاريخ ، وقد بدا ذلك واضحا في الكتابات التي قدمها « أوجست كونت » عن الاسلام ، وجمعها تلميذه « كريستيان شرفنيس » ، وقد سلك فيه المؤلف مسلكا يلتف بالنغمة الموضوعية ، فقد أشبع الرجل الاسلام مدحا وتمجيدا ، ولكنه لم يزد على أن عده « مرحلة » كانت ضرورية كحلقة في سلسلة تطور البشرية نحو الدين الجديد والنهائي : « الوضعية » .

وقد قيل إن : « الفلسفة لا مقياس لها فهي ظنية : اخفق منهج أرسطو وأخفق منهج (ديكارت) انها ظنية لانه لا يتأتى لها أن تفرق بين الحق والباطل ومادام لا سبيل إلى اليقين في موضوعات الفلسفة فان اختلاف الآراء فيها دائم ، هذا

الاختلاف عبر القرون والجدل دائم مستمر ، الاختلاف داخل المدرسة الواحدة ، يعلمون أن كل فيلسوف اتى قبلهم هدم آراء سابقيه جميعا ، ويقيم مذهبه على انقاض مذاهب سابقة فيأتي من بعده ويهدمه .

وبعد فان ثلاثة أخطار تواجه أصالة الفكر الاسلامي :

● « الأول » تفسيره فلسفيا ، « والثاني » تفسيره صوفيا « والثالث » تفسيره على أساس العقل وحده ، أو محاولة تجزئته مع مذاهب القومية أو الديمقراطية أو الاشتراكية ، وللاسلام منطلقه الخاص وذاتيته المطبوعة بطابع الفطرة والانسان والتوحيد المستمد من القرآن الكريم اساسا ومنهجا وأسلوبا للعرض والتفسير ، فاذا أريد إخضاعه لمنهج آخر غير منهجه فقد ذاتيته وطبيعته ، ولقد جرت المحاولات لاخضاعه في مرات متعددة ، وأخطرها مرحلة الاحتواء التي يمر بها الآن ـ ولكنه كان قادرا على مقاومة التبعية أو التماس الأصالة والعودة إلى المنابع كلما اضطربت الاجواء أو برزت الأزمات أو قامت التحديات والأخطار بالغزو العسكري أو الفكري جميعا .

وعلى الفكر الاسلامي في مرحلة الانتقال من اليقظة إلى النهضة في مطالع القرن الخامس عشر ، اليوم تحرير الاسلام من التبعية لأي مذهب فلسفي باسم التحديث أو التقدم أو العصرية ، كما يجب إخضاع مشكلاتنا المعاصرة لمبادىء الاسلام وأسسه وروحه ، لأن الاسلام وحي ثابت ، وما عداه من آراء البشر حادث متغير ، ولا يجوز إخضاع ما هو ثابت لما هو متغير .

المسلمون والايثار

للاستاذة : فتحية محمد توفيق

ان تعاليم الاسلام التي شرعها الخالق لاصلاح حال الخلق ، جاءت لتنقل البشرية الى حياة مشرقة بالفضائل . وما جاء به الاسلام من عقيدة ، وما افترضه الله على عباده من عبادات ، وما دعا اليه الرسول الصادق الامين من سلوك فاضل واخلاق حسنة . انما هو السبيل الوحيد للانسان لكي تسمو نفسه بالخير وتفيض بالمشاعر الرقيقة للمسلمين ، حتى انه ليحيا بهم ، ويحيا لهم ، لأن المجتمع الاسلامي علاقات بين افراد تجمعهم وحدة الهدف ، ادركوا ما بينهم من صلات كما ادركوا الوجود المشترك الذي يتبادلون في اطاره دفع الاضرار وتحقيق المنافع ، والذين يمارسون فيه السعي الجماعي من اجل المثل والقيم . واذا ما نصح الاسلام الانسان في معاملته للغير ، وفي معاشرته للاسرة ان يرعى حدود الروابط الانسانية ، وان يتبادل مع هذا الغير الشعور الانساني الكريم . واذا ما نصح الاسلام بذلك فانما يعني ان يكون هناك تجاوب انساني ، تستريح اليه النفوس وترضى عنه ، وليس تجاوب النفوس الا ظاهرة تعبر عن الادراك النفسي لجمال الألفة وعاطفة الاخوة الصادقة .

وحينما تطرأ على النفوس ادران الوساوس ، وتنتابها نوازع التفرقة والاثرة والانعزالية ، يأتي الاسلام فيسدي المعونة الكاملة للانسان كي يدعم فطرته ويجلي اشعتها ، فيتحسس هذه النفوس ويغسلها مما علق بها ، ويجعلها حافلة بمشاعر ازكى وانقى ، والمؤمن في نظر الاسلام هو المحسن والمحسن هو صاحب الوجدان الرفيع ، صاحب الانسانية في سلوكه مع نفسه ومع غيره .. ان رسالة الاسلام ليست تخطيطا من انسان ، وليست طريقا من طرق التربية وضعه فرد من البشر . ان الاسلام وحي الله العليم بكل شيء . والاسلام ليس معرفة انه ايمان وتقوى ، انه ايمان بالله ، وخشية من الله ، وتقوى الله ، وهذا الايمان هو مصدر الدفع في الانسان نحو اطمئنان نفسه ، ونحو وعيه بالمجتمع ، ونحو

اسهامه في بناء المجتمع واستقراره . واننا نرى في وضوح ان قوة الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم تجعل النفس الانسانية تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالاداب والفضائل العظيمة . ولقد اثبت التاريخ والتجربة ان هذا الايمان وهذا التصديق صنع رجالا ونساء اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة فكانوا يؤثرون اخوانهم بأموالهم وديارهم على انفسهم ، ويتنازلون عن قسمهم في الغنائم من اجلهم ؛ ويقدمون حاجة اخوانهم على حاجتهم ، حبا لهم ، ورغبة في اخو تهم ..

والايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة . ويقال : اثرته بكذا أي خصصته به وفضلته .. قال تعالى في سورة الحشر ، في شأن الانصار الذين آثروا المهاجرين بأموالهم وديارهم : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر / ٩ . ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **(ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)** اي يقدمون المحاويج على حاجة انفسهم ، ويبدأون بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (افضل الصدقة جهد المقل وابدأ بمن تعول) رواه ابو داود والحاكم . وهذا المقام اعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى :**(ويطعمون الطعام على حبه)** الانسان / ٨ و **(وآتى المال على حبه)** البقرة / ١٧٧ فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به . وهؤلاء اثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما انفقوه . ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك . فقال : ابقيت لهم الله ورسوله) رواه الترمذي والدارمي وفضيلة الايثار كان لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اهميتها لما لها من عظيم الاثر على اصحابه . فكان يحرص على ان يتخلقوا بها ويتجملوا بجميل فعلها وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام هو السباق الى ما يدعو اليه ويأمرهم به ، فاذا قصده احد في شيء وهو المحتاج اليه اعطاه رغبة في فعل الخير .

ان الايمان الصادق اذا صادف قلوبا هيئت له ، تمكن فيها ، ونما وترعرع واشرقت اثاره على من حولها ، وسعى اصحاب هذه القلوب في ادخال السرور على الغير ، والاخذ بأيديهم الى ما يحبون ، واصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ضربوا اروع المثل في هذا فكان اغتباطهم اكبر واعظم حينما يؤثرون الغير على انفسهم . ولقد كان لهذا الايثار اعظم النتائج في نشر

الاسلام والاهتمام بالمسلمين . ومما يذكر في تفسير القرطبي ان ابن المبارك قال : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ اربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام : اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ، ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها ، فذهب بها الغلام اليه . فقال : يقول لك امير المؤمنين : « اجعل هذا في بعض حاجتك » . فقال : وصله الله ورحمه . ثم قال : تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فوجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال : اذهب بهذا الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع فذهب بها اليه . فقال : يقول لك امير المؤمنين : اجعل هذا في بعض حاجتك فقال : رحمه الله ووصله : وقال : يا جارية اذهبي الي بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ . فقالت : ونحن والله مساكين فاعطنا . ولم يبق في الخرقة الا ديناران قد جاء بهما اليها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فسر بذلك وقال : (انهم اخوة بعضهم من بعض) .

ان تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية حبا ورغبة فيما هو عند الله سبحانه وتعالى ، واملا في رحمته جل شأنه ، حصيلة ايمان كامل وثمرة يقين راسخ ولقد تألق المسلمون الاوائل في الايثار وبلغوا فيه الدرجة العليا ومكانة عظمى .

لقد اثمر الايمان بالله في قلوبهم ايثار الدعوة الى الله سبحانه وتعالى وحب رسوله على نفوسهم . فقدموا ارواحهم فداء للاسلام . وصاحب الرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، واصحاب المبادىء الحقة والدعوات الصادقة يقدمون انفسهم فداء للدعوة والذين شرح الله قلوبهم للاسلام وخالط شغافها ، وأشربت حبه ، لا تزعزعهم الاهوال مهما عظمت ، ولا تزلزل العواصف اقدامهم مهما قويت ، فالنفس هينة رخيصة ما دامت تبذل في سبيل العقيدة ، والموت ليس بالخطر الذي يهاب ، ما دام ذلك دفاعا عن الاسلام واستشهادًا في سبيل الله . ولقد كان المسلمون الاوائل نماذج فذة في البطولة والتضحية والفداء ، وبهذا تهيب العدو بأسهم وخاف سلطانهم ، يقول العقاد في وصفه لابطال الاسلام في حروب الردة : (اذا كانت فتنة الردة قد كشفت عن زيغ وريبة المرتابين ، فهي قد كشفت كذلك عن الايمان اليقين والفداء السمح واليقين المبين ، فحفظت نماذج للنصر والشجاعة والايثار والحمية تشربها صفحات الاديان ، وجاءت الشهادة الاولى على لسان رجل من اصحاب طليحة سأله : (ويلكم ما يهزمكم) فقال : انا احدثك ما يهزمنا . انه ليس رجل منا الا وهو يحب ان يموت صاحبه قبله ، وانا لنلقى قوما كلهم يحب ان يموت قبل صاحبه) .

والمسلمون بفضل ما رسخ في قلوبهم من عقيدة تحث على البذل والبر والتواد والتراحم والتعاطف . لم

يكتفوا ببذل الطعام والشراب للغير، وانما آثروا اخوانهم على انفسهم وقدموا ما يمسك حياتهم وان كانوا في اشد الحاجة اليه. قال تعالى: (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا**) اي يطعمون الطعام وهم في محبة له وشغف به المسكين العاجز عن الاكتساب، واليتيم الذي مات كاسبه، والاسير المأخوذ من قومه المملوكة رقبته الذي لا يملك لنفسه قوة ولا حيلة وان ايثار اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما سابقوا به انفسهم من فعل الخير وايثار الغير على النفس يدعو الى اكبار واعظام ما قاموا به، ولقد وجد في المجتمع الاسلامي كثير من المؤمنين الذي سمت فطرهم وارتفعت غرائزهم وهم يؤثرون غيرهم بطعامهم وشرابهم رغم ما يواجهونه من صعاب. وما يتحملونه من اعباء، رجاء رحمة الله وابتغاء رضوانه. وان قوة الايمان بالله يتجلى اثرها في الانسان عند تعرضه لموقف الاختيار بين ما عند الله وعند الناس والمؤمنون حقا يختارون ما عند الله جل شأنه فيضحون بكل ما يملكون غير خائفين في الله لومة لائم، يوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق، ويبذلون النفس والنفيس، ويطيقون المصاعب بصبر وثبات. والنفوس المؤمنة حق الايمان تنظر الى الغاية التي تريدها وتعمل على تحقيقها، وهي في سبيل الوصول الى غايتها لاتهاب تكبر المتكبرين ولا تجبر المتجبرين، ولا تحرص على زينة الحياة الدنيا وزخرفها وترفها، لانها آمنت بحياة اكبر واعظم من هذه الحياة، فيها الخلود، وفيها رضوان الله قال تعالى في سورة البقرة: (**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد**) البقرة / ٢٠٧. أي ومن الناس فريق يبيع نفسه لله لا يبغي ثمنا لها غير مرضاته ولا يتحرى الا صالح العمل وقول الحق، مع الاخلاص فيهما، فلا يتكلم بلسانين، ولا يقابل الناس بوجهين، ولا يؤثر عرض الدنيا وزخرفها على ما عند ربه والقلوب المؤمنة تواقة دائما الى فعل الخير، حريصة عليه لرفع منزلتها، واعلاء مكانتها عند ربها. والمؤمنون كلما أقبلوا على الله وتفانوا في حبه وطاعته، ازدادوا يقينا به واقبالا عليه، وتضحية في سبيل اعلاء كلمته، لا ترهبهم الدنيا ومن فيها ولا يخضعون لتقليد الغرب او الشرق، ولا يكونون عبيدا لعادة.

والمسلمون الاوائل بتمسكهم بتوجيهات الاسلام استطاعوا ان يوحدوا صفوفهم ويقيموا امة قوية الجانب، عزيزة الكلمة. لقد آثر كل منهم اخاه المسلم بما عنده، وقدمه على نفسه، فغرسوا بفضيلة الايثار شجرة الاخوة والتراحم، واكدوا روابط الأخوة بينهم، فسادوا في الارض، وكتب الله لهم النصر، وامتنا الاسلامية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري في اشد الحاجة الى التمسك بالفضائل والقيم الاسلامية.



هموم المرأة الغربية وحيرتها بين العمل ووظيفتها الطبيعية

للأستاذ : علي القاضي

كان للتطور الصناعي في الغرب اثر كبير في خروج المرأة للعمل ـ لانه افقدها تماسك الاسرة ـ فاصبحت لا تجد من يعولها فاضطرت الى الاعتماد على نفسها وخرجت للعمل وبدأت الافكار الجديدة تنتشر عن عمل المرأة ومساواتها بالرجل واثبات وجودها وكيانها وما الى ذلك من الافكار التي سادت في الغرب فصدقتها المرأة وصدقتها المجتمعات المختلفة ـ ثم انتقلت هذه الافكار الى المجتمعات العربية والاسلامية .

والآن وبعد مضي فترات طويلة

من عمل المرأة بدأت الصحف تنشر اخبارا عن هموم المرأة العاملة في الغرب .

لا مساواة لا عدالة لا تكافؤ :

هذه صرخة المرأة في المجتمعات الغربية كما جاء في الدراسة التي نشرتها صحيفة العرب القطرية بتاريخ ١١ من يونية ١٩٨٠م وقالت : ان الكونجرس الامريكي ليس به الا ١٧ امرأة ، وواحدة في مجلس الشيوخ الامريكي - وفي فرنسا ١٨ نائبة من اصل ٤٩١ وفي سويسرا ثلث النساء حرمن من التصويت .

وفي امريكا :

لا تتمتع المرأة في الولايات المتحدة بمساواتها مع الرجل حتى من الناحية الشكلية - وهذا الحكم اطلقته اللجنة الامريكية للحقوق المدنية - وتؤكد هذه اللجنة ان القوانين السارية في الولايات المتحدة - تقنن الظلم الذي تتعرض له النساء الامريكيات عبر اعطائها امتيازات للرجل على المرأة اكثر من ٨٠٠ فصل ومادة من هذه القوانين السائدة .

وقالت الدراسة : ومنذ نصف قرن لم يبت في مصير التعديل السابع والعشرين للدستور الذي ينص على المساواة امام القانون بغض النظر عن الجنس - **وذلك** لان التعديل يحتاج الى **موافقة** ٣٨ ولاية من الخمسين - وحتى **الآن لم** يوافق على هذا التعديل سوى ٣٥ ولاية .

كان أجر المرأة في عام ١٩٥٩ هو ٦٣,٩٪ ، من اصل اجر الرجل الحاصل على نفس المؤهل ، وفي عام ١٩٧٨ انخفض الى ٥٨,٩٪ وقالت مجلة بنش : ان واقع المرأة الامريكية هو الاجر المنخفض وظروف العمل الصعبة والتمييز المهني وقلة مؤسسات تربية الاطفال

في ايطاليا : تحصل المرأة على اجر يقل عن الرجل بـ ٣٠٪

وفي فرنسا : يصل الفرق الى ٣٣٪

وفي اليابان يصل الى ٤٠٪

وفي **سويسرا** : نشرت اللجنة الاتحادية السويسرية تقريرا حول وضع المرأة قالت فيه :

« ان ثلث النساء السويسريات محرومات حتى الآن - لاسباب مختلفة - من حق التصويت في انتخابات هيئة الادارة المحلية وان قضية مساواة المرأة بالرجل في سويسرا ما زالت دون حل .

وفي امريكا : لا تشغل المرأة سوى ٥٪ من الوظائف المنتجة وبصورة اساسية في هيئات السلطة المحلية - اذ يبلغ عددهن حوالي ٥٩,٣٪ من السكان ، و ٥٣,٢٪ من الناخبين ومن اصل ٥٥٤٧ مقعدا في برلمان السوق المشتركة التسعة يوجد ٣٥٧ نائبة اي اقل من ٦٪ من البرلمانيين - بينما

تقترب نسبة النساء في هذه البلدان من ٥٢٪ .
والبرلمان الياباني ليس به الا ٣٪ من النساء من أعضاء البرلمان .

البطالة : وتقول الدراسة : ان البطالة تنتشر في صفوف النساء في امريكا اكثر بمرة ونصف المرة من انتشارها في صفوف الرجال - وتبلغ نسبة النساء اللواتي يعشن تحت مستوى الفقر المتعارف عليه ٦٣٪ من الامريكيين .

وفي امريكا كانت نسبة الفتيات خلال عام ٧٦/٧٧ الدراسي من طالبات الجامعة على النظام الاتي : من طالبات الطب ٢٥٪ ومن طالبات الهندسة ٦٪ ومن طالبات الحقوق ٢٠٪ ومن طالبات الفيزياء ١٪ ومن العاملات المؤهلات فنيا ٣٪ .

وتقول مجلة بواس نيوزاندود ولد ريبورت : ان ٨٠٪ من الامريكيات العاملات يتقاضين رواتب متدنية قياسا الى رواتب الرجال .

وفي فرنسا : كثير من المعاهد العليا والمدارس المهنية الفرنسية مغلقة في وجه الفتيات ولا يدرس في المعاهد التجارية الفرنسية سوى ٧٠ طالبة من مجمل ٥٢٠٠ وفي معهد الالكترونات والاجهزة الالكترونية يدرس به ٦٢ طالبة من اصل ٢٦٠٠ ونسبة المهندسات ٨ ، ١٪ والطبيبات ٦٪ والفنيات ١١٪ .

في اليابان : لا تزيد نسبة من يلتحقن بالمعاهد العليا هناك عن ١٠٪ ممن انهين الدراسة الثانوية - اما فرص الحصول على عمل بعد الدراسة الثانوية فهي قليلة - وفي عام ١٩٧٩ لم يحصل سوى ٢٠٪ من خريجات المعاهد العليا والكليات التي تستمر مدة الدراسة فيها سنتين على عمل - وتشكل النساء ٨٪ من المدرسين في المعاهد ، و ١٠ ٪ من الاطباء .

ونسبة النساء اللاتي يتمتعن بعضوية النقابات الامريكية في تناقص مستمر - فقد كانت النسبة ١٧٪ في عام ١٩٥٠ وأصبحت ١٢،٥٪ في عام ١٩٧٨ والامريكيات غير النقابيات محرومات عمليا من الحماية القانونية ومن المعاش التقاعدي والاجازات السنوية والاجازات المرضية المدفوعة الاجر - واجور هذه الفئة من النساء تقل بنسبة ٢٥٪ عن النساء النقابيات مما يزيد من متاعب المرأة العاملة في المجتمعات الغربية - ومما يزيد من متاعب المرأة عدم وجود مؤسسات لتربية الاطفال وعدم وجود قوانين لحماية الطفولة والامومة او ضمانات لاجازات الحمل والولادات المدفوعة الاجر - وفي هذا الصدد ذكرت مجلة « بوليتكل افريزر » الامريكية مثلا : ان مؤسسات حضانة الاطفال في الولايات المتحدة لا تتسع لاكثر من مليون طفل وهذا رقم متواضع للغاية .

هموم المرأة الامريكية :

وقد نشرت صحيفة الاهرام القاهرية بتاريخ ١٢/٧ / ١٩٨٠ دراسة تحت عنوان هموم المرأة الامريكية قالت فيها : تقول جلوريا ستاتيم رئيسة تحرير مجلة « مز » ان هذه القضية اساسية لانها تمس آدمية المرأة ـ ولا بد ان يتحرر جسد المرأة كأساس للتحرر السياسي وهذه القضايا هي : الاعتداء على الفتيات والنساء وضرب الزوجات والاضطهاد بسبب الجنس والعنف داخل العائلة والاجهاض ـ ولكن ليس معنى هذا ان المرأة الامريكية تركت جانبا بقية القضايا وفي مقدمتها المساواة في الاجر ـ فمن الثابت حسب احصاءات مكتب العمل ان المرأة التي تقوم بنفس العمل ـ عمل الرجل ـ تحصل على اجر يوازي ٦٣٪ من اجره فقط .

ومنها فرص التدريب والتقدم المهني .
ومنها الامن والامان في الوظيفة ـ فالمرأة نظرا لحداثة عهدها بالعمل هي آخر من يعين واول من يفصل .
ومنها الاضطهاد بسبب الجنس .
ومنها دور الحضانة ـ فاحصاءات ١٩٧٨ تقول : إن ٥،٨ مليون امرأة عاملة اي ٤٤ ٪ من مجموع قوى العمل النسائية لديهن طفل واحد على الاقل في سن ما قبل الدراسة ـ وذلك مقابل ٣٠٪ سنة ١٩٧٠ وهذا يعني انه مطلوب ٥,٨ مليون مكان على الاقل في دور الحضانة ـ بينما المتاح هو مليون مكان فقط .

الأرقام تقول :

وماذا تقول الأرقام عن المرأة ؟

ان الأرقام تقول : انه من بين ٤٤١ مهنة وعمل ووظيفة فإن المرأة لا تعمل سوى عشرين نوعا .
وان النساء اللاتي يمكن القول بانهن وصلن الى مراكز مرموقة لا تزيد نسبتهن عن ٢,٣ : والمعيار هنا هو الايقل المرتب عن ١٥ الف دولار .
والمرأة في مجموعها لا تحصل على اجر متساو مع الرجل وتتحمل اعباء اكثر من طاقتها فهي تعمل في البيت بالاضافة الى ٨ ساعات يوميا .

قضايا اخرى :

وتستمر الدراسة قائلة : إن قضايا ضرب الزوجات وإساءة معاملتهن اصبحت تمثل المكان الاول في قضايا الطلاق وبلاغات الشرطة ـ فضلا عن أن الزوجة تستمد رخصها الاقتصادي من زوجها ـ بمعنى انه بمجرد طلاقها

تفقد حقها في ان يكون لها وضع اقتصادي يسمح لها ان تبتاع بالتقسيط » وهي قضية اساسية في امريكا » .

بالاضافة الى ان عمل الزوجة - وبخاصة في الريف - لا يعتبر عملا انتاجيا اقتصاديا لها - اذ يخضع نصيبها في الميراث لضريبة التركات بعكس زوجها المعترف بدوره الانتاجي فميراثه من زوجته لا يخضع للضريبة - والمرأة الامريكية بعد زواجها تدفع ضرائب دخل بنسبة اعلى من غير المتزوجة - ولذلك فقد بدأ عدد من الازواج ينفصلون بالطلاق عندما يقترب موعد تقديم الاقرار الضريبي ثم يتزوجون من جديد بعد تقديم الاقرار الضريبي .

المساواة الشكلية وماذا أنتجت ؟

وفي دراسة عن اول حركة انشقاق نسائية سوفييتية كشفت تدهور اوضاع المرأة في ظل المساواة الشكلية وكيف اظهرت الجنس الثالث بعد تحرير المرأة الروسية وقد نقلتها صحيفة الاهرام القاهرية بعددها الصادر يوم ١٩٨٢/١/٣ عن الاوبزرفر وجاء في هذه الدراسة ما يأتي :

« ظهرت ضمن جماعات المنشقين في الاتحاد السوفييتي مؤخرا حركة نسائية منشقة بدأت في مدينة لينينجراد ، وراحت تنتشر في مختلف انحاء الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشيوعية .

ولقد كانت منشورات ومطبوعات المنشقين السوفييت التي تصل الى دول الغرب حتى السنوات الاخيرة لا تشير الى حقوق المرأة في حد ذاتها - وتركز فقط على حقوق الانسان بصفة عامة - وكان الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو كتاب العالم السوفييتي الشهير اندريه زخاروف « الخطر والامل » الذي لفت الانظار الى الاثار الخطيرة التي ينتجها النظام الشيوعي السوفييتي الشمولي على الصحة البدنية والعقلية للنساء وتدهور معدل المواليد في الاتحاد السوفييتي بسبب هذه الآثار .

وفي ١٠ ديسمبر ١٩٧٩ - وهو يوم الاحتفال بذكرى اعلان حقوق الانسان ظهرت اول نشرة متخصصة في شؤون المرأة تحت عنوان « تاريخ المرأة الروسية » قامت بتحريرها النساء المنشقات وتضمنت مقالات وبحوثا واشعارا وقضايا تاريخية حول مشاكل المرأة على وجه الخصوص - وكشف النقاب عن الفارق بين صورة المرأة في الايدلوجية الشيوعية وبين الواقع المرير الذي تحياه النساء في الواقع داخل الاتحاد السوفييتي .

وفي هذه النشرة ذكرت النساء قصص الاجهاض في مستشفيات الاجهاض التي اطلقوا عليها

وصف « مفارم اللحم » ـ كما ذكرت ايضا حكايات عن اغتصاب الازواج المخمورين لزوجاتهم ومعسكرات الاعتقال الصغيرة التي يعيش فيها الاطفال تحت اسم معسكرات الطلائع والسجن بتهمة البطالة والطفيلية التي توضع فيه النساء وغير ذلك من الروايات .

وقد كان لهذه النشرة النسائية تأثير مدو ـ ليس فقط في داخل روسيا ـ وانما ايضا في الخارج ـ وبخاصة في اوساط الحركة النسائية في باريس حيث ظهر لها فورا نسخة ترجمت الى الفرنسية ـ واهتمت الصحف النسائية وغير النسائية في فرنسا بكاتبات هذه النشرة واجرت معهن الاحاديث الصحفية المتعددة حول اوضاع النساء في الاتحاد السوفييتي .

وعلى الرغم من التشابه بين بعض مشاكل المرأة الروسية ومشاكل النساء في الدول الغربية ـ فان معظم المشاكل التي ذكرتها النشرة كانت مشاكل روسية بحتة ـ وكان واضحا ان النساء السوفييت معجبات بالمدى الذي وصلت اليه حركة المرأة الغربية ، ولكنهن لا يشاطرنها نفس الامال التي زعمن انها تحققت بفضل الثورة الروسية ـ حيث اصبحت المرأة الان في الاتحاد السوفييتي رائدة فضاء وعاملة في المصانع .

بل على العكس ـ فان معظم مطالب المرأة الروسية كانت تسير في خط معاكس ـ فالمساواة التي وعدتهن بها الثورة الروسية ـ قد دمرت نمط الحياة النسائية السابقة دون ان يؤدي ذلك الى اسعاد المرأة الروسية بأي حال من الاحوال ـ وكما ذكرت الصحفية المنشقة كبرا سايكير :

لقد كف الرجل عن ان يكون حامي المرأة ولم يتحول الى شريك يشاطرها كل شيء وقد حذرت هذه الصحفية في مقالها نساء الغرب من التطرف في دعوة المساواة ، التي تدمر قيم الاسرة والامومة ، وتطيح بدور المرأة مصدرا للحب والاستقرار ـ والحركة لا ترفض مبدأ المساواة ـ ولكنها ترفض المساواة الشكلية التي تساوي المرأة بالرجل حتى في الاعمال التي يسعى العالم الى تخليص الرجال منها .

مساواة زائفة :

أما تاناتيا ناجو تشيفا ـ وهي فيلسوفة ذات تعليم ماركسي فقد ايدت في مقالها كل ما ذكرته زميلتها الصحفية كبرا سايكير واضافت تقول : « ان نظام التعليم السوفييتي قائم على اساس مساواة مثالية زائفة بين الرجل والمرأة تنطوي في حقيقتها على احتقار للأنوثة ـ وان هذا النظام لم يؤد الى تحرير المرأة ، وانما ادى الى تأنيث الرجال بعد ان فقدوا

حريتهم وقدرتهم على تحمل المسؤولية » .

جنس ثالث :

وقالت تاناتيا في مقالها : ان المرأة في الاسرة التي تحللت بسبب ادمان الرجال للخمور وايضا في المصانع تشكل قوة العمل الرئيسة ، وان العمل في المصنع والبيت يثقل كاهلها ويدمر معنوياتها - وذكرت أن المرأة والرجل على السواء قد تحولا في المجتمع السوفييتي الى جنس ثالث هو جنس سوفييتي محض لا مثيل له في اي مجتمع اخر .

وبالطبع قامت المخابرات السوفييتية بتبديد هذه النشرة وقامت ايضا باعتقال بعض مؤسسات الحركة النسائية المنشقة الجديدة مثل « نانيانا نابونافا » وهي شاعرة وفنانة تم نفيها مؤخرا خارج الاتحاد السوفييتي - وذهبت للعيش في باريس ومثل الكاتبة بليافوز نيسكايا التي تمضي حاليا حكما بالسجن لمدة خمس سنوات في احد معسكرات الاعتقال الروسية .

ومع ذلك فقد استمرت الحركة النسائية منذ عام ١٩٧٩ ، وواصلت عملها حيث تقوم النساء حاليا باعداد النشرات والمقالات ضد الغزو السوفييتي لافغانستان - واخيرا ضد التهديد السوفييتي لبولندا .

وقد اطلق هؤلاء النساء اسم « نادي مريم » على جماعتهن واختاروا كلمة « نادي » بالذات ، حتى يتجنبن مطاردات البوليس السوفييتي اذا هن اطلقن على انفسهن جماعة او جمعية او اتحادا - كما نسبن انفسهن الى مريم العذراء كمثل اعلى لهن - وهو مثل ديني اعلى ، ويعتبر ظهوره في دولة مثل الاتحاد السوفييتي تطارد الاديان اكثر من ستين عاما منذ قيام الثورة الشيوعية امرا خطير الدلالة .

نعارض المساواة :

وقد ظهرت في الولايات المتحدة زعيمة جديدة فهي تعارض حركة تحرير المرأة في امريكا التي تطالب بتعديل الدستور الامريكي للنص صراحة على المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

ان السيدة فليس شافلي المحامية المعروفة زعيمة الحركة المضادة لمساواة الرجل والمرأة تقول : انها استطاعت ان تقنع اغلبية امريكية انها نصيرة العائلة ونصيرة ربة البيت ونصيرة الاخلاق الفاضلة ، وان خصومها ضد كل هذه الفضائل وان نصراء تحرير المرأة يشقون الزوجة الامريكية بدعاياتهم الفارغة .

ان الزوجة الامريكية سعيدة الآن - فهي التي تدير بيتها وهي التي تصدر القرارات ولكن يجب

ان تحترم زوجها او تعتبره رب العائلة .

واجب الزوجة :

وتستمر فليس قائلة : واجب الزوجة ان تستقبل زوجها بابتسامة كما تفعل الجرسونة في المطعم عندما تستقبل زبونا جاء لتناول الغذاء - انني معجبة بمسز مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا - فانها قبل ان تذهب في الصباح الى مكتبها فانها تعد بنفسها طعام الافطار لزوجها وابنها وابنتها - ولا تهمل اطعام اسرتها بحجة انها مشغولة بإدارة الحكم في بريطانيا - من حق المرأة ان تعمل بشرط ان تؤدي واجباتها كزوج وأم - فاذا لم تستطع ان تجمع بين العملين فعليها أن تستقيل أو تبحث عن عمل خفيف .

وتقول « ان مساواة المرأة بالرجل فيه القضاء على الاسرة وفيه القضاء على حلاوة الحياة الزوجية » . الاخبار القاهرية ٢١ / ١ / ١٩٨٢ » .

وهي تعارض تعديل الدستور بحيث ينص فيه على المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، لأن احدى نتائجه في رأيها سوف يكون تجنيد الفتاة ونزولها الى ميدان الحرب والقتل والتدمير وانه من الممكن ايضا ان يهدد وضع الزوجة .

وهكذا تتضح لنا جوانب غامضة من هموم المرأة العاملة في الغرب ترويها لنا المرأة المتفتحة الواعية محاولة ان تبصر بنات جنسها بالمستقبل المظلم الذي ينتظرهن .

ونمضي مستعرضين آراء المرأة الغربية فيما وصلت إليه الآن .. وما تعانيه من واقع مؤلم .. فمتى خرجت المرأة إلى العمل ؟

متى خرجت المرأة الى العمل ؟ ولماذا خرجت المرأة الى العمل تاركة وظيفتها الأساسية ؟

تجيب على ذلك الدكتورة مرجريت بش عالمة انتوجرافية (متخصصة في علم السلالات البشرية) وانتروبولوجية (متخصصة في علم البشريات) في الولايات المتحدة الامريكية وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة مستقبل التربية التي تصدرها هيئة اليونسكو العدد الثالث عام ١٩٧٥ قالت العالمة :

حدث في العالم ثورتان ادتا الى تغيير الوظيفة الرئيسة لكل من الرجل والمرأة تغييرا جذريا .

١ - الثورة الصناعية :

التي طوحت بالمرأة في عالم حرمت فيه من القلب الحنون فلم تجد أبا أو أخا أو زوجا أو قريبا - يعنى بها وبأولادها - وبذلك نشأ ضرب جديد من الاستغلال .

٢ ـ الثورة الطبية :

التي كافحت الامراض الوبائية وخفضت من وفيات الاطفال ومكنت المرأة من تحديد النسل وقللت الانجاب .

فالمرأة اذن قد اضطرت الى العمل اضطرارا ـ وحين كثرت النساء العاملات ـ ظن الناس ان هذا هو الوضع الطبيعي ـ ولعل هذا هو الذي جعل الامم المتحدة تقرر اعتبار عام ١٩٧٥ عاما دوليا للمرأة ـ وقد دعا مؤتمر المرأة في عامها الدولي لاشراك النساء اشراكا كليا في تحقيق الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية كما دعا لاسهامهن في تحقيق التعاون والتفاهم والصداقة بين شعوب الارض قاطبة .

ومن هنا فاننا نلاحظ ان المرأة نفسها قد خدعت بهذه الفكرة واصبحت تنادي بها على انها ميزة لها .

على ان بعض النساء تنبهن الى خطورة هذه الفكرة ونادين بعودة المرأة الى وظيفتها الطبيعية .

فالسيدة جان مارتان سيسه : سفيرة غينيا لدى الامم المتحدة ـ تعرضت لهذا الموضوع في مجلة مستقبل التربية فقالت : في المجتمعات المتمسكة بالتقاليد القديمة ينتمي الفرد فيها الى الجماعة او العشيرة وتتسم تربيته بطابعها ـ ولما كانت المرأة هي نواة الخلية الاجتماعية ـ اي نواة الاسرة ـ فهي اقدر من سواها على القيام بتربية الطفل وتهذيبه ـ وهي امينة على التراث الموروث . وأضافت السيدة جان قائلة :

● « الإنجاب كان مهمة المرأة الاولى ـ وكانت المرأة هي التي تقوم بتربية اولادها ـ فهي التي تتولى تشكيل العجينة تاركة للمجتمع القيام بإتمام عجنها ـ وقد تميزت هذه التربية بغرس الشعور بالشرف منذ الصغر وتقوية الرغبة في الدفاع عن الوطن والركون الى الاعمال النبيلة . »

ثم قالت : « والمساواة بين الرجل والمرأة في تربية الاطفال لا وجود لها ـ لان المرأة هي التي تقوم بتربيتهم ـ ذكورا كانوا ام اناثا ـ فهي التي تربي الرجل ـ ولذا وصفت بأنها المربية الاولى والمعلمة الرائدة » .

ماذا تستهلك المرأة ؟

وحين خرجت المرأة للعمل زاد استهلاكها لأشياء كثيرة حسب طبيعة وضعها الجديد .

ماذا تستهلك المرأة ؟ سؤال تجيب عليه ماري التو الباحثة بجامعة باريس ومستشارة اليونسكو في مجلة مستقبل التربية فتقول :

« اصبحت المرأة الحضرية في

مجتمع اليوم اساسا للاستزداة من المال والارباح ـ هدفا للاغراء والترغيب في الاقبال على الاستهلاك من مختلف البضائع المطروحة للبيع في الاسواق .

والواقع ان المرأة الحضرية أكثر من زوجها تأثرا بالدعاية الضخمة المغرية التي يطلقها التجار ترويجا لبضائعهم وترغيبا في شرائها .. ويلاحظ ان المرأة العاملة يتخفف زوجها من اعباء التموين المنزلي ومشاكله ليلقيه على عاتقها مستريحا مطمئنا » .

وتستمر ماري التو في حديثها قائلة :

« ومن اهم السلع التي تهتم بالدعاية التجارية بالترويج لها واغراء النساء بالاقبال على شرائها ـ مواد التجميل وادواته من الثياب المتطورة المتغيرة تبعا لتغير الفصول والشهور ـ بل والايام احيانا ـ وهكذا تجد المرأة نفسها عرضة للاستهلاك في ميولها وعواطفها فضلا عن استغلالها في ميادين الاعمال » .

هل المرأة سعيدة بخروجها الى العمل ؟

سؤال تجيب عليه الكاتبة الانجليزية الشهيرة « انا رورد ـ في مقالة ـ نشرتها جريدة الاسترون ميل الانجليزية فتقول :

« لان تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم ـ خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الأبد ـ ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف رداء ـ إنه عار على بلاد الانجليز ان تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ـ فمالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في **البيت وترك اعمال الرجال للرجال** سلامة لشرفها وحفاظا على أنوثتها » .

عميدة أمريكية تقول للطالبات :

« اتركن هذه الشعارات »

في ولاية انديانا الامريكية ـ كان النقاش حادا بين واحد من الدارسين العرب وبعض الطالبات في الجامعة في اثناء دراستهم العليا ـ هو يدعو الى الاسلام الذي رعى حقوق المرأة وصانها ـ وهي تتكلم عن تحرير المرأة ـ ونوقشت قضية المرأة ولم يتفقوا على رأي ـ فاحتكموا الى عميدة الكلية ودار حوار هادىء شارك فيه الطالب العربي المسلم .

واستدعت العميدة واحدة من كبريات الاساتذة عندها ليتفقا على

جواب واحد وكان جوابهما الذي وجه للطالبات :

« يجب ان تتركن تلك الشعارات وتعدن لحياتكن الطبيعية ـ فان اجمل اوقات المرأة هي مناجاة طفل ـ وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية ، وأشهى ثمرة تقطفها هي تربية أجيال » .

ثم اضافتا الى ذلك قولهما :

« لقد تحصلنا على اكبر مركز تتوق اليه المرأة ـ بل والرجل في هذه الحياة واكبر رصيد تتخيله بنات حواء من السمعة والمال والجاه ـ لكن ذلك كله خال من السعادة بمعناها الحقيقي ـ ان السعادة الحقيقية للمرأة ـ بعد ان درسنا الديانات المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التي اعطاها للمرأة واشارتا الى زميل الحوار .

المرأة اليابانية :

اليابان الدولة التي نهضت ـ عقب الحرب العالمية الثانية بسرعة أذهلت العالم كله ـ ما وضع المرأة فيها ؟

تجيب على هذا السؤال نوبوا ابسكاوا ـ سفيرة اليابان في باريس في مجلة « المجلة » ٢١/١١/١٩٨١ قائلة :

« المرأة اليابانية تعمل قبل الزواج ـ اما بعد الزواج ـ فهي إما ان تترك عملها مباشرة واما ان تتابعه حتى يصبح لديها اولاد ـ بينما تلتزم المرأة منزلها ـ وبخاصة وانه يترتب عليها القيام بجميع متطلبات العائلة ـ تربية الاولاد والطبخ وتنظيف البيت وسوى ذلك من الامور ـ وحين يكبر الاولاد تستطيع المرأة اليابانية العودة الى ممارسة نشاطاتها السابقة » .

ثم اضافت قائلة :

« والجدير بالذكر ـ هنا ـ ان من اسباب قوة اليابان حاليا « هو عناية المرأة بالأولاد »

المرأة والاقتصاد :

ويأتي سؤال ما تأثير المرأة العاملة على النواحي الاقتصادية للدولة ؟ ـ ويجيب على هذا السؤال الاستاذ « جيوم فيربرو » في المجلد الاول من مجلة المجلات فيقول :

« ان اشتغال المرأة يؤثر على الحياة الاقتصادية تأثيرا سيئا باعتبار ان اشتغالها فيه مزاحمة للرجل في ميدان نشاطه الطبيعي مما يؤدي الى نشر البطالة في صفوف الرجال كما وقع في بلادنا ـ فمنذ اخذت المرأة طريقها الى وظائف الدولة ـ فقد اصبح عدد كبير من حملة الشهادات الثانوية والعليا عاطلين عن العمل يملئون المقاهي ويقرعون ابواب الحكومة طلبا للوظائف بينما تحتل اماكنهم

فتيات لا يحملن غالبا مثل مؤهلاتهم » .

وما يقوله الاستاذ جيوم ينطبق على كل الدول التي أخذت بمبدأ العمل للمرأة فاصبحت تعاني من البطالة في صفوف الرجال والمشاكل المتنوعة التي تترتب على هذه الناحية .

والموضوع يحتاج الى دراسة متأنية واعية وتوصيات مبنية على أساس هذه الدراسات تقدم الى الرجل والمرأة على السواء وتقدم الى الحكومات واهل الفكر علهم يبدءون صفحة جديدة فيعيدون النظر في توظيف المرأة الذي اصبح في كثير من الدول من المسلمات - واصبحت المرأة نفسها تطالب به - على انه حق من حقوقها - مع انها اول من يدفع الثمن - ثمن الخروج عن وظيفتها الطبيعية في هذه الحياة .

ولعل هذا هو الذي جعل الدكتور الكسيس كاريل يقول في كتابه « الانسان ذلك المجهول » انه حتى هذه الايام - لم يتضح فكر الانسان ولم يشعر على الوجه التام ما لوظيفة الولادة من الاهمية في حياة المرأة - ان قيام المرأة بهذه الوظيفة مما لا مندوحة عنه لكمال القياس - وما انحراف النساء عن الولادة ورعاية الطفل الا حماقة شنيعة لا يقبل عليها عاقل » .

وعلى نهجه سار الدكتور فيكتور بوجومرلنز في كتابه « من الجلد الى الذهن » وترجم بعنوان « عش شابا طول حياتك » فقال :

« ان انجاب الاطفال شيء مهم جدا في حياة المرأة من كل ناحية - ولم يقرر احد من المختصين ان تعب البنية من كثرة الاولاد قاصر عليها - ان من المؤكد ان عملية الحمل والولادة حيوية جدا في نشاط بنية المرأة - ولست اميل الى القول بأن المرأة تتعرض لتقصير في حياتها بافراطها في انجاب الذرية - فكلنا يعرف نساء أنجبن كثيرا من الأولاد وعمرن » .

تغبط المجتمع العربي :

ومع ان المجتمع العربي لا زال يسير في طريق المجتمعات الغربية بدون تمييز بين النافع والضار الا ان من يعرف المجتمع العربي بتقاليده الاسلامية الرائعة يغبطه على ما هو فيه من نعم - وان كان هو لا يدرك هذه النعم ولنسمع الكاتبة الامريكية « هيلين ستانستيزي » تقول في هذا الموضوع :

« ان المجتمع العربي كامل وسليم - ومن الخليق بهذا المجتمع ان يتمسك بالتقاليد التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول - وان هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الاوربي والامريكي - فعندهم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحث على احترام الاب والام - بل وتحتم اكثر من ذلك -

منع الاباحية الفردية التي تهدد اليوم المجتمع والاسرة في اوربا وامريكا ـ لذلك فان القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة ـ واقصد التي هي دون سن العشرين ـ هذه القيود صالحة ونافعة ـ لهذا انصحكم ان تتمسكوا بتقاليدكم واخلاقكم ـ وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ـ ارجعوا الى عصر الحجاب ـ فهذا خير من اباحية وانطلاق امريكا واوربا » .

واضافت قائلة :

« امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه الكثير ـ لقد اصبح المجتمع الامريكي مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة ـ وان ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملئون السجون والارصفة والبارات والبيوت السرية ـ ان الحرية التي اعطيناها لفتياتنا وابنائنا الصغار جعلت منهن « جيمس دسن » المصابات بالمخدرات والرقيق » .

واستمرت تقول :

« ان الاختلاط والاباحية والحرية في المجتمع الامريكي والاوربي هددت الاسرة وزلزلت القيم الأخلاقية ـ فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشباب وترقص « وتشرب الخمر والسجاير ـ بل وتتعاطى ذلك كله باسم المدنية والحرية والاباحية ـ والعجيب في اوربا وامريكا : ان الفتاة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والدها ومدرسها والمشرفين عليها ـ تتحداهم باسم الحرية والاختلاط ـ وتتحداهم باسم الاباحية والانطلاق ـ تتزوج في دقائق وتطلق بعد ساعات ـ ولا يكلفها هذا اكثر من توقيع ، وبعض النقود وعريس ليلة او عدة ليال وبعدها يتم الطلاق وربما الزواج والطلاق مرة اخرى .

وبعد

فهذه صيحات تحذير تأتينا من الغرب الذي ذاق ما ذاق من خروج المرأة الى العمل تاركة وظيفتها الطبيعية ـ ترى هل نحن على استعداد للنظر في هذا الامر والاستماع الى هذه الصيحات .

ان فعلنا ذلك فاننا نسير في الطريق السايم الذي بينه لنا الاسلام ـ ولكن المدنية الغربية الهتنا عن ان نسير في طريقه .

بهذا نكون قد انصفنا انفسنا وحفظنا لمستقبلنا الاجيال التي تحقق رسالة هذه الامة التي اختارها الله تعالى لتكون خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

كفى.. كفى!

للدكتور / عز الدين علي السيد

المسلمون

المسلمون بكل ارض .. يا لها هبة السماء!
غيث تنزل .. كي يغيث الأرض من ألم الشقاء
نور تفجر .. في ربوع الكون .. يجنبه البلاء
★★★

المسلمون هم النجوم الغر في الليل البهيم
من قبلهم كان الظلام على ربى الدنيا يقيم
كان الورى لعب الضلال بكف شيطان رجيم
★★★

بالوحي جاء المسلمون ليبعثوا اهل القبور
ليحطموا قيد الحجى بكتاب توحيد ونور
ليشردوا بالظلم والظلماء والكفر الفجور
★★★

جنـد النبـي المسلمـون .. عـلى الثغـور يـرابطـون
بـالصبـر والايمـان والقلـب الكبـير يجـاهـدون
القتـل احـدى الحسنيـين .. فكيف يخشـون المنـون ؟

★★★

فتحـوا الأنام بفـاتحين : هـدى السماء وبـالسيـوف !
فتكـوا بـأكبـر دولتـين .. بـلا حسـاب للحتـوف
بـالروم والفـرس اللتـين هـوت بمجـدهمـا الصـروف

★★★

في الشـرق كـان المسلمـون وفي ربى الغـرب البعيـد
يبنـون لـلاسـلام صـرحـا للحضـارة لا يبيـد
بـالعلم .. بـالاخـلاق .. عظم امـرهـا الـدين الجـديـد

★★★

المسلمـون دعـاة رب الـعـالمـين الى الـورى
للخـير يـدعـون الـعتـاة ومـن تكبـر وافتـرى !
بـاللـين والقـول الجميـل .. يـوثقـون بـه العـرى

★★★

فـاذا تمـادى في الـعقـوق ولـج في الظلـم المبـين
فـالسيـف اصـدق رادع هـزتـه ايـدي المسلمـين
لا يستكـين المسلمـون لـذلـة تصـم الجبـين

●●●

مَن هُم ؟

من هم اولاء المسلمون ؟ هل نحن نحن المسلمون ؟
اني يحيرني الجواب ونحن في ذل وهون !
والمسلمون على ثراهم باللظى يتخطفون !

★ ★ ★

لم يحمهم عزم الابي وهم ملايين البشر !
متفككين .. مبعثرين .. على الثرى مثل المدر
فقدوا الارادة .. والرجاء .. وحملوا اللوم القدر !

★ ★ ★

هل نحن نحن المسلمون وقدسنا بيد اليهود ؟
او نحن نحن المسلمون وارضنا مرعى الاسود
من كل ذئب كان إن سرنا تزلزله الرعود !

★ ★ ★

هل نحن نحن المسلمون وقد دهينا بالفتن ؟
فلت عزائمنا ومزقت الصدور من الاحن
لا حزم يجمع شملنا وديارنا مأوى المحن !

★ ★ ★

اطفالنا .. ونساؤنا .. بيد العدو من العبيد !
او في العراء على الظما والجوع في ذل الشريد
النار احرقت الرجال وهدت البيت السعيد !

★ ★ ★

هلا بذلنا في حروب الغاصبين لارضنا ؟
مهجا رماها بعضنا بيد الدمار لبعضنا
ليزيد مجد الطامعين بحربهم وبحربنا !

★ ★ ★

مرحى ومرحى .. الف مـرحى .. نحن قوم مسلمـون !
اوليس آلاف المســاجـد بينـهـا مـن يسجـدون ؟
او ليس عشـرات الالـوف الى المنـاسـك يهـرعـون ؟

★ ★ ★

ثـم لا نسمـي المسلمـين وان غـدونـا كـالـعليـل
يـرمي بمـا وصف الطبيب لـه ويـرجـو المستحيـل ؟
هـل بعـد ميـلادي ببيت مسلـم يـرجى الـدليـل ؟

● ● ●

أنا مُسلم

أنـا مسلم .. رمـز عـلى الانسـان قـد قهـر الهـوى !
انـا مسلـم .. وسم عـلى انـف العـدو بـه اكتـوى
انـا مسلـم .. فخـر الابـي تجمـعت فيـه القـوى !

★ ★ ★

انـا مسلـم .. رمـز المحبـة والـوئـام بـه اسـود !
انـا مسلم .. رمـز الفـداء لكي تصـان بي الحـدود
انـا مسلم خلقي كتـاب اللـه .. لا خلـق الحقـود !

★ ★ ★

انـا مسلم .. خلقي اصيـل من كتـاب اللـه نـابـع
تبـعي الانـام ومـا انـا في مـذهبـي للخلق تـابـع
أرْسَى من الجبـل الاشم فـلا تـزعـزعني الـزوابـع !

★ ★ ★

انـا مسلـم متفجـر الـذرات في اعمـاق ذاتـي !
لا استكـين .. تشـع روحي النـور يبهـر في حيـاتي

خلقت لي الدنيا لاسبر غورها حتى مماتي

★ ★ ★

انا مسلم استقطب الدنيا وانظر في العواقب !
اعطي وآخذ كيف شئت ولا تعبدني المذاهب
متحرر الفكر الاصيل فلست عن ديني بذاهب !

○ ○ ○

انا مسلم ليست حروفا في اللسان او الورق
انا مسلم معنى الشريعة في الحياة قد انطلق
انا مسلم نهج يُطبَّق في السلوك .. هل انطبق ؟؟

★ ★ ★

انا مسلم .. لفظ يردده الشيوخ مع الشباب
لفظ فسيح .. كالوجود .. وجوفه منا خراب !
فمتى تجيش به الحياة ؟ متى ننال به الرغاب ؟

★ ★ ★

الخاسرون تجاهلوه فيمموا صخرا بقاع !
وعلى سفينهم الضحايا والسواد من الرعاع
فمتى يفيق المسلمون ليحكموا رفع الشراع ؟

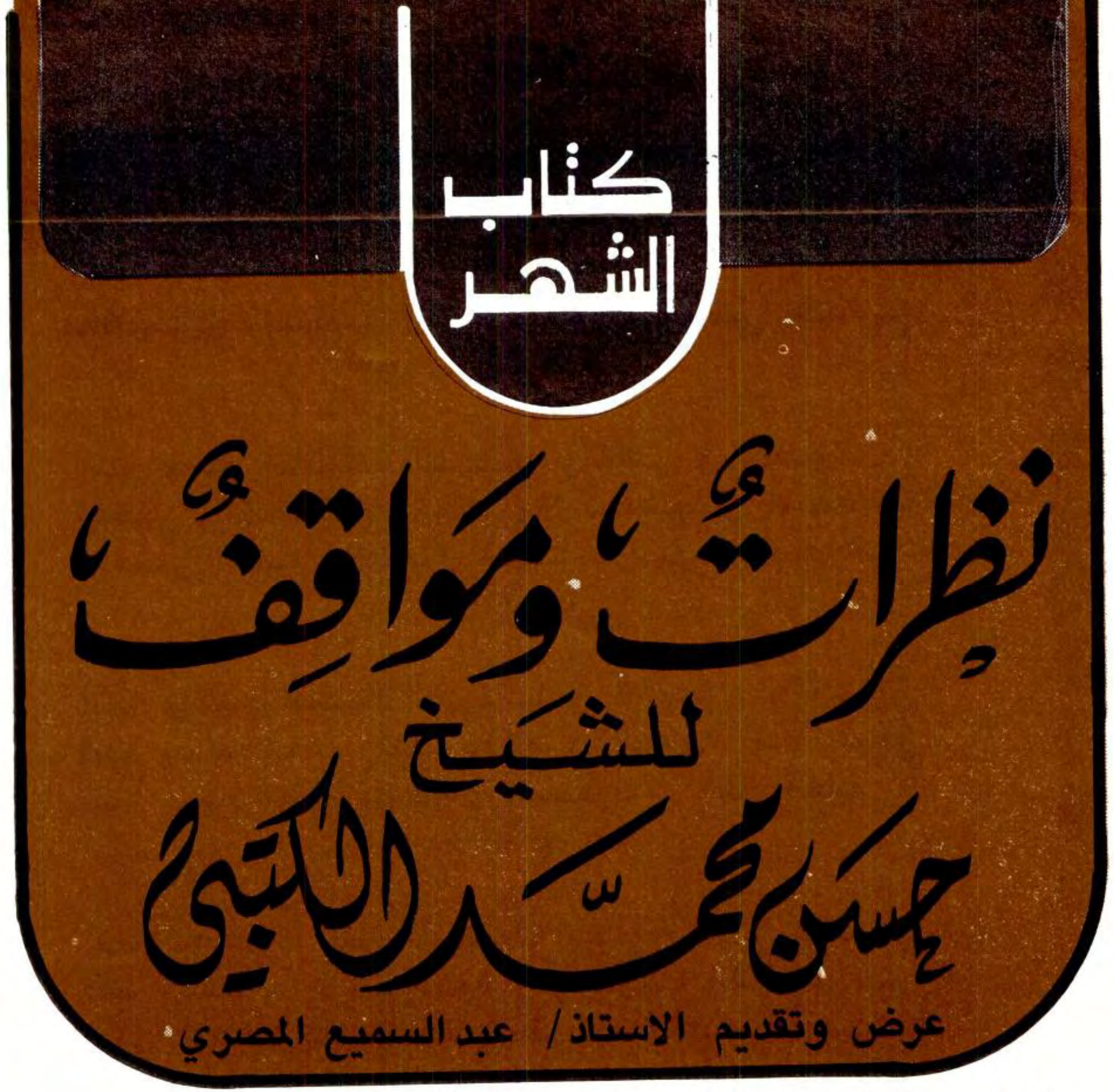
★ ★ ★

دستورنا القرآن اعلى قمة فوق القمم
لزمته مدرسة النبي فدوخت اعتى الأمم
لما جفاه المسلمون غدوا مواطىء للقَدَم !

★ ★ ★

المسلمون الاولون بدينهم صنعوا الغرائب
صدقت قلوبهم السماء فحققوا اغلى الرغائب !
يا مسلمي العصر الكئيب .. كفى .. كفى تلك المصائب !

● ● ●



ان اروع ما يلفت نظر القارىء في هذا الكتاب هو روح الوفاء النادر للوطن والعروبة والاسلام .. هذا الروح الذي نتنسم اريجه في ثنايا الكتاب وفي العديد من صفحاته .

وكان من اجمل الوان الوفاء هو الوفاء لرجالنا الابطال الذين ضحوا بكل شيء في سبيل اعلاء كلمة الله واعلاء شأن المسلمين ومن اعظم المعاصرين منهم المغفور له الملك فيصل الذي يقول عنه الكاتب :

« واجه مصائر شعبه الذي كادت تعصف به الرياح العاتية التي احاطت به من جميع الآفاق ، وضيقت عليه الخناق فأنقذه من الانهيار ووضعه على الجادة الواضحة المعالم .. وعبر بالعالم الاسلامي والعربي الى ذروة السلام والاسلام » .

والواقع ان كتاب « نظرات ومواقف » قد ضم بين دفتيه ـ وقد بلغ ما يقرب من اربعمائة صفحة من القطع الكبير ـ عدة كتب في مجلد واحد .. ففيه من روائع الادب وفيه فيض من ثقافة وفيه دعوات الى الاسلام والتمسك بشرائعه وفيه آراء في السياسة والاقتصاد والاصلاح .

فهو يتحدث ـ في مؤتمر الادباء ـ عن الديمقراطية الانسانية النقية التي لا تشوبها شائبة لانها ديمقراطية محصنة بالأخلاق والفضيلة ومراقبة الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ومن هذا المنطلق تنبعث دعوته القوية لكل خلق قويم فيقول في حديثه

عن « مصدر الالهام »

« ان كل انسان له جوانب كمال وجوانب نقص ، ولكن بعض الناس ترجح فيه بعض هذه الجوانب على الاخرى . ومن الانصاف ان نعرف لكل انسان ما فيه من خير لنأخذ به منه ونعترف له عنه ونعينه عليه ، وبذلك نحقق للانسانية كسبا عظيما وما كان خلاف ذلك من الانصاف ايضا ان نحاول استصلاحه بالحسنى ونحميه من الغيبة التي يصورها القرآن في ابشع صورة .. تحاكي اكل الانسان لحم اخيه ميتا .

فاذا حكمنا هذه القاعدة في علاقتنا مع الآخرين فاننا سنتخلص من تلك النقائض الفتاكة في حياتنا الاخلاقية والاجتماعية وهي : التحدي والجحود والمكابرة ونزن الرجال والاعمال بموازين عادلة رصينة » .

ويمضي المؤلف في الحديث عن كل جميل وخير في حياة الانسان فينتقل الى الحديث عن الحرية فيقول : « انها اول مطلب يطلبه كل كائن حي عندما يتنسم نسيم الحياة .. وهي تسبق العقل والفكر والنطق .. وتسبق جميع انواع الفهم والادراك .. وهي من صفات الروح الاولى تنعدم بانعدامها وتوجد معها لحظة وجودها ، وهي أول صفة تصاحب وجود الروح في الكائن الحي .. وأول شيء في الوجود يدافع عن نفسه ويحتفظ بحقه في التصرف وفي التعبير عن ذاته ..

ورغم أن الحرية هي الأصل في الحياة الانسانية وأولى الحقوق الفطرية التي درج على ممارستها منذ مولده ..

الا انها تعرضت للضياع في شتى عصور التاريخ وبين مختلف الأمم .. لقد مضى على الانسانية حين من الدهر كان فيه الرق نظاما دوليا اجتماعيا فاشيا في أوربا .. فكل من ملك قطعة من الأرض ملك ما عليها من اناس .. وكان التشريع الروماني يجعل عقوبة العبد اذا سرق من سيده أو هرب منه هي القتل ..

وكانت القوانين الدينية عند الهنود تحرم طبقة خاصة من الناس من جميع الحقوق ويعتبرهم رجال الدين رجسا يمتنعون عن مخالطتهم . ورغم ذلك فقد ظل الانسان يكافح في سبيل تخليص حريته من العبودية وتخليصها من الاغتصاب والتعدي عليها ويضع الانظمة التي تحقق له ذلك .. وقد سبقت الأديان السماوية الى الدعوة لذلك ..

لكن من المؤسف أن نجد الانسانية بعد أن رأت طريقها الى سعادة الحرية التي عاشت تحلم بها .. قد انتكست الى حال أسوأ مما كانت تعانيه .. فالظلم والحروب فاشية .. ثم ما يتبعها من امتيازات تفرض على المقهورين .

ولقد وقفت الشيوعية العالمية في طريق ممارسة الحريات بجميع أنواعها .. وتحقيق السلام .. وعطلت اعمال الهيئات والمؤسسات التي أقيمت لحمايتها وضمان سلامتها وانتقل الصراع المحدود الذي كان يعانيه الفرد في محيطه .. والجماعات الصغيرة في رقعتها من الارض الى

صراع دولي شامل عم العالم بالقلق والخوف من المصير المجهول .

والحرب الشيوعية في بلد لا يراد بها ان تخلص الى سلم دائم واستقرار وحرية بل الغاية منها هي توسيع رقعة الشيوعية التي تحرم الانسان من أبسط حقوقه في التفكير والتعبير والعمل المنتج لرفع مستوى معيشته ومضاعفة دخله وادراك حياة افضل يتمتع بها الجميع في ظل القانون .

والشيوعية تعتمد في اسلوب انتشارها على مبادىء منافية للمثالية التي طمح الانسان في جميع أدوار حياته الى تحقيقها .

فلا تؤمن بالله .. ولا تؤمن بالاديان .. وتعتبرها برجوازية يجب القضاء عليها والتخلص منها .. مع أن الأديان - هي « الحق » وأقوى رابطة قامت عليها الحياة الاجتماعية البشرية ولا نخص بهذا دينا دون آخر - »

ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن كلمة سمعها من مسئول في وزارة خارجية دولة عظمى تضع كل ثقلها في محاربة الشيوعية ..

فهذا المسئول لا يعتبر البلد شيوعيا حتى يتلقى تعليماته وأوامره من موسكو مباشرة .. أما ما سببته سياسة بلده من دفع الكثير من بلاد الشرق الأوسط الى أحضان الشيوعية الى حد التخريب وقتال الشوارع وتلاشي الحكم الديمقراطي .. فهو في نظره من قبيل العبث الوقتي الذي لا يستحق المقاومة .

لكن عندما تستولي الطغمة الشيوعية على الحكم وتتلقى تعليماتها من موسكو ويصبح البلد شيوعيا .. عندئذ تهب حكومة ذلك المسئول لمقاومتها في اطار مدى تأثيرها على مصالحها فقط .

وفي ظل هذا المفهوم الخاطىء تزحف الشيوعية زحفا متصلا في جميع الاتجاهات وهي اذا حلت ببلد فنادرا ما تنحسر الا وسط بحور من الدماء .

لذلك يجب ان نعمل ونسارع بالعمل لصد هذا الزحف بمفاهيمنا الاسلامية التي تقدس الحرية بكل انواعها ..

★ « حرية الفكر .
★ حرية الملكية .
★ حرية استعمال الفرد لملكاته ومواهبه الفطرية .
★ حرية السيطرة على طاقاته ليستغلها لخير نفسه وخير البشرية .
★ حرية تنظيم حياته على النحو الذي يتفق مع رغباته .
★ حرية العيش حيث يريد وكيفما يريد » .

موقنين ان ما توصل اليه العقل البشري من انظمة ديمقراطية انما هو

من ثمار هذه الحرية التي تريد الشيوعية ان تقضي عليها بما تهدره من كرامة الانسان وتدمره من الأخوة الانسانية وتنشره من نظام يصدم الفطرة ويعوق التقدم الحضاري للانسان .

وهنا يبرز دور الأدباء ومسئوليتهم الكبرى في الحفاظ على تراث الانسانية بصفتهم « الرواد في المهامه المقفرة والرائد لا يكذب أهله » .

« اننا بحاجة الى أن نبرز الوجود العربي في أفكاره الملائمة لفطرته وفي عقيدته الملائمة لطبيعته وفي طريقة حياته المنسجمة مع تقاليده وعاداته .. وان نتابع الأخطاء والانحرافات التي لحقت به فنبين مصادرها ومدى الاضرار التي الحقتها بالوجود العربي حتى نصحح الأخطاء ونعمل على تكوين رأي عام سليم واع مدرك .. رأي عام عربي اصيل - لا شرقي ولا غربي - يستطيع ان يأخذ بمقدرات الأمة العربية الى الطريق المستقيم .

كما أننا بحاجة ايضا الى تنقية موارد ومصادر ثقافتنا وفكرنا التي اختلطت اختلاطا مروعا يهدد بتصدع وتحول عظيم في الصميم حتى نحصل على فكر وثقافة صالحة لتغذية نمونا الطبيعي كيلا نتعرض الى خطر التحول عن فطرتنا .

اما في حديث الشيخ حسن كتبي عن « الاسلام والسلام العالمي » فهو يقول :

« السلام هو جزء من صميم العقيدة الاسلامية لأن الدعوة الى عبادة اله واحد لا شريك له حسبما جاء في جميع الديانات السماوية السابقة للاسلام هي عنصر رئيسي من عناصر السلام :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران / ٦٤

فاجتماع البشر في ظل توحيد الله - وهو جوهر الدعوة الاسلامية - يقضي على جميع المشاكل والخلافات والحروب التي طالما أثيرت بسبب الخلافات العقائدية أيا كان نوعها » .

لاسيما وأن الاسلام لم يعتمد في نشر عقيدته على حرب أو اكراه .. وكيف يكون ذلك والمولى عز وجل يقول في محكم كتابه :

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل / ١٢٥
(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة / ٢٥٦
(إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم)
التكوير / ٢٧و ٢٨ .

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الانبياء / ١٠٧

فالسلام هو الأصل في دعوة الاسلام والحرب استثناء لا يلجأ اليها الا عند الضرورة القصوى ولا تكون ابدا بنية التوسع والاستعمار بل للدفاع عن النفس .

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الحج / ٣٩ و ٤٠

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة / ١٩٠ والمسلم ملزم في حروبه بالتسامح والتقوى والعدل ومنع الاعتداء والجور والظلم وقتل الابرياء حتى تتحقق حرية الفكر والعقيدة فيقبل الناس على رسالة السماء .

ان من أهم دواعي الحج وهو ذلك اللقاء « بين اطراف هذا الكيان الاسلامي من كل فج عميق لقاء دينيا مبرأ من شوائب العصبيات والجنسيات وكل ما يفتت الأسرة الاسلامية الكبيرة من أسباب متنوعة ليعالجوا قضاياهم ويحلوا مشاكلهم على أسس من الدين وليتبادلوا المنافع بينهم » .. في ظل الاسلام .

لكن السلام في ظل الاسلام لا يعني الاستسلام أو النوم وقد استولى « أعداء الأديان وأعداء الانسان على قدس من مقدساتنا واستولى عبدة الاوثان على شطر عزيز على قلوب المسلمين جميعا من أرض باكستان » .

ولذلك يدعو المؤلف دعوة ملحة للتضامن الاسلامي الذي لم يكن في يوم من الأيام دعوة حزبية ولا تجمعات عدوانية وانما هو نسب روحي أقامه الاسلام بين المسلمين حيث جعل منهم اخوة وجعل الاخوة الاسلامية هي القاعدة التي يرتكز عليها كيان المجتمع الاسلامي وضرب لهذا الجسد مثلا بالجسد الواحد .. اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .

ولقد أصبح المسلمون في جميع اقطار الارض في أشد الحاجة الى احياء ذلك النسب بينهم بسبب فداحة الاخطار التي تهدد وجود الشعوب الاسلامية كجماعة توحد العقيدة بين أفرادها .. لقد عرف الشعب التركي حرب الابادة التي شنها القبارصة على الأتراك المسلمين بقصد أن يزيلوا وجودهم ... كما عرف هذه الأخطار الهنود المسلمون في الهند وكشمير وفي التركستان الذين يعانون مما يعانيه المسلمون الاتراك .

ويعيش المسلمون في زنجبار وفلسطين مهددين بالفناء .. وفناء هذه الجماعات الاسلامية يعتبر انتقاصا

للكيان الاسلامي العام وفناء لبعض اجزائه ومتى تعرض الكيان العام للانتقاص والفناء ينتهي الى الاضمحلال التدريجي حتى يتصدع البنيان وينهار .. »

وينتقل بنا المؤلف بعد ذلك في رحلة مباركة الى المؤتمر الاسلامي العالمي للسيرة النبوية الشريفة ويحدثنا من كلمته في ذلك المؤتمر عن علماء الطبيعة المعاصرين الذين آمنوا بالعلم وصنعوا منه إلها يعبد وكفروا بالخالق واتبعوا السراب وتجنبوا الصواب وأصبحوا : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم / ٧ .

وينتهي الى القول بأنه : « قد ثبت أن العلم من غير ايمان يقود الى الدمار وأن خيره للانسانية محدود في أضيق الحدود . وقد جاءت الاشارة الى ذلك واضحة في القرآن الكريم في قوله تعالى :

(**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**) يونس / ٢٤

لقد قدم لنا فضيلة الشيخ كتبي في كتابه مائدة شهية حافلة بمختلف ألوان العلم والأدب ولقد مزج فيه بين أدب الرحلات ـ عندما تحدث عن باكستان واليابان وتركيا وغيرها ـ وألوان الأدب الاخرى كما حرص على تبليغ ما يؤمن أنه الحق عارضا أمام القارىء في صورة محببة أهداف الاسلام العليا .

وهو يسدي النصح خالصا لوجه الله تعالى بعد أن شخص أدواء العرب كجزء من الأمة الأسلامية فيقول لهم عن جامعتهم :

« ان الجامعة العربية لا تحتاج الى مواثيق ولكن الى ايمان عميق ، ايمان بالمسئولية واخلاص لها وصراحة تامة في جميع الشئون التي تعرض فيها وعندئذ ستأتي هذه االجامعة بالمعجزات وفيما عدا ذلك فانها البيت الكبير للاسرة يجتمع فيه أفرادها ثم يخرجون بنفس الاحساس والشعور الذي دخلوا به » .

وفي سبيل الاصلاح علينا نحن العرب : « أن نطرح جميع النداءات والمذاهب كالقومية والاشتراكية وخلاف ذلك لانها لا ترتكز الى سند من تاريخ الأمة العربية . ونستبدل بها مذاهب ونداءات الجامعة الاسلامية لأنها السند الحقيقي الذي جعل من الأمة العربية تاريخا وحضارة وعلوما وفنا ومجدا » .

(**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات / ١٣



الأميون القارئون والجامعيون الأميون

للاستاذ / السعيد الشرباصي

ليست الامية الحقيقية العميقة الجذور والبعيدة المدى هي عدم القدرة على حل رموز الكتابة أو عدم معرفة أنواع الحروف وتراكيب الكلمات ، ولكن الأمية الخطيرة هي عدم القدرة على مطالعة ما يحتويه العالم من أسرار ، وما يجري في فلكه من عبر ومرئيات .

وليس كل من عرف رموز الكتابة وميز بين أنواع الحروف بقارىء ، بل إن هناك ممن لا يعرفون الفرق بين حرف وحرف يجيدون القراءة لصفحات الوجود ، بينما نرى الكثيرين ممن يحسنون القراءة يعمون عن النظر الى ما في الكون ولا يفهمون حرفا واحدا من مقولاته .

ولقد اهتم القرآن الكريم بالتحذير من هذه الأمية ، لأنها تحول المبصر إلى اعمى .. والأمية الحقيقية المرذولة التي يحذر منها القرآن هي قرينة الغفلة ، وهي التي تكون العيون الباصرة قوية وسليمة بل وواسعة ونشيطة ، ولكنها لا ترى الا الظلام او الأضواء ، أما ما وراء ذلك من الحقائق ، فذلك شيء يغيب عنها ولا

تصل اليه ، يقول القرآن الكريم : **(فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)** الحج / ٤٦ .

وقضية الايمان هي قضية التأمل والتدبر والتبصر ، وعندما لا يوجد شيء من ذلك يصبح الايمان امرا مستحيلا ، لأن الآذان تسد والعيون تغلق : **(والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)** فصلت / ٤٤ وغضب الله على المغضوب عليهم انما يكون بحرمانهم من هذه النعم الممنوحة التي لا تستعمل فيما أعدت له : **(اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)** محمد / ٢٣ .

والواقع ان الأمية الحقيقية تحرم الانسان من آدميته ، وانه ليسهل عليك قيادة شخص فقد بصر عينيه ، ولكنه متفتح القلب ، مستيقظ الحس ، ولا تجد مثل هذه السهولة عندما تبتلى بشخص مبصر لكنه اعمى القلب لا يدرك ولا يبصر الحقائق .

وهؤلاء الاميون بأميتهم العميقة الجذور ، يسدون على الدعاة الطريق وتتحطم أمام غبائهم وسائل الارشاد والهداية ، لأنهم صم بكم عمي ، وقد نبه القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم الى بلاء هذه الأمية معزيا له عما يلاقيه من أصحابها قائلا له : **(أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون)** يونس / ٤٣ وحقا فرغم انهم مبصرون ، لكنهم لا يبصرون .

وعندما يختم الله على قلب انسان ويعمي بصره تكون الطامة الكبرى والبلاء الأعظم ، وهذا الصنف من الخلق هم الذين يصفهم الواصفون فيقولون عن الواحد منهم « انه اعمى البصر والبصيرة » وحفظنا الله من هذا البلاء .

○ **هل انت تقرأ :**

هذا هو السؤال الذي لو وجه الى كل الدارسين والمتخرجين من الجامعات فانهم سيجيبون على الفور بالايجاب ، وسيكون الرد بكل قوة « نعم انهم يقرأون » .. ولكننا لو طبقنا نظرية الأمية الحقيقية ، فهل الجواب يمثل الحقيقة والواقع ؟ . اعتقد أنه لا يكون قريبا من الحقيقة لأن معظم المتعلمين لا يعنيهم من الأمر الا : « ما قاله الاستاذ او كتبه ليؤدي فيه الامتحان » . أما ما وراء ذلك فأمره لا يعنيهم وحسبهم انهم يبصرون الطريق الذي ينتهي بهم للحصول على الشهادة او على الدرجة العلمية « أما أنهم يخرجون الى الحياة ليزودوها بما علموا ، وليتفاعلوا معها ويأخذوا منها أو يعطوها فذلك شيء لا يفعله إلا القليلون .

ان مهمة التعليم الذي يعتمد على معرفة القراءة في الحقيقة انما هي اعطاء المفاتيح لقراءة ما في الكون من آيات واستطلاع ما في الآفاق من عظات .. واذا كانت معلوماتنا ستظل قاصرة على ما كتب أو قرىء فان معنى ذلك وقوف المعرفة عن التقدم ، وثباتها عند الحد الذي وصل اليه من

سبقونا ، وبذلك لا يخطو العالم اي خطوة جديدة . وانما تقوم الحضارات والابتكارات على جهود العلماء وعلى اخلاصهم في قراءة ما في الكون من أمور مجهولة لم تقرأ بعد ، ثم تقديم هذه الاكتشافات الى العالم .

وفي المسائل الروحية والأخلاقية لا حقائق تكتشف ، ولكن تتطور أساليب الفهم لهذه الحقائق كما تتطور أساليب عرضها وتطبيقها ، وخاصة لمواجهة ما تم من اساليب مادية حديثة .

وعلى سبيل المثال كان الانسان الذي يعيش في بيئة اسلامية بسيطة لا يحتاج لتوضيح حقائق العقيدة الى عناء . اما إنسان الآلة في مجتمع المادة ، فانه محتاج الى طريقة مبتكرة في الوصول الى طوايا نفسه ثم في طريقة عرض الحقائق الدينية عليه .

والطرق المبتكرة التي يحتاج اليها المجتمع اليوم ، قطعا لم يكن العالم في حاجة اليها امس . ومن هنا يصبح التأمل فيما كان والتدبر فيه أمرا ضروريا ، ويصبح الخروج الى الوجود والتعرف على ما فيه واجب محتوم على كل طالب للمعرفة وما لم يتم ذلك فأنك لست محسوبا في عداد القراء . حتى لو صرت من كبار الموظفين ، أو من حملة الشهادات والدرجات .

○ **أقرأ الأميين** :

ومن قديم كانت القراءة معروفة في العالم كله ، وكانت موجودة في أم القرى . ويشهد لهذا ما حدث من الرسول صلى الله عليه وسلم مع أسرى بدر . حيث جعل فداء بعضهم أداء مهمة خاصة هي تعليم بعض أطفال المسلمين القراءة والكتابة ومعنى هذا أن الكتاب والقراء كانوا موجودين بأم القرى قبل مجيء الاسلام .

ورغم هذا فان محمدا عليه الصلاة والسلام ، لم يكن قارئا لصحف الأوراق ولا كاتبا للحروف والكلمات ، واختاره الله سبحانه وتعالى أميا لتكون المعجزة الباهرة والمقنعة .

ومن بداية المسيرة اخذ نفسه بالقراءة الحقيقية ، قراءة العالم ومطالعة الكون ، فكان يترك الحياة العامة لينفرد بنفسه ، وليعيش مع العزلة في تأمل دائم .. في صمت الصحراء المعجز الذي ينطق بالايمان ويجلجل باليقين ، وفي السماء الصافية العريضة ، وفي صور الشعاب والجبال التي لا تستقيم ولا تنتظم .

كان يخرج الى غار حراء يجلس الساعات الطوال والأيام والليالي فهل كان يقضيها في تحنث وعبادة معروفة ؟ ام كان يقضيها في تأمل وتطلع ، يترقب النور ويبحث عن الشروق ؟ ولو كان ينشد العبادة المعروفة في زمانه لكان المسجد الحرام ارحب مكان لذلك ، ولكنه كان يطلب البحث عن الحق وتتطلع روحه الى ما هو اعظم .

واخذ الفتى الأمي يطيل النظر في الآفاق ويطيل التأمل في جميع الاتجاهات ، الطيور الشاردة التي

تظهر فجأة وتختفي بسرعه ، من الذي صنع لها الأجهزة المتحركة ، التي تحملها من سفح الأودية الى ما فوق هامات الهضاب ، والليل القادم بظلامه المطبق الممتد ، والذي ينتهي الى النهار بأشعته الباهرة التي لا تحتملها العين ، ثم اختلاف درجة الحرارة حيث البرودة مع الظلام ، وقسوة الحرارة مع النهار ثم هذه الأفلاك الدقيقة الصغيرة التي تنتشر في الخيمة الكبرى التي تغطي الوجود ، وهذه الأفلاك الكبيرة المشرقة والمضيئة والمتحركة في انتظام .

ثم هذه الحيوانات التي ضمن الله لها رزقها في جوف الصحراء والتي تختفي من الانسان خلف الكثبان ، وتعيش معتمدة على خالقها ، تسعى لرزقها ليلا او نهارا وتنظم حياتها من اجل البقاء .

إن القارىء الباحث لو عاش الى جوار أي حيوان حتى ولو كان بسيطا . وجعل يتأمل أحواله وأموره وأجهزته وطرق معيشته فانه يجد في هذا الحيوان البسيط حياة كاملة تمد المرء بالأفكار والتساؤلات التي تنتهي به الى الايمان بعظمة الخلاق الذي خلق الدقيق والجليل والحقير والعظيم .

فماذا يكون الحال لو كانت العين الفاحصة عين قارىء عظيم ينفذ الى الأغوار ويمضي الى الأعماق ويحسن الانتهاء الى الحقائق .

ثم اذا تلفت حوله ولم يجد ما ينظر اليه ، فلماذا لا يرد الطرف الى نفسه ، ويتأمل فيما حوت وفيما وعت : **(وفي الارض آيات للموقنين . وفي انفسكم افلا تبصرون)** الذاريات / ٢٠و ٢١ .

لقد كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم أمي قرأ ، وأعظم انسان تأمل ونظر وبصر ، ولم تكن الرسالة الأسلامية التي حملها ، رسالة التعاويذ والمتاهات ولا رسالة الغموض أو التسليم الأعمى ، وانما نادى : لتتفتح العيون ولتتحرك القلوب ولتحس المشاعر ولتطالع ما في الحياة ، فكان خير امي قرأ وخير أمي قاد الأميين الى القراءة الصحيحة ، بل وقاد المتعلمين الى المعرفة الحقيقية !

○ جاهلية القرن العشرين قديمة :

وكتاب جاهلية القرن العشرين « للاستاذ محمد قطب لم اجد في نفسي الاصرار على قراءته لاني احسست من عنوانه أنه يعالج جاهلية فترة معينة وطبقة محصورة بينما اعتقادي أن الجاهلية قرينة لمسيرة الانسان على مدار الأزمان .

كانت الجاهلية قبل الاسلام فجاء الاسلام ليحاربها ، ويطلب الى الجهلة ان تفتح عيونها على الحقيقة وتتجنب الحمق والعصبية . واستمر الاسلام مصدر اشعاع على مراحل التاريخ ليضرب بعصا الهداية رؤوس الجهلة في كل زمان ومكان .

ومفهوم الجاهلية الواضح هو العمى لا عدم العلم ، ولا غرابة ان

يقف الاسلام من الثقافة الغربية المادية موقف الاستنكار رغم ما وصلت اليه من تقدم علمي ، ولكنه تقدم يسوق البشرية الى الشراب والطعام ولا يمنحها الحب ولا الطمأنينة ولا يعطيها الأمان ولا الثقة .

ان الناس في كل المجتمعات المادية في الشرق وفي الغرب تأكل كثيرا ، ولكنها لا تشبع وتلبس كثيرا ولكنها تحس بالعرى . وتتمتع بأسباب الحياة ومع ذلك فهي تعيش في حرمان ، لأنهم يعيشون في حصار مادي مغلق ـ ولو أنهم فتحوا عيونهم على بداية الحياة ونهايتها . ومذاقها ومسيرتها لهان عليهم الأمر ولأدركوا أن الدنيا لا تستحق ان نحرق قلوبنا حسرات من أجلها ، وأن نذرف دموعنا تفجعا عليها .

فقضية الجاهلية قديمة ودائمة وهي معاصرة ومستمرة . لأنها قضية الأهواء التي تعايش الانسان ، فان هو تغلب عليها وسيطر على تنظيمها ارتقى وسما عن منزلة الحيوان ، وان سيطرت عليه فقد انسانيته ، وانحدر الى مستوى البهائم : **(أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا)** الفرقان / ٤٣و٤٤ .

ثم من يسكن جهنم لو ان جيل الغافلين عن الحقائق انتهى ، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** الاعراف / ١٧٩

والغريب في قضية الايمان أن الانسان يحمل عناصره مع وجوده ويستخدم وسائله في تحركاته فقضية الحياة والموت هي قضية الميت الذي يتحول الى حي ، والحي الذي يصير ميتا ، وانها لقضية مشهودة في النبات وفي الحيوان ولكنها في التكوين الانسان أظهر وأعظم . حيث يرى الأنسان في مهده ضعيفا بسيطا ، ثم يتدرج في مراحل النمو الى ان يصبح فتيا قويا . ثم تبدأ المسيرة في الاتجاه العكسي ، وانها لقضية مفروغ منها لم تتخلف مع ولي ولا نبي ولا مع ضعيف ولا قوي . ورغم هذا الامتداد الذي لم يتخلف ابدا فان الجهل ينسى بعض الخلق هذه الحقيقة التي تعيش في كيانه .. فيستطيل ويستطيل حتى يظن انه من الخالدين ، بينما ينسى مصيره القريب الذي قد يتحول الى فاجعة .. مع ان الوسائل المستخدمة في الوصول الى الايمان وسائل جيدة ، عيون تدور الى اليمين والى اليسار وترى ما في المواجهة وتملك الحرية للاستدارة ، وآذان تسمع الهمس وشديد الجرس ، وقلوب شفافة تلتقط الاحساس والمشاعر من غير مفتاح يدار أو وقود يقدم ، فلماذا اذن لا نستخدم هذه الوسائل ؟ ولماذا لا نطلقها في طريقها الصحيح الذي أراده الله لها ؟

قصة اجتماعية

قطرات من دموع

« وقضى ربـك ألا تعبدوا إلا إيـاه وبالوالدين إحسانا »قرآن كريم

للأستاذ / حسين القباني

كانت ليلة من ليالي الصيف الماضي والقمر يسكب فيضا من نوره على تلال المقطم القريبة من حي العباسية ، والظلال ترسم مع الضوء صـورا غامضة على الممرات المنحدرة ، وليس في المكان غير دقدقة حوافر جواد يسير بخطوات واهية متثاقلة ، ووقع خفيف لأقدام الحوذي العجوز ابراهيم وهو يمضي بجانب جواده بلبل .

ورغم النسيم الرخاء الذي كان يمسح على وجهيهما بيد رقيقة ناعمة ، فقد كانت قطرات العرق تتألق في ضوء القمر على جبين الرجـل العجوز ، وتنضح على جسد الجواد المتعب – المتثاقل في خطوه .

كانا عائدين معا في تلك الليلة كعادتهما كل ليلة منذ خمسة عشر عاما ..

ومسح ابراهيم وجه بلبل حين رآه يتوقف لاهثا متعبا وهمس له :

ـ اقتربنا من البيت يا بلبل كما تعلم ، خطوات اخرى ونصل ، ولن نشقى بعد هذه الليلة أبدا ، فقد آن لنا أن نستريح حتى آخر العمر .

ولما ربت بيده على وجه الجواد وجده مبللا ، فلم يدر أهي قطرات من الدموع ام حبات من العرق ؟ .

وانحدر ابراهيم في طريقه الى البيت وعادت به الذاكرة الى الوراء .. الى اعوام بعيدة لا يعرف لها عددا ، الى ايام الشباب التي كان يشتغل فيها حوذيا في قصر احد الاثرياء ، ومرت على وجهه سحابة من الأسى وهو يذكر تلك الايام من شبابه ، فقد كانت اياما سوداء قاسية ، لم يشعر فيها لحظة انه آدمي من حقه ان يعيش كما ينبغي ان يعيش الآدميون ، كان يعلم ان نظام الرق قد الغي ، ولكنه كان يعيش اذل من العبد المسترق .

وكان من الممكن ان يقبل هذا كله في صبر من اجل لقمة العيش ، ولكن الذي كان يثيره ويكاد يذهب بعقله تلك النظرات الجوفاء التي يوجهها اليه السادة أصحاب القصر ، فقد كانوا ينظرون اليه وكأنه غير موجود ، أو كأنه جزء متحرك ـ تافه الشأن ـ من اجزاء مركبتهم الفاخرة ، وضبطه السيد الكبير ذات مرة وهو يلتقط من تراب الحظيرة بعض حبات الفستق التي سقطت ذات مرة من يد السيد وهو يطعمها للجواد ، ووجد نفسه مضروبا ومطرودا من القصر وهذه الكلمات ترن في أذنيه :

ـ لم يبق الا أنت يأكل الفستق .

وانتقل الى قصر ثان وثالث ورابع والمعاملة واحدة لا تكاد تختلف في جوهرها ، وكأن هؤلاء السادة الكبار قد تخرجوا في مدرسة واحدة لقنتهم دروسا خاصة في كيف يعامل السيد الكبير أولئك الذين أراد لهم القدر أن يكونوا في خدمته ورهن اشارته ؟

وتزوج ابراهيم ، وأثمر الزواج أولادا لأن نظام الحياة كما يقول العامة يأبى الا أن يعطى للفقير كرشا كلما احتاج قرشا ، وكثيرا ما كان يعوزه هذا القرش في فترات التعطل ، فتمضي الأيام به وبالأسرة الصغيرة في ضيق ومسغبة ..

وتنحسر سحابة القلق عن وجه ابراهيم وهو يذكر كيف وفق اخيرا للعمل عند صاحب مركبات الأجرة ، وكيف استطاع أن يدخر مبلغا من المال اشترى به مهرا صغيرا أسماه « بلبل » وكيف تفاعل به فلم يفترق عنه يوما منذ ذلك الحين حتى نشأت بينهما صداقة وطيدة قل ان يوجد مثلها بين انسان وانسان ؟؟

كانا يخرجان معا في بكور الصباح ـ صيفا وشتاء ـ سعيا في سبيل رزقهما ورزق الاسرة .. وكان كل صاحب مركبات يزيد في عمولة ابراهيم نسبة معينة بسبب وجود بلبل معه .. وكان ابراهيم يجلس في مقعد القيادة ، ويقضي النهار وجزءا من الليل في السعي ، بعيدا عن أولئك الذين كانوا ينظرون اليه على أنه قطعة تافهة من المركبة الفاخرة ، ثم يعود مع بلبل ليتناول كل منهما عشاءه في المربط ، الشعير وحبات الفول الجاف في المزود لبلبل ، وخبز الشعير وحبات

الفول المدمس على صندوق فارغ لابراهيم .

وكان بلبل لا يأكل الا اذا رأى صاحبه ابراهيم يمضغ الطعام أمامه ، وقد حدث ان شعر ابراهيم ذات ليلة بوعكة وغثيان ، فعافت نفسه الأكل وأبى الجواد أن يذوق شيئا حتى اضطر ابراهيم الى أن يتظاهر بالمضغ .

ولما مرت هذه الذكرى بابراهيم ، امتلأ قلبه بفيض جديد من الحب للجواد الوفي ، فتوقف وعاد يمسح على عنقه في حنان وهو يهمس له :

ـ هل تعرف يا بلبل لماذا سنستريح معا بعد هذه الليلة ؟.. ان ابني الاكبر ممدوح قد نال شهادة مدرسة الصناعات منذ شهور ، وظفر بمركز محترم في احدى الشركات منذ شهر ، ولا شك انه قبض اليوم مرتبه الاول .. جنيهات يا بلبل .. وأكبر ظني أننا سننعم الليلة بطعام شهي ، فلا شك أن أم ممدوح قد وضعت لك كمية كبيرة من الفول والشعير والتبن وربما قطعة من السكر ايضا ، فمن يدري ؟ فأنت يا بلبل جدير بكل خير بعد أن شاركتني هذا الكفاح الطويل في سبيل الرزق ، ولعلها تركت لي صحنين أو ثلاثة ملأى باللحم المشوي والارز والفاكهة ، نعم يا بلبل لقد آن لنا أن نستريح ..

وعاد ابراهيم مرة أخرى بأفكاره الى ذكريات كفاحه المستميت مع جواده بلبل لكي يتيح لولديه ـ ممدوح وخليل ـ نصيبا من التعليم يجنبهما المذلة التي كان يشعر بها تحت نظرات السادة المترفعين .. وكان يحرم نفسه من كل شيء عدا لقمة الخبز والأدام ، ليتيح لهما فرص التعليم ، ويمهد لهما طريقا في الحياة أقل وعورة ومشقة من طريقه ..

ونجح الرجل في كفاحه ، وتخرج ممدوح من مدرسة الصناعات ، واشتغل باحدى الشركات ، وأوشك خليل أن يتخرج من مدرسة التجارة ، ولا شك أن الاثنين سيحملان عنه عبء الانفاق على أمهما واخواتهما الثلاث ، اما هو فان ربحا قليلا من بيع الحلوى امام المدرسة الابتدائية بالحي كفيل بتغطية نفقاته ونفقات بلبل معه ..

والتفت الى جواده باسما وعاد يحدثه قائلا :

ـ نعم يا بلبل ان قروشا قليلة ستكفينا معا ، وما أظن ان العمر سيمتد بنا عاما آخر ، ولماذا يمتد وقد ادينا معا الجانب الاكبر من مهمة وجودنا .

وأحنى الجواد رأسه ، وأخذ يمسح بوجهه وجه صاحبه ، تاركا عليها حبات من العرق ، أو قطرات من الدموع ..

وظل القمر يرسل ضوءه على التلال والممرات المتشعبة فيها ، وظل السكون مخيما الا من وقع خطوات ، ودقدقة حوافر ، ونعيب بومة هناك ، ونباح كلب هنا .

وبلغ الاثنان المربط القريب من مسكن ابراهيم ، وهناك وقف الرجل العجوز يطرف بعينيه في ذلك الشعاع الباهت من ضوء القمر الذي تسلل الى المربط من فجوات في سقفه .

لا مصباح مضاء ، ولا فول ولا تبن في المزود ، ولا فول وخبز على الصندوق الفارغ .. لا شيء ..
ماذا حدث ..؟
كيف نسيت ام ممدوح ان تعد له ولجواده الطعام كما اعتادت كل ليلة ؟
هل اطار صوابها الفرح برؤية الجنيهات .. مرتب ابنها .. ام تراها اهملت امره عمدا لانه لم يرسل اليها نقودا في منتصف النهار كالمعتاد كل يوم .؟
ان كان الاحتمال الأخير هو السبب ، فان لابراهيم العذر فماذا كان في وسعه أن يفعل ما دام لم يربح في يومه لأول مرة في حياته غير ثلاثة قروش اشترى بها طعاما لبلبل ، وبقي هو بغير طعام حتى ساعته هذه ..
ورغم هذا كله ، فقد عاد راضيا وهو يعلم ان الله الذي قدر عليه الرزق في يومه هذا بسط له وللاسرة رزقا آخر عريضا عن طريق ابنه .
وهز رأسه مستنكرا وقال للجواد :
- لا يا بلبل ، ان أم ممدوح زوجة متعبة حقا ، وقد عشت معها صابرا من اجل الأولاد ، ولكني اعتقد أنه مهما بلغ جحودها فلن يصل الى حد حرماننا من العشاء في مثل هذا اليوم السعيد - محال محال .. امكث هنا حتى اذهب وأرى ماذا حدث ثم اعود .
واحس الرجل بشعور ثقيل مبهم يرين على صدره وهو ينقل قدميه في خطوات بطيئة نحو مسكنه الذي قضى فيه الخمسة عشر عاما الاخيرة ... مسكن بناه بيديه في هذه البقعة الموحشة من التلال ، بناه من الطين والأعشاب وسقفه بالشجر الجاف ، وما هي غير أسابيع حتى عمرت هذه البقعة الموحشة بعدد من الأكواخ المماثلة لزملائه الحوذية والباعة الجائلين .. أما متاع هذه المساكن فلم يكن يتجاوز حصيرا او قطعة من الخيش وبعض الاواني لطهو الطعام وغسل الثياب .
واجتاز ابراهيم المنحنى حتى اصبح قريبا من هذه الفجوة التي تؤدي مهمة النافذة في احدى غرفتي مسكنه ، فرأى بصيصا من الضوء ينساب منها على غير العادة ، وشعر بانامل باردة تعتصر قلبه خشية ان يكون اصاب الزوجة أو احد الابناء مكروه .
وما كاد رأسه يبلغ حافة الفجوة ، حتى سمع زوجه ، ام ممدوح تقول لابنها بصوتها الاجش الذي يعرفه عنها :
- اسمع يا ممدوح ، اذا عرف ابوك حقيقة مرتبك وان الشركة قررت لك خمسة وعشرين جنيها في الشهر ، فسوف يتواكل ويكسل ، بل ربما يرفض العمل اعتمادا على مرتبك .. انه رجل كسول كما تعلم ، يحب الجوع والراحة ، ولولا نخسي له يوما بعد يوم لكان حالنا اليوم غير هذا الحال ، ولما امكنك ان تتم دراستك ..
وصمتت المرأة برهة ريثما تسترد انفاسها ، ثم استطردت تقول :
- انظر ماذا فعل اليوم ..؟ انه يعرف انك ستقبض مرتبك هذه الليلة ولذلك لم يهتم بارسال بعض المال كالمعتاد ،

ومن يدري .. فلعله ساهر الآن في « البوظة » كما كان يفعل في شبابه .. ثم لا تنس أنك وعدتني بثوب حريري تشتريه لي من أول مرتب تقبضه ، وثلاثة ثياب لأخواتك، وقماش بدلة لاخيك خليل ، ولا بأس ان تدخر بعض مرتبك لتشرع في الزواج بعد ان يتوظف اخوك ، وسوف اختار لك بنفسي عروسا كالقمر من بيت كريم استطيع أن أعيش معها .. اما ذلك العجوز الفاني فما اظنه يصلح للحياة معنا ، سنتركه هنا مع حصانه اللعين .

وشعر ابراهيم انه يسقط في هاوية عميقة مظلمة ، وكأن كل كلمة يسمعها من زوجته سهم من النار يدمي قلبه ، ولكن ترى ماذا سيقول ابنه ؟ .. ابنه الأكبر ممدوح ، الذي سعد به يوم مولده وظل يرعاه ويعنى به يوما بعد يوم ، ويشعر بلذة الجوع ليوفر له الطعام ، ويحس متعة الحرمان ليقدم له السعادة .. هل سيلقي على هذه الزوجة الجحود درسا في الوفاء ..؟ هل .. آه .. ها هوذا يتحدث قائلا :

ـ اسمعي .. لا أنت ولا هو سينال من مرتبي شيئا .. يكفي أني صبرت على هذه الحياة القذرة كل هذه السنوات .. يكفي أني عشت الأربع سنوات الأخيرة ببذلة واحدة ، لقد آن لي أن اشعر بالحياة أن أرى الدنيا ، أن أستمتع بالطعام الطيب والمسكن النظيف ... والزوجة الجميلة ..

وبعد برهة صمت ، استطرد قائلا :

ـ ان الخدمة التي يمكن أن أؤديها لكم ، هي أن أرحل عنكم وأوفر عليكم المال الذي كنتم تنفقونه علي ..

وكأنما القى الشاب فكاهة تثير الضحك ، فاذا هو يضحك عاليا ، ثم يقول :

ـ سوف أرحل من الغد ، فقد استأجرت مع زميل لي شقة صغيرة « بالظاهر » .

ولم يستطع ابراهيم ان يسمع أكثر من هذا ، فقد شعر كأن كلمات ابنه هي السهام الأخيرة التي أجهزت عليه ، فتراجع عن النافذة ، وعاد مترنحا في طريقه الى المربط وقد اختلطت في ذهنه الذكريات، بحلوها ومرها ، واختلطت عند أقدامه الظلال بضوء القمر فاذا هي صور غامضة ، واذا نعيق بومة هناك يقطع السكون مع نباح كلب هنا ..

وعاد الرجل الى المربط ، وركع بجانب جواده ، وتمتم بأنفاسه الأخيرة قبل ان يسقط مغشيا عليه :

ـ كله عند الله يا بلبل .. ان الله لن ينسانا أبدا يا بلبل .

وفي عصر اليوم التالي ، كان المارة في شارع العباسية يشاهدون نعش رجل في طريقه الى مدافن باب النصر ، وكان وراء النعش عدد قليل من المشيعين ، ووراء هؤلاء جواد عجوز يسير في ضعف شديد وقد تعلقت عيناه بالنعش المحمول ..

ويقول بعض الذين شاهدوا هذا المنظر ، انهم لمحوا حبات من العرق تتساقط من جبين الجواد ، ويؤكد غيرهم انها كانت .. قطرات من دموع ..

بريد الوعي الإسلامي

خيانة امرأة نبي ..

قال تعالى في سورة التحريم : « **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين** »
الآية ١٠

ونفهم من الآية الكريمة كما قال المفسرون : أن كفار مكة قالوا مستهزئين ـ أخزاهم الله ـ إن محمداً يشفع لنا .. فبين الله سبحانه أن شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تنفع كفّار مكة وإن كانوا أقرباء ، كما ان شفاعة نوح لا تنفع امرأته ، كذلك شفاعة لوط لا تفيد امرأته مع قربهما لكفرهما . وسوف يدخلان النار مع الداخلين .. حيث لا نسب يفيد .. ولكنه الايمان والعمل الصالح وفي ضوء هذا الفهم .. نقول : إن خيانة المرأتين ـ كما قال عكرمة والضحاك ـ هي الكفر .. ولم تكن خيانة زنى .. فقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما : ما بغت امرأة نبي قط .

وعلى هذا نقول للأخ القارىء : **سامي عبداللطيف أحمد شاهين** ـ من مصر ـ : ان امرأة النبي لا تقع منها جريمة الزنى . وان المقصود من خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ، خيانتهما في الدين ، حيث كانتا كافرتين أو منافقتين ، فامرأة نوح كانت تقول للناس عنه : إنه مجنون . وكانت تفشي اسراره ، وامرأة لوط كانت تعلم قومها بأضيافه وذلك بأن توقد في بيتها نارا ، فيراها القوم فيحاولون إيذاء أضياف لوط .. ولكن أضيافه كانوا من الملائكة ، ولن يصلوا اليهم أبدا . وكانت عاقبة الكفر والنفاق والخيانة هي الجحيم نعوذ بالله من شرّها .

حول آية من كتاب الله

أرسل الينا الأخ/ أزهري أحمد محمد حسين ـ من السودان : يسأل عن معنى الآية الكريمة (**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .

المحرر : ان هذه الآية جاءت في أعقاب أوامر ووصايا الهية تدعو الناس الى :

● عدم الاشراك بالله سبحانه ، فهو الله الواحد الأحد .

● والاحسان الى الوالدين .

● وألا يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر فالرزق كفله الله لكل كائن حي .

● والبعد عن ارتكاب الفواحش وهي الكبائر الظاهر منها والباطن .

● وعدم قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق : قصاصا أو دفاعا عن النفس اذا لم يكن غير ذلك .

● والحفاظ على مال اليتيم ، فلا يتصرف وليه في ماله الا بالتي هي أحسن ، فلا تبذير ولا اسراف .

● والتعامل في أمانة .. فلا تطفيف في الكيل ، ولا اختلاس في الوزن .

● والحكم بالعدل بين الناس .. فلا يصرفنا شيء عن قول الحق من قرابة أو غيرها .

● والوفاء بالعهد .. فهو شيمة الصالحين .

بهذه الأخلاق الفاضلة أمرنا الله تعالى فيجب علينا أن نتخلق بها قدر استطاعتنا فاذا وقع منا ما ينافيها سارعنا بالتوبة الى الله ، وعدنا الى الطريق المستقيم الى الهدى والرشاد ، وهو طريق الاسلام ، دين الله الخالد ، وهذا هو الطريق الذي يجب أن نسلكه ولا نحيد عنه الى طرق أخرى ملتوية ، حتى لا تتفرق بنا السبل الى مذاهب مختلفة والى أديان باطلة .

وهكذا أوصانا الله باتباع الصراط المستقيم ، حيث الفضائل والمثل العليا ، والابتعاد عن المذاهب والأديان المختلفة التي تفرق الناس الى احزاب وشيع . لكل فرقة شيطانها الذي يزين لها طريق الغواية . وعلى الحق والخير قامت اسس الدين الاسلامي الخالد ، وبقيمه ومثله السامية ما زال ينتشر بين الناس ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

جزاء الخيانة

هكذا اختار الاستاذ محمود زيدان السفاريني هذا العنوان (جزاء الخيانة) عنوانا لأبيات شعرية لم ينسبها الى قائلها .. ونشرتها المجلة في عدد رجب رقم ٢١١ لسنة ١٤٠٢ هـ منسوبة للفاضل الاستاذ/ محمود زيدان السفاريني ..

وبعد النشر .. جاءتنا رسالة للقارىء محمد زيدان – من القاهرة – وقال : طالعتنا مجلتكم الغراء بقصيدة شعرية بديعة .. تحوز الاعجاب وتستوقف القارىء ولا شك ببراعة أسلوبها واكتمال عناصرها الفنية والجمالية مع عظيم هدفها ومعناها ، والأمر المدهش هو ما ذيلت به القصيدة من نسبتها للاستاذ/ محمود زيدان السفاريني .

ومضى يقول : والقصيدة واردة في الجزء الرابع من الشوقيات .. فهي للشاعر احمد شوقي وطلب الأخ القارىء من المجلة توضيح الالتباس

وحول نفس الموضوع كتب الدكتور/ رفيق محمد الشيخ – من الأردن – وكان مما قال : والقصيدة لشوقي رحمه الله – الشوقيات الجزء الرابع – وقال : انني اذ أنبه الى ذلك لأقول متسائلا ومتأذيا : لم كان هذا ؟

هذا وبالرجوع الى ديوان شوقي – الجزء الرابع – وجدنا نص القصيدة تحت عنوان : (سليمان عليه السلام والحمامة) . نقول هذا .. وننتظر من الاستاذ محمود زيدان السفاريني ردا أو تعليقا .



الاســــلام كفيــل بالسعادة في الحياتين

للأستاذ: الشريف مأمون ابو الوفا

الاسلام دين الفطرة ودليل السعادة ونهج السلامة واقوم طريق للوصول الى باب النجاة في كلتا الحياتين !

فمن تأدب بادابه العالية فقد ارتدى حلل السعادة الحقيقية ومن نقب عن أسراره وعمل بما علم منها فقد تتوج بتاج الشرف والعزة وتسربل بحلل التجلة والكمال ونسج الـوقار عليـه سربالا سـابغا ، ورفـرف على هامته علم الهنـاءة والسعادة وانقشعت عن قلبه غيوم الاوهام والحيرة وصفا له جو العقيدة الثابتة فامتطى متن الطمأنينة وسار في طريق الصـراط آمنا معتمدا على هذا النجم الذي لا يضل به سار اتخذه هاديا في مسـراه ولا يحيـد عن جـادة الصواب من اهتدى به في كل مكان وكل زمان .

فليس من العجب ان نسمع من حين الى حين ومن وقت الى آخر أن فردا من الافراد قد لاح له ضوء هذا الدين الحنيف فاهتدى بهديه ، او ان اسرة من الاسر قد بدا لها بارق الشريعة الغراء فـاقتبسوا من نـورهـا قبسـا يستضيئون به بقية عمرهم في الدنيا ويسعى بين ايديهم في الآخرة بعد ان ضاعوا شرخ شبابهم في ظلام جهالتهم الحالك او ان جماعة من الجماعات قد سطعت على أبراج مباني قلوبهم انـوار شموس أسـرار الـدين المحمدي فمزقوا حجب غيرهم وهتكوا أسرار ضلالتهم وخلعوا ثيـاب كفرهم ، وارتـدوا حلل الدين فقد اختاره المولى ليسعد به اتباعه ويقرب به أنصاره ولم يقبل غيره من بين سائر الأديان وأخبر (جل شأنه) ان ابتغاء غيره ضـلال وهذيـان وخيبة وخسران فقال تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » كما قال عز وجل « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة

من الخاسرين » أجل ، انهم يتذوقون حلاوة شهده ورشفوا شيئا من رحيق عجائبه فاصطبغوا بصبغته وتحلوا بجميل آدابه وانكبوا على فهم أسراره . ليس بغريب ولا عجيب فان هؤلاء واولئك قد أصابوا باسلامهم كبد الحقيقة وخرجوا بايمانهم من ظلمات الجهالة الدامسة الى نور العلم المتلألىء واهتدوا الى طريق سليم مستقيم ، وما ذاك الا لأن الله تعالى قد اراد بهم خيرا فحفهم بعين عنايته وحفظهم بلطف رعايته وشملهم بعطفه ورحمته فانتشلتهم العناية الالهية من أسفل دركات المهانة والذلة ورفعتهم العناية والرعاية الربانية الى مستوى درجات القرب والعزة وخلع المولى العظيم عليهم خلع الاصطفاء وأفاض عليهم مزن الاختبار فتطهرت قلوبهم وصفت نفوسهم وغسلوا أدران الكفر بكوثر الشريعة الغراء الوضاء وتراءوا للملأ الأعلى سافرين عن وجوه المباهاة .

واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

فلا غرابة ولا عجب لأولئك الألى ، رأوا الحق فابتغوه ، وشاهدوا الباطل فاجتنبوه وسمعوا داعي الرشاد فلبوا نداءه ، ولكن العجب كل العجب لمن يطرق سمعه « الاسلام » ولا يكون مسلما ، والغرابة كل الغرابة فيمن يعرف طرفا من آداب الملة الحنيفة ولا يكون مؤمنا ، والدهشة كل الدهشة لمن يسمع

ما يتلى من آيات الذكر الحكيم ولم تنفتح له عيون فؤاده فيخشع لهيبته ويخضع لعظمته والحق سبحانه يقول « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وكما قال « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » فليت شعري ! ما الذي يصدهم عن الاسلام وتعاليمه ؟؟

وما الذي يحول بينهم وبين الايمان بآدابه ؟؟

ايصدهم عنه ان القانون السماوي الذي حكم فعدل : وقضى فأنصف ، فأمن الخائف ، وقوى الضعيف ، وساوى بين الرفيع والوضيع ، ونزع ربقة الاستعباد من أعناق المستضعفين ، وجعل النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف ، والسن بالسن والجروح قصاصا .

ما الذي يبعدهم عن التمسك بعروته الوثقى التي لا يطرق بابها انفصام ؟ وما الذي حدا بهم ان يجاهروا أهله بالعدوان

ويبيتوا لهم أسوأ النوايا ؟ أيجاهرون ببغض الاسلام وأهله لأنه يدعوهم الى ما فيه سعادتهم ويجعل بينهم وبين الشقاء سدا منيعا ، ام لأنه يحضهم على ترك معتقداتهم التي تجوس خلال نفوسهم حائرة لا تجد لها مأوى فتسكن معها هواجس الشكوك

والظنون ولا تستقر في طية من طيات صدورهم فتستقر معها تلك العقائد المضطربة وتطمئن معها ضمائرهم المتعبة .

ايظهرون على الاسلام وتشمخ عليه انوفهم (كلا) وقد كانوا بالأمس اذلاء لأنه هو الذي رفع رؤوسهم وأمنهم في ديارهم ووقاهم من ظلم المستبدين وغطرسة المستعبدين ؟

أيشهرون عليه سيوف البغضاء لانه فند بحججه الدامغة تعدد الالهة وطالب كل عاقل بتوحيد الواحد الاحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؟

أيحاولون الانتصار على الاسلام (كلا) لأنه دين الفطرة والسعادة ودين العفو والكرم والسماحة ودين اليسر والسهولة ، ودين الشهامة والمروءة ، لا دين النذالة والدناءة ، دين الترفع والفضيلة ، لا دين الانحطاط والرذيلة ، دين الرفق بالضعفاء من البشر والحيوان لا دين الغلظة والفظاظة ، دين الديمقراطية التي ينشدونها ويتغنون باسمها لا دين الاوتقراطية التي ينفرون منها ويحاربونها .

اليس عمر الاكرم وخليفة رسوله الاعظم القائل على رؤوس الاشهاد من اكابر اصحابه « من رأى منكم في اعوجاجا فليقومني » اما علموا ان الاسلام هو الذي حرر العقول من ربقة الخيال والاوهام واطلق لها عنان البحث والتوفيق لترتفع في رياض اليقين الزاهرة وترفل في حلل التمكن في اطهر العقائد لتظفر بالعز الدائم والنعيم المقيم . اجل : هو الذي فصل بالحق الواضح في كل امر اختلف فيه ابناء البشر في دينهم ودنياهم فوضح السبيل امامهم وظهر الدليل ناصعا في اعينهم ، فمن لحظته العناية سلك سبيل الهداية ومن سبق عليه القضاء هوى في مهاوى الضلال والغواية ، هو المرجع الوحيد الذي يرجع اليه كل مكابر متعنت فيفحم بحججه الدامغة وبراهينه القاطعة وادلته الناصعة ، هو الملاذ الذي يلجأ اليه كل حائر في عقيدته فيرفرف العدل على قلبه ويتسرب الاطمئنان الى نفسه فيعود متسربلا سربال راحته وهناءته .

بيان حول الغزو الاسرائيلي للبنان

جاء من رابطة العالم الاسلامي « مكتب عمان » ـ الأردن هذا البيان ننشره بنصه :

لا يستهدف العدوان الاسرائيلي الغاشم الفلسطينيين واللبنانيين وحدهم في لبنان انما يستهدف العرب والمسلمين في جميع ديارهم ، واسرائيل نفسها اراد لها صناعها ومؤسسوها منذ ان كانت الفكرة طيفا يجول في خواطر الزعماء السياسيين والدينيين اليهود والساسة من زعماء الغرب الذين كانوا يؤمنون بفكرة الصهيونية ، حتى ان بعض المفكرين الغربيين كان اكثر حماسا لاقامة دولة اسرائيل من الاسرائيليين انفسهم لتكون رأس حربة وجسر ومنطلق عدوان وشر ضد الامة العربية والاسلامية ، ولذلك ارادوا لها ان تقام على اسس دينية وحضارية تستمد وجودها من التاريخ القديم وحضارتها وايديولوجيتها من الحضارة الغربية ، وتحددت نظرتها منذ البداية على اساس الصراع التاريخي الحضاري العقائدي ، بين الاسلام كدين جاء ومعه حضارته وله ايديولوجيته السياسية الخاصة به وبين الحضارة الغربية المسيحية التي تستمد جذورها من التوراة والعهد القديم ، وقد استغلت الصهيونية تاريخ الصراع الذي كان قائما بين الحضارة الاسلامية والغربية مرورا بالحروب الصليبية الى نهاية العهد العثماني ، واستطاعت ان تستقطب القوى الغربية وتسخرها لاقامة كيانها العدواني ، وقامت اخيرا بجهود مكثفة في مراكز القوى الغربية لدمج الاهداف الاسرائيلية بالاهداف الغربية عقائديا وسياسيا وحضاريا دمجا كاملا ، فجاء عدوانها الاخير على لبنان متوجا لهذه الجهود ومجددا لهذه الاهداف ، وما نسمعه عن المجازر البشرية التي يرتكبها الصهاينة وقوات سعد حداد وغيرهم من المتعاونين مع الصهيونية لم يكن تخطيطه وليد الساعة ولم يأت عفوا ، فكان بمثابة انذار للعرب جميعا وللمسلمين عامة لينتبهوا للخطر الجسيم الذي يتهدد اصولهم وبلادهم وحضارتهم وليكفوا عن الفرقة والخلاف وليعلموا ان اعداءهم انما يقاتلونهم وهم مجتمعون متساندون ومن منطلق ايديولوجية محددة والعرب يسيرون في تيه ويلهثون وراء سراب الايديولوجيات الغربية التي وضعها لهم اعداؤهم ، والعدوان الصهيوني المدعوم بأسلحة الغرب وتأييده يسحق الشعبين الفلسطيني واللبناني معا ، ومنعوا عنهم ابسط حقوق الانسان فمنعوا عنهم الغذاء والماء والدواء ، والضمير العالمي والمنظمات الدولية الانسانية منعت من تقديم اية مساعدات فيالها من كارثة ما افظعها ويالها من نكبة تفتت الاكباد وتلين الصخر الجماد .

فهل للعرب والمسلمين ان يهبوا وينفضوا عنهم غبار النوم والاستسلام والسير وراء الاحلام ، وما اصدق قولة علي رضي الله عنه « اكلت يوم اكل الثور الأبيض » وطريق العودة الى الله والى الاسلام هي الطريق التي توصلنا الى شاطىء السلام وبر النجاة ولا طريق غيرها ونجدة اخواننا في لبنان من الفلسطينيين واللبنانيين حق وواجب . والله اصدق القائلين « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه « والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . صدق الله العظيم .



التدين يكسب أنصارا وسوق الالحاد راكدة

لقاء مع وزير الاوقاف والشئون الاسلامية

حول التدين والالحاد والدعوة الاسلامية ورسالة المسجد دار هذا الحوار الذي أجراه مندوب جريدة الأنباء الكويتية .. ننقله لقارىء « الوعي الاسلامي » تعميما لفائدته .. قال : الاستاذ احمد الجاسر وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

— من مسؤوليات الوزارة الاساسية العمل على التوعية الاسلامية ونشر الدعوة الاسلامية في الداخل والخارج ولا شك ان مهمة تعميق تعاليم الدين في نفوس الشباب مسؤولية مشتركة بين المؤسسات الحكومية والاهلية ، فهي جزء اساسي من مهمة بناء المواطن الصالح المنتمي لامته ودينه والمؤمن بربه والمستقيم على الخلق والسلوك السوي ، ولا شك ان مسؤولية الوزارة بالذات متميزة بهذا الخصوص ولديها الفرصة الكبيرة لممارسة هذا الدور من خلال المساجد المنتشرة في مختلف الاحياء السكنية سواء عن طريق خطب الجمعة والتأثير بواسطتها على جموع الشباب أو عن طريق اقامة الفروض الخمسة التي يقبل عليها العدد الكبير من الشباب ، فهناك فرصة كبيرة لائمة المساجد ليمارسوا الدور المؤثر في توجيه الشباب من خلال الصلاة والاحاديث والتوعية الدينية بعد اقامة الصلوات ، كما ان على الوزارة مسؤولية ايصال الكلمة الطيبة من خلال أجهزة الاعلام المختلفة وهناك برامج تنسق مع الاذاعة والتلفزيون واحيانا مع الصحافة ونأمل في المستقبل ان تتوسع نشاطات الوزارة في هذا المجال وأسأل الوزير :

● وزارة الاوقاف .. كيف تخطط دورها في التعليم الديني بالمدرسة والجامعة . ولماذا يخسر التعليم الديني في البرامج الدراسية بالجامعة ؟ قال :

— لا شك ان العملية التعليمية من مسؤوليات وزارة التربية وجامعة الكويت . فان هاتين الجهتين هما اللتان تتوليان مسؤولية التعليم في مختلف أنواعه بما فيه التعليم الديني ووزارة الاوقاف تضع امكاناتها

وطاقاتها دائما في خدمة وزارة التربية وجامعة الكويت لتساهم في بناء محتويات المفاهيم الدينية ، وحتى الان فان وزارة الاوقاف تشترك في مجلس ادارة المعهد الديني كما تدعي احيانا للمشاركة في عضوية لجان المفاهيم الدينية ، ونأمل في المستقبل ان يتوسع التعاون مع وزارة التربية والجامعة لتطوير التعليم الديني وتقديم مواد الثقافة الاسلامية لمختلف التخصصات الجامعية .

وأسأل الوزير :

● وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، كيف تتعامل مع اجهزة الاعلام الاسلامية والعربية والخليجية ؟ اجاب الوزير :

ــ للوزارة علاقات واسعة مع الكثير من المؤسسات والمراكز الاسلامية في الكويت او في العالم العربي او في العالم الاسلامي او بقية اجزاء العالم وهي على صلة دائما مع هذه المراكز والمؤسسات اما في شكل زيارات متبادلة لوفود او مراسلات حول النشاطات الاسلامية لهذه المؤسسات والمراكز ، الا انه من المؤسف ان التغطية الاعلامية لهذه النشاطات قاصرة الى حد كبير وليست هناك مبادرات تذكر من المؤسسات الاعلامية للاتصال والتعرف على هذه النشاطات واعتقد انه من واجب الوزارة ان تبادر من جهتها بمد جذور الاتصال لهذه المؤسسات الاعلامية العربية والاسلامية والعالمية لاهمية اجهزة الاعلام ودورها الكبير والمؤثر في مختلف النشاطات .

رسالة المسجد

● وزارة الاوقاف .. كيف تفهم رسالة المسجد ؟

ــ لا شك ان رسالة المسجد معروفة تاريخيا وحضاريا وليس لدى الوزارة فهم مختلف عن هذا الفهم الذي امتد عبر التاريخ الاسلامي ومنذ بدء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا كان هناك قصور في مباشرة المساجد لدورها التاريخي في الوقت الحاضر فهي مسؤولية مشتركة بين جميع القائمين على الشؤون الدينية وشؤون المساجد ، ولا شك ان الكثير مما كان يقوم به المسجد اصبحت تتولاه مؤسسات خاصة لم تكن معروفة في العصور السابقة ولكن هذا لا يمنع من ان يستمر المسجد في القيام بدوره كملتقى للمصلين ومدرسة لطلاب العلم ، وهذا يحتاج الى قيادات مثقفة وواعية لدورها ولمسؤولياتها في كل مسجد ، والوزارة تعمل جاهدة على توفير هذه القيادات للمساجد لكي تستطيع ان تستقطب المواطنين وتشدهم الى المسجد في مختلف الاوقات والظروف .

● لكي نجتذب الشباب ، علينا ان نعيد المساجد في حياتنا مراكز عصرية لحياتهم ، في داخلها قاعات للمحاضرات والعرض السينمائي لافلام علمية وانسانية ومكتبات تثير الشوق الى الاطلاع ، هذا الكلام لاحد كبار الدين ، ونسأل لماذا تغلق مساجد الكويت بعد صلاة العشاء ، لماذا لا تتحول الى مراكز لتعزيز مسيرة

الدعوة بين الناس عامة والشباب خاصة ؟ أجاب الوزير :

— ان الوزارة تدرس مشروعا حول ذلك ، وعندما تتوفر القيادات الدينية الواعية سنتمكن من تنفيذ افكار الوزارة حول دور المسجد الشامل في التربية والتوعية .

عودة الى الدين

● الالحاد يتفشى وسوق الاديان يجنح في بعض الدول الى الركود وخاصة في محيط الشباب ، ما هو التخطيط العقائدي لاذكاء روح التدين في النفوس الصدئة ؟ اجاب الوزير :

— انا لا اوافق على هذا الكلام وذلك لاننا جميعا نلمس موجة التدين ليس في العالم العربي فقط ولا في العالم الاسلامي فقط ولكن في العالم اجمع ، ففي الوقت الذي تشهد فيه الدول الاسلامية عودة الكثير من شبابها الى الدين والالتزام باوامره مما اصبح يميز هذه الفترة في الوقت الذي كان التميز فيه لكبار السن ، وحتى في الديانات الاخرى فان موجة العودة الى التدين ظاهرة ملموسة ، كما ان هناك محاولات من فئات من الشباب لابتداع اديان جديدة وتدعم هذه المحاولات الهيئات الالحادية التي تريد لها ان تؤثر على الديانة الصحيحة واعتقد ان ما يتميز به العصر ليس انتشار الالحاد بقدر ما هو التمايز بين فئات المجتمعات او بين فئات الشباب الذين يريدون ان يتقيدوا بالدين ويلتزموا باوامره ونواهيه بشكل جاد ودقيق وبين فئة الشباب الذين يطلقون لانفسهم حرية التصرف بعيدا عن الالتزام الديني ، هذا التمايز الذي اصبح يدخل حتى في افراد الاسرة الواحدة في مختلف المجتمعات ويقسم هذه الاسرة الى فئتين لا ترتضيان اسلوب التعايش مثل ما كانت ترتضيه الفئات المتدينة وغير المتدينة في اوقات سابقة ، واعتقد انها بدايةموجة من الصراع العالمي بين الخير والشر وبين الايمان والكفر ، سوف تتصدر حلبة الصراعات المختلفة في السنوات القادمة .

والتقط الخيط حول الصراع بين الخير والشر وأسأل :

● الصراع بين الخير والشر موجود منذ الأزل لاستمرار الحياة ، لا احد ينكر ذلك ، ولكن الملاحظ في هذا العصر ان الصراع بلغ قمة العنف وان البشرية تتعذب اكثر مما كانت تتعذب من قبل .. لماذا ؟

التحدي الكبير

قال وزير الاوقاف :

— لا شك ان الصراع بين الخير والشر موجود منذ بدء البشرية والى ان تقوم الساعة ، ولا يزعم احد ان بامكانه القضاء على جميع الشرور في الدنيا ، وهذا هو التحدي الكبير والدائم لكل نفس بشرية منذ انزل الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام من جنات النعيم ومنذ قتل قابيل هابيل ، وسوف يستمر الصراع بين الخير والشر الى ان تقوم الساعة ، ولقد من الله سبحانه وتعالى على البشرية برسالاته

السماوية وختمها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليكون بشيرا ونذيرا لجميع ابناء البشرية ممن تبلغهم الدعوة الى ان تقوم الساعة ، وفي كل زمان وفي كل حين كان امل الفرد ان يعيش حياة الخير في الدنيا ليكسب النعيم المقيم في الاخرة ، ولكن الفرص المتاحة للاخيار والاشرار تستغل استغلالا غير متكافىء لذلك نجد الشر ينتشر ويطغى على مر الزمان الى جانب ان الظروف المأساوية التي يعيشها الكثير من اصحاب النزعة الخيرة تجعل الباب مفتوحا لهذا الصنف من الناس ليتحولوا تحت وطأة ظروفهم المعيشية والنفسية الى عناصر شريرة وهذا الكلام ينطبق على الدول والجماعات كما ينطبق على الافراد ، ولكن لا يجب ان يتشاءم الانسان ، فالخير باق الى قيام الساعة

الدعوة

ـ الحقيقة اننا بحاجة ماسة الى الدعوة في المجالين الخارجي والداخلي فالدعوة داخل دار الاسلام اكثر الان اهمية واصبحت الحاجة اليها اشد ، ونجاح الدعوة الخارجية مرهون اصلا بنجاح الدعوة الداخلية حيث تستطيع ان تقنع غير المسلمين بفضائل الاسلام وخصائصه التقدمية

● وهذه الدعوة ، كيف نخطط لها ؟
قال :بتهيئة المناخ الصالح لكل اسرة تفهم ببساطة وتعيش باخلاص تعاليم الاسلام واخلاقه واهدافه ومن ثم تبدأ المسؤولية من الاباء والامهات فكلنا كما يقول الرسول الكريم راع وكلنا مسؤول عن رعيته ، فهؤلاء الآباء والامهات يجب ان يكونوا مسؤولين . وقدوة في نفس الوقت ـ عن ابنائهم في كل ما يقولون ويفعلون داخل البيت وخارجه .

العالم والايمان

● والعالم يشهد تقدما علميا مذهلا وبعض رجال الدين واساتذة الجامعة يطالبون بضرورة اعادة النظر في كثير من الاشياء التي تقال للناس باسم الدين ، بعد ان تفتق العقل البشري الى معجزات علمية ، وأسأل الوزير :
● الايمان عمق واصالة ، فهل يزداد ايمان الانسان بازدياد علمه وثقافته ؟
ويجيب الوزير :
ـ « انما يخشى الله من عباده العلماء » ودعوة الاسلام الى طلب العلم والتفكير في آيات الله وخلقه دعوة متكررة ومترددة في سور القرآن الكريم وكلها ترسم الطريق الى الايمان بالله سبحانه وتعالى ، ولا شك ان الاسلام الحنيفي دين الفطرة وان بامكان الانسان مهما كان مستواه الثقافي وبحكم فطرته التي فطره الله عليها ان يدرك حقيقة الايمان وان يؤمن برب هذا الكون وبرسالته التي بعث بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكما قال الاعرابي قديما ـ فان البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير ـ ولكن كلما زادت ثقافة الانسان وعلمه واطلاعه فان فرص الوصول الى حقيقة الايمان تكون متاحة له بشكل اكبر ، ولذلك فان المستقبل كما اعتقد هو لهذا الدين العظيم .

استقرئوا الاندلس

قلنا لهم توبوا ولا تتفرقوا فتفرقوا
قلنا اصدقوا وكأنما قلنا لهم لا تصدقوا
قلنا اقلعوا عن غيكم فاستهتروا وتعمقوا .
قوم أبت اخلاقهم ان يستحوا او يتقوا .
خلقوا لكيد بلادهم يا ليتهم لم يخلقوا .
باعوا الضمائر والعقائد والشعور وأملقوا

اخي القارىء

مما يروض الجوانح بالحزن ويقلق الضمائر الحية بالألم تفرق العرب وكراهيتهم لبعضهم البعض وانتحارهم وهم لا يدرون ، الاخطار تحيط ببلادهم ، ولكن شاء الحظ التعيس للشعوب العربية ان تبتلي ببعض الحكام وكأنهم دسيسة عليها ، يتحدثون باسمها وهي المغلوبة المنكوبة بهم، هي تريدهم ان يستلهموا تعاليم الدين الحنيف ، يعتصمون جميعا بحبل الله فلا فراق ولا شقاق ولكن (الطموح الشخصي) و (الزعامة الزائفة) و (خداع النفس) ، هذا ما يجعل الواحد منهم لا يفكر الا في نفسه . وليته استلهم تاريخ الاندلس حين عصفت الاهواء برؤوس الزعامات الهشة فكانت المصيبة عليهم جميعا :

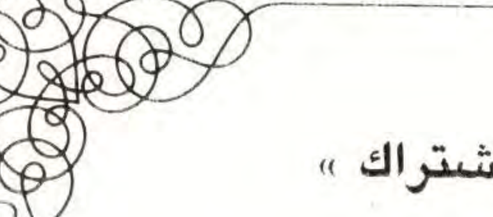
مما يزهدني في ارض اندلس
اسماء معتصم منها ومعتضد

القاب مرة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

نتلفت نحن المواطنين العرب فنجد ان شعوب اوروبا رغم اختلاف الجذور واللسان وحدة واحدة لهم برلمانهم وارتفعوا عن الصغار وها هم يتقدمون ويضعون لمشاكلهم الحلول التي يرونها ونحن نعبد ربا واحدا ونتجه الى قبلة واحدة صفا صفا واكتافنا كتفا كتفا ، اشارة الى وحدة الهدف وسعي المؤمنين ومع ذلك كأننا نحتفظ بالخنجر وذحن في الصلاة .

لا نيأس ابدا فعودوا الى كتابكم واستقرئوا تاريخ الصدر الأول فستجدوا المخرج من كل ازمة والطريق الى الصدارة ان كنتم فاعلين .

عن جريدة الشرق الأوسط

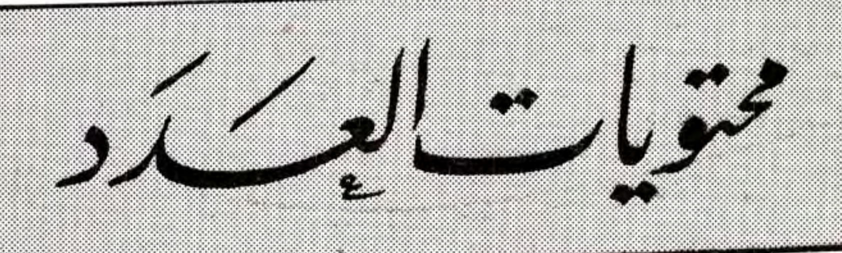


« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

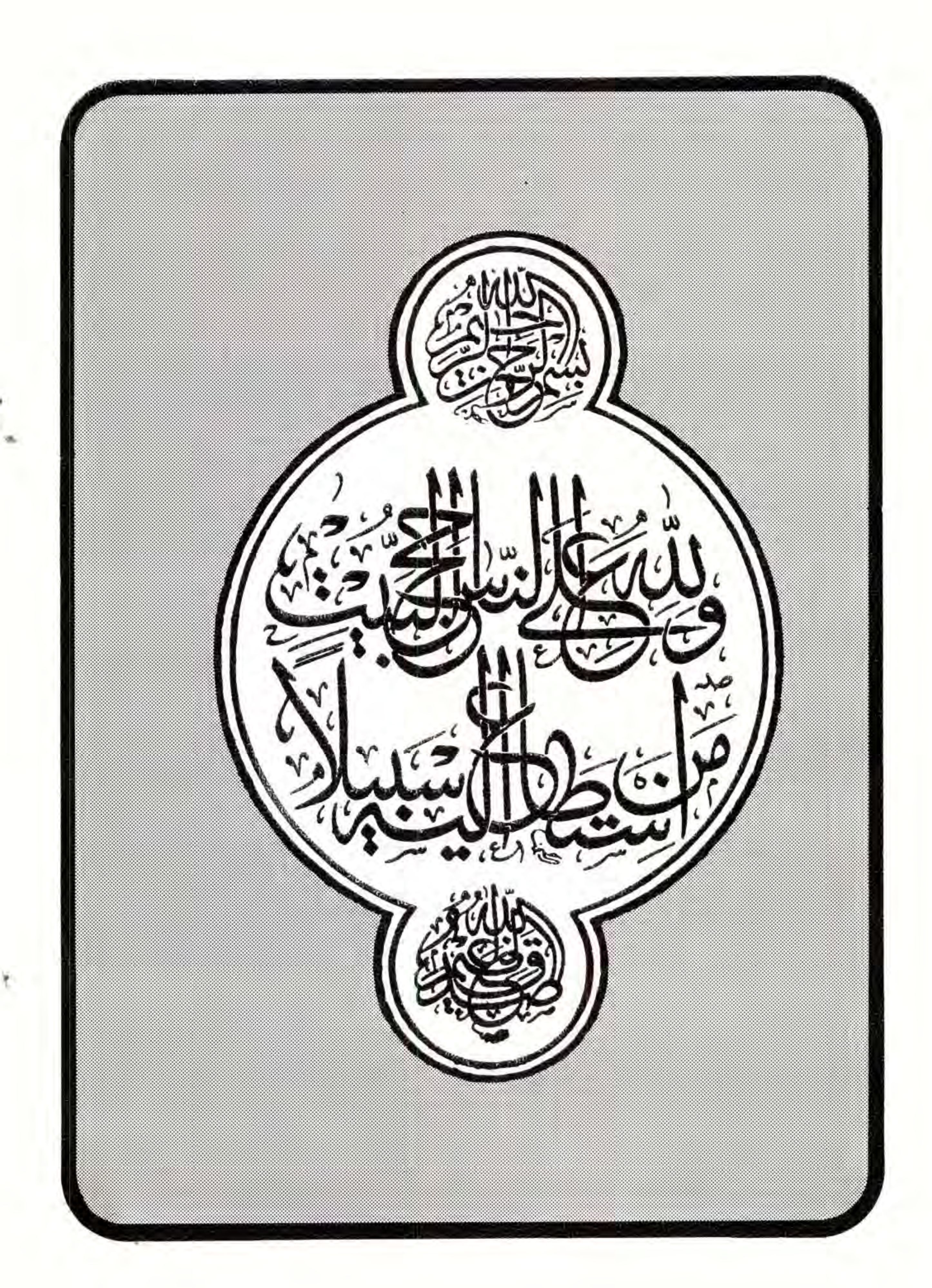

محتويات العدد



إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٦ • ذو الحجة ١٤٠٢ هـ • اكتوبر ١٩٨٢ م

هدية العدد مجلة براعم الايمان


بسم الله الرحمن الرحيم
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا
صدق الله العظيم



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٦ ● ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ● اكتوبر ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

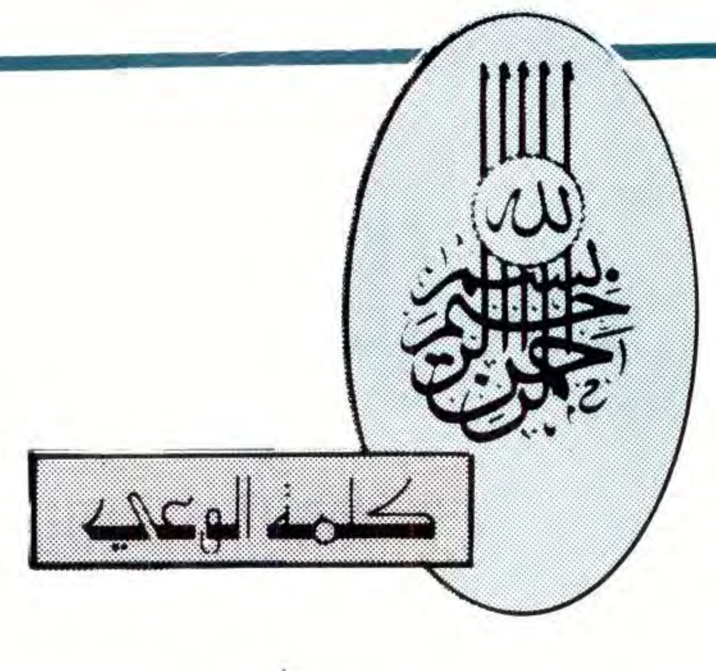
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص. ب. ٤٢٢٨ بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الاردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الحج مؤتمر اسلامي عام

اول بيت وضعه الله لعبادته هو البيت الحرام بمكة . باركه الله بكثرة الخيرات . اذ تجبي اليه ثمرات كل شيء . وباركه بكثرة الثواب والاجر . وجعله منبع الهداية للعالمين . فيه آيات بينات .. منها مقام ابراهيم للصلاة والعبادة . ومن دخل حرمه امن على نفسه ولو كان قد ارتكب قبل دخوله ما ارتكب من الجنايات . وقد اوجب الله على المستطيع من المسلمين الحج اليه . قال تعالى : (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)

وقد استجاب الله دعوة ابراهيم عليه السلام ، فجعل افئدة من الناس تهوي الى من يسكنون عنده . واودع في قلب كل مؤمن بالغ الشوق لزيارة البيت الحرام .. ومهما تردد المؤمن على هذا البيت حاجا او معتمرا ، فان شوقه اليه لا ينتهي ولا يضعف .

والحجاج الذين يفدون من كل فج عميق . يتلاقون عند البيت المقدس مجردين من كل صلة سوى الصلة الاسلامية ، ومتجردين من الثياب التي تميز بينهم ، وتباين اشكالهم ، ومرتدين ثوبا غير مخيط ، لا يميز فرداً على فرد ، ولا شعبا على شعب ، ولا قبيلة على قبيلة ليشعر الجميع انهم اخوة تجمعهم عقيدة واحدة ، هي توحيد الله ، ونسب واحد هو الاسلام ، وقيم واحدة . هي ما شرعه الله في كتابه وسنة رسوله ويؤدون جميعا شعائر عبادتهم ـ على قدم المساواة . في اماكن محددة ، وازمنة معينة .
وهذه المساواة التي يشعر بها حجاج بيت الله الحرام ، توحي اليهم ان يتخذوا من الحج مؤتمرا عالميا ، يدرسون فيه امورهم ، ويتذاكرون شئونهم على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله . حتى تتحقق لهم الرؤية الصحيحة للمسار الذي يجب ان يسيروا عليه في مجتمعاتهم ، وفي علاقتهم بغيرهم . بعيداً عن سبل الضلال التي تدنس حياتهم وتفرق صفوفهم .. وذلك من المنافع الدينية والدنيوية التي جعلها الله تعالى من غاية الحج . كما قال سبحانه : (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام) .

وقد جاءت تعاليم الاسلام مبطلة لما كانت تتخذه قريش لنفسها في الحج من التميز عن غيرها ، حين كانت تأبى الوقوف مع الناس بعرفات . وتقف وحدها بالمزدلفة . فقال تعالى : (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)

وفي قوله تعالى : (واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين) ما يفيد ان العرب ـ قبل الاسلام ـ كانوا في ضلال مبين في كل نواحي

حياتهم . فمن الناحية الاعتقادية كانت تصوراتهم سقيمة باهتة ، ادت الى اضطرابهم في العبادات والشعائر والسلوك . فعبدوا الاصنام والجن والملائكة .. ومن الناحية الاجتماعية كان ضلالهم يتمثل في تميز طبقة عن طبقة ، واستعلاء قبيلة على اخرى ، وفي الحروب والمنازعات الدائمة بينهم ، والتي جعلتهم موضع السخرية لدى العالم ، واسقطتهم من عداد الامم التي يحسب لها حساب .. وفي الفوضى الخلقية في العلاقات الجنسية ، والعلاقات التي تقوم بين افراد المجتمع .. وفي المظالم التي يزاولها الاقوياء ضد الضعاف في المجتمع بلا ميزان ثابت يرجع اليه . والتاريخ شاهد عدل على ذلك .

فلما جاء الاسلام اخرجهم من هذا الضلال ، وغير حالهم الى احسن حال ، فأصبح تصورهم الاعتقادي تصورا صحيحا ، يتمثل في الايمان الخالص بالله الذي لا اله غيره وبذلك اتجهت العبادات والشعائر في طريقها الصحيح الذي يحقق الخير .. واصبحت الحياة الاجتماعية تقوم على الاخاء والمساواة ، والتعاون على البر والتقوى ، والعدل ، وطهارة الاخلاق . وبذلك حل الوئام والصفاء والسلام محل التنازع والشقاق فكان العرب بالاسلام ـ امة عزيزة الجانب . رفيعة القدر ، ينظر العالم اليها نظرة المهابة والتقديروالاحترام . ولا عجب فذلك تشريع الله للناس كافة يهدي به من اتبع سبيله الى مواقع الخير والرشاد . (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .. ومكث العرب مدة من الزمن يستمسكون بهداية الاسلام وينشرون حضارته في المشارق والمغارب . وهم اعزة كرام على انفسهم وعلى الناس .

ومما لا شك فيه انهم كانوا في فترة مجدهم تتوارد على ذاكرتهم ومشاعرهم صور حياتهم في الجاهلية .. تلك الحياة الهابطة الضالة التي كانت تلوث حياتهم وتزري بتاريخهم . ثم يتأملون مكانهم العظيم الذي رفعهم اليه الاسلام ، فيدركون عمق هذه الحقيقة واثرها في حياتهم .

وليتهم استمروا على هذا الادراك ، اذا لظلوا منبع الهدى والنور ، ومكان الاجلال والتقدير . ولكن الكثير منهم نسوا الله فانساهم انفسهم ، وعادوا الى ضلالهم القديم يتقاتلون ويتناحرون ويتسابون ، وتركوا الدين الذي رسم مجدهم وخط ذكرهم الى نظم اصطنعها البشر بقصورهم واهوائهم وشهواتهم . فضلوا سواء السبيل . واضطربت

حياتهم . وتدنست مجتمعاتهم . ودبت بينهم اسباب الفرقة والتنازع . وتداعت عليهم الامم تسلب بلادهم . وتستذل كبرياءهم . فاصبح امرهم يجرح قلب الصديق ـ ان كان صديق ـ ويثلج صدر العدو !! وتلك سنة الله . غيروا ما بأنفسهم . فغير الله حالهم (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

ولكن . هل ضاعت العزة الى غير رجعة . وافل المجد الى غير شروق . وحل اليأس محل الايمان ، والقنوط محل الرجاء ؟؟؟؟

لا . ثم لا . ان حقيقة الاسلام ما تزال قائمة . تؤدي رسالتها لمن يغتنمها . ويسير في ظلها .. والعرب حين يعودون الى الاسلام عودا صحيحا ينتقلون من طور وضيع صغير مضطرب . الى طور اخر رفيع عظيم . ولا يدركون هذه النقلة الا حين يصبحون مسلمين حقا . يطبقون كل تعاليم الاسلام .. انهم بذلك سيصبحون الامة الواحدة القوية النظيفة . والقول الواحد السديد ، والعمل الواحد المفيد .. وسيصبحون بنعمة الله اخوانا متحابين متعاونين . لا يستطيع عدو أن يقتحم حماهم ، ولا ان ينال من كرامتهم .

ان النظم التي قامت على خلاف شريعة الله ، ما هي الا عبث وعنت وضالة واضطراب .. وما هي الا عامل قطيعة وانفصام بين الشعوب وحكامها . فالشعوب تقدس اسلامها وترتضيه حكما في امورها . والقائمون على هذه الانظمة يعملون بالقهر على سيادتها . وهذا الانفصام من شأنه ان يضعف الامة . ويطمع فيها الاعداء ، ويسبب لها المتاعب والمآسي في الداخل ، والهزائم من الخارج !!

فلنعد الى منهج الاسلام . ولنعتبر بالاحداث الجسام التي انتابتنا ونحن معرضون عن هداية الله .. ولنعلم ان الله تعالى رءوف رحيم . لا يرد من اقبل بعد طول اعراض ؛ ولا من اناب اليه بعد اسراف (قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) .

اننا ـ قبيل مؤتمر الحج ـ نسوق هذه المعاني تذكرة للمسلمين في كل مكان عسى ان يكون لهم فيها زاد . فيقيموا شرع الله ، ويعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

رئيس التحرير
محمد الاباصيري



نظرات في آية

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : في سورة الانعام / ١٢٤ :(**وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون**) (صدق الله العظيم)

(رسل الله .. وأعداء الله)

المتدبر لهذه الآية الكريمة يفيض عليه من أنوارها العلوية المباركة ما يكشف لبصيرته من علم الله تعالى وحكمته ، ما يملأ قلبه يقينا وايمانا بالله سبحانه ، واذا هو من هذا اليقين وذلك الايمان في حصن منيع لا تنفذ اليه منه وساوس الشيطان ، ولانفثات اهل الغي والضلال .

فالآية الكريمة تكشف اولا عن موقف المعاندين والمكابرين ، الغارقين في كبرهم وعنادهم على أن يركبوا مطايا الغرور . وأن يردوا تلك الأيدي الكريمة الممدودة اليهم برحمات الرحمن الرحيم رب العالمين ، لاستنقاذهم من مهاوي الهلاك ، وما ذلك الا لان هذه الرحمات قد جاءتهم على ايدي بشر مثلهم فكيف اذا كانت رسالة من الله سبحانه الى الناس أن يختص بها هذا الرسول أو ذاك ، وهم يرون أنفسهم أنهم اكثر أموالا واولادا ، وأقوى قوة وسلطانا من هؤلاء الرسل ، وانه لو كانت هناك رسالة من الله الى الناس لكانوا هم أولى وأحق بها !! : (**قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله**) وما درى هؤلاء الاغبياء المناكيد ان الله تعالى وحده هو الذي يصطفي لرسالته من يشاء من عباده ، لما منحه من صفات عالية ، وأخلاق كريمة تجعله أهلا لهذا الاصطفاء ، وكفئا لحمل هذه الأمانة العظيمة : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور**) الحج/٧٥و٧٦ .

ولهذا كان من الله تعالى هذا الرد المفحم على هؤلاء المغرورين المتكبرين ، فقال سبحانه : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) وليس ذلك لأحد من خلقه : (**والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**) الرعد/٤١ .

من كتـــاب الله

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

(موقف الضالين من دعوة الحق)

وقد كشف القرآن الكريم عن كثير من مواقف اللجاج في الضلال والعناد، للكافرين والمشركين الذين اعماهم الضلال والعناد، عن أن يستجيبوا لدعوة رسل الله، وأن يقدموا لذلك من الحجج الباطلة، والمعاذير الفاسدة، ما يحجزهم عن الحق، ويعمي عليهم السبيل الى الهدى..

ومن اقوالهم ومدعياتهم في هذا ما ذكره القرآن الكريم على لسان الأقوام الذين كذبوا رسل الله، وصدوا عن سبيله، فقال تعالى على لسان قوم نوح :(**ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين**) هود/٢٧ ويكون رد نوح على ضلال قومه ما ذكره الله سبحانه على لسانه : (**قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون**) هود/٢٨و٢٩ .

وعلى لسان عاد قوم هود، يقول الحق سبحانه :(**قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء**) هود/٥٣و٥٤ ويرد هود على هذا السفه من قومه، بما ذكره الله تعالى على لسانه :(**قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون . من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون**) هود/٥٤و ٥٥ .

ولذلك كان موقف ثمود، قوم صالح، كذبوا رسولهم، وأنكروا ما كانوا يرون فيه من استقامة وخير، بعد أن اصطفاه الله تعالى لرسالته، فقال الله تعالى على لسانهم :(**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب**) هود / ٦٢ ويكون جواب صالح على هذا السفه من قومه :(**قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير . ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء**

فيأخذكم عذاب قريب . فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) هود / ٦٣ ـ ٦٥

وهكذا كان لكل رسول من قومه خلاف عليه ، وتكذيب له ، واعراض عنه ، وليس لهم من حجة يحتجون بها عليه ، الا انه بشر مثلهم ، ومن حقهم ـ كما يزعمون . انهم اولى منه بتلك الرسالة ، ان كان حقا هو رسول من عند الله اليهم !!

(محمد وما لقي في سبيل دعوته)

ومحمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، كم لقي من عنت قومه ، ومن تكذيبهم له ، وإبائهم عن الاستجابة لدعوته اياهم الى الايمان بالله وحده ، وترك ما هم عاكفون على عبادته من أوثان .

وقد كثرت وتنوعت مدعيات المشركين وتخرصاتهم في وجه الاعجاز المتحدي لهم بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن الذي صنعت مادته من كلامهم .. فقال تعالى : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)** البقرة / ٢٣ و٢٤

ومع هذا فقد مضى المشركون في ضلالهم وعنادهم ، ولم يمنعهم الحياء والخجل بعد ان فروا من هذا الميدان عن ان يدخلوا في ميادين المماحكة والمجادلة بالباطل .. فقال تعالى على لسانهم : **(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون)** فرد الله عليهم بقوله سبحانه :**(فقد جاءوا ظلما وزورا)** الفرقان / ٤ ثم ان هؤلاء المشركين وقد فضحهم الله تعالى على أعين الناس ، لم يمسكوا السنتهم عن الزور والبهتان ، فقالوا ما ذكره الله تعالى على لسانهم في شأن القرآن :**(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)** فرمى الله هذا البهتان في وجوههم ، بقوله سبحانه : **(قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما)** الفرقان/ ٥و٦ .

ثم انهم لما عجزوا عن مواجهة القرآن الكريم ، ورأوا ان كل ما يقولونه فيه ليس الا افكا وبهتانا ، وهم أول من يعلمون انه افك وبهتان ، جاءوا ببهتان اخر ، فقالوا : ان محمدا ساحر يتلقى من الشياطين هذا الذي يقول لنا عنه انه كلام الله ، فيقول الله على لسانهم : **(إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر)** المدثر / ٢٤و٢٥ ويقول سبحانه :**(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الألهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب)** ص/ ٤ ـ ٨ . ويقول جل شأنه على

لسان هؤلاء المشركين ، كاشفا عن عنادهم وضلالهم :(**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا.أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه**) الاسراء / ٩٠ ـ ٩٣ ويكون رد الرسول الكريم على هذا الحمق والسفه ما امره الله تعالى به ، :(**قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا**) الاسراء / ٩٣ .

(التوافق بين محمد ورسالته)

لا شك في أن محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لو لم يكن رسولا ، مصطفى من عند الله ، لكان واحدا من آحاد العظماء في الانسانية ، الذين لم يكونوا رسلا ولا انبياء ، ولكانت له آثاره العظيمة الخالدة ، المتمثلة في سمو نفسه ، وعظمة اخلاقه ، وحسن سيرته ، وفي يده المبسوطة للناس بالخير ، والحب والرحمة ..

ولهذا كان اصطفاء الله تعالى لمحمد بحمل هذه الرسالة العظيمة الخاتمة لرسالات السماء ، مما اقتضته حكمة الله ، وعلمه بأحق الناس بتلك الرسالة .. والله تعالى يقول :(**الله أعلم حيث يجعل رسالته**)

كان محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يمكن ان يكون في مقدمة الرجال الذين عرفهم قومه ، واحلوهم المقام الكريم في تاريخهم .. ففي حكماء العرب مثلا : اكثم ابن صيفي ، وفي خطبائهم قس بن ساعدة الايادي ، وفي شعرائهم من اصحاب المعلقات : امرؤ القيس ، وعنترة ، ولبيد ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن ابي سلمى .. وغيرهم .

كان يمكن ان يكون محمد ـ لو لم تخلع عليه من ربه سبحانه خلعة الرسالة ـ على رأس الكرام الامجاد من قومه .. فكيف وقد اصطفاه الله تعالى ليكون امام المرسلين ، وخاتم النبيين ؟

وقد رأينا انه حين ركبت قريش رأسها ، ووقفت من دعوة رسول الله هذا الموقف العنادي الضال ، لم تقل في رسول الله كلمة واحدة ، تمس خلقه ، او تنال من سيرته بينهم ، بل ان كل ما قالوه فيه ، هو انه شاعر ، او ساحر .. حيث كان الشعر والسحر ، مما يرفع في قدر الانسان عندهم ، وان لم يصل به هذا الى ان يكون رسولا ، متصلا بالله ، يتلقى منه ما يبلغه للناس .

وقد نفي الله تعالى عن رسوله الكريم ان يكون شاعرا ، فقال تعالى :(**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين**) يس / ٦٩و٧٠ ويقول سبحانه في نفي اتصال النبي بالشياطين ، وفي نفي الشعر عنه :(**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل**

على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون) الشعراء/ ٢٢١ ـ ٢٢٦ . كما نفي الله تعالى عن محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ان يكون كاهنا او مجنونا ، فقال تعالى مخاطبا الرسول الكريم :(**فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون)** الطور / ٢٩ .

ان قريشا ترضى لمحمد ان ينزل من منازل العظمة الانسانية حيث يشاء ، وانها لتسلم لمحمد أن يكون ما يشاء في قومه ، في مناصب السيادة والقيادة عليهم ، ولكن قريشا لن ترضى ابدا من محمد ، او غيره أن يكون رسولا اليهم من عند الله ..

هكذا شأن الناس ، ينكرون ان يكون أحد من البشر على صلة بالله ، لأن هذا ـ في نظرهم ـ مقام متفرد ، لا يناله أحد بسعيه وجده ، او بجاهه وسلطانه ، ومن هنا تغلق الطرق في وجوه الناس جميعا لبلوغ هذه الغاية .

وقد آمن كثير من الحكماء ، والفلاسفة في قديم الزمان وحديثه ـ آمنوا بالله ، وأقروا بانه لا بد من اله خالق لهذا الوجود ، مدبر له ، قائم عليه ، ولكنهم مع ايمانهم بالله لم يؤمنوا برسل الله ، ولم يرضوا لانسان ان يلتقي بالملأ الأعلى ، ويتعامل معه .. وكأن هؤلاء الفلاسفة والحكماء الذين يذهبون هذا المذهب ، قد نظروا فيه الى انفسهم .. فحين رأوا انهم وهم اعقل الناس ، وأكثرهم علما ومعرفة ، وذكاء وفطنة ، لم ترفعهم عقولهم وعلومهم ومعارفهم الى الملأ الأعلى ، ولم تقم صلة بينهم وبين السماء ، أنكروا ان يكون هناك رسل من البشر ، يمدهم الله سبحانه بأمداد من عنده ، ليقوموا في الناس مبلغين عن الله ومبشرين ومنذرين ..

وهذا هو منطق الذين كفروا برسل الله ، محتجين لهذا بأنهم بشر مثلهم ، كما يقول تعالى عنهم : (**وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون)** المؤمنون / ٣٣و٣٤ .

(إيمان أضل من الكفر !!)

واذا كان كثير من الحكماء والفلاسفة والعلماء قد آمنوا بالله ايمانا عقليا ، غير مستند الى دعوة من رسول من رسل الله ، علي حين أنهم كفروا برسل الله ـ فان كثيرا ممن آمنوا بالله عن دعوة من رسل الله ، لم تستسغ عقولهم ان يكون هؤلاء الرسل بشرا قد اصطفاهم الله تعالى لرسالته الى الناس ، بل ارتفعوا بهؤلاء الرسل عن عالم البشر ، وجعلوا لهم نسبا الى الله ، بالبنوة له ..

فكثير من مشركي العرب في الجاهلية ، قد عبدوا الملائكة من دون الله ، زعما منهم بأنهم ـ وهم بشر ـ لا يصلون الى الله ، ولا يقدرون على اختراق حجبه ،

ومخاطبته .. وفي هذا يقول الله تعالي عن هؤلاء المشركين من عبدة الملائكة ، وقد سموهم بنات الله :(**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون . وقالو لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**) الزخرف/ ١٩و٢٠ ويقول سبحانه ، وهو يواجه المشركين بهذا الضلال الذي غرقوا فيه :(**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**) سبأ/٤٠و٤١

وكذلك كان الشأن من أهل الكتاب ، فانهم ارتفعوا بأنبيائهم عن عالم البشر ، وجعلوهم أبناء الله ، كما يقول الله تعالى في اليهود والنصارى :(**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**) التوبة / ٣٠ كذلك اتخذ اليهود والنصارى احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وارتفعوا بهم عن عالم البشر ، الى مقام الالوهية .. يقول الله سبحانه فيهم :(**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**) التوبة / ٣١ .

(محمد .. الرسول البشر)

أما خاتم النبيين محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقد حمى الله تعالى حماه من أن يدخل على اتباعه شك في انه بشر قد اختصه الله سبحانه بالرسالة لهداية الناس .. فمن آمن به رسولا ، آمن به انه بشر .. ولهذا قرر القرآن الكريم في أكثر من آية أن محمدا بن عبد الله ، هو واحد من قومه ، لا يفضلهم الا اصطفاء الله تعالى له بتلك الرسالة الموحاة اليه من ربه .. فمن آمن بكتاب الله لا يتم ايمانه الا اذا آمن بمحمد بشرا رسولا .. يقول الله تعالى مخاطبا اياه : (**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**) الانبياء/ ٣٤ ويقول سبحانه : (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**) فصلت /٦ بل واكثر من هذا ، فان الله تعالى قد نعى محمدا في القرآن الكريم ، وهو لا يزال حيا بين قومه ، فقال سبحانه : (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**) ال عمران / ١٤٤ وقال جل شأنه لرسوله الكريم : (**إنك ميت وإنهم ميتون**) الزمر /٣٠

ولا شك ان هذه شهادة من عند الله ، قائمة ابد الدهر ، تنفي عن محمد ما يمس بشريته ، وتدفع عن اتباعه ان يعبدوه من دون الله ، كما عبد اليهود والنصارى بعض انبيائهم ، وكما عبدوا احبارهم ورهبانهم ..

فصلوات الله وسلامه على محمد النبي الامي ، البشر الرسول .. ؟

القرآن والمنافقون

للدكتور/عبدالفتاح محمد سلامة

عندما بعث الله خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم، تصدت لدعوته قوتان: إحداهما سافرة: قد حسرت عن وجهها كل قناع، وأزالت كل غطاء، وبرزت للاسلام وصارعته بما في حوزتها من قوة وشكيمة.. وهذه القوة تتمثل في الكفر وأهله..

والأخرى لم تشأ أن تنزل إلى أرض المعركة ظاهرة مكشوفة، فيفتضح أمرها، وتتعرى حقيقتها، فآثرت أن لا تتدجج بالسلاح خفية، وتكيد للدعوة خلسة، وفي الواقع المشاهد، وامام الجماهير المؤمنة، تبدو مذعنة راضية.. وأعني بهذه القوة: النفاق وحزبه..

إن الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين، قد حاربوا دين الله الخاتم وجها لوجه: ونازلوه في ساحة الوغى، وجالدوه في ميادين الطعن والصدام، ولم تزل رحى الحرب دائرة، واوراها مشبوبا مشتعلا، ووطيسها حاميا متقدا، حتى نصر الله دينه، وأيد رسوله، وأعلى كلمة الحق، وظهرت دعوة محمد بن عبدالله، متلألئة كفلق الصبح المبين، وفتح الله بها قلوبا غلفا، وآذانا صما، وأعينا عميا..

بيد أن المنافقين ما كانت لديهم الشجاعة، وما واتتهم الجرأة لمنازلة الاسلام على أرض مكشوفة، ومحاربته بطريق صريح، لأنهم لو فعلوا ذلك لقطع المؤمنون دابرهم، واستأصلوا شأفتهم، كما دحروا الكافرين، وأطاحوا بعروشهم وكبريائهم..

لذلك فان المنافقين ارتدوا ثياب الاسلام، وتستروا بمسوحه، بينما انطوت قلوبهم على الكفر، واشتملت جوانحهم على التكذيب، وأضمروا في نفوسهم الغدر والخيانة لله ولرسوله، فدبروا المكائد، وتفننوا في الحيل، وبرعوا في الخديعة والمكر.. فلم

يتورعوا أن يسددوا للدعوة طعنات حاقدة في الخفاء، مصبوبة في قالب من الجبن الصاعق، والذلة المستكينة، والخسة المقنعة..

ولم يستحيوا - كذلك - ان يريشوا سهام اللؤم والوقيعة، ويرشقوا بها صدور المسلمين، بين الفينة والفينة، لينشروا سموم حقد اسود تغلي به مراجل قلوبهم، ويزرعوا بذور عداء مقيت، سري في الأوصال واستجابت له المشاعر..

والقرآن الكريم يحلل نفسيات هؤلاء القوم، وينفذ إلى أعماقهم، ويتغلغل الى بواطنهم، فيفتشها وينبشها، ليبرز ما ترسب فيها من أمراض وبيلة، وما غزاها من آفات وإحن

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)البقرة/ ١٠ .

إن الانسان الذي يجاهر بعداوتك، ويكاشفك بها، لا تتوجس شرا من جانبه، لأنك ستكون مستعدا لنزاله، محتاطا لفتكه، فلا يمكن - إذا كنت مترقبا حذرا - أن يأخذك على غرة، أو يفجأك من الخلف..

أما الانسان الذي يتلون ويتقلب، ولا يقر له قرار، ويبدي لك الرضا، وهو في حقيقته امرؤ كاشح، يعض عليك الأنامل من الغيظ، ويود التمكين منك، ليفعل بك الأفاعيل، بل إنه ليتحرق شوقا الى الكيد لك، والتربص بك.. فهو:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

هذا الانسان يحيرك أمره، ويعييك خبره، ولا تدري كيف تعامله، حيث انك لا تأمن غدره، ولا تطمئن لجانبه، بينما هو امامك محب واثق، ومخلص مريد..

سلوك شائن كهذا، يقض مضجع الانسان، ويجعل دبيب الشك يتسرب إليه، فاذا الحياة تسير في أودية من القلق النفسي، والتوزع الوجداني، مما يفضي بالانسان الى العزلة، ويغريه بالوحدة والانطواء.. وتلك لوثة النفاق في كل زمان ومكان، وآفته الآثمة ما تعاقب الجديدان.. ولعل هذا ما يرمز إليه الأمام «الشافعي» رحمه الله، في أبياته الطريفة حيث يقول:

لا تجز عن لوحدة وتفرد
ومن التوحد في زمانك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثم اخوة
الا التملق باللسان وباليد
واذا فتشت ضمير ما بصدورهم
ألفيت ثم نقيع سم اسود

إن النفاق في جسم الأمة كالأخطبوط، إذا لم يحاصر في أوكاره، ويلاحق في امتداداته، ويوقف زحفه، فانه سرعان ما يستشري وينفذ الى شرايين الحياة النظيفة فيسدها ويسممها، بالأراجيف والأكاذيب، وطمس

الحقائق ، وتثبيط الارادات ، وإشاعة التواكل المزري ، وتوهين العزائم ، وإخماد المعنويات .

وهذا ما كابده الاسلام وعاناه ، من جماعة النفاق المتبلدة ، بعد هجرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، إلى المدينة ، حيث تفتحت قلوب أهلها للدين الجديد ، وتشربته نفوسهم ، شريعة هادية ، وسلوكا طاهرا فذا ، وحياة متكاملة سامية .. حدث كل هذا .. لكن فئة متمردة ، قد أبت أن يلج الايمان قلوبها ، ويبدد الحنادس الكامنة فيها ، فطوت كشحها على كفر صاعق مقيت ، وأخفت في طويتها كراهية وغلا وعداوة لله ورسوله ، ثم أبدت إسلاما هزيلا رثا في صورة همهمات تتلى ، وعبادات مزيفة تؤدي ..

ثم بدأت مسيرة النفاق ومواكبه ، تتراقص اشباحها في مجتمع المدينة المتوثب ، والذي يريد أن يثبت وجوده ، ويملي على الحياة ارادته ، وكانت مواكب النفاق ـ هذه ـ تأخذ مظاهر التعويق والنكوص ، وألفت في عضد المؤمنين ، حتى يتقاعسوا عن الجهاد ومتطلباته ..

لقد تخاذلت عصابة النفاق عن نصرة الحق ، وأبت ان تلبي داعي الجهاد ، وفي كل موقف يستدعى الحمية والغضب لله ورسوله ، يتطايرون عنه تطاير الفراش .. ثم يختلقون اعذارا واهية ، لا تثبت على محك الرجولة ، ولا تستقيم مع منطق الايمان :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون التوبة/ ٨٨

لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) التوبة/ ٤

ويدلف بهم موقف الخيانة إلى معنى شائك ، ومنعطف اخلاقي ساقط ، فلا يكتفون بروح الانهزامية السارية فيهم ، والتي جعلتهم يتراجعون عن الزحف مع رسول الله وصحبه ، بل إنهم ليمثلون ـ في إحكام واتقان ـ دور المتشكك المتخرص الذي يحمل لواء الحرب النفسية ، بترويج الشائعات ، واثارة الزوابع ، والافتئات الرخيص ، والتطاول على رب العزة ، والتكذيب لنبيه صلوات الله وسلامه عليه :

(واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) الاحزاب/ ١٢

وهذه المواقف المنكورة من الدعوة وصاحبها العظيم ، كانت تنضح على سلوكهم وتصرفاتهم ، فما يستطيعون دفعا لباطل من القول ، وزور من الحديث ، يمسون به كرامة أزكى انسان ، ويخدشون به مروءته ..

(يقولون لئن رجعنا الى المدينة

ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون المنافقون/ ٨

ولقد كانوا يقصدون بالأعز زعيمهم « عبدالله بن أبي بن سلول » ، وبالأذل « رسول الله » صلى الله عليه وسلم ..

أرأيت منطقا يتدلى منه اللؤم كهذا المنطق ؟ ثم ألا تبصر مدى الفحش والاسفاف في هذا الكلام المغلف المستور ؟ ألا يلتقي هذا كله مع طبيعة النفاق المظلمة المعتمة ؟ وكيف تربو جرثومة النفاق إلا في مثل تلك الاجواء الملبدة الغائمة ؟ إنها تبيض وتفرخ وتتوالد وتتكاثر ، لأنها بمنأى عن المجهر ، وتحيا في أجسام معتلة ..

إن ظاهر النفاق غير باطنه ، وهيكله المادي يباين حقيقته الخبيئة المستترة ، وتلك نغمته النشاز التي يعزف عليها ، ويدلس بها ، ويخفي في طياتها وجهه الصريح ..

ولقد تكشفت لرسول الله حقيقتهم المخبوءة ، واستبانت له دخيلتهم الغادرة ، بعد ظهور زيفهم على محك الايمان الصحيح ، وثبت له أن وجودهم يعني شوكة يغص بها حلق الاسلام وأهله ، بل إنهم بالأساليب الملتوية ، يناوئون الدعوة في مدها وسيلانها ، ويلاحقونها في وثباتها الجريئة ، وانطلاقاتها الباهرة .. ولكن ماذا يفعل الرسول الماجد ازاء قوم يضعهم القرآن في هذا الاطار .

(واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) آل عمران/ ١١٩ .

(ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون التوبة/ ٥٦

لقد كان في وسع النبي - وهو المعصوم المسدد بالوحي - أن يسلط عليهم سيف العدالة ، ويذيقهم كأس المنون ، حتى تمضي الدعوة الراشدة في مسيرتها ، ويتفرغ أتباعها لمواجه العدو السافر المكشوف .. ولكن كيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟؟

لقد جاءه يسعى ، ابن زعيم النفاق « عبدالله بن عبدالله بن أبي .. » ، وكان شابا مؤمنا مخلصا ، قد صدق ما عاهد الله عليه ، فقال له : يارسول الله : بلغني أنك تريد أبي « أي قتله » .. فان كنت فاعلا ، فمرني فأنا أحمل إليك رأسه .. فقال له الرسول الجليل بل نحسن صحبته مادام بيننا ..

ويصل الأمر إلى قمة العجب والانبهار ، يوم مات كبير المنافقين ، فلقد تقدم النبي الكريم فكفنه في قميصه ، ثم صلى عليه ، ودعا له واستغفر .. ولكن القرآن ينزل على رسول الله ، ليلقي إليه هذا الحكم

(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون التوبة/ ٨٤

(استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) التوبة/ ٨٠

ومع نزول هذه الآيات الصارمة

الحاسمة إلا أن الرسول لكي يطيب خاطر الابن المؤمن، والشاب النبيل .. يقول

لو اعلم اني لو زدت على السبعين غفر له، لزدت ..» رواه الترمذي وغيره.

هذه السياسة الحكيمة العاقلة التي انتهجها النبي القائد، ليؤلف بين اصحابه، ويرعاهم بوده، تدمغ ساسة العالم وحكامه اليوم، في لجوئهم إلى أساليب التصفية والقتل، من اجل شهوة متسلطة، وتحت ستار الزعامات الكاذبة، وبدافع من حب التفرد بالسلطان والنفوذ ..

واذا نظرنا الى القرآن الكريم ألفيناه يدمدم على المنافقين، ويهتك أستارهم، ويجلّ خبيئتهم، بل وينبىء المسلمين بما تكنه قلوبهم، وما تضمره من مرض وكفر ورياء وخداع ونفاق وشقاق:

(**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون**) التوبة/ ٦٤.

وهاك سورة من القرآن سميت باسمهم، وتولت في بيان معجز، يأخذ بمجامع القلوب، كشف حالهم، واحصت عليهم خلجات نفوسهم، واحاديث السوء التي كانوا يلوكونها في غبش الظلام، ثم أماطت اللثام عن الجبن الهالع الذي كان ينتابهم عند كل صيحة، أو دعوة للجهاد في سبيل الله ..

قال تعالى:

(**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون. ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون**) المنافقون/ ١ ـ ٤

وهكذا ترى أن النفاق عدو لدود للاسلام، وأن أربابه أشد خطرا، وأعظم ضراوة على الدين وأهله من الكافرين، فهم في الحقيقة شرّ الخليقة، يتسترون بالايمان، ويتمسحون بمسوحه، بينما في أفئدتهم الكفر البواح، يظهرون للمسلمين في صورة الأصدقاء والمتوددين، ثم يتآمرون عليهم للفتك بهم والنيل منهم ..

ومن العجيب في صفاتهم أنهم يزعمون الاصلاح، وما قصدهم الا الافساد:

(**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) البقرة/ ١١ و ١٢.

لقد ابتلى الاسلام، منذ القدم وحتى الآن، بطوائف من المنافقين والمفسدين، والأشرار والمخادعين، حاربوه في جنح الظلام، ووضعوا في طريقه العقابيل، وزرعوا في دروبه الأشواك، ليضلوا الناس عن صراط الله العزيز الحميد ..

وفي هذا العصر المادي المظلم ، كثر المنافقون والدجالون ، والمراءون والمخادعون ، من أصحاب القلوب المريضة ، وذوى النفوس الخبيثة ، والمذاهب الملتاثة ، وهم الذين آمنت ألسنتهم ، وكفرت بالله بواطنهم ، فخدعوا المسلمين وغرروا بهم ، وعملوا على تقويض دينهم ، وصدهم عن سبيل ربهم ، وإفساد أخلاقهم وحياتهم ..

ومما يؤسف له ، أن المنافقين في هذا العصر ، لهم سوق رائجة ، وبضاعة نافقة ، وبيدهم مقاليد الحكم والسلطان ، في معظم دول العالم ، وفي كثير من أقطار الاسلام .

لقد عم في هذا الزمان ، الكذب والتلون والرياء ، وغدا أكثر الناس لهم وجوه متعددة ، وألسنة كثيرة ، يتلونون تلون الحرباء ، ويدورون مع الباطل حيث دار ، وغدا لهم قادة وزعماء ، ورؤساء وكبراء ، دجلوا على المسلمين وخدعوهم ، وصرفوهم عن حكم قرآنهم ، وسنة نبيهم ، وأبدلوهم بذلك كله ، قوانين جاهلية ناقصة ، هي من صنع الأهواء الجامحة ، وابتكارات الخيالات الهائمة :

(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) المائدة/ ٥٠ .

إن الحياة الاسلامية الآن يغشاها ما يغشاها ، ولا شك أنها تعاني ما يشبه المخاض ، حيث العقائد اهتزت ، والقيم تهاوت ، والفضائل اندرست ، ومناهج الايمان تبدلت ، بل إن هناك فجوة فكرية شاسعة تفصل أبناء الاسلام عن دينهم ، فهم في ساحته وكأنهم غرباء عليه ، لا يأخذون من حقيقته إلا رسوما شاحبة ، وظلالا باهتة ، ـ فلا جرم ـ يعيشون وليس لهم من الاسلام إلا اسمه ..

كل هذا بفعل الطواغيت من المنافقين وعباد الشيطان ، أتباع كل ناعق ، واللاهثين ركضا وراء كل جديد ، من فتن الحياة وبهرجها ، حتى ولو كان ذلك على حساب المبادىء والأخلاقيات ..

ومن هؤلاء وأمثالهم كان يخشى رسول الله على أتباعه :

« إني لا أخاف عليكم مؤمنا ولا مشركا ، ولكني أخاف عليكم كل عليم اللسان ، منافق الجنان ، يقول ما تعرفون ، ويفعل ما تنكرون ».. رواه الحاكم وصححه ..

إن دين الله واحد ، وشريعته متكاملة ، لا تعرف الأجزاء ولا التفاريق ، فحذار ثم حذار ، ممن يتجرأون على شرع الله ، ويفتاتون عليه ، ليحطموه بمعاولهم ، ويخضعوه لأهوائهم ، تحت ستار الشعارات البراقة ، والمسوح الكاذبة .. إنهم أعداء الاسلام الحقيقيون ، الذين يجب التنبه لهم ، والقعود لهم بكل مرصد ..

فهل من صحوة تخمد النفاق ، وتحكم عليه الخناق ، ليحل الوفاق ، ونطرد من دنيا المسلمين أشباح الشقاق ؟

ذلك ما نرجو !! وعلى الله قصد السبيل ..



للاستاذ : محمد محمد حلاوة

عن أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني اسد يقال له ابن اللتبية على صدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدى الي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : « ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا أهدى الي ، فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدى له ام لا !!

والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، او شاة تبعر ، ثم رفع يديه حتى رأيناها في ابطيه الا هل بلغت ! الا هل بلغت ! الا هل بلغت ! »

رواه البخاري ومسلم

تربط الناس بعضهم ببعض روابط كثيرة ومختلفة ، سنة الحياة ، ولن تجد لسنتها تبديلا وتتعقد هذه الروابط وتتشابك كلما تقدمت المجتمعات البشرية عمرانا وحضارة ، ذلك لأن الانسان لا يمكن ان يعيش بمعزل عن الآخرين ، لانه في حاجة اليهم ، وهم في حاجة اليه .

وتختلف هذه الروابط في طبيعتها ، واهميتها ، واثرها ، والدائرة التي تعمل في نطاقها اختلافا كبيرا ، وان كانت كلها تلتقي عند نقطة واحدة ، وتتجمع على هدف واحد هو سعادة الفرد ، وسلامة المجتمع . فالرابطة الزوجية مثل تحدد العلاقة بين الزوج وزوجته ، وما لكل قبل الآخر من حقوق ، وما عليه له من التزامات ، ومحيطها لا يتعداهما ، ورابطة الصداقة تحدد العلاقة بين اثنين او اكثر من الاصدقاء .. وهكذا . ومن الروابط ما يتسع مداه فيشمل فئة خاصة ، او مهنة معينة ، او قطاعا من القطاعات ، او مؤسسة من المؤسسات ، ومنها ما ينتظم الامة كلها ، وقد تمتد فتشمل الانسانية بأسرها .

وقد وضع الاسلام لهذه الروابط جميعها ، وفي كل صورها وحالاتها من القواعد المحكمة ، والضوابط المنظمة ، وسن لها من الاحكام والقوانين ـ ما يكفل للانسان هناءته في الدنيا ، وسعادته في الاخرة ، ولم يترك ثغرة من الثغرات الا سدها ، ولا شبهة الا ازالها ، ولا غموضا الا وضحه ، ولا تساؤلا الا أجاب عنه ، فكان بحق خاتم الديانات : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة / ٣

ويفيض كتاب الله سبحانه وتعالى ، واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك بما يبهر ويسحر ويعجز : فمن الكتاب : (**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء / ١٩ (**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض**) آل عمران / ١٩٥ :(**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء / ٢٣ و ٢٤ (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا**) النساء / ٣٦ (**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ..**) الاسراء / ٣١ (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات / ١٣ .

ومن السنة : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما النساء شقائق الرجال » اخرجه أبو داود . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم . لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره . بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه . ان الله لا ينظر الى صوركم واجسادكم ، ولكن

ينظر الى قلوبكم واعمالكم . التقوى ها هنا . التقوى ها هنا ـ ويشير الى صدره ـ الا لا يبع احدكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا » رواه مسلم .
وعن أبي نضرة : حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال : « يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، الا لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى » اخرجه الامام احمد .
غير ان النفس البشرية بما جبلت عليه من جشع ، وغرور ، وانانية ، وبما ركب فيها من غرائز حب السيطرة ، والسيادة ، والتملك ، والجاه ، والمجد ، والشهرة ، وامام مفاتن الحياة ومغرياتها ـ وجدت في هذه القواعد ، وتلك الاحكام ما يمسك بعنانها ، ويوقف من جماحها ويقف في سبيل اطماعها ونزواتها ، فحاولت ولا تزال تحاول ، وفي صراع عنيف مستميت ان تتحلل منها ، او تبتعد عنها ، او تخرج عليها ، ولجأت في ذلك الى اساليب مختلفة وملتوية بعضها يعتمد على القوة والطغيان وبعضها يعتمد على الحيلة والدهاء ، وجميعها تتحالف مع الهوى والشيطان ، فكان الاستبداد والاستعباد ، والتسلط والتعدي والظلم والنهب ، والغش والاحتيال والكذب والنفاق ، والرشوة والهدايا ، وغير ذلك كثير وكثير ..
وتحت ستار (الغاية تبرر الوسيلة) و(البقاء للاقوى) وغيرهما من الشعارات الخادعة اخذت الوصولية تمد مخالبها وانيابها تفترس كل حق ، وتلتهم كل خير ، وتبتلع كل حب ، وتمزق كل وئام .
وقد تفشت الرشوة في السنوات الاخيرة تفشيا ظاهرا كاسلوب رخيص للوصول واصبح بها كل شيء يباع حتى الذمم والضمائر .
وانتهى الامر بالهدية فاصبحت رشوة مقنعة بل صارت مكشوفة حتى انه ليصعب عليك ان تفرق بينهما ، ان خيطا واهيا جدا ، ودقيقا جدا يكاد لا يبين يفصل بين الهدية محرمة ، والهدية مباحة ، فاي صديق يهدى صديقه ، ثم لا تحدثه نفسه او تراوده . بشيء ما اي شيء !! وكم زوجا يهدي زوجته هدية ثم لا ينتظر ردا او مقابلا !! وهل لا تؤثر الهدايا من الآباء لابنائهم ، او من الابناء لآبائهم اثرا اي اثر فتنعكس تدللا في الابناء ، وهوى في الآباء لابنائهم او من الابناء لآبنائهم اثرا اي اثر فتنعكس تدللا في الابناء ، وهوى في الاباء !! فما بالك اذا كانت الهدية من مرءوس لرئيس ، او محكوم لحاكم ، او صاحب حاجة لمن يملكها !! ولهذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرد ان سمع قول عامله ابن اللتبية : « هذا لكم وهذا اهدي الى » قام من فوره وصعد المنبر متعجبا منه ومنكرا عليه « ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا اهدي الي !» ثم زاجرا له ومعنفا « فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدي له ام لا ؟! » ثم منذرا اياه ومحذرا من مغبة هذا الجرم العظيم مؤكدا ذلك بالقسم « والذي نفسي بيده لا يأتى بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، او شاة تبعر ، ولا يكتفي بذلك بل يرفع صلى الله عليه وسلم يديه حتى ابطيه منبها المسلمين ، وكأنما

يشهد الله عليهم « الاهل بلغت . الا هل بلغت . الا هل بلغت » .
والان فمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيش في رحابه لحظات : « فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال » استخدام الفاء الدالة على التعقيب هنا يدل على ان الموضوع الذي سمعه من عامله موضوع خطير لا يحتمل التأخير ، وقيامه صلى الله عليه وسلم في هذا المقام دلالة على ذلك ، وعلى مدى اهتمامه به ؛ وصعوده المنبر يؤكد هذا الاهتمام ، واستخدام ثم بعد « واثنى عليه » درس عظيم نتعلم منه الا يشغلنا عن حمد الله وشكره شاغل مهما كان عظيما وخطيرا .

« ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا اهدي الي ! » .
يتعجب الرسول صلى الله عليه وسلم مما صنع عامله ، ويستنكر عليه ذلك باسلوب الاستفهام « ما بال العامل » ، والتعقيب في « فيأتي » بعد « نبعثه » يفيد سرعة استجابة المسلمين للعامل في جمع الصدقات ، وطاعتهم لاوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحذف الجملة الاولى من كلام عامله « هذا لكم » لتسليط الاضواء على القضية الاساسية ، وهي الهدية ، و« اهدي الي » مبنية للمجهول اما للاختصار او للرغبة في عدم التصريح باسماء المهدين لسبب او لآخر ، او لكلا الامرين معا .

« فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدي له ام لا ! »
تعنيف شديد من الرسول صلى الله عليه وسلم لعامله يزيد في شدته هلا الدالة على الزجر ، والتعبير بلفظي ابيه وامه ، وهو يشير في الوقت نفسه الى مبعث الشبهة في الهدية ، فلولا هذا المنصب الذي اسند اليه ما احس احد به ، ولا فكر في اهدائه وكلمة « ينظر » هنا تناسب الموقف تماما ، فان الامر فعلا في حاجة الى التأمل الواعي ، والتدبر العميق .

« والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، او شاة تبعر » .
تصوير بياني رائع يستبشع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اقدم عليه عامله من قبول الهدايا هكذا وبسهولة كان ليس في الامر شيء ، ويبين فيه ما ينتظره من عقاب اليم يوم القيامة ، يصدر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التصوير بهذا القسم العظيم الذي يختاره في مواقف معينة لاهميتها وخطرها ، ويستخدم فيه كلمة « شيء » لتحقير الهدية ايا كان شأنها وينكرها لتعم كل هدية صغرت ام جلت ، قلت ام كثرت ، ويأتي بالمضارع « يحمله » لاستحضار الصورة حتى تتضح بشاعتها فيكون ذلك ادعى الى النفور منها ، ويختار كلمة « رقبته » مع ان الحمل اساسا يكون على الرأس والظهر والكتفين امعانا في الاذلال والخزى ، وايماء بوطأة الالم ، وللاشارة الى انه بقبول الهدية قد قتل نفسه ، فان الرقبة مقتل من مقاتل الانسان ، وتتواكب كلمات البعير والبقرة ، والشاة والرغاء ، والخوار ، لتستكمل الصورة جوانبها الفنية صوتا ولونا وحركة ، في لفظ سهل ، وعبارة

واضحة ، ونسق جميل بديع .
ثم رفع يديه حتى رأيناها في ابطيه الاهل بلغت الا هل بلغت ، الا هل بلغت ، رفع اليدين في حد ذاته يسترعي الانظار ، فاذا جاوز المعتاد كان ذلك بمثابة انذار شديد يقرع الاذان ، ويفتح الاذهان لتكون على اقصى درجة من الاستعداد لتقبل ما يلقى عليها وتدبره ، ويأتي التنبيه بعد ذلك في « الا » والاستفهام الذي يقصد به التقرير في « هل » والتكرار ثلاث مرات ، ليستقر الامر في النفوس ، ويرسخ في العقول ، ويصبح عقيدة ويقينا في القلوب ،
وليس بخاف بعد هذا التحليل لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدية تحمل في طياتها اشياء واشياء ، وتخفى وراءهامعاني ومعاني وبخاصة اذا كانت في المقدمة اليه يظنه نفع قريب او بعيد ، واقع او محتمل ، مما يلقي ظلالا قاتمة عليها ، ويلبسها ثوب الشبهة ، بل الحرمة « ان الحلال بين وأن الحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم .
ولعل هذا هو السر فيما درج عليه ائمة المسلمين في العصر الاول من التوقي الشديد والتحرز الكامل في محاسبتهم لانفسهم ، ومحاسبتهم لعمالهم وولاتهم مما سجلته كتب التاريخ والسيرة باحرف من نور . ولا يأخذنك العجب ، فلو عرفت ما تجره الهدايا والرّشا علىالمجتمع الاسلامي اليوم من مآس ومخاز ، وآثام لجزعت وفزعت وانك لتسمع وترى في ذلك ما تقشعر له الابدان ويندى له جبين الزمان ، فكم ظلمت وحابت . اعطت من لا يستحق ، ومنعت من يستحق . ورفعت مغمورين ، وغمرت موهوبين اخرت كفاءات وقدمت « نفايات » قلبت الحق باطلا ، والباطل حقا ..
وها هم اولاء ضحاياها في كل مكان آدهم البؤس وحطمهم اليأس فكفروا بالقيم وكفروا بالحياة .
وقد تنبهت بعض الحكومات الى ما تحدثه الهدايا من تمزق في المجتمع ، وما تنفثه فيه من سموم الحقد والعداوة والبغضاء ، وما تجره عليه من ويلات فحرمت تقديم الهدايا الى الرؤساء ، وفي الحفلات خاصة وعامة وفرضت على من يقدمها ويقبلها عقوبة رادعة .
وبعد فلا حرج في الهدية في مناسبتها المشروعة : خطبة ، زواج ، نجاح .. اذا خلت من الغرض ، وكانت خالصة لله ولم يتبعها من ولا اذى ، ولم يستغلها المهدي أو المهدي اليه فيما يخرج بها عن معناها الاسمى : التقدير والحب والوفاء .
نسأل الله ان يلهمنا السداد والصواب ، وان ينأى بنا عن مواطن الشبهات ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والله اعلم ،

وقفة تأمل

لا تعجب

● في عصر حضارة القرن العشرين .. في عصر منظمة « الأمم المتحدة » .. في عصر « مجلس الأمن الدولي » في عصر « غزو الفضاء » و « التكنولوجيا » .. وفي ظل « حقوق الانسان » ومع دعوات « الحرية » و « التقدمية » .. وفي عصر « الاستقلال » والتحرر من الاستعمار .. ياسعادة انسان القرن العشرين !!

● فالدولة العظمى « امريكا » أليست هي صاحبة « تمثال الحرية » الشهير ؟ ومن اجل هذا فلا فرق بين « السود » و « البيض » على ارضها .. وهي تقف بحزم في وجه العدوان مهما كان مصدره .. ولذا فانها بعد ان ضربت بيد اسرائيل وقنابلها « العنقودية » ثم « الفراغية » أرغمت المعتدين الآثمين « من الفلسطينيين » المشردين على الخروج من « بيروت » والى اي مكان .. جزاء صمودهم ، وقيامهم في وجه الغزاة ؛ وعنادهم واصرارهم على مقاومة « المصلحين » من بني اسرائيل .. تلك هي الحرية التي تعرفها امريكا ..

● والدولة العظمى « روسيا » أليست هي ناصرة الشعوب المقهورة ؟ اليست هي الواقفة بحزم الى جانب حركات التحرر في العالم ؟ وهي لذلك تساند الحكومة الأفغانية في مواجهة الثائرين المسلمين المجاهدين .. والذين يرفضون تواجد القوات الروسية في بلادهم .. وهي ما جاءت الا لانقاذهم .. وليس لاذلالهم !!

● والدول المتطورة .. ألم تحاول ازالة مظاهر التخلف في العالم بمساعدة « جنوب إفريقيا » « وإثيوبيا » و « إسرائيل » وغيرها لتتولى مهمة التغيير بابادة شعوب لا حق لها في الحياة ..

● ودول العالم الثالث .. يتولى قيادة الحكم فيها زعامات وطنية لا ترضى لشعوبها الا الحياة الفاضلة الهادئة العاقلة .. ولهذا فانها تضع « المشاغبين » في غياهب السجون ، وتذهل « الخارجين » عن سلطانها حتى عن اسمائهم .. وتحل دماءهم واموالهم واعراضهم حتى تنعم الشعوب بالحياة الناعمة في ظل « الزعيم الملهم » أو « القائد الفذ » أو « البطل الهمام » .

● أرأيت أخي حضارة القرن العشرين ، وكيف انقلبت المفاهيم رأسا على عقب .. وأفرغت الأسماء من مسمّياتها .. ورفعت شعارات بلا مضامين .. بل دلّت الأسماء والشعارات على النقيض تماما .. فالحرية تعني العبودية .. ونصرة الضعيف تعني امتصاص دمه حتى النقطة الأخيرة .. والمعتدي الطاغي هو المغلوب على امره المقهور الارادة .. ولا تعجب .. فلم يعد هناك موطن للعجب في زمن العجائب والغرائب .. حيث اصحاب الأرض السليبة .. والمشردون في الخيام .. الحالمون بفجر جديد .. المحاصرون من الطغاة الآثمين .. الصامدون في وجه الاجرام القبيح .. يجبرون على الرحيل .. والى اين ؟؟.. وعلى مرأى من الاخوة والأهل والعشيرة .. ياعار القرن العشرين .. للاسلام عودة .. ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله .



لماذا كان الدين عند الله الاسلام

للاستاذ : محفوظ امين غريب

إذا قرأ إنسان مادة « سلم » في معجم من معاجم اللغة وجد ان المعنى المجرد لكلمة « إسلام » هو الانقياد والاستسلام والاذعان بلا اعتراض .

وبناء على هذا يثبت لكل ذي عقل **وبصر** إن المقصود بكلمة « إسلام » من ناحية علاقة الانسان بربه الانقياد والإذعان والامتثال لله في امره ونهيه على لسان الوحي الذي جاء من عند الله على أيدي الرسل والانبياء :

(ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا) النساء / ١٢٥

من أجل ذلك فان من يقرأ القرآن ـ المصدق لكتب السماء كلها ـ يجد فيه

ما يدله على أن الاسلام دين الرسل والأنبياء من لدن آدم حتى الرسالة الخاتمة التي جاء بها خاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله ..

إن نوحا عليه السلام - بعد أن جاهد جهاد أولي العزم في تبليغ الوحي - حذر قومه من الإعراض، وأعلن في قوة أنه مستمسك بعروة الاسلام الوثقى، امتثالا لأمر الله: **(واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون . فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين)** يونس / ٧١ و ٧٢ .

ولنتفكر في دعاء ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان قواعد البيت الحرام، فقد دعوا الله أن يجعلهما مسلمين، ويجعل من ذريتهما أمة مسلمة له تعالى، وأن يبعث في آخر الزمان رسولا من ذريتهما ليضع اللبنة الأخيرة التي تعطي صرح الاسلام الصورة النهائية الكاملة، فكان هذا الرسول الخاتم هو محمد عليه الصلاة والسلام: **(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)** البقرة / ١٢٨ و ١٢٩ .ووصى ابراهيم أبناءه بهذه الملة، ملة الاسلام، ووصى يعقوب عليه السلام بها أيضا بنيه؛ لأنها ملة لا يعرض عنها إلا من أذل نفسه واستخف بها وأخضعها للأوهام والأضاليل: **(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون)** البقرة / ١٣٠ - ١٣٣ .

وما دعا لوط عليه السلام إلا إلى الاسلام، فها هم الملائكة الذين كلفهم الله تعالى بقصف قوم لوط بالحجارة يستثنون من القصف بيتا أهله مسلمون: **(قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . لنرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين . فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)** الذاريات / ٣٢ - ٣٦ .

وتحكي قصة يوسف عليه السلام أن يوسف كان يقر بفضل الله عليه ويدعو ربه أن يتوفاه مسلما: **(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا**

والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)يوسف / ١٠١

ولقد بث موسى عليه السلام في قومه روح الاسلام ليصمدوا أمام جبروت فرعون : (**وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**)يونس / ٨٤ .

ولهذا أشهد فرعون العالمين - حين أشرف على الغرق - أنه مسلم ، وقد جعل الله تعالى من إسلامه ، الذي جاء متأخرا بعد يأسه من النجاة وكان قبل عاصيا فاسدا ، جعل الله من إسلامه آية للناس أجمعين ، فنجاه ببدنه من أجل إسلامه : (**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**)يونس / ٩٠ - ٩٢ .

ويشهد واحد من الطير أن سليمان عليه السلام قد دعا الى الاسلام ؛ فلقد ذهب « الهدهد » من قبل سليمان يحمل إلى « بلقيس » ملكة سبأ وقومها دعوة الاسلام :(**وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يأيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين**)النمل / ٢٠ - ٣١ .

وهدى الله « بلقيس » الى دين الفطرة ، دين العالمين ، فهتف انها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين :(**قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**)النمل / ٤٤

وقد أشهد أنصار عيسى - عليه السلام - الله تعالى انهم مسلمون ليميزهم بإسلامهم من الكافرين الذين كفروا بالوحي الذي جاء به عيسى من عند الله (**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**)آل عمران / ٥٢ و ٥٣

وكان هذا الوحي المنزل بالاسلام موصولا يتبع بعضه بعضا ، ليتصل تذكير الناس حتى يكونوا من

المهتدين ، ولذا آمن ذوو القلوب والعقول النقية من أهل الكتاب بالقرآن ، خاتم الوحي ، وأقروا أنه الحق من ربهم وأنهم مسلمون قبل إنزاله :

(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) القصص / ٥١ ـ ٥٣

إن مضمون هذا الوحي المتصل من لدن آدم حتى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام أنه لا إله إلا الله فاعبدوه أيها الناس في كل زمان ومكان : **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** الانبياء / ٢٥

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل / ٣٦

وقد اخذ الله تعالى على النبيين كلهم عهداً موثقا بتبليغ هذا الدين الواحد :

(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما) الاحزاب / ٧ و ٨

وإذا قارن إنسان بين معجزات الرسل وبين معجزة محمد عليه الصلاة والسلام لوجد أن معجزة كل رسول قبل محمد حسية ، وأن معجزة محمد عقلية ، وما علة ذلك الا أن كل رسول قبل محمد قد أرسل لقومه خاصة وأما محمد فهو رسول البشرية كلها . وهذا يقنع ذوى الألباب بفكرة خلود معجزة القرآن الكريم مبرأ من التحريف والتبديل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر / ٩

إن الله تعالى شاء أن تكون رسالة محمد عليه الصلاة والسلام هي المرحلة النهائية لرسالات السماء ؛ لتوائم آخر مرحلة يصل إليها عمر البشرية العقلى ، فالحكيم الخبير سبحانه شاء أن ينزل وحي الاسلام مجزأ وفق عمر البشرية العقلى ووفق حاجات الأمم والأجيال ؛ فالاسلام الذي جاء به عيسى عليه السلام أشمل مما جاء به موسى عليه السلام وما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أشمل وأوسع مما جاء به الرسل جميعهم : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)** النحل / ٨٩ ولذا كانت بعثة محمد مؤيدا بالقرآن إكمالا لصرح الدين : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** المائدة / ٣

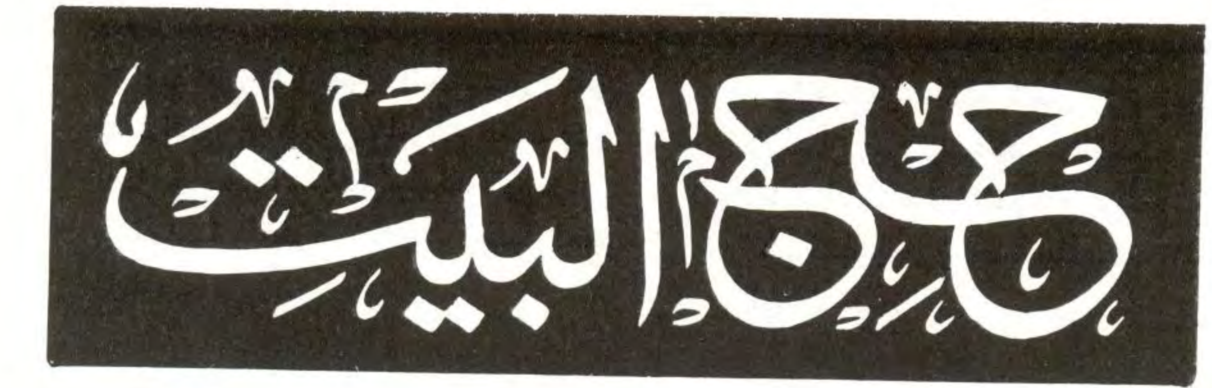
لا شك ـ بعد هذا ـ في أن أي انسان منصف يتقبل بقبول حسن ما جاء في حديث محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت

هذه اللبنة فأنا تلك اللبنةوأنا خاتم النبيين » أخرجه الشيخان .

ولا شك أيضا في أن هذا الانسان المنصف لن يجد حرجا في تقبل ما جاء في حديث شريف آخر رواه الامام « أحمد » في مسنده حول نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان لينشر الاسلام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الانبياء إخوة لعلات ،دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع يميل الى الحمرة والبياض ، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين ممصرتين - هي الثياب التي تميل الى الاصفرار - فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام ويهلك في زمانه المسيح الكذاب وتقع الأمنة في الارض حتى ترتع الابل مع الأسود جميعا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه ».

ولعله قد تجلى الآن لذوى العقول والأبصار أن الاسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام هو خاتم الرسالات ، وأن البشرية كلها أمة محمد صلى الله عليه وسلم : (**قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**) - الاعراف / ١٥٨ (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**)سبأ / ٢٨

ويتجلى أيضا لذوى العقول والابصار ان تعدد الأديان أمر لم يرد به نص ، ولا يتقبله ذوو القلوب السليمة ، وإلا فليأت أحد بما يثبت أن كلمة (دين) جمعت على أديان :(**وقالوا كونواهودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**)البقرة/ ١٣٥ - ١٣٨ فليهنأ المسلم بالاسلام ويعتصم به ، وليحذر الذي يبتغي غير الاسلام دينا ويحاسب نفسه ؛ لأن رب العالمين قد حدد الطريق الأوحد لفوز الانسان في الدنيا والآخرة حين قال في القرآن خاتم كتب السماء :(**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**)آل عمران / ١٩ (**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**)آل عمران / ٨٥



في القرآن والسنة

للاستاذ / : محمد نعيم عكاشة

.. سجل الاسلام منذ اكثر من اربعة عشر قرنا أعظم وثيقة لحقوق الانسان عرفها التاريخ حتى وقتنا هذا ..

فأين العالم اليوم ـ شرقه وغربه ـ من المبادىء الانسانية التى أرساها نبي الاسلام في خطبته المشهورة بعرفة .. ووفرت للناس الأمن والأمان في النفس والمال والعرض ..؟! اين ..؟!

في كل عام تتجدد الرحلة الروحية المباركة الى بيت الله الحرام .. وتزحف على مكة وفود الحجيج القادمة من شتى بقاع الأرض لاداء فريضة الحج .. والنزول في ضيافة الرحمن .. والعيش في الرحاب المقدسة اياماً معلومات ..

وترى الاعناق وقد أشرأبت الى السماء .. والألسن تلهج بالدعاء .. ونداء التوحيد يتردد في جنبات الوادي وبين المشاعر الحرام ..

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » ..

ويغطي الارض الطهور على امتدادها القائمون والركع السجود .. الكل في تجرد وايمان وصفاء ومحبة .. والتماسا لمغفرة الله .. وطلبا لعفوه ورضاه ..

وداخل البيت العتيق وحول الكعبة المشرفة (قبلة المسلمين) تتدافع وفود الحجيج ، وتتلامس الايدي والاكتاف في دوران منتظم .. سبعة اشواط بالتمام والكمال .. طواف قدوم وعبادة ..

فسبحان من بيده ملكوت السموات والارض .. سبحان خفي الألطاف .. وعالم الأسرار ..

وتزدحم النفس بأحداث الماضي المجيدة .. فمنذ أربعة عشر قرنا أو يزيد ، انبعثت من ارض الجزيرة العربية انوار الرسالة المحمدية . تبشر بدين جديد افاء على العالم كله حضارة وعدالة وأمنا ..

ذكريات عزيزة يحسها كل البشر .. وتستشعرها الانسانية في كل مكان .. ذكريات غالية تملأ وجدان المسلمين ، وتفيض بها مشاعرهم .. ذكريات ارض النبوة .. ومهبط رسالة التوحيد ، ونزول القرآن الكريم .. وفي كل خطوة على طريق الحج تتجلى اروع صور المساواة في الاسلام .. بين فرد وآخر .. بل الكل سواء في لباس متحد الشكل ، ناصع البياض .. تحركهم عقيدة واحدة .. وتدفعهم من مكان الى مكان فريضة معلومة من الدين بالضرورة ..

وتتفاعل المشاعر في بوتقة الايمان .. ويعكف القلب على الاستزادة من العبادة والضراعة والاستغفار .. واحد احد بيده الملك .. واليه المصير ..

وتتوارد الخواطر عن حلاوة الايمان .. وسعادة الانسان في ظل الله .. وشقاء البشر بالنظم المادية وقوانين الارض ..

الشيوعيون والماديون فقدوا الطريق ؟! .. وباطلهم ضد الحج مردود عليه

وأي تعاسة للماديين الذين غرقوا في بحور الاهواء والشهوات .. وشاعت في مجتمعاتهم موجات عارمة من الانحلال والتمزق والاكتئاب النفسي .. وأدت الى الكثرة من حالات الانتحار بين الأفراد بصورة مزعجة وكئيبة ..؟!

وما اشده من بؤس للشيوعيين الذين تفننوا في تأليه الحاكم الفرد المخلوق الى زوال ؟!.. وانكار الخالق الواحد الحي القادر على كل شيء .. ان العقول المادية ما فتئت تهاجم الحج وأعماله في الاسلام ، وهي بلا شك عقول قاصرة على ادراك حقيقة العبودية لله ، والامتثال لأمره في اصل من أصول التكليف .. بل وكيف يستقر للشيوعيين الفهم الصحيح وقد ترسبت في أعماقهم منذ الصغر تعاليم ماركس ولينين الباطلة ؟!..

ويجيء الرد قاطعا على اولئك وهؤلاء في قوله تعالى :

(ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) (سورة ال عمران /٩٧)

- فحمدا يارب وشكرا على الايمان ونعمة الاسلام ..

الحج في الاسلام .. وما قبله

والحديث عن الحج في الاسلام يستهوي الفؤاد ولا ينتهي .. ونكتفي هنا بلمحة سريعة عن فرضيته وحكمته ..

فقد علم الحق تبارك وتعالى ابراهيم الحج .. وعلمه ابراهيم للناس ، أذن بالحج : أي أعلنه : توجه ابراهيم عليه السلام الى الجهات الأربع جهة بعد أخرى ينادي بالحج .. ثم حج باسماعيل ومن معه من المسلمين من جرهم سكان الحرم آنذاك ..

ومن يومئذ صار الناس يحجون ..

(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) (سورة الحج / ٢٧ و٢٨)

وكان الحج معروفا من قبل في الجاهلية ، فكانوا يحجون قبل الاسلام ، ويطوفون بالبيت وهم عراة على عادة العرب في ذلك .. فلما جاء الاسلام ازال ما أصرفوا فيه من الشرك والمنكرات ، وزاد فيه من العبادات .. كما كان موجودا في الشرائع السابقة ، حتى لقد قيل ان آدم عليه السلام حج عدة مرات ، وان جبريل أخبره بان الملائكة كانوا يطوفون قبله بالبيت .. وادعى ابن اسحاق : ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا حج .. وادعى غيره : انه ما من نبي الا حج ..

والدليل على ان الحج كان في العرب قبل الاسلام ، آيات في القرآن الكريم ، وأحاديث في كتب الصحيح ، وأخبار في كتب السيرة والتاريخ ..

أما الآيات والأحاديث ، فمنها قوله تبارك وتعالى في سورة الحج :

(وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) (الآيتان : ٢٦ و٢٧)

وقوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة :

(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع

خيرا فان الله شاكر عليم) (الآية : ١٥٨)

روي البخاري ومسلم عن الشعبي قال : كان صنم بالصفايدعى اساف ، ووثن بالمروة يدعى نائلة ـ فكان اهل الجاهلية يسعون بينهما ، فلما جاء الاسلام رمي بهما ، وقالوا : انما كان ذلك يصنعه اهل الجاهلية من اجل اوثانهم ، فامسكوا عن السعي بينهما ، فانزل الله تعالى :**(ان الصفا والمروة من شعائر الله)**

حج المسلمون .. وكفر به غيرهم !

وجاء في بعض الروايات انه لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل الملل من مشركي العرب والنصارى واليهود والمجوس والصابئين وقال لهم :

« ان الله قد فرض الحج فحجوا البيت »

فلم يقبله الا المسلمون وكفر به غيرهم ، وقالوا : لا نؤمن به ، ولا نصلي اليه ، ولا نستقبله ، فأنزل الله سبحانه وتعالى :

(ومن كفر فان الله غني عن العالمين) (سورة آل عمران : ٩٧)

السنة تفصل مجمل القرآن

وقد بين الله سبحانه المواقيت الزمانية للحج في قوله تبارك وتعالى :

(الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب) (سورة البقرة : ١٩٧)

وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أماكن واسماء مواقيت الحج في السنة النبوية المطهرة التي تكفلت بتفصيل ما أجمل القرآن الكريم .. فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ له أمر تبيين ما جاء في القرآن مجملا بقوله تعالى :

(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(سورة النحل : ٤٤)

فكل بيان من الرسول بمجمل في القرآن ، فهو عن الله ..

مكانة الحج في الاسلام .. ووجوب نفقته الطيبة

والحج في الاسلام دعامة من دعائم الدين ، وركن من أركانه الخمسة الذي لا يستقيم اذا قصر المرء في واحد منها .. لقوله سبحانه وتعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)** وقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

وقد جاء فرضه بنص القرآن في سورة آل عمران : (**إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن كفر فان الله غني عن العالمين**) (٩٦و٩٧)

ورجح العلماء ان فرض الحج كان في سنة ست من الهجرة ولكن لعدم استطاعة المسلمين الحج ومكة في ايدي المشركين ، لم يحجوا الى ان فتحت مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة ، ولما استقر الامر فيها رجع رسول الله بمن معه الى دار هجرته ، وولى امر مكة عقاب بن اسيد بن ابي العيض بن امية ، وجعل معه معاذ بن جبل ليعلم الناس الفرائض والسنن ، الى ان كانت سنة تسع ـ وقيل هي التي فرض فيها الحج ..

وكل ما ورد في القرآن في شأن الحج تضمنته سور مدنية ، لأنه فرض في المدينة بعد فتح مكة الا أربع آيات من سورة الحج نزلت بين مكة والمدينة والنية الصادقة الخالصة لوجه الله أساس لاداء الفريضة .. والاستطاعة مشروطة بالمال الحلال والنفقة الطيبة .. قال الامام احمد رضي الله عنه : « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا » .. وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه : ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اذا خرج حاجا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور .. واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز ، فنادى : لبيك ، ناداه مناد من السماء ، لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك مأزور غير مأجور .. »

وحسب المرء بعد ذلك ان ينزل في ضيافة الرحمن .. وبين عباده المخلصين .. ويعيش وسط ساحة كريمة لتتجلى فيها وحدة المسلمين .. وتتقوى في رحابها الروابط الاخوية وتتدعم الصلات بين جماهير المسلمين في العالم قاطبة ..

وحسبه ان ينتقل بين مواقع الأحداث العظام التي غيرت وجه التاريخ .. ويستحضر في قلبه عظمة الداعي وجلال الدعوة ..

امتاع للروح والقلب .. ومغفرة للذنب

وأي سعادة تغمر من كتب الله له الحج وشرف الزيارة .. انه يعود من رحلته الروحية هذه وقد ازداد شوقا للحج مرات ومرات .. وعاش حياته تواقا الى تكراره على الدوام ..

واي امتاع للروح والقلب في ممارسة شعائر تلك الفريضة .. والوصول عن طريقها الى رحمة الله ومغفرته ..

سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي الاعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » ـ رواه

البخاري

وقال - صلى الله عليـه وسلم - « الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه اجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » - رواه البخاري وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان ..

وقوله عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » - رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه .. وفي رواية للترمذي : انه قال : « غفر له ما تقدم من ذنبه » ..

حجة النبي - صلى الله عليه وسلم -

ومن الثابت ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يحج البيت الا مرة واحدة بعد فرض الحج وكان في السنة العاشرة للهجرة ، وان المسلمين حجوا الى البيت في السنة التاسعة - بعد سنة فتح مكة - وكان على رأسهم ابو بكر الصديق ، ولم يحج معهم في تلك السنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقال ان السبب في هذا ان المشركين كانوا لا يزالون مستندين الى صلح الحديبية وكانوا يدخلون المسجد الحرام ، ويطوفون بالبيت عراة على عاداتهم في الجاهلية ويباشرون حول الكعبة طقوسهم الوثنية ، فالرسول اراد ان يؤجل حجه عاما حتى يتم تطهير البيت الحرام من شعائر الوثنية ، ولهذا بعث علي بن ابي طالب مع أبي بكر وامره اذا اجتمع الناس بمنى يوم النحر ان يذيع فيهم رسالته التي تضمنت : ان لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .. وتطهير الكعبة من الوثنيين ووثنياتهم بعد ان طهرها رسول الله عام الفتح من اصنامهم واوثانهم خلصت الكعبة رمزا لعبادة الله وحده ، وعادت كما طهرها ابراهيم للطائفين والعاكفين والركع السجود ، فلما جاء موسم الحج في السنة العاشرة للهجرة خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين لاداء فريضة الحج .. وهذه هي المرة الوحيدة التي حجها رسول الله عليه الصلاة والسلام وسميت حجة الوداع .. اما عن ذهابه الى البيت الحرام في السنة السادسة للهجرة فمن الراجح انه كان للعمرة وليس للحج كما قيل ..

ووصاياه في حجة الوداع

قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين ، فحمد الله واثنى عليه : ثم قال :

● ايها الناس :

اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا ..

● **ايها الناس** :

ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .. وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم .. وقد بلغت .. فمن كان عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .. وان

كل ربا موضوع (مهدر) ، وإن لكم رءوس اموالكم لا تظلمون وتظلمون .. قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .. وان كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وان اول دمائكم وضع دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل ، فهو اول ما ابدأ به من دماء الجاهلية ..

● **ايها الناس** :

انما النسيء (تأخير حرمة الشهر الى شهر اخر) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله .. وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض .. وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ..

● **ايها الناس** :

اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم ..

وان الشيطان قد يئس ان يعبد بأرضكم هذه ابدا . ولكنه ان يطع فيما سوى فقد رضي به مما تحقرون (تستصغرون) من اعمالكم ، فأحذروه على دينكم ..

واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهنّ شيئا .. وانكم انما اخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ..

فاعقلوا ايها الناس قولي ، فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا ، امرا بينا : كتاب الله وسنة رسوله .. وانتم تسألون عني ، فما انتم قائلون ؟..

قالوا : **نشهد انك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت** ..

وطفق ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ان خطب في الناس يقول : الله أشهد وودع الناس ، فقالوا : هذه حجة الوداع » ..

اعظم وثيقة لحقوق الانسان عرفها التاريخ

ـ وهكذا ..

سجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطبته بعرفة اعظم وثيقة لحقوق الانسان .. وحدد النهج القويم الذي تسير عليه امته من بعده ..

فأين المتشدقون بالحريات اليوم من هذه المبادىء الانسانية التى ارساها نبي الاسلام منذ اربعة عشر قرنا او يزيد ..؟!

اين هم من البيان المحمدي الخالد ونحن نرى في معظم دول العالم .. الحريات منتهكة .. وحقوق الانسان مهدرة .. والاخلاق في انحدار .. والفضيلة مذبوحة في كل مكان .. والجريمة شائعة بين الافراد بشكل مقلق ومخيف ..

نسأل الله ان يهدينا الى سواء السبيل .. وان يلم شمل المسلمين ، ويجمع قلوبهم على كتاب الله والعمل بشريعة الاسلام في شتى نواحي الحياة .

من حديث الحج

الوقوف بعرفات

تحدث القرآن الكريم عن عرفات والافاضة منه في آيتين وردتا في سورة البقرة في قوله تعالى : (**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**) البقرة/ ١٩٨ و ١٩٩ .

وقبل تفسير هاتين الآيتين وبيان ما تشتملان عليه من الأحكام يجدر الحديث في إيجاز عما يلي :

- ● ـ وصف عرفات .
- ● ـ حكم الوقوف به .
- ● ـ زمن الوقوف وشروطه .
- ● ـ سنن الوقوف .
- ● ـ حكمة الوقوف .

اما عرفات فهو ميدان واسع ، أرضه مستوية ، يبلغ نحو ميلين طولا في مثلهما عرضا ، وتحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير ، ويمر بطرفي القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف ، وفي شماليه جبل الرحمة ، وفي أسفل هذا الجبل الصخرات الكبار التى وقف عندها النبي صلى الله عليه وسلم .

في القرآن الكريم

والإفاضة منه

للدكتور/ محمد الدسوقي

ويقع عرفات في الجنوب الشرقي لمكة ، ويبعد عنها نحو خمسة وعشرين كيلو مترا .

وقد جاء عرفات على صيغة الجمع ، وقيل إنه جمع وضع لمفرد ، وحاول العلماء تعليل هذه التسمية فذكروا لها وجوها عدة ليس منها ما هو قائم على دليل صريح أو أصل لا يحتمل خلافا ومن ثم كانت كلها اجتهادات ، ومن هذه الوجوه أن آدم وحواء التقيا بعرفة ، فعرف احدهما صاحبه ، فسمي اليوم يوم عرفة ، والموضع عرفات ، أو أن آدم علمه جبريل مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له : أعرفت ؟ قال : نعم ، فسمي عرفات ، أو أن إبراهيم عليه السلام عرفها حين رآها ؛ أو أنه وضع ابنه اسماعيل وأمه هاجر بمكة ، ورجع إلى الشام ، ولم يلتقيا سنين ، ثم التقيا يوم عرفة بعرفات ، أو أن الحجاج يتعارفون فيه إذا وقفوا ، أو أن الله تعالى يتعرف فيه إلى الحجاج بالمغفرة والرحمة ، أو أن الحجاج إذا وقفوا في عرفة اعترفوا لله بالربوبية والجلال والصمدية والاستغناء واعترفوا على أنفسهم بالفقر والذلة والمسكنة والحاجة . (انظر تفسير القرطبي جـ٢ ص ٤١٥ ، والمنار ٢ ص ٢٣٢) .

وقال بعض العلماء : أصل عرفة وعرفات من الصبر ، يقال : رجل عارف إذا كان صابرا خاشعا ، ويقال في المثل : النفس عروف وما حملتها تتحمل ، فسمي

بهذا الاسم ، لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعاء وانواع البلاء واحتمال الشدائد لاقامة هذه العبادة .

وذكر صاحب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز في الجزء الرابع ص ٥٧ ان عرفات سمي بهذا الاسم من باب التكريم ، فهذا المكان المقدس عرف ، أي طيب وحف بالخيرات والبركات لضيوف الرحمن الذين أتوا من كل فج عميق ، ضارعين لله يلبون ويكبرون ويسعون ويطوفون ، يرجون رحمة ربهم ورضوانه .

وأما حكم الوقوف بعرفات فان اجماع الفقهاء منعقد على أنه ركن من أركان الحج ، بل هو ركنه الأعظم ، فهو عمدة افعال الحج على حد تعبير الامام ابن كثير في تفسيره ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حجته التي علم فيها المسلمين مناسكهم : « الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك » رواه الامام احمد وليلة جمع ، أي ليلة المبيت بالمزدلفة .

ولأن الحج الصحيح لا يكون بغير الوقوف بعرفات ، وهو معنى الحديث السابق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن من فاته هذا الوقوف - وإن أدى سائر المناسك . لا حج له ، وعليه حج من قابل ، كما أن عليه الهدى في رأي أكثر الفقهاء .

ويبدأ زمن الوقوف بعرفات لدى الجمهور من زوال اليوم التاسع ، ويمتد الى طلوع فجر اليوم العاشر ، وخالف الحنابلة من حيث بداية وقت الوقوف لا من حيث نهايته وهو فجر اليوم العاشر فلا خلاف بين العلماء فيه ، فيرون ان زمن الوقوف يبدأ من فجر اليوم التاسع لا من زوال هذا اليوم كما يرى الجمهور .

واهم شروط الوقوف بعرفات أن يكون في وقته ، وان يكون الحاج اهلا للعبادة ، ناويا الوقوف ، خلافا لمن يرى صحته من زائل العقل بنوم ، او غيره ، او جاز بعرفات دون ان يعلم انها عرفات ، لأن الوقوف على هذا النحو لا يتلاءم مع روح التشريع وأغراضه السامية .

وليس المراد من الوقوف هو الحضور بعرفات كل الوقت الذي يراه أغلب الفقهاء وإنما يجزىء الوجود في هذا الوقت . ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار .

على أنه يصح الوقوف في أي مكان من عرفة ، فكلها موقف الابطن عرنة - وهو واد يقع في الجهة الغربية من عرفة ! فان الوقوف به لا يجزىء بالاجماع .

ويذهب جمهور العلماء إلى أن من وقف بعد الزوال وافاض قبل الغروب فحجه تام وما رواه الترمذي عن عروة بن مضرس بن أوس قال :

« اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة ، فقلت : يا رسول الله إني جئت من جبل طيىء أكللت راحلتي ، واتعبت نفسي ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى يدفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا او نهارا ، فقد تم حجه وقضى تفثه » .

والاخذ برأي الجمهور اولى ، لما فيه من التيسير وعدم الحرج ، فالحجيج في

العصر الحاضر عددهم غفير ، ولا يتيسر لجميعهم الجمع في الوقوف بين جزء من النهار وجزء من الليل .

ومن وقف بعرفة ليلا دون ان يقف نهارا فلا خلاف في تمام حجه ، كما انه لا خلاف فيمن وقف قبل الزوال ، وأفاض قبل الزوال ايضا ان وقوفه لا يعتد به .

ولا دم على من وقف بعد الغروب ، واختلف فيمن وقف بعد الزوال وأفاض قبل الغروب ، فمن يذهبون الى وجوب ان يأخذ الحاج من الليل شيئا يرون وجوب الدم على من افاض دون ان يتصل وقوفه بالليل ، ومن يرى سنية الجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفات لا يرى وجوب الدم على من ترك هذه السنة ، وأفاض نهارا بعد الزوال .

وللوقوف سنن عديدة منها الطهارة ، والوقوف راكبا إن امكن ، والوقوف عند الصخرات التي وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن استطاع ، وهذ[illegible] خاص بالرجال دون النساء ، والجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ، وأن يجمع بين جزء من النهار وجزء من الليل ، وان يتجنب كل ما لا يخلق به في هذا الم[illegible] كالمجادلة والمشاتمة ، والاساءة الى الناس ، وان يكثر من الدعاء والتضرع [illegible] الحق تبارك وتعالى ؛ وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للناس [illegible] عرفة : وقفت هاهنا « أي عند الصخرات » وعرفة كلها موقف ، وخير الدعاء دع[illegible] يوم عرفة ، وخير ما قلته انا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ل[illegible] الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ثم استقبل القبلة ورفع يديه الى صدره ودعا وتضرع الى غروب الشمس رواه احمد والترمذي .

وقد اثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة بعض الادعية التي لا مجال هنا لذكرها ، وعلى كل من يقف بعرفات ان يكون له في رسوله اسوة حسنة فيكثر من الدعاء بما يشاء ، وان يكون دعاؤه تعبيرا صادقا عما يعيش في وجدانه من خشية الله وندم على ما كان من ذنوب واثام ، ورجاء في عفو الله ، واشفاق من عذابه وعقابه .

والوقوف بعرفات يذكر المسلمين في كل عام بنعمة اتمام الدين ، وتلك الخطبة الجامعة التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وبين فيها طريق الحق من الباطل والحلال من الحرام في الامانات والاموال والدماء والنساء ، وان الامة ما دامت تعتصم بكتاب الله وسنة رسوله فلن تضل او تزل ، او تحرف او تبدل .

وفي تذكر هذا في يوم يباهي الله فيه ملائكته بهؤلاء الحجيج منفعة للمؤمنين في دنياهم واخراهم ، فهم بهذه التذكرة يشكرون الله على ما أنعم عليهم بنعمة الايمان ، وهم بهذا الشكر يعاهدونه سبحانه الا يستمسكوا إلا بما اوحي الى نبيه ، وان يجاهدوا في الله حق جهاده ، وهذا هو طريق الخير والسعادة في الدارين .

هذا ـ في ايجاز ـ ما يتعلق بعرفات والوقوف به ، أما الآيتان اللتان تشيران الى هذا الوقوف ، والافاضة الى المزدلفة ، فان الحديث عنهما يقتضي اولا الكلام في سبب نزولهما ، ثم يفصل القول بعض التفصيل فيما تشتملان عليه من المعاني والاحكام .

أما الآية الاولى فقد ورد في سبب نزولها عدة روايات يجمع بينها معنى التحرج من الاقدام على طلب الرزق بالتجارة ونحوها في موسم الحج ، وهو تحرج انشأه الاسلام في النفوس ، وجعلها لا تقدم على ما كان سائغا في الجاهلية من أعراف قبل ان يقول الاسلام كلمته فيها .

روى البخاري قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في الموسم فنزلت : ليس عليكم .. »

قال ابن عباس : كان ناس من العرب يحترزون من التجارة في ايام الحج ، واذا دخل العشر (اي العشر الاولى من ذي الحجة) بالغوا في ترك البيع والشراء بالكلية ، وكانوا يسمون التاجر في الحج ، الداج ، ويقولون : هذا الداج وليس بالحاج ، ومعنى الداج المكتسب الملتقط ، وهو مشتق من الدجاجة ، وبالغوا في الاحترازعن الاعمال الى ان امتنعوا عن اغاثة الملهوف ، واعانة الضعيف ، واطعام الجائع فازال الله تعالى هذا الوهم ، وبين انه لا جناح في التجارة .. تفسير الفخر الرازي ج٥ ص ١٨٧ .

فسبب نزول الاية اذن هو ان العرب بعد الاسلام تخوفوا من التجارة ونحوها من اسباب طلب الرزق في موسم الحج ، وربما غلب على ظنهم انها محرمة عليهم ، فبينت الاية انه لا اثم ولا حرج في التجارة والابتغاء من فضل الله مادام ذلك لا يؤثر على اداء المناسك ، والقيام بها في إحسان واتقان .

ويذهب الرازي في تفسيره الى ان الشبهة في حرمة التجارة في الحج كانت حاصلة لدى العرب من وجوه هي

● ـ انه تعالى منع الجدال فيما قبل هذه الاية ، والتجارة كثيرة الافضاء الى المنازعة في قلة القيمة وكثرتها فوجب ان تكون التجارة محرمة في وقت الحج .

● ـ ان التجارة كانت محرمة في وقت الحج في دين الجاهلية ، وظاهر ذلك شيء مستحسن لان المشتغل بالحج مشتغل بخدمة الله ، فوجب الا يتلطخ هذا العمل منه بالاطماع الدنيوية .

● ان المسلمين لما علموا أنه صار كثير من المباحات محرمة عليهم في وقت الحج [illegible] والطيب والاصطياد والمباشرة مع الاهل غلب على ظنهم ان الحج لما صار

سببا لحرمة اللبس مع مسيس الحاجة اليه في أن يصير سببا لحرمة التجارة مع قلة الحاجة اليها كان اولى .

● ـ عند الاشتغال بالصلاة يحرم الاشتغال بسائر الطاعات فضلا عن المباحات فوجب ان يكون الامر كذلك في الحج .

فهذه هي الوجوه التي يراها الامام الرازي ، كما يراها سواه من المفسرين وان لم يفصلوا القول فيها على نحو ما فصل ـ مصدر ما كان يشعر به العرب بعد الاسلام من حرج الاقدام على التجارة في موسم الحج .

والذي يؤكد ما ذهب اليه المفسرون من ان نفي الجناح في الاية خاص بكل ما يتصل بالكسب من اعمال في اثناء مناسك الحج ان التعبير القرآني وهو « الابتغاء من فضل الله » ورد في عدة ايات ويتناول بوجه عام أنعم الله في البحر والبر ، ووجوب السعي لطلبها والحصول عليها : (**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) النحل / ١٤ . (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**) الجمعة / ١٠

وهذا التعبير يوحي للمسلم بانه لا يرزق نفسه بعمله ، وانما هو يطلب من فضل الله ، ومتى استقر هذا الاحساس في قلبه وهو يبتغي الرزق فهو اذن في حالة عباده لا تتنافى مع عبادة الحج في الاتجاه الى الله : في ظلال القرآن ج٢ ص ١٢٠ .

فمقدمة الاية طوعا لما سلف تبيح الكسب في ايام الحج اذا لم يكن هو المقصود بالذات ، وانه مع حسن النية وملاحظة انه فضل من الرب تعالى يكون فيه نوع عبادة ، وان التفرغ للمناسك في ايام ادائها افضل والتنزه عن جميع حظوظ الدنيا في تلك البقاع الطاهرة اكمل   تفسير المنار ج٢ ص ٢٣١ .

ونفي الجناح في الآية لا يعني ان الامر كان محظورا ثم ابيح ، وإنما هو لنفي الاثم الذي توهمه المسلمون إذا ابتغوا من فضل الله في موسم الحج .

وتشير الاية بعد هذا الى الافاضة من عرفات ، وذكر الافاضة من عرفات يقتضي سبق الوقوف به ، ومعنى الافاضة ، الدفع بكثرة او جملة ، ومنه افاض الرجل في الكلام ، اي اندفع فيه باكثار وتصرف في وجوهه ، وهذه الافاضة يجب ان تكون في سكينة وخشوع وخشية لله ، فلا مزاحمة ولا مجادلة ولا رفث في القول او الفعل ، وانما هي لحظات الصفاء والنقاء والاقبال على الله بالاكثار من التلبية والدعاء ، وقد

روى الشيخان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افاض من عرفات امر المسلمين بعدم الاسراع في التوجه الى المزدلفة ، فقد قال لهم : ايها الناس ، عليكم بالسكينة ، فليس البر بالايضاع ، « اي الاسراع » وكان عليه الصلاة والسلام يكف ناقته عن السرعة ، فيسير عنقا ، ـ اي سيرا متوسطا لا هو بالسريع ، ولا بالبطيء ـ ولا يزاحم احدا ، فاذا وجد فجوة نصَّ سيره ، اي زاد في سرعته .

والرسول بهذا يرشد الامة الى آداب الافاضة وما يجب ان يكون عليه المسلمون وهم يدفعون من عرفات ، إنهم يفيضون في جملة وكثرة ، فاذا لم تظلل افاضتهم السكينة واخلاق الصبر والسماحة والدفع بالتي هي احسن ، فقدت الخشوع والخضوع لله وصار المسلمون كانهم في حلبة سباق لا يعني كل منهم غير ان يصل قبل سواه ، وان اذى اخاه بالدفع والمزاحمة .

ثم تأمر الاية بعد الافاضة بذكر الله عند المشعر الحرام ، والمشعر هو المعلم ، واصله من قولك : شعرت بالشيء ، اذا علمته ، وليت شعري ، اي ليت علمي ، وشعار الشيء ، اعلامه ، وسمي ذلك الموضع بالمشعر ، لانه معلم من معالم الحج والعبادة ، ووصف بالحرام ، لحرمته .

وتتباين الروايات في تحديد المقصود بالمشعر الحرام ، فمنها ما يذهب الى انه المزدلفة كلها ، وهي عبارة عن فضاء فسيح بين عرفات ومنى ، ومنها ما يرى ان المشعر الحرام تل صغير قليل الارتفاع اقيم عليه مسجد المزدلفة ، ومنها ما يرى انه المسجد نفسه انظر تفسير القرطبي ج٢ ص ٤١٦ .

ومهما يكن من اختلاف في تحديد المقصود بالمشعر الحرام ، فان الامر بذكر الله واجب عنده ، سواء كان المقصود به المزدلفة كلها ام مكانا بها ، وهذا الذكر يشمل التهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن ، كما يشمل الجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير باذان واحد واقامتين ، فقد روي الامام مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى المزدلفة فجمع بين المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا ، اي يصلي ..

والجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة كالجمع بين العصر والظهر بعرفات ، فكلاهما سنة .

وتكرر الاية الامر بذكر الله ، معللة هذا ببعض ما انعم الله على عباده **(واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين)** .

انه امر بالذكر للشكر والثناء والاعتراف بفضل الله ، ونعمه لا تحصى وفي مقدمتها نعمة الهداية والايمان والخروج من الظلمات الى النور .

ويلاحظ ان القرآن الكريم قرن بين الامر بذكر الله ، وبعض ما انعم به على عباده في عدة ايات ، منها قوله تعالى في الاية التي بينت ان رمضان هو الظرف الزمني لفريضة الصيام وان الله رحيم بعباده ، اذ اباح لهم الافطار عند وجود عذر مشروع كالسفر في طاعة والمرض ونحوهما : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) البقرة / ١٨٥ .

وهذا يعني ان المسلم لا ينفك ذاكرا لخالقه منيبا اليه مادام فيه رمق من حياة ، لانه يعيش في كل لحظة نعم الله التي لا تعد ، فالامر بالذكر في تلك الآية ليس مقصورا على موقف معين ، ولكنه يتجاوزه ليستغرق حياة الانسان كلها ، وبذلك يحقق معنى العبودية الخالصة لبارئه وهي الغاية من خلق الجن والانس : (**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات / ٥٦ ـ ٥٨ .

واما الآية الثانية فقد روى في سبب نزولها ان قريشا ومن دان دينهم من كنانة وجديلة و قيس ، وهم الحمس « واحدهم احمس ،، وهو الشديد الصلب في دينه » كانوا يقفون في الجاهلية بالمزدلفة ، لانها من الحرم ، ولا يرضون الوقوف بعرفة ، لانه من الحل ، وكانوا يقولون : نحن قطين الله « اي سكان حرمه » فينبغي ان نعظم الحرم ، ولا نعظم شيئا من الحل ، وكانوا مع هذا يقرون بان عرفة موقف ابراهيم عليه السلام ولكنهم ما كانوا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ، ويفيضون منه ويقف الناس بعرفة فنزلت هذه الآية تأمر هؤلاء بالافاضة من عرفات ، وهذا يقتضي وقوفهم به كما يقف الناس ، ثم يفيضون معهم ، وفي ذلك ابطال لما كانت عليه قريش في الجاهلية من عادات واعراف فاسدة .

وتوجيه الخطاب في الاية الى قريش وبعض القبائل العربية التي آثرت الوقوف بالمزدلفة ولم تقف بعرفات حمل بعض المفسرين على القول بأن ثم في الاية ليست للترتيب ، وانما هي بمعنى الواو ، او مستعارة للتراخي بين الافاضتين : جاء في الكشاف للزمخشري : فان قلت كيف يكون موضع ثم قلت : نحو موقعها من قولك : احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم ، تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره ، وبعد ما بينهما ، فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال : ثم افيضوا ، لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطأ .

ويذهب بعض المفسرين الى ان الخطاب في الاية ليس موجها الى قريش ومن دان دينهم ، وانما هو موجه الى الناس قاطبة ، وانهم امروا بالافاضة من عرفات كما افاض ابراهيم عليه السلام ، وان كلمة الناس في الاية يراد بها خليل الرحمن ،

وان هذا من باب التكريم له ، كما وصف في اية اخرى بانه امة : (**إنَّ إبراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين**) النحل / ١٢٠ .

ومن المفسرين من رأى ان الأمر بالافاضة في الاية خاص بالافاضة من المزدلفة الى منى كما افاض الناس وهم الحمس ، وطوعا لهذا الرأي يكون الوقوف بالمزدلفة واجبا للأمر بالاضافة منها تفسير القرطبي ج٢

ويرجح جمهور المفسرين ان يكون الخطاب في الاية موجها الى الحمس وامرا لهم بالافاضة من عرفات كما يفيض سائر الناس ، وهو من ثم امر الى المسلمين جميعا ، لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا يوحي بوجوب الالتزام الكامل بالشعائر المفروضة كما امر بها الله ، وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان مخالفة ذلك بدعة ، وتمزيق للامة الواحدة .

ويأتي الامر بالاستغفار بعد الامر بالافاضة ، وهو اشارة الى ان المؤمن لا يسلم من الخطأ او الاثم ، وان عليه ان يتوجه في كل حالاته ـ وبخاصة وهو يؤدي ما كتبه الله عليه الى بارئه ، يرجو رحمته ومغفرته ، فهو سبحانه غفور رحيم ، غفور حليم ، فلا قنوط من رحمته وفضله ، وهذه نعمة اخرى ، تستوجب الشكر والطاعة : (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) الزمر / ٥٣ .

واذا افاض المسلم من عرفات واتى المزدلفة فان عليه أن يفيض من المزدلفة الى منى قبل شروق يوم النحر ، فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث انه عليه الصلاة والسلام لما اتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء ، ثم اضطجع حتى الفجر ، فصلى الفجر ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ، ثم دفع قبل طلوع الشمس .

ولكن هل يلزم الحاج المبيت بالمزدلفة ، او يكفيه الحضور بها ولو لحظة ؟

إن جمهور الفقهاء يرون الوقوف بالمزدلفة دون البيات بها ، خلافا للامام احمد ابن حنبل الذي يوجب المبيت بالمزدلفة ، ولا يعفي منه الا اصحاب الضرورات ، ومن يقومون برعاية الحجاج ، والقيام بما يحتاجون اليه من طعام ونحوه .

والمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر ، وهو واد بين المزدلفة ومنى ، فقد روي الامام احمد عن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **كل مزدلفة موقف** ، وارفعوا عن محسر »

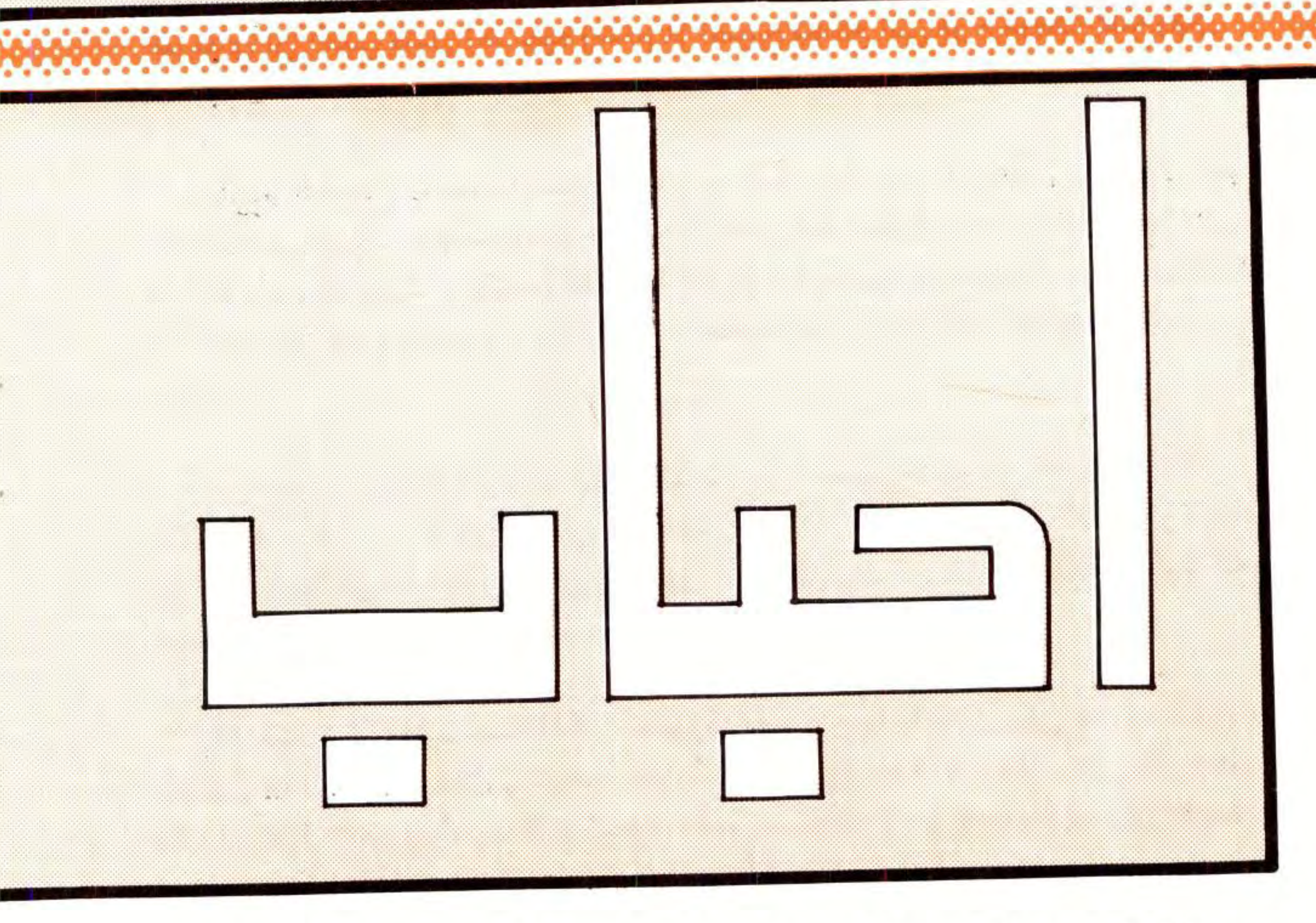
ومن السنة الوقوف عند « قزح » . وهو موضع بالمزدلفة ، ويروى انه كان موقف قريش في الجاهلية ويقال : انه المشعر الحرام عند كثير من الفقهاء ـ لما رواه الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصبح بجمع اتى قزح فوقف عليه وقال : هذا قزح ، وجمع كلها موقف .

ويتزود الحجاج بالحصا الذي يرمون به الجمرات من المزدلفة ، وان جاز اخذ الحصا من غيرها . ويتضح مما سلف ان للمزدلفة عدة اسماء ، ولكن غلب عليها هذا الاسم واشتهرت به ولهذه التسمية تعليلات او تأويلات مختلفة ، بيد انها كلها لا تقوم على نص صريح ، وانما هي اجتهادات واحتمالات كما هو الشأن في عرفات .

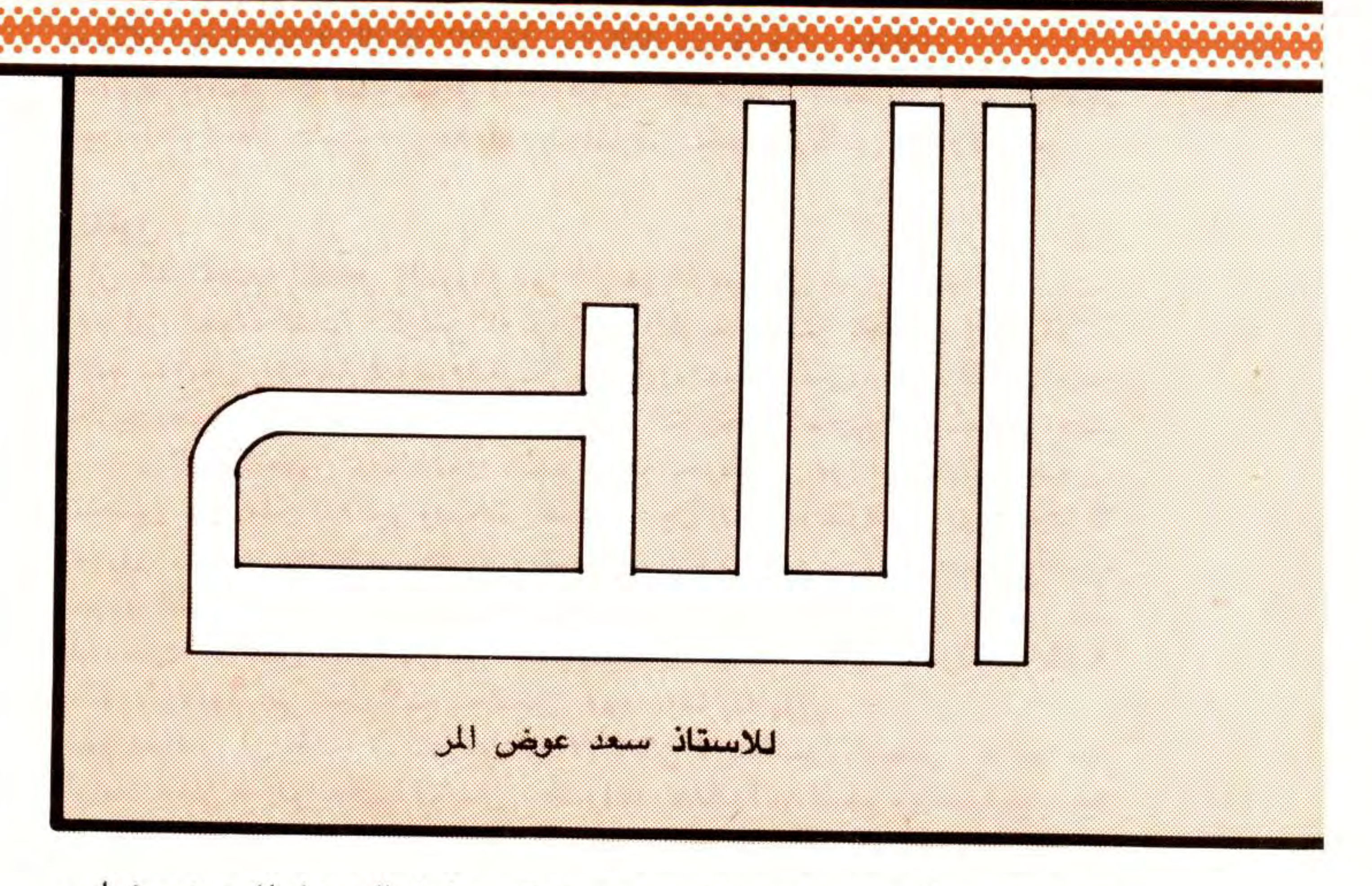
ومن وجوه تسمية المزدلفة بهذا الاسم ان الحجاج يقربون فيها من منى ، فالازدلاف القرب ، او لأن الناس يجتمعون فيها ، والاجتماع الازدلاف ، او لانهم يزدلفون فيها الى الله تعالى ، اي يتقربون اليه بالوقوف او لان آدم اجتمع فيها مع حواء ، وازدلف اليها ، اي دنا منها .

وقد شرع الوقوف بهذا المكان تشريفا له وتكريما باعتباره من معالم الحج ، وليكون هذا الوقوف في الليل فرصة مناجاة للحق جل جلاله ، فقد امر بذكره فيه واردف هذا الامر بالامر بذكره ايضا ، فهو سبحانه انعم علينا بالهداية والايمان فوجب علينا اعترافا بفضل الله وشكرا على آلائه الجزيلة ان نذكره ونسبح بحمده في كل لحظة من لحظات الحياة ، واذا فعل المرء ذلك كان في كل افعاله واقواله حيث يحب ان يراه الله ، وهذا مناط الخير في الدنيا والاخرة .

وبعد فهذه دراسة عامة موجزة عن الوقوف بعرفات والافاضة منه في ضوء حديث الكتاب العزيز عن ذلك الوقوف وهذه الافاضة ، ولعل فيها ما يلقي مزيدا من الضوء على ركن الحج الاعظم ، والعمود الفقري لمناسكه ، ذلك الركن الذي يمثل المؤتمر الجامع لوفود الرحمن ، هذا المؤتمر الذي يجب ان يكون للمسلمين في كل عام لقاء مباركا على طريق الحق ووحدة الغاية ، ودعما لاواصر الاخوة ، واسباب القوة ، حتى نحافظ على ما يجب ان نحافظ عليه من العزة والكرامة والخيرية :
(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ال عمران / ١١٠



يتنافى كثير من الناس دائما انهم قد جاءوا في هذا الكون بقدرة الله وصنعته ، بل ومعظمهم لا يؤمنون بأن الله هو الذي خلقهم وانه هو بارئهم وموجدهم ، وانهم قد جاءوا الى ه ّ ه الارض ، بمشيئته ، بل الكثير ممن امنوا بوجود الله لم يدركوا انه عز وجل قد خلقهم كي يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم يدعوه دون سواه ، فاذا حاد احدهم عن هذا الطريق واتخذ إلهه هواه ، فانه بذلك يكون قد باع سعادته بشقاه ، واما من زكى نفسه واناب ثم اعرض عن معاصيه وتاب خوفا من الله العزيز الوهاب ، فانه يكون بذلك قد خالف هواه حبا لله جل علاه ، وهو عندئذ يكون قد اضاء محياه في شعاع بهاه ثم اعطى عقله نور هداه ، ووضع في قلبه ذكره وتقواه ، ومن ثم كان محبا لله جديرا بان يحبه الله ، ومن احبه الله كان معه اينما كان ، وكان وليه اينما توجه مهما كان أعداؤه ومهما كان جبروتهم .
فطوبى لمن احبهم الله لما نالوا ، وما ينتظرون جزاء وفاقا لما عملوا وأصلحوا في حياتهم ، وتعسا وهلاكا لمن لا يحبهم نتيجة افعالهم التي اقدموا عليها بغير حق او عدل .
هذا ولم يتركنا الله حيارى نقلب وجوهنا هنا وهناك بحثا عن اي الطرق التي



توصلنا لحب الرحمن ، فقد دلنا على سبل هداه من اجل الوصول الى حبه ورضاه ، ولكل هذه الطرق حلاوة وعلى جانبيها طلاوة ، رغم انها سبل بالجهد ملفوفة وبالبلاء والعناء محفوفة .

قال الله عز وجل في حديث قدسي:(**يا ابن آدم خلقت الاشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن انت له** .. ـ **الى ان قال ـ يا ابن آدم أنا لك محب ، فبحقي عليك كن لي محبا**) ، اما من اعرض ونأى بجانبه واغلق قلبه عن هذا النداء ، بل واوصده بذلك الجحود امعانا في التكبر ، وزيادة في كراهيته لنفسه حينما أصبح عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال :(**من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين**)البقرة/٩٨

وعن معاذ رضي الله عنه قال : ان الله عز وجل قال للنبي (ص) : سل يا محمد ، قال : قلت : اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ، وحب المساكين .. ـ الى ان قال ـ وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب كل عمل يقربني الى حبك) اخرجه الترمذي والحاكم .

يقول الله تعالى في كتابه المجيد:(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**

ويغفر لكم)آل عمران/٣١ ، فياله من حب وياله من غفران ، ويالها من بشرى فالله هو الذي بشر بها ، ومن ذا الذي لا يحب ان يغفر له ؟.. لا أحد الا شقى او مستكبر وهما معا في الدرك الاسفل من النار مع فرعون وهامان .
هذا وقد اوضح الله لنا ودلنا في قرآنه الكريم عن هؤلاء المحظوظين الذين يحبهم ويحبونه وافاض عليهم من فضله رحمات من عنده وبركات ، وهؤلاء هم :

المتقون :

(**إن الله يحب المتقين**)التوبة/٤ **و** ٧ ـ هؤلاء هم اول من احبهم الله .
وهم اول احبائه الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم :(**هدى للمتقين**)البقرة/٢ ، لانهم يخشون ربهم من فوقهم بالغيب ، وهم اول احبائه الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم وهم من الساعة مشفقون ، ولان حب الله وحب المعاصي لا يجتمعان ، فهم في حب الله يتنعمون ويتغمدون لانهم دائما يحرصون على ان يكونوا بعيدين مبتعدين عن كبائر المعاصي وصغائر الذنوب ، بل انهم لها كارهون وان فعلوها لا يصرون ، ثم من بعدها يستغفرون ويندمون ، كذلك نراهم يجمعون صفات الذين احبهم الله لانهم مدفوعون بتقوى قلوبهم ، منيبين راغبين في ان يكونوا من المحسنين ، الذين علموا ان الله سميع بصير ، يسمع ويرى فكانوا من مقامه خائفين ولانهم على صلواتهم يحافظون فهم دوما يتطهرون .
انهم يخافون ان يقعوا في المعاصي او الآثام كي لا يغضبوا الرحمن ، عرفوا انه الواحد المنان فذاقوا حلاوة الايمان ، علموا قدره فأدوا ما عليهم ، وقاموا بين يديه حذرين خاشعين متنبهين منبهين انفسهم حتى لا يشدهم امر دنياهم وهم بين يدي الحنان المنان عالم السر وما بان ، فكانوا احق من غيرهم بان يكونوا احباء الله حتى يصل بهم العمر الى منتهاه .
لهذا كان الاحسان هو الطريق الى التقوى ، وكانت التقوى سبيلا الى الاحسان (**إن المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين**)الذاريات/١٥ و ١٦ .

المحسنون :

(**إن الله يحب المحسنين**)البقرة/١٩٥ ، (**والله يحب المحسنين**) آل عمران ١٤٨ **و** المائدة ٩٣
هؤلاء الذين يعبدون الله وكأنهم يرونه امامهم وهم قائمون بين يديه عز وجل ، يرون نوره ، يرون عظمته ، يرون جبروته ، فيحسنون العبادة ويطهرون انفسهم وهم في حضرته جل جلاله ، يخافون مقامه وهم يتقربون اليه بالطاعات والذكر والحمد والتسبيح والاستغفار ، فاحسنوا قدر استطاعتهم لانهم قد علموا انه يراهم لانه هو السميع البصير ، ولا تخفى عليه خافية حتى هواجس افكارهم ، فكانوا يزكون

انفسهم في خشوع وركوع ، وعنت وجوههم للحي القيوم الرحمن الرحيم مالك الملك ، ملك الملوك ، قاهر الاعناق .

المتطهرون :

(**إن الله يحب** التوابين **ويحب المتطهرين**) البقرة/٢٢٢ **(والله يحب المطهرين)** التوبة/١٠٨

هؤلاء الذين يحافظون على طهارتهم لانهم دائما يغتسلون ، وبالماء او التيمم يتوضأون ويتطهرون لانهم دوما يحرصون على ان يكونوا من الذين هم على صلواتهم يحافظون ، يتطهرون لانهم يحبون ان يقرؤوا القرآن الكريم فلا يلمسوه او يمسوه وهم نجسون ، انك لو اطلعت على نفوسهم او افئدتهم لرأيتهم نظيفة طاهرة نقية كأبدانهم ، لانهم قد غسلوها بتقوى الله وخشيته .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله (ص) انه قال (ما منكم من احد يتوضأ ثم يقول : اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله .. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين .. الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء) رواه مسلم والترمذي ، ويقول الله تعالى: **(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** البقرة/٢٢٢ ، لان الرسول (ص) عندما قال حديثه الشريف سالف الذكر فانما قاله وهو يسبح في نور كلام الله العظيم ، لانه لا ينطق عن الهوى .

الصابرون : (والله يحب الصابرين) آل عمران ١٤٦

هؤلاء هم الذين لا يفزعون فاذا ما أصابتهم مصيبة تراهم من رحمة الله لا ييأسون ، ومن لطفه لا يقنطون ، فاذا ما نزلت بساحتهم شدة او اذا حلت بهم كارثة لا يفجعون ، واذا ما وجدوا انفسهم او اهليهم في مصيبة فهم يسترجعون **(الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون)** البقرة/١٥٦ ، لذا كانوا احق الناس بحب الله واستحقوا ان يذكرهم في كتابه الكريم مقرونين بحبه الكريم ومبشرين منه سبحانه وتعالى **(وبشر الصابرين)** البقرة ١٥٥

المتوكلون :

(إن الله يحب المتوكلين) آل عمران/١٥٩

هؤلاء هم الذين يتوكلون على الله دوما في كل امورهم ولا ينسون ، يتخذون الاسباب اولا ثم لا يتواكلون ، يعلمون ان الله باسط لهم يده بها فلم يعرضوا عنها ولا هم يستكبرون ، لا يدعونه وهم متكاسلون الا بعد ان يعملوا اولا ثم يتركون لأمر الله ما يبغون ويتمنون ، ثم بعد ذلك يستسلمون لقضاء الله وقدره ولا يغترون ، لا يغترون

بأنفسهم بما يعملون ولا يتأكدون من نتائج ما يفعلون ، اولئك حقا هم المتوكلون الذين استحقوا حب الله لانهم وصلوا أنفسهم وسلموها بين يديه ، فهل يرد الله من لجأ اليه او استعصم او اتخذه وكيلا ؟
جاء رسول الله (ص) وصحبه ليعلم فاطمة الزهراء فقال : قولي : (يا حي ، ياقيوم ، برحمتك استغيث ، اصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا إلى احد من الناس) رواه الطبراني .

المقسطون :

(**إن الله يحب المقسطين**)المائدة/٤٢ **و** الحجرات/٩ ، (**إنه لا يحب الظالمين**)الشورى/٤٠ (**والله لا يحب الظالمين**)آل عمران/٥٧ و ١٤٠
هؤلاء هم الذين يحكمون بين الناس ولا يشططون ، لا يخافون لومة لائم ولا يرهبون ، لا يرهبون خصما لقوته ولا يستضعفون ضعيفا طالما ان الحق معه ، ولا يخشون بطش جبار او متعجرف طالما ظلم ومهما كان الطرف الآخر ضعيفا .
هذا وقد اخبرنا رسول الله (ص) بالسبعة الذين سيظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل فيه الا ظله وكان من بينهم ذلك الامام العادل ، فطوبى للمقسطين : طوبى لهم بحب الله .

التوابون :

(**إن الله يحب التوابين**) البقرة/٢٢٢ ، (**وهو الذي يقبل التوبة**) الشورى ٢٥ ، (**وأن الله هو التواب الرحيم**)التوبة/١٠٤، (**إنه كان توابا**)النصر/ ٣
هؤلاء هم الذين يعصون ويذنبون فيتذكرون الله ، فيرتعدون ، وولا يجدون فرارا منه الا اليه فيندمون ويستغفرون ولا يصرون ، يتوبون عازمين على الا يعودوا لمثل هذا الذنب راجين رحمة ربهم وعفوه .
عرفوا بان الله تواب غفور رحيم لوآخذ الناس بذنوبهم ما تبقى على وجه الارض من احد وما كان احد من الناجين ، ولكنهم إذا ما زلوا مرة اخرى لا يقنطون يفزعون الى الاستغفار في الاسحار وفي كل وقت يغتسلون به من معاصيهم ويتوبون .
فكانوا ممن استحقوا حب الله لهم لانهم تذكروا بان لهم ربا سمى نفسه الغفور الرحيم التواب لمن تاب وأناب فتابوا وانابوا وهذا أيضا ما اخبرنا به رسول الله (ص) حين قال : (التائب حبيب الرحمن)
لكن هناك فريقا آخر من المؤمنين قد احبهم الله لبعض افعال هم قد فعلوها حبا له وابتغاء مرضاته وطمعا في رضوانه سبحانه وتعالى ، انهم غير اولئك السبعة الذين احبهم لاوصاف واحوال هم فيها : متمثلة في اطباع هي متأصلة فيهم ، لا يخلعونها ابدا اينما ذهبوا اوولوا ، او وقتما حلوا لانها راسخة في عقيدتهم اصيلة

في بنيان جذور ايمانهم (**والذين آمنوا اشد حبا لله**)البقرة ١٦٥ .

هؤلاء هم الذين بايعوا من قبل وباعوا انفسهم لخير من اشترى ، من أجل الا يستشري الباطل أو يعم الفساد ، وحتى تعلو كلمة الله ، ويجيء الحق ويزهق الباطل ويد حض (**ان الله يحب الذين الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) الصف ٤ ، لقد قاتلوا في سبيله متحدين غير متفرقين : لواؤهم لا إله الا الله ، سلاحهم الله اكبر ، زادهم التقوى والصبر ، نورهم القرآن ، درعهم الاستغفار والبعد عن الذنوب .

وهناك فريق آخر من المؤمنين يحبهم الله أيضا بسبب بعدهم عن صفات هم بالطبع لا يتصفون بها بل ولا يحبونها ، بل ويتجنبون ان يقعوا فيها ، فاذا ما زادت صفات الضد فيهم كان حب الله لهم كبيرا ، انهم هؤلاء الذين يمشون على الارض هونا ، وهم الذين لا يفرحون بالباطل ولا يحبون ان تشيع الفاحشة وهم الذين لا يعتدون ، وهم الذين لا يخونون ولا يجهرون بالسوء من القول ، كذلك هم الذين لا يظلمون ولا يبغون ، كذلك هم الذين لا يسرفون ولا يفسدون ، واخيرا هم أولئك الذين لا يستكبرون .

هذا وانه عندما نحصى هؤلاء الذين يحبهم الله وذكرهم في قرآنه الكريم لوجدنا هم سبعة ، عندئذ سنقف امام هذا الرقم ويقف تفكيرنا برهة ، بل سيظل مبهورا لحظة مشدوها لحظات ، ، لا يشدنا من امامه الا ذلك الرقم نفسه ، حينما يجرنا ليذكرنا بهؤلاء السبعة الذين اخبرنا عنهم رسول الله (ص) بأن الله عز وجل سيظلهم يوم لا ظل فيه الا ظله . وننتهز هذا المقال في هذا المقام للتنويه بهم ونربط بين هؤلاء السبعة واولئك السبعة الذين يحبهم الله ، سواء كانوا متفرقين او مجتمعين في اكثر من صفة ، لان الصفة المشتركة فيما بينهم جميعا هي (تقوى الله) : فذلك الذي يكون قلبه معلقا بالمساجد ، الا يذهب اليها ؟ الا يتطهر ؟ الا يحافظ على صلاته ويصطبر عليها ؟ الا يخشى الله تعالى ؟ الا يتذكر الله دائما فيتوكل عليه ؟ افلا يكون بعد ذلك من المتوكلين المتقين المتطهرين ؟ وذلك الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، أفلا يكون من المتقين ؟ الذي يخشون ربهم بالغيب ويخافون مقامه ، وهذا الامام العادل الا يكتسب صفة المقسطين ؟ وهذان اللذان تحابا في الله : اجتمعا وتفرقا عليه ، أفلم يتجاذبا أطراف الكلام فيما بينهما بما يواجههما من مشاكل أو صعاب فيتواصان بالحق ويتواصان بالصبر ، أفلا يكونان من الصابرين ؟ وهذا الذي يتذكر الله فيذكره في خلوته فتفيض عيناه من حشية الله ، أفلا يكون من التوابين المحسنين المتقين ؟ وهذا الشاب الذي نشأ في عبادة ربه ، او هذا الذي تصدق سرا فما علمت شماله ما أنفقت يمينه أفلا يكون من المحسنين ؟

فاللهم ربنا رب السموات والارض اكتبنا من هؤلاء السبعة الذين تحبهم ، ومع اولئك الذين تظلهم يوم القيامة وممن ترضى عنهم ، ولا تجعلنا ربنا ممن لا تحبهم او مع اولئك الذين لا ترضى عنهم آمين .



للاستاذ / عبد الحميد محمد المشهدي

لما كان تبليغ الدعوة وحده لا يكفي ، كان لا بد معه من الاقناع مؤيدا بالمعجزات النظرية والذهنية ، وفي هذا يقول الله على لسان المشركين للرسل : (**إن أنتم إلا بشر مثلكم تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين**) ابراهيم / ١٠ فقال الله لهم على لسان الرسل : (**إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله**) ابراهيم / ١١

وقد من الله على رسله بما ايدهم به من معجزات ، كما أيد سيد الخلق بحصيلة وفيرة من المعجزات الذهنية والمرئية ، وهي اكثر من ان تعد او تحصى ، نجتزىء

منها ما يلي : فمن معجزاته :
شق صدره الشريف والتآمه من غير اوجاع او ندوب اربع او خمس مرات ، ورفع صورة القدس امام ناظريه ليصفه لمجادليه عقب عودته من رحلة الاسراء والمعراج ، واخباره صلى الله عليه وسلم بموت ملك الحبشة الذي اكرم وفادة المهاجرين المسلمين اليه ، ثم الصلاة على روحه ، وفيه نزلت الآية الكريمة : **(وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله)** آل عمران/ ١٩٩ وانشقاق القمر ، وخروجه صلى الله عليه وسلم من منزله والمتآمرون عليه نيام يذري على رؤوسهم التراب وهو يردد قول الله : **(فأغشيناهم فهم لا يبصرون)** يس /٩ والقاؤه الرمال والحصا في وجه اعدائه يوم بدر وحنين وهو يقول : « شاهت الوجوه » وكانت هذه الرمال من عوامل النصر في هاتين المعركتين ونسيج العنكبوت على فم الغار الذي اختبأ فيه رسول الله وصاحبه استعدادا للهجرة ، ثم ما وقع لسراقة ابن مالك وفرسه وهو يطارد الرسول في طريقه الى المدينة ، ثم ما وعده به الرسول من تسوره يوما بسوار كسرى ، وقد تمت هذه المعجزة في عهد عمر بن الخطاب ، ومنها تدفق اللبن من شاة عجفاء حتى فاض عن حاجة بيوت الرسول التسعة وعن حاجة ضيفانه ببركته حين مسح براحته الشريفة على ضرتها، ومنها انه تفل في عيني عليٍّ وهي مرمدة فشفى لساعته وسلمه على أثرها راية القيادة في معركة خيبر ، ومنها ما تحدث به بلال ان رسول الله رأى المسجد في صلاة الفجر يوما خاليا من المصلين ، فقال لبلال أين المسلمون يا بلال ؟ فقال حبسهم البرد يارسول الله فقال الرسول اللهم اذهب عنهم البرد فتداعى المصلون نحو المسجد وراحوا يتروحون فيه من الحر ، واصاب حذيفة رعشة من شدة البرد في الخندق فدعا له الرسول فكان يمشي كانه في حمام ، واصيب كلثوم بن الحصين في نحره بسهم يوم احد ، فبصق الرسول على جراحته فشفى لساعته ، واصيبت ساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فنفث عليها رسول الله فشفيت ونفث صلى الله عليه وسلم على رأس ورجل زيد بن معاذ بعد ان اصيبا بضربات سيف عند مقتل كعب بن الاشرف فبرئا لساعتهما دون ان يغادر فرسه ، وقطعت يد معوذ بن عفراء بسيف عكرمة بن ابي جهل يوم بدر فجاء الى الرسول يحملها والصقها الرسول به فالتصقت ، وروى محمد بن حاطب عن امه ان قدرا كان يغلي بالماء قد انكفأت عليه صغيرا فحملته إلى رسول الله فمسح على ذراعه وقال : « أذهب الباس رب الناس اشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يعقبه سقم اخرجه البخاري ١٠/٢٠٦ فتح الباري فما قامت امي حتى برئت ، ورد النبي عين قتادة الى مكانها بعد ان سالت على خده فكانت احسن عينيه ، وشكا ضرير الى رسول الله همه وجزعه من فقد بصره فقال له الرسول توضأ وصل ركعتين ودعا بدعاء لقنه الرسول له ، فانصرف لتوه مبصرا قريرا ، ونفث رسول الله في يده الشريفة ومر بها على جسد عتبة السلمي : فلازمته طيلة حياته ـ رائحة طيبة دون ان يمس طيبا ، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم دعاؤه لعبد الله بن عباس ان يفقهه الله في الدين

ويعمله الحكمة والتأويل ، فكان كما دعا ، ومنها دعاؤه لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد ، فعاش رضي الله عنه فوق المائة ورأى مائة ولد من صلبه وحدث لاصحابه بانه اكثر الناس مالا ، ودعا رسول الله لام ابي هريرة بالهداية ، فاستجاب الله له ودخلت في دين الله ، وكان ذلك مصدر سعادة للصحابي الجليل ، ومنها التقاء شجرتين ليؤلفا ستارا لرسول الله عند قضاء الحاجة ، ومنها حنين الجذع الذي كان يتوكأ عليه الرسول وهو يخطب في الناس في المسجد فمسح الرسول عليه بيده فهدأ حنينه وسكن بكاؤه ، ومنها تسبيح الحصا في يده صلى الله عليه وسلم وانبجاس الماء من اصابعه وتكثيره الطعام في غزوة العسرة ومنها شكوى البعير له من قلة العلف وكثرة العمل ، واخباره لاصحابه ان طائفة من امته ستغزو البحر وبينهم ام حرام بنت ملحان وقد صدقت نبوءة الرسول وغزا المسلمون البحر الابيض المتوسط في عهد بني امية ودفنت في جزيرة قبرص وقبرها هناك معروف وعليه اسمها الكريم الى الان ، ومن معجزاته قوله لزوجاته أيتكن تنبحها كلاب الحوأب أيتكن صاحبة الجمل ، فوقع ذلك لعائشة رضي الله عنها في حرب علي ومعاوية ، ومن معجزاته قوله صلوات الله عليه وسلم ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لكم منها رحما وصهرا ، والرحم هي هاجر ام اسماعيل عليه السلام ، والصهر هي مارية القبطية ام ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها نطق الشاة المطهية لرسول الله تدعوه الى الكف عن الاكل منها لانها مسمومة بيد يهودية كانت قد دعته الى طعام لها ، ودعا رسول الله رجلا الى الاسلام فقال له حتى تحيي لي ابنتي ، فقال له الرسول ارني قبرها فدله عليه فناداها رسول الله فلبت فقال لها اتحبين العودة الى الدنيا فقالت لا يا رسول الله ، إني وجدت الله خيرا لي من ابوي ووجدت الاخرة خيرا لي من الدنيا ، وروى كذلك أم امرأة معاوية بن عفراء كانت مريضة بالجزام وشكت أمرها الى رسول الله فمسح عليها بعصا في يده فذهب عنها المرض ، واخباره صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان بانه ستصيبه بلوى شديدة ، فاصابته وقتل فيها ، وشفي رسول الله بعض الصحابة من مرض الرئة والقرحة والاستسقاء وشكت إمرأة بكم إبنها الى رسول الله بعد ان جاءه اوان الكلام فتمضمض صلى الله عليه وسلم وغسل يديه ثم أعطاها بعض الماء وطلب إليها ان تسقيه له ففعلت فانطلق لسان الطفل بالكلام .

ومن معجزاته العظمى صلى الله عليه وسلم - رحلة الاسراء والمعراج على ظهر البراق الذي هو اسرع خطا من الريح ، واسرع مسيرة من الضوء يسير بسرعة ٣٠٠ الف ميل في الثانية ، واسرع انتقالا من الجن الذي حمل عرش بلقيس من اليمن الى القدس في طرفة عين ، وذلك لانه جندي من جنود الله ، ولله جنود السموات والارض ، وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر .

كان عروجه صلوات الله عليه بشخصيته الملائكية التي دخل بها الى عالم البرزخ والتقى فيه بالانبياء وصلى بهم إماما في بيت المقدس ليكون ذلك بمثابة

تسليم راية التوحيد لقائد جديد هو محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وليعلن للدنيا ان بيت المقدس جزء من أرض الاسلام يجب الاحتفاظ به والدفاع عنه بالنفس والجهد والمال وكان عروجه صلى الله عليه وسلم بهذه الشخصية كذلك ليجتاز العوالم المترامية الخالية من الهواء ليتشرف بالأنوار الإلهية ويحظى بالشرف الأمثل ، دون حاجة الى سفينة الفضاء وصاروخها الضخم ودون الإحتماء بالملابس المكيفة والأطعمة الكيماوية ، والزمن الطويل ، هذا قليل من معجزاته صلى الله عليه وسلم مما لا يتسع المقام لذكرها جميعا ، ولعل قلة المعجزات في باب احياء الموتى من رحمة الله ببعض الناس حتى لا يبالغوا في حبه صلى الله عليه وسلم فيقعوا فيما وقع فيه النصارى حين وضعوا عيسى في مستوى الألوهية ، وعلى أي حال فإن المعجزات المتقدمة وما وقع على غرارها ليست الا رمزا لتأييد رسالته صلى الله عليه وسلم ، اما المعجزة الكبرى والمرجع الأعلى والدستور الخالد ، فهو القرآن العظيم وهو تأييد وردع وإقناع نزل به الروح الامين على الرسول الكريم لسعادة البشر دنيا ودين ، ذلك لان الاسلام آخر الاديان فيجب ان يكون أكثرهم إستيعابا واعمها فائدة ونفعا للبشرية جمعاء قال سبحانه : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الانبياء ١٠٧ ، ومن ناحية اخرى فان فيه من التحدي لخصوم الإسلام ما حملهم على الإستماع اليه والإنصات له والإعتراف بسمو بلاغته وجمال اسلوبه في مجتمع مفطور على قرض الشعر وسلاسة التعبير ، وسمو البلاغة وجلال البيان ، فأطفأ نور القرآن قناديل بلاغتهم وارغمهم على ان يقولوا في القرآن : **(إن فيه لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ، وانه ليس من كلام بشر وانما هو من كلام خالق القوى والقدر .)**

بعض نواحي الاعجاز في القرآن

القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله المتعبد بتلاوته والمتحدي بأقصر سورة منه ، تحدى به العرب بصفة خاصة ، ثم تحدى به غيرهم من الانس والجن ، فما ان سمعته الجن حتى عادوا الى قومهم يقولون : **(إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا)** الجن / ١ و٢ ما ترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها في غير اسهاب ممل او اقتضاب مخل ، وفي القرآن من قوة الصقل وجمال الاسلوب ما لو اجتمعت الانس والجن على محاكاته : **(لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** الاسراء /٨٨ **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)** فصلت / ٤٢ ولأقداره العليا عند الله وضرورته القصوى للناس وعد الله بصيانته وحفظه ، فقال سبحانه : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر / ٩ فذاد عنه شر الكائدين وحقد المبشرين وشرار الوجوديين ، وقد دعا الى الاستماع لآياته والانصات له فقال جلت عظمته :

(**واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون**) الاعراف / ٢٠٤ ثم يسره للاستذكار والحفظ فقال : (**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**) القمر / ٣٢ ثم دعا الى الامعان في معانيه وتدبر حكمه فقال جل شأنه :(**افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**) محمد / ٢٤ ودعا كذلك الى النظر في ملكوت السموات والارض ودراسة ما في الكون من الناحية العامة فقال جل شأنه :(**وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات / ٢٠ و٢١ ثم قال عز من قائل : (**وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون**) يوسف / ١٠٥ وقال جل ثناؤه :(**وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون**)الاعراف /١٠ ثم توسع القرآن بعد ذلك في ذكر الآيات الكونية داعيا الى استثمار كنوز الارض والسماء فقال : (**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**) لقمان ٢٠ ثم أشار القرآن الى مجال الزراعة فقال سبحانه (**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**) هود / ٦١ وقال جل شأنه : (**ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد**) ق / ٩ وقال سبحانه في تزاوج النبات والغرائس وغيرها : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) الذاريات / ٤٩ وقال جل شأنه : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون**) يس / ٣٦ واشار القرآن في مجال الصناعة فقال سبحانه : (**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا**) الاعراف / ٢٦ وقال جل شأنه (**ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد**) سبأ / ١٠ وقال سبحانه : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) الحديد / ٢٥ وقال ايضا :(**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور**) سبأ /١٣ وقال جل شأنه :(**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**) النحل / ٥,٦ وفي مجال التجارة والملاحة يقول الله سبحانه :(**الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) الجاثية /١٢ وفي مجال الفلك :(**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب**) الاسراء/١٢وقال جل شأنه :(**الشمس والقمر بحسبان**) الرحمن / ٥ ثم اشار القرآن الى ما جاء به من طب وعلاج للنفوس فقال : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة**)الاسراء / ٨٢ وفي طبقات الفضاء يقول : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) فصلت/ ٥٣ هذه المامة سريعة لبعض ما يحمله القرآن للناس من توجيهات وارشادات ومقدمات لاسعادهم في الدنيا والآخرة ، بينما القرآن في جملته معجزة يؤيد الله بها رسوله وقد جعله فوق المعارضة والتحدي سيما في باب

: تمرس العرب فيه وتنافسوا عليه ، وتفاخروا بتجويده وعجزوا عن محاكاته وطأطئوا رؤوسهم عند سماعه :(**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء / ٨٢ وهو في النهاية معجزة ذهنية تصاحب الزمن وتعايش الخلود ، اما غيرها فهي معجزات حسية آمن بها من رآها ومن لم يؤمن بها فهي عنده بمثابة الخبر ان شاء صدق وان شاء كذب ، ولا تقع موقع التصديق الا بعد ذكرها في القرآن ، ومن ناحية اخرى يعلن القرآن اعجازه في اختراق الحجب الثلاثة حجاب الماضي وحجاب الحاضر وحجاب المستقبل اما الماضي ففيما ذكره القرآن عن آدم ونوح وهود وصالح وابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ، قال سبحانه مخاطبا نبيه ورسوله محمدا :(**وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**) طه / ٩ و١٠ وقوله سبحانه لنبيه عمن تنافسوا في كفالة مريم : (**وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**) ال عمران / ٤٤ وقوله سبحانه : (**وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا**) القصص / ٤٥ وكذلك كشف القرآن عما كان يدور في مجالس القوم وما يتناولونه من مواضيع :(**ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير**) المجادلة / ٨ وقال جل شأنه : (**وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون**) التوبة / ٤٢ ثم يبشر القرآن المسلمين وهم قلة مستضعفة بمكة بهزيمة عدوهم في معارك المستقبل فيقول سبحانه (**سيهزم الجمع ويولون الدبر**) القمر / ٤٥ نزلت هذه الآية قبل الهجرة ، ولما نزلت قال عمر رضي الله عنه : اي جمع هذا الذي سيهزم ونحن لا نستطيع ان نحمي انفسنا ؟! ، ولكن نبوءة القرآن كانت اصدق مما تحدث عنه عمر ، وان هذا الجمع قد ولى الادبار خارج مكة وانتصرت عليه القلة المؤمنة ثم يتحدث القرآن اعجازا بما هو اعمق من ذلك فيحدد موضع ضربة وقعت لعدو الله الوليد بن المغيرة قبل وقوعها بسنين فيقول سبحانه :(**سنسمه على الخرطوم**) القلم / ١٦ فيتحقق ذلك ويصرع الله عدوه بضربة سيف على انفه مؤشر كبريائه ، فمن يستطيع تحديد مثل هذا الا رب القرآن على لسان القرآن ؟.. ومثل هذا العاتي المتجبر ابو لهب الذي حكم عليه وعلى زوجته بالهلاك وهو على قيد الحياة ومثله النضر بن الحارث بن كلدة ، والعاص بن وائل السهمي ، وعمرو بن هشام المعروف « بأبو جهل » ، وامية بن خلف ، ومما يدعو الى العجب ان بعض هؤلاء كانوا يؤمنون برسالة الرسول في قرارة نفوسهم ، ولكن حرصهم على زعامتهم وضآلة تفكيرهم ـ جعلهم يلجون في الطغيان ، وقد وصف القرآن ذلك فقال :(**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الانعام / ٣٣ ويقول جل شأنه : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**) النمل /

١٤ كان النضر بن الحارث يتحدث مع خاصته بصدق الرسول وامانته ، ولكنه في المجالس العامة ينكر ذلك ويعلن حرب الكلام عليه ، وفي هذا نزلت الاية الكريمة : **(ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين)** لقمان/ ٦ ونزل في الوليد بن المغيرة قوله سبحانه : **(عتل بعذ ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين)** القلم ١٣ ـ ١٥ وقد قال الله فيه ايضا : **(سأرهقه صعودا)** المدثر / ١٧ ونزل في امية بن خلف قوله سبحانه : **(ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن في الحطمة)** الهمزة / ١ ـ ٤ ونزل في العاص بن وائل ـ قوله سبحانه : **(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا . أطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا)** مريم ٧٧ ـ ٨٠ وفي عمرو بن هشام « الشهير بابو جهل » ـ نزل قول الله سبحانه : **(أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب)** العلق / ٩ ـ ١٩ .

فكل من تناولتهم آيات الوعيد من مشركي قريش ، وانذرتهم بسوء الخاتمة وظلمة المصير ـ ماتوا كفارا من امثال الوليد بن المغيرة ، وابي لهب وامرأته حمالة الحطب ، والنضر بن الحارث بن كلدة والعاص بن وائل السهمي ، وعمرو بن هشام « الشهير بأبو جهل » ، وامية بن خلف ، اما من لم تتناولهم آيات الله بالوعيد والنذير فقد اسلموا واسهموا في معارك النصر الاسلامي ، من أمثال ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، مما يدل على ان القرآن من لدن عليم خبير ، وان ما جاء به في هذا الشأن صورة من صور الاعجاز بالنسبة للمحيط العربي .

اما إعجاز القرآن من الناحية الدولية ، فتتحدث عنه أول سورة الروم ، حيث يقول سبحانه ، بسم الله الرحمن الرحيم :**(آلم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)** ١ـ ٥ فمن المعروف تاريخيا انه قد كان هناك دولتان كبيرتان تتناوبان السيطرة على العالم بالقرب من الجزيرة ، العربية ، هما الروم والفرس ، والروم اهل كتاب ، والفرس امة مجوسية تعبد النار ، وقد قامت الحرب بينهم في اول العهد بالاسلام فهزم الفرس الروم ، ففرح مشركو الجزيرة بهذا النصر لما بينهم من رباط الشرك ، وحزن المسلمون لصلة ما تجمعهم بالروح المسيحية فأراد الله ان يسري عن المسلمين ما اصابهم من حزن لهذه النتيجة ، فأنزل الله على رسوله الآيات المتقدمة في اول سورة الروم ففرحوا وراحوا يتساءلون عن معنى البضع وعدده من

السنين ، وراح ابو بكر يراهن على صحة ما جاء به كتاب الله ايمانا به وتصديقا ، وسواء اكان البضع سبع سنوات او تسع ـ فانها فترة طويلة وانها قضية تتصل بغير العرب خارج الجزيرة ، ولكن تحقيق هذا الوعد بعد انتهاء المدة المضروبة ـ كانت احدى معجزات القرآن ـ فيما تحدث به الى العرب خاصة والى غيرهم كافة على مدى القرون والى ان تقوم الساعة .

كروية الارض

وقبل خمسة عشر قرنا من الزمان والقرآن يحدثنا عن كروية الارض ودورانها ، فمن ناحية التكوير يقول سبحانه : (**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**) الزمر / ٥ والتكوير لا يتم عادة الا حول جسم كروي ويؤيده قول الله سبحانه في آية اخرى فيقول جل شأنه : (**ولا الليل سابق النهار**) يس / ٤٠ وفيه رد على من يزعم ان النهار يسبق الليل ، وهذا تأكيد قرآني بأن الارض كروية ، اذ لو كانت مبسوطة لما تم تكوير الليل والنها رحول جسم واحد في وقت واحد ، فمنذ خلق الله الشمس سراجا ونصف الارض المواجه للشمس بمثل النهار ، والنصف الآخر بمثل الليل ، فاذا دارت الارض دورتها اصبح النهار ليلا والليل نهارا وهكذا لم تتخلف سنة الله في هذا الوضع الكوني الخالد ، واما ما قيل من ان الارض مسطحة ويستدل على ذلك بقوله جل شأنه :(**والارض مددناها**) ق / ٧ اي بسطناها ، فان الامتداد هنا امتداد أمام عين الرائي فقط ويقول جل شأنه :(**والأرض بعد ذلك دحاها**) النازعات / ٣٠ قال الكواكبي : دحاها اي كورها ، غير انها ليست تامة التكوير ، وفيه يقول سبحانه :(**أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**) الرعد / ٤١ أما دوران الارض فثابت بقوله سبحانه :(**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل / ٨٨ واذا كانت الجبال وهي أوتاد الارض تتحرك وتمر مر السحاب ـ فالارض المشدودة المثبتة بهذه الاوتاد لا بد وأن تدور بدورتها وفي التعبير بقوله سبحانه :(**وهي تمر مر السحاب**) ـ اشارة الى ان مرور الجبال وحركتها ليست مرورا ذاتيا ، وانما يتم تبعا لدورة الارض ، ذلك لان السحاب لا يمشي بقوة ذاتية ، وانما يمشي بقوة الرياح ، ولهذا كان التشبيه القرآني قويا ودقيقا في اثبات دوران الارض .

واذا قيل ان مرور الجبال سيكون في يوم القيامة ، فالرد على القائلين بذلك سهل وهو ان الارض في هذا اليوم ستتغير ، قال سبحانه :(**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار**) ابراهيم / ٤٨ وان الجبال في هذا اليوم ستتحلل وتتفتت وتفقد وظيفتها وصلابتها حيث يقول سبحانه : (**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش**) القارعة / ٤ و ٥

والعهن **هو** الصوف المنفوش المتباعد الشعرات المتنافر الوحدات وعليه فان الارض ستكون غير الارض والجبال غير الجبال ، وان **مرورها الموصوف** بأنه كمر السحاب انما يكون في الدنيا غير اننا لا ندركه ولا نحس به ، الا ان ادراك ذلك يتطلب النظر الى شاخص خارج عن دائرة الارض ، وهيهات ان يتحقق وجود هذا الشاخص . وهاكم مثلا تقريبا لذلك ، فلولا ضوضاء القطار ما أحس ركابه بمسيرته ـ الا حين تقع أنظارهم على اعمدة البرق والهاتف **والشجر** تجري بالقرب منهم ، وهي في الواقع لا تجري بل الذي يجري **هو القطار فهل** جاء العلماء في مختلف العصور بجديد في نظرية دوران الارض ؟ انه **الاعجاز القرآني** اطل على الدنيا وهي مظلمة فنقل الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم **، ومن** الضلال الى الهدى وذلك لانه من لدن عليم خبير .

التلقيح و التزاوج

ومن اعجاز القرآن ايضا الاعلان عن نظرية التلقيح والتزاوج بين الذكورة والانوثة في الغرائس والنباتات كما هي سنة الحياة في البشر والحيوان والطيور ، وقد ركز الله على هذه النظرية في مناسبات عديدة قال سبحانه :(**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) الذاريات / ٤٩ ، وقال جل شأنه : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس / ٣٦ وقال عز من قائل :(**وأرسلنا الرياح لواقح**) الحجر / ٢٢ وقال جلت عظمته : (**وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**) الحج / ٥ ، وقال تسامت قدرته :(**أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم**) الشعراء / ٧
وقال سبحانه :(**وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**) لقمان / ١٠ وقال جل شأنه : (**فيهما من كل فاكهة زوجان**) الرحمن / ٥٢ وقال عز كبرياؤه :(**ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**) الرعد / ٣ وقال عز من قائل :(**وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى**) طه / ٥٣ وقال سبحانه :(**وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**) ق / ٧ ، وفي التعبير بلفظ شيء في الآية الكريمة : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) ما يفيد بان التزاوج الوارد في الايات المتقدمة لا يكون بين الاحياء فقط بل يكون كذلك بين الجمادات ، فالنيازك مثلا ثمرة تزاوج بين نجمين والطاقة الكهربية نتيجة تزاوج بين سالب وموجب ، وتفجير الذرة ثمرة اصطدام الالكترون بالبريتونات داخل نواة الذرة ، وهذا ما يكشف بعض المغزى العظيم في مثل قوله سبحانه :(**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) قال صلوات الله عليه : ما من الانبياء من نبي الا وقد اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي ، فأرجو أن اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) متفق عليه عن ابي هريرة .

من سمات المجتمع الاسلامي :

حسن المعاملة بين الدائن والمدين

للأستاذ / احمد حسن القضاة

المجتمع الاسلامي مجتمع رحمة وتعاون ، ومودة وتضامن .. تجد فيه الغني يأخذ بيد الفقير ، والقوي ينصر الضعيف .. وذلك على نقيض من المجتمعات التي لا تدين بالاسلام .

ويعود السبب في ذلك الى ان المجتمع الاسلامي يستمد نظمه وتشريعاته وطرائق عيشه من « الاسلام » . والاسلام ـ كما هو معلوم ـ نظام رباني ودين سماوي . فلن تجد فيه ـ اذن ـ نقصا في التشريع ، او اختلاطا في النظم ، او قسوة في الاحكام لانه صادر عن رب العالمين . وليس هو كما ينعته به اعداؤه : دين يقتصر على العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وشيء من الأخلاقيات .

وسأضرب لك ايها القارىء الكريم مثلا على الرحمة والتعاون في المجتمع الاسلامي ، وآخر على القسوة والظلم في غيره من المجتمعات غير الاسلامية لتقارن بين المثالين ، وتوازن بين المجتمعين ، ولتعلم ان الاسلام شامل كامل ، دين ودنيا ، عبادات ومعاملات ، اخلاق وجهاد .. والمثالان يتعلقان بموضوع واحد هو : معاملة الدائن والمدين فيما بينهما .

في المجتمع الاسلامي :

من المعاملات الحياتية التي تجري

بين الناس ولا غنى عنها الدين . وهو مشروع في الاسلام . وقد نظم الاسلام هذه المعاملة ـ كما نظم غيرها ـ تنظيما عادلا بحيث يضمن للدائن حقه في دينه ، ويحمي المدين مما يثقل كاهله من اية زيادة او ربا او غلظة او تجن من قبل الدائن .

فمن هذا التنظيم انه يجب توثيق الدين وكتابته والاشهاد عليه والمحافظة على حقوق الطرفين ، وحرمات الكاتب والشهود . وكل ذلك يرتبط بتقوى الله والحق والعدل ، ويجعله دينا لا يحل لاي من الدائن او المدين ان يخالف عن الحق والعدل فيه ، فمن فعل فقد فسق عن امر ربه وتعرض لعقابه الشديد .

قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولايأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم**) البقرة / ٢٨٢ .

ومن جملة هذا التنظيم انه يترتب على المدين ان يدفع الدين عند حلول الاجل ، فلا يحل له تأخيره وهو موسر وقادر على الدفع لقوله صلى الله عليه وسلم : « مطل الغني ظلم » رواه البخاري . ولقوله ايضا : « من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ، ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله » رواه البخاري . وان سداد الديون من الحقوق المؤكدة عند الله . اما ان عجز المدين عن الوفاء فيضمن عنه بيت مال المسلمين .

هذا بالنسبة للمدين . اما الدائن فقد امره الشرع ان يكون سمحا لدى مطالبته بالدين لقوله صلى الله عليه وسلم : « خيار الناس احسنهم قضاء » رواه البخاري . ولا تتحقق السماحة الا اذا كان الدائن كريم الخلق ، سخي النفس ، مؤمنا ، لا يطالب بدينه الا في الوقت الذي يعلم ان مدينه قد اصبح في حالة من اليسر والقدرة على الدفع . وان يترفق في الطلب بحيث لا يزعجه ولا يحرجه ولا يشهر به . وان يؤخر الاجل ـ وان كان محددا وموثقا بكتابات ومواثيق ـ الى وقت اخر ، وان لا يسارع في مقاضاته ، واذا كان غنيا لا يضره التنازل عنه او عن بعضه ، ويدخر ـ

بدلا منه ـ الأجر العظيم والجزاء الأوفى لدى من لا يضيع اجرا أو جزاء او عملا صالحا . فان الله تعالى يقول : **(إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم)** التغابن / ١٧ . ويقول سبحانه : **(وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون)** البقرة / ٢٨٠ .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة . ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه » رواه مسلم بهذا اللفظ . فانظر يا اخي كيف تكفل الله تعالى بثواب من يفرج عن اخيه كربة من كرب الدنيا وجعل جزاءه تفريج كربة من كرب يوم القيامة ، وذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . وما اشد حاجة الانسان الى تفريج ازمات ذلك اليوم وشدائده .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « كان تاجر يداين الناس فاذا رأى معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه » رواه البخاري .

فهذا توجيه من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الى اغنياء المسلمين لكي ينظروا المعسرين او يتجاوزوا عنهم حتى يكون جزاؤهم من جنس عملهم فيتجاوز الله عنهم يوم القيامة .

والتجاوز يشمل في معناه : الإنظار ، ووضع الدين عن المدين ، وحسن الاقتضاء . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا قضى ، واذا اقتضى » رواه البخاري .

ولا ريب ان السماحة بين الدائن والمدين : من اداء الحق ، والرفق في الطلب ، واحترام كل منهما للحق وحرصهما عليه ، ووفاء من عليه الحق ، وكرم الدائن ومسامحته للمدين المعسر .. كل ذلك يزرع الخير بين الناس ويغرس المحبة الصادقة في قلوبهم جميعا ..

والاسلام يشدد على هذه المعاني ويحرص عليها وينشرها بين اتباعه ويحوطها بسياج متين من الرغب والرهب لكي ينعم الناس في ظل هذا الدين بالحب والتعاون ، والخير والرفاهية ، وذلك لانه ـ بحق ـ دين الدنيا والاخرة ..

هذا مثال من المجتمع الاسلامي الذي لا تسوده القسوة او يقود حب المال افراده الى استغلال الفقراء والمعوزين لامتصاصهم والقضاء عليهم .

فاين نحن اليوم من هذه التوجيهات السامية والارشادات الحكيمة ؟

ولا تنظرن لبعض من يدعي حمل الاسلام ، في هذه الايام ، ولا يطابق قولهم فعلهم ، فتحكم على الاسلام او

على المجتمع الاسلامي من خلالهم . لاني اعرف اشخاصاً - غفر الله لنا ولهم - يدعون حمل الاسلام « متدينين كما يصفهم مجتمع اليوم » ولكنهم في اثناء الحياة « العملية » ولدى التعامل اليومي الملموس معهم سرعان ما « ينكشفون » للناس ويسفرون عن « طبيعتهم » الدنيوية الكامنة ، ويبدو منهم حب الدنيا والتهافت عليها . فهؤلاء بعيدون عن الاسلام وعن المجتمع الاسلامي ..

في المجتمع غير الاسلامي :

والآن اضرب لك مثلا لنفس الموضوع من المجتمع غير الاسلامي لتقارن - كما اسلفت لك - بين مجتمع الاسلام ومجتمعات الانظمة الوضعية التي طغت عليها الاثرة والانانية وقسوة النفوس وحب المال والجاه وحب الدنيا والتكالب عليها .

اذا تداين رجل من تاجر او من غني ، وعجز المدين عن الوفاء او تقاعس - لسبب او لاخر - عن سداد الدين تجد التاجر او الدائن يقيم الدنيا ويقعدها على هذا المدين ، فلا هو ينظره ولا يتجاوز عنه او يحسن الطلب منه . يرغي ويزبد ، ويشهر ويشتم ، وفوق ذلك كله قد يذهب به الى القضاء ليكون مصيره اما السجن فيقطعه عن السعي وراء كسب قوت عياله واولاده ، واما الحجز على ممتلكاته الخاصة - ان كان لديه ممتلكات - واما اقتطاع مبلغ شهري من راتبه - متضمنا دفع المبلغ ورسوم الدعوى واتعاب المحامي وغيرها - ان كان موظفا .

والحياة المعيشية هذه الايام صعبة وقاسية وممضة على ذوي الدخل المحدود وارباب العائلات الكبيرة ، سيما ذلك الجيش الكبير من الموظفين الصغار والعمال الذين لا تكاد رواتبهم واجورهم ان تكفي سد الحاجات الضرورية لهم ولاولادهم . فما هو السبيل امام هؤلاء الناس لكي « يواصلوا » حياتهم اليومية ويظلوا مع « لقمة العيش » ؟

انهم يلجأون الى البنوك الربوية « فيستلفون » ثلاثة او اربعة اضعاف رواتبهم لقاء فوائد تخصم سلفا من المبلغ المعطى لهم ، ثم يخصم من رواتبهم شهريا مبلغ معين الى ان يستوفي البنك ما اسلفه لهم .

ويتمشى بهذا الاسلوب جمع غير قليل من الموظفين والعمال والتجار الصغار بلا رادع من ضمير ، او وازع من تقوى .

لكن هناك فئة لا تلجأ الى هذا الاسلوب الحرام - مهما كلفها ذلك من جهد ومشقة ومعاناة - بل تصبر وتحتسب وتتوكل على الله وتعمل بنص الاية الكريمة : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**) الطلاق / ٢ و ٣ .

هذه الفئة - وان لم تكن تعيش في

مجتمع اسلامي ـ الا انها تلتزم ـ قدر المستطاع ـ باسلامها ، وتحافظ على تعاليم دينها ، بل وتعض عليها بالنواجذ .

لكن الدنيا لا ترحم ، والاطفال الصغار لا يصبرون على جوع ، او يعذرون ابا تقيا ووالدا لا يتعامل بالربا والحرام . فما السبيل امام هذه الفئة من المتقين الذين لا يعرفون ابواب البنوك الربوية او التجار الربويين ؟

هنالك طريقان : اما ان يتعامل الرجل الصالح شهريا مع تاجر بقال ، فيستدين منه احتياجاته البيتية طيلة ايام الشهر ، ويدفع له في نهاية الشهر جزءا من المبلغ الذي يزداد لقاء شرائه تلك الاحتياجات فيظل ـ طول عمره ـ مدينا لهذا التاجر .. لان هذا يأخذ كثيرا ويدفع قليلا ، والمبالغ تزداد مع قدوم كل شهر جديد .

واما ان يقترض مبلغا كبيرا او صغيرا من « صديق » او قريب له لقاء ان يدفع نقدا في نهاية كل شهر جزءا من هذا القرض ، ثم يشتري متطلباته نقدا بهذا المبلغ .. وفي كلا الحالين شر وبلاء للمدين ، لاني اعرف اشخاصا متقين يلجأون الى احد هذين الطريقين او اليهما معا مما يثقل كاهلهم ويعجزون عن الوفاء في نهاية الامر .

ومن العجب العجاب انني رأيت بام عيني احد هؤلاء المتقين وقد ركبه الدين ووقف عاجزا عن الوفاء لاحد « اصدقائه » الذين كان يتوسم فيهم « الصداقة » و « الاخوة » وكان قد اقترض منه مبلغا متواضعا من المال ، ولكن هذا الصديق تنكر له اخيرا ـ عندما عجز مرة عن دفع « القسط » المترتب عليه ، واخذ يشهر به ويوقعه في « احراجات » كبيرة على مرأى من الله والناس .

وكنت ترى صديقه المدين المؤمن قد غلب على امره ولم يحر جوابا الا انه كان يبرز له عذره ويطلب اليه التريث والصبر حتى يجعل الله [illegible] بعد عسر يسرا . ولكن [illegible] جدوى ، فما كان الا ان انبر[illegible] المحسنين الحاضرين بعد ان الغيرة الدينية على المدين ، [illegible] القسط المطلوب من جيبه وحـ[illegible] الخلاف بين « الصديقين المتداينين ..

فاين هذا مما ذكرناه في بداية هذه المقالة ؟ اين هذا من سماحة الاسلام وسماحة رجاله الرحماء المتقين ؟ بل اين سماحة المجتمع الاسلامي من ظلم المجتمعات الربوية التي تقوم على امتصاص دم الفقراء واستغلال حاجتهم .. لتحولها الى خزائن ذوي الملايين من المستغلين والمحتالين والنصابين والمرابين ؟

اين نحن اليوم من الاسلام الكامل الشامل في حكمه وتشريعه ونظامه ومنهجه ؟ افلا تدبرنا هذا الدين القويم ، وعدنا الى قرآننا الكريم ، وصراط ربنا المستقيم ، وهدى رسولنا العظيم ؟!

مائدة القارئ

أخلاق الحاج

قال تعالى : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب » ١٩٧ البقرة .

هكذا كانوا

قبل نشوب المعركة كان النعمان بن مقرن يقول :
اللهم اعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم .. اللهم إني أسألك أن تقرَّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام .
ثم يقول لأصحابه : أمنوا يرحمكم الله .

يذوب القلب من كمد

اخطار .. ومهالك .. وويلات ، وحصار ، وقتل ، وأسر ، وجرحى بالمئاتِ ، ذاك هو حال الاخوة في لبنان ، ومن قبلُ **قال** الشاعر أبو البقاء الرندي (الأندلسي) . قصيدة صور بها ما حل بالمسلمين في عهده بالأندلس .. نقتطف منها هذه الأبيات :

كم يستغيث بنو المستضعفين وهم — اسرى وقتلى ، فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم — وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس أبيّات لها همم — أما على الخير أنصار وأعوان

ثم مضى يقول :

وطفلة ما رأتها الشمس اذ برزت — كأنما هي ياقوت ومُرْجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة — والعين باكية ، والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد — إن كان في القلب اسلام وايمان

بشرى للحجاج

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : وقف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تؤوب ، فقال : « يا بلال ، أنصت لي الناس » . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنصت الناس ، فقال : « يا معشر الناس ، أتاني جبرائيل عليه السلام آنفا فأقرأني من ربي السلام ، وقال : إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر ، وضمن عنهم التبعات »

فقام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا رسول الله ، هذا لنا خاصة ؟

قال : هذا لكم ، ولمن أتي بعدكم الى يوم القيامة » فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : كثر خير الله ، وطاب .

حاول ان تكون

جاء رجل الى الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقال : ما سر زهدك في الدنيا يا امام ؟

فقال : اربعة اشياء :

● علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فأطمأن قلبي .

● وعلمت أن عملي لا يقوم بـه غيري ، فاشتغلت به وحدي .

● وعلمت أن الله مطلـع علـيَّ ، فاستحييت أن يراني على معصية .

● وعلمت أن المـوت ينتظرني ، فأعددت الزاد للقاء ربي ..

فحاول أن تكون ـ أخي ـ وأنا معـك أحـاول ـ مطمئن القلب ، منشغلا بعملك ، ذا حياء من الله ، متزودا بالتقوى والعمل الصالح لتفوز برضوان الله .

المضمون لا العنوان

قال التلميذ لشيخه : ما اجمل الشعارات التي يرفعها البعض عنوانا لعملهم ومبادئهم ، ولكن ما أقبح المضمون عندما تتعرض شعاراتهم للاختبار .

فقال الشيخ : إن بطاقة السكر على وعاء الحنظل لا تجعله حلو المذاق .

روح العبادة

قالت فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ : جُعل الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم من الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتا للاخلاص ، والحـج تشييـدا للـدين ، والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة .



(١)

قصة آدم في القرآن المجيد هي قصة الانسان الاول .. خلق من تراب .. وارتقى بالخلق السوي الى منزلة العقل والارادة .

وقصة هذه النشأة الآدمية يستوفيها القرآن في هذه الآيات :

(ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون) الحجر/٢٦ .

(خلق الإنسان من صلصال كالفخار) الرحمن/ ١٤ .

(إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) ص/ ٧١ .
(إنا خلقناهم من طين لازب) الصافات/ ١١ .
(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) السجدة/ ٧ .

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون/ ١٢ - ١٤ .

(ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا) نوح/ ١٣و١٤ .

فالطين كما تصرح الآيات هنا هو الاصل الذي نشأ منه الانسان ، وان يكن هذا الطين قد تقلب في اطوار عديدة ، حتى ظهر منه هذا الانسان .

فالحمأ المسنون هو الطين بعد ان يتخمر ويتعفن ، وبين طور الطين والحمأ المسنون طور آخر هو الصلصال الذي يتحول فيه الطين الى مادة من الزبد يشبه الفخار . وبلغة العلم الحديث : يكون الطين ، فالصلصال ، فالحمأ المسنون - وهو الطين المتعفن - ثلاثة اطوار تنقلت فيها بذرة الحياة ، وان هذا التعفن الذي اصاب الطين هو بشائر الحياة ، اذ هو « البكتريا » التي نضجت فيها خمائر الحياة وظهرت فيها جرثومتها .

لقد تعرض القرآن لبدء الحياة في هذه الأرض فقال : **(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)** النور/ ٤٥ .

وهذا الذي قرره القرآن منذ قرون واجيال اصبح من مقررات العلم الحديث ، يقول العلماء ان اول حيوان وجد في هذه الارض ، انما وجد في الماء في صورة خلية ضئيلة جدا تحمل سر الحياة القابلة للنمو والتكاثر والتطور ، وبتكاثر هذه الخلية الضئيلة كثر ما يعيش في الماء من الاحياء ، وتطورت هذه الاحياء فصارت انواعا واجناسا وفصائل ، وظلت تعيش في الماء الى ما شاء لها الله ، ثم بدأ بعضها يدرج منه الى وجه الارض ويعيش عليها ، وتأقلم ذلك الذي درج الى سطح اليابس ، وتكاثر وتطور ،فكان منه ما نعرف من انواع الحيوان وما لا نعرف مما انقرض نسله وغبر عهده ذلك ما يقرره القرآن ، ويقرره العلم عن بدء الحياة في هذه الارض .وهو تقرير يدل على ان الارض عرفت كثيرا من انواع الاحياء المائية والبرية قبل ان تعرف هذا الانسان الذي يسكنها الآن بما لا

يحصيه الا الله من الدهور .

فلما خلق الله تعالى آدم ، كانت الارض حافلة بأصناف النبات والطير والدواب ، ولم يأمره سبحانه وتعالى بالهبوط اليها ، الا بعد ان علمه اسماءها وخواصها وسر تذليلها والانتفاع بها واليه الاشارة بقوله عز وجل : (**وعلم آدم الأسماء كلها**) البقرة/ ٣١ .

وليس في نصوص القرآن التي وردت عن نشأة الحياة وتطورها نص قطعي ، يدل على ان الانسان الحالي انحدر من سلالات تلك الاحياء القديمة وتطور حتى صار الى ما هو عليه الآن ، وليس في العلم كذلك نص يقيني يقرر ذلك . وكل ما هنالك ان لدى علماء الجيولوجيا علما عن بقايا عظام قديمة لأمم سكنت هذه الارض منذ عصور موغلة في القدم ، تخالف عظام الآدميين الموجودين عليها الآن .

وقد رأى بعض الباحثين في قصة آدم ان يناقشوا نظرية داروين . يقول داروين في حديثه عن أصل مذهبه : « ان المشابهة واسبابا اخرى تدعونا ضرورة الى الاعتقاد بأن الأحياء اصلها واحد ، والا فاصل جوهري بين العالمين ، عالم النبات وعالم الحيوان » .

ثم يقول : « اني أرى فيما يظهر لي ان الاحياء عاشت على هذه الارض جميعها في صورة واحدة اولية ، نفخ الخالق فيها نسمة الحياة ».

ان آدم خلق من طين او تراب وذلك ما يؤيده الواقع ، ويقره العلم ، وتثبته التحاليل الكيماوية ، فلو اننا اخذنا قبضة من تراب الارض الخصبة ، واجرينا عليها عمليات التحليل الكيماوية لوجدناها تتركب من ستة عشر عنصرا .

ولو اخذنا قطعة من جسم الانسان واجرينا عليها عمليات هذا التحليل لوجدناها كذلك تتركب من ستة عشر عنصرا ، وهي نفس العناصر التي تتركب منها تربة الارض .

وهذه العناصر هي ما يأتي ، مرتبة بحسب نسبة وجودها في جسم الانسان . الاكسجين ٦٣,٠٣٪ - الكربون ٢٠,٢٠٪ - الايدروجين ٩,٩٠٪ النيتروجين ٩,٥٪ - الكالسيوم ٢,٤٥٪ - الفسفور ١,٠١٪ الكلور ٠,٦٪ - الفلور ٠,١٤٪ - الكبريت ٠,١٤٪ - البوتاسيوم ٠,١١٪ الصوديوم ٠,١٠٪ ، المغنسيوم ٠,٠٧٪ ، الحديد ٠,٠١٪ . وآثار ضئيلة من كل من اليود والسليكون والمنجنيز .

وتنتقل هذه العناصر من تربة الارض الى جسم الانسان بما يتناوله المرء من الاطعمة والمأكولات ، والاطعمة اما نباتية او حيوانية .

فالنباتية مؤلفة من العناصر التي ذكرناها ، فلو انك اخذت كمية من القمح مثلا وحللتها كيميائيا ، لوجدتها مؤلفة من العناصر المذكورة ، اذ النبات انما يستمد غذاءه من تربة الارض . اي من نفس هذه العناصر . والاطعمة الحيوانية مؤلفة من العناصر التي تتألف منها الاطعمة النباتية ، اذ الحيوان يعتمد في بناء جسمه على النبات .

وعندما يموت الانسان والحيوان والنبات تبلى اجسامهم وتتحلل الى عناصرها الاولى ، وتعود الى الارض ، قال الله تعالى :

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) طه/ ٥٥ . وننتهي من هذا كله الى قول واحد في قصة خلق آدم . فآدم مخلوق من طين ، او من حمأ مسنون ، او من طين لازب او من سلالة من طين ، فهذا هو الذي يقوله القرآن في خلق آدم .

ـ ٢ ـ

اخبر الله تعالى ملائكته انه سيخلق بشرا من طين وامرهم اذا سواه ونفخ فيه روحه ان يقعوا له ساجدين سجود تكريم ، وسجد الملائكة الا ابليس ابى ان يكون من الساجدين وقال :

● **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** .

وطرده الله من الجنة ، فطلب من الله تعالى ان ينظره الى يوم الدين ، وتوعد آدم الذي طرد بسببه من الجنة ان يغوي ذريته ويفسدهم على الله ، وان يسعى في ان يجعل اكثرهم غير شاكرين لله ، الا عباد الله المخلصين ، فوعده الله هو وكل من اطاعه من ذرية آدم بالنار .

ان جواب ابليس يتضمن ضروبا من الجهل الفاضح :

الاول : الاعتراض على ربه وخالقه كما تضمنه جوابه ، ومثله في هذا كل من يعترض على كلام الله تعالى لا يوافق هواه ، وهذا كفر لا يقع مثله من مؤمن بالله وبكتابه ، فان المؤمن اذا خفيت عليه حقيقة او حكمة لله في شيء من كلامه ، بحث عنها بالتفكر والبحث وسؤال العلماء ، وصبر الى ان يهتدى الى ما يطمئن به قلبه ، مدركا قبل ذلك بأن الله تعالى يعلم ما لا يعلم ، من حقائق خلقه ، وحكم شرعه ، وفوائد امره ونهيه .

الثاني : الاحتجاج عليه بما يؤيد به اعتراضه والمؤمن المذعن لا يحتج على ربه ، بل يعلم بأن لله الحجة البالغة .

الثالث : جعل امتثال امر الرب تعالى مشروطا باستحسان العبد له وموافقته لرأيه وهواه ، وهو رفض لطاعة الرب ، وترفع عن مرتبة العبد ، وتعالى منه الى وضع نفسه موضع الند ، وهو في حكم الدين كفر وفي العقل حماقة وجهل . فان الرئيس لأية حكومة او جيش او جمعية او شركة اذا كان لا يطيعه المرءوسون له الا فيما يوافق أهواءهم وآراءهم لا يلبث امرهم ان يفسد بأن تختل الحكومة وتسقط ، وينكسر الجيش ويهلك ، وتنحل الشركة وتفلس ، وهكذا يقال في كل مصلحة يقوم بادارتها كثرة ، يرجع نظامها الى جهة واحدة ، فاذا كان الصلاح والنظام في كل امر يتوقف على طاعة الرئيس وهو ليس ربا تجب طاعته لذاته ولا لنعمه ، ولا معصوما من الخطأ فيما يأمر به ، فما القول في وجوب طاعة رب العالمين على عبيده ؟

روى ابو نعيم في الحلية والديلمى عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « اول من قاس امر الدين برأيه إبليس . قال الله تعالى له : اسجد لآدم . فقال أنا خير منه » .
قال جعفر فمن قاس أمر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس .

الرابع : الاستدلال على الخيرية بالمادة التي كان منها التكوين وهذا جهل ظاهر من وجوه :

« احدها » ان خيرية المواد بعضها على بعض ليست من الحقائق التي يمكن اثباتها بالبرهان ، وانما هي امور اعتبارية تختلف فيها الاراء والاهواء ، واصول المخلوقات المختلفة التركيب عناصر بسيطة قليلة يرجح انها متحولة من اصل واحد كما يعلم من الكيمياء .

● ان بعض الاشياء النفيسة اصلها خسيس فالمسك من الدم ، وجوهر الماس ، من الكربون الذي هو اصل الفحم ، والاقذار التي تعاف ، من مادة الطعام الذي يشتهي ويحب .

● ان الملائكة خلقوا من النور ، وهو قد خلق من مارج من نار وهو اللهب المختلط بالدخان فما فوقه دخان وما تحته لهب صاف . فان مادة المرج معناها الخلط والاضطراب . ولا شك ان النور خير من النار . والنار الصافية خير من اللهب المختلط بالدخان ، وقد سجد الملائكة المخلوقون من النور امتثالا لامر الله تعالى فكان هو اولى . بل اولى ان يقال له : اولى لك فأولى .

الخامس : اذا سلمنا جدلا ان خيرية الشيء ليست في ذاته وصفاته الخاصة التي تفصله عن غيره من مقومات نوعه ومشخصات نفسه وصفاته التي يمتاز بها عن غيره ، وانما هي تابعة للمادة التي هي من اصل نفسه ، فلا نسلم ان النار خير من الطين ، فان جميع الاحياء النباتية والحيوانية في هذه الارض مخلوقة من الطين بالذات او بالواسطة ، وهي خير ما فيها ، بكل نوع من انواع الاعتبارات التي تعرفها العقول .. وليست للنار او لمارجها مثل هذه المزايا ولا ما يقرب منها .

السادس : ان ابليس غفل عما خص الله تعالى به آدم من خلقه بيده ، والنفخ فيه من روحه ، وجعل استعداده العلمي والعملي فوق استعداد غيره من خلقه ، ومن تشريفه بامر الملائكة بالسجود له ، وجعله بتلك المزايا افضل من الملائكة ، وهم افضل من ابليس بعنصر الخلقة وبالطاعة .

اخبر الله تعالى ملائكته انه سيجعل آدم خليفة في الارض . فقالوا : (**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**)

البقرة/ ٣٠ ـ ٣٣ .

قال الراغب في مفـردات غريب القرآن : الخلافة : النيابة عن الغير ـ اما لغيبة المنوب عنه واما لموته ، واما لعجزه ، واما لتشـريف المستخلف وعلى هذا الوجه الاخير استخلف الله اولياءه في الارض ـ قال تعالى :

(هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) فاطر/ ٣٩ والخلائف جمع خليفة ، وخلفاء جمع خليف . للمفسرين في « الخليفة » مذهبان : ذهب بعضهم الى ان اللفظ يشعر بأنه كان في الارض صنف او اكثر من نوع الحيوان الناطق وانه انقرض ، وان هذا الصنف الذي اخبر الله الملائكة بانه سيجعله خليفة في الارض سيحل محله ويخلفه ، كما قال بعد ذكر اهلاك القرون : **(ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم)** يونس/ ١٤ .

وقالوا ان ذلك الصنف البائد قد افسد في الارض وسفك الدماء ، وان الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه ، لأن الخليفة لا بد ان يناسب من يخلفه ويكون من قبيله كما يتبادر الى الفهم ، ولكن لما لم يكن دليل على ان يكون مثله من كل وجه ، وليس ذلك من مقتضى الخلافة ، اجاب الملائكة بانه يعلم ما لا يعلمون مما يمتاز به هذا الخليفة على من قبله ، وما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة .

قال الاستاذ الامام محمد عبده . واذا صح هذا القول فليس آدم اول الصنف العاقل من الحيوان الناطق ، تماثل الطائفة او الطوائف البائدة منه في الذات والمادة ، وتخالفها في بعض الاخلاق والسجايا .

اما المذهب الثاني : ان المراد هو اني جاعل في الارض خليفة عني ولهذا شـاع ان الانسان خليفـة الله في ارضه ، قال تعالى :

(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) ص/٢٦ .

والظـاهر والله اعلم ان المـراد بالخليفة آدم ومجموع ذريته . ولكن ما معنى هذه الخلافة ؟ وما المراد من هذا الاستخلاف ؟ هل هو استخلاف بعض الانسـان عـلى بعض ، او استخلاف النوع على غيره ؟

جرت سنة الله في خلقه بأن تعلم احكامه للناس وتنفذ فيهم على السنة اناس منهم ، يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه في ذلك ، وكما ان الانسان اظهر احكام الله وسننه الوضعية « اي غير الشرعية لأن الشرع وضع الهي » كذلك اظهـر حكمه وسنـة الخلقة الطبيعية ، فيصح ان يكون معنى الخلافة عاما في كل ما ميز الله به الانسان على سائر المخلوقات . نطق الوحي ودل العيان والاختبار على ان الله تعالى خلق العالم انواعا مختلفة ، وخص كل نوع غير نوع الانسان بشيء محدود معين لا يتعداه ، فأما ما لا نعرفه الا عن طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والاحاديث ما يدل على ان وظائفه محدودة ـ قال تعالى : **(يسبحـون الليـل والنهـار لا يفتـرون)** الانبيـاء/ ٢٠ . **(وإنـا لنحن الصـافـون . وإنـا لنحن**

المسبحون) الصافات/ ١٦٥و١٦٦
(والصافات صفا .فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا) الصافات/ ١ ـ ٣ على قول من قال ان المراد بها الملائكة الى غير ذلك مما يدل على انهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، وورد في الاحاديث ان منهم الساجد دائما والراكع دائما الى يوم القيامة ..

واما ما نعرفه بالنظر والاختبار فهو حال المعدن والجماد ولا علم له ولا عمل ، وحال النبات وانما تأثير حياته في نفسه فلو فرض ان له علما وارادة فهما لا اثر لهما في جعل عمل النبات مبينا لحكم الله وسنته في الخلق ولا وسيلة لبيان احكامه وتنفيذها ، فكل حي من الاحياء المحسوسة والغيبية فان له استعدادا محدودا ، وعلما الهاميا محدودا ، وعملا محدودا ، وما كان كذلك لا يصلح ان يكون خليفة عن الذي لا حد لعلمه وارادته ، ولا حصر لاحكامه وسنته ، ولا نهاية لاعماله وتصرفه .

وما الانسان فقد خلقه الله ضعيفا كما قال في كتابه :

(وخلق الإنسان ضعيفا) النساء/ ٢٨ .

وخلقه جاهلا كما قال : **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)** النحل/ ٧٨ .

ولكنه على ضعفه وجهله عبرة لمن يعتبر ، وموضع لعجب المتعجب ، لأنه مع ضعفه يتصرف في الاقوياء ، ومع جهله في نشأته يعلم جميع الاسماء ، يولد الحيوان عالما بالهام ما ينفعه وما يضره وتكمل له قواه في زمن قليل ، ويولد الانسان وليس له من الالهام الا الصراخ والبكاء ، ثم يحس ويشعر بالتدريج البطيء بالنسبة الى غيره من الحيوان ويعطي قوة اخرى تتصرف بشعوره واحساسه تصرفا يكون له به السلطان على هذه الكائنات ، فيسخرها ويذللها بعد ذلك كما تشاء تلك القوة الغريبة التي يسمونها العقل ولا يعقلون سرها ، ولا يدركون حقيقتها وكنهها ، فهي التي تغني الانسان عن كل ما وهب للحيوان في اصل الفطرة من الكساء الذي يقيه البرد والحر ، والاعضاء التي يتناول بها غذاءه ، والتي يدافع بها عن نفسه ويسطو بها على عدوه ، وغير ذلك من المواهب التي يعطاها الحيوان بلا كسب حتى كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان ، وسيكون له من ذلك ما لا يصل اليه التقدير والحسبان . فالانسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد ولا محدود الرغائب ولا محدود العلم ولا محدود العمل ، فهو على ضعف افراده يتصرف بمجموعه في الكون تصرفا لاحد له باذن الله وتصريفه ، كما اعطاه الله تعالى هذه المواهب والاحكام الطبيعية ليظهر بها اسرار خليفته ، وملكه الارض وسخر له عوالمها ـ اعطاه احكاما وشرائع حد فيها لاعماله واخلاقه حدا يحول دون بغي افراده وطوائفه بعضهم على بعض ، فهي تساعده على بلوغ كماله لأنها مرشد ومرب للعقل الذى كان له

كل تلك المزايا فلهذا كله جعله خليفته في الارض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة .

ـ ٣ ـ

امر الله تعالى آدم ان يسكن الجنة بعد ان خلق له حواء يسكن اليها ، واباح لهما كل شيء في الجنة الا شجرة عينها لهما . بيد ان ابليس وسوس لهما بالاكل منها واغراهما بكل انواع المغريات . وقال لهما : ان ربكما لم ينهكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين .

وقال لآدم : (**هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**) طه/ ١٢٠ (**وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**) الاعراف/ ٢١ ولم يزل يمنيه بمعسول الاماني حتى نسى آدم أنه عدوه ، وان الله حذره منه اشد الحذر بقوله : (**إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**) طه/ ١١٧ . فأكل آدم وحواء من الشجرة : (**بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**) الاعراف/ ٢٢ . ليسترا عورتيهما ويجعلا ورق الشجر على هيئة الثوب الساتر ، وعاتب الله آدم على مخالفته امره والاكل من الشجرة ، فقدم آدم واخذ يعتذر فطرده هو وحواء من الجنة وطرد ابليس قائلا : (**اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**) البقرة/ ٣٦ . (**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**) البقرة/ ٣٧ وهداه واجتباه وبقى في الارض هو وبنوه الذين اتى بهم من حواء .

اكل ادم من الشجرة ولم يمت يوم اكلها ـ كما جاء في التوراة ـ والقرآن المجيد قد علل النهي بأنه يترتب على مخالفته ان يكونا من الظالمين لنفسيهما ـ اي بفعلهما ما يعاقبان عليه ، ولو بالحرمان من ذلك الرغد من العيش وما يعقبه من التعب في المعيشة .

فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة ظهرت لكل منهما سوأته وسوأة صاحبه وكانت مواراة عنهما ، قيل بلباس من الظفر كان يسترهما فسقط عنهما ، وبقيت له بقية في رءوس اصابعهما ، وقيل بلباس مجهول كان الله تعالى البسهما اياه ، وقيل بنور كان يحجبها ولا دليل على شيء من ذلك ، والاقرب عندي ان ظهورها لهما ، ان شهوة التناسل دبت فيهما بتأثير الاكل من الشجرة ، فنبهتهما الى ما كان خفيا عنهما من امرها ، فخجلا من ظهورها ، وشعرا بالحاجة الى سترها ، وشرعا يخصفان اي يلزقان أو يضعان ويربطان على ابدانهما من ورق اشجار الجنة العريض ما يسترها . فالمواراة كانت معنوية فلو كانت حسية فما ثم الا الشعر ساتر خلقي ، وقد تظهر الشهوة ما اخفاه الشعر ، وان لم يسقط بتأثير ذلك الاكل ويدل على كل من هذين الوجهين فطرة الانسان .

يقول محمد اقبال : ان قصة هبوط أدم كما جاءت في القرآن لا صلة لها

بظهور الانسان الاول على هذا الكوكب ، وانما اريد بها بالاحرى بيان ارتقاء الانسان من بدائية الشهوة الغريزية الى الشعور بأن له نفسا حرة قادرة على الشك والعصيان ، وليس يعني الهبوط اي فساد اخلاقي ، بل هو انتقال الانسان من الشعور البسيط الى ظهور اول بارقة من بوارق الشعور بالنفس ، وهو نوع من اليقظة من حلم الطبيعة احدثتها خفقة من الشعور بأن للانسان صلة علية شخصية بوجوده .

هذا الى ان القرآن لا يعتبر الارض ساحة للعذاب سجنت فيها انسانية شريرة العنصر بسبب ارتكابها خطيئة اصلية - بل يجعل الارض مستقرا ومتاعا للانسان ينبغي ان يشكر الله عليه :

(ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) (الاعراف/ ١٠) .

يصف القرآن الانسان بأنه اخذ على عاتقه عبء الامانة التي ابت السموات والارض والجبال ان يحملنها فيقول سبحانه : **(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)** الاحزاب/ ٧٢ .

والمقصود بالامانة هنا التكاليف . قال الامام الفخر الرازي : « إنا عرضنا الامانة .. اي التكليف وهو الامر بخلاف ما في الطبيعة ، واعلم ان هذا النوع من التكاليف ليس في السموات ولا في الارض . لان الارض والجبل والسموات كلها على ما خلقت عليه : الجبل لا يطلب منه السير والارض لا يطلب منها الصعود ولا من السماء الهبوط ولا من الملائكة ، لأن الملائكة وان كانوا مأمورين منهيين عن اشياء لكن ذلك لهم كالاكل والشرب لنا ، فيسبحون الليل والنهار ولا يفترون كما يشتغل الانسان بأمر موافق لطبعه » .

وقال في تفسير حمل الامانة : « لم يكن إباؤهن كاباء ابليس في قوله تعالى : **(أبى أن يكون من الساجدين)** من وجهين احدهما : ان هناك السجود كان فرضا ، وها هنا الامانة كانت عرضا » وثانيهما : ان الإباء كان هناك استكبارا وها هنا استصغارا ». استصغرن انفسهن بدليل قوله : **(وأشفقن منها)** » .

وقال بعضهم في تفسير الآية ان المخلوق على قسمين : مدرك وغير مدرك ، والمدرك منه من يدرك الكلي والجزئي مثل الآدمي ، ومنه من يدرك الجزئي كالبهائم تدرك الشعير الذي تأكله ولا تفكر في عواقب الامور ولا تنظر في الدلائل والبراهين ، ومنه من يدرك الكلي ولا يدرك الجزئي كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والاكل .

قالوا : والى هذا اشار الله تعالى بقوله : **(ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء)** فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات والتكليف لم يكن الا على مدرك

الامرين . إذ له لذات بأمور جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية هي مثل لذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته ، واما غيره فان كان مكلفا يكون مكلفا « لا بمعنى الامر بما فيه عليهم كلفة ومشقة بل بمعنى الخطاب فان المخاطب يسمى مكلفا كما ان المخاطب مكلف ».

وقال الامام ابن كثير « ... عن ابن عباس : يعني بالامانة الطاعة عرضها قبل ان يعرضها على آدم فلم يطقنها ، فقال لآدم : اني قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم يطقنها . فهل انت آخذ بما فيها ؟ قال : يارب . وما فيها ؟ قال : إن احسنت جزيت ، وان اسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها .

وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس : الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض ، والجبال ، ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم .

فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله الا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها » .

واورد ابن كثير اقوالا اخرى مروية بأصحابها ، وعقب عليها قائلا : انها كلها لا اختلاف بينها بل هي متفقة وراجعة الى انها التكليف وقبول الاوامر والنواهي بشرطها .

وقال العلامة محمد جمال الدين القاسمي في « محاسن التأويل » :.. عبر عنها بالامانة تنبيها الى انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى الى المكلفين وائتمنهم عليها ، واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها ومعنى الآية : ان تلك الامانة من عظيم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة - مراعاتها ، وكانت ذات شعور وادراك ، لأبين قبولها واشفقن منها .

اما قوله تعالى : **(وحملها الإنسان)** اي عند عرضها عليه ، اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده ، او بتكليفه اياها يوم الميثاق - اي تكلفها والتزامها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة ، وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري . او من اعترافه بقوله : بلى ».

وقوله تعالى : **(إنه كان ظلوما جهولا)** اعتراض وسط بين الجمل ، وغايته الايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله - اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل ، اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة ».

لقد عرضت الطاعة والقيام باعباء التكليف على السموات والارض والجبال فاستعفين من حملها وخفن من تبعاتها وحملها الانسان بما منحه الله من القوة الأدبية للوفاء بها ، انه كان كثير الظلم والجهل اذ لم يف بحقوقها ، ولم يقم بواجباتها .. **(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما)** الاحزاب/ ٧٣ .

التكامل بين العقيدة والشريعة

العقيدة والشريعة كلاهما وحي الله النازل من السماء ، وليس إفك البشر النابت من الأرض ، ولا يمكن بحال أن تعتبر العقيدة منفصلة عن الشريعة ، بل كلاهما متمم للآخر ، موصول به ، فالشريعة هي الترجمة العملية عن العقيدة .. والتعبير الحي عن وجودها .. والدليل الناطق عليها ، بدونها تصبح العقيدة سلبية عقيما لا اثر لها في الحياة ، ولا خطر لها في السلوك ، ومن اعتقد في الله وآمن به ربا جليلا حكيما أطاعه فيما أمر ونهى ، ونفذ ما طلب منه دون أي تردد أو إهمال ، ولا يتصور أن توجد عقيدة من غير شريعة إلا في صورة نظرية .. كما لا يتصور أن توجد شريعة من غير عقيدة .. وإلا فما الذي يحفز على أدائها ، وممارسة شعائرها في الحياة ؟

بل لا يمكن لدين ما أن يفصل بينهما ، لأن ذلك قطع لما أمر الله به أن يوصل ، ونحب أن نؤكد هنا على أمر هام ، هو أن العقيدة لا يمكن قصرها على المشاعر الوجدانية التي تعمر الضمير ، وتغمر الوجدان .. وتحكمهما من الزيغ والانحراف ، كما لا يمكن للعقيدة ان تقتصر على الشعائر التعبدية التي تلوذ بالمسجد وتعتصم به ، تاركة ما سوى ذلك لقوانين البشر ، وتصوراتهم ، ودساتيرهم !!

كما أنه لا يمكن قصر العقيدة على عملية التهذيب الروحي .. وان كان ذلك هدفا من أهدافها .. كما أن العقيدة لا تكون تطبيقا محدود الحجم والمساحة لبعض ما أنزل الله .. تاركة بقية أحكامه لمجرد الدراسة والمعرفة !

كما هو الواقع المر في كثير من المجتمعات الاسلامية المعاصرة .. تتحمس لتطبيق الشريعة في بعض المجالات كالطلاق والمواريث



والعبادات .. ذاهلة عن إقامة الحدود .. وما تستتبعه من كبح جماح الجريمة ، وقمع الفساد والشر ، وتطهير وجه الحياة من الفسوق والعصيان !!

كما أنه يحلو لبعض المجتمعات أن تطبق الشريعة في كثير من أوامر الله .. تاركة المجتمع يموج بالمعاملات الربوية سواء على المستوى الفردي والجماعي !! كلا : إن العقيدة والشريعة كل لا ينفصل .. والاسلام عقيدة وشريعة ما في ذلك شك ، وتأبى هذه العقيدة إلا أن تعبر عن نفسها في شتى مجالات الحياة تعبيرا مطلقا ، لا تصطدم فيه بشيء من قوانين البشر .. وإلا فهو الخسران المبين .. وإذا كانت هذه العقيدة تحكم ضمير المؤمن حكما مطلقا ، يستسلم فيه لبارئه الذي خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه .. وتسكت فيه كل هواتف الشك ووساوس الشيطان .. فانها بهذا القدر ينبغي أن تحكم دنيا الناس بحيث تلغي ما سواها من قوانين البشر ودساتيرهم القاصرة الرعناء ..

نعم : لابد للعقيدة في معناها الواقعي والتكاملي ، ان تعبر عن كل تلك الجوانب لا تقتصر على واحد منها دون سواه ، تعبر عن نفسها تعبيرا واقعيا في الوجدان وفي شعائر العبادة ، وقضايا التهذيب ورياضات النفوس وواقع الحياة .. كل هذه الأبعاد أفاق للعقيدة لا ينبغي أن تسطع في أفق منها محتجبة عما سواه ، لا تترك البشر لأنفسهم طرفة عين ، ولا تغفل شأنا من شؤونهم اليسيرة أو الجليلة .. تعلمهم كيف يعبدون الله .. وكيف يتطهرون للصلاة .. وماذا يقولون عند النوم ، وماذا يقولون عند اليقظة .. وماذا يقولون عندما يرون الزهرة النابتة ، أو الهلال البازغ في افق السماء .. وماذا

يقولون عندما يدخلون لقضاء حاجتهم .. كل ذلك وأيسر منه قد وعته الشريعة .. لا تترك المسلم منذ يتيقظ من منامه .. حتى يأوى الى فراشه .. بحيث لا توجد ثغرة واحدة يملؤها الهباء .. أو فجوة يحتلها الهواء .. وسبحان من وسع كل شيء علما !!

بل إن هذه العقيدة لتستوعب فيما تستوعب جميع التشريعات الالهية لقيادة الحياة ، وضبط حركة الناس فيها .. تحل لهم الطيبات ، وتحرم عليهم الخبائث .

والتشريع بهذا التصور الشامل الكامل هو التعبير الواقعي عن العقيدة ، بدونه تصبح مجرد شعور يختبىء في وجدان الانسان لا يمتد إلى الحياة الواقعية ليحل مشكلاتها ويعالج قضاياها ويرعى شؤونها ..

ويدخل في عموم التشريع ما رسمه القرآن الكريم من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية للأمة المسلمة في إطار عام ، وتخطيط شامل .. بحيث يعد الخروج عليه تمردا على أوامر الله ، وتعطيلا لأحكامه في أخطر شؤون الجماعة المسلمة التي تتخطفها المذاهب الملفقة .. وتتحيفها سطوات الدول التي فسقت عن أمر الله .. فهذا التخطيط القرآني العام لشؤون المجتمع هو في الواقع عصمة لها من الزيغ ، وضبط لمسيرتها المؤمنة على صراط العزيز الحميد .

وهذا التخطيط القرآني الشامل لم يهمل التجربة الانسانية ، ولم يسقطها من حسابه ، لأنه يكتفي بالتوجيه العام تاركا التفاصيل الجزئية لما تتمخض عنه الحياة الصاعدة في سلم التطور ، من أساليب مثمرة لا تخرج عن إطار التشريع العام ، وإنما تنمو في رحابه ، وتزدهر في محيطه فتصبح علاجا لهذه الأمة الحائرة على مفترق الطرق .. تجد في هذا العمل البناء ما يحفظ عليها شخصيتها ، ويصون كرامتها ، ويربطها بربها .. فلا يضل لها سعي ، ولا تزل بها قدم .. ولا يضيع الطريق منها ..

إن حصيلة التجربة البشرية في هذا المقام لا يمكن إغفالها ولا الاستهانة بها .. وإنما ينبغي دراستها والاستفادة منها في إطار تشريعنا السماوي - لأنها في الواقع تعين على التكيف ، وتثمر الواقعية البناءة التي لا تبتعد عن المحور الأساسي للتشريع .. وحسب القرآن الكريم .. أنه في مرقاه العالي يظل يرقب التجربة الانسانية ويرصد سيرها واتجاهها .. ويتركها للزمن الذي يحكم لها أو عليها .. ولا يصادرها منذ البداية .. احتراما منه لعقل الانسان وتوقيرا لحصيلة التجارب البشرية .. فاذا اثبتت هذه التجربة وجودها ، فهي رصيد صالح للبشرية تنتفع بها وتستفيد منها . وإذا أخفقت فلا بأس أن تعدل من نفسها لتصبح تجربة رائدة ونافعة ، ويرى أبو حامد الغزالي أن ما يستحق القول في علوم الأخلاق والاجتماع وسياسة الأمم وما إليها إنما هو بقايا نبوات دارسة وشرائع سماوية قديمة

وأن الدين صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في هذا الميدان .. وفي كل ميدان ..

. وفي كلام الغزالي جنوح إلى شمول التشريعات السماوية التي يجب أن تبسط جناحها على الحياة والأحياء .. كما أن فيه ما يشبه الرفض لحصيلة التجربة الانسانية في هذه الميادين ما لم تتفق مع نظام الدين وخطوطه العامة .. وهذا حق لامرية فيه ولقد أعطى القرآن الكريم تخطيطات رائعة يمكن الاستهداء بها في هذه المجالات بحيث يمكن أن يقال : إن هناك نظاما سياسيا يرشد إليه القرآن .. ونظاما إقتصاديا متميزا لايمت إلى شرق أو غرب وانما ينتمي إلى السماء !! ونظاما إجتماعيا فريدا هو أصل كل النظريات التي تتنادى بها أصوات الفلاسفة هنا وهناك .

لم يتأثر القرآن في تنظيمه الشامل بأي نظام عالمي ، ولقد ألفت كتب جامعة في هذه المجالات فحصيت حقائقها وغاصت في أعماقها وقدمتها للبشرية منارات على طريق الحياة .. ويبقى أن يعرف المسلم مكانه على ظهر المعمورة .. وأن يتعمق فهم الأصول التي جاءته من رب العالمين .. لتظل شخصيته متميزة قوية في وجه الأعاصير التي تهب سواقيها بين وقت وآخر تحاول اقتلاع النظام الاسلامي من الجذور ..

حقيقة إن هذه الميادين ليست مسدودة .. بل هي مفتوحة لتجارب الحياة ، وحصيلة الخبرة الانسانية وعوامل الثقافة والمعرفة ، وتطور الزمن وما يجد من أحداث ومشكلات .. لكن كل ذلك مشروط بأن يكون داخل الاطار التشريعي وليس خارجه .. وحول المحور الأساسي وليس بعيدا عنه ، لأننا في الواقع نخضع الحياة للدين ولا نخضع دين الله للحياة .. ومهما اجتهدنا في نظرية المال ووسائل الاقتصاد فلن نجعل الربا يوما حلالا .. لأن الدنيا تتعامل به .. ولا نجعل السياسة فجورا وانتهازية ، لأن الزمن هكذا ، ولا يكون الحكم مهما تطورت الحياة استبدادا فاجرا ، وفردية متسلطة ، ولن نطور السياسة يوما لنتخذ من أعداء الله بطانات !!

كيف والقرآن يهتف فينا بهذا النداء القدسي : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة - ٢٧٥ . وبقوله سبحانه : **(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)** آل عمران - ١٥٩ .

وبقوله سبحانه : **(ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم)** آل عمران - ١١٨ .

بهذا المنطق يجب أن نفهم التجديد .. وعلى هذا الصراط يجب أن نسير ، إنه اجتهاد بالعقل فيما لم يرد فيه نص ، وفي مجال الحياة وسياستها وخبراتها العملية والعلمية على أن نلتزم بالاطار العام للتشريع ، حتى لا يخطىء لنا سعى ، أو تزل لنا قدم - والله ولي التوفيق .



لقد تفرغ المستشرقون على تراثنا تمحيصا وتحليلا ، وساعدهم على ذلك اسناد وتشجيع حكوماتهم ، وتوفر المصادر لديهم ، وتخصص كل منهم في جزئية من العلوم الشرعية . الأمر الذي جعل كتابتهم ملفتة لنظر الباحثين والمتخصصين وطلبة العلم حتى في ديار المسلمين ، وأفلحت هذه الكتابات في التأثير على كثير من المثقفين في بلادنا ، خصوصا أولئك الذين تلقوا علومهم في ديار الغرب .

وكتابات المستشرقين تدور - في أغلبها - على سوء الظن بالاسلام والمسلمين ، والتقليل من شأن الحضارة الاسلامية ، والتشويش المتعمد على العلوم الشرعية الاسلامية ، وتشكيك المسلمين بدينهم ، باثارة الشبهات المختلفة في العقيدة او الشريعة او الفقه اوالتاريخ وعموم العلوم الاسلامية .

ولعل اتجاه الكتابات الاستشراقية هذا الاتجاه الخاطىء راجع الى المحاضن الاستشراقية الأولى التي تبنت الاستشراق لتحقيق اغراض دينية سياسية استعمارية .

لقد كانت الجمعيات التي انبنت عليها الحركة الاستشراقية جمعيات يقوم عليها رجال دين من المسيحيين او اليهود ، وكان هم هؤلاء توجيه تلك الدراسات لتخدم غاياتهم وأهدافهم السياسية والدينية .

إلا أن البيئة والمحاضن

الاستشراقية لم تخل من العلماء المنصفين المخلصين ، الذين يقررون الحقائق التي يتوصلون لها متجردين من تبعيات فكرية أو مذهبية أو دينية تعصبية أو ميول عدوانية حاقدة .

وعلم أصول الفقه هو أحد أهم العلوم الاسلامية التي تعرضت للمد الاستشراقي في حده الحاقد المغرض ، ولصعوبة مسلكه ـ الى جانب أمور أخرى سنذكرها في معرض البحث ـ لم يطرقه إلا كبار المستشرقين المتمكنين ، ولسوء الحظ ان هذا كان من نصيب ذاك الصنف المغرض ، فجاءت كتاباتهم غاية في التشويه والطعن المبطن والمكشوف والمغلف بالأسلوب العلمي المنطقي المزعوم .

تطور كتابة المستشرقين عن الاسلام :- .

بدأت دراسات المستشرقين للاسلام منذ أن كان المسلمون في اسبانيا ، وكانت الجامعات الاسلامية مقصد طلاب العلم في العالم .

ولقد بدأ المسيحيون **بدراسة اللغة العربية** أولا لأنها مفتاح فهم الاسلام ، وكان قصدهم من دراستها تسهيل مهمة التبشير بين العرب خاصة ، علما بأن كثيرا من المسيحيين كانوا يتكلمون العربية . ولما سقطت غرناطة ، وغادرها المسلمون عام ١٤٩٢م . أوقفت هذه الدراسة في اسبانيا . إلا أنها بدأت في روما ولنفس الغرض .

ومن ذاك التاريخ بدأت الكتابة الأولى في الاسلام ، وكان أول عالم كتب في ذلك هو الاستاذ Gullaum Postel ـ ١٥١٠ ـ ١٥٨١ ، ثم بدأ تلميذه Joseph Scaliger ـ ١٥٤٠ ـ ١٦٥٩ وهو مبشر وكان متأثرا بكتابات ابن سينا وغيره . وقام بعملية ترجمة ونقل بعض تراثهم الفلسفي واللغوي . إلا أن الجانب اللغوي أخذ حظا وافرا من كتابات كثير من المستشرقين .

وبعد هذه الدراسات الغنية حول اللغة العربية وقليل من الدراسات الاسلامية العامة . بدأت الكتابات حول الشرق الاسلامي تأخذ نقطة بدايتها على يد الاستاذ B . d'Herbe-lot ٩٥٠ ـ ١٦٢٥ م .

وقد قام بكتابة أول كتاب له أهمية خاصة وهذا الكتاب كان عبارة عن محاولة لكتابة موسوعة اسلامية .

ثم قام A Galland بترجمة كتاب « الف ليلة وليلة » ١٧٠٤ ـ ١٧١٧ وكان لترجمة هذا الكتاب دور بارز في توجه المستشرقين الى فتح نافذة الثقافة الاسلامية .

فقد كان موقف المستشرقين من قبل عدائيا للاسلام لكنه عداء على غير أساس صحيح ولا رؤية واضحة للاسلام . بل وصل الأمر بهم الى اعتبار الاسلام عدو الله ، وكان للأستاذ Richard Simon جهد مشكور في توضيح الاسلام .

وتكلم في كتابه عن الشرق والمسيحية ،

وتعرض لشرح العقائد الاسلامية من العبادات والمناسك وغير ذلك . ولم يهاجم الاسلام ، بل كثيرا ما كان يمتدحه فيما يراه أفضل في الاسلام عنه في المسيحية .

ولعل مسلك هذا الكاتب في تحرى الصحة في عرض الاسلام انه اعتمد على مصادر اسلامية بحتة ، وكتب كتابا آخر على نفس المنهج عام ١٦٩٧ ، وكتب عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم كتابة سليمة .

ولقد ظهر بوضوح تأثير مسلك الاستاذ Richard في الكتابات من بعده ، حيث أصبحت دراسات المستشرقين تأخذ جانب الموضوعية - بعد عام ١٧٠٠ - وهذه الموضوعية جعلت الكتاب يثنون على الاسلام ويستحسنونه ، بل صرحوا بأن العقيدة الاسلامية معقولة من حيث المنطق والفكر خلافا للعقيدة المسيحية .

وكانت كتاباتهم في هذا الاطار عامة تتناول كتب اللغة العربية والمغازي ، والسير ، والتاريخ .

وفي عام ١٧٣٤ ظهرت اول ترجمة للقرآن الكريم على يد الأستاذ George Sale ١٦٩٧ - ١٧٣٦ وقد وضع لها مقدمة ، وكتب عليها تعليقات كثيرة .

ثم جاء الفقيه الألماني J . J . Reiske - ١٧١٦ - ١٧٧٤ وأشار فيما كتب الى الحقائق الالهية في الاسلام . وتلاه الأستاذ Simon Ockley وكتب رافعا من شأن الفكر الاسلامي بل والشرق الاسلامي ، وأعطاه مكانة عالية على العالم الغربي ، وكذلك فعل Edward Gibbon - ١٧٣٧ - ١٧٩٤ .

وكذلك كتب العالم الشهير Voltaire كتابا شعريا بعنوان « محمد » عام ١٧٤٢ ولم تكن كتاباتهم في عمومها طعنا بالاسلام ، بل كان تأثرها بالفكر الاسلامي واضحا .

الا أن أول كاتب كتب دراسة محققة متخصصة هو الأستاذ Silvestre de Sacy — وكانت دراسته للاسلام دراسة من منظور مجرد ، غير متأثر بالعقيدة والفكر المسيحي كما كان سابقوه . فمدرسته تعتبر مدرسة اللادينيين ولقد أصبح بما كتبه من مؤلفات حول الاسلام أستاذ ومرجع الدراسات الاستشراقية للأوروبيين ، وفتح - في نفس الوقت - الباب للكتاب المستشرقين من غير المسيحيين لولوج هذا النمط من البحث .

ومن بعده بدأت الكتابات تأخذ طريق التخصص نوعا ما ، وساعد في ذلك ظهور مجلات متخصصة عن الدراسات الشرقية ، والتي بدأها الأستاذ Josef Van Hammer ١٧٧٤ - ١٨٥٦ بمجلته Fundgruben des Orients ١٨٠٩ - ١٨١٨ ، وتوالت بعد ذلك المجلات في فرنسا وانجلترا وروسيا .

وظلت كتابات المستشرقين في هذا الاطار الموضوعي غير العدائي في جملتها - خصوصا ما صدر قبل ١٨٠٠ - تأخذ مكانها في حقل الدراسات الاستشراقية .

إلا أن هذه الموضوعية سرعان ما انقلبت نارا حامية على الاسلام

والمسلمين وذلك عندما حمى صراع الأوربيين على ما يسمى بالمسألة الشرقية مع بداية القرن التاسع عشر ويعنون بها مسألة دولة الخلافة الاسلامية في استانبول ، وبدأت كتابات المستشرقين تصور الاسلام لا على انه عدو للمسيحيين فحسب ، بل وأنه هذه المرة عدو للعلم والتقدم والحضارة . وأخذوا يصفون الاسلام بأنه رجعية وأخذت كتاباتهم تصور الاسلام في هذا الثوب الرجعي ، ثم تعرض سبيل الخلاص للمسلمين من واقعهم الأليم ، وذلك بأخذهم بالثقافة والحضارة الأوربية .

وتلونت الكتابات الاستشراقية حينئذ باللون السياسي الاستعماري الحاقد ، وأخذت الكتابات حول واقع المجتمع الاسلامي تبرز بصورة براقة على أنها هي الاسلام ، والاسلام هو المشكلة .

ولقد ساعدهم على ذلك ما كان يعيشه المجتمع الاسلامي وقتها من مشاكل كبيرة ، فقد كانت الاضطرابات والثورات متلاحقة في العالم الاسلامي الممزق ، فالثورة الكمالية في تركيا ، وفي الاجزاء الاسلامية في روسيا ، وفي اندونيسيا وايران وغيرها . فكان هذا الواقع مجالا خصبا لظهور كتابات مشوشة

وهكذا ظلت الكتابات الاستشراقية حول الاسلام بين تقلبات متتالية تتأثر مرة بالعقل ، ومرة بالعاطفة واخرى بالسياسة ، وما إلى ذلك . إلا أنها كانت في أغلبها كتابات تنطلق من منطلق العداء للاسلام .

أما بعد عام ١٨٨٠ فقد أخذت خطا محدثا يكاد يكون ثابتا ، وهو الدراسة المتعمقة . ثم الدس والطعن المكشوف والمعلن ، وتخصص لهذا الغرض جمع كبير من المبشرين وغيرهم .

جمعهم في صف واحد العداء للاسلام ، الا ان صفوفهم - في حقيقة الأمر - لم تخل من المنصفين ، وما أقلهم .

الكتابة في العلوم الاسلامية وأصول الفقه :-

تنوعت دراسات المستشرقين في العلوم الاسلامية ، بتنوع هذه العلوم . وقد كتبت مؤلفات عدة في التاريخ الاسلامي بأيدي متخصصين من المستشرقين ، وقد أولوا هذا الجانب أهمية خاصة لما يتضمنه من خطورة في التراث الاسلامي والانساني ولدوره في بلورة شخصية الاجيال اللاحقة .

كما وأنهم كتبوا في القرآن وعلومه ، والحديث وعلومه ، كتابات كثيرة زادت في كثرتها على ما كتبوه فيما سوى ذلك من العلوم .

واتصفت كتاباتهم حول القرآن الكريم بابراز المتشابه منه ، والقراءات الشاذة ، وتأويل الآيات وتحميلها اكثر مما تحتمل موافقة للرأي والهوى ، كما وأبرزوا خلافات وجهات النظر بين المفسرين ، وما الى ذلك في نهج يرمي الى التشكيك

والتشـويش في مجال الـدراسـات القـرآنية . ولم يكن حظ الحـديث وعلومه بأقل من ذلك ، بل ان مجالهم فيه أكبر وأوسع رحابة ، الأمر الذي مكنهم من إغراق المكتبة الاستشراقية بوافر من الكتب التي تشكك في السنة شكلا وموضوعا ، فطعنوا في طريق وصـول السنة ، وفيمـاتحملـه من تصورات تخالف ما جاء في القرآن بزعمهم ، وان بعضها يخالف بعضه الآخر ، الى غير ذلك مما سولت لهم انفسهم قوله وسوغت لهم افتراءه .

أما كتاباتهم في الفقه الاسلامي ، فقد أبرزوا فيها كتب الخلاف ، وبنوا عليها مرونة الشريعة الى حد وصل في نهايته الى أن أحكام الشريعة بنيت على الهوى ، أو يمكن أن تبنى على ذلك .

وقد صوروا الخلاف بين علماء الأمة على أنه خلاف في الأصول لا في الفـروع . وادعـوا أن الاستنبـاط الفقهي قد توقف لأن أحكام الاسلام كانت صالحة لفترة معينة أغلق باب الاجتهاد بعدها ، وعليه فإن واجب المسلمـين أخـذ أحكـام الحـوادث المستجدة وفق منظور الفقه الغربي ..

كتـابات المستشـرقـين في أصول الفقه :

إذا كانت كتابات المستشرقـين كثيرة وجهودهم متضافرة في مجالات القرآن وعلومه والحديث وعلـومه ، والفقه ، فإن جهودهم في « أصول الفقه » لا تكاد تذكر بالنسبة لتلك الجهـود . فكتابـاتهم فيه بـالمعنى التخصصي قليلة ومحصورة . ويشير Schacht الى ان تطور علم أصول الفقه لم يدرس ولم يعرف لدى المستشرقين في فترة ما قبل الشافعي ، ولعل آخر كتاب لهم في ذلك كتاب Schacht المسمى « أصول الفقه المحمدي »

وقد نشرت أول طبعة وهي الخامسة سنة ١٩٧٩ . ومنذ ذلك التاريـخ والذين أتوا من بعده يعتمدون على أفكـاره واستنتاجـاته . وقـد بنى Schacht كثيرامن آرائه على سابقه Goldziher . فجمع أشتات Goldziher الأصولية من كتبه المتعددة وزاد عليها من كيسه الشيء الكثير .

وعلى أية حال فان كتاباتهم في أصول الفقه مع قلتها تحمل من الخطورة مالا يقل عن خطورة كتاباتهم في العلوم الاسلامية الاخرى ، بل لا نذهب بـعيـدا ان قلنـا . ان الأفكـار والتصـورات التـي بنـوا عليهـا كتـاباتهم ، وسطـروا على ضـوئها آراءهم المشوشة في العقيدة والفكر الاسلاميين ، انما بنيت على نظرتهم وتصورهم الحقيقي لمصادر التشريع الاسلامي التي تكشفها كتاباتهم في أصول الفقه .

والذي يتتبع هذه الكتابات يلحظ من أول وهلـة سوء النيـة المبيت المكشوف . فلا يجد لهم جهودا تذكر في جزئيات وتفصيلات او تفريعات أصول الفقه ، أو بمعنى آخر لا يجد لهم جهودا تذكر في جانب ثمار أصول الفقه أو عمقه الحقيقي . فقد تركزت

جهودهم في جانب واحد منه ألا وهو الأدلة ، أو مصادر التشريع ، وضربوا صفحا عن الكلام على الجزء الآخر منه وهو الاحكام والدلالات اللغوية وتفصيلاتها ومتعلقاتها .

وهذا الموقف منهم يتناسب وسوء النية ، ذلك ان الأحكام هي ثمرة الأدلة ، إذ بها يتوصل الى الحكم فلو تكلموا في الأحكام لكان ذلك بمثابة التسليم بالأدلة التي هي أصل الثمرة والحكم ، وهذا غير مسلم عندهم .

فإذا تركزت جهودهم في الأصل وهو الأدلة وعدم التسليم بصحته واستطاعوا التشكيك به فإنهم حينئذ في غير حاجة للكلام على الأحكام ، فهي باطلة تبعا مادا م أساسها وأصلها على تلك الصفة ، وفي نفس الوقت فان طريق الوصول الى الحكم أو طريق الاستنباط باطل أيضا .

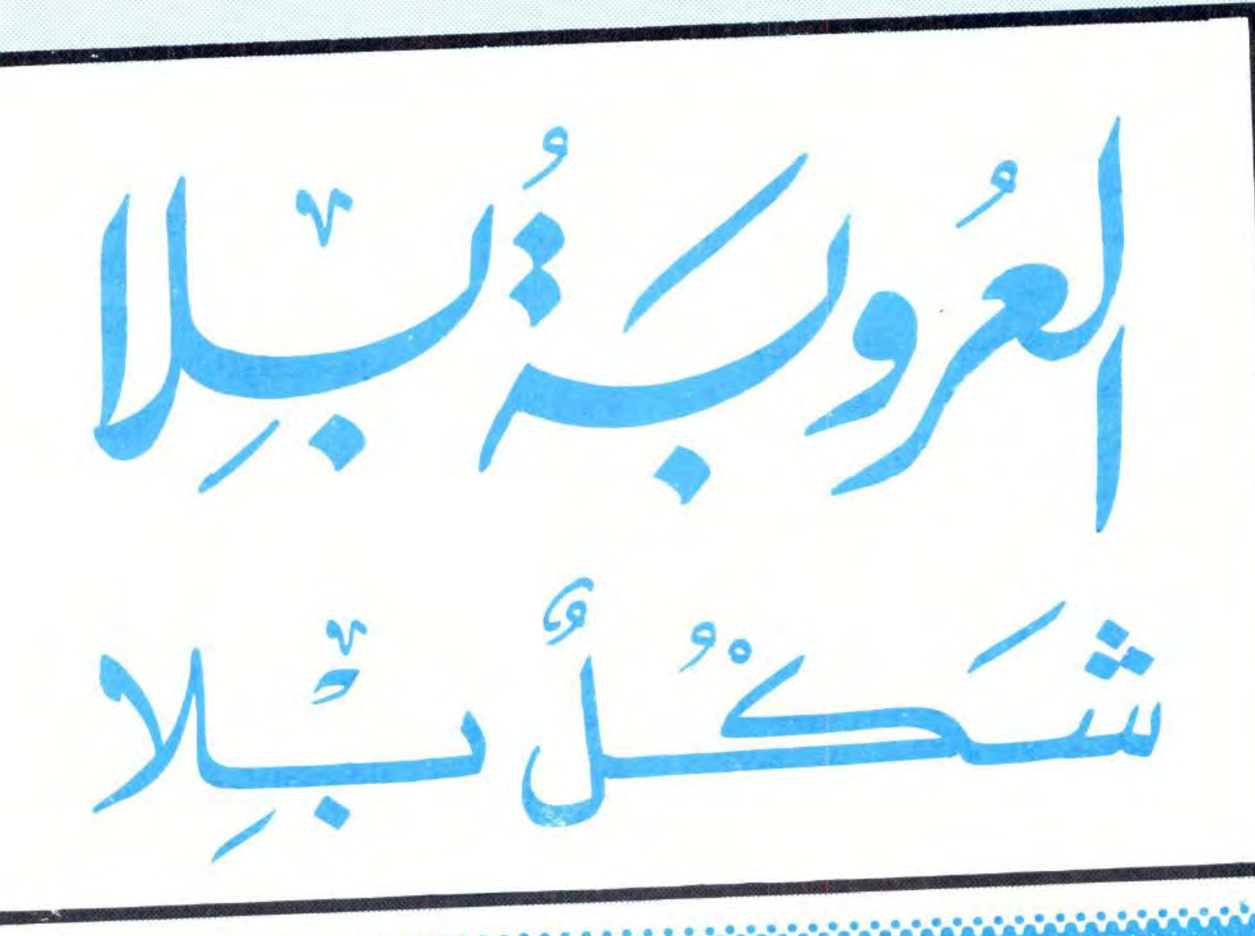
إلا أن هذا المسلك في الفصل بين الأدلة والأحكام ، مسلك خاطىء علميا ، ذلك ان علم أصول الفقه عنوان للأدلة الموصلة للأحكام ، أو للأحكام المبنية على الأدلة ، فهما في لازم الأمر وحقيقته شيء واحد .

ولقد أدى مسلكهم هذا في الفصل الى الجهل بعلاقة وصلة الأحكام بالأدلة مما أوقعهم في استنتاجات خاطئة لا يقرها منطق علمي سليم ، ذلك أن الأدلة مقصودة بذاتها للتوصل الى الأحكام الشرعية خاصة . فينبغي النظر لكليهما في آن واحد .

وفي نفس الوقت جعلهم ذلك جاهلين بصلة الفقه بالأصول الذي هو الثمرة العلمية التطبيقية للأدلة . اذ الاستنباط الفقهي وليد الأدلة التي يبينها أصول الفقه كما يبين طريقة استخدامها للوصول الى الاستنباطات الفقهية .

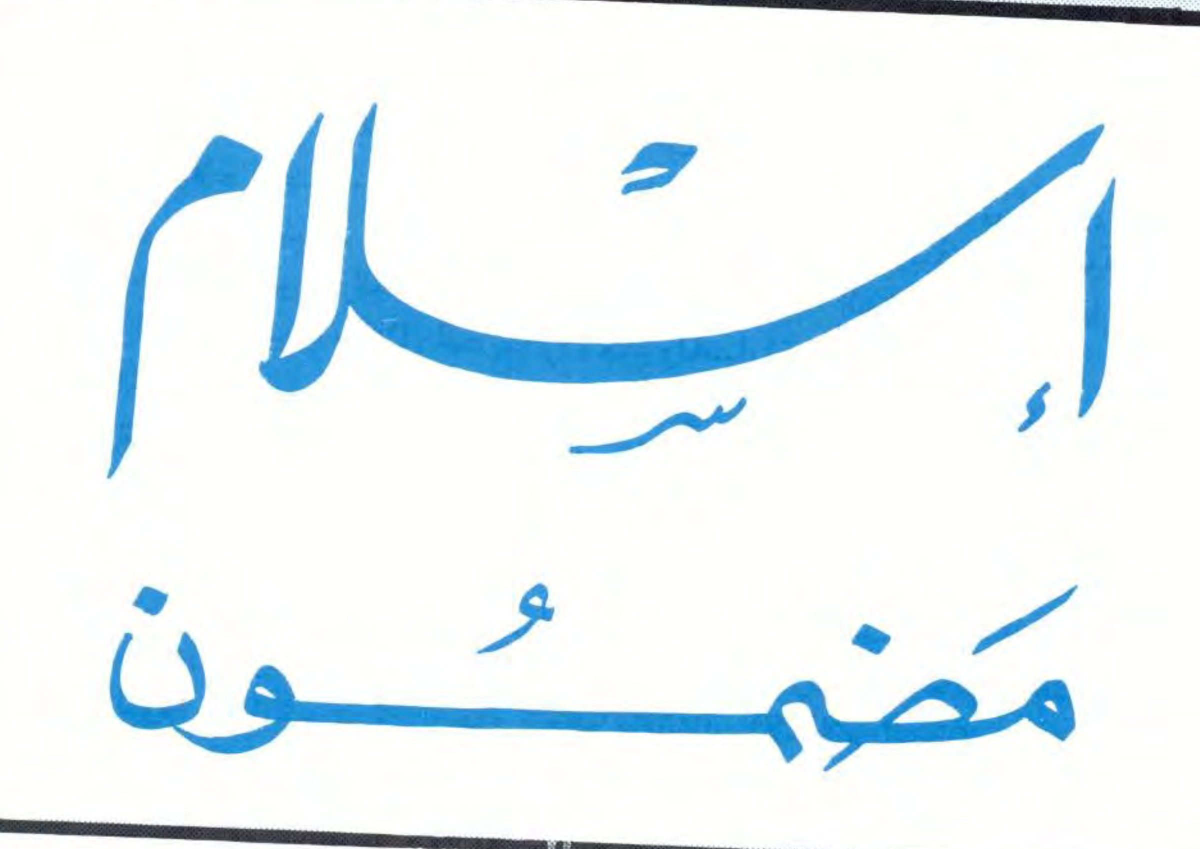
وعلى ذلك نستطيع القول : ان استنتاجاتهم الغثة في مجال الفقه الاسلامي ، والسيل الوافر من التهم والافتراءات عليه ، انما ابتنيت ابتناء طبيعيا ومنطقيا على عملية الفصل بين الأدلة والأحكام . وما قلناه في صلة الفقه بالأصول يقال أيضا في التفسير والحديث - لأنه يشدهما الى علم الأصول طريقة الاستنباط للآية والحديث - في احوال العموم والخصوص والتقييد والاطلاق والاجمال والبيان والناسخ والمنسوخ والترجيح عند التعارض ، وما الى ذلك مما لاغنى عنه عند النظر في آية او حديث ، فالنظر في الآية والحديث يستلزم النظر في آن واحد لعلم الأصول - والفصل بينهما - والحال هذه - قطع للاستنتاج الصحيح .

فإذا كان هذا الفصل خاطئا علميا ومنطقيا - كما رأينا فإن ما ابتنى عليه - بالتالي - من اجتهادات واستنتاجات في مجالات العلوم الاسلامية سواء الفقه او التفسير أو الحديث خاطئة تبعا ، وعليه يمكن القول : ان مساحة شاسعة من عملية الهجوم الاستشراقي على الاسلام عملية فاشلة ، أو على الأقل يمكن تفشيله بيسر وسهولة ما دام غير قائم على أسس علمية سليمة تتحمل ما يبنى عليها .



من المعروف ان العرب قبل الاسلام الحنيف عانوا الكثير من الاستعمار الفارسي والرومي والحبشي ، فلم يكن لهم دولة قوية تحميهم وترعاهم ولا حضارة مشرقة تنير أرضهم وسماءهم ، واصطلوا بنار التناحر والتخاصم والتمزق ، وعاشوا في جحيم الثأر والانتقام والتعصب القبلي ، وضلوا الطريق وتاهوا في ظلمات الجهل المطبق والأمية العمياء والضلالة العشواء . وتفرقت بهم السبل في التدين والعبادة ، فقد عبد معظمهم الأصنام الحجرية والبشرية ، كما عبد بعضهم بعض الحيوان والكواكب والنجوم والشجر ومنهم من سار في طريق الكفر والالحاد وانكار وجود الحياة الآخرة ويوم الحساب كما قال الله تعالى : **(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)** سورة الجاثية / ٢٤

كما ذاقوا وبال العادات السيئة والتقاليد الباطلة ومرارة الظلم والباطل والجشع والاستغلال والاستعباد والاستبداد وساد حياتهم النظام القبلي الذي يقوم على تعصب الفرد الاعمى لقبيلته في الحق والباطل وفي الصواب والخطأ وشعاره : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » . ويمتشق حسام الثأر والانتقام ليسترد حقه المسلوب وينتصف .



للدكتور / فؤاد محمد محمود العارضة

أما المرأة التي هي نصف المجتمع ويد الحياة اليسرى ، فقد كانت مسلوبة الكرامة والحرية وضيعة المكانة الاجتماعية مهدومة الشخصية .

واذا التفتنا الى اللغة العربية وجدناها لغة بداوة وجلافة ، تتقاسمها لهجات قبلية متعددة مختلفة ، يصعب التآلف والانسجام بينها ، كما كانت في العصر الجاهلي قاصرة على ان تنطق بلسان العلم والحضارة .

ولم يعرف العرب قبل الاسلام قانونا يضبط أمورهم ولا نظاما ينظم حياتهم ، ولم يعرفوا كذلك شريعة عادلة تحق الحق وتنصب ميزان العدل ، بل سادهم قانون الغاب الذي عماده « الحق للقوة » وانقلبت المعايير والمقاييس وانعكست الآية واعوجت الأمور فالصدارة والرئاسة لأرباب المال والجاه والقوة ، والمجد والشرف لأصحاب الحسب والنسب ، والأقوياء والأغنياء فوق القانون والحساب .

وفي ظل الاسلام الحنيف تغيرت حياة العرب من جميع جوانبها ونواحيها ، وتبدلت أوضاعهم وأحوالهم كلها ، فانتقلوا من جحيم العداوة والبغضاء وذل التفرق والانقسام الى نعيم المحبة والاخاء وعز التراحم والتعاون والاتحاد ، وتخلصوا من نير الحكم الأجنبي ، وخرجوا من ظلمات الاحتلال والاستعمار الى نور الحرية والاستقلال .

وتوحدوا في الدين والعقيدة وخرجوا من متاهات الكفر والشرك والضلال الى طريق الايمان والتوحيد والهدى ، فذاقوا حلاوة الحق والعدل ، وجنوا الثمار الطيبة من بستان العلم والايمان ومكارم الاخلاق .

وبدلهم الاسلام الحنيف بعادة الثأر والانتقام ونزعة التعصب القبلي الأعمى وحياة الفوضى والتسيب ، الولاء للدولة والارتباط بالأخوة العربية الاسلامية والخضوع لحياة القانون والنظام والانضباط ، وأحل قرابة الخلق والدين محل رابطة الدم والطين وتفيئوا بظلال الحرية والاخاء والمساواة ومبدأ تكافؤ الفرص .

ورفعت المرأة رأسها ، وبرزت شخصيتها الحرة المستقلة ، ونالت حقها في الحياة الحرة الكريمة ، ومنحت فرصة الوقوف الى جانب الرجل ، وصارت تشاركه لقمة العيش وتقاسمه حلو الحياة ومرها .

وامتدت يد التطور والازدهار الى اللغة العربية ، فتوحدت لهجاتها ، واتسعت آفاقها ، ونمت ألفاظها ، ومعانيها ، ورقت حواشيها ، وخلعت ثوب البداوة والجلافة ، وارتدت ثوب العلم والحضارة والمدنية ، وصارت لغة عالمية كاللغة الانجليزية اليوم ، وانتشرت في ارجاء العالم بانتشار الاسلام الحنيف ، فهي لسان الاسلام الناطق وترجمانه الشارح المفسر ووعاؤه اللغوي النظيف الشفاف .

وظهرت شريعة الله الرحيمة العادلة وسنته السمحة الغراء ، وسادت معايير السماء الصحيحة ومقاييسها السليمة ، فتولى مقاليد الأمور اهل العلم والايمان والتقوى والأمانة والصلاح عملا بقوله تعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩ وبقوله جل شأنه :(**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة / ١١ وصار أفضلهم وأكرمهم عند الله ورسوله أتقاهم وأشدهم طاعة لله ورسوله قولا وعملا ، وأحسنهم أخلاقا لا أكثرهم مالا ولا أعظمهم قوة ولا أعلاهم نسبا كما قال الله تبارك وتعالى : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات / ١٣

وقال رسول الله محمد عليه افضل الصلاة والسلام : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه البخاري ومسلم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم : احب عباد الله الى الله أحسنهم خلقا » رواه الطبراني .

وفي ظل الاسلام الحنيف اتسعت دنيا العرب وقامت للعرب دولة عربية اسلامية عظمى ، امتدت الى جنوب فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا ، وطلع في آفاقها وسمواتها شمس حضارة عربية اسلامية ، أضاءت أنوارها أرجاء العالم القديم كله ، وكانت حضارة العصور الوسطى السائدة المستعلية بلا منازع وشمسها الساطعة المشرقة .

وقد انصهر في بوتقة العروبة والاسلام بلاد وشعوب لم تكن قبل الفتوحات

العربية الاسلامية عربية وصارت عربية الوجه واليد واللسان والفكر والثقافة والتاريخ واسلامية الدين والمذهب ، وهناك بلدان اخرى دخلت في دين الله - الاسلام الحنيف - افواجا واتخذته لها دينا وشريعة ودستورا ومنهاجا .

والدارس الناظر في تاريخ العروبة والاسلام يعرف أن العرب هم أول من كلفهم الله تبارك وتعالى باعتناق الاسلام وحمله الى الناس كافة ونشر أنواره في أنحاء الدنيا وآفاقها بحكم كون نبيّ الاسلام عربيا والقرآن عربي اللغة واللغة العربية وعاء الفكر الاسلامي فقد قال الله سبحانه وتعالى : (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**)التوبة / ١٢٨

ويعرف كذلك أنهم قاموا بالعبء الأكبر والدور الأول في نشر الاسلام والفتوحات الاسلامية وبناء الدولة العربية الاسلامية وبناء منار الحضارة العربية الاسلامية فرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وابو بكر الصديق وعثمان ابن عفان وسائر الخلفاء العظام من أمويين وعباسيين والقادة العسكريين العباقرة من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص وعقبة بن نافع وموسى بن نصير ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم الباهلي وسواهم رضي الله عنهم أجمعين من العرب الغر الميامين ، كما برز منهم فلاسفة وأدباء وشعراء وعلماء عباقرة من أمثال الكندي والجاحظ والمتنبي وأبي العلاء وأبي تمام والبحتري وابن خلدون وابن رشد وغيرهم ، وبقيت الدولة العربية الاسلامية قوية مزدهرة والحضارة الاسلامية مشرقة ساطعة ما بقي العرب المسلمون يتولون أمرها ويقودون سفينتها ويرعونها ويحرسونها ويحمونها .

ولما أبعد العرب عن مركز القيادة والصدارة وتولى أمرها وقيادة سفينتها مسلمون غير عرب ضعفت الدولة وانحلت وانقسمت الى دويلات وشعوب وأوطان ونبت في أرض العروبة والاسلام أعشاب ضارة وغشي شمس الاسلام سحب بدع وشيع ومذاهب باطلة وقد نشر ذلك الدخن والسحب في أجواء الاسلام النقية وآفاقه الصافية عناصر اسلامية غير عربية ، اذ لم يفهم الاسلام الصحيح على حقيقته ولم يحافظ على نقائه وصفائه عبر العصور الا العرب والمسلمون الذين تعربوا لغة وثقافة ودينا ، لأن العرب أدرى الناس بالاسلام وأعلمهم به وأفهمهم له لأن القرآن الكريم عربي اللسان واللغة . لذلك كان العرب ومازالوا هم المعنيين قبل غيرهم والمسئولين أولا وأخيرا عن حمل الاسلام ونشر أنواره في آفاق العالم وابراز حقائقه الخالدة وسيبقى العرب خير من يترجم الاسلام الى الذين لا يعرفون لغته وستبقى شمس الاسلام ساطعة مشرقة في سماء العرب في حين يغشاها ضباب ودخان في سموات غيرهم .

وهكذا صار للعرب بفضل الاسلام الحنيف وفي ظله دولة عظمى وحضارة عالمية وتاريخ انساني مجيد مشرق ، وصاروا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، كما أن الاسلام عز وساد في أرجاء العالم وطرق مسامع الدهر ، وسطع في آفاق الدنيا بفضل جهاد العرب بالمال والنفس والقلم والسيف ، وظل العرب أقوياء أعزاء ما بقوا متمسكين بالاسلام الحنيف ، كما أن الاسلام ظل مشرقا منيرا ما بقي العرب يتولون قيادة سفينته .

ولما ابتعد العرب عن الاسلام الحنيف بمكارم أخلاقه وفضائله السامية ضعفوا وافتقدوا حريتهم واستقلالهم ودولتهم وغزاهم اعداؤهم في عقر دارهم وقلب بلادهم واستعمروهم واستذلوهم واقتطعوا أجزاء غالية من ديارهم وبلادهم ، كما أن الاسلام الحنيف انكسف شمسه وقمره وغشيته السحب والضباب وانتكس وتقلصت أرضه وجزر بحره وفي ذلك قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه » السيرة النبوية لابن هشام ص ٢٥١ ط بيروت ج ٤

وكان العرب كلما اشتد عليهم الداء والألم ، وأطبق عليهم ظلام الجهل والتخلف وكابوس الاستعمار والاحتلال الأجنبي ، تحسسوا وتلمسوا طريق الاسلام الحنيف فوجدوا فيه العلاج الشافي من داء الضعف والهوان والانحلال والتمزق ، والنور الذي يبدد لهم ظلمات الجهل والضلال ويهديهم الصراط المستقيم فتتصافى نفوسهم وتتآلف قلوبهم وتتصافح أيديهم وتتلاقى أرواحهم وأبدانهم ويسيرون يدا واحدة وقلبا واحدا وصفا واحدا كالبنيان المرصوص لمقاتلة العدو الغازي المعتدي ونور العلم والايمان يسعى بين ايديهم يحدوهم الى ذلك قوله تعالى : **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾** الصف / ٤

فيدحرون العدوان ويخلصون ديارهم المغتصبة ويستعيدون حريتهم واستقلالهم ويرفعون رأسهم عاليا ويحلقون في السماء .

وهكذا حفظ الاسلام للعرب شخصيتهم العربية الاسلامية ولغتهم العربية البليغة ، ولسانهم العربي المبين وتراثهم الفكري والعلمي والأدبي اذ لولاه لفقدوا ذلك كله وبادوا كما بادت امم وشعوب من قبلهم إبان عصور الطغيان والطوفان .

ويدل على ذلك تخلصهم من طغيان الصليبيين والمغول والاستعمار الغربي المعاصر ، ولن يقدر لهم أن يسحقوا الغزو الصهيوني الذي يجثم على صدورهم ويلتف حول أعناقهم في القدس وفلسطين مالم يعتصموا بحبل الله جميعا ويتسلحوا بسلاح العقيدة الاسلامية والعلم الحديث .

يفهم مما تقدم أن الاسلام الحنيف كان ومازال شمس العرب التي بعثت فيهم الدفء والحرارة والحياة ، وقمرهم الذي يضيء ليلهم ويهديهم سواء السبيل ونورهم الذي يسعى بين ايديهم وخلفهم . وهو ينبوع عزتهم وكرامتهم وقوتهم وجامع أرواحهم وقلوبهم وعقولهم وأبدانهم وأيديهم . ففي ظله وتحت شمسه

ذاقوا طعم الحياة الحرة الكريمة وقام لهم دولة عربية اسلامية عظمى وعلا منار حضارة عربية اسلامية كانت كوكب الهدى في العصور الوسطى ومزانوارها قبست أوروبا من بذورها نبتت الحضارة الأوروبية المعاصرة .

وببركة الاسلام الحنيف وفضله العميم صاروا خير أمة أخرجت للناس وذلك يعني أنه لاعز للعرب الا بالاسلام ولا ازدهار للاسلام الا بالعرب لأنه عربي اللسان واللغة ، ومن لا يعرف اللغة العربية لا يفهم الاسلام الصحيح . والعروبة بلا الاسلام لفظ بلا معنى والعرب بدونه جثة هامدة وأحياء أموات فكلاهما مكمل للآخر ومتمم له ويحتاج الى الآخر كما يحتاج اللفظ الى المعنى والمعنى الى اللفظ والشكل الى المضمون والمضمون الى الشكل ولا تناقض ولا تباين بين العروبة والاسلام ، فالعروبة تعني الهوية القومية والبطاقة الشخصية للأمة العربية كما يعني اسم الأب والجد والعائلة للفرد ، والله سبحانه وتعالى خلق البشر وقسمهم الى قبائل وشعوب وأمم ودول كما قال جل شأنه : (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم**) . الحجرات ١٣

ولكن وجه الخطأ والعيب في الظواهر القومية والتعصب القومي والتمييز العنصري وخير ما يهدم هذه الحواجز والسدود النفسية والعرقية الأخوة الانسانية ولا أخوة انسانية الا في ظلال العلم والايمان والاسلام .

ويتألف النسيج القومي لأي أمة ودولة من لغة قومية واحدة وجنسية واحدة وتاريخ واحد ووطن واحد وأرضية مشتركة وثقافة واحدة ومصلحة عامة مشتركة وتماثل في العادات والتقاليد .

أما الاسلام الحنيف فانه شريعة ربانية ونظام سماوي وقانون الهي ودستور حياة وأخلاق وآداب وفضائل ، وكل امة تحتاج في حياتها ومسيرتها ونهضتها الى ذلك لتنهض وتتقدم وتعيش حياة حرة كريمة ، يظلها الوئام والسلام والتعاون والاتحاد والعدل والرخاء .

لذلك تحتاج الأمة العربية في حياتها الى العروبة ، لتبرز هويتها القومية وينطق لسانها ، وتحتاج الى الاسلام الحنيف لتستضيء بنوره وتسير على هديه وسنته ، وتأخذ بشريعته ونظامه وتتخذه منهجا ودستورا لها وتتشرب أخلاقه السامية وآدابه العالية وفضائله المثمرة وتستمد منه الحيوية والنشاط والتجدد وروح الخلود والبقاء وتذوق طعم العدل والحق والحياة الحرة الكريمة ، وتبقى وحدة حية قوية غلابة ، هذا . والاسلام لم يلغ القومية العربية عندما نزل من السماء ، انما هذبها ونظمها ونقاها من التعصب القومي الأعمى ، كذلك لم يهدم القوميات الأخرى ، ولكنه نفي عنها التعصب العرقي والتمييز العنصري ، وآخى بين ابنائها وساوى بينهم وجمعهم تحت سقف الأخوة الانسانية واخوة الدين والايمان .

وهكذا يمكن للمرء ان يكون عربيا ومسلما أو تركيا ومسلما أو فرنسيا ومسلما وهلم جرا .. فتجمع الناس أخوة الدين والايمان والانسانية .

أما الأقليات الدينية الأخرى فيمكن لها أن تتعايش سلميا مع الأكثرية المسلمة في المجتمع الاسلامي ، اذ تربطها بها روابط اخرى عديدة لغة العروبة وثقافتها وقوميتها ووطنيتها وتراثها وتاريخها .

ومن ينظر في تاريخ العرب قديمه وحديثه ، يتبين له أن العرب ما صلحت أحوالهم ولا استقامت أمورهم ولا اتحدوا ولا تقدموا ولا عزوا ولا سادوا الا في ظل الاسلام الحنيف : فعلة العلل ومشكلة المشاكل عندهم الأثرة والأنانية والنزعة الفردية الانفصالية ، ووضع المصلحة الخاصة فوق المصلحة العامة وحب الزعامات والكراسي . وقد تولد عن ذلك نزعات طائفية واتجاهات اقليمية وحدود سياسية كرتونية بين أقطار الوطن العربي الكبير تحول دون تعاونهم واتحادهم وتفرقهم الى دويلات وشعوب وأوطان ولا دواء لهذا المرض الأخلاقي ولا شفاء منه الا بالاسلام الحنيف كما يقول الله تبارك وتعالى : **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)** الاسراء / ٨٢ .

فالاسلام الحنيف يخنق في النفس العربية صوت الأثرة والأنانية والمصلحة الفردية ، ويطلق صوت التضحية والايثار والمصلحة العامة ، ويهدم ما يمزق الأمة العربية ويفصل بين شعوبها من حواجز نفسية وعقلية ونزعات اقليمية وحدود سياسية صناعية ، ويؤلف بين قلوبهم ويجعلهم اخوة في أسرة واحدة كما يقول الله تبارك وتعالى :**(انما المؤمنون اخوة)** الحجرات / ١٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه » متفق عليه وقال ايضا : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم ويوحدهم فكريا وروحيا وعقائديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا ، ويصلح نفوسهم ويطهر عقولهم وقلوبهم ، ويشربهم مكارم الأخلاق ورفيع الآداب والفضائل ، وصلاح أمر المرء أساسه ازدهار أخلاقه وآدابه ، والرقي العلمي الحضاري يبنى على الرقي الأدبي الأخلاقي ، وذلك ما بينه أحمد شوقي اذ قال :

صلاح امرك للأخلاق مرجعه ... فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقال ايضا :

وليس بعامر بنيان قوم ... اذا أخلاقهم كانت خرابا

وهنا تتجلى لنا الحكمة في قوله صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » رواه البخاري والحاكم والبيهقي

وفحوى هذا الموضوع أنه لا وحدة للعرب وسائر المسلمين ولا عزة ولا قوة ولا علم أو حضارة لهم الا في ظلال الاسلام الحنيف . لذلك كانت العروبة بلا الاسلام شكلا بلا مضمون وجسما بلا روح ، تعني التمزق والانقسام والجهل والضلال والتخلف الحضاري والضعف والهوان وحياة التبعية والعبودية والاستبداد واضمحلال الحق والعدل والمساواة ، كما يشهد بذلك واقع العرب في الماضي والحاضر .



للدكتور : عزت ابو الفتوح حموده

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه افضل الصلوات واتم التسليم يقول الحق تبارك وتعالى : : (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل / ٦٨ و٦٩ .

وحينما نتعرف على التركيب الكيمائي للعسل . نجد أنه يتكون من :

١ ـ سكريات بسيطة :

وهي عبارة عن الجلوكوز والفركتوز ولذلك فهو سهل الهضم .

٢ ـ مجموعة كبيرة من الخمائر « الانزيمات »

وهي تسهم بدور كبير في عمليات الهضم مثل :

أنزيم بيروكسيديز والذي يساعد على إتمام حدوث عملية الاكسدة .

انزيم دياستيز والذي يعمل على تحويل النشادر والدكسترين الى سكر .

انزيم الانفرتيز والذي يعمل على تحويل سكر القصب الى سكر عنب وسكر فاكهة .

انزيم كاتاليز والذي يعمل على تحطيم الاكاسيد العالية .

٣ ـ الاملاح المعدنية :

ويحتوي العسل على مجموعة ممتازة من الاملاح المعدنية الهامة للجسم ، والتي لا غنى عنها مثل الكاليسيوم ، الصوديوم ، البوتاسيوم ، المغنسيوم ، الحديد ، الكلور ، الفسفور ، الكبريت ، اليود ، وتقريبا فان نسبة بعض الاملاح الهامة الموجودة بالعسل تعادل نسبتها في مصل الدم البشري ..

٤ ـ الاحماض العضوية :

يحتوي العسل على بعض الاحماض العضوية الهامة مثل حمض الاوكساليك و حمض الترتريك .

٥ ـ الفيتامينات :

يحتوي العسل على كميات مرضية من الفيتامينات اللازمة للجسم مثل :

- فيتامين « ب ٢ » وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي للكربوهيدرات والدهون والزلاليات وفي امتصاص السكر من الامعاء ، كذلك يعتقد بعض العلماء أنه يزيد المقاومة للميكروبات العنقودية والسبعية . ولوحظ أن نقص هذا الفيتامين يؤدي الى حدوث قرح بالمصران الغليظ ويزيد من تهيج الجهاز العصبي وحدوث بثور في الجلد .
- فيتامين ب ٣ وهو يعتبر عاملا مهما ضد التهابات الجلد ويسهم في عملية التمثيل الغذائي للكربوهيدرات .
- فيتامين ب ٦ وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي الخاص بالبروتينات ويمنح الجلد مناعة ضد الأمراض .
- فيتامين هـ وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي الخاص بالدهون ويمنع انتشار الاكزيما والقوباء والدمامل .
- فيتامين C وهو يزيد من مناعة الجسم ضد العدوى ويسهم في عمليات التأكسد والاختزال والتكوين العادي للدم .
- فيتامين K وهو يمنع حدوث نزيف داخلي بالاوعية الدموية .
- حمض الفوليك وهو يسهم في المحافظة على الحجم العادي للكرات الدموية الحمراء . وكمية الهيموجلوبين في الدم ويستعمل هذا الفيتامين بنجاح في علاج الانيميا الخبيثة « فقر الدم » .

ومع ان هذه الفيتامينات السابق ذكرها موجودة في العسل بكميات صغيرة ولكنها ذات اهمية كبيرة لانها تأتي متحدة مع مواد اخرى مثل الكربوهيدرات والاملاح المعدنية والاحماض العضوية . هذا ولقد اثبت العلم الحديث عن طريق استخدام احدث انواع التحاليل الكيمائية لشراب عسل النحل « العصير » انه يتكون أساسا من :

(أ) لبن النحل :

وهذه المادة تكون الجزء الاكبر

من مكونات شراب النحل وقد وجد عند تجريبها على الانسان انها كافية لشفائه من معظم الأمراض التي يصعب علاجها بالأدوية الأخرى .

(ب) غذاء الملكة « الفالوذج الملكي » :

وهو عبارة عن مركب كيمائي يحتوي على مجموعة كبيرة من هرمونات الجنس والاعصاب وقد وجد ان هذا الفالوذج الملكي الذي تفرزه الشغالة يحتوي على كميات عظيمة من البروتينات ، الدهون ،

السكريات ، الاملاح المعدنية ،

مجموعة من فيتامينات « أ ، هـ ، ب مركب » وعلاوة على ذلك فهو يحتوي على مواد لها خواص الهرمون الانثوي مما يساعد على نضج البويضات في اعضاء الملكة التناسلية . كما يحتوي على مادة « الجير ميسيدين » وهي مادة من المضادات الحيوية التي تعوق نمو الميكروبات والعفن .

(جـ) سم النحل

وهو عبارة عن المادة السامة التي تقذفها النحلة عن طريق الزبان في جسم الانسان عند لدغه ولقد اثبت العلم الحديث ان لسم النحل دورا كبيرا في علاج الحمى الروماتيزمية والتهاب الأعصاب ،

هذا وبعد توضيح التركيب الكيمائي للعسل يجدر بنا الاشارة الى فوائد العسل الشفائية .

أولا : دور العسل في علاج الجروح :

نظرا لأن العسل له خاصية امتصاص الماء لهذا فهو يعطي نتائج ممتازة في علاج الجروح المتقيحة والسطوح الملتهبة .

ولقد كتب بلينى العالم الروماني الشهير فقال : « إن دهن السمك اذا مزج بالعسل كان علاجا ممتازا للقروح والخراريج .
وكان العلامة العربي ابن سينا ينصح باستعماله في الجروح السطحية في صورة لبخة مصنوعة بخلط العسل بالدقيق بدون ماء .
ولقد فسر الدكتور كرينيسكي تأثير العسل الشافي للجروح ، فقال : « إن العسل إذا عولج به الجرح فإنه يزيد كمية الجلوتاثيون الموجود في افراز الجرح . والجلوتاثيون يلعب دورا في منتهى الأهمية في عمليات التأكسد والاختزال في الجسم وهو أيضا ينشط نمو الخلايا وانقسامها وبهذه الطريقة يسرع شفاء الجروح .

ثانيا : دور العسل في علاج أمراض الرئة :

لقد كتب أبو قراط قديما فقال :

« ان شربة العسل تزيل البلغم وتوقف السعال » وقال ابن سينا إن مزيجا من العسل وبتلات الورد كاف لعلاج السل الرئوي في أطواره الأولى » . وظل الطب الشعبي قرونا طويلة يستعمل العسل لعلاج السل الرئوي إما مخلوطا باللبن أو الدهن الحيواني . والذي أثبته العلم الحديث حتى الآن ان العسل يسهم في شفاء أمراض الرئة حيث انه يزيد من مقاومة الجسم بصفة عامة وبذلك يمكن التحكم في العدوى ..

ثالثا : دور العسل في علاج أمراض القلب :

نظرا لأن نسيج القلب العضلي يعمل باستمرار فيجب ان يحصل دائما على ما يحتاجه من الجلوكوز لكي يعوض ما يفقده من طاقة .

وكان قديما يعتبر العلامة العربي ابن سينا العسل علاجا ممتازا لأمراض القلب ونظرا لأن العسل يتكون أساسا من الجلوكوز والفركتوز لهذا فإن تأثيره على عضلات القلب يصبح واضحا . وعلى ذلك فينصح أن يتناول مرضى القلب العسل في طعامهم يوميا .

رابعا : دور العسل في علاج أمراض المعدة والأمعاء :

وجد أن العسل مركب كامن القلوية لذلك فهو يستخدم في علاج حموضة المعدة، وعلى أساس المراقبة الاكلينيكية استقر رأي كثير من المؤلفين على أن الغذاء المكون من العسل فقط أو ممزوجا مع بعض الأطعمة الأساسية يقلل من الحموضة لدى المرضى الذين يشكون من الحموضة العالية في المعدة وينصح في علاج قرح المعدة والاثنى عشر بتناول العسل في صورة كوب ماء دافيء قبل الافطار بساعتين او بعد العشاء بثلاث ساعات ، ولقد اعلن مجموعة من الدكاترة السوفييت أن عسل النحل كاف لعلاج حموضة المعدة ، النزيف المعدي ، الامساك ، القيء ، وقرح المعدة والاثنى عشر بنجاح .

خامسا : دور العسل في علاج أمراض الكبد

يستعمل العسل بنجاح في علاج أمراض الكبد ، ويرجع ذلك الى طبيعة تركيبه الكيمائي والبيولوجي . ولقد ثبت أنه بالاضافة الى كونه طعاما لخلايا الجسم وأنسجته فإن الجلوكوز يزيد من مخزون الكبد من السكر الحيواني وينشط عملية التمثيل الغذائي في الانسجة .

ونظرا لأن الكبد يقوم بعمل المرشح فيكون ترياقا لسم البكتريا ومن المعروف أن الجلوكوز

يزيد من أثرها في هذه الناحية ، وبذلك تزيد مقاومة الجسم للعدوى . وهذا هو السبب في استعمال الجلوكوز ، وهو أهم مكونات العسل على نطاق واسع في الطب الاكلينيكي للحقن في الوريد .

سادسا : دور العسل في علاج أمراض الجهاز العصبي :

كان الاغريق والرومان قديما يعتبرون العسل مسكنا وباعثا على النوم العميق .
وكان العلامة العربي ابن سينا ينصح بتناول جرعات قليلة من العسل في حالات الأرق .
ولقد قرر العلم الحديث أن عسل النحل ناجح في علاج الاضطرابات العصبية وأن كوب ماء مذاب فيها العسل ، اذا اخذت قبل النوم سببت النوم الهادىء .
وقد دلت الملاحظات الاكلينيكية على إمكان الحصول على نتائج سريعة إذا عولج الجهاز العصبي بمحلول ٤٠ ٪ من الجلوكوز حيث يبدأ المريض في التحسن ، ويقبل على تناول الطعام ويختفي الصداع ويقوي البصر وتتحسن حالته الصحية بصفة عامة .

سابعا : دور العسل كدهان طبي لعلاج الأمراض الجلدية :

يعتبر عسل النحل من أهم المواد التي تحافظ على صحة الجلد وجماله وهو بدوره يحمي كل الجسم من المؤثرات الخارجية الضارة .

ثامنا : دور العسل في علاج أمراض العيون :

في مصر قديما كان العسل يعتبر واحدا من أنجح الأدوية لعلاج أمراض العيون المختلفة . وبناء على ما قاله الاستاذ الدكتور ي . فيشر : رئيس قسم طب العيون بمستشفى اوديسا الاقليم حيث استعمل مراهم العسل نطاق واسع للاصابات المختل التي تضر بالقرنية .
وقد استعمل العسل أولا في مرهم ٣٪ سلفيدين بدل البرافين السائل وبسرعة أمكن ملاحظة أن العسل وحده دواء ناجح وكمنشط لالتئام الجروح ، فإن مرهم السلفيدين بالعسل أعطى نتائج ممتازة في علاج القرح بطيئة الالتئام الموجودة بالقرنية .
وفي نهاية مقالي هذا فإنني أقول إن في النحل ومنتجاته كثيرا من العبر والعظات لأصحاب العقول الناضجة. هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على عظمة الخالق في خلقه . وصدق الله إذ يقول : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**) فصلت / ٥٣ .

التضادُّ في شِعرِ الشافعي

للأستاذ/حكمت صالح

من ألوان البديع شاع ما يعرف بـ « الطباق » ، ويكون إما ايجابا أو سلبا ، فالايجاب يقصد به الجمع بين لفظتين متضادتين في المعنى ، مثل : الحي والميت ، أو النهار والليل ... الخ . وأما الطباق السلب فيقصد به الجمع بين اللفظ ومنفيه ، فان اجتمع أكثر من ضد وضد سمي الطباق .. « مقابلة » ، فالطباق اذن هو مقابلان بين المعاني .

والبديع ظاهرة فنية اهتدى اليها الشعراء منذ القديم بقريحتهم وحدسهم ، ثم ان الشعر يتطلب بطبعه مثل هذه « الرتوش » الفنية ، وفي ذلك يقول الدكتور (محمد مندور) :

« فاما ان البديع شيء قديم اهتدى اليه الشعراء بقريحتهم وبحكم طبيعة الشعر ذاته فأمر يحتاج الى تفصيل ، وذلك لأن الشعر ـ الى حد كبير ـ صياغة ، وفي طرق هذه الصياغة تتركز عادة أصالة الشاعر : إذ بفضلها يقيم علاقات بين الاشياء ، وكلما ازدادت كمية تلك العلاقات ودقتها وجدتها وقوة ايحائها ازداد شعره جودة » .

ثمة ما يقابل « الترادف » في اللغة وهو ما اصطلح عليه القدماء « الأضداد » أو « التضاد » في اللغة ... ويقصدون به إطلاق اللفظ على المعنى وضده . مثل « الجون » الذي الذي يقصد به الابيض ، والاسود . وهذا التضاد نوع من أنواع الاشتراك اللفظي ، وللغويين فيه اختلاف ، فـ « ابن درستويه» جحده في كتاب لم يصلنا وهو بعنوان « أبطال الأضداد » ، غير أن فريقاً آخر أقروا كثرة وروده ، منهم « ابن سيده » و « الثعالبي » و « السيوطي » وغيرهم ، وكثيرة هي المؤلفات التي أدرجت تحت عنوان « الأضداد » لـ « قطرب » و « الأنباري » وغيرهما ،

ورغم كون هذا التضاد وسيلة من وسائل التنويع في اللفظ والاسلوب ، ورغم ما أضفى على العربية من مران وطواعية في التنقل بين ما هو سلبي وما هو ايجابي ، أو العكس والنظير ـ رغم كل ذلك فاننا ـ في دراستنا هذه ـ سوف لا نقف عند هذا النوع من التضاد ، لأنه لا يشكل مؤشرا يميز شعر « الشافعي » . من ذلك قوله :

رأيتك تكويني بمبسم منة — كأنك كنت الأصل في يوم تكويني
فدعني من المن الوخيم ، فلقمة — من العيش تكفيني الى يوم تكفيني

« هذه الأرقام الأولى مثل ١٧٧ تشير الى تحقيق زهدي يكن والثانية مثل ٨٧ تشير الى تحقيق محمد عفيف الزعبي »

وسنتناول في هذا الفصل شكلين من أشكال « التضاد » ، الأول ونقصد به الطباق والمقابلة ، وهو موضوع كثر فيه الحديث في كتب البلاغة وخاصة في كتابي « البديع » لـ « ابن المعتز » ـ ت ٦٢٦ هـ ـ و « نقد الشعر » لـ « قدامة بن جعفر » ـ ت ٣٣٧ هـ ـ . وأما الشكل الثاني فنقصد به التضاد « المنطقي » ، وهو أن يعمد الشاعر في البيت الواحد الى أستثارة معنيين متناقضين ، بغية الوصول الى حقيقة عقلية أو تقرير ذهني من خلال التمثيل الحسي المتناقض للتركيب اللغوي في شطريه ، وهذا ما سنفصل الحديث فيه فيما بعد .

فأما ما يتعلق بالشكل الأول من تضاد في ديوان (الشافعي) ، فان الشواهد ليست باليسيرة ، بل انها تكاد تزاحم أبيات الديوان . وقد قيل إن « بشار بن برد » و « مسلم بن الوليد » و « أبا نواس » ومن سلك سبيلهم كانوا قد سبقوا إلى هذا الفن الذي سماه المحدثون بـ « البديع » الأمر الذي دفع بـ « ابن المعتز » الى تفنيد هذا الزعم ، فأكثر في كتابه من الشواهد القرآنية واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وأشعار المتقدمين ، وقد أشار الى ذلك في مقدمة كتابه .

ونريد هنا ان نضيف « الشافعي » الى قائمة اسماء الشعراء الذين اتخذوا من البديع صنعة ، يبذلون فيها جهدا واضحا ، سواء في اختيار الالفاظ او زخرفتها ، وما يتطلب ذلك من قوة البناء اللغوي والنحت الحرفي . ولم يكن هذا الزخرف اللفظي في شعره الغاية الاساسية ، كما هو عليه الحال من امر معاصره « مسلم ابن الوليد » ـ الذي ولد بالكوفة سنة ١٤٠ للهجرة ـ والذي صبغ نسيجه بالالوان والظلال والاطياف ... كما ان « الشافعي » ـ من جهة اخرى ـ لم ينحدر الى اللغة اليومية التي انتهجها « ابو العتاهية » ـ الذي ولد بضواحي الكوفة سنة ١٣٠ للهجرة ـ بخفة اوزانها ورقة الفاظها ورشاقة قوافيها ، او ما يعرف بالسهل الممتنع ... هكذا كان شعر « الشافعي » يمثل مرحلة بين « مسلم » و « ابي العتاهية » .

والطباق قليلا ما يأتي في شعر « الشافعي » في لفظتين مثل « يزيد وينقص» في قوله :

« وان عرى الايمان : قول مبين — وفعل زكي قد يزيد وينقص »
(ديوانه ١١٣/٥٤)

« ولقد كان « للشافعي » رأي في حقيقة الايمان أثر عنه ، فقد كان يقول : الايمان تصديق وعمل ، وكان يحتج لذلك ، ويدعو اليه ، واذا كان الايمان تصديقا وعملا فهو يزيد وينقص بزيادة العمل ونقصه » ..

واحتج لذلك بقوله تعالى : (**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا**) التوبة/ ١٢٤

وبقوله تعالى : (**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**) الكهف/ ١٣

ومثل « يزيد وينقص » قوله : « واقفا وقاعدا » (ديوانه ١١/ ٢٣) ، و « البسط والقبض » (١١٥/ ٥٥) ، و « المودة والجفا » (١٢٥/ ١٠) .

« ومن اسباب قوة الطباق البديعي ... لان المقابلة نوع من التحدي بين المعاني ، والمنافسة في الظهور وهذه قوة للمعاني » .

ومن مقابلات (الشافعي) قوله :

« ولرب نازلـة يضيق لها الفتى ذرعا ، وعند الله منها المخرج »
« ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فـرجت وكنت اظنها لا تفـرج »
(ديوانه ٦٦/ ٣٢)

والمقابلات كثيرة في الديوان قد تخرج الى تشبيه او استعارة فتأخذ شكل صورة بيانية كما في البيتين السابقين وتترى المقابلات من تعاشق الطباق او تجاوره ولا يخفى تقصد الصنعة اللفظية فيها متمثلا بالجهد الذهني المبذول في اختيار الالفاظ والمفردات :

« لقد اطاعك من يرضيك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا »
(ديوانه ١٠٢/ ٤٠)

« ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا جاروا عليك وإن ارضيتهم ملوا »
(ديوانه ١٤٨/ ٧١)

« فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم »
(ديوانه ١٥٥/ ٧٥)

« وأظهر أسباب الغنى بين رفقتي ليخفـاهم حـالي وإني لمعـدم »
(ديوانه ١٥٧/ ٧٦)

« مـن جـاء إليـك فـرح اليـه ومـن جفـاك فصـد عنـه »
((ديوانه ١٧٢/ ٨٥)

« ولكننـي مـدره الأصـغـر يسن ، جلاب خير وفـراج شر »
(ديوانه ١٩٠/ ٤٩)

ومن خلال الشواهد المتقدمة نرى المقابلة تأخذ أسلوب الخبر تارة ، فيخرج الى المدح كما في البيت الأول ، والى الفخر كما في البيتين الرابع والسادس وتنتهج تارة أخرى أسلوب الاستفهام الانكاري كما في البيت الثاني او يطرحها الشاعر بشكل تقرير لا يخلو من الوعيظة كما في البيت الثالث . وقد تأخذ المقابلة شكل أمر يخرج الى النصح وهو كذلك يصطبغ بالوعظية كما في البيت الخامس .

وتعبير لغوي كهذا انما يعكس رصيدا لغويا وتمكنا من الصياغة والتصرف في التراكيب لكي تستوعب الفكرة وتنقلها الى المتلقى بأمانة ووضوح ويعود ذلك الى أعمال العقل والتفكير ؛ والا قد يأتي التعبير فيه من الابهام والغموض والتعمية ما يصرفه الى التعقيد الذي هو أقرب الى الركاكة منه الى السلاسة والعمق .

وشعر « الشافعي » هذا يتسم بالوضوح والسلاسة معا ، الأمر الذي كاد أن يخفي ملامح الجهد المبذول في الصياغة . وهو بذلك يختلف عن «أبي تمام » الذي سئل يوما : « لم تقول ملا يفهم ؟ » فأجاب على الفور : «ولم لا تفهم ما يقال لك ؟ » ونحن ـ في هذا المجال ـ لا نغمط «أبا تمام » حقه في طول باعه والتفرغ لفنه الرفيع .

والوضوح الذي اتسم به طباق «الشافعي » ومقابلته ، جعلت أبياته السابقة بعيدة عن المماحكات الكلامية .. والجدل العقلي .. والدقة في توليد المعاني .. والمفارقات الذهنية ، ولعل السبب في ذلك أن «البديع » لم يطرق كفن جمالي مستهدف لذاته في شعر «الشافعي» ـ كما هو عليه الحال لدى معاصره «مسلم بن الوليد » .

« ان غبت عنهم ؛ فشر الناس يشتمني — وان مرضت ؛ فخير الناس لم يعد
« وان رأوني بخير ساءهم فرحي — وان رأوني بشر سرهم نكدي »
(ديوانه ص ٣٧/٨٣)

« وما موت من قد مات قبلي بضائري — ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلدي »
(ديوانه ص ٣٧/٨٠)

« رام نفعا فضر من غير قصد — ومن البر ما يكون عقوقا »
(ديوانه ص ٦٧/١٤٠)

« ومن الدليل على القضاء وحكمه — بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق »
(ديوانه ص ٦٥/١٣٣)

« لكن من رزق الحجا حرم الغنى — ضدان مفترقان أي تفرق »
(ديوانه ص ٦٤/١٣٢)

« اذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من اجابته السكوت »
« فان كلمته فرجت عنه وان خليته كمدا يموت »
(ديوانه ص ٢٣/٣٧)

« إني رأيت وقوف الماء يفسده ان ساح طاب ، وان لم يجر لم يطب »
(ديوانه ص ٢٦/٤٨)

« ومن لم يذق مر التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته »
(ديوانه ص ٢٩/٦٠)

هذه المجموعة من المقابلات يميزها عن سابقتها أنها أكثر نضجا من الناحيتين الفكرية والفنية وهي – في أغلبها – تنم عن تجربة حياتية ومعاناة نفسية ؛ لذا جاءت أكثر تعقيدا ، وأقرب الى المنطق وصولا الى الاقناع بما يشبه البرهان «الرياضي » ، وهذا ما يميز أغلب شعر «الشافعي» .. كما وجدناه في صورته الشعرية ، وكما نجده في الاستدلال المنطقي وربما كان قد استمد هذه الخاصية من المؤثرات الدينية والفقهية ، ومن المذهب العلمي الذي كان يخضع له في انشائه علم «الأصول » ومن جهة أخرى فان الاقتراب من المنطق للوصول الى ما تشبه البرهان ساهم في شيوع الاكتفاء بالأبيات القليلة والمقطوعات القصيرة دون الاهتمام بالقصيدة ككيان له حيويته وبناؤه الفني ونموه ووحدته العضوية أو المعنوية فقد اكتفى بالبيت أو بالأبيات لكي تكون أقرب الى المثل أو الحكمة ومن ثم تكون موضع الاستشهاد أو البرهان .

وتستوقفنا مجموعة اخرى من المقابلات البديعية نستدرجها هنا ، كما تعكس من جوانب فنية ، وما تحتويه من حكم تسير مسار الامثال .

« إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك الا تأمن النارا »
(ديوانه ص ٤٢/٩٢)

« أنا إن عشت لست أُعدم قوتا وإذا مت لست أُعدم قبرا »
(ديوانه ص ٤٢/٩٣)

« كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي »
« وإذا ما زدت علما زادني علما بجهلي »
(ديوانه ص ٧٠/١٤٥)

« وأنطقت الدراهم بعد صمت　　أناسا بعد ما كانوا سكوتا »
« فما عطفوا على أحد بفضل　　ولو عرفوا لمكرمة ثبوتا »
(ديوانه ص ٣٠)

« تموت الاسد في الغابات جوعا　　ولحم الضأن تأكله الكلاب »
« وعبد قد ينام على حرير　　وذو نسب مفارشه التراب »
(ديوانه ص ٢٧/١٩)

« محن الزمان كثيرة لا تنقضى　　وسروره تأتيك كالاعياد »
« ملك الاكابر ، فاسترق رقابهم　　وتراه رقا في يد الاوغاد »
(ديوانه ص ٧٥/٣٥)

« وسالمتك الليالي ، فاغتررت بها　　وعند صفو الليالي يحدث الكدر »
(ديوانه ص ٩٦/٤٤)

إن ابيات « الشافعي » هذه والتي يتضمنها الفصل ـ إذا ما تكلمنا عنها بمصطلحات علم المنطق ـ تجدها غالبا ما يأخذ التضاد والمفارقات شكل « قضايا » لها وجود منطقي يتجلى في صورة او لوحة منطقية لا تكتفي بأن تحمل معنى وإنما تهدف الى مغزى ايضا .

كما أن اللجوء الى المجاز الشعري لا يشترط أن تكون القضية في أُصلها صادقة أو كاذبة !.. ومن خلال معايير الدلالة والمعنى والحكم يربط الشاعر بين الصورة الشعرية واللوحة المنطقية كيما ترتبط القضية بعالم الواقع ، ومن ثم تصف « موقفا ». ان الجانب اللفظي من التضاد يصور لنا مدى التقاء الوقائع الموجبة بالوقائع السالبة . ولا يسعنا المقام هنا أن نتشعب في التفسيرات المنطقية التي تخرج البحث عن طبيعته الادبية ، ونكتفي بهذه الاشارة السريعة الى جهاز العلاقات والقوانين التي تمثل البناء من حيث التركيبات النظرية لكل من المنطق والشعر .

مجموعة ثالثة نقف عندها من المقابلات التي تتعدى نطاق الطباق اللفظي لكي تحدد ملامح صورة شعرية :

« وعين الرضا عن كل عيب كليلة　　ولكن عين السخط تبدي المساويا »
(ديوانه ص ١٨٦/٩١)

« أُكل العقاب بقوة جيف الفلا　　وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف »
(ديوانه ١٢٩/٦١)

« فإن تجتنيها كنت سلما لأهلها   وإن تجتديها نازعتك كلابها »
(ديوانه ص ٣٤/ ٢٢)

« خبت نار نفسي باشتعال مفارقي   وأظلم ليلي إذ أضاء شهابها »
(ديوانه ص ٢٩/ ٢٠)

ونحن في جولتنا هذه مع المقابلة . نجد « الشافعي » لا يكتفي بالتضاد اللفظي ، وانما يعمد الى التضاد بالصورة الشعرية ، وذلك من خلال الكناية او الاستعارة او التشبيه الصوري . فالصورة في البيت الاول تستلهم المنظور البصري في تشخيص صورة تقريرية فيها من الجمال ما يشغل القارىء عن الالتفات الى الجهد الكامن وراء تحديد ملامح هذه الصورة وابرازها بهذا الشكل الفني .. وفي البيت الثاني يعتمد « توافر الاضداد »كما يسميه « ابو تمام » ويقصد به المقابلة ، ويتحول هذا التضاد الى ما يشبه الصراع بين الالفاظ المتقابلة ، تستمد ابعادها الذهنية من المخيلة لتسكب ظلالها في اطار من التقرير ، ليعبر عن مآسي الواقع الذي وقف عليه الشاعر .. وفي البيت الثالث تبرز الحركة واضحة من خلال التجاذب والمنازعة ، فقد استطاع الشاعر ان يستغل خياله في تبسيط التعقيد والتضاد . فهي صورة ماثلة امام مرأى مخيلة القارىء ، وكأنه يرقب عن كثب هذه الاطراف المتجاذبة ، وهكذا تتحول الالفاظ المتضادة الى صورة مرئية وتشخيص حي .. وفي البيت الاخير لا يكتفي بان يقيم التضاد بين صدر البيت وعجزه كما في الابيات الثلاثة السابقة ، وانما يعمد الى التكثيف والتعشيق بين ابعاد معالم الصورة في صدر البيت وبين معالم الثانية في العجز . والبيت الاخير يكشف لنا عن طاقة ابداعية ومقدرة فنية . نقرها « للشافعي » في بلوغه هذا المرتقى الصعب !

وبعد ان تكلمنا عن التضاد الذي هو طباق او مقابلة نعود الى القسم الثاني منه ونقصد به التضاد الذهني المنطقي والمفارقات، فرغم شيوع النوع الاول في ديوان الشافعي ، الا ان البديع هذا اصبح سمة لمدرسة شعرية تزاحم المنتسبون اليها فيما بعد . اما النوع الثاني من التضاد فينحصر في نطاق اقل اتساعا من الاول على صعيد الشعر في عصر الشاعر .

والتضاد المنطقي لصيق بأساليب علم الكلام الذي بدأ ينتشر بين كثير من الطوائف والفرق الاسلامية وخاصة بعد عصر الترجمة .

نعود الى المفارقات والتضاد المنطقي الذي اتسم بإعمال الفكر والتعمق في التصور ، وهو لا يخلو من التلاعب بالالفاظ ، ويعتمد المنطق ، ويطرح الدليل والبرهان وصولا الى الاقناع :

اذا ما كنت ذا قلب قنوع   فانت ومالك الدنيا سواء »
(ديوانه ص ٢٢/ ١٧)

« وأحسن الى الاحرار تملك رقابهم فخير تجارات الكرام اكتسابها »
(ديوانه ص ٣٢/ ٢١)

« ولا تمشين في منكب الارض فاخرا فعما قليل يحتويك ترابها »
(ديوانه ص ٣٣/ ٢١)

« لو شاء ان تصلى جهنم خالدا ما كان ألهم قلبك التوحيدا »
(ديوانه ص ٨٧/ ٣٩)

« وأحق خلق الله بألهم امرؤ ذو همة يبلى برزق ضيق »
(ديوانه ص ١٣٢/ ٦٤)

فالتضاد في هذه الأبيات لا يرتبط بالجانب اللفظي ، بل بالمعنى او الصورة ، فالفقر مع القناعة يقابل الغنى وامتلاك الدنيا .. والاحسان الى الاحرار يستعبدهم .. والكبر على سطح الارض يعقبه الذل تحت ترابها .. والخلود في جهنم يقابله النجاة بالتوحيد .. وهمة العمل يقابلها ضيق الرزق .

وهذا الاسلوب يعتمد التلاعب بالالفاظ ، وبالتالي تقابل المعاني كمدخل يلجه الشاعر ليكسب رأيه حجة وتكسب حكمته مفعولا مؤثرا ، ان طرح مثل هذه المفارقات يبدو متقصدا في فن الصياغة الشعرية التي انتهجها الشافعي ، حتى غدت هذه المفارقات وكأنها سمة من سمات شعره وقد جاء هذا الاسلوب من باب الحرص على الاقناع ، ويبدو اثر القياس في مضمار الفقه منعكسا في بعض ابعاده على هذا الاسلوب ، واذا كان القياس يعتمد التناظر في المتشابهات فانه في الشعر يأخذ ـ هنا ـ شكل التضاد والمفارقات ، ليحدث في نفس المتلقي هزة الاعجاب بالتفاتات الشاعر الذكية ، واندهاش بها .

وفي معرض اشارتنا الى مذهب يعلل التضاد او المفارقات الصورية في الشعر نذكر (ريتشاردز) و(امبسون) فقد وجدا ان القدرة على التوصيل والنقل انما تصدر عن بعض الخصائص منها أن تركيبة الشعر مؤلفة بين المتباعدات والمتناقضات وان المعاني الشعرية تنشأ من الصراع بين ما هو منطقي وما هو غير منطقي .. ومن اقوال « بروكس » « ان بناء احسن القصائد هو بناء التناقض ، لان مواد القصيدة يقوم بينها التجاذب والمقاومة والصراع ، واحسن بناء ما بلغ بهذه المواد المتنافرة والمتصارعة درجة التوازن .

وتبدو الصنعة واضحة على هذا الاسلوب الذي انتهجه « الشافعي » فهو ينقح ويمحص .. يثقف ويصقل .. ويشذب ويجود ، فصياغة كهذه اقرب الى الصنعة والتصنع منها الى الطبع والسجية ، كما انها تكشف عن تمكن الشاعر في التعامل مع ادواته الشعرية الامر الذي اسبغ على شعره الحكمي ملامح الطلاوة ومتانة السبك والحبك شكلا رغم ما يبدو من جهد عقلاني يتغلغل في جنبات المضمون .

العقلية العلمية والحضارة الاسلامية

للاستاذ/احمد عبد الرحيم السايح

العقل هو القوة المهيأة لقبول العلم ، وسمي العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا يحسن . والعقل في اللغة : ضد الحمق ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل . قال علي كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ... اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

والى العقل الفطري المطبوع ، يشير ما روى الترمذي الحكيم في النوادر من رواية الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل » وكذا ما جاء من ان : « اول ما خلق الله العقل » .. والى العقل المكتسب يشير ما روي : « ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى ، او يرده عن رديء » .

ومن اوضح سمات القرآن الكريم التي اثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هي الاشادة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه ، للوصول الى ما يفيد الانسانية في مسيرتها عبر الحياة .

ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشتقاته ومترادفاته ومعانيه المختلفة في اكثر من ثلاثمائة وخمسين آية . مستخدما لذلك كل الالفاظ التي تدل عليه او ترشد وتشير اليه من قريب او من بعيد من التفكر والتدبر ، والتذكر ، والحكمة واللب ، والنظر ، والرشد والرأي والعلم ، والفقه ، والقلب والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والالفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها . مما يعتبر ايحاءات قوية بدور العقل واهميته بالنسبة للانسان .

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصلح العيوب ، ويشرح الصدور .. وليس اتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل في القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه في الحياة الانسانية .

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذي ميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء ، والمتعقلون قبل ان يصبح العقل درسا يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، واثرا في داخله وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يئول اليه .

العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ..

العقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الأشياء ، وفي بواطن الامور ..

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال .. والعقل روية وتدبير .. العقل بصيرة تنفذ وراء الابصار .. العقل ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون وتحفظ وتعي ، وتبدىء وتعيد ، والعقل بكل هذه المعاني موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل امر بمعروف ، وكل نهي عن محظور . افلا يعقلون ؟ افلا يتفكرون ؟ افلا يبصرون افلا يتدبرون ؟ اليس منكم رجل رشيد ؟ افلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر انفسهم ، ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء »

والاشارة الى العقل لا تأتي في القرآن الكريم عارضة ، ولا مقتضبة في سياق آية ، بل هي تأتي في كل موضع ، مؤكدة باللفظ والدلالة .

وتتكرر الاشارة الى العقل في كل معرض من معارض الامر والنهي التي يحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، او يلام فيها الفكر على اهمال عقله ولا يأتي تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من اصحاب العلوم الحديثة . بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف ، أعمالها وخصائصها .

فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق ، والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية ، كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة او وظيفة ..

فالعقل في مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الاخلاقي او المنع من المحظور والمنكر .

ومن خصائص العقل الانساني التي تميز بها :

اولا : انه ملكة الادراك التي يناط بها القيم والتصور . وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الاخلاقي ، وادراك أسبابه وعواقبه تستقل احيانا بادراك

الامور فيما ليس له علاقة بالاوامر والنواهي ..

ثانيا : ان العقل يتأمل الامر.يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبني عليها نتائجه وأحكامه ..

ثالثا : ومن أعلى خصائص العقل « الرشد » ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم . لان الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليها مزيد من النضج والتمام والتمييز .

والعقل الذي يخاطبه الاسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ويوازن بين الاضداد ، ويتبصر العواقب والنتائج ويتدبر ويحسن الادكار والرواية . ومن هذا المنطلق الاسلامي ، تعمق العلماء المسلمون في علوم الحياة والحضارة الانسانية ، وبعقلية عملية ، فكان منهم نوابغ الاطباء والفلكيين والرياضيين والكيميائيين ، واوائل من اكتشفوا حقائق علمية في مجالات كانت اول المعالم على طريق الباحثين والدارسين .. وكان العلماء المسلمون ينظرون الى الكون وما فيه : على أنه أمور موضوعة للدراسة والبحث والانتفاع . ومن الحوادث الدالة على العقلية العلمية الموضوعة في الفكر الاسلامي ، ما حدث مصادفة ان كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال قوم : ان الشمس كسفت لموت ابراهيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته » . وهكذا يقرر الرسول الصادق الامين ، مبدأ علميا ، ظل ابد الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد . وفي حادثة فيضان النيل بالاقليم المصري ، موضوعة علمية ، تدل على نظافة الفكر الاسلامي ، وطهارته . ذلك انه كان الاعتقاد السائد في مصر قبل الفتح الاسلامي : ان النيل لا يفيض بمائه الا اذا القيت فيه فتاة حسناء لتموت فيه غرقا . فلما حان وقتذاك . كتب الوالي عمرو بن العاص الى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ، في المدينة المنورة ، عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره ويستشيره فيما تعود عليه المصريون . فأجابه عمر ، بإرسال رسالة يلقيها في النيل ، وكان في الرسالة : « من عمر أمير المؤمنين الى النيل . إن كنت تجري من عندك فلا حاجة لنا بك . وان كنت تجري بفضل الله ، فاللهم بارك لنا » .

وبهذا قضي المسلمون على اسطورة ليس لها واقع علمي او عقلي في الحياة .

وبالعقلية العلمية كانت علوم المسلمين ، هي أساس الحضارة في العصر الاول واخذت الحركة العلمية تتدرج في أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة أطلوا منها على حضارات العالم . وكان المسلمون يعرفون المنهج الاستقرائي حق المعرفة ، وينتقلون من المعلوم الى المجهول ، ويقومون بدراسة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلول الى العلة ..

ولما كان العقل في الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير ، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا ، في تحريره ليظل العقل عاقلا ، والفكر راشدا .. وهذا المنهج الاسلامي يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل في

المتاهات الفلسفية ..

ومن شأنها ايضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل في ميادين الخير ، وما يفيد المجتمع الاسلامي والانساني .

واول دعامة في المنهج الاسلامي في تحرير العقل والفكر هي تحرير الانسان من اصفاد الجهل وظلمته .. لان الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمي البصائر ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد والجماعات والأمم .. ويفسد على الناس مناهج الاستقامة ، والسلوك المستقيم .. والجهل هو الذي يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير ..

والدعامة الثانية في المنهج الاسلامي .. هي تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة .. ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية .. لان كمال العقل ، واستقامة التفكير ، أساس في صحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذي يجب ان يجتنب .

وقد عني الاسلام ببناء تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح . وبين أن كل اعتقاد او عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وانذر الذين يجادلون في الله بغير علم ولا كتاب ، قال تعالى في سورة الحج .

« **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** » الآيتان ٨ ، ٩ .

والدعامة الثالثة في المنهج الاسلامي .. تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لمغرياتها .. لان طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان في سلوكه والتوائه في نظره . وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء لا يستقيم لهم رأي ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس في جانبهم .

ولهذا عني الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعي عليهم ضلالهم ،، فقال تعالى في سورة القصص : (**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) الآية ٥٠ .

وعن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ..

قال الحافظ الأمام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهي عنه ..

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامي ان يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به

في الطريق المستقيم .. فان الاسلام اتبع ذلك بمبادىء قيمة ، ومن شأنها ان تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام ..

اولا : ان الناس في الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء لن يكونوا متماثلين . ولا متشابهين لأن الناس على درجات مختلفة ومراتب متباينة .. فهناك فريق من الناس قد لا تهيء له حالاته والظروف المحيطة به الا شذرات من المعرفة .. وثمة فريق آخر لم تعده وراثته الا للسطحي من الأشياء وكم من الناس من قصرته البيئة على القشور من الحقائق ، وكم من الناس من حصرته التربية في دائرة ضيقة من المرئيات .. وهناك من سجنته الخرافات والأساطير .. ومن الناس من جرفه تيار المادة ، فلم يعد يرى الاشياء الا بمنظار رمادي .. لهذا طالب الاسلام مختلف المستويات الانسانية بالنظر والتأمل والتفكير في ملكوت السموات والأرض ..

قال تعالى في سورة الغاشية : (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الآيات . ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

وقال تعالى في سورة ق : (**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**) الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

وهناك كثير من الآيات التي تدعو الى التفكير والنظر في السموات والأرض وما خلق الله فيها .. ليصل الانسان الى الايمان بالله ، فيرتقي الى السمو والكمال ..

والانسان بدون ايمان بالله لا قيمة له ولا اعتبار .. ولهذا نرى المجتمعات المادية والالحادية ، تساق كما تساق السائمة ..

ويسوقها قطيع من الذئاب البشرية . وقد حرمت هذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لأفرادها أي شأن ..

ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكير والتدبر . بل استنهض العقول ووجه الافهام ، وأيقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان الآيات الكونية والتشريعية والاجتماعية بمثل قوله تعالى في سورة الرعد : (**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**) ختام الآية ٤

وقوله تعالى في سورة الرعد الآية ٣ وسورة الزمر الآية ٤٢ وسورة الجاثية الاية ١٣ (**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) .

وقوله تعالى في سورة طه : (**إن في ذلك لآيات لأولي النهي**) ختام الآية ٥٤

وقوله تعالى في سورة يونس : (**إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**) الآية ٦٧

وقوله تعالى في سورة الرعد : (**إنما يتذكر أولوا الألباب**) . الآية ١٩

ثالثا : بشر الاسلام الذين يستمعون القول فينظرون اليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويهدي الى الرشد .. كماقال تعالى في سورة الزمر : (**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**) .. ختام الآية ١٧ ، والآية ١٨

وهكذا نرى ان الاسلام قد عمل على تطهير النفوس من الاغراض الخفية والأهواء الدفينة لان ذلك من أكبر العوامل في اعتدال النظر واستقامة التفكير. ومن هنا كانت حملة الاسلام شديدة على الذين لا يستعملون عقولهم، وما وهب الله لهم من قدرات ذهنية .. ضاربين في بيداء الضلال، ومنقادين وراء سراب كل البدع والاهواء.

واذا كان الاسلام يدعو الى تحرير الانسان من أصفاد الجهل واغلال الحجر العقلي وسيطرة التبعية العمياء ـ كما عرفنا في دعائم المنهج الاسلامي في تحرير العقل ـ فان ذلك يعني أن التقليد الذي ذمه الاسلام، هو التقليد الذي لا يميز بين الخير والشر تقليد أهل الغواية والضلال.

أما تقليد أهل الحق من الأئمة والدعاة الذين استمدوا عقولهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة .. فهو من قبيل القدوة الواعية.

وحرية الفكر التي دعا اليها الاسلام هي الحرية التي تطلق العقول والافهام من اغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتجلي معالم الحقائق، وتجعل قيادة التوجيه، قيادة بناء واصلاح وارشاد .. تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته.

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الاساسية والاعتقادية في حياة النفوس .. اما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذي يزن كل معطيات الحواس .. ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى في سورة الاسراء: (**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) الآية ٣٦.

وهذه الآية تنهي عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية، او رؤية بصرية، او براهين عقلية، وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات.

لهذا كله أقبل المسلمون على العلم ينشدونه في مظانه، ووجهوا عزائمهم على الفكر الأصيل القائم على توجيهات الاسلام.

واننا نجدهم اهتموا بشيء واحد وعرفوا شيئا واحدا، هو الاسلام والفكر الاسلامي .. فانتبهوا الى آيات الله التشريعية، وآيات الله الكونية .. وآيات الله الاجتماعية وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية .. ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة، ولم يثن عزائمهم بأساء الحياة .. وأقاموا الحضارة الاسلامية التي تخطت مراحل النهوض في تاريخ النهوض والأمم.

واستطاعوا في سرعة لم يعهد لها مثيل في التاريخ ان ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم، وقادة الفكر والرأي، ورواد المعرفة والحضارة.

وبحثوا، ودرسوا، وأضافوا وجددوا، وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الأصيل وقد حققوا ذلك على الرغم من الاحداث العاتية التي حملوا أعباءها

والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها .
لان الاحداث والخطوب ، وإن بلغت ما بلغت ، لا تستطيع ان تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب ، ولا ان تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها .. ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب اذا قلنا : انه لاول مرة في تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .
وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص ، جعلتها فريدة في التاريخ وفريدة في تحقيق ما يسعد الانسانية .. وهذه الخصائص والمميزات نجملها في النقاط التالية :-
اولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الاساسي للقيم الحضارية ، قال تعالى في سورة الرعد : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » الآية ٢٨ والايمان بالله قوة دافعة ، تسند الضعيف أن يسقط ، وتمسك القوي ان يجمح ، وتعصم الغالب ان يطغى ويفجر ، وتمنع المغلوب أن ييأس وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم وعماده الرضا والقناعة ، ونور الامل في الصدور .
ولهذا كرر رب العزة ، النداء في القرآن الكريم بصيغة « **يا أيها الذين آمنوا** » وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل أنواع الخطاب ، إبانة لحقيقتهم ، هذا الى ما ينطوي عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .
وفي النداء يا أيها الذين آمنوا زيادة ايناس وتكريم ، لأن أحب شيء الى الانسان هو ان تناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الاشياء منهم اليه . وما في الانسان شيء اقرب الى الله من الايمان به .
والله حينما يتوجه الى المؤمنين من خلال ايمانهم ، فسيكون التالي تعليما بموجبات هذا الايمان ، وحثا على القيام بها ، في أي شأن من الشئون ، وفي أي درب من دروب الحياة .. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في القرآن الكريم بهذا النداء (**يا أيها الذين آمنوا** ..) في ثلاثة وثمانين موضعا .. والآيات لثلاث والثمانون في جملتها ، تبين ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية فعالة .
بل ان فاعلية الاسلام شملت حياة المسلمين في جميع جوانب الحياة .. وهذه الآيات كانت وما زالت أصلا جذريا يمس أساس الاوضاع في حياة الناس .. والاسم فيها يراعي حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية ، في حدود الحق والفضيلة والعدل .. والاسلام فيها وليد العقيدة التي تطهر النفس ، وتذكي القلب ، وتربي الخلق وتغذي العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها .. وتعطي كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .
والاسلام فيها : عقيدة استعلاء يبعث في روح المؤمن الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة في غير اغترار ، والشعور بالاطمئنان من غير تواكل » .

وأثر الايمان يبرز بوضوح في الحضارة الاسلامية التي غيرت وجه التاريخ .

ثانيا : ومن الخصائص البارزة للحضارة الاسلامية ، انها تقوم على خلوص النية ،ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق كانت الاخلاق هي الارادة المنفذة ، والضمير الموجه وجملة ما يراد أن يقال ان الاخلاق التي جاء بها القرآن شملت الحياة كلها من التعاون ، والمودة ، والعفة ، والرحمة ، والاحساس ، والصدق ، والاخلاص والاستقامة ، والنظافة ، والاصلاح ، والاخاء والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة وحسن الضيافة والتضامن ، والتكامل ، والطهر ، والعفو ، والحب ، والشكر ، والتسامح ، والسلام ، ولم يكتف القرآن بهذا بل تأكيدا لتهذيب الاخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والغضب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث والكذب وشهادة الزور ، والبطر والجبن والخلاعة ، والميوعة والابتذال ، والارتخاس ، والنميمة والسرقة ، والخمر والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتنابز بالالقاب ، والتدابر ، والتباغض ، فرسالة الاخلاق في الاسلام اعلاء كلمة الحق واقامة ميزان العدل في الخلق .

ثالثا : وفي الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية ، وفلسفة الاقتصاد الاسلامي ، تستهدف مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة والموازنة والمواءمة بينهما ، وتحدد أهداف النشاط الاقتصادي وفقا لمبادىء الاسلام ، وتقرر في وضوح ان الانسان خليفة الله في الارض وبمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من اين اكتسبه وفيما انفقه ومن هذا المنطلق الاسلامي كان الاقتصاد في الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب الاقتصادية بسياسة لا ترتكز على الفرد شأن الاقتصاد الرأسمالي ، ولا على المجتمع شأن الاقتصاد الاشتراكي فان الاقتصاد الرأسمالي يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاحمة ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة .. والاقتصاد الاشتراكي يقوم على حيوانية الانسان ، وقتل غريزة التملك ، ووأد كل القيم والفضائل الانسانية اما الاقتصاد الاسلامي فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع ، وتضم هذه الفلسفة المتميزة في اطارها مطالب المادة ومشاعر الروح ، ومكارم الاخلاق .. وفي سبيل هذا الاطار الاقتصادي المتميز حرم الله الربا والغش والسرقة ، واكل أموال الناس بالباطل . وقد اثبت التاريخ ان الذين تربوا في مدارس القرآن ، هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة ، واعتدل في أيديهم ميزان الحق والعدل ولقد كانت الامة الاسلامية تزدهر بالعلم والحضارة شرقا وغربا ، وتنتشر فيها الصناعات على اختلافها ، وما تركه المسلمون من تراث علمي ، لاكبر شاهد على ذلك .

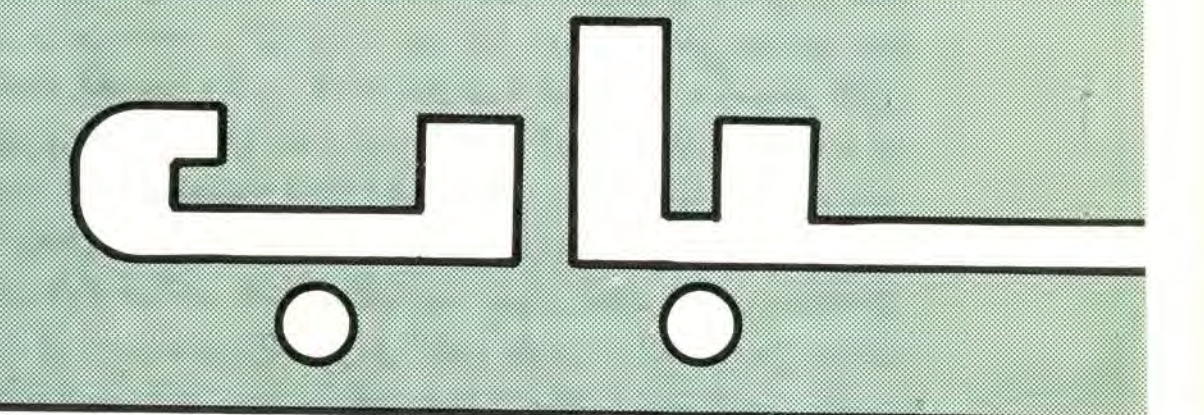


كلما قلبت تراثنا الاغر رايت صفحات مضيئة ، ما أحوجنا اليها في هذا الظلام الذي يعيشه أبناء الاسلام وسط خضم التيارات الهدامة والمذاهب الالحادية ولعل ذلك مرده الى البعد عن صراط الله المستقيم ومع واحد من الذين قادوا القافلة الاخلاقية الرائدة وددت ان يلتقي الشباب المسلم حوله ربما انتفع به .. ولن يخيب رجاه !!

من هو :

هو الامام « عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ».. يكنى أبا الفرج ، ولد عام ٥١١هـ ، كان من المتجردين للعلم فأعطى من بنات أفكاره العديد من المصنفات في مختلف العلوم بيد انه نشأ في موطن العلم « مشرعة الجوز » من اعمال بغداد ، وترعرع بها وما كاد يستوى حتى توفي والده فاستقبل الحياة بروح الكفاح والتضحية ، واصدق ما قيل عنه قول الموفق « كان ابن الجوزي لطيف الصورة ، حلو الشمائل ، رخيم النغمة ، موزون الحركات ، لذيذ الفاكهة ، لا يضيع من زمانه شيئا ، يكتب في اليوم أربع كراريس ، ويرتفع كل سنة من كتابة ما بين خمسين

الجوزي الى



للاستاذ / عبد الجواد محمد الخضري

كتابا الى ستين ، وله في كل علم مشاركة » طلب العلم على « علي بن عبد الواحد » « وابي الحصن » « وابي عبد الله البارع » ولو تأملنا عصره ، وما يموج فيه من اتجاهات مضطربة من كل جانب ادركنا علة عزلته التي اتخذها ذريعة لعدم الوصول الى المعاصي والحفاظ على الطاعات يقول : « المخالطة توجب ظلمة في القلب الى ان ينعدم النور كله » وكان لا بد ان يبتعد عن الاضواء والشهرة فاستغنى عن الناس بعلمه الا ان المناوئين له لم يعجبهم الموقف ، فأشهروا السنتهم في حياته وانتقدوه بعد وفاته وهيهات ! وهو الفقيه الحنبلي امام القرن « السادس الهجري » بلا منازع خصوصا في فن الوعظ الذي تفرد به وتميز بالفصاحة والبلاغة حتى غدا وحيد نسجه !! وبعد حياة مملوءة بالمعرفة على تنوعها رحل عن الحياة في (١٢ رمضان عام ٥٩٧ هـ) .

مؤلفاته :

اذا علمت انه من المتقين الذي انكبوا على العلم منذ مطلع اعمارهم بلا اضاعة للوقت او انحراف عن منهج الله ، فلازمه وابتعد عن المغرضين لا تعجب وانت

تطالع مصنفاته الموسوعية في الاخلاق والادب والتشريع والعقيدة ، وقد احصى « عبد الحميد العلوجي » مؤلفاته التي تبلغ خمسمائة مصنف من اهمها (التفسير الكبير ـ ذم الهوى ـ صيد الخاطر ـ تلبيس ابليس ـ مناقب عمر بن عبد العزيز ـ تلقيح فهوم اهل الآثار ـ الوفا في فضائل المصطفى ـ الذهب المسبوك في تاريخ الملوك ـ منتخب قرة العيون) اما رسالته التي نحن بصددها فهي « لفتة الكبد الى نصيحة الولد » ولا يغيب عن بالنا الازمة النفسية التي يعيشها الشباب المسلم من جراء الامراض الحضارية !! والعدوى الالحادية التي فشت في اصدقاء السوء واخلاء الهوى ، وقد احسن ائمتنا صنعا حين عالجوا ابناءهم في الماضي برسائل تربوية فكتب « مروان بن محمد » الى ابنه « عبد الله » رسالته التي يوصيه فيها بحسن الخلق والمسلك القويم ، وكتب الامام الغزالي « أيها الولد » ومجمل القول ان رسالة ابن الجوزى تلائم الحال المؤلم لبني العرب اليوم ناهيك ان نجله « أبا القاسم » يمثل شباب اليوم فينصحه قائلا اعلم يا بني ـ وفقك الله ـ انه لم يميز الادمي بالعقل الا ليعمل بمقتضاه ، فأعمل فكرك واخل بنفسك تعلم بالدليل انك مخلوق مكلف ، وان عليك فرائض انت مطالب بها .. وان انفاس الحى خطاه الى اجله ، ومقدار اللبث في الدنيا قليل والحبس في القبور طويل ، والعذاب على موافقة الهوى وبيل فأين لذة امس ؟ قد رحلت وابقت ندما ؟! واين شهوة النفس نكست رأسا وأزلت قدما وما سعد من سعد بخلاف هواه ، ولا شقى من شقى الا بايثار دنياه ».

تلك انوار استمدت ضياءها من القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ السلف الصالح ولو ان كل فرد اعتبر بها ، وتذكرها لأمن في سربه ، وعوفي في بدنه وعاش في عيش رغيد وما أحرانا ان نتعرف على نصائحه العطرة ..

« وانظر يا بني الى نفسك عند الحدود فتأمل كيف حفظك لها فإنه من راعى روعى ومن اهمل ترك .. ومتى رأيت في نفسك عجزا فسل المنعم او كسلا فالجأ الى الموفق ولن تنال خيرا الا بطاعته ، ولا يفوتنك خير الا بمعصيته ، ومن الذي اقبل عليه فلم يركل مراد لديه »؟!

انها تجارب انسان صنعه الاسلام ، وشكله الكتاب الحكيم وصدق الله اذ يقول :

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) الطلاق / ٤ **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب)** الطلاق / ٢ , ٣ فالتقوى صلب الايمان واساس صلاح الاعمال وما لامست قلبا الا وطدته على اخلاص العمل لله ويحددها علي ـ رضي الله عنه ـ قائلا « هي العمل بالتنزيل والخوف من الجليل والاستعداد ليوم الرحيل » وكلها لا تتأتى آلا بحفظ حدود الله وصدق الامام ابن الجوزي .. يا بني ومتى صححت التقوى رأيت كل خير ، فالمتقى لا يرى الخلق ولا

يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود الله حفظ قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابن عباس « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك » رواه الترمذي .. واجعل لك ذخائر من تقوى تجد تأثيرها ، وقد جاء في الحديث « ما من شاب اتقى الله تعالى في شبابه الا رفعه الله في كبره » قال تعالى (**ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين**) القصص / ١٤ ، واعلم يا بني ان اوفى الذخائر غض البصر عن محارم الله ، وامساك فضول كلمة ومراعاة حد ، وايثار الله تعالى على هوى النفس » .

لقد اوجز المؤلف ـ رحمه الله ـ طريق الفلاح في كلمات جذابة متأنقة في الاسلوب قريبة الى القلوب ، وما على المستمعين الا العمل بما قال ، ولا ريب ان سوء الفهم وكثرة النسيان للعلم عائد الى النظرات الشهوانية التي تورث صاحبها خيبة الامل وقلة الرجاء ، وتعقب الندامة والضياع وقد نصحنا الله : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**) النور / ٣٠ (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**) النور / ٣١ فمن غض بصره فتحت بصيرته .

انتبه لنفسك !

الوقت اثمن شيء يمتلكه الانسان ، ليحصل ما فات ويستقبل ما هو آت فاذا ما استغل المسلم الزمن في ارضاء الله ، وانتفاع المجتمع ، مشى في سلك المكرمين الذين يراعون الحقوق قبل فوات الاوان وانتهاء اوقات الحياة وها هو ابن الجوزي يسدي الخير الى ابنه فيقول اندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعاتك التي ضاعت فكفى بها عظة .. ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل » لله دره !! فماذا لو شاهد الشبيبة وهي قابعة امام وسائل اللهو « التلفاز والسينما » ينظرون الى الرذائل المستوردة من بلاد لا تؤمن بالله ، ولا تعمل حسابا لدين او فضيلة ، وانها لكبيرة جدا كبيرة ان يسمح شاب لنفسه ان يعطل فرائض الله ومبادىء الحياة ثم يهوى الى عبادة الهوى ، وتكون النتيجة مؤسفة يوم يقوم الناس لرب العالمين !!

ان قتل الوقت جريمة في حق النفس ، وبعد ان كان المسلمون من اشد الخلق حفاظا على العمر ، اصبحوا من اكثر الناس تضييعا له ، فهل يفتح العقل لكشف اغوار الاعمال الضائعة ويراجع حساباته ؟!

الوصول الى السعادة !

فشل الفيلسوف اليوناني افلاطون في تحقيق آماله ، وانقلب فكره رأسا على

عقب حين عارضه الواقع وثار عليه الناس وطويت جمهوريته الا من على السطور ، وفي عصرنا الحديث هب المفكر الرياضي « برتراندراسل » مدافعا عن الاخلاق والقيم وناشد الناس بالمحافظة عليها ، وارتأى ان يؤلف كتابا اسماه « الوصول الى السعادة » ويبدو انه مات وهو حزين كاسف البال مما يجعلنا نقر في وضوح بأن السعادة في الوصول الى الله ، ويرسم « ابن الجوزي » امارات الطريق في قوله : « الزم نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر ، ولا تتحدث عند طلوع الفجر بحديث الدنيا وقل عند انتباهك « الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور . الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع على الأرض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم ..» رواه الترمذي ثم قم الى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج الى المسجد خاشعا وقل في طريقك ، « اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبممشاي هذا اليك اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ، ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، اسألك ان تجيرني من النار ، وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت » واقصد الامام فاذا فرغت من الصلاة فقل « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات ، ثم سبح عشر مرات واحمد عشر مرات وكبر عشر مرات » واقرأ آية الكرسي وسل الله سبحانه قبول الصلاة فان صح لك فاجلس ذاكرا الله تعالى الى ان تطلع الشمس وبعدها تشاغل بما يمكن من العلوم واهمها تصحيح الفقه ، فاذا اعدت دروسك الى وقت الضحى الاعلى فصل الضحى ثماني ركعات ثم تشاغل بمطالعة او نسخ الى وقت العصر ، ثم عد الى دروسك وصل بعد المغرب ركعتين تقرأ فيهما جزءين فاذا صليت العشاء فعد الى دروسك ثم اضطجع فسبح ثلاثا وثلاثين واحمد ثلاثا وثلاثين وكبر اربعا وثلاثين وقل اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك » .

هكذا ربي الاطهار انفسهم وبينوا اسرار العمل الصالح لاحبائهم ورب سائل يقول : وماذا يفعل الدارسون في المدارس بالتوقيت القانوني ؟ اجيب عليهم ان يلتزموا بالآداب في الاوقات التي يفرغون فيها ، واذا ما اجتهدوا في اداء واجبهم نحو النفس رفعهم العلم الى ذروة الشرف والمجد .

اننا اليوم في اشد الحاجة الى النسيم الذي ينقي المناخ من النقع المسموم ومن العجيب ان تراثنا فيه فلاسفة الاخلاق (الفارابي والماوردي والغزالي ومسكويه وابن القيم وابن الجوزي) وغيرهم ، ولكن ما علينا الا مطالعة آثارهم وملاحقة سيرهم ، واذا لم نتخذ المسلمين قادة في التربية والتعليم ، فسنظل في طي النسيان تابعين اذلة لاهل الكفر ، وأليس من المخزي ان يتشدق بعض المفكرين بامثال « دوركايم واندريه جيد وكانت » ويتناسون اعلامنا ؟ ولا اجد في نفسي حرجا من قولي « سر تأخر الفكر الاسلامي هو التبعية والمحاكاة العمياء » ونسيان الله يقتضي نسيان النفس ولا يغفل ابن الجوزي فيقول « وقد اسلمتك الى الله واياه اسأل ان يوفقك للعلم والعمل وهذا قدر اجتهادي في وصيتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين .

بأقلام القراء

الوحدة .. والسلام وسياسة الفرقة

الدول العربية ـ حكاما وقيادة ـ يتحدثون لغة الوحدة والسلام ..

ولكن انماط سلوكهم العملى تدور في فلك سياسة فرق تسد ؛ التي ما زال مناوئو الوحدة والسلام يمارسونها .. حتى المؤتمرات العربية اصبحت ساحة مزايدات بالكلمات .. والشعارات ، يتراشق فيها حكام العرب وقادتهم الاتهامات جزافا .. فلا تكون الا القطيعة والبعد نتاجا ..

محصلتهما هوة سحيقة تزداد مع الايام عمقا .. واتساعا

وأصبح في غيبة الضمير الاسلامي . ان ما يجري في هذه المؤتمرات ، وبين اروقتها محاولات مستميتة ويائسة لاشاعة البلبلة .. ونشر الفوضى .. وتوسيع نطاق الحرب الباردة بين المسلمين .. وبالتالي توريط الامة العربي في خلافات انتحارية ، تسقط هيبتها .. وتمتص طاقاتها .. لانها بفقدها الروح الاسلامية والطابع العربي .. فقدت تأثيرها .. وجودة توصيلها ..

وبذلك اصبحت الوحدة الاسلامية ، والعربية مهاترات ومهزلة عربية .. وملهاة تحرق

طاقاتها .. وتبدد امكانياتها .. وتستنزفها ماديا .. وادبيا ومعنويا .. بينما شعوب الامة العربية تتحرق شوقا لرؤية الاستقرار يستتب على ارضها - بالحق والسلام والحرية والعدل - والرخاء يعم ارجاءها .. وكل مواطن متفق ان زيف الاطماع الشخصية التي تسيطر بالمصلحة والهوى .. وتريد ان تحكم وتتحكم بالمذلة والهوان والخنوع هي التي تزكي الصراع من أجل التسابق على من يحكم ويقود ..

وعلى ضوء ما تقدم يناشد الشعب الاسلامي والعربي ان يعمل حكامهم في ظل تعاليم الاسلام الحنيف مسترشدين بكتاب الله وسنة رسوله « صلعم ».. ذلك ان شكوكا متصاعدة - تلح في اصرار عنيد بحجب الرؤية الشعبية في الامة العربية .. في مواجهة كيل الاتهامات .. وتخبط الاراء الحاكمة ..

ومما يدعو للاستنكار ان نظل نصدق ما يقولون :

« **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم كبر مقتا عند الله ان يقولوا مالا يفعلون** »

ونحن بين الاحجام والاقدام محصلة لتردد تتسع هوته .. ومن ثم - يزداد الموقف سوءا وتعقيدا .. ويصبح غير قابل لتحقيق التقارب والوحدة ذلك ان اي حكومة اسلامية تخلع نفسها من التربة الاسلامية تحكم على سياستها بالذبول وعلى نفسها بالموت .. « لأنه لن يشاد الدين احد الا غلبه » وطالما نهمل تعليمات ديننا بنظريات مستوردة .. وعقائد وضعية .. تجعل سياسة بعض حكامنا سياسة التبعية .. مرة في احضان الشيوعية الملحدة ، ومرة في احضان الصليبية الحاقدة تحت شعار الديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية .. لأننا تعامينا بصرا وبصيرة .. عن قوله تعالى :

« **ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك** » (المائدة اية ١١١) ومن ثم يتعين على الساسة العرب - اذا صدقوا ما عاهدوا الله عليه - لتحقق لشعوبهم امة واحدة ذات ارادة واحدة وكلمة جامعة - لتكون قلب رجل واحد - ان يهجروا خلافاتهم وينبذوا صراعاتهم ..

وعدائهم الشخصي - لبعضهم بعضا - ويمتثلوا لقوله تعالى :

« **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** .. » لأنه بهذا الوضع المزرى تصبح الامارة على المسلمين تآمرا ضد الاسلام والمسلمين .. وليعلم العرب والمسلمين ان رياح التربص التي تهب عليهم ان لم تجد من المقاومة والتحدى ما يدفع

بالرياح في اتجاه مغاير ، فسوف تتحول الى اعصار حانق ومدمر .. وعلينا حكاما .. وقادة .. وشعوبا ان نتربص بالمتربصين بنا : « فتربصوا اني معكم من المتربصين ».. حتى يتحقق علينا قوله تعالى : « **ان جندنا لهم الغالبون** ».. وليدرك حكام العرب والمسلمين : ان اي مشكلات مصطنعة يمكن ان تؤثر على سلامة وامن امتنا ووحدتها .. فتتفرق بنا السبل ».. وبقدر ما يؤثر النزاع الناتج عن تصادم المصلحة الشخصية والنفع الذاتي .. مع مصالح الجماعة .. ووحدة

المسلمين يحذرنا الله بقوله تعالى : « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . واصبروا ان الله مع الصابرين** »

واذا توحدت امة العرب والاسلام .. واجتمعت على مأدبة القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي اقوم .. وعمل حكامها - على قلب رجل واحد - جنبا الى جنب لتحقق من القوة ما يكفي ليجعلها قوة ردع حاسمة من اجل سلامها وسلام الانسانية وما يجعل اعداء الحق والاسلام يرهبون جانبنا ..

ذلك ان الاسلام هو السلام الحق .. والتكافل فيه رخاء وحب .. وامن وتآخي .. يحقق رفاهية الجنس البشري .. ان الاسلام حقيقة تسترشد بها النفوس الحائرة .. ان الاسلام قوة ينبذ الضعف والتخاذل .. ان الاسلام دين ودولة .. وعلى طريقه يكون المخرج الوحيد من الازمة العربية المؤسفة .. ان الاسلام مبدأ حق تقرير المصير للمغلوبين على امرهم .. ونصير المستضعفين في الارض .. الخ

ومن يعتقد غير ذلك فانه يعيش خدعا في عالم من الوهم الكاذب ويمني نفسه بآمال دنيوية زائفة جريا وراء شهواته .. او تحقيقا لمجد شخصي زائل .. وهو بتصرفاته لا ينتسب الى الاسلام .. وحقائق الموقف السليم .

ان في ابتعادنا عن الاسلام خيانة .. ستجر علينا خزى الدنيا وعذاب الاخرة بقدر ما تجلب لنا الخسران المبين دنيا ودين ..

وستجعل الجبن والمخاوف يطغيان على تصرفاتنا وفي ذلك سوء المصير فهل آن الاوان لنسلم قيادنا لله طائعين .. ونعمل بكتابه وسنة نبيه الكريم وصدق رسول الله « صلعم » تركت فيكم ما ان اتبعتموه لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتي »

انه نعم المولى ونعم النصير

فاروق عبد العزيز سلام



افعال الناس

الاخ جمال الدين الجوة ـ من تونس ـ كتب يقول : لقد استوقفتني الآية الكريمة « والله خلقكم وما تعملون ».. وجال فكري في المقصود منها .. فهل لكم ان تفسروها بما يقضي على الحيرة التي اعانيها في الاجابة على سؤال : هل الانسان مخير او مسير ؟

المحرر : اضع بين يديك يا أخ جمال اولا هذه النقاط .. وبعدها تكون الاجابة ..

اولا : الله سبحانه صاحب الملك والملكوت .. خالق كل شيء .. وهو على كل شيء وكيل .. لا يعزب عن عمله مثقال ذرة في السموات ولا في الارض .

ثانيا : الله سبحانه عادل .. لا يظلم الناس شيئا .. وهو كريم يحب العفو .. ويثيب على الحسنة بعشر أمثالها .

ثالثا : خلق الله الانسان وميزه على سائر المخلوقات بالعقل .. وجعله مهيأ لفعل الخير او ارتكاب الشر .. فيسر أمامه الطريق ، وهداه النجدين .

رابعا : ارسل اليه الرسل الكرام مبشرين ومنذرين .. يبلغون رسالات الله إلى الناس ويخبرونهم بما غاب عن عقولهم ، ويرشدونهم الى ما فيه النفع والصلاح في الدنيا والاخرة .

وبعد هذا نقول : ان المقصود بالاية الكريمة « **والله خلقكم وما تعملون** » هو ان الله القادر هو الذي خلقكم من عدم وخلق اصل الاشياء التي تصنعون منها هذه الاصنام التي تعبدونها .. فانها مأخوذة من الاخشاب والحجارة وغيرها .. فكيف تعبدونها ومادتها مخلوقة لله سبحانه ؟.. هذا هو المعنى المقصود كمانفهمه من الاية الكريمة .. والله اعلم وفي ظل هذا الفهم يرى اهل السنة : ان الافعال هي من مخلوقات الله عز وجل ؛ وان العبد له منها الاكتساب فقط .. ونزيد الامر ايضاحا فنقول : ان الفلّاح عندما يحرث الارض ويلقي البذرة فيها . وينتظر النبات حتى ينمو ويحين الحصاد .. ليس له الا هذا الجهد الذي بذله والقصد في عمله ، اما الفعل الحقيقي اما انبات الزرع ، ونموه ، ثم هياجه ، ثم اصفراره ،

فذلك فعل الله سبحانه وتعالى .. يقول سبحانه : « **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون** ». وايضا تلك النار التي نستخدمها في اغراض شتى .. ليس لنا في حالات استخدامها الى القصد والميل الى هذه الاستخدامات .. ولذا فان الله سبحانه ابطل مفعولها عندما القى فيها ابراهيم عليه السلام وفي نفس الوقت كانت النار تفعل فعلها في الوقود حتى اتت عليه .

وعلى هذا فليس الانسان مطلق الحرية .. فلا يستطيع ان يوقع في ملك الله مالا يريده الله سبحانه وهناك فرق بين ارادة الله ، وامره ، وفعله سبحانه

كما ان الانسان ليس مجبرا او مسلوب الارادة ، لان الله سبحانه ميزه بالعقل ، ووهبه القدرة على توجيه ارادته للخير او للشر ، وامره سبحانه بأن يبذل كل جهده على طريق الهدى والرشاد ، ويبتعد عن طريق الغواية والضلالة .

وبمقدار ما منحه الله من قدرة على الاختيار والتمييز يكون حسابه .. ولا عذر له ان ضل ، فقد وهبه الله العقل ، وارسل اليه الرسل ، فان احسن فبتوفيق الله ، وان أساء فعلى نفسه جنى .. والامر من قبلُ ومن بعدُ لله سبحانه .. وهو الهادي الى سواء السبيل .

المكتبة الاسلامية

وصل الى بريد « الوعي الاسلامي » هذان الكتابان .. احدهما ديوان شعر ديني ، والاخر بعنوان « القرطبي المفسر » سيرة ومنهج .. نعرِّف بهما في زاويتنا هذه .

ديوان شعر

الشعر هو سجل العرب الخالد .. ونبض احاسيسهم المرهفة .. واشتمل الشعر على كل افكار الناس وشواغلهم .. ففيه المديح والهجاء .. وفيه الأحداث والعبر .. وفيه التاريخ والسير .. وفيه الوصف والخيال .. وفيه ايضا أسرار اللغة ومتون العلم واصول المعرفة .. ومن أعظم اغراض الشعر ما كان منه في الجانب الديني ..

والديوان الذي بين ايدينا من هذا النوع « مناجاة » للاستاذ/سيف النصر الطلخاوي .. فيه تسبيح لله تعالى ، واجلال له ، وحمد على نعمائه ، وطلب لعونه في كل حال .. وثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوة الى الاخلاق الفاضلة ، والاداب الاسلامية السامية .. والديوان بأسلوب سهل مشرق يدعو الى الفضيلة .. والى الصفاء النفسي في دنيا كدرتها الاحزان .. واستشرى فيها الفساد .. فما أحوجنا الى مناجاة الله سبحانه ..

القرطبي المفسر

كتاب تعرض فيه مؤلفه الاستاذ / يوسف عبد الرحمن الفرت الى دراسة الامام القرطبي ومنهجه في التفسير .. حيث تناول كتابه « الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان » بالنظر والتحليل والتقويم لهذا الجهد العظيم الذي يفيد منه العلماء جيلا اثر جيل ..

وقد قسم الاستاذ الفرت كتابه عن القرطبي المفسر الى تمهيد ، وثلاثة ابواب وخاتمة .

أما التمهيد : فكان دراسة عن البيئة والعصر الذي عاش فيه القرطبي .. والحالة السياسية والعلمية في الاندلس ومصر .

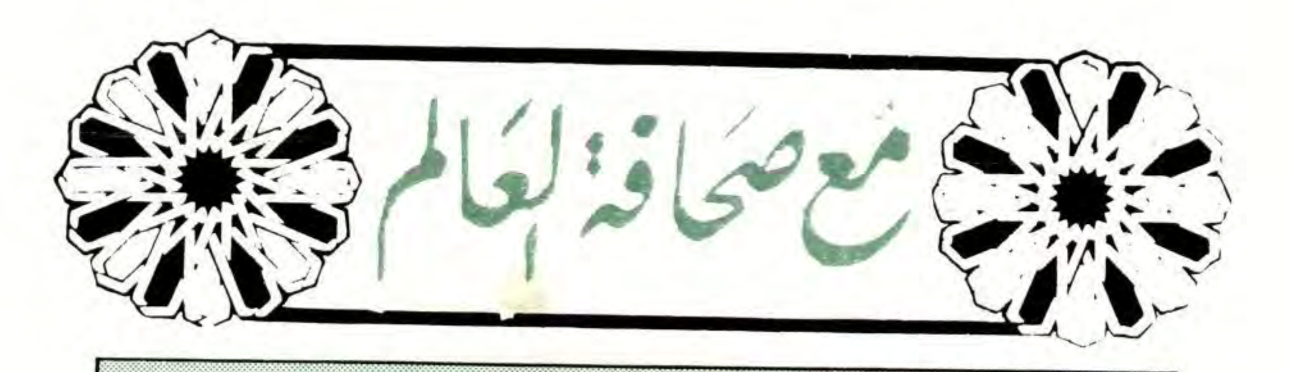
والباب الاول : مقسم الى فصول خمسة : نشأة القرطبي واسرته ـ رحلاته وشيوخه ـ اخلاقه وصفاته ـ آثاره العملية وتلاميذه ـ مذهبه الكلامي .

والباب الثاني : تناول السمات البارزة في تفسير القرطبي .. حيث أبان المؤلف عن منهج القرطبي في التفسير ، ومصادره ، ومكان تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، وبحث الاستاذ الفرت في « الفقه في تفسير القرطبي ». ورسم صورة عن البيان اللغوي في تفسير القرطبي .

وفي الباب الثالث: استعرض المؤلف علوم القرآن في تفسير القرطبي .. من اعجاز ، وفواصل الايات ، والمحكم والمتشابه ، والاحرف المقطعة في اوائل السور ، والنسخ في القرآن ، والقراءات ورأى القرطبي فيها .

والخاتمة : جاءت لتعرض خلاصة جهود القرطبي في كل ما سبقت الاشارة اليه .

والكتاب يقع في ٣٧٠ صفحة من القطع المتوسط .. وهو من منشورات دار القلم بالكويت .



القضية الفلسطينية

اكد رئيس وفد الكويت في اجتماعات منظمة المؤتمر الاسلامي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية احمد سعد الجاسر ان القضية الفلسطينية بكل ابعادها ونتائجها تمثل الرمز البارز للنضال المشترك لشعوب الامة الاسلامية ضد الاستعمار والظلم والعدوان .

ودعا في كلمة القاها في عاصمة جمهورية النيجر نيامي الى الانتقال من مرحلة المواقف السياسية الموحدة الى الاجراءات الملموسة والفعالة التي تعكس وحدة ارادة ومشاعر الشعوب الاسلامية حول حتمية المجابهة المشتركة للعدوان الصهيوني .

واشاد الوزير بصمود المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين امام العدوان الاسرائيلي وقال ان هؤلاء المقاتلين اثبتوا بصمودهم الشامخ ان لدى ابناء هذه الامة من ارادة الفداء والصمود ما يمكنهم من مجابهة العدو الصهيوني الشرس .

وحث على مواصلة وتكثيف الجهود لايقاف الحرب بين العراق وايران وقال ان هذه الحرب تمثل تصدعا خطيرا في بناء التضامن الاسلامي واستنزافا محزنا للدماء والامكانيات الاسلامية .

وكان وزراء خارجية الدول الاسلامية قد بدأوا مؤتمرهم الثالث عشر يوم الاحد الماضي لبحث عدة قضايا من بينها الغزو الاسرائيلي للبنان والحرب العراقية الايرانية والتدخل العسكري في افغانستان .

ومن المقرر ان يبحث وزراء خارجية الدول الاسلامية في العاصمة النيجيرية مشروع قرار قدمته اللجنة السياسية التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي دعت فيه الى ادانة صريحة لاسرائيل لغزوها لبنان وقتل الاف المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين .

وتبنت اللجنة السياسية مشروع القرار الذي يندد ايضا بالعدوان الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ ويتهم اسرائيل باتباع سياسة عدوانية من شأنها عرقلة التنمية الفنية والعلمية في الدول الاسلامية .

وطالب المشروع اعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي الذين سيحضرون

mntry Cuntry

مؤتمر وكالة الطاقة الدولية المقررعقده في فيينا في سبتمبر المقبل بتبني مشروع قرار تعلق بموجبه الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها اسرائيل في الوكالة الدولية .

وقال وزيرالخارجية السعودي ان جميع الوفود المشاركة في هذا المؤتمر قد اعربت عن تضامنها غير المحدود مع الشعبين الفلسطيني واللبناني .

وندد وفد منظمة التحرير الفلسطينية في جلسة بالغزو الاسرائيلي للبنان كما هاجم الولايات المتحدة لمساندتها اسرائيل .

وقال وزير خارجية بنغلاديش في اشارة الى الحرب العراقية الايرانية ان على الدول الاسلامية مسؤولية اخلاقية لايجاد وسيلة لمناشدة العراق وايران لوقف العداوة بينهما فورا من اجل مصلحتيهما واقرار السلام والاستقرار .

افتتاح كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

من اجل التكامل في بناء الوطن وارساء قواعده على اسس اسلامية وتعميق صلة الكويت بالمسلمين في العالم ومن اجل ربط الحاضر بالماضي وتخريج علماء متخصصين يواجهون مشكلات الحياة بايمان راسخ تم في الساعة السادسة والنصف من مساء ١٤٠٢/١١/٢٠هـ الموافق في ١٩٨٢/٩/٨ م افتتاح كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بقاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى الكلية في كيفان بحضور الدكتور يعقوب الغنيم وزير التربية الرئيس الاعلى للجامعة . وستتكون هذه الكلية الجديدة من الاقسام التالية :

اولا : قسم العقيدة والدعوة :
ثانيا : قسم التفسير والحديث :
ثالثا : قسم الفقه واصوله :

هذا ويكون لكل قسم من هذه الاقسام الاشراف على سير العملية التدريسية في جميع المقررات التي اسندت اليه مثل : توزيع الدروس على اعضاء هيئة التدريس ، وتقديم الاقتراحات بشأن الخطط الدراسية ، وتحديد احتياجات القسم وميزانيته السنوية وترشيح اعضاء هيئة التدريس والمعيدين ، وتقديم ما يراه من الاقتراحات الى مجلس الكلية في شأن التعليم وانظمته ، وتأليف اللجان الفنية الدائمة والمؤقتة لدراسة الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .

والوعي الاسلامي انطلاقا من واجبها الاسلامي تجاه الاسلام والمسلمين تدعو الله ان يسدد الخطى ويبارك الجهود لتكون هذه الكلية قلعة من قلاع الاسلام الحصينة .

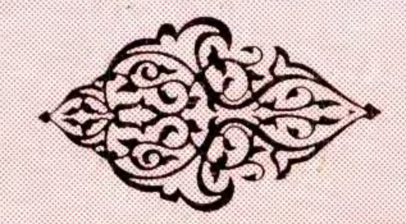
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -